« .. جبهة شعوب العربية حقيقة تتوافر لها جميع عناصر المعقول والتحقق . فاقاليمها متلاصقة متلاحقة دون فاصل ، ولغتها واحدة وحياتها الاجتماعية وتعاليمها الخلقية مستمدة من ينبوع واحد هو الاسلامية .. »

جبهة من شعوب العربية

ضرورة خلقها وكيفية تأليفها

بقلم الاستاذ محمود عزمى

أحسبنى من أوائل المصريين الذين عنوا فى العهد الحديث بالقضايا العربيـة ، وقد هيئت لى فرصة الاتصال بحملة ألوية هذه القضايا يوم كانوا يعززونهـا فى مواجهة مؤتمر « لوزان » سنة ١٩٢٢ إذ ذهبت اليه فى مهمة من مهامى الصحفية الخارجية . وأحسبنى من قلائل المصريين الذين جابوا ـ فى سبيل تعرف الأوضاع الصحيحة لتلك القضايا ـ أطراف العالم العربى فأحكمت عرى الصداقة بين زعماء النهضات فيه وبينى ، من « تطوانه » الى « بغداده » ومن « اسكندرونته » و « حلبه » الى « عدنه » و « صوماله » . ولذلك اشتد ما كان اغتباطى حين طلب الى « الهلال » الأغر أن اكتب له فى « جبهة شعوب العربية وكيفية تأليفها » ، فهو بهذا انما يتيح لى مناسبة الادلاء بنتائج ما صرفت من تفكير و بذلت من جهد طول ست عشرة سنة ، لأجل قضية لمست قيامها واقتنعت بحيوية تحققها ، ويزيد الآن من « حاليتها » ظرف انعقاد المؤتمر البرلمانى العربى الاسلامي لفلسطين

* * *

وعندى ـ استناداً الى مالى جعبتى العربية من معلومات مستقاة من أدق المصادر الواقعية ـ أن « جبهة شعوب العربية » حقيقة قائمة لا مرية فيها . وانت إذ تقصد كما قصدت الى تونس والى الحجاز والى فلسطين وشرق الاردن وسوريا ولبنان والعراق و « هاتاى » كما يحلو لتيار التمزيق الدولى أن يسمى ذلك الركن الامامى من أركان الجبهة ، وإذ تتحدث كما تحدثت الى

قادة الرأى وزعماء النهضات وأفراد الناس فى تلك الأقطار جميعاً ، والى زملائهم فى المغرب الاقصى الذين عرفتهم فى لندن ، وفى « شمال افريقيا » ـ مرا كش والجزائر وتونس ـ الذين خبرتهم بباريس ، وفي « لو بيا » ـ طرابلس و برقة ـ والسودان والصومال وعدن واليمن ونجد وحضرموت والبحرين والكويت وجاوه الذين قابلتهم فى خلال رحلاتى الى الشرق والغرب ، ونشأت بين كثيرين منهم و بينى مودات رفعت الكلفة وكشفت عن المصارحة المجردة ، اقول انك اذ تحادث هؤلاء كما حادثتهم انما تستمع الى المناجاة بالعروبة ، وتلمس وحدة فى الاتجاه الجدى نحو التحرر من قيود الاستعمار ، وتجد اتفاقا فى المثل الاعلى يعيد الى ذاكرتك حادث الامبراطورية العربية الكبرى وواقع الفتح العربى العتيد ، وتشعر مقتنعاً بضرورة تكاتف اقطار العربية لنجدة المظلوم منها والتمسك بأهداب الناهض فيها ، وتحس اعتزازاً بكل مجد يصيب واحدا منها ، وألما لأية كارثة تنزل بناحية من نواحيها

وان الحديث لينتقل بعد هذا العموم فى الاحساس الى شىء من التخصيص ، فتجد اجماعا على توحيد الثقافة بتوحيد برامج التعليم ، وعلى وجوب تعارف الزعماء تعارفا شخصيا ، وتبادل الزيارات بين مختلف الشباب ، واحكام الصلات بين مختلف المؤسسات ، وتنظيم عقد المؤتمرات والسعى فى سبيل رفع الحواجز الجمركية ، وتوحيد النقد واقرار العلاقات الاقتصادية . كما تجد توجها بالآمال الى الملوك والأمراء والرؤساء ، وتوقانا الى قيام الاحلاف بينهم والى العمل على ضم الصفوف فى متعدد جيوشهم خطوة جبارة فى سبيل تحقيق الوحدة السياسية جمعاء

وكل ذلك من مظاهر الجبهات أو من عناصر الجبهات التى يطمئن توافرها ـ ولو فى حيز التفكير وحده ـ الى قرب التحقيق المادى ، الشامل لما تجيش به الصدور من آمال وتصبو اليه من مطامح . وعلى هذا الاعتبار فى التقرير وفى الفهم أقول بما سبق لى تسجيله من ان « جبهة شعوب العربية حقيقة قائمة لا مرية فيها »

***

على ان هذه الحقيقة النسبية ـ لأنها لم تتجاوز ميدان التفكير بعد إلا قليلا ـ يعتور سيرها بل يعتور تكييفها الذى يقتضيه تحقيق الجبهات والجامعات بين الشعوب غير قليل من العقبات ، التى يرجع بعضها الى نوع من الغشاوات تخيم على تحديد طبيعة الجبهة عند فريق من العاملين لها من ناحية ، ويرجع بعضها الآخر الى الأوضاع السياسية لمختلف شعوب هذه الجبهة من ناحية أخرى

أما الغشاوات التى تعكر صفو التفكير فى طبيعة الجبهة وتحديد قوامها فيلوح لى انها آتية عن طريق طغيان الاعتبار الدينى فى بعض بيئات العربية على الاعتبار الاجتماعى والسياسى ، وعن طريق رد فعل هذا الطغيان فى بعض البيئات الثانية ، وعن طريق المغالاة فى «الحصرية» عند الفريق الثالث ، ثم عن طريق عدم نضوج الفكرة نضوجا جلياً عند الفريق الاخير

ولا إخالنى مبتعداً عن الصواب إذا أنا قررت ان الاعتبار « الاسلامى » يطغى على الاعتبار العربى الخالص فى بلاد المغرب كلها من اقصاه الى طرابلسه ، كما يطغى فى اليمن وفى العربية السعودية ذاتها ، والمعاهدة المعقودة بين هاتين الدولتين تسمى معاهدة « الاخوة الاسلامية » ، وتستند الى « الصفة الاسلامية » ، دون سائر الاعتبارات ، أو قبل سائر الاعتبارات على الاقل

ولست الآن فى صدد تحليل مواقف الدولتين اليمنية والعربية السعودية والاقطار المغربية ، وارجاع هذه المواقف الى أصول تاريخية أو اجتماعية تبررها بالنسبة لبيئاتها جميعا ، ولذلك أكتفى بتقرير الواقع منها ، وتسجيل ان الاتجاه الدينى فيها يقلل من تركز الجهود فى سبيل الجبهة العربية التى نبحث فى هذا المقال فكرة قيامها بين مختلف شعوب العربية ، كما نسجل انهذا الاتجاه قد كان من شأنه أن يقابله فى لبنان تيار حذر وتردد إذ يخشى الخاشون فيه أن تكون النعرة التى تنبعث عن « الوحدة العربية » نعرة إسلامية تقلق بال المسيحيين إذا هم تركوا أنفسهم يعودون بالذاكرة الى ما ورثوه فى هذا الصدد عن الحكم العثمانى من مخلفات غير خيرة

وكذلك نقرر دون تحليل ولا تعليل أن الغلو فى «الحصرية» الذى نراه متفشياً فى العراق يكون هو الآخر غشاوة من الغشاوات التى تخيم على تحديد طبيعة الجبهة التى نريدها لشعوب العربية جميعا . وانما نقصد « بالحصرية » ذلك الاحساس بأن العمل فى سبيل العروبة يقتضى الوقوف موقف العداء من العناصر غير العربية داخل البيئات العربية وخارجها . وهذه الحصرية التى شاهدناها فى العراق تفت فى عضد الكتلة العراقية الخاصة ذاتها ، إذ تتجه بشىء من الكراهية الى الاكراد ، ولا ترضى كثيراً عن توطيد العلاقات بين العرب والايرانيين أو غيرهم من المسلمين المتاخمين لأراضى شعوب العربية . وفى هذا من خلق المشاكل أمام الجبهة العربية ما فيه

وأما البيئة التي تسير فيها فكرة « العربية » وجبهة شعوب العربية سيرا عجباً لا يستقر

على حال ويجمع بين متناقض الاتجاهات ومتقابل التيارات ، فهي البيئة المصرية . فالمصريون فى عموم مفكريهم لا يعتبرون أنفسهم عربا ، وهم فى الوقت نفسه يحلو لهم ان يتداعبوا بأنهم «زعماء» بلاد العربية جميعاً ، ويدعون الى توحيد الثقافة فى هذه البلاد ، ويسرهم ان تنتدبهم حكومتهم للعمل عند حكومات البلاد العربية . وهم من ناحية أخرى يذكرون لك فى كل مناسبة انهم يتزعمون الاسلام بأزهرهم العتيد ، واذن فهم يعنون بالوحدة الاسلامية الواسعة التى تنتظم العروبة والايرانية والتركية وما اليها حتى بلاد الصين . ثم هم فى الوقت عينه يقولون لك انهم يخشون ان نعت الوحدة بالاسلامية قد يثير شيئاً من الاشباح أمام اخوانهم الاقباط ولذلك يؤثرون استبدال « الشرقية » بالاسلامية و بالعربية أيضاً . وكل هذا الى جانب من يبثونك الشكوى من كثرة التكاليف التى يلقيها على عاتقهم مركز مصر الجغرافى الذى يملى عليها أن تحصر جهودها فى سبيل الاتجاه نحو البحر الابيض المتوسط ونحو الغرب وعدم تحميل كواهلها بأعباء ثقيلة تجىء عن طريق الانثناء الى الشرق . .

وتلك كلها عقبات في سبيل تحقيق « الجبهة العربية » . وهى عقبات منبعثة من منطق شعوب هذه الجبهة التى يراد تحقيقها . وهناك عقبات أخرى ترجع الى الأوضاع السياسية لمختلف هذه الشعوب أيضاً . فمنها ما هو فى حكم المستقل استقلالا مطلقاً كالعربية السعودية ، ومنها ما هو مستقل استقلالا مقيداً كاليمن والعراق ومصر ، وما لا يزال استقلاله المقيد فى حيز المفاوضة والأخذ والرد كسوريا ولبنان ، وما هو تحت الانتداب البسيط كشرق الأردن ، أو الانتداب المركب بمشكلة الصهيونية كفلسطين ، ومنها ماهو تحت الحماية كراكش وتونس ، وما هو مجموعة أقاليم من أقاليم الدولة مع موقف يقل فى الاعتبار عن هذه الأقاليم التى يتممها كالجزائر ، وهناك المغرب الأقصى وطرابلس ، وأصحاب النفوذ والسلطان فيهما يقولون ان أهلهما هم من مواطنى الأسبانيين والايتاليين ، لكن طريقة حكمهم تختلف عن حكم سائر الأسبانيين والايتاليين ، بل ان التشريعات الجنسية الأخيرة تضع الطرابلسيين فى مصاف المنبوذين الذين لا يصح أن يلوث بهم الدم الايتالى « الآرى النقى الطاهر » . . .

وهناك أخيراً « لواء الاسكندرونة » الذى يطبق عليه حكم لا كالأحكام ، والذى تعتبره تركيا جزءاً من أجزائها على أى حال ...

وهذا كله الى أن أصحاب السلطان والنفوذ والتحالف والتعاهد فى تلك المناطق جميعها عدة غير موحدين ، هم الفرنسيون والانجليز والايتاليون والأسبان والأتراك . وليس من الهين

أن توحد مطامع هؤلاء جميعاً حتى توحد جهود مقاومتها أو التفاهم على حدها على الأقل

***

« جبهة شعوب العربية » اذن حقيقة قائمة لا مرية فيها فى دائرة الأمل والتفكير والعمل المتواضع حتى الآن . ولكنها حقيقة تتوافر لها جميع عناصر المعقول والتحقق ، فأقاليمها متلاصقة متلاحقة دون فاصل من المحيط الأطلسى الى الخليج الفارسى ، ومن جبال طوروس الى المحيط الهندى ، ولغتها واحدة يتفاهم بها المتنقل فى خلال تلك الاطراف الشاسعة جميعاً ، وحياتها الاجتماعية وتعاليمها الخلقية مستمدة من ينبوع واحد هو ينبوع « الاسلامية » ، وفعل الحوادث التاريخية فيها واحد إذ خضعت كلها لتيارات كبرى هذه الحوادث خضوعاً تكاد تكتنفه فترات واحدة ، ومطامحها السياسية فى هذا العهد واحدة ، وأهدافها نحو الرقي المدنى والاقتصادى هى الاخرى واحدة . على أن فى سبيل تحقيق تلك الجبهة عقبات ليست بالهينة ، يرجع بعضها الى منطق الشعوب التى يراد تحقيق وحدتها ، ويرجع بعضها الآخر الى أوضاع هذه الشعوب من السياسة الدولية . ذلك هو الواقع الصحيح من أمر بلاد العربية وجبهتها ووحدتها ، سجلناه فى صراحة وأمانة كى يقف عليه المعنيون به فى جلاء وأمانة أيضاً . وخير للعاملين فى سبيل قضية ان يعرفوها على حقيقتها وان آلمت ، كى يتدبروها بما ينبغى لها من معالجة منتجة ورياضة مثمرة

أما المعالجة المنتجة التى نود أن نتقدم بها على ضوء تلك الحقائق الواقعة التى أسلفنا تسجيلها فتستند فى نظرنا الى اعتبار جدى عام تتصل به اعتبارات تفصيلية لا تقل عنه جدية أيضا . والاعتبار العام هو أن مصلحة شعوب العربية جميعاً تقضى بتأليف جبهتها ضرورة ملحة لأجل الدفاع عن كيانها ، لا ترفاً نافلا ارضاء لعاطفة أو استجابة لشعور كامن . ولغة المصالح هى لغة هذه الايام ، ودافع المصالح هو أقوى الدوافع على السعى والتحقيق . فيجب ان تقوم الدعاية للجبهة على أساس اقناع اهل الرأى فى اقطارها بأن وجود الجبهة لازم لاستقلال كل واحد من هذه الاقطار بل لكيانه ، وهى واقعة فى طريق الفتوحات السياسية والاقتصادية بل هى محل هذه الفتوحات بالذات ، بينما هى تكون وحدة جغرافية واقتصادية لا مثيل لها من حيث التفاعل والتكامل والتساند . فيها مختلف الاجواء ، ويروى ارضها اغزر الانهار، وفيها السهول والبطاح والهضاب والجبال ،وفى بطون ارضها أنواع المعادن والزيوت ،وهى الى ذلك كله كتلة متصلة الاطراف لا يفصل بينها فاصل . والعالم الآن عالم تكاثر ، وكل قطر من اقطار العربية صغير بذاته إذ لايزيد عدد سكان اكثرها أهلا على ستة عشرمليونا بينما يحيط بها اويطمع فيها

من البلاد ما لا يقل عدد السكان فيه عن العشرين مليوناً ، ولكنها إذا اجتمعت او كونت من اجزائها كتلة يبلغ سكانها الثمانين مليوناً يحولون بعددهم وبما يستطيعون بلوغه من ثقافة وقوة دون ان يطمع فيهم طامع او يغير عليهم مغير . وها هى ذى مصر تخشى ان يقوم نزاع دولى فتهددها الجيوش الايطالية من ناحية حدودها الغربية ، وها هوذا العراق قد قامت فيه مشكلة شط العرب وحلت حلاً لا يجمع اهل العراق على الرضا به ، وها هى ذى اليمن تحس انها مهددة كل يوم من ناحية الغرب او من ناحية الجنوب ، وتلك هى سوريا اقتطع منها اخصب ألويتها منذ شهور ، ولو كانت الجبهة العربية مؤلفة لتردد المهددون والمغيرون ، ولحاسبوا انفسهم مرات ومرات قبل ان يقدموا على ما يقدمون عليه الآن فى مختلف اطراف بلاد العربية . كذلك ينبغى ان يحس لبنان ان من يقبلون على مصايفه ــ والاصطياف صناعته الاهلية ــ انما هم من جيرانه المصريين والفلسطينيين والسوريين والعراقيين ، فمصلحته القومية المادية تقضى عليه بأن يندمج فى الكتلة ويكون له مقامه فى الجبهة

على انه لا يصح ان تبقى الدعاية للجبهة فى حدود الاقناع بالكلام والتدليل النظرى وحدهما ، بل يجب ان تتجاوزهما الى الوسائل المادية الملموسة التى تظهر ان هناك تضامناً حقيقياً بين شعوب العربية و لا سيما فى ايام المحن والشدائد

أما كيف تؤلف الجبهة فانى لا أتردد فى القول بان يكون ذلك عن طريق « الاحلاف » تعقد بين مختلف أجزائها ، ذلك بانى أعرف ان الروح « الذاتى » ما يزال ينمو فى مختلف هذه الاجزاء ، ومهما يسمع الساعى فى سبيل « العربية » من عبارات الاخاء والتضامن ومحو الفوارق فان الواقع يصيح فى مواجهته كل يوم بان المصرى لا يريد أن يزاحمه فى مصره شامى أو عراقى ، والعراقى لا يريد أن يقاسمه عراقه شامى أو مصرى ، وكذلك الشامى والحجازى واليمنى والمغربى . وهذا الى ما بين أقطار العربية من تفاوت فى الثروة وفى الحياة الاجتماعية ، وهو تفاوت يحول حتماً دون توحيد الأحكام التى تطبق فيها والتى يجب ان تكون واحدة فيها جميعاً اذا اندمج بعضها فى بعضها الآخر ونتج منها كيان سياسى واحد كما يطمح اليه أصحاب فكرة « الوحدة العربية » الشاملة

أساس تبادل المصلحة بل تضامن للصالح ، ومبدأ ارتباط الاجزاء المستقلة بأحلاف ، هما اذن القاعدتان اللتان ينبغى ان يقوم عليهما العمل فى سبيل « جبهة شعوب العربية » . أما الوسائل الممهدة لتحقيق هذه الجبهة ، فمنها السلبى ومنها الايجابى . ومن الوسائل السلبية ان يخفف

الداعون من غلواء « العروبة » واقحام « القومية » العربية و « الاصل » العربي فان بعض شعوب العربية ما يزالون ينفرون من هذا الاعتبار وما يزالون حريصين على ان يزهوا بمجدهم القديم بمجد الفراعنة أو مجد الفينيقيين ، ونحن فى سبيل ضم الشتات حول فكرة جديدة يجب ان نرفع من طريقها كل ما تشتم منه رائحة العقبة والتعطيل

ولعل هذا الاعتبار بالذات هو الذى كان قد أوحى الىّ منذ اثنتي عشرة سنة فكرة تسمية شعوب ما نسعى اليه من جبهة « بلاد العربية » بالاضافة بدل « البلاد العربية » بالنعت . ومن الوسائل السلبية كذلك ان يخفف بعض المشتغلين بالقضية من غلواء « العروبة » ، من حيث اعتبارهم كل ما هو غير غربي - وان كان اسلامياً - عدواً للعرب والعروبة . ذلك ان بيننا و بين الايرانيين والأتراك من التخوم المشتركة ومن القضايا المعلقة ما يستدعى ان تكون العلاقات علاقات ود وصفاء ، فتقبل الجبهة اذا ما حققت على العمل المنتج بدل شغلها بسفاسف العداوات السخيفة . وهناك أسلوب سلبى ثالث هو ابعاد الاعتبارات الدينية عن وسائل السعى فى سبيل تحقيق الجبهة ، وقد ثبت بالتجربة المادية ان اقحام الدين فى المسائل السياسية والاجتماعية العامة فى بلاد تتعدد بين أهلها الأديان ، ويقول دينها العام بتعدد هذه الأديان بالذات ، لا ينتج غير أخطر النتائج بالنسبة للكيان القومى الذى يريده العاملون

وأما الوسائل الايجابية فأهمها توحيد الثقافة بين مختلف شعوب العربية بتوحيد برامج التعليم فى مدارسها وتبادل البعوث العلمية بينها وتوحيد قواعد النقد فيها ورفع الحواجز الجمركية عن منتجاتها وعقد معاهدات التحالف بين الدول المستقلة منها وتوحيد سياسات هذه الدول الخارجية وتكاتفها فى المواقف الدولية جميعاً ، والاستعانة بهذه المواقف على تخفيف الأعباء عن كواهل شعوب الجبهة الأخرى ، وعلى اقناع انجلترا وفرنسا وايتاليا وأسبانيا وتركيا وايران مجتمعة باعتبار تلك الشعوب جميعاً كتلة مجتمعة ، كذلك تسوى الأمور المعلقة بين بعضها و بعض تلك الدول بتفاهم الجميع وضمانة الجميع

تلك هى خلاصة ما وصل اليه بحثى المستند الى واقع القضية العربية طول السنوات الست عشرة الأخيرة ، أدلى بها لقراء «الهلال» الأغر راجياً أن يجد فيها العاملون لشعوب العربية شيئاً من الافادة ، وأن يجد فيها المخلصون لهذه الشعوب حافزاً على العمل الصحيح المنتج

محمود عزمى

ادوار بنيش

رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا المستقبل

بقلم الاستاذ حسن الشريف

لما نشبت الحرب الكبرى عام ١٩١٤ كان مسيو توماس مازاريك معفى بحكم سنه من الخدمة العسكرية ، فغادر مدينة براج وأقام بسويسرا ليقف من مصادر الاخبار المحايدة فيها على تطورات الحرب ومجرى السياسة الدولية واتجاهات أفكار الحلفاء. وهنالك نمى اليه نبأ مشروع من المشروعات التي أعدتها فرنسا لما بعد الحرب ووافقتها عليه حليفتاها العظمى ، ايطاليا وبريطانيا وهو يقضى بخلق سلسلة من دول ودويلات جديدة تطوق المانيا من الشرق والجنوب ، فتكون بمثابة قلاع تحمى حدود رومانيا وروسيا ولا تدع لألمانيا سبيلا الى الاتصال المباشر بتركيا وبلغاريا وغيرهما من بلاد البلقان ولقد راق هذا المشروع فى نظر مسيو مازاريك فبنى عليه مشروعا من عنده يقترح فيه ضم اقليم سلوفاكيا الى مملكة بوهيميا القديمة (بلاد التشيك) وفصلها عن الامبراطورية النمساوية وتكوين دولة جديدة منهما تنضم الى سلسلة الدول التى يراد خلقها لتطويق المانيا من الشرق والجنوب . ولم يلبث هذا المشروع طويلا حتى اختمر فى رأسه فكتب به مذكرة الى الحكومة الفرنسية أكد فيها نزوع الشعبين التشيكى والسلوفاكي الى الاستقلال ، وقال ان هذين الشعبين اذا كانا يحاربان الحلفاء فى صفوف الجيوش الامبراطورية فانما يفعلان ذلك مكرهين وبحكم كونهما من رعايا الامبراطور فرانسوا جوزيف

ادوار بنيش

وعن لمازاريك بعد ذلك أن يعود الى وطنه ليقوم فيه بدعاية سرية لفكرته ، ولكن تلميذاً من تلاميذه القدماء ، وهو ادوار بنيش ، علم أن الحكومة النمساوية ترتاب فى سلوكه السياسى وانها اعتزمت القبض عليه ، فسارع الى مقابلته فى مدينة زوريخ وأفضى اليه بما علم وحذره العودة الى براج وإلا وقع فى قبضة حكومة فيينا التى تعتبره خائناً لوطنه فلا تتورع عن الحكم عليه بالاعدام

وعاد مازاريك الى جنيف مستصحباً تلميذه الوفى بنيش وهنالك انضم اليهما صديق سلوفاكى اسمه ستيفانيك وعكف الثلاثة على درس مشروع الرئيس ووسائل تحقيقه ، فلما اقتنعوا به كونوا من ثلاثتهم لجنة سموها « اللجنة القومية التشيكوسلوفاكية » وجعلوا غرضها خدمة الحلفاء داخل بلادهم وخارجها حتى إذا كتب النصر في النهاية لأولئك الحلفاء كان لهذه اللجنة سابقة فضل عليهم تشجعهم عند عقد الصلح على المطالبة بتحقيق مشروع مازاريك

واستقر الرأى على توزيع العمل بينهم ، فاتفقوا على أن يسافر بنيش الى فرنسا ليؤلف من أسرى الحرب التشيك والسلوفاك المعتقلين فى المعسكرات الفرنسية فرقة تحارب الالمان تحت راية الحلفاء ، وأن يسافر مازاريك الى روسيا لينظم فيها فرقة من المتطوعين التشيكوسلوفاكيين تنضم الى الجيش الروسى الذى يهاجم هنغاريا . وأن يبقى ستيفانيك فى جنيف ليكون واسطة الاتصال بين الرجلين

بيد أن شبوب الثورة البولشفية وصلح برست ـ ليتوفسك سنة ١٩١٧ اضطرا مازاريك الى الهرب من روسيا فرحل الى امريكا حيث عاونته زوجته الامريكية على التعرف والاتصال بالرئيس ويلسن ومستشاره الكولونيل هاوس ، فنال منهما اعترافا بأن اللجنة القومية التشيكوسلوفاكية تعبر عن مطالب الشعبين التشيكى والسلوفاكى ، ووعداً بأن يكون لهذه اللجنة صوت فى مؤتمر الصلح عند ما يحين الوقت الذى يدعى فيه كل شعب الى تقرير مصيره

عندئذ أدرك الثلاثة أن قضيتهم سائرة فى طريق النجاح وأن وقت العمل الجدى قد حان ، فلم تثن عزيمتهم ضخامة الجهود التي لم يكن لهم بد من بذلها لارضاء الحلفاء ، وانها لجهود ممضة مضنية لا يقدم عليها إلا نفوس تستعذب الشقاء فى سبيل خدمة الأوطان

كان عليهم أول الأمر أن يتصلوا بحكومات الحلفاء ليقنعوها باخلاصهم لها وتضامنهم واياها فى القضية المشتركة . ولكن ما السبيل الى هذا الاتصال ، وكيف تسمح تلك الحكومات لثلاثة من رعايا دولة معادية بدخول بلادها وهى تعانى من شرور الجواسيس ما تعانى حتى لترتاب فى المحايدين والموالين على السواء ؟

وكان عليهم أن يقنعوا الحلفاء بأن هناك شعباً اسمه التشيكوسلوفاك يؤيد نظريتهم فى إيجاد دولة تشيكوسلوفاكية جديدة تنفصل من الامبراطورية النمساوية بعد الحرب وترتبط مع فرنسا بمعاهدة دفاعية هجومية وثيقة تصمد لتقلبات السياسة واحداث الأيام ، وبأن مظاهر الولاء التى يبديها ذلك

الشعب للنمسا والمانيا انما هى مظاهر مصطنعة متكلفة لا تعبر عما يكنه لهاتين الامبراطوريتين من الحقد والبغضاء

نعم كان عليهم أن يقنعوا الحلفاء بكل ذلك وأن يقنعوا به الرأى العام فى بلاد الحلفاء ، ليصلوا الى النتيجة المدهشة التى وصلوا اليها وهى أن تعترف لهم حكومتا لندن وباريس ـ وهم ثلاثة أفراد هاربين من بلادهم ، مطاردين من حكومتهم ، لا يحملون توكيلا من أحد ، ولا صفة لأحد منهم تخوله حق الكلام بلسان مواطنيه ـ بأنهم حكومة رسمية لتشيكوسلوفاكيا التى لم يكن لها إذ ذاك وجود

ولقد كان الوصول الى هذه النتيجة يكاد يكون محالا لولا الخدمات الصادقة التى أسدتها اللجنة القومية التشيكوسلوفاكية الى الحلفاء وقضيتهم ، تلك الخدمات التى يرجع الفضل الأكبر فيها الى ادوار بنيش والتى تجلت فيها شخصية هذا الرجل ومواهبه بشكل بهر عقول الساسة الأوربيين وجعله موضع عطفهم واكبارهم

لقد استطاع بنيش بفضل نفوذه بين مواطنيه أن يؤلف من الجنود التشيك الذين أسرهم الحلفاء وحدات حاربت جيوش النمسا فى الميدان الايطالى ، فكان ذلك منه عملا سياسياً بارعا اكسبه صفة الحليف فى مؤتمر فرساى

واستطاع بواسطة أعوانه أن يبث روح التمرد والعصيان فى فرقة من فرق التشيك كانت تحارب روسيا عند بلدة روفا روسكا ، وقد ترتب على ذلك ان اقتحمت الجيوش الروسية حدود هنجاريا فاضطرت المانيا الى اسعاف حليفتها بفرقة كاملة من جيشها الذى كان يقاتل فى الميدان الغربى مما خفف الضغط عن فرنسا تخفيفاً كبيراً كان له أثره فى العمليات الحربية وصد هجمات الألمان

واستطاع بواسطة الموظفين التشيك الذين كانوا منبثين فى المصالح الحكومية النمساوية أن يوافى قيادة جيوش الحلفاء بكل الأسرار الحربية التى كانت حكومة النمسا تحرص على كتمانها ، وبكل الأحاديث والمكاتبات التى كانت تدور بين امبراطور النمسا والمارشال كونراد قائد جيوشه العام

واستطاع ان يقف حكومات الحلفاء على كل المؤامرات والسعايات وأعمال التجسس التى كان الألمان يقومون بها فى أمريكا وذلك بمعاونة مربية تشيكية كانت تتولى تربية أولاد الكونت برنستورف سفير المانيا فى واشنطون

ولقد كان من شأن هذا النشاط العظيم ان يبدو مريباً فى أعين الحلفاء ، ولكن الثقة العالية التى أحرزها مسيو بنيش لدى حكومتى لندن وباريس كانت خير كفيل لاستمرار تلك المعاونة الكريمة التى قدرها الحلفاء فكافأوا صاحبها وزميليه عليها باجلاسهم فى مؤتمر الصلح كممثلين لدولة صديقة وان لم تكن هذه الدولة قد وجدت بعد . ولعل من أعجب المشاهد السياسية التي سجلها التاريخ ان جيوش تشيكو سلوفاكيا ظلت تحارب الحلفاء الى شهر اكتوبر سنة

١٩١٨ وان ممثلي تشيكوسلوفاكيا كانوا يجلسون في مقاعد الحلفاء بمؤتمر فرساى فى شهر نوفمبر من السنة نفسها

قد يقولون : هو الحظ الذى أدى الى كل ذلك النجاح . ولكنا اذا عللنا العوامل التى أدت الى نجاح ادوار بنيش فى مهمته الكبرى ألفينا مساهمة الحظ فيها ضئيلة لا تذكر

نعم ، لقد نجح بنيس بفضل صفاء ذهنه ، وتوقد ذكائه ، واتساع أفق تفكيره ، وحسه السياسى المرهف ، وصدق عزيمته ، وقوة ايمانه بعدالة قضيته ، وتعلقه بالمثل العليا وعمله على تحقيقها فى دائرة الممكن والمستطاع

ولو كانت المفاوضات السياسية ، كما يظن الكثيرون ، بلاغة فى الكلام وسعة فى الحيلة لما قدر لهذا الرجل أى نجاح فيها لأنه ـ على ما يقول عارفوه ـ عيي لا يتكلم اللغات الاجنبية الا بعسر شديد ، ولأنه رجل صريح لا يتحايل ولا يداور . ولو كانت المفاوضات مساومة وأخذاً واعطاء لما قدر له أى نجاح فيها أيضاً ، لأنه لم يكن لديه شيء يقدمه ثمنا لما يطلب أو يجعله موضوع مساومة وأخذ واعطاء . ولكن المفاوضات ميدان ينجح فيه اللبق الذى يحسن انتهاز الفرص والاستفادة من الظروف واكتساب عطف المفاوضين . ولقد وجد بنيش أمامه شروط ويلسن الاربعة عشر ومنها حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، ووجد رغبة الحلفاء فى خلق نطاق من دول جديدة حول حدود المانيا الجنوبية ، ووجد مشروع عصبة للامم تكفل بقاء ما يستحدثه مؤتمر فرساى من الأنظمة والأوضاع ، فتعلق بأهداب كل ذلك ، وبنى قضية بلاده عليه ، فتم له ما أراد وأصاب من النجاح ما أصاب

كان حذراً فى مطالبه ، لبقا فى مطامعه ، عارفا بالأمور وملابساتها ، فلم يطلب الا الممكن ولم يطمع الا فى المعقول ولم يتشدد الا فى ماله علاقة بمسائل تشيكوسلوفاكيا الحيوية . أما ماعدا ذلك فقد وقف فيه وقفة المتسامح المعتدل الذى يؤثر صالح أوربا العام على صالح تشيكوسلوفاكيا الخاص . وبهذه العقلية المستنيرة ، وبهذا الاعتدال اللطيف ، وبهذه القناعة الكريمة المتواضعة استطاع أن ينال عطف المؤتمرين على قضيته واحترام الساسة أجمعين

واذا كان قد عرف كيف يضحى ببعض أطماع مواطنيه ، ويقنع انجلترا وفرنسا وأمريكا بانه مجرد طالب حق وعدل لا يريد أن يقيم عقبات فى طريق سلام أوربا وأمنها بسبب منافع لا تعود بخير إلا على تشيكوسلوفاكيا وحدها ، فان ذلك لم يكن من جانبه مهارة وكياسة فحسب ، وانما كان عقيدة متأصلة فى نفسه توحى اليه أن لا بقاء لدولة تشيكوسلوفاكيا إلا بدوام السلم فى أوربا وأن لا دوام لهذا السلم إلا اذا بنى على قواعد وطيدة ثابتة لا تتأثر بتقلبات السياسة ولا بمفاجآت الأيام

وكان يميز بحسه المرهف وذكائه المتوقد ما هو حق قابل للبقاء مما هو باطل صائر الى الزوال ، فلم يغل قط فى مطالبه ولم يرهق أحداً بتوسلاته ولم يسمح بأن تتعارض احدى رغباته مع أية

مصلحة يرجوها الغير . لذلك كان مظهره فى وسط ساسة أوربا النهمين الشرهين مظهر السيد المهذب القانع الذى لا يزاحم بالمنكب والساق ، ولا يدع يده تسبق الأيدى الى الزاد . ومن ثم أجمعت الآراء على تقدير مسلكه وأجمعت القلوب على حبه والعطف على قضيته حتى لقد كان المؤتمرون يتبارون فى ارضائه بل فى التبرع له حتى بما لم يطلبه أو لم تكن له رغبة فيه

كان بنيش لا يطمع أول الأمر فى أكثر من بعث الوطن القومى للتشيك وهو مملكة بوهيميا القديمة وضم سلوفاكيا اليها . ولكنه كان واقعاً تحت تأثير الغلاة من مواطنيه الذين كانوا يطالبون بأكبر تشيكوسلوفاكية ممكنة ، وكان مؤتمر فرساى من ناحيته لا يضن على هؤلاء الغلاة بشيء مما يطلبون امعاناً منه فى تقطيع أوصال الامبراطورية النمساوية ورغبة فى تضخيم السور المقترح لتطويق المانيـــا ، ومن ثم جاءت تشيكوسلوفاكيا دولة ملفقة من أجناس مختلفة لا تجمع بينها صلة الأصل ولا صلة اللغة ولا صلة الدين ، دولة وليدة عوامل سياسية مؤقتة غير موطدة الدعائم ولا مكفولة البقاء ، فلا عجب اذا ارتبط مصير هذه الدولة بمصير تلك العوامل : تبقى ما بقيت ، وتهن اذا وهنت ، وتزول اذا قدر عليها الزوال

نعم لقد جاءت تشيكوسلوفاكيا وليدة ذلك الصرح من الورق الذى سموه معاهدة فرساى ، لا تعتمد فى البقاء إلا على ضعف ألمانيا المؤقت وعلى تلك الخرافة الضخمة التى أطلقوا عليها اسم عصبة الأمم . فكان لابد لبقائها من أن تظل معاهدة فرساى قائمة ، ومن أن تظل المانيا ضعيفة مهيضة الجناح ، ومن أن تظل عصبة الأمم منفذة وحامية للأوضاع والمعاهدات . ولكن معاهدة فرساى مزقت وراحت أباديد ، وألمانيا تقوت بعد ضعف وعزت بعد هوان ، وعصبة الأمم أصبحت أداة زينة دولية لا تنفع ولا تضر ، فلم يبق للدولة التى استمدت وجودها من تلك العوامل وبنت بقاءها على بقائها إلا أن تتداعى وتنهار

تلك كانت أول الاخطاء التى ترك بنيش نفسه يقع فيها تحت ضغط مواطنيه الطامعين وتحت تأثير كرم ساسة أوربا الذين أسرفوا فى العطاء

كان كليمنسو قد رسم حدود بولونيا ورومانيا وهنجاريا والنمسا وسلوفاكيا وقد بقى بين هذه البلاد المعدلة الحدود اقليم كبير اسمه روتانيا لم يدر الرجل ما يفعل به ، فاستشار فى ذلك مستر لويد جورج فلما لم يشر عليه بشيء هز كتفيه وقال : « إذن فليأخذه بنيش »

بهذه الخفة ، بل بهذا الاسراف النزق كانت حدود أوربا تعدل وترسم على الخرائط وكان مصير الشعوب يقرر ويدون فى المعاهدات ، فأى عجب بعد ذلك فى أن تجيء القوة اليوم لتمحو ماخطته يد العبث بالأمس ، وأى عجب فى أن يهب رعايا تشيكوسلوفاكيا من ألمان ومجر وبولونيين كل منهم يطلب العودة الى أمه التى تمد اليه ذراعيها من وراء الحدود ؟

لقد كان بنيش يعلم أن الحلفاء قد أعطوه وأجزلوا له العطاء . بل كان يعلم أنه نال أكثر

مما كان يطلب وأكثر مما كان ينبغي أن يأخذ . ولكن هل كان في وسعه أن يتعفف ويرفض ووراءه شعب نهم لا يشبع وقد وضعت أمام هذا الشعب الامبراطورية النمساوية الذبيحة فهو يريد أن يفوز منها بأوفى نصيب ؟

كان الرجل في مفاوضات فرساي محاطاً برهط من الوطنيين التشيكوسلوفاكيين لا يقنعون ببعث وطنهم القومي القديم بل يريدونه وطناً متسع الأرجاء مترامي الاطراف فكلما أجيب لهم ملتمس طلبوا المزيد ، وكان بنيش ينظر الى ذلك نظرة الخائف الحذر ، يتخطى ببصره حدود الحاضر ويستشف من ورائها المستقبل البعيد فيقول لأصحابه : « اني لمتوقع شراً من وراء كل ذلك ولا أدري عند أي حد تقف مطامع قومنا ولا عند أي حد يقف كرم الحلفاء »

ولكن أراد الله أن يغلب الطمع العقل وأن تعمى الشهوات البصائر والأبصار ، فولدت تشيكوسلوفاكيا وهي تحمل في بنائها عوامل انهيارها وعوامل النكبة التي تعانيها في هذه الأيام

***

وألقى بنيش نفسه وزيراً لخارجية تشيكوسلوفاكيا ثم رئيساً لحكومتها ثم رئيساً لجمهوريتها ، فكيف ساس شئون هذه الدولة الملفقة المختلفة العناصر والشعوب ؟

كان يقول : « ان الرجل السياسي لا يبني دولة في يوم وليلة . وبلادي في حاجة الى سلام أوربي يطول على الأقل عشرين سنة أستطيع في خلالها أن أوجد في هذه البلاد وحدة اقتصادية واجتماعية وخلقية تلطف من آثار الخلافات العنصرية الكامنة في أحشائها كموناً لا يؤمن ظهوره في أية أزمة من الأزمات » . وكان يعتمد على معاهدة فرساي ويرى فيها ضماناً كافياً لبقاء تشيكوسلوفاكيا بحدودها التي أرادها مواطنوه وأقرهم عليها لويد جورج وويلسن وكليمنسو . فلما صوبت أمريكا أولى ضرباتها الى هـذه المعاهدة يوم رفضها مجلس الشيوخ ، أدرك الرجل أنها معاهدة لا تقوى بعد ذلك على البقاء فأسرع الى عقد الحلف الصغير مع الدول المحيطة به ليجد منها عوناً عند الملمات

ولما آنس في البداية أن عصبة الأمم حقيقة واقعة وأنها ذات أثر فعال في السياسة الدولية ساهم في أعمالها بقسط وفير جعل له فيها مكاناً ممتازاً ومقاماً ملحوظاً ، وعلى الأخص بعد ان اشترك اشتراكاً منتجاً في وضع بروتوكول جنيف ، وبعد ان قام بدور الوسيط الناجح بين المانيا وبولونيا في محادثات لوكارنو التي أقرت السلام في أوربا الى حين . وإذ كان يقينه أن لا شيء يهدد بقاء معاهدة فرساي إلا الخلاف المستعر بين المانيا وفرنسا فقد تبرع بالتوسط بينهما في كثير من المنازعات توصل فيها الى حلول بعضها مرض وبعضها مسكن أو ملطف للأزمات

أما سياسته الداخلية فقد بناها على عدم التفريق بين الشعوب المختلفة التي تتألف منها بلاده فيما يتعلق بالحقوق والواجبات . ولقد استطاع طول عشرين عاماً أن يهدىء بألطف الوسائل ثورات

النفوس وغليان الرؤوس ، وكان آخر ما فعله فى هذا السبيل ان أشرك الأقلية الألمانية المعروفة باسم السوديت فى حكم البلاد فكان لهم وزير يمثل مصالحهم فى مجلس الوزراء

ولكن مسيو بنيش اذ كان يرجو للسلام عشرين سنة يوحد فيها لشعوب تشيكوسلوفاكيا الأخلاق والمصالح والغايات ، إنما كان يعتمد على سلام تصفو فيه القلوب وتخلص النيات وتهذب النفوس وتحل الحلول الودية محل العنف والخصام . فلما انقضت السنوات العشرون التى كان يرجوها إذا بالأطماع هى الاطماع وإذا بالشرور هى الشرور وإذا بألمانيا تفغر فمها الواسع لتلتهم تشيكوسلوفاكيا وإذا بالعناصر المختلفة فى بلاده تهب هبة واحدة لتطالب بالانفصال

لقد أخطأ الرجل إذ أفرط فى الاعتماد على المعاهدات والمحالفات فلم يدخل فى حسابه ذلك المستقبل الذى تتنمر فيه المانيا لأوربا وتهددها بالموت والخراب ، وأخطأ إذ توهم أن السياسة الفرنسية ستسير أبداً على النهج الذى رسمه لها كليمنسو وبوانكاريه ، وأخطأ إذ ظن أن بريطانيا العظمى تزج بنفسها فى حرب هائلة لا مصلحة لها فيها الا البر بالوعود والقيام بالتعهدات . أخطأ فى كل ذلك ولم يدرك مدى اخطائه إلا بعد أن وقعت الواقعة وحم القضاء ، فلا عجب ، وقد رأى بعينيه صرح سياسته ينهار ، أن يفسح المكان لغيره لعل هذا الغير يكون أكثر توفيقاً فى تلطيف وقع الكارثة والمحافظة على ما بقى من الأرض للتشيك والسلوفاك

ولعل الرجل آنس ايضاً أن النزاع الذى نشب فى الأشهر الأخيرة بين تشيكوسلوفاكيا والمانيا قد تكشف عن حقد شخصى يضمره له المستشار هتلر ، وأن اعتزاله رياسة الجمهورية قد يلطف من هذا الحقد ويخفف من الآثار التى قد تترتب عليه ، فقدم نفسه ضحية لبلاده واستقال من الرياسة وابتعد عن السياسة ، ضارباً بذلك أعلى مثل للتضحية يستطيع الرجل السياسى أن يضربه للافراد والشعوب

وإنه ليتوارى اليوم من ميدان السياسة وأقسى ما يعانيه من المرارة بعد حياته السياسية الحافلة هو أن جميع جهوده السلمية قد ذهبت أدراج الرياح ، وأن كل ما بذله فى سبيل التقرب من المانيا وفى سبيل ارضاء الأقليات فى بلاده لم يسفر إلا عن الجائحة التى تجتاح تشيكوسلوفاكيا فى هذه الأيام

حسن الشريف

فى القضية الفلسطينية

عوامل الخلاف بين العرب واليهود

بقلم الاستاذ أمين سعيد

تقوم قضايا الشعوب القومية لاسترداد حق سليب أو استقلال مضاع أو لدفع ظلامة وكشف ضر ، أما أن تكون هنالك قضية مدارها اجلاء شعب عن بلاده لاحلال شعب أجنبي فى محله ، فهو الذى لم يقع حتى الآن ، ولم يرو له التاريخ مثيلا

ولعل هذا الشذوذ فى وضع القضية الفلسطينية هو الذى أكسبها هذا الاهتمام وأسبغ عليها هذا الثوب الفضفاض من الخطورة وبعث شعوب الشرق العربى ، ومن ورائها شعوب العالم الاسلامى ، الى العناية بها وعقد المؤتمرات لأجلها

ولهذه القضية أصلان : أحدهما عند العرب والثاني عند اليهود : ولعل درس القضية من هاتين الناحيتين يساعد على استجلاء غوامضها وتقريبها من ذهن القارىء الذى لم يتابعها فى أدوارها ومراحلها

فالقضية فى نظر اليهود قضية شعب مشتت يراد انقاذه واحياؤه وانشاء كيان قومي له وجمعه فى صعيد واحد ووطن واحد . وحيث أن فى فلسطين كثيرا من آثارهم الدينية وذكرياتهم التاريخية فقد وقع اختيارهم عليها لتكون دار هجرتهم وقاعدة ملكهم

ولا يعارض العرب اليهود فى سعيهم لاحياء دولتهم وتجديد مجدهم ، فان ذلك من خصائصهم وحدهم ، وانما يعارضون فى اتخاذ فلسطين قاعدة لهذا البعث والتجديد ، وفى جعلها وطناً لليهود وفى حشرهم اليها من جميع انحاء الارض ، لأن تكاثر اليهود فيها واستيلاءهم على أراضيها ومرافقها — وهو ما وقع فعلا حتى الآن — يضطرهم الى الجلاء تخلصاً من ضغط الأكثرية اليهودية وتشديدها ، وما بعد الجلاء إلا الفناء والهلاك . ومعنى هذا أن اليهود لو اختاروا بلاداً غير فلسطين لهجرتهم الجديدة مالقوا مقاومة من العرب ولا نضالا

فشقة الخلاف بين الفريقين واسعة وفرجته كبيرة ، فهنالك شعب غنى متعلم ، يسعى لامتلاك فلسطين وتجديد ملك داود وسليمان ، ولكن لا بالحرب والقتال بل بالمال والوسائل السلمية وغيرها ، وبالتدريج . يقابله من الناحية الأخرى شعب يملك البلاد من أربعة عشر قرنا ، وقد ارتبط بها وارتبطت به وامتزج ترابها بدمائه ، فلا يتركها ولا يتخلى عنها

فهنالك نضال عنيف بين الشعبين بل بين القوميتين ، القومية العربية والقومية اليهودية

ومعنى ذلك أن المسألة ليست مقصورة على عرب فلسطين ويهود فلسطين بل هي تشمل العرب كافة واليهود كافة ، فتجديد ملك سليمان واحياء الدولة اليهودية والمجد اليهودى ، أمنية كل يهودى حى . وسقوط فلسطين صريعة فى المعترك وفوز اليهود فى انشاء دولتهم الجديدة خطر على العرب كلهم . ونظرة واحدة الى خريطة الشرق العربى تؤيد ذلك ، فقيام دولة يهودية فى قلب بلاد العرب تحاد مصر من جهة والحجاز ونجداً والعراق من الجهة الأخرى وبلادالشام من الجهة الثالثة فيه خطر على العرب ونهضتهم ، ولا يكتم بعض اليهود أمنيتهم من هذه الناحية فقد نادى الكثيرون منهم بأن حدود دولتهم العتيدة لن تقف عند الأردن شرقاً و لا عند الصحراء ولا عند الفرات ، بل ستمتد الى خليج العرب (خليج فارس) والى وادى النيل

ووضع اليهود في هذه القضية وضع المهاجم المعتدى ، لأنهم انما يكافحون لانتزاع فلسطين من أهلها العرب وانشاء دولة يهودية فى ربوعها . وأما العرب فهم مدافعون يسعون لدرء الخطر اليهودى المحدق بهم ولكى يعيشوا مطمئنين فى أرضهم ، آمنين فى سربهم ، لايطردون ولا ينفون ولا يقذف بهم الى الصحراء ليموتوا جوعاً وعطشاً كما يقترح بعض غلاة اليهود

وندرس بايجاز الوسائل التي يتوسل بها اليهود ثم نقفى على ذلك بسرد أعمال العرب موجزين بقدر الامكان ، فالتوسع فى شرح هذه القضية يحتاج الى مجلدات ضخمة ، وقد ألف فيها حتى الآن كثيرون من أبناء الأمتين

١ - وسائل اليهود

رجوع اليهود الى فلسطين أى أرض المعاد بعد الشتات مما نص عليه فى التوراة وفى كتبهم الدينية الأخرى ، ويذهب فريق منهم كل يوم الى البراق فى القدس فيصلون عنده ويبكون طويلا فيذكرهم هذا البكاء بمجدهم القديم ، ويحفزهم الى العمل لاسترداده

ولقدبدأت «محاولة» اليهود للرجوع الى فلسطين بشراء الأراضى من العرب وانشاء المستعمرات والمدن فابتاعوا فى سنة ١٨٧٢ مزرعة صغيرة فى جوار يافا اسمها « بتير » هي أول ما ابتاعوه ، ثم اشتروا مزرعة « زمارين » فى قضاء حيفا ثم توسعوا تدريجاً

ويجب أن نلاحظ هنا أن شراء الاراضى والفوز بها تدريجاً هو شعار اليهود فى فتحهم السلمى ، وفى تأسيس ملكهم واحياء دولتهم ، فهم يبذلون الأموال الطائلة فى شرائها لاعتقادهم أن شراء الاراضى بالمال هو أسهل الوسائل لامتلاك البلاد ومتى امتلكوا أراضيها ، أو امتلكوا أكثرها سهل عليهم طرد العرب واخراجهم منها

ويستعين اليهود أيضا بالهجرة ، فالهجرة وامتلاك الاراضى بطريق الشراء هما الدعامتان الكبيرتان اللتان يقوم عليهما مشروع الدولة اليهودية ، فالهجرة تسهل عليهم التفوق عدديا على العرب وانتزاع الأكثرية منهم ، ومتى صارت الأكثرية العددية لهم صاروا أصحاب البلاد ، وهذا ما يميط اللثام عن سبب هذه الضجة التى يثيرها يهود العالم طلباً لفتح باب الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وعن سبب الحاح العرب فى طلب وقف الهجرة اليهودية وجعلهم ذلك شرطاً لكل اتفاق وتفاهم وطلبهم وقف بيع الاراضى الى اليهود وأن يكون ذلك بتشريع خاص تصدره الدولة

١ – الحركة اليهودية فى العهد العثمانى

نعود بعد هذا البيان فنقول إن محاولة اليهود الرجوع الى فلسطين بطريق الهجرة وامتلاكها بطريق شراء الاراضى ليس بجديد بل هو مما فكروا فيه ونفذوه فى العهد العثمانى القديم . وقد بلغ الامر بالمستر هرتسل واضع كتاب الدولة اليهودية وصاحب مشروع اعادة اليهود الى فلسطين ، أنه ذهب فى سنة ١٩٠٢ الى الاستانة للسعي عند السلطان عبد الحميد باقطاع فلسطين لليهود مقابل مليون جنيه باسم قرض يعقده اغنياء اليهود للدولة ومساعدات مادية أخرى فعاد مخفقاً فاشلا ، فقصد مع بعض زعماء اليهود لندن واتصل برئيس الوزراء الانكليز وهو يومئذ السر جوزيف تشمبرلن ، والد المستر نفيل تشمبرلن الرئيس الحالى ، فباحثه فى مشروع جمع اليهود ، فاقترح عليهم الرئيس الانكليزى أن يقطعهم أرضاً فى افريقية الشرقية يهاجرون اليها ويتدبرونها ، فأبوا وأصروا على تملك فلسطين ، فصرفهم قائلا ان هذا ليس من اختصاصه

ولم يحل هذا الاخفاق بين زعماء اليهود وبين مواصلة السعي لشراء الأراضى وتنشيط الهجرة مما استوقف نظر رجال الدولة العثمانيـة فى آخر الأمر ، فأصـدروا تعليمات ادارية منعوا بها اقامة اليهودى المهاجر فى فلسطين أكثر من ثلاثة أشهر ، وكانوا يأتون يومئذ بحجة الزيارة فيسلم قلم الجوازات القادم منهم « تذكرة اقامة » حمراء لمدة ثلاثة أشهر يجب عليه أن يغادر البلاد بعدها . كما سنت تشريعاً منعت به تملك الأجانب فصاروا يشترون بأسماء مستعارة

ومع ما بذله اليهود من جهد ونشاط سحابة الحكم العثمانى فان عددهم فى فلسطين لم يزد عند اعلان الحرب العظمى فى سنة ١٩١٤ على ٥٤ الفاً بعد ما كانوا بضعة آلاف قبل ظهور حركة الانعاش اليهودى . أما مساحة الأراضى التى تملكوها ، فما كانت تزيد أيضاً على ٤٥ الف فدان . وقد قاتل الترك الصهيونية فى زمن تلك الحرب أشد قتال ، فنكلوا بفريق كبير من اليهود وأقصوا فريقاً الى الاناضول ودمروا بعض مستعمراتهم اذ تبينوا أنهم يتجسـون عليهم لأعدائهم

٢ – الحركة اليهودية فى الحرب

كانت فرصة الحرب من الفرص الثمينة لليهود فاستغلوها الى اقصى درجات الاستغلال ،

مستفيدين من غفلة العرب وضعفهم ، وكانوا لم ينهضوا حتى ذلك الوقت ولم يظهروا على المرسح الدولى ، فاتصلوا بالانكليز وأسدوا لهم خدمات يقول اليهود فى وصفها إنها جزيلة ، فتجسسوا لهم ، وأذاعوا الدعوة الى الهزيمة والتخاذل فى المانيا والنمسا ، وقاتلوا هاتين الدولتين مع تركيا قتالا شديداً ، ثم اكتتبوا لقرض النصر الذى عقدته انكلترا فى سنة ١٩١٦ بما يبلغ نحو مائة مليون جنيه . وبالاجمال فقد وضعوا أموالهم ومواردهم وجميع وسائلهم ووسائطهم المعروفة تحت تصرف الحكومة الانكليزية ، ثم قالوا لها بعد ذلك نريد أن تهبينا فلسطين ، وكان الانكليز ما يزالون يحاربون فى صحراء سينا على أبواب فلسطين ، وكانوا قد قطعوا عهداً صريحاً للعرب بأن تكون فلسطين من جملة أجزاء الدولة العربية التى تعهدوا بأن يساعدوهم فى إنشائها (من كتاب السر هنرى مكماهون نائب ملك الانكليز بمصر للشريف حسين أمير مكة يوم ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٥) (١)

واهتدى الانكليز الى حل شيطانى يرضى اليهود ولا يزعج العرب كثيراً ، فأرسل اللورد بلفور يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ الى المستر روتشيلد ينبئه ان حكومة جلالة الملك قررت جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود بشرط ألا يلحق ذلك ضرراً بالحقوق المدنية والدينية للطوائف الأخرى (٢)

وطاف اليهود بهذا الوعد عواصم الدول الكبرى فاعترفت به الحكومة الفرنسوية يوم ١٤ فبراير سنة ١٩١٨ والحكومة الايطالية يوم ١٩ مايو سنة ١٩١٨ والولايات المتحدة يوم ٣١ أغسطس من السنة نفسها . ثم أدمج بصك الانتداب البريطانى بفلسطين وقد أقرته جامعة الأمم يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٢ وصار جزءاً منه ، وهذا الوعد هو كل ما يحملونه من بريطانيا حتى الآن

٣ ـ أعمال العرب

ما كان العرب بغافلين عن مطامع اليهود وسعيهم لامتلاك أراضيهم وديارهم ، وقد رأيت أن الحكومة العثمانية حاربتهم وقيدت هجرتهم وحالت دون تملكهم ، وما كانوا غافلين عما يدبرونه فى أوربا وينسجونه من حبال وشباك ، ولذلك ما كاد يعلن وعد بلفور ، وقد أذيع رسمياً يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، حتى قابله العرب بالاحتجاج والاستنكار (٣) . واتسع نطاق مقاومة العرب لليهود ومشروعاتهم بعد ختام الحرب العظمى والغاء الأحكام العرفية التى كانت مبسوطة على هذه البلاد وبعد اطلاق حرية الأقلام والاجتماع . ويمكن القول بأن عرب فلسطين أجمعوا اجماعاً تاماً على مقاومة المشروع الصهيونى فلم يشذ منهم شاذ ولم يخرج خارج . وقد تجلت هذه المقاومة فى صور شتى

(١) انظر ص ١٣٦ من كتاب الثورة العربية الكبرى لكاتب هذا المقال

(٢) راجع ص ٤٤ من الثورة العربية الكبرى ج ٣

(٣) أعلنت الثورة العربية الكبرى فى الحجاز يوم ٩ يونيو سنة ١٩١٦ عقب اتفاق بين العرب والانكليز وبذلك تكون قد تقدمت الظهور الرسمى للحركة اليهودية ولوعد بلفور

١ ـ الجمعيات

كان أول ما فكر فيه عقلاء الفلسطينين عقب ختام الحرب العظمى لمقاومة الصهيونية هو انشاء جمعيات محلية ، فتألفت فى كل مدينة فلسطينية جمعية باسم « الجمعية الاسلامية ـ المسيحية » شعارها محاربة الصهيونية ومقاومتها . وكان من أبرز أعمال هذه الجمعيات أنها عقدت يوم ١٢ فبراير سنة ١٩١٩ فى يافا مؤتمراً قررت فيه ضم فلسطين الى سورية ، وكان يحكمها يومئذ الامير فيصل ، وذلك تخلصاً من وعد بلفور

٢ ـ المؤتمرات

وتدرج الفلسطينيون من تأليف الجمعيات الى عقد المؤتمرات وارسال الوفود الى أوربا للدفاع عن قضيتهم ، فعقدوا أول مؤتمر لهم فى دمشق يوم ٨ يونيو سنة ١٩١٩ وذلك لمناسبة وصول لجنة كراين الاميركية إلى سورية لاستفتاء سكانها فى تقرير مصيرهم فقرروا :

١ ـ عدم الاعتراف بوعد بلفور ٢ ـ منع الهجرة الصهيونية ٣ ـ ضم فلسطين الى سورية

وأيد قرارهم هذا المؤتمر السورى الذى عقد فى دمشق ونادى باستقلال سورية بما فى ذلك فلسطين ، وكانوا يطلقون عليها اسم سورية الجنوبية ، وبالأمير فيصل ملكا عليها

وعقدوا مؤتمراً ثانياً فى دمشق يوم ٢٧ فبراير سنة ١٩١٩ قرروا فيه :

١ ـ ان فلسطين (سوريا الجنوبية) جزء لا يتجزأ من سورية

٢ ـ رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية ومقاطعة اليهود اقتصاديا فى سورية

٣ ـ رفض قيام حكومة وطنية فى فلسطين قبل الاعتراف بمطلبى الفلسطينيين وهما : عدم فصل فلسطين عن سورية ، ومنع الهجرة اليهودية

وغادر الفلسطينيون دمشق فى أواخر شهر يوليو سنة ١٩٢٠ بعد دخول الفرنسويين اليها واسقاطهم الحكومة الفيصلية . وكانوا يعلقون عليها آمالا جساما فعقدوا يوم ١٤ دسمبر سنة ١٩٢٠ مؤتمراً فى حيفا قرر ما يأتى : ١ ـ رفض وعد بلفور ٢ ـ منع الهجرة اليهودية ٣ ـ انشاء حكومة وطنية لفلسطين . وألف المؤتمر لجنة تنفيذية لمتابعة الاشراف على الحركة الوطنية وتنفيذ قراراته

وعقدوا يوم ٢٥ يونيو سنة ١٩٢١ مؤتمراً رابعاً فى القدس فاختاروا وفداً سافر الى انكلترا لبسط مطالبهم أمام الحكومة البريطانية . وعقدوا مؤتمراً خامساً فى نابلس يوم ٢٢ اغسطس سنة ١٩٢٢ وسادساً فى يافا يوم ١٦ يونيو سنة ١٩٢٣ وسابعاً فى القدس يوم ٢٠ يونيو سنة ١٩٢٨ ، وكانوا فى كل مؤتمر يؤيدون قراراتهم القديمة ويلحون بتنفيذها ويرون قبولها الحل الوحيد لمشكلتهم

٣ ـ المقاطعة والاضراب والثورة

ورأى العرب فى سنة ١٩٣٥ ان وسائلهم السلمية قد أخفقت فتخطوها الى وسائل العنف فقد

تكون أجدى نفعاً وأشد تأثيراً ووقعاً ، فأعلنوا يوم ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٥ إضرابا عاما بدأ فى يافا وشمل البلاد الفلسطينية كلها ، ونادوا بأنهم لن يعودوا من إضرابهم حتى تقف هجرة اليهود ويمنع بيع الاراضى ، ثم اقترن الاضراب بثورة قادها المجاهد فوزى بك القاوقجى ، وقد استمرا (الثورة والاضراب) الى يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٩٣٥ ثم وقفا بتدخل ملوك العرب . فقد أرسل الملك غازى والملك عبد العزيز والأمير عبد الله يناشدون العرب ان يكفوا عن الثورة ويخلدوا للسكينة « معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل »

وأرسلت الحكومة البريطانية فى تلك الفترة لجنة تحقيق ملكية الى فلسطين برياسة اللورد بيل لوضع اقتراحات تسترشد بها فى معالجة هذه المعضلة فاقترحت تقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق :

١ ـ منطقة يهودية تؤسس فيها دولة لليهود

٢ ـ « عربية تضم الى شرق الاردن وتؤلف معها دولة عربية

٣ ـ « حياد تشمل الاماكن المقدسة وتظل تحت حماية بريطانيا وانتدابها

وقابل العرب هذا الاقتراح بالاستنكار الشديد لانه يجزىء بلادهم وينشىء فيها دولة لليهود ، وتداعوا الى مؤتمر عقدوه فى بلودان يوم (٨ ـ ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٧) فقرر :

١ ـ ان فلسطين جزء لا ينفصل من أجزاء الوطن العربى

٢ ـ رفض ومقاومة تقسيم فلسطين وانشاء دولة لليهود فيها

٣ ـ الاصرار على طلب الغاء وعد بلفور وعقد معاهدة مع بريطانيا تضمن للشعب العربي الفلسطيني استقلاله وسيادته وان تكون حكومته دستورية للاقليات فيها ما للاكثريات من حقوق

٤ ـ تأييد طلب وقف الهجرة اليهودية عاجلا واصدار تشريع يمنع انتقال الاراضى الى اليهود

٥ ـ يعلن المؤتمر ان استمرار الصداقة بين الشعبين البريطانى والعربى متوقفة على تحقيق المطالب السابقة وان اصرار انكلترا على سياستها فى فلسطين يرغم العرب أجمعين على اتخاذ اتجاهات جديدة ، كما ان الائتلاف بين العرب واليهود لا يتم الا على هذه الأسس

ولم تزحزح هذه القرارات الانكليز عن موقفهم ولم تبعثهم على انصاف العرب ولا على تعديل سياستهم واهمال مشروع التقسيم الجديد بل شرعوا فى تنفيذه فعلا ، فولد ذلك اندلاع نيران الثورة الحاضرة وقد بدأت يوم ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٣٧ وما تزال متقدة وما يزال العرب ينادون بانهم لن يكفوا عن النضال حتى تجاب طلباتهم ويدرأ الخطر الذى يهددهم . وكان من جراء امتداد الثورة هذا الامتداد ان عقد المؤتمر البرلمانى فى القاهرة يوم ٨ اكتوبر الجارى والمؤتمر النسائى يوم ١٤ منه

هذا بسط موجز لقضيتي العرب واليهود فى فلسطين ومنه يستبين القارىء ان العرب كانوا فى جميع الادوار مدافعين لا مهاجمين ، وان أقصى ما يسعون اليه هو استبقاء بلادهم وأراضيهم وعدم تمكين اليهود من إنشاء دولتهم

أمين سعيد

ثم عاد الاميران الى الايوان الذى كان فيه الاجتماع ودخلا واحداً بعد الآخر حتى لا يثيرا الشك فى نفس الامير صالح بك المقصود بالمؤامرة

وتذكر محمد بك كيف خرج هو وزملاؤه بعد انتهاء جلسة السمر ليذهب كل منهم الى داره . ثم كيف أشار الى زملائه أن يحيطوا بضحيتهم حتى لا يجدوا صعوبة في انفاذ الخطة عند الاشارة التى اتفقوا عليها ، ثم كيف تخلف هو الى الوراء قليلا وأحدث مشاجرة مع أحد الخدم ليتخذ منها عذراً لتجريد سيفه ، ولكنه بدلا من أن يضرب ذلك الخادم أهوى بالضربة على رأس صالح بك من الخلف ، وعند ذلك أقبل الامراء الشركاء في الخيانة يضرب كل منهم ضربة ليكونوا جميعاً ملوثين بدمائه حتى لا يثور خلاف بينهم عقب قتله

تذكر محمد بك كل هذا وهو ينظر الى جوانب السرادق ولم يتمالك نفسه من أن تعتريه رجفة لتلك الذكرى ، وتنفس نفساً عميقاً وهو يتأمل تقلب الحوادث وتغير صروف الزمان . لقد ارتكب تلك الجريمة من أجل سيده على بك ليجعله الحاكم المطلق فى مصر بغير منازع ، ثم غزا بلاد الشام تحت لوائه ، وفتح له مدنها ، وهزم جيوش دولة الخلافة العظمى فى خدمته . ودعا له على المنابر وتلقى أيمان الولاء والخضوع من جيوش الاعداء نيابة عنه . ثم ها هو ذا يرى نفسه بعد كل ذلك وقد قلب له ظهر المجن فحاربه وطرده وشرده الى بلاد الشام وسلبه ملكه ونزع عنه ولاء أمرائه واحداً بعد واحد ، وها هو ذا يخرج فى ذلك اليوم من القاهرة بجنوده وبنوده ينتظر أنباء ذلك السيد القديم وهو مقبل من بلاد الشام يحاول استرجاع ملكه الضائع

وأتت اليه رسائل كثيرة بعضها مع الرسل وبعضها على جناح الطير ، وبعضها من جنوده الذين أرسلهم يتحسسون الاخبار عند حدود البلاد ، وبعضها مع جواسيسه فى جيش العدو . فقد كان من بين قواد جيش على بك جماعة من الامراء يتظاهرون بالاخلاص له وهم فى الحقيقة يدبرون مع عدوه محمد بك خطة للقضاء عليه وضربه الضربة الاخيرة

وساورته عند ذاك الهموم وامتلأ قلبه بالشجون . فهل كان ليطمئن الى أنباء هؤلاء الامراء المخادعين ؟ حقاً ان حياته ملأى بالخيانة . وكان الامراء جميعاً لا يرون التآمر عيباً بل كان رائدهم في كل حركة مصلحة أنفسهم وتحقيق اطماعهم وآمالهم . ولكن هل كان ليثق بما يكتبون اليه ويسير على هدى انبائهم ويتحرك على ما يرسمون له من الخطط ؟ ومن أدراه انهم لا يخدعونه هو ويدبرون المكائد للايقاع به ؟

ولكن ماذا كان يجديه ذلك التفكير ؟ وماذا كان يجنيه من وراء كل ذلك التقدير ؟ لقد كان يقامر بحادثة جديدة ، والمقامر لا يبالى ما تحمله اليه الايام ، بل يسير في نهجه ليحصل على كل شىء أو يفقد كل شىء تاركا الاقدار تسير فى مجراها

وكان الناظر الى محمد بك وهو فى ضجعته لا يستطيع أن يتبين فيه ذلك الامير المخاطر المخادع

الخائن . فقد كان مظهره لا ينم عن خبث ولا يبعث فى النفس شيئاً من توجس الشر . كان وجهه جميلا حسن التقسيم ولونه أبيض يتلألأ بالصحة والقوة وتشع منه الحياة ويبدو عليه نور يشبه نور الصراحة . وكانت لحيته السوداء المترسلة تشيع في مظهره معنى من الهدوء والسلام . وكانت ابتسامته حلوة وحديثه عذبا وأدبه خلابا . حقاً ان للطبيعة أسراراً عميقة

ودخل السرادق خادم من مماليكه يحمل « الشبق » . فأقبل عليه وأخذ يتنفس منه أنفاساً يملأ بها صدره وهو غارق فى التأمل والتفكير . ولم يدع الى سرادقه أحداً من كبار الامراء إلا صديقه المقرب اسماعيل بك الصغير ، إذ كان سائر القواد فى شغل من التجهز للسفر ينتظرون أن تضرب اشارة الرحيل للقاء الجيش المغير عند الحدود الشرقية قبل أن يتمكن من الراحة أو يتيسر له الاستيلاء على شيء من البلاد

وفيما هو فى ذلك دخل عليه المملوك واستأذن لزائر لم يكن يتوقع زيارته ، وهو الشيخ على الصعيدى العدوى كبير العلماء فى ذلك الوقت

نهض محمد بك مسرعا عندما سمع اسم ذلك الشيخ وأشار الى المملوك ان يحمل الشبق ويخفيه فى مكان بعيد خوفا من أن يراه الشيخ الوقور الذى اشتهر عنه كرهه للتدخين ولومه الشديد لمن يراهم يدخنون ولو كانوا من كبار الامراء . فصدع المملوك بالامر ثم ذهب الى باب السرادق ليرافق الزائر الكريم ، وخطا الامير خطوات نحو المدخل لاستقبال ضيفه وأقبل الشيخ يهتز فى مشيته من الضعف ويسير فى بطء من قيد السنين فقد كانت سنه تقارب الثمانين ، وقد ابيض شعره وكل بصره ورق عظمه . وكان يستند من تحت إبطه تلميذه ومريده الامير على أغا المعمار المعروف (بابى الجلب) وهو لقب اشتهر به لانه اخترع آلة للحرب هى عصا غليظة ذات (جلبة) من الحديد تحيط بها مسامير قوية من الصلب يضرب بها رأس الفارس فتخرق الخوذة وتنفذ الى الرأس

تقدم محمد بك اليه وقبل يده باسماً وقال :

« شرفتنا يا سيدى الشيخ . وكيف تتعب نفسك فى السعى الينا ؟ وكان واجباً علينا ان نسعى نحن اليك »

فقال الشيخ وفى صوته تهدج من الضعف :

« لا بأس علي ان أسعى الى ولي الأمر ولا سيما اذا كان السعى فى قضاء مصالح الناس »

فأسنده محمد بك من تحت إبطه وساعده علي أغا على إجلاسه فى صدر السرادق على الأريكة ثم جلس الى جواره متأدباً وجلس علي أغا على البساط جاثياً تحت قدميه

وأما الأمير الشاب اسماعيل بك الصغير فقد انتحى ناحية وجلس صامتاً وعلى وجهه أثر من العبوس

ولما استقر المجلس بالشيخ وشرب القهوة التى قدمت اليه للتحية سأله محمد بك بعطف وتودد

« وهل كانت مصالح الناس لتجشمك هذه المشقة ؟ أما كان يكفى أن ترسل فيها بعض أتباعك ؟ »

فقال الشيخ بصوت هادىء :

« لم أرد أن يحرمنى الله من ثواب السعى فى تلك المصالح »

ثم وضع يده فى جيب (دلقه) الواسع وأخرج منه ورقة دفعها إلى الأمير وأطرق فى انتظار الجواب

وقرأ الأمير الورقة ثم تبسم وأمر بدواة فأحضرت اليه وقال وهو يكتب على ذيل الورقة :

« كل ما تأمر به يا سيدى الشيخ نافذ ان شاء الله »

ثم كتب اسمه على الورقة ونادى اسماعيل بك وقال له :

« خذ هذه فارسلها الى الوالى مع أحد الخدم الخواص »

ونظر الى الشيخ مرة أخرى وهو باسم وقال :

« نرجو يا سيدى الشيخ ألا تنسانا فى الدعاء وان تكون راضياً عنا »

فقال الشيخ بصوته الضعيف :

« اللهم وفقنا واياكم الى الخير »

ثم هم بالقيام وأسرع الأمير فوضع يده تحت إبطه ليساعده على النهوض وأسنده علي أغا من تحت إبطه الآخر وذهبا به حتى أوصلاه الى باب السرادق ووقفا حتى ركب حماره وسار فى طريقه نحو القاهرة وخادمه يسعى من ورائه

عاد محمد بك الى السرادق وأمر المملوك باعادة الشبق اليه ورجع الى التنفس منه وهو جالس على أريكته فحانت منه التفاتة الى اسماعيل بك فرآه ما يزال واقفاً والورق في يده . فقال له بصوت فيه شىء من الحدة :

« أما تزال الورقة معك ؟ »

فقال اسماعيل مستخفاً :

« وهل أرسلها حقاً ؟ »

فاحمر وجه محمد بك وظهر الغضب فى عينيه وقال :

« وهل كنت أمزح ؟ »

فقال اسماعيل معتذراً : « لم أقصد ذلك ولكن هل الامر يستحق كل هذه العناية ؟ »

فرفع محمد بك حاجبيه وقال فى شىء من السخرية :

« ليس لك ان تتصرف . انفذ ما آمرك به »

فأحس اسماعيل ما فى لهجته من قسوة وقال مظهراً تألمه :

« كنت أحسب ان شدة الوقت وقرب الحرب منا لا يدعان لنا فرصة للاهتمام بمثل هذه الأمور ! »

وأدرك محمد بك انه قد زاد فى القسوة على الحد المأمون مع ذلك الامير الشاب فأراد ان يزيل اثر كلماته الاولى فقال وقد هدأ من حدته :

« ان شدة الوقت وقرب الحرب يجعلان من الضرورى أن نهتم بما يريده الشيخ على الصعيدى »

فقال اسماعيل ولم يزل متألماً :

« ليسمح لى سيدى ان أقول انه مبالغ فى هذا التقدير . انك تظهر الخوف من ذلك الشيخ المرتعش . تبعد الشبق عنك اذا أقبل . تقبل يده . تنفذ أوامره . تحتفل بمقدمه وبتوديعه احتفالا لا نظير له . ولم كل هذا ؟ من أجل شيخ يركب حماراً ويلقى بعض الدروس فى المساجد ؟ »

فضحك محمد بك وقال بغير غضب :

« ان كان هذا مبلغ علمك وحكمتك فأنا أرثى لك . أنت الآن كتخداى وقد تكون يوماً من الايام أميراً لهذه البلاد اذا شاءت الاقدار . ولذلك أنصحك نصيحة . هذا الرجل شيخ العلماء . هو مبجل بينهم . والعامة تعتقد فيه الصلاح وسلامة الديانة . فاذا كان معى كان رجال الدين كلهم معى وكانت العامة فى قبضة يدى »

وصمت قليلا ثم قال :

« قد يكون فى الناس من يخالف أوامر الدين . ولكنهم جميعاً يقدسون مظاهره ويخضعون لرجاله . هذا درس أرجو ألا تنساه »

أطرق اسماعيل عند ذلك لحظة ثم رفع رأسه باسماً وقال :

« لاحرمني الله من نصائح مولاى » . ثم خرج لانفاذ الأمر وماكاد يخرج حتى أقبل على أغا أبو الجلب وهو يحمل رسالة وقد ظهرت على وجهه أمارات الاهتمام الشديد

ولما اقترب من محمد بك ناوله الرسالة قائلا كلمة واحدة :

« مراد »

ثم وقف ينتظر فراغ الأمير من تلاوته

قرأ محمد بك الخطاب مرتين وهو يهز رأســـه ثم رفع بصره الى على أغا وقال بصوت منخفض :

« نتحرك اليوم . على بك عند الصالحية »

فأسرع على أغا بالخروج من السرادق ، وما هو إلا قليل حتى دقت الطبول والكاسات اشارة للجيش بالاستعداد للرحيل

مضت ثلاثة أيام بعد ذلك واجتمع جيش محمد بك على الرمال المحيطة بالصالحية ووقف حيال جيش الأمير الطريد على بك وأشرقت الشمس على النحاس والحديد وقد استعد الجيشان للاصطدام لتقرير مصير الحكم فى البلاد

ونصب السرادق الكبير وراء الميدان واتخذه محمد بك مركزاً للقيادة ووقف فيه يتلقى أخبار المعركة ويقابل الرسل المترددة اليه من الميدان

أما على بك فانه لم يتخذ سرادقاً بل أقام مظلة صغيرة يلجأ اليها فى الليل ويستظل بظلها بين حين وحين بعد أن يجهده القتال وتثقل عليه وطأة النزال ، وكان عند ذلك يشكو من حمى هدت قواه ولكنه لم يهدىء من حركته ولم يستمع لنصح الأصدقاء فى الرفق بنفسه

وخرج على بك الى ربوة فى وسط الميدان فرأى ناحية قد تخلى عنها جنوده وكاد عدوه ينفذ منها الى قلب جيشه . فهبط نحوها كالسيل المنحدر وضرب بسيفه مع الجنود القلائل الذين جمعهم فى سبيله فلم تلبث تلك الجهة أن رجحت كفتها ونكص عنها جنود خصمه اتقاء لوثبته

ثم عاد الى الربوة ليرقب حركات الجيش مرة أخرى وقد أنساه الحقد والغضب ما كان به من ضعف الحمى وجهد القتال

فحانت منه التفاتة الى ناحية الغرب فرأى فرقة من جيشه تسير مسرعة نحو جيش عدوه ، فظنها جماعة من فرسانه سارت للقتال بغير أمره فصاح على فارس من فرسانه وقال : « سارع الى هؤلاء الحمق وبلغهم أمرى بالرجوع »

فأسرع الفارس نحو الجماعة راكضاً ولكنه ما كاد يصل اليهم ويقف فى سبيلهم حتى أشرعت نحوه الرماح وامتدت اليه السيوف فعاد أدراجه يحمل خبر الخيانة لمولاه .

فسأله على بك : « ومن يكون ذلك الأمير الخائن ؟ »

فأجاب الفارس : « مراد . »

فصمت على بك وضغط ما بين أسنانه وعلا الدم فى وجهه حتى كاد يحجب النظر عن عينيه ولم يبق فى مكانه طويلا بل ركض جواده نحو الجنوب

وكان جيشه هناك يحارب منتصراً . وبلغ زحمة القتال وحارب ضاربا بالسيف ومجالداً باليد ، وكان كالصخرة التى تهوى من قمة الجبل الى بطن الوادى . فتزلزلت الكتائب أمام ضرباته وتردد الابطال فى الاقدام عليه وانثنى صف عدوه وكاد ينشطر شطرين . ولكن الكارثة عند ذلك وقعت

بدت فجأة فى الجانب الأيمن من جنوده حركة غير عادية وسمع من ناحيتها صوت مناد يصيح ثم رأى كتلة كبيرة تنتزع نفسها من الصف ذاهبة نحو قلب الجيش الآخر . فتح على بك عينيه

من الدهشة والجزع وهو لايكاد يصدق ما يرى ثم امتلأ قلبه بالغيظ والغضب وثارت نفسه ثورة اليأس واجتمع عليه حر الحمى وحر الجهد فلم يستطع أن يمنع نفسه من دفعة تشبه دفعة الجنون ، فركض فرسه وهبط نحو الكتيبة الخائنة يريد أن يعاقبها بنفسه منفرداً

ولكنه ما كاد يبلغ الكتيبة الغادرة حتى كان عدوه قد أحاط به من كل جانب وحاصره حتى لم يبق له منفذ للخروج . فرفع سيفه وجعل يهوى به على من يلقى لا يبالى أين تقع الضربة ولا أين تصيب من عدوه . فكان كالأسد اليائس وقد احتوشه الصائدون . وما زال حتى أضعفه نزف الدماء من جروح وجهه ورأسه فمال عن سرجه وسقط عن جواده وقد أغمى عليه ووقع السيف من يده .

وكأن تلك السطوة قد ملكت على أعدائه الباهم فلم يجسر أحد منهم على التقدم للاجهاز عليه بل أغمدوا السيوف وتقدموا خاشعين فحملوه الى سرادق الامير المنتصر

لم يلبث على بك أن عادت اليه الحواس فتحرك كأنه يريد استئناف القتال . ولكن الضعف أعجزه فارتمى على الارض خائر القوى

وأحس محمد بك بوخزة فى صدره ولم يتمالك أن تقدم نحو سيده الصريع فأسنده من تحت إبطه وترفق به حتى أجلسه على أريكته وانحنى عليه يضمد له جراحه وهو دامع العين حزين الفؤاد وجماعة من الامراء من ورائه يساعدونه على ايقاف نزف الدماء

ونظر الأسد الصريع حوله الى جدران السرادق فعرفه وقال كأنه يخاطب نفسه بصوت فيه صيحة مكتومة :

« صالح ! »

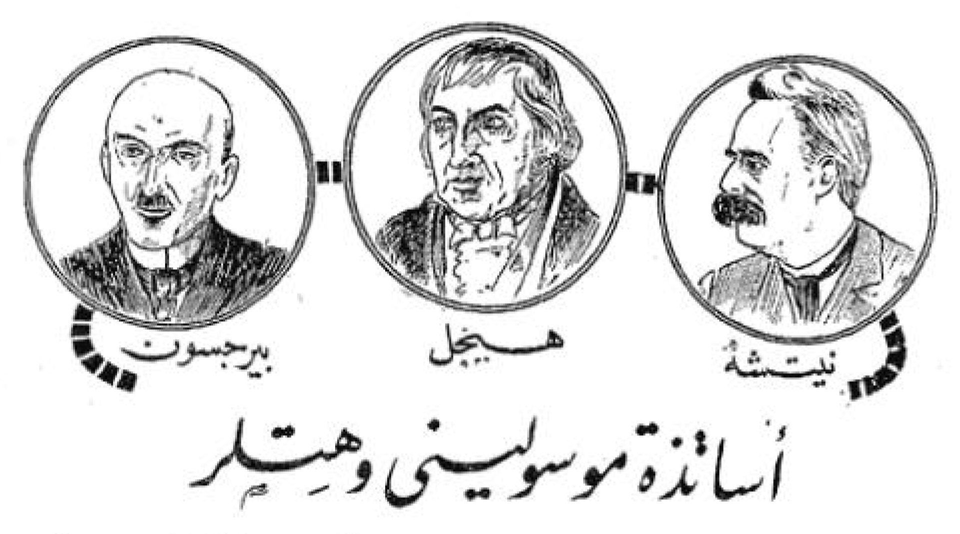
فسرت عند ذلك فى الواقفين موجة تشبه هزة الكهرباء وثارت فى نفوسهم ذكريات كادت الأيام تعفى عليها ــ ذكريات فتكة غادرة دبرها الامير الصريع منذ سنوات لصديق حميم طمعاً فى الانفراد بالملك وأنفذها له تابع خائن أصبح اليوم عدوه المنتصر

ونظر الأمراء بعضهم الى بعض ، وأخذوا يتهامسون ، وأما الامير الصريع فانه منذ نطق بذلك الاسم لانت نظرته وزال عن وجهه ما كان عليه من علائم الحقد والغضب ، وكأنه كان يقول فى نفسه « لا يحق لى أن ألوم » ثم قضى ما بقى من أيامه لا ينطق بكلمة ولا يئن من آلامه أنة إلا خلجة كانت تعتريه فتهزهز جسمه بين ساعة وأخرى

وبعد قليل دقت الطبول استعداداً للرحيل نحو القاهرة فقد صفا الافق الشرق واختفت منه العاصفة

واحتفلت القاهرة بعد اسبوع بدفن الأسد الذى عرف كيف يقضى وهو لا يئن من الجروح

محمد فريد أبو حديد



أساتذة موسوليني وهتلر

المفكرون الذين مهدوا للديكتاتورية الحديثة

بقلم الاستاذ علي أدهم

من علامات العصر الحاضر السياسية التى تسترعى النظر وتستدعى التفكير، ظهور الزعامات فى مدى واسع وصور خلابة، واستعلاؤها واستفحال شأنها، وضمور المبادىء والنظريات وتراجعها لانشغال القوم بعبادة الزعيم والتفانى فى طاعته والاذعان التام لكلمته. وكثير من أمم الحضارة تستمد وحيها الآن من الافراد وتتلهى عن معتقداتها بشخصيتهم وتأتمر بأوامرهم وتترسم خطواتهم. وأكثرهم يتمتعون بسلطة لم يحظ بمثلها أكاسرة الفرس وأباطرة الرومان فى الازمنة القديمة، ولم ينلها قياصرة الروس وسلاطين العثمانيين فى العهود المتأخرة. وقد برز أكثر هؤلاء الزعماء من الخفاء فى صور غامضة وظروف ملتبسة يكاد يبدو فيها أثر الأسطورة وظل الخرافة، ولقد كان للزعامات أثر كبير فى تكوين التاريخ وتشكيل الحوادث وتوجيه الامم، ولقد أله اليونان الحكام والطغاة وخلعوا عليهم القداسة ووطدوا بذلك عروشهم وأبعدوا نفوذهم، وورثت الدولة الرومانية ذلك التقليد عن اليونان ضمن ما اقتبسته من أساليبهم فى السياسة وطرائقهم فى التفكير، وانها لنكتة غريبة وسخرية بالغة، أن ترتد الانسانية فى القرن العشرين الى هذا الاسلوب من الحكم المزرى بالكرامة الانسانية، والذى يقدم الدليل الناصع لمنكرى التقدم وجمهرة الساخرين من النوع الانسانى المستهزئين بمبادئه وأحلامه وتعلاته وأوهامه

فما هى الاسباب والعلل التى تأدت بالامم المتحضرة الى مثل هذه الحالة المحزنة والخاتمة الاليمة؟ وكيف ارتضت امم هى فى ذروة الذكاء وقمة الرقى أن تضع جهودها ومواردها

ومصائرها بين يدي فرد من الافراد لا تؤمن نزواته ولا تتق جمحاته ، مهما سمت مكانته ومهما كان حظه من البصيرة والرأى ؟ وكيف تضاءلت شخصيتها وفنيت ذاتيتها واستغرقها الزعيم ، فى الوقت الذى كشف فيه علم النفس الحديث عن أمراض العبقرية وعلل النفوس الخفية ، وأظهر ضرورة وجود رقابة لكبح شذوذ الافراد ومعالجة أهوائهم ؟

أري ان هناك أسباباً عامة مهدت السبيل لذلك وأسبابا خاصة متصلة بماضي حياة بعض الامم وسالف تقاليدها،ومرتبطة بمزاجها الخاص الذي تكون فى سير الدهر وعلى تعاقب الحوادث وتحت تأثير البيئة والموقع الجغرافى

ويرى بعض المفكرين الاجتماعيين أن في طليعة الأسباب العامة تزايد عدد السكان وبخاصة فى المدن الكبيرة والحواضر الأهولة ، وتجمعهم فيها بعيدين عن الخلوات حيث لا يجدون مخرجاً لعواطفهم الجائشة وأشواقهم الفائرة وما يعتلج فى نفوسهم من النوازع ، فهم من ثم فى حاجة الى خلق شيء يوجهون اليه فائض شعورهم ومكظوم ميولهم ومحتبس نشاطهم ويطلق القوى المائجة فى نفوسهم ، ووجود الزعيم يتيح لهم هذه الفرصة الغالية ،وينفس عن نفوسهم المكروبة ، ويهيء لقواهم المكنونة مخرجا ، واذا تكاثرت جموعه واشتدت حماسة أتباعه أصبح زعيما لشعب بأسره لا لحزب معين أو هيئة خاصة

وسبب آخر هام ، هو طغيان السلطة التشريعية على السلطة التنفيذية فى العصور الحديثة ، ومحاولة تقليل العوامل الشخصية فى السياسة واضعاف عنصرها ، فقد أثار الافراط فى ذلك رد فعل قوي استدعى العودة الى قوة الزعامة وسحر الشخصية ، ومضاء الفرد المجمع العزيمة . فقادة العصر الحاضر وزعماؤه هم مظهر من مظاهر العودة الى تقليد قديم من تقاليد السياسة التنفيذية ، يقتضي أن ينفرد الفرد بالسلطة ويضطلع بالمسئولية ويواجه جلائل الأمور ، بعد عصر الافراط فى اتباع أصول الحياة النيابية والايغال فى دروبها

ولكن المسألة أبعد اعراقاً من ذلك وأكبر شأناً من ارضاء غرائز الجماعات وأخطر أمراً من أن تكون مجرد ثأر السلطة التنفيذية من السلطة التشريعية والأساليب النيابية ، وظهور الزعامات يقوم فى الأكثر على أسباب كثيرة متشابكة وعوامل متداخلة . ولأجل أن أجمع أطراف الموضوع واستقريء بعض تلك العلل والدوافع ، سأنتقل من التعميم الى التخصيص ، وأتحدث عن هتلر زعيم المانيا النازية ، وموسوليني زعيم ايطاليا الفاشية ،وأبين أثر التيارات الفكرية والأحوال النفسية والظروف الخاصة التى أفسحت لهما الطريق وهيأت الفرصة

ولكى نقدر الظروف التى يسرت سبيل الظهور لهذين الزعيمين لامحيص لنا من مراقبة تيارين من تيارات الفكر فى أوربا ، أحدهما تيار الفكر التيتونى الذي يرتفع الى هجل وفخت ـ أكبر أساتذة هتلر ـ ويتمثل فى نيتشه ، والآخر تيار الفكر اللاتيني الذي يبدأ فى فلسفة برجسون

ويبدو قوياً فى كتابات سوريل وبارتو أكبر أساتذة موسوليني ، وقد أثر التيار الأول فى التفكير الالمانى أقوى تأثير ولم يقتصر تأثيره على المانيا فقد عبر جبال الألب وامتزج بالتفكير الايطالى ، وعلاقة ايطاليا بالتفكير الالمانى معروفة عند قراء تاريخ الفلسفة الحديثة

ونيتشه الذى أحدث أكبر تأثير فى الفكر الالمانى الحديث لم يكن مفكراً منطقياً وانما كان مفكراً يرسل الكلمات المجنحة والحكم الجامعة فى أسلوب قوى حار تشرق فى جوانبه لمعات العبقرية وأضواء الالهام . وقد حمل على آداب العبيد وأشاد بآداب السادة ، واعتبر الديمقراطية والاشتراكية والآداب المسيحية مظاهر مختلفة من آداب العبيد وأخلاق الضعفاء ، وقد عملوا على ايجادها لعرقل عمل الطبيعة التى تقضى بأن يحكم القوى الضعيف . وفى طليعة آداب السادة النبلاء يضع نيتشه الرغبة فى القوة ، وهى تستلزم أن يثير الانسان كوامن نفسه ويستغل مواردها ويحرك فيها كل نابضة ويشعل كل خامدة ، ويفرض ارادته على الكون ويسيطر على الطبيعة ، ومن السهل أن يستفيد الطغاة من مثل هذه الفلسفة ويستخرجوا منها ما يؤيد خطتهم ويثبت صحة مذهبهم ، ولكن هذا التفسير لنيتشه لا يخلو من خطأ وتحريف لان الانسان الأعلى عند نيتشه منوط بالمستقبل البعيد وتصل اليه الانسانية على مدارج العصور القادمة بعد مراحل شاقة من التطور وجهود ضخمة يبذلها سادة البشر فى شق الطريق وازالة العقبات ، ولم تكن الرغبة فى القوة عند نيتشه مجرد رغبة فى السيطرة على الناس وانما هى رغبة فى السيطرة على النفس وشد حيازيمها لفرض ارادتها على الكون ، ولم يكن نيتشه من أنصار فكرة الحكومة الشاملة التى تستغرق الافراد وتحتوى الأمة وتنتظمها عبقرية فرد ، بل كان يحمل على فكرة الحكومة ولا يرحب بفكرة القومية . ولكن تأثير فلسفة نيتشه كان أمراً آخر غير ما أراده نيتشه ، فهو لم يكن من محبذى الديكتاتورية ، ولكن فلسفته تضمنت حملة شعواء على الديمقراطية ، والديمقراطية فى رأيه تخمد طموح الشعوب وتستلب حيويتها وتصدها عن حياة المغامرة ومعاناة الأهوال وتتركها تغط فى نعيم الحرية والمساواة والاخاء ،وهوكان يريد الحركة وايقاظ العزائم ، ومن الهين أن يتصور كل ديكتاتور أنه انسان نيتشه الأعلى برغم أن نيتشه كان يود أن يحتفظ بهذا اللقب ليجود به على انسانه الأعلى الذى سيتمخض عنه المستقبل البعيد

وكل زعيم سياسي مهما كان غريبا فى آرائه شاذاً فى تفكيره فانه لا يمكن أن يكون منقطع الصلة بتقاليد قومه واتجاه تفكيرهم ، ومن ثم فان العقيدة النازية لاتبدأ بهتلر وانما ترتقى فى سلسلة النسب الى نيتشه ، وترتفع منه الى نظرية الدولة التى قال بها هجل ــ فقد كانت الدولة فى رأيه « ظل الله فى الارض » ــ ونظرية صراحة الشعب الالمانى التى نادى بها فخت . وثورة هتلر على السامية مستمدة من آراء هوستن شمبرلين المعروف بمغالاته فى الحملة على اليهود والذى خصص صفحات من كتابه المشهور « أساس القرن التاسع عشر » ليثبت أن المسيح المانى الأصل

تحية الطفل المنتظر

الأمومة الأولى

بقلم الدكتور امير بقطر

« .. فى الامومة الاولى نشوة تستولى على مشاعر الفتاة ، لا تعادلها نشوة أخرى فى أي طور من أطوار حياتها . وإذا كان اقتران السعيد أجمل حادث فى حياة الشاب ، فان الامومة الأولى أبهج حادث ، وأروع مناسبة ، فى حياة الشابة .. »

ما رأيت فى حياتى مكانا أليق لدراسة العواطف الانسانية ، من دور الفنون الجميلة ، ومتاحف الصور والتماثيل العالمية الخالدة . انظر الى عشاق الفنون فى اللوفر ، ولكسمبرج ، وفى باريس ، وبتي وأوفيزى فى فلورنسا ، والفاتيكان فى روما ، وانظر اليهم فى لندرة ، وجنوه والبندقية ، وبرلين ودرسدن ، وفينا وبودابست - انظر اليهم وهم يتنقلون من صورة الى صورة ، ومن تمثال الى تمثال ، كما تتنقل الفراشة من زهرة الى زهرة ، ومن دوحة الى دوحة . هناك تستيقظ كل عاطفة دفينة ، ويثور كل وجدان مكبوت ، ويتحرك كل حس مفقود . هناك تتلون الوجوه بما توحيه تلك التحف من المشاعر ، وتبتسم الشفاه بما أراد الرسام ان ينقله الى الافئدة من مظاهر الانشراح ، وتحمر الوجنات بما شاء المثال أن يصوره من مظاهر الخجل والحياء . هناك تختلف طائفة الآراء التى تبعث بها عبقرية المصور الى ذهن الرائى ، باختلاف الصور والتماثيل التى يقف أمامها . فتارة تمر بذاكرته سلسلة المآسى العالمية ، من بؤس وذلة وشقاء وموت ، كما تمر الصور المتحركة أمام النظارة ، وطوراً يرى أشباح السذاجة والطهر والاخلاص والتضحية وسائر الفضائل ، كأنها كائنات حية يسرى فيها دم الشباب ، فتتحرك وتتكلم من خلف سترها ، فى اطارها المذهب ، أو رخامها الصامت

بيد انه مهما يكن من شىء ، فان هذه العواطف التى تثيرها تلك التحف النادرة الصامتة ، إما ان يكون نصيبها الزوال بعد حين ، وإما أن تترك ذلك الأثر الخالد الذى يصبح جزءاً من صاحبه ، ويمسى عنصراً باقياً فى سويداء القلوب ، ما دبت فيه انفاس الحياة . وبين هذه

الصور والتماثيل التى أشير اليها ، بل فى مقدمتها جميعاً ، الصورة التى تمثل الامومة . و بين هذه الصور والتماثيل التى تمثل الامومة ، بل فى مقدمتها جميعاً ، تلك التى تصور أول عهد المرأة بالأمومة . ترى ما الذى حدا برسامى العالم ومثاليهم منذ تسعة عشر قرنا ، الى ان يصوروا لنا العذراء وطفلها ؟ ألا تجد عشرات من هذه الصور الخالدة فى كل دار من ديار الفنون الجميلة ؟ يخيل إلىّ ، ويتفق معى الكثيرون ، أن الباعث نفسى أكثر منه دينياً . هو جمال الامومة الاولى ، بما تحمله من سذاجة بريئة ، واخلاص ، وحب ، وتضحية ، وانتاج ، وازدهار ، وتخليد ، وحنان ، وعناء ، وتحمل آلام ، وتجشم صعاب ، واثمار ، ومشاركة ، وتعاون ، و وجدان . .

وأكبر دليل على ما أقول أن العذراء ، برغم أنها عبرية سلالة ودما ، نراها تختلف باختلاف البلد الذى ينتمى اليه الرسام أو المثال . فهى فى ايطاليا رومانية نحيلة القد ، وفى هولندا والمانيا جرمانية مليئة البدن ، وفى الصين منغولية منحرفة العينين ، وفى بلاد العبيد افريقية اللون ، غليظة الشفتين . فى بدء عهدى بدور الفنون فى أوربا ، كنت لا أجد فى صور العذراء سوى ذكريات دينية ، الى جانب ما أراد المصور أن يعبر عنه من جمال الخلق ، وحسن الصورة ، ونبل الخلق . وظللت أنظر الى هذا الرسم الخالد هذه النظرة ، حتى هيأت لى الأقدار أن أشاهد صورة فنية فى نيو يورك فى مكتبتها العمومية اسمها الأم الفتاة The young Mother ومنذ ذلك الحين أخذت صور « الأمومة الاولى » توحى الى آراء جديدة ، وتثير فى نفسى عواطف جديدة . فكم وقفت أمام رفائيل ، ومور يلو ، و بليني ، واكرلو ، وساسوفراتو ، ودولتشى و برناردو لوينو ، وسيزار داسستا ، وجوتو ، وغيرهم ، كم وقفت أتأمل فى تلك العواطف النبيلة السامية التى أوحت اليهم الطبيعة الانسانية ، عن طريق العبقرية ، أن يصوروها ! !

هذه فتاة كانت بالأمس طفلة تلهو باللعب والدمى ، وتمرح فرحة كالزنبقة فى الوادى ، وتغفو عينها فتنتشى نفسها البريئة بأحلام الطفولة ، فاذا بها بين غمضة عين وانتباهتها ، ينوء كاهلها بأثقل الاحمال ، وتتكفل بأشق المسئوليات عبئاً ، و إذا بها ينتفض جسمها عن كائن جديد ، كما تنتفض السنبلة عن حبة ، وتتفتح الزهرة عن زهرة مثلها ، و إذا بها تساهم فى الغرس والانماء ، وتساعد الطبيعة على البقاء ، وتعين الخلود على الخلود

فى الامومة الاولى نشوة تستولى على مشاعر الفتاة لا تعادلها نشوة أخرى فى أى طور من أطوار حياتها . و إذا كان القران السعيد أجمل حادث فى حياة الشاب ، فان الامومة الاولى أبهج حادث ، وأروع مناسبة ، فى حياة الشابة . المرأة بطبيعتها شديدة الشغف بقدوم هذا اليوم

السعيد ، لان عقلها الباطن يحدثها فى كل حين بأن رسالتها الحقيقية فى الحياة تبدأ منذ ذلك الحين ، و بأنها بغيرها كالتربة الرملية الجدبة ، تحترق بحرارة الشمس ، ولا تنبت من الخضرة ما يروح عنها هذه الحرقة ، أو تجد من الاشجار الوارقة ما يأويها و يظللها

وليس ثمة مجال للشك فى أن منشأ هذه العاطفة غريزة تكاد تكون ملموسة فى المرأة منذ نعومة أظفارها . فالطفلة تلعب « بعروسها » وتحرص عليها أكثر من كل أنواع الدمى الاخرى وإذا ما حملتها بين ذراعيها ، رأيت فى حسها واتجاه حواسها وحنوها وعطفها وسائر حركاتها وسكناتها ، ما تراه فى أم كاملة النمو . وفى متحف مدينة منشستر بانجلترا صورة زيتية بديعة اسمها « معبودها » Her Idol تمثل ثلاثة أجيال اى أنها تصور لنا أماً وابنتها ودمية هذه الابنة وقد بين لنا فيها الرسام سر وليم أوتشردسون فى فن رائع ان عطف الام على ابنتها الطفلة لا يفوقه عطف الابنة الطفلةعلى « عروسها » . وقد سماها « معبودها » اشارة الى احدى الاثنتين الام ، ومعبودتها ابنتها ، او الابنة ، ومعبودتها دميتها

ولئن كان هذا التعليل الذى ذكرناه نفسانياً (سيكولوجياً) ، فان هناك علة أخرى وظيفية جثمانية « فيزولوجية » ، هى من الاسباب الهامة التى تغمر الفتاة الشابة بنشوة الفرح ، فى أول عهدها بالأمومة ، وذلك ان الاتصال والملاصقة واللمس من الظواهر الفيزولوجية التى ترتاح اليها الكائنات الحية . ولما كانت هذه الظواهر تتمثل أجمل تمثيل فى الامومة ، لاتصال الجنين بالام ، فان أول لحظة تحس فيها الفتاة بهذا الاتصال ، تبعث فيها من دواعى الغبطة والسعادة ، وألوان الوجدان والعاطفة ، ماتعجز لغة البشر عن التعبير عنه . وما قبلات الام لمولودها الا مواصلة لهذا الوجدان وتخليداً لهذه العاطفة

اذا علمنا هذا أيقنا ان شعور الاب نحو مولوده البكر يختلف كل الأختلاف عن شعور الام نحو مولودها البكر ، وان كانا يتفقان فى النظر الى هـذا المولود كحبل اتصال بين الحاضر والمستقبل . وينشأ وجه الخلاف عن تكوين المرأة الجثمانى وما يتولد عنه من الوجدان النفساني . وليس لدى فى ختام هذا المقال أبلغ من ان أحيل القارىء الى الصورة الفنية الخالدة المنشورة تجاه الصفحة الاولى من المقال ، فهى تعبر عن نفس المرأة في أمومتها الاولى أبدع تعبير ، وترسم لنا بصورة جلية ناطقة أعمق ما يجول فى خاطرها من العواطف ، وتفصح لنـا عن معنى الخلود بلغة لا سبيل الى كتابتها الا بريشة الرسام

امير بقطر

الدكتاتوريات تهدد

ان الدول الديموقراطية التى خرجت من الحرب الكبرى عاقدة ألوية النصر ، فارضة ارادتها على المغلوب ، أصبحت اليوم فى موقف الجزع ، ترتعد فرقاً من الديكتاتوريات وتلاطفها وتداريها وتخشى بأسها وتذهب فى مرضاتها من تسليم الى تسليم . فالديكتاتورية تتحفز وتهدد وتنذر بالانقضاض الصاعق المفاجىء ، والديموقراطية تنكمش وتتراجع وتلوح ما استطاعت بغصن الزيتون

وفى كل مرة تسجل فيها الديموقراطية فشلا ، يسجل التاريخ للديكتاتورية ربحاً ، ماكانت شعوبها لتحلم باحرازه دون حرب

فكيف أمكن الدول الديكتاتورية ان تقف هذا الموقف من الديموقراطيات ولا سيما من الديموقراطيتين الانجليزية والفرنسية اللتين اعتقدتا عقب الحرب الكبرى ان الحالة فى أوربا قد استقرت وان المستقبل بات فى قبضتيهما ؟ . . هذا ما سنحاول الاجابة عنه بايجاز فى هذا المقال :

ان مبدأ توازن القوى الدولية ، هذا المبدأ الذى يستهدي به البريطان فى سياستهم ، هو السبب الرئيسى فى الازمة التي تعانيها الديموقراطية اليوم

فقد حدث بعد الحرب الكبرى ، وبعد ان خرج الفرنسيون منها ظافرين ، وانسحقت المانيا وتضعضعت قواها المجددة وجردت من أسطولها ، ان خشى الأنجليز اتساع النفوذ الفرنسى وسيطرة فرنسا على

موسولينى

الدّول الدّيموقراطية

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى


هتلر

السياسة الأوروبية واحتمال قيامها بتمثيل دورها التاريخي المعروف أيام لويس الرابع عشر ونابليون ، فما كان منهم الا ان تنكروا لحليفتهم وأعرضوا عنها و بسطوا أيديهم للالمان وشرعوا فى احياء المانيا نزولا على مبدئهم السياسى فى تحقيق التوازن الدولى

وقد وردت فى كتاب الباحث الاجتماعى المجري هنريك رالف « نشوء الحرب المقبلة » هذه العبارات :

« لم تكد تعقد معاهدة فرساي حتى تجهم الانجليز لفرنسا وولوا وجوههم شطر الالمان وتناسوا معارك الامس ، وأخذت أموالهم تتدفق نحو الريخ ساعية لاحيائه وتنشيطه وجعله سوقا انجليزية هامة . وذلك فى نفس الوقت الذى كان الفرنسيون قد توهموا انه آخر مرحلة فى تاريخ الصراع القديم بينهم وبين المانيا »

فرغبة الانجليز فى بعث الأمة الالمانية كي تتعادل القوى الأوروبية ، هي التى فرقت بين الدولتين الديموقراطيتين وهي التى ساعدت على نمو الديكتاتورية ونمو مطامعها وأحلامها

ففرنسا وقد أحست فى ذلك الوقت تخلى البريطان عنها ، وشعرت بالحياة تدب من جديد فى أوصال المانيا ، أسلمت نفسها للوطنيين المتعصبين من رجال أحزاب اليمين أمثال بوانكاريه وتارديو ، وشرعت فى تعمير البلاد ومضاعفة قوى التسلح واحكام روابط

التحالف بينها وبين بولونيا ثم بينها وبين أعضاء دول الاتفاق الصغير أى تشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا ورومانيا

وكانت فرنسا إذ ذاك فى شبه موجة من السخط على السياسة الانجليزية ، وكان شبح سلامتها قد استيقظ وعاد ينذرها بالخطر الجرماني ، فأسرفت فى الانفاق على التسلح وشيدت خط ماجينو ، وذهب بها الخوف والتعصب الوطنى إلى حد إرهاق الشعب الالمانى بطلب تعويضات هائلة واحتلال أجزاء من أراضيه وفاء لهذه التعويضات

وكان فى وسع فرنسا لو أنها كانت قد أسلمت قيادها لزعماء معتدلين من رجال أحزاب اليسار، ان تعمل على تقوية جمهورية فيمار الالمانية وتنشيط الروح الديموقراطية فيها وكسب عطف الشعب الالمانى بابداء شيء من التساهل فى مشكلة التعويضات وبمنح بعض قروض مالية كتلك التى طلبها المستشار الالمانى بروننج من المسيو ميليران . ولكن أقطاب زعماء اليمين أبوا إلا المضى فى سياستهم التى أفضت إلى توتر أعصاب الالمان وقيام الحكم الديكتاتوري النازى

وعند ماطغت الموجة النازية على المانيا ، لم يكترث لها الفرنسيون أول الأمر يقينا منهم ان تسلحهم الهائل قد جعلهم فى مأمن من كل اعتداء . ولكن شعورهم باستفحال خطر النازى شيئا فشيئا دفعهم آخر الامر إلى التفكير فى حليف غير بريطانيا وهكذا اتجهوا بأبصارهم نحو السوفييت

أما انجلترا فقد نامت على أكاليلها فى غضون ذلك واطمأنت إلى المانيا المجردة من الأسطول ووضعت جل اعتمادها على عصبة الامم فى معالجة الشئون الدولية ثم كفت هى نفسها عن التسلح غير حاسبة حساب الغد ، وأرادت بريطانيا أن تقر السلام فى أوربا على طريقتها وان تدفع فرنسا إلى تخفيض سلاحها تفاديا من اصطدامها بالمانيا وخشية ان تعود النزعات العسكرية فتضطرم فى صدور الالمان ، فدعت لعقد مؤتمر عام لتخفيض السلاح

وعقد المؤتمر فى ٢ فبراير عام ١٩٣٢ ولم تكد تدخل اللجان فى التفاصيل الحربية الفنية حتى ظهرت الخلافات بين الوفدين الفرنسى والألمانى ، ثم انتهت بأن صارح المسيو لويس بارتو كبار المندوبين الانجليز بأن الوفد الفرنسى متأهب للبحث فى تخفيض السلاح تخفيضاً عملياً إذا أعلنت بريطانيا استعدادها لضمان سلامة فرنسا . . . رفض الانجليز هذا الطلب حرصاً منهم على عدم تجديد نظام المحالفات الذى أفضى الى الحرب ، ورغبة فى عدم استفزاز المانيا ، وتهربا من ضرورة التسلح التى كان لا بد أن يقضى عليهم بها ضمان سلامة فرنسا وما يترتب عليه من اثارة سخط الألمان

ومنذ ذلك اليوم بدأت فرنسا تفكر تفكيراً جديا فى عقد محالفة مع روسيا تحل محل التحالف الفرنسى الانجليزى القديم

وكان من جراء حبوط مؤتمر نزع السلاح أن انتهز هتلر الفرصة وأعلن التجنيد الاجبارى وشرع فى احياء المانيا العسكرية . وخشيت انجلترا عواقب هذه الحركة فأسرعت كعادتها تخطب ود

المانيا فعقدت الدولتان اتفاقا بحرياً يكفل تفوق انجلترا ويرضى بعض المطالب الالمانية فى عالم البحار

وكان موسولينى قد أحس فى خلال ذلك بضعف مركز فرنسا وقلقها وحيرتها ، فتطلع بأبصاره الى تونس وجعل يهدد ويتوعد ، فاجفل الفرنسيون واستشعروا خطراً داهماً جديداً فلم يترددوا وأقدموا على تنفيذ خطة كانت فى الحق أروع عمل سياسى قامت به فرنسا عقب الحرب الكبرى

أراد الفرنسيون اصابة ثلاثة أهداف :

الأول ـ عقد محالفة مع روسيا

ثانياً ـ مساعدة ايطاليا على تحقيق مطامعها الاستعمارية على حساب انجلترا

ثالثاً ـ التوسل بهذه الخطة لجلب انجلترا الى صف فرنسا

وعهد بتنفيذ هذه السياسة الى المسيو لافال . ولقد عقد لافال بالفعل اتفاقا مع روسيا يشبه فى جوهره التحالف العسكرى ، ثم أطلق يد موسولينى فى الحبشة ، ثم بذل قصارى الجهد لتعطيل إجراءات عصبة الأمم ، وشل آلة العقوبات ، ومنح موسولينى الوقت الكافى لغزو البلاد الحبشية

ولكن هذا السلاح الذى استخدمه الفرنسيون كان سلاحاً ذا حدين . إذ ما كادت تشعر المانيا بفوز الايطاليين حتى انتهزت الفرصة وزحفت واحتلت منطقة الرين التى كانت قد جردت من السلاح بحكم معاهدة فرساي

وأما موسولينى الذى كان يخشى غدر البريطان ويتوق لحملهم على الاعتراف بفتح الحبشة واجبارهم على عقد تسوية تضمن سلامة امبراطوريته ويمكن أن يفيد منها بعض قروض مالية تعاونه على انعاش الحياة الاقتصادية فى بلاده ، موسولينى الذى أحس ضعف الانجليز وأحب أن يساومهم تحت ارهاب القوة ، أثار الحرب الاسبانية الأهلية وحصن الجزر الايطالية فى البحر المتوسط ، وعزز محور (روما ـ برلين) فأدرك الانجليز عظم الخطر على مواصلاتهم ، فعادوا الى صداقة فرنسا الدولة الثانية الكبرى فى البحر المتوسط ثم اهتموا بتعزيز سلاحهم ثم عقدوا مع الايطاليين اتفاق الجنتلمان ثم شفعوه بالاتفاق الأخير الذى لن يدخل فى حيز التنفيذ إلا بعد أن تفوز ايطاليا من حكومة لندن بالقروض التى تنشدها ، مقابل سحب متطوعيها من أسبانيا

وظل هتلر يرقب مجرى الحوادث ويضاعف تسلح المانيا ويوثق روابط محور (روما ـ برلين) ويتهيأ لاقتناص غنم جديد ملوحاً بالحرب قبل أن تستكمل بريطانيا تسلحها ، حتى واتته الفرصة وابتسم له الحظ . وأراد موسولينى الفوز فى اسبانيا لجيش الجنرال فرانكو وتباطأ وتلكأ فى سحب المتطوعين الايطاليين ولم يشأ فض المشكلة الاسبانية إلا بعد الظفر بما ينشد من قروض

وخشيت فرنسا على حدودها ومستعمراتها فى افريقيا الشمالية من سيطرة الايطاليين على اسبانيا فمدت جيش الجمهورية بالسلاح . وأصرت بريطانيا على عدم تنفيذ الاتفاق الانجليزى الايطالى الا بعد انسحاب المتطوعين الايطاليين ، فتعقدت الحرب الاسبانية وطال أمدها وأوجدت بين دول البحر

المتوسط علاقات دائمة التوتر سرعان ما انقلبت لمصلحة المانيا

شعر موسوليني ـ وهو المرهق بنفقات الحرب الحبشية ـ أن حرب اسبانيا تستغرق من موارده ما لا قبل له باحتماله طويلا ، فأحب ان يرغم البريطان على التعجيل بتنفيذ الاتفاق الانجليزى الايطالى بصرف النظر عن مسألة سحب المتطوعين فاوعز الى عميله الجنرال فرانكو بمهاجمة السفن البريطانية فى البحر المتوسط . وهذه القوة التحدية التى ظهر بها موسوليني أدرك الانجليز أنها مستمدة من متانة محور (روما برلين) فارادوا أن يتصدع هذا المحور . أرادوا إرهاب ايطاليا فاعلنوا قبل قيام وزير خارجية فرنسا المسيو دلبوس برحلته فى أوربا الوسطي ، أن شئون أوربا الوسطي لا تهم بريطانيا بصفة مباشرة ، ثم أوفدوا اللورد هاليفاكس الى برلين . وعندئذ اى عقب زيارة اللورد بايام معدودة ، زحف الألمان فى سكون واحتلوا النمسا وضموها الى حكومة الريخ . . .

وهكذا فاز الألمان بربح جديد وأفادوا من ضعف انجلترا حيال حرب اسبانيا ، ما أفاده الايطاليون من ضعفها واختلافها مع فرنسا حيال حرب الحبشة

وغضت انجلترا الطرف عن احتلال النمسا الذى أقام الجنود الألمانية على حدود ايطاليا ، واعتقدت أنه سوف يرهب موسوليني ويفضى الى تصدع محور (روما ـ برلين) واسراع ايطاليا بفض الشكلة الاسبانية وفق رغبات الانجليز . ولكن موسوليني ثبت في موقفه وأيد شرعية الاحتلال الألماني ولم يبدل سياسته فى أسبانيا ، بل على النقيض استند الى تضخم حليفته المانيا كى يقف من الشكلة الاسبانية موقف المراوغة المملوء بالعناد والتصلب . وأما هتلر فقد أطمعه نصره فى المزيد واستخف بالجبهة الديموقراطية التى تعطى ولا تأخذ ، وتعنو ولا تقاوم . أطمعه نصره فأثار بدوره شبه حرب أهلية فى منطقة السوديت ، ثم هدد باستخدام القوة فكانت النتيجة غنما جديداً على حساب تشيكوسلوفاكيا التى أعدها الفرنسيون والانجليز لتكون مخفراً تجاه التوسع الجرمانى

والآن فى وسعنا أن نجمل الأسباب السياسية التى أفضت الى تمكين الجبهة الديكتاتورية من الحياة والتوسع وتهديد الجبهة الديموقراطية ، فيما يأتى :

أولا ـ سوء ظن الانجليز بفرنسا المتنمرة وتنصلهم من ضمان سلامتها ومحاولتهم احياء المانيا نزولا على مبدأ التوازن الاوربى

ثانياً ـ محاولة فرنسا الاستغناء عن الضمان الانجليزى والاحتفاظ بسلامتها على أساس تطويق المانيا بشبكة من المحالفات مع دول أوربا الوسطى وجمهورية السوفييت

ثالثاً ـ امتناع الانجليز عن الاتفاق على التسلح طول مدة وزارة مكدونالد

رابعاً ـ نسف فرنسا لمؤتمر نزع السلاح

خامساً ـ تشجيعها ايطاليا على احتلال الحبشة بتعطيل عصبة الأمم والقضاء على نفوذها

فأنت ترى مما تقدم أن السبب الرئيسي فى ازدهار قوى الجبهة الديكتاتورية ، يرجع الى الخلاف

السياسي الجوهري الذي نشب عقب توقيع معاهدة فرساي بين الديموقراطيتين الكبيرتين

ولكن هاتين الديموقراطيتين قد تحالفتا اليوم وكلتاهما غنية بمواردها مطمئنة لسيطرتها على البحار ، فما السر إذن في مسلك الضعف الذي سلكتاه حيال هجمات الديكتاتورية وانتصاراتها ؟

السر في ذلك أن انجلترا لم تستكمل تسلحها بعد ، وان السلاح الجوي الفرنسي ما يزال ضعيفاً ، وأن انتصارات الديكتاتورية ليست ـ في الوقت الحاضر ـ من الخطورة بحيث يمكن أن تهدد مصالح انجلترا وفرنسا وتدفع الى حرب عامة وتوصد أبواب التفاهم في وجوه الساسة أنصار السلام

ان المانيا برغم احتلالها منطقة الرين لا تستطيع تهديد سلامة فرنسا . وبرغم احتلالها النمسا وبلاد السوديت لاتستطيع كفاية نفسها من الخامات اذا ماتورطت في حرب طويلة ، وايطاليا الفقيرة في الفحم والبترول تخشى الحرب وتتجنبها وتقف من المأساة الاسبانية موقف المساومة والحرص على استغلال مافيه أكبر مصلحة لامبراطوريتها الناشئة

وأما انجلترا فماضية في التسلح لا ينافسها في البحار أحد ويعزز الاسطول الفرنسي سياستها ومصالحها في البحر المتوسط . وأما فرنسا فما تزال حليفة انجلترا وقد يزداد نفوذها غداً على رومانيا ويوجوسلافيا وبولونيا أيضا ، ولا سيا بعد إذ شاهدت هذه الدول ما حل بتشيكوسلوفاكيا

فكفة الديمقراطية راجحة ، ومصالحها الحيوية مكفولة ، ولا شيء يدعوها الى اثارة حرب هائلة . ولكن ماضيها الحافل بصنوف الضعف ما ينفك يطمع الغير فيها . ولقد أصبح الخطر كل الخطر في تكرار حوادث هذا الماضي والأخذ بسياسة التقهقر واخلاء الطريق

ان الرجل الغني المتسامح المكتظ قد أسرف في اباحة الغير بعض نفسه وماله ، وبلغ من التساهل مرحلة لو تجاوزها لبات نهباً مقسماً للجميع . فالديموقراطية قد ذهبت مع الجبهة الديكتاتورية الى حد من التساهل يفرض عليها أن تختار أحد طريقين : اما تسوية عامة شاملة واما الحرب

إذ كل تراجع بعد خطوة السوديت يصيب المصالح الديموقراطية في الصميم ، وكل توسع المانى جديد في أوربا الوسطى يقضي على سلامة فرنسا وعلى مبدأ التوازن الأوربي ، وكل توطد للنفوذ الايطالى في اسبانيا يعرض المواصلات الانجليزية الفرنسية لأشد الأخطار

وقد أدرك موسوليني هذه الحقيقة فدعا في احدى خطبه الأخيرة لعقد تسوية أوربية عامة . ولقد لبى تشمبرلن دعوة الديكتاتور الايطالى وأخذ على عاتقه تنفيذ سياسة السلام

فهل ينجح تشمبرلن ، وهل يستطيع وضع حد لمطامع الجبهة الديكتاتورية ، والبحث عن حل وسط يوفق بين مطالبها في التوسع وبين مصالح انجلترا وسلامة فرنسا وأمن الدول الصغيرة وتحقيق التوازن الاوربي ؟ . الواقع أن مصير أوربا والعالم أصبح رهنا بسياسة تشمبرلن فاما الى نصر عزيز ثابت الاركان واما الى هزيمة مروعة وحرب لم يشهد لها التاريخ مثيلا !

ابراهيم المصري

سجل الأيام

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

(١) الشئون الداخلية

الضرائب لعل أظهر مظاهر حياتنا الاجتماعية والاقتصادية الآن يقوم على الضرائب القادمة وعلى ماقى الامة من مقدرة على تحملها

أما ان الضرائب شر لابد منه فأمر معروف ولكنه ينقلب خيراً فى كثير من الاحوال فى هذا العصر الحديث

فقد كانت الضريبة مكروهة يفر منها المرء غنياً كان أم فقيراً لأنها كانت تجبى من مال الشعب ليملأ بها الحاكم جيوبه ويوزعها على شئونه وشئون حاشيته من غير ما حساب أو رقيب . ولم يخلق الله فيما خلق أمراً يحكم بأمره ويتهيأ له المال يبتزه من جيوب الناس الا أساء انفاقه واستعماله . وكان الحاكم شيئاً وكان الشعب شيئاً آخر

فبعدت المسافة بين الفريقين ، وحل الحذر فالخوف فالكره محل الثقة بينهما ، وكانت جباية الاموال تزيد الامر ضغثاً على إبالة

ولعل الشعب الانجليزى أول من علم كيف يفيد من رغبة الحاكم فى الانفاق وتصدى الاهالى للوقوف فى وجه هذه الرغبة أو يشاركونه أمره

حتى آل الامر الى ما نحن عليه الآن فى جميع البلدان المتمدينة حيث يقوم الشعب بلسان وكلائه المنتخبين حسيباً رقيباً على جباية المال وعلى انفاقه

ولما كان المفروض أن الحاكم لم يعد مطلق الرأي والعمل ، وصار الامر للهيئة المحكومة ، أصبح انفاق المال كله أو معظمه فى سبيل الهيئة ، إما دفاعاً عنها أو إمعانا فى تهيئة أسباب العيش والرخاء لها

وهذا هو السر فى أنك ترى الشعوب الراقية تتحمل الضرائب بصبر وتقرها عن طيب خاطر لعلمها انها تجبى منها لتنفق عليها

وانك مهما تحكم فيك البخل فلست بكاره ان تنفق مالك على نفسك ، والشعوب كالبخيل تحب أن ترى أموالها بين أيديها

فالحكمة كل الحكمة تقوم عند الحكومة فى تفهم هذه الأولية : المال مال الشعب ، وانفاقه يجب ان يكون فى مصلحة الشعب

والمصلحة تقوم فى عدم التمييز بين أفراد الشعب حتى لا ينفق المال على فريق ويمنع عن فريق ، ولا يغدق الخير فى ناحية ويقتر فى ناحية أخرى

عند ذاك لا يستاء الذين يؤدون الضريبة ولا يفرون منها

وعندنا ان العدل ـ أو بالحرى حسن القصد ـ فى توزيع المال يقوم مقام العدل فى ضرب الضرائب

فالعدل فى الضرائب مستحيل ، ولذا تتوخى الحكومة العاقلة تجنب الارهاق ولو فى الظاهر وتتوخى على الأخص أن تنفق فيما هو بين انه لفائدة المجموع

عندئذ يطمئن الناس ويتعزى الذى تذمر وتململ عند التأدية إذ يرى ماله منفقا فى سبيله

ولكن الحكومات ناس يخطئون ويصيبون فلابد من رقيب يقوم بالنقد تارة وبالمساعدة أخرى وهنا تتجلى فائدة الهيئات المنتخبة الشعبية

فانها والمال مالها ويد الحكومة تمد الى جيوبها تصبح مدفوعة إلى مراقبة هذا المال ومحاسبة القائمين على انفاقه حساباً عسيراً

وقد كان لنا فيما مضى يسر ألفناه فحسبنا المهارة الاقتصادية تقوم أبداً دائما فى الانفاق وفى استنباط مشروعات تستدعي هذا الانفاق

وأما الآن فقد انقلب اليسر عسراً أو كاد ، لضعف مقدرة البلاد على تموين الخزينة بالسهولة الماضية

فكان حتما على الحكومة ان توزع الضرائب توزيعاً يقرب من العدل مااستطاعت الى ذلك سبيلا وأن تنوع فيها وتزيد ، وأمامها تبعات مرهقة لابد من مواجهتها

وصار فرضاً لا مناص منه على البرلمان أن يضمن للخزينة دخلها باقراره الضرائب ، وهنا تزداد الاعباء التى عليه وتنيخ بكلكلها على كاهله لان الأمر يعدو اقرار الضرائب الى ماهو أخطر ـ أعنى مراقبة انفاق الدخل والتوفر على جعل الحكومة تشعر بأن المال مال الجميع وأن عليها انفاقه فى سبيل الجميع

وليس المقام مقام نصح وابداء آراء تنير السبيل أمام الحكومة فرجال الوزارة الحالية من خيرة الرجال فينا ، ولنا فى وزير المالية وزميله وزير الداخلية عاملان عرفا حقيقة الحياة المصرية لم تسربلهما الروح الديوانية ، ولم يعرف عنهما الا النزاهة فى القصد والعزم فى تسيير الامور ، ومن كان هذا ماضيه اطمأن له رجل الشارع ونام ملء جفنيه لا يخاف ظلما ولا يخشى ارهاقا

قلنا قد يكون فى الضرائب خير من حيث هى فى الاصل شر . وهذا الخير يجيء من تنبيه

الهيئة المنتخبة وزعزعة استكانتها . فهي اذ يطلب منها المال تفيق وتطلب عنه حساباً عسيراً ثم تطلب من ولاة الأمور نزاهة لا يرقى اليها الريب حتى لا تمس أموالها ، فتعلو الروح العامة وتتظف ويعلم الممولون انهم هم أصحاب الشأن من قبل ومن بعد ، وأن الصراط المستقيم لخير آلات الحكومة ، واذ ذاك يتحقق الحكم الصالح

فاذا أراد أنصار الانظمة البرلمانية خيراً بها فليس من سبيل إلى ذاك أقوم من قيامها على مراقبة وضع الضرائب وأخذ الجباية

ان أحسنت الأمر أخذت المقاليد الى يدها فيتم لها الأمر بعد ذاك في كل شيء أسوة بما حصل في انجلترا منذ بدء اختلافهم على الضرائب مع الملك حتى الآن فاذا أنظمتهم البرلمانية هي الكل في الكل

(٢) الشئون الخارجية

نظرة في حالة أوربا

لا بد لنا من الرجوع الى ما حصل في عالم السياسة الأوربية بعد ١٩١٨ حتى نستطيع تقديراً لهذه الحوادث التي تمر بنا الآن وتكاد تدنينا من حرب أخرى لا تبقى ولا تذر

ولا يجب أن يغرب عن بالنا أن قيادة أمور الناس يتناولها من ليسوا أهلا لها في كثير من الأزمنة والأحوال ، وأن للعزم قوة تأتي على قدرها العزائم ، وان أنجح أسباب النجاح هو النجاح نفسه ، وأن في هذا المضطرب الواسع الذي يسمونه الدنيا مجالا لكل العوامل النفسية والاقتصادية ، وأن الزعامة لا يحسن تسلمها إلا من تجرد عن نفسه ووضع لها مثلا ومطمحاً لا تتحول عنه وعرف نفسية الجماهير فاسلموا له القياد

هكذا كان العالم منذ البدء وهكذا سيكون حتى يتغلب العقل المجرد على كل أعمال البشر وليس هذا اليوم بقريب

***

عند ما وضعت الحرب العظمى أوزارها ظن الفرنسيون أن قد أزفت ساعة جرمانيا وأنهم سيدخلون مع حلفائهم برلين ، ويعيدون الشعب الجرماني سيرته قبل بسمرك فيتم للسياسة الفرنساوية ما ظلت تسعى اليه من عهد كبيرهم ريشيلو حتى الآن — من تقطيع أوصال الأمة الالمانية دولا تتنافس فيما بينها فتأمن شر تألبهم كتلة واحدة عليها

ولكنهم أرادوا شيئاً وأراد حلفاؤهم الانجلو سكسون شيئاً آخر . أما القسم الانجليزي من هذا الجنس فغلبت عليه نعرته التقليدية وبدأ عقب توقيع الهدنة في مساعدة المانيا على فرنسا وإفهام زعمائهم أن يقبلوا امضاء أي عهد يطلب منهم ابرامه على أن يكونوا في حل من نقضه غداة توقيعه ،

وهم فى ذلك مسوقون بعامل التقليد فى سياستهم على أن لا تقوى دولة واحدة فى أوربا ، وبعامل الاعياء الذى انتابهم وانتاب العالم كله ، وبعامل الرغبة فى لم شعثهم الاقتصادى . ولكن أهم العوامل وأخصها كان الغباوة المأثورة عن هذا الشعب المسيطر على العالم، فلم يدرك الرجال المهيمنون على سياسته أن لقوة فرنسا حداً لا خوف منه ، وأما ارخاء العنان للالمان فخطر لا يدانيه خطر

وأما القسم الاميركى فعارض الميل الافرنسى أيضا بعوامل هى غير العوامل الانجليزية

فقد كان زعيمهم ولسن متشبعاً غرقان الى ما فوق أذنيه بمبدأ تقرير المصير وبحق الشعوب فى اختيار حكوماتها فصدت عن سماع المنطق الافرنسى

وأخوف ما يخافه الفرنسيون طغيان العنصر الجرمانى وتوسعه على حسابهم وقد يجتاح بلادهم حين تضيق به جرمانيا

فلما أبى حلفاء فرنسا عليها مطلبها ثم عادوا وأبوا ضمانا وتعهداً بأن يطيروا اليها اذا أبدى لها الالمان نواجذ الشر لجأت فى عقد فرساى الى ضرب نطاق من الدول حول المانيا ، ثم لجأت الى محالفتهم وتسليحهم فجاءت بعد هذا المخاض بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا ورومانيا الكبرى

ولم يراع فى تكوين هذه الدول إلا أمران أولها الاحداق الحربي بالمانيا اذا تراءى لها لم شعثها ، وثانيهما اقرار المصير على قاعدة ولسن ما استطاعوا الى ذلك سبيلا

ولكنهم لم يوفقوا فجاءت تشيكوسلوفاكيا خليطا من اقوام شماميط ، وجعلوها بحيث تكون ذات جيش وعدة وسلاح بارزة فى قلب المانيا

وليس فى الدنيا من يلوم فرنسا على ما فعلت فسلامة الامة مطمع أول لكل حكومة خليقة بالاسم

ولكن الالمان قوم ذوو حزم وعزم يأبون الضيم ولا يرجعون دهرهم عن بغيتهم القصوى ألا وهى ارجاع المانيا وحدة قوية ، وهم لم يكسر جيشهم كسرة حقيقية كانكسار الافرنسيين فى سنة ١٨٧٠ مثلا

لذلك بدأوا بعيد توقيع الهدنة فى تنظيم أمورهم ولم شعثهم ، ولهم فى ذلك طرق وأساليب ليس هنا مجال التوسع فى بيانها

كل ذلك وعيون فرنسا متيقظة مفتوحة ولكنها عاجزة عن غير الكلام والاحتجاج ، لا تؤيدها الدول الاخرى وتثير فيها الأنظمة البرلمانية حروباً داخلية مصغرة ، وعيون الانجليز مقفلة أغلقها سكوت الالمان عن اهاجة ما يثير ريبتها باقلاعهم عن مطامع بحرية أو مطامع تتجه نحو الشواطىء الاوربية التى تواجه الجزر البريطانية — فجردوا أنفسهم من السلاح عامهم ينظمون ما اعتل من شئونهم الاقتصادية أولا ، وعسى العالم أن يتبعهم وتجوز عليه حيلتهم

ولكنها كانت حيلة مفضوحة جازت على الشعب الانجليزي ولم تجز على موسوليني ولا على

القيادة الالمانية . فأخذ الالمان والطليان فى التسلح جهراً وسراً وفى البر والبحر والهواء

واذا بانجلترا تفيق فتجد عامودها الفقرى مهدداً فى اسبانيا وفى البحر الاحمر وفى طريقها الى امبراطوريتها واذا بفرنسا حائرة لاتدرى كيف تتجه فسارت وراء انجلترا

فما هى سياسة الانجليز الآن وما هو غرضهم

ان استطعنا تفهمها أدركنا كنه المسألة الاوربية التى تعترض سبيل العالم الآن

فقد يظن الكثيرون أن فى السياسة الانجليزية سراً لايستطيع استجلاءه إلا الراسخون فى العلم، وأن هؤلاء الساسة الانجليز دهاة لا يشق لهم غبار ، بعيدو النظر شديدو الحذر ، لاينامون ليلهم إلا على خطة مرسومة يضعونها ولا يصل اليها الباحثون ولو جهدوا

والامر على نقيض ما يظنون ، والانجليز وسياستهم من السذاجة الطبيعية بحيث يعلمها كل من يأخذ الامور على حقيقتها ولا يفتش على خفايا لا أثر لها إلا فى مخيلته

سر السياسة الانجليزية فى موقعهم الجغرافى

فانجلترا ليست من أوربا فى عرفهم وهى جزء من أوربا فى عرف بقية الاوربيين

اذا أشار الانجليزى الى شعوب أوربا قال سكان القارة ، واذا تحدث عن أوربا قال القارة ، فيجعل نفسه بمعزل عنها دماً ولحماً ومصلحة ، ولكنه قريب منها تكاد شواطئه تمس شواطئها فتراه لا بالمطلق ولا بالمعلق

وهو يكاد يختلف عن الاوربيين فى كل شىء : دمه خليط من السلت والنورماندى والسكسونى ، ومذهبه فى الدين يكاد يكون رومانيا ولا استقلاله عن رئيس البابوية واقرار الرياسة فى الجزيرة

وقد كان بمنجاة من معظم الحروب الداخلية فى أوربا فهيئت له السبل ـ ومهد له البحر ـ أن يشق سبيله الى ما بعد من أنحاء العالم فاذا به صاحب امبراطورية لا تغيب الشمس عنها فزاده الأمر بعداً عن القارة الأوربية

وانك لا تخطىء اذا قلت ان الانجليزى أقرب الى الاميركى والى الكندى والى الاسترالى منه الى أى أوربى فى قارة أوربا

لذلك لبست سياستهم هذا اللباس . فهم لا يهمهم من أمر أوربا شىء . لا صديق لهم فيها ولا عدو . اللهم إلا أن تطغى دولة فيها وتقوى بحيث تستطيع تهديد الشواطىء الانجليزية فعندها يتألبون عليها مع خصومها الأوربيين فاذا ما تم لهم النصر انقلبوا أعداء لأصدقاء الأمس أو أصدقاء لأعداء اليوم ـ ولذا لقب الاوربيون سياستهم بأنها نفاق وكذب وغدر بالوعود . وهى ليست فى شىء من ذلك ! وقد تكون كل ذلك أسوة بكل السياسات العالمية

هى فى عزلة الى أن يهدد مهدد هذه العزلة فتدفع بالتي هي أسوأ وبالتى هى أحسن الى أن يتم لها الرجوع الى عزلتها

ولقد مهدت لها هذه العزلة وهذه الامبراطورية المترامية الأطراف شيئاً لا بد منه لمن يبغي الاحتفاظ بهذين الامرين ذلكم هو الاسطول أو سيادة البحار ، وهذا هو السر الثانى فى سياستهم . وسيادتهم البحرية أصبحت الآن بمقام الضرورة الملحة لأنهم انقلبوا شعبا صناعياً يطلب طعامه من وراء البحار فاذا ضاعت سيادتهم هذه جاعوا

ولهذه السيادة البحرية غرض آخر هو المحافظة على الهند

فتراهم لا يأبهون الا لما فيه بقاءهم وبقاء ملكهم وليست الرقعة الاوربية الا شطرنج يتحرك على هوى تحرك منافعهم

فلا تطمع من السياسة الانجليزية أن تكون حليفة هذه الدولة أبد الدهر أو عدوة لتلك دائماً ، بل هى تارة هنا وتارة هناك حتى تتوازن القوى

وهى تحسب نفسها بمعزل عن القارة الاوربية ما دامت الشواطىء التى تواجهها تحتوى دولا صغيرة على الحياد

وقد تخلقوا بخلق مركزهم الجغرافى فهم لا يقيمون للمنطق وزناً فى سياستهم وفى أعمالهم بل يتكيفون على هوى الامور حسبما تطرأ وعلى طبق الامر الواقع إذا تحتم

قاعدتهم فى ادارة امبراطورية لم ير العالم بقعة من الدنيا تدانيها ، مركزة على « التسوية » وتكييف الاساوب على منطق الحياة . بعيدون عن الذكاء ، حذرون من النباهة ، قلقون من طلاقة اللسان وذرابة المنطق، تجار ينظرون الى الامور كما تجيء ولا أرب لهم فى تكييفها على هوى لهم أو مثل يتاسونه ، فكأنه قد صح فيهم قول أحدهم من أنهم سلالة الاسباط العشرة من متشردى اليهود، فلا يجعلون من الشيء مبدأ ثابتاً ولا يسعون الى الكمال وهذا هو سر نجاحهم . فالدنيا ـ سواء فى ذلك الفرد أم الجماعة ـ للذى يبعد عنه الذكاء ويأخذ نفسه بتكييفها على المحيط ويجعلها طبقاً لما يجيء لا لما ينبغى أن يكون

فاذا أنت أدركت ان نظام « التسوية » هو الكل فى الكل عندهم ، هو قاعدة دستورهم وقاعدة تجارتهم ، أدركت كيف لا يجزمون فى أمر ولا يحزمون ، ولكنهم يخرجون من كل مأزق بعدة يومهم تاركين للغد شره ، فالتسوية Compromize كانت عمادهم فيما عقب الحرب العظمى من شئون دولية ، والتسوية هى رائدهم فى أحاديثهم مع موسولينى بالامس ومع هتلر اليوم . فاذا أخذت عليهم كيف أعماهم البله فلم يدركوا عاقبة أخذهم بيد الالمان منذ سنة ١٩١٩ حتى أمس كنت مخطئاً فانهم ينظرون الى المانيا نظرهم الى فرنسا أو الى أى بلد آخر ـ نظر مصلحة مؤقتة

فاذا اطمأنوا الى أن توسع المانيا لا يضيرهم الآن لتجنبها شواطئهم ومضاهاة اسطولهم وأنه قد

يجعل من كبر رقعتها الاوربية حافزاً يجعل اللاتين والسلاف فى خطر فيتألبون عليها وتبقى هى المرجحة الفاصلة فى خصومتهم ، كانوا بذلك قد عالجوا خطراً طارئاً ووقفوا وقفة رجل محب للسلام ساع لتنكب الحرب ، على حين أنهم لم يأخذوا أهبتهم تامة بعد وعلى أنهم اذا اعتدوا بكرامتهم فحاربوا لجازفوا بكل مالهم من امبراطورية وكيان

وهذا البريطانى الساذج ولد تاجرا وهو هادىء الاعصاب اسرائيلى السليقة ينادى بالمبادىء السامية وبالخلق العالى ويعمل كل ما علمه ميكافيلى لرجال السياسة فى سكينة واطمئنان

فالحرب التى يدعى تشمبرلن أنه تجنبها انما أخرت الى ميعاد . واهداره كرامتـه فى سبيل السلام لم يكن إلا عجزاً عن مقارعة الخصوم

وأما خصمه الخليق باللقب فليس هو الآن بهتلر بل هو هذا الذى يهـدد مواصلاته فى البحر المتوسط ويدعى أنه وريث الامبراطورية التى وضع يده عليها الاسد البريطانى حقبة من الدهر طال أمدها ، وأن هناك لخصما آخر أعز نفراً وأقوى شكيمة ينازعه السيادة فى الشرق الاقصى ، فلا دولة الاميركان تتحرك للنجدة وليس لديه ملكوت الارض ليقف فى وجه عدو مفاجىء هنا وآخرمداج هناك

لذلك كانت السياسة الانجليزية واضحة لا سر فيها ــ سياسة رجل أخذ على غرة بعـد أكلة نهمة أنامته فاستفاق فوجد ماله وبنيه فى خطر داهم فأخذ يماطل ويستجدى الوقت عساه أن يعيد قوته وعساه أن يجد له عوناً أو عساه ان يبيع الصديق الضعيف شراء سكوت القوى ، ولـكنه لن يضيع رشده الآن ليبرز الى الميدان مخافة ضياع ما ملكت يداه

سامى الجريديني

المانيا وعظماء العالم

يأبى الألمان الا أن يصبغوا كل شىء عظيم بالصبغة الجرمانية . ويزعم فريق منهم أن طائفة كبيرة من العظماء الأجانب انحدرت من أصل المانى . وقد جاء فى كتاب صدر حديثاً للدكتور فولمان أن ليونارد دافنشى كان المانياً وان اسمه الحقيقى فنكل ، وان ميكل انجلو انحدر من أسرة بونهروت الجرمانية ، وان فولتير كان المانى الأصل واسمه ارويه ، وديدرو كان المانياً أيضاً واسمه تياتروب واما السياسى الفرنسى ارستيد بريان فيزعمون أن اسمه الحقيقى براندت وانه من أصل المانى صميم ...

لاسبيل الى تحرير الشباب من المشكلة الجنسية الا بتوجيه أذهانهم الى بحثها من طريق العلم بحثاً قوامه الصدق والصراحة ومواجهة الحقيقة

الشبابُ المِصرى والمشكلة الجنسيَّة

بقلم الدكتور ابراهيم ناجى

المشكلة الجنسية فى مصر لها صبغة خاصة . وانه لمن الصعب على من درس فرويد وفهمه كما درسه أهل الغرب وفهموه أن يطبق ما أخذه عنه على المصريين . وفوق ذلك يجب على الكاتب المصرى أن يواجه هذه المشكلة بحذر كبير لما تنطوى عليه من التعقيد والخطورة



العلامة سيجموند فرويد يبسط نظرياته فى المشكلة الجنسية على ربوع العالم كلها

يعرف عشاق الأدب المسرحي مسرحية «الدائرة» للكاتب الانجليزى الشهور سومرست موم . انها من أهم مسرحياته وأكثرها انتشاراً وقد نقلت الى لغات عدة ومثلت ـ كما هى ـ فى أكثر بلاد العالم المتمدين . وهى تقوم على « فكرة » جنسية جريئة . ولقد فكر بعض الأدباء المصريين فى نقلها الى اللغة العربية أسوة بالامم الأجنبية فاعترضته هذه الفكرة الجنسية ، وعلم أنه من المتعذر بل من المستحيل أن يجيز المسرح المصرى ابداء فكرة على هذا النحو من الجرأة والخطورة ، أمام جمهور غير مستعد ـ من الناحيتين الثقافية والفكرية ـ لهضمها . فبدا له أن يغير المسرحية بحيث تنتهى الى ما تواضع عليه المجتمع المصرى من السنن الخلقية . ولكنه وجد فى هذا التصرف لوناً من ألوان الاعتداء على حرية الحقيقة وحرية العلم وحرية الفن ، فعدل وبقيت الرواية لم تترجم

وخطر لكاتب هذا المقال أن يترجم مسرحية رائعة للكاتب الفرنسي الشهير بورتوريش ، اسمها «الآلهة الحقيقيون» . فقامت فى وجهه عقدة جنسية هى صلب الرواية وأحسن ما فيها ، لما تستند اليه من الصراحة والجرأة ، بيد أنه أدرك استحالة قبولها على المسرح المصرى كالرواية الاولى ، فعدل أيضاً عن ترجمتها

وقد ضربت هذين المثلين لأبين استحالة قبول العقول المصرية لنظريات فرويد ، التى قلبت التيارات الخلقية فى أوربا رأساً على عقب . ولكن أى العقول أعنى ؟ ان الذين يختارون الروايات للمسرح المصرى يمثلون الفئة المثقفة فى مصر ، بل هم من أبرز علمائها وأشهر رجال الفكر فيها ، وأكثرهم يدرسون للشباب المصرى في الجامعة . ولست أشك فى أن جلهم قرأ فرويد كما قرأناه وأكثر ، وربما آمن بعضهم بما يبشر به فتأثر به ، ولكنه يتردد طويلا قبل أن يعلن رأيه فيه ويجهر بآرائه عنه . يتردد طويلا قبل أن ينشرها بين الشباب المصرى . وقد يهمس بها همساً بين أخص أصدقائه وتلاميذه ، ولكن ذلك يستحيل أن يخرج عن نطاق تلك الدائرة الضيقة

ومن المسلم به ان فى مصر نهضة تتناول الحياة من جميع نواحيها . وفى وسعك ان تقول عن هذه النهضة ما شئت : قل انها بطيئة ، أو قل انها غير منظمة ، ولكنك لا تستطيع ان تمارى فى وجودها . ومن آياتها البينات انك ترى الشاب ينزع الى الاستقلال فى الرأى والحرية فى التفكير لا يتقيد بشىء غير ما يوحى به العقل السليم والمنطق المتزن . أى انه لم يعد « يقاد » و « يلقن » و « يطبع » فى القالب الذى يراد له

ولقد مضى ذلك العهد ــ عهد الفكر المقيد والرأى السقيم المحدود ــ وأصبح الشاب يقرأ مستقلا وصار يناقش جريئا غير هياب

ان آية الآيات عند ما تبدو بوادر نهضة فى أمة من الأمم ان يتطلع الشباب الى ذلك الاستقلال الفكرى ، تطلعاً ان لم يكن فطريا بحتاً فهو غير مصطنع على كل حال . وأذكر على سبيل المثال ان لى زميلا مصريا كان يمتحن في الفلسفة فى جامعة لندن فعند ما سأله الممتحن فى مسألة من المسائل أخذ يسرد آراء الكتاب واحداً بعد الآخر ، فقال له الأستاذ ؟ « هذا حسن ، ولكنك ستعيد الامتحان مرة أخرى ، فاذا جئتنى المرة الآتية فانما تجىء لكى تعبر عن رأيك الخاص ، ولتشرح لى اعتقادك أنت لا اعتقاد آخرين »

ومما لا سبيل الى الشك فيه ان بوادر هذا الاستقلال الفكرى توجد اليوم فى الشباب المصري

فالشاب المصرى والشابة المصرية كلاهما قرأ فرويد وكلاهما توفر على دراسة شتى نظرياته فى العقل الباطن وتفسير الأحلام والتحليل النفسى والغريزة الجنسية . لم يقرآه فى الجامعة ، ولكن فيما يقرآن خارج البرنامج ، وفيما يقرآن ليوسعا دائرة المدارك التى تأبي فى يومنا هذا أن تظل محصورة ضمن نطاق ضيق صغير

نستطيع إذن ان نقرر ان أغلب الشباب المصرى فهم فرويد . منهم من قرأه فى لغته ، ومنهم من قرأه مترجماً ، ومنهم من قرأ ما كتب عنه وعن آرائه . ومنهم من قرأه كما هو صرفاً ، ومنهم من قرأه مخففا أو مقتضباً . ولكن منهم من لم يقرأ فرويد وانما قرأ عن المسألة الجنسية فى روايات جويس ولورنس وكاركو وأشياعهم

ومنهم من لم يقرأ هذا ولا ذاك وانما قرأ فرويد « معقما » أى قد انتزع منه مالا يجيز قبوله العرف والتقاليد . وسواء أ كان هذا أم ذاك ، فى وسعنا ان نقول ان المسألة الجنسية قد كشفت عما تحمله فى أطوائها من الاسرار لعدد غير يسير من الشباب المصرى المثقف

وبمعنى أصح نقول انها كشفت أكثر أسرارها بمقدار ما يمكن ان يباح فى مصر من هذه الأسرار . ولكن هل القراءة كل شيء ؟

كلا ! اذ يأتى أولا أثر تلك القراءة فى نفس القارىء ، ومقدار هضمه اياها ، ثم كيفية تطبيقها ، ثم مبلغ اذاعته لها . ثم مختلف العوائق التى تعترضه كلما حاول تطبيقها أو اذاعتها ، وتختلف تلك العوائق اختلافا كبيراً . فهناك الأب المتحضر الذى يجيز لولده شيئا ولا يجيز آخر ، وهناك الأب المحافظ الذى لا يسمح حتى بالهمس . وهناك الجمهور الذى يشترى تلك الأسرار خفية ، ويتهالك عليها قذرة مشوهة ، وتأبى تقاليده الموروثة أن يقبلها علانية مستندة إلى أساس علمى صحيح

وقد يسألنا سائل : هل فرويد هو كل المسألة الجنسية ، وهل فرويد هو الوحيد الذى يقرأ فى هاته المسألة ؟ وثمة سؤال آخر : هل نظريات فرويد مقصورة على المسائل الجنسية ؟ . . ونجيب عن هذين السؤالين بكلمة واحدة هي : كلا . . فالمسألة الجنسية ـ وبعبارة أدق ـ العلاقة بين الذكر والانثى قد شغلت أذهان البشر من يوم أن وجد الذكر والانثى ، والنظر اليها أمر اعتبارى ولاشك . فهو مختلف باختلاف البلاد والعصور . فالشيء الذى اصطلح عليه المصريون قد لا يصطلح عليه الفرنسيون أو الهنود ، وقد يباح فى زمن ومكان مالا يباح فى مكان وزمن آخرين

فالشاب مثلا يرى الشابة فى الصيف وهى تسير على شاطىء البحر تكاد تكون عارية فلا ينكر منها ذلك . وقد ينكره منها اذا ما رآها فى شرفة منزلها أو نافذتها فى منامتها كاشفة ذراعيها ونحرها

ولم يصنع فرويد أكثر من أنه تولى الحياة الجنسية بالتذليل والتحليل على أسس قوامها العلم الصحيح ، فلقد بين تطور الحاسة الجنسية من عهد الطفولة الى عهد الرجولة ، غير أنه توصل الى رد كل تفاعل الفرد مع غيره ومع البيئة الى هذه الحاسة وحدها ، وبالغ فى ذلك مبالغة قد لا نستطيع لها قبولا . ومن شاء أن يستزيد من ذلك فما عليه إلا أن يقرأ كتابة «السيكوباتولوجيا» (علم الامراض النفسية) فى الحياة العامة

ففضل فرويد والحالة هذه راجع الى أنه وفق الى صهر العاطفة الجنسية فى بوتقة التذليل ، وتتبع تطوراتها . ولكى نعطى القارىء فكرة واضحة موجزة عن نظرية فرويد نقول انه

قسم العقل الى طبقتين عليا وسفلى . العليا تدخلها الشمس والثانية يدخلها بصيص ضئيل من النور . وهى شديدة الشبه بمخزن مكدس باشياء كثيرة اذا قلبتها وجدت « الغرائز » ، و«التقاليد» و « الخصائص الموروثة » والميول ، والانعطافات والاشعاعات النفسية ، و « النزعات الجنسية» ومن بين هذه الأكداس تنبت شجرة هى شجرة « الذات »

تحاول هذه الشجرة أن ترتفع وتترك هذه العوائق فتهتدى الى منفذ لها فى السقف تصل منه الى الطبقة العليا حيث تجد ماهى فى حاجة اليه من شمس ونور . بيد أن النمو غير سهل ، والارتفاع تعوقه أشياء كثيرة . ومرجع ذلك الى تلك المخلفات والى « الرقيب » الذى ينمو مع الشجرة و « الرقيب الأعلى » الذى ينمو ليحاسب الرقيب الأول

كل هذه العوائق ، وكل هؤلاء الرقباء يؤدون معنى واحداً ، هو أن « الذات » مقيدة وأن الكبت مفروض على تلك الذات فرضاً لا تملك لنفسها بازائه حرية ولا خلاصا ، وبمقدار ما تلاق منه ،وعلى كيفية تفاعلها مع تلك القيود يتوقف بناء شخصيتها ، وعلى هذه الشخصية أن تتفاعل مع العالم الخارجى . هذا العالم الذى نطلق عليه اسم البيئة . وفى يقيننا أن مشكلة الشباب المصرى ان هى فى واقع الأمر إلا ذلك « الكبت » الذى يلاقيه ، وتفاعل شخصيته مع البيئة التى درج فيها

والذى يجب أن نعرفه أولا وقبل كل شىء ، هو أن هذا الكبت صراع داخلى أعنى أنه نضال قوى بين تلك القوى المتباينة التى تبيح هذا ولا تبيح ذاك ، فهذا الشاب المصرى مثلا يرى تلك الفتاة الحسناء فيثور النضال وتنشب المعركة . ذلك بأن حاسة الجنس تقول له فى وسعك أن توجه رغبتك الى هذه المرأة ، أما الرقيب فيقول له اتئد ، وتقول البيئة حذار حذار !

نحن فى مصر . نتخبط فى دياجير مظلمة لاتخلو من القسوة والتعسف . فها هو ذا شاب متعلم موفور الصحة موفور مطالب الشباب ، وها هى ذى شابة على جانب عظيم من الفتنة والسحر أباحت لها سنة التطور فى بلادنا أن تجلس مع الشاب فى دور العلم جنباً الى جنب . فان هى انصرفت بعد تلقى دروسها فالى منزلها تذهب تواً دون أن يتجاوز ارتباطها بهذا الشاب بضع كلمات عابرة . أما هو فعند مايجلس لاستذكار دروسه يلوح خيالها لناظريه ، وهى بدورها تحت قناع حيائها وتحت سياط الحاسة المسيطرة على الدنيا بأسرها تفكر فى « نصفها الثانى » فيكون مآل الاثنين الى كبت شنيع وحرمان يزلزل الأعصاب ، فيستحيل كيان كل منهما الى مجموعة الاعصاب المحمومة التى تئن تحت نير الكتمان المحتوم

مشكلة من أعضل مشاكل القرن العشرين هاته التى تحدثنا عنها ، مشكلة عصرية فى بلد شرقى غارق الى عنقه فى تقاليده . ولا حل لها فيما نرى إلا خطوة جريئة الى الامام فان كان ذلك متعذراً ، فالى الوراء . . ذلك بأن البقاء فى الحال التى نحن عليها الآن لا يتفق فى شىء مع الاتجاهات العالمية الحديثة

ابراهيم ناجى

النزعة الانسانية فى الأدب الحديث

بقلم الاستاذ فخرى ابو السعود

« ... فالأدب الحديث يمتاز بديموقراطية تمد لواءه على طبقات الشعب وأفراده ، وتهتم بمظاهر الحياة الانسانية فى أشد أحوالها اتضاعا ، وتدرس آمال النفس وآلامها فى صدور الساذجين من أبناء الطبيعة دراستها فى نفوس المثقفين وذوى الجاه ... »

شهد العالم منذ أواخر القرن الثامن عشر الى الوقت الحاضر تطوراً عظيما شاملا فى المجتمع والفكر والحضارة عامة ، بدأ أثره واضحاً جلياً فى الأدب الحديث ، واختلف به هذا الادب اختلافا جلياً عن الادب القديم . كان الأدب أحيانا رائداً وأحيانا معبراً عن هذا التطور . ونعنى بهذا التطور تلك النزعة الانسانية البينة الآثار فى الأدب ، اذ اتسعت فى عصرنا الحديث جوانبه ، واتسع لمواضيع من حياة الفرد والمجتمع لم يكن يتسع لها من قبل ، وشمل بعطفه من الناس والاحياء عامة من كان يغض عنهم الطرف ولا يراهم أهلا للالتفات

ففى القرن التاسع عشر ظهرت فى فرنسا وانجلترا طبقة متوسطة من رجال الأعمال الناجحين بدأت تزاحم طبقة الارستقراطيين على الثروة والمكانة والعناية بالآداب والفنون ، وبتأثير هذه الطبقة ظهرت القصة الحديثة فى الآداب الأوربية ولم تعرفها الآداب القديمة قط . ولم تزل هذه الطبقة تغالب الأرستقراطيين حتى انفجرت على يديها الثورة الفرنسية التى كان معظم قادتها من أبناء الطبقة الوسطى ، والثورة الفرنسية بثت فى أوربا وشتى بلاد العالم مبادىء الديمقراطية والحرية والقومية والاخاء والمساواة على ما هو معروف مشهور ، وصحب ذيوع هذه المبادىء الفكرية والسياسية ارتقاء الصناعة الحديثة التى وضعت أسس نهضتها فى أواخر القرن الثامن عشر كذلك ، وتلا ذلك ما تلاه من دعوات اصلاح أحوال الطبقة العامة وظهور مبادىء الاشتراكية وغيرها من المذاهب الاصلاحية ، والدعوات الى الرحمة فى معاملة البائسين والضعفاء والرفق بالحيوان وهلم جرا

ديموقراطية الأدب الحديث

كان الادب بوجه عام أرستقراطى النزعة فى العصور القديمة ، يلوذ بأكناف الملوك والأمراء والأغنياء ، ويتوفر عليه كثير من أبناء العلية كاتبين أو ناطقين أو قارئين . كذلك كان الأدب

العربي فى خير عصوره ، وكذلك كان الأدب الانجليزى فى عهد شكسبير . كانت الملكة اليزابث تنظم الشعر وكان أكثر حاشيتها ينظمونه ويقدرونه ويتعهدون الأدباء والممثلين برعايتهم ، وكان شكسبير نفسه يختار شخوص رواياته من بين الملوك والقواد والنبلاء ، ولا يكاد يلم بشخصية رجل من أبناء الشعب الا أن يتخذه أضحوكة ومادة فكاهة تقطع اتصال المواقف المفجعة في المآسى

كان الادب فى تلك العهود ارستقراطى النزعة مترفعاً عن الشعب ، حتى لقد كان الادباء أحيانا ينظمون فى لغة لا يفقهها الفرد العادي . فكانت العربية التى ينظم بها أبو تمام والبحترى وغيرهما غير العربية الدارجة فى الخطاب فى أقطار الدولة الاسلامية . وكان أدباء كثيرون من أدباء أوربا ينظمون ويكتبون باللاتينية ، أما الشعب فكان متروكا الى أقاصيصه وأزجاله وغيرها من ضروب « الفوكلور » الساذجة المفعمة بالخرافات التى يترفع عنها الأديب المجيد ويتسم سخرية منها

فلما فشت النزعة الديمقراطية ، وسمت منزلة الشعب التفت الادباء الى تصوير حياته ، والتأمل في أحواله ، والمطالبة باصلاح ظروفه والتنديد بالمساوىء التى يرضخ لها الفقراء والعاجزون ، ووجد الادباء فى حياة الفرد العادى في المدينة ، والفلاح الساذج فى القرية ، مادة للفن عديمة النظير . ولم يعودوا يترفعون عن الفوكلور ، بل استمدوه واستلهموه مناحج القول ووسائل التفنن والابداع ، وأقلع الأدب عن التشدق بأحوال الملوك والامراء ، فاذا اهتم بحياة عظيم فانما يهتم بتصوير حياة الابطال الشعبيين الذين خدموا أوطانهم أمثال لنكولن وجان دارك . وظهرت بجانب أولئك فى الروايات الحديثة شخصيات لا تحصى من ساذجى الفلاحين والعمال

فالأدب الحديث يمتاز بديمقراطية عدلوائه على طبقات الشعب وأفراده ، وتهتم بمظاهر الحياة الانسانية فى أشد أحوالها اتضاعا ، وتدرس آمال النفس وآلامها فى صدور الساذجين من أبناء الطبيعة ، دراستها فى نفوس المثقفين وذوى الجاه ، وتتجلى آثار هذه المسحة الشعبية فى كتابات دكنز ومريديث وهاردى وزولا وتولستوي وغيرهم من الكتاب الاوربيين الحديثين

الدراسات النفسية

والتفت الفكر الحديث الى النفس الانسانية ، وطالما شغل عنها بدرس الكون ، فارتقى علم النفس رقياً سريعاً وتفرعت له فروع شتى ، واشتد اهتمام الأدباء بدرس دخائل النفوس وأطوار الأفراد والجماعات ، وحفلت الروايات من تلك الدراسات بالشىء الكثير ، وفيما عدا الروايات التفت كبار الأدباء الى الترجمة لأنفسهم وتسطير ذكرياتهم ومشاعرهم فى شتى أطوار حياتهم ، كما اهتموا بالترجمة لغيرهم من الأدباء والعظماء ، وكل هذه الآثار حافلة بالدراسات النفسية والمتعة الانسانية التى تندر فى الأدب القديم

ولاهتمام الأدباء بالترجمة لأنفسهم وتصوير مختلف مشاعرهم تصويراً دقيقاً أمينا ، مقنعاً فى ثياب

أشخاص رواياتهم أو سافروا فى مذكراتهم ، امتاز الأدب الحديث بمسحة ذاتية كانت نادرة فى الأدب القديم ، وما أكثر الأدباء الذين لم يجيدوا غاية اجادتهم إلا فى الروايات التى قصوا فيها قصة حياتهم أو صوروا تجربة من التجارب النفسية التى امتحنوا بها فى ماضيهم ، ومن أمثلة آثار هؤلاء رواية رافائيل للامرتين ، وآلام فرتر لجوته ، وكثير من آثار تولستوى وولز وأناتول فرانس وغيرهم . أصبح الأدباء فى العصر الحديث شديدى الأنانية الأدبية ، كثيرى الاحتفال بأحاسيسهم وتجاربهم عظيمي الولع بتسجيل كل ذلك فى آثارهم الأدبية ، على حين كان كثير من الشعراء فى الماضى يفنون فى ممدوحيهم ويتجردون من شخصياتهم الى حد بعيد ، فالادب الحديث أكثر ذاتية وأقل موضوعية من الأدب القديم

أدب الحب والرحمة

ومن أهم مظاهر هذه المسحة الانسانية التي يمتاز بها الأدب الحديث احتفال الشعراء والروائيين بحياة الأطفال وعهد الطفولة ، فالأدب القديم الشديد الترفع عن الصغائر ، والتحرج من معالجة الوضيع من المواضيع ، كان يأبى له تعاليه فى التسامى والاعتداد بالعقل أن يعالج شأنا من شئون الطفولة التي هى عهد النقص العقلى والأوهام ، أما الأدب الحديث الذي وجد مادة طريفة فى حياة الدهماء الذين إن هم إلا أطفال كبار ، فلم يكن ليغفل الأطفال الصغار الذين تحفل حياتهم الساذجة بأشتات العواطف والغرائز الانسانية عارية مجردة ممتعة ، مساعدة على تفهم الطبع الانساني ، ومن ثم احتلت الطفولة فى الأدب الحديث منزلة رفيعة ، وكرست القصائد الرقيقة فى دواوين عظماء الشعراء أمثال ورد زورث وبليك للحديث عن طهارة الطفولة وجمالها وحفلت قصص كبار الروائيين أمثال هوجو وأناتول فرانس وبول بورجيه وتوماس هاردى وشارلز دكنز بديع الأوصاف لأحوال الطفولة والرثاء للاطفال الذين يشقون فى غفلة الطفولة وبراءتها

والقلب الذى يخفق حبا وحنانا للطفولة لا يقف جامدا أمام منظر صغار الحيوان من شتى الأجناس ، كما أن القلب الذي يشمل بعطفه جميع البشر بلا اعتبار للطبقات والجنسيات ، يشمل ببره الاحياء جميعا من وحش وطير وانسان ، واذا استثنينا نفرا قليلا من الشعراء الأقدمين كأبى العلاء المعرى ، فان الأدب القديم مقفر من مظاهر العطف على الحيوان التى يحفل بها الأدب الحديث : كان شعراء الماضى لا يحفلون بذكر طائر أو وصف حيوان إلا ما تم به فائدتهم المادية أو لذتهم الحسية ، فوصفوا الطيور لعذب تغريدها ، ووصفوا الخيل لنفعها فى يوم طراد أو مجال سباق ووصفوا كلب الصيد لاتمامه متعتهم فى يوم القنص ، وغفلوا عن آلام الوحش المصيد ووله أمه عليه أو حرمان صغاره منه

أما الأدب الحديث فبه صدفة عن وصف تلك المواقف الدامية ، وبه عطف على الوحش الضارى

والحيوان الأليف ، ومن ثم احتل الكلب الأمين والقطة الأثيرة منزلة عظيمة فى أدبنا الحديث ، الذى يحفل بأوصاف تلك الحيوانات يوحيها الحب والعطف والتدليل ، ولرالف هدجسون الشاعر الانجليزى وصف رائع ملؤه العطف لثور كان زعيما فى قطيعه ثم أدركته الشيخوخة وغلب على أمره ، ولروبرت بروك قصيدة دقيقة الوصف لحياة الاسماك ، أما توماس هاردى فله شعر كثير فى الحيوان والطير ، ولا تكاد رواية له تخلو من ذكر بعض هذه الأحياء ، ولا غرو فقد كان شديد الحدب عليها فى حياته ، يربى منها عدداً وافراً ، فأدبه ليس إلا صدى لاحساسه ، وهذا الالتفات فى الادب الحديث الى وصف الحيوان ليس إلا صدى للنزعة الانسانية الحديثة التى تكرم الحيوان وتحض على الرفق به

الدعوة الى السلام

وإذا كان هذا مبلغ رفق الانسان بأخيه فى عالم الحياة فكيف رفقه بأخيه فى الانسانية ؟ نعم ما تزال المطامع والغرائز الجامحة تورث العداوات وتؤجج المعارك بين بنى الانسان ، ولكن ليس شك في أن الحرب اليوم قد فقدت كثيراً من هالات التمجيد والتقديس التى كانت تحاط بها فيما مضى وفقدت العدد الكبير من الأنصار ، وفى الأدب الحديث دعوة الى السلم لا نظير لها فى الآداب القديمة ، وذم للحرب يعجب منه أسلافنا لو قرأوه ، ومعظم مفكرى العصر الحديث وأعلام أدبائه من أنصار السلم أمثال شو ، وولز ، ومن قبلهما تولستوى ، فالأدب الحديث قد أبلى بلاء حسناً فى تهيئة الأفكار للسلام العالمى وما يزال ماضيا فى طريقه ، حتى يبتدىء « التاريخ الانسانى » كما يقول ولز : فهو يرى أن التاريخ الماضى بمـا انطوى عليه من حروب ومجازر وأحقاد لم يكن انسانياً ، وأن التاريخ الانسانى لم يبدأ بعـد ، وحين يبدأ ذلك التاريخ سيكون للأدب فضل عظيم فى بدئه تدل عليه هذه المسحة الانسانية التى ترين على الادب الحديث ، وتزيد فيه ظهوراً يوماً بعد يوم

فخرى أبو السعود

المدرس بمدرسة الرمل الثانوية

لماذا أكره الحرب

انى اكره الحرب أشد الكراهية . فهى قوة ظالمة ترسـل الى الموت عشرات الآلاف من النـاس الذين لا يكترثون فى العادة للمشـاكل التى يطلب اليهم تضحية ارواحهم فى سبيلها . والواقع ان الحرب تقع فى الغالب من اجل مشكلات لا تمت الى مصالح السواد الاعظم بسبب . وانى لأفخر باللقب الذى أطلقه على أعدائى وهو انى محب للسلم ومتأهب لأكبر تضحية فى سبيل الذود عنه

الملك لويس فيليب

الرجل الخالد

الساحر الذى رسم لنابليون طريق المستقبل

كانوا خمسة

وإذا صح ان المصائب تنسى الاحقاد وتؤلف بين الاعداء فان أولئك الخمسة أصبحوا أصدقاء ألفت بينهم المصائب والمحن على أثر الضربة التى استطارت نابليون من علياء العرش الى المنفى السحيق ، وقد كانوا بالأمس أعداء فرقت بينهم المطامع والمنافسات طول قيامهم بالحكم واجتماع مقاليد الامور في أيديهم

هذا البرنس كامباسيريس القنصل الثانى أيام حكومة القناصل وكبير مستشارى الدولة فى عهد الامبراطور . وهذا فوشيه دوق أوترانت وزير البوليس الرهيب . وهذا الكونت ريال منافس فوشيه الذى كان يحل محله كلما غضب عليه نابليون . وهذا البرنس تاليران وزير الخارجية الداهية المتقلب العجيب الاطوار . وهذا باراس الذى نصب نفسه رئيساً للدولة على أثر مصرع روبسبير وانقضاء عهد الارهاب

وكانت الليلة ليلة الخامس والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٨١٤ وقد جعلوا يتذكرون الماضى وماكان لهم فيه من شأن عظيم ، وكيف ارتفعوا من الغمر الى ذروة المجد والجاه ، ويلعنون الحاضر الذى اكتسحهم من كراسى الحكم وطوح بهم الى الغمر مرة أخرى فصاروا أفراداً كعامة الناس لا يملكون من الامر شيئاً ولا يعلمون ما ستطلع عليهم به شمس الغد القريب

وإذ انتصف الليل وانطلقت أجراس الكنائس تتأرجح فى أبراجها العالية وترسل رنينها الموسيقى فى الفضاء يوقظ الناس من مضاجعهم ليحتفلوا بالذكرى السعيدة ، ذكرى مولد السيد المسيح ، رفع فوشيه دوق أوترانت رأسه المتثاقل من فوق يديه المشتبكتين على مقبض عصاه وفتح عينيه المغمضتين تحت جفنيهما السميكين وقال : « ما هذا ؟ » فأجابه كامباسيريس : « أليست هذه ليلة عيد الميلاد يا دوق ؟ » فهز الدوق رأسه وغمغم قائلا : « عيد الميلاد ! » كأنما أعادت هذه الكلمات الى ذهنه صوراً تتفاوت فى القدم ثم عاد فأسند هذا الرأس المثقل بالذكريات على مقبض عصاه واستغرق الجميع فى تفكير عميق

ومرت الذكريات كالصور سراعا بمخيلات أولئك الرجال : ذلك العهد الذى كان فيه فوشيه

قما يملأ الايمان قلبه فيعظ الناس فى الكنائس ، ويلقنهم تعاليم الانجيل ، وذلك العهد الذى خلع فيه تاليران ثوب الكهنوت وانبرى لمحاربة الكنيسة مجاراة لموجة الالحاد التى طغت على البلاد . ثم عهد الثورة ، عهد الكفر واغلاق الاديرة وقتل القساوسة وتشريد الرهبان ، وعهد نكران الله واعلان دين العقل الذى لا دين سواه ، وعهد بطلان دين العقل والعودة الى التوحيد والسجود بين يدى البابا ارضاء لنابليون ، ثم العهد الحاضر عهد رجوع الكنيسة الى سابق عزها وسالف مجدها وما صار لرجال الدين فيه من سؤدد ونفوذ

وهز فوشيه رأسه مرة أخرى ونقر على البساط بطرف عصاه وتمتم قائلا : « عيد الميلاد ! » وقال تاليران كأنه يجيب على سؤال ساءل به نفسه : « نعم ان كل هذا لعجيب » وقال الكونت ريبال : « وهل الدين الا وسيلة لحكم الشعوب ؟ وسيلة معيبة ، نعم ، ولكنها أقوى وسيلة عرفها الناس » وقال باراس : « ما أظن الاديان الا صائرة الى زوال ، ويقينى أنها لن تعيش بعدنا مائة عام ، فما الدين إلا خرافة سوف تلحق بغيرها من الخرافات . لقد كان آباؤنا يؤمنون بالسحر فهل من يؤمن بالسحر فى هذه الايام ؟ »

قال كامباسيريس : « أنا »

— أأنت تؤمن بالسحر يا سيدى الأمير ؟

— نعم . وايمانى به لا ترقى اليه الشكوك

— هل عرفت بعض السحرة ؟

— عرفت واحداً منهم

— هذه ليلة عيد الميلاد تحلو فيها القصص فماذا عليك لو رويت لنا قصتك ؟

فنهض كامباسيريس وأسند ظهره الى إطار المدفأة وأجال عينيه بين ضيوفه ليستوثق من انصاتهم ثم أسبل جفنيه كمن يستجمع ذكرياته وقال :

« ليس ما سأحدثكم به قصة يا سادة ، وانما هو واقعة لا شيء فيها من الوهم والخيال . .

« حوالى سنة ١٧٥٠ لما عاد الماريشال بيليل من الحملة التى قادها ضد ملك البروسيا . كان قد استقدم معه من هناك رجلا قدمه الى الملك لويس الخامس عشر والى معشوقته ماركيزة بومبادور . وقد أثار هذا الرجل اهتمام بلاط الملك وعلية أهل باريس طول عشر سنين . كان يزعم ان له من العمر ثلاثة آلاف من السنين وأنه عاشر سيزوستريس فرعون مصر وكلوفيس وشارلمان وكلم عيسى ومحمداً وغيرهم من مشهورى رجال التاريخ . وكان يزعم أيضاً انه خالد الشباب أو متجدده لا يهرم ولا تتطرق اليه الشيخوخة ، وأنه من الغنى كما لو كان يملك خزائن الارض ، وأنه قادر على صنع الأحجار الكريمة كالزمرد والماس . ولقد امتحنه الملك فى ذلك أمام صاحبته الماركيزة

فاجتاز الامتحان بنجاح حير العقول وأدهش الألباب . ولقد كان لذلك الرجل من فخامة المظهر وسحر الحديث والالمام بالأصول ومعرفة أحوال الدنيا والاحاطة بأدق تفاصيل التاريخ ما جعل كبار البلاط وأعيان الدولة يقبلون عليه أيما اقبال وما جعل ملوك أوربا وأمراءها بعد ذلك يوسعون له فى مجالسهم ويرحبون بمقدمه عليهم أحسن ترحيب »

وهنا قاطع باراس كامباسيريس وقال : « انك تحدثنا عن الكونت سان جرمان Comte de Saint-Germain ذلك الدجال المشهور » . فلم يشأ الأمير ان يقف عند اعتراض صاحبه بل استطرد فقال : « أيها السادة . هذا الرجل الذى أدهش الناس بغرابة أطواره والألغاز التى أحاطت به ، وأدهش المؤرخين بدقة معلوماته عن الغابرين ، وأدهش الخاصة بما كان يبعثره من الأموال من دون أن يعرف الناس له مورداً للايراد ، وأدهش الجميع بما كان يرويه عن نفسه ويؤيده بالأدلة والبراهين ، هذا الرجل . . »

وصاح باراس مقاطعا للمرة الثانية : « كان مشعوذاً حقيراً ، بل كان جاسوساً للملك بروسيا على ملاط فرنسا ، وقد مات ميتة مزرية سنة ١٧٨٠ »

ولم يشأ كامباسيريس أيضاً ان يعير اعتراض صديقه أى اهتمام فاستطرد وقال :

« هذا الرجل أيها السادة . . أنا رأيته وعرفته وتحدثت اليه »

— ومتى كان ذلك ؟

— سنة ١٧٩٦

— ولكنه مات سنة ١٧٨٠ ما فى ذلك شك ولا ريب وكان موته فى احدى مدن دوقية هيس

وبسط الأمير كفه على إطار المدفأة وقال فى لهجة المطمئن الواثق مما يقول :

« برغم ذلك رأيته سنة ١٧٩٦ . لم أكن ذا منصب إذ ذاك ، وكانت الثورة قد أفقرتنى ، فسجلت اسمى فى سجل المحامين وأنشأت لى مكتباً أزاول فيه مهنة المحاماة ، ولم تمض السنة حتى كان اسمى قد اشتهر بين الزملاء ، وذاع صيتى بين المتقاضين ، فاشتد الاقبال على مكتبي وصرت فى عداد المحامين النابهين . وفى يوم من الأيام جاء خادمى يقول لى ان شخصاً يستأذننى فى الدخول ، فأذنت له . ودخل علي رجل لا يمكن أن يكون قد جاوز الأربعين ، مهيب الطلعة حسن الهندام متختما بخواتم من الماس الكبير وقد رصع أزرار أكمامه وسترته وياقته بأحجار ثمينة يحار الانسان فى تقدير ثمنها لكبر حجمها وصفاء نوعها . ولقد قدم الرجل الى نفسه باسم أجنبي قائلا إنه سويدى الأصل مقيم بباريس ثم حدثنى فى الأمر الذى جاء به فقال ان خلافا نشب بينه وبين تجار أرادوا أن يستغلوا جهله بشئون التجارة ، وأنه مزمع أن يقاضيهم أمام المحاكم وانه يلجأ الى لأمثل مصالحه فى هذه القضية . ونشأت بين الرجل وبينى أول الأمر علاقة المحامى بالموكل ، ثم نمت هذه العلاقة حتى استحالت نوعا من المودة جعلنى أستطيب حديثه وأستمتع بمرافقته وافتقده كلما غاب

عنى وأضيفه فى بيتى كما سمحت الظروف برغم أنه لم يشأ أبدا أن أزوره فى بيته ولا أن أعرف أين يقيم .. وكان يحدثنى فى الفلسفات القديمة والحديثة حديث المتخصص المتوسع ، وينقل الى من أخبار القرون الغابرة نقل العالم المتمكن ، ويكلمنى عن أسرار السحر والسحرة من عهد آشور وبابل ومصر القديمة الى عهد الهند وفقراء الهنود كلام الممتهن هذه الأمور . . ولقد أردت يوما أن أسخر منه وأن أهزأ بحديثه فاستوقفنى فى حدة وسلط على أشعة عينيه فى نظرة خلتها نفذت الى أعماق نفسى وقال :

« لا تسخر ياأستاذ كامباسيريس ولا تتلق كلامى كما يتلقاه الجاهلون . واذا أبيت إلا أن أحدثك عن نفسك فاسمع ثم تذكر ما ستسمعه لأنى لن أكون هنا لأذكرك به ... عما قريب سوف تشغل فى فرنسا منصبا رفيعا لم يشغله فرنسى من قبل . وسترأس مجالس لا تضم الوزراء فحسب بل تضم الأمراء والملوك . وانك ستتمتع بمنصبك هذا الى حين ثم تقصى عنه وأنت راغب فيه وستموت كما يموت عامة الناس لاشأن لك إلا ما قد سلف . »

وصمت كامباسيريس برهة ومسح جبينه بيده واستطرد فقال :

« فلما عينت قنصلا ثانيا ثم رفعنى الامبراطور الى منصب كبير مستشارى العرش تجلت لى كلمات ذلك الرجل فى معناها الحقيق ، وأدهشتنى نبوءته العجيبة التى تحققت بجملتها وتفاصيلها ، فطفقت أبحث عنه بكل قواى حتى لقد سخرت بوليس أوربا كلها فى هذا البحث ولكنى لم أهتد اليه

« ولقد كنت على وشك أن أنساه لولا أنى دخلت يوما من أيام سنة ١٨٠٧ حجرة استقبال المركيزة ده كوانى فرأيت صورة رجل فى إطار فخم لم ألبث إذ نظرت اليه حتى عرفت وجه صاحبى القديم ، عرفته بوجهه الشاحب الجميل وعينيه النافذتين ونظراته الثاقبة وجبينه العريض الذى يشبه جبين الملهمين والمرسلين ، فسألت عنه المركيزة فأخبرتنى أنها تملك هذه الصورة منذ أربعين سنة وأن الشخص الذى تمثله كان مجنونا مشهوراً عرفه الناس باسم الكونت ده سان جرمان »

وصاح باراس : « أرأيت ؟ ألم أقل لك ان سان جرمان كان رجلا معروفا وجاسوساً حقيراً وانه مات ميتة مزرية ؟ »

وتبادل ضيوف الامير النظرات وهم سكوت . ثم تحرك تاليران وقال : « لو أنك يا سيدى الامير اهتممت حقا بالعثور على ضالتك لعهدت أمرها الى صديقك دوق أوترانت فما كان فى مقدور رجل فى الدنيا سواه أن يجيئك بها ولو كانت تقيم فى أجواز السماء »

وصاح فوشيه ؟ « أنا ؟ . . ما الذى يحملك على أن تظن ذلك ؟ »

قال : « ألست يا سيدى الدوق حلال العقد والمشكلات ؟ ألست أمهر شرطى عرفته الامم والحكومات ؟ ألست الرجل الذى لا يخدع ولا تنطلى عليه الحيل ؟ فهل كان يعجزك استكشاف مكان رجل كالكونت سان جرمان ؟ »

واتجهت الانظار كلها صوب دوق أوترانت وقد هم بالكلام ، ولكن وجهه لم يلبث أن اكتسى بشحوب كشحوب الأموات وزاغت حدقتاه برهة بين الحاضرين ، ثم أطبق شفتيه وهز كتفيه وعاد الى صمته العميق

قال قائل : « ما هذا يا سيدي الدوق ؟ أينعقل لسانك عن الكلام اذا أردت التحدث عن سان جرمان ؟ »

فشخص اليه فوشيه بعينيه الغائرتين وقال : « دعونى فلن أقول شيئا وليتكلم ريال اذا شاء فهو يعلم مثل ما أعلم »

وتململ ريال وأتى بحركة فهم منها الرفاق أنه لا يريد الكلام فقال كامباسيريس :

« أتضن علينا يا كونت بمعلوماتك ؟ لو أني ما أزال حتى اليوم صاحب النفوذ الذى كان لى لأمرتك بالكلام أمراً ، ولكنك تجعلنى آسف على فقدانى منصبى السابق »

واعتدل ريال فى جلسته وقال : « ما دام سمو الامير يريد فليس أمامى الا ان أطيع . ولكن لا تمنوا أنفسكم بشىء فلقد أمضينا ، دوق أوترانت وأنا ، عشر سنين أرهقنا فى خلالها خيرة رجال البوليس فى فرنسا وفى أوربا فى سبيل الاهتداء الى ذلك الرجل فلم نقف له على اثر

ــ ألعله ظهر يوما لأحدكما ؟

ــ كلا ولكنه ظهر لغيرنا

ــ لمن ؟

ــ للامبراطور

ــ وهل كان ذلك فى قصر التويلرى

ــ لا بل فى مصر

وبدأ ريال حديثه فى لهجة متوقرة شأن الرجل الذى يعرف خطر ما سيصرح به فقال :

« تعلمون ان الجنرال بونابرت ـ قبل أن يصير امبراطوراً ـ وقف يوما أمام الهرم الاكبر بالجيزة وأبي الا ان يفتض سر ذلك الاثر العتيق فأمر بنزع الحجر الذى كان يسد مدخله وأقدم على دخول تلك المقبرة الرهيبة وحيداً بلا حرس ولا رفاق . فلما اجتاز الردهة الضيقة واجتاز عتبة احدى الحجرات هب شخص من وراء أحد التوابيت وانتصب أمامه واقفا . . »

وقاطع باراس المتكلم قائلا : « وطبعاً كان ذلك الشخص هو الكونت سان جرمان »

فنظر اليه ريال شذراً وقال : « لا تسخر يا سيدى . لقد كان هو الكونت سان جرمان . وأن ما أفضى به الى بونابرت قد جعله يرتجف أمامه ، وأنت تعلم أن بونابرت ما كان ليرتجف أمام شىء ولا أمام انسان . . أما الحديث الذى دار بين الرجلين فلا أعلم منه إلا ما أراد الامبراطور بعد ذلك أن يفضى عليه . فلقد حدثني فى هذا الشأن أكثر من مرة وأنا وزير البوليس

وقال لى إن سان جرمان تنبأ له يومئذ بأنه سوف يغزو أوربا ويقبض على أزمتها بيده وتنبأ له بالمدار المدهش الذى دار نابليون فيه والذى لا يخفى عليكم منه شىء . قال لى الامبراطور : « هذا شىء عجيب يا ريال . ما انتصرت فى معركة من المعارك وما فتحت بلداً من البلاد وما نصبت ملكا على أحد العروش إلا ذكرت نبوءة سان جرمان . لقد تنبأ بكل شىء كأنه كان يقرأ مستقبلى فى كتاب مرقوم . ثم قال لى : حذار من موسكو . فسألته : وهل أذهب الى موسكو ؟ فأجاب : نعم ستذهب اليها ولكن حذار منها . قلت : وهل أتغلب عليها ؟ فأجاب : نعم ولكن حذار منها . قلت : إذن فمصير العالم إلىّ ؟ فأجاب : نعم أما مصيرك أنت فالى الله . ولا تسلنى أكثر من ذلك فلو علمت نهايتك لكرهت الحظ الذى سوف يواتيك . اذهب وأتمم رسالتك فى هذه الدنيا واضرب وارفع واخفض فيخضع لك كل شىء ، ولكن حذار من موسكو »

واستطرد ريال بعد لحظة وقال :

« كأنى بهذه العبارات نقشت فى ذاكرة نابليون كما تنقش الرسوم على الحجر ، فلقد كان يكررها لى فى مختلف المناسبات بصيغة واحدة لاتنقص ولا تزيد ، وكان يقول إن العالم مملوء بالاسرار وما عرفنا منها إلا القليل . فلما انتهى الامر اليه وتربع على العرش لم يدخر وسعاً فى سبيل استكشاف سان جرمان ولكن جهوده وجهودنا ذهبت سدى برغم ما أضعنا فيها من وقت ومال »

وهز فوشيه دوق أوترانت رأسه وقال وهو يرسم على البساط خطوطا بطرف عصاه :

« هذا الذى سمعتموه من زميلى ريال سمعته أنا أكثر من مرة من الامبراطور . وكان كلما توليت وزارة البوليس يقول لى : لعلك تهتدى هذه المرة الى سان جرمان . فكنت أجرد وراء الرجل المجهول أذكى رجالى وأقدرهم على البحث والاستقصاء وكنت أمهد لمباحثهم لدى مختلف الحكومات وأمدهم بالمال ، ولكن سان جرمان ظل مختفياً الى اليوم ! »

وقال كامباسيريس : « ترى ما مبلغ أثر تلك النبوءة فى حياة نابليون وفى مصير فرنسا ؟ ومن يدرى إذا لم تكن تلك النبوءة هى التى جعلت نابليون يتحدى الاقدار والاحداث والناس ؟ وهل كان نابليون يفكر فى غزو روسيا لو لم يحذره سان جرمان من موسكو . وهل كان ليحتقر الموت ويستهدف لكل ما استهدف له من المخاطر والأهوال لولا يقينه من أنه يسير فى طريق رسمته له يد القدر لا يستطيع أن يحيد عنه حتى ولو أراد ؟ وهل كان ليغير على موسكو وقد حذره منها ساكن الأهرام لولا ايمانه بالقضاء والقدر وبأنه ينفذ مشيئة هى أقوى من مشيئته ولا يملك حيالها حولا ولا قوة ؟ » وأطرق كامباسيريس برهة ثم هز كتفيه وقال : « ليت شعرى ماذا نصدق وماذا نكذب فى كل ذلك ؟ ألا تبا للانسان ما أحقر كبرياءه وغروره وسط ما يحيط به من الألغاز والأسرار »

غرائب حياة العظماء

خلاصة كتاب للباحث الفرنسى الدكتور كابانيس

تخصص الدكتور كابانيس فى دراسة حياة العظماء من رجال الفكر والأدب والفن . وهو يتناول فى هذا الكتاب الطريف بعض الشخصيات الكبيرة بالبحث والتحليل . ملقياً ضوءاً ساطعاً على طبيعة الرجل العظيم ، وغرابة أطواره والسر فى تفوق شخصيته

العبقرية شذوذ لا جنون

الرجل العظيم عالم مستقل بنفسه ، عالم من الافكار والخيالات والعواطف ، يختلف كل الاختلاف عن العالم العادى الذى نعيش فيه

فالعظيم لفرط احساسه بحيويته الفكرية ، واستغراقه فى تأملاته ، وخضوعه الدائم لشيطان عقله ، ورغبته الحارة فى تجديد شعوره بالحياة وتجديد نظرته اليها ، لا يستطيع أن يعيش كما نعيش ، ولا يستطيع ــ ولو أراد ــ الاقبال على الدنيا اقبال الرجل المتوسط أو النابغ الذى يحترم النظام ويقر العرف الشائع ويرضى به ولا يجسر على تحديه والانتقاض عليه

وحياة العظماء محفوفة بالغرائب ، يكتنفها الشذوذ من كل صوب

لماذا ؟ لأن هذا الشذوذ ينحدر من أفكارهم الشاذة نفسها ، ومن شخصياتهم الفذة ، ومن حاجتهم الشديدة الى الراحة بعد عناء التفكير الطويل

فهم ليسوا بمجانين ، إلا إذا كان كل من يخرج على العرف الشائع مجنونا . وهم ليسوا بمرضى إلا إذا كان كل من توترت أعصابه واتقدت عاطفته واتسع مدى خياله ، معتلا مريضاً

والعظمة أو العبقرية هى تفوق خاصة فى الذهن على خاصة ، أو سيطرة بعض الخصائص على خصائص أخرى ، سيطرة تخرج بصاحبها عن المألوف ، وتلقى فى روع السواد أنه بالمجنون أشبه منه بالعاقل

واذن فشذوذ الفكر نفسه هو الذى يدفع الى شذوذ الحياة . لأن من يشرف على الدنيا بعقل ممتاز ، تضطرم فيه آراء ونظرات طريفة ، وأفكار وخيالات مبتدعة ، لا بد أن تنعكس اتجاهاته الذهنية الخاصة على حياته اليومية فتبدو شاذة غريبة

وقد يحدث فى بعض الأحيان أن تطغى الخاصة او الخصائص العقلية المتفوقة على بقية الخصائص فتبدو على العظيم أعراض الجنون ، فيصيح رجل الشارع ـ وقد ظفر بفريسته ـ مؤكداً أن العظمة نوع من الجنون ، وأن كل العظماء مجانين ، وكل تفكير يصدر عن عبقرى لا بد يشوبه الهوس والجنون

ولكن هذه النظرة الساذجة لا تشوه الحقيقة فحسب ، بل هى تنتقص من جهاد العظيم انتقاصاً يسلبه خير ما فى شخصيته من عناصر الخلود . وذلك لأن العظيم يعيش وهو يعلم علم اليقين انه مستهدف لخطر الجنون إذا أسرف فى انماء قوى خصائصه العقليـة المتفوقة على حساب غيرها . ولكنه لشدة ايمـانه بعظمته ، وشدة اخلاصه وتحمسه لأفكاره ، وشدة خضوعه لشيطان عبقريته ، يذهب فى انماء خصائصه المتفوقة الى أقصى حد ممكن . وعندئذ فقط ، قد تطغى تلك الخصائص على زميلاتها ، فيحدث الجنون

الشاعر شارل بودلير



بودلير

كان الشاعر المشهور شارل بودلير نزاعاً ، بحكم طبيعته وخلقه ومزاجه العصبي ، الى كل ما يلهب حواسـه الشفافة التى ينطبع عليها مختلف المرئيات بسرعة مدهشة . فالحواس كانت سر عبقريته . ومن الحواس وبواسطة الحواس كان يفهم الحياة ويتذوقها ويستطيع تصويرها . فالخاصة الحسية كانت أقوى خصائص ذهنـه وهى التى استبدت بتفكيره وكيفت شعره . وأبلغ الأدلة على ذلك أنه كان مولعاً غاية الولع بأريج الأزهار ورائحة العطور وجمال الألوان وروعة الملمس الناعم وسحر المناظر والمشاهد المادية الشائقة

وكان يستلهم الوحى الشعرى من شتى ظواهر الحياة التى تؤثر فى حواس السمع والبصر والشم واللمس ، ولو أن حواسه لم تكن مرهفة الى أبعد حد ، ما كان ثمة فارق بينه وبين الانسان العادى

فالرغبة الشعرية فى التعبير الدقيق عن سحر الأصوات الغريبة الجميلة ، وعن النشوة التى يحدثها أرج العطور ، وعن شبه الدوار الذى يصيب المرء وهو يلمس الاجسام الناعمة الصقيلة الملساء ، هـذه الرغبة المنحدرة من طبيعة بودلير ، كانت تطبع شعره بطابع خاص ، وتملأ حيـاته الشخصية بالغرائب

ومن أعجب ما روى عنه أنه كان لا يستطيع قرض الشعر الا فى حجرة مزدانة بالرسوم الفنية والأستار الحريرية الحمراء والطنافس البديعة الثمينة والتحف والتماثيل البوذية . وكان كلما تنسم

عطر بخور فى كنيسة ، أو سرى فى معطفه أرج زهرة فى بستان ، ينتشى ويغيب عن نفسه ويستغرق بضع لحظات فى شبه غيبوبة . وكان كلما صادف امرأة ممشوقة القامة أفعوانية الحركة صقيلة البشرة ، يحس تجاه مرونة أعضائها وانبساط اهابها ، أنه يشهد غريزة النوع تتثنى وتتلوى وتقوم بوظيفة الاغراء الجنسى الخالدة

ولقد عشق بودلير النساء السمراوات لاعتقاده أنهن أقرب من الشقراوات الى الشعور بكل مايفتن الحس . بل لقد عشق الزنجيات لاعتقاده أن الحواس فيهن مضطرمة ، والعواطف والميول الجسدية قوية جارفة محرقة

وبفضل تفوق هذه الخاصة الحسية عند بودلير ، استطاع أن يبتكر شعراً جديداً ، ولوناً فنياً جديداً ، ونغمة موسيقية جديدة . ولكن تلك الخاصة التى صدرت عنها عبقريته تحكمت فى حياته الشخصية أيضاً ، وهكذا عاش بودلير حياة حسية ليتمكن من ابتداع شعر ينهض على رسم الحسيات

ولقد أفرط بودلير فى طلب الملذات الحسية وانصرف اليها وتهالك على حيازتها رغبة منه فى تقوية هذه النزعة الجديدة فى شعره ، فترتب على ذلك أن اعتلت صحته وتداعت أعصابه وشوهدت فى حياته تلك الغرائب الشبيهة فى مظاهرها بأعراض الجنون

وإذن فبودلير لم يكن مجنونا . بل كان عبقرياً أسلم قياده لأقوى خصائصه الذهنية فعاش نصف مريض ، واستهدف لخطر الجنون ، لأن كل جهد خارق يجب أن يدفع الانسان ثمنه من عقله ودمه وقلبه

وسواء أكانت جرثومة المرض بادية فى شعر بودلير أم لا ، فالواجب يقضى بأن نقبلها ، إذ العبقرية كامنة فيها ، ولولاها ما كان بودلير شيئاً

الموسيقى ريتشارد فاجنر

كان هذا الفنان العالمى الذى جدد الموسيقى العصرية ، رجلا سريع الانفعال سريع الثوران ، يغضب لأتفه الأسباب ولا يحتمل المعارضة ، ولا يطيق سماع صوت مزعج ، بل لا يطيق سماع المحادثات العادية متى ارتفع صوت أصحابها عن الحد المألوف

وكان يبدو فى بعض اللحظات وديعاً كحمل ، ساذجاً مطواعاً كطفل ، ثم تجيش أعصابه فجأة ولغير ما سبب جوهرى ، فيصيح ويهدد وتنتابه أزمة عصبية عنيفة ، فيشرد بصره وتتقبض عضلات وجهه ، ويعلو الزبد شدقيه ، وتلوح عليه أمارات الجنون ، فاذا ما هدأ وسئل عن سر غضبه ، أجاب والدمع يجول فى عينيه بأنه كان مستغرقاً فى تفكيره ، وأن لحنا شائقاً مر بذهنه ، فسمع صوتاً شاذاً ، قطع عليه مجرى تأمله ، وأضاع اللحن الجميل وبدده فى فسحات خياله


فاجنر

فريتشارد فاجنر كان هو الآخر محكوما بخاصة متفوقة، هى خاصة الاحساس بالحياة من طريق النغم . كان يحول كل شىء يراه ويسمعه الى نغم جميل . كان يرى جمال الطبيعة وجمال المرأة ، ويسمع نداء الطبيعة ونداء المرأة ، فيختزن تلك المشاهد والأصوات فى عقله الباطن ، ويعيش منها بل يعيش فيها ، باذلا قصاراه فى التعبير الكامل عنها فى مقطعات موسيقية منسجمة ، ولذا كانت تثور ثائرته وتهتاج أعصابه وتستحيل عيناه الرقيقتان الصافيتان الى عينى مجنون، كلما اخترق سمعه صوت منفر أو نبرة بغيضة ، وكلما أحس جلبة تشوش عليه فكره وتنقله من محيط الخيال الى دائرة الواقع

ولقد حدث عندما اقترن فاجنر بزوجته الأولى أن دب الخلاف بينه وبينها فى صبيحة يوم العرس ، وفى غرفة القسيس الذى كان سيعقد عليهما فى الغد . ومن أعجب الأمور أن مثار الخلاف بين العروسين كان صوت العروس المرتفع ونبرته الحادة المزعجة ، تلك النبرة التى عاش فاجنر كارها لها ، حذراً منها ، متربصا بها ، يتوسل الى امرأته والى كل انسان يصادفها فيه ، أن يخفف منها ويلطف جهده من وقعها

فريتشارد فاجنر لم يكن مجنونا ، بل كان يوشك أن يشرف على المرض والجنون كلما أسمعه الناس ما يكره ، وكلما حار فى فهم الناس لطبيعته ، وأحس عجز امرأته وأصدقائه والمقربين اليه عن توفير جو من السكون والصفاء والراحة تستطيع أن تصول فيه عبقريته

ومما يدل على عظم اخلاص فاجنر لوحيه الموسيقى ، شدة الآلام النفسية والبدنية التى كان يعانيها عقب ثورانه . فقد كان يشعر بقلبه يكاد يثب من صدره ، ثم تتراخى أعضاؤه وتهبط حرارة جسمه ويستحوذ عليه خمود مقترن بصداع لايفارقه طول النهار

وهذا بعض مايدفعه العبقرى ثمنا لتفرده واستقلاله وحرصه على قداسة العالم الذى يعيش فيه وحجب أسراره عن أعين الناس !

شخصيات عظيمة أخرى

وهناك شخصيات عظيمة أخرى تعزز الآراء التى بسطناها واهتدينا بها فى تفسير شخصيتى بودلير وريتشارد فاجنر . فالكاتب الفرنسى شاتو بريان مثلا ، كان سوداوى المزاج ، ولوعا بالعزلة ، مغرما بالأسى ، متبرما بالحياة ، مشبع الفكر بالضجر من نفسه ومن المجتمع . وقد تطورت هذه الخلال على مر الزمن واستحالت الى كبرياء هائلة كان يفخر بها وكانت تقصيه عن الناس ،


شاتو بريان

وتباعد بينه وبين أحب الاصدقاء اليه ، وتلق فى روعه انه قرين نابليون وشبيهه

وهذا المزاج السوداوى استخدمه شاتو بريان فى قصصه وأضفاه على أبطال خياله ولا سيا البطل (رينيه) الذى مثل فيه الكاتب أبلغ تمثيل ، ضجر المتكبرين وأسى الشعراء الحالمين ، فى بحثهم الدائم عن حياة تحقق مثلا أعلى وتكون أجمل وأكمل وأنق من هذه الحياة

فمزاج شاتوبريان الشاذ أثر فى فنه ، ومد عبقريته بغذاء خاص ، فجاءت أعماله حاملة فى تضاعيفها ذلك الشذوذ الرائع الذى أوجدها . وكذلك جان جاك روسو ، نشأ عطفه على الانسانية وحبه لها وثقته بها ، من مزاجه الوادع الرقيق الذى لطفه وهذبه وصقله حب الطبيعة وتمجيدها وتعود الحياة فى أكنافها

وأما الروائى التاعس الحظ موباسان ، فيمثل شخصية العبقرى التى لم يحسن ضبط ملكاته ، ولم يستطع كبح جماح مواهبه ، فاستسلم لها ، وأسرف فى اعتصارها ، وبالغ فى انماء قواها ، فكانت النتيجة المحتومة طغيان خصائصه الذهنية المتفوقة على الخصائص المتوسطة الاخرى طغيانا أفضى الى الاضطراب العصبى فالجنون

ومأساة موباسان تشبه فى ذلك مأساة الفيلسوف نيتشه . فالأول استرسل فى تنمية قواه الروائية الخيالية الفذة ، فاحتلت ذهنه أشباح أبطال قصصه ، فلم يعد فى وسعه التحرر منهم والقاء نظرة الرجل العاقل المتزن على الحياة . والثانى أفرط فى تنمية قواه الفلسفية وتحدى الله وأراد أن يكون مثلا للانسان الأعلى ، فتشوش ذهنه وانتهى آخر الأمر الى الجنون


موباسان

فالذي نستطيع أن نستخلصه مما تقدم هو ان العبقرية تفوق عقلى معين تبدو آثاره الشاذة فى مزاج العبقرى ثم تنعكس على عمله . وهذا الشذوذ فى الحياتين اليومية والفكرية ، قد يجلب المرض واضطراب الاعصاب ، ولكنه الشرط الأساسى لتحقيق العبقرية . ومن العظماء من تثبت عقولهم أمام خطر المرض والجنون ، ومنهم من يستسلم لعبقريته ويبالغ فى انمائها فيفقد عقله . وصفوة القول ان حياة العبقرى صراع مطرد غايته قهر الضعف الكامن فى الطبيعة البشرية واثبات الجزء الالهى فى الانسان

من هدايا « الهلال » فى هذا العام كتاب جديد يحوى فصولا شائقة عن الموت من الناحية البيولوجية والناحية الروحانية ، وعشرين مأساة من مآسى اعلام الشرق العربى . وهم على فراش الموت . وقد قام بتأليفه الاستاذ طاهر الطناحى . وفيما يلى مقدمة هذا الكتاب الطريف

على فراش الموت

بقلم الاستاذ طاهر الطناحى

الموت جانب من الحياة الدنيا . . والحياة جديرة بأن تعرف بخيرها وشرها ، بنورها وظلامها ، بهنائها وآلامها . .

والخير والشر نسبيان ، كما أن نور الحياة وظلامها فى الحقيقة متشابهان . وليس الهانىء الطروب بأسعد من المتألم المكروب ، ولا الخلى الباسم ، بأكثر حظاً من الشجى المتشائم . وقد جئنا من العدم ، وسنعود اليه ، وخرجنا من الاموات ، وسندخل طائعين أو كارهين الى قبورهم

والقبر مائل بين حياتين : حياة مادية ندعوها الحياة الاولى ، وحياة معنوية ، أو روحية ، ندعوها الحياة الأخرى ـ وهى حياة طالما اشتهاها الكثيرون ، إما رغبة فى ثواب ، أو خلاصاً من عذاب ، ولعل الموت فى عبوسه أجمل حالا من الحياة فى ابتسامها ، وأخف هولا من الايام فى أشجانها

ما أعدل الموت من آتٍ وأستره ... فيجيئنى ، فانى غير مهتاج
العيش أفقر منا كل ذات غنى ... والموت أغنى بحق كل محتاج
إذا حياة علينا للأذى فتحت ... باباً من الشر لاقاه بارتاج

وفى ظلام الموت ما يبعث على اجتلاء الغوامض ، وفى عبوسه ما يحفز الى اكتناه الحقائق ، وفى آلامه ما يهذب النفس ، ويروض القلب على احتمال اعباء الحياة

وقديماً كان للموت مكان من التقديس عند الفراعنة ، ينظرون اليه كغاية لهذه الحياة ،

وبداءة لحياة جديدة ، فرمزوا اليه برموز عدة سميت آلهة ، كان أكبرها الاله « اوزوريس » إله الموتى

والموت يطهر الحياة ، كما ينقل الأطهار إلى حياة أرقى . وهو فى جلاله الرهيب ، ووقاره المهيب ، وسلطانه الشامل ، يتجلى فى أروع مظاهره ، ويتمثل في أبلغ عظاته حين يضرب أطنابه على فراش عاهل عظيم ، أو زعيم كبير ، أو مفكر جليل

هناك ترى من روعة الموقف ما تقترن فيه عظمة الموت بعظمة الميت ، ومن رهبة المأساة ما يمتزج فيه جلال المصيبة بجلال المصاب ، فتشعر النفوس وتتئذ بأكبر وجود للفقيد ، وترى من شخصيته فى مماته ما حجب عنها أيام حياته ، وتفهم من معنى خلوده ، ما لا تفهمه فى اثناء وجوده . وكأنما الموت قد خلع عليه حياة جديدة هى خير وأبقى من هذه الحياة الأولى

قال برنارد شو : « الحياة تسوى بين الناس ، والموت يبرز فضل ذوى الفضل »

ونحن الاحياء نعيش فى فضل الموتى من الزعماء والادباء والعلماء . فقد بنوا لنا الحياة ، ومهدوا سبلها ، وأقاموا لنا صروحها ، وملأوها نوراً من سماء عقولهم ، ونشروا فى أردانها عطراً من زهرات نفوسهم ، وجلوا وجهها بجمال فنونهم ، وكانو فى الحياة احياء بجهادهم ، وفى الموت احياء بآثارهم ، فحق لنا أن نمجدهم فى قبورهم ، ونذكرهم فى مآسيهم ، ونتخذ من قصص مماتهم عبرة الاجيال للاجيال

واذا كانت النفس الانسانية مجبولة على حب التحول من حال الى حال ، تواقة الى التنقل من لون الى لون ، فانها لتجد فى الحديث عن الموت بعد ما سئمت حديث الحياة ، رياضة ذهنية ، ولذة روحية ، وإيماناً بالتضحية فى سبيل المثل الأعلى ما دام هذا الحدث الدنيوى هو نهاية كل حى

وفى هذا الكتاب فصول عن الموت ، ووصف قصصى لمآسى طائفة من أعلام الشرق العربى فى العصر الحديث ، ولما يحيط بكل مأساة من ذكريات أدبية ، وحوادث تاريخية تتعلق بالأيام الاخيرة لهؤلاء الأعلام ، مما يتسق فى سياق المقام . وقد كتبتها لما قدمت ، وأنا مؤمن بأنى أعمل عملا جديداً يتمشى مع ناموس الحياة الذى يأتى بكل جديد

طاهر الطناحى

المرأة ضحية العبقرى

أو غرام الشاعر الروسى الكسندر بوشكين

الكسندر بوشكين أشهر شعراء روسيا جميعاً . تأثر الشاعر الانجليزى لورد بيرون وغذى الأدب الروسى بآثار فنية خالدة ، أهمها « بوريس جودونوف » و « ليلة مصرية » و « لاروسالكا » . وكان جده لأمه حبشيا من رقيق القيصر ، وقد مات فى مطلع شبابه بجروح أصيب بها فى مبارزة أحد غرمائه فى مغامرات الحب

كان بوشكين فى مطلع شبابه فتى نزقا طائشاً عربيداً ، يسرف فى اللهو ويسرف فى الملذات ويحيا كعنصر جامح لا يعرف الهدوء أو الاعتدال . وكان كريم النفس ، سخى اليد ، عالى الهمة ، مولعاً أشد الولع بأخلاق فرسان القرون الوسطى ، ينفق على النساء عن سعة ، ويهب لنصرة المرأة المظلومة ، ويبادر لنجدة الضعيف ، ويحسن الى الفقراء ، ويجود بنفسه رخيصة فى سبيل كل من يلوذ بأكنافه ويستجير به . وكان يتنازع قلبه حب الشجاعة وحب الرحمة وحب اللهو ، لذلك تعلق به الرجال والنساء على السواء ، ورأوا فيه مثلا رائعاً لما يجب ان يكون عليه الشاعر العبقرى

ولم تكن صورة الشاعر فى ذلك العهد الا صورة مزدوجة للبطولة والاستمتاع ، تمثلت فى شخصية بوشكين ، فأخضعت له القلوب وأضفت على أولى قصائده سحراً طريفاً فاتناً

وكان الدم الحبشى الجارى فى عروق بوشكين ، يلهب عواطفه ويضرم نار الظمأ فى حواسه ويلقى به فى تيار الملذات متقد النشاط والحيوية . فكنت تراه اذ يجلس الى رفاقه فى الحان ، يتكلم وكأنه يصرخ ، ويضحك وكأنه يقهقه ، ويجرع الخمر وكأنه يعب فى ماء قراح

ولقد كان الحب فى نظره نداء جنسياً طبيعياً يجمله البدن الناضر والطبع المرح والخلق الضاحك وأنغام الشعراء وأخيلتهم . وأما ذلك الحب العابس المتجهم الباكي المنبعث من جسم ضعيف ونفس مهزومة ودم متجمد وعزيمة خائرة ، فكان أبغض العواطف طراً الى نفس بوشكين ، الى تلك النفس التى فتنتها مباهج اللهو ، فتناست جوهر الرحمة الكائن فيها .

والواقع ان انصراف بوشكين الى التمتع ، كان يلقى فى روع معظم أصدقائه ان الرحمة والطيبة والعطف والحنان ، فضائل دخيلة عليه ، وان طبيعته الأصلية هى طبيعة الامير العابث المستهتر ، أو الجندى الباسل القاسى ، أو الفيلسوف الساخر المتطلع الى تمثيل دور بطل

وكانت (روزا إيفانوفنا) تحب بوشكين وتخشى ان تصارحه بهذا الحب لئلا يتكشف عن

طبيعته الأصلية فيغرر بها أو يمتع وينهرها أو يقابلها بكبره الصامت الممقوت الفظيع

كانت تعتقد اعتقاداً راسخاً انه لا يحب غير نفسه ، ولا ينشد غير لذته ، ولا يعرف للثبات معنى ولا للتضحية قيمة ولا للاخلاص فائدة ، ومع ذلك فقد كانت تعجب بعبقريته وتحفظ أشعاره عن ظهر قلب وتكاد تقدسه وتعبده كلما بادر لانصاف مظلوم أو خف لنصرة ضعيف

وكان الفارق عظيما والهوة سحيقة بين روزا ايفانوفنا والشاعر الشاب . كانت روزا من بنات الهوى التاعسات الشريدات اللواتى يقضين النهار فى النوم والليل في الشوارع والحانات



ولقد عضها الفقر بنابه ، واختطف الموت أبويها العاملين وهى طفلة ، فكفلتها عمة فاسدة الخلق واضطهدتها واستبدت بها ، فلاذت بفتى خدعها وموه عليها الحب وأغواها وعبث بها ، ثم انصرف عنها فزلت بها القدم وساقتها الى حيث الضعة والمهانة والتبذل الشائن البغيض

والحق ان روزا كانت تكره مهنتها ، وتحتقر نفسها ، ولا تبيح ذاتها الا بالقدر الذى يحفظ حياتها ، ولا تفكر الا فى الخلاص على يد رجل يفهمها ويقدر استعدادها للتوبة ويحبها ويخلص لها ويرضى بان يتخذ منها قرينة له

هذه الأحلام كانت تجول بذهنها كما التقت فى الحان بالشاعر بوشكين . ولكن أين هى من

الشاعر ، وكيف تقربه اليها وتودع فى نفسه الثقة بها ، وتدفعه الى مد اليد لانقاذها ؟ . .

محال ! .. كانت روزا تشعر أبلغ شعور وأعمقه ان تحقيق رغبتها ضرب من المحال . ولذلك كانت تقبع فى إحدى الزوايا ورأسها مسند الى كفها وكأس (الفودكا) أمامها وتظل تحدق الى بوشكين وهو يتحدث الى رفاقه حديثه الشائق الخلاب . ولم تخرج روزا أبداً عن صمتها ، ولم تصارح الشاب بدخيلة قلبها ، ولم تجسر على رفع بصرها اليه مرة ، وكان بوشكين يلحظ اضطرابها ، ويحس أناملها ترتعش وهى تصافحه ، ويدرك بغريزته ما يعتلج فى قرارة هذه النفس التاعسة

وكانت روزا ايفانوفنا ، صبية فى نحو العشرين من عمرها ، سوداء الشعر ،تلعاء الجيد ، واسعة الحدقتين ، دقيقة الأنف ، تحيط بعينيها هالة زرقاء تنم عن فرط الاسى والهم والنصب والشقاء

والعجيب فيها أن ايمانها بالله كان عظيما،وأن تقواها كانت مضرب المثل ومثار السخرية بين أترابها ، ولهذا اهتم بها بوشكين وعطف عليها وأكبر فيها تحفظها وأدبها وحلو حديثها ورخامة صوتها وذلك الضوء الروحانى الذى يشع منها ويقنع كل من صادفها بأنها فتاة جبلت من طينة غير طينة البغايا ، فتاة تستشهد كل يوم على مذبح الفجور وهى تصرخ وتلتمس العون والرحمة والخلاص

وكان الشاعر يبصرها وهي تقصى الراغبين فيها لتبقى بجواره وتستمتع بقربه ، فكان يتأثر وينفعل ويحز فى صدره إعراضه عنها ، وتجيش فيه نزعة الفروسية واغاثة الضعيف ، فيميل الى الفتاة ويبتسم لها ويخاطبها ويحاول أن يدخل على فؤادها بعض السرور والعزاء

وهكذا استماله حب روزا الصامت المضطرم العميق ، وأثر فيه استعدادها للتوبة ، وأهاج فى نفسه النبيلة عاطفة الرحمة ، فرق ولان ، وهبط من عليائه ، ونسى أو تناسى الفارق الاجتماعي والذهنى العظيم القائم بينه وبين الفتاة ، فبسط لها يده ، وفتح لها صدره ،وبادلها الحب ، فأوشكت الفتاة أن تجن طربا وغبطة ، وعاهدته على الوفاء ، وطلقت مهنتها الشائنة وانقطعت لحبه ، ثم رضيت بالحياة فى مسكن متواضع صغير اتخذه الشاعر لها

وكان بوشكين مبذراً متلافاً لا يقدر المال ولا يقيم له وزنا ، وكانت روزا تعرف فيه هذه الخلة ولا تسأله أكثر مما يستطيع أن يعطي ، وتفرح فى الأزمات بحياة الشح والتقتير والانفاق على على نفسها مما جمعت فى ماضيها من نقود ، وكانت قد جمعت مبلغاً كبيراً حرصت عليه أشد الحرص وأرادت أن تجعل منه فى يوم من الأيام بائنة لها تمنحها لمن يقدرها ويرضى أن يتزوج بها

ولم يشأ الشاعر التصرف فى هذا المال . لم يمد اليه يداً . ولم يفكر فى استباحته وتبديده ، لأنه لم يفكر بعد فى الزواج من روزا ، ولأنه كان قد صارحها بأنه يرغب فى تجربة حبها وولائها وصدق توبتها مدة طويلة قبل أن يقطع على نفسه عهداً بالزواج

وكانت أيام سعادة هادئة صافية مليئة ، لم يحلم بها الشاعر، ولم تصدق الفتاة أنها تحياها . وكانت روزا فى تلك الأيام ، تسهر على شاعرها كأم حنون ، وتخدمه وتعنى بشئونه كربة بيت كاملة ،

وتغسل قدميه كلما ذهب اليها وتغمرهما بالقبل ، فتذكره بالجوارى الرقيقات فى عصور الرومان ، وتوحي اليه أنه (بيرون) روسيا ملك الأناقة وسيد الأدباء وأمير الجمال !

***

ولكن الشاعر المتقلب النزق الهوائى كان فى غضون ذلك يحيا حياة خارجية أخرى

كان يغشى المجتمعات الكبيرة ، ويرتاد الصالونات الارستقراطية ، ويتصل بالسيدات النبيلات ويغازل منهن امرأة بديعة الحسن تدعى الكونتس جروتشا

وكانت هذه المرأة ـ على حد تعبير الناقد جورج كليانتل ـ أشبه ببحر تبتلع أعماقه كل ما استطعت أن تلقى فيها من مال وثروات وكنوز . أولع بها بوشكين لفرط دلالها واعراضها ، ولكى يفوز بها ويستذل كبرياءها ، شرع يهمل روزا وينفق على جروتشا فى حماسة وجنون

وكان ينفق وهي تعرض ، ويسخو وهى تتجنى ، وظل يكافح ويناضل ويبذر ويسرف حتى أحس عجزه وبات يطرق كل باب سعياً وراء المال

ولم يجد بداً فى ذات يوم من الالتجاء الى روزا ايفانوفنا . هرع اليها وتعلل بدين من ديون الميسر يجب أن يفيه حالا حرصاً على شرفه ، فلم تتردد الفتاة وأعطته لفورها نصف ما تملك

وأخذ المال وخف به الى الكونتس . ولما استرد مركزه وعاد ينفق بلا حساب ، عادت السيدة الارستقراطية تلاطفه وتقربه وتغنيه ، فتجدد أمله ، فانصرف اليها وغض الطرف عن الفتاة المنكودة الحظ التى كانت تتحرق فى وحدتها وتناجيه وتدعوه وتنتظر مقدمه على غير جدوى

وكانت الكونتس شأن معظم السيدات من أهل طبقتها شغوفاً بسباق الجياد تراهن عليها وتركن الى عشاقها ساعة الفشل فى سداد خسائرها ، فاتفق أن راهنت وخسرت ولجأت الى بوشكين فاعتقد الشاعر أنها خير فرصة سنحت لاخضاعها والظفر بها ، فعقد العزم على المساومة ، ويمم وجهه مرة أخرى شطر روزا ايفانوفنا ! . ويجب أن نصف بوشكين ونقول إنه اعتبر فيما بعد هذه الساعة ، أحط وأشق ساعات حياته . غير أنه عندما طرق باب عشيقته كانت رغبته فى اخضاع الكونتس ، هذه الرغبة المنبعثة من كبريائه الهائلة ، أشد تأثيراً فيه واستبداداً به ، من عواطف الشهامة والنخوة والرحمة والاشفاق التى أحس بها إذ ذاك نحو روزا

وجاءت الفتاة بالمنديل الذى كانت قد صرت فيه بقية مالها ، وفكت عقدته وهى ترتجف ، وناولت الشاعر كل ما تملك ، ثم فاضت عيناها بالدموع

ذكرته بماضيها الأسود ، وحاضرها الفاجع ، والمستقبل المظلم الذى ينتظرها إذا أنكرها فى الغد فلم يرد اليها مالها ولم يتزوجها . ولكن بوشكين طيب خاطرها ، ووعدها بالكف عن مزاولة الميسر ، والاقتران وشيكا بها ، فتهلل محيا الفتاة ، وألقت بنفسها على صدره وطفقت تردد بصوت ممزق متحشرج خنقته العبرات : لا تتخل عني . . لا تتخل عني ، بعد أن انقذتني !

وكان الجو فى ذلك اليوم حاراً قابضاً يأخذ بالمخانق وينذر بعاصفة ، وكان بوشكين قد اضطر لخلع سترته . فلما عاد وارتداها متأهباً للرحيل سقطت منه سهواً وريقة لم تلحظها روزا

وانصرف وأوصدت الفتاة خلفه الباب ، ولبثت لحظة طويلة مستغرقة فى تأملها تنظر اليه من خصاص النافذة وهو يبتعد . وعند ما كرت راجعة وقع بصرها الشارد على الوريقة البيضاء وطرفها يلمع على الأرض ، فانحنت والتقطتها ، ولم تكد تقرأ ما فيها حتى جمد الدم فى عروقها وطوح بها الدوار وأدركت سر اعراض الشاعر عنها وعلمت علم اليقين أنه ابتز مالها ليمنحه امرأة أخري . وقفت على الحقيقة فلم تتردد كعادتها وأسرعت فانطلقت تعدو خلف بوشكين

واخترقت الزقاق المظلم ثم توسطت الشارع فلم تر أحداً ، فاضطربت لحظة ثم عرجت على يمينها واتجهت وهي حائرة صوب الحي الارستقراطى . وهناك ، هناك فى مؤخرة الشارع لمحت بوشكين ، فعضت على شفتها واستجمعت قواها وجعلت تناديه وتعدو وبصرها مسدد اليـه . ولكنها قبل أن تقترب منه وقبل أن يبلغ صوتها أذنيه أبصرته يدخل بيتاً من تلك البيوت الساكنة العظيمة المهيبة

فلم تيأس وحثت خطاها وملء قلبها الحنق والبغض والتمرد والاستنكار ، ولكنها عند ما بلغت البيت وشاهدت بوابه العابس ورأت عليه شعار النبلاء ، تراجعت وانقبض فؤادها وأحست عار ماضيها وذل حاضرها ، فاستدارت وعادت مطرقة الرأس من حيث أتت

ولما جاء الشاعر يزورها بعد يومين ، صارحته بكل شيء . فهاله فرط عذابها وعمق حسرتها وشدة يأسها . غير أنه هو نفسه كان متداعياً متهالكا محطم البدن والأعصاب . فاستفسرته الفتاة عن سر همه فصارحها بدوره أن الكونتس جروتشا هى صاحبة الرسالة وأنه أحبها وأنها خدعته وسافرت بالأمس الى بطرسبرج فى صحبة البارون الثرى (بافيل) عشيقها الجديد

وظل بوشكين يقص على روزا بافلوفنا حكايته وهى تنصت اليـه وترقبه . ولما فرغ التفت اليها وطوقها بذراعيه وطبع على فمها قبلة محمومة ثم أمسك بيدها وغمغم قائلا :

— الآن . . الآن فقط عرفت قدرك يا روزا ، وأنا متأهب للتكفير عن ذنبي والاقتران بك !

فنظرت اليه الفتاة نظرة طويلة ممزقة ثم أشاحت ببصرها وهي تختلج ثم انحنت عليه وتناولت يده ولثمتها فى ولع وشكر ، ثم نهضت لفورها وقالت فى لهجة هادئة ملؤها العزم :

— كلا . يا الكسندر . لست لى ولست لك . أنت ملك الحياة . وأما أنا فسأسافر . سأسافر الى قرية فى ضواحى « كييف » . وقد وجد لى صاحب هذا البيت الذى أسكنه عملا فى احدي مزارعه هناك

وصمتت وصمت هو أيضاً . والتهب فى الخارج قرص الشمس مؤذناً بالغروب . وكان ذلك اليوم يوم الوداع وخاتمة أول غرام فاجع فى حياة الشاعر الكسندر بوشكين !

عازف الكمان

قصة للروائي البولوني الذائع الصيت

هنري شيانكويكتر

يعد هنري شيانكويكتر من أكبر كتاب بولونيا الروائيين في مطلع هذا القرن . وهو صاحب قصة « كوفاديس » المشهورة ، وقصة « الطوفان » التي مجد فيها ماضي بولونيا الحربي . ويعرف أسلوبه الروائي بدقة الملاحظة وبلاغة العبارة وجمال الخيال الشعري

لم يعرف جوزيف رامسكي من متاع هذه الدنيا غير « كمانه » الصغير الذي أهداه اليه جده العجوز قبل وفاته بعامين . وكان جوزيف يعيش في قرية بعيدة من قرى بولونيا ، مع أمه الأرملة التي أشرفت على الخمسين والتي لا تنفك تسعل صباح مساء وتشكو داء الربو الذي يعكر صفو حياتها ، ويخنق الكلم في صدرها ويحول بينها وبين النوم الهنيء

وكان جوزيف يطوف كل يوم بأنحاء القرية ، ويقف بأبواب المزارع ، حاملا كمانه يعزف عليه أبدع الالحان ، فيخرج الصبيان من بيوتهم ، وتطل النساء من النوافذ ، وتستحوذ على الجميع نشوة ، فتتساقط قطع النقود على جوزيف الذي كان يسرع بالتقاطها ويعقد عليها منديله ، ويحملها آخر النهار الى أمه المريضة وهو جذلان يثب ويرقص ويقهقه

ولم يكن في وسع جوزيف الا ان يتمثل مختلف ظواهر الحياة في كمانه الصغير

كان الكمان رجع صدى العالم ، ورجع صدى القرية بأشجارها وطيورها ولون سمائها وعطر أزهارها ، وخرير مياهها ، وجلجلة الرعد فيها أيام الشتاء العابسة القاتمة

فمجرد العزف على هذا الكمان السحري ، كان يحيي العالم في نظر جوزيف ، ويملؤه صخباً ورهبة ، ويصب في قلب الشاب احساساً غريباً بالقوة والسيادة والعظمة

والحق ان جوزيف كان يستمتع وهو يعزف بنعمة الخلق التي يشعر بها كل فنان نابغ

كان يعلم حق العلم ان في مقدوره منافسة الطبيعة ، وابتداع الجمال ، وارسال أصوات وأنغام وألحان ، تزري بأصوات الهواء وأنغام الريح ، وألحان العصافير وهي سكرى بخمر الفرح في مستهل الربيع

ولذا فقد كان جوزيف سعيداً بكمانه ، يحبه غاية الحب ، ويحرص عليه كحدقة العين الثمينة ،

ويرقده فى علبته الخشبية كطفل فى الهد ، ويحمل العلبة كل مساء ويرقدها فى فراشه ويطوقها بذراعه ويضمها الى صدره ويظل يوسعها ضما وتقبيلا حتى يأخذ الكرى بمعاقد جفنيه فيستغرق فى سبات عميق

وهكذا عاش جوزيف رامسكى يرى فى كمانه واسطة الحياة ومهبط الفن ومبعث الجمال ، ويرى فى أمه الضعيفة المعتلة المخلوق الوحيد الذى يعطف عليه ويفهم نفسه ويقدر نبوغه ويرعى كمانه السحري أضعاف رعايته اياه

وكان الشاب قد بلغ السادسة عشرة من عمره ، وانقطع كل الانقطاع لفنه فلم يجد أية غضاضة فى العزف فى الشوارع لجمع النقود ، يقيناً منه ان هذا العمل لا يمكن ان يعد تسولا ، وان مال الدنيا بأسرها لو أغدق عليه فى لحظة ، ما ساوي نغمة واحدة تنطلق من كمانه اذ يلمسه بالقوس لمسة الفنان العبقري

والعجيب فى شخصية جوزيف ان عواطفه الشبوبة المحتدمة ، كانت لا تنصرف الى الخارج بل ترتد الى نفسه ، وتستقر على كمانه كي تتبدد فى روائع النغم ساعات العزف

وهذا هو السر فى انه كان يعرض عن فتيات القرية ، ولا يبحث عن الحب الدنيوي ، ولا يصبو فؤاده الى امرأة ، ولا يخطر على باله ان فى وسع الحياة امتاعه بسعادة أخرى يمكن ان تكون أبلغ وأعمق من سعادة الفن

وقد فطنت لذلك العذراء « لندا » ابنة المزارع ريكارد

شعرت بغريزتها ، وثاقب نظرتها ، وتوقد ذهنها المتوثب ، وقوة خيالها الجموح ، بحقيقة شخصية الشاب . وكانت فتاة ناهزت العشرين ، سوداء الشعر ، بيضاوية الوجه ، واسعة العينين ، دقيقة التقاطيع ، تشبه صورة القديسة المشهورة بمعجزاتها ، المرسومة فى الأيقونة الكبيرة المحلى بها جدار غرفة جوزيف والمدلاة على الحائط فوق سريره

نعم ، كانت لندا تشبه تلك الصورة المقدسة ، وكان جوزيف ـ عدو العذارى ، عدو الحب ، عدو الجنون والفوضى ـ لا يستطيع منع نفسه من النظر الى لندا وتأمل محياها كلما ظهرت على عتبة بيتها ووقفت تستمع لأناشيده ثم نفحته ببعض قطع النقود

وراعه ذلك الشبه الغريب ، فكان يقضى اللحظات الطويلة بجوار الصورة ، يحدق اليها ، ويتفحص ملامحها ، ويفاضل بين جمالها وجمال لندا ، ثم يغلى الدم فى عروقه ، وتهتاج أعصابه ، وتجيش عواطفه فلا يجد منصرفا لها فى غير العزف على كمانه ، فيتناوله ويحنو عليه ويلمسه بالقوس وهو يرنو الى الصورة ، وعندئذ تتصاعد الأنغام رقيقة عذبة شائقة أشبه بقربان يرفعه فنان الى مهبط وحيه وعروس الهامه !

وعلى مر الزمن لم يستطع جوزيف تجنب النظر الى لندا



كان يعزف بجوار بيتها فتنفحه بالنقود فلا ينصرف ، بل يظل يعزف تجاه الباب الموصد وتحت النافذة المغلقة ، الى أن تطل عليه لندا وتبتسم ، فيحييها ، ثم يمضى فى سبيله مطرق الرأس ، مضطرب الفكر ، كاسف البال

وفى ذات يوم من أيام الشتاء ، والريح تزأر ، والمطر يهطل ، والسماء الغاضبة الحالكة توشك أن تنقض على الارض ، انطلق جوزيف يعزف على كمانه بالقرب من بيت لندا ، فخرجت اليه تحت شؤبوب المطر ، وظلت تنصت الى أنغامه وقد بلل الماء ثوبها الابيض ، فرجاها أن تدخل فرفضت فاكبرها ، ولما فرغ من عزفه وهمت باعطائه قطعة النقود ، تراجع وانحنى ورفض بدوره أن يقبلها ، لأنه أدرك فى تلك اللحظة فقط أن لندا تحبه وانه أيضا يحبها !

***

وقل دخل جوزيف لأنه كان قد بدأ يحب . . كان لا يمر ببيوت القرية جميعا . كان لا يجد متسعاً من الوقت للعزف أمام مزرعة لندا وأمام المزارع التافهة الأخرى

لم يفكر فى والدته ، وفى حاجتها الى المال ، وفى دائها الخبيث ، وفى تكاليف الدواء ، وأجر الطبيب الذي لا يرحم . علمه الحب الأنانية ، واستغرقته عاطفته ، وتوزع قلبه الساذج الغض ، بين حب الكمان وحب لندا

وكانت لندا أكبر منه سناً ، وأغزر عقلا ، وأوفر تجارب ، طلقة مرحة ذات نزوات طارئة تخفيها تحت ستار البراءة والخفر والاحتشام وكانت الى ذلك فتاة قد طال بها انتظار الزوج المنشود

فعيل صبرها ، وبرمت بحياة العزلة والضجر ، وأرادت أن تسرى عن نفسها ببعض ضروب التسلية واللهو فى صحبة ذلك الشحاذ الجميل العبقرى

وأدركت موطن الضعف فيه ، أدركت أنه لن يحبها ولن تستطيع التغرير به ، إلا اذا أقنعته بأنها تفهم فنه حق الفهم ، وتعجب بهذا الفن أكثر من اعجابها بشخصه ، وتقدر فى شخصه نبوغه أكثر مما تقدر طلعته الزاهرة وشعره المموج المرسل الغزير

أخذته فى فخ كبريائه . فكانت تخلو به فى أحد أطراف القرية ، وتبقيه معها الساعات الطويلة وتعوقه عن عمله ، وتبالغ فى الاشادة بنبوغه ، وهو مستسلم اليها ، سعيد بها ، غير مكترث لواجبه فى سبيلها ، يختلس منها القبل ، فيضطرم بدنه وتلتهب حواسه ويثور فى نفسه حب الحياة ، فيعمد الى كمانه يمزق بأنغامه حجب الصمت ويسمعها منه في انشودة مختارة واحدة زفيف الرياح وهدير الموج ولعلعة البروق وزقزقة العصافير وكل ما يصطخب فى صدر الطبيعة من حركة وصوت ونغم !

ولما كان يسرف فى المكوث معها ، وينهض لاستئناف المسير وفى قلبه حسرة على يومه الضائع وربحه الزهيد ، وأمه التاعسة المسكينة ، كانت لندا تطيب خاطره وتعانقه وتضاحكه ثم تدس فى يده قطعة نقود فيضطر لقبولها وهو يشيح برأسه والدمع يكاد يطفر من عينيه

ولكى تستبد به لندا ، وتستأثر بقلبه ، وتجرب عليه سطوة المرأة ، وترضى فى نفسها الخبيثة غريزة التحكم والتملك ولذة اللهو والعبث بانسان ، أعربت له عن اشمئزازها من مهنته ، وصارحته لأول مرة بان اسم هذه المهنة هو التسول وان فى وسعها ان تمنحه من مالها ما يغنيه عن هذا التشرد ريثما تجد له فى مزرعة والدها عملا يمكنه من أن يعول والدته ، ويكفى نفسه ، ولا يبتذل فنه لذلك القطيع من الناس الذى يعد عزاف الشوارع متسولة وصعاليك

وما زالت به تزين له حياة الهوى والكسل وتنفحه بالنقود ، وتغافل والدها الشيخ وتذهب اليه فى طرق القرية حيث تعود قضاء يومه في انتظارها ، ما زالت به تزين له هذه الحياة حتى ألفها واستطابها وعلل نفسه بامكان العمل فى مزرعة لندا والاتصال الصريح بها واقناع والدها آخر الأمر بحبه لابنته وضرورة زواجه بها

***

وتبدلت على مر الايام شخصية جوزيف

أطاع لندا طاعة عمياء ، ونزل على حكم ارادتها وكف عن التجول بكمانه في شوارع القرية ، وقنع من حبيبته ببعض المال تجود به كل يوم عليه وهو لا يشعر ولا يفهم انه ما يزال فى نظرها الفتى الشريد البائس المتسول الذى عرفته بالأمس ! . .

وانحطت نفسيته وزايلته كرامته وأصبح يخجل من مهنته ، ويستنكر التفكير فى ممارستها ،

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

الدعاية فى المانيا

وسائل تنظيمها ومدى سلطتها

اللاسلكي : تنقسم البلاد الالمانية الى مناطق لاسلكية يشرف عليها موظف حكومي كبير ممنحه وزارة الدعاية سلطة مطلقة . ففي ساعة معينة من كل مساء تذيع جميع المحطات اللاسلكية الالمانية أخباراً وحوادث ومحاضرات وخطباً وافقت عليها وزارة الدعاية وسمحت باذاعتها بعد تمحيصها وتخير الصالح منها والتوفيق بينها وبين الاتجاه العام لسياسة الدولة



الدكتور جوبلز وزير الدعاية فى المانيا (عن مجلة Ken الامريكية)

وما ينفك الالمان ينشئون المحطات اللاسلكية الجديدة ، ويدخلون على القديمة شتى التحسينات ، ويبذل الاخصائيون منهم قصارى الجهد لتشويه الاذاعات الاجنبية وحصر مسامع الشعب فى دائرة الاذاعة المحلية الرسمية

ووزارة الدعاية تعرف فى الجمهور حبه العظيم للموسيقى الوطنية الاصيلة وتقديره لها واعجابه بكل من يسعى لنشرها وترويجها واختيار الاكفاء لعزفها ، ولذا تسرف المحطات فى اذاعة أبدع القطع الموسيقية من قديمة وحديثة ، وتتبارى فى التأثير فى الجمهور وكسب ثقته واقناعه بان من أول أغراض وزارة الدعاية تطهير الموسيقى الوطنية من شوائب العناصر الدخيلة ، ومن تشويه صغار العازفين . والواقع ان هذا الاهتمام العظيم بالاذاعات الموسيقية السليمة ، زاد تعلق الجمهور بمبادىء النازى ، ودل أبلغ الدلالة على ان الدكتور جوبلز يفهم حق الفهم نفسية الجماهير

السينما : تسيطر وزارة الدعاية الالمانية على الحركة السينمائية سيطرة تكاد تكون تامة . فالدكتور جوبلز يجمع الوقت بعد الآخر كبار رجال صناعة السينما ويصدر اليهم الاوامر فى شكل نصائح فيوجههم صوب الغايات الرئيسية التى تنشد الدولة تحقيقها

ولقد حرم عليهم اخراج أفلام تدعو الى السلام ، وأفلام تسخر بروح الجندية ومظاهرها ، وأفلام تعرض حوادث الحب عرضاً صارخاً مكشوفا ، وأفلام مشوبة بالنزعة اليهودية ، كما حرم عليهم استيراد الافلام التى تخرجها ستوديات روسيا السوفيتية

وقد أنشأت وزارة الدعاية غرفة خاصة بالأفلام وبنكا خاصاً بالاعتمادات المالية المتعلقة بصناعة السينما . ولكي تنشر بين جماهير الشعب أفلامها المختارة ، أنشأت وساعدت على انشاء ٤٦١ قاعة للسينما فى خلال أربعة أعوام ، ومنحت حق تأجير الافلام لأربعين شركة بدلا من ثلاثمائة ، وحددت أجور الممثلين والمخرجين والعمال ، وأشرفت على انتاج عدد كبير من الافلام يطابق فى جوهر موضوعاته آراء رجال الدولة ونزعاتهم

المسرح : كان المسرح الالمانى عام ١٩٣٣ يعانى ألم الاحتضار ، وكان عدد الممثلين العاطلين قد أربى على عشرة آلاف عقب الموجة السينمائية التى طغت على البلاد وأوصدت فى خلال بضعة أشهر أبواب معظم المسارح الكبرى

فى ١٨ يناير عام ١٩٣٤ ، أسندت الى جورنج مهمة الاشراف على مسارح برلين الكبيرة الاربعة ، وعهد إلى جوبلز بتنظيمها ، فلم يتردد فى اخضاعها لوزارة الدعاية بعد ان منحتها الحكومة إعانات مالية بلغت ١٢ مليون مارك

والحكومة الالمانية تراقب اليوم مختلف برامج القصص المسرحية المهيأة للتمثيل ، وتتدخل فى أساليب اخراجها وفى اختيار ممثليها وفى أدق التفاصيل المتعلقة بالفن المسرحي

الادب والصحافة : تفرض وزارة الدعاية رقابتها على جميع الصحف والمجلات الالمانية ، وتتناول

هذه الرقابة الاخبار والمقالات السياسية والبحوث الادبية وصفحات الصور والاعلانات . ويلاحظ على شركات الاخبار أنها أدمجت فى شركة واحدة تخضع للوزارة ، وان أكبر جهد تضطلع به مصلحة الصحافة هو احكام الرابطة بين ما ينشر فى الصحف وما يذاع من محطات الراديو بحيث يعيش الجمهور فى وحدة فكرية معينة

فمصلحة الصحافة هى التى توجه الكتاب وتختار عناوين مقالاتهم ، وهى التي توصى بمختلف البرامج اللاسلكية ، وهي التى تعنى بوضع قوائم تدرج فيها أسماء الصحافيين المرغوب فيهم والمنوط بهم كتابة المقالات الخطيرة فى مشكلات السياسة الخارجية

ولا يستطيع الصحفى مزاولة مهنته الا متى كان منتسباً لاتحاد الصحافة الالمانية . وهذا الاتحاد له قانونه المستقل ومحكمته الخاصة التى فى وسعها توقيع العقوبات على الصحفى أو فصله متى أخل بواجب المهنة ، أو خرج على اجماع الاعضاء ، أو اتصل بهيئة ذات نزعات اشتراكية أو ماركسية

هذا هو النظام الذى تتبعه وزارة الدعاية فى المانيا ، وقد يستنكره الاجانب ولا سيما الانجليز والفرنسيون ولكن الوزارة تقول فى ردها عليهم :

— ان حرية الصحافة خيال ، والصحافة ليست فى الواقع حرة فى أية أمة من أمم العالم ، وهى فى البلاد الاجنبية لا تفلت من سيطرة الدولة الا لتقع تحت سيطرة أقطاب رجال المال ممن يخدمون مصالحهم أو مصالح الاجانب على حساب الدولة [ملخصة عن مجلة ريفو دى دوموند]

دعائم الامبراطورية البريطانية

صحيفة نازية ترى أنها لن تزول

يردد العالم فى هذه الايام سؤالا خطيراً هو : هل يرجى للامبراطورية البريطانية أن تبقى وتحيا ، أم آن وقت ضعفها وزوالها ؟

وجواب هذا السؤال يقتضى بحث الصلات التى تربط أجزاء الامبراطورية بعضها ببعض ، ودرس الدعائم التى قام عليها هذا البناء الشامخ أجيالا متتالية

« فالممتلكات الحرة » لا يربطها بالامبراطورية فى الظاهر الا صلات ضعيفة متراخية ، ومع هذا تشعر بأنها مرتبطة بانجلترا وملكها أوثق ارتباط . وقد كنت فى مدينة « الكاب » وجورج الخامس يحتضر ، فرأيت بعينى كيف احتشدت كنائس المسيحيين ومساجد المسلمين ومعابد اليهود جميعاً ، بأفواج المصلين والداعين له بالشفاء . وكان الناس يزدحمون فى الشوارع كل يوم بضع مرات ، وقد

بدت عليهم سمات القلق والجزع والاضطراب ، ينتظرون النشرات التي تذيعها الحكومة عن صحة الملك ، وكذلك كانت الامهات والفتيات يترقبن ما يذيعه الراديو من هذه الانباء . ولما أعلن خبر وفاته رأيت الكثيرين يشهقون بالبكاء ، مع أنهم هم الذين طالما تظاهروا ضد بريطانيا ، وطالما هتفوا بسقوط امبراطوريتها . وقد ظلت النساء أسابيع عدة يرتدين ملابس الحداد ، كما بقي الرجال يربطون أعناقهم بأربطة سوداء ، حتى البوير والزنوج كانوا كالآخرين حزنا وحداداً

ومرجع هذا الى السياسة الحكيمة البارعة التي تجري عليها علاقات انجلترا بممتلكاتها الحرة . فهي تحتال على علاج كل خلاف أو نزاع يعترى هذه العلاقات ، بما عهد في ساستها من مهارة وكياسة ، وفي الوقت نفسه لا تدع فرصة تمكنها من تدعيم سلطتها وبسط سيادتها الا انتهزتها . أضف الى هذا الخطة الحكيمة التي تتبعها انجلترا مع الشخصيات البارزة في ممتلكاتها ومستعمراتها ، فهي لا تبخل عليهم بالألقاب والأوسمة والهدايا ، التي كثيراً ما كانت خير عون لها على تحقيق مآربها

وأهم من هذا كله المنهاج الذي يجري عليه التعليم في أرجاء الامبراطورية كلها ، حيث ينشأ الشباب نشأة انجليزية خالصة ، يكيف فيها تفكيره وشعوره وفق الأساليب الانجليزية

واذا استثنينا بعض نواحي كندا حيث يتمسك الفرنسيون بلغتهم ، ومناطق البوير الذين يحافظون على مظاهر قوميتهم ، نجد الانجليزية تسود جميع نواحي الامبراطورية ، ونجد مدنا لا تختلف في أي شيء عن مدن انجلترا الصميمة . وقلما نجد الروح القومي في احدى ممتلكات الامبراطورية يعادل الروح الانجليزي الغالب . أي ان نهج التعليم في الممتلكات يخلق من أبنائها «أتباعاً» مخلصين للامبراطورية

ولا شك في أن «حركة الكشف» التي أقامها انجليزي صميم هو سير بادن باول من أهم الاسباب التي عاونت على نشر الافكار والاساليب الانجليزية في جميع أنحاء الامبراطورية . وقد ظهرت في جنوب أفريقيا حركة كشف قومية اسمها «نورنيكرز» ، ولكنها ما زالت تنافس ، عبثا ، حركة الكشف الانجليزية القوية

ومن الدعائم التي تقوم عليها الامبراطورية سيطرة انجلترا على



الكرة الأرضية على هيئة نجم تتوسطه لندن عاصمة الامبراطورية البريطانية ، التي وإن كانت تتألف من مستعمرات وممتلكات منتشرة في جميع أرجاء العالم إلا أنها تؤلف كتلة متحدة متراصة ترنو إلى ملك واحد ، وتسير تحت لواء واحد

جميع وسائل الاذاعة بالصحف وبالراديو ، ففي جنوب أفريقيا مثلا تحتكر احدى وكالات لندن جميع الانباء التى تنشرها الصحف . وهكذا تستطيع انجلترا ان تبث الدعوة التى تريدها ، فتوجه الرأى العام الوجهة التى تقصد اليها

على أن هناك قوى أخرى تجعل المتلكات الحرة تنظر الى انجلترا نظرة الأطفال الصغار الى أمهم الرؤوم . فهي التى تحمي الممتلكات وتؤمنها من عادية أى عدو يطمع فيها . فهذه أستراليا الفسيحة الخصبة ترمقها عين اليابان الطامحة الى التوسع والاستعمار ، ولكن أستراليا لا تخشى شيئا فقد تكفل الاسطول البريطانى بحمايتها ، دون أن تُرهق الملايين القليلة التى تسكن أستراليا ببناء أسطول خاص بها

وكذلك أفريقيا الجنوبية كفت نفسها مؤونة بناء الاساطيل وحشد الجيوش ، بان جعلت مدينة « سيمونستون » قاعدة للاسطول البريطانى ، وهذا ما تستمتع به أيضا كندا ونيوزيلندا

وتتيح الامبراطورية البريطانية لممتلكاتها كثيراً من المزايا الاقتصادية وتهيء لها وسائل الاستقرار المالى ، بفضل الارصاد الضخمة التى يمتلكها حى « السيتى » فى لندن . وأوضح مثال لهذه المزايا ، ان كندا لا تختلف كثيراً عن الولايات المتحدة فى حياتها الاقتصادية ، ولكن لما وقعت أزمة سنة ١٩٣٢ لم يفلس بنك واحد من بنوك كندا ، بينما أفلس فى الولايات المتحدة ثمانية آلاف من البيوت المالية ، وفقد ملايين من السكان ودائعهم ومدخراتهم . ولا شك فى أن هذه الميزة الكبرى تحمل الممتلكات على أن توثق صلاتها بلندن ، حيث تجد المعونة كلما أزمتها الشدائد وثمة ميزة اقتصادية أخرى ، هى ان الامبراطورية تهيء لممتلكاتها أسواقا تصرف فيها كل منتجاتها الزراعية والصناعية ، فصوف أستراليا وجبن نيو زيلندا وفواكه أفريقيا وغلال كندا ، تنقل على السفن البريطانية بأسعار مخفضة ، وتمنح فى أسواق الامبراطورية الكثيرة مزايا تجارية تسهل تصريفها ورواجها

وسكان الممتلكات يعدون انجلترا وطنهم ، مهما بعد عهدهم بها وطالت حياتهم فى هذه الممتلكات . فقد قابلت فى احدى رحلاتي رجلا ولد ونشأ فى سدني باستراليا ، فسألته عن وجهته فقال : « انى عائد الى وطنى » ، مع ان أباه ولد فى أستراليا ولم تطأ قدمه أرض انجلترا . ولا شك فى أن الخطوط الجوية التى تقرب ما بين انجلترا وممتلكاتها النائية قد وثقت روابط الامبراطورية وزادتها احكاما

ومنذ قام النزاع الايطالى البريطاني ، وبدت قوات تعادى انجلترا وتهددها ، ظهر أن هذه الممتلكات تؤلف كتلة واحدة ، وانه اذا قدر على انجلترا أن تدخل الحرب فستجد جميع أبناء هذه الممتلكات ــ التى كثيراً ما ثارت وتمردت على الحكم البريطانى ــ تسير صفا واحداً وراء العلم البريطانى

[خلاصة مقال لمنفرد زاب فى مجلة ويل أوند ماخت الألمانية]

ما أضعفنا نحن النساء !

فهذه الدنيا للرجال وحدهم ..

نصف العالم نساء ، ولكن أية ناحية فيه تشغل المرأة نصفها ؟ فكيف اذن نتحدث عن المساواة بين الرجل والمرأة وكأننا نتحدث عن أمر واقع وحق مقرر ، مادامت النساء عاجزات حتى اليوم عن أن تشغل ـ لا أقول النصف ـ بل ١٠ فى المائة فحسب من كراسى الوزارات ، ومقاعد البرلمانات ، ومناصب رجال الدين والقضاء ، ومراكز أصحاب الصحف وكتابها ، ووظائف السلك السياسى والاقتصادى وغيرها من الاعمال الرئيسية ؟ !

نعم ، فما يزال الرجل على رأس كل وظيفة كبيرة ، وما يزال يشغل كل منصب يدر ربحاً وافراً ، وما يزال يتولى كل عمل له أثره فى توجيه الناس والاشراف عليهم . وكلمة « العمل » هنا واسعة جداً ، تدخل فى نطاقها شئون السياسة ، ومباحث العلم ، وآثار الفن ، أي كل عمل ينتج ربحاً مادياً أو معنوياً . . فما من ناحية لم يبسط الرجل عليها سطوته ونفوذه ، وما من مجال بقى خالياً للمرأة وحدها مهما جاهدت وكافحت ، ذلك أن هذه دنيا الرجال وحدهم

هي دنيا يصرف شئونها الرجال ، تحقيقاً لمآرب الرجال

وان كنت فى شك مما أقول فلاحظ كل ما تراه ، وكل ما تسمعه ، وكل ما تقرؤه ، وكل ما تفكر فيه مدى اسبوع كامل ، ثم أجبنى عن هذا السؤال :

« أى شىء من هـذا كله يخص المرأة وحدها ، وأى شىء فى هـذا كله لا يتعلق بالرجل فحسب ؟ »

ستجد فى مقالات الصحف وأحاديث المحاضرين ، أن الرجل هو المقصود بكل كلمة وكل فقرة . حتى الأمثلة ، والمجازات ، والاستعارات ، تتعلق بالرجال وحدهم ، وليس فيها للنساء نصيب !

ولا يرضى الرجل ، بل لعله لا يستطيع ، أن يصدق ان المرأة يعنيها ما يعنيه ، ويهمها ما يهمه . بل هو ينظر الى الدنيا كلها كأنها ملك خالص له ، ما عدا قطعة صغيرة منها اسمها « دائرة المرأة » التى لا تؤدى فيها سوى أعمال الطهي والغسل والرضاع وما شابهها من شئون المنزل . . وأما الدنيا الرحيبة الفسيحة خارج هذه « الدائرة » فهي للرجل وحده ، هو الذي يشرف عليها ويديرها ، وهو الذى يستمتع بها ويستفيد منها

وبهذا «الايحاء» الذى يوجهه الرجل للمرأة ، وبهذا «الشعور» الذى تحسه المرأة قبل الرجل لم يعد من اليسير ، بل انه من المتعذر ، على المرأة أن تخطو الى الامام . . فوقفت فى مكانها ، يائسة

محاذرة ، تجاه هذه القوات التى توارثها الرجال منذ القدم ، وسيطروا بها على كل نواحي الحياة

فمحاولة المرأة أن تشارك الرجل هى من قبيل حفر خندق فى الرمال ، كما أرادت تعميقه وتوسيعه انهالت عليه الرمال فطمرته . . وهكذا نجد المرأة تكافح وتناضل فى سبيل أن تقف مع الرجل على قدم المساواة ، ولكنها ما تكاد تنهض قليلا حتى تكبو تحت اعباء من سطوة الرجل وسيادته ، ثم اذا بها تهوى الى حيث كانت منذ أجيال وقرون

ولماذا يرضى الرجال بأن تتحرر المرأة ؟ ان قليلا منهم هم الذين وجدوا أن الفائدة التى يصيبونها من معاونة المرأة المتحررة الذكية ، أثمن من المتعة الزائفة التى ينالونها من « امرأة بيت » تخدم الرجل وتدلله ، ولكن أكثرهم لم يدرك أى خير فى خروج المرأة من « دائرتها » ومشاركتها إياه نواحي الحياة الواسعة المتعددة . فالرجل العادى يرى أنه كلما كانت المرأة مرتبطة ببيتها محبوسة فى « دائرتها » كانت خيراً من هذه التى لاتكاد « تتحرر » حتى توجه همها الى مناوأته ومشاكسته ، أى هو يرى أن كل امتياز يمنحها إياه انتقـــاص من حقه وحريته ، وكل فائدة تنالها ليست إلا خســـارة تلحق به . .

وما من شك فى أن الرجل مصيب فى رأيه هـذا الى حد بعيد . ذلك أن المرأة طالما عادته وهاجمته وثارت منه وتمردت عليه ، بدل أن تجاريه وتترضاه وتخادعه وتحتال عليه ، أى أن سوء الظن متبادل بينهما ، والجفوة متأصلة فى نفسيهما ، وما أحسب أننا لو كنا رجالا كنا نعامل النساء إلا أسوأ معاملة !

ويجب أن نعذر الرجل فى استئثاره بالسلطة وتشدده فى حقوقه ، فانها لنعمة طائلة أن يشعر كل رجل ـــ مهما صغر مركزه ـــ أنه أرقى من نصف العلم بأسره !

وما من امرأة تعد كاملة اذا لم يضع الرجل يده عليها ويبث فيها نسمة الحياة . وما من شك فى أنها هى أيضا ترى حياتها ناقصة وتافهة حين لاتجد زوجاً يسودها ويخضعها . فلماذا لايظل الرجل فى بيته كما كان الأمير فى قلعته ، ولماذا لا تظل هذه الدنيا ملك الرجال ولا شأن فيها للنساء ؟

ولا عجب بعد هـذا الا يصاب الرجل « بمركب النقص » الذي يتحكم فى المرأة . . فهو حين تنتابه هذه العقدة النفسية ما عليه إلا أن يذهب الى غرفة مزدحمة بالنساء ، فاذا به يخرج منها وقد عوفى من هذه العقدة ! !

ذلك أن هذه الدنيا هي دنيا الرجال ، وإلا فما معنى أن يختلف اليهود والنازى فى كل أمر إلا فى أمر المرأة : فالنازى يضيقون عليها الخناق ويجردونها من كل كفاءة تؤهلها لمساواة الرجل ، واليهودى يحمد الله فى صلاته على أنه سوّاه رجلا ولم يشوهه بخلقه امرأة ! !

[خلاصة مقال من كتاب « ما أغبانا نحن النساء » للكاتبة الانجليزية الين دوروثى آب ، فى مجلة وورلد سايز]

المانيا الجديدة

تتجه الى دين جديد

ينهض حكم النازي فى المانيا على ثقافة معينة ذات طابع خاص تستمد قواها من بعض عناصر الفلسفة الألمانية ومن طبيعة الشعب الجرمانى نفسه

والفلسفة الاجتماعية الألمانية معروفة بتقديسها مبدأ سيادة الدولة وإنكارها الآراء والنزعات التى بثتها الثورة الفرنسية فى أوربا والتى تقوم على استقلال الفرد وحريته تجاه استبداد الدولة

ففى فلسفات نيتشه وهيجل وتياك واضرابهم نلمح مبدأ سيادة الدولة وحقها فى التصرف المطلق فى حرية الفرد من أجل مصلحة المجموع الممثل فى شخصية الدولة ورجالها

وليس شك فى أن تلك الفلسفات انحدرت من طبيعة الأمة الألمانية ، وصدرت عن جوهر المزاج الجرمانى الولوع بالعظمة ، المغرم بالقوة ، التواق الى السيادة ، النزاع الى التفوق ولا سيما فى الميدان الحربى

والواقع أن آثار هذا المزاج تبدو واضحة فى الشعب البروسي المشهور بالغطرسة والكبر وحب القتال ، أكثر مما تبدو فى الشعوب الأخرى التى تتألف منها الدولة الألمانية . ولكن العقلية البروسية هى التى سيطرت على المانيا أيام بسمارك ، وهى التى ربحت حرب السبعين ، وهى التى ساقت غليوم الى الحرب الكبرى ، وهى التى أوجدت النظام الهتلرى وأقامت صرحه على مبدأ تقديس الدولة وفناء الفرد فى شخصيتها . وكان لا بد لهذه العقلية ذات الفلسفة النابعة من خصائص عنصر معين ، وذات الاتجاه الظاهر صوب القوة والتفوق ، أن تتبرم بفلسفة المسيحية القائمة على الرحمة والمحبة وأن تحاول ما استطاعت خلق دين جديد يتفق مع مزاجها وروح ثقافتها ومميزات عنصرها

وهذا الدين الجديد أشار الى بعض أصوله الداعية النازى الذائع الصيت الفريد روزنبرج فى كتابه (أسطورة القرن العشرين) . وأوضح قواعده الدكتور أرنست برجمان الأستاذ بجامعة ليبزيج فى كتابه المعروف باسم (الكنيسة الوطنية الألمانية) وتتلخص فلسفة هذا الدين فيما يأتى :

ليس فى التوراة ولا فى شخصية المسيح ولا فى العقيدة القائلة بخطيئة آدم الأصلية ، أية علاقة بالشعب الجرمانى وروحه ومنزعه . ان الشعب الجرمانى يشعر بقوته ولا يمكن أن يفهم أن هناك هوة ساحقة تفصل بين الفرد وبين الله . فالله يعيش فينا ونحن مركز ألوهيته ، ولو كانت فطرتنا ملوثة بخطيئة آدم كما تقول المسيحية ، ما أحس الفرد منا أنه قوي وأن فى وسع عقله المتوقد بسط سلطانه على العالم

فالمسيحية تؤمن بأن الخطيئة أو نزعة الضعف متأصلة فى نفس الانسان . وأما الرجل الجرمانى الجديد فيؤمن بأن الانسان خلق ليكون قوياً وليزداد قوة وتفوقا على مر الأجيال

وكما تتطور الطبيعة وتتجه نحو الأصلح والأنسب والأقوى ، كذلك يتطور الانسان

وأما البدن بغرائزه وشهواته فليس عدو النفس كما تزعم المسيحية ، بل هو جزء متمم لها أو هو قطعة منها ، وما تلك الغرائز والشهوات التى تمرح فيه إلا الدليل البالغ على حيويته ، وعلى أن الانسان يجب أن يطلق فى بعض الأحيان العنان لغرائزه ، ويجب ألا يثور على الطبيعة متى عصفت به شهواته ، لأن الغرائز والشهوات هى التى تدربه وتصقله ، وتدنيه من الحياة الواقعة ، وتفعمه بالتجارب والاختبارات ، وتشعره آخر الأمر بما يكن فيه من قوى أبدية خالدة

تلك هى صفوة فلسفة الدين الألمانى الجديد وأما تعاليمه فيمكن اجمالها فيما يلى :

أولا ــ الفرد الألمانى أقوى الأفراد اطلاقا ولذا فهو قبس من الله وهو مركز الألوهية

ثانياً ــ على الفرد الألمانى أن يؤمن بأنه يحارب على الدوام فى سبيل مجد المانيا

ثالثاً ــ على الفرد الألمانى أن يؤمن بألمانيا ، وطنه المعد لخلق انسانية جديدة

رابعاً ــ على جميع الألمان أن يؤمنوا بأن كنيستهم ممثلة فى عظمة الدولة ، وأن رئيس الكنيسة هو زعيم الدولة ، وأن رجال الكنيسة ما هم إلا من موظفى الدولة ، وأن الدولة وحدها هى التى تعينهم وتقيلهم ، لأن كل ألمانى انما يحيا بالدولة وبدون الدولة يموت

خامساً ــ يجب فض الهيئات والشعب الدينية المختلفة ليصبح الألمانى لا دين له إلا دين الدولة

سادساً ــ تجب مصادرة أملاك الطوائف الدينية بعد منحها تعويضاً مادياً يناسب قيمة أملاكها

سابعاً ــ يجب أن تنظم للدين الجديد أعياد جديدة فيصبح عيد الميلاد عيد الاحتفال بانقلاب الشمس وميلها الأعظم في الشتاء ، وعيد الفصح عيد الربيع أو معادلة الليل والنهار ، وعيد العنصرة عيد الخصب

هذه هى التعاليم الدينية الواردة فى كتاب البروفسور أرنست برجمان . وقد شاع معظمها بين الشعب وكان لها أكبر الأثر فى الصراع الذي نشب وما يزال ناشباً بين حزب النازي ومختلف ممثلى المذاهب المسيحية ولا سيما مذهب الكثلكة

وغرض الألمان من ابتداع دين جديد هو تركيز جميع السلطات حتى السلطة الروحية فى يد الدولة . وهكذا يكون النضال الذى قامت به أوربا الديموقراطية لفصل الدين عن الدولة ، ومنح الأفراد حقهم المطلق فى اتباع عقائدهم الخاصة ، وحماية هذا الحق واحترامه ، يكون هذا كله قد انقلب الى عكسه فى المانيا النازية ، وارتد بين عشية وضحاها الى نضال فى سبيل نظام يشبه أنظمة القرون الوسطى أيام كانت الدولة تعتز بالسلطتين الروحية والزمنية

[ملخصة عن مجلة ليزانال]

الامية فى الزواج

أكثر الازواج يجهلون الحياة الزوجية

يقدم الناس فى العادة على الزواج وهم جهلة أميون لا يدركون من شئون الحياة الزوجية إلا ما يتعلق بالمصلحة المادية والمركز الاجتماعي وتلبية نداء الجنس وغريزة النوع

وقد وقف الكاتب الامريكى (ديل كارنيجي) حياته وجهوده على دراسة مشكلة الزواج ، فاتصل بعدد كبير من المتزوجين ، وتغلغل فى محيط الأسر الأمريكية الشعبية والمتوسطة والراقية ، واستخلص من ملاحظاته وتجاربه كتاباً رائعاً فى (فن المحبة) أحرز نجاحا عظيما وطبع منه فى أقل من عامين أكثر من نصف مليون نسخة

واليك صفوة الملاحظات الواردة فى هذا الكتاب :

يقول المؤلف إن رغبة السيطرة هى التى تفسد العلاقات الزوجية وتسممها . فالرجل يرغب فى بسط سلطانه على المرأة اعتقاداً منه أن الانثى لا تنشد فى الذكر غير القوة ولا تجد السعادة إلا فى الامتثال والطاعة . والمرأة ترغب فى السيطرة على الرجل خوفاً منه وخشية أن يسرف فى استخدام قوته على حساب راحتها وأمنها ومستقبلها البيتى

فالرجل يفرض سلطانه ، والمرأة تحذر عواقب هذا السلطان ، ومن هنا ينشأ النزاع ويتقوض شيئاً فشيئاً صرح الأسرة

وأكبر الخطر فى الحياة الزوجية أن افراط الرجل فى الاعتداد بنفسه واملاء ارادته ، قد يؤدي فى بعض الأحيان الى حرمان المرأة من التمتع بقسطها المشروع من الحرية . كما أن افراط المرأة فى اتقاء عسف الرجل قد يفضى الى حرمانه هو الآخر من التمتع بحريته التي يرى فيها الرمز الحي لرجولته

ومع ذلك فالزواج فى عرف المستر (ديل كارنيجي) تهدده المرأة أكثر مما يهدده الرجل . لأن الرجل بالغة ما بلغت كبرياؤه ، ينشد فى الزواج السكون والاستقرار بعد طواف العزوبة المؤلم . أما المرأة فتنشد الحياة والانطلاق والفكاك من الأسر الذى احتملته صابرة وهى عذراء

فالمرأة إذن هى التى تثير المنازعات البيتية ، وهى التي تصبو الى المرح ، وهي التى لا تقدر الهدوء العائلى ، وهى التى تنقضى حياتها فى البحث عن غرضين : معرفة الحياة والتمتع بها ، والاحتفاظ فى نفس الوقت بمحبة زوجها وأبنائها .

غير أن هذين الغرضين قد يتعارضان ، لأن من يحب الحياة الواسعة من الصعب عليه أن

يعيش فى جو البيت الضيق الفاتر ، ولذا فهو يشاكس ويتذمر ولا ينفك يتململ ويشكو

ولقد كان نابليون الثالث وتلستوى ولنكولن من ضحايا هذه الظاهرة . وكانت نساؤهم جد شاكيات متبرمات يتطلعن الى أفق حافل بالروائع ويستخدمن ذكاءهن لاضعاف قوى أزواجهن وحملهم على ترك حياة الأسرة حيث العمل فى ظل الهدوء والتفاهم ، الى حياة «الدنيا» حيث المرح والتمتع فى ظل الانطلاق والحرية

فشعار الزواج الناجح فى عرف المؤلف هو : أن تحب زوجك على شرط ألا تحاول الحد من حريتها المشروعة ، وأن تدعها تعيش كما تهوى مادمت واثقاً بها . فالرجل يجب أن يفهم أن امرأته لم تخبر الحياة مثله ولم تتذوق مباهجها ، فعليه أن يلطف من كبريائه إذن ويسمح لها ببعض الحرية ويدرك أن التجاوز والتسامح والاغضاء فضائل « سياسية » قد تعود بأجزل النفع ، وتمهد - فى دائرة تقديس الواجب الزوجي المشترك - طريق التفاهم العاطفى والعقلي

وأما المرأة فيجب أن تفهم أن تمتعها بتلك الحرية يجب أن لا يطغى على واجبها البيتى وعلى حرية زوجها المشروعة وعلى حقه فى العمل الهادىء فى محيط الأسرة

ونلخص النصائح الثمينة التى يسديها المستر ديل كارنيجي الى المتزوجين فيما يأتى :

أولا - لا تعترضى اسلوب زوجك فى تحقيق سعادته ما دام هذا الاسلوب شريفا ، وطالبي بأن يكون لك أنت أيضاً أسلوبك الخاص فى تحقيق سعادتك فى دائرة الوفاء والشرف

ثانياً - لا تحاول جعل زوجك صورة منك ، فهذا هو المستحيل بعينه

ثالثاً - لا تسرف فى انتقاد أخلاق زوجك ، واجتهد فى الاشارة الى اخطائها فى عتاب لين رشيق

رابعا - لاحظي كفايات زوجك واعجبي بها وقدريها صراحة ، فهذا التقدير يضاعف الحب ويوثق روابط التفاهم

خامسا - على المرأة أن تشعر زوجها بأنه الرجل وأنه السيد ، فهذا يرضى كبرياءه . وعلى الرجل أن يشعر امرأته بأنها جميلة وأنيقة وصاحبة ذوق سليم . فهذا يرضى زهوها النسوى

سادسا - لاتتردد فى التنويه بجودة الطعام متى كانت زوجتك هي التى أعدته أو أشرفت على اعداده . فسرورك بالطعام تقدره المرأة لأنه سرور بشىء حسى

سابعا - امنح امرأتك فى كل صباح قبله قبلة الصباح غذاء اليوم

ثامنا - لا تخجل من الاعراب عن حبك لزوجك .ولكن تجنب الاسراف فى اظهار عواطفك

تاسعا - اذا أغضبتك الحياة فى الخارج فلا تصب جام غضبك على زوجك

عاشراً - التسامح فى دائرة الشرف هو سر السعادة فى محيط البيت

[ملخصة عن مجلة اوكوران]

هنری فورد يشرح مبادئه

النجاح لا يتطلب خططا وبرامج

منذ خمسة وسبعين عاماً وقف أحد الأطباء أمام بيت ريفي بسيط ، وأخذ يهز يد صاحب البيت مبشراً ومهنئاً ويقول : « إنه ولد يا مستر فورد ، وأرجو أن يكون ناجحاً نافعاً » . ثم ركب عربته التي أخذت تتأرجح وتتمايل فوق السكك الزراعية ، وسط جماعات من الزراع ما كانوا يرون العربات إلا بين الحين والحين . . . واليوم أقفرت هذه المنطقة من حقولها وحدائقها ، فان هذا « الولد » قد أحالها مدينة صناعية ضخمة تنعقد فى جوها سحائب الدخان القاتمة ، وتدوى فى



هنری فورد

أرجائها أصوات الآلات الصاخبة ، وتمتد حولها صفوف من السيارات لا يقطعها البصر . . .

وها هوذا « هنری فورد » يجلس فى مكتبه فينظر إلى أطلال قريته التي احتفظ فيها ببيته وبيوت جيرانه ، فيذكر أيام الطفولة الغريرة وسنين الصبا اللاهية ، ثم يتطلع الى مداخن مصانعه الفضية وهى تشق أجواز السماء ، فلا يأخذه الغرور بما بنى وشاد . . . ذلك أنه فيلسوف أو حكيم :

فهو من أغنى رجال العالم مالا ولكنه لا يكترث للمال بل يأنف منه

وهو من الدعائم التي قامت عليها الحضارة الآلية ، ولكنه في قرارة نفسه صوفي حالم

وهو في نظر كثيرين ليس إلا « رأسمالياً » يستغل العمال ، ولكنه في نظر كثيرين خير أصدقاء العمال وأبرهم بهم

وهو يستعيذ من كل إحسان يطلب اليه ، ولكنه يتصدق في الخفاء عن سخاء

في حياته كثير من المفارقات ، وقد بدت لي حقائق أخرى حين أخذ يشرح لي مبادئه وفلسفته ، فقال :

« لا تفكر في المال كأنه غاية الحياة ومقصدها . والشاب الذي يبدأ حياته متوياً جمع المال ، جاهداً في سبيل الاثراء ، يختمها عادة كما بدأها . ذلك أن المال لا يصنع قهراً ، وإنما يأتي من تلقاء نفسه

« وأقرر بكل إخلاص أن المال عندي لم يكن إلا « محصولا ثانوياً » . لم أعلق به ذهني طويلا . وكل ما كنت أعتقده أن من يؤدي عملا صالحاً لا بد أن يكافأ عليه ويثاب

« وأوفى جزاء كنت أرجوه وكنت أناله ، منذ كنت صبياً في المزرعة إلى أن صرت صاحب هذه المصانع ، هو « التجربة » وهي فيما أرى أثمن شيء في الحياة . وقد خلقنا لغاية واحدة : أن نأخذ من الحياة كل ما نستطيع من التجارب ، وأن نهيء أسواننا ا كتساب هذه التجارب . والتجربة هي الشيء الوحيد الذي لا يستطيع أحد أن يسلبك إياه

« و لم أضع أي برنامج لحياتي . ولماذا ؟ سر في طريقك قدماً ، وأد العمل الذي يطلب منك ، وهذا وحده منهاج قويم ..

« إني آوي إلى فراشي حين أتعب ، وأستيقظ من نومي بعد أن أستريح . وآكل حين أجوع ، لا حين تأتي ساعة الوجبة . فأنا لا أقيد نفسي بموعد ، ولا أربطها بخطة »

أليس من الغريب إذاً أن تكون هذه المصانع التي يتحرك ويقف كل شيء فيها وفق الدقائق والثواني صنع رجل لا يأبه للمواعيد ولا يتقيد بالأوقات ؟ ؟

ولكن ليس معنى هذا أنه يبعثر وقته أو يربك حياته ، فقدتعود أن يكون في مكتبه في الساعة الثامنة من كل صباح ، وأن يتغدى في المصنع مع مستشاريه وأعوانه ، ثم يقضي شطراً من المساء مع أسرته . وهو في عمله نشط سريع ، تشعر أن قوة أعصابه تعوضه عن قوة بدنه ، وتلمس في حركاته عنف هذه الأعصاب ومتانتها

ومن العجيب أن هذا الرجل الذي نشأ نشأة مادية محضة ، في وسط صناعي لا يدع مجالا للتأمل الروحي ، يؤمن برأي كرأي الهندوكيين في التناسخ ، فهو يقول: « إن غرائز الانسان ليست إلا تجاربه الموروثة . . لا أعني التي ورثها عن آبائه ، بل عن ماضيه البعيد . فكثيراً ما أتبين صواب الذين يقولون إن الانسان عاش قبل حياته الراهنة مرة أو مرات سابقة . فاني أرى أطفالا يعرفون أموراً ما كان لهم أن يعرفوها لو أن ماضيهم لم يتعد هذه السنوات القليلة التي عاشوها .

وإنى لأذهب إلى أماكن لم أطأها من قبل فيخيل إلى أنى أعرفها تمام المعرفة . . ! ولعل هذا من الأسباب التى تجعلنى فى غنى عن أن أسافر وأتنقل كثيراً ! !

« وأنا لا أرى شيئاً اسمه الحظ . وهذا الذي نسميه « سوء الحظ » ، ما هو إلا هذه التجارب التى يجب أن نسعى اليها ونتلمسها ، ويجب أن نحتفظ بها ونتدبرها ، لأنها هى الطريق الوحيد الذى يهيىء لنا أن نصل إلى ما يسميه الناس « حسن الحظ »

« على أننا لا نسير فى الحياة وفق رغائبنا أو مناهجنا ، بل نحن مكرهون على أن نسلك سبلا لا خيار لنا فيها ولا خلاص لنا منها . . . فهناك قوة أعظم من قوتى ، تدفعني دفعاً لا هوادة فيه . وقد سألتني ما الخطة التى سرت عليها فى الحياة ، فقلت إنه لم تكن لي أية خطة . وتسألنى عن الهدف الذى أرمى اليه ، فأقول لك إنه ليس أمامى أى هدف ، وليست لدى أية نية »

[خلاصة مقال للصحفى الأمريكى س . ج . ولف فى مجلة نيويورك تايمز]

الحياة فى هوليوود

بقلم هنرى دى روتشلد

البارون هنرى دى روتشيلد الثرى الفرنسى الشهير كاتب مسرحى أيضاً . وله مسرحيات شائقة أخرجها باسم (أندريه بسكال) . وقد زار هوليوود زيارة سائح وناقد . واليك بعض ملاحظاته عن مدينة السينما :

ان الشركات السينمائية الكبيرة فى هوليوود أمثال شركة مترو جلدوين ماير أو اخوان وارنر ، تخرج أفلامها فى شبه أبهاء أو مسارح واسعة ، يمكن ان تمثل فيها مشاهد عدة لأفلام متعددة فى وقت واحد

ويبلغ طول البهو أو المسرح نحو مائة متر ، وارتفاعه أكثر من عشرين متراً ، وهو مقسم إلى عنابر مختلفة الاتساع ، في كل منها جمع من الممثلين يقومون بأدوارهم تحت اشراف المخرج

ولقد شاهدت عنابر خالية الا من ممثل أو اثنين ، وعنابر مهدمة تهيأ مناظرها لحوادث فلم جديد ، وأخرى زاخرة بطوائف الممثلين والمخرجين والمهندسين والمصورين فكأنها مدينة رائعة تفيض بالحياة وسط صحراء

ومما لاحظته أن هذه الجموع المحتشدة ، تتوزع فجأة وتنتظم من تلقاء نفسها ، متى أسرع عمال الكهرباء الى مراكزهم وبدأ العمل . فالممثلات الشهيرات وعليهن أجمل الاثواب وأبهى الحلل ،

يبرزن الى المقدمة فى انتظار اشارة المخرج ، وفرق العمال تتسابق لتعديل المناظر أو تنسيق الاثاث أو وضع الميكروفونات وآلات الاضاءة فى أماكنها ، ومساعد المخرج وقد حف به مرءوسوه ، يجول بابصاره ذات اليمين وذات اليسار ليستوثق من جمال المنظر وانسجام أوضاع الجماعة

وعندئذ يأخذ الممثلون فى تجربة المشهد السينمائى مرة واثنتين وثلاثاً حتى يرضى عنه المخرج ويصيح « أو — كى O.K. » ، فتدور الآلة اللاقطة ، وكل معجب صامت منهول لا ينبس بكلمة

وقد يتفق ان يلاحظ المخرج على حركات الممثلين خطأ صارخا ، أو ارتباكا عرضياً طبيعياً ، أو شروداً بسيطاً طارئاً ، فيلوح بيده ويستوقف عامل الآلة ، ثم يعود فيرتب المشهد ترتيباً جديداً ويأمر بالتقاطه مرة أخرى

وهكذا يستغرق المشهد الواحد فى بعض الاحيان ثلاث ساعات أو أربعا ، بعد اذ يكون المخرج قد قدر له بضع دقائق أو بضع ثوان

وتقضى العادة فى هوليوود بمنح الممثلين والعمال فترة راحة قصيرة لا تزيد على العشرين دقيقة عقب الانتهاء من التقاط مشهد معين . فى تلك الساعة يدق الجرس وتفتح الابواب وتتدفق الجموع الى الخارج ، ثم سرعان ما يدق الجرس ثانياً وترتد الجماهير الى جوف العنبر وتغلق عليها الابواب

والواقع ان العمل يظل مستمراً فى عنابر الشركات منذ الساعة السابعة صباحا حتى الساعة السابعة مساء ، وفى غضون هذا الوقت لا يفارق الممثلون والمخرجون والعمال مكان العمل ، واذا اتفق واستغرق اخراج الفلم شهراً أو شهرين ، فعلى الممثلين والممثلات ان يقضوا هذه المدة فى فنادق أو بانسيونات مجاورة للاستوديو كى يسرع الفرد منهم فيلبي اشارة المخرج عند الاقتضاء

هـذه الحركة المطردة التى تذهل الابصار وتصم الآذان وتملأ الجو صخباً وضجيجاً ، لمحت آثارها العميقة فى وجوه معظم الممثلين والعمال

فهؤلاء المساكين يعيشون من أعصابهم ، ومن حمى عملهم المنهك الجنونى ، ومن ذلك الغليان الدائم المحيط بهم ، ومن تلك الغبطة الخادعة التى تزين لهم انهم سيصبحون فى الغد القريب نجوما . .

ومثلهم واضعو القصص أو السيناريات التى تقتبس منها موضوعات الافلام

فهذه الطائفة المؤلفة من أدباء وأشباه أدباء تحيا حياة شاقة مرهقة فى عنبر خاص وفي مكاتب مستقلة ، وتعمل النهار بطوله في ابتداع قصص طريفة أو ترجمة روايات غريبة أواقتباس مسرحيات ذات وقائع خارقة

ويتقاضى الاديب مرتباً أسبوعياً قدره خمسمائة دولار ، وقد يصل هـذا المرتب أحيانا الى الف دولار

وأما رجال الادارة فيشرفون على العمل من مكاتبهم الكائنة فى الطابق الأول من عنبر الادباء

تعلوها مكاتب رجال الصحافة والاعلان فمكاتب القصصيين ورجال الادب

ويمتاز هذا العنبر بحركة دائمة منقطعة النظير ، حركة مخبولة لا تعرف السكون لحظة . فالابواب تفتح وتغلق ، والجماعات تدخل وتخرج ، والاصوات منخفضة والوجوه عابسة والأبصار محددة ، فكأن العنبر قد استحال الى خلية بشرية حية

ولقد تعرفت الى أحد مديري شركة مترو جلدوين ماير ، فكان مما قاله لي ان جريتا جاربو لا تمثل في العام أكثر من فلمين ، وتتقاضى عن كل فلم ٢٥٠ الف دولار ، وان جوان كروفورد تمثل في العام أربعة أفلام وتتقاضى عن كل فيلم ٩٠ الف دولار ، وان نورما شيرر تمثل في العام ثلاثة أفلام فقط وتتقاضى عن كل منها مائة الف دولار . وكلارك جابل تنقده شركة مترو جلدوين ماير أربعة آلاف دولار كل أسبوع طول مدة السنة

ولما سألته عن قدرة الممثلات الكبيرات على العمل الطويل ، أجابني بقوله ان المهنة شاقة الى أبعد حد ، وان أقوى ممثلة لا تستطيع الثبات على العمل أكثر من عشر سنوات ، لأن التعب يضنيها ، والأضواء الساطعة القوية تتلف بشرتها وتعجل بشيخوختها قبل الأوان . وهذا هو السبب في ان الشركات لا تنفك تبحث عن شباب جديد وعصب جديد ووجوه جديدة

ولقد أتيح لي المرور بلوس انجلس فشاءت الصدفة السعيدة ان أتناول طعام العشاء على مائدة الممثل العبقري شارلي شابلن . واني لأذكره كما رأيته رجلا متوسط القامة ، سريع الخاطر ، فكه الحديث ، مرن العضلات ، لين الحركة ليونة الراقص ، يمرح في داره الجميلة عارضاً في اعتزاز مختلف التحف الفنية التي جمعها من مختلف أقطار العالم

ولقد بهرتني عبقريته عند ما تركنا المائدة وجلسنا في شبه حلقة وتقدمت احدى السيدات وطلبت اليه أن يمثل أمامنا بعض مشاهد فردية من فلمه الجديد

اعتذر شارلي أول الامر ثم ابتسم ثم قال انه سيقص علينا طرفا من فلمه . وفي أقل من لمح البصر تغير الرجل وبدل ان يسرد ويقص أخذ يمثل ، يمثل في دقة ونشاط وحيوية وتعبير مبتكر عميق ، أغرب المواقف وأمتعها وأروعها مما جعل الحاضرين يغربون في الضحك ويصفقون هاتفين معجبين

وعند ما هدأ واتخذ مجلسه بجواري أهبت به قائلا :

— وما رأيك في هوليوود ؟

فأرسل نفسا مستطيلا وقال :

— أنا فنان حر . وأريد ان أمثل ما يعجبني . ولقد أنفقت على فلمي الجديد ٢٨ مليون فرنك فرنسي من جيبي الخاص . وسأربح ، نعم سأربح . ولو قدر لي وخسرت فسيكون عزائي اني لم أبتذل فني ولم أبع نفسي رخيصاً لشيطان هوليوود ! . .

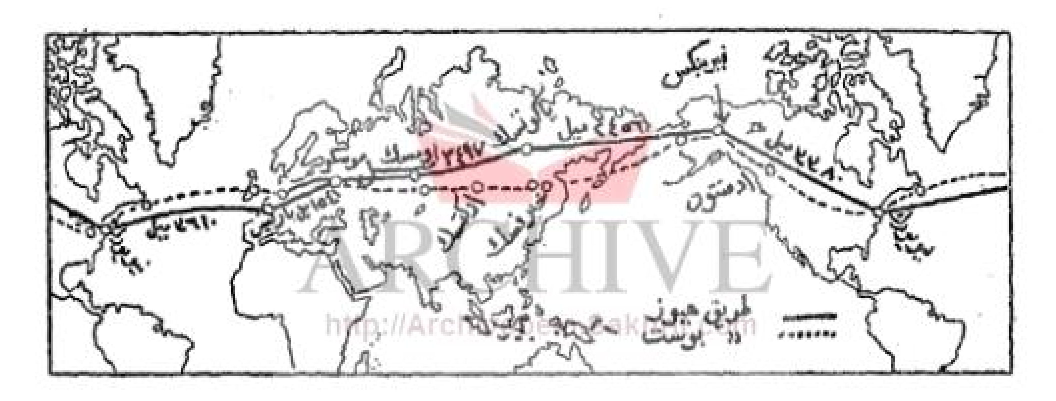
[ملخصة عن مجلة ليزأنال]



حول العالم فى تسعين ساعة

مدى تقدم الطيران فى عشرة أعوام

بعد ان كان الطواف حول العالم فى تسعين يوما خيالا بديعاً يتراءى للقصصي جول فيرن ، صار فى وسع الطيار الأمريكي «هوارد هيوز»



أن يدور حول الأرض كلها فى احدى وتسعين ساعة

وتعد هذه الرحلة التى أداها « هيوز » منذ عهد قريب إحدى الرحلات الكبرى التى يؤرخ بها الطيران ، فهي قرينة رحلة لندبرج من نيويورك الى باريس سنة ١٩٢٧ ورحلة « ويلى بوست » حول العالم فى سنة ١٩٣٣ ومقارنة هذه الرحلات بعضها ببعض تبين مدى الشوط الطويل الذى قطعته حركة الطيران فى خلال السنوات العشر الماضية

اجتاز لندبرج المحيط الأطلسى ، أى مدى ٣٦١٠ من الاميال ، فى ٣٣½ ساعة أما هيوز فلم يستغرق فى عبور المحيط أكثر من نصف هذا الوقت . وطاف بوست حول الأرض فى سبعة أيام وثمانى ساعات ، فاختزل هيوز هذا كله الى ثلاثة أيام وتسع ساعات

وكانت قوة طائرة لندبرج ٢٢٠ حصاناً ، وتبلغ سرعتها القصوى ١٢٠ ميلا فى الساعة . فجاء بوست بطائرة قوتها ٥٠٠ حصان ، وأقصى سرعتها فى الساعة ١٤٥ ميلا . أما طائرة هيوز التى أنفق فى انشائها ١٧٠٠٠ جنيه ، فتبلغ قوتها ١١٠٠ حصان ، وتصل سرعتها فى الساعة الى ٢٦٠ ميلا

وكانت طائرة لندبرج تكاد تخلو من جميع الأجهزة العلمية ، حتى « الراديو » كان ينقصها

فكانت تتلمس طريقها - كما تفعل قوافل الصحراء - باتجاه البوصلة ومواقع النجوم ، أما هيوز فقد زود طائرته بأكثر من مائة جهاز علمي وعشرة من أجهزة « الراديو » لأنه أراد أن يرجع نجاح رحلته الى وسائل علمية يمكن أن تزود بها كل طيارة ، لا إلى مهارة الطيار وبراعته مما قد لا يتيسر دائماً

وقد ظل هيوز طول رحلته متصلا بشتى محطات الاذاعة اللاسلكية ، سواء ما يقوم منها فى مدن القارات التى اجتازها ، وما يطفو منها فى بواخر البحار التى حلق فوقها . وكانت هذه المحطات تمده بمعلومات وافية عن حالة الجوحيث يطير ، فيختار طريقه بعيداً عن السحب الكثيفة والرياح العاصفة . فعندما غادر باريس الى موسكو أنبىء بما يعترض طريقه من سحاب وجليد ، فارتفع فى طبقات الجو العليا حتى بلغ علو ١٧٠٠٠ قدم . والاوكسيجين يقل فى هذه الطبقات ، ولكن « مخازن الاوكسيجين » التى كان يحملها ، مكنته من أن يظل محلقاً هناك الساعات المتواصلة حتى اجتاز منطقة الخطر

وكان يحمل معه قبل سفره تقريراً مفصلا عن حالة الجو فى المناطق التى سيجتازها وفق ما تنبأت به المراصد الفلكية . فارتفع الى الجو وهو على علم بما يقابله من أخطار وبما يتخذه من وسائل لدرئها أو تجنبها . وفضلا عن هذا كلف تسعة رجال فى نيويورك بمراقبة ما يعترى حالة الجو من تغيير ليبلغوا « هيوز » فى كل ثلاثين دقيقة ما يحدث من تغيير يخالف ما تنبأت به المراصد فى تقريرها . وقد كان لندبرج يحمل تقريراً كهذا ، ولكنه منذ أن ارتفعت طائرته ، انقطعت كل علاقة له بالأرض ، فلم يعرف شيئاً عما حدث مناقضاً لما ورد فى التقرير

أى أن الطيران قبل رحلة « هيوز » كان يعتمد على مهارة الطيار وجرأته ، وعلى مواتاة الفرص وتوفيق الظروف . أما الآن فقد صارت الرحلات الخطرة والمغامرات الجريئة ، تقوم على أسس العلم وقواعده ، وتؤدى بأجهزة المخترعين وأدواتهم

التنويم المغناطيسى

يخلص الأمهات من آلام الوضع

كثيراً ما تلجأ المرأة الى الوسائل والاجهزة التي تمنع الحمل ، خشية ما تقاسيه فى حالة الوضع من آلام مبرحة ، تظل أكثر من عشرين ساعة اذا كانت الوالدة صحيحة البدن سليمة الوليد ، وقد تمتد أسابيع أو شهوراً حسب ضعف بنيتها وسلامة جنينها

ولهذا يلجأ الأطباء أحياناً الى تخدير الوالدة « بالبنج » ، ولكنهم يتجنبون هذا التخدير كما استطاعوا ، فقلما يقدمون عليه إلا فى الدور الأخير من أدوار الوضع ، أو حينما يضطرهم الأمر الى اتخاذ المبضع أو غيره من الأدوات . وذلك لأن التخدير لايستمر أثره طويلا وعواقبه مؤلمة شديدة ، فما إن تفيق المريضة منه حتى يعاودها الوجع أقسى مما كان ، ويتطلب الأمر حينئذ تخديرها مرة أخرى قد لا تحتملها . هذا ، ومن الخطر تخدير الوالدة اذا كانت مصابة بمرض أو ضعف فى القلب أو الكبد أو الكلى

كل هذه العيوب حملت البروفسور مالينوفسكى والبروفسور زدرا فوملوف من أساتذة كلية الطب فى جامعة موسكو ، على البحث عن وسيلة لتهوين آلام الوضع تكون أيسر اجراءاً وأكثر نفعاً وأسلم عاقبة ، وذلك بتنويم الحامل تنويماً

مغناطيسياً يوحي اليها فى أثنائه أن الوضع هين يسير ، لا يؤلم ولا يضنى كثيراً

وقد شرع الطبيبان فى إجراء تجاربهما منذ سنة ١٩٢٥ ، فأسفرت جهودهما أخيراً عن نتائج موفقة جداً . فمن كل مائة حامل أمكن انقاذ ٨٨ واحدة من كل شعور بأوجاع الوضع ، بل إن نصف هذا العدد صرن يمضين أسابيع الحمل الأخيرة دون أن يشعرن بتاتاً بهذا الجنين الذى يضطرب فى أحشائهن . ولم يخفق العلاج فى الحالات الباقية إخفاقاً تاماً ، بل أدى الى تخفيف آلام الوالدات الى حد بعيد

ومهمة الطبيب فى أثناء فترات التنويم التي ينبغي أن تبدأ منـذ أن تحس الحامل الآلام الأولى هي «أولا» ـ أن يثبت فى ذهن المريضة أن أوجاع الوضع من السهل اجتنابها والتخلص منها ، وبذلك يهيء لها حالة نفسية تريحها وتطمئنها . و «ثانيا» ـ أن يوحي اليها فى أثناء غيبوبتها ما ينسيها كل شعور بالآلام التي تجهدها وتوجعها . وبذلك صارت النسوة اللائى كن يملأن ردهات المستشفيات وعيادات الأطباء بالصراخ والأنين ، يستقبلن ساعة الوضع هادئات باسمات . .

ويعتقد هذان الطبيبان أن علاجهما هـذا سيؤدى الى زيادة النسل أكثر مما تؤدى اليه الدعوة الملحة والمعاونة السخية التي تقوم بها كثير من الحكومات والهيئات

وهما يجريان الآن تجارب أخرى يراد بها إراحة الوالدة من إرضاع وليدها . فكثيرمنهن يفرزن من اللبن ما لا يكفي لتغذية الطفل ، مما يضطرهن الي استئجار مرضع إن كن غنيات ، أواطعامه البانا صناعية برغم قلة مادتها الغذائية . ومرجع هذا الى الحالة النفسية القلقة العصبية التي تنتاب الوالدات ، والتي يمكن التغلب عليها ، ـ كما يرى الطبيبان ـ بواسطة التنويم والايحاء ، مما يدر البانهن بكميات وافرة



الاطفال والغازات السامة

اذا كان فى وسع الرجل أو الصبى أن يتقى خطر الغازات السامة بالكمامات الواقية التى يتطلب اتخاذها شيئاً من الدراية والخبرة ، فليس فى استطاعة الطفل الصغير أن يلجأ الى هذه الكمامات ليرد عن نفسه عادية هذه السموم القاتلة . فهل نكتفى بحماية الكبار الراشدين ، ونترك الاطفال الضعاف ضحية لهذه الغازات ؟ ؟

لقد فكروا فى اختراع صناديق زجاجية محكمة يوضع الطفل فى داخلها ، فيكون فى مأمن من جائحة الغازات السامة ، وجهزت هذه الصناديق بجهاز يجدد هواءها ويمدها بما يتطلبه الطفل من الاوكسيجين . وترى هنا ممرضتين فى احدى المستشفيات اتخذتا كل الملابس والكمامات الواقية من الغازات تحملان هـذا الصندوق الزجاجى لتضعا فيه طفلا رضيعاً

انتاج البترول واستهلاكه

منذ خمسين عاماً لم يبلغ ما انتجته آبار البترول فى أنحاء العالم ثمانية ملايين من الأطنان، أما فى العام الماضى فقد بلغت كميته ٢٨٠٫٩٤٠٫٦٥٠ طناً . وهذه الأرقام «تتحدث بنفسها» عن قيمة هذه المادة التى حينما اكتشفت فى الولايات المتحدة سنة ١٥٨٠ كانت تباع فى الصيدليات فقط ، علاجاً لأوجاع الكبد والنزلات الشعبية ! الى أن اكتشف أحدهم مصادفة ــ خواصها فى الاضاءة « وتزييت » الآلات، ومنذذلك الوقت صار البترول مثار كثير من المنازعات بين الدول المتهافتة عليه ، كما صار ــ الى جانب الذهب ــ سبب كثير من الاضطرابات المالية التى تقع فى بورصات العالم

وتنتج أمريكا وحدها ٦٠٪ من محصول البترول فى العالم ، فقد أخرجت آبارها فى العام الماضى ١٧١٫٣٠٠٫٠٠٠ طن، وهى أولى الدول فى استهلاكه أيضاً ، فكل الف من سكانها يستهلكون سنوياً ١٫١٨٥ طناً ، بينما يستهلك مثلهم فى انجلترا ٢٥٢ طناً ، وفى فرنسا ١١٧ طناً

ويبلغ عمق آبار البترول عادة ١٠٫٠٠٠ من الأقدام . وأغورها الآن بئر فى أمريكا عمقها ١٢٧٠٠ قدم . وتجرى الآن تجارب لزيادة أعماق هذه الآبار حتى تصل الى ثلاثة أميال تحت سطح الأرض

٦٠٠٠ من الآلهة للأشوريين

لم يكن دين أشور بسيطاً يسيراً ، بل كان شديد التعقيد والغموض ، كما أظهرت الحفريات التى كشفها أخيراً المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو فقد كان عدد آلهة الأشوريين وإلاهاتهم يجاوز ٦٠٠٠ ، أساسهم اثنا عشر إلها كبيراً ، تناسلوا وازدادوا حتى بلغ عدد أفراد أسرتهم كل هذه الآلاف

ولم يكتف الأشوريون بعبادة أربابهم وربّاتهم فحسب ، بل كانوا يستوردون ويعبدون كثيراً من آلهة البلاد التى فتحوها ، فحملوا الى بلادهم عدداً من أرباب ايران ومصر وبلاد العرب

الغضب يزيد ضغط الدم

لم يهتد الطب حتى الآن الى سبب معين ترجع اليه زيادة ضغط الدم . ولكن السيكلوجيا تريد أن تضم هذا المرض الى قائمة الامراض النفسية

فقد أعلن اثنان من أطباء أمريكا فى اجتماع عقده قريباً جماعة من علماء الامراض النفسية ، ان زيادة ضغط الدم ترجع الى شعور بالغضب والعداء والكراهة يكبته المرء فى نفسه ، فيضطرم فيها كما يضطرم البركان بحممه وناره قبل الانفجار .. ثم يعلن هذا الشعور المكتوم عن نفسه بما يؤدى اليه من زيادة فى ضغط الدم

وقد عرضت أمام هذا الاجتماع العلمى أجهزة تقيس درجة ضغط الدم ، فظهر انها تزيد كلما غضب المرء وثار ، فاذا هدأت ثائرته وسرى عنه ، عاد الضغط الى حالته العادية . ولهذا رأى العلماء ان من المحتمل ان تمنع الحالات التى يزداد فيها ضغط الدم زيادة خطرة ، بواسطة علاج نفسى يصرف هذه المشاعر المكبوتة

الحركة الفكرية

رجال السياسة وفن الادب

اشتهر بعض رجال السياسة بنبوغ أدبي ملحوظ، ولا سيما في فن القصة. وقد تناول الكاتب الانجليزي جورج وندام في كتابه الأخير (عالم الخيال المنقذ) هذا الموضوع بالبحث والتحليل. فما قاله ان الوزير الفرنسي جورج كليمنصو كان مؤلفاً مسرحياً بارعاً، ودزرائيلي قصصياً ماهراً، ومستر اسكويث ناقداً فنياً قديراً، وجلادستون ناقداً أدبياً ممتازاً وصاحب رسائل في الشعر ذات قيمة فنية اعترف بها برنارد شو

كليمنصو

وينسب جورج وندام ولع رجال السياسة بالادب، أي بالخيال، الى توافر عناصر القوى الحيوية فيهم وشعورهم بأن حياة الرجل السياسي العصري الحالية من المغامرات والمخاطرات الشخصية هي حياة محدودة الأفق ضيقة الفسحات لا تنقع ظمأ الشخصية الكبيرة التواقة الى القيام بعظائم الأعمال فالسياسي العصري الذي تنقضي أيامه في المحاورات والمداورات وتهيئة المناورات والخطط هو رجل حبسته المهنة في دائرة معينة، ولهذا السبب تراه يلجأ الى عالم الخيال ويبتغي مضاعفة قواه الحيوية بتخيل حياة أبطال القصص، كأنما هي حياته هو، وبالاستغراق في مطالعة الكتب الأدبية والفنية التي تشعره بأن في هذه الدنيا شيئاً آخر غير عالم السياسة المشبع بالنفاق

ولقد كان رجل الدولة فيما مضى رجل سياسة وحرب أما اليوم فقد فصل بين السياسة وقيادة الجيوش. وهذا النقص يحس به السياسي العصري فيعوضه بالاقبال على الأدب والفن

دزرائيلي

جلادستون

التاريخ هو المسئول ؟

صدر فى فرنسا كتاب بهذا العنوان وضعه البروفسور روجيه كليرمون ، وفيه يحمل المؤلف حملة شعواء على الاسلوب الشائع فى دراسة حوادث التاريخ . ومما يقوله البروفسور كليرمون ان نظرة الساسة الى التاريخ ورغبتهم فى تطبيق حوادث الماضى على حوادث الحاضر واعتقادهم أن التاريخ يعيد نفسه ، هذه الظواهر الفكرية الخطيرة هي التى تحول بينهم وبين ابتداع سياسة جديدة تتفق والمشكلات الجديدة التى يطالعنا بها العصر الحاضر

فالساسة يستهدون بتعاليم التاريخ لحل مشكلات لا تمت الى الحاضر بأية صلة . وهم لفرط تعلقهم بحوادث التاريخ يتعصبون للماضى وينظرون الى الحاضر نظرة قصيرة رجعية

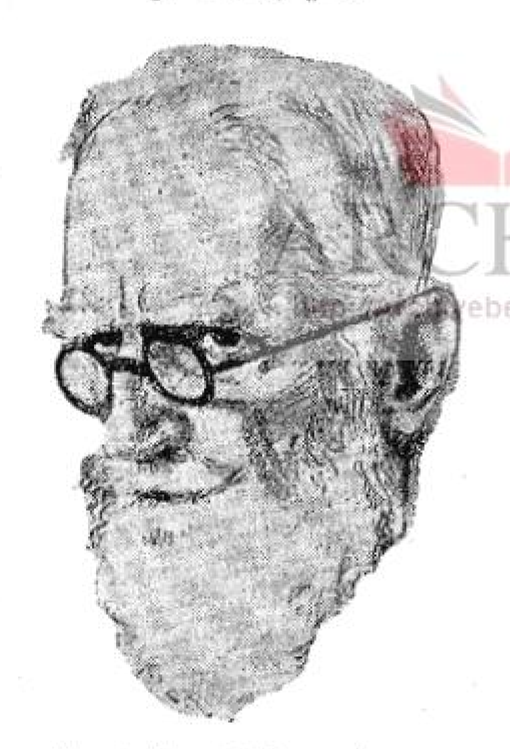
وأبلغ دليل على ذلك انهم بدل أن يشجعوا الجمهورية الالمانية التى قامت بعد الحرب الكبرى وبدل أن يأخذوا بيدها ويتجهوا بها فى طريق الديموقراطيـة ، أوجسوا خيفة من الالمان كما علمهم التاريخ فشددوا الضغط على الجمهورية وأرهقوها بالديون ، فظهرت حركة هتلر التى تهدد العالم اليوم بحرب هائلة

ولم يكتف الساسة بهذا بل استوحوا التاريخ مرة اخرى وعملوا على تطويق المانيا بشبكة من المحالفات كتلك التى طوقوها بها قبل الحرب ، مما أثار حماسة النازي للتحرر من قيود معاهدة فرسايل واسترداد مجد جرمانيا القديم

ويقول البروفسور كليرمون فوق ما تقدم ان دراسة تاريخ الماضى على اعتبار انه رمز للحاضر هي الظاهرة الخطرة التى تلهب فى الشعوب روح التعصب الوطنى والعنصرى والاقتصادى فتؤلب الواحد منها على الآخر وتمهد لسلسلة حروب ما لها من نهاية

والغريب المروع فى كتاب البروفسور كليرمون ان صاحبه لا يأمل فى تجديد دراسة التاريخ وتوجيهه صوب المصلحة الدولية المشتركة والنزعة الانسانية المثالية الا بعد نشوب الحرب المقبلة التى يتكهن الكاتب بأنها سوف تقوض صروح الديكتاتوريات المشهورة بأنها تتخذ من التاريخ وسيلة لاضرام نزعات التعصب والوطنية المتطرفة

وصية برنارد شو



تعصف الشيخوخة بالكاتب الارلندي الشهير برنارد شو وتمثل له شبح الموت وتغريه بالتحدث عنه طويلا فى هذه الايام

وبرناردشو لا يخاف الموت بل يهيىء نفسه

لاستقباله بثغر باسم ونفس مطمئنة خبرت الحياة وعافت أباطيلها

وقد نشرت له مجلة انجليزية مقالا عن الموت استهله بكلمة فلسفية عن عبث الحياة واختتمه بشبه وصية قال فيها :

— لا أعلم حتى الآن متى يحين حيني ويوافيني ملك الموت . وليس فى وسعى ان أعين بالضبط ما سوف أخلفه من مال لورثائى . ولكني أعتقد بعد جولاتى الاخيرة فى بلاد الانجليز انى قد أبدل فى محتويات وصيتي وقد أهب أموالى لجمعية تعنى باصلاح اللغة الانجليزية وتبسيطها كي يسهل على الانجليز تعلمها واجادة النطق بها ..

وأظن انى بهذه الوسيلة أكون قد كفرت عن سيئاتى المزعومة نحو الامبراطورية . . .

الحب عند النازى

تجول الصحفي النرويجى كريستيان داجان فى المانيا النازية بضعة أسابيع ووضع أخيراً رسالة شائقة عن الحب عند النازى . وأعجب مافى هذه الرسالة أن صاحبها يؤكد أن عاطفة الحب قد ماتت أو أشرفت على الموت عند الاشتراكين الوطنيين الألمان . فالشاب منهم يتزوج لا بدافع الحب بل رغبة فى خدمة الدولة وتكثير النسل والمحافظة على نقاء العنصر

والرجل هناك يختار المرأة لالجمالها ولالعلمها ولا لثروتها ، بل لقوتها البدنية وسلامة جسمها وما يتوقعه فيها من استعداد للأمومة، كأنها بقرة تعرض على فلاح

وأعجب مما تقدم أن شباب النازى لفرط عبادتهم مظاهر القوة وفرط خضوعهم للروح العسكرية أصبحوا يحتقرون الحب وعواطف الحبين وانحصرت لذتهم الكبرى فى الألعاب الرياضية والتمارين العسكرية . وكل ما يلهب فى عقولهم وهم الرجولة

ولقد تطورت الأنوثة عند المرأة الألمانية أيضاً . فبعد أن كانت تتمثل فى الأساليب النسوية الشائعة كالتجمل والتبرج واتباع الأزياء الحديثة، تركزت فى رغبة التفوق فى الألعاب الرياضية وفى مظاهر القوة التى يحبها الشبان ...

وهكذا جردت الوطنية الاشتراكية الشبان من سعادة الشعور بعاطفة الحب أيام الصبا ، وجردت الفتيات من سحر المرأة التقليدى وفتنة الأنوثة الرائعة . وكل ذلك فى سبيل مجد الدولة أى مجد الاستعداد للحرب

القديس

من أبدع القصص التي صدرت فى رومانيا أخيراً قصة للكاتب الرومانى الشاب أوكتاف برتيزارو . وفيها يصف المؤلف شخصية رجل مثقف فى الأربعين من عمره يحاول ما استطاع أن يكون فى حياته اليومية قديساً

هذا الرجل الممتاز أراد أن يتطهر من كل شائبة فحارب فى نفسه غرائز الطمع والحسد والانتقام . وتمكن بعد وقت طويل وجهود مطردة جبارة من كبح جماح ميوله والتسلط على شهواته . ولكنه فشل مع ذلك فى النهاية فشلا ذريعا

فشل لأن نظام المجتمع أبى إلا أن يفرض عليه بعض الرذائل فرضا وهكذا تداعى الصرح الذى شاده الرجل بعقله وارادته

ومثال ذلك أن قانون المجتمع فرض عليه الخدمة العسكرية وأجبره على القتل في الحرب الكبرى ، وأن العطل الذى فشا بعد الحرب أرغمه على السرقة ليأكل ، وأن عبث أحد كبار أصحاب المصارف بعرض ابنته مقابل منحها عملا متواضعا فى مصرفه ، أثار سخطه وأوشك أن يدفع به الى ارتكاب جريمة

ومغزى هذه القصة أنك لن تستطيع أن تكون قديساً فى مجتمع لا يساعدك على القداسة ، وليس شك فى أن فى وسع الانسان أن ينهض بنفسه ويجاهد ليتحرر من رذائله ، ولكن هذا الجهاد لن يكون ميسوراً ولن يبلغ حد المثل الاعلى إلا متى ارتقى المجتمع نفسه وارتقت أنظمته وعاونت الفرد فى المعركة اليومية القائمة بينه وبين غرائزه

محاضرة لاندريه موروا عن الانجليز

التى الكاتب المشهور أندريه موروا محاضرة فى النادى الانجليزى الفرنسي بباريس جمع فيها خلاصة نظراته فى الامة الانجليزية والعقل الانجليزى

ومن أبدع ما جاء فيها هذه الخواطر :

« ليست الدقة فى المواعيد عادة انجليزية بل هى رذيلة . أى انها ظاهرة متأصلة فى نفوس البريطان تأصل الرذيلة فى نفس الرجل المعتل . ولكنها رذيلة تحمل فى أطوائها لب الفضائل جميعا »

« أكره ما يكرهه الانجليزى أن تحدثه عن شئونك الخاصة . وهو يعتبر هذا الحديث منك دليل ضعف . لانك لو كنت قويا لاستطعت أن تعالج شئونك بنفسك »

« الانجليزى لا يدافع إلا عن السياسة التى يرى أن فيها مصلحة له وأنها فى نفس الوقت متفقة مع المبادىء الاخلاقية السامية . فنظرته والحالة هذه عملية ودينية . وقد دلل على ذلك فى حرب الحبشة عند ما كان يدافع عن منابع النيل ويدافع فى الوقت نفسه عن أمة ضعيفة مظلومة »

أندريه موروا

« الانجليزى يخشى التهور ويميل الى الحل الوسط لانه بالحل الوسط يربح دائما . أما التهور فتكاليفه كثيرة ونجاحه غير مضمون »

« لا يحب الانجليز المبالغة فى التعبير عن العواطف . وكلما أسرفت فى تصوير عاطفتك ، اعتقدوا أنك أبعد ماتكون عن الشعور الصادق العميق بها »

« الفروسية الانجليزية تتمثل فى اخلاص الانجليزى لمن اصطفاه صديقا . وذلك لأن الصداقة فى نظرهم أثمن من الحب . أما الصداقة فى السياسة فتبقى بالطبع ما بقيت المصلحة »

هذه بعض الخواطر التى تزخر بها محاضرة أندريه موروا أعرف الناس بخلق الانجليز

الكتب الجديدة

تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية

لسمو الامير عمر طوسون

مطبعة العدل بالاسكندرية فى ثلاثة اجزاء كل منها فى نحو ٤٠٠ صفحة

يسجل سمو الامير الجليل عمر طوسون فى هذا الكتاب الرائع تاريخ العمل الصائب النبيل الذى اختلجت به نفس الخديو اسماعيل فأسفر عن فتح مديرية خط الاستواء وضمها الى السودان أو بالأحرى الى الأملاك المصرية، فتم بذلك استيلاء مصر على نهر النيل من منبعه الى مصبه وأصبح فى قبضتها تلك البحيرات العظمى التى يخرج منها هذا النهر السعيد الذى عليه مدار حياة البلاد

والواقع أن سمو الامير بوصفه تاريخ هذه المديرية التى هى أهم مديريات السودان القديم لمصر والتى تولى فتحها وحكمها حكمدارون من قبل الحكومة المصرية، أراد تعريف أهل وطنه الى أى حد وصل امتداد حكمهم فى السودان وأى الاراضى سلخت منه

وقد كانت تلك المديرية المصرية آخر المديريات التى ظلت تحت الحكم المصرى فى أثناء الثورة المهدية، وكانت انجلترا تعلم أهميتها وتعلم أن الذى يحكمها يتحكم فى حياة مصر كلها، فسعت فى أثناء الثورة المذكورة لابعاد الهيئة المصرية الحاكمة عنها وابقاء الجنود المصريين النظاميين مع ذخائرهم وأسلحتهم فيها ريثما ترسل اليها رسولا من قبلها يتحد مع هؤلاء الجنود ويضمهم اليه فتوطد قدميها فى تلك الجهات بواسطة الجنود المصريين وعلى حساب مصر. وهكذا انتهى الأمر بريطانيا بعد حوادث عدة قام فيها السائح ستانلى بدور كبير الى أن استولت على مديرية خط الاستواء وضمتها الى أوغنده التى كانت تابعة لمصر أيضا وجعلت منهما وحدة ضربت عليها حمايتها

فتاريخ فتح مصر لتلك المديرية، وتاريخ حكمداريها من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٨٩ أى من عهد فتحها الى عهد اغتصاب الانجليز لها، هو موضوع هذا الكتاب الذى أسدى به سمو الأمير عمر طوسون أجل الخدمات لشباب مصر فى هذا الجيل

وليس شك فى أن تذكير المصريين بماضيهم المجيد، ولفت أنظارهم الى المناطق الهامة المعلق عليها مصير بلادهم، لما يحفز هممهم ويستنهض عزائمهم ويفتح أبصارهم على مختلف الأخطار المحدقة بهم ويجعل منهم أمة تنزع الى تحقيق سلامتها الجغرافية وتوطيد حياتها ومستقبلها على أسس مكينة ثابتة

ولقد استطاع سمو الأمير الجليل أن يغرس بتواليفه العديدة هذه الروح النبيلة فى نفوس الشعب، فهو لاينفك يدافع عن تاريخه المجيد ويحيى هذا التاريخ ويجدده ويعزز بالتحقيق العلمى تأثيره فى عقول أبناء مصر

فهذه مأثرة جديدة تضاف الى مآثر سمو الامير فى سبيل عظمة مصر ومجدها

ديوان الجارم

للاستاذ على الجارم بك

مطبعة المعارف بمصر فى ١٦٠ صفحة

الاستاذ الجارم بك شاعر مشرق الأسلوب عربى الديباجة موفور قوى التخيل ، يجمع الى لطف الحس ودقة الملاحظة ، صدق العاطفة واضطرامها وقدرتها على التعبير عن أخفى الانفعالات النفسية وأعمقها

وهو الى ذلك شاعر اجتماعى كبير يسجل الاحداث الخطيرة التى مرت بوطنه فى مراحل معينة ، بحيث يخلدها فى ذهن القارىء واحساسه بفضل تلك الحلة الشعرية الناضرة التى يخلعها عليها

وأهم تلك القصائد الاجتماعية : (ميلاد الفاروق) و (رثاء ساكن الجنان فؤاد الأول) و (رثاء الطيارين الشهيدين حجاج وشهدى) و (زيارة المغفور له السلطان حسين كامل لدار العلوم)

واما أبدع القصائد العاطفية المجردة فهى (الحب) و (الأعمى) و (حنين طائر) و (ضحك القدر) وفيها تتمثل الشاعرية الاصيلة النابعة من التصور المتقد والفطرة الرحبة والثقافة الغزيرة واتساع مدى الادراك والتخيل

والملاحظ في شعر الاستاذ الجارم بك فوق ما تقدم أن النزعة الحديثة في عرض المعانى وتسلسلها واتفاقها مع الواقع المحسوس ، تقترن فيه بالنزعة العربية القائمة على بلاغة الأسلوب وقوة التعبير ومتانته ونبوه عن كل ما ينفر منه الذوق العربى السليم

فالأستاذ الجارم بك شاعر عصرى احتفظ بطابعه العربى ، وهذا وجه الطرافة فى فنه ووجه الابتداع في شعره ، فهو والحالة هذه يمثل تقارب فكرتين وائتلاف ثقافتين

السيد رشيد رضا

بقلم الأمير شكيب أرسلان

مطبعة ابن زيدون بدمشق فى نحو ٨٠٠ صفحة

جرت العادة فى الغرب بان يخلد الأديب الأديب ، وأن تنهض الصداقة بين الأدباء على التفاهم الروحي والتقدير العقلى والاعجاب المتبادل والرغبة الصادقة فى اعطاء كل ذى حق حقه وتمجيد ذكرى الزملاء النابهين واحيائها

وهذا الكتاب هو كتاب وفاء واخلاص ، وفاء أديب مجيد لأديب مجيد ، وفاء نابغة قدر فى صديقه النبوغ فآلى على نفسه الاشادة بذكره وتمجيد أعماله وشخصيته فى سفر جليل

ولقد توثقت روابط المودة بين الأمير شكيب ارسلان والشيخ رشيد رضا مدة لا تقل عن أربعين سنة عرف فيها كل منهما الآخر ، وأعجب كل منهما بزميله فلما اصطفى الله الشيخ رشيد رضا الى جواره أبى وفاء الأمير شكيب الا أن يخلد جهود صديقه ويبقيها حية فى أذهان الناس

وكتاب الأمير هو مجموعة خطوط دقيقة رائعة تبرز منها شخصية صاحب المنار فياضة بالحركة والحياة . وفيه يسرد المؤلف ترجمة حياة الشيخ رشيد رضا ، ويبحث فى استعداده ونشأته العلمية ونسكه وتصوفه وآثاره القلمية من نظم ونثر ، وشتى الجهود التى قام بها لاعلاء شأن الاسلام والمسلمين

وتمتاز دراسات الأمير شكيب ارسلان بما يتخللها من ذكريات خاصة لا تكشف عن جوهر نفس صاحب المنار فحسب بل تميط اللثام أيضاً عن طفولة الأمير شكيب ونشأته واتصاله الوثيق بصديقه وعوامل البيئة والثقافة التى اشتركت فى تكوين شخصيته

فالكتاب صورة مزدوجة لصاحب النار والأمير شكيب . صورة ذات جانبين واضحين لوجه واحد هو وجه العقل الموزع بين مخلوقين تشابها في الفكر والمنزع والروح

فتحقيق هذه الصورة المزدوجة الطريفة هو عمل أدبي نادر في اللغة العربية ، وهو الذى يخلع على كتاب الأمير حلة شائقة من فن وجمال يضاعفها الأسلوب الجزل البليغ لمعانا وتألقا

غير أن ما يستبد بلب القارىء ويأخذ عليه نفسه في أثناء مطالعة الكتاب هو تلك النغمة الآسفة الحزينة المنسابة بين سطوره كأنها نشيد رثاء

على أن هذا النشيد يرتفع في بعض الأحيان ويبلغ درجة التقديس ، وعندئذ يحس القارىء قيمة الصداقة الروحية حينما تجمع بين قلبين صافيين وعقلين كبيرين

المجنونة وقصص أخرى

بقلم الاستاذ محمود كامل المحامى

طبع بدار الجامعة بمصر فى ٢٨٠ صفحة

للاستاذ محمود كامل أسلوب خاص فى وضع القصص الصغيرة . فهو يختار من الموضوعات ما يجمع بين الحوادث القوية الشائقة والتحليل النفسى لبعض العواطف كالحب والغيرة والطمع والحسد ، ثم يصب قصته فى أسلوب رشيق خفيف جزل يغرى بالمطالعة ويرضى الخاصة والعامة على السواء

وقد تفرد الاستاذ محمود كامل بهذا الضرب من التأليف القصصى واستطاع ان يلفت الى أعماله أنظار الجمهور بما اشتملت عليه من لذة التسلية مقترنة بلذة التفكير

ومما تمتاز به تلك القصص فوق ما تقدم صدق تعبيرها عن البيئة المصرية وقدرة مؤلفها على رسم بعض العادات والاخلاق المتأصلة فى الوسط المصرى

وأبدع ما فى مجموعته الجديدة قصص : (الليلة الحادثة) و (الثائرة) و (امرأة بلا قلب) و (أغنية الوداع) و (شبح امرأة) . ومعظم هذه القصص تنهض على رسم فواجع القلب ومآسى الهوى وتطورات عاطفة الحب فى النفس البشرية وما يصدر عنها من انفعالات تستبد بشخصية الانسان وتوجهه فى بعض الاحيان وجهات معينة قد تقرر فى النهاية حظه فى هذه الحياة

ولقد أعجبنا ولا سيما فى قصة (أغنية الوداع) بتلك الروح الخيالى الشعرى التي يتخلل رسم العواطف ويعزز قوي تأثيرها فى النفس ويطبع حوادثها فى ذهن القارىء

وصفوة القول ان الاستاذ محمود كامل يعرف كيف يستحوذ على حواس قرائه ويثير أعصابهم كما يعرف فى نفس الوقت كيف يروضهم على التفكير فى عواطفهم وما يجول فى أعماق قلوبهم ساعة تعصف بهم أزمات الحب وأحداث الهوى

التيارات الاقتصادية المقارنة بين قناة السويس وقناة بناما

بقلم الدكتور حسن حسين عيسى

طبع فى جنيف فى نحو ٢٠٠ صفحة

وضع هذه الرسالة باللغة الفرنسية الاستاذ حسن حسين عيسى الدكتور فى العلوم الاقتصادية وقد تناول فيها بالدرس والتحليل مشروعين عصريين عظيمين هما مشروع قناة السويس وقناة بناما . وقد مهد لكتابه الرائع ببحث

مستفيض عن حالة المواصلات قبل انشاء القناتين ، ثم تطرق من ذلك الى وصف الظروف التى أحاطت بينائهما ومختلف الخدمات التى أدتها كل منهما لحضارة العصر ، ثم انتهى الى بحث اقتصادى مقارن بين قوى القناتين وعدد البواخر التى تجتازها وحمولتها ونوع بضائعها . وكل ذلك فى اسلوب علمى واضح دقيق مؤيد بالارقام المستقاة من أوثق المصادر التاريخية

ولقد استعان الدكتور حسن حسين عيسى فى تأليف كتابه ببعض بحوث وضعها أقطاب العلوم الاقتصادية أمثال فليكس بيلى وشارل ديهل واستطاع أن يضيف اليها من دراساته الخاصة ما جعل كتابه حجة ومرجعا فى هذا الموضوع الخطير

وحبذا لو نقل الدكتور حسن عيسى مؤلفه الى اللغة العربية ففيه من المعلومات القيمة ما يجب أن يعرفه كل مصرى يقدر أهمية قناة السويس وأثرها العميق فى حياة بلاده وفى ميادين الاقتصاد والسياسة العالمية

عبقرية الشريف الرضى

بقلم الدكتور زكى مبارك

مطبعة المعارف ببغداد فى جزئين
كل منهما فى نحو ٢٥٠ صفحة

هذا الكتاب مجموعة محاضرات ألقاها الدكتور زكى مبارك فى قاعة كلية الحقوق ببغداد عن عبقرية الشريف الرضى

وقد توخى فى دراسته ان يقف من الشاعر موقف الصديق من الصديق ، فيسايره فى حبه وبغضه ، فى فرحه وألمه ، فى شكه ويقينه ، ثم يدال من خلال ذلك على أوجه القوة ونواحى الضعف فيه

والحق ان هذا الاسلوب فى النقد الادبى بعث الحياة فى شخصية الشريف الرضى وأضفى عليه حلة شائقة من حركة وتوثب وجمال

ولقد تحدث الدكتور زكى مبارك فى أسلوب رقيق عذب عن مقام الشريف بين شعراء القرن الرابع واتصاله بخلفاء بني العباس وغرامياته ومراثيه وقصائده الوصفية فأبرز من الشاعر صورة صادقة يخيل اليك ان صاحبها يعيش بيننا اليوم

وليس شك في ان هذا الاحساس بتجدد حياة الشريف الرضى هو الاثر الفني الذى يمتاز به كتاب الدكتور زكى مبارك ، وترجع هذه القدرة فى بعث شخصية الشريف واشعارنا بحياته الى بلاغة أسلوب المؤلف وليونته وما فيه من انتقاد عصبي وحماسة عاطفية صادرة عن الاعجاب بشخصية الشاعر وأعماله

فالكتاب والحالة هذه دراسة في الأدب وشبه قصيدة من الشعر المنثور يرفعها الدكتور زكى مبارك الى عبقرى يجله ويكن له أصدق الحب وأخلص الاعجاب

ويجدر بكل عشاق الادب العربي مطالعة هذا السفر الجليل الذي يحبب اليهم تراثهم الخالد ويصب ضوءاً ساطعاً على علم فذ من أعلام الادب العربى

نباتات الزينة العشبية

بقلم الاستاذ محمد كامل حجاج

مطبعة الشمس بمصر فى ١٤٥ صفحة

الأستاذ محمد كامل حجاج عالم وأديب وفنان تتوزع جهوده بين دراسة النباتات وكتابة المقالات الأدبية والاستغراق فى البحوث الخاصة بفن الموسيقي

وهو ذو ذهن واسع شامل يتوق الى معرفة

كل شيء والاحاطة بكل شيء ويجد فى هذا الشمول اكبر اللذات العقلية وأعمقها

وقد عرف بكتابه المشهور (بلاغة الغرب) الذى نقل فيه طائفة من أروع الآثار الأوربية الأدبية الى لغتنا العربية . ثم استفاضت شهرته عند ما أصدر مجموعة من المقالات بعنوان (خواطر الخيال) . وها هو ذا اليوم يعود الى البحوث العلمية ويصدر مؤلفاً جديداً فى النباتات

وقد أفرد هذا المؤلف لنباتات الزينة العشبية والمعمرة التى تنجح فى مناخنا شبه الحار. وتحدث طويلا عن نبات الكاكتوس أو الصبار الذى ينمو فى بلادنا كانه فى موطنه الأصلى وعن بعض النباتات المتسلقة وعن نخيل الزينة وشتى النباتات المائية التي تنمو فى المناطق الحارة والمعتدلة

فانت ترى مما تقدم أن الاستاذ محمد كامل حجاج عالم وفنان . وأروع مايلوح فنه فى وصف جمال النباتات وفروعها واختلاف ألوانها وصفا يجمع بين التحقيق العلمي والأساليب الفنى والعبارة المختارة والذوق السليم

ولا ريب فى أن الأديب يجد فى هذا الكتاب متعة لعقله ونفسه كما يجد فيه هواة النباتات بحثا علمياً بقلم اخصائى خبير

ادارة الصفوف

بقلم الاستاذ احمد سامح الخالدى

المطبعة التجارية بالقدس فى ٢٠٠ صفحة

ان نظام الصفوف الشائع الآن فى معظم المدارس يتطلب كفاية كبيرة فى الادارة والتوجيه . وهو علم حديث ينظر الى المدرسة كما ينظر صاحب العمل الى معمله ليرى كيف يتم صنع الناتج من المواد الخام

والمدرسة تختلف ولا شك عن المعمل اذ هي تعالج مواد حية ذات مؤثرات خاصة . واساليب هذه المعالجة هو موضوع الكتاب الطريف الذى وضعه الاستاذ احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية بالقدس واستاذ التربية فيها

وتدور بحوث الكتاب حول ادارة الصفوف ومنهج التدريس وحفظ النظام المدرسى وأنواع العقوبات التى توقع على التلاميذ والعناية باحوالهم الصحية وذلك مع مراعاة سن الطالب وعقليته واستعداده وتطبيق فن التدريس على ما يجب أن يعرفه المدرس من خصائص شخصيات تلاميذه

ويري الاستاذ الخالدى أن الغاية من ادارة الصفوف على هذا النحو هي تحقيق غرض التربية باعتبار أنه تقوية الكفاية الاجتماعية عند الطالب

وأما الكفاية الاجتماعية فهي فى عرفه الاستقامة وضبط النفس ، والميل الى التعاون والمحبة ، والنزوع الى شيء من التساهل وشيء من الغيرة والمنافسة والتحمس

ولا ريب فى أنه يستحيل على الفرد أن يحكم على النتيجة المؤكدة لطريقة من طرق التعليم ذلك لأن آثارها لا تظهر الا بعد حين . واذن فمشكلة ادارة الصفوف تنحصر فى أن يرى المدرس هل ينطبق أساليبه أو طريقته على الغرض النهائى من التربية ، أى هل ما يطبقه من التدابير يجعل الطالب يملك الكفاية الاجتماعية المنشودة فى المستقبل ؟

تلك هي المشكلة . ولا سبيل الى حلها الا بأن يبحث المربى فى تدابيره مستنداً الى عقله محللا جميع الحقائق ناظراً اليها من مختلف وجوهها . فالتربية العقلية هي ما ينشده الاستاذ الخالدى وقد عرضها فى كتابه على أكمل وجه مستطاع

اللغات الأوربية الحديثة

(ريو دى جانيرو ــ البرازيل) مشترك

متى ظهرت اللغات الاوربية الحديثة ؟

(الهلال) ظلت اللغة اللاتينية لغة أوربا طول العصور الوسطى ، تستعمل فى الكنائس والاديرة ، وفى المحاكم والجامعات ، وفى كتابة المعاهدات . وذلك لانها لغة البابا الذى كان يسيطر على شتى مرافق الحياة حينذاك ، ويملك رجاله أوسع سلطة وأقوى نفوذ . ولكن لم تكن اللاتينية الراقيـة التى كان يتكلمها الرومان أيام مجدهم ، بل لاتينية ركيكة تتفرع الى لهجات عدة لكل جهة لهجة خاصة . وقد أخذت هذه اللهجات تنمو وتبتعد عن اللاتينية حتى أصبحت كل لهجة لغة قائمة بنفسها ، وأهم هذه اللغات الايطالية والفرنسية والاسبانية والبرتغالية

أما الاقاليم التى لم تخضع لحكم الرومان ، أو لم تتأثر بحضارتهم كثيراً ، فكانت تتخذ اللغة الجرمانية التى لم تلبث ان تنوعت وتفرقت ونشأت منها لهجات عدة هى أساس اللغات الالمانية والانجليزية والهولندية الخ . .

قد ظلت هذه اللهجات المشتقة من اللاتينية أو من الجرمانية لغة الكلام فحسب ، يتغنى بها الشعراء والرواة ولم يكتب بها شىء قبل القرن الثانى عشر ، على انهـا تختلف اختلافا بينا عن اللغات الحالية التى نمت وتهذبت على مر السنين وانتشار العلم واتساع الثقافة

آلات الموسيقى

(القاهرة ــ مصر) قارىء

هل الآلات التى توقع عليها الموسيقى الغربيـة هى نفس الآلات التى تعزف بها الموسيقى الشرقية ؟

(الهلال) تنفرد الموسيقى الشرقيـة بآلات خاصة كالعود والقانون ، يمكن أن توقع عليها نغماتها الكثيرة المتعددة . فبينما يبلغ عدد الانغام فى الموسيقى الغربيـة ثلاثين على وجه التحديد ، إذ هى تبلغ فى الشرقية خمسة وتسعين على أقل تقدير ، كما قرر مؤتمر الموسيقى الشرقية الذى عقد فى القاهرة سنة ١٩٣١

ولكن الموسيقى الغربيـة تمتاز بكثرة آلاتها ، لانها أغنى وأوسع فى ألوانها ، ولا سيما فيما يتعلق بالموسيقى التصويرية والمسرحية . وأهم هذه الآلات الكمان والبيانو . وقد اتخذت الاولى فى الموسيقى الشرقيه وأمكن لأوتارها أن تظهر شتى أنغامها . أما البيانو فلا يصلح لعزف كل النغمات الشرقيـة ، ويحتفظ به معهد فؤاد الاول للموسيقى لاجراء التجارب عليه

رتب الجيش

(الاسكندرية ــ مصر) صلاح الدين سليمان

ما هى رتب الجيش المصرى التى تقابل رتب الجيش البريطانى الآتية :

Lieutenant General, Commander-in-chief, Field Marshal, Major, Lieutenant Colonel, Major General, Lieutenant, Captain.

وهل اشارات هذه الرتب واحدة فى الجيشين ؟ واذا كان للجيش المصرى علامات خاصة ، فما هى علامات هذه الرتب ؟

(الهلال) الرتب المصرية التى تقابل هذه الرتب الانجليزية هى على التعاقب : مشير ، مفتش الجيش ، فريق ، لواء ، أمير ألاى ، قائمقام ، بكباشى ، يوزباشى ، ملازم أول

ولكل جيش إشاراته الخاصة به

وعلامات الرتب المذكورة فى جيشنا هى على الترتيب : تاج ونجمتان وسيف وعصا متقاطعان ، تاج ونجمة وسيف وعصا متقاطعان ، تاج وسيف وعصا متقاطعان ، نجمة وسيف وعصا متقاطعان ، تاج وثلاث نجوم ، تاج ونجمتان ، تاج ونجمة ، ثلاث نجوم ، نجمتان

أسماء حيوانات

(دمشق – سوريا) يوسف الباقري

اختلطت على هذه الاسماء ، فما الفرق بين مسمياتها الفأر ، والجرذ ، والجرذان – السنور ، والسمور

(الهلال) الجرذ هو الفأر الذكر أو الفأر الضخم . وجمعه جرذان . والفأر أصغر من الجرذ ويطلق على الذكر والانثى كما تطلق لفظة الفارة

والسنور هو الهر ، والأنثى سنورة . أما السمور – كما جاء فى المخصص – فدابة يتخذ من جلدها فراء ثمينة . وهى وسط بين الجرذ والثعلب

الدودة الوحيدة

(الاسكندرية مصر) أحد القراء

أكلت لحم الخنزير مراراً ، وأخشى أن أكون قد بليت بالدودة الوحيدة . فكيف أعرف ذلك ، وكيف أتخلص منها ؟

(الهلال) الاكثار من تناول لحم الخنازير ، ولا سيما التى تربى فى مصر حيث تأكل أقذر الفضلات يؤدى الى الاصابة بالدودة الوحيدة

وهذه الدودة اذا كبرت ونمت ، خرجت قطع من لحمها من حين الى حين . أما اذا كانت فى بدء نموها فيحتاج الامر الى طبيب يفحص الامعاء بأدويته وأجهزته

ويمكن التخلص منها اذا صام المريض عن الطعام والشراب يوماً كاملا ، لا يذوق فيه سوى اللبن . ثم يتناول دواء مخدراً يسكر الدودة ، ويعقبه بمسهل – كزيت الخروع أو الزئبق فتخرج منه

لحم الانسان

(الاسكندرية – مصر) ومنه

هل أكلة اللحم البشرى أصح منا جسما ؟

(الهلال) نستقى اجابتنا عن هذا السؤال من كتاب على صدر حديثاً عنوانه « الخبز والانسان والقدر » وقد جاء فيه : ان لحم الانسان هو أوفق أنواع اللحوم له وأنفعها فى تغذيته . وهو أسهل هضماً من لحوم الحيوانات الاخرى ، وأكثرها ملاءمة لذوى المعدات الضعيفة . واذا كان « المجتمع البشرى » قد كسب من امتناع الانسان عن أكل لحم أخيه ، إلا أن المعدات قد خسرت من هذا كثيراً . وفضلا عن هذا فليس هناك أى لحم يضارعه فى طيب طعمه وشهى مذاقه

فمن المحتمل إذاً أن يكون أكلة اللحم البشرى أصح منا بدنا ، ولكن ينبغى أن نذكر ان قوتهم ترجع الى أسباب أخرى منها حياتهم البدائية التى تهيء للجسم أسباب النمو والقوة والصحة وتجنبه كل عوامل الاجهاد التى تعوق نماءه وتستنفد قواه

شهادات جامعة فؤاد الأول

(بومباى – الهند) ع . ع . م .

أنا شاب هندى فى الثلاثين من عمرى ، أجيد العربية والانجليزية ، وأريد أن انتسب الى الجامعة المصرية لأنال شهاداتها فى الآداب ، فهل يباح لى هذا وكيف انتسب اليها ؟

(الهلال) لم تفتح جامعة فؤاد الأول – الجامعة المصرية سابقا – باب الانتساب اليها ، أى لا تمنح شهادة البكالوريوس إلا للمنتظمين فيها . وهؤلاء يحملون البكالوريا المصرية أو ما يعادلها ، ويحضرون دروسها ومحاضراتها وفق نظامها المقرر

ولكن اذا استطعت أن تنتسب الى احدى الجامعات الأوربية الكبيرة ، كجامعة لندن مثلا وأن تحصل منها على شهادة البكالوريوس فى الآداب أمكنك أن تقدم لكلية الآداب بجامعة مصر رسالة تنال بها شهادة الماجيستراه أو الدكتوراه حسب قيمة الرسالة

المحمل المصرى

(القاهرة – مصر) عبد المجيد غزالى

هل ترسل البلاد الاسلامية محملا الى الحجاز كالمحمل الذى ترسله مصر كل عام ؟

(الهلال) لا يرسل الى الحجاز الآن سوى المحمل المصرى . وكانت ترسل فيما مضى ثلاثة محامل أخرى هى :

المحمل العراقى وكان أفخم المحامل وأجلها لأنه هدية خليفة المسلمين الى كعبتهم . فكان يرصع بالذهب

واللؤلؤ والياقوت وبلغت قيمته ٢٥٠ الف دينار من الذهب . وقد انقطع إرساله منذ ضعفت الخلافة وانتهى عهدها فى القرن التاسع الهجري

المحمل اليمنى . وقد بدىء فى إرساله سنة ٩٦٣ هـ واستمر حتى سنة ١٠٤٩ . وكان الأعراب يغيرون عليه فى الطريق لسلب قوافل الحجيج فآثروا أن يسلكوا طريق البحر بعيداً عن فجاج الصحراء

المحمل الشامى . وقد ظل يرسل حتى قامت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ . وبدىء فى إرساله فى عهد السلطان سليم سنة ٩٢٣ هـ وكان كالمحمل المصرى ترافقه الجنود والموسيقى

وأول من أرسل المحمل المصرى شجرة الدر سنة ٦٤٨ هـ . وكان يرسل الى قوص بمديرية قنا . وينقل فى الصحراء الى شاطىء البحر الاحمر ثم يعبر به الى شاطىء الحجاز . وقد أوقف إرساله سنة ١٩٢٥ لخلاف بين حكومتنا وحكومة الحجاز ثم أعيد إرساله منذ عامين

الذكاء فى الشيخوخة

(الموصل – العراق) حسن فتح الله

هل ينقص ذكاء الانسان كلما تقدم فى السن ؟ ومتى يبلغ أقصى قوته . ومتى يبدأ فى النقصان ؟

(الهلال) من الآراء الشائعة التى يقرها كثير من العلماء ان المرء يكتمل ذكاؤه حين يبلغ الواحدة والعشرين . وانه كثيراً ما يقف نمو ذكائه بعد سن السادسة عشرة . ويستمر الذكاء بلا زيادة ولا نقص حتى سن الخامسة والعشرين أو السابعة والعشرين . وبعد ذلك يبدأ فى التناقص بمعدل ١ ٪ كل عام

ولكن مثل هذه الآراء الشائعة لا يصح الاخذ بها والاعتماد عليها كثيراً . فمن الظواهر التى تنقضها ان اكثر الفلاسفة والعلماء والشعراء أنتجوا أروع آثارهم بعد أن طعنوا فى السن . ولا شك فى ان للتجارب الطويلة فضلها فى انتاج هذه الآثار . ولكن من المحقق انه ما كان يتيسر إبداع هذه الآراء لو ان ذكاءهم ظل يتناقص منذ كانوا فى سن الخامسة والعشرين

ومن العلماء من يقول ان فى الامر مغالطة: فالشيخ أبطأ إدراكا من الشاب لأن حواسه أقل قدرة من حواس الشاب . ولكن هذا البطء لا يدل على ان قدرته على الادراك والتقدير ، قليلة أو ضعيفة

دائرة معارف عربية

(حلب – سوريا) ا . الحسين

هل وضعت دائرة معارف باللغة العربية ؟ وهل تباع بالمكاتب العامة ؟

(الهلال) وضع الاستاذ العلامة محمد فريد وجدى موسوعة عربية كبيرة ، تتألف من عشرين جزءاً . وقد قام وحده بهذا العمل الضخم ، الذى يتطلب جهود عشرات بل مئات ، من العلماء المختصين بشتى فروع الثقافة . ولهذا لم تأت موسوعته – على نفاستها – كالموسوعة البريطانية مثلا ، التى تتألف من ٢٤ سفراً ضخما ، تضافرت على تأليفها جماعات من العلماء والأدباء والمفكرين

وتباع هذه الموسوعة بالمكاتب العامة

وكان أول من فكر فى وضع موسوعة عربية هو المرحوم بطرس البستانى ، العالم السورى المدقق . وقد أخرج منها ستة أجزاء وبدأ السابع ، فلما مات خلفه ابنه سليم الذى أتم السابع ووضع الثامن ، وأخرج أبناؤه ما بعده الى الجزء الحادى عشر ، يعاونهم فى ذلك ابن عمهم سليمان البستانى مترجم الالياذة . .

وقد كان للخديو اسماعيل فضل كريم فى معاونة بطرس البستانى وتشجيعه على المضى فى هذا العمل الجليل

غذاء للمخ

(حلب – سوريا) ومنه

هل هناك أطعمة خاصة تغذى المخ وتقويه ؟

(الهلال) المخ – كسائر أعضاء الجسم – يتغذى من الدم ، الذى يصل اليه فى مجار وشعيرات دموية دقيقة ، تتخلل جميع أجزاء المخ

فكل غذاء طيب ينفع المخ ويغذيه ، كما يصلح سائر أعضاء الجسم ويقويها . على أن الاطعمة التى تحتوى على كميات وافرة من الفوسفور أصلح من سواها لغذاء المخ . ولهذا ربما صح الرأي الشائع بين الناس عن أن السمك يزيد الذكاء ، لأنه يحتوى على كمية كبيرة من الفوسفور الذى ينتفع به المخ

جبهة من الشعوب العربية

هل هى ضرورة ، وماذا يجب لتأليفها ؟

آراء طائفة من رجالنا المعروفين

أثار « الهلال » فى العدد الماضى مسألة الرابطة العربية ، ووجوب تأليف جبهة من الشعوب الناطقة بالضاد . وقد نشرنا للكاتب الكبير الاستاذ محمود عزمى مقالا فى هذا الموضوع ، عرض فيه رأيه ، وخبرته بأوضاعه . ولا ريب فى ان اهتمام الهلال بهذه الفكرة ، انما هو استجابة للرغبة القوية التى تخالج نفوس أبناء العروبة ، فى تضامن جهود الجميع للسعى لخيرهم ، وخير الشرق الذى يجتاحه التيار الغربى ويسيطر على شئونه السياسية والاقتصادية . لذلك رأينا أن نعود الى هذه الفكرة ، ونعرض فيها مختلف الآراء . وهنا ننشر رأى كل من صاحب السعادة بهى الدين بركات باشا رئيس مجلس النواب ، وسعادة احمد لطفى السيد باشا مدير جامعة فؤاد الاول ، والأستاذ خليل مطران شاعر الأقطار العربية

رأى الدكتور بهى الدين بركات باشا

اذا ذكرت الجبهة العربية أو الجامعة العربية انصرف الذهن الى احدى مجموعتين :

الأولى ـ هى التى تشمل الشعوب الناطقة بالضاد كمصر وسورية وفلسطين ولبنان والعراق والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب الأقصى

الثانية ـ هى التى تجمع البلاد الاسلامية كافة سواء منها البلاد التى تتكلم العربية والبلاد التى اعتنقت الدين الاسلامى واستفادت من الحضارة الاسلامية ومن القومية العربية ردحاً من الزمان ، كتركيا و إيران والأفغان و بعض مقاطعات الهند والصين وغيرها

وليس يخفى أن المعنى الأول أدق وأكثر تحديداً فى مدلول اللفظ ، لأن البلاد التى تتكلم العربية تتحد فى كثير من دعائم القومية كاللغة والحضارة العربية ، والدين بين الاكثرية العظمى من السكان . ومن أجل ذلك تتجه الرغبة الى توثيق هذه الصلات القومية بتأليف جبهة من هذه الشعوب ، وهى رغبة جديرة بالتشجيع والتأييد ، لما تعود به ـ لو تحققت ـ من الخير العظيم على أبناء العروبة

غير أننا نرى الشعوب العربية قد خضعت فى الوقت الحاضر لظروف سياسية ليس من السهل أن تتحقق معها تلك الرغبة ، وليس من اليسير أن تعقد بينها فى هذه الآونة أحلاف سياسية تكون منها وحدة أو جبهة تدافع عن مصالح العرب وتناضل عن حقوقهم ، ويكون لها من الأثر العملى ما يجعل الحكومات العربية تعترف بها وتتعاون معها ، وتعتبرها معبرة عن آمال الامم العربية وآرائها السياسية

ولكن من السهل أن تتوثق الصلات الثقافية والاقتصادية فى الوقت الحاضر بين الامم العربية ، وأن يسعى العاملون لتأليف جبهة عربية الى توطيد هذه الصلات بين تلك الامم ، والعمل لتعاونها تعاوناً مادياً وعلمياً وأدبياً ، وتوجيه المصالح المشتركة بينها توجيها نافعاً

فاذا نحن بدأنا بهذه المرحلة ، فاننا نكون قد سلكنا الطريق العملية ، وتقدمنا خطوات فى سبيل الغاية التى يرمى اليها العرب من التعاون المفيد والتضامن لخير الامم العربية ومجدها

ولست أنسى أن سبل المواصلات على اختلاف أنواعها تساعد كثيراً فى توطيد الروابط الاقتصادية والثقافية بين تلك البلاد

ولست أنسى أيضاً أن لأجزاء تلك المجموعة حقاً لبعضها على بعضها الآخر ، وانها تستطيع بتعاونها أن تجعل لنفسها من المنزلة والاحترام ما لا يمكن أن تصل اليه بغير هذا التعاون . وأكبر شاهد لدينا ما نراه من العطف العام على قضية فلسطين ، وما نشاهده من التضامن بين الشعوب العربية فى الدفاع عن هذه القضية ، مما سيكون له باذن الله أحسن الثمرات

وقد ذكرت لكم وجوب التعاون الثقافى ، وأعنى بذلك نشر الثقافة العربية ، وتسهيل التبادل العلمى . ولست أعنى توحيد برامج التعليم ، فان الاتجاه العام فى التربية الحديثة هو جعلها ملائمة للبيئة التى نشأ فيها الشخص . وقد بلغ من نضج تلك الفكرة فى أذهان علماء التربية الحديثة أن بلاداً كانجلترا تترك لمدارسها الاولية والصناعية تنشئة تلاميذها بحسب حاجات البيئة الخاصة بهم

وقد حاولت وزارة المعارف المصرية فى وقت من الاوقات أن تطبق تلك النظرية فى بعض مدارسها ، لما ظهر لها من حاجة البلاد اليها لاختلاف مصالحها الاقليمية . و إذا كانت الحاجة الى ذلك بادية فى قطر واحد كمصر ، فكيف بسائر الاقطار العربية . ولهذا يصعب أن نقول بتوحيد حقيقى فى برامج التعليم ونظم الدراسة بين الشعوب العربية

وهذا لا يعنى أنه ليس من المفيد أن تعقد المؤتمرات ، وتبحث النظريات المختلفة ، وتدرس

حاجات البلاد . ففى هذا التبادل الفكرى ما ينير الذهن ويساعد فى اختيار أنسب النظم لكل أمة من أمم العرب

رأى سعادة احمد لطفى السيد باشا

تسألوننى هل يمكن تأليف جبهة من شعوب العربية ، والذى أفهمه من هذا السؤال على اطلاقه ان تتحالف البلاد العربية تحالفاً سياسياً . وهـذه الفكرة من العسير تحققها فى الآونة الحاضرة ، بل من المستحيل ان تتحقق والامم العربية على ما هى عليه من الاوضاع السياسية المختلفة بين الاستقلال التام . والاستقلال المنقوص ، والانتداب والحماية والاستعمار

وعندى ان السعى لتأليف تحالف من هذا النوع وهم من الاوهام . واذا كان رجال القضية العربية يريدون أن يخدموها من هذه الناحية ، فان جهودهم على ما أعتقد مقضى عليها بالفشل ، ولقد سبق ان صرحت لبعض وزراء العراق وسورية وزعمائها الذين أتيحت لى مقابلتهم ، بأن دعاة الرابطة العربية ، إذا كانوا يريدون منها أن يتعاون العرب فى الكفاح السياسى ، ويتضامنوا فى تأليف ما يسميه بعضهم عصبة أمم عربية للدفاع عن كيانهم ، واستعادة حقوقهم ، فانهم يبعدون عن الغاية التى يسعون اليها فى خدمة العروبة أميالا ، ويضيعون الوقت فى خيال عقيم ، وأحلام بعيدة التحقيق ، أو على الأصح لم يأت الوقت الذى يمكن أن تتحقق فيه

وأول خطوة يجب أن تخطى قبل ذلك التحالف السياسى ، أن تسعى الأمم العربية لأن تكون وحدات قائمة بنفسها . كل منها وحدة مستقلة تمام الاستقلال على النحو المعروف دولياً ، فلا نرى بينها أمماً تحت الحماية كبلاد المغرب ، ولا تحت الانتداب كشرق الاردن وفلسطين ، ولا مستقلة استقلالا منقوصاً كمصر والعراق

ووقتئذ يكون التحالف السياسى ممكنا ومؤديا للغرض الذى يسعى اليه العرب

أما ما ينبغى عمله الآن ، فهو توثيق الرابطة الثقافية والتعاون الاقتصادى والاجتماعى بين الأمم العربية ، ومن هذه الطريق يمكن ان يقال ان فى الامكان تأليف جبهة من شعوب العربية يكون غرضها نشر الثقافة العربية فى أقطارها ، وتقوية الروابط الاقتصادية بينها

رأى الاستاذ خليل مطران

يجادل بعض الناس فى أى الرابطتين أنفع : أهى الرابطة الشرقية ، أو الرابطة العربية ؟

وعندى أن الرابطة الاخيرة هى أجدى وأصلح ، لأن الشعوب الشرقية والشعوب الاسلامية غير الناطقة بالضاد لا يمكن التفاهم معها لاختلاف اللغة . واختلاف العادات ، واختلاف الثقافة

والجبهة العربيـة اذا أريد تأليفها ، فليس من الممكن الآن أن تقوم على أساس سياسى تستفيد منه الامم العربية ، وتعالج به ما تشكوه من آلام الاستعمار أو الحماية أو الانتداب ، وكل عمل فى هذه الناحية سابق لأوانه

نعم قد يمكن ان تقوم رابطة سياسـية بين مصر والعراق لتشابههما فى الوضع السياسى ، والاتجاه الوطنى ، ولـكن هذه الرابطة عند التنفيذ تبرز حولها صعوبات جمة . ولست أذكر فلسطين وسوريا ولبنان وطرابلس وتونس والجزائر ، فهذه الأقطار لا يمكن فى الوقت الحاضر ، وفى الوضع الغريب الذى هى فيه أن تؤلف منها جبهة

ويحتمل أن تصبح سورية غداً مستقلة ، ولـكن اسـتقلالها الحقيقى رهن بأمد لا ندرى متى يكون - هـذا فيما يتعلق بهذه الجبهة من الناحية السياسية . اما ان يكون الغرض من تأليفها أن تقوم على التعاون الثقافى والتعاون الاقتصادى ، وهما الركنان المهمان فى حياة الأمم ، اللذان تتحقق بهما وحدة التفاهم والتآلف الروحى ، ووحدة المصلحـة المادية . فعندئذ يكون وجودها ضرورة ، والاسراع بها واجباً ، وهى فى هذا الوضع تكون صالحة للبقاء والنمو المطرد ، حتى تتحول مع مضى الزمن وتطور الحوادث ، الى رابطة عظيمة مؤيدة بأسباب سياسية ودولية

وتأليف جبهة من شعوب العربيـة لا يكون بالبداهة مما يعمل ارتجالا . ولـكن لا بد له من نظام يوضع بتحقيق رجال مخلصين ، يتحينون الفرص لانجاح كل قصد من مقاصد تلك الرابطة . وينبغى أن يكون الممثلون للامم العربية من الخبيرين بشئونها ، المقيمين بها على الدوام

وعلى هذه الصورة دون غيرها أعتقد انه يمكن التفكير الجدى فى تأليف جبهة عربية تقوم أولا وقبـل أى شىء على التعاون الثقافى ، والتضامن الاقتصادى ، وتوحيد الاتجاه الفكرى بتقريب نظم التعليم

وانى لأشكر لوزارة المعارف المصرية بنوع عام ، ولصاحب العزة محمد العشماوى بك بنوع خاص ، تفكيرهما فى الدعوة الى مؤتمر عربى للبحث فى تقريب مناهج التعليم فى الأقطار العربية ، ولا ريب فى أن هذا المؤتمر سيكون حدثاً كبيراً فى تاريخ العروبة ، وسيتبين فيه الى أى حد يمكن توحيد الثقافة العربية بين الناطقين بالضاد ، وقد يكون من منافع هذا المؤتمر ، أن يمهد لعمل مؤتمرات اقتصادية واجتماعية وأدبية تعود على نهضة الشرق العربى بأكبر الفوائد

١٣ نوفمبر

بعد عشرين سنة

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

تقدمنا ، واستفدنا ، وربحنا . . ومن الجائز أننا تخلفنا فى ميادين من الأحوال العامة بعض التخلف . لكن المعول عليه هو طليعة الجيش وجناحاه . وليست المؤخرة

يجب على الزارع البارع أن يغرس الشجرة الى جانب النهر الجارى ، ولكن يجب عليه فى بعض الأحيان أن يغرس الشجرة ولو فى الصحراء القاحلة ، ثم ينتظر المطر . لانه ان لم يفعل ذلك لم تكن هناك شجرة على الاطلاق !

وأحسب أن شجرة ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ كانت من قبيل الأشجار التى تزرع فى انتظار المطر ، وان لم يكن زرعها فى صحراء قاحلة ، لأنها نمت وأثمرت واستطالت على خلاف المنظور يوم غرسها الغارسون

ترى لو اجتمع رجال هذا اليوم من مصريين وانجليز ، من فارق منهم الحياة ومن لا يزال بقيدها ، وجلسوا يتنقدون عاقبة ما صنعوه وثمرة ما أنبتوه ، كم منهم كان يتوقع ما حدث ؟ وكم منهم كان ينتظر النتيجة التى صارت اليها الأمور ؟

لا الساسة الانجليز ولا القادة المصريون كانوا يحسبون ان الأحوال تمضى بهم فى هذا السبيل . ومع هذا كان ينبغى أن يكون هنالك يوم ١٣ نوفمبر أو يوم مطالبة بما طلبه المصريون فى ١٣ نوفمبر قبل عشرين سنة ، وعلى الحوادث أن تضع البقية ، وعلى الأمطار أن تهطل حين تشاء

فالذين طلبوا الاستقلال فى ذلك اليوم كانوا يطلبون أعسر مطلب من أقدر الغرماء على الرفض أو على المطال ، إذ كانت انجلترا يومئذ فى أوج نصرها ومنعتها بين دول العالم ، وكان

اكتفاؤها بالحماية هوادة كافية عندها لأنها كانت ترجو أن تضم البلاد اليها ضم المستعمرات المملوكة ، فاذا قنعت بالحماية فتلك نعمة يخلق بالمصريين أن يحمدوها ، والا فهم طامحون طامعون ناكرون للجميل

ولا أذيع سراً خافياً اذا قلت إن أناساً من المصريين كانوا يحسبون المطالبة بالاستقلال عبثاً فارغا وعلالة كاذبة ، ومضيعة لوقت الأمة ووقت الزعماء لا تجمل بالحكماء ، إذ كان هؤلاء الحكماء لا يعرفون من فن الزراعة الا غرس الأشجار على جانب الأنهار ! وهم لذلك أجهل الناس حين يكون الأمر أمر مجازفة وحياة ، وما هى الحكمة بغير المجازفة ودفعات الحياة فى بعض المواقف ؟ انها الجهل أو ما هو شر من الجهل . . انها الموت !

واليوم نقابل بين ما كنا فيه وما صرنا اليه بعد عشرين سنة فلا يشك أحد فى نتيجة هذه المقابلة ، وهى الجزم بأننا تقدمنا واستفدنا ، وان العشرين سنة الماضية لم تكن من سنى الركود والضياع فى تاريخ المصريين

فمن الوجهة السياسية كنا أمة محمية فأصبحنا دولة معترفا لها بالاستقلال بين دول العالم ، وكاتب هذه السطور لا يعتقد أن المعاهدة التى سجلت هذا الاستقلال منذ سنتين كانت خيراً فى نصوصها وحروفها من المعاهدات التى سبقتها وقوبلت بالرفض تارة من جانب مصر وتارة من جانب بريطانيا العظمى ، ولكنى أعتقد أن العبرة بطريقة تنفيذ النصوص وفهم الدلالات التى لا تنطوى فى النصوص ، وان المرجع فى ذلك الى الأحوال السياسية التى تبيح ما لم يكن يباح وتحقق ما لم يكن يتحقق ، وهذه الأحوال التى غلبت على البحر الابيض المتوسط منذ سنوات ثلاث هى التي أفهمت بريطانيا العظمى أن قوة مصر خير لها من ضعفها ، وان مصر تخلص للحليفة المتساهلة ولا تخلص للسيدة المتعسفة ، وهى التى أفهمت مصر أن معاونة بريطانيا العظمى محمودة اذا كانت معاونة حليف لا غنى عنه بين أخطار الحروب والأزمات الدولية ، وان ما كان بغيضاً لأنه احتلال قد يصبح سائغاً مقبولا لانه معاونة على درء الاخطار

هذه الاحوال السياسية الطارئة هى التى قلبت نصوص المعاهدات وأخرجت منها معانى لم تخطر قبل سنوات على بال ، ولم تكن هذه الاحوال عنصراً من عناصر المفاوضة والمناقشة يوم الثالث عشر من نوفمبر سنة ١٩١٨ وماتلاه ، ولكنها كانت المطر الذى لا بد من حسبان حسابه ، ما دامت فوقنا سماء وحولنا بحار ، وما دمنا بحاجة لا ريب فيها الى غرس الاشجار

أما القوة العسكرية — وهى رديف للمركز السياسى يتناولها البحث لا محالة عند النظر فى

قيمة استقلال الدولة ـ فنحن اليوم أصحاب جيش يزيد على ضعف الجيش الذى كان لنا قبل عشرين سنة ، وأصحاب سلاح أمضى وأنفع من سلاحنا فى ذلك الحين

ومن الوجهة الاقتصادية أصبحت لنا مصارف وشركات ومصانع لم يكن لها وجود يومذاك ، وأصبحت لنا معاملات تجارية أوسع نطاقا من معاملاتنا فى أيام الحماية ، وازدادت موارد الحكومة ، وازدادت نفقاتها كذلك ، ولكنها مع ازدياد النفقات لا تزال قائمة على أساس متين

ومن الوجهة العلمية تضاعفت مدارسنا وكثر عدد المتعلمين منا ، وأخذ التعليم الالزامى فى الشيوع ، وتعددت المطبوعات وازداد عدد المطبوع من كل كتاب ، فبعد الألف والألفين وصلنا الى خمسة آلاف وعشرة آلاف ، ولا تندر إعادة الطبع فى مدى وجيز خلافا لما كان مألوفا فى مطبوعات الجيل السابق ، ولسنا ننسى ان صنف المادة المقروءة قد هبط أحيانا كما شاع التعليم وهبطت مرتبة المتعلمين ، الا ان الكتب النفيسة التى تظهر اليوم لم تعدم قراءها ولم تزل معنيا بها مرغوبا فيها ، وليس فى وسع متشائم أن يزعم ان قراءها الآن أقل مما كانوا قبل جيل

لسنا ننسى هذا ولا ننسى معه ما قد يلاحظ المتشائمون من تحلل الاخلاق وانطلاق الشهوات ، وانما نقول ان اختلاف النظر ذلك الاختلاف البعيد فى الحكم على الصالح والطالح من الاخلاق هو الذى يدعو الى المبالغة فى وصف ما أصابنا من التحلل المزعوم والانطلاق المذموم ، وحقيقة الامر عندنا انها أعراض الانتقال من أدب جيل الى أدب جيل آخر ، وانها أعراض الاستقلال الفردى الذى أباح الناشئين ما كان محظوراً عليهم فى أيام الضغط والاستبداد ، و بعض هذه الأعراض الى الخير و بعضها الى الشر ما فى ذلك جدال ، ولكن أين هو النمو الاجتماعى الذى يكون خيراً كله ولا يصحبه شر من الشرور ؟ حسبنا انه لا يكون شراً كله ونحن اذن رابحون

ومن الحقائق التى ينبغى أن تذكر فى مقام المقابلة ان طبقة المعيشة لم ترتفع بين سواد المصريين فى قرى الريف ، وان صحة الفلاح لا تزال على ما كانت عليه من الوهن والتعرض لآفات الجراثيم الشائعة فى الارض والماء ، غير اننا اذا ذكرنا هذه الحقائق ، فينبغى أن نذكر الى جانبها أن الاحساس بهذه الحالة أعم ، وان العنايه بها أكبر ، وان الجهود التى تبذل لتحسين المعيشة ودرء الآفات أعظم من كل جهد بذل قبل عشرين سنة ، واننا اذا لم نفعل فى هـذا

(البقية على صفحة ١٤٩)



بقلم الدكتور محمد عوض محمد

الاستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

هذه الاعوام الطوال ، التي تقف بيننا وبين الماضى ، كأنها الحجب الكثيفة والاستار المسدلة ، وكل عام يزيد فيها حجاباً جديداً وستراً قاتماً . أريد اليوم ان أخترقها بضوء الذكرى ، وأعود بنفسي وبالقارىء ، إلى يوم قد مر عليه نيف وعشرون عاما ، وأنا إذ ذاك تلميذ أختلف إلى دور العلم إذا أقبل النهار ، وأغشى المحافل والمجامع إذا أقبل المساء

لم أكن أسمع بحفل حافل إلا هرعت اليه ، ولا بخطيب ذى خطر الا احتلت فى الوصول اليه . وما دام الحفل شائقاً والخطيب ذا شأن، فهيهات ان يحول بيني وبينه حاجب سمج او جندى شديد المراس

وفى احدى هذه الحفلات ألفيت نفسى فى دار الجامعة المصرية القديمة وسط جموع من الناس قد احتشدت ، وعلى المنبر وزير مصر ثروت باشا ، ومن حوله جماعة من خيرة رجال مصر ، وقد جلسنا صامتين معجبين ، نصغى إلى الخطيب اثر الخطيب ، وكل يتحدث الينا عن فتى من أبناء الجامعة المصرية ، قد منحته الدكتوراه ، فكان أول أبنائها المبرزين

احتفلت جامعة ليون بفرنسا بتكريم الدكتور طه حسين لمناسبة منحه الدكتوراه الفخرية لهذه الجامعة . وقد رأت مجلة الهلال أن تحيي عميد كلية الآداب بهذا المقال الذى كتبه الدكتور محمد عوض محمد وحلل فيه شخصيته

ثم استطالت الأعناق ، وتحولت الانظار صوب المنبر ، وساد الصمت العميق ، لأن هذا الفتى ، الذى كنت سمعت به ، ولم أكن رأيته من قبل ، قد وقف ليشكر الذين احتفوا به وكرموه هذا التكريم . فاذا فتى ذو وجه طلق ، تكسوه لحية سوداء ذات طول وعرض ، وعلى رأسه عمامة أزهرية ، أو ما يشبه العمامة الازهرية ، وعلى جسده جبة وقفطان أو ما يشبه الجبة والقفطان . . أخذ يتكلم فاذا صوت يجمع بين الشدة والعذوبة ، ولسان عربى قوى ، من ورائه جنان ثابت ، وبديهة حاضرة لا تغيب ، هذا الصوت الذى استرعى انتباهى فى ذلك اليوم ، قد ألفته فيما بعد فلم أعد أتنبه اليه ، ولكن كثيراً من أصدقائى أسروا إلى ان هذا الصوت ركن لا يستهان به من أركان هذه الشخصية التى كلفت ان أصفها هنا اليوم

لقد أخذ الفتى طه يتحدث إلى الناس فى ذلك اليوم ، فلم يحاول أن يستتر وراء غشاء من

التواضع الكاذب ، بل أخذ يشكر الذين كرموه واحتفلوا به . لا لأنه يستحق التكريم بل لأن فى هذا تكريماً للعلم ، ورفعاً لشأن العلم . وأذكر أني انطلقت إلى دارى مساء ذلك اليوم ، وأنا معجب بما وفق اليه ذلك الطالب فى موقف ليس الكلام فيه بالشيء الهين اليسير

لم أكن أدرى فى ذلك اليوم ـ وأنى لآدمي جاهل أن يدرى ؟ ـ أن سيدور الزمان دورته ، وتجمع بينى وبين هـذا الفتى المكرم ظروف الحياة ، فاذا أنا جرم صغير وسط هذه المجموعة الكوكبية العظيمة ، التى امتلأ بها ذلك الفلك الخطير ، الذى ندعوه كلية الآداب

ان الذين لا يعلمون عن كلية الآداب سوى انها احدى كليات الجامعة ، لم يكلفوا أنفسهم عناء فى تعرف الحياة العلمية والثقافية فى مصر . فان فى جدران هذا المعهد صفاء واخلاصاً وانكاراً للذات يعز عليك أن تجد له نظيراً فى أي معهد آخر . وليس من شك فى أن هذا البناء الراسخ القواعد ، القوى العمد ، الذى ضم بين جدرانه أفضل مافى مصر من جهود وتضحية . لم يكن ليبلغ ما بلغ من قوة ومتانة ، لولا ما بذله طه حسين من خدمة صادقة ، وجهود متصلة

ان ما فى طبع طه من دماثة ورقة ، ومن بعد عن الكبر والغرور ، قد جعله قوة تجـذب وتقرب ، وتؤلف . فلم تكد تستقر قدمه فى معهده هذا حتى أخذ يضم اليه جماعة من خيرة أبناء مصر ، وأنبلهم نفساً ، وأكرمهم قلباً . وكان شأنه فى هذا كالباحث عن الكنوز ، التى لا يعلم سواه مقرها ، ولا كلمة السحر التى يجذبهم بها . وهكذا استطاع هذا الساحر الخلاب أن يضم اليه ما بين عشية وضحاها ، أعلاما هائلة مثل أحمد أمين ومصطفى عبد الرازق . فقل لى بحقك فى أى ركن من أركان هذا القطر السعيد كنت تجد نجوما ثلاثة ، باهرة النور ساطعة الضياء ، مثل طه حسين ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين . ثم لم يمض وقت حتى تلاهم غيرهم من صفوة أبناء مصر مثل ابراهيم مصطفى وعبد الوهاب عزام وأمين الخولى

وقد قصرت الكلام على هؤلاء لأنهم جميعاً قد اتفقوا فى صفة واحدة جليلة ، لم يدركها ولم يقدرها الا القليل ، ذلك أنهم قد جمعوا إلى الثقافة الاسلامية الخالصة التى أحاطوا بها احاطة نادرة ، ثقافة عصرية غربية ، قد تزودوا منها بأقدار متفاوتة ، ولكنها أقدار صالحة على كل حال . وانى ـ وأنا من الذين حرموا هذه النعمة ـ أقرر فى غير تردد أن هذه العصبة التى جمعت بين الثقافتين هى خير من يسهر على ارشاد مصر ، وتوجيهها فى هذا الوقت العصيب ، الذى تتنازعها فيه المؤثرات المتباينة المتنافرة

أجل . وان شخصية طه حسين قد كبرت ، وتعددت نواحيها حين ضرب بسهم عظيم فى كلا الثقافتين ، وبلغ فى كل منهما منزلة ليس من السهل على المتخصص المنقطع لاحداهما أن يبلغها ، فانك قد تجلس الي الرجل المثقف ـ وليكن حظه من الذكاء عظيما وافراً ـ وتتحدث اليه ، فتراه يدور فى دائرة واحدة لا يستطيع أن يعدوها ، فاذا كانت هنالك مواقف جدية ، لم يستطع أن ينهض

فيها إلا بمقدار محدود . أما طه الذي جمع الى حدة الذكاء وحضور الذهن ـ ثقافة الشرقيين والغربيين ، فقد أصبح نبوغه متعدد الأركان ، مختلف الفنون ، فهو الكاتب الذى أسلست له العربية قيادها . والخطيب الذى يجمع الى البيان النادر ، مقدرة مدهشة على اختيار الكلام الذى يلائم كل موقف ، وهو فى النضال ذو الحجة القوية ، والموفق في ايجاد حل لكل مشكل . ويبحث الغربيون الذين يفدون الى ديارنا ، عن مصرى يستطلعون من حديثه نواحى النهضة المصرية الحديثة فلا يجدون مثل طه فى قوة بيانه اذا تحدث اليهم بلسانهم الأعجمى ، فأطلعهم على ثقافة الشرق ، وعلى نهضة مصر ، وما يجيش بصدرها من آمال ، وما تعانيه من صروف . لم يكن ـ بعد ذلك ـ بد من أن يسير ذكر طه فى الآفاق وأن يسمع به أهل الصين فى الصين ، وأن تحتفل به معاهد العلم فى فرنسا أو غير فرنسا من الأقطار

ستقول : ما أشبه الليلة بالبارحة ، بالأمس البعيد وزير مصرى جليل مثل ثروت ، وجامعة مصرية ناشئة ، تقيم حفلة رائعة لتكريم طه حسين الطالب ، وبالأمس القريب وزير فرنسى خطير مثل هريو ، وجامعة فرنسية عريقة كجامعة ليون تحتفل بطه حسين الأستاذ

أجل ، ولكن حياة طه حسين لم تكن كلها حفلات تكريم وتقدير . فان هذه السفينة العجيبة لم تلق بها يد الدهر ، فى بحر كله هدوء وصفاء ، بل كثيراً ما عصفت بها العواصف الهوجاء ، وتقاذفها الموج الثائر الأحمق ، حتى أشفق عليها محبوها أن ترتطم بصخر قاس ، أو يلقى بها فى ساحل موحش مقفر

وفى استطاعتك أن تعجب ـ ما وسعك العجب ـ فى أن القائمين بالأمر فى مصر بدلا من أن يغتبطوا بطه ، قد أخذوا يضطهدون طه ، ثم يمعنون فى اضطهاده الى درجة يصعب أن يتصورها عقل عاقل . وأكبر مظهر لهذا الاضطهاد ما حدث فى ربيع سنة ١٩٣٢ حين أخرج من الجامعة إخراجاً ، ثم أخرج من خدمة الحكومة إطلاقا ، ثم أمعنوا في اضطهاده حتى طلبوا الى شركة مصر الجديدة أن تخرجه من داره التى يسكنها . فأذعنت الشركة لأمر أولى الامر ، وأبدلت طه من داره داراً أخرى لا تقل عنها رونقاً وجمالا ، وان زادت عليها فى الأجر قليلا . ورأى الناس هذا الاضطهاد ، فأخذوا يقللون من التردد على داره . وأخذ بعضهم ـ حتى ممن كان يظنهم أصدقاءه ـ ينتحل ظروفا ويختلقها اختلاقا ، لكى يتذرع بها الى مخاصمته ومغاضبته . فلم يزل حتى قل زائروه وانقطعت تلك الجموع الحاشدة التى كانت تفد الى داره كالسيل المتدفق

وأذكر أنى قلت لأحمد أمين فى ذلك الوقت : إنى لأشتهى اليوم الذى أرى فيه طه وقد عادت اليه الدنيا ، وأرى هل تستطيع تلك الوجوه الكالحة أن تتهافت عليه ذلك التهافت القديم

فضحك أحمد أمين ضحكته الفلسفية العظيمة ، وقال : يا صديقي ، ما أعظم سذاجتك ، انك ستراهم يومئذ وقد ازداد تهافتهم عليه وتزاحمهم على داره

ولقد زرت طه بعد ذلك حين رضى عنه السلطان ، وكان اليوم عيداً من الأعياد ، فألفيت في داره أكداساً من الهدايا ، ورسائل التهنئة . ورأيت صاحبي مكتئباً ، فسألته ما خطبك ، قال انى ذكرت مثل هـذا اليوم من العام الماضي ، وجعلت أقارن بين اليومين فأحزنتني المقارنة ، ولـكن لعل هذا شأن الحياة

على أن زمن المحنة هذا ـ الذى دام أعواماً ثلاثة ـ قد أظهر من أخلاق طه نواحى كانت خافية ؟ وبرزت فيه شخصيته القوية فى مظهر لا بد للمنصف ـ مهما كان شعوره نحو طه ـ من اكباره واجلاله . فلقد كان فى ذلك العهد القاسى عظيما ، عظمة لم يبد فى مثلها من قبل ولا من بعد . فى ذلك الزمن الذى انقطع فيه عن طه مورد رزقه الوحيد ، وأمعنت دولة ذلك العهد فى اضطهاده ، وهجره كثير من أصحابه وأقرانه ، لم يمتلىء صدر طه حقداً ولا موجدة على أحد . ولم يكتسب طبعه شيئاً من المرارة ، وقد ظن الناس أن طه بعد أن ترك خدمة الحكومة وما تدره من رزق ، سيعمد الى حياة متواضعة ، فيسكن فى منزل متواضع ، ويكتفى من المعيشة بأخفها وأهونها على الجيب ، وأنه سيأخذ نفسه وأسرته بشىء من الحرمان والاقتصاد ، ولـكن شيئاً من ذلك لم يكن ، وظل طه هو طه ، ذلك المكساب المتلاف ، الذى لا يستقر الدينار فى كفه إلا ريثما يطير عنها . ولم تتغير معيشة طه فى شىء بل ظلت مائدته حافلة غنية ، وداره فخمة واسعة ، وموقده يعث بالدفء والحرارة ، وسيارته تقطع الطرقات عدواً . وكأن المقادير شاءت أن تكون أشد عطفاً عليه فى هذه الحال ، فكانت لا تدعه فى الضيق إلا ريثما تيسر له طريق السعة . وقد اشتدت الأزمة مرة ثم اذا هى تنفرج بتبوئه عرش الصحافة الوفدية ، وبين الوفد والأحرار الدستوريين فى ذلك الوقت صداقة أو ما يشبه الصداقة . ولعل عطف الوفديين على طه فى عهد المحنة هذا ، هو الذى أسس بينه وبينهم صداقة ومودة . وبهذا لم يعد طه تابعاً لحزب دون حزب ، أو جماعة دون أخرى

والناس فى أمر طه ينقسمون الى قسمين ، هما كالقطبين بعداً ـ ولا وسط بينهما ـ فقسم شديد الحب له والاعجاب به ، وفريق يدل مظهره على البغض الشديد له والنقمة عليه . وبعضهم لم يتورع حتى عن ارتكاب الجرائم لايذائه والايقاع به . واذا استثنينا قليلا من الذين أكل قلبهم الحسد لطه على نجاحه وتفوقه ، فان أكثر الناقمين عليه يصعب أن نجد سبباً لبغضهم ونقمتهم . فهل هذا التناقض الغريب يرجع أمره الى طه نفسه ، أم الى أخلاق الناس عامة وفى مصر خاصة ؟ يغلب على الظن أن الأمر يرجع إلى كلا السببين . فنحن فى مصر ـ ويا للأسف ـ يغلب على خلقنا الاسراف ، والبعد عن الاعتدال ، فنحن نضحك فنسرف فى الضحك ، ونحزن فنسرف في الحزن . ونحب فنغلو فى الحب ، ونبغض فنسرف فى البغض . أليس من الجائز أن هذا هو شأن الناس فى طه ، وأن بعدهم عن الاعتدال هو سبب تعصبهم الشديد لطه أو عليه ؟ هذا هو الراجح عندي ، ولـكن من الجائز أيضاً أن شيئاً من هـذا يرجع الى طه نفسه . فان خلق الشجاعة قد يشرف

أحياناً على التهور ، وقد عشق طه الصراحة المرة فى أول حياته ، واندفع فى سبيلها اندفاعا شديداً لم يقف فيه عند حد ، ولم يكن يعرف ، ولم يرد أن يتعلم كيف يدارى ولو قليلا ، فاذا خطرت له فكرة ، وأراد أن يدافع عنها ، أو رأى فى انسان ، أو فى مؤلف ، أو فى موضوع ، رأياً ، لم يتردد فى الجهر بما يراه دون أدنى تفكير فى العواقب

ذلك كان عهده فى أول حياته ، وقد دفع ثمن هذا حتى وهو طالب بالازهر ، يوم حرم شهادة العالمية . وقد استغلت الخصومة السياسية هذا الخلق فى طه ، وجعل بعض ذوى الاغراض ينفخون فى تلك الجمرة ويمعنون فى إشعالها . وهذا الخلق الثائر كان لا بد أن يهدأ على مدى الزمن ، وتنكسر حدته ، ولكن هذا التطور لم يتم إلا بعد أن اشعلت نيران ، أبت ان تخمد حتى بعد ان أصبح طه بعيداً عن ميادين السياسة ، وفى معزل تام عن تلك الخصومات

من الاسف المؤلم أن السياسة التى أفسدت كل شىء فى مصر ، لم تتورع عن أن تقتحم الحرم الجامعى ، وتعبث يدها الاثيمة بنظم الجامعة واستقلالها ، ولم تزل ويا للأسف تثير الضغائن بين الاخ وأخيه ، فتقيم من الطلاب جماعات تقتتل وتشتجر . وطه يحاول جهده أن يقى الجامعة ـ أو على الاقل كليته ـ غوائل السياسة ، فيفوز أحياناً ويخذل أحيانا ، ولو أن طه فى بلد هادىء آمن ، والجامعة تؤدى رسالتها فى أمن وطمأنينة ، لجنت من جهوده وجهود أصحابه أضعاف ما تجنيه الآن

وبرغم هذا كله ، فقد استطاع باخلاصه الشديد للجامعة ، وحرصه على خدمتها بكل ما أوتى من قوة ، أن يكون له فيها اليوم مكانة منقطعة النظير ، فهو موضع الحب والتقدير من زملائه . وحب الطلبة له ـ الذى يوشك أن يكون عبادة ـ ليس مجرد تحمس طائش ، بل مبعثه هذا الحنو الشديد الذى يحسه نحوهم ، وما يبديه لهم من العطف الذى لا يعرف حداً ، والذى يكاد أن يكون ضعفاً . فبالرغم من مواقف الحزم التى قد يقفها معهم فى كل ما له صلة بالدرس والتحصيل والسلوك ، فانه لا يستطيع أن يملك نفسه إذا سمع بقصة طالب فقير أو عاطل ، او فى حاجة الى المعونة . وقد أصبحت كلية الآداب فى عهد طه وليس فيها من الطلبة من يدفع رسوم الدراسة سوى عدد قليل لا يكاد يبلغ الثلث . ومهما رسب الطالب فى الامتحان ، فان طه لا يستطيع أن يفرض الرسوم على طالب فقير . ولن ترى فى العالم كله معهداً يرسب فيه الطالب عامين متتاليين ثم يتمتع بالمجانية

وهكذا ترى طه مزيجاً من القوة ، التى تشرف أحيانا على العنف ، والحنان المشرف على الضعف ، ولقد يسىء اليه المسىء ويمعن فى الاساءة ، ثم يقصده بعد ذلك فى حاجة ، فاذا طه يسيل رقة وعذوبة ، وإذا هو ينهض الى قضاء حاجة المجرم نهوضاً عجيباً ، كأنما يسعى لتأدية فرض ، أو لمقابلة الجميل بمثله

وبعد فانك ستسألنى وأسألك ـ ويسأل بعضنا بعضاً ـ : كيف استطاع طه ، هذا الذى يتهافت عليه أصحاب الحاجات ، والذى تراكمت عليه الواجبات ، كيف يتاح له الوقت لكى يعد الدرس ، ويؤلف

المقالات ، ويصنف الكتب ؟ .. إن الجواب عن هذا السؤال ينطوى على سر كبير من أسرار نجاح طه . فان الذى قضى عليه بهذا العمل الكثير المرهق ، فى الجامعة وغير الجامعة ، قد رزقه قوة على العمل المتصل ليس من السهل ان تجد لها مثيلا . وليس بالشىء النادر أن تراه يبدأ أعماله اذا أقبل النهار ، فلا ينقطع عنه العمل بعد ذلك إلى منتصف الليل ، اللهم الا لحظات قلائل يصيب فيها حظا يسيراً من الطعام والشراب

ولكن بعد هذا كله لا بد من الاعتراف بأن انتاج طه العقلى ، كبير جداً إذا قيس إلى وقت فراغه القليل ، والسر في هذا قد يكون راجعاً إلى توقد ذهنه ، وسعة اطلاعه ، وامتلاكه ناصية اللغة العربية ، بحيث تراه فى تأليفه كمن يغرف من بحر لا كمن ينحت من صخر . والى جانب هذا كله ، وفوق هذا كله ، تراه يستند فى عمله إلى حظ من الالهام الفريزى ، الذى يسوق اليه الآراء الجديدة سوقا ، ويمكنه من أن يولد من الحبة الصغيرة دوحة باسقة ، ممتدة الفروع والأغصان

تقول العامة ان الحديث عن العفاريت اذا ابتدأ فهيهات أن ينتهى ، وأصدقاء طه وخلصاؤه مجمعون على أن فى طه عنصراً جنياً لا شك فى وجوده ، ولهذا فان الحديث عنه لا يمكن ان ينتهى إلا إذا قطعناه بالقوة

وبعد ، فهذه صورة مقتضبة قاصرة ناقصة لهذا الانسان العجيب ، الذى مدحه الناس باسراف ، وشتموه باسراف ، وأحبوه باسراف ، وأبغضوه باسراف ، وقل ان تجد شخصاً كرم كما كرم طه ، واضطهد كما اضطهد

فلنتمم اذن حديثنا عن طه الممدوح المشتوم ، المحبوب المكروه ، المكرم المضطهد . طه القوى إلى درجة العنف حين يريد ان يدفع شراً ، أو يدافع عن رأى يراه . طه الضعيف الرقيق ، إذا قصده المسيء ليعتذر ، أو صاحب الحاجة يشكوها له . طه الجليس الممتع ، والصديق الوفى ، والابن البر ، والأب المشفق . طه اللين الجانب الرقيق الحاشية ، الخشن اللمس الصعب المراس . طه ذى الكف الناعمة الطرية . والمخالب الحادة القاطعة

وبعد . فلقد كان برنارد شو غير محبوب كثيراً بين الانكليز ، بعد ان علا نجمه فى كل بلد إلا فى بلده . ثم لم يلبث الانكليز ان رضوا هم أيضاً عن برنارد شو ، فهل ينتهى الأمر بالمصريين أيضاً إلى أن يجمعوا على تقدير طه والاعتراف بفضله ، دون ان يكون هنالك ذلك الشذوذ السخيف الذى نسمع به من آن لآن ؟ . . ذلك ما أعتقده فان الساخطين على طه قد أخذ عددهم منذ زمن بعيد يقل شيئاً فشيئاً . ولا بد ان تذهب ريحهم تماما بعد وقت غير طويل

محمد عوض محمد

بين كاتبين

فتاة أحلامى

للاستاذ توفيق الحكيم ، والاستاذ فكرى أباظة

عزيزى الأستاذ فكرى أباظة

فى هذه الايام الجميلة التى تحتفل فيها البلاد بالمولود الملكى السعيد ، لاشك فى أنه قد خطر ببالك أن يكون لك انت أيضاً ولى عهدك على عرش الفكاهة . غير أنه — كما تعلم — لا بد دون ذلك من أن تتزوج . هذا شرط أساسى فيما أظن . فما العمل ؟ وما هو المانع عندك ؟

قد تقول إنك لم تصادف بعد « فتاة أحلامك » ؟ هذا جائز . ولكن قل لى : ما هى « شروط ومواصفات » هذه الفتاة ؟ لعلى من جهتى أعثر لك عليها فأكون قد أسديت الى الانسانية ، والى الفكاهة المصرية ، بعض الفضل فى إيجاد « فكرى أباظة الصغير » الذى يشرح صدور الاجيال المقبلة

أخشى أن تهرب من الاجابة بتوجيه مثل هذا السؤال إلى أنا ، فتوفيراً للوقت أسرع وأقول لك: إنه ليس لى من الشروط التى ينبغى أن تتوافر فى زوجة أحلامى غير اثنين :

أولا — أن :

أحبهـــا وتحبنى ويحب ناقتها بعيرى

ولا تعلق أهمية كبرى على مسألة الناقة والبعير . فالشطر الأول من البيت يكفينى

ثانياً — أن تكون جاهلة أنى كاتب يؤلف كتباً وينشر فى الصحف ، وأن تظل تجهل « عيبي » هذا حتى آخر حياتها أو حياتى

إذا ظفرت لى بمن يتوافر فيها ذلك . فهذا توكيل رسمى منى اليك أن تعقد لى عليها بدون إذنى ورأيي ، والسلام

توفيق الحكيم

عزيزى الأستاذ توفيق الحكيم

. . . دعك منى أنا قليلا ولنتكلم عنك أنت قليلا . . . سبحانك ربى ، آمنت بأنك على كل شىء قدير !

ها قد بدأ « عدو المرأة » يلين للمرأة . ها هو ذا يحركني لأعلن عنه أنه قد تاب وأناب ، واستغفر واستسلم ، ورفع راية الخضوع بعد راية العصيان . . .

هنيئاً لدولة الجنس الناعم هذا الظفر وهذا النصر . « توفيق الحكيم » يبحث اليوم عن « زوجة أحلامه » ! وعن حبها وحبه ! وعن بعيره وناقتها ! ولكنه يتقهقر بانتظام فيشترط شروطاً بل شرطين اثنين فقط لا غير :

« أولهما » أن تحبها وتحبه . وأقسم أن شرطه قد تحقق سلفاً ، وأنه فى لمح البصر يحب ، وفى لمح البصر يحب . أى صديق : عندك السمر والبيض ، والخمريات والسمهريات ، والرقيقات والمدملجات ، اختر منهن من شئت . . عندك ذوات الشعر الأسود والأشقر والكستنائى والفضى والذهبي ، اختر منهن من شئت . . عندك ذوات العيون العسلية والعربية والفسدقية والبنفسجية والجنزارية ، وعندك عيون المها وعيون القطط وعيون اليابان ، اختر منهن من شئت

عندك ذوات « الشيان لو » ومقطعات « بتهوفن » وراقصات الكونتنتال والرومبا والفالس ، اختر منهن من شئت . . عندك المتحفظات المصليات العالمات المثقفات ، اختر منهن من شئت . ملايين الأصناف والعينات يا سيدى ، فلو شئت مصرية فعندك مصر كلها ! وإن شئت فرنسية أو أمريكية أو ألمانية أو هنجارية أو روسية ، فعندك الدنيا القديمة والحديثة معاً ! ألا يقع حبك على واحدة من هؤلاء ؟ . .

أما أن يحببنك فأنا كفيل بأنك جدير بحبهن جميعاً ، وإن ادعيت أننى أكثر منك تجربة قلت لك : إنه لا توجد فتاة لا تحب اليوم مثلى ومثلك ، ومنهم دونى ودونك ، فكل بنت تحب . لأن كل بنت تريد أن تتزوج !

***

أما شرطك الثانى وهو أن تجهل أنك كاتب ومؤلف وتنشر فى الصحف ، فلعلك تقصد « التجاهل » لا « الجهل » وهذا شرط هين ، ورجولتك كفيلة بأن تحملها على حبك مع ملحقات كتاباتك ، ومؤلفاتك ومنشوراتك . . .

***

بما لى من صفة «الوكالة» عنك ـ كما ذكرت فى خطابك ـ أعلنك بأننى سأزوجك قريباً إن شاء الله . . .

* * *

بقيت أنا . . .

ومالك ومالى يا سيدى . . .

لا تصدق اننى لم أجد فتاة أحلامي . وجدت بالفعل مئات من فتيات الأحلام . ولكنى ما قاطعت الزواج ، رهبة من الزواج . وانما إشفاقاً على « فتيات الأحلام » أن يتعسهن الزواج من رجل مخاطر ، مغامر ، بوهيمى ، لا يقر له قرار . لأن الزمن جعله ممن لا يقر لهم قرار . . .

أمثالنا من الذين يخوضون معارك السياسة ، ويصعدون فى « بورصتها » ويهبطون ، لا تأمن معهم زوجة على حاضرها ولا على مستقبلها . أخشى يا صديقى أن مثلى حين يتزوج يفضل حتما أمنه الخاص على أمن البلد ـ وطمأنينته الخاصة على طمأنينة البلد ـ وسعادته الخاصة على سعادة البلد ـ وحياته الخاصة على حياة البلد

ألم يقل سيد الناس : « الأولاد مبخلة ومجبنة » ! لقد سلخت من عمرى أربعين عاماً كريماً شجاعاً ، ولا أريد بعد الأربعين أن أختم حياتى بخيلا أو جبانا . . .

ولى الوقت يا سيدى وضاع ! . .

واحسرتاه . . .

فان ضمنت لى أن البلد قد استقرت أمورها ، واستتب أمنها ، وتدعمت رجولتها ، وذاعت نزاهتها ، وتطهرت حزبيتها ، وترفعت زعامتها ، فلم تجنح بعد الى مذبذبين ، ونفعيين ، ومنافقين ، ووصوليين . . منحتك من الآن « توكيلا رسمياً » بأن تعقد لى على أية مخلوقة بغير شروط ولا مواصفات . . .

فان لم يكن هذا كله قد حصل ، فدعنى حتى يزوجنى القدر ! . . .

فكرى أباظه

رجل العالم..
فى الأزمة الدولية
لاربع من فضليات السيدات المصريات

لمت فى الأزمة الدولية الاخيرة أسماء عدد من الرجال ، كان لهم دور عظيم فى توجيه هذه الأزمة وفى حلها . وقد رأت « الهلال » أن تستفتى أربعة من السيدات الفضليات فى أول رجل من هؤلاء الرجال يستحق التقدير ، ويلقب بلقب « رجل العالم » فأجابت كل من حضرات السيدات : هدى شعراوى . وحرم علوبة باشا . وحرم عمر باشا سلطان . واستر فهمى ويصا بما يلى . ومما يلفت النظر انهن لم يتفقن على تقدير رجل واحد

موسولينى

للسيدة هدى شعراوى

أعتقد ان موسولينى هو رجل العالم فى هذه الأزمة ، وهو الذى يرجع اليه الفضل فى نجاة العالم من حرب ضروس ، وقد استطاع أن يملى ارادته على هتلر الداهية . ولا أظن أنه كان ينتظر لذلك ثمناً ، كما يقول قائلون ، وانما أراد السلام للامم الظامئة اليه . ولا ريب فى أن هـذا السلام سيشمل أمته على الرغم من استنهاضها للحرب اذا وقعت ، فهو قد برهن على شجاعته وشجاعة أمتـه وظهورها بمظهر القوة والاقدام أمام الدول الأخرى ، وعلى انه اول لراغبين فى السلام الساعين اليه . فكان موقفه فى الناحيتين يستحق الإعجاب والتقدير . ولست بالغ إذا قلت إن موسولينى إذا لم يكن قد توسط فى هذه الأزمة ، فان الحرب كانت لا بد واقعة ، سواء هددت أميركا المانيا فى ندائها السلمى أم لم تهدد ، فان المانيا تعتمد على تضامنها مع إيطاليا ، وتعتقد ان اليوم الذى تتخلى فيه عن هذا التضامن يطمع فيها خصومها ، ويضعف

مركزها فى الأزمات الدولية ، بل لا تستطيع أن تتحدى الدول هذا التحدى الرهيب . ولهذا كان لرأى موسولينى المكان الأول فى نفس هتلر . ومن هنا اعتبره « رجل العالم »

هتلر



للسيدة حرم محمد على علوبة باشا

الرجل بأعماله وبما يقوم به من خدمات خطيرة . ولست أجد رجلا نهض بأمته نهضة عظيمة من وهدة الهزيمة والضعف دون أن يسفك الدماء كهتلر ، وأقول دون أن يسفك الدماء وأعنى بذلك الحرب ، وإن كان قد هدد بالحرب وأنذر خصومه بها ، ولكن العبرة بالنتائج ، فهتلر جمع أشتات أمته حوله ، واستعاد قوتها الحربية الاقتصادية ، وكسب لها كثيراً مما خسرته فى الحرب الكبرى ، وخلق ألمانيا خلقاً جديداً ، وأضاف اليها النمسا ، ثم بلاد السوديت ، وجعل الأمم تتيقظ لواجبها ، وحرك اعصاب العالم ، وبث فيها نشاطاً غير عادى ، وجعلها تستعد لمواجهة أكبر الأخطار . ووجه نفسية الشعوب الى الجد دون اللهو ، وحرك نفوس الشباب الى العمل . وضرب لهم مثلا بليغاً فى الشجاعة والاقدام ، وفى خدمة الوطن ، والتفانى فى التضحية له . ولذلك اعتقد أن شباب العالم قد استفادوا من الأزمة الدولية الأخيرة فائدة لم تكن تقدر لهم فى وقت من الأوقات . ومن هنا أعتبر هتلر « رجل العالم »

تشمبرلين

للسيدة حرم عمر باشا سلطان

أعظم شىء يتوق اليه العالم هو « السلام » . والرجل الذى يحتفظ بسلام العالم هو فى اعتقادى أعظم رجل . ولا ريب فى أن تشمبرلين قد حمل لواء السلام فى الأزمة الدولية ، وجاهد

فى سبيله حتى فاز بالنصر العظيم . على الرغم من شيخوخته ، وعلى الرغم من كبرياء بلاده التى لم تشهد رئيس وزارة ينتقل منها الى بلاد أمة أخرى لحل الأزمة القائمة عدة مرات ، فكان عمله هذا يستحق التقدير من جميع الأمم ، لأنه لم يخدم بلاده فقط بل خدم العالم كله ، العالم الذى كانت أعصابه تهتز من الرعب ، وكان يتشاءم من وقوع حرب أوربية طاحنة يرزح تحت كوارثها ، وتدمر هناءه وسعادته . فرجل يبذل ما فى وسعه ، ويضحى براحته ، ويقتحم كبرياء بلاده ليحفظ للعالم راحته وهناءه ، ويؤدى رسالة السلام على أتم وجه هو أعظم رجل خدم الأمم ، وهو بحق « رجل العالم »

روزفلت

للسيدة استر فهمى ويصا

لم أر رجلا فى الأزمة الدولية عمل لمصلحة العالم وحده كروزفلت ، فهؤلاء الرجال الذين ظهروا على مسرح هذه الأزمة الدولية لم يكونوا يعملون لمصلحة الأمم الأخرى ، بل لمصلحة بلادهم فقط ، وقبل أى اعتبار خارجى آخر ، لكن روزفلت هو الذى صاح لمصلحة العالم كله وسلامه ، فانه يعلم ان الحرب الاوربية لا يقتصر بلاؤها على شعوبها ، بل سيعم اوربا كلها والعالم كله . فرأى أن ينهض للدفاع عن سلام العالم ، وأن يوجه نداءه الحار الى رجال هذه الأزمة ، فكان لندائه أعظم تأثير فى نفوسهم ، وكان لموقفه اكبر عامل فى تقهقر المتحمسين للحرب ، وفى الاسراع فى حل الأزمة حلا سلمياً . وانى أعتقد أن روزفلت لو لم يتدخل بين الدول الأوربية المتنازعة ، لكانت الحرب واقعة لا محالة . ولكان العالم الآن يئن تحت أرزائها ، ويشقى بمصائبها الكبرى . فاذا كان روزفلت هو الذى دفع عن الشعوب هذه الارزاء ، وكفاها شر تلك المصائب التى تحصد الاموال والنفوس ، وتهدم سعادة البشر ، فانه بلا ريب هو رجل الدنيا وواحدها ، وأعظم من خدم العالم فى هذه الأزمة

التعليم المختلط

وأثره فى توجيه العواطف بين الجنسين

بقلم الدكتور أمير بقطر

ليس التعليم المختلط بين الجنسين فى مصر من المسائل التى تشغل الأذهان كثيراً ، إذ أن عدد الفتيات فى الجامعة لايتجاوز الثلاثمائة إلا قليلا . يضاف الى هذا أن هذا النوع من التعليم فى بلادنا مقصور على الدراسة العالية ، ولم يكن التعليم المختلط فيها مثاراً للجدل يوماً ما فى البلدان التى سبقتنا اليه - فى أوربا وأميركا ، وفى اليابان وغير اليابان من جامعات اسيوية عدة . والطلبة فى السن الجامعية من الجنسين قلما يلتحقون بمعاهدهم العالية قبل أن تكون عواطفهم قد نضجت واتزنت ، أو على الأقل قد أخذت تتحول من النزق والطيش والرعونة الى الاعتدال والسكون والرصانة . غير أن « الهلال » قد أصابت كبد الصواب فى توجيه الكتاب الى معالجة الموضوع ، إذ أن مصر (وسواها من البلدان الشقيقة) ستخطو حتما خطوات سريعة فى هذا السبيل ، وسيتساءل الناس عن مصير الشبيبة بعد انتشار النظام المختلط ، كما تساءل الناس فى أميركا منذ مائة عام ، وفى أوربا واليابان منذ خمسين عاما .

ومما يدل على رسوخ قدم التعليم المختلط الجامعي ما رأيته العام الفائت فى جامعة بادوفا بايطاليا ، وهو تمثال بديع الصنع ، يزيد على الحجم الطبيعى بقليل لأول امرأة نالت الدكتوراه فى الآداب والفلسفة من هذه الجامعة حوالى سنة ١٥٠٠ . ومع أن التعليم العالى للمرأة فى ايطاليا لم يبلغ الدرجة التى بلغها فى المانيا وانجلترا وأميركا مثلا ، فان عدد الطالبات فى جامعة بادوفا وحدها يبلغ نحو ١٥٠٠ من مجموع عدد الطلبة وهو خمسة آلاف . وقد يدهش القارىء اذا علم أن المدارس الثانوية فى أميركا ، ومعظمها مختلط تضم ستة ملايين ونصف مليون طالبا ، منهم ثلاثة ملايين ونصف مليون من الاناث (أى أكثر من النصف) . وفى جامعة واحدة (كلومبيا) بلغ مرة عدد الطالبات وحدهن ٢٥ الفا ، فى حين أن الطلبة الذكور كانوا ٢٠ الفا فقط

واذا كان للارقام دلالتها ، فان أول ما يتجه اليه الذهن ، هو أنه لايعقل أن تزج أمة متمدينة هذا الجيش العرمرم من أمهات المستقبل بين أفراد الجنس الخشن ، اذا كان فى هذا الاختلاط أقل ريب أو مايشتم منه توجيه غير مرغوب فيه فى عواطف الجنسين ، أو ميولها ، أو تكوينهما

الخلق . ولا شك فى أن البيئة والعادات والتقاليد ، كلها عوامل قوية تجعل الحكم على أمة فى هذا الموضوع مخالفاً للحكم على الأمم التى ذكرنا ، غير أنه يلاحظ أن المراحل التى تجتازها الامم فى أية ناحية من النواحي الاجتماعية ، تكاد تكون هي بعينها ، ولذا لا نبعد عن الصواب كثيراً اذا قلنا إننا فى جدتنا الأخيرة ، وما اقتبسناه من أساليب المدنية الغربية ، نقطع عين المراحل التى قطعها سوانا ، واحدة واحدة ، ونواجه عين العقبات ، واحدة واحدة ، ونركب الصعاب ، ونحل العقد واحدة واحدة . وأمامنا الآن مسألة التعليم المختلط ، فعلينا أن نعالجها فى صراحة وجلاء فى وضح النهار ، برغم أنها رضيعة فى المهد لا تكاد تبين

لا سبيل الى إنكار أن التعليم المختلط يوجه عواطف الجنسين توجيها خاصاً ، فليس من المنطق فى شيء أن نزعم أن الفتى الذى يقضى سنواته الدراسية جمعاء ، فى جو مدرسى كل أفراده من الذكور ، يحمل بين جنبيه فى نهاية الدراسة من شتى الميول الوجدانية ، وفلسفة الحياة العامة ، مايحمله زميله الذي قضى مرحلة (أو مراحل) فى جو اشترك فى تكوينه أفراد من الجنسين . ان علاقة الجنسين من الطفولة للشيخوخة ، وما يترتب عليها من ملابسات ، ومسالك ، وميول ، وآداب عامة فى الحديث ، والملبس ، والمجاملة ، والمزاح ، والجلوس على المائدة ، والتفكير ، وسائر أنواع النشاط ـ هذه العلاقة القوية الأثر ، كالبوتقة تصهر الفتى أو الفتاة كما تصهر الذهب ، فيشب الفرد فى قالب يختلف باختلاف تلك العلاقة . فهل هذا التوجيه فى مصلحة الناشئة ؟

حمل ستانلى هول منذ أكثر من نصف قرن مضى على التعليم المختلط فى مرحلة التعليم الثانوى بدعوى أن الفتاة فى تلك المرحلة فى حاجة الى دراسة غير التى يتطلبها الفتى ، وبدعوى أن أخطار المراهقة فى هذه السن الثائرة الجامحة لا تحتاج الى أدلة وتفاصيل. ولم يكن العالم المربى الكبير ستانلى هول هو وحده الذى أبدى هذه المخاوف ، فقد شاركه الكثيرون ، وما يزالون ، إلى يومنا هذا . بيد أن هذه المخاوف وأمثالها قد خفت وطأتها كثيراً ، بعد أن تبدلت أنظمة التعليم ، وغير العلماء آراءهم فى العلاقة بين الجنسين . فالمدارس الحديثة ـ ومنها الثانوية ـ تنوع الدراسة حتى تتفق واستعداد الأفراد من الجنس الواحد وميولهم ، وبالأولى أصبح هذا التنويع ميسوراً حتى يتفق وما تتطلبه حاجات الفتاة . فليس معنى التعليم المختلط أن يجتمع الجنسان فى جميع المواد ، إذ أن هذا لا يحدث فى المدارس الحديثة اليوم ، حتى بين أفراد الجنس الواحد . وقد شاهدنا فى ولاية فرجينيا فى أمريكا معهداً صناعياً زراعياً يضم خمسة آلاف طالب ، نصفهم من الاناث ، يعيش جميعهم فى «مستعمرة» واحدة ، ولا يجتمع الجنسان فيها ممتزجين إلا في بعض المواد كاللغات ، وعلى المائدة ، وفى الحفلات العامة ، ولكن التعاون بينهما بالغ أشده ، حتى أن هذا المعهد فى غنى عن العالم الخارجى ، إذ أن من طلبته الحداد والبناء والنجار والخباز والطباخ والغسال والموسيقى والحلاق ، وتتوزع بينهم الأعمال بشرط ان يقوم البنون بما يقوم به الرجال عادة ، وتقوم البنات بما يقوم به النساء عادة

هذا من جهة ، أما من جهة أخطار المراهقة فى هذه المرحلة (التعليم الثانوى) فيقول محبذو التعليم المختلط ، وبينهم الكثيرون من علماء النفس ، إن هذا الخطر لا وجود له إلا فى الحالات النادرة التى تكون الغريزة الجنسية عند ذويها حادة شاذة ، وليس من العدل أن نهدم نظاماً كاملا إكراماً لهذا النادر الذى لا يعول عليه . ومما ذكره الكاتب الاجتماعى جودزل Goodsell الاستاذ بجامعة كلومبيا فى مؤلفه الجليل « تعليم المرأة » قوله « مهما قيل فى عيوب التعليم المختلط فان كفة مزاياه ترجح كفة عيوبه بمراحل . وما هي أشد هذه العيوب وأكثرها ترديداً ؟ فلنسلم جدلا بأن البنات والصبيان تتنبه عواطفهم الجنسية ، إذا ما وجدا فى فصل دراسى واحد ! أفليس هذا التسليم تعزيزاً لنظرية الخلط لا العزل ؟ إذا كنا نعلم يقينا أن الفتاة فى العصر الحديث لا بد لها من أن تعيش مع الفتى فى دور الأعمال ، وتلتقى وإياه فى دور الملاهى - إذا كنا نعلم ذلك ، فما بالنا لانهيء لهما الفرصة في معاهد التعليم تحت إشراف المربين ، حتى يشب كل منهما على احترام الآخر؟»

وكتب محرر مجلة « الوراثة » فى هذا الصدد يقول : « إن الفتاة التى تقضى أربع سنوات (جامعية) فى جو اجتماعى لا يغشاه سوى عنصر المرأة ، تكون أقل صلاحية للتعاون مع الرجل والزوج ، مما لو كانت فى معهد مختلط . ومهما قيل من أن الجو فى كليات البنات ، تسود فيه السعادة والمرح والسرور ، والصداقة البريئة بين الفتاة والفتاة ، فان وجود كليات للبنات - على حد تعبير أحد علماء تحسين النسل eugenics - خطأ تاريخى لا مبرر له »

ومن العيوب التى يعير أناس بها الكليات المختلطة ، أنها مكاتب زواج ، ويجيب محبذوها بقولهم: « فليكن ... » والواقع أن هذا « العيب » يتخذ دليلا على سلامة الجو فى المعاهد المختلطة ، وصلاحيته لتوجيه العواطف توجيها صالحاً . وقد تسابق ذوو الشأن في هذه المعاهد فى إحصاء الطالبات اللاتى يتزوجن من الطلبة في نهاية الدراسة ، أو اللاتى تمت خطوبتهن فى أثنائها ، ونشروا الأرقام . وكلها دليل على شيء واحد ، وهو أن جو التعليم المختلط يهيء الفرص السانحة التى يستطيع الشاب أن يجد فيها شريكة حياته . وكثيراً ما يحدث أن تمضى سنوات عدة بعد اتمام الدراسة ، ثم يطلب الفتى يد فتاة كانت زميلة له فى مرحلة من مراحل الدراسة ، ولكنها قلما كانت تعرفه ، وقلما خاطبها بكلمة واحدة ،وقدجمع احدهم معلومات عن ٦٠٪ من النساء اللاتى أتممن دروسهن فى جامعة كليفورنيا وتزوجن فى خلال أربعين عاماً ، فوجد أن ثلثهن تزوجن من طلبة تلك الجامعة . وجميع الاحصاءات تعزز هذا المبدأ وتدل على أن نسبة اللاتى تزوجن من الكليات المختلطة أعلى جداً منها فى غيرها من كليات البنات . ولايبعد أن تكون الفوارق بين أميركا ومصر سبباً فى جعل نسبة المتزوجات من طالبات الكليات فى مصر أعلى منها فى أميركا أو أوربا

على ان أشد سهام النقد أثراً هى التى تزعم أن في هذا النظام إثارة لعواطف وميول كان الأحرى بها ان تظل مكبوتة ، وتعجيلا لرغبات جنسية ، قلما تشغل بال الطالبات فى معاهد التعليم

غير المختلطة ، وتشريداً لأفكار الطلبة فى حجر الدراسة ، فلا يستطيعون القيام بواجباتهم على الوجه الاكمل . ويرد محبو التعليم المختلط على هذه الفرية (فى نظرهم) بقولهم : إن الطالب فى بدء عهده بهذا النظام يعتريه شىء من الارتباك والحيرة ، وتبدو على وجه الفتاة على الاخص علائم الاضطراب ، والسماجة فى الحركة ، والاحمرار ، والحياء ، والوجل ، وقد يخفق فؤادها بالحب والهيام الطارىء أحياناً . ولكن سرعان ما تزول هذه الظاهرات ، وتنقشع هذه العلائم كسحابة الصيف ، ثم تأخذ وجداناتها السائلة فى التبلور تدريجاً ، وتتركز عواطفها وتثبت ، ويصبح جو الجنس الآخر أمراً عادياً ، بل مكملا لجو جنسها . وتعزز هذه الاقوال بأمثلة بارزة من كليات الطب والفنون الجميلة . فالطالب فى الاولى — سواء أكان من الذكور أم الاناث — يصاب بهزة وجدانية عنيفة فى أول عهده بدراسة الاجهزة التناسلية وملابساتها ، وتبلغ هذه الهزة أشدها عند وقوفه على أعمق أسرارها فى غرفة التشريح بين الجثث الجامدة ، وعلى أسرة المستشفى بين الاجسام الحية والطالب فى الثانية (الفنون الجميلة) تهتز مشاعره فى أول عهده بالنماذج الحية . وقد وجد بالاختبار أن الطلبة في بادىء الامر يقضون معظم الزمن فى رسم ما يثير عواطفهم من أعضاء الجسم كما يرونها فى النماذج الحية ، ولكنهم لا يلبثون فى نهاية العام أن يألفوا رؤيتها ، كما ان طالب الطب سرعان ما يألف ما يقع عليه بصره من المناظر ، فلا يعيرها أكثر مما تستحقه من العناية

هذا فى كليات الطب والفنون من جنس واحد . أما اذا كانت هذه الكليات مختلطة فيكون الاضطراب الوجدانى في بادىء الامر مزدوجاً . وقد حدث منذ سنوات قليلة فى انجلترا ، عند السماح للفتيات بدخول كليات الطب ، ان تذمر الطلبة الذكور بدعوى ان حريتهم الجامعية بعد وجود زميلاتهم معهم قد تقيدت فى بعض الدراسات النظرية والعملية ، فما كان من أولى الامر الا صم آذانهم ، معلنين ان الفتاة التى تطلب الدراسة العلمية يلزم ان تعلم قبل كل شىء انه لا حياء فى العلم ، ولم يمض زمن طويل حتى سارت الأمور ، وكأنه لم يكن هناك تعليم مختلط

وهناك سهم آخر يصوب نحو التعليم المختلط ، وهو أنه يؤدى فى نهاية الأمر بالفتاة الى أن تفقد شيئاً من أنوثتها ، وبالفتى الى أن يبالغ فى الحذر والحيطة والملاطفة فيفقد شيئاً من رجولته ، ويرد على ذلك محبذو هذا النظام بقولهم : ان معظم ما يسميه الناس فى الفتاة أنوثة ما هو إلا خوف وجبن ، وشعور نفسانى بعدم مساواتها بالرجل فى الحقوق ، وان الشاب الذى يقضى مرحلة دراسية أو مراحل فى وسط مختلط لا يفقد رجولته أو شجاعته ، وانما يهذب هذه الرجولة ، ويصقل تلك الشجاعة ، كما ان الفتاة التى تؤم معهداً مختلطاً يسهل تمييزها عن غيرها بما تنم عنه نفسها من الصراحة والنشاط والوثوق بالنفس

أمير بقطر

سجل الأيام

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

الشئون الداخلية

الحزبية والاحزاب

أما وقد أتم الله نعمته علينا وأغدق النظم البرلمانية على حياتنا السياسية ـ وهى منة تقابلها الاكثرية الغالبة من المصريين بالشكر ، وقد يقابلها قليل ممن لايؤبه بهم (ومنهم كاتب هذه السطور) بشىء من الخوف ـ فقد صار حقاً علينا أن نرى ماذا تفرضه علينا هذه النظم من واجبات وحقوق

لقد قضى الزى البرلمانى على لابسيه أن يرتدوا رداء الحزبية وأن يجعلوا قدوتهم فى ذلك ما تقدمهم من دور الشورى . وهو فى الواقع زى لاصق بالنظام أكثر من التصاق الكسوة المسائية أو شارة العضوية بصاحبها . فالذين خلقوا الأنظمة البرلمانية خلقوها والحزبية اصل فيها إذا زالت ضاع معني البرلمان . لأن الغرض كل الغرض كان فى البدء سعياً لاستئثار فريق بالحكم دون فريق إما لغرض ذاتى ذى علاقة بالملك أو بالاشراف أو بالعامة ، وإما لخدمة الشعب ، وذلك منذ عهد حروب الوردتين فى انجلترا حتى يومنا هذا ، وكانت أحزابهم تتكيف ، وتتآلف مع الزمن وتختلف شأن كل نظام حى

وجاء الذين أخذوا هذا النظام عنهم فقلدوهم ـ ولم تكن الأحزاب واضحة الاختلاف بين فئتين متقاتلين كما كان فى انجلترا فاتبعت الاشخاص حتى نمت روح الاشتراكية فى أوربا فصار معظم الأحزاب فى هذه القارة يتراوح هواه بين الاشتراكية وماخالفها . فعند ماوضعنا نحن الدستور وعقبه البرلمان ، لم يكن فى النية إلا غاية واحدة وقد تمت . أما الاختلاف فى مبدأ يقف فى وجه مبدأ آخر ينقضه رأساً على عقب أو يعدل فيه ويبدل ، فغير موجود عندنا

وليس فى الأمر عيب ولا ضير ولا محظور

بل ربما كان انتفاء الحزبية فى الأمور الجوهرية خيراً كل خير لأنه ادعى الى الاستقرار وأضمن للسير فى صراط الاصلاح لمن أراد اليه سبيلا

فلا يضر البلد شىء إذا تعددت الأحزاب ونهش بعضها بعضاً ، فهذا من طبيعة الاشخاص والأشياء وهذه الدعوة الصالحة الى الاتحاد والى جمع الكلمة لا تعدو ان تكون كلمة طيبة ، وأما فى

منطق الأمر الواقع وفى منطق الحياة فهى عديمة الجدوى ، فقد يتحد أقوام لدفع خطر داهم يهدد الجميع ، ولكنا لم نر فيما تقدم وتأخر من حياة الأمم أن الحياة السياسية كانت على شىء سوى تناحر أو تحزب يضر أحياناً وينفع أحياناً أخرى

ومن طبيعة الأشياء أيضاً ان تكون الأحزاب شخصية فى بلد لا وجود فيه لانقسام اجتماعى حاد أو لمذاهب اقتصادية تباعد بينها المنافع . فهذا خير لم تعرفه أوربا في سياستها الحزبية وفى تدرجها فى مدارج الأنظمة الدستورية ، خير يمنع حروبا أهلية ، ولكنه بعد ذلك شر يستر المصالح العامة بستار المصلحة الخاصة وان يكن لا مندوحة عنه ، فان نظاماً قائماً على الأحزاب حيث لا فوارق تفرق بين هذه الأحزاب لا يلبث فى طبيعته الى الاشخاص ، جرياً وراء ما فى الغريزة الانسانية من اتباع المنفعة أولا ، والاستكانة الى عبادة الأبطال ثانياً

وقد كان هذا الأمر مشاهداً فى بدء الحياة البرلمانية فى جميع البلدان التى اعتنقت هذا النوع من الحكم ، وهو ما يزال كذلك فى معظم أوربا ما عدا انجلترا حيث توطدت الفوارق وتباعدت مبادئها فى المسائل الاجتماعية والاقتصادية فحلت محل الشخصيات

فالى أن تتكون عندنا مذاهب اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية يبعد أحدها عن الآخر بعداً عميقاً شاسعاً ، فلابد لنا من جعل الأحزاب قائمة على الافراد لا على المبادىء ، فحيث المبادىء واحدة فى جوهرها ، وحيث أسلوب الحكم حزبى فى جوهره ، تصبح النتيجة المحتمة أن تسير الجماعات وراء زعامات تبرز الآن لغرض معلوم موقت ، ثم تختفى فيظهر غيرها ، وهكذا دواليك

وليس معنى تزعم الاشخاص تحصيل منافع ذاتية للزعيم واتباعه ، ولكنه تمكين له ولعصبته ان يقوموا على خدمة الشعب على أحسن منوال

لذلك نرى فى الأحزاب وتعددها نوعاً من الحيوية ، قد يظهر ضرره فى بعض الاحيان إذ تطغى روح العداء فتحجب الحقيقة ، ولكنه فى مجمله خير يربى ملكة التحفز لدفع الحيف ، ويترك الرأى العام متيقظاً مراقباً أقوال الزعماء وافعالهم فيحكم حكمه

على ان الحرية شرط فى هذا النظام ، الحرية الكلامية والكتابية ، فهى مهما شطت وطفرت أفضل من القيود التى تولد البغض وتدفع الى التآمر . الحرية فى النقد ولو أخطأت ـ الحرية ولو ساءت نيتها ـ أبقى من نظام مقيد بالسلاسل . فتلك شرها ابن الساعة لا يلبث أن يهذبه الرأى العام ، أما هذه فويلها ابدى يصغر النفس ويقتل الفكر

فاذا قام بيننا دعاة صلح يحبرون مقالاتهم فى مدح الوئام وفى الدعوة الى تجنب الخصام صح لنا أن نقول لهم : حسبكم فقد يكون بعضكم من الصالحين ،ومأواهم بيوت العبادة لامنابر السياسة ، وقد يكون بعضكم وهم أقل من القليل ممن لا يضمرون ما يظهرون ، وسواء أكان هذا أم ذاك ، فالرأى خطأ وتنفيذه ضياع لما جاهدتم فى سبيله من برلمان ودستور . فقد طغت الحزبية على أبناء فرنسا ابان

ثورتهم الكبرى وبعدها، وبطش فريق غالب بفريق مغلوب على أمره ، حتى ظن من فى قلوبهم مرض من أعداء الثورة أن قد عمت البلوى وضاعت معالم المدنية ، ثم لم تلبث ان زالت الغمامة فبرزت مبادىء الاصلاح وخدمة الشعب والعمل على ترفيه الحياة عليه ، وهذا هو اقصى ما تتجه اليه آمال الحاكمين ، فلكل شيء فى الحياة ثمن . واننا لن تنال الحياة الخليقة بالحضارة ان لم نؤد ثمنها ولو غلا

الشئون الخارجية

الديمقراطية الاوربية ونقيضها

وما دمنا فى بحث نظم مرتبطة بالديموقراطية فلنلق نظرة الى أفق أوسع من أفقنا ـ نظرة الى العالم الاوربى عسانا أن نتبين حقيقة هذا الخلاف الذى يثيرونه بين ما يسمونه ديكتاتورية وما يسمونه ديموقراطية ، فانه لابد من وضع الأمور فى نصابها اذا أردنا أن نصل الى النتيجة المنطقية لكل شكل من أشكال الحكم ، ألا وهي رعاية منافع المحكومين وخدمتهم

فقد تواضع الفقهاء وعشاق علم الكلام على أن يصفوا الديموقراطية بأنها حكم الشعب من الشعب وبالشعب، وما عدا ذلك من أساليب الحكم فيطلقون عليه اسم الحكم الفردى أو الاستبدادى

وليس فى النية ولا فى الرغبة أن نأتى على شرح مبادىء هذه الاحكام فهذا أمر معلوم للخاصة ، وتكاد تدركه العامة من هول ما يشرحونه لها فى الجرائد اليومية

انما نود أن نتجرد لحظة من عوامل المبادىء الفقهية والنظم الافلاطونية ، ونقدم على مواجهة الحقائق وجها لوجه

(١) عند ما قام فرد فى جماعة منظمة بعض التنظيم وتولى الزعامة عليها لم يدفعه الى هذا إلا مطمح لاظهار مواهبه وغريزة حب التسلط المخبوءة فى كل المخلوقات ، والتى لا تذكر إلا اذا آنس صاحبها من نفسه قوة ومقدرة ـ ولم تذعن له الجماعة إلا طمعا أن يحميها ببطشه أو بعلمه سعياً وراء منفعتها

ذلكم أساس الحكم من ناحية ما اصطلحوا على أن يسموه حاكما أو محكوما ، فالنظام الفردى كان أساساً دفعت اليه سليقة الاحتماء وظل هكذا الى أن فسد ، وما أفسده إلا الظلم وايثار شئون الحاكم على شئون المحكوم

ولما لم يعد للحاكم بأمره ما كان لسلفه من الأهلية والقوة ، ولما كانت الجماعة قد ملت الجوع وأنفت من التقتيل ، فقد انتهزت فرصة ضعف في حاكمها وأزاحته عن الرياسة بأساليب شتى ، وحاولت أن تتولى أمرها بيدها ، فتعددت الأساليب وتنوعت الطرق ، ولكنها كانت تنتهى كلها الى استئثار فرد أو جماعة محدودة العدد بالامور دون القطيع الذى ضحى بما ضحى فى سبيلهم

(٢) على أن القرن التاسع عشر كان قد أيقظه بعض التعاليم الفلسفية التى ظهرت فى أواخر القرن الثامن عشر فحارب وجاهد لكى يضع نظاماً يوفق بين الفردية وبين سلطة الجماعات ، فكانت جمهوريات ، وكانت ملكيات مقيدة بدساتير ، وكانت مجازر ومذابح ، وكانت خطب وكتب فى سبيل ما سموه الحرية والمساواة والعدل والاخاء ، الى آخر ما اخترعته قواميس الفقهاء والفلاسفة

وظن القوم أن قد استقر نظام الكون باستكشافهم النظم البرلمانية ، حتى لقد قال قائلهم عندما كانت نارالحرب العظمى على أشد ما تكون اضطراما : إننا ندخل غمارها حتى نجعل الديموقراطية بلداً آمناً لأهله

(٣) وظهر للقطيع الذى يغرم كل شيء من نفس ونفيس . ويدفع به تارة الى اليمين وأخرى الى الشمال ، ان حاله واحدة منذ وجد على هذه الارض الى أن يزول عنها ـ وأنه الضحية أو كبش الفداء يتخذه الجريثون سلماً الى أغراضهم . إلا من سلمت نيته وصحت عزيمته على خدمة وسط شب فيه ونشأ على محبته

ومن هنا كان هذا النزاع الذى نرى آثاره فى معظم انحاء العالم نزاعا بين نظام قديم يسمونه ديموقراطية ـ وهو ليس منها فى شيء بل هو أساليب للحكم تستند الى النظام البرلمانى ودعامته الانتخاب ـ وبين شيء لم يصبح نظاما بعد ، وانما هو رجوع الى حالة الجمعية الاولى ، وتسليم فرد ممتاز زعامة جماعة مغلوبة على أمرها حائرة فى تيه مصيرها

فهذا الذى ينعيه أصحاب الرأى البرلمانى على من يسمونه الحاكمين بأمرهم ليس على شيء من الصواب ، بل هوقلب للحقائق الملموسة على ضوء نظريات معكوسة يتمسكون بقشورها دون اللباب

اذا قالوا إن النظام الدكتاتورى يقضى على حرية الفرد ، أجبناهم بأن الحرية قد يساء استعمالها فتصبح فوضى ، وأن تضحية الفرد فى سبيل الجماعة قاعدة اجتماعية أخذ بها العلم الطبيعي ، وأثبتها وسارت عليها شتى الحضارات فى جميع درجات صعودها

فقد يطرأ على حضارة أن تستند على القوة البهيمية مدة من الزمن حتى يستقر لها الامر ، وقد يطرأ عليها أن تطلق الحرية اطلاقاً جريئاً حتى تنمو العبقرية وتزدهر ، وقد يطرأ عليها أن تلجأ الى صيانة المجموع فى جوهره فتضغط الحرية ضغطاً ينقى ما بذرته من البذور المفسدة فى أرض خصبة طيبة . فليس لحضارة من الحضارات طريق واحد معبد للسير ، انما تختلف الطرق وتتشعب على أن تلتقى فى غرض واحد يسمو على جميع الاعتبارات ، ألا وهو خدمة الانسانية

واذا قالوا إن نظامنا قائم على رضا المحكومين وهم الأكثرية الساحقة ، قلنا إنه رضا مفتعل لا تكاد تواجهه الحقيقة حتى يضمحل . فان انتخابكم الذى تلجأون اليه لتعرف رأى الشعب ، يقوم على رشوة الناخبين بمواعيد لا تحقق وأمانى لاتتم وآمال معلقة فى هواء المستحيل ، أو على ضغط قوامه إهاجة الاحقاد الدينية أو العنصرية أو الجنسية ، أوعلى خطط اجتماعية يعلل بها الناخب على

أن ترفع من مستواه فى حياته ، وهى لا تعدو أن تكون دعاية تثيرها صحافة تتاجر بالارقام ، ويديرها رأسماليون فى سبيل الرأسمالية . ونظامكم فوق كل هذا وذاك قائم على العدد ــ على عدد الاصوات، ومتى كانت الكمية مثلا أعلى يحل محل القيمة الجوهرية ؟

ولكننا نأخذكم بأقوالكم ونديتكم بأفعالكم

اذا شئتم أن تضعوا رضا الشعب آية سلطانكم ، فدونكم ــ على حد قول هتلر ــ هذه الملايين التي تصفق للزعيم وتطيعه وتأتمر بأمره اذا امر وتنتهى بنهيه اذا نهى . أليس فى هذا دليل الرضا . وهل الامم التى يقودها أفراد متسلطون بالامم التي يسهل الاستبداد بها ايثاراً لمصلحة الزعيم على مصلحتها ؟

ان المانيا ملآنة برجال حرب ورجال علم ورجال فلسفة وأدب ورجال صناعة وتجارة ، فهل يقبل هؤلاء الناس الذل والاستكانة ؟ . انما هذا النظام وهذه الطاعة آتيان من ناحية رضائهم عن الزعيم لأنه قائم على خدمتهم فى آرائهم وفى أعمالهم ، فلماذا لا يكون هذا النوع من الرضا ديموقراطية حقيقية لا تضاهيها ديموقراطيــة قائمة على الانتخاب . إن الحق الذى لا مرية فيه أن الشعوب قد تعلمت بعد اختبار طويل مؤلم أن لا تسلم قيادها إلا لمن يحسن القيام على خدمتها ، فأساس الحكم يجب أن يكون شعاره الخدمة وليس هناك من شعار آخر يصح لجمعية متمدينة أن تتعمم به

اضطهاد اليهود :

ولقد ضربنا مثلا هتلر وشعبه فتمثل أمامنا هذا الاضطهاد الذى تحمل الينا أنباؤه يقوم به هذا الشعب الألماني الكريم ضد اليهود

واننا نحاول ان نجد له مبرراً من أقوال هتلر نفسه فى كتابه الذى جعله انجيل جرمانيا فلا نجد أثراً لمبرر . ان أخذ شعب آمن بجريرة فرد لا تجمعه مع شعبه إلا رابطة اليهودية ، لظلم يندر أن يجد له المرء مثالا فيما تقدم من حوادث التاريخ

فى الاقوال الانجليزية ان لكل بلد ماهى جديرة به من اليهود

فاذا جاوزنا المعقول وفرضنا أن اليهود فى المانيا على بكرة أبيهم أعداء للنظام الوطنى الاشتراكى، واذا أجزنا للوطنية الاشتراكية أن تفرض عليهم ما تريده من القيود التى تجعلها فى مأمن من عبثهم ــ اذا فرضنا كل ذلك فلن نستطيع هضم هذه الاجراءات التعسفية ، كمصادرة القوم فى أموالهم ، وترحيلهم عن مواطنهم ، وتشريدهم فى المعسكرات الداخلية أو في مضارب الارض البعيدة

واننا لا نشك فى ان أولى الامر بالمانيا لو عادوا الى ما فى ضمائرهم من حب للعدل وللانصاف ، والى ما فى المدنية الجرمانية من مثل عليا للرحمة وللحق ، لرأوا هول ما ترتكبه فورة الغضب فى حق أبسط مبادىء الانسانية ، فالاضطهاد سلاح مفلول مهما اشتد ساعد الضارب

على أننا والحق أولى بأن يقال ــ لم نر فيما رأينا فى تاريخ الشعوب قوما عرفوا أن يحلوا عقدة ما يسمونه أقليات إلا القوم فى سويسرا والقوم فى الجزيرة الانجليزية الاسكتلندية

فالتسامح الى أقصى حدوده خير ما تسنه الحكومات وتستحيض به من نظم مكتوبة ، لتبين ما للاقليات من حقوق وما عليها من واجبات

ان حسبان الأقلية صاحبة البيت ومعاملتها بأكثر مما يستحقه صاحب البيت لدليل على شرف العاطفة وعلى معرفة حقيقية للمصلحة ، فالأقلية لاخوف منها إلا اذا جاءها الظلم من ناحية من نواحى كيان الامم كنعرة عنصرية أو دينية أو جنسية . فاذا نظر اليها كجزء لايتجزأ من الكيان لا كأقلية . واذا كان التسامح دستور الحكومة ، فان كل ما هناك من أقليات سيزول مهما كان لون هذه الأقليات أو شكلها . ولابد لنا من شرح لايتسع له المقام الآن للمبادىء التى يسيرون عليها فى تطبيق ما يسمونه نظام الأكثرية ، لنبين ماهو المقصود من هذا النظام ، وأين يعمل به ومتى ؟ وموعدنا فى ذلك وقت آخر . وكل آت قريب

سامى الجريدينى

---

١٣ نوفمبر بعد عشرين سنة

(بقية المنشور على صفحة ١٢٧)

الصدد كل ما نستطيع فرجع ذلك الى ما سبق من اضطراب الحكم وتزعزع الحكومات ، ولعلنا نفعل فى المستقبل ما كان جديراً بنا أن نفعله قبل سنوات

وعلى ذكر الحكم نقول ان الحقوق الدستورية اليوم مكفولة الصيان ، وان الحرية المحمودة ميسورة لكل من يحتاج اليها ، وان الحجر على الاراء لا يأتى من جانب القانون كما يأتى من جانب العرف الذى تأخر فى بعض البيئات فامتنع من الآراء الفكرية ما كان مسموحا به قبل عشرين أو ثلاثين سنة ، ولعل هذه الغاشية تزول مع زوال أسبابها العارضة ، وهى فيما نعتقد حاجة بعض الساسة الى استنجاد النعرة الدينية لمكافحة ضروب من النفوذ السياسى لا تكافح بغير هذه الوسيلة ، وليس من المنظور أن تدوم هذه الحاجة الى زمن طويل

ومجمل القول اننا تقدمنا واستفدنا وربحنا عند المقابلة بين ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ و ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٨ ، ومن الجائز اننا تخلفنا بعض التخلف اليسير . بيد أن المعول عليه فى قياس التقدم والتخلف هو طليعة الجيش وجناحاه وليست المؤخرة التى قد يكون ابطاؤها فى اللحاق ضرورة من ضرورات الخطط وفنا من فنون التعبئة . فاذا نظرنا الى « الخريطة العامة » جملة واحدة فالصف الأول لا مراء قد سبق أسبق الصفوف من الجيل الماضى ، وحسبنا بذلك سببا للتفاؤل والارتياح

عباس محمود العقاد

العصر الحديث بدأ فى أوربا منذ قرون ،

أما فى الشرق الأدنى فبدأ بكمال أتاتورك

مكانة "أتاتورك" من التاريخ

بقلم الاستاذ محمد محمد توفيق

فى ٢٩ أكتوبر الماضى أدرنا إبرة المذياع شطر محطة أنقرة الجديدة لنسمع وصف حفلات مرور العام الخامس عشر على انشاء الجمهورية التركية ، فسمعنا سلسلة من المحاضرات عن سائر ضروب الاصلاح فى القطر الشقيق ، وقد أجمع المحاضرون فيها على ان كمال أتاتورك هو روح الاصلاح وقطبه . فهذا محاضر يحدثنا عن أتاتورك والدفاع الوطنى ، وذاك عن اتاتورك والنهضة الصناعية ، وهؤلاء عن اتاتورك والزراعة ، عن اتاتورك ودولة المال ، عن اتاتورك ومظاهر العمران ، عن اتاتورك والصحة العامة ، عن اتاتورك والتعليم ، عن اتاتورك والعلوم ، والآداب ، والفنون . . ولم يكن ملقياً منهم ذلك ، وانما هو حقيقة راهنة لمسناها بأنفسنا من دراسة شخصية هذا الجبار فى ميادين القتال ، الجبار فى دنيا السلام ، الجبار فى حركتى الهدم والبناء وخلق شىء من لا شىء

وفى يوم ١٠ نوفمبر الماضى قضى كمال أتاتورك نحبه . فانتخب لرياسة الجمهورية التركية فى اليوم التالى عصمت اينونو ، ولم يخطر ببال أحد شىء اسمه الخلافة كان إذا ذكرت تركيا ذكر معها ، ولا شىء اسمه السلطنة كان إلى عهد قريب ألزم لتركيا من ظلها . ولم يخطر ببال أحد شىء اسمه الطربوش أو القلبق ، ولا شىء اسمه الحروف العربية ، ولا شىء اسمه الدين الرسمى للدولة . ولم نطيل ونسهب ولا نقول : لم يخطر ببال أحد ان ثمة شيئاً مما هدمه اتاتورك سيعود إلى الظهور ، أو ان ثمة شيئاً مما بناه اتاتورك سيهدم . إن هذه هي العظمة الحقيقية ، فما كان كمال أتاتورك بالرجل الذى تذهب بأعماله هجعة الموت ، وإنما هو حقيقة راسخة عاشت حيناً من الزمان ممثلة فى رجل فلما توفى عنها جسدها بقيت فى خلفه ، وستبقى في خلفائه ما قدر لها أن تعيش وتبقى

* * *

ولقد سبق كمالا رجال كان لهم فى تاريخ تركيا أثر ملموس . فان تركيا كانت منذ عهد محمود

الثانى مزرعة خصبة للمصلحين الذين تولوا أمورها ، من أمثال مصطفى رشيد باشا ومدحت باشا ورجال الاتحاد والترقى ، فنظم محمود الجيش ، ونظم مصطفى رشيد الحالة المالية ووضع القوانين الجديدة . وبذر مدحت بذور الدستور فجنى ثمارها رجال الاتحاد والترقي . بيد ان أحداً من هؤلاء المصلحين لم يفطن إلى الغلطة الكبرى فى الامبراطورية العثمانية . فقد كانوا جميعاً دعاة اصلاح ، ولكن اصلاحهم لم يكن فى الواقع الا ترميما وترقيعاً لثوب خلق كاد الدهر يبليه . أما الغلطة الكبرى فلم تخطر لهم ببال . حتى جاء كمال أتاتورك فرآها مكبرة تحت عينيه اللتين تشابهان المجهر

رأى أن الامبراطورية العثمانية هى الغلطة الكبرى . ورأى أنها حتى بعد هزيمة الحرب وضياع أملاكها منها ـ تحاول أن تظهر بمظاهر العظمة القديمة . رأى خليفة وسلطانا تتجه اليه أنظار الشرق الاسلامي اتجاهها الى الكعبة . وعاد بذا كرته الى الوراء فلم يجد ثمة فرقا بين الامبراطورية العثمانية قبل الحرب وبينها بعدها . فمن قبل الحرب كانت أملاك تركيا تمتد من ههنا الى ههنا ولكنها كانت ملكية اسمية . ومن بعدها انفصلت عنها أملاكها . ولكنها كانت تتجه اليها معنويا وروحياً . فتساءل : لماذا هذه التبعية الاسمية ثم المعنوية والروحية ؟ ولماذا تبقى هذه الهيولا فى عصر القوميات والعصبيات ؟ ألم يكفها أنها رانت على الشرق الاسلامي منذ القرن السادس عشر الميلادى فلا هى أفادت الشرق ، ولا الشرق استفاد منها ؟ ألم يكفها أنها قامت على أنقاض المماليك والروم والصقالبة والامارات التى خلفتها اغارات الصليبيين والتتار ، ثم لم تعمل شيئاً إلا أنها ركدت فركدت معها كل هذه الأقطار ؟ . ألم يكفها أن الغرب نهض نهضته المادية فى مطالع القرن السادس عشر فتوغل فى البحار وراح يستعمر الشرق اقتصاديا قبل أن يستعمره بقوة النار والحديد ثم تزود بأسباب الحضارة والعمران ، وهى بعد تغط فى نومها وترى فى عالم الأحلام ما كان من مجد آض وهما من الأوهام ؟ . اذن فلتقبر هذه النزعة القديمة فانها لم تعد تصلح للبقاء ، ولتقم على أنقاضها قوميات شرقية ، فلا جامعة تركية ، ولا أخرى عربية ، انما تركيا ، وما عداها من دول الشرق الأدنى . ولتذهب السلطنة والخلافة فى عداد الذاهبين فالابقاء عليهما لا يتمشى مع التطور الجديد

لذلك كان كمال أتاتورك فى نظرنا فيصلا بين عهدين ، وانا نستطيع بشىء من التوسع أن نقول ان العصر الحديث بدأ فى أوربا منذ قرون ، اما فى الشرق الأدنى فبدأ بكمال أتاتورك ، لأن السلطنة العثمانية كانت ذيلا للقرون الوسطي ، والشرق الأدنى كان الى عهد قريب تابعاً لهذه السلطنة ، فكان ما يزال يغالب القرون الوسطى وتغالبه ، حتى رسم أتاتورك الاتجاه الجديد بريشته الجبارة مستعيناً بنتائج الثورة العربية ، فبدأ عصر القوميات ، عصر المدنية والنور ، عصر القوة ولا شىء الا القوة . بدأ بنفوذه فى تركيا . وبالمحاكاة فى ايران وافغانستان والعراق ، وبالاقتباس أو التأهب للاقتباس فى بقية الدول الشرقية

واذا تطرق الشك الى بعض الباحثين فى صحة هذه النظرية التى نجاهر بها ، عدنا الى أوجه

الشبه بين القرون الوسطى فى الغرب ، وبين ما نصر على تسميته بالقرون الوسطى فى تاريخنا حتى ختام الحرب العظمى ، فنقول :

جاء البرابرة من آسيا وا كتسحوا الامبراطورية الرومانية الغربية فى أواخر العصر القديم ، والاتراك العثمانيون اكتسحوا الشرق الأدنى في القرن السادس عشر ، والبرابرة أبقوا على الامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة) ، والعثمانيون أبقوا على ايران بعد مافتحوها وفشلوا فى ترويضها ، والظلام كان يسود الغرب ابان القرون الوسطى إلا من أنوار قليلة كانت تتألق بين الفينة والفينة ، والظلام ساد الشرق الأدنى طوال أيام الحكم العثمانى إلا من أنوار تألقت هنا وهناك ، ولكن سرعان ماخبت ، والعصر الحديث بدأ فى الغرب بظهور القوميات والمدنية الحديثة ، فأين هي القوميات التى ظهرت فى الشرق الأدنى فى العصور الأخيرة ؟ ألم يقل حاكم الاسكندرية للاميرال نلسون عند ماجاء يسأل عن أسطول نابليون : « ان هذه أرض السلطان » ؟ ألم تذهب حركة محمد على القومية أدراج الرياح ؟ ألم تبق الامبراطورية العثمانية قائمة الى عام ١٩١٩ ؟ وماذا حدث بعد ذلك ؟ حدث أن ظهر كمال أتاتورك فى الميدان مناديا بالقومية التركية ، مستنهضا همم الشرقيين للمناداة بالقوميات ، بينما كان الشريف حسين رحمه الله يطالب بالامبراطورية العربية التى تمتد من جبال طورس الى المحيط الهندى ، ومن سيناء الى الخليج الفارسى . . أى مطالباً بذيل لذيل من ذيول القرون الوسطى . . فهل لايعد كمال أتاتورك بعد ذلك فيصلا بين عهدين ، ومؤذنا بالعصر الحديث فى الشرق الأدنى ؟

***

ولقد راق لبعض الباحثين أن يبحثوا عن مكان بين عظماء التاريخ ليضعوا أتاتورك فيه ، وطاب لهم أن يبحثوا له عن درجة يلحقونه بها ، ورفعه بعضهم فوق عظماء القرن العشرين إذ فضلوه على موسولينى ، وهتلر ، وروزفلت . بيد أننا لانذهب مذهب الأولين ولانحاول محاولة الآخرين . فلكل عظيم ظروفه الخاصة ، ولكل زمنه ، وعظماؤنا المعاصرون لم تختم حياتهم بعد لنحكم على أعمالهم ، على أننا نكتفى بوضع قواعد عامة تؤدى بها عظمة كل عظيم وطاقة تخليده . فالعظمة تقاس بالحالة التى وجد فيها العظيم قومه ، وبما أسداه اليهم من أياد في حياته ، وبما تبقى من هذه الأيادى بعد وفاته . فاذا افترضنا أن عظماء البشرية من قادة الشعوب هم ــ على وجه الاجمال ــ الاسكندر وهانيبال ويوليوس قيصر وأبو بكر وعمر ونابليون وبضعة أفراد آخرين ، وسألنا أنفسنا : فى أية حال وجد كل من هؤلاء بلاده ، وماذا أسدى اليها من أياد ؟ وماذا تبقى من هذه الأيادى بعد وفاته ، أمكننا أن ندرك أن كمال أتاتورك هو أحد عظماء البشر اطلاقا . ولعل السنين المقبلة تظهرنا على ما قد يخفى علينا الآن من الجواب عن الشطر الثالث من هذا السؤال

محمد محمد توفيق

حقائق يجب أن يتدبرها رجال الأعمال

درس نفسية العامل

هو المعين الأكبر لزيادة الانتاج

بقلم الدكتور ابراهيم ناجى

عند ما شرعت فى القاء محاضرة عن هذا الموضوع فى كلية التجارة منذ سنتين ، علمت ان الطلبة والاساتذة دهشوا لأن طبيباً يريد أن يحاضر فى كلية التجارة ، عن علم النفس فى موضوع صناعى ، وقال بعضهم ان هذه مفارقات لا تحتمل ! ولذلك عندما بدأت المحاضرة اذ ذاك قلت للمستمعين : ان الذي لفت الانظار لعلم النفس فى الصناعة هو أمر طبى . أجل أمر طبي بحثه الأطباء ثم تشعب فأسلموه لغيرهم ، وان ظل الى اليوم أمره ومرجعه للاطباء . وقد اعتمدت فى بحثى على الأطباء قبل غيرهم . وعند ما كنت فى لندن فى سنة ١٩٣٤ حضرت مؤتمراً عالمياً كبيراً ، واشتركت فى مناقشات طويلة تدور حول هذا الموضوع ، وكان لى الحظ ان أتعرف الى أقطاب الأطباء والعلماء الذين خلقوا هذا العلم خلقا وجعلوا منه فناً منظما ، وأقاموا له معهداً كبيراً ، ولست أنسى ما حييت الاستاذ مايرز بلحيته البيضاء الطويلة ووجهه الوقور وهو يدير جلساتنا بحيوية الشباب . ولمناسبة هذه المؤتمرات « الصناعية » أذكر انى اشتركت فى مؤتمر منها عقد بمصر ، فأعددت حديثاً عن علم النفس الصناعى ، ولكنى حين ألقيته لم أجد النفوس مستعدة ـ مع الأسف ـ لقبول أى فكرة عنه ، فانتظرت حتى ألقيت الحديث فى كلية التجارة فأحدث أحسن الاثر

عند ما قامت الحرب الكبرى ، انضم الى كل جيش بطبيعة الأمر وحدات صناعية وميكانيكية وغيرها ، أى قوات غير محاربة ، وكان المفهوم فى معاملة هذه القوات ، ان المعاملة حسابية آلية ، أى ان « اثنين زائد اثنين تساوى أربعة » . وكذلك ان الوحدة التي تنتج فى الساعة ٤ مقادير مثلا ، تنتج فى خمس ساعات عشرين مقداراً

اتضح ان هذا حساب خاطىء من أساسه

ثم اتضح ان الانسان انسان لا آلة

اتضح انه يجب أن يحسب حساب التعب

وأخذ العلماء والمفكرون يحسبون حساب العوامل التي تسيطر على هذا الانسان في أثناء العمل ، لا وراء الجيش فقط بل في المعمل والمصنع

وانتقلت المسألة من التفكير في وحدات الجيش الى التفكير في انهاض الصناعة بدرس الانسان العامل والعوامل التي تؤدي الى انهاك قواه وقلة انتاجه

ثم أخذ التفكير في هذا الانسان يمتد ويتشعب ، فما دمنا نرى انه ليس بآلة ، فهو اذن له مواهب وله كفايات وله ذكاء فطري ومكتسب وله اتجاهات . ويمكن استغلالها بعد درسها ، ثم توجيهها الى حيث تصلح وتحدث أحسن النتائج

فصار علم النفس الصناعي مقسما الى الأبواب الآتية . وكل منها كما يرى القارىء باب ضخم جدير بان يكتب عنه كتاب وافر الصفحات :

(١) أسباب التعب فكرية وجسدية
(٢) كيف يمكن اتقاء تلك الأسباب
(٣) درس نفسية العامل في المصنع أو المعمل . وكيف يمكن للرئيس والمرءوس ان يتلاءما بحيث يسير العمل على خير نظام
(٤) درس حالة المعمل أو المصنع الصحية ، حيث اتضح بلا جدال ان مسائل التهوية والاضاءة والحرارة والرطوبة تؤثر تأثيراً بالغاً في قوة العامل ونفسيته
(٥) كيفية اختيار المهن
(٦) اختبارات الذكاء ولها علاقة كبيرة باختيار المهنة
(٧) استغلال علم النفس في الصناعة لدرس وسائل الاعلان

وقبل ان أسترسل في التكلم عن علم النفس الصناعي أريد ان ألفت النظر الى مكان علم النفس اليوم . فهو قد تغلغل في كل شيء . فللأدب سيكلوجية . وللفن سيكلوجية . وللسياسة سيكلوجية . وللسينما سيكلوجية . وللشارع سيكلوجية . وقد قرأت أخيراً كتاباً ضخما بالألمانية عن سيكلوجية الآلات . وهذا أغرب كتاب قرأته الى اليوم

وأمامي الآن كتاب بالانجليزية اشترك في وضعه أطباء من الانجليز اسمه السيكلوجية والحياة ، خلاصته انه لكي نلم بأي شيء في الحياة يجب ان نلم بعلم النفس الخاص به . ومن أراد الاستزادة فلديه كتاب السير جون آدمز « السيكولوجية والحياة اليومية »

وما دام علم النفس الصناعي هدفه اليوم انهاض الصناعة ، والصناعة تقوم على أكتاف العامل فلنبدأ بهذا

لكي يقوم العامل بعمله على أحسن وجه يجب ان تتوافر فيه الشروط الآتية :

(١) يجب ان تكون العوامل المسيطرة عليه مشجعة له على حسن القيام بما ينتظر منه

(٢) ان تكون العوامل الصحية مشجعة له ومعينة على الوصول الى أحسن النتائج بأيسر الجهود

(٣) ان يكون العامل مهيئاً لما أعد له

العوامل النفسية

لا بد لمن يشيد مصنعاً أو معملا يحشد فيه صناعا أو عمالا أن يلم بحقيقتين ، بغيرهما لا يستطيع أن يضمن نجاح أعماله مطلقاً

الحقيقة الاولى أن هؤلاء الصناع تسيطر عليهم غرائز أولية ، غرائز سيطرت على الأجيال وبقيت هى هى مستترة تحت قناع المدنية ، وانما تتكشف على حقيقتها حينما يجتمع الناس ويحتشدون ، ويؤكد جوستاف لوبون أن هذه الحقيقة تسرى على البرلمان المثقف المتحضر فى أرقى الأمم

والحقيقة الثانية مشتقة من الاولى ، وهى أن سيكلوجية الفرد ، غير سيكلوجية الجماعة . فالواحد قد يقرر أمراً بينه وبين نفسه ويمضى الى غرضه غير متردد ، وأما الجماعة فيقررون « منومين » . يمشى الرأى بينهم « بالايحاء » ويسرى سريان « العدوى » ولقد يخرج الواحد منهم بعد أن أقر رأى الجماعة فيخلو الى نفسه فيلومها ولات حين ملام !

إذن ما هى الغرائز الأولية التى تسيطر على العمال ؟ هى هذه :

(ا) حب الملك أو الحيازة . اذا جلس العامل الى آلة وألفها يحسبها على الزمن ملكا له فاذا أخذت منه وأعطيت لغيره ، أو اذا انتقل منها لغيرها ، آلمه ذلك وحز فى نفسه . ويتفرع من ذلك أن العمل الذى ينجزه العامل ـ أى ذلك « المخلوق » الذى « يتكون » وينمو على يديه يعده فى نفسه ملكا له ، ويفخر به ويدافع عنه . والواقع أن كل غريزة تتفرع من الأخرى وليس بين هذه وتلك حدود ثابتة . فحب الملك يؤدى الى الخلق ، والخلق يؤدى الى «اثبات الذات» وهكذا ، فالواقع أن العامل يحب أن يتبين مجهوده وسط المجهود العام . ولعل عصر الآلات قد محا كثيراً من ذلك الأثر ، وعلى ذلك كان سبباً فى الملال الذى يعترى العامل اليوم

(ب) حب السلطة والظهور . ويمكن استغلال ذلك فى التنافس ، واذا تطرفت هاته الغريزة دفعت الى الامام

(حـ) غريزة التحدى أو المقاتلة . وقد تظل هذه الغريزة نائمة معقدة ، مركبة من مزيج من الغضب والتجنب والنفور . وهذا مانسميه بلغتنا البسيطة « الكره »

ولكنها لا بد أن تنفجر ذات يوم ودون أن نفهم لها سبباً إلا اذا حللنا نفسية العامل ، ودرسنا علاقته برئيسه فاننا لاشك نجد ماضياً حافلا ، وهذا الانفجار نتيجة لما تجمع من غرائز

مكبوتة مغلوبة مشوهة . وعلى ذكر الرئيس والمرءوس ، يجب أن يطمئن العامل الى مستقبله فان الشعور بالأمان أساس عمله ، ويجب أن يشعر بما يسميه ما كدوجال « روح الجماعة » وما روح الجماعة إلا وسيلة الفرد لاثبات الذات فى الداخل والخارج

العوامل الصحية

سوء العوامل الصحية يؤدي الى التعب واليك أنواع التعب :

(ا) عقلى أو نفسى أو عصبى ، وهى متقاربة ، وقد تكلمنا عنها عند التكلم على نفسية العامل

(ب) جسدى ،وهونوعان : لازم،ولا يمكن تداركه لأنه مصاحب لكل عمل . وغير لازم ويمكن تداركه وتوفيره، ومثاله أن يقتضى العمل حركات لا لزوم لها ، أو يكون النور ضئيلا فيؤثر فى العينين ، وهذان بدورهما يؤثران فى الجسم على العموم ، أو تكون الآلات موضوعة فى مكان بعيد فيقتضى ذلك أن يقوم العامل بين حين وآخر لاحضارها ، وهكذا . ومن أسبابه أيضا سوء التهوية . وسوء ترتيب العمل ، وقد أمكن بطريقة حديثة أن يرسم رسم بيانى يسجل مجهود العامل فى أثناء النهار من مقدار انتاجه وكيفية ذلك . ويمكن من نظرة واحدة الى الرسم الموضوع أمام كل عامل أن يعرف هل يؤدى عمله على أحسن حال أم لا . وكذلك أمكن بطريقة حديثة أن تسجل حركات العامل بالفوتوغرافيا لكى يعرف هل يقوم بحركات لا لزوم لها ، فيضيع كثيراً من وقته وقوته ، أم لا ؟

ولقد اتضح بلا جدال أن كثرة ساعات العمل لا تؤدى الى كثرة الانتاج ، واتضح أيضا أن فترات الراحة تزيد فى الانتاج ، وكذلك وسائل التسلية والترويح عن النفس

اختيار المهن

« كل ميسر لما خلق له » هذا قول صحيح غاية الصحة . وما أعظمها من فوضى تلك التى تعطى قيادة القطار لرجل جبان رعديد ، وتعطى مهنة المحاماة لعي ، وتعطى مهنة الطب لغليظ القلب ، وتعطى العمل اليدوى الذى يحتاج لأقصى المهارة الى رجل مرتجف الأنامل !

لقد صار اليوم لكل شركة مكتب خاص ملحق بها يمتحن المتقدمين ويختبر صلاحيتهم لما هم قادمون بشأنه ، وكل مهنة لها اختبارات خاصة بها ، وكل فرع من فروع هاته المهنة له اختبارات خاصة به ، وقد بلغت هاته الاختبارات درجة عجيبة من الدقة . فانهم فى هايبورج مثلا يختبرون سائق القطار لا فى القطار بل أمام آلة تمثل كل ما يجب أن يتوافر فى السائق من حدة البصر وسرعة البديهة وقوة الخاطر

يبدأ الامتحان قبل أن يكون فى المهنة الخاصة اختباراً للذكاء

وموضوع الذكاء موضوع ضخم جداً ، ومن يريد أن يقرأ عنه فعليه بمؤلفات « تين » و « هكسلى » و « ينج »

وانما يكفي ان نوجز هنا ، فنقول : إن الذكاء اما فطرى أو مكتسب . أما الفطرى فهو هبة من الله ، ولا يزيد بالتعليم ولا ينقص . وهو شبيه بالعمق وسماه بعضهم الذكاء العمودى ، ويمكن اكتشافه باختبارات خاصة قبل البلوغ . ومرجع هذه الاختبارات بينيه وسيمون ، ولها كتب خاصة بها . ويجرونها اليوم فى معهد التربية بمصر ، وللذكاء « معمل » خاص أى وحدة خاصة كوحدة الحرارة والنور « Coefficient » . وأما الذكاء المكتسب ، فهو أفقى ، سطحى ، اجتماعى ، نتيجة للتعليم والتجارب والبيئة وعوامل مشابهة لها ، ولا يمكن ان يقارب الذكاء الفطرى ، ولا أن يحل محله . . .

ويمكن اكتشاف الذكاء النظرى فى سن باكر . وتوضع له درجات ، وعلى حسب هذه الدرجات يوجه الاشخاص للمهن . وعندما تتعين المهنة ، تجرى الاختبارات الخاصة بها او بفرعها

هذا هو ما يهم القارىء الكريم ان يعرفه بشأن علم النفس فى الصناعة ، وأما علم النفس فى الاعلانات فيحتاج الى مقال خاص . بل لقد صار فناً قائماً بذاته

وحبذا لو التفتت حكومتنا ، وارباب المصانع والتاجر والعامل عندنا الى « علم النفس الصناعى » فانهم سيجدون منه المعين الاكبر فى مضاعفة انتاجهم

ابراهيم ناجى

لا تخدع نفسك

لا تخدع نفسك ولا تصطنع أفكاراً وعواطف تعلم حق العلم أنها دخيلة عليك ، إذ قد يصدقك الناس ويعاملونك بناء على هذه الافكار والعواطف . وعندئذ تشعر شعوراً مراً عميقاً بأنك تعيش فى عزلة وأن لا أحد يفهمك وأنك أتعس انسان . فكن صادقاً مع نفسك ومع غيرك يصدق الناس معك

الفونس دوديه

الشعوب اليائسة

تحلم برجل الأقدار

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

« . . فى هذا الجو المأزوم ، وتحت هذه الغاشية من التبلبل والاضطراب والجزع ونفاد الصبر كانت الشعوب العانية تحلم « برجل الاقدار » ينقذها مما هى فيه ، ويعمل لخلاصها دون أن يسائلها ماذا ينبغي أن يفعل — بهذا الرجل كانت تهيب الملايين . . »

تفشى الحكم الدكتاتورى فى أعقاب الحرب العظمى تفشياً يوقع في الاذهان انه من لقاحها ومعقباتها

وفى الحق ان الحرب الاخيرة التى وسموها بالحرب العالمية قد هزت العالم هزاً عنيفاً . فمن الناحية السياسية نجد المعاهدات تملى املاء على الشعوب المقهورة فيزيد ذلك فى احساسها الطبيعى بمرارة القهر ، فثمة قسرها على التسليم فى بعض أراضيها بمثابة بتر الاعضاء فى الجسم الحى ، وهذا الاحتلال العسكرى اهانة ماثلة كالقذى فى عين كل وطنى وكالغضا فى جوانحه ، وعلى المرافق هيمنة الرقابة الأجنبية يصطدم بها كل ذى عمل فتشعره فى كل خطوة بوطأة النير الاجنبي ، وفوق هذه جميعاً نكأة الاتهام بجريمة الحرب تلقى كلها على المغلوبين فتحز فى ضمائر شديدة الاقتناع بانها انما قاتلت لوجودها واستبسلت فى وجه أعداء يفوقونها عدداً . وهكذا انشطرت القارة الأوربيـة شطرين بينهما هوة سحيقة . المنتصرون وهم مصممو العزم على الاستئثار بمـا كسبوا ، والمهزومون وهم شديدو الحنين الى استرداد كل ما فقدوا أو بعضه . وبينهما صلح معقود ، ولـكنه ليس تسوية للخلاف وتصفية للموقف ، بل سوم النكال وضرب الذلة على أمم انطبعت على عزة النفس واباء الضيم وما برحت حية الخيال مشبوبة العاطفة بذكريات مجدها فى الأمس القريب . فهو صلح أبعد ما يكون عن معنى الصلح ، وهيهات أن يكون فاتحة عهد طمأنينة للعالم المكروب الأنفاس المثخن بالجراح

ولم تـكن الحال فى دوائر الاقتصاد بأهون تأثراً وأخف خطباً . فقد خلفت الحرب الضروس بعدها قارة مخربة كأنما اجتاحها اعصار هائل ، لفرط ما فعل الدمار المادى ولجسامة ما كابده الجميع

من خسائر لا تقع تحت حصر ولا يحيط بها تقدير . ولقد سدت المنافذ والبواغيز فى أثناء سنى القتال الطويلة ، وتعطلت أسباب الحياة الاقتصادية بامتناع تداول رأس المال وتقارض الخدمات ومبادلة البضائع . حتى اذا وضعت الحرب أوزارها ، وانبرى العلم بمعجزاته يدير من جديد عجلات الانتاج ، تعثرت خطاه وعانى اختلال التوازن بما فرضه الصلح على فريق المغلوبين من قيود ثقيلة وتعويضات مالية مستحيلة ، زادت الحال تعقيداً على تعقيدها

ومن الطبيعي ان تكون لهذه الحزازة السياسية والضيق الاقتصادي أثرهما القوى فى الاختمار النفسى ، وان يورث هذا الكفاح الطويل للحياة أو الموت عقلية غير العقلية التى كانت موجودة ، ومعايير للاشياء غير المعايير المعهودة . فلا شأن اليوم للمثل الديموقراطية العليا التى بلغت كمالها مع القرن التاسع عشر ، وكأن الأوان فى هذا الظرف العصيب لم يعد أوانها ، فلا مندوحة عن القاء الحريات الشخصية وحقوق الأفراد ومطالبهم فى ذلك المرجل الفائر ، وتحطيم الاقليات وتنحيتها ، والزراية بالقصد والتوسط ، والتشهير بالسعى فى التوفيق على انه جريمة وطنية ، وبالجملة الكفر بمبادىء الحق ووصايا السلم ، والمغالاة بقيمة القوة وصفات البطولة ، والتبرم بطول المباحثات والجدل والتطلع الى العمل السريع الحاسم

رجل الاقدار

فى هذا الجو المأزوم ، وتحت هذه الغاشية من التبلبل والاضطراب والجزع ونفاد الصبر ، كانت الشعوب العانية تحلم « برجل الاقدار » ينقذها مما هى فيه ، ويعمل لخلاصها دون أن يسائلها ماذا ينبغي أن يفعل . بهذا الرجل كانت تهيب الملايين من الحيارى فى قرارة نفوسهم . وكان هذا الرجل في بعض الاحوال حاضراً مهيأً وعلى استعداد لتلبية النداء

بيد ان الحرب العالمية ليست وحدها المسئولة عن قيام الدكتاتورية . بل جاء التمهيد الاكبر لها قبل الحرب من سقوط اعتبار النظم البرلمانية فى بعض الاقطار

فالفكرة الديمقراطية البرلمانية قائمة على حق الشعب أجمع ، دون تفرقة بين الطبقات والمراتب فى انتخاب ممثلين عنه يتولون بمشيئته السلطة العليا ويباشرون بمقتضاها التشريع وسن الاحكام بما فيه تحقيق الصالح العام ، ويندبون للقيام على امضاء الشرائع وإجراء الأحكام والعمل على استتبابها وتسيير الامور فى حدودها حكومة تتقلد السلطة التنفيذية لتكون خادمة الشعب ومنفذة ارادته بحكم كونها حكومة الشعب التى اختارها وكلاؤه وهى خاضعة لهم ورهن رقابتهم

هذه هى الفكرة الديموقراطية البرلمانية ، وهى جلية المغزى بسيطة المبنى واضحة المعالم . غير أن الحقيقة للاسف قاصرة عن بلوغ الفكرة ، لايتهيأ لها أن تطاولها وتعلو علوها . فانه لكى يستقيم البناء ويتماسك لا بد أن يكون الناخب ـ وهو أساس البناء الديمقراطى البرلماني كله ـ موفور الكفاية

والنزاهة ، وأن يشعر حفل شعوره بالمصلحة العامة ويضحى بكل مصلحة خاصة . ولكن الواقع لم ينجب فى قطر من أقطار العالم هذا الناخب النموذجي . واذا ظهرت له فى بعض البلاد بواكير صالحة فهى عزيزة نادرة . فالناخبون من السواد الاعظم تنقصهم على الاقل الدراية ، وكفى بذلك فساداً يغنى عن التعرض لناحية النزاهة ، فالواحد منهم لا يدرى ما هو لازم لبلاده ولنفسه ، كما أنه لا يميز بين الجد والشعوذة ، فهو ان لم يكن سلعة تباع وتشترى فلا مشاحة فى كونه نهباً للمؤثرات المدبرة والدعاية المنظمة

ثم ان الاحزاب البرلمانية فى معظم الاقطار تتعدد وتتجزأ ، وتظهر الى جانبها فى حيز الوجود من حين الى آخر هيئات أخرى جديدة ، فينجم من وراء ذلك كثرة المناظرات واشتباك وجوه الرأى وتعقيد الامور فاذا العمل البرلمانى بطيء واذا الاعتقاد يشيع هنا وهناك — بالحق أو بالباطل — ان البرلمانات دواليب صاخبة الجلبة قليلة الجدوى

جناية الاحزاب

يضاف الى ذلك جناية الأحزاب البرلمانية التى تغلب مصلحة الحزب فى كثير من الأحيان على المصلحة العامة . فاذا عرضت مسألة من المسائل لمناقشة فى البرلمان ، فليس الأمر أمر المسألة المعروضة ومبلغ الاصالة والسداد فى الحل المقترح لها ، وانما الأمر كله فيا لهذا الحزب أو ذاك من وجه المصلحة فى التصويت لها أو ضدها . ورب مشروع يحرد الحزب أشد المحاربة حزب فى المعارضة، فلما ولى هذا الحزب الحكم كان من دعاته وغلاة المتافين عنه ، لايطيق فيه غمزة غامز ولا يسمح لتعقيبة معقب

فالتناجز الشخصى على أشده بين الزعماء ، كل زعيم جاهد قصارى جهده فى تعطيل حكومة الآخر ، وهكذا دواليك حتى تتعطل ادارة الحكم فى أيدى الجميع . وقد يبلغ التغاير والتحاسد بين الزعماء الفحول أن يؤثر الواحد منهم أن يرى فى دست الحكم إمعة من الامعات على أن يتبوأه أحد انداده فى الزعامة ، لاطمئنان السادة الزعماء الى أن هذا الامعة — بفضل كونه إمعة — أعجز من أن يملأ فراغهم ويكسب أنصارهم ويحمل شأنهم ، كما أنه لا يجرؤ على طرق المسائل الشائكة الهامة ، وهي التى يحرص كل زعيم على بقائها معقدة معلقة فى غير عهده ، ليدخر شرف حلها لأيام حكمه مهما يكن فى المطاولة والتأخير من ضرر محقق وعنت فى غير موجب

وأوضح مثال نسوقه ، هذا الذي كان بين « نيق » و «جيوليتى » أقوى زعيمين فى البرلمان الايطالى من التناجز الشخصى ، فقد كان أكبر العوامل على سقوط اعتبار النظام البرلمانى وفقدان الحكم الشعبي لمنزلته فى نفوس الشعب . وانتهى الأمر بهما الى أن ارتضيا من تحاسدهما قيام حكومة ضعيفة لا الى هذا ولا الى ذاك ، فى أوقات جد عصيبة . ثم لم يلبث النظام البرلماني أن وافى الدرك

الأدنى من سقوط الاعتبار حين أسقط البرلمان حكومة «فاكتا» . وعلى الرغم من دقة الحالة الدولية وفرط تحرجها ، فقددامت هذه الأزمة أياماً وأياماً من جراء الخصومات القائمة بين الهيئات البرلمانية . فقد كانت كل جماعة يعرض عليها الحكم ترفضه ، وتهدد بالمناوأة فى الوقت نفسه كل من يجرؤ على قبوله غيرها . وأخيراً أمام سخرية العالم وازدياد سخط الرأى العام ، اتفقت كلمة الهيئات البرلمانية على إعادة تنصيب حكومة « فاكتا » نفسها التى أسقطها هذا البرلمان نفسه . فكان ذلك أبلغ مثل على العجز والفشل

تمكين الدكتاتورية

وقد زاد فى التمكين للدكتاتورية أن هذه الأزمة البرلمانية أحاطت بها أزمة شر منها وأدهى وأوسع نطاقا وأبعد أثراً ، ونعنى بها الأزمة الديموقراطية . فان الشعب على قدر ترديده لما يخوله اياه النظام الديموقراطى من حقوق لا يذكر مايفرضه عليه هذا النظام من واجبات . وقد صار من المألوف أن ينصرف كل فرد الى شأنه وألا يعنى بغير نفسه يحقق لها الكسب أو المتعة ، وفيما عدا ذلك لا يحرص على استعمال حقه مهما يكن لاستعماله من الخطر وعظم الشأن في أحوال بلده . فترى الأكثرين من أفراد الشعب أصحاب الحق فى الانتخاب لا يكلفون أنفسهم مؤونة الذهاب لايداع أصواتهم فى صناديق الاقتراع ، لولا دفع المرشحين لهم وتقريب المسافة عليهم وترغيبهم بشتى ضروب الترغيب ، وهكذا شأن الأكثرين فى سائر ما يتعلق بالشئون العامة . وحتى فى حالة استعمال بعضهم حقهم فى مناقشة الشئون العامة والاهتمام بها ، فان ذلك منهم فى أكثر الأحيان تزجية للفراغ ، فاذا وجدوا ما يشغلهم من مصالحهم الخاصة اشتغلوا به عنها ، وكذلك اذا خشوا احتمال أدنى العنت وبذل أهون التضحية فى سبيلها . مثال ذلك حرية الرأي وهي من أركان النظام الديموقراطي . فمن الناس من يرتأى الرأى وهو حر فيما يرتأى فيحتفظ به لنفسه ، ولا يحس أنه مطالب بالجهر به ، والترويج له أوسع الترويج ، واذاعته بكل وسائل الاذاعة ، ما دام مؤمناً بصحته وبأن صلاح الجماعة فى العمل به . ثم منهم من لايكفون عن الثرثرة بمايعرفون وبما لايعرفون فاذا أتى على الامة عهد كان الاعراب فيه عن آراء بعينها غير مستحب لدى أصحاب الحول والطول رأيت الثرثارة القوالين وكأنما ختم على أفواههم لاينبسون ، فهم انما يعرفون من حق الكلام الفائدة والمتعة ، ولا يعرفونه فريضة واجبة الأداء مهما كلفت من تفويت منفعة أو تنغيص صفو

والبلاد التى لاتجمع الى حقها الديموقراطى واجبها الديموقراطى ، فمصيرها الى الدكتاتورية فى صورة من صورها . وما كان فى استطاعة رجل أيا كان أن يغصب شعبا حقوقه لو أن هذا الشعب كان حريصاً عليها ، محسنا لاستعمالها ، طيب النفس بالاضطلاع باعبائها

ولقد كانت الدكتاتوريات تلاقى دائما أشد المقاومة كلما فكر فى بسطها صاحب سلطان رسمي

أو زعيم شعبي . إلا أن مقاومة الشعوب لها فى هـذه المرة لا تذكر . وعلة ذلك أنها جاءت فى أعقاب حرب عالمية طويلة ، تعودت فى أثنائها كل أمة من الامم الكثيرة التى خاضت غمارها أن تعدل عن نظم توزيع السلطات واضاعة الوقت فى المناقشات ، الى توحيد الأمر فى أيدى سلطة آمرة واحدة تلقى اليها المقاليد كلها ، ويخول لها التصرف بلا تعقيب ويركز فيها الحكم . فلا عجب أن يحل النظام الدكتاتورى فى هـذه الامة وتلك بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، فلا تحس له صدمة المفاجأة



وفوق ذلك فان اتساع ميـدان العمل الاقتصادى واشتغال ذوى الكفايات باستغلال المشروعات الصناعية الكبرى ، واستحواذهم على الجانب الاكبر من موارد الثروة ، أكسبهم من الجـاه العريض والنفوذ الدائم ما زهدهم فى جاه الحكم ونفوذه . ثم ان الممولين وذوى الملكيات وأصحاب المصالح راعهم ما يقوم به الاشتراكيون من عبث وقلاقل ، ولما كانت كل جماعة تتحول الى جماعة مادية يكون همهم محصوراً كله فى استتباب النظام بصورة مادية تمكنهم من الاستمتاع بأموالهم هادئى البال ناعمى البال ، فان الجماعة فى عصرنا المادى لا يمكن ان يرتاحوا إلا للحكم الفردى المطلق باعتباره أكفل من النظم الديموقراطية المركبة بحفظ النظام واستتبابه

وجملة القول ان الدكتاتوريات فى عصرنا جاءت فى أوان تهيأت لها فيه كل الظروف المؤاتية وقد ظهر أثرها فى التنظيم الاقتصادى وفى تعزيز الشعور الوطنى ، ومع هذا فانه لاصبر لرجال الفكر عليها ، لأن الديكتاتوريات سواء أكانت الفاشية أم السوفيتية تقوم على فناء الفرد فى النظام الجماعى ، وما تقوم الفنون والآداب على شيء مثل قيامها على الفردية

عبد الرحمن صدقى

النزاع العالمي

ليس بين الديمقراطية والطغيان
ولكنه بين القومية والأممية

بقلم الاستاذ على أدهم

كانت الأعوام التى أعقبت الحرب الكبرى حافلة بالطوارىء مليئة بالمفاجآت، تواترت فيها الحوادث وتلاحقت الأزمات، وبطلت فيها أسباب الأمل، وطاف بالنفوس طائف من الخوف وتولاها القلق، فقد سارت الأمور على غير ما كانت تقدر الأمم التى خاضت غمار الحرب واحتملت أهوالها، ولم تسمُ أحوال الانسانية ولم تحلّ العدالة محل الظلم كما كان مرجواً، ولم تصبح الدنيا داراً تأمن فيها الأمم الضعيفة عدوان الأقوياء، ولم تسد الحرية ولم يعم الرخاء، بل تتابعت الانقلابات وتوالت الأعاصير، ولم يجيء عصر الاستقرار المأمول، وعهد السلام المرجي الذى كان يبشر به المبشرون ويهتف بذكره الحالمون

فما سبب خيبة تلك الآمال المحلقة، واخلاف تلك الظنون المتسامية؟ سببهما أن أكثر الناس لم يفهموا طبيعة العصر، ولم يتقروا ملامحه ولم يتبينوا اتجاهه، فلحقت أحكامهم ضروب من الخطأ وشكول من الزيف، وقد خالوا العصر عصر هدوء واستقرار وهو عصر حركة وانتقال، والذين كانوا ينتظرون استتباب الأحوال وثبات الأمور تقوض أملهم وتبددت ظنونهم وعرتهم الحيرة واستبدلوا من شعور الأمن والطمأنينة الشعور بالقلق واليأس. أما سبب هذا الاضطراب الذى يجيش به العالم فى العصر الحديث، وتعج به أحواله، فهو الصراع المستحكم بين مبدأين يتجاذبانه، وهما مبدأ القومية، ومبدأ الأممية

كان القرن التاسع عشر عصر يقظة القوميات ونهضتها، وقد اشتد فيه جهاد الأمم لنيل استقلالها واسترداد حقوقها فى السيادة والسيطرة على شئونها، وكان لابد أن يتخذ هذا الجهاد صورة الاعتداد بالنفس والاعتزاز بالقومية وتأكيد الشخصية، ولم تكن هناك مندوحة للأمة التى تريد أن تحطم أغلال الخضوع وترفع نير العبودية عن أن تستمسك بحقوقها وتتشبث بمطالبها وتحرص على واجباتها نحو نفسها، وان كان الحرص على تلك الواجبات لا يقتضى المساس بحقوق الغير، بل ان القومية فى ذلك العصر كانت – كما فسرها « متزيني » كبير زعمائها – أنجيل إخاء بين الأمم اذا نالت حريتها وظفرت باستقلالها

أما القومية بعد الحرب الكبرى فقد بدت فى صورة جديدة واتخذت مظهراً آخر، فهى

قومية متحدية ، متوثبة للعدوان متأهبة للهجوم ، تلتمس الغرة من جيرانها والفرصة المناسبة لتثب وثبتها وتنزل ضربتها ، وهذا هو علة فوضى الأحوال الحاضرة وما يعتورها من أسباب الخوف ودواعي القلق

والنزعة الأخرى البادية فى خلال هذا الفوران وهذا الاضطراب ، هى نزعة الأممية ، وهى بطبيعتها ليست معادية كل العداء لفكرة القومية ، وانما هى ترمي الى تهذيبها والسمو بها ، لأن الأممية ترمي الى غرضين أساسيين ، أولهما أن سياسة الأمم الداخلية وأحوالها المعيشية هما من اختصاص حكومتها القومية ، فليس من حق أى حكومة أخرى أن تتدخل فيها إلا اذا كانت هناك معاهدة تنص على ذلك وتلزمها به ، وفى حالة عدم وجود أمثال هذه المعاهدة . فان سياسة الأمم الداخلية يعترف بها القانون الأممى ، وليس معنى هذا أن الأمم الاخرى تحجم عن ابداء النصيحة وتقديم المشورة ، أو أن تكون غير معنية بتلك الشئون ، ولكن ليس من حقها التدخل الفعال

والأساس الثانى للأممية هو أن كل أمة تحرص على استقلال حكومتها وتصونها عن الخضوع للغير ، والنزعة الأممية تقدر ذلك وتعززه ، لأنه لو أنكر على بعض الامم حق الاستقلال فانه لا يمكن حصر الحدود التى يقف عندها هذا الانكار ، ولاستهدفت حقوق سائر الامم للخطر ، فالامم جميعها إزاء القانون الامى سـواء ليس بينها فاضل ومفضول ، ولا تفاوت فى القـوة ومستوى الحضارة

ولكن الخلاف الشديد بين النزعة القومية ونزعة الأممية يأتى من ناحية أخرى ، سببها الاعتقاد السارى بأن الحياة القومية تذبل وتشل اذا نقصتها فكرة السيادة المطلقة ، ورأي أنصار الاممية هو أن سيادة الوطن تدين بالولاء لمذهب فى القانون والنظام أسمى منها وأجل شأناً

فمن بعض وجوه النظر لايعتبر هناك خلاف بين النزعتين ، بل تعتبر القومية والاممية نزعتين يكمل بعضهما بعضاً ، وأنهما السبيل الممهد الى مثل اجتماعى أعلى وهو الديمقراطية الاممية ، وللديمقراطية داخل كل أمة وفى نطاق أحوالها الخاصة وجهان ، هما : حق كل انسان فى تقرير مصيره ضد القوة المتحكمة لأى فرد ، ولكن حق الفرد لا يتقرر ويثبت إلا بوجود حكم عام سائد ، وخضوع الجميع للقانون ، كذلك الحال بالنسبة للامم فان تقرير الامم أمورها بنفسها هو أساس الديمقراطية الاممية ، والحركات القومية فى العصر الحاضر هى الى حد ما من بواعث وضع أساس الديمقراطية الاممية السليمة

ولكن للخطأ والخطر فى نفس الوقت مصدراً آخر هو أس الخلاف بينهما ، وذلك المصدرهو افتراض أن العلاقة العادية بين الامم يمكن أن تفهم على نمط العلاقة الأدبية بين الأفراد ، ومصدر الخطأ هو أن القوة الدافعة نحو النظم الديمقراطية تصور الفرد على أنه محور القيم ، وأن اسعاده هو غرض كل نظام اجتماعي ، ولكن اذا دفعنا المشابهة بين « الفرد » و « الدولة » الى أقصى

نهايتها واعتبرنا أن للدولة « شخصية » كما للفرد ، وقعنا فى ذلك الخطأ الذى هو علة العلل فى العصر الحديث ، وهو اعتبار أن « الحكومة القومية » ــ لا الفرد ــ مصدر القيم وبيت القصيد فى الحياة الاجتماعية والسياسة ، ويتبع ذلك أنها تمنح شخصية مستقلة وكياناً ذاتياً ، وتصبح قوانين الدولة بحيث ينظر اليها من ناحية نفعها للحكومة والمحافظة عليها ، لا من ناحية مصلحة الفرد . بل لا يعتبر الفرد إلا من حيث هو كائن لمصلحة الحكومة وحياتها ، وتعتبر الحكومة إذ ذاك « وحدة باقية » ويصبح هذا الاعتبار هو حجر الزاوية فى تفكيرنا السياسى ، وهذا التصور للحكومة مناف لفكرة الاخلاق من ناحية ، ومناف لفكرة الأممية من ناحية أخرى

واعتبار الحكومة القومية وحدة خالدة باقية وانها منتهى وحدة النظام السياسى ضار كل الضرر ، وكل صورة من صور الحياة القومية تقول ان القومية ينقصها عنصر هام اذا نقصتها قوة الحكومة ذات السيادة المطلقة ــ تدل على عقل رجعي ، ولا يتيسر ايجاد تفاهم بينها وبين العقلية الأممية ، وكلما ازدادت سيطرة الانسان على الطبيعة اتسعت ميادين الأعمال وساحات النشاط ، وكلما امتد نطاقها واتسعت آفاقها وجدت نزعة قوية الى زيادة التعاون بين الأمم وتقوية أسباب التضافر والاتحاد ، ولكن نزعة الحكومات القومية الى طلب السيادة المطلقة توقف ذلك التقدم الاقتصادى ، وتعترض سيره ، وتعوق نماء العلاقات الاقتصادية والروابط الثقافية

وانما سبب ذلك ان الدولة ذات السيادة المطلقة تحرص على سيادتها ، وتحاول ان تقصى عنها كل سلطة أو نفوذ أجنبي ، وهى تشعر بأن استقلالها يعرض للخطر اذا كان ينقصها شىء من الاكتفاء بالنفس والاعتماد على مواردها الخاصة ومرافقها الداخلية ، فهى من ثم تعارض فكرة توزيع العمل الأممى اذا كان ذلك التوزيع يسفر عن تعطيل بعض المعامل اللازمة لعزلتها الاقتصادية ومحاولتها الاكتفاء بنفسها ، وكل حكومة مفروض عليها رعاية مصالح أفرادها ، فعليها ما وسعها السعي أن تعمل لصيانة صناعاتها الوطنية وانتاجها القومى ، وتجنيبهما خطر المنافسة ودواعى الكساد والبوار ، وفى العمل على تحقيق هذه الغاية توقف حركات الصناعة والتجارة الأجنبية بأسلحة التعريفات ورفع الرسوم الجمركية وأمثال تلك الاجراءات ، فبينما يتجه الميل فى العلاقات الاقتصادية إلى الدولية ، فان الميل السياسى يتجه الى محاولة الاكتفاء بالنفس والاعتماد على الموارد والصناعات الخاصة

ووجود هذا الخلاف بين وجهة النظر القومية ووجهة النظر الأممية ، معناه ان علينا ان نختار بين شيئين ، فاما الاحتفاظ بالسيادة المطلقة للحكومة القومية ، واما العمل لبلوغ مستوى أرقى من الحياة بين الأمم جميعها ومن بينها أمتنا . ولا نزاع فى ان الكثيرين يريدون الاثنين ويحاولون أن يضربوا العصفورين بحجر واحد ، ولكن دعاة الوطنية وغلاة الاستعماريين والراغبين فى التوسع يكرهون فكرة انتقاص سيادة الحكومة ، ويريدونها ان تكون سيادة غير محدودة ماضية فى جميع فروع الحياة شاملة لكل مناحيها

ومن أسباب الفقر المدقع وتفاوت الطبقات انحصار التجارة فى دائرة ضيقة ، وفى الظروف الراهنة لا تستطيع أمة ان تسيطر على صناعتها وتجارتها سيطرة تامة ، فمن المستحسن مثلا ان تقلل ساعات العمل ويرفع مستوى المعيشة للعمال فى بعض المصانع ، ولكن التأثير المحتوم لذلك هو زيادة تكاليف الانتاج وهو يؤدى الى رفع الاسعار الذى قد ينجم عنه خسارة الأسواق والهزيمة فى معترك المنافسة التجارية بسبب رخص البضائع الأجنبية ، وهكذا تظل حرية التجارة مقيدة مغلولة مادامت الأمم حريصة على سيادتها المطلقة غير المحدودة

والحقيقة ان قيمة كل نظام قائمة على مدى اسعاده للفرد وزيادة رفاهيته وتوفير أسباب الراحة له ، وتركيز جانب من السلطة فى يد سلطة مركزية شاملة أعود بالفائدة على مصالح الفرد من توزيعها بين مختلف الحكومات القومية لأن قيام السلطة على هذا النمط يجعل الأمم بحكم مركزها وطبيعة حكومتها لا تستطيع خدمة الانسانية

وعصبة الأمم التى تألفت سنة ١٩١٩ - ١٩٢٠ من ست وعشرين دولة وزاد بعد ذلك عدد أعضائها حتى أربى على الستين ، كانت دلالة على نشوء المعتقد الأممى الجديد ، وقد رحبت بها الأمم وأيدتها بسلسلة من العهود والمواثيق انتهت سنة ١٩٢٨ بميثاق «بريان - كيلوج» فى باريز لنبذ الحرب والاعراض عن اتخاذها وسيلة لحل المشكلات السياسية ، على ان بعض الأمم فى خلال ذلك لم يحفل بوجود العصبة ، وكان أول من فعل ذلك جباراً موسولينى فى ضربه كلورفو سنة ١٩٢٣ ليفرض عليها حله للخلاف الذى نشأ بينه وبين اليونان ، وقد فشل مؤتمر نزع السلاح ولم يوفق المؤتمر الاقتصادى الذى تلاه . وقد أظهر الخلاف الذى نشأ بين الحبشة وايطاليا سنة ١٩٣٠ الصراع بين المعتقدين فى صورة واضحة ، فالحكومة الايطالية كانت تنحو نحواً يقرها عليه الكثيرون ممن يرون حاجة الحكومات القومية إلى التوسع والاستعمار ، وقد عارض ذلك أعضاء عصبة الأمم لاعتقادهم ان عيوب الحكومات الداخلية لا تبيح حق التدخل الا بطريقة اجماعية وفق شروط العصبة

وليس النزاع الآن فى الحقيقة بين الديمقراطية والطغيان وانما هو نزاع بين الأممية والقومية ، وكثير من المفكرين يرون ان الانتصار سيكون للاممية ، والشخص العادى الذى يعرف انه سيدفع ثمن الاستمساك بسيادة الحكومة القومية من سعادته ورخائه وشقائه وآلامه سيؤثر المعتقد الأممى إذا تركت له حريته ولم يضغط عليه ، واذا اشتد ايمان الناس بالأممية ازدادت قوة وتمكينا ، وليس من المأمول ان تسير الدول إلى الأممية دون ان تعترضها العقبات لأن العقيدة الأخرى - عقيدة القومية قوية غلابة تسندها الأهواء المتأصلة وتناصرها الميول المتحكمة والعواطف المتغلغلة ويعضدها التعصب والمطامع والحرص على المنافع ، ولكن أنصار الأممية يعتقدون انهم فى جانب الحق والعدالة وان مبادىء الحق والعدالة هى التى تكسب المعركة النهائية وتفوز فى الخاتمة

على أدهم

من روائع التاريخ

المشبوهون

بقلم الاستاذ حسن الشريف

اذا علمت أن «أوفريني» قرية فرنسية صغيرة تقوم فى نهاية اقليم الاين عند تخوم بلجيكا، وقد ظلت حتى اليوم بعيدة من طرق المواصلات الرئيسية، منعزلة عن المدن والعساكر، نائية عن مظاهر المدنية الحديثة بجميع أشكالها. فقد تستطيع أن تتصور ما كانت عليه تلك القرية منذ أربعين ومائة سنة أى ابان الثورة الفرنسية الكبرى، حين لم تكن تضم بين أرجائها أكثر من خمسين بيتاً تؤوي مائتين أو ثلاثمائة من عباد الله المتواضعين كانوا يفلحون الارض ويجيدون صنع السلال ولا يعلمون مما يحدث فى الدنيا قليلا ولا كثيراً

كان على مقربة من أوفريني بيت منيف، عالي الأسوار شامخ الابراج، [illegible]ف باسم «القصر» من غير نسبة الى أحد ولا إضافة تميزه من غيره. ولعمرى علام النسبة والا[illegible] وليس فى كل تلك المنطقة قصر سواه؟

أما صاحب «القصر» فكان سيداً من سادة الريف يدعى كونت أوفريني، ورث عن آبائه غير ذلك القصر أراضى شاسعة وغابات واسعة كان يعيش من دخلها الوافر مؤثراً هدوء الريف على حياة المدن فى ذلك الزمان المضطرب

وقد عاش كونت أوفريني عزبا لا يقلق باله جمع المال لمن يعقبهم من الأولاد، فكان سخى الكف مبسوطها لايضن بشيء على جيرانه القرويين. ومن ثم فقد ظلت علاقاته بهؤلاء الجيران على أحسن حال: كرماً مشرباً بالعطف من ناحية، وولاء مقترناً بالاحترام من الناحية الأخرى. فاذا حزب أهل القرية أمر أو أعوزهم شيء لجأوا الى القصر يستشيرون «السيد» فيما حزبهم، ويسألونه العون على ما أعوزهم، فيبادر «السيد» الى اسداء المشورة الحسنة ومد يد النجدة التى تفرج الضائقة وتذهب الهموم

ولقد كان مقدراً لتلك العلاقات الطيبة أن تظل على صفائها ماظل «السيد» على قيد الحياة.

بيد أن احداث الثورة جاءت فكدرت ذلك الصفاء وأبدلت به جفوة ما كان أحد الطرفين ليتوقعها ولا ليريدها ولكن هكذا قدر فكان

نعم ان صحف باريس لم تكن تتسرب الى ذلك الركن المنعزل من أركان فرنسا ، وهي لو تسربت اليه لما وجدت فى أوفرينى من يقرؤها

ولكن آفة القرى سياسيوها

وما من قرية مهما صغر حجمها وقل سكانها إلا فيها واحد أو أكثر من أولئك « السياسيين » الذين يمتازون من الجهلاء بأنهم يفكون رموز الكتابة ويحفظون جملا وتراكيب يلوكونها لمناسبة ولغير مناسبة فى كل موقف وفى كل مكان ، ويهتمون بالشئون العامة فيستوردون الصحف من أقرب المدن ويقرؤونها على الناس ويفسرون لهم مافيها جهد ماتصل اليهم عقولهم وإن لم يتوافق النص والتفسير فى شيء

فمنذ شبت نيران الثورة واندلعت ألسنتها الى الريف ، أخذ « سياسيو » قرية أوفرينى يتتبعون أخبارها ويستقصون أنباءها ويحدثون الأهل والجيران عما وصلت اليه أحوالها . ثم جاءت الانتخابات العامة بمعاركها المدوية ، فوفد الى القرية ناس من أهل المدن القريبة يمجدون الثورة وأغراضها ويبينون للاهالى مزايا الحرية والاخاء والمساواة ، ويحضونهم على كره الاشراف والنبلاء وذوي الألقاب والثراء ، ويحثونهم على انتخاب الجمهوريين الأحرار والوطنيين المخلصين ، ونبذ « الطغاة » وأعوانهم الذين يستحلون مال الشعب ويلغون فى دمه ويريدون به العسر والجوع والخراب

على أن هذه الخطب النارية والجمل الملتهبة لم تكن لتحدث أثراً كبيراً فى نفوس هؤلاء القرويين لأنهم لايعرفون من الاشراف والنبلاء وذوى الالقاب إلا كونت أوفرينى ، وهو على مايعلمون ، لم يستحل مالا بغير حق ، ولم يلغ فى دم أحد ، ولم يرد بهم شراً ولا فقراً ولا خراباً ، فهم لا يجدون فى قرارة نفوسهم ما يحملهم على بغضه أو ما يدعوهم الى نبذه

بيد أن أهل قرية أوفرينى ناس كسائر الناس ، اذا لم تقنعهم الحملات الخطابية بما تحتويه من عبارات منمقة وكلمات رنانة وجمل جوفاء ، فلا أقل من أن تترك هذه البلاغة الرخيصة فى نفوسهم شيئاً من القلق والاضطراب يشككهم حتى فيما يؤمنون بأنه الحق الذى لا مرية فيه . فلا عجب — وقد تكررت وفادة خطباء المدن عليهم — ان ساورهم الشك فى حقيقة ذلك «السيد» الطيب المحسن ، المقيم بالقرب منهم ، وان أحسوا نحوه شيئاً لم يعرفوا ماهيته تماما ولكنه مزيج من الريبة والحذر والنفور ، غشى ثقتهم به وحبهم له بسحابة كدرة أوهنت من تلك الرابطة القوية التى ظلت تربطهم به الى ذلك الحين

ولقد أحس كونت أوفرينى منهم ذلك الفتور فى العلاقات ولاحظ تلك المباعدة بين الزيارات.

وأدرك أن سموم خطباء الثورة قد بدأت تسرى فى دمائهم وأن تهريج سياسي القرية قد أخذ يعمل عمله المدمر فى عقولهم ، ولكنه لم يشأ أن يعتب ولا أن يؤاخذ ، بل آثر أن يتجاهل كل شيء وأن يتظاهر بمظهر الرجل السليم الطوية الخالى الذهن مما يجرى حوله أو يظن به أو يقال فيه ، واعتكف فى قصره اعتكاف الحكيم الغنى عن الناس ، ان أقبلوا عليه أحسن استقبالهم وان أعرضوا عنه لم يحقد عليهم بل طلب لهم من الله الهداية والغفران

أما من ناحية السياسة والأوضاع الجديدة التى استحدثتها الثورة فى البلاد فان الكونت ، وهو الذي لم يستعمل يوما من الايام حقاً من حقوق أمثاله السادة المقطعين ولم يستغل امتيازاً من امتيازاتهم ، لم يثر كما ثار غيره من النبلاء حين ألغت حكومة الثورة تلك الحقوق والامتيازات . ولما لم يكن قد أتى فى ماضيه ولا فى حاضره جريرة مما تأخذ به الحكومة الثورية اشراف البلاد فتقطع رؤوسهم من أجلها أو تزج بهم فى غيابات السجون ، فانه لم يشأ أن يهاجر كما هاجر الاشراف ، بل آثر أن يظل فى عزلته القصية الى أن تهدأ العاصفة ويصفو الجو وتعود السكينة الى البلاد

وكان من عادة كونت أوفرينى أن يحيى فى قصره كل سنة ذكرى مولد السيد المسيح فيقيم فى القصر حفلة ساهرة تجمع بين الغناء والرقص والسمر ، يدعو اليها أهل القرية ونساءهم ، فيؤدب لهم مأدبة فاخرة يجدون فيها من ألوان الطعام والشراب ما يشبعون به بطونهم ويملأون بالفائض منه سلالهم التى يغدون بها فارغة ويعودون بها طافحة ، وأن ينصب لهم فى وسط البهو الكبير شجرة عيد الميلاد وهي صنوبرة يقطعها من البستان فيزين فروعها بمصابيح زاهية الألوان ويعلق فى أغصانها لعباً متباينة الأشكال وعلبا من الحلوى مختلفة الأحجام ويحيط قاعدتها بالفطائر الشهية والمسكرات المغرية ، ثم يدعو اليها أطفال القرية فيأتون مع أهلهم ويظلون ساهرين حتى اذا ما انتصف الليل وزعت عليهم بطاقات تحمل كل واحدة منها رقماً يقابله رقم مثله على لعبة أو علبة أو فطيرة ، فتكون اللعبة أو العلبة من نصيب صاحب البطاقة التى تحمل ذات الرقم

ولقد كانت ليالى عيد الميلاد فى قصر أوفرينى تبلغ من البهجة والروعة والكرم مبلغاً يجعلها طول السنة حديث الرجال وأمنية النساء وحلم الاطفال ، ينتظرونها فى صبر ممض ويستقبلونها كما يستقبل المحروم حلو الأمانى بعد طول الانتظار

فلما كان شتاء عام ١٧٩٣ ، عام اشتداد وطأة حكم الارهاب والطغيان ، وحلت ليلة عيد الميلاد ، لم يشأ كونت أوفرينى أن يراعي مقتضيات السياسة القائمة ولاحالة هياج الشعب على الأغنياء والنبلاء ، فأراد أن يقيم حفلته السنوية وفقاً لما جرت عليه عادته ، وزين القصر بالأنوار وأدب المأدبة وأقام المرقص ونصب شجرة عيد الميلاد ، وجعل ينتقل بين الأروقة والأبهاء والحجرات متفقداً كل شيء عاملا على أن تستكمل الحفلة كل مسراتها وأن تستوفى كل مباهجها

وبينما هو فى ذلك اذا به يسمع صليل جرس الباب الخارجى فظن أن أضيافه ـ لفرط اشتياقهم الى شهود حفلته ـ قد أقبلوا عليها قبل الموعد المضروب . ولقد لبث ينتظر أن يرى أفواج الاطفال والنساء تتدفق فى الأروقة والغرف والأبهاء ، ولكن شد ما كانت دهشته عند ما أبصر الخادم يدخل عليه رجلين اثنين ، أحدهما جيرار عمدة القرية والثانى بيرو شيخ البلد وليس وراءهما أحد من المدعوين

كان الكونت يعرف هذين الرجلين : فجيرار ، العمدة ، فلاح أمي ، أولا يفضل الأمي بكثير ، رضى الخلق يعرف قدر نفسه فلا يتعالى على أحد ولا يضمر لأحد سوءاً . أما بيرو ، شيخ البلد ، ففظ غليظ الطبع حسود ، غره بنفسه أنه تعلم من القراءة فك رموز الخط ولو بجهد جهيد ومن الكتابة رسم الحروف على الورق ولو بعناء شديد . ولقد ظن أنه بذلك قد بلغ من العلم نهايته ومن الكمال ذروته ، فسجل اسمه عضواً بنادى اليعاقبة الثورى فى أقرب مدينة الى أوفرين واشترك فى صحيفة ثورية كان يقرأها على بلديه قراءة مكسرة لا يفهم ولا يفهمون منها كلمة ، ونصب نفسه زعيما سياسياً لأهل القرية ، يلقنهم كل يوم أن ليس لأحد من الناس أن يستعبدهم وقد ولدتهم أماتهم أحراراً ، وأن العبودية والذل انما هما فى مجاسنة الاشراف ومجاملة النبلاء ، وأن قوانين الحرية وأصول الكرامة الانسانية لا تسمح بأن تكون لهم صلة بصاحب القصر ولو كانت صلة مصالح مشتركة أو منافع تعود عليهم بالخير

نعم دهش الكونت من هذه الزيارة بعد أن طال انقطاع العمدة وشيخ البلد عن القصر ، ولكنه أخفى دهشته ومد يده ليصافح الرجلين . فتناول بيرو هذه اليد بأصابع مترددة متراخية ونظر الى شجرة عيد الميلاد نظرة محتقرة متهكمة . وأحنى جيرار رأسه فى أدب متكلف ورد التحية بفتور ظاهر . وأراد الكونت أن يمهد للحديث فلم يكد يشكر لهما تفضلهما بسبق المدعوين الى تشريف داره ، حتى قطع عليه جيرار الكلام قائلا : « لا ، ليس هذا بالسبب الذى جئنا من أجله . أليس كذلك يا بيرو ؟ »

وقال بيرو : « نعم ليس هذا سبب مجيئنا »

ودعاهما الكونت الى دخول حجرة مكتبه وهو يقول : « ان لدى فترة من الوقت أستطيع فيها الاستماع اليكما ريثما يفد المدعوون » ولكن بيرو استوقفه ، وقال : « نود أن نصارحك بالحقيقة . .والحقيقة أن مدعويك لن يجيئوا فمن العبث أن تنتظرهم »

قال الكونت : « كيف ذلك ؟ ولم ؟ » فغمغم جيرار قائلا : « نحن آسفان . . آسفان حقاً . ويستطيع مواطنى بيرو أن يعبر لك عن مبلغ أسفنا . . ولكن هؤلاء المدعوين فكروا . . ثم رأوا . . أن الظروف لا تسمح للوطنيين الصادقين فى تعلقهم بالحرية والمساواة أن يشتركوا فى بعض المظاهر المشوبة بالارستقراطية ... »

وابتسم الكونت وقال: « ما هذا الذى تقول يا صديق بيرو ؟ وكيف يصح فى الأذهان أن ما كان خيراً فى نظرهم حتى العام الماضى ينقلب شراً فى هذا العام ؟ وهل يجوز أن نستنكر اليوم ذكريات كنا نمجدها بالأمس إلا أن تكون موازين الأشياء قد اختلت والاخلاق تغيرت ؟ »

وأدرك بيرو ان لا سبيل الى نقض هذا المنطق بكلام معقول،فعمد الى بعض ما وسعته ذاكرته من كلمات وعبارات رآها فى الصحف الثورية أو سمعها فى خطب اليعاقبة فقال:

« كفى مداورة أيها المواطن ولنقلها كلمة صريحة .. اننا ، نحن الجمهوريين ، إذا قررنا مقاطعة حفلاتك فلأنها مظاهرات ارستقراطية تستفز الضمير البشرى وتعارض أبسط مبادىء الاخاء والمساواة »

ولم ير الكونت فائدة فى الاستمرار فهز كتفيه وقال: « لعلنا ننتهز فرصة أخرى من الوقت أوسع من هذه فتفسر لى يا مواطنى بيرو كيف أن صنوبرة مزينة بالفوانيس ومحملة ببعض الحلوى والفاكهة تعارض مبادىء الاخاء والمساواة . أما الآن فحسبنا هذا القدر من الحديث ، ولنرجىء بقيته الى أن تتحسن الأحوال وتهدأ ثائرة العقول »

ثم نهض واقفاً كمن يأذن لزائريه بالانصراف ومد اليهما يده وهو يقول: « أليس لديكما ما تقولانه غير ذلك ؟ »

وتلعثم جيرار، واستشار صاحبه بعينيه ثم قال: « معذرة وعفواً يامواطنى ، فقد جئت استشيرك فى مسألة من نوع لا عهد لى بمثله ، ولست أشك فى أن معلوماتك الواسعة ستوجهنى فيها خير وجيه ... »

قال الكونت وهو يتعجب من هؤلاء الذين يقررون مقاطعته ولا يستغنون عن مشورته:

— « تكلم »

وانطلق جيرار يفصح عن مسألته فذكر أنه أمضى فى منصبه ثلاث سنوات تعود فى خلالها أن يتصرف فى المسائل الادارية والرسمية بما يمليه عليه عقله ومايوحى اليه به مساعدوه ، فاذا استشكل عليهم أمر أو تعقدت أمامهم مسألة هرعوا الى الكونت يستنيرون بخبرته فيها باعتباره أذكى المواطنين وأعلمهم . أما اليوم فهو ازاء مشكلة لم يعرض له مثلها من قبل . ذلك أن لجنة انقاذ البلاد (١) Le Comité de Salut Public أرسلت اليه بواسطة مدير الاقليم كتابا تطلب منه فيه قائمة بأسماء « المشبوهين » فى قريته . ثم قال:

« ... ولقد أجهدت عقلى لعلى أفهم معنى كلمة المشبوهين أو ما يمكن أن ترمز اليه فلم افهم لها معنى ولم أقف لها على مدلول . ولقد فزعت الى صديق بيرو هذا والى جميع أذكياء القرية فألفيتهم

(١) الاسم الذى كان يطلق على مجلس الوزراء أو الهيئة التنفيذية فى عهد الثورة الفرنسية الكبرى

مثلى فى جهل معناها ومرماها ، لم يسمعوها من قبل ولا يعرفون أحداً سمع بها . فهل لك أيها المواطن (١) أن تقول لى ما المراد بكلمة مشبوه ؟ »

ونظر الكونت الى الرجلين نظرة فاحصة سريعة أيقن منها أن لا خبث فى كلامهما وأن سؤالهما لا ينطوى على شىء غير ما هو ظاهر منه . ومرت بذهنه مناظر عهد الارهاب وتذكر القوائم المشهورة ، قوائم المشبوهين Liste des Suspects التى تأمر الحكومة الثورية مديري الأقاليم بأن يدونوا فيها أسماء الذين يرتابون فى ولائهم للحكم الجمهورى أو يظنون فيهم الميل الى النظام الملكى البائد ، فلايتردد المديرون فى أن يملأوها باسماء الأشراف والنبلاء وذوي الأموال والألقاب وكل من يمت الى الارستقراطية الملكية بسبب ، ثم يرسلونها الى الحكومة فلا تلبث أن تأمر بالقبض عليهم جميعاً فيحشرون في السجون ريثما يتلقاهم النائب العام « فوكيه تانفيل » بتحقيق صورى وجيز يرسلهم من بعده الى ساحة الاعدام حيث تحصد رءوسهم سكين المقصلة

وفكر الكونت فيمن عسى تنطبق عليهم كلمة المشبوهين فى قرية أوفرينى ، فلم يجد الا نفسه ولم ير بداً من أن يتحايل لينجو من الهلاك فتبسم وقال :

« نعم .. نعم . انى أعرف ذلك : «مشبوه» تعبير جديد سمعته فى هذه الايام ولم أكن أسمعه من قبل .. ولكن ما المقصود بتحرير قوائم المشبوهين في هذه القرية ؟ »

قال العمدة جيرار ، وهو يمد اليه كتاب الحكومة : « نحرر القوائم ونرسلها الى لجنة انقاذ البلاد لتقوم ، كما تقول في كتابها هذا ، باتخاذ التدابير اللازمة نحو أولئك المشبوهين »

فهز الكونت رأسه وهو يغمغم بين شفتيه : « التدابير اللازمة . . » ثم انطلق يتكلم فى أكثر ما يمكن من الجد فقال :

« الأمر كما يظهر جد خطير يا صديق جيرار . اذن فاعلم أن الحكومة الثورية تريد أن تعرف أسماء الذين امتازوا من أهل القرية منذ بدء الثورة الى اليوم بوطنيتهم السليمة واخلاصهم للمبادىء الحديثة وكرههم للنظام القديم . . »

وكان بيرو يمد رأسه ويرهف أذنيه حتى لا تفوته كلمة . وقد استطرد الكونت فقال :

« وما من شك فى ان لجنة انقاذ البلاد تريد أن تكافىء أولئك الجمهوريين المخلصين لها الموالين لأنظمتها ومبادئها بتوزيع الوظائف واجراء الارزاق عليهم . فالمشبوهون ، فى لغة الادارة ، هم الذين يجوز أن تغدق الحكومة عليهم هذه النعم باعتبار كونهم قد استحقوا تقدير الوطن »

وأسرع بيرو فقال : « هذا ما خطر لى أول وهلة ولكنى ترددت فيه »

فقال الكونت : « ان هذا لا يدهشنى يا بيرو ، فلقد صدقت اذ قلت لى ان حكومة الجمهورية

---

(١) المواطن Citoyen كلمة حلت محل جميع الألقاب بعد الغائها فى عهد الثورة فكان القوم يتنادون بها بدلا من قولهم يا سيدى Monsieur

قد ظفرت بجميع أعدائها فأوردتهم موارد التهلكة . . فالآن لم يبق أمامها الا ان تجزى أصدقاءها وأنصارها أحسن الجزاء . . . ان الجمهورية التى أجهزت على خصومها لا يسعها أن تنسى رجالها . . ووالله اذا كان فى كل ذلك ما يؤلمنى فهو ان اسمي لن يظهر فى قائمة الشرف التى يسمونها قاعة المشبوهين »

وقال العمدة مجاملا : « لو كان فى ذلك ما يرضيك . . »

فقطع عليه الكونت الكلام قائلا : « لا . لا . . ان صفتى الارستقراطية ولقب النبل الذى أحمل لا يسمحان بذلك والا ظنت الحكومة بك الظنون . على انى لم أعمل لخدمة الجمهورية شيئا حتى أستحق ان يذكر اسمى بجانب أسمائكم أنتم يا من جاهدتم فى سبيل الحرية والمساواة »

وبدت علامات الحيرة على وجه العمدة وقال : « إذن فأضع اسم زميلى بيرو فى أول القائمة »

— فكرة حسنة ورأى سديد يا جيرار

ونظر الكونت الى بيرو الذى كان يبتسم ابتسامة الحيي الذى أخجل المدح كبرياءه وقال : « لا تبخس نفسك قدرها يا بيرو ولا تتواضع فى مواطن اظهار الجدارة والاستحقاق . لقد أفنيت نشاطك فى خدمة الجمهورية ، فلماذا تتوارى عند ما يحين يوم المكافأة وتقدير الخدمات ؟ قم يا جيرار الى مكتبي واكتب »

وسار جيرار الى المكتب وجلس وتناول القلم بأصابعه الغليظة وجعل يخط على الورقة كلمات شوهاء في سطور متعرجة ، وكان يتهجى كل كلمة حرفا حرفا ويجهد نفسه فى تحسين خطه وقد تناثرت قطرات العرق على جبينه وتدلى لسانه من بين فكيه ، فلما أتم العنوان عدل قامته فى زهو وقرأ : « قائمة بأسماء المشبوهين فى ناحية أوفرينى » . ثم نظر الى الورقة معجباً واستطرد قائلا : « انتهينا من العنوان والآن الى الاسماء .. بيرو .. أولا .. ثم من ؟ .. لا يمكن أن نكتفى باسم واحد والا فما أفقر قريتنا فى الرجال ! »

وقال الكونت وهو يبدى أمارات الجد والاهتمام : « طبعاً . . اسم واحد لا يكفى ، وأنت تعرف أهل بلدك أكثر مما أعرفهم . . خذ اسم هافار ، فان حبه للجمهورية والاخاء والمساواة جعله يتنكر لى وينسى عوارفى لديه وصار كلما رآنى لا يتورع عن أن يصيح : الى المشنقة . . مثل هذا الوطنى المخلص لا يترك . . وعندك أيضاً راندون . . فهو صادق الايمان بمبادىء الثورة حتى انه يستبيح الصيد فى غاباتى زاعماً أن القوانين التى تحمى الملكية وتحرم الصيد فى ملك الغير لم يبق لها وجود . . مثل هذا أيضاً لا يترك . . وجانديل الذى كسر صليب القرافة بدعوى أن الثورة ألغت الاديان .. ودوكين الذى يأبى أن يرفع قبعته لتحيتى زاعماً انالأدب لا يتفق ومبادىء المساواة .. أولئك كلهم ناس برهنوا على تعلقهم بالحكم الجمهورى والمبادىء الثورية »

وكان جيرار يكتب هذه الاسماء الواحد بعد الآخر ، فلما انتهى من كتابتها رفع رأسه وقال في

حياء شديد : « وماذا يكون اذا وضعت اسمى أنا أيضاً »

وعز على الكونت أن يعبث بسذاجة هذا الفلاح الطيب الى هذا الحد ، فقال : « لا يحسن بك أن تفعل ذلك يا مواطنى جيرار ، فأنت عمدة القرية وستوقع القائمة بامضاءتك ، فليس جميلا منك أن تزكي نفسك وتطلب مكافأة »

وفى المساء أرسل جيرار قائمة المشبوهين الى لجنة الانقاذ وقلبه مفعم بالأسى لأن اسمه غير مدرج بها . أما بيرو فلم تطاوعه نفسه على كتم الخبر فنشره فى القرية كلها مؤكداً أن الواطنين أعضاء لجنة الانقاذ لن يبطئوا فى دعوته الى باريس ليمنحوه المكافأة التي يستحقها . . ولعلها وظيفة سامية أو نفحة مالية محترمة أو اقطاع من أملاك النبلاء . . ومن يدرى ؟ فلعلها خير من كل ذلك بكثير !

ويا ما حسده الحاسدون وغبطه الغابطون يوم جاءت شرذمة من الشرطة صباح يوم من الأيام تحمله فى مركبة هو وجانديل وراندون ودوكين وسائر المشبوهين الى باريس حيث تنتظرهم الهبات المالية والمناصب والاقطاعات . فلقد ذهب العمدة جيرار الى امرأته عابس الوجه مقطب الجبين يقول لها والأسى يقطع نياط قلبه : « ما تنقضى منى حسرة ولا أسف كما ذكرت أن القلم كان فى يدى فلم أكتب به اسمى بين أسماء أولئك المشبوهين المحظوظين ، تباً للكونت فلو تركنى لنفسى لكنت الساعة فى طريقى الى باريس » فقالت ، وهى تتنزى من الألم : « لعلك تعلمت بعد هذه المرة ان لا تصغى الى نصائح أولئك النبلاء المناحيس »

ويا ما تحرج موقف العمدة أمام فتيان القرية ورجالها لما علموا رحيل الفوج الأول من « المشبوهين » السعداء الذين رشحهم لمكافآت الحكومة ، فثارت ثائرتهم عليه واتهموه بأنه ظلمهم وانتقص أقدارهم وآثر عليهم من هم دونهم فى الوطنية والايمان بالمبادىء الثورية . ولم يدعوه حتى كتب قائمة مشبوهين جديدة لم يهمل فيها ذكر أحد منهم حتى اسمه هو لم يفته أن يجعله فى رأس القائمة . ولقد خطر للكونت أن يتفقد أحوال القرية ويتنسم أخبارها ، فما أن جال فى أنحائها جولة حتى أدهشه الصمت المخيم على دورها وطرقاتها . ولقد استخبر فخبر بما كان من أمر أشداء القرية مع عمدتهم وأن شراذم من رجال الشرطة هبطت القرية بعد ذلك باسبوعين على عربات نقل كبيرة فكدست فيها فتيان البلدة ورجالها تكديساً وذهبت بهم الى باريس ، وقد مضت على سفرهم ستة أسابيع كاملة ولم يصل القرية عنهم خبر فلا يعلم أحد عنهم شيئاً

* * *

هدأ بال كونت أوفرين وطابت نفسه بعد ان احتوت سجون باريس جيرانه المزعجين الذين لو طال جوارهم له لطغوا عليه ولاستلبوه ضياعه وماله باسم الحرية والمساواة . وهكذا استطاع أن يعيش فى قصره آمناً طول عهد الارهاب

فلما انقضى ذلك العهد الاسود بويلاته وبلاياه وعاد الى فرنسا أمنها وسلامها على أثر سقوط الطاغية روبسبير وقيام الحكومة الادارية ، سافر الكونت الى باريس ليتعرف مصير « المشبوهين » ولينقذ من غيابات السجن من بقى منهم على قيد الحياة . ولكن المظالم التى نزلت بالشعب أيام الارهاب كانت أكثر من أن تصفى فى شهر أو فى شهور ، فوجب أن يلبث أولئك المساكين فى سجونهم الى أن تفرغ الحكومة من مشاغلها فتنظر فى أمرهم

ولاحظ شيوخ فى القرية أن الكونت يكثر من السفر الى باريس ولكنهم لم يتبينوا سبب ذلك إلا بعد أن رأوا الشبان والرجال الغائبين يعودون اليهم أفواجا حيارى خجلين مما آل اليه أمرهم فى باريس وهم انما ذهبوا اليها ليستولوا على المناصب والاعطيات

ولئن شكر أهل القرية للكونت سعيه الحميد فى سبيل تسريحهم من السجون ، فقد ظلت سحابة من الغيظ تغشى قلوبهم كلما ذكروا أن هذا السيد الماكر قد لعب بعمدتهم وخدعه خدعة كادت ، لولا لطف الله ورحمته ، أن تؤدى بهم جميعاً الى الهلاك . على أن ما علموه بعد عودتهم من أن الكونت كان يكفل عيالهم ونساءهم وشيوخهم طول غيبتهم قد أحدث أثره فى تبديد تلك السحابة واعادة المياه الى مجاريها ، فلم تقبل ليلة عيد الميلاد لسنة ١٧٩٤ حتى كان قصر أوفرينى يعج بأهل القرية وقد أحاطوا عند منتصف الليل بالصنوبرة الغنية يستجلون محاسنها ويلتقطون لعبها وحلواها جذلين مبتهلين

وحانت من الكونت لفتة فلاحظ أن العمدة جيرار يتوارى وراء الناس حياء كأنه يحس غرابة موقفه فى تلك الليلة بعد ما كان منه فى العام الماضى ، فمد اليه يده وجذبه الى الصف الأول من صفوف الحاضرين . ولقد نظر الكونت الى الفلاح ، ونظر الفلاح الى الكونت نظرة طويلة أعقبتها ضحكة عالية أغنتهما عن كل افصاح

قال الكونت : « أتحقد على يا جيرار ؟ »

فأجاب : « لا والله ياسيدى الكونت ، فلو أنى عرفت معنى كلمة « مشبوه » وأدركت حقيقة المراد من تحرير تلك القائمة الملعونة ما وضعت فيها اسماً غير اسمك . وانى لأحمد الله على هذا الجهل الذي حفظك لنا وأبقاك بيننا ، فلعمرى لو ذهبت الى هناك لما قدرت لك عودة ولا كتبت لك سلامة. لقد شاهدت الامور بنفسى هنالك وعرفت كيف كان المشبوهون يحاكمون وكيف كانوا يموتون . فاذا كنا نحن قد بقينا أحياء فلأننا صعاليك لا قيمة لنا ولا خطر ، ولذلك أهملونا أو أرجأونا . . أما أنت يا سيدى الكونت ... »

ثم مال عليه وهمس فى أذنه :

« ومع ذلك فقد أخلصت لى النصيحة ياسيدى وأشرت على بأن لا أضع اسمى فى القائمة ولكنى أسأت بك الظن وأصغيت الى امرأتى .. حقاً ان الله قدر ولطف »

حسن الشريف

العقلية الإنجليزية في السياسة والاجتماع

للنائب الفرنسي بيير لابي

في هذا الكتاب طائفة من الآراء والنظرات تصب ضوءاً ساطعاً على العقلية الانجليزية فى دائرتى السياسة والاجتماع وقد راعينا فى تلخيصه الدقة والوضوح والتركيز بحيث يسهل على القارىء استجلاء غوامض السياسة الانجليزية والخلق الانجليزى

النزعة الارستقراطية

يرمى التعليم فى انجلترا الى تكوين الخلق أكثر مما يرمي الى توسيع الذهن ، والطالب الانجليزى خريج كليات ونشستر أو هارو أو راجبي أو ايتون أو سان بول ، هو شاب تعلم كيف يطيع رئيسه ويخلص للكتلة التى ينتمى اليها ، ويحذر الكذب ما استطاع ويكبح عواطفه جهده ، ويجاهد ليقر حكم نفسه على أعصابه وشهواته

ويسرف الانجليز في تدريب أبنائهم منذ الصغر على الألعاب الرياضية ، اسرافا يطغى فى بعض الأحيان على ملكات الفكر ، ويشيع في الاحداث والشبان نزعة كسل ذهنى وبلادة عقلية كثيراً ما تقترن بنوع من الرخاوة مصحوب بشىء من الانانية وعدم الاكتراث

والواقع أن الافراط فى الولع بالألعاب الرياضية يولد فى نفس الفرد الانجليزى ظاهرة ارستقراطية تتمثل فى حب الحياة وحب الرفاهية وحب المتعة الميسورة والفرار من كل مسئولية خطيرة تتطلب امعان النظر والتفكير فى الغد والقيام بتضحية سريعة واجبة

والانجليز يحبون السلم ليتمكنوا من الانصراف الى التمتع ، فهم أغنياء ، وهم شعب تقاليد ، وهم تجار مغرمون بمحاكاة الطبقة الارستقراطية التى تحكمهم

ولقد دفعهم حب الرفاهية المنحدر من إسرافهم فى تمجيد الرياضة ، وتقليد الارستقراط ، الى اغفال الدفاع عن مصالحهم عقب الحرب الكبرى

اطمأن ساستهم الى نظام عصبة الأمم ، فكفوا عن التسلح خمس سنوات كاملة ، وفى خلال هذه السنوات الخمس تهالك الشعب على التمتع ، وأنفق على ملاهيه بسخاء ، وحقق تلك الحياة الارستقراطية الناعمة التى ما ينفك يطمح اليها

فهم قد ربحوا الحرب بعنادهم واصرارهم وقوة أخلاقهم ، ولكنهم خسروا السلم لفرط حبهم الرفاهية ومتع الحياة . غير أنهم الآن وقد أحسوا خسارتهم ، بادروا الى التفكير والعمل بهمة خارقة وعزم لا يعرف الكلل

نشطوا الى التسلح ، مع احتفاظهم فى نفس الوقت بحب السلم أى بحب الحياة ...

وإذا كان المستر تشمبرلن على الرغم من سعيه لاقرار السلام فى أوربا ، ينادى بضرورة استئناف التسلح ، فليس ذلك لأنه يريد الحرب ، بل لأنه ينشد السلم الثابت الموطد من طريق الارهاب أسوة بالأساليب القائمة على العنف التى يستخدمها موسولينى وهتلر

وإذا قدر له النجاح واتفقت الدول الأوربية الأربع على عقد ميثاق عدم اعتداء ، أو استردت العصبة مكانتها الأولى ، فيكون الانجليز أول من ينادون بعقد مؤتمر لتخفيض السلاح

لماذا ؟ . . لأنهم يكرهون الحرب ولأن من خصائص الرجل الارستقراطى الثرى تجنب كل ما من شأنه اقامة العراقيل فى طريق نمو ثروته واستمتاعه بالحياة

وإلى هذه الظاهرة يرجع ميل الانجليز الى الحلول الوسطى . فهم لاحساسهم بقوتهم وغناهم لا يترددون فى الاعتراف لك بشىء من القوة والثروة على شريطة ألا تطمع فيهم ، وألا تحاول أن تطغى عليهم، وأن تلزم حدك المشروع ، وتدعهم فى هدوئهم يعيشون ويستمتعون بسلام

على أن ما يجب لفت النظر اليه لأهميته العظيمة ، هو أن رغبة التمتع عند الانجليز ، ليست رغبة حيوانية وضيعة ، بل هى رغبة انسانية مادية وروحية ، يشعر بها كل شعب بلغ درجة عالية فى سلم الحضارة

فنفس الانجليزي تصبو الى الأجر الكبير ، والطعام الطيب والكساء الجيد والحياة فى بيت نظيف أنيق ، والقدرة على تعليم أبنائه وتربيتهم ، والفوز بأوقات فراغ تمكنه من ممارسة الالعاب الرياضية ، والاشتراك فى مختلف الأندية ، ومطالعة الكتب والصحف ، والاتصال الدائم بالحياة العامة

فهو لسمو رغبته فى التمتع ، ولأسلوبه الخاص فى البحث عن متعه فى دائرة الشرف والاستقامة والخلق المتين ، يحتفظ بجوهر نفسه خالصا ، فاذا ما دقت ساعة الخطر وطالبته الدولة بالمغامرة والتضحية ، أسرع فنزل بطيبة خاطر عن ملذاته ومتعه ، وكان له من خلقه أكبر معوان على احتمال أعظم التضحيات

وتلك هى أروع فضائله

ولا ينبغى أن ننسى أن الأصل فى نزعة التمتع عند الانجليزى ، شعوره بالاطمئنان الى الحياة والمستقبل ، وأن هذا الشعور مستمد من تاريخ انجلترا نفسه

والحق أن انجلترا منذ عهد الفتح النورمندى لم تكن فريسة لغزو . ولقد ساهمت فى حروب طويلة واحتملت أهوالها وهزمت فى بعضها ، غير أن النصر كان يحالفها فى معظم الأحيان

فالفرد الانجليزى لا ينسى أبداً أن الملكة اليصابات أغرقت أسطول أرمادا ، وأن مارلبورو تحدى لويس الرابع عشر وأقصاه عن هولندا ، وأن بريطانيا كسرت شوكة نابليون بعد كفاح استغرق خمس عشرة سنة ، وهزمت الترنسفال بعد حرب دامت ثلاث سنوات ، ودوخت جيوش غليوم الثانى فى أربعة أعوام ، وأنشأت فى مدى قرنين امبراطورية بسطت سلطانها على مناطق واقعة فى القارات الخمس

فهذه الانتصارات المتلاحقة ، وهـذا الحظ المؤاتى ، وذلك الأمن المكفول ، وتلك الثروة الواسعة ، كل أولئك يحبب الانجليزى فى الحياة ، ويملأ نفسه ثقة بالمستقبل ، ويفعم صدره بنشوة الاطمئنان ، ويغريه بالاستهتار وعدم الاكتراث للغد

ومن هنا كانت سياسة بريطانيا فى مجموعها سياسة قائمة على التلكؤ والتباطؤ وغض الطرف عن العدو ، وتركه يتوسع ويتقوى ويتضخم ، حتى اذا ما وضحت نواياه وجاوز حده واستفحل خطره وهدد الامبراطورية أو نافسها ، هب الانجليز لمحاربته غير حافلين بما أصبح فيه من قوة وغير نادمين على الفرص التى كان فيها ضعيفاً وكان فى مقدورهم انتهازها لاحراز النصر عليه بأيسر جهد وأقل كلفة

ولقد كانوا قبل الحرب الكبرى يخطبون ود المانيا شأنهم الآن ، وكانوا يتبرمون بفرنسا ويناوئون روسيا . فلما استفحل خطر الاسطول الالمانى وخطر التغلغل الاقتصادى الجرمانى فى الشرقين الأدنى والأوسط ، تقربوا الى الفرنسيين والروس ، وحاربوا المانيا . ويخشى أن يقع غداً ما وقع بالأمس . فالمانيا اليوم تنافس بريطانيا فى القسم الجنوبى الشرقي من أوربا ، وتسعى لتوطيد نفوذها الاقتصادى من الرين الى البحر الاسود . وقد يمتد سلطانها في القريب العاجل الى العراق وايران وأفغانستان

فمتى تم ذلك ، ومتى تم فقط ، تستفيق انجلترا وتشرع في تبديل سياسة المصالحة الراهنة وتفكر فى عقد المحالفات وتأليب الدول على المانيا

الانجليز بين الروح العملية وسلطان العواطف

يخطىء من يعتقد أن الانجليز قوم عمليون فحسب

إذ الحقيقة أن الروح العملية تقترن فى نفوسهم بشعور دينى وأخلاقى عميق

والغريب فيهم أنهم لا يلحظون النفاق الذى يكتنف بعض تصرفاتهم السياسية والاجتماعية

فهم يدافعون عن مصلحتهم ، ولكن فى ثوب الدفاع عن العدل ، فتختلط فى أذهانهم فكرة المصلحة بفكرة العدل الى حد أنهم ينسون الباعث الأصلى وينقلب دفاعهم عن المصلحة الى دفاع مجرد عن رسالة نبيلة نزيهة ، يدهشهم من الغريب أن يسيء الظن بها ، ويثيرهم منه أن يفضحها ويشير فى صراحة الى الغايات الخفية منها

ولقد حدث ابان حرب الحبشة أن اعتلى خطيب شيوعى احدى المنصات وصارح المستمعين بأن انجلترا لم تغضب لانتهاك حرمة العدل فى شخص دولة ضعيفة ، وانما غضبت لخوفها على منابع النيل ، فثارت ثورة الجماهير وكادت تفتك بالخطيب ، لولا أن تداركته سيدة انجليزية بقولها : « ان كل ما فيه مصلحة لانجلترا فيه نصر وتوكيد للخير والعدل ! » فهتفت لها الجماهير وأعرضت عن الخطيب الشيوعى وانصرفت لسماعها

ويلاحظ على ساسة الانجليز أنفسهم أنهم لا يستنكفون الأخذ بالعواطف وتغذية الروح العملية بها ، متى وقعوا فى ورطة سياسية وأرادوا التملص منها

وهذا ما فعله المستر تشمبرلن

أراد تعبئة الرأى العالمي كله ضد هتلر فى أثناء أزمة السوديت ، أراد أن يكسب عطف العالم ويلقى على الزعيم الالمانى وحده مسئولية الحرب ، فيلقى الرعب فى نفسه ويحمله على التقهقر

فماذا فعل ؟ .. لجأ الى العواطف

ضحى بكرامته وكرامة الامبراطورية وذهب بنفسه الى هتلر على متن طائرة استقلها لأول مرة وهو شيخ فى السبعين !

هذا العمل هز أعصاب الناس ، أثار عواطفهم ، فلو أن هتلر قابله بالعداء ، لانحاز العالم بأسره الى صف تشمبرلن ، وظهرت بريطانيا لا بمظهر الجنتلمان فقط ، بل بمظهر الفارس البطل (سان جورج) رسول السلام وقاتل التنين ومنقذ الانسانية ! . .

فالعواطف والحالة هذه تستخدم كمناورة ، مناورة يقصد بها تعزيز مصلحة مادية مباشرة

ولقد خدع الكثيرون بعواطف الانجليز واعتبروها ظواهر مجردة ، وفصلوا بينها وبين العامل المصلحى وتوهموا أنها قوة ثابتة دائمة ، ولكن السياسة الانجليزية تتخذ من العواطف وسيلة لا غاية ، فهى لا تعرف الصداقة ، ولا تفهم المجاملة ، ولا تحفظ الجميل ، بل هى فى صميمها غادرة جاحدة متلونة ، لا لشر متأصل فيها ، بل لأن الحياة نفسها متلونة ، والمصالح والأغراض متقلبة ، وقانون التنازع الذى يهدم اليوم قوة ليقيم فى الغد قوة أخرى ، لا يجيز التعصب العاطفى لجانب معين ، بل يفرض — على النقيض — تضحية الصديق أو الحليف تمشياً مع الواقع ومسايرة للتطور وتقربا الى القوى الجديدة المتوثبة النامية

ولقد ضحت انجلترا بفرنسا ، وتخطتها وعقدت مع الالمان معاهدة بحرية منفصلة لأن الالمان كانوا قد أصبحوا أقوياء

وضحت بالحبشة أيضا واعترفت بفتحها مبتغية صداقة الطليان الاقوياء

وتخطت حليفتها فرنسا للمرة الثانية وعقد تشمبرلن مع الزعيم هتلر شبه اتفاق ثنائى بعدم الاعتداء ، نظرت فيه بريطانيا لمصلحتها الخاصة غير حافلة بما أحدثه مسلكها فى الدوائر الفرنسية من سخط وامتعاض

وليس شك فى أن اتباع هذه السياسة كان فى بعض الأحيان وبالا على البريطان ، فاستهدفوا لنقمة حلفائهم وجعلوا منهم خصوما الداء ، ومع ذلك فبريطانيا لن تتحول ولن تتبدل ولن تعدل عن هذه السياسة ، لان العقلية البريطانية لا تستهدى المنطق بل ظروف الحياة ، ولا تهتم بالامس قدر اهتمامها باليوم ، ولا تخشى الغد لفرط اعتدادها بنفسها ، وايمانها بأن قواها الفذة المجربة كفيلة بحل مشاكل الغد

كل انجليزى شاعر

ان حياة الجزر ذات الجو المكفهر الضبابى ، ونظام التربية القائم على ضبط النفس وكبت العواطف ، وشيوع الروح البوريتانية الطهرية ، واحترام قوانين المجتمع ، وخوف الانتقاض على الأوضاع والتقاليد ، كل هذه العوامل تجعل الفرد الانجليزى يعيش منطويا على نفسه ، منكمشاً على ذاته ، هائماً بالعزلة ، نفوراً مستوحشاً ، لايجد السعادة الا فى قواه الروحية والتطلع بها نحو عالم التأمل والحلم

فهو بحار وتاجر لأنه من سكان الجزر ، وهو شاعر متأمل حالم لأنه أيضاً من سكان الجزر ، والواقع أن فى كل فرد انجليزى شخصية شاعر ، تلطف من حدة ميوله العملية ، وتعوض نقصه الروحى ، ويجد فيها العزاء الاكبر فى وحدته وفى مغامراته وفى شتى جهوده التجارية أو السياسية

ولقد أخرجت بريطانيا أعظم شعراء العالم ،وحتى كبار الجوسيس وأقطاب مصلحة الاستخبارات الانجليز كانوا أدباء وشعراء وفنانين

وأنت إذ تقرأ اعترافات الكولونل لورنس ، تدهش لثقافة هذا الرجل ، وشدة حبه الجمال ، وعظم تقديسه الفن ، وشغفه العميق بأشعار هوميروس وبكل ما يتعلق بالأدب الاغريقى

فالشعر ضرورة انجليزية ، وتصوراته وأحلامه لاتنفك تطوف بذهن الفرد الانجليزى الهادىء المعتزل الصموت العاكف على غليونه يشتف منه ويرسل التأملات والأخيلة محمولة على أجنحة الدخان

فخيال الانجليزى جامح شرود ، ونفسه مرجل يغلى ، وقلبه أتون مستعر ، ولكنه يكره

التظاهر ، ويعف عن المصارحة ، ويرى فى التلويح بالعواطف وعرض الانفعالات أبلغ دليل على الكذب والضعف

فالاحساس المتقد الخفى الذى يبدو فى نظرة عارضة ، أو ابتسامة معنوية ، أو كلمة شائقة ، أو تضحية خفائية مجيدة ، هو فى نظره الاحساس الصادق العميق

ولذا كان الانجليزي أعرف الناس بالحب ، وأقدرهم عليه ، وأشدهم إيماناً به ، وأوفرهم إخلاصاً فيه

فهو يحب بكل قوى صمته ، وكل قوى عفته ، وكل قوى خياله ، يحب كما يحب الرجل الهائم فى صحراء عزلته ، يحلم بالواحة الجميلة الخضراء

والحب عنده نزعة تنشد السلوى ، أو الراحة والاستقرار . فاذا استطاع امتلاك المرأة التى يحب فهو يتزوجها ، وإذا لم يستطع اكتفى بحبها صورة ووهما ، وطفق يخلص لتلك الصورة ويتعزى بها ويضفى عليها من روائع خياله الشعرى ما يضاعف حياتها فى صميم قلبه

فهذا الصدق فى الحب يولد ثباتاً عجيباً فى الولاء . وقل أن تجد عاشقاً انجليزيا أحب فخان ، ووعد فأخلف ، وأخلص قدم على اخلاصه مهما احتمل من مكاره وآلام

والغريب فيه أنه يظل مخلصاً حتى إذا كان قد تزوج بدافع المصلحة أو التفاهم العقلى ، أو الألفة والمودة ، أو محض الائتناس ، وذلك لأنه بالفطرة جواب آفاق ، ولأنه كما أسلفنا يقنع من الحب بالراحة والاستقرار فى ظل بيت ، هذا ان لم يستطع التحليق فى سماء الخيال الغرامي حيث يجد لذة أعمق وأمتع

ومن المهم أن نذكر أن التعاليم الطهرية والتربية الرياضية ، هى التى تباعد بين الفرد الانجليزى وبين الاحساس الشهوى المجرد ، فتخفف من وطأته ، وتتسامى به ، وتتجه بانفعالاته صوب الحب العاطفى فتزيده تأججاً واشتعالا

ولقد اتفق ذات يوم ان طرح الكاتب الفرنسى أندريه موروا هذا السؤال على جمع من طلبة الآداب في جامعة اكسفورد : « أية القصص الغرامية الانجليزية تفضل ، ولماذا ؟ »

فكان جواب الأغلبية الساحقة أن أبدع حكاية غرام هى (روميو وجولييت) لأن الحب فيها احتفظ بنقائه ولم تدنس جوهره الالهى فطرة الانسان !

خصائص العقلية الانجليزية

وفى وسعنا الآن تركيز خصائص العقلية الانجليزية من الوجهتين السياسية والاجتماعية فيما يأتى :

أولا ــ لا يحالفك الانجليزى إلا تحت ضغط ظرف سياسى يهدده ، فاذا تبدل الظرف انصرف عنك ومضى في طريقه ولم يتردد فى مصادقة من كان بالأمس عدوكما المشترك

ثانياً ـ الانجليزى يكره النظريات السياسية ويكره التقيد بأساليب وخطط سابقة لأوانها ، وقد أثر عن جوزيف تشمبرلن قوله : « إن السياسى الذى يعيش فى الماضى هو رجل مغرور دعى والسياسى الذى يعيش في المستقبل هو رجل حالم ، أما أنا فأعيش فى الدقائق الخمس المقبلة ! »

ثالثاً ـ الانجليزى يختار زعيمه السياسى ، ولكنه لا يتعصب له . يختاره ويضع فيه ثقته ويعهد اليه فى ادارة شئون الدولة ، ثم ينصرف الى البنك أو الحانوت أو ملعب الرياضة ولا يفكر فى السياسة أبداً

ولكنه متى أحس الخطر وأدرك أن الزعيم قد خيب ظنه ، انقلب عليه فى الحال واستعاض منه سواه وفرق بين العواطف الشخصية ومصلحة المجموع

رابعاً ـ الانجليزى فى المستعمرات هو الانجليزى فى بلاده يحمل الى الهند والصين أخلاقه وعاداته . فهو يحكم ، ولكنه لا يتأقلم

خامساً ـ يكره الانجليزى مواجهة الكوارث ويقصيها عنه جهده ولا يستعجل علاجها ولا يبالغ فى تصور أخطارها ، لأنه محب للحياة ، متفائل بها ، واثق فى النهاية من قدرته على فض مشاكلها

سادساً ـ كبرياء الانجليز الوطنية لاحد لها . وهم لفرط شعورهم بتفوقهم لا يحاولون اقناع الغير به ، ولا يظهرون بمظهر الكبر والعداء أبداً . لماذا ؟ لأن الغريب لا يهمهم ، ولأن الرجل القوي يعرف بالتسامح والتواضع والأنفة وعدم الاكتراث

سابعاً ـ يستيقظ الانجليز فى اللحظة الأخيرة التى يدق فيها ناقوس الخطر

ثامناً ـ الانجليزى تاجر وبحار ، ولكن مطالعة التوراة تلهب خياله الدينى ، وما تخلف فيه من دم « الكلت » يلهب تصوره الشعرى . فهو يجمع بين النزعتين المتناقضتين : العملية والخيالية

وأما بروده المشهور فدرع يتقى به هجمات عواطفه الخفية ذات الانفجارات الطارئة . فهو يكبح نفسه لأنه يلمس فى أعماقها قوة الغليان

تاسعاً ـ قد يذهب الانجليزى فى حبه الحرية الى حد الحياة فى ظل الفوضى ، ولكن تأثير هذه الفوضى يزول ويضمحل متى اصطدم بأنظمة الجماعة وتقاليدها

فالانجليزى حر كانسان ، ولكنه مقيد كمواطن

عاشراً ـ كان سيسيل رودس يقول : «ما هى ارادة الله ؟ . . هى انتاج نوع من الجنس البشري يهب الناس العدل والسلم والحرية . وما دام جنس الانجلو سكسون قد حقق هذا الغرض ، فارادة الله تقضى بان يتبسط سلطانه على أكبر مساحة ممكنة من العالم »

وهذه أيضاً عقيدة كل انجليزى ! . .

١ . م

مآسى الحرية فى

العصر الحديث

أحرار الفكر فى المنفى

فى أوربا اليوم طائفة كبيرة من العلماء والادباء والفنانين أحرار الفكر ، ضاقت بهم حكومات الديكتاتورية ذرعا فأقصتهم عن بلادهم وشردتهم فى مختلف أنحاء العالم ، حيث يحيون حياة فاجعة يخيم عليها البؤس ويكتنفها الشقاء

وهؤلاء الذين نعنيهم غير كبار العلماء والادباء والفنانين الذين بنوا لأنفسهم مجداً عالياً فى الخارج قبل نفيهم من بلادهم مثل اميل لدفيج ، وتوماس مان ، وهنريخ مان وأضرابهم ، فقد استطاعوا ان يعيشوا فى مأمن من البؤس فى المنفى

والنظم الديكتاتورية كما يعرف القارىء تكره المعارضة وتكره حرية الفكر ولا تضطهد المفكرين الاحرار فى الميدان السياسى فقط ، بل فى شتى ميادين الحركة الثقافية أى فى الادب والتاريخ والفن والفلسفة أيضا

فكل جهد ثقافى يجب أن ينحدر من الحكومة وينتهى اليها ، وكل تفكير عقلى يجب أن يصطبغ بصبغة الهيئة الحاكمة ، والا اتهم صاحبه بالخيانة والمروق ، وأبعد عن حظيرة الوطن

ولقد نشأت عن هذا الاسلوب التعسفى في الحكم ظاهرة غريبة ، هى أن الانتاج العقلى انحط فى داخل البلاد الديكتاتورية ، ونما وازدهر خارجها على أيدى صفوة أبنائها المضطهدين

وأنت إن التمست الآن ثقافة رفيعة حية ، أو انتاجاً مليئاً خصباً ، ينم عن العبقرية الالمانية أو الايطالية أو الاسبانية ، فلن تجده الا فى أعمال الأدباء أحرار الفكر الذين لفظهم النازى فى ألمانيا ، والفاشست فى ايطاليا ، وجماعة الرجعيين من أنصار الجنرال فرانكو فى اسبانيا

ولكن كيف يعيش في المنفى الادباء الاحرار ، وكيف يستطيع الفرد منهم القيام بأود نفسه وهو مجبر على الحياة من قلمه أولا ، وعلى الكتابة بلغة أجنبية عن المحيط الذى هاجر اليه ثانياً ، وعلى التأقلم والتخلق باخلاق شعب لم يعرفه ولم يألف عقليته ثالثاً ؟ . .

الواقع انها مأساة مروعة تلك التى يعيش فيها أولئك الأبطال . وعناصر هذه المأساة هى التى سنحاول عرضها فيما يلى :

أولا ـ الحنين الى الوطن

مامن كاتب أوربى يعيش فى المنفى الا يعذبه حنينه الى وطنه ويضنيه ، ويدفع به الى حياة العزلة المملوءة بالوساوس المؤدية في بعض الأحيان الى السوداء والنورستانيا والجنون . . .

ولقد كان الكاتب الالمانى الحر « لدويج ران » مؤلف قصة « الحرب » التى تعد أبدع ما كتب عن حياة الخنادق بعد قصة (لا جديد في الميدان الغربى) . يعيش فى باريس على سطح بيت مهدم عتيق في غرفة مظلمة زين جدرانها بصور مختلفة تمثل بعض مشاهد البلاد الالمانيـة وبعض مناظر البلد الالمانى الذى ولد فيه

وكان بعد إذ يقضى النهار بطوله فى ترجمة قصة له الى الفرنسية ، وبعد إذ ينطلق بقصته باحثاً عن ناشر باريسى يبتاعها بأبخس الأثمان ، يدخل غرفته وينطرح على فراشـه ثم يسرح طرفه فى الصور ، ثم ينهض ويقترب منها ويظل يتأملها فى شغف كمعتوه . فاذا ما انقضت لحظة وهو فى هذه الحال ، يعصف به الحنين ، فيفقد صوابه ويختلج وتنهمر الدموع من عينيـه ، وعندئذ يضيق صدره بالحجرة الضيقة الكئيبـة ، فيخرج هائماً على وجهه ويظل يضرب فى شوارع باريس حتى مطلع الفجر

وكان فى وسع لدويج ران أن يحترف مهنة غير الكتابة تدر عليه مالا وافراً . فقد كان واسع الثقافة غزير الاطلاع خبيراً بأعمـال المصارف ، ولكن موهبته الادبية كانت أقوى منه . وأما رغبته الجامحة فى أن يخلص لبلاده التى نبذته ويضيف الى تراث الفكر الالمانى كنزاً جديداً ، فقد كانت مستبدة به مسيطرة عليه الى حد أنه رفض ثلاث وظائف كبيرة أسندت اليه فى أحد فروع شركة انجليزية للتأمين

ولقد تأصل شعور الحنين الى الوطن فى نفس هذا الكاتب تأصلا عميقاً مراً ، اضطربت بسببه أعصابه وتقوضت قواه ، فمكث فى أحد مستشفيات الأمراض العصبية شهرين كاملين ، ولم يغادره إلا ليعود الى كتبه وأوراقه وحجرته المظلمة حيث الصور المروعة فى جمالها الحالم تحدثه عن بلاده المحبوبة وشبابه الأول ورجولته الشقية المنكودة الحظ

وما وقع للدويج ران ، وقع للروائى الاسبانى الاشتراكي الحر (رامون كالاس) فهذا الأديب صاحب قصة (دم على مدريد) أكمل القصص التى سجلت جهاد الجيش الجمهورى فى الدفاع عن استقلال اسبانيا ، فقد حارب عاطفة الحنين الى الوطن بكل ما وسعته قواه

تعلم الفرنسية واندمج فى وسط الشعب الباريسى الفقير وعاش حياته وتغلغل فيها ، ثم أقصى عنه الكتب الاسبانية وتخلى عن رفاقه الاسبان المهاجرين وأصم أذنيه عن سماع لغة بلاده . لـكنه برغم هذا الجهد لم يستطع التحرر من مخيلته

وانى له التحرر وهو من هذه المخيلة يتغذى وبفضل هذه المخيلة الملتهبة الحافلة بألوان الحياة الاسبانية ، يفكر ويكتب ويعيش ؟ !

كان لابد له من طرد عاطفة الحنين ليأمن عادية المرض ، ولكن الحنين الكامن فى نفس المادة التى يستوحيها فنه ، لم يزل به يحاوره ويطارده حتى تمكن منه واستحوذ عليه وابتلاه آخر الأمر بشبه نورستانيا أعجزته عن الكتابة وأغرقته فى « البؤس حتى الشفتين » على حد تعبير أستاذه وشاعره المفضل شكسبير

وأما الباحث الاجتماعى الالمانى الشاب « ارنست فون مولر » صاحب تلك الرسالة الرائعة فى (أصول الديموقراطية ومذهب الاحرار) فقد حز فى قلبه ما أصاب والدته من مرض عقب هجرته فركبه شبه هوس تطورت معه عاطفة الحب البنوى ، واستحالت حنينا الى أرض الوطن مشوبا برغبة مخبولة فى رؤية والدته العزيزة ولو مرة

وكان أرنست مولر يعلم أن العودة الى الوطن ضرب من المحال ، وأن شرط هذه العودة هو انكار مبادئه الحرة جهاراً وطلب العفو من خصومه على رؤوس الاشهاد ، فآثر البقاء فى باريس مستغرقا فى همه ، منطوياً على نفســه ، نفوراً مستوحشاً شريداً ، حتى أمضه الحنين وضاعف حسرته عنفاً وقوة ، فعكف على معاقرة « الابسنت » ليتعزى حتى أصبح مدمناً وأصيب فى النهاية بجنون الخمر !

ثانيا ـ الانتاج فى الألم

قد تقضى الحياة البائسة على الأديب وهو فى وطنه بين أهله وعشيرته ، فكيف به وهو يعيش غريباً فى بلد غريب ؟

يعيش فى بلد غريب ، وفى عزلة خانقة ، وفى فقر مدقع ، ويود مع ذلك تحقيق عمل أدبى عظيم يعلم تمام العلم أن الجماهير لن تقبل عليه ، وأنه دخيل عليها ، وأن دور النشر قد لاتقدره ، وأن أجره المادى لا يمكن أن يعوضه من بعض الجهد الذى بذل فيه

فهو لابد أن يروض نفسه إذن على الانتاج فى الألم ، وعلى الرضا بالفقر ، وعلى عيش الكفاف ، وعلى اراقة ماء الوجه عند الاقتضاء فى سبيل الاحتفاظ بقيمة الفكر

وهذا ما أدركه أحرار المنى ، وما ذهبوا فى الاخلاص له الى حد التضحية الكاملة الخليقة بالرسل والشهداء

فرامون كالاس ، كان لا يأكل فى اليوم غير مرة ، وفردريك مولر ، يستجدى السابلة بالعزف على « الاكورديون » فى الطرقات ، والرسام الايطالى لامبرتو يعمل طوال ليله خادما في مطعم ،

ولدويج ران يجمع خلسة أعقاب السجائر ليبتاع بها لتراً من اللبن ، والناقد الاسبانى الحر جاستون بيريز يشتغل النهار كله حمالا فى المحطات

ولقد ارتضى الجميع هذا الذل حماية لمستوى انتاجهم

فهم ينتجون والألم مصلت فوق رؤوسهم ، ولكن قيمة الانتاج ، وخلوصه من شوائب المادة ، واتجاهه صوب الفن المحض ، وتحرره من كل قيد اجتماعى أو مؤثر بدنى ، هذه الفضائل هى غاية ما تبقى لهم وهي سلواهم وعزاؤهم وهى بصيص النور فى جوف حياتهم المدلهم

على ان التعلق بها كلف بعضهم أضعاف ما كلفه الحنين المخامر الى أرض الوطن . فالرسام لامبرتو أصيب بشلل فى قدميـه ، والناقد بيريز أنهكت قواه وعاني آلام « الفتق » ، والروائي الروسى كوبرين تمكن منه داء التمدد المعوى لفرط ما كان يشرب الماء سداً لجوعه واستعاضة بالماء عن الطعام

فهذه الوجوه النبيلة لم تخش الفقر والذل والمرض فى سبيل الفكر ، ولكنها خشيت شيئاً واحداً ، اغراء فاجعاً ، دعوة خلابة يتمثل فيها العنصر الأخير من عناصر هذه المأساة المروعة

ثالثاً ـ خيانة الفكر

ان طاقة الفرد الممتاز على احتمال العوز والضنك ، تفتر فى بعض الأحيان وتتراخي ويشيع فيها ضرب من التردد أو نوع من الجبن الطبيعى ، يغرى بها أصحاب المصلحة ويدفعهم لانتهاز فرص استغلالها

ولحظات الضعف هذه كانت وما تزال شؤما يخشاه أحرار الفكر فى المنفى

ففى باريس حيث يعيش هؤلاء الأحرار ، أحزاب وهيئات غنية ذات نزعات ديكتاتورية ، تطمح لاقامة حكم فرنسى على النهج المتبع فى المانيا وايطاليا

فهذه الاحزاب والهيئات التى قل ان تجد بين الفرنسيين الديموقراطيين بطبعهم ، رجالا من نوابغ الفكر يرضون بالانخراط فى سلكها وترويج الدعوة بأقلامهم لها ، تنحرف عند الاقتضاء متجهة صوب المهاجرين ، وتأخذ فى التربص بهم ، حتى اذا شعرت باشتداد وطأة البؤس عليهم ، لوحت لهم بالمال الوفير يقيناً منها ان فى إنكار الأديب الأجنبي لمبادئه الحرة التى هاجر واغترب من من أجلها ، أكبر مؤثر فى عقول الجماهير من مستنيرين ودهماء

والواقع أن الأديب المهاجر الحر ، متى انشق وارتد وخان ، فاز بالمال والشهرة والمكانة ، وأصبح ميسوراً له فوق ذلك أن يعود الى وطنه وقد رد اليه اعتباره وتخلص من ذل الحاجة ومرض الحنين

فالتسلط على ذلك الاغراء الشيطانى ، ألد أعداء المهاجرين أحرار الفكر ، هو فى الحق أعظم جهاد لهم فى بلد المنفى

ولقد كافح أولئك الأدباء عوامل الاغراء كفاحاً يشهد لبعضهم لا بمتانة الخلق فقط ، بل بتوافر نزعة البطولة أيضاً

فالروائى الألمانى أرنست جليزر عرضت عليه احدى الشعب الفاشية الفرنسية مبلغاً من النقود يبعث الذهول فى نفس رجل متوسط الحال ، فرفض ، رفض خيانة معتقده وآثر عيش الكفاف على حياة النعمة فى ظل المروق

ورامون كالاس ، أحدق به ذات يوم نفر من أنصار تلك الشعبة ، وكان يشكو تهافتاً فى أعصابه ويطوف باخوانه مستجدياً لعلاجه بضع فرنكات ، فلما هبط به خصومه وأدرك مآربهم ، ابتسم ، ثم تنحى عنهم ، ثم رفع قبعته وأدارها ، ثم قدمها للسابلة مشيراً بذلك الى أنه يفضل احتراف التسول على تضحية الكرامة وخيانة الفكر

وأما القصصى الروسى كوبرين الذى توفى أخيراً ، فكان مثال الأنفة والنزاهة والنبل . كان ديموقراطياً ، وكان عدواً للمبادىء الجديدة التى قامت عليها حكومة السوفييت . ولكنه فى انتصاره للديموقراطية أبى الانضمام الى الهيئات الباريسية المعروفة بعدائها لنظام الحكم فى وطنه . أبى خيانة فكره وأبى فى نفس الوقت مد يد المعونة لأعداء وطنه ، فاتهم بالتناقض والتذبذب والنفاق ، وحرمت عليه الكتابة فى صحف أحزاب اليمين ، وقاطعته معظم الصحف الديموقراطية . وهكذا أغضب الكل وعاش فقيراً مستوحداً منبوذاً ، ولما عصف به التقرس وداء القلب وكبلته الديون ، وأوشك أن يطرد من البيت الذى يعيش فيه ، جاءه نفر من الشيوعيين الخوارج أنصار تروتسكى وعرضوا عليه مبلغاً كبيراً من المال مقابل العمل معهم ضد الحكومة الروسية ، فانتهرهم وألقى فى وجوههم عبارته الخالدة : « ان ضميرى فوق كل حكومة وكل حزب ، وأنا ملك نفسى ، ومهمتى فى الحياة هى الدفاع عن الحق والخير والجمال والحرية ! »

ثم صرفهم ونادى صاحب البيت ونزل له عن بعض متاعه ، ثم أسرع وباع بقية حلى امرأته ، ثم انطلق من فوره حيث يسكن صديق له من مهاجرى الروس البائسين ، وهناك عاش ردحاً من الزمن طويلا عالة على صديقه ، يكتب أحيانا ويشتغل أخرى بترقيع الأحذية أسوة بأستاذه العظيم تولستوى ! ...

***

هذه أهم عناصر مأساة الفكر الحر فى عصرنا ، أو مأساة احرار الفكر فى بلد المنفى . ونحن لم نعرض لها بالوصف والتحليل إلا لما انطوت عليه من درس رائع فى البطولة، خليق بأن ينعم النظر فيه كل أديب وكل مفكر شرقى !

قصـة ملخصة

العاصفة

للكاتب الفرنسي الأشهر اندريه توريبه

عضو الأكاديمية الفرنسية

تعد هذه القصة خير ما كتب أندريه توريبه . فهي مأساة امرأة برح بها الهوى في سن الكهولة فأوردها مورد التهلكة . وقد أجاد الكاتب حبك حوادث القصة وابرزها في صور شائقة تجمع الى دقة الرسم بلاغة الاداء وقوة التأثير

مالت الشمس نحو الغروب واصطبغ الافق بلون أرجواني دام ، وا كتنفت الطبيعة وحشة كتلك التي غمرت قلب فرناند

وكانت الفتاة جالسة تجاه نافذة مخدعها تسرح البصر في أسراب الغيوم وهي تحتضن الشمس مسلمة اياها الى عالم الظلام والفناء

وأشفقت الفتاة على هذا النور الساطع من التقلص والتبدد والانحدار الى جوف الليل السحيق، فظلت تحدق الى الشمس الهاوية ، كأنما هي تتمثل فيها حياتها ومستقبلها ومصيرها المحتوم

ولكن ألا يعقب الظلمة النور ، ألا تصدر الحياة عن الموت ، ألا يخرج النهار وضاح الجبهة رائع الفتنة من صلب الليل البهيم ؟ . .

أجل . . ان الأمل أقوى من اليأس ، والغد أبقى من اليوم ، ولكن هذا اليوم بآلامه الفظيعة هو الذي يحتل القلب ويستبد بالمشاعر ويفسد في الخيال الملتهب أجمل صور الغد وأبدعها ! . .

وفرناند لا تفكر الساعة الا في يومها ، وفي ماضيها القريب الماثل الآن في فسحة عقلها وفي هذا الألم المبرح العميق الذي عصف بها ، وأوشك أن يجرد شبابها من كل قوة وكل نشاط وكل أمل ! . ان نفسها الطاهرة البريئة ، انطوت على ذاتها ، وبرمت بالناس ، وأبغضت الحياة ، وكرهت كل شيء فيها

وكيف لا تكره فرناند الحياة وهي منبوذة منها ، وكيف لا تفر من الناس وهم يلفظونها ، وكيف لا تسخط على القدر وهو يطاردها ويأبى الا ان يسومها مختلف صنوف العذاب ؟

ان تلك العبارة اللاذعة الحارقة التي يرتسم معناها على كل وجه وينطق بها كل لسان ، تلك

العبارة الشائنة المروعة ما تنفك ترن في أذنيها وتهتاج أعصابها وتهز كيانها من الاعماق

« فرناند ابنــة سفاح ! . . » ابنة مدام (جوليا وايبه) فقط ، ابنة الغانية جوليا فقط ، أما والدها فرجل مجهول ، انسان أقبل وتمتع ثم هرب ، مخلوق أناني مجرم هزأ بواجبه وتنصل من مسئوليته وخلف عشيقته وابنتها نهب الضعة والفاقة والتبذل والانحطاط !

الجميع يعرفون ذلك ، وأنبل الناس وأكرمهم لا يغض الطرف عنه الا ليسدد الاهانة ويرسلها فى صميم القلب والروح

ولقد احتملت فرناند هذه الاهانة فى المدرسة أيام كانت طفلة ، وفي الكلية عند ما أصبحت طالبة ، وفى المجتمع يوم ان دخلته آنسة مكتملة ، وفي المصرف الذى تعمل الآن فيه بمعزل عن رفيقاتها وعن زملائها الشبان الذين يحاولون اتخاذها أداة للهو والتسلية

غير أن هذا الشقاء يهون ، وتفتر حدته ، ويخمد أثره ، بل يستحيل الى سعادة ورضا ، لو عادت مدام جوليا إلى رشدها ، ونزلت عن خلاعتها وكبريائها ، وارتدت الى محيط الاسرة ، وأصبحت خليقة بلقب أم ووالدة !

هذا هو الذى يحز الآن فى صدر فرناند !

ان أمها تأبى الا أن تسلك السبيل الذي ألفته ودرجت عليه وكان السبب فى شقاء ابنتها ، تأبى الا ان تعيش حرة من كل واجب ، مطلقة من كل قيد ، مستسلمة لغرائزها منساقة وراء عشيقها الجديد ، مفنية فيه نفسها ، تنفق على ذاتها وعليه من مال ابنتها !..

فالبنت تعمل وتربح أجرها بعرق الجبين ، والأم تستغل عملها وتبدد صفوة جهودها فى سوق الغواية والهوى

ولقد أفضى عرفان الجميل بفرناند الى التغاضى أول الامر عن مسلك والدتها ، فهى التى سهرت عليها وهى التي عنيت بها ، وهى التى لم تدخر وسعاً فى سبيل تعليمها . ولكن أ كان الغرض من هذه العناية ذات الباعث الشريف ، ان تنحرف يوماً وتتجه فى طريق مخالف للشرف والاستقامة ونبل الضمير ؟

ذلك ما تريده مدام جوليا ، ولقد أسرفت فيه بالأمس اسرافا بلغ حداً من التبذل والانحطاط شائناً منكراً

أرادت انقاذ عشيقها الجديد من ورطة مالية ، فانسلت تحت جنح الظلام الى هنا ، الى مخدع ابنتها فى أثناء نومها ، وفتحت درج خزانتها الصغير ، وسرقت مبلغاً من المال هو كل ما ادخرته فرناند فى ثلاث سنوات قضتها فى عمل مرهق وذل عميق . سرقت المبلغ ثم جاءت الى ابنتها صباح اليوم ، وفي قحة غريبة مشوبة بالقسوة والتحدى ، صارحتها بأنها هى السارقة ، وان المبلغ من حقها ، وانه جزء مما لها فى عنق ابنتها من جميل

تجاه هذا الحادث ثارت ثائرة فرناند ، وانفجر كامن سخطها واستيقظت كرامتها ، وأحست نفسها مسئولة بتغاضيها عن التدهور الخلق الذى آلت اليه أمها ، فهددتها بقبض اليد عنها ، والتبرؤ منها ، وترك البيت ، ان هى لم ترتدع وتثب الى رشدها وتتخل اليوم بل الساعة عن عشيقها ، فاختبلت الام ، وجاش غضبها ، ولكنها سرعان ما هزت كتفيها ساخرة وانصرفت مقهقهة تحمل مال العمل المقدس غنيمة باردة لخليلها

وها هى ذى فرناند تفكر فى هذا كله وتختلج وتفيض من عينيها الدموع

لقد غابت الشمس وتقطرت فى الأفق البعيد كدمعة كبيرة ، وأظلم الجو ، وترامت الظلال على الارض ، وبدأت الشوارع تلمع ، وأخذ النور ، النور الصناعى ، نور الانسان المدرك العاقل، يحل شيئاً فشيئاً محل نور السماء

الانسان المدرك العاقل ؟ .. كلا .. الانسان القوى الجبار صاحب الارادة التى لا تقاوم !..

نعم ، لا عقل ولا علم ولا ادراك بلا ارادة ، ولا راحة ولا خلاص ولا خير بغير ارادة . .

واذن فلتحزم فرناند أمرها ، ولتضرم النار فى ارادتها ، ولتحرم أمها المال حتى ترتد وترعوى

هذا اليوم هو آخر أيام الشهر ، وقد تقاضت فيه فرناند مرتبها ، فعليها ان تحتفظ به وتساوم عليه ولا تنفق منه فرنكا واحداً الا فى مقابل عودة الام الضالة الى حظيرة البيت !

واستحوذت عليها هذه الفكرة وعكست منها ، واقترنت بصورة لاحت لها فجأة ، فاستضاء محياها وأبرقت أساريرها ، ونهضت ، ثم أسرعت فألقت عليها معطفها ، واختطفت قبعتها ، وغادرت البيت ميممة وجهها شطر منزل (ادجار مونتيه) أخلص زملائها وأقربهم الى نفسها والرجل الوحيد الذي تعبده وتخشى لفرط احساسها ذل ماضيها وعار حاضرها ان تكاشفه بهذا الحب فتبوء بخيبة الأمل وضيعة المسعى ! . .

***

وفى هذه اللحظة نفسها كانت مدام جوليا تغادر منزل عشيقها ، شاحبة الوجه ، مغضنة التقاطيع، مضطربة قلقة حائرة ، تضرب فى الشوارع على غير هدى وتصطدم بالناس ، وتجفل كلما وقع بصرها على صديقة أو صديق

ضاق صدرها ذرعا بعشيقها . لم يكفه المبلغ الذى حملته اليه ولم يكترث للجرم الذى اقترفته من أجله ، بل طلب المزيد وألح فى الطلب وأعرض عن المرأة الواجمة الذليلة وأغلظ لها القول وصرفها دون رحمة

والواقع ان جوليا كانت لا تحب عشيقها شارل ذلك الحب الذى يدفع المرأة الى الرضا بالحياة فى أقصى حدود الذل

كانت تتعلق به زهواً منها وكبرياء وتفاخراً بأنها ما تزال صبية وما يزال جمالها يطمع فيها

الرجال . وكانت مدام جوليا فى السابعة والأربعين من عمرها ، مديدة القامة ، عريضة الصدر ، ممتلئة البدن ، ذات شعر أسود وخطه الشيب ، وعينين لامعتين ساحرتين ، وبشرة مرمرية فاتنة وكان كل همها فى الحياة أن تحتفظ بالبقية الباقية من شبابها وتكافح الشيخوخة ما استطاعت وتثأر لنفسها من عبث المقادير وغدر الزمن

ولقد انحصرت صفوة جهودها فى الفوز الجنونى العاجل بأوفر متع الحياة وأعمقها ، فكانت ترتدى أحدث الأثواب وتتهافت على اتباع «المودات» وتنفق على أزيائها من مال ابنتها بلا حساب ، فتبدو فى الأندية والمجتمعات ودور اللهو ، زاخرة البدن بأنواع الحلى الصناعية ، تغمر وجهها المساحيق ، ويمسخ جمالها شعرها المصبوغ ، وتضاعف شذوذ مظهرها أثواب حديثة الطراز لم تصنع لها ولا يمكن أن تتفق مع سنها أو تتناسب مع قامتها وميلها الى الترهل والسمن

وكانت تبعث السخرية والاشمئزاز فى نفوس الشبان ، ولكن رغبة الحياة كانت تختم على بصرها وتذهب بلبها وتدفعها الى مطاردة الشباب فتزيد فى نفرة الناس منها واحتقارهم لها

غير أنها لم تشعر بالخجل أبداً ولا بالعار . طوح بها جنون الكهولة ، وملكتها ارادة الحياة ، واستبد بها خيال الحب ، فشرعت تبحث عنه ، وتتهالك على وهمه ، وقد عز عليها أن تودع الشباب والجمال دون أن تفوز للمرة الأخيرة بلذة الحب ونعيم الهوى

ولقد ارتضت هذه العلاقة بشارل ، لا لأنها كانت تحبه ، ولا لأنها وجدت فيه الرجل المنشود والعاطفة المبتغاة ، بل لأنه كان الرجل الوحيد الذى رضى بها ، والذى استطاعت أن تحتفظ به وتخضعه بقوة المال

ولكنها الآن وقد اجتواها العشيق وبرم بها ، ولم يقدر عظم تضحيتها ، ثارت ثائرتها عليه واستنكرت جحوده ، وأحست أنها قد خدعت نفسها عندما اعتقدت أن فى مقدورها أن تشترى الحب بالمال ! ...

وانطلقت تحث الخطى مطرقة الرأس ، ساهمة الطرف ، ترمق واجهات المخازن الآونة بعد الأخرى ، وصدرها يعلو ويهبط ، وقلبها يكاد يثب حنقاً وحسرة ، حتى أشرفت على دارها ولاحت لها عن بعد نافذة مخدعها مفتوحة المصراعين أشبه بطائر قد نشر اجنحته وتأهب للتحليق والفرار

تقدمت بضع خطوات ثم تراجعت بغتة وجمدت فى مكانها

تراجعت ووضعت يدها على قلبها وخيل اليها أن قوة هائلة ، أن ريحاً عاتية ، أن عاصفة مجتاحة انقضت عليها ثم جرفتها وجعلت تدور بها فى شبه إعصار

وتقدمت بضع خطوات أخرى وهى تحدق الى نقطة واحدة وهيكل واحد

ابصرت ابنتها فرناند واقفة عند عتبة البيت تتحدث الى شاب لم تقع عين جوليا على أنضر

منه ولا أكمل وأفتن . شاب خمري اللون ، مفتول العضل ، وضاح الجبين ، يفيض مظهره أناقة ورجولة وسحراً

ارتعدت جوليا وتقدمت أيضاً ، وشد ماكانت دهشتها عند ما أبصرت ابنتها متهللة الوجه بسامة الثغر تضحك وترحب بها أجمل ترحيب وتعرفها الى المسيو ادجار مونتيه ، ثم تدعوه للصعود الى البيت ، فيعتذر بعبارة رشيقة ملؤها الادب والظرف

وبسطت مدام جوليا يدها للشاب وصافحته وهى ترتجف ، ثم حولت بصرها نحو الفتاة ، ثم أحست كأن يداً غليظة تقبض على عنقها ، فلم تستطع الوقوف واستدارت وأسرعت بالدخول وهى تزفر

ولم تكد تنقضى بضع دقائق حتى فتح باب مخدعها والفت نفسها وجها لوجه تجاه فرناند !

وجلست الفتاة على مقعد وقالت فى هدوء :

— أماه ، يجب أن تقطعى كل صلة لك بالمسيو شارل !

فأشاحت مدام جوليا بوجهها ولم تتكلم ، فاهتاجت أعصاب الفتاة وزايلت محياها أمارات الفرح وأردفت قائلة بصوت عازم جهير :

— اما أن تثوبى الى رشدك ، واما أن أغادر البيت ... لن أطيعك بعد اليوم . لن البي داعى الشفقة والبنوة والحنان، فامنحك من مالى ما أعلم أنه سوف ينفق فى الملذات ! كفانى ما احتملت . ان مسئوليتى ترهقنى ، ولولاى ، لولا نقودى ، ماتشجعت على المضى فى طريق الرذيلة والاثم . فانا أنذرك الآن ! . وأنت مخيرة بين حياة الشارع وحياة البيت .. ويجب أن تختارى لا سيما وأنا ...

وصمتت فرناند لحظة فتطلعت اليها جوليا ، وقالت :

— وأنت ماذا ؟ ...

فأجابت الفتاة وقد لمعت عيناها :

— وأنا مقدمة على الزواج !

فصاحت الام صيحة مبتهجة غريبة :

— الزواج بمن ؟

فقالت الفتاة وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة قريرة هانئة :

— بذلك الشاب الذى رأيته ، بزميلى المسيو ادجار مونتيه !

فشرد بصر جوليا واختلجت اختلاجا خفيفاً ثم أغمضت عينيها وقالت فى شبه غمغمة :

— اعدك بكل شىء ! لن ارى شارل ولن اخرج بعد اليوم إلا فى صحبتك

فلم تصدق فرناند سمعها وجمح بها السرور ففتحت ذراعيها وضمت امها الى صدرها وطفقت تقبلها قبلات شكر تائهة محمومة ، والام تنظر اليها زائغة البصر جامدة البدن كأنها تمثال ! ...

وانفتح جو من الحياة جديد أمام فرناند

أحرزت النصر المزدوج الذى طالما تطلعت اليه . أنقذت أمها من براثن الدعارة ، وردتها الى محيط الأسرة ، وفازت بالشاب الذى تعبد ، وأدركت أن حبها الخالص ، وولاءها المطلق ، وخلقها الكريم ، وقلبها الطيب ، ومسلكها الشريف ، جميع هذه العوامل أكسبتها فؤاد ادجار ، فأحبها ورضى التزوج منها برغم أنها ابنة سفاح وأن الكل يعلمون أن أمها كانت من الغانيات أنصاف الحرائر ، المتبذلات الخليعات

وشرع ادجار يزور البيت ، ويوثق روابط الصداقة والألفة بينه وبين الأم والفتاة ، ويعد معدات الخطبة ، ويتحدث عن هنائه القريب ، ويبذل قصاراه فى ادخال السرور على قلب فرناند

وأما فرناند فقد شعرت كأن الحظ قد دان لها ، والأمل قد استحال الى حقيقة وأقبل عليها ، فلم تعد تستطيع كتمان عواطفها ، وأخذت تمرح كطفل أفلت من مرض ، وقد امتلأ بدنها وتورد خداها واكتست حلة رائعة من الجمال والعافية

اطمأنت الى حبيبها واطمأنت أيضا الى مسلك والدتها ، فأسلمت نفسها بمجمع قواها الى عالم الغبطة والفرح

ولكن هل يطمئن عاقل لتطور القلب البشرى ، وهل فى مقدور انسان كبح الغريزة متى انطلقت وزينت لها الشهوات صور التهلكة ؟

ان نفس مدام جوليا لم تقر لحظة إلا لتثور ، ولم تخمد إلا لتلتهب ، ولم تسكن مختارة إلا لتتحفز للوثوب

لقد افتتنت بجمال ادجار ، وأخذتها عاصفة حبه فى أقل من لحظة ، فتخلت عن عشيقها من أجله ، وعادت الى حياة الأسرة من أجله ، وألفت عيش البساطة والهدوء من أجله ، ولم يخطر على بالها أنها بهذا الحب تسلب ابنتها الحياة بعد المال وتقضي على شبابها ومستقبلها القضاء المبرم ! . .

استغرقتها عاطفتها الآثمة الجديدة التى ولدتها جرثومة الشر ، جرثومة الأنانية ، جرثومة الرذيلة التى خيل لفرناند أنها قد ماتت واستؤصلت الى الأبد

احتلت صورة ادجار خيال جوليا ، وتركزت فى الشاب آمالها ومطامعها وحبها الحب وغرامها بالشباب ، فبدا منها ما أيقظ الفتاة من غفلتها وفتح بصرها على الهوة التى أوشكت على التردى فيها

لمحت فرناند فى حديث أمها مع الشاب نغمة شاذة ، وفى حركاتها طابعا غريباً ، وفى نظراتها ولفتاتها المرتبكة الحيرى ذلك الخوف العميق المقترن بالاغراء الصامت ، الممتزج بالدهاء والمكر ، الدال على تبدل المرأة وانسحاقها تحت عاطفة الحب

أدركت فرناند بسليقتها كل شيء ، ولكن ادجار ـ لفرط انصرافه اليها ـ لم ير شيئاً

وكانت الفتاة برغم يقينها تراجع نفسها غير مصدقة ، ولكنها فى ذات مساء وقد شاهدت

أمها تسرف فى التلطف مع الشاب وترسل اليه من خلال أهدابها المصبوغة نظرات عشق طويلة فاضحة ، استهولت الحقيقة واستشعرت الخطر الذى يتهددها وأحست لأول مرة احساساً طاغياً عنيفاً بأن هذه المرأة التى اعتصرتها بالأمس وسرقت مالها وجهد شبابها ، لن تتأخر فى الغد عن سرقة حياتها ، فوقعت بين عاملين وعادت من جديد فريسة الهم والشقاء

كان عليها إما أن تغامر وتقترن بحبيبها فتوثق صلة المودة بينه وبين والدتها وتعرض سعادتها الزوجية لشر الأخطار ، وإما أن تقدم على التضحية العظمى فتخنق حبها وتعدل عن فكرة الزواج ، اتقاء لغدر المستقبل وانقاذاً لوالدتها وحرصاً على البقية الباقية مما فى فؤادها من عاطفة البنوة وفضيلة عرفان الجميل

واضطربت فرناند وجعلت تتخبط بين هذين العاملين ، واسودت الدنيا فى عينيها ، وخيل لها أن القدر يأبى إلا أن يجعل منها ضحية أمها ، فلم تجد بداً من الاذعان والتسليم

أنكرت نفسها ، جادت بحبها عن طيب خاطر ، ضحت بالرجل الذى امتلكته بعد جهاد طويل وفى رجعة من رجعات التفكير ووثبة من وثبات الارادة ، أعلنته بعزمها فجأة وطلبت اليه فى تحفظ وأدب أن يكف عن زيارة البيت

دهش الشاب واستولى عليه شبه ذهول ، ولما استفسرها سر انقلابها تذرعت بالصمت ثم اصطنعت الفتور والاعراض ، وذكرت انها كانت مخدوعة فى عواطفها ، وأنها لا تحبه ولا تستطيع أن تحبه كما يستحق وكما يجب أن يحب

روعت ادجار هذه الكلمات ، واهاجت كبرياءه وأثارت فيه الوساوس والشكوك ، وتطور تأثيرها فى نفسه واستحال الى غيرة شديدة مقرونة بالغضب والسخط والاستنكار

اعتقد أن فرناند تحب سواه ، وأن ضميرها استيقظ فى اللحظة الأخيرة وأشعرها أن من العار عليها أن تحاول الجمع بين زوج وعشيق

هذا الاعتقاد جسمته الغيرة ، فتأصل فى نفس الشاب ، وانقلب الى حقد هائل ، الى احساس قوى بأن فرناند هي ابنة جوليا ، قدت على غرار أمها أخلاقا وطباعا وفساد نفس

تجاه هذه الاهانة الموجهة اليها من أعز الناس عليها ، لم تستطع الفتاة الاحتفاظ بالصمت . ضاق صدرها ذرعا بآلامها ، ورزحت تحت وطأة تضحيتها ، فاعترفت للشاب بكل شيء ، ألقت أمامه بحمل فؤادها ، كشفت له عن سر عذابها ، لاذت به ، استصرخته طالبة الرحمة ، التمست اليه أن يقدر موقفها ويثق بحبها ويدعها لشقائها ويصفح ويبتعد ويتوارى

ولكن ادجار كان رجلا ، شديد الايمان برجولته ، قويا فى الدفاع عن حقه ، مطمئنا غاية الاطمئنان لمتانة حبه ، واثقاً كل الثقة بسلطان ارادته ، فلم يكد يقف على حقيقة مخاوف فرناند ، حتى هزأ بها وسخر منها واعتدها اهانة له ، واستنكر من الفتاة أن تعتقد فيه الضعف ، وتتصور أنه

قد يفقد صوابه يوما فيطاوع أمها ويرتكب فى حق نفسه وحق زوجه أفظع الجرائم

وما زال بالفتاة يطمئنها ، ويسمعها صوت العقل والقلب ، ويقسم لها اغلظ الايمان على وفائه ، ويعدها باتباع الحزم فى معاملة والدتها ، حتى تمكن منها وبدد اوهامها ورضيت بالتزوج منه !

وعقد الزواج فى صباح يوم احد ، واحتملته جوليا ساكنة هادئة ، وفرناند ترقبها وتحاول وهى تبتسم وتضحك وتخاطب المدعوين ، أن تستشف من خلال نظرات أمها ، مبلغ مايكنه فؤادها من رغبة الخضوع أو ارادة الشر والانتقام واحداث الأذى

وعاشت فرناند فى قلق دائم موزعة الفكر بين مسلك أمها ومسلك زوجها

عاشت تلحظ هذه وترقب ذاك ، والخوف يضنيها ، وعدم الاستقرار ينهكها ويسمم أحلى ساعات غرامها وأمتعها

وكانت تحصى على أمها كل حركة وكل اشارة ، كانت تراها وهى تسرف فى التجمل والتبرج ، وتسرف فى التلطف مع ادجار ، وتسرف فى امتداح أناقته والاعجاب بجماله ، فتضطرب ويتملكها الذعر ، ولكنها عندما كانت تحدق الى زوجها فتراه ثابتاً جامداً معرضاً يبتسم ابتسامة ساخرة خفيفة ويهز رأسه ، كان الاطمئنان يعاودها والرعب يزايلها والسكون الموقت يحل فى نفسها المعذبة محل القلق والشك

وهكذا انقضت ثلاثة أشهر على زواجها . ثلاثة أشهر وقعت فيها معجزة ! ..

أشرق محيا الام وازدهرت قسماتها وتألقت أنوثتها ، وكان وجود ادجار بقربها قد أفاض عليها من نوره ذلك الشباب المجدد الذى كان غاية حياتها

والعجيب أن فرناند ـ لاتصالها اليومي بوالدتها ـ لم تشعر شعوراً قوياً بهذا التبدل الطارىء في مظهرها . وكانت قد ازدادت ثقة بزوجها فغضت الطرف عن هنات أمها وتجاوزت واستسلمت للحياة آمنة على حبها ومستقبلها

ونامت عين الفتاة ولكن عين الام لم تنم

كان حب جوليا يغلى فى صدرها ويتحين الفرصة للانفجار وكانت العاصفة الوجدانية ما تزال تطوح بها كما تطوح ريح الخريف بأوراق شجرة ذابلة . وكانت حياتها منصرفة الى التفكير فى اللحظة التى يمكن أن يجود بها القدر ، والتى يمكن أن تخلو فيها بادجار بعيداً عن سمع فرناند وبصرها

وشاءت المصادفة الفاجعة أن يتحقق هذا الامل

أصيب والد ادجار بمرض خيف منه على حياته . فكان لابد لفرناند وزوجها من قضاء بضعة أيام فى صحبة الشيخ المريض . وكان ادجار مضطراً للتردد على بيته حيث يجد ما يحتاج اليه من كتب وأوراق

ففى ذات ليلة هادئة هدوء الحلم ، صافية السماء ، رقيقة الهواء ، يصب قمرها شعاعه الساطع على الاشياء والاشخاص كأنه شبكة رائعة من الفضة الخالصة ، صعد ادجار الى مخدعه وفتح درج مكتبه وتزود ببعض أوراق مالية مما يجب انفاقه على والده المريض . وإنه ليهم بترك المخدع والانصراف الى حيث تنتظره زوجته ، واذا بالباب يصر ويفتح على مهل وتدخل منه جوليا بسامة الثغر وئيدة الخطى وعليها غلالة فضفاضة زرقاء تسبح أطرافها فى ضوء القمر

تقدمت واتجهت صوب الشاب ورمقته بنظرة ثم اتكأت على حافة المكتب ولم تتكلم

وكان القمر يجللها ، وهى تتقلب في أضوائه كموجة كبيرة . وكان الصمت ثقيل الوطأة يأخذ بالمخنق ، فتحركت جوليا ومدت ذراعها وحاولت أن تقبض على يد ادجار وفى تلك اللحظة فاح منها عبير حاد ، غمر كيان الشاب وأذهله وأسكره وأشاع فيه شبه دوار ، فتراجع ولكنها تقدمت وفتحت ذراعيها وبكل ما فيها من قوى الحب الكامن الملتهب ، أرادت أن تضمه وتحتضنه

وعندئذ ، عندئذ فقط تداعت بغتة ارادة الشاب . غشى الدم بصره ، فقد اتزانه ، نسى امرأته ، سحقته التجربة المفاجئة ، فتقدم هو الآخر ، وبالرغم منه ، رفع ذراعيه وأوشك أن يعتنق المرأة ، ولكنه لم يكد يلمس بدنها ويحس حرارته ، حتى جحظت عيناه واختلج وأفاق وجعل يلوح بيده مشيراً اليها بالخروج

أفاق ولكن التجربة ظلت أمامه ، فأراد أن يقصيها قبل فوات الوقت ، فدفع المرأة بكلتا يديه وصاح وهو كالمخبول قائلا : انصرفى !

غير أن الكفاح زادها تحدياً وعزماً ، فتعلقت به وتشبثت بذراعه ، وأحس أنفاسها المتقدة تهب على وجهه ، فجن جنونه وتضاعف خوفه من نفسه ، وتمثل امرأته ، وتذكر وعده ، وأشرف على الهاوية بعين بصيرته ، فاشتدت رغبته فى الخلاص وانتهر المرأة وتملص منها ، ولكنها غافلته وعادت تتشبث به ، وحينئذ فقد صوابه ولم يعد يدري ما يفعل ، وفى حركة يأس وحيرة وجنون ، أمسك بعنقها وجعل يضغط حتى تهاوى الرأس وتراخي البدن وسقطت المرأة على الارض جثة بلا حراك . ولما ابصرها مسجاة فى ضوء القمر ، ارتعدت فرائصه وخولط فى عقله فتركها حيث هي وانطلق يعدو فى الشارع كمعتوه حتى بلغ الدار التى يقطنها والده ، وهناك نادى امرأته ، واختلى بها ، وفيما هو يقص عليها ما وقع ، اطبقت عليه خادمة القتيلة فى صحبة عدد من رجال البوليس انتزعوه من بين ذراعى فرناند واقتادوه الى السجن وهو صامت ذاهل واجم لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم كأنه قد صعق أو اصابه مس !

وحكم على ادجار بالسجن ثلاث سنوات ، كانت السنة الاخيرة امرها واشقاها إذ هو لم يتلق فيها اى خطاب من زوجته وعندما استكمل مدة السجن وخرج الى نور الحرية وبحث عن فرناند علم أنها اصيبت بداء السل وماتت منذ شهرين فى احدى المصحات

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

أوربا تكافح الدكتاتوريات

وتنتصر عليها منذ بدء التاريخ

اذا كان تاريخ أوربا يلهب أحلام الديكتاتوريين ، فهو فى نفس الوقت يحذرهم ويلق الرعب فى قلوبهم . والواقع أن أوربا أوشكت سبع مرات أن تسقط فريسة لديكتاتور واحد ، ولكن القدر أنقذها فى النهاية وصرع الديكتاتور ورد الى شعوبها حقهم فى الحياة والحرية . ومع ذلك فارادة السيطرة على أوربا لم تمت ، وهى ما تزال تراود عقول بعض ساستها وحكامها ، برغم الختام الفاجع الذى انتهى اليه فى الماضى كل ديكتاتور .

فمن هم أولئك الطغاة السبعة ، ومتى ظهروا فى أوربا ، وكيف حاولوا بسط سلطانهم عليها ، وماذا كان مصيرهم ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عنه كى يفهم القارىء فى ضوء الماضى حوادث الحاضر وتطورات المستقبل


هانيبال

قبل ميلاد المسيح بنحو ٢٠٠ سنة ، كانت الامبراطورية الرومانية مبعث الحضارة والنور ، وكان من يملك روما يسيطر على أوربا . فظهر هانيبال القرطجنى واجتاح بلاد الغال وايطاليا واتجه صوب روما قلب الامبراطورية وروح أوربا. وهجم هانيبال على العاصمة الرومانية ثلاث مرات وأوشك أن يهزم الحامية العسكرية الصغيرة التى استبسلت فى الدفاع عنها . ولكن عاصفة هائلة مصحوبة برعود وبروق وصواعق ومطر من حجارة وبرد ، هبت على جيشه فجأة ، فألقت الذعر بين صفوفه ، وشردت جنوده

وقواده ، وضاعفت قوة المقاومة عند الرومان ، فتطير هانيبال وخاف غضب الآلهة وعدل عن حصار روما وكر راجعاً الى كابو

وانتهى الصراع بين روما وقرطجنه بهزيمة هانيبال فى موقعة زاما على يد سيبيون الافريقى . وهكذا تخلصت أوربا من الطاغية الذى حاول أن يكون ديكتاتورها الأول

وفى عام ٥٥٠ بعد المسيح ظهر البربرى الثانى اتيلا قاتل شقيقه بليدا ، وركبت رأسه فكرة السيطرة على أوربا فاخترق بلاد الجرمان واجتاز الرين واتجه صوب باريس وتطلع الى البحر . ولكن شيئاً غريباً ، قوة مجهولة ، نزوة عرضية طارئة ، أصابته بغتة فتحول فى اتجاه أورليان بينا كانت جنود الغال تعد العدة لمطاردته . وهناك تحت أسوار أورليان نشبت المعارك التي فصلت فى مصير أوربا وردت اتيلا على أعقابه وبددت أحلامه في السيادة المطلقة على القارة الأوربية



فيليب الثانى

وفى عام ١٥٨٨ ، أراد فيليب الثانى ملك اسبانيا المتعصب نصير محاكم التفتيش ، القضاء على انجلترا ، وبسط سلطانه على البحار ، واجبار أوربا على التسليم بديكتاتوريته ، والخضوع لنير الكنيسة ، فانشأ أسطول أرمادا العظيم من ١٣٠ سفينة ، وعهد بقيادته للاميرال (سيدونيا) ، وأطلقه بين كاليه ودنكرك على الشواطىء البريطانية . وفوجىء الانجليز بالنبأ فهرعت جموعهم الى الكنائس وأسرعت حكومتهم فحشدت أسطولها الصغير وأولت الأميرال هوارد قيادته . واستبد الغرور بالاميرال سيدونيا وخيل اليه أن فى وسعه إحراز نصر سريع ساحق لو أفلح فى ضم أسطول حاكم هولندا الكسندر دى بارم الى أسطوله . فلم يتردد وفاوض الحاكم . ولكن الكسندر دى بارم ـ لسبب لم يكشفه التاريخ بعد ، وقد يكون اتفاقاً عقد سراً بينه وبين الانجليز ـ وعد ثم راوغ وتباطأ فى التنفيذ . فانتهز الاميرال هوارد الفرصة وأطبق ببعض سفنه على أسطول أرمادا فى صميم الليل وأضرم النار فيه . فذهل سيدونيا وارتبك لحظة ، ثم أسرع فكافح الخطر واتقاه . غير أنه فى صباح اليوم التالى وقد اعتزم مواصلة القتال والثأر من أعدائه ، هبت فجأة ريح شديدة زعزعت سفنه وطوحت بها ومكنت الانجليز من اغراق معظم وحداتها

ولما استقر رأى حاكم هولندا على الاسراع لنجدة سيدونيا كان الوقت قد فات . ولما هدأ البحر بعد بضعة أيام شوهدت على سطحه أشلاء متناثرة مبعثرة كانت كل ما تبقى من أسطول أرمادا الرهيب ، ومن أحلام فيليب الثانى فى السيطرة على شعوب أوربا

ولم يكد يمضى نصف قرن على ما تقدم حتى ظهر ديكتاتور رابع هو الدوق دى فريد لاند المعروف باسم ولانشتين

كان هذا الرجل من المحاربين المرتزقة ، قاتل الاسوجيين فى صفوف الجيش النمساوى ، ثم نشب خلاف بينه وبين الامبراطور فخان وطنه وخان سيده ، وانضم الى الجيش الأسوجي ، وشرع يعمل لتحطيم امبراطورية آل هابسبورج وانشاء امبراطورية أخرى فى الشمال تمكن له من بسط سلطانه السياسى والعسكرى على أوربا . ولكن النمساويين الذين لم يكن فى مقدورهم محاربته ، أرسلوا اليه رجلا غافله وهو نائم فى أحد المعسكرات الأسوجية بمدينة (ايجر) وطعنه بخنجره طعنة أودت بحياته وأخمدت فى صدره أحلام السيادة والتفوق . وبعد انقضاء نصف قرن آخر ، واجه النمساويون خطراً جديداً



مصرع الطاغية ولانشتين فى معسكره

كان الاتراك قد وطدوا نفوذهم فى البلقان وفي حوض الدانوب واشرأبوا بأعناقهم الى الغرب ، فزحفوا الى النمسا بقيادة قره مصطفى وحاصروا فيينا ، فاستنجد النمساويون بقائد الجيش البولونى جان سوبيسكى فانجدهم ، وتمكن من الأتراك عام ١٦٨٣ وردهم عن غرب أوربا



قره مصطفى راجعاً الى الاستانة بعد انكساره

وبعد ذلك تألق نجم نابليون الأول ثم هوى ، ثم تألق نجم غليوم الثانى ، ثم هوى ، فى حوادث وظروف معروفة

فهل ينهض غداً من يحاول تكرار مأساة الفتح والتوغل ؟ ربما . فالتاريخ يعيد نفسه ، ونشوة النصر الاولى قد تختم على بصر المنتصر فتحول بينه وبين الاتعاظ بعبر التاريخ

[خلاصة مقال فى مجلة ماريان]

هؤلاء الانجليز..

من محاضرة للاديب الفرنسي أندريه موروا

ما برح الانجليز أهنأ الشعوب بالا ، أو هم كانوا كذلك الى عهد قريب . ويرجع هذا الى ان بلادهم جزيرة نائية عن العالم الصاخب ، أو ظلت هكذا حتى طار « بيرليو » فوق المانش سنة ١٩٠٩ ، ولأن هذه الجزيرة امتلكت سيادة البحار فكانت - « بفضل العناية الالهية والاسطول » - فى أمن من عادية المغير . ولا تنس أن الانجليز لم يأمنوا العدو الأجنبي فحسب ، بل كانت عداواتهم الداخلية هينة يسيرة ، اذا قيست بما كان بين طبقات فرنسا من حزازات عميقة ، أدت الى أن تنقسم إبان الثورة الكبري شعبين متعادبين متحاربين يذبح أحدهما الآخر بكل قسوة وفظاظة

ومع أن تاريخ انجلترا يكاد يخلو من الثورات العنيفة فيما عدا الحركة التى قام بها كرومويل ، فان الشعب الانجليزى هو أكثر شعوب العالم ثورة على النظم القائمة ، وتمرداً على الحياة الراهنة ، ولكن ثورته لاترى أحداثها بل تنم عنها آثارها، فاذا قارنت انجلترا سنة ١٩٣٨ بانجلترا سنة ١٨٣٨ وجدت انقلاباً تاماً فى حياتها الاقتصادية قلما يتحقق مثله فى الشعوب الأخرى إلا اذا غمرت أرضها دماء أبنائها الثائرين ، مع أنه لم تسفك فى انجلترا قطرة دم واحدة مدى هذا القرن

ومن التقاليد الراسخة فى انجلترا أن أية مشكلة مهما تعقدت يمكن حلها اذا اجتمع بضعة رجال حول احدى الموائد . ويرجع هذا الخلق الى قدم النظام البرلمانى فى بلادهم وطول تعودهم نظمه وأساليبه ، وكذلك الى ممارستهم الالعاب الرياضية وتشبعهم بروحها الذي يقوم على التعاون ، ويتشدد فى تطبيق النظام

والانجليزى لا يكتفى بالخضوع التام لنصوص القانون ، بل يأخذ نفسه بكل شدة فى تطبيق قواعد العرف . ولا فارق فى هذا الخلق الحميد أو الذميم بين الطبقات المحافظة المتزمتة ، والطبقات الشعبية المتحررة

ومن طبائع الانجليزى الأصيلة أنه يعتقد أن كل ما فى انجلترا خير مما فى سواها . وهم يستمدون من هذه الطبيعة قوة معنوية عظيمة تجتاز بهم أيام الشدائد والأخطار آمنين مطمئنين . أذكر أنه لما تخلت انجلترا عن عيار الذهب وبدأت قيمة الجنيه الاسترلينى تقل بالنسبة لقيمة العملة الأجنبية سألنى أحد أصدقائى الانجليز بلهجة جدية : « أتستطيع أن تشرح لى ما أصاب النظام المالى فى قارتكم . . اننى لا أفهم ماذا ألم بعقول رجالكم الماليين . . فان عملاتكم ترتفع يوما بعد يوم بلا سبب معقول » فلما أردت أن أبين له أن نظامنا لم يتغير وعملتنا لم ترتفع ، وأن الجنيه الاسترلينى

هو الذى يهبط بسبب ما وقع من التغير فى نظام انجلترا المالى ، أشاح بيده منكراً هذا الرأى وهو يقول ضاحكا : « لا ، لا . هذا الرأى غير معقول . لان الجنيه الاسترليني لا يمكن أن يهبط . . ان جنيهنا جنيه دائما لا يزيد ولا ينقص » . فلم يسعني إلا أن أحنى رأسى معجباً بكبريائه

وكما أن الانجليزى يعتد بنفسه فهو يضع ثقته فى جاره ، حتى يثبت له أنه ليس أهلا لها

وقلب الانجليزى أحفل القلوب بالرضا والسعادة ، والرجل الرضى السعيد لا يكون حقوداً ولا قاسياً ، بل يمتاز بفضائل التسامح والاتكال والصبر والهدوء ، وهذه هى « الفضائل القومية » في انجلترا . وأقصى ما يتمناه الانجليزى أن يترك وحيداً لايعتدى عليه ولا يضطر الى الاعتداء على سواه ، وبهذا يتاح له من الفراغ والهدوء ما يعينه على تعهد حديقته ومداعبة كلبه ، والتفرج على الأجانب وهم يكدحون ويتناحرون فى سبيل حياتهم التافهة

ولكن الانجليزى ليس « مثالياً » هكذا دائماً أبداً ، بل هو « واقعى » كذلك الى حد بعيد ، فالانجليزي انسان قبل كل شيء تعيبه كثير من النقائص والمساوىء . فكثيراً ما يحب زوجة جاره ويطمع فيها ، وكثيراً ما يشترى فى السوق الرخيصة ويبيع فى السوق الغالية . فكيف اذن يوفق بين ضرورات الحياة البشرية وأساليب الحياة السياسية ، وبين الأصول « المثالية » التى تعمر قلبه كأنها جزء من فطرته الطبيعية ؟ حقاً انها مشكلة ، ولكنه لايعمد الى حلها ، بل يداور ويحتال حتى يجد مخرجاً . .

وهذا ما يعرف عند الانجليز بالمصالحة « Compromise » ، وهي خدعة لايطيقها ذهن الفرنسى ولايسيغها منطقه ، ولكنها عند الانجليزى خير وسيلة لتحقيق العدل وا كتساب المصلحة فى وقت واحد . . فمثلا عند ما قامت مشكلة رد ما لأمريكا من ديون على دول أوربا ، قال بعضها . « نعم يجب أن ندفع فهذا حقها علينا » ، وقال بعضها : « كلا لن ندفع . وقد أخطأت أمريكا باقراضنا » أما انجلترا فقالت : « أما أنا فأدفع ١٠ فى المائة من الدين » . . فلماذا تدفع ١٠ فى المائة يا ترى ؟ لأنها بذلك ترضى الامريكيين ، ولا تتكلف كثيراً . وهذا هو فن المصالحة الذى أتقنته انجلترا . .

وانجلترا أشبه بزوج وزوجة . أما الزوجة فهي الرأي العام الصارم الحازم ، الشاعر المثالى . وأما الزوج فهو وزارة الخارجية ووزارة الحربية والأسطول البريطانى ، وهو رجل لا يداور ولا يحاور ، ولا يصغى الى العواطف ولا تهزه المشاعر . والزوجة هي التى تتحدث دائماً ، ولكن حديثها لا يجاوز المسائل التافهة ، أما حين يجد الجد فالكلمة للزوج وحده . وهذا ما تظهره لنا الاحداث السياسية المتتابعة ، فاذا كان الامر لايتطلب أ كثر من العطف والشفقة دوت أصوات الرأى العام الانجليزى تهتف للحرية وتنشد العدالة ، فاذا ما تطور الأمر وصار يمس الصالح الانجليزى أو يقتضى التضحية الغالية ، انتهت مهمة الرأى العام وبدأت مهمة الاسطول والجيش والوزارة

[عن مجلة ليكتشر ريكوردر]

عصرنا عصر رهيب

نخفه الاخطار والازمات والمغامرات

يتوهم أناس أن عصرنا هـذا ، هو عصر الحياة بأقل كلفة وأيسر مجهود . ولـكنه فى الواقع عصر المغامرة والاستهداف لشتى المخاطر . ولو أنه كان عصر أمن وهدوء ، ما شاعت بين النـاس عادة التأمين على الحياة ضد كوارث المرض والشيخوخة والموت

وان مجرد نظرة تلقى على صحيفة يوميـة ، تـكفي لاشعارنا بهذه الظاهرة . فحوادث السرقة والافلاس والانتحار والقتل ، وفواجع الحب والزواج والطلاق وهتـك الاعراض ، تملأ أعمدة الصحف ، وتلقي فى روع القارىء أن العواطف البشرية قد ازدادت تأججاً واضطراماً ، وان الفرد لم يتحضر إلا ليحيا فى عصر يشبه عصر المغاور ويخضع لقانون يشبه قانون الغابة

والحق أن جماهير الناس أصبحت تحيا حياة كتلك التى يحياها جيش الممثلين فى مدينة سينمائية . فالكل ينزلون على حكم الرؤساء ، والـكل يخضعون لارادة الشركة ، والنابغ المتفوق لايظهر إلا ليختفى ، والجميع يكافحون فى صمت وذعر للفوز بالرغيف ، فان فازوا به وضمنوه ، حلموا بالثروة ، وان امتلكوا الثروة ، ارتعدت فرائصهم وخافوا حرباً أهليـة أو حرباً وطنيـة أو اعتداء خارجياً أو أزمة اقتصادية تزعزع كل شىء وتجرف كل شىء

وكما يتضور آلاف الهواة جوعاً فى مدينة السينما ، وأبصارهم تتطلع الى النجم العابر الفائز بالشهرة والمجد والمال ، كذلك الأمر فى حياتنا : فقر مشوب بالذل ، تروض عليـه النفس أملا فى نجاح مهدد سريع العطب ، سريع الزوال

ولقد أفضت هـذه الحياة القائمة على صراع مطرد يخيم عليـه القلق والرعب ، الى ان أصبح الانسان يحذر صديقه ، ويجزع من ظله ، ولا يثق بأقرب الناس اليه ، ولا يفـكر الا فى مصلحته ، ولا يعيش الا منطويا على نفسه ، موزعاً جهوده بين الاحتفاظ بما يملك أو تنميته أو الدفاع عنه

وهكذا تضاءلت النزعة الاجتماعية ، وتقطعت أواصر الالفة الطبيعية بين الافراد ، وأحس بعضهم أنهم فى عزلة ، فشرعوا يقومون بالرحلات والمغامرات ومختلف ضروب المخاطرة التى تعوض نقص الحياة وتملأ فراغ النفس

على أن الأحداث الطارئة ، والانقلابات المفاجئة ، والأزمات والثورات والحروب ، التى تفعم حياتنا العصرية بالمخاطرة ، تجعل منها حياة غريبة تتأرجح بين الذل والبطولة

فاما خنوع واستسلام وفنـاء يومى بطىء ، واما كفـاح دائم يرمى الى التفوق واحراز نصر حقيقي أو موهوم

فرجل الأعمال مثلا يتفوق على ذاته ويجمع الثروة بشق النفس وهو يعلم ان إعصاراً مالياً طارئاً قد يذهب بها فى لحظة

ورجل الحرب يتفوق على ذاته ويعد عدته ، وهو يعلم أن الربح والخسارة فى الحرب سواء

ورجل السلم الحالم المنكود يتفوق على ذاته ويعمل ويفكر ويدعو ، وهو يعلم أن جهده الغالى الى هباء

ورجل الشارع يتفوق على ذاته ويدخر وهو يعلم أن الحرب واقفة له بالمرصاد

والمواطن الحبشى أو الصينى أو الاسبانى ، يخرج بغتة من حياته الوادعة ، ويزج به فى حرب يقبلها ويطاول قمة البطولة فيها وهو يعلم علم اليقين أن مصيرها الفشل المحتوم

فهذا اللون الفاجع هو لون عصرنا ، نحن نعيش فى الخطر ، والخطر أصبح مادة حياتنا ، خطر الحرب الاقتصادية باعثة الكوارث وولادة الخطوب والقوة العصرية التى لا تكل ولا ترحم

ولقد توهم كثيرون ان العلوم والمخترعات والآلات ستمهد لعصر أمن ورفاهية ، ولكن الصراع الاقتصادى لم يكن فى يوم من الايام أشد منه فى عصرنا

فأين هم الناس الذين يعيشون الآن فى دعة وأمن ؟ . . .

[خلاصة مقال فى مجلة ليموا]

المانيا لا تستطيع الثبات

اذا طال أمد الحرب القادمة

ليس شك فى أن الحرب الحديثة تنهض على الحديد والبترول . فهل تملك المانيا كميات وافرة منهما تستطيع الاعتماد عليها فى كسب حرب طويلة ؟

الواقع أن المانيا برغم احتلال النمسا لا تملك أكثر من خمس مناجم الحديد التى كانت تملكها بالاشتراك مع النمسا والمجر عام ١٩١٤ . ويزعم المارشال جورنج أن فى وسعه مضاعفة انتاج المناجم الالمانية الوطنية فى بضع سنوات . ولكن المعروف أن هذا الانتاج ليس من النوع الجيد ، وأن المانيا تغذى الآن صناعة السلاح بالحديد الذى تستورده من مناجم (لابلند) الاسوجية الغنية

ويلاحظ أن المانيا تستهلك فى الوقت الحاضر من البترول سنوياً ما يقرب من ستة ملايين من الاطنان وأكثر من مليونى طن من البترول الصناعي ، ومما لا يقبل الريب أن هذه الكميات لا يمكن أن تكفى حاجة البلاد والجيش فى حالة حرب . فالجيش العصرى الكبير المزود بالسيارات المصفحة والأسلحة الميكانيكية يتطلب على أقل تقدير ١١ مليون طن من البترول والزيوت

فلكى تحصل ألمانيا على هذه الكمية الهائلة بوسائل صناعية ، يجب أن تنتج ٣٥ مليون طن

من الفحم ، وتستعين بأربعمائة الف عامل ، وتنفق ٥٠ مليار فرنك ، وتظل تواصل العمل فى هذا السبيل سنوات

ولو قدر لها وأفلحت فسيكلفها البترول الصناعي أربعة أضعاف ما يكلفها البترول الطبيعى

أما فيما يتعلق بالمطاط ، فقد وفق الألمان الى ابتكار نوع صناعى منه أطلقوا عليه اسم (بونا) ولكن هذا النوع لا يكفى ربع ما تستهلكه البلاد فى زمن السلم ، وهو الى ذلك يكلف أيضاً أربعة أضعاف ما يكلف المطاط العادي . وهناك الياف من الخشب يصنع الألمان منها صنفاً رديئاً من القطن الصناعى لايكاد يفى بخمس حاجات البلاد

وأما فيما يختص بالمواد الغذائية ، فمساحة الأراضى المزروعة لا تنفك تنقص فى حين أن عدد السكان يزداد . وقد يتوهم أن فى مقدور المانيا الحصول على بعض مواد غذائية من النمسا ، ولكن أرض النمسا جبلية وليست غنية الا بالأخشاب فقط . ومما يدل على فقر الألمان فى المواد الغذائية أن كميات الشحم والزبدة لا توزع اليوم إلا بقدر محدود ، وكذلك البيض واللحم والقشدة

لهذه الأسباب مجتمعة تطلع الألمان بأبصارهم الى منطقة السوديت ، توطئة لبسط سيادتهم الاقتصادية على دول الدانوب حيث قمح هنغاريا وبترول رومانيا . فمتى تمت لهم هذه السيادة ، استطاعوا الاشتباك في حرب طويلة قد يكون هدفها الأول اتحاد جمهوريات السوفييت

ولا شك فى أن المانيا لو استولت فى الحرب المقبلة على بلاد المجر ، فستصبح آبار البترول الرومانية على بعد أربعمائة كيلو متر منها . وأما مناجم حديد لابلند الاسوجية فتبعد عن المانيا بنحو ١٦٠٠ كيلو متر . ولكن فى وسع الأسطول البحرى الالمانى التمكن منها بفرض رقابته على مياه البلطيق . وعندئذ تضطر المانيا للدفاع عن خط مواصلات يمتد من أسوج الى البحر الأسود ، ويكون عليها الثبات فى وجه فرنسا وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا وبلاد سكندناوه وروسيا وربما انجلترا

فيتضح مما تقدم أن المانيا حتى فى حالة الفوز بتحقيق أغراضها فى حوض الدانوب ، لا بد أن تصطدم فى الحرب المقبلة ــ لو طالت ــ بمجموعة من الدول لا يستهان بقوتها ومواردها

أما ايطاليا حليفة الألمان فلا يمكن الاسراف فى الاعتماد عليها ، إذ هى فقيرة فى الحديد والبترول والفحم ولا تملك فائضاً من المواد المصنوعة تستطيع أن تعاون به ألمانيا

والحقيقة أن ايطاليا لن تغامر بالدخول فى حرب المانية الأهداف . وهذا هو موقفها المتردد شبه المحايد فى أثناء أزمة السوديت يدل على عدم دخولها حرباً لا تخدم غير المطامع الالمانية

وصفوة القول أن المانيا لا تستطيع الثبات الآن فى حرب طويلة ، وأما إذا غامرت بمثل هذه الحرب بعد توسع طويل ــ اقتصادى أو عسكرى ــ فى أوربا الوسطى والشرقية ، فستواجه كما ذكرنا مجموعة من الدول يحتمل جداً أن تهزمها وتعصف سريعاً بمختلف الموارد التى أعدها الألمان للفوز فى حرب طويلة

[خلاصة مقال فى مجلة أوكوران]

اينشتين الساذج

أعظم علماء العصر الحديث


العلامة البرت اينشتين

منذ خمس سنوات هبط مدينة برنستون بأمريكا رجل أثار طلعة الناس جميعاً ، فلما خرج أول مرة يشاهد أرجاء المدينة أخذ أساتذة الجامعة أنفسهم ، وقد كلل الشيب رؤوسهم وأحنت الأسفار ظهورهم ، يترقبون رؤيته فى لهفة ثم يتطلعون اليه فى عجب . بينما راح سواهم يلاحق الرجل أينما سار وهم يتهامسون : أية أفكار هائلة تموج الآن وراء هذه الجبهة العريضة ؟ أما هو فقد ظل يضرب فى الطريق غير منتبه الى مئات العيون التى ترمقه فى فضول ، ولا الى الجمع الحاشد الذى يتبعه متهامساً متسائلا . حتى وصل الى متجر فدلف اليه ، فلم يبال بعض الناس أن يتسلق نافذة المتجر ليرى ما عسى أن يفعل هذا الرجل . ولكن ما أقسى الصدمة التى صدم بها خيالهم « الخصب » إذ رأوه يبتاع قطعة من الحلوى المثلجة ويأكلها فى شغف ولذة كأنه طفل كبير !

ذلك أن هذا الرجل هو البرت اينشتين الذى أقام أكبر ثورة علمية فى القرن الحالى ، فلم يمنعه هذا من أن يحيا حتى اليوم حياة كلها بساطة وسذاجة وطفولة

تذهب الى بيته المنزوى في شارع مجهول وتدخل حجرته الضيقة التى لا يبدو عليها أنها مثابة هذا الرياضى العبقرى ، فتجده أمامك فى ثياب فقيرة مهلهلة ، تضطرب فوق رأسه الكبير خصلات من الشعر الأشيب الأشعث ، وتتألق تحت جبهته البارزة نظرات شديدة العمق متألقة الصفاء . ينظر اليك مبتسما يرجوك أن تمهله قليلا حتى يتم ما يسطر من أرقام ورموز رياضية ، ثم يمزق الورقة التى كتبها كما مزق من قبل آلافا مثلها أمضى العمر كله فى كتابتها . وكلما أتعبته هذه

الأرقام وأجهدته تلك الرموز ، عمد الى « البيانو » أو « الكمان » يعزف عليهما بعض المقطعات الموسيقية ، أو خرج الى الطريق يضرب فيه على غير هدى ، ولكنه فى أثناء هذا كله يفكر أعمق تفكير ، بطريق لا شعورى ، فى أرقامه ورموزه . وقد ذكر ان بعض الاجزاء الدقيقة فى نظريته النسبية قد وصل الى حلها بينما كان يدفع عربة طفله فى احدى الحدائق

وأبرز ما يأسر المرء حين يتطلع الى وجه اينشتين هذه النظرة الوادعة الحالمة التى لاتنبعث إلا من رجل حافل القلب بكل أسباب الرضا والسعادة فهل هذه الشهرة الخافقة الخالدة هى سر سعادته؟

إن نظريته قد غيرت رأي العلم فى الكون تغييراً تاماً ، وقد قيل انها أوسع خطوة خطاها العلم حتى الآن . ومن المرجح أن هذه الاثنتى عشرة صفحة التى كتبها اينشتين فى شرح نظريته هى أهم مستند كتب فى هذا القرن الحالى . فقد وضع فى بحر الخمسة عشر عاماً الماضية ٣٧٧٥ كتاباً ورسالة فى إيضاح هذه الصفحات الاثنتى عشرة !

وليست شهرته مقصورة على دوائر العلماء أو صفحات الجرائد ، بل ان صورته معروفة للجماهير كصورة أى نجم من نجوم السينما . ولكن هذه الشهرة تكلفه كثيراً من الجهد والمشقة لانه حيي لا يستطيع أن يصدم الناس ويبعدهم عنه

وحياته يسيرة التكاليف جداً ، ولهذا لا يلقى باله الى المال كثيراً ، فحين منح جائزة نوبل وقيمتها المالية ٥٠٠٠ من الجنيهات ، تبرع بها لاعمال الخير ولم يبق لنفسه شيئاً . ورياضته هي السير الطويل والتجذيف ، وهو يكره الالعاب التى تتطلب تفكيراً كالشطرنج و«البريدج» لانها تستنفد من قوى الذهن بلا نفع ولا جدوى ، ولا يذوق الخمر ، ويدخن ثلاث مرات فى اليوم فقط . ورأيه فى القراءة غريب ، اذ يرى « أن كثرة القراءة تسلب العقل بعد سن معينة قدرته على الخلق والابتكار وكل رجل يسرف فى القراءة ويقلل من اعتماده على ذهنه لا بد أن يمنى بكسل وعجز فى تفكيره »

وبرغم حيائه وسذاجته تجده جريئاً فى تمرده على العرف السخيف . أقام مدير احدى الجامعات حفلة لتكريم اينشتين ، وبعد العشاء طلب اليه أن يلقى كلمة فنهض وقال : « سيداتي ، سادتى : آسف لانى لا أجد ما أقوله الآن » ثم جلس وبعد قليل نهض واستأنف خطبته قائلا : « وعندما أجد ما يستحق أن يقال سآتى اليكم لافضى لكم به » وبعد ذلك بستة شهور أبرق الى مدير الجامعة هذه الرسالة : « وعندى الآن ما أستطيع ان أقوله » . فأقيمت حفلة أخرى التى فيها اينشتين محاضرته

ولم تكن تبدو عليه فى سنيه الاولى مخايل الذكاء . فلم يعرف أنه يهودى الا حين كان مدرسه فى احدى مدارس ميونخ الابتدائية يروي قصة اضطهاد اليهود للمسيح وصلبهم اياه ، فأخذ التلاميذ ينظرون الى اينشتين نظرات غريبة ، فسأل عن سرها فأفهم معنى أنه يهودى . . ! ولما أراد الالتحاق باحدى مدارس زيوريخ بسويسرا سقط فى امتحان الدخول سقوطاً فاحشاً ذلك أن عقله لم يخلق ملائماً لاوضاع الدراسة المنتظمة وقواعد التعليم المقررة . ولكنه ثقف نفسه بنفسه ثقافة عالية ،

فحين بلغ الرابعة عشرة كان يفهم الفيلسوف «كانت» فهماً دقيقاً ويؤثره على سواه من الفلاسفة . وقد بدأ يفكر فى النسبية وهو في سن السادسة والعشرين . وظل مكباً على وضعها وتأليفها عشر سنوات متصلة كلها صبر وجهاد ، حتى أتم بناءها الشامخ سنة ١٩١٥

ولم تبال ألمانيا النازية بحياته العلمية الحافلة ولا بانتاجه الفكرى الضخم . فعزلته من أكاديمية العلوم ، وصادرت أمواله المودعة فى المصارف ، واستولت على أملاكه الخاصة . ثم فتشت بيته لتبحث فيه عن أسلحة مخبأة !

سألته احدى السيدات ذات مرة : « هل أنت واثق من أن نظريتك صحيحة » فأجابها : « أعتقد ذلك . ولكن هذا لن يثبت إلا سنة ١٩٨١ أى بعد أن أموت . وحينذاك ان ظهر أن نظريتي صحيحة قال الالمان : انه كان ألمانياً صميماً ، وقال الفرنسيون : بل كان يهودياً اضطهدته ألمانيا . وان ثبت ان نظريتى خطأ قال الالمان : إنه كان يهودياً طردناه من بلادنا ، وقال الفرنسيون: بل كان ألمانياً صميماً » [خلاصة مقال لادوين مولر فى مجلة ذى نيشون]



انتحار اديب تشيكي

ورسالته الى قومه والعالم

لما شاهد الأديب التشيكي جان دوبروفتش كيف مزق وطنه عقب أزمة السوديت ، برم بالحياة فكتب هذه الرسالة ثم انتحر ، قال :

ــ لم أفكر فى الانتحار لأنى بائس متعطل ، أولأن المرأة التى أحبها غدرت بى ، أو لان مرضاً عضالا أصابني ، بل لقد فكرت فى الانتحار يوم ان أشرقت بصيرتى واستفاق عقلى ، وأدركت ان جميع المبادىء والافكار التى كنت أومن بها وكان يقدسها الملايين غيرى ، دخلت فى دور الاحتضار وأوشكت على الفناء فى ظلمة الموت الابدى !

وانى لأسائل نفسى أية قيمه لحياتى فى هذا العصر الذى ينكرنى وينكر أمثالى . ويطعننا فى شغاف قلوبنا ، ويأبى الا ان يرقص على أشلائنا وهو يودعنا الوداع الأخير ؟ .

لقد آمنت بالديموقراطية ، وها هى ذى الديموقراطية تنكس رأسها ، وترتد على أعقابها ، وتنهزم شر هزيمة ، وتمكن البرابرة المستبدين من حكم العالم

ولقد آمنت بعصبة الامم ، وبنظريات التحكيم ، وبخير ما فى العقل البشرى من قوى معنوية تتساند وتتراص لدفع كل اعتداء ظالم ، وها قد انهار بناء العصبة ، وقوض دعائمه الديموقراطيون

أنفسهم ، فكانوا أول ضحاياه وأول من سقط تحت أنقاضه

ولقد آمنت بالنزعة المثالية الانسانية ، واعتقدت ان كوارث الحرب الماضية ، سوف تقرب بين الشعوب ، وتؤلف بين الافراد ، وتقر العدل في الدنيا ، وتمهد لايجاد ولايات أوربية متحدة ، وتحمى الدول الصغيرة الناشئة من طغيان القوة العمياء ، وها قد اختنقت النزعة المثالية ، وانطفأت الروح الانسانية ، وبرز جبار الاستعمار من كهفه ، وعاد ينفث سمه الصاعق فى صدور الملايين من اخواني أبناء الحبشة والصين وأسبانيا !

ولقد آمنت بحرية الفكر ، وأشربت حبها فى عقلى ونفسى ، وعشت منها ولها ، ورأيت فيها قبلة الانسان وغاية الحياة ومعنى التطور ، وها هى ذى عينى الكليلة الزائغة تشهد مصرعها ، وترمق فى نظرة الهول والاستنكار ، جموعا هائلة من الناس يهش عليها بالعصا ، وتساق كالأنعام ، وتأكل وتشرب وتفرح وتهلل وتستطيع الحياة بدون حرية !

ولقد آمنت بالمواثيق السياسية ، والوعود السياسية ، والمحالفات السياسية ، متى دعت اليها وبشرت بها وعقدتها أمم تدين بالمذهب الديموقراطى ، وها قد أحسست بقلبى وشعرت بدمى ورأيت بعينى ، كيف ان الديموقراطية نفسها تخون ، وكيف اصبحت الانانية لب السياسة ، وكيف ان جميع أحرار العالم تخلوا عن وطنى ، فأصبح فريسة لعقبان أوربا وغربانها

كل ما آمنت به قد تداعى ، وكل ما أحببته قد انهار

العواطف قد تبلدت ، والقلوب تحجرت ، والغيرة المقدسة ماتت ، والجبن الشاحب الوجه المصفر الجبين انكمش فى جحره وأسلم عنقه لسيف الجلاد ، وها هو ذا الجلاد المديد القامة العريض المنكبين المفتول العضل ، يلوح بسيفه الدامى ويقهقه قهقهة مدوية كالطبل قاصفة كالرعد هادرة مزمجرة كالريح أو كالصرع أو كالجنون

فكيف أذكر الناس بما انتهى اليه مصيرهم ، وكيف أوجه أنظارهم الحسيرة الى الخطر البالغ الذى يتهددهم ، وكيف أوقظ بلادى وأهز ضمير العالم ، بل كيف أنقذ الديموقراطية من نفسها ، وأرد الحضارة الغربية العزيزة الى محجة الصواب والهدى ؟ . .

لا بد لذلك من ضحية !

وسأكون أنا هذه الضحية !

فلتلك الأسباب مجتمعة أقبل الموت ، ومن أجلها أودع شبابى وأحلامى وكل ما أملك من دم الصبا الحار ، فلعل موتى ينفع سواى ، ولعل استشهادى فى سبيل خير الناس ، يشعرهم آخر الأمر ، بتبكيت الضمير ، وثقل المسئولية ، وارادة التوبة والندم ، فيتحالف أقواهم عزيمة ، وأنبلهم نفساً ، وأعمقهم فكراً ، وأصدقهم محبة وإيمانا ، على اقرار الحرية والعدل والمساواة فى هذه الدنيا !

[خلاصة مقال فى مجلة ايتاب]

موسولينى وهتلر وستالين

فى حياتهم الخاصة

ثقافتهم

موسولينى هو أوسع رجال الديكتاتورية ثقافة وأقدرهم على « السفسطة » ، وقد درس بنفسه الفرنسية والالمانية ويتكلمهما بطلاقة تامة . وما من سياسي معاصر يلم المامه بالآداب الحديثة وآثارها . وقد أدهش المؤرخ الكبير « اميل لودفيج » بمعارفه التاريخية الدقيقة المنسقة . وهو يحب الكتابة ويجيدها كل الاجادة ، فقد ركز فى اثنتى عشرة صفحة كتبها عن الفاشستية ما اضطر هتلر الى التعبير عنه فى ٦٠٠ صفحة يتألف منها كتابه المهلهل « كفاحى »

ولم يجاوز هتلر مرحلة التعليم الابتدائى ، ومدى ثقافته ضيق جداً . فهو لا يكاد يقرأ شيئاً ، ويكره الدراسات الفكرية كلها ، ولا يعرف أية لغة أجنبية سوى بضع كلمات من الفرنسية الركيكة

ويخيل الى كل امرىء أن ستالين رجل من رجال الاجسام الفارهة والغرائز الجامحة ، لامن رجال الثقافة الواسعة والتفكير المستنير . لهذا يدهشه كثيراً أن يجد حديث هذا الرجل مدعماً دائماً بأقوال أفلاطون ، حافلا باستشهادات من سرفانتس ودوديه . وهو واسع الاطلاع على شتي الشئون السياسية والاقتصادية . وقد أظهر فى حديثه مع مستر ويلز أنه يعرف عن ثورة كرومويل ونشأة الدستور الانجليزى ما لا يعرفه كبير الكتاب الانجليز نفسه . . .

عواطفهم

كان موسولينى في شبابه مغرماً بالنساء ، ولكنه لم يعد يأبه لهن كثيرا فى سنيه الأخيرة . وهو الديكتاتور الوحيد الذى يولى حياته الزوجية كثيراً من عنايته . وقد ظل من أول عهده بالحكم منصرفا عن أسرته الى شئونه السياسية ، فلم يصحبها الى روما الا بعد أن استتب الأمر فيها

أما هتلر فلا يكره المرأة ولا يزدريها ، ولكنه يروغ منها ويعرض عنها . وهو يسلك تجاهها مسلك « الفارس » الحذر الحريص ، الذى يحني هامته ليقبل يدها ، دون أن يريد شيئاً بعد ذلك . والأرجح أنه ما يزال عزباً حتى اليوم ، ولا ينتظر أن يتزوج فى المستقبل

وحياة ستالين الجنسية عادية سليمة . فقد تزوج مرتين ويقال انه يعيش الآن مع أخت رجل من رجاله المقربين . وتبدو على هـذا الطاغية كل أمارات البساطة والسذاجة . فقد جلس ذات

مساء مع أحد أصحابه يقلب كتابا المانياً مصوراً عن « تاريخ الاخلاق » ، فوجد فيه صورة تمثل وضعاً من الاوضاع الجنسية الغريبة . فنظر الى صاحبه مندهشاً يسأله :

« قل لى يا راديك : أحقاً هناك من الناس من يفعل مثل هذا ؟ »

دخلهم

يعول موسولينى أسرة كبيرة ولهذا يهتم بالمال اكثر مما يهتم زميلاه . ومع هذا فان مرتبه الشهرى ٨٫٠٠٠ من الليرات الايطالية أى زهاء ثمانين جنيها . وقد ظل سنين عدة يعتمد قبل كل شىء على مرتبه مما يكتبه فى صحف « هيرست » الامريكية ، ومقداره ٣٠٠ جنيه فى الاسبوع

ولا يتقاضى هتلر أى مرتب من الدولة . فقد تنازل عنه ليضاف لاعانه العمال المصابين فى أثناء مزاولة العمل . وهو ليس فى حاجة الى المال لأن الدولة تتكفل بنفقات مسكنه وخدمه وسياراته، وحسبه الربح الطائل الذى يدره عليه كتابه

ومرتب ستالين الشهرى الف روبل ، أى حوالى ١٠٠ جنيه

حمايتهم

اعتدى على موسولينى خمس مرات أو ست مرات بقصد قتله ، ومع هذا يأبى أن يتخذ كثيراً من الاحتياطات لحمايته ، ذلك أنه من أشد الناس إيماناً بالقضاء وتسليما للقدر . وهو يذهب كل يوم من بيته الى مقر الحكم منفرداً بغير حراس

ويقال ان الرجال الثلاثة المكلفين بحراسة هتلر قد ارتبطوا « بتعهد انتحار » ، أى إذا أصيب الزعيم برغم سهرهم وحذرهم فأنهم يقتلون أنفسهم توا ، وهو يحاط أينما ذهب بحلقات محكمة من الشرطة والجواسيس ، وإذا أراد أن يمر وسط جمهرة من شعبه اصطف على جانبى طريقه كتلتان متراصتان من الجنود والعيون

أما ستالين فكثيراً ما رئى يسير على قدميه فى الشوارع مع بعض أصحابه . وهو يقف منفرداً مرتين على قبر لينين ، حيث تمر أمامه جماهير من الشعب المزدحم ، فلا يعسر على أحدهم أن يناله بالأذى لو أراد

مايحبون وما يكرهون

يمارس موسولينى كثيراً من الالعاب الرياضية . ويؤثر ركوب الخيل والسباحة والمبارزة على سواها . أما هتلر فلا يهوى أية رياضة بدنية وان كان قد بدأ يحب سباق الزوارق فى البلطيق والبحر الشمالى . وهوايته الوحيدة هى استماع موسيقى واجنر ، التى لها تأثير قوى فى مجرى حياته .

ويحب ستالين مشاهدة التمثيل والرقص ، وكثيراً ما يذهب الى المسارح ودور السينما . وقد رأى «فيلماً» يصور بعض حوادث الثورة البولشفية أربع مرات . وهو يقرأ كثيراً ، ويلعب الشطرنج أحياناً

ويكره موسوليني الارستقراطيين ، والمال ، والقطط ، وتقدم السن . . ويبغض بل يعاف المسنين ولا سيما المسنات . ويكره أن يذكر بأنه قد صار جداً

ولا يكره هتلر سوى اليهود

ولستالين عدوان : الرأسمالية ، وتروتسكي

[خلاصة مقال فى مجلة بوك دايجست مأخوذة من كتابي « في اوربا » لجون جنتر ، و « أعرف هؤلاء الديكتاتورين » لورد برايس]

هل يبيض الزنجي ؟

الطب يحاول تغيير لون البشرة

يشتمل الجسم على كميات من « الأصباغ » مختلفة الألوان ، هي التي تمد أجزاء الجسم بألوانها المتعددة ، فتجعل البشرة مثلاً بيضاء ، والشعر أصفر ، والعينين زرقاوين ، وهكذا

وهذه « الأصباغ » تؤدي وظيفتها هـذه بفضل « الهرمونات » التي يحتويها الجسم . فحين يتقدم المرء فى السن يفقد الشعر لونه وينقلب أبيض ، وذلك لأن هذه « الأصباغ » تقل وتفني شيئاً فشيئاً ، تبعاً لما يفقده البدن من « الهرمونات » . ومن المعروف أن بشرة المرأة قبل الوضع تضرب قليلا الى السمرة ، لأن أصباغ الجسم ينتابها شيء من التغير ، نتيجة ما يعترى الهرمونات فى أثناء شهور الحمل المجهدة

فما هي هذه الهرمونات التي تؤثر فى أصباغ الجسم وألوانه ؟ إنها غدد ليس لها مجرى أو قناة تسير فيها إفرازاتها متجهة إلى جزء معين من أجزاء الجسم ، بل تنطلق افرازاتها فى مجاري الدم مباشرة فتصل الى كل عضو وكل نسيج ، وبذلك تؤثر فى جميع أجزاء البدن وفى جميع الوظائف التي تؤديها

والعلاقة وثيقة جداً بين الجلد وهـذه الهرمونات ، تدلنا على ذلك التغيرات الفجائية التي اعترت ألوان بعض الطيور وبعض الأسماك ، حين أضاف اليها الاستاذان « زوندك » و « بيير » هرمونات جديدة

فمنذ سنوات استخرج هذان العالمان بعض الهرمونات من حيوان من ذوات الثدى ، وحقن بها سمكة رمادية اللون ، فاذا بها تنقلب عقب هذه العملية سمكة ذهبية قاتمة . ولكن لم يستمر هذا اللون الجديد سوى ساعات ، ريثما جردت هرموناتها القديمة هذه الهرمونات الجديدة من قوتها وأبطلت تأثيرها

وقد جربت هذه العملية فى ضفدعة ، فأدت الى مثل هذه النتيجة

وبهذا رأى العلماء أن تجاربهم يمكن أن تنجح إذا أجريت فى جسم الانسان . فهم يعتقدون أن بشرة الزنجي سوداء ، لأن هرمونات جسمه تجرى على نظام يخالف نظام الهرمونات فى جسم الأوربى الأبيض . فاذا أمكن « تعديل » هرموناته وتكييفها بحيث تكتسب الخصائص التي تستمتع بها هرمونات الرجل الأبيض ، فان بشرة الزنجي لا تلبث ان تبيض ...

ويقوم الآن أحد العلماء الأمريكيين ، هو الأستاذ ف . شيروكاور ، بتجارب يريد بها إيجاد وسيلة دقيقة محكمة « لتعديل » هرمونات الزنوج ، كما يزيل عنهم هذا السواد القاتم . وقد نجح فعلا فى تحويل خمس بشرات حالكة السواد ، الى بشرات سمراء إلى حد ما

وما من شك فى أنه إذا استطاع العلم أن يتغلب على هذا الفارق الواضح بين الأجناس ، فان الانسانية ستخطو خطوات فسيحة فى سبيل توثيق عراها المفككة ، والتقريب بين أطرافها المتنافرة

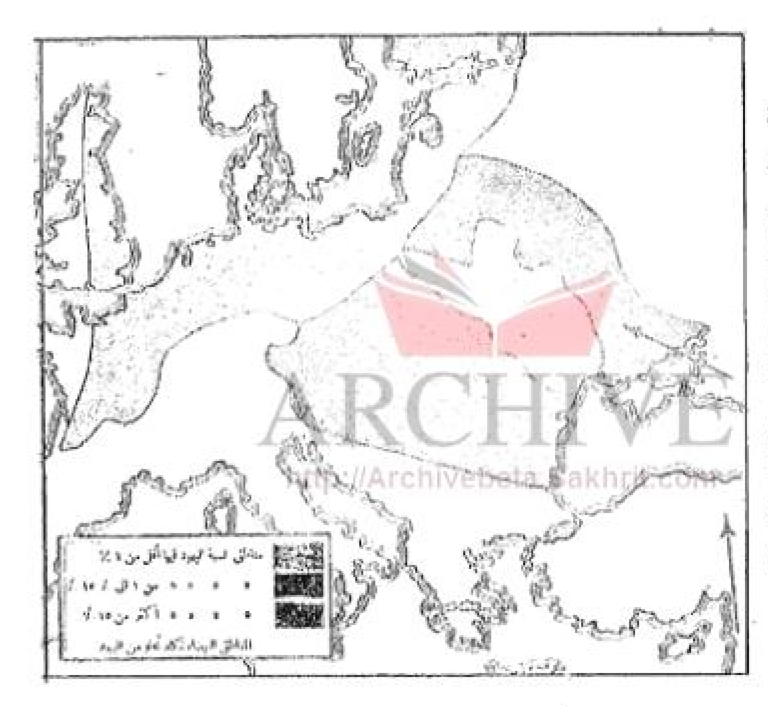
[خلاصة مقال فى مجلة باريد]



العلم والعالم

ليس اليهود جنساً

يطلب اليهود انشاء وطن قومي يجمع أشتاتهم، بدعوى أنهم « شعب » له ما لسائر الشعوب من صفات مشتركة ومقومات واحدة، خلطت بين الجماعات التى تتكلم لغة واحدة أو تعتنق ديناً واحداً، وزعمت أنها تؤلف جنساً واحداً له صفات ومميزات معينة. فبعض الساسة



تبين هذه الخريطة نسب انتشار اليهود فى أرجاء أوربا. وفى زاويتها اليمنى سهمان يشيران الى المنطقتين اللتين انحدر منهما اليهود جميعاً وهما منطقة بلاد الخزر التى يرجع اليها ثلاثة أرباع اليهود ومنطقة البحر الأبيض المتوسط التى يرجع اليها ربعهم الباقى

وتضطهد ألمانيا اليهود جميعا وتبعدهم من أرضها لأنها تعدهم « جنساً » سامياً تخشى أن يلوث الدم الآرى النقى.. فهل اليهود على حق فى ادعاء أنهم « شعب » كباقى الشعوب، وهل النازى على صواب فى اعتبارهم « جنسا » من الأجناس؟

لقد أثبت الاستاذ جريفث تايلور خطأ هذا الرأي فى محاضرة ألقاها أمام « المجمع البريطانى لتقدم العلم » أبان فيها أن الاغراض السياسية قد يتحدث كل يوم عن « الجنس اليهودى».. واليهود ينادون كل حين بحقوق « السلالة اليهودية »، مع أن اليهود ليسوا جنساً ولا شعباً، بل هم « وحدة ثقافية » لا أكثر ولا أقل. ونعنى بهذه الوحدة جماعة من الناس يتكلمون كلهم، أو أكثرهم، لغة واحدة، ويدينون جميعاً، أو أغلبهم، بدين واحد

وذلك أن اليهود لا ينحدرون من أصل

واحد ، بل ينتمون الى جنسين مختلفين : الجنس الذى يستوطن حوض البحر الابيض المتوسط ومنه يهود فلسطين الأصليين ، والجنس الذى يستوطن اقليم الخزر فى شمال البحر الاسود ومنه اليهود المنتشرون الآن فى أواسط أوربا وغربها . والفريق الأول لا يتجاوز ربع اليهود بينما يؤلف الثانى ثلاثة أرباع مجموعهم

ويهود الخزر يرجعون الى سنة ٧٤٠ حين اعتنق « خان الخزر » الدين اليهودي وتبعه فريق كبير من شعبه الذى لم يلبث أن انتشر خارج بلاده وانبث فى ارجاء أوربا الوسطى فأوربا الغربية . والى هذا الجنس ذاته ينتمى أكثر سكان المانيا الجنوبية . فاذا عاب الالمان على اليهود انهم جنس غير آرى كان فى وسع اليهود أن يجيبوهم قائلين : « نعم ، فنحن ـ مثل أهل الجنوب فى المانيا ـ لا ننتمى الى الجنس الآرى ، بل جئنا من بلاد الخزر . وسكان أوربا الوسطى أيضا ينتمون الى هذا الأصل ذاته ، وليس فيهم من ينتمى الى الجنس الآرى »

ومن الآراء الشائعة أن اليهود جميعا يتميزون بأنف طويل مقوس ، ولكن مستر هنرى فيلد من رجال المتحف الأهلى بشيكاغو أثبت أن شعبة كبيرة من الشعب الالمانى تشارك اليهود هذا الانف . وقد فحص ٦٠٠٠ من وجوه الشعب الايرانى ـ على اعتبار أن ايران كما يرى أغلب العلماء هى مهد الجنس البشرى ، وأنه ما يزال لكل « طابع جنسى » أثر باق فيها ـ فوجد أن هذا الأنف المنسوب لليهود وحدهم هو أنف مشترك بين كثير من أجناس البشرية

والخلاصة أن اليهود ليسوا جنساً ولا شعباً يصح أن تنسب لهم صفات معينة ، أو يصح أن يطالبوا بما تطالب به الشعوب التى تنتمى الى أصل واحد معين ، بل هم يؤلفون « وحدة ثقافية » يتكلم أكثر أفرادها اللغة العبرية ، ويدينون جميعاً بالديانة اليهودية

أين الذهب ؟

قدر أحد الاحصائيين الامريكيين أن ما أخرجته الارض من الذهب منذ بدء التاريخ البشرى ، أي منذ عشرة آلاف من السنين ، يبلغ ٨٫٠٠٠ من ملايين الجنيهات . ولكن جميع ما فى العالم الآن من النقود الذهبية لا يجاوز ٢٥٠٠ مليون من الجنيهات . فأين ذهبت بقية تلك الكميات الهائلة التي استخرجها الانسان من جوف الارض ؟

يقدر هذا الاحصائى أنها وزعت هكذا :

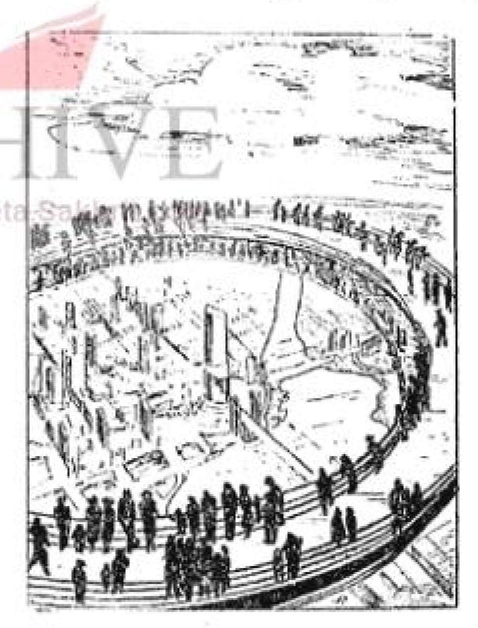
١٫٤٠٠	مليون	جنيه	انفقت فى الحروب
٥٠٠	«	«	تآكلت واستهلكت
٤٠٠	«	«	غرقت وضاعت فى البحار
٩٠٠	«	«	طمرت فى باطن الارض
٢٫٣٠٠	«	«	اتخذت حلياً واستخدمت للزينة
٢٫٥٠٠	«	«	مقدار ما فى العالم الآن من العملة الذهبية

ولتدرك مقدار سفه الانسان في بعثرة هذا المعدن الذى تقوم عليه الحياة الاقتصادية الراهنة والذى ترجع اليه الازمات المالية التي تكاد تخنق الحضارة الحديثة ، يكفى ان نذكر أن « معبد الشمس في بيرو » قد صفح سقفه بصفائح من الذهب تبلغ قيمتها ٣٦ مليوناً من الجنيهات ، وأنه وجد فى معبد نينوى ثلاث صور من الذهب تبلغ قيمتها عشرة ملايين من الجنيهات . والمتحف

المصرى حافل بآثار ذهبية تساوى عشرات الملايين من الجنيهات ، بينما أكثر شعوب العالم تقاسى الازمات الطاحنة لعجزها عن أن تزيد رصيدها المالى بنسبة ١٠٪ فحسب من رصيدها الراهن !

فى مدينة المستقبل

« مدينة المستقبل » هو الاسم الذى أطلقه الامريكيون على المعرض العالمى العظيم الذى يقيمونه الآن في نيويورك ليفتتح فى العام القادم. ولعل أعجب ماسيرى فى هذا المعرض دائرة هائلة تشرف على أبنية المعرض كلها ، أعدت ليصعد اليها الشاهدون ، فتدور بهم دورة واحدة ، فيرون من أعلى جميع أرجاء المعرض الشاسعة



وهذه الدائرة قسمان يدور كل منهما فى عكس اتجاه الآخر . وقد وضع لها نظام يمكن به أن يشاهد هذا المعرض فى كل ساعة ٨٠٠٠ من المتفرجين ،وترى فى أعلى تصميما يمثل هذه الدائرة الضخمة مشرفة على مدينة المستقبل الباذخة

تعلم اللغات بالعين والأذن

انتشرت أخيراً طريقة تعلم اللغات الأجنبية بواسطة الجرامفون . وقد نجحت هذه الطريقة الى حد بعيد ، وحبذها كثير من رجال التعليم وحث « هـ . ج . ويلز » على اتخاذها ، لتمكن الطالب من ضبط النطق الأجنبي على وجهه الصحيح . ولكن اليابان لم تكتف بتعليم اللغات الأجنبية بطريق السماع وحده ، بل أخرجت جهازاً لتعليمها بالسماع والرؤية معاً

وهذا الجهاز يتألف من اسطوانتين احداهما فوق الأخرى . والعليا منهما يشقها شق مستقيم يمتد من حافتها الى مركزها . فتوضع إبرة الجرامفون في هذا الشق لتدور على الاسطوانة السفلى ، التى سجلت عليها الاصوات التى يراد تعليمها ، وفى الوقت نفسه تدير هذه الابرة الاسطوانة العليا التى رسمت عليها صور تقابل تلك الأصوات التى تصدرها الاسطوانة السفلى . فاذا أديرت الاسطوانتان استمع المتعلم المفردات والتراكيب صادرة من الاسطوانة السفلى ، بينما هو يرى هذه الكلمات منقوشة على الاسطوانة العليا . وبذلك يتعلم نطق الالفاظ ورسمها على وجه الدقة ، وفى وقت واحد

طوربيد لا بد أن يصيب

سجل المهندس الأمريكي اليسون برنجتون تحت رقم ٢٫١٢١٫٤٤٦ « طوربيداً » لا بد أن يصيب الهدف الذى يوجه اليه . فاذا اطلق تحت الماء صوب احدى السفن ثم أخطأها وتجاوزها الى الأمام استطاع الجندى الذى أطلقه أن يعيده ثانية حتى يصطدم بالسفينة المقصودة فينسفها . ولا ينفجر « الطوربيد » إلا إذا

أصاب الهدف الموجه اليه . ويقاد الطوربيد ويوجه بواسطة جهاز احتفظ بسريته ، وينتظر أن يكون له أثر كبير فى نسف السفن ومقاومة الغواصات

آلة لجنى القطن

يطول موسم جني القطن في أرقى البلاد الزراعية وهى أمريكا ، قدر ما يطول فى مصر التى ماتزال تزرع وفق الأساليب القديمة ، لأن زراعة القطن ما برحت أقل الزراعات استفادة من المخترعات الميكانيكية ، وأكثرها اعتماداً على الأيدى العاملة التي قلما تفي بحاجة أصحاب الزراعات الواسعة فى موسم الجني

وقد حاولت مصانع الآلات الزراعية منذ سنة ١٨٥٠ ان تخرج جهازاً لجنى القطن ، ولكن محاولتها لم تسفر عن نجاح الا فى هذا العام حين أخرج مصنع أمريكي آلة يمكن أن تجني من القطن قدر ما يجنى ٧٥ شخصاً

وتتألف هذه الآلة من اسطوانتين إحداهما أفقية والأخرى رأسية ، تمر بينهما لوزات القطن فى أثناء سير الآلة وسط خطوط الارض . وفى كل من هاتين الاسطوانتين ١٥٤ مغزلا دقيقا طويلا ، تكسوه أسنان وأشواك صغيرة تنغرس فى لوزات القطن المتفتحة المنفوشة فتجتذب ما فيها وتنتشله . أما اللوزات التي لم يتم نضجها فلا تصاب بشيء ، وكذلك تبقى أعواد القطن قائمة سليمة . ويجمع القطن ، أولا فأولا ، فى سلال كبيرة فى أعلى الآلة ، ويفرغ منها حينما تصل الى نهاية الخط

وتسير هذه الآلة وسط خطوط القطن بسرعة ميلين ونصف ميل فى الساعة ، وتجنى فى أثناء هذا ما يتراوح بين نصف فدان وثلاثة أرباع فدان ، حسب نضج المحصول وتفتح لوزاته

هندسة المدارس الحديثة

تغيرت هندسة بناء المدارس الحديثة وفق تغير مناهج التربية فيها

فعند ما كانت مدارس الجيل الماضى تغفل فى مناهجها صحة التلاميذ وأجسامهم ، لم تكن أبنيتها سوى حجر متراصة مزدحمة قلما تتوافر فيها وسائل التهوية والتدفئة والاضاءة . أما الآن فهى توجه همها الى تنشئتهم تنشئة صحية قوية ، ولهذا يراعى فى بنائها أن توفر للتلاميذ التمتع الكامل بالهواء والحرارة والضوء

وأحدث طراز فى بناء المدارس ما اتبع فى انشاء مدرسة حديثة فى قرية سوروزن قريبا من باريس ، وقد صنعت جدرانها من الزجاج لا من الأحجار . كما أنها لا تتصل بغيرها من حجر الدراسة التى تقوم كل منها على حدة وسط حديقة مزهرة . ولم يكتف القائمون بأمر المدرسة بهذا ، بل رأوا أن يحضر التلاميذ دروسهم عرايا الاجسام إلا من لباس الحمام ، والى جانبهم التلميذات فى غلالات رقيقة . وبهذا يمكنون هؤلاء الصغار من أن ينشاوا نشأة فطرية سليمة تكفل لهم الصحة والقوة . ويجب أن لا ننسى أن فى تعود التلاميذ والتلميذات رؤية أجسام بعضهم بعضاً فى هذه السن الباكرة البريئة ، تأثيراً قوياً فى أخلاقهم يوجهها وجهة طبيعية تخلو من أسباب الخوف والتوجس والشذوذ التى كثيراً ما تنغص على المرء حياته . هذا وقد اتخذت مقاعد التلاميذ من الزجاج والمعدن ، مما يروضهم على حب النظافة والنظام حرصاً على سلامتها وأناقتها

الحركة الفكرية

المرض النابليوني

هذا هو الاسم الطريف الذى أطلقه الكاتب المجرى هنريك رالف على مرض العظمة الذى أصيبت به فى هذه الايام طائفة رجال الديكتاتورية التى تتحكم فى مصير أوربا والعالم



نابليون : مثل الديكتاتورية الأعلى

فكل ديكتاتور فى عرف هنريك رالف يود التشبه بنابليون والاقتداء به وترسم خطاه . فشخصية نابليون أصبحت داء عضالا ينخر فى نفوس الحكام بأمرهم ويخيم على أبصارهم المضطربة ويحول بينهم وبين رؤية نهاية نابليون الفاجعة

ويقترح هنريك رالف لتحرير العقول من المرض النابليونى طبع كتاب تجمع فيه آراء مختلف كبار المفكرين الانسانيين من خصوم نابليون ومنتقدى سياسته ، ولا سيما آراء اناتول فرانس وولز ، على أن يوزع ذلك الكتاب على طلبة الكليات الأوربية السياسية وتفرض عليهم دراسته

وهكذا يتحطم ذلك الصنم الذى ما ينفك يزداد عدد عباده

ويرى هنريك رالف ان تأثير نابليون سيظل مسيطراً على أوربا الى ان ينتهى واحد من مقلديه وعباده الى مثل نهايته الفاجعة وذلك لان التجارب السياسية يجب أن تتكرر على الأقل ثلاث مرات كى يتعظ بها الناس . وقد فشل نابليون وفشل بعده الامبراطور غليوم ويجب أن يفشل جبار آخر كى تموت جرثومة ذلك المرض الملعون

الشعر يحتضر على يد أقطابه

يلاحظ اليوم على الأدب الشعرى الأوربى أنه يتجه شيئاً فشيئاً نحو الغموض . فالشاعر العصرى لفرط ما تعلم وتثقف وطالع ، تغلب عقله على عاطفته ومنطقه على فطرته ، فاراد أن يصبغ الشعر الذى هو رجع صدى الاحساس والشعور ، بصبغة الفكر المجرد والمنطق العقلى الصارم الجاف . وقد عالج الكاتب الروسى ايفان باروف هذا الموضوع فى رسالة أخيرة له عن (تطور الشعر) . ومما ورد فيها قوله :

ان جمهور القراء أصبح لا يفهم اليوم أشعار بول فاليرى الفرنسى وقصائد ت . س . اليوت الانجليزى وأغانى كارل رانس الألمانى .

وذلك لأن هؤلاء الشعراء وأضرابهم أقحموا عقولهم المثقفة فى شعرهم فجاءت قصائدهم أشبه برموز فى حاجة الى من يشرحها ويعلق عليها كأنها نظرات فلسفية تبحث فى شئون ماوراء الطبيعة

فهذا النفور من العاطفة الصافية الساذجة ، وهذا الاستخفاف بالاحساسات الطبيعية الفطرية وهذه العبودية للعقل الرياضى الهندسى ، تلك هى العناصر التي تحالفت على خنق الشعر واقصائه عن الناس فى حين أنه القوة الوحيدة التي طالما ألفت بين القلوب ، واللغة الوحيدة التي كان يفهمها فيما مضى كل انسان متأدب مستنير . فحياة الشعر فى عودته الى البساطة وفى تحرره من سلطان العقل وفى مخاطبته النفس البشرية باعتبارها وحدة معنوية خالدة

النفسية الفرنسية

اذا كانت دراسة النفسية الانجليزية قد شغلت حيزاً كبيراً من جهود كتاب فرنسا ، فدراسة النفسية الفرنسية بدأت تسترعى اهتمام بعض كتاب انجلترا . وقد وضع الكاتب الانجليزى جورج . م. براون ،رسالة طريفة عن الفرنسيين وأخلاقهم وعاداتهم نقتطف منها هذه النظرات :

« لايتذوق الفرنسى الحياة إلا فى جو من التفكير الدائم . فذهنه حاد وخياله خصب وميله الى التجديد هو الذى يعكر صفوه وهو الذى يدفعه الى البحث المطرد عن حب جديد ومنزل جديد ووزارة جديدة . . »

« لا يمكن أن يصبح الفرنسى عبداً لديكتاتور . لأن كل فرنسى يعتقد أنه هو الدولة وهو الحكومة ، وأن من حقه أن يفكر ويعيش كما يحلو له . وهذه النزعة قد كونتها فى نفسه عوامل ثلاثة :الثورة الفرنسية ، وموهبة الذكاء الشخصى ، والشعور بالاستقلال المالى المتولد من شيوع روح الاقتصاد بين الافراد »

« ان مايميز الفرنسى من الانجليزى هو حب الحياة ،هو الفضول ، هو التطلع الى فهم الأشخاص والأشياء ، والاحساس بجمال الكون . فالفرنسى شخصية متمددة والانجليزى شخصية منكمشة . الأول ينشد المعرفة واللذة ، والثانى يكتفى بنفسه عن العالم ، فالفرنسى أبيقورى والانجليزى أفلاطونى تأملى »

« المرأة الفرنسية مدبرة ومقتصدة ،والمرأة الانجليزية مدبرة ولكنها لا تنفك تحلم بلذة الاسراف »

« الفرنسى ناقد بطبعه ولذا يقدر عظماء فرنسا فى الخارج أكثر مما يقدرون فى بلادهم »

« الفن الانجليزى ينشد الاتساع والرحابة والقوة ولو اقترنت بالفوضى ، والفن الفرنسي يميل الى حصر القوة فى أضيق حيز على شرط أن يبلغ الفنان فى تصويرها حد الكمال »

جائزة جونكور الادبية

فى هذا الموسم تمنح أكاديمية جونكور الأدبية أكبر جوائز الأدب الخاصة فى فرنسا بفن القصة

والمرشحون لهذه الجائزة فى هذا العام هم أندريه دى دونيون مؤلف قصة (الاجانب) وجان جيريك صاحب قصة (سحر الليل) و (جان لونى) واضع قصة (ليون الصالحة) والأول تفوق بأسلوبه ، والثانى بخياله الشعرى ، والثالث بقدرته على التحليل النفسانى

وقد أوردنا هذا الخبر بمناسبة اهتمام

الحكومة الفرنسية بتشجيع أكاديمية جونكور
قد ذكرت صحيفة (العصر الجديد) الباريسية
أن فى نية وزير المعارف منح هذه الأكاديمية
اعانة مالية كبيرة ليرفع قيمة جائزتها السنوية
ويساعد على تنشيط الحركة الأدبية فى فرنسا

والواقع أن اكاديمية جونكور يرجع اليها
الفضل فى اظهار طبقة من الأدباء أصبحت اليوم
في طليعة كتاب فرنسا ،فهى التى أظهرت مارسيل
بروست القصصى العبقرى وجورج دوهاميل
الروائى النابغ ورولان دور جليس صاحب
أبدع قصة كتبت عن الحرب الكبرى ، وغيرهم
من أعلام فن الرواية فى فرنسا

سياسة العقائد

ارنست اريك توت ، من أدباء الالمان
الديموقراطيين الذين اضطهدهم النازى فهاجروا
الى فرنسا . وقد وضع هذا الأديب كتاباً جديداً
سماه (الانسان ضد الداعية) تناول فيه بالبحث
مشكلة العقائد السياسية الحديثة . وتتلخص
فكرة الكاتب فى أن النظريات السياسية
والاجتماعية التى نادى بها الداعية الالمانى
(روزنبرج) والتى قام عليها حكم النازى ،
وكذلك النظريات التى نادى بها (ماركس)
وقام على بعضها نظام الحكم الشيوعى فى
روسيا ، هى نظريات استحالت الى عقائد دينية
وأصبحت لدى أنصارها حقائق منزلة لا تقبل
الجدل . ففى وسع الباحث أن يناقش مثلا فلسفة
«كانت» أو «ديكارت» ، ولكنه من وجهة
النظر النازية أو الشيوعية يجب أن يؤمن بفلسفة
روزنبرج أو ماركس ايمانا يقضى القضاء المبرم
على كل تفكير وكل مراجعة وكل جدل

فالانسان الحر يجب أن يلغي عقله وادراكه



كارل ماركس

ويصبح عند النازى أو الشيوعيين مجرد آلة
للدعاية كى يفوز بحبهم وتقديرهم

فكأن الفضيلة أصبحت فى الايمان المتعصب
الاعمى وكأن الرذيلة استقرت في الفكر الحر ،
أى فى القوة الرائعة التى توهمت أوربا فى عصر
من العصور أنها ستكون قاعدة الحضارة

جوليان بندا وقيمة الحياة

جوليان بندا من كبار كتاب فرنسا الاحرار
وهو أديب فيلسوف يعتقد أن قيمة الحياة
تنحصر فى أن يخلص رجال الفكر والدين لمبادئهم
اخلاصاً دائماً ثابتاً يسمو بهم فوق مصالحهم
الشخصية وفوق مصالح الدولة التى ينتمون اليها

وقد قام هذا الكاتب أخيراً برحلة الى البلاد
الامريكية ، سجلها فى كتاب شائق وردت فيه
هذه القصة التى تدل أبلغ الدلالة على جوهر
فلسفته وطابع تفكيره :

حدث فى أمريكا أن أحد أعضاء الحكومة
التى خطبة حمل فيها حملة شعواء على سياسة
هتلر ، فقام قس يدعى (سميث) وانتصر لهتلر

وأشاد بسياسة العنف التى يتبعها وانتقد عضو الحكومة وطلب أن توثق الروابط السياسية بين الولايات المتحدة والمانيا

فهذا القس يعتبره « جوليان بندا » مارقا وخارجا على المسيحية وخائناً لتعاليمها

ومما قاله بندا فى كتابه ، إن المسيحية التى يدين بها القس هى مجموعة آداب عالمية لا تتقيد بمصالح دولة أو مصالح أشخاص . فكان الواجب على القس أن يهتدى بتعاليمها فقط وأن يحكم على أعمال هتلر وعلى أقوال عضو الحكومة فى ضوء تلك التعاليم الانسانية العالمية التي ينصب نفسه حامياً عنها . أما انتصاره لهتلر وتدخله فى شئون الدولة ، فأمور ليست من اختصاصه ، وهو كلما اهتم بها اضطر لخيانة معتقده وتضحية مبادئه والعبث بالوظيفة الروحية التى يشغلها

وهكذا يسىء الى الدين بدل أن يخدمه وينزع ثقة الناس فى رجال الدين بل فى تعاليم الدين نفسه وقيمتها

وما يسرى على رجال الدين يجب أن يسرى فى عرف جوليان بندا على كل من يحمل رسالة فكرية أو روحية

رجال الديكتاتورية شعراء

أصدرت الكاتبة الاسوجية مجدا رينهارت رسالة بهذا الاسم ، شائقة الموضوع طريفة الفكر تناولت فيها تحليل شخصية بعض الزعماء الديكتاتوريين من الوجهة السيكولوجية . وترى السيدة مجدا رينهارت أن أفراد هذه الجماعة هم فى الحقيقة شعراء هذا العصر الذى نضبت فيه موارد الشعر واحتلت النزعات المادية قلوب الناس

فالديكتاتور فى نظرها شاعر حالم متأمل صوفى ينشد العظمة والمجد ويخاطب العواطف ويعيش فى عالم خيالى سحرى يحول بينه وبين رؤية الحقائق التى لابد أن يصطدم بها يوماً والتى قد تعصف بالبناء الذى شاده بعبقريته الخيالية

ولا تنكر مجدا رينهارت على رجال الديكتاتورية اهتمامهم بالواقع ومختلف الاصلاحات التى أدخلوها على بلادهم . ولكنها تقول إن أحلامهم الكبيرة ومطامعهم التى لا حد لها قد تطغى على الجانب العملى من جهودهم ، كما يطغى خيال الشاعر على عقله وتفكيره المنطقي فيقصيه عن الحقيقة اليومية الصارخة . . .

فهتلر مثلا وقد استبدت به أحلام التوسع ، لن يكتفى بما أحرز حتى اليوم من نصر ، وسوف يتجه بابصاره الى التوغل الاقتصادى فى أوربا الوسطى فيخل بالتوازن الاوربى ويثير عليه احقاد العناصر السلافية وينتهى به الامر الى الاصطدام بمصالح بريطانيا وروسيا اصطداما لابد أن يفضى الى حرب تهدد النظام الالمانى النازى وقد تقوضه من أساسه

وموسولينى الذى شاهد بعينى رأسه نجاح هتلر ، قد يطمع غدا فى تساهل الديموقراطيات فيرمق بابصاره تونس أو يتطلع للحصول على قواعد بحرية فى الجزر اليونانية تمكنه من حماية النظام السياسى والاقتصادى والعسكرى الذى يضع ايطاليا على رأس الدول فى جنوب الدانوب . .

والخطر على الديكتاتور ينشأ — فى زعم الكاتبة الاسوجية — من انه لفرط اعتداده بنفسه واسترساله فى عالم الخيال ، لا يستطيع أن يميز الحد الطبيعى الذى يفصل بين ممكنات الخيال وبين مطالب الحقيقة ، والذى يجب ان يقف عنده الخيال خشية ان يصطدم بالحقيقة

وهذه هى نفس الظاهرة الملحوظة فى شخصيات الشعراء

الكتب الجديدة

ترك وأتاتورك

بقلم الأستاذ عزيز بك خانكى

المطبعة العصرية بمصر فى ١٧٠ صفحة

هذا الكتاب هو صرخة تمجيد يرفعها المؤلف النابغ الى بطل تركيا الجديدة ، وهو فى نفس الوقت دراسة اجتماعية شاملة لجميع التطورات التي تمت فى تركيا منذ الانقلاب الكمالى حتى اليوم

فالأحداث العظيمة التى وقعت فى تركيا ابتداء من ٣٠ أغسطس عام ١٩٢٢ ، وهو العام الذى انتصر فيه الترك على اليونانيين فى موقعة دوملو بينار ، حتى صدور الدستور التركى فى ٣٠ ابريل عام ١٩٢٤ ، مسجلا روح الانقلاب الذى تم على يد مصطفى كمال ، هذه الأحداث يعرضها المؤلف عرضاً مسهباً واضحاً دقيقا يدل أبلغ الدلالة على توافر قوى الارادة والعزم فى شخصية أتاتورك وفى روح الشعب التركى

فتركيا الجديدة بفضل هذا الانقلاب أصبحت بلاد حرية واستقلال بعد ان كانت بلاد ذل وعبودية ، وبلاد قوة ويسر بعد ان كانت بلاد ضعف وعسر ، وبلاد عمار ورخاء بعد ان كانت بلاد محل وشقاء

وأما ثورة الترك عام ١٩١٩ قبل قيام مصطفى كمال فتشبه فى عرف المؤلف ثورة الفرنسيين عام ١٧٨٩ قبل قيام نابليون . ففى فرنسا كانت الثورة عامة وكذلك فى تركيا ، وفى فرنسا كانت جنود بونابرت حفاة عراة وكذلك كانت جنود مصطفى كمال ، وهناك كان الحلفاء قد اجتازوا حدود فرنسا واحتلوا بعض مقاطعاتها ، وفى تركيا كان الحلفاء قد احتلوا الولايات والمدن التركية ، ولما استفحل الخطر فى فرنسا عهدت حكومة الدير كتوار الى بونابرت فى محاربة الايطاليين والنمسويين وجيوش ملك سردينيا والبابا ، ولما استفحل الخطر فى تركيا عهد مؤتمر ارضروم الى مصطفى كمال فى محاربة الحلفاء فهزم الروس والفرنسيين والانجليز والايطاليين والكرد واليونان واستخلص منهم الاراضى التركية ، ثم شرع يقيم بناء تركيا الجديدة على صرح جديد أقامه على نظريات ومبادىء جديدة

فهذه المبادىء الجديدة النزاعة إلى التقدم ، المستمدة من حضارة الغرب ، هى التى يحلل الأستاذ الكبير عزيز خانكى بك تأثيرها العظيم فى نهضة الأمة التركية

وخليق بنا فى مصر ونحن ما نزال نتخبط بين حضارتين ونتأرجح بين ثقافتين ، ان نمعن النظر فى محتويات هذا الكتاب وفى سر النهضة الكمالية عسى أن نستطيع جمع كلمتنا والاتجاه صوب الطريق الذى يمكن ان نصبح متى سلكناه أمة عزيزة الجانب جديرة بالانخراط فى عداد الامم العصرية المتحضرة

المانيا اليوم

بقلم الأستاذ ثابت ثابت

مطبعة الاخاء بمصر فى ٢٢٠ صفحة

ليس شك فى أننا أحوج ما نكون اليوم الى تعرف حقيقة النظم النازية والفاشية التى أوجدتها الحرب الكبرى والتى أحدثت اخطر الانقلابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ عهد الثورة الفرنسية

ولقد قام الأستاذ ثابت ثابت برحلات عدة إلى المانيا استطاع فى أثنائها الوقوف على مختلف الاصلاحات وشتى التطورات التى أدخلها النازى على المانيا الجديدة وأرادوا بواسطتها تجديد شباب بلادهم واسترداد مجدها القديم وتحريرها من القيود التى كبلتها بها معاهدة فرساي

ويتحدث المؤلف فى كتابه عن النفسية الألمانية وشخصية الزعيم أدولف هتلر ونظريات الألمان في حكم الدولة وتنظيم الانتاج ، كما يتحدث باسهاب عن مصانعهم المشهورة أمثال مصانع كروب وسيمنس ومعامل الأسمدة فى لوينا وحقول تجارب تربية النباتات فى لمبير جرهوف

وأهم ما ورد فى هذا البحث الشائق الفصل الخاص بنمو صادرات المانيا واطرادها فى الزيادة

ويلاحظ أن الألمان قد تفوقوا فى تصدير الفحم الحجرى والآلات الميكانيكية والسيارات والخردوات والمواد الكيمائية من أصباغ وأسمدة وكذلك بعض أنواع من المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية

وترجع أسباب النهضة الألمانية فى عرف المؤلف الى انتشار روح التعاون بين أفراد الشعب الالمانى والى فضائل التضحية والبذل الشائعة بين سراتهم والتى تنحدر الى الاوساط الفقيرة وتتخذ طابع المثل الأعلى

والواقع أن هذا السفر النفيس الذى وضعه الأستاذ ثابت ثابت ليصب ضوءاً ساطعاً على حقيقة الحياة فى المانيا الجديدة مما يجدر بكل مصرى وشرق انعام النظر فيه ومحاولة الافادة منه جهد المستطاع

تاريخ لبنان العام

بقلم الأستاذ ادمون بليبل

مطبعة الرائش بيكفيا فى ١٦٠ صفحة

يعرض هذا الكتاب تاريخ لبنان فى مختلف أطواره عرضاً موجزاً مركزاً شاملا . ولقد قسمه المؤلف الى أربعة أقسام . اختص الاول ببحث موقع لبنان وحدوده واسمه ومميزاته ، والثانى بتاريخه منذ عهد الفينيقيين حتى اتصاله بالرومان وأهل بيزنطة ، والثالث بتاريخ لبنان وعلاقته بالعرب وإدارته فى عهد المماليك ، والرابع بتاريخه الحديث منذ العهد العثمانى حتى اليوم

والكتاب مزين بطائفة من الخرائط والرسوم البيانية وهو خلو من روح التعصب الطائفى أو النعرات المذهبية ، وقد توخى مؤلفه الفاضل البحث عن حقيقة الاصول التى اشتركت فى تكوين بلاده ، بحثاً قوامه الدقة العلمية والنزاهة الفكرية والرغبة فى احياء مجد وطنه ودفع اللبنانيين الى حب بلادهم والاهتمام بدرس تاريخها المجيد

الباب المرصود

بقلم الأستاذ عمر فاخوري

طبع دار المكشوف ببيروت فى ١٥٠ صفحة

الاستاذ عمر فاخورى من نوابغ شباب لبنان ، وهو أديب واسع الاطلاع غزير الثقافة مولع بالأدب الفرنسى ، مجدد فى تفكيره وأسلوبه ونزعته الفنية ونظرته الى الحياة

وقد أراد بكتابه (الباب المرصود) اماطة اللثام عن الاغراض الانسانية الكبرى التى ينشدها الشعر

فالشعر فى رأيه ليس كلاماً مقفى ولا مجرد مقطعات توحى بها المناسبات أو قصائد فى المدح والهجو والرثاء ، بل هو محاولة جبارة يقوم بها الشاعر لاستجلاء غوامض الجمال الكامنة خلف المرئيات المحسوسة أو الراقدة فى أعماق النفس البشرية حيث تمرح العواطف فى فسحات العقل الباطن تغمرها شبه ظلمة نورانية لا يستطيع غير الشاعر النفاذ اليها . فهذه النظرة السامية الى معنى الشعر وغرضه هى التى توحى الى الاستاذ عمر فاخورى أجمل فصول كتابه ولا سيما الفصول الاولى التى أطلق عليها اسم (الباب المرصود)

وفى رأينا أن الشعر العربى الحديث لو سار فى المتجه الذى يرسمه الاستاذ الفاخورى ، لاتسعت آفاقه وتعددت معانيه ،وخلص جوهره من تقاليد الماضى ، وتمكن من التغلغل فى حياتنا اليومية ، واستطاع انعاشها وتجديدها بابتداع أمثلة رائعة من الجمال الأبدى

المرأة الشاعرة

ترجمة الاستاذ نظمى خليل

مطبعة المجلة الجديدة بمصر فى ١٥٠ صفحة

من العسير أن ينهض الفن القصصى فى مصر والشرق العربى إلا بترجمة طائفة من أشهر القصص الاوربية وأقواها وأكملها ، بحيث يتخذ منها القارىء الشرقي والأديب الشرقي مثلا فنياً أعلى

وليس شك فى أن الترجمة هى التى توجد النهضات أو تساعد عليها وتمهد لها سبيل الخلق والابداع ، والمهم أن نترجم لا لنقلد بل لنتعرف الى أصول الفن الأجنبى توطئة لابداع فن خاص بنا يحمل طابعنا وينم عن خصائص بيئتنا وعنصرنا

ولقد قطعنا فى ميدان الثقافة المبتكرة شوطاً واسعاً بفضل الترجمة ، وكلما نشطنا فى حركة النقل والاستيعاب ، تفتقت مواهبنا وازددنا قدرة على الانتاج الشخصى

لهذا السبب يجب أن نقدر الأعمال المترجمة متى كانت جليلة ، تحمل من معنى الفن الرفيع ما نلمسه فى المجموعة القصصية التى أصدرها الاستاذ نظمى خليل

فهذه المجموعة تشتمل على قصص شائقة لثلاثة من أكبر كتاب الغرب هم مكسيم جوركى وتوماس هاردى وفردريك شيلر ، وتمتاز هذه القصص على اختلاف مصادرها وتباين مراميها بأنها ترضى رغبات الانسان المتعددة ، فهى تكشف له عن أشياء كان يحسها ، ولكنه

لا يعرف سبيل الافصاح عنها . وهى فوق هذا تغرى الكثيرين من القراء بمحاكاة حوادثها والاهتداء بها لأن فى كتابة القصة تدريب لا لأداة التعبير فحسب بل لقوتى التخيل والتفكير معا . وهذا هو مايميز القصة من المقال

وفي تلك القصص فوق ما تقدم مقدرة فنية عظيمة فى المزج بين حقائق الحياة وخيالات الانسان بحيث يشعر قارئها بأنه يعيش فى عالم واقعى حي أضفى عليه الكاتب حلة رائعة من جمال

ونحن ننصح لهواة فن الرواية بانعام النظر فى هذه الأقاصيص ، ففيها من مميزات الفن العالى مايدل على حسن اختيار المعرب وسلامة ذوقه ووفرة ثقافته

ولا ريب فى أن الاستاذ نظمى خليل أسدى بهذه المجموعة المختارة أجل الخدم لحركة التأليف القصصى فى الشرق العربى

المجنونة وقصص أخرى

بقلم الاستاذ محمود كامل المحامي

مطبعة الجامعة بمصر فى ٢٨٠ صفحة

للاستاذ محمود كامل طريقته فى معالجة القصة . فهو يمزج الوقائع بالتحاليل ، والعنف الدراماتيكى بالأوصاف الخلقية ، والحوادث الغريبة الخارقة بسلسلة صور صادقة مأخوذة عن البيئة المصرية . ولذا يعجب بأقاصيصه الخاصة والعامة على السواء

ولا شك فى أن الاستاذ محمود كامل قد أوتي من دقة الملاحظة والخبرة بالعادات والأخلاق المصرية والقدرة على تخيل حوادث شائقه ، والسهولة والبساطة فى عرض هذه الحوادث ، مامكنه من ابتكار أدب قصصي قدره الجمهور وأقبل عليه

وانها فى الحق لموهبة فذة تلك التى تمكن قصصياً شاباً من الفوز باعجاب المتأدبين وسواد القراء

وهذه الموهبة نجد آثارها واضحة فى مجموعته الروائية الجديدة ولا سيما فى قصص (الثائرة)و(الحطام)و(أغنية الوداع)و(ليلة حب) و (شبح امرأة)

فى هذه القصص يرسم لنا المؤلف طائفة مختارة من مآسى القلب ، وفواجع الروح ، واحداث الهوى

فكل طور من أطوار عاطفة الحب وكل لون من ألوانها وكل عاطفة جزئية تتفرع منها ، كالأسى والحنين والقلق والخوف ، نراه ممثلا فى موضوع قصة أو فى شخصية بطل

ففتنة الجمال نجدها حية فى قصة (الساحرة) وروح التمرد عند المرأة العاشقة نلمسها فى قصة (الثائرة) ، وجنون الحب نشعر به ونحس روعته ونتمثل أخطاره فى قصص (الساقطه) و(الحطام) و (امرأة بلا قلب)

وأما العواطف الجزئية التى ذكرنا والتى تتفرع من عاطفة الحب فتسري فى معظم القصص كالنغم الموسيقى الخفى الثابت الذى يلازم القطعة الموسيقية ويضاعف تأثيرها قوة وعمقا

وصفوة القول ان الاستاذ محمود كامل هو الأديب المصرى الوحيد الذى عرف كيف يحبب فن القصة الى مجموع الشعب

صديق

بقلم الأستاذ ذو النون أيوب

مطبعة الأهالى ببغداد فى ١٣٠ صفحة

الأدب القصصي العراقي ماينفك ينمو ويزدهر على أيدى طائفة من نوابغ الأدباء أمثال الأستاذ أنور شاول والأستاذ ذو النون أيوب صاحب هذه المجموعة القصصية الشائقة

وللاستاذ أيوب أسلوب خاص فى معالجة القصة ، فهو لا ينشد الوقائع العنيفة والحوادث الشاذة والباغتات الرائعة ، بل يحاول ما استطاع الاشارة الى جانب خلقي غريب ، أو عاطفة انسانية مشتركة ، أو احساس وجداني نادر ، أو شعور خفى عميق يعبر أتم تعبير وأكمله عن بعض الخصائص الرئيسية الملحوظة فى النفس البشرية

وأهم ما يسترعى القارىء فى شخصيات أبطال تلك القصص ، صراحتهم العجيبة واعلانهم الحقائق التى يؤمنون بها مهما كانت بعيدة عن أفهام الناس ومألوفهم ، فهم والحالة هذه من الأبطال المثاليين الذين ينزعون الى حياة أجمل من حياتنا وأفضل

وأبدع أقاصيص الأستاذ أيوب (نشيد النسور) و (المتمرد) و (كيف عثرت على رجل) ، وكل أقصوصة منها تمتاز فوق ما تقدم بروح شعرية صادقة ، وخيال متقد مشبوب ، ودقة فى ملاحظة الاخلاق والعادات تقترن بالروح الشعرية فتوفق بين الحقيقة والخيال فى إطار من البلاغة الرائعة

ولا ريب فى أن الأستاذ ذو النون أيوب ، يستطيع بعد هذا النجاح الملحوظ فى القصص القصيرة ان يقتحم ميدان القصة الكبرى ، فله من مواهبه الروائية ما يبشر بنجاحه فى هذا الميدان أيضاً

ديوان مسعود سماحه

مطبعة السمير بيروكلن فى ٢٦٠ صفحة

هجر الأستاذ مسعود سماحة وطنه لبنان قبيل الحرب العالمية ، واستقر فى الولايات المتحدة فكان من البدهي أن ينشأ ثائراً على الظلم والاستبداد ، داعياً الى المساواة والحرية ، نادباً سوء حظ بلاده ، عاملا على إحياء نهضة الشرق . فشعره والحالة هذه شعر ثورة وتمرد يمازجه حنين رائع ممزق إلى أرض الوطن

وتتمثل ثورته فى القصيدة التى نظمها عقب زيارته لبنان عام ١٩٢٥ واحساسه بحال بلاده التعسة وتقهقرها الأدبى والفكرى ، وفى قصائد (الله أكبر يابنى لبنان)و(الشام دارك أم ربى لبنان) و (لست منى ولست منك) و(رثاء اديسون) . ففى هذه القصائد وغيرها نحس عاطفة مشبوبة وروحا مضطرما وخيالا متوقداً ورسالة اصلاح اجتماعية ونفسية يحملها الشاعر الى بنى قومه وشعوب الشرق العربى قاطبة

ومما يجب ذكره أن الاستاذ مسعود سماحه كان صديقاً للشاعر المصرى امام العبد ، وأن اماما كان يعجب به ويقر بفضله ويعترف له بشاعرية أصيلة مبتدعة

بين الهلال وقرائه

مدة النوم

(بغداد ــ العراق) يوسف حنين

كم ساعة ينبغى أن ينامها رجل فى سن الثلاثين كى يحافظ على صحته ؟

« الهلال » الغاية من النوم استرداد أو تجديد القوى الجسمية والعقليـــة . وقد أثبتت التجارب المعتمدة ان استرداد القوى البدنية لا يحتاج الى اكثر من أربع ساعات ينامها المرء فى هدوء وسكون ، بحيث لا يتخللها أصوات أو أحلام تقلق النائم وتزعجه . أما القوى العقلية فيستغرق استردادها وقتاً أطول أى زهاء ست ساعات . وكلما طالت مدة النوم صحا المرء متنبه العقل صافى الذهن سريع الادراك . ومعنى هذا انه اذا نام المرء أربع ساعات استطاع أن يزاول عمله الجسمى كما كان يزاوله قبل النوم ، ولكنه لا يستطيع أن يستانف تفكيره وادراكه جيداً إلا اذا نام ساعتين أو ثلاث ساعات أخرى . وهذا يسرى على من فى سن الرجولة . أما الطفل فيحتاج الى مدة أطول لأنه فى دور النشوء والتكوين ، بينما تقل حاجة المسن الى النوم الطويل لقلة ما يبذله من المجهود الجسمى والعقلى

فى النوم أيضاً

(بئر السبع ــ فلسطين) شكرى سليم المترك

كثيراً ما تذكر الصحف ان من الناس من ينام السنوات المتتالية دون أن يصحو فى أثنائها ، ومنهم من يقضى السنين مسهداً لا يذوق النوم . فماذا ترون فى هذا ؟ وكيف يستطيع الفريق الاول أن يحيا السنين بلا طعام ، وكيف يستطيع الفريق الثانى أن يستغنى عن النوم وهو من ضرورات الحياة ؟

« الهلال » كثير من الصحف الذائعة فى امريكا واوربا يعمد الى المبالغة والتهويل ، وأحياناً الى الاختلاق والافتراء ، بقصد تشويق القراء واجتذاب البسطاء منهم . ولهذا لا يصح الاخذ بما ترويه عن أناس يظلون نياماً أو أيقاظاً بضع سنين متتابعة ، فان هذا من خوارق الطبيعة التى لا يجوز تصديقها إلا اذا أقرتها هيئات علمية معتمدة أو أوردتها صحف علمية موثوق بها . والمعقول ان هناك من تصيبهم غيبوبة تستمر مدة طويلة ، يطعمون ويسقون فى أثنائها . وان هناك من تنتابهم حالة من حالات الأرق الطويلة يغفون فى خلالها ساعات قصيرة يستردون فيها بعض قواهم . وفى وسع بعض الناس أن يكتفوا بنصف المدة التى ينامها الفرد العادى ، ومن الشائع ان نابليون كان لا ينام اكثر من ثلاث ساعات أو أربع ساعات فى كل أربع وعشرين ساعة ، برغم المجهود الذهنى الجبار الذى كان يبذله

اتقان الفرنسية

(بنها ــ مصر) اسماعيل يوسف سيد احمد الديب

ماذا تنصحون لشخص له إلمام باللغة الفرنسية يريد أن يتقنها ؟ وما أوفق مجلة فرنسية يستطيع مطالعتها ؟

« الهلال » أجمعت تجارب القائمين بتعليم اللغات الاجنبية على أن « الترجمة » هى خير وسيلة وأقصر طريق الى إتقانها . فيتناول المتعلم فقرة من صحيفة أو كتاب ويترجمها الى لغته ، مستعينا بالقاموس مستوعبا المفردات والتراكيب التى تجد عليه . ثم يدع « ترجمته » هذه فترة من الوقت يعود بعدها الى ترجمتها الى اللغة الاصلية ، ويقارن عند ذاك بين تعبيره الجديد والتعبير الاصيل ، فيدرك أخطاءه ويتنبه الى دقائق اللغة . لهذا نرى أن تثابر على قراءة مجلة فرنسية سهلة الاسلوب ، وتأخذ نفسك بترجمة بعض فقراتها على الطريقة المذكورة على أن تلجأ الى القاموس وتستظهر ما يصادفك من من ألفاظ وعبارات . ولعل أوفق المجلات لك مجلة « Images » التى تصدرها دار الهلال ، فهى تكتب بأسلوب سهل بسيط ، وتتناول موضوعات يسهل على القارىء المصرى تفهمها . أما إتقان الحديث باللغات

الاجنبية بلا يتم إلا بمداومة الحديث بها والاختلاط بالاوساط التي تتكلمها

الوحدة العربية

(بغداد ــ العراق) خيرى الباهلي

هل ينتظر تحقيق الوحدة العربية قريبا ؟ ومن هو الذى سيرأسها ، وأين يكون مركزها ؟

(الهلال) لم تتعد الوحدة العربيــة حتى اليوم دائرة « الاماني » التي تختلج بها أفئدة العرب في شتى أقطارهم ، إذ يرون أن قوتهم السياسية ومصلحتهم الاقتصادية في تحقيقها وإبرازها . ولــكن أمامها من العقبات الــكثيرة ما يتطلب جهداً كبيراً وصبراً طويلا وقد أوضح الاستاذ محمود عزمي في مقاله بالعدد الماضى من الهلال هذه العوائق وطرق تذليلها . ولا نقصد بالوحدة العربية تأليف دولة عربية ذات رئيس واحد وعاصمة واحدة ، بل يراد منها توحيد جهود الدول العربية كلها ، وربطها جميعاً برباط وثيق يجعل منها جبهة واحدة مصونة الحقوق عالية المــكانة

اكتساب الجنسية المصرية

(ريو دى جانيرو ــ البرازيل) فارس

أنا سورى أقيم في أمريكا . وأريد أن أهاجر الى مصر ، فما هى الشروط التى تفرض على اذا أردت اكتساب الجنسية المصرية ؟

(الهلال) لا تمنح الجنسية المصرية للاجنبي إلا اذا توافرت له هذه الشروط :

(١) أن يكون بالغا سن الرشد بحسب قانون البلد التابع له

(٢) أن يكون قد أقام بمصر عشرة أعوام على الأقل

(٣) أن يكون له سبب معروف من أسباب الرزق

(٤) أن يكون حسن السير والسلوك

(٥) أن تكون له معرفة باللغة العربية

ويمكن إنقاص مدة الاقامة الى خمس سنوات ، اذا طلب الاجنبي ذلك بقصد حصوله على الجنسية المصرية ، ويكون ذلك باذن من وزير الداخلية . ويلاحظ بعد هــذا ان منح الجنسية جوازى ، فربما تجمعت الشروط الآنفة من أجنبي ما ، ومع هــذا ترفض الحــكومة طلبه

الأقباط في مصر

(بنى غازى ــ طرابلس) الفارمي

كم يبلغ عدد المسيحيين في مصر ، وهل لهم عدد معين من مناصب الوزارة ومقاعد البرلمان ؟ وهل جميع وظائف الدولة مباحة لهم ؟

(الهلال) يبلغ عدد الاقباط في مصر زهاء مليون نسمة . وليس لهم نسبة محددة من مناصب الوزارة ولا مقاعد البرلمان ولا وظائف الدولة ، فهم والمسلمون على حد سواء في جميع الحقوق وجميع الواجبات . وقد أرادت السياسة الاجنبية في بعض الظروف أن تتولى حمايتهم وتخصهم ببعض المزايا ، فرفضوا جميعا ما أرادته لهم رفضا باتا ، وأصروا على أن يزيلوا كل ما قد يفرق بينهم وبين اخوانهم المسلمين . وليس في مصر أثر للتعصب الديني . فقد ألفت الحركة السياسية بين قلوب الفريقين . وكونت منهم وحدة متراصة كالبنيان . ولا فارق بين مسلم وقبطي في تولى وظائف الدولة الــكبيرة والصغيرة ، الا ما يتعلق منها بالشئون الدينيــة . وقد تولى رياسة الوزارة وزراء أقباط . مثل بطرس غالى باشا ويوسف وهبة باشا . وتولى رياسة مجلس النواب نائب قبطي هو الاستاذ ويصا واصف

الــكحول والخمر

(الفيوم ــ مصر) أسعد كامل

هل جميع أنواع الخمر تحتوى على كميــة من الــكحول ؟

وما سبب هذا التأثير المعروف الذى تحدثه الخمر ؟

(الهلال) جميع الخمور تشتمل على مقدار من الــكحول ، تختلف كميته تبعا لاختلاف نوع الخمر فبعض أنواع الويسكي والــكونياك تبلغ نسبة الــكحول فيه ٦٠ ٪ وبعضها تقل النسبة فيه الى حوالى ٣٠ ٪ فقط . وكمية الــكحول في الشمبانيا حوالى ١٢ ٪ وفى النبيذ ١٠ ٪ وفى البيرة حوالى ٤ أو ٥ ٪

والكحول هو المادة المسكرة فى الخمر . وذلك لما لها من تأثير فى الجهاز العصبي فانها تشل خلايا الحركة العصبية فى المخ ، فيفقد المرء شعوره شيئا فشيئاً حتى يدخل فى دور الغيبوبة . وبعض الاطباء يرون ان قليلا من الكحول ينبه خلايا الجهاز العصبي ، ويستدلون على ذلك بما يحدث للشارب أول الامر من الانتعاش والنشاط . ولكن هذا لا ينفى ان الكحول مادة سامة تؤذى الجسم أذى بالغاً ، وتفتك بأعضائه الداخلية كالقلب والكبد والقناة الهضمية

لبنان والبرازيل

(سان باولو - البرازيل) حبيب خورى

ذكرت احدى جرائدنا ما يأتى : « ليس التعارف بين لبنان والبرازيل بحديث العهد . بل هو سابق لفجر التاريخ أيام كان الفينيقيون مالكين زمام التجارة براً وبحراً ولا من منازع لهم على وجه البسيطة ، فهذه آثار أجدادنا فى كافيا وجبل السكر حيث تبين للناظر من بعد ميلين كتابتهم بأحرف ضخمة منقوشة فى الصخر الصلد يبلغ طول الحرف الواحد منها اثنين وعشرين متراً »

فما رأيكم فى هذا ؟

(الهلال) من المؤكد ان الفينيقيين جاوزوا فى رحلاتهم التجارية البحر الابيض المتوسط ، وتعدوا أعمدة هرقل (جبل طارق) الى المحيط الاطلسى . ولكن لا يعرف المؤرخون على وجه التحقيق الى أى مدى ساروا فى عرض المحيط . ومن المحتمل انهم بلغوا أرض امريكا ، ولكن ليس هناك دليل قاطع على ذلك . أما عن هذه الكتابة المنقوشة على صخور كافيا وجبل السكر فالمؤرخون لا يؤكدون انها من عهد الفينيقيين . هذا وقد وجدت فى أمريكا اهرامات تشبه اهرامات مصر ، فمن الجائز أن يكون رحالة العهد الفرعونى وصلوا الى امريكا ، ولكن من المحتمل ان سكان امريكا الاقدمون ابتكروا هذا الطراز كما ابتكره المصريون . أى أن الآثار ليست دليلا ناطقاً على اتصال العالم القديم بالعالم الجديد فى تلك العصور الغابرة

كتب فى التربية وعلم النفس

(الموصل - العراق) عبد الاحد الباقورى

ما أهم الكتب التى صدرت حديثاً فى التربية وعلم النفس باللغات الثلاث العربية والانكليزية والفرنسية ؟

(الهلال) نهض كثير من أساتذة التربية وعلم النفس فى السنوات الاخيرة الى إصدار كتب شتى لا سبيل الى حصرها فى هذه الاجابة ، ولكنا نذكر منها فى التربية : « أصول التربية والتعليم » للاستاذ أمين مرسى قنديل ، و « الطريقة الحديثة فى التربية » للدكتور حسين الخزنجى ، و « تاريخ التربية » للاستاذ مصطفى أمين ، و « تاريخ التربية » للاستاذ عبد الله مشنوق ، و « إدارة الصفوف » للاستاذ سامح الخالدى ، و « المدرسة والمجتمع فى وادى النيل » للدكتور أمير بقطر ، و « البراجماتزم » للاستاذ يعقوب فام ، و « سلسلة كتب المعلم » و « سلسلة الثقافة العامة » اللتين تصدرهما لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن كتب علم النفس : « أصول علم النفس » للاستاذ أمين مرسى قنديل ، و « علم النفس » للاساتذة مظهر سعيد وعطية الابراشى وحامد عبد القادر ، و « العقل الباطن » الذى أصدرته دار الهلال . وكتابى « مقاييس الذكاء » للاستاذ اسماعيل القبانى والدكتور حسين عمر

أما فى اللغات الاوربية فقد صدرت مئات من الكتب أهمها مؤلفات « ديوى » : ومنها المدرسة والمجتمع ، والمدرسة والطفل ، والتعليم والديموقراطية . ومن أهم علماء التربية كلباتريك صاحب طريقة المشروع ومس هيلين باركهست صاحبة طريقة دالتون ، والدكتورة مارى مونتسورى الايطالية . وفى علم النفس : مجموعة مؤلفات فرويد ، وأدلر ، ويونغ وهم اكبر علماء النفس فى العصر الحديث . ومن علماء السيكولوجيا والتربية معاً مكدوجال مؤلف « السيكولوجيا الاجتماعية » ، و « ثورنديك » مؤلف « التربية الاجتماعية »

فى العام الجديد

وصيتى الى شباب الشرق العربى

بأقلام أصحاب المعالى والسعادة . الدكتور محمد حسين هيكل باشا . والدكتور احمد ماهر . ومحمد طلعت حرب باشا . والدكتور حافظ عفيفى باشا

فى مفتتح كل عام تتطلع الأنظار الى ما عسى أن يأتى به هذا العام من جديد . فتقف نفوس البشر ، وفى مقدمتها نفوس الشباب المملوءة بالآمال ، الطامحة الى المجد ، كتائب محتشدة فى استقبال مطلعه ، راجية أن تصيب فيه من التوفيق والنجاح ، ومن الخير والهناء ، ما يمحو آلام الماضى ، ويطيب به وجه الحياة ، ويهدى اليها السعادة ، لكنها فى حاجة الى من ينير لها برأيه الصائب ، وتجاربه الحكيمة طريق الفوز بما ترجوه ، وسبيل الجهاد القويم للحصول على الغاية المثلى ، فما هى هذه الطريق ، وما هو هذا الجهاد النافع ، وما هو سلاحه الذى يشق به الشباب مصاعب الحياة حتى يصلوا فيها الى النصر . ذلك ما تقرؤه فى الكلمات الآتية
« المحرر »

معالى وزير المعارف الدكتور محمد حسين هيكل باشا



نصيحتى الى الشباب ان يجعل كل لنفسه فى الحياة غرضاً يحقق به ما يعتقده مثله الأعلى ، وان يؤمن بهذا المثل الأعلى إيماناً لا يتزعزع ، وأن يوجه اليه كل جهوده فى الحياة ، وألا ييأس ، ولا يكل دون بلوغه ، وان رآه بعيد المنال

وليذكر كل شاب ان الثمرة تحتاج لظهورها الى تعهد وعناية طويلين ، وان المشقة التى أنفقها أبواه السنين الطوال حرصاً على نجاحه الدراسى ، يجب ان يتصل بها مجهود السنين الطوال لبلوغ النجاح فى الحياة . والنجاح الحق فى الحياة إنما هو تحقيق المثل الأعلى الذى يؤمن الانسان به ، وان خالفه الناس فيه

محمد حسين هيكل

معالى وزير المالية الدكتور احمد ماهر



وصيتى الى كل شاب فى مطلع العام الجديد ، ان يكون قوى الايمان بالأمل الجياش فى صدره ، عظيم الثقة بنفسه ، معتداً برجولته ، جريئاً فى طموحه ، ولكن فى تعقل وترو

كما أنى أوصى كل شاب بأن يعمل جهده على ولوج ميدان الاعمال الحرة ، ففيها متسع للجميع ومجال كبير لاحراز الثروة ، وكل طارق لها يحرز النجاح ولا شك طالما جد وثابر

انه لا ينقص الشاب وفرة المال ليستثمره في ميدان الاعمال الحرة ، انما تنقصه العزيمة القوية ، والهمة الثائرة ، والحصافة في المعاملات ، وشحذ الفطنة لاستثمار كل شيء . . هذه كلها هى رأس المال الحقيق . وانى اعتقد ، وأحب ان يعتقد الشباب كذلك ، انه ما من شاب يدفعه الطموح ويقوده الامل وتدفعه العزيمة القوية ، إلا اصاب مغنما من وراء أى عمل حر يشرع فيه ، ولا يأنف أن يبدأ صغيراً ، فانه لا شك سينمو وينمو حتى يبلغ درجة كبيرة ، متى اتخذ الأمانة والاستقامة والنشاط سلاحا يعتمد عليه

وانى استنهض همم الشباب على ألا تقصر على البلد الذى يقيم فيه كل منهم ، بل ليرحل من شاء بعيداً عن بلده ، وليغامر فى الحياة ، فما فاز فيها إلا كل مغامر غير هياب ولا وجل

احمد ماهر

صاحب السعادة محمد طلعت باشا حرب

اذا نصحت للشباب فأنصح أولا الذين يطلبون العلم منهم أن يعنوا العناية كلها بما يتلقونه من علوم فى وقت التحصيل ، وان يتفرغوا لدروسهم حتى يستوعبوها ويهضموها ، حتى إذا انتهت أيام الطلب استطاعوا أن يبدأوا الحياة العملية بما ينبغى لها من علم وأخلاق

وأنصح ثانيا اخوانهم الذين أتموا علومهم ألا يعتبروا الحصول على الشهادة او الدبلوم آخر محطات التحصيل . فانما هى جواز مرور لدخول الحياة العملية بعد المدرسة وبدئها من الالف .

وألا يستنكفوا مزاولة اى عمل شريف يوكل اليهم ، ولو كان صغيراً . وان يتقنوا هذا العمل جهد استطاعتهم كأنه اعظم عمل . وقد جاء فى الاثر « ان الله يحب أحدكم اذا عمل عملا ان يحسنه »

كذلك أنصح هؤلاء وهؤلاء ان يعملوا دائما على ارتفاع صرح النهضة الاقتصادية ، وتثبيت قواعده بالاقبال على منتجات بلادهم ، وبالدعاية لها فى أوساطهم وبين اهليهم ومواطنيهم فى الريف والمدن . ولست اريد ان احصى الفوائد الجزيلة التى تعود على مصر كلها من وراء ذلك ، فالشباب فى الغالب معروف بالذكاء ودقة الحس وسرعة الخاطر والوطنية الصادقة البريئة

محمد طلعت حرب

صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا



الحياة كفاح مستمر ، والنجاح فيه مرهون بمجهود الشاب لاتمام العدة لهذا النضال الطويل . وعدة الشباب للنجاح هى ان يكون سليم الجسم متين الاخلاق حاصلا على اوفى درجة من العلم والثقافة . فاذا أردت ايها الشاب النجاح في الحياة لتعيش عيشة راضية ، ولتستطيع ان تضع حجراً فى بناء هذا الوطن ، فعليك بتقوية جسمك بالرياضة البدنية ، وقاطع الاماكن المقفلة الفاسدة الهواء ، واقصد النوادى الرياضية حيث الهواء الطلق وضوء الشمس

اذا أردت النجاح فعليك بالصدق فى معاملاتك ، وبالوفاء بجميع تعهداتك ، وباحترام حقوق غيرك ، كن شجاعا ولا تؤمن بغير الحق . ثق بنفسك واعتمد عليها ، وادخل معركة الحياة مطمئنا الى النجاح فيها . . .

اذا اردت النجاح فلا تضيع دقيقة واحدة فى دور دراستك من غير استفادة ، ولا تقصر فى هذا الدور فى استمرارك على المطالعة والبحث والتنقيب . اقرأ فى المدرسة وخارجها وبعدها ، فانه إذا ضاع عليك هذا الوقت النفيس ولم تحصل فيه شيئا ، فقدت أمضى سلاح للنجاح فى الحياة

أيها الشاب لا تقبل ان تعيش عاطلا بعد المدرسة اذا لم تجد وظيفة بالحكومة فتتعود العطلة والبطالة ، بل اشتغل بأى عمل فجميع الاعمال والصناعات محترمة ، فلا عيب فى قبول أي عمل ، وانما العيب كل العيب ألا تعمل شيئاً

حافظ عفيفى

الديمقراطية والتعليم الأولى

بقلم الدكتور طه حسين بك

عميد كلية الآداب

وضع الدكتور طه حسين بك كتاباً نفيساً عن الثقافة والتعليم بعنوان « مستقبل الثقافة فى مصر » . ويسر الهلال أن ينشر منه هذا الفصل الشائق الذى يدل على ما حواه الكتاب من موضوعات قيمة تهم رجال التربية والتعليم وقراء العربية فى مصر والشرق العربى

لست فى حاجة الى الاطالة فى إثبات ان التعليم الاولى الالزامى ركن أساسى من أركان الحياة الديمقراطية الصحيحة ، بل هو ركن أساسى من أركان الحياة الاجتماعية مهما يكن نظام الحكم الذى تخضع له ، فهذا شىء قد فرغ الناس منه منذ عصر طويل ، وقد فرغت منه مصر أيضاً منذ صدر الدستور الذى فرض هذا التعليم الالزامى فرضاً ، وكلف الدولة أن تكفله ، وأوجب على الآباء أن يرسلوا أبناءهم اليه . ونحن اذا أردنا أن نختصر الاغراض الأساسية التى يجب على الديمقراطية أن تكفلها للشعب ، لم نجد أوجز ولا أشمل ولا أصح من هذه الكلمات التى ذاعت فى الديمقراطية الفرنسية منذ عامين ، وهى ان النظام الديمقراطى يجب أن يكفل لأبناء الشعب جميعا الحياة والحرية والسلم . وما أظن الديمقراطية تستطيع أن تكفل غرضا من هذه الاغراض اذا قصرت فى تعميم التعليم الاولى وأخذ الناس جميعا به طوعا أو كرها

فلأجل أن تكفل الديمقراطية للناس الحياة ، يجب قبل كل شىء أن تكفل لهم القدرة على الحياة ، أى ان تكفل لهم التصرف فى هذه المذاهب المختلفة التى تمكن الفرد من أن يكسب قوته دون ان يلقى فى ذلك مضارة او عنتا . ومن الطبيعى ان الحياة التى يجب ان تكفلها الديمقراطية للناس ، انما هى الحياة القابلة للتطور والرقى من ناحيتها المادية ، ومن ناحيتها المعنوية ، فليس يكفى ان يكون الفرد قادراً على ان يتنفس و يتحرك ليس غير ، وليس يكفى اذا بلغ الفرد طوراً من أطوار الحياة المادية ان يقف عنده ولا يعدوه حتى يموت ، وانما يجب أن تمكنه الديمقراطية من ان يجوزه الى طور آخر خير منه ، فمن زعم ان الديمقراطية تستطيع ان

ترضى عن نفسها ، وترى انها أدت الى الشعب ما يجب ان تؤدى اليه حين تضمن للافراد ما يقيم أودهم ، ويعصمهم من الموت جوعاً ، فقد أخطأ خطأ شنيعا . يجب ان تضمن الديمقراطية للناس ما يقيم أودهم ، ويعصمهم من عادية الجوع ، ولكن يجب ان تضمن لهم مع ذلك القدرة على ان يصلحوا امرهم ، ويتجاوزوا ما يقيم الأود الى ما يتيح الاستمتاع بما أباح الله للناس من لذة ونعيم فى هذه الحياة

وليس ينبغى ان يطلب الى الديمقراطية ان توزع على الناس اقواتهم ، وتشيع فيهم اللذة والنعيم وهم هادئون مطمئنون ، فهذا شىء لن يتاح لنظام انسانى ، وانما موعد الناس به الجنة التى وعد الله بها عباده الصالحين . وانما الذى يطلب الى الديمقراطية ، ويفرض عليها ، أن تمنح افراد الشعب وسائل الكسب التى يسعون بها فى الارض ، ويلتمسون بها الرزق ، وأن تزيل من طريقهم ما قد يقوم فيها من العقبات التى تنشأ عن الظلم والجور ، وعن التحكم والاستبداد ، وعن مقاومة الطبيعة نفسها لتصرف الانسان

وأول وسائل الكسب التى يجب على الديمقراطية ان تضعها فى ايدى الافراد انما هو التعليم الذى يمكن الفرد من ان يعرف نفسه ، وبيئته الطبيعية والوطنية والانسانية ، وأن يتزيد من هذه المعرفة ، وأن يلائم بين حاجته وطاقته وما يحيط به من البيئات والظروف

وقد لا يكون من المعقول ، أو من الميسور ، ان يطلب الى الديمقراطية منح الافراد كل ما يحتاجون اليه او يقدرون عليه من هذه الوسيلة . ولكن الشىء الذى لا شك فيه ان الديمقراطية ملزمة ان تمنح الافراد حظا يسيراً لا سبيل الى العيش بدونه فى أى بيئة متحضرة

فالدولة الديمقراطية ملزمة ان تنشر التعليم الأولى وتقوم عليه لأغراض عدة ، اولها ان هذا التعليم الاولى أيسر وسيلة يجب ان تكون فى يد الفرد ليستطيع ان يعيش . والثانى ان هذا التعليم الأولى أيسر وسيلة يجب أن تكون فى يد الدولة نفسها لتكوين الوحدة الوطنية ، وإشعار الأمة بحقها فى الوجود المستقل الحر ، وواجبها للدفاع عن هذا الوجود . والثالث ان هذا التعليم الأولى هو الوسيلة الوحيدة فى يد الدولة لتمكن الأمة من البقاء والاستمرار ، لأنها بهذا التعليم الاولى تضمن وحدة التراث الوطنى اليسير الذى ينبغى ان تنقله الأجيال الى الأجيال ، وأن يشترك فى تلقيه ونقله الأفراد جميعا فى كل جيل

وليس الأفراد فى حاجة الى دفع الضرائب التى تمكن الدولة من البقاء والعمل اذا

لم تضمن لهم الدولة أيسر ما يحتاجون اليه ليعيشوا ، وليكونوا أمة واحدة قادرة على الوجود ، ثم على الخلود

ليس من شك إذن فى ان من أبسط واجبات الدولة وأوضحها ، وأدناها الى البداهة ، أن تنشر التعليم الاولى ، وتقوم عليه. وقد فرض الدستور عليها ذلك ، فتقصيرها فى ذاته يلزمها إثم التفريط فى ذات الدستور

واذا كانت الديمقراطية مكلفة أن تضمن للافراد الحرية كما ضمنت لهم الحياة ، فان الحرية لا تستقيم مع الجهل ، ولا تعايش الغفلة والغباء . فالدعامة الصحيحة للحرية الصحيحة انما هى التعليم الذى يشعر الفرد بواجبه وحقه ، و بواجبات نظرائه وحقوقهم ، والذى يشيع فى نفس الفرد هذا الشعور المدنى الشريف ، شعور التضامن الاجتماعى الذى يجعله حريصا على احترام حقوق نظرائه عليه ليحترم نظراؤه حقوقه عليهم

واذا كانت الديمقراطية مكلفة أن تضمن للناس السلم الذى يحميهم من أن يعدو بعضهم على بعض فى داخل حدودهم الجغرافية ، والذى يحميهم من أن يعدو عليهم الأجنبى ، فان هذا السلم لا يستطيع أن يوجد لأن الدولة تريده على الوجود ، وانما هو محتاج الى مادة توجده وأداة تحققه . والمواطنون الأحرار وحدهم — هم القادرون على إيجاد هذا السلم ، هم مادته وهم أدواته ، ذلك ان الرجل الذى لا حظ له من الحرية عاجز بطبعه عن إيجاد السلم وعن حمايته ، بل عاجز بطبعه عن تصور السلم . انما هو قادر على أن يعيش ذليلا ، وعلى أن يكون عاديا باغيا إن أتيحت له فرصة البغى والعدوان . فلن تستطيع الديمقراطية أن تكفل للناس حياة ولا حرية ولا سلما إلا اذا كفلت لهم تعليما يتيح لهم الحياة ، و يبيح لهم الحرية ، ويمكنهم من السلم . ولكن ما هذا التعليم الذى يجب أن تذيعه الدولة الديمقراطية فى الناس وتأخذهم به لتكفل لهم هذه الأغراض الثلاثة التى أشرنا اليها ؟

أيسر هذا التعليم هو هذا الذى يمكن الفرد من أن يعرف نفسه و بيئته الطبيعية والوطنية . واذا أردنا تفصيل هذا المقدار اليسير من العلم ، فنظن ان الفرد محتاج قبل كل شىء الى أن يقرأ ويكتب ويحسب ، ويعمل أيسر العمل بعقله و يديه ، ليستطيع أن يفهم عن نظرائه ، وليستطيع نظراؤه ان يفهموا عنه . ويجب أن يعرف الفرد أنه عضو فى بيئة وطنية هى الأمة ، وأن هذه الأمة قد كانت قبل أن يوجد ، وهى كائنة فى أثناء وجوده ، وستكون بعد أن يموت . و إذن فلا بد من أن يعرف تاريخها معرفة يسيرة ، ولا بد من أن يعرف حالها الحاضرة ، ونظمها

القائمة ، ولا بد من أن يشعر بآمالها ، ويتصور مستقبلها على وجه ما

ثم ان هذه الأمة لا تحيا فى الخيال ، ولا تضطرب فى الوهم ، ولكن الله قد قسم لها مكاناً من الارض أقرها فيه ، ولهذا المكان حدوده الجغرافية التى تحصر أقطاره ، والتى يستطيع أفراد الأمة أن يضطربوا بينها ، ويعملوا وهم آمنون مطمئنون فى حدود ما ورثوا من عادة وتقليد ، وما شرعوا من نظام وقانون

فاذا تجاوزوا هذه الحدود كانت لهم سيرة أخرى غير سيرتهم فى داخلها ، وخضعوا لنظم أخرى لم يشرعوها ، ولعادات وتقاليد لم يرثوها عن آبائهم ، وقد يسمعون لغة غير اللغة التى يتكلمونها داخل حدودهم ، وهم على كل حال مضطرون الى كثير من الأوضاع وألوان العيش التى تضطر نفوسهم الى شيء من الحرج ، وتثير فيها شيئاً من الاستغراب . وجملة القول انهم غرباء اذا تجاوزوا هذه الحدود ، فيجب إذن أن يعرف الفرد هذه الرقعة من الارض التى قسمت لأمته فأصبحت لها وطناً تحبه وتؤثره ، وتفتديه بالأنفس والاموال ، وتحتمل الميسور وغير الميسور من الجهد فى سبيل حمايته من العاديات ، لا لأنها تعيش فيه فحسب ، بل لأنه مهد حضارتها ، ومستقر أجيالها القديمة ، فأرضه مكونة من رفات هذه الأجيال ، فالتفريط فيها تفريط فى الآباء والأجداد ، وإباحة لحرمتهم التى يجب ألا تباح . وهذه الارض هى مصدر الخير الذى يعيش منه الافراد ، ومصدر النعيم الذى يستمتعون به ، فهم حراص عليها لهذا ولأكثر من هذا ، هم حراص عليها لأنها ميدان حياتهم ونشاطهم ، ومسرح آمالهم ورجائهم ، ومستقر حضارتهم ومدنيتهم ، والملجأ الأمين لكل ما يحبون ويؤثرون . ولهذه الامة لغة تمكن أفرادها من أن يفهم بعضهم بعضاً ، ويفضى بعضهم الى بعض بذات نفسه ودخيلة ضميره وبأيسر حاجاته وأعسرها . فلا بد إذن من أن يتعلم الفرد لغة أمته ويتقنها ليحقق هذه الفكرة اليسيرة الاولية وهو انه حيوان اجتماعى ناطق . وإذن فالمقدار اليسير الذى يجب ان يشترك المصريون جميعاً فى العلم به ، وفى العلم به على أحسن وجه ممكن ، هو تاريخ مصر وتقويمها ولغتها ، ثم نظامها السياسى والمدنى والاجتماعى الذى تقوم عليه حياتها وتصلح عليه أمورها ، ثم هذا المقدار اليسير الذى يمكن الفرد من أن يعمل بعقله ويده الى حد ما

وواضح جداً ان أمر الدين هنا كأمره فى الفصل الماضى ، يختلف باختلاف النظرة التى تنظرها اليه الدولة . فان رأت إقامة التعليم على الفكرة المدنية الخالصة ، تركت أمر الدين الى

الأسر ، ولم تقم فى سبيل تعليمه المصاعب والعقبات . و إن رأت إقامته على الفكرة المدنية الدينية قسمت للتعليم الدينى مكانه من هذا البرنامج

وليست الدولة مسئولة عن تكوين عقل الصبى وقلبه فحسب ، بل هى مسئولة أيضاً ، ومسئولة فى مصر بنوع خاص ، عن حماية جسمه من الآفات والعلل ، وتمكينه من النمو المطرد الذى لا يتعرض لاضطراب ولا فساد . فلا بد من ان يكون فى التعليم الاولى مكان ممتاز للتربية البدنية يضمن للامة تكوين أجيال صحيحة الاجسام والعقول معاً . وقد يستبيح المشرفون على التعليم الاولى لانفسهم فى بعض البلاد المتحضرة شيئاً من الاهمال فى حق التربية البدنية والنفسية ، ويكتفون بالفراغ للتعليم وتربية العقل ، لانهم يعتمدون على الاسرة فى تحقيق ما لم يحققوا ، والنهوض بما لم ينهضوا به من تربية الاجسام والاخلاق . ولكن هذا النحو من الاهمال مستحيل فى مصر الآن على أقل تقدير ، لان الاسرة المصرية فى هذا الجيل والجيل الذى يليه ، بعيدة كل البعد عن أن تستطيع النهوض بأعباء التربية الصالحة للجسم والخلق . ولا بد من مرور زمن طويل قبل أن تستطيع الدولة الاعتماد على الاسرة فى شئون التربية ، وانتظار معونتها على تكوين الاحداث والشباب

طه حسين

هدية الهلال الممتازة

العرب والاسلام في العصر الحديث

أعلنا فى عدد نوفمبر الماضى عن عزمنا على اصدار عدد ذهبي ممتاز من الهلال عن « العرب والاسلام فى العصر الحديث » وقلنا : إن هذا العدد سيكون هدية سادسة فوق الهدايا الخمس التى يهديها الهلال لقرائه فى هذا العام . وسيمتاز به المشتركون الذين يسددون اشتراكهم قبل يناير القادم ، وسيباع بعشرة قروش لغير المشتركين . وقد اتخذنا الأهبة لاصدار هذا العدد عما قريب وسيكون أكبر حجماً من الهلال العادي ـ فى مائتى صفحة من حجم تقويم الهلال ـ وسيتوج بكلمات لملوك العرب والاسلام ، ويضم طائفة كبيرة من الموضوعات الجديدة الهامة ، وسيحتوى على لوحات مصورة ممتازة ، وعلى عدد نفيس من التحف الفنية الملونة بألوان عدة . وسيشترك فى تحريره طائفة من الأمراء وكبار العلماء والأدباء الشرقيين والمستشرقين

اهتمت وزارة المعارف المصرية فى هذا العام بمشروع جديد ، هو اقامة مؤتمر عربى كل عام لبحث شئون التعليم وتوحيد الثقافة بين الاقطار العربية ، لتوثيق الروابط القومية بينها . وقد ألفت لجنة برياسة الاستاذ احمد أمين لبحث هذا المشروع ، والعمل لتنفيذه ، وقد رأينا أن نعرض لقراء العربية رأى صاحب العزة وكيل وزارة المعارف محمد العشماوي بك ، والدكتور طه حسين بك ، والاستاذ احمد امين رئيس هذه اللجنة . ونحن نرحب بآراء رجال التعليم والثقافة فى الاقطار الشقيقة الذين يريدون أن يساهموا فى بحث هذا المشروع

توحيد الثقافة بين الأقطار العربية

هو أهم الوسائل لتقدم نهضة الشرق العربى

رأى حضرة صاحب العزة محمد العشماوى بك

تسود البلاد العربية ثقافة متقاربة ، أساسها وحدة اللغة ، ووحدة الدين بالنسبة لأغلبية السكان ، ووحدة التاريخ في حقبة طويلة منه ، حيث تأثرت هذه البلاد جميعها بالفتح الاسلامى والحضارة الاسلامية

ولما بدأت هذه البلاد تستعيد استقلالها ، وتبعث من جديد ، عملت على العناية بالنهضة الفكرية واتخذت مصر قبلة لها ، بمعنى أنها كانت ترسم خطاها فى الحركة العلمية والأدبية ـ وذلك يرجع الى أن نهضة مصر الحديثة كانت أسبق من نهضات هذه البلاد بما وفره لها محمد على باشا الكبير من استقلال فى تصريف شئونها ، هيأ لها فرصة التوفر على استكمال مرافقها فى مختلف نواحي النشاط الفكرى والصناعي والتجارى

ولقد كانت مصر حريصة على اجابة داعى شقيقاتها العربية بما قبلته من بعوث فى مختلف معاهدها ، وبمن أوفدتهم من أساتذة الى مختلف الاقطار العربية ، مع تحمل ما تطلبه هذا الايفاد من نفقات ، جاعلة نصب عينيها أن للزعامة اعباءها ، وأن للعلم كما للمال زكاة

وقد زادت هذه الخطوة فى توثيق الروابط الثقافية بين هذه البلاد ، بل انها كانت بالنسبة لكثير منها بداية لعهد جديد فى ايجاد هذه الروابط ، فأصبح لمصر أساتذة فى العراق ، ولبنان ،

والحجاز ، وتطوان بالمغرب الأقصى ، كما أن معاهد مصر تضم المئات من طلبة البلاد الاسلامية والعربية ، من أفغانستان الى تطوان الى عدن

وكان من الطبيعي أن تؤدى هذه الصلات الى التفكير فى توحيد الثقافة بين هذه البلاد حتى تستطيع أن تنتفع بمواردها العلمية ، وتحقق نوعاً من الوحدة العربية فى أهم ناحية من نواحيها ، وهى الثقافة

وقد خطت الوزارة الخطوة الاولى فى هذا السبيل بأن عهدت الى لجنة تضم ممثلين من الوزارة وممثلين من الجامعة ، فى بحث الدعوة الى مؤتمر ثقافى دورى يعقد فى عواصم البلاد العربية والاسلامية لوضع خير الوسائل لتوحيد الثقافة . وقد رأت اللجنة قبل أن تخطو الخطوة الثانية أن تقف على رأى هذه البلاد فى هذه الفكرة . ويسرنى أن أعلن أن الوزارة قد تلقت رأياً اجماعياً فى تحبيذ الفكرة وضرورة العمل بها . وستشرع اللجنة قريباً فى بحث الوسائل العملية لتحقيق هذا المؤتمر ، وأظن ان رأيها فى الغالب سينتهى الى تكوين لجنة دائمة تضم ممثلى البلاد العربية وممثلى البلاد الاسلامية التي قبلت الفكرة ، لتحضر الموضوعات الكبرى التى يصح أن تكون محل بحث المؤتمر فى كل دورة من دوراته

ويلاحظ أن البلاد التى ستشترك فى مثل هذه المؤتمرات هى البلاد التى تسودها الثقافة العربية والاسلامية ، وتكون متأثرة بثقافة بعضها

وليس الغرض من توحيد الثقافة توحيد المناهج الدراسية ، أو توحيد الكتب المدرسية ، فان المناهج يجب أن تتأثر بالبيئة ، وتراعى فيها ظروف كل بلد ، حتى أن من رأيى ألا توحد المناهج فى البلاد المصرية نفسها، وأن تقتصر الوزارة على وضع الاسس العامة ، وتترك للبيئات الاقليمية أن تعمل عملها فى التوجيه . وانما الذى أقصده أن تطبع الثقافات فى البلاد العربية بطابع واحد ، وترمي الى غرض واحد ، فتكون الثقافة العربية هى الأساس ، وتعمل هذه البلاد على مزج الثقافة العربية والثقافة الغربية مزجاً يؤدى الى ثقافة حديثة ذات طابع خاص يطبعها جميعها ثم يهيىء لكل منها فرصة لاظهار شخصيتها

ولكى أوضح لك غرضى أشير الى بعض الأسس التى يصح أن يقوم عليها توحيد الثقافة بالمعنى الذى أقصده ، فهنالك اللغة العربية يجب أن يعنى بها ، ويعنى بجعلها أساس التعليم فى مختلف مراحله ، وعلى ذلك يتعين العمل بمسايرتها لنهضة الفنون والعلوم والآداب ، وبتبسيطها بما يجعلها فى متناول الطبقات المثقفة ، حتى تساعد على ابراز روح العصر . وبذلك يزول كثير من الفوارق بين البلاد العربية مما يرجع الى اختلاف اللهجات ، لأنه اذا لم يعن بالفصحي ، واتخاذ الاسلوب السهل فيها ونشره فى مختلف الطبقات المتعلمة فى جميع هـذه البلاد ، وترك كل بلد يتجه اتجاها خاصاً في أساليبه تنكرت هذه البلاد لبعضها من حيث التفاهم والتوافق وضعفت أهم الصلات التى تربطها

ومن أهم ما تجب العناية به توحيد المصطلحات العلمية والأدبية باللغة العربية حتى يسهل الانتفاع بنتاج الفكر والعلم فى مختلف هذه البلاد ، كما يسهل تبادل الأساتذة وتبادل البعوث

وهناك توحيد الأسس العامة لبرامج التدريس حتى يستطيع الطلبة فى أى بلد من البلاد العربية أن يسايروا المرحلة التى أتموها فى بلد آخر ، دون أن يجدوا صعوبة فى مواصلة الدراسة ، وبذلك يمكن الانتفاع بجامعة فؤاد الأول ، وبمعاهد المعلمين لتكوين الطلبة الذين يبعثون من البلاد العربية . كما أن الانتفاع بالأساتذة المصريين يكون انتفاعا أكمل اذا كانت المناهج التى يطبقونها تقوم على أساس مشترك من المناهج المصرية

وهنا لك العناية بالتاريخ ، بمعنى أن تقوم مناهج التاريخ على أساس ابراز الماضى المجيد الذى اجتازته الأمم العربية جنباً الى جنب تحت راية موحدة ، ثم ابراز خصائص كل بلد ، وما ساهمت به فى دائرة الحضارة العربية

وانى لكبير الأمل فى أن توحيد الثقافة بين البلاد العربية سيؤلف منها حلفاً ثقافياً يرفع من مكانة هذه البلاد ، ويمكنها من أن تتباهى بحضارتها ، وتساهم بثقافتها فى خدمة الانسانية ، ويزيل كثيراً من الفوارق بينها ، ويقوى أواصر القربى بما يجعلها شعباً واحداً مع الاحتفاظ لكل منها بكيانه واستقلاله

رأى الدكتور طه حسين بك

أنا من الدعاة الى هذه الفكرة . وقد اظن انى نجحت فى هذه الدعوة حين اجتمعت فى مصر جماعة من علماء الشرق العربى فى سورية وفلسطين ومصر . وقد ألفت لجنة للتعاون العلمى بين الهيئات العلمية فى الاقطار العربية ، ووضعت لهذه اللجنة نظاماً اقرته ، وانتخبت لها رئيساً هو الاستاذ احمد امين . وكان من أهم ما تباحثت فيه هذه الجماعة العمل لتوحيد برامج الدراسة الابتدائية والثانوية فى الأقطار العربية . ولكننا اتفقنا على أن تكون الدعوة الى هذا رفيقة حتى تظفر بعض البلاد الشرقية بحظ من استقلالها السياسى يمكن من الجهر بهذه الدعوة دون أن تثير السياسة فى سبيلها صعوبة ما

وأظن أن ابرام المعاهدة بين سورية وفرنسا ، وبين لبنان وفرنسا من المشجعات على الجهر بهذه الدعوة ، فلما أحسست حسن استعداد وزارة المعارف المصرية لهذه الفكرة ارتبطت بهذا الارتباط كله ، على أنى انتهزت فرصة انعقاد المؤتمر الطبى الشرقى بالقاهرة منذ نحو عامين فتحدثت فى ذلك الى أعضاء المؤتمر من اخواننا السوريين ، وحضر هذا الحديث الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، فوجدت منهم استعداداً حسناً ، بل رغبة صادقة فى الفكرة ، وهى كما ترى قيمة

ومستقرة فى نفوس المشتغلين بها جميعاً ، وأنا واثق بأنها أقوم ما فى موضوع الوحدة العربيـة من العناصر ، بل أيسرها وأنفعها . وسترى انى أدعو الى ذلك دعوة حارة فى كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » الذى يظهر قريباً

ومن المحقق ان هذه الفكرة يجب أن تقوم على احترام الشخصيات الوطنية للامم العربيـة ، بمعنى ان اتحاد برامج التعليم والثقافة لن يغير ما ينبغى أن تعنى به كل أمة من جعل تاريخها الخاص وجغرافيتها الخاصة أساساً للدراسة فيها ، فأما اللغة فواحدة فى هذه البلاد

رأى الاستاذ احمد امين

مهما اختلف اولو الرأى فى توحيد الروابط السياسية والاقتصادية ، بين الامم العربية فلا يصح أن يختلفوا فى توحيد الثقافة العلمية والأدبية بين تلك الشعوب لعدة أسباب

(١) أن العوامل الطبيعية والاجتماعية هيأت خير الاسباب لهذا التوحيد فهذه الشعوب لغتها واحدة ، ووحدة اللغة تيسر الى أبعد حد توحيـد الثقافة ، وهذه الشعوب أدبها واحد ، فقد ظلت منذ الفتح الاسلامى تتكلم عن الأدب العربى مهما كان اقليمه ولا تقول إنه أدب عراقي أو شامى أو مصرى ، ولم توجد هذه النعرة الا فى العصور الحديثة ، وان وجد منها شىء للقديم فللتعريف لا للعصبية ، وحتى ان وجدت العصبية فكان معها عصبية أقوى منها وهى العصبية للعربية على غيرها من الآداب الاخرى — وهذه الشعوب دينها واحد فى الاعم الاغلب ، وحتى اخواننا غير المسلمين يستنشقون دائماً جو الاسلام فى اللغة والادب والاجتماع

فهذه الروابط كلها تجعل توحيد الثقافة أمراً سهلا ميسوراً لا يكلف عناء ولا مشقة

(٢) وسبب آخر هو أن الموقف السياسى للامم العربية يكاد يكون متحداً ، قلوبها تنبض بآمال واحـدة ، وكلها تشعر بآلام متقاربة . فالنزعة الوطنية القومية التى تغذى الادب والثقافة تكاد تكون مشتركة . واذا اتحدت المقدمات اتحدت النتائج

(٣) وسبب ثالث وهو أن الامم الشرقية العربية متى اتحدت أغراضها ومراميها فى الحياة فخير لها أن تسير في طريق واحد حتى يشد القوى ازر الضعيف ، ويحمل البطل شيئاً من عبء المتخلف حتى يصل الجميع الى الغاية ، ولا سبيل أسلم وأحكم من طريق الثقافة الموحدة

(٤) وسبب رابع ، وهو أن عدد القارئين والكاتبين فى كل أمة عربية ما يزال قليلا محدوداً لا يصلح لترويج مجلات أو كتب ، فاذا اقتصرت كل أمة على ثقافتهـا لم تستطع أن تشجع المؤلف النابغ والكاتب القدير والمجلة الحية ، فتوحيد الثقافة يجعل عقول هذه الشعوب كلها تألف نتاج كل منها ، فاذا كتب كاتب مصرى أو عراقى أو شامى أو ألف أقبل المثقفون فى الامم الاخرى على

كتبه أو مجلته او روايته ، وفى ذلك تشجيع للمؤلف ومضاعفة للنتاج الثقافى

(٥) وسبب خامس وهو ان توحيد الثقافة يستتبع توحيد الروح ، واذا توحدت روح الشرق استطاعت ان تقف بجانب روح الغرب ، تبنى فى بناء العلم والادب الذى يبنون وتشيد فى صرح المدنية الذى يشيدون ، واضطر العالم الغربى الى ان يحترم هذا الروح الشرقى البانى العامل الذى يحترم نفسه ، فلا يسمح لأحد ان يعتدى عليه ويحترم غيره فلا يسمح لنفسه ان تعتدى على احد

* * *

هذه فى نظرى أهم الأسباب عند دعاة توحيد الثقافة ولا أظن أحداً يخالفنى فيها

ولكن مما يؤسف له أن هذه الأفكار العامة المقبولة محتاجة فى تفاصيلها الى البحث والأخذ والرد ووضع الأسس الصالحة ، ومن جهة أخرى محتاجة الى وضع خطط التنفيذ

فمثلا . ستصطدم هذه الفكرة ـ فكرة توحيد الثقافة ـ بفكرة القومية ، فاذا وضعنا برنامجاً عاماً فى الجغرافيا ، فهل يشترك كل العالم العربى فى دراسة الموضوعات على نمط واحد ، أو نجعل أسساً مشتركة وتفاصيل مختلفة تسمح للسورى أن يعنى فيها بجغرافية الشام أكثر من جغرافية مصر والعكس ؟ أظن ان الثانى هو الواجب ومثل ذلك يقال فى التاريخ والأدب . فنكون بذلك قد حافظنا على الوحدة العربية . وبجانب ذلك قد حافظنا على النزعة القومية هذا مثل بسيط جداً مما يعترض الموضوع عند التفاصيل من صعوبات

وهكذا فى ناحية التنفيذ ، كيف تدعى الأمم الشرقية ؟ وأين يجتمع ممثلوها ؟ وكيف يحصلون على السلطة التى تمكنهم من أن يقولوا كلمتهم فتكون هى كلمة أمتهم من غير اعتراض ومن غير أن تلعب أمم اخرى فى الخفاء فتفسد المشروع ؟ وكيف ينظمون الاجتماعات المستقبلة حتى يدخلوا التعديل على المناهج بعد ما تبديه التجارب من حاجة الى الاصلاح ؟ وهل من المستحسن أن يتخذ المشروع شكل مؤتمر يجتمع كل عام فى قطر من الأقطار الشرقية ؟ وهل يستحسن ان يكون له مجلة دولية شرقية تكون مجالا لأقلام كبار الباحثين . هذه أمثلة قليلة مما يحتاج التنفيذ اليها فهل يخرج المجمعون على وحدة الثقافة العربية من الحياة الذهنية الى الحياة الواقعة ، فيضعون الخطط ويرسمون المنهاج ويذللون ما يظهر من صعاب ؟ . ذلك ما أرجو فى المستقبل القريب

أثر الأزمة الدولية

في العالم العربي

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

كان للأزمة الدولية الأخيرة أثرها فى أوربا . فغيرت من جغرافيتها ، ووجهت رجال السياسة الى طرق أخرى فى معالجة المشاكل الدولية ، وعدلت فى العلاقات السياسية بين الدول الكبرى . وكان لها أثرها فى مستقبل الحالة الاقتصادية أيضا . أما العالم العربى فماذا كان أثر هذه الأزمة فيه ؟ . ذلك ما يتحدث عنه فى هذا المقال القيم الأستاذ عباس محمود العقاد

« المحرر »

كان تقسيم المعسكرين الأوربيين فى الأزمة الدولية الماضية تقسيما مريحاً للأمم العربية فى الشرق الأدنى ، لأن وجود انجلترا وفرنسا وروسيا فى معسكر معناه أن تركيا ورومانيا وغيرها من دويلات أوربا الوسطى والجنوبية ستكون في هذا المعسكر ، ومعنى ذلك أن الأمم العربية ستحارب فى صف الدول الكبرى المجاورة لها أو المتصلة بشئونها ، وأنها وزنت كفتيها وزناً لا تردد فيه ، وأنها واقفة على أسلم الطريقين .

أما الآن فالمعسكران غير محدودين . لا يدرى أحد إلى أين تتجه روسيا فى الحرب القادمة ، ولا يدرى أحد هل تكون بولونيا حمى لألمانيا أو خطراً عليها ، ولا يدرى أحد هل يتم توصيل الدانوب والرين فيغلب نفوذ المانيا المالى والسياسى على أوربا الوسطى والشرقية ويصعب على أممها الكبيرة والصغيرة أن تتخذ لها موقفاً معارضاً لها . . . أو تحول الحوائل دون ذلك فلا ترجح الكفة الألمانية هناك هذا الرجحان . بل لا يدرى احد كيف تستقر اليابان فى داخل الصين وعلى شواطئها . فانها اذا استولت على الارض الصينية ضعف شأن القواعد البحرية الانجليزية فى سنغافورة ، واحتاجت بريطانيا العظمى الى مضاعفة التعويل على طريق البحر الأبيض المتوسط ، اما اذا اضطرب مقام اليابان في الصين فالأرجح ان يهبط التعويل على البحر الأبيض المتوسط من المنزلة الاولى الى ما دون ذلك عند اشتداد الاخطار واقترابها من صميم البلاد الانجليزية

هذا الشك فى الموقف الدولى المقبل سيفيد البلاد العربية على الجملة ، وقلما يضيرها او يهون من امر المساعدة التى تستطيعها فى الساعة العصيبة

لأن الدول العظمى ستعتمد على زيادة التسليح دون الحلفاء والانصار ، وستعجز عن توفير السلاح لها ولأمم الشرق العربى المربوطة بسياستها ، وستعلم ان قوة هذه الامم امر لا مناص منه لدفع الغارات عن حدودها ، إذ ليس فى طاقة الدول العظمى إبان الخطر ان تزودها بجميع ما تحتاج اليه من سلاح ، اما اذا تركتها عزلاء مفتوحة الثغور والمقاتل ، وأبت عليها القوة كما كانت تأباها من قبل ، فهى ، — أى الدول العظمى — اول من يضار بهذه السياسة الفاشلة ، لأن خصما من الخصوم الذين لا تعلم من هم الآن سيضربها لا محالة فى ذلك المقتل المفتوح

فالنتيجة الاولى من نتائج الأزمة الدولية واشتباه الامور فى الازمة المقبلة ، انها ستؤدى الى زيادة فى قوة الامم العربية من الوجهة العسكرية ، وانها ستكون عاملا من العوامل التى يحسب لها حساب فى ميزان الحرب القادمة وفى ميزان المسائل العالمية عامة ، ومن هنا تكسب حرية لم تكن لتكسبها بغير هذه الوسيلة ، وتعنى الدول العظمى بآرائها وميولها عناية لم تكن معروفة ولا منظورة فى اوائل القرن الحاضر ، وسيصحب هذا ما لا بد ان يصحبه من ثقل التبعات والتكاليف وشراء الاسلحة والذخائر وتدريب الجنود والضباط ، فتزداد الصلة بين أبنائها و بين ابناء الدول العظمى ، وتدخل العلاقات بين الفريقين فى دور جديد من المصافاة والمساواة

يقول قائل : ولماذا تختار الدول العظمى هذا الطريق ولا تختار الطريق الآخر ، وهو إضعاف الأمم العربية وارغامها واضطرارها عنوة الى متابعتها فى سياستها وحروبها ؟

ونقول : إنها لا تفعل ذلك لانها إن فعلته كانت مضطرة الى ابقاء جيش كبير فى كل منها ذى غرضين مزدوجين بدلا من غرض واحد ، أول هذين الغرضين هو تهدئة البلاد وقمع ثوراتها ، والثانى هو مكافحة الخصوم المغيرين ورد هجماتهم والتربص لحركاتهم ومساعيهم فى تلك البلاد المقهورة ، ولا مصلحة لسياسى حكيم فى ارتكاب مثل هذه الغلطات التى تزيد الاعباء وتزيد الاعداء

***

واذا بقى الوفاق بين بريطانيا العظمى وفرنسا على ما يبدو الآن من تقارب المصالح فى

السياسة الدولية ، فمن المنظور جداً ان تيسر كلتاهما اسباب التحالف والتآلف بين بلدان الامم العربية ، لأن هذا التحالف يضمن لها قوة واحدة وسداً منيعاً بين خصومهما واقطار آسيا وافريقيا ، ويجعل العالم العربى بمثابة دولة واحدة معروفة الوجهة عند انقسام المعسكرات الدولية ، ويقرر العلاقات البريطانية والفرنسية بالعالم العربى تقريراً يمنع المنافسة والاشتباك ، ولاسيما اذا تيسر الاتفاق على الاسواق التجارية فى اقطار الشرق الادنى وهو يسير

***

لكن هل يبقى الوفاق بين بريطانيا العظمى وفرنسا على ما يبدو لنا الآن ؟

المرجح انه يبقى

لأن انجلترا لن تأمن ايطاليا كما تأمن فرنسا ، إذ ليس فى « تطورات » السياسة الفرنسية ـ مهما تبتعد فى مقبل الايام ـ ما يهدد بريطانيا العظمى فى أملاكها ومواصلاتها ، ومتى كان الحذر من ايطاليا قائماً فليس من المعقول أن بريطانيا العظمى تقدم على مجافاة فرنسا و إيطاليا فى وقت واحد ، فلا بد لها من مجاراة السياسة الفرنسية التى تلتقى وسياستها فى اتجاه واحد ، سواء نظرنا الى الاشتراك فى اتقاء أعداء البحر الأبيض المتوسط ، أو الى الاشتراك فى اتقاء طغيان اليابان على أملاك الدولتين فى آسيا الشرقية ، أو الى الاشتراك فى طلب السلم واقصاء المشكلات جهد المستطاع

هذا من جانب بريطانيا العظمى

أمامن جانب فرنسا فهى تحتاج الى النفط والى الجنود الوطنيين فى شمال افريقا وغربها ، ولا غنى لها فى كلتا الحالتين عن مسالمة بريطانيا العظمي ، وهى تحتاج الى من يحمى ظهرها يوم تستهدف للهجوم من جانب الألمان أو الطليان أو لهجوم كلتا الأمتين من جانب الأسبان

فالسياستان الانجليزية والفرنسية أقرب سياستين الى التكافل والتعمير الطويل فى جميع المشكلات المحذورة ، ومن هنا لا يبعد أن تتفقا على اراحة البال من ناحية الشرق الادنى بتشجيع حلف عربى كبير تسير سياسته فى اتجاه معروف مأمون ، وبالتساهل فى وجوه الخلاف التى ليست من الخطر والجسامة بحيث تحجب هذه الغاية الكبيرة ، ومنها ترويج الثقافة والتجارة بغير تنافس أو ملاحاة بين الدولتين ، ولا بين الأمم العربية المختلفة . وسيكون لذلك أثره فى تعظيم شأن الجامعتين المصريتين ، واحياء الصناعات المحلية وتبادل التجارة فيها ،

واختلاط الأسواق وتخفيف المكوس أو مشقات التبادل بينها

فاذا منع هذه السياسة الرشيدة مانع فلن يكون هذا المانع صعوبة تحقيقها أو بعدها عن المنطق والاحتمال ، وانما يمنعها فيما نعتقد ذلك الدأب الذي درجت عليه السياسة البريطانية من قديم الزمن ، ألا « تراهن على حصان واحد » ، أولا تكشف اعتمادها على صداقة دولة واحدة ، وكأنها تخشى أن تطمئن فرنسا الى المعاونة البريطانية فتهمل رعايتها ولا تؤدى الثمن المتجدد لتلك الرعاية فى كل أزمة ذات شعب ومناوشات ، وتؤثر من أجل هذا أن ترسل يديها طليقتين تصافحان باليمين والشمال ، ولا تدعان صديقاً أو عدواً على يقين مما بصنعه قد يبطل المساومة والمناورة فيما يلى من الازمات

إلا أن هذه الحيطة لا تمنعها أن تغض الطرف عن السياسة التي ترى لها مصلحة فيها إذا جاءت من قبل الأمم العربية وسارت فى الوجهة المأمونة

***

وعلى هذا نرجح أن الأزمة الدولية ستفيد العالم العربى (١) زيادة فى الحرية ، و (٢) زيادة فى القوة الحربية ، و (٣) زيادة فى القيمة السياسية ، و (٤) اتصالا حسناً فيما بين الامم العربية كافة وما يجاورها من الأمم الشبيهة بها فى المصالح الدولية كتركيا وايران ، و (٥) اتصالا حسناً فيما بين هذه الأمم والدولتين الكبيرتين بريطانيا العظمى وفرنسا ، و (٦) انتفاعاً من سائر الدول التى تسعى فى استرضاء العالم العربى واغرائه بصفقات المال والسياسة ، و (٧) اطمئناناً الى المستقبل أوثق من اطمئنانه قبل عشر سنوات

يقابل هذه الفوائد من جانب التكاليف زيادة التبعات والأعباء ، وقد تصلحها زيادة الرواج واتساع الأسواق ، وقد نكون فى جميع ما تقدم ناظرين الى المصير نظرة التفاؤل الذى يعززه أنه أحب من التشاؤم ، وأنه أصدق وأوضح فيما نرتكن اليه من دواعيه

عباس محمود العقاد

أتيح للاستاذ كريم ثابت من مدة غير طويلة أن يسافر الى استانبول ، وان يزور انقرة عاصمة تركيا الجديدة . وقد اجتمع في أثناء زيارته بفخامة الرئيس عصمت باشا . وحادثه وسمع منه ورأى من أعماله العظيمة واعجاب الشعب التركي به مادونه فى هذا المقال النفيس

عصمت باشا

السياسى الداهية ، والرئيس المحبوب

بقلم الاستاذ كريم ثابت

عصمت باشا

عصمت فى الحركة الكمالية

يقول الذين كانوا مع الغازى كمال أتاتورك فى الاناضول لما شرع فى اعداد معدات حركته العظيمة انه لما بلغه ان عصمت باشا نزل الاناضول لينضم إلى الحركة قال فى جمع حافل من القواد والانصار : «الآن ارتاحت نفسى وازددت ثقة بالنجاح فها هو ذا صديقى وأخى فى الشدائد جاء يعضدنى فى حركتى »

أما كيف وصل عصمت الى الاناضول يومئذ فأشبه شىء بالروايات الخيالية . فقد كان جواسيس حكومة استامبول يراقبونه فى ذلك الحين مراقبة شديدة أسوة بجميع الوطنيين الذين كان يخشى من انضمامهم الى الحركة الكمالية ، فانتهز ليلة كثيرة المطر والعواصف ، واجتاز البحر فى استامبول إلى الشاطىء الأسيوى (الاناضولى) بزورق صغير ، وما زال يجذف بنفسه ويصارع الامواج ويعالجها فى تلك الليلة الظلماء ، حتى بلغ ساحة الاناضول قبيل طلوع الفجر ، ومن هناك اتجه الى أنقرة على قدميه فى أسمال بالية متنكراً بشكل الرعاة ، فتسلق الجبال وهبط الاودية وافترش الغبراء ليالى كثيرة حتى وصل إلى قلب الاناضول . وكان الغازى قد سمع بقدومه فخف الى لقائه وهو فى الطريق الى أنقرة فتعانقا وبكيا

رأى القيادة العامة الالمانية فيه

وما كاد عصمت يصل إلى أنقرة حتى أسندت اليه رياسة أركان الحرب العامة وقيادة الساحة

الغربية ، فكان قراراً موفقا . وليس هنا مقام التبسط فى سيرة عصمت ولكن حسب الكاتب للدلالة على ما أظهره فى أثناء الحرب العظمى من مقدرة وكفاءة ان يذكر عنه أنه لما زار الامبراطور غليوم الثانى استامبول فى خلال تلك الحرب ، طلب رؤيته ، ولما اجتمع به علق على صدره بيده نيشان الصليب الحديدى من الطبقة الاولى ، وكان أرفع النياشين العسكرية الالمانية فى عهد الامبراطورية ، وقد اشتهر فى جميع المعارك التى خاض غمارها بانه القائد المفاجىء الذى يأخذ العدو على غرة وينقض عليه بسرعة البرق حتى ان القيادة العامة الالمانية كتبت عنه فى إبان الحرب العظمى تقول : « انه يضارع زميله مكنسن الالمانى فى سرعة الانقضاض على العدو »

سياسى داهية فى مؤتمر لوزانه

ولم يظهر عصمت بمظهر السياسى الداهية الا فى مؤتمر لوزان ، فأدهش العالم بكياسته وبراعته وسعة حيلته حتى قيل يومئذ إنه يتظاهر بانه مصاب بشىء من الصمم كسباً للوقت فلا يرد على سؤال قبل أن يحيط بكل ما ينطوى عليه ، وصفوة القول انه لم يعد الى بلاده الا بعد ما مزق معاهدة « سيفر » ، وحمل الدول العظمى على الاعتراف باستقلال تركيا استقلالا تاماً وعلى احترام سيادتها القومية احتراما كاملا

ومن ذلك الحين والحكومة الكمالية تستفيد بمواهبه السياسية والادارية العظيمة ، ولولا فترتان قصيرتان من الزمان تخلى فخامته فى أثنائهما عن الحكم لأمكن القول بأنه ترأس تلك الحكومة منذ انتخاب الغازى رئيساً للجمهورية حتى آخر أيام حياته

مكانة عصمت فى تركيا

وكل من يزور تركيا الجديدة ويدرس أحوالها وأحوال حكومتها يتحقق من أن عصمت كان الرأس المحرك للاداة الحكومية كلها ، وكل من له المام بما كانت عليه حالة الحكومة التركية فى العهد القديم يستطيع أن يتصور المجهود الجبار الذى بذله فخامته لتنظيمها وتطهيرها ، فهو لم يكن يد الغازى اليمنى ومستشاره الأول فقط ، بل كان خير من اعتمد عليه الغازى فى النهوض بمهام الحكم الشاقة ، فى دولة ناهضة ، كان عليها ـ وما برح عليها ـ أن تنشىء كل شىء وأن تنظم كل شىء

واعترف الترك لعصمت بنبوغه ومكانته ، فلا تدخل مصلحة حكومية أو معهداً علمياً أو بيتاً مالياً دون أن ترى صورته معلقة بجانب صورة الغازى أو فى الجهة المقابلة لها

بل انى رأيت الوزراء أنفسهم يعاملونه معاملة الرئيس الحقيق ويحيطونه بكل مظاهر الاحترام والتبجيل لما يعهدونه فيه من كفاءة نادرة

كيف رأيته في أنقرة

وأبرز صفاته التواضع – اجتمعت به أول مرة فى سفارة السويد فى انقرة ، فى حفلة الشاى التى أقيمت فيها لسمو ولى عهد السويد عند زيارته للعاصمة الكمالية فأبصرته ينتقل من جهة الى أخرى مسلماً على الحاضرين برقة وابتسامة تكاد تكون مطبوعة على شفتيه وهى الابتسامة التى قيل عنها : « إنها أذابت أسارير العبوسة والقطوب التى كانت مرتسمة على وجه اللورد كرزن فى مؤتمر لوزان »

ثم رأيته مرة ثانية يتعشى فى مطعم « كاربتش » فى أنقره مع بعض أصدقائه ، ولولا معرفتى له لما شعرت بأن رئيس الحكومة وقطبها جالس الى مائدة من تلك الموائد كأنه فرد من الأفراد العاديين، وكان اذا دخل صديق له وحياه ينهض عن كرسيه قليلا ويحنى رأسه مسلماً والابتسامة على شفتيه دائماً

والمرة الثالثة التى شاهدته فيها كانت فى ميدان سباق الخيل وقد جلس فى مقصورة الوزراء وسفراء الدول مع السيدة قرينته وكريمته الصغيرة ، وكان تارة يحادث بعض زملائه الحاضرين وطوراً يداعب ابنته ، وقد عرف بين قومه بأنه رب عائلة صالح ، فكان هذا سبباً آخر من أهم أسباب حبهم له ، وتلطف فى تلك المناسبة فقدمنى للسيدة زوجته وللآنسة كريمته

والسيدة حرمه من فضليات السيدات ولها فى تركيا – ولا سيما فى أوساطها النسائية – منزلة خاصة ، اكتسبتها بعلمها وفضلها ، ومما يذكر أنها لما كانت جالسة الى جانب قرينها فى سباق الخيل جاءت سيدة عجوز تعرفها وجلست بجوارها ، فلم يكن من عصمت إلا أن نهضت لها ولثمت يدها

وصف وجيز له

والرئيس عصمت ربعة نحيل الجسم ، لعب الشيب بشعر رأسه وحاجبيه ، أما لون شاربيه فما يزال أسود . له عينان كبيرتان ارتسمت حولهما علائم التعب ولكنه نشط الحركة سريعها

كثير الصمت ، يترك المجال لمحدثه حتى يفرغ من كلامه ، ثم يبدأ هو بالكلام فلا يقول إلا قليلا غير أن هذا القليل يترك أثراً عميقاً فى النفس

حلو الحديث ، يتكلم الفرنسية بسهولة ، وعندما يحادث أحداً يدنى رأسه منه ويحدق بعينيه الواسعتين اليه ، ويعزو العارفون ذلك الى ضعف سمعه ، وهو لبق فى حديثه جذاب لم يخطىء من قال فى وصفه : إن دماثة خلقه هى الظاهرة الحساسة التى تبدو جلية فى شخصيته العظيمة

شعوره نحو مصر

قدمنى له صديق عبد الملك حمزة بك ، وكان إذ ذاك وزيراً مفوضاً لمصر في تركيا ، فحيانى أطيب تحية ، وبعد حديث قصير قال له مدير المطبوعات التركية : « ان الأستاذ ثابت قدم تركيا ليمثل

جريدته فى المؤتمر البرلمانى الدولى » . فقال لى فخامته : « لقد أيدكم الوفد التركى فى المؤتمر في مسألة الامتيازات الأجنبية تأييداً تاماً ، وقد سرنى ذلك جداً ، فمن الواجب علينا أن نساعدكم وأن نشد ازركم » . فقلت : « ان الموقف الشريف الذى وقفه الوفد التركى فى هذه المسألة سيكون له وقع عظيم فى مصر » . فقال : « ان وفدنا لم يصنع أكثر من تأدية الواجب عليه »

اننا نعمل بكل قوانا

وذكر له مدير المطبوعات انى أقضى أيامى فى انقرة فى زيارة معاهدها ومشاهدة مؤسساتها ، فقال فخامته بتواضع : « ليس فى أنقره شىء كثير يرى » . فقلت : « بل اظن يا سيدى الرئيس أن هناك أشياء كثيرة ترى » . فلمعت عيناه وقال باسماً : « مثل ماذا ؟ » . فقلت : « هناك قبل كل شىء الرغبة الصادقة فى البناء والعزم الموطد على ان تكفوا أنفسكم بأنفسكم » . فقال : « هذا صحيح . هذا صحيح . ولكن لا تنس فى جولاتك ان كل شىء فى انقرة شاب ، فالعاصمة شابة والأشجار التى تراها فى الشوارع شابة ... » وهنا ابتسم وقال : « ونحن شبان أيضاً » . ثم مضى فى حديثه الأول فقال : « ولكننا ماضون فى العمل بكل قوانا وبكل جهودنا »

ارتياح الدول الى انتخابه

وقد قوبل انتخاب عصمت خلفاً لكمال أتاتورك بسرور وارتياح كبيرين فى أوربا كلها ، لاسيما فى البلدان المجاورة لتركيا وفى مقدمتها دول البلقان ، فان هذه الدول تذكر للرئيس الجديد الجهود العظيمة التى بذلها لتركيز علاقات تركيا بها على قاعدة متينة من الصداقة والود المتبادلين ، واليه يرجع الفضل الاكبر فى عقد ميثاق الصداقة وعدم الاعتداء مع اليونان بعد عداء دام سنين طويلة، وانتهز فخامته فرصة عقد هذا الميثاق فزار اليونان فقابلته حكومة وشعباً ، باعظم مجالى الترحيب والتبجيل ، اعترافا بما كان له من يد طولى في محو ذكرى الماضى

هذا من ناحية الدول الغربية ، أما الدول العربية فاستبشرت خيراً بهذا الانتخاب لأنها تعرف ان سياسة عصمت الخارجية رمت دائما الى تعزيز علاقات تركيا بالشعوب الشرقية والعربية دون ان تنطوى على مطمع فتح أو استعمار ، وقد برهن عصمت على ذلك بسياسته مع العراق مما بعث المغفور له الملك فيصل على زيارة انقرة زيارة رسمية ، توثيقاً لعرى الصداقة مع رجال تركيا الجديدة

ولكن ما كاد عصمت يعتزل رياسة الوزارة حتى نشأت مشكلة الاسكندرونة وأصر الترك على احتلالها غير مكترثين لاحتجاجات سورية ، ويقول العارفون بأنه لوظل فخامته رئيساً للحكومة لما تعذر حل هذه المشكلة بشكل آخر ، ولاستمرت علاقات تركيا وسورية سائرة فى طريقها الطبيعى لا تشوبها شائبة

كريم ثابت

رأس السنة عند قدماء المصريين

المصريون يبتكرون هدايا العيد

بقلم الاستاذ محرم كمال

الأمين المساعد بالمتحف المصرى

وضع المصريون القدماء منذ أقدم العصور قواعد معينة لتقويمهم السنوى أصبحت بعد شىء من التهذيب والتحوير أساساً للتقويم العام المستعمل حتى اليوم . فقد قسم المصريون السنة الى اثنى عشر شهراً ، وقسموا الشهر الى ثلاثين يوما ، فأصبحت السنة بذلك مكونة عندهم من ٣٦٠ يوما . ولما لاحظوا أن السنة الحقيقية تزيد على ذلك ، أضافوا الى نهاية السنة خمسة أيام (تقابل ما يعرف الآن بأيام النسىء) فتكونت سنتهم من ٣٦٥ يوما تكويناً نهائياً . ثم عادوا فقسموا الاثنى عشر شهراً الى ثلاثة فصول بكل فصل منها مائة وعشرون يوماً (أى أربعة أشهر) ، وأطلقوا على هذه الفصول أسماء الفترات الثلاث الهامة فى الزراعة المصرية ، فسمى أحد هذه الفصول ، فصل الفيضان (بالمصرية القديمة «أخت») ، وسمى الثانى فصل التخضير (الشتاء ، بالمصرية القديمة « برت ») ، وسمى الثالث فصل الحصاد (الصيف ، بالمصرية القديمة «شمو») ، واعتبروا اليوم الأول من فصل الفيضان هو رأس السنة المصرية وسموه «أوبت رنبت» أى افتتاح السنة ، وكان هذا اليوم حوالى اليوم العشرين من شهر يوليو بحسب تاريخنا الحالى

على أن هذا التقويم الذى سبق وصفه والذى كان مستعملا حتى فى عصر الدولة القديمة أدى الى جملة مصاعب نشأت عن أن هذه السنة المكونة من ٣٦٥ يوما كانت تنقص عن السنة الحقيقية (وهى بالحساب الفلكى نحو ٣٦٥ يوما وربع يوم) ربع يوم فى كل سنة . وانبنى على هذا أن أصبحت سنتهم تنقص يوما كاملا كل أربعة أعوام عن السنة الحقيقية الفلكية (إذ أنهم لم يلجأوا ، كما نفعل نحن ، الى اضافة يوم كل أربعة أعوام فى السنة الكبيسة) وأصبحت سنتهم أيضا تبعاً لذلك تتقدم عن السنة الحقيقية الفلكية بشهر كامل كل ١٢٠ عاما تقريباً ، فاذا فرضنا أن يوم رأس السنة فى عام ٢٧٨٢ ق . م . وقع فى مبدأ فصل الفيضان ، فان هذا اليوم نفسه يقع عام ٢٥٤٢ ق . م قبل الفيضان بمدة شهرين ، وفى عام ٢٣٠٢ ق . م يصبح الفرق عظيما بحيث يقع الفصل الذى

يسمونه الفيضان فى الاشهر الأربعة التى يجمعون فيها محصولاتهم (زمن الحصاد) . وكان من اللازم لكي تتعادل السنتان ــ سنتهم الاصطلاحية والسنة الحقيقية الفلكية (التى لم يتوصلوا الى معرفتها ولم يتمكنوا من استعمالها) ــ أن تمر مدة طويلة تبلغ نحو ١٤٦٠ عاما ، فيصبح يوم رأس السنة فى عام ١٣٢٢ ق . م متفقاً مع اليوم العشرين من شهر يوليو ، أى المبدأ الرسمى للفيضان عندهم

تغير مواعيد رأس السنة المصرية

عند مابدأ المصريون فى وضع تقويمهم اتفق يوم رأس السنة مع ظهور نجم الشعري اليمانية . فهذا الحادث الفلكى ــ أى اليوم الذى ظهر فيه كوكب الشعرى اليمانية فى السماء قبل شروق الشمس بقليل وذلك بعد احتجاب هذا النجم مدة من الزمن ــ حدث عند منفيس فى اليوم التاسع عشر من شهر يولية بحسب التقويم الجولياني حول الوقت الذى بدأ فيه النيل فى الفيضان ، فلو أن المصريين اتخذوا هذا الوقت دائما مبدأ لسنتهم لبدأ فصل الفيضان « أخت » لديهم دائما حول منتصف يولية الى منتصف نوفمبر ، ولوقع فصل الشتاء « برت » بين منتصف نوفمبر ــ ومنتصف مارس ، ولوقع فصل الصيف « شمو » بين منتصف مارس ومنتصف يوليو . ولكن المصريين باتباعهم سنتهم الاصطلاحية التى اصطلحوا على تكونها من ٣٦٥ يوما فقط (أى بنقص ربع يوم فى كل سنة عن السنة الحقيقية) جعلوا الصيف الحقيقي يقع فى بعض الأحيان فى فصل الشتاء على حسب سنتهم الاصطلاحية والعكس بالعكس

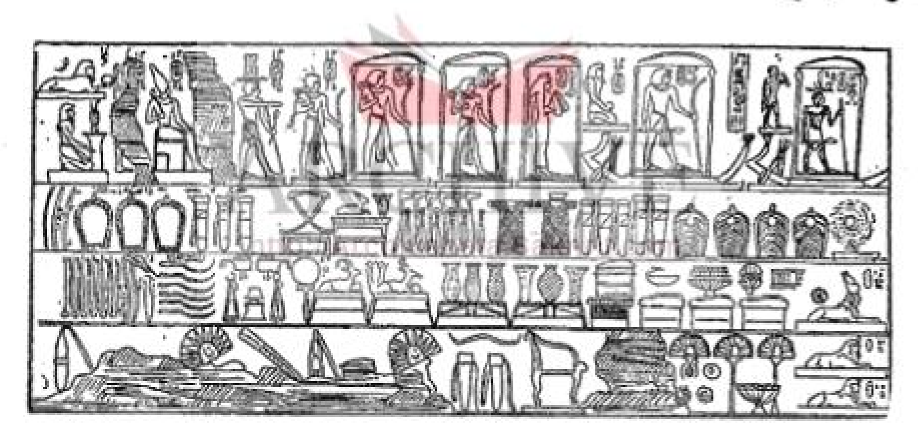
فيتضح مما سبق أن سنة المصريين كانت متغيرة المواعيد ، فالفترات فيها والشهور التى تكونها لم تكن تتفق فى المعتاد مع فترات الطبيعة ومع ذلك فقد ظلوا يستعملونها لما فيها من فوائد عملية ، أما رجال الزراعة والكهنة من المصريين فقد كانوا يجرون فى زراعتهم وفى بعض احتفالاتهم على سنة الطبيعة ، وكانوا يحتفظون بالتقاليد القديمة التى كانت تقضى بأن اليوم الذى يجب أن يعتبر مبدأ للسنة وللفيضان هو اليوم الذى عاد كوكب الشعرى اليمانية الى ظهوره فيه فى السماء صباحا لأول مرة

هدايا العيد

كان يوم رأس السنة من الأيام الممتازة التي يحتفل بها . وكانت العادة تقضى عند المصريين القدماء بتقديم الهدايا وتبادلها لهذه المناسبة السعيدة . فقد ورد فى نصوص أسيوط نص بمقبرة « حب جفا » ذكر فيه « ان أهل المنزل يتقدمون بالهدايا إلى رب الدار فى هذا العيد » . فهذه العادة ــ عادة تقديم الهدايا ــ ليست افرنجية كما يتبادر إلى ذهن البعض ، وانما هي عادة مصرية قديمة يرجع عهدها الى آلاف السنين . وهناك صور عدة وردت على جدران مقبرة أحد كبار

الوظفين فى عصر أمنحتب الثالث ترينا جانباً من الهدايا التى قدمها هذا الوظف الكبير الى الملك « هدية العام الجديد » فترى بينها عربات من الفضة والذهب وتماثيل من العاج والآبنوس ، وقلائد مختلفة الانواع ، وجواهر وأسلحة وقطع فنية عديدة . وكانت هذه التماثيل تمثل الملك وأسلافه فى أوضاع مختلفة وبملابس متباينة ، بل إن بعضها تجاوز ذلك الى تمثيل الملك على هيئة أبى الهول . أما الاسلحة فاننا نرى بينها الخناجر والحراب والدروع ومئات من جعب السهام المصنوعة من الجلد ونحو ٦٨٠ من التروس المصنوعة من الجلود النادرة ونحو ٣٠ هراوة من الآبنوس المغطى بالذهب والفضة ، و١٤٠ خنجراً من البرونز و ٣٦٠ سيفاً من البرونز على هيئة المنجل

يضاف الى كل ذلك جملة أوان من المعادن الثمينة ذات أشكال أسيوية مختلفة ، وكذا قطعتان كبيرتان من العاج تمثلان بعض الغزلان وفى فمها عدد من الازهار ، ولعل أهم مافى هذه الهدية قطعة فريدة على شكل بناء تعلوه نباتات تحمل أزهاراً ضخمة يمرح بينها عدد من القردة يطارد بعضهم بعضا . ولعل هذه القطعة كانت فى الأصل جزءاً من أدوات توضع على المائدة قد صنعت من معدن ثمين



بعض الهدايا التى قدمت للملك « أمنحتب » الثالث فى عيد رأس السنة . وترى بينها (فى الصف العلوى) تماثيل للملك ، يليها (فى الصف التالى) عـدد من التروس وجعب السهام والأسلحة والعصى ، يليها (فى الصف الثالث) عدد من الاوانى . والصناديق والأسلحة التى على شكل المنجل ، وكذا قطعتان كبيرتان تمثلان نوعا من الغزلان ، فى فمه بعض الأزهار . أما (الصف السفلى) فترى فيه بعض التماثيل والمراوح والآنية والأقواس وجعب السهام . . . الخ

إذا ابتسم الطفل

بقلم الدكتور أمير بقطر

رئيس قسم التربية بالجامعة الامريكية

إذا ابتسم الطفل تمثلت فى ابتسامته عظمة الكون ونعيم الايمان .. إذا ابتسم الطفل ، ابتسم العالم بأسره

بالأمس طلبت إلىّ « الهلال » أن أكتب فى موضوع « اذا ابتسمت المرأة » ، واليوم تطلب إلى أن أكتب فى موضوع « اذا ابتسم الطفل » ، ولعلها تريدنى ضمناً أن أوازن بين ابتسامة وابتسامة ، أو قد تريدنى أن أقول ان هناك من وجوه الشبه ووجوه التفاوت ، بين ابتسامة المرأة وابتسامة الطفل ، ما يلذ للقارىء سماعه

قسمت الكاتبة الانجليزية جانيت ستوارت عمر الانسان الى سبع مراحل ، أطلقت على كل مرحلة منه لونا من ألوان الطيف ، او قوس قزح ، السبعة . وستوارت راهبة من راهبات الدير قضت زهرة عمرها صامتة ، ولكنها تركت لعشاق الأدب الأخلاق النفسى ، مذكرات عميقة المعنى ، دقيقة التحليل ، خصيبة الخيال . وقد اختارت للمرحلة الأولى ــ الى نهاية السنة السابعة ــ من عمر الانسان ، اللون الاحمر . وذكرت ان الذى حدا بها الى تخير هذا اللون ، هو ان الحياة فى مرحلة الطفولة الاولى تكون فطرية أوليـة ، وتكون أشعتها قليلة الانكسار ، ولونها احمر فاتحا . ولا يخفى ان الاحمر هو أول ألوان الطيف التى يتحلل عنها اللون الابيض ، وهو أقل الالوان انكساراً ، كما ان البنفسجي هو آخر الألوان وأكثرها انكسارا . وتستطيع أن تطلق على كل مرحلة من مراحل العمر السبع ، اللون الذى يلائمها ، على الترتيب الذى تراه اذا ما سلطت شعاعا من الشمس على منشور زجاجي . فانك ترى اللون الاحمر يليه الاخضر ، فالبرتقالى ، فالاصفر (الذهبى) ، فالأزرق ، فالنيلى ، فالبنفسجى . ومتى أخذ العمر يطوى أيامه ، كما يطوى البدوى الرحالة خيامه ، تأخذ الألوان فى الذبول تدريجا حتى تصبح ناصعة

البياض . ومن مبادىء علم الطبيعة فى الضوء ان الابيض ليس لونا ، وانما هو مجموعة الالوان ، فاذا ما حللناه كما يحدث فى قوس قزح ، أو المنشور البلورى الذى أومأنا اليه ، انبسطت أمامنا الالوان السبعة على الترتيب السابق . ومتى أشرف العمر على الزوال او كان فى طريقه اليه أصبح بياضه ناصعا ، وهو ضوء تام ، عديم الانكسار ، متجمع ، إذ انه ضوء الأبدية . ومتى أغمض الانسان جفنيه لفه ذووه فى أكفان حالكة السواد ، والسواد كما نعلم ليس لونا ، ولكنه دليل على انعدام اللون ، كما ان الصفر ليس رقما ، ولكنه دليل على عدم الوجود

نعود الى لون الطفولة الأولى ، الأحمر لون الفطرة ، لون الوحشية ، لون الهمجية والاستهتار وعدم الاكتراث ، لون العصر الحجرى او ما قبل العصور التاريخية . وابتسامة الطفل فى المرحلة الاولى ابتسامة حمراء ، فطرية ، همجية ، مستهترة ، لا تعبأ بالماضى ، ولا تفكر فى المستقبل ، ابتسامة أنانية ، لا يفكر صاحبها في شىء او فى احد ، إلا ذاته ، لانها كما يسميها علماء النفس « فعل منعكس » كطارفة العين ، وسائر الافعال المنعكسة ، التلقائية « الأتوماتيكية »

وابتسامة الطفل تكاد تكون على الدوام دليل الارتياح ، بعكس ما نراه فى غيره من البالغين . بيد ان ابتسامته قصيرة المدى ، فقد لا تستغرق الفترة بينها وبين العبوسة ثانية واحدة. وهنا تلتقى المرأة بالطفل فى احدى ابتساماتها ، وقد سمينا ابتسامات المرأة فيما كتبناه بالامس ، بأسماء الالوان تبعا لما ينطوى تحت كل نوع منها من المعانى والمرامى ، وبين هذه ذكرنا الابتسامة الحمراء ، تلك الابتسامة الهوجاء المتقدة ، المتأججة ، الهمجية ، المستعرة . تلك التى لا تقل عن ابتسامة الطفل الفطرية ، الانانية ، المستهترة ، التى لا تفكر إلا فى ذاتها ، وتنسى ماضيها ، ولا تعبأ بمستقبلها . بيد أن هناك وجها آخر من وجوه الشبه ، وهو أن ابتسامة الطفل على أنانيتها ، تغزو الآباء والأمهات ، وتتغلغل فى أحشائهم ، فيضحون فى سبيلها المال والسعادة والحياة بأسرها ، كما ان ابتسامة المرأة ، الحمراء ، برغم أنانيتها ، تغزو قلوب العشاق والمحبين ، فيضحون فى سبيلها المال ، والقوة ، والشرف والسعادة ، والحياة بأسرها . وهناك وجه ثالث من وجوه الشبه وهو ان الابتسامة الحمراء عند المرأة ، قصيرة العمر ، تتنقل بها من فريسة الى فريسة ، كما يتنقل الطفل بها من شىء الى شىء ، والطفل كما نعلم لا يفرق الى سن معلومة بين الاشخاص والأشياء ، كما ان المرأة ذات البسمة الحمراء أو القرنفلية ، قلما تفرق بين رجل ورجل ، إذ أن عندها كل الرجال سواء . أما سائر الألوان التى فصلناها فى مقالنا عن ابتسامة

المرأة ، فتتفق وسائر مراحل العمر الانسانى ، والـكلام عنها خارج عن نطاق هذا المقال

***

ولـكن ، لعمرى ، مالى أرانا نشوه هـذا الجمال ، بهذا التحليل الذى كاد يكون علمياً ؟ أليس فى ابتسامة الطفل سلاسة وسذاجة ، وهوادة وعذوبة ،تغنينا عن التحليل العلمى ؟ أليس فيها خفة تمازج الارواح ، وان كان صاحبها جافى الخلقة ، تنبو عنه الاحداق ؟ وهل يستطاب البحث العلمى فى الـكلام عن الجمال الفنى ؟ ألا يقبح الـكلام عن تحليل الماء الى أوكسيجين وهيدروجين ، عند وصف الغدير ومائه الصافى ، والتحدث عن مساقط المياه المتدفقة من قمم الجبال إلى بطون الوديان ؟ انظر الى الطفل فى المهد ، فى بضاضته وطراوته ، يبتسم فيفتر ثغره ملاحة ، وتجلل عينيه روعة . انظر الى الأم وقد أفضت الى الوليد بيدها ، فألفته رخصاً ، لين الملمس ، واذا بابتسامة تشرق من فمه كما تشرق الشمس من وراء الافق ، واذا بها تطبع على ثغره قبلة تحمر لها وجنتاه ، كزهرة طلها الندى قبيل الصباح

بيد أنه مهما قيل فى جمال هذه الابتسامة ، فاننا لا نستطيع البقاء طويلا محدقين النظر الى لوحة فنية ، إعجابا بها ، بغير أن نجنح بأنفسنا قليلا ، وننتحى ناحية من نواحى التأمل العميق ، أو العلم ، أو الفلسفة إذا شئت تسميتها . هـذه الابتسامة الساذجة ، النقية ، الصافية ، كيف تحمل فى طياتها عبوسة بسمرك ، وغطرسة نابوليون ، وظلم نيرون ، وبطش الاسكندر ؟ ومن كان يجرؤ على التنبؤ بأن تلك الابتسامة الفطرية القرنفلية ، الوقتية ، تستحيل فى الطفل أدولف ، إلى قسوة هتلر ، وقوته الفولاذية ، وعزيمته التى تفل الحديد ولا تفل ؟ ومن كان يقول إن بسمة الطفل بنيتو فى ذلك المهد المتواضع ، فى ذلك الـكوخ الخامل الذكر ، تستحيل إلى نظرات موسولينى الحادة الجبارة ، وفمه الحازم المـكفهر ، وعضلاته التى تتأهب للغزو ، وتستجمع للوثوب ، فى اليقظة والمنام على السواء ؟

ومن ذا الذى طاف برأسه أن ذلك الطفل المغولى ، الذى أفرغ فى قالب الجمال ، وترقرق فى وجهه ماء الطهر والصفاء ، تتصلب بسمته اللينة المرنة بعد حين ، ويجتاح صاحبها قارات بأسرها باسم جنكيز خان أو قبلاى خان أو أوغداى خان أو تيمورلنك ؟

ومن ذا الذى كان يظن أن تلك الطفلة الاغريقية المصرية الساذجة ، وما يفتر عن ثغرها الباسم من ثنايا كاللؤلؤ المنظوم . سوف تدوخ القواد والملوك ، وتغزو الافئدة والجوانح باسم كليوبطرة ، وتهتز لجمالها البلدان من ضفاف التيبر الى ضفاف النيل ؟

ومن كان يدرى أن ابتسامة مارى الهادئة الشفافة التى كانت تعكس نوراً سماويا على عينيها الزرقاوين فتزيدها نقاء وطهراً ــ من كان يدرى أن هــذه الابتسامة تستحيل سحراً ، يفتتن به العظماء والـكبراء ، فيجلب على صاحبته باسم ملـكة الاسكوتلنديين العار والفضيحة وجز العنق ؟

أترى لو كان للاطفال قوة خارقة العادة تخترق بها أنظارهم حجب المستقبل ، هل كانوا يبتسمون حقا ؟ وكيف كان يبتسم لويس الصغير وهو يعلم أن قواد الثورة الفرنسية سيفصلون رأسه عن جسمه باسم لويس السادس عشر ؟ ، وكيف كانت تبتسم الاميرة الصغيرة مارى وهى تعلم أنها ستلاقى حتفها على أيدى شعبها ، وهى رطبة العود بارعة الجمال لأنها مارى انطوانيت ملـكة فرنسا . وكيف كانت تبتسم تلك الفتاة العربية النابهة ، وهى تعلم أنها ستقضى العمر فى نظم الشعر بكاء على أخيها صخر ، وأن العالم بأسره سيعرفها باسم الخنساء سيدة الرثاء ؟

ولـكن . . كم كانت الطبيعة حكيمة ! أليس العالم فى حاجة إلى طفل يبتسم فى بدء عهده بالحياة فى وداعة وحلاوة وهدوء ، ثم ينقلب بعد حين كالريح الزعزع يكسح كل شىء أمامه ، ويغرق البشرية فى لجة من الدماء والنيران والحروب ، فتطهر وتنقى وتصفى ؟ . أليس العالم فى حاجة إلى طفل يبتسم فى المهد والشيخوخة وعلى حافة اللحد وهو ينادى على الدوام « على الأرض السلام وفى الناس المسرة ؟» . كان علماء تحسين النسل « Eugenics » منذ سنوات قليلة مضت يزعمون أنهم على حق فى تعقيم البلهاء والمجرمين ومدمنى المخدرات حتى لا يبتلى العالم بذرياتهم الفاسدة ، أما اليوم فقد أخذوا يشكون فى هذه الاجراءات الصارمة بدعوى أن العالم فى حاجة الى بعض هؤلاء على الاقل ، حاجته الى العباقرة

قال أحد الخياليين ان الطفل برغم ابتسامته الحلوة ، تشف طبيعته منذ نعومة أظفاره عن نفس قد تـكون حديدية أو عاجية أو بلورية ، فالنفس الحديدية يكون صاحبها قويا كالجلمود، وكأنه خلق للنضال والـكفاح والسجون والهموم واجتياز العقبات والعيش فى جو من الضوضاء والاضطراب والغليان

أما النفس العاجية ، فقوامها العقل والقلب معاً ، ويذكرنا صاحبها بتاريخ القطعة العاجية وما مر بها من حوادث ، تاريخ تمثلت فيه الحرية الطليقة فى الادغال والغابات . وما كان يتخللها من مرح وسعادة وخـلو من كل هم ، ثم تلا ذلك تحول غريب ـ موت

ثم حياة جديدة كلها نقاء وعفة ولذة أبدية ، حلوة . انظر الى تمثال من العاج وتأمل فى تقاطيعه وخطوطه التى تنبىء أن المادة التى صنع منها تكاد تدب فيها الحياة ، والتى هى رمز الصفاء والطهر . والنفس البلورية لا تحتاج الى تفصيل أو ايضاح ، اذ أنك تقرأ فيها صاحبها كما تقرأ الكتابة على لوحة الزجاج . هى النفس الصادقة التى لا يشوبها غمام ، أو رياء ، أو تقليد ، أو طلاء خارجى . هى النفس التي تبصر فيها كل ما يمر بها من الألوان التى ترى بالعين المجردة وغير المجردة

وهناك النفس النارية ، التى لا تشبع ، ولا ترضى بقليل أو كثير . هى التى تمتد مطامحها إلى ما وراء الأفق . وصاحب هذه النفس إما ان يكون نبياً مصلحاً ، عظيما عبقرياً ، أو سفاحاً هداماً مجرماً ، عدو الانسانية

ومن نعم الطبيعة على العباد ان ابتسامة الطفل فى بدء عهده بالحياة ، لا تكشف عما تخفيه وراءها من الحديد أو العاج او البلور أو النار ، وان كلا من هذه النفوس تعيش وتترعرع وتملأ العالم بؤساً وشقاء ، او سعادة وسلاماً ، والا لكان العالم جنات تجرى من تحتها الانهار ، وأصبحت الحياة فيه تجرى على وتيرة واحدة ، ولا تطاق

***

اذا ابتسم الطفل تمثلت فى ابتسامته عظمة الكون ومعنى الابدية ونعيم الايمان ، وراحت امه تقرأ فى جبينه آيات الآمال والأمانى ، كما يقرأ الفنان لغة السحاب والماء والرياح والصخور ، وأخذت فيها الروح تتجرد عن قيود المادة وتؤمن بالخلود . إذا ابتسم الطفل ابتسم له العالم بأسره ، وانطلق أبناؤه فى احضان الطبيعة يتأملون فى أسرارها كأنهم يبحثون بمصباح ديوجين عن نبى جديد ينقذ البشرية من ويلاتها

أمير بقطر

الى مشتركى الهلال فى البرازيل

تتشرف ادارة الهلال باعلان حضرات المشتركين فى البرازيل انها عهدت في وكالتها الى الاديب السيد رشيد سليم الخورى بسان باولو

كيف تؤثر الأمراض في الأخلاق

بقلم الدكتور ابراهيم ناجي

الجسم والنفس وحدة متماسكة . وأصل المرض أن يحدث فى الجسم ما يقلب هذا التماسك رأساً على عقب

يمكن حصر جميع الامراض مهما تعددت أسبابها وتنوعت ضمن دائرة لا تتعدى أمرين ، الأول كائنات حية أو شبه حية تؤذى الجسم بما تحدثه من التوالد داخله ، أو بما تحدثه من التغييرات البيولوجية ، المتسببة عن وجودها أو بما تفرزه من السموم

والأمر الثانى مرض الجسم بفعل السموم ، وقد تكون هذه السموم من فعل الجراثيم أو من فعل العقاقير أو من فعل الكحول ، أو من اختلال عمليات التمثيل فى الجسم

بهذا التقسيم البسيط يمكن رد جميع الأمراض ضمن دائرة ضيقة ، ويبقى خارج هذه الدائرة شىء واحد بالغ الأهمية قد نسميه مرضاً أو لا نسميه ، ذلك هو مرض الأعصاب ، الناشىء عن اضطراب وظيفى لا علاقة له بميكروب ولا بتغيرات باثولوجية

ويهمنى أن أؤكد أن الجسم وحدة متماسكة لا يمكن فصل الصفة التشريحية منه عن الصفة الفسيولوجية ولا عن الصفة السيكولوجية . ولقد قال المرحوم السير دافيد ويلكى فى احدى خطبه الشهيرة : إن من أهم اكتشافات الطب الباطنى فى الأيام الأخيرة ، أهمية نفسية المريض فى العلاج

تأثير المرض الميكروبى

نعود الآن الى تقسيمنا الذى بدأنا به ، فعن الامر الأول ــ المرض بسبب الكائنات الحية أو شبه الحية ــ تقول إن هذه الكائنات هى الميكروبات واللولبيات (كالزهرى) والطفيليات (كالبلهارسيا) واقصد بشبه الحية ، الأورام التى تنمو وتتوالد ولا ندرى بالضبط شيئاً عنها الى الآن كالسرطان والأورام الأخرى الحميدة . أما الأمراض الميكروبية ، فمنها الحادة ومنها المزمنة ، وليس للحادة تأثير خاص فى الأخلاق ، بل بالعكس يكون الانسان تحت تأثيرها فى شبه طوفان من الألم والذهول ، أما في الامراض المزمنة فأهم الامراض التى تؤثر فى الاخلاق ــ « السل » . وقد ذكر ليونارد وليمز فى كتابه « العلل الصغرى » أنه يشخص السل قبل أن تتميز علاماته ، وذلك لأنه يضع قدمه على

نفسية المريض قبل أن يضعها على صدره ! . . كل المسلولين يتفردون بدقة الاحساس ورقه الشعور وعبادة الجمال ، ويتفردون أيضا بالاشراق والأمل والتفاؤل

ويتفردون أيضا بالنشاط الجنسى . وقد يعده الواحد منهم دليلا على الصحة والقوة ويزداد به تفاؤلا واستبشاراً وأملا فى الحياة

ويتفردون أيضا بالحيوية الفائقة والبديهة الحاضرة

ولهم سحنة خاصة . الوجه الوسيم الشاحب ذو العينين الواسعتين اللامعتين مع أهداب طويلة ساحرة

انظر الى كيتس وشيلر وكاترين مانسفيلد ولورنس . . .

انظر الى هؤلاء العباقرة ، لقد لمعوا كالشهب وانطفأوا بسرعة ، وكانت تلك لمعات السل وتأثير « توكسينه » المنشط العجيب . لقد كان لورنس يعتقد أن أساس كل شىء الحاسة الجنسية ، لأنه لم يكن يدرى أن حاسته الجنسية المتيقظة عنده انما كانت من تأثير السل الذى مات به فيما بعد

أما اللوبيات فأهمها « الزهرى » . والزهرى يبدأ كنتيجة للاهمال والجهل . وينتهى بالنورستانيا والجنون ، وقد لا ينتهى بالجنون بل بالعبقرية ، لا فى المريض ذاته بل فى نسله

لا شك فى أن الزهرى من أهم الامراض صلة بالأخلاق من حيث مبدئه ومن حيث منتهاه . أما من حيث مبدئه ، فهو يطوى تحت جناحه إهمال والدين وصبياً عابثاً ورقابة ضائعة ورفاق سوء ، ونفوساً ملوثة ، وأما كن لهو قذرة ، فرصا ، فاستشارة ، فعلاجا مبتورا مستترا ، أما نهايته فنعرفها نحن الاطباء تماما ، فهى الفصل الختامى لرواية تحكى الفصل الأخير منها بعد الأول بعشرين عاما ، أعراض غامضة ، صداع ، دوار ، صعوبة فى النظر والحركة ، اضطراب في القلب والمفاصل ، الى آخر تلك الصورة التى تشير الى مرض يتناول الجسم بأجمعه ، واذا سئل المريض فهو لا يزال ينكر ونحن نعرف أنه ينكر ، لأنه الآن قد كبر وصار من المخجل أن يبوح بعبث الماضى ، نحلل له الدم والنخاع فنكتشف سره الماضى ، ونتصرف الى علاجه ولكن بعد ما يكون المرض قد أنشب جذوره فى الأعصاب أو القلب ، وصار الشفاء منه مستحيلا

ولقد عرفت بالتجربة أنه حتى بعد الشفاء تبقى دائما « عقابيل » الداء القديم ، تلك اللذعات الصغيرة المنغصة التى هى بمثابة التكفير الطويل عن خطيئة لحظات !

وشبيه بالزهرى وان كان أقل منه خطراً واثراً ـ « السيلان »

فهو أيضا شديد الصلة بالأخلاق ، ومبتداه يطوى تحت جناحه ما انطوى تحت مبتدإ الزهرى ولكنه فى أيام علاجه القصار يقض مضجع المريض ويجعله سيء الخلق برما بالحياة ناشداً للعزلة نفوراً منطوياً على نفسه ، وكثيراً ما أدى به ذلك الى النورستانيا التى تبقى حتى بعد الشفاء ، وأعرف مرضى لا يصدقون أنهم قد شفوا

أما الطفيليات ، فعندنا فى مصر البلهارسيا والانكلوستوما ، وهما تؤثران فى أخلاق الفلاح تأثيراً واضحاً . ونظرة واحدة الى الفلاح تكفينا لندرك أنه يعيش على الصبر والايمان لا على الجسم السليم والدم الموفور . ان رأيى الخاص الذى لا أحيد عنه هو أن الفلاح مدين بكل أخلاقه ـ من الصبر والتسليم والاذعان ـ للبلهارسيا والانكلوستوما ، من أجلهما عاش أجيراً ، ويوم نخلصه منهما وترد اليه الدم القوى السليم نخلق منه سيداً لا يرضى بالدون من الطعام والطين

أما السرطان ، فهو فى نظرى شبيه بأمة عاصية متمردة ثائرة ، داخل أمة كبيرة يسيطر عليها الهدوء والأمان ، فاذا عرفنا أى تأثير خلقي تحدثه الفوضى فى النظام ، والتمرد فى الطاعة ، والسحب فى الجو الصافى ، فهذا موجز لحياة المريض بالسرطان ، وهذه صورة لأخلاقه ، على أنه لا يعيش طويلا وهذا من رحمة الله به

تأثير المرض الناشيء من السموم

أما السموم فيهمنا أن نذكر منها اثنين

المخدرات ، والكحول ، وتتفقان فى أنهما « تجزئان » شخصية المريض ، أى تمشى الصفة التشريحية فى طريقها ، والفسيولوجية كما تحب . والسيكولوجية تسيطر على الجميع سيطرة الجاهل الجامح

ويختلف السكير عن مدمن المخدر بأنه يمرض دائما بالكبد

ومرضى الكبد لهم طابع خاص يتفردون به فى اخلاقهم ، فهم أبداً صفر الوجوه غائرو العيون ضيقو الصدور ، لا يقر لهم قرار ، ولا يستطيعون أن يركزوا الرأى على شىء

تأثير المرض العصبي

يبقى المرض الوظيفى ، أى اختلال الأعصاب بغير تغيرات باثولوجية . وأريد أن اذكر من جديد أن الاختلال الوظيفى يؤدى دائماً الى التغيرات الباثولوجية فى النهاية ، فان المرض سلسلة من التطور تبدأ بالبسيط وتنتهى بالمعقد

وعند النقطة التى نحن بصددها الآن قد يحسن ان نعكس الموضوع فنقول « علاقة الأخلاق بالأمراض » ! ما دمنا قد خرجنا من دائرة المرض الحقيقى الى الاختلال الوظيفى ، وهـذا التقصير الوظيفى دائما منشؤه اعصاب مريضة منهوكة ، والأعصاب المرضة منشؤها أمر هو من الأخلاق فى الصميم

ما هى الاخلاق

راجعت نفسى وراجعت أصحابى فى كلمة « الأخلاق » فوجدنا كثيراً من الغموض حول هذه

الكلمة المألوفة . ولعل العلم استفاد من مراجعة المألوف أكثر مما استفاد من مراجعة الخوارق

أخلاق هذا وشخصية ذاك ، سلوك فلان وسجايا فلان ، الفاظ واجبة التحديد علمياً ولا يجوز اطلاقها جزافا

فطريقتنا الآن في معالجة موضوع الأخلاق والأمراض أن نحدد الأخلاق ما هى ، والأمراض ما هى ، ثم نرى أثر كل منهما فى الأخرى ، فسيرى القارىء فائدة كبيرة من ذلك التحليل

لكى نتكلم عن « أخلاق » أى شخص فى الحاضر يجب ان نرجع الى الماضى . كان ذلك الشخص طفلا ذات يوم ـ كان ولا يزال ـ مكوناً من جسم ورغبات ، أى من مادة وروح ، لندع المادة الآن لنتكلم عن الرغبات التى تكون روحاً أو ذاتاً أو نفساً أو « إيجو » أو سمها ما شئت

هى على كل حال مجموعة من الرغبات الأولية ، مشتركة فى جميع الناس متشابهة . وسم هذه الرغبات ـ الغرائز ، أو سمها نتيجة للغرائز . ذلك سواء ما دمت تعرف أن هاته الرغبات هى الطفل أولا وهى الرجل أخيراً . هاته الرغبات موروثة ، وكل رغبة يصحبها انفعال ، وعددها ثلاث عشرة مذكورة فى كل كتب علم النفس

وسأعيد ذكرها هنا للفائدة . الراحة الجسمية ، الشعور بالطمأنينة ، النجاة ، استرضاء القادر ، حب الظهور ، المقاتلة والهجوم ، التزاوج ، الرعاية والحماية ، الغريزة الاجتماعية ، التقليد ، المطاردة ، الارتياد ، العودة الى المألوف

وهم الحى اشباع هاته الرغبات . فكلما حصل على فائدة رسخ فى نفسه طريق اشباع هاته الرغبة وصارت عادة اعتادها . وصار الطريق اتجاها يسلكه للحصول على تلك الفائدة

هنا يتبين جلياً أثر البيئة فى اشباع تلك الرغبات ، والحصول على الفائدة المرجوة

والبيئة تختلف ، فهناك الوالدان والاصحاب والمدرسة

فاشباع الرغبة والحصول على الفائدة (على أية صورة) يتوقفان على تفاعل الحى مع البيئة التى يعيش فيها واستجابتها لرغباته . فكلما استجيبت رغبة وتمت فائدة ، رسم طريق ورسخت عادة ، وهكذا حتى تكون مجموعة من تلك الاتجاهات و « السجايا » . وخلاصة هاته المجموعة « أخلاق » الشخص الذى نحن بصدده ، وما هى إلا وليدة لقانون الاستمرار فى النمو ، وتجمع تجربة فوق تجربة ، واتجاه فوق اتجاه ، وعادة فوق أخرى ، ووليدة المواقف التى مرت عليه ، والمعاملة التى لقيها من الاهل والاصحاب والمربين

وما شأن التكوين الوراثى إذن ؟ اننا لا نرث الخلق الفردى مطلقاً ، أى اننا لا نرث السلوك ولا العاطفة . ولكننا نرث تركيباً كيمياوياً خاصاً يجعل التفاعل نحو ناحية واحدة محتملا ، ولكنه لا يحدده

أما العبقرية فلا جدال فى أنها تورث

ولعل من الفائدة ان أذكر وصفاً رائعاً لخلق العبقرى عثرت عليه فى « امرسون » فى كتابه «المقالات» ، وهو أن «ذات العبقرى» تتميز بشيئين : الاول شدة«تماسك» هاته الذات ، والثانى أن المغناطيسية متجمعة فى القطب الشمالى بها ، وعلى ذلك تطير نحوها الحوادث والايام والناس لتلتصق بها ، بينما تكون المغناطيسية فى الذات العادية متقلقلة أو منحدرة من مكانها نحو الجنوب ! كأنما هى تطلب من العالم « مستندات » تنفى عن نفسها حجة العجز !

والخلاصة أن الاخلاق هي تلك « الوحدة » المكونة من النزعات الفطرية والمكتسبة من التجارب والبيئة والتعليم . فاذا أعطيناها قيمة « تقديرية » سميناها « الاخلاق » وإذا أعطيناها صورة تجريدية روحية سميناها « الذات » وإذا أعطيناها صورة ملموسة مادية سميناها « الشخصية »

سمة الشخصية السليمة ومميزتها التماسك والقوة والمغناطيسية الطبيعية ، وقد ذكرنا العوامل التى تتناول « الذات » الانسانية من أول امرها ، وقلنا انها ما هى إلا رغبات ، ثم تجارب ، ثم عادات ، وان البيئة من الوالدين الى الاهل الى الرفاق الى المدرسة ، لها أثر هائل فى بناء هاته الذات وتكوين هاته « الشخصية »

وأشد أثر تحدثه البيئة هو « صراع » داخلى بين الرغبات ونضال خفى يصرف الشخص عن تركيز قواه لمواجهة الحياة الخارجية وإعداد العدة لها

نضال ينهك قوته فيما لا يفيد ، ويضيع حياته فى حرب تفكك بناء شخصيته وتنزل بمغناطيسيته الى الصفر

هذا النضال الخفى والصراع الدفين دائما مرجعه الى أمر فى الطفولة . وله صلة بالماضى حتما .

ومن هنا كانت أهمية « الاخلاق » فى « الامراض » التى تنتاب أعصاب الشباب وتجعلهم غير صالحين للقيام بمواجهة أعباء الحياة

وخلاصة هذا المقال أن الجسم والنفس وحدة متماسكة ، وأن الجسم بكل محتوياته وحدة متماسكة ، وأن النفس بكل ما اشتملت عليه من العناصر المختلفة وحدة متماسكة ، واصل المرض أن يحدث فى الجسم ما يقلب هذا التماسك رأساً على عقب ، وأصل العطب السيكولوجى حدوث ما يفكك الشخصية ويهد بناءها ، ولا يهد بناءها غير نزعات جامحة متضاربة ، غير مسيرة بعنان ولا محكومة بلجام

ومن ذلك يتبين جلياً تأثير الامراض فى الاخلاق ، والاخلاق فى الامراض

ابراهيم ناجى

وحى سبارطة الدكتاتورية

هو انجيل الشعوب التى تعصف بها الأزمات

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

ان مبدأ سيادة الدولة وفناء الفرد فيها وهو المبدأ الذى تعتنقه الديكتاتوريات الحديثة ، قد انحدر اليها من النظام الذى كان متبعاً فى سبارطة والذى أنشأه ليكورجوس

فوحى سبارطة ، هو المسيطر اليوم على أذهان الديكتاتوريين ، وهو المثل الأعلى الذى ينشده كل ديكتاتور لشعبه

ولقد أصدر شباب النازى فى المانيا مجلة باسم « العمل » Die Tat غايتها ترويج المبادىء والتعاليم الاسبارطية ، وأصدر شباب الفاشست فى ايطاليا صحيفة باسم «الطريق السوى» ، لتحقيق نفس الغرض وأصدر أخيراً شباب الفاشست فى البرتغال مجلة باسم « شعارنا » ترمي الى تمجيد فلسفة ليكرجوس مؤسس سبارطة

والغريب ان أول صرخة اعجاب بتعاليم الاسبارطيين وأسلوبهم الفذ فى الحياة ، انطلقت من فرنسا الديموقراطية نصيرة حرية الفرد ، وحق الفرد فى الاشراف على شئون الدولة

فقد تحدث الكاتب الفرنسى المشهور موريس باريس عن عبقرية سبارطة حديثاً ملؤه الحماسة والتمجيد ، وكان الزعيم الملكى شارل موراس يلوح منذ أكثر من ربع قرن فى صحيفة (الاكسيون فرانسيز) بفضائل الروح الاسبارطية باعتبار أنها خير مثل يضرب لشباب فرنسا . ولكن الفكرة القديمة التى أحياها باريس وجددها موراس وأنعشها ، لم تصادف هوى من قلوب الفرنسيين عشاق الحرية ، وأنصار الديموقراطيـة ، فانكمشت وتضاءلت ، وطغى عليها الفوز الذى أحرزته فرنسا الجمهورية الحرة عقب الحرب الكبرى

والواقع أن فكرة سيادة الدولة وفناء الفرد فى المجموع رغبة فى اعلاء شأن الدولة وبسط نفوذها وتوطيد سلطانها ، هي فكرة تستهوى الشعوب الضعيفة أو المهزومة التى تخشى على كيانها ، وتذود عن مستقبلها ، وتخاف ان هى سلمت بحرية الفرد أن تستحيل هذه الحرية إلى فوضى

ولقد شاعت تلك الفكرة فى فرنسا عقب الهزيمة التي منيت بها فى حرب السبعين ، وهاهى ذي تنمو وترسخ فى أفئدة الألمان الذين اندحروا فى الحرب الكبرى ، وفى نفوس الايطاليين

الذين أضعفت الثورة الشيوعية نفوذ بلادهم السياسي الرأسمالي بعد الحرب ، وأقلقت طبقاتهم الغنية والمتوسطة على مصيرها

واذن فالشعوب التي تعصف بها الازمات الحربية أو الاقتصادية هي التي تتجه بأبصارها صوب الديكتاتورية ، وتأخذ بنظرية سيادة الدولة ، وتقاوم الحرية الفردية ، وتجد في وحي سبارطة ما يشجعها على مكافحة أزماتها وتجديد قواها واسترداد عزها التالد ومجدها القديم

ما هو وحي سبارطة ؟

ولكن ما هو وحي سبارطة ، وكيف كانت الحياة فيها ، وما خصائص تلك الروح الاسبارطية التي يشيد بها الآن كل ديكتاتور ويحاول أن يطبع شعبه على غرارها ؟

لقد أنشئت سبارطة فيما مضى لتكون مدرسة للبطولة . ولقد أراد بها ليكورجوس ابتداع كتلة بشرية منتظمة متراصة قوية تؤمن بوحدة الجماعة ، وتعمل لمصلحة الجماعة ، وتنكر كل فكر مستقل شخصي من أجلها ، وتقدس الطاعة والنظام ، وتروض النفس على الخشونة والتقشف ، وتعبد فضائل القوة والمغامرة والبطولة

وكان الفرد في نظر الاسبارطيين لا شيء ، والدولة هي كل شيء . وكان يعهد أمر صبيانهم حتى سن الثلاثين إلى مدربين تعينهم الحكومة ، يسهرون على تربيتهم في شبه جمعيات رياضية تلهب في نفوس أعضائها عواطف الاباء والكرامة ، وتضرم في قلوبهم نار الفتوة وحب الجرأة والمخاطرة

ولم يكن يسمح للشاب بالاقدام على الزواج قبل سن الثلاثين . وكان الزواج نفسه خدمة لا متعة ، خدمة يؤديها الفرد للدولة ، من طريق رعاية البيت وحماية الأم والاكثار من النسل

ولم يكن الحب مقدساً أو محترما أو مرغوبا فيه عند الاسبارطيين ، بل كان رمز الخنوع والضعف والذل . ومن أبلغ الأدلة على ذلك أن تمثال فينوس إلهة الجمال كان يبدو في سبارطة محطم الرأس ، مسلخ الصدر ، نصف محجوب ، ترسف قدماه في الاغلال

فالدولة كانت شبه ثكنة كبيرة ، أو دير عسكري ، والفرد كان مسلوب الفكر ، مسلوب الارادة ، مسلوب الحرية ، يصدع بالأوامر التي يتلقاها ، ويجد في الطاعة العمياء لذة لا يعادلها في نفسه غير لذة اعتقاده بان فناء شخصيته هو العامل الرئيسي في مجد وطنه

والاعجب من ذلك ان الحكومة كانت تحرم على الفرد ممارسة التجارة ، وطلب الربح ، وجمع المال ، الا بقدر محدود ، وكانت في مقابل هذا الحرمان ، تعنى بتلبية رغائبه الجوهرية ، كي تشعره بضرب من التحرر والاستقلال الشخصي في ظل الطاعة والرضوخ ، وفي ظل التجرد المادي والمعنوي الذي تشيعه في النفس والاحساس طبيعة الحياة العسكرية

ولم يكن في سبارطة أي أثر لتمجيد الفنون ، بعكس ما كان شائعاً إذ ذاك في بلاد اليونان . بل

لقد كان الفن صنو الحب ، تعزف عنه نفوس أهل سبارطة وترى فيه ما تراه فى الحب من عبث بالرجولة وهوى بالكرامة وانحدار بمواهب العقل والقلب

والواقع انسبارطة لم تخلف للعالم أية وديعة ، فلا هى تركت آثاراً فنية عظيمة ، ولا هى أنتجت شعراً عالمياً ، ولا هى ابتدعت فى فن العمارة شيئاً رائعاً حقيقاً بالخلود

ولقد كان حكام سبارطة ينظرون الى الفنون الجميلة بنفس العين التى ينظر اليها بها معظم الديكتاتوريين فى هذا العصر . وكانوا يعتقدون أن العمل الفنى أو الادبى دخيل على الحياة العامة يصرف الفرد عن واجبه الاجتماعى ، ويعيش على حساب هذا الواجب ، ويخلق فى الفرد نزعة منكرة الى الحرية ، وينحرف بقواه العاقلة متجهاً بها وجهة انسانية مجردة لاتمت بصلة الى الحاجات اليومية والفروض الدائمة التى يطالبه بها المجتمع وتقضى بحسن أدائها مصلحة الدولة

فالكمال الذي تنشده الفنون الجميلة فى دائرة العاطفة والفكر ، كانت سبارطة تستنكره وتأبى إلا أن تحققه فى الحياة الواقعية بفضل الطاعة والنظام ، وغرس مبادىء القوة والرجولة ، وبث روح الرياضة العسكرية ، وتكوين شعب صحيح سليم مغامر ، يمثل كتلة واحدة منسجمة هى الدولة التى لا تغلب لها ارادة ولا يقف فى سبيلها شىء

فبلاد اليونان أوجدت فناً خالداً ، وأدباً خالداً ، ولكن سبارطة وحدها أرادت ان تبتدع الانسان الاجتماعى كما يجب ان يكون فى زعمها ، وكما يجب ان يعيش ، لاباعتباره جزءاً من دولة ، أو حجراً فى زاوية دولة ، بل باعتباره أداة للدولة تستخدمه فى مصلحتها فقط وتلقى فى روعه أن سعادته المثلى كامنة فى فنائه المطلق لتحقيق تلك المصلحة العليا

ولهذه الاسباب مجتمعة كان الاسبارطيون يكرهون الثقافة اجمالا ويتبرمون بنوابغ المفكرين الاحرار أصحاب الشخصيات الثائرة والعقول الجامحة والملكات المستقلة ، ويرون أن خير ثقافة هى الثقافة التى تخلق نفساً جريئة وروحاً متوثبة وبدناً صحيحاً وعضلا جباراً وخلقاً طيعاً متأهباً للهجوم والانقضاض عند أول اشارة

وهذه الثقافة لن تبلغ حد الكمال فى عرفهم إلا متى اقترنت باحتقار المال ، وازدراء الترف ، والاستخفاف بمتع الحياة ، وتوديع مفاتن المادة التى تنهك الجسم وترهق العصب وتغرى بالخمول وتفتك آخر الامر بفضائل الصبر والجلد ، والعزم والكفاح ، والاستبسال والتضحية

واذن فلا ثقافة ولا حب ولا أدب ولا حرية فى سبارطة ، بل هناك نشوة البدن القوى المتفوق على ضعفه ، نشوة الكبرياء الصادرة عن نظام عسكري صارم ، نشوة الطاعة الصادرة عن مساواة الكل فى الخضوع والتسليم ، نشوة الانسياق الاجماعى الذى يفرح به القطيع الهائم ، نشوة الاحساس بأن الكتلة تحمى الفرد وان الفرد رقم غامض ، وأن المجموع المتراص القوي لا يمكن أن يخطىء أو يقاوم أو يغلب

أوجه شبه

هذه هي عناصر الحياة التى يستمدها الديكتاتوريون فى هذا العصر من وحى سبارطة

فني سبارطة كانت حرية الفكر مضطهدة ، والثقافة الحرة مبغوضة ، والعواطف الانسانية محتقرة ، وكذلك الامر الآن فى البلاد الديكتاتورية

وفى سبارطة كانت جميع السلطات السياسية فى يد الدولة ، والتفوق العسكرى هو المثل الاعلى والحرب هى اللذة الكبرى ، والحياة فى حالة حرب دائمة هي شعار الدولة . وكذلك الامر الآن فى معظم البلاد الديكتاتورية

وفى سبارطة كان الحق يؤخذ بحد السيف ، وكان يقرر بحد السيف أيضاً . أما العدل فكان ما تفرضه الدولة ، وأما الخير فكل ما يصدر عن الدولة وما يمكن ان يتحقق بواسطتها

وكذلك الامر الآن عند الامم الديكتاتورية

وفى سبارطة كان مجلس الشعب يجتمع فى الشهر مرة ، ويقترع دون مناقشة وبكلمة نعم أو لا ، على مختلف مشاكل الحرب أو السلم التى يطرحها عليه مجلس الشيوخ ، وفى البلاد الديكتاتورية يفرض الحزب النازى أو الفاشستى أمر الحكومة على المجموع فرضاً

وفى سبارطة كانت الحكومة تعين عدداً من المفتشين يتدخلون فى الشئون الخاصة ، ويقتحمون بيوت الاهالى ، ويعاقبون المواطنين الاحرار ، ويعزلون القضاة والقواد وكل من يجرؤ على المصارحة برأى يناقض رأى الحكومة

وفى البلاد الديكتاتورية يقوم رجال الحزب الحكومى السائد بهذه المهمة

وفي سبارطة كانت لا تقدر المرأة لشرف سلوكها ودماثة أخلاقها ورقة قلبها واتقاد ذكائها ونبل عواطفها ، بل كانت تحترم فيها القدرة على منافسة الرجل فى القوة العضلية فقط ، وعلى منافسة أترابها فى انتاج أوفر عدد ممكن من الذكور الاصحاء

وكذلك الامر الآن فى البلاد الديكتاتورية

وفى سبارطة استحالت الأمة الى ثكنة ، واستحال الشعب الى جيش ، وفى البلاد الديكتاتورية الحديثة تبذل أقصى الجهود وأشقها لتحول الأمة الى ثكنة ، والشعب المتحمس المأخوذ الى جيش

ولكن ماذا بقى من سبارطة ؟ لا شيء ! وماذا أفاد العالم من حضارة سبارطة ؟ لا شيء !

لا أدب ولا علم ولا فن ، بل تجربة فى الحكم خيالية ، قامت على القوة ، وبدل ان تعلمنا احتقار الألم والموت فى سبيل نصرة الحق واعزاز الضعيف ، علمتنا بطولة سلبية معكوسة لا تحتقر الألم والموت الا لتفخر وتزهو بنشر الجوع والألم والموت ! . .

ابراهيم المصرى

الذوق الأدبي
عند جلالة ملك العراق

بقلم الدكتور زكى مبارك

رعاية الملوك للأدب والأدباء من أهم أسباب تقدم النهضة الأدبية . وقد كان لهذه الرعاية فضل عظيم على تاريخ الأدب فى الجيل الماضى ، وفى الأجيال السابقة . ويسرنا أن نرى ملك العراق ، الوارث لعرش العباسيين يعنى بالأدب والأدباء ويشملهم بحسن الرعاية

واجهنى أحد الأصدقاء بهذا السؤال : كيف سكت عن جلالة ملك العراق مع أنك أكثرت من الكتابة عن شئون العراق ؟

وهذا حق ، فأنا لم أكتب شيئاً عن جلالة الملك غازى الأول ، إلا فقرات قصيرة فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق »

ولكن هذا السكوت من جانبي له سوابق ، فأنا أتجنب الكتابة عن الملوك ، وأبتعد عامداً متعمداً عن التقرب الى الملوك . والسر فى ذلك يرجع الى صلتى الوثيقة بمراجع الأدب القديم ، وهى تضع صنوفاً من الآداب لمن يتصل بالملوك ، وقد درست نفسى حق الدرس فوجدتنى لا أصلح إلا لحياة الجندية فى الميادين العلمية والأدبية

وقد اتفق لى أن أهدى كتاب (الأخلاق عند الغزالى) الى جلالة الملك فؤاد الأول ، طيب الله ثراه ، ولم أطلب التشرف بمقابلته لأقدم الى جلالته ذلك الكتاب ، وقد نبهنى الدكتور طه حسين بك مرة الى هذا الواجب ، فاعتذرت بأنى أهديت الكتاب الى جلالة الملك فؤاد الأول بوصف أنه صاحب الفضل الأكبر على الجامعة المصرية التى قدمت اليها ذلك الكتاب لنيل الدكتوراه فى الآداب

وفى صيف سنة ١٩٢٧ دعانى الدكتور الديوانى مدير البعثة المصرية فى باريس ، وسألنى بلطف : « هل يسرك أن أعطيك تذكرة لاستقبال جلالة الملك يوم يشرف فى باريس ؟ » فقلت : « ذلك يسرني جداً ، إذا سمحت أن أذهب لاستقباله مع المستقبلين بلا طربوش ، لأنى لا أستبيح لبس الطربوش فى باريس » فابتسم وقال : « يظهر أنك تلميذ متمرد ! »

وأعطانى تذكرة الاستقبال

مضيت الى المحطة يومئذ بلا طربوش ، فرأيت جميع الطلبة مطربشين ، وكان فى ذلك ما آذانى ، فقد شعرت بأنى بينهم غريب ، ولما نزل جلالة الملك من القطار اقتربت منه وأنا متهيب وقد أخفيت القبعة خلف ظهري ، فابتسم جلالته ابتسامة لطيفة دلت على أنه فطن لهذا الشذوذ !

وفى سنة ١٩٣٢ تفضل جلالة الملك فؤاد بزيارة البناء الجديد لمعهد الليسيه بالقاهرة ، وكنت يومئذ مدرساً بذلك المعهد ، وتقرر فى برنامج الزيارة أن يحضر جلالته درسين ، درساً فى اللغة الفرنسية ودرساً فى اللغة العربية ، أما الدرس الفرنسى فعهد بتحضيره الى المسيو رابنوى وقد اختار أن يكون خاصاً بتاريخ مصر فى عهد اسماعيل « والد الملك فؤاد » وهو اختيار لا يخلو من لباقة وذكاء

وأما الدرس العربى فعهد بتحضيره الى ، وسألنى المسيو دى كومنين عن موضوع الدرس ، فأجبت بأنه الدرس المقرر إلقاؤه من قبل ، فابتسم وقال : « ماعندك موضوع خاص ؟ » فقلت : « ما أحب ان أغير موضوع الدرس بمناسبة زيارة جلالة الملك . وانما أحب أن يرى درساً عادياً كسائر الدروس التى ألقيها على تلاميذى فى كل يوم » فضغط المسيو دى كومنين على يدى وقال : « إن ما أعرف من شمائل الملك فؤاد يبشر بأنه سيرتاح الى درسك البسيط كل الارتياح »

وتفضل جلالة الملك فؤاد فحضر درسى بمعهد الليسيه ، وقد أديته تأدية حسنة فى نحو عشر دقائق ، ولم يشأ أن ينصرف إلا بعد أن صافحنى وحيانى

وبهذا الخلق الذى يتهيب التقرب الى الملوك دخلت بغداد

فماذا أصنع فى سبيل التشرف بمقابلة ملك العراق ؟

كنت أعرف أن جلالة الملك غازى الأول يسره أن يستقبل الأساتذة المصريين ، وقد تشرف كثير منهم بمقابلته فى قصر الملك أو فى قصر الزهور ، ولكنى مع ذلك لم أطلب التشرف

بمقابلته ، لأني كما قلت أتهيب الاتصال بالملوك ، وإن كنت أديت بعض الواجب بتقييد اسمى فى دفتر التشريفات يوم دخلت بغداد

وبالرغم من هذا التحفظ كنت أتحرق شوقا الى معرفة الذوق الأدبى عند صاحب الجلالة غازى الأول ، فهو من أسرة هاشمية لها ماض مجيد فى رعاية الأدب الرفيع ، وهو يجلس على عرش العراق الذى ازدهر الأدب فى رحابه حيناً من الزمان

ماذا أصنع لمعرفة الذوق الأدبى عند هذا الملك ؟ ماذا أصنع ؟ ماذا أصنع ؟

أيجوز أن أعرف كل شىء من مظاهر الأدب فى العراق ، وأجهل الذوق الأدبى عند ملك العراق ؟

أترك هذا الكلام وأتحدث عن قضية اهتزت لها المقامات الرسمية فى بغداد

قضيت أول مساء فى فندق تايجرس مع الدكتور محمود عزمى ، فحضر شاب عرفت أنه سكرتير الاذاعة اللاسلكية وهو السيد فؤاد جميل ، وقد طلب أن أواجه الجمهور العراقي بكلمة فى الاذاعة اللاسلكية ، فاعتذرت ثم اعتذرت ، لأن الدكتور طه حسين بك كان أوصانى بأن أترك «الهوسة الأدبية» أيام إقامتى فى العراق ، وكان الدكتور طه حكيما حين خصنى بهذه الوصية ، فهو يعرف أخلاقى ، ويرجو ألا تنتقل مشاغباتى من الميادين المصرية الى الميادين العراقية

ولكن السيد فؤاد جميل عاود الطلب وألح إلحاحا عنيفا ، وانضم اليه الاستاذ محمود عزمى وعاونه سائر الحاضرين ، فقلت : أنا مشغول باعداد الدروس التى القى بها تلاميذى فى بغداد ، وما أستطيع التفرغ لدرس موضوع أواجه به الجمهور العراقى ، فقال السيد فؤاد جميل : يكفى أن تقول كلمة موجزة عن رمضان

وهو كذلك !

ومضيت فأعددت كلمة عن « الأسمار والأحاديث فى ليالى رمضان » وازنت فيها بين القديم والجديد فى استقبال شهر الصيام

وبعد أسبوعين طال فيهما استنجاز السيد فؤاد جميل ، مضيت ، فألقيت ذلك الحديث بمحطة الاذاعة العراقية

وما كدت أخرج من باب الاستوديو حتى رأيت السيد فؤاد يصيح وهو مبهور :

تليفون ، تليفون ، تليفون !

مضيت الى التليفون وأنا أنتظر أن أتلقى تحية من أحد المعجبين ، ولكنى سمعت صوتاً رصيناً يناقشنى فى دقائق المحاضرة

فقلت : أستطيع أن أعرف حضرة المتكلم ؟

وما كدت أفوه بهذه العبارة حتى عرفت أنه ألقى السماعة وانصرف

من هذا المعترض ؟ لا أعرف !

ونظرت الى سكرتير الاذاعة اللاسلكية فرأيته فى صفرة الأموات ، أسأله فلا يجيب

من ذلك المعترض ؟ ليتنى أعرف !

و بعد لحظات طوال ، دخل السيد يونس بحرى فراعه أن يرى سكرتير الاذاعة مكروباً مغموماً ، فقال : إيش بيك يا فؤاد ؟ إيش بيك يا فؤاد ؟ إيش بيك يا فؤاد ؟

وأخيراً هتف فؤاد : جلالة الملك ! جلالة الملك !

فوقف يونس بحرى وقفة الاجلال

أما أنا فقلت فى صوت هادىء رزين :

« يسرنى أن يكون جلالة الملك سمع حديثى واعترض عليه » وانصرفت

وفى اليوم التالى طلبنى الدكتور محمود عزمى بالتليفون ، ودعانى الى مقابلته مساء فى فندق مود ، فلما التقينا عرفت أن هذه الحادثة الملكية كان لها رنين فى المقامات السياسية ، وأشار بأن أقابل رئيس الديوان الملكى وأشرح له مغازى الحديث الذى ألقيته بالاذاعة اللاسلكية ، فرفضت ، وكانت حجتى أن الحديث لا غبار عليه ، وقد أرسلت نصه الى جريدة الأهرام قبل أن ألقيه ، وسيطلع عليه جلالة الملك ، ومن المؤكد عندى أنه سيتلقاه بقبول حسن

***

كان السيد فؤاد جميل يحب أن أتحدث فى الاذاعة اللاسلكية مرة كل أسبوع ، وكان مفهوماً أننى سأتلقى من المكافآت المالية ما يغرينى باعداد تلك الاحاديث

ولكن السيد فؤاد انصرف عنى قطعاً ، فعرفت أنه لن يدعونى إلا إذا فهم أن جلالة الملك يسره أن يسمع صوت الدكتور زكى مبارك

و بعد نحو خمسة أسابيع صار تليفون دار المعلمين العالية لا يكاد يعرف غير السؤال عنى ، وممن ؟ من سكرتير الاذاعة اللاسلكية !

ولم يكتف سكرتير الاذاعة بذلك ، بل كان يمضى الى منزلى فيطرقه بعنف ، وكان من

عادتى وأنا فى بغداد أن لا أجيب من يسألون عنى فى البيت ، لأن بيتى كان فقيراً لا يزينه أثاث ولا رياش ، ولأنى كنت أكتب فى كل يوم نحو عشر صفحات ويهمنى أن أهرب من الناس ، فكان سكرتير الاذاعة يكتب على الباب بالطباشير :

« فؤاد جميل يريد مواجهتكم بوزارة المعارف »

وأخيراً مضيت لمواجهة السيد فؤاد جميل بوزارة المعارف ، فقال : يا مولانا ، أين وعودك ؟

فأسررت اليه أنى أخشى أن أتلقى بالتليفون درساً جديداً من جلالة الملك

فابتسم ، وقال : ومن أين عرفت أن جلالة الملك لا يسره أن يسمع صوتك ؟

وكان معنى ذلك أن جلالة الملك يقبل كل شىء من ضيوف العراق

ودارت الايام بالسعد فكنت ألقى فى الاذاعة العراقية كل ما أشاء ، ولكنى كنت أراعى كل مرة أن جلالة الملك قد يسمع حديثى فأبذل فى اعداده كل ما أملك من ذوق وعقل ، فان كان اهل بغداد أعجبوا باحاديثى فى الاذاعة اللاسلكية ، فليعرفوا أن الفضل يرجع الى رقابة ذلك الملك الأديب

والواقع أن غازى الأول ورث الذوق الأدبى عن فيصل الأول

فقد كنت أسمر مرة مع الأستاذ حسين بستانة المتخرج فى دار العلوم بالقاهرة ، وهو أديب موهوب سيكون له فى خدمة العراق مجال . فحدثنى عن قصيدة لشاعر عراقى كبير قالها فى هجاء الملك فيصل ، وأنشد منها أبياتاً ، فقلت : « أنت تعرف أنى أكره اغتياب الملوك » . فقال : « عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء . ويجب أن تعرف أن الملك فيصل حين سمع بهذه القصيدة طلب أن يسمعها من الشاعر نفسه ومنحه جائزة سنية » !

هل فى الدنيا ملوك يحبون ان يسمعوا ما يقال فيهم من هجاء ؟

ذلك ما وقع من الملك فيصل الاول ، وهو تذكير بعهود الحضارة فى بنى العباس

***

اما بعد فان الجماهير فى البلاد العربية لا تنظر الى صورة الملك غازى الأول إلا مقرونة بحبه للطيران ، فليعرفوا ايضا انه يحلق من حين الى حين فى جو الأدب والخيال

وليعرفوا إن شاءوا أنه مولع بالفنون ، وأنه يعطف على الأغاني العربية

أيها العراق : قد أنسى كل شىء ، ولكنى لن أنسى أيامى فى حماك

زكى مبارك

سجل الأيام

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

الاكثرية والاقلية : قلنا فى مقالنا الماضي انا سنبحث مبدأ الاكثرية والاقلية ونفسر مغزاه ، فانه يسوءنا والحق يقال ان نقرأ أخبار أوربا فنسمع هذه الكلمة تكرر وتعاد حتى مجتها الاذهان ،وحتىعجبنا لهؤلاء الاوربيين الذين اتخذناهم مثالا يحتذى فى تشريعنا وفى نظمنا البرلمانية ، كيف لا يزالون فى غيابة الجهل تعميهم العنصرية حيناً ، والمذهبية حيناً ، عن رؤية الهدف الاسمى للمدنية ، ألا وهو تعاون الجميع ـ كل أبناء الامم ـ على ترقية الانسانية وتنظيفها مما هو عالق بها من أقذار الغريزة والجاهلية الاولى . واننا نعتقد اعتقاداً هو أقرب إلى الايمان منه إلى المنطق ،ان العالم لا ينجو من ويلاته الا بنظام أممى ينحو فى مجموعه نحو الاشتراكية المعتدلة فى داخل مملكة واحدة

وها نحن أولاء نفى بما وعدنا ، فنقول :

ــ مبدأ الاكثرية والاقلية شرعه الانجليز قاعدة فى نظامهم البرلمانى ، يتوسلون به إلى اسناد دست الحكومة الى زعيم الاكثرية ، وذريعة الى تعرف رأى الناخبين

ولم يكن هذا المبدأ كما هو عليه الآن إلا منذ أربعين سنة أو خمسين ، فقد نما وترعرع واحتكر آلة الحكم فى أيام الملكة فكتوريا ، التىكان شبابها فى أول ملكها ،ثم اقترانها بغير انجليزى ثم اعتكافها حزنا على هذا القرين ، أسباباً قوت ساعد البرلمان على حساب العرش

وظاهر انه لا يتيسر لحكومة تستمد سلطانها من دار منتخبة الا ان تتجه وجهة الاكثرية فيها ، فكان هذا النظام الذى يقضى ببقاء الحكومة تتولى الامر ما دام لها أكثرية تسندها

وقد كان الملوك قبل ذلك ــ الدستوريون منهم والمطلقون ــ يولون الوزارات من يشاءون ، ولم يكن النواب المهيمنون ذوى لون سياسى ظاهر كما هو الآن ، فكان الوزير الكبير يميل بأكثريته حسب المنفعة وحسب الهوى ، وحسب مقدرته ومكانته فى أعين العرش وفى أعين الرأى العام

ولكن النظام الحالى قضى على كل ذلك إما للخير أو للشر ، وبقى قائما تسنده أكثرية ، فان تضاءلت هذه أو زالت ترك الوزير كرسى الحكم لزعيم آخر تؤيده الاكثرية إما كما هى أو متغيراً ولاؤها ، واما بالالتجاء الى الناخبين

وانه لواضح بالبداهة ان أساس الحكم في هذا النظام هو شيء سياسى متحول لا يستقر على حال ، شأن كل السياسات التى تبغى الخدمة والنفع العام

فقد تكون الاكثرية اليوم هنا ثم تزول وتصبح هناك ، وقد تكون اشتراكية ثم تتغير فتصبح محافظة . وقد تدين لزعيم وله أمرها لما ظنته فيه من كفاءة ممتازة وحب للخير ، ثم اذا بها تتخلى عنه فيفقد أكثريته ويخلو له عقر داره

ولا يعقل ان تكون الاكثرية دائما أبداً على حال سياسية واحدة ، فالدنيا فى تقدم والناس يسعون ما عاشوا الى التبديل والتغيير

فقاعدة الاكثرية والاقلية لا تفهم ولا يقام لها وزن الا إذا كانت متغيرة متبدلة متقلبة ، فانها تتبع الآراء الاجتماعية أو التطورات الاقتصادية ، فكان الاستقرار عدواً من أعدائها

وبهذا وحده تفهم أداة للحكم ، والا لأسن مذهب السياسة ولعفنت ادارة الشئون

فالذين يحاجونك بالاكثرية وبالأقلية يدركون ان هذا النظام مقصور على الأمور التى تتخذ محورها فى نظام برلمانى يرتكز على الانتخاب

ليس فى الأمر شك ولا يحتاج الى دليل

أما اذا كانت الاكثرية أو الاقلية كيانا قائما على غير السياسة فلها شأن آخر

هب ان بلداً متمديناً عامراً بالناس انقسم أهله الى أكثريات وأقليات دينية أو عنصرية ، فما حكمه ؟

هل نطبق المبدأ السياسى فنحكم الاكثرية فى الاقلية ؟ كلا . ان فى هذا لظلماً مبيناً

ذلك لأن نظام حكم الاكثرية قائم على أنه متغير لا يستقر — اليوم هنا وغداً هناك — وأما الاكثرية أو الاقلية القائمة على العنصر أو على المذهب الدينى ، فثابتة لا تتزحزح ، مستقرة لا تهزها عواصف العقل أو المنطق ، فلا يصح ان تكون آلة للحكم

ومن هنا نشأت هذه الحمايات التى يفرضها بعض الدساتير لحماية الاقليات الدائمة ، ومن هنا نشأ التقلقل فى البلاد المصابة بأقليات دائمة لا هى تقنع ولا تنصفها الاكثرية

وقد قلنا فى المقال الماضى ان القوم فى سويسرا والقوم فى انجلترا عرفوا كيف يداوون هذا الداء فلم نعد نسمع باختلاف بينهم على مبدأ أكثرية أو أقلية

أما فى سويسرا فجاءوا بالعناصر التى تكون القومية السويسرية ، وساووا بينها فى كل الحقوق ومتعوها متاعا متساويا لا يزيد أحد العناصر شيئا على العنصر الآخر . فاللغة ليست واحدة فى سويسرا فجعلوا كل اللغات رسمية وواجبة الاحترام

والعادات والتقاليد ليست واحدة ، فتركوا لكل عنصر عاداته وتقاليده يضافان الى لغته ، ووسعوا مبدأ اللامركزية وعمموا قواعدها

فلم يعد لأي عنصر من العناصر ميزة على الآخر فارتضى الجميع

على أن الانجليز فعلوا أحسن من هذا

فهم ألغوا الأقليات ومحوها بالمعاملة الحسنة وبالتسامح الشريف

كان هناك نزاع انجليزي اسكتلندى ، فتوحد العرشان ، ولم يقل الانجليز لجيرانهم نحن أعز نفراً وأكرم يداً وأرفع محتداً وأعظم ثروة ، بل أباحوا لأبناء اسكتلندا الميدان السياسى والصناعى والتجارى حتى كاد أبناء الشمال يتبوأون كل ما فى الجنوب من نعمة وفخار ، فلم يحسدهم الانجليز وانما قالوا نحن اخوان وكلنا خدام بريطانيا

وهكذا فعلوا مع الكاثوليك بعد أن مر على هؤلاء زمن حرموا فيه من عضوية البرلمان ومن كثير من المرافق العامة . ثم عقبوا وأباحوا الامر لليهود

لذلك أخلص الجميع ـ عنصراً ودينا ـ لبريطانيا ، وما ذاك الا بنعمة خلق التسامح ورحابة الصدر ، فاذا فتحت الاكثرية فى أية بقعة من أرض الله صدرها للاقلية ، لا تنقم عليها نشاطا أو ذكاء أو ثروة أو جاهاً ، ونظرت اليها على انها جزء لا يتجزأ منها ، زال كل ما هنالك من شعور يجرح الوحدة القومية

هذا مبدأ خير من تخصيص حقوق للاقليات وتعيين واجبات . وهذا مبدأ أخذه الدستور المصرى قاعدة من قواعده ففاز بذلك فضلا على كثير من الدساتير الاوربية

***

جمعية الامم : وما دام البحث اليوم يتناول مبادىء أفلاطونية أكثر منها عملية ، فلابد من نظرة الى جمعية الامم . فقد نصت فى نظامها على حقوق للاقليات فى بعض بلاد أوربا ، وقد كان هذا خطأ منها فى المبدأ وخضوعا للعوامل السياسية المحلية ، فانها لو تركت الامر يمشى الناس وراءه طبقا للمنفعة الحقيقية لانتهى بهم المطاف الى اقرار المبادىء الانجليزية ، أو على الأقل الى اقرار النظام السويسرى حيث يتيسر تطبيقه

وانه ليسوء كل عاقل يتجرد عن هوى العنصر والمذهب ويطمح الى مثل أعلى من هذا فى الحياة أن يرى فشل جمعية الامم فيما انتدبت له من غرض . ان الذى ينعاه الناعون على جمعية الامم ليس دستورها ولا المبدأ الأساسى فى تكوينها ، انما هو هذه السيطرة التى كانت لانجلترا ولفرنسا فى تسيير دفتها واستئثارهما بالسيادة يتوليانها اما منفردتين أومتحدتين وتسيير الدول الاخرى وراءهما

فجمعية الامم أمل ظنه الرئيس ويلسن قاب قوسين من التحقيق ، ولكن دولته ابتعدت عنه ، وجعلته فرنسا آلة فى خدمة سياستها التقليدية الموروثة عن ريشيليو ، وجعلته انجلترا حيلة تدفع الامم الى نزع السلاح وأخذت هى تنزعه عنها فعلا لا حباً للسلام بل إبقاء على ما بين يديها وقد امتلأتا إذ ينزع العالم كله سلاحه فيبقى الغنى الشبعان آمناً لا خوف عليه ولا هو يحزن . اما

مبدأ الجمعية ـ مبدأ الحقوق الاممية والدفاع عنها ـ مبدأ الالتجاء الى وسيلة غير وسيلة السلاح فى الذود عن الحياض ـ فهذا لا يغنى عن الحق شيئاً إذا جاء الاعضاء المتنفذون وجعلوا المبدأ مقلوب الآية وفى خدمة المنافع الخاصة بالدول القوية . فكان مثلهم مثل أمة وضعت قانوناً عصرياً راقياً أخذاً بأعدل المبادىء وأدنى الاسباب الى خدمة الشعب ثم وضعت لتنفيذه قضاة يأتمرون بأمر القائم بالحكم فتفسر المبادىء وتعالج الحقوق على ضوء رغبة الحكومة . وهكذا عهد عصبة الامم . فانه سليم فى الغرض الأعلى الذى يسمو اليه ، ولكن هدمه أمران قضيا على كيانه

أما الأمر الأول فهو هذا التميز الذى اختصت به دولة دون أخرى ، وهذا البعد عن مبدأ أن لا غالب ولا مغلوب ، وهذا التقسيم الجائر بين الدول الممثلة فى العصبة إذ ظهر بعضها شبعان امتلأ حوضه فلا يفتأ يقول قطنى ، وبعضها جائع متحفز الى العيش والى التمثل بجيرانه

فلو حسنت النيات ولو مكن الاميركيون عباد الدولار لرئيسهم ويلسن فى الارض فأيدوا سياسته ، إذن لرأينا قوة عظيمة تجبر أوربا على السير فى صراط مبادىء العصبة ، وإذن لرأينا الامم تعيش فى الامن فينمو الاقتصاد وتشتد السواعد العاملة على هدم حواجز الصناعة والتجارة ، وإذن لرأينا ما هو أبدع وأبق وأنقى ـ لرأينا عصراً تموت فيه روح القوميات وتأخذ روح الاممية فى الانتعاش وفى جمع العالم فى جمعية هى أشبه بالاشتراكية ضمن حدود دولة واحدة

على أن الأمل لم يتحقق وقد يكون من المستحيل تحقيقه . وهذا ما يجعلنا نميل الى الأمر الثانى الذى هد كيان العصبة وجعله الفاعل الاصلى . وهذا الامر هو الغريزة البشرية والعوامل الطبيعية التى تفعل فى تكوين الشعوب وفى خلق المدنيات . فقد كان الأمر منذ الأزل حتى الآن خاضعاً للقوة . القوة تحفزها الحاجة الاقتصادية دائماً ، وبعض العوامل الروحية فى بعض الأحيان . لذلك كتب على المدنيات أن لا تدوم وضرب على الدول أن ينتقل ملكوتها وتتداوله واحدة بعد أخرى

فاذا كان حقاً ان المدنية المصرية والمدنية الاشورية والمدنية الفينيقية قد زالت . واذا كان شيئاً لا نزاع فيه ان المدنية الاغريقية غلبت على أمرها وبزها الرومان سلطانهــا . واذا كان حقيقة راسخة ان الدولة الرومانية حكمت ما كان العالم فى ذلك الزمن مدة هذا مقدارها ، ثم أمست كأن لم تغن بالامس . فماذا يتاح لهذه المدنية الحالية التي يتولى الزعامة فيها بعض ممالك أوربا أن تدوم ولا يعتورها تغيير أو تبديل

وهل رضى العــالم من أقصى الارض الى أدناها أن يكون قيــاده فى يد الامبراطورية البريطانية تساعدها فرنسا حيناً وأميركا حيناً آخر

ألا يجدر ـ فى نظر العالم ـ ان يغير وزارته فيتولاها يابانى مثلا او المانى او روسى

ومن يدرينا فلعل ربان السفينة قد شاخ وهرم وارتجفت يداه فلم يعد أهلا للقيــادة . او لعله بعد هذه الحرب وزن بالموازين فوجد ناقصاً فأخذ سلطانه وأعطى لآخرين

ان كانت القوة هي العامل الاكبر في تسيير دفة الأيام ، فأخلق بمن تتهيأ له اسبابها ان يفرض حكمه على الناس وعلى ارادته على المستضعفين . اننا نرى الايمان بهذا المبدأ دون سواه اكبر عامل هدم جمعية الامم التى استخدمت فى سبيل بقاء رياسة بعضهم على بعض . فتمرد التمردون وآنسوا عجزاً وضعفاً عند المتزعمين وقوة أعادوها بين أيديهم يهددون بها ويتسلطون

فكأنه كتب على الانسانية ان تتداولها الايدى القوية

« وتلك الايام نداولها بين الناس »

فاذا كان الامر للقوى يفرض حضارته على الآخرين ، فاننا نعمى عن الحقيقة اذا ما رأينا دولة الجرمان تمثل القوة أحسن تمثيل . إننا ما نزال نذكر صلحاً عقد فى فرساى ضربت فيه الذلة والمسكنة على الألمان فسامهم المنتصرون ما شاءوا من مظاهر الغلبة

ثم ما كاد حبر المعاهدة يجف حتى اخذ هؤلاء الألمان ينظمون حياتهم تنظيما تناول شتى نواحيها وعادت تلك الامة التي ضرب عليها أن تكون عزلاء ، أقوى مما كانت فى ١٩١٤ وحتى ضمت ابناء جرمانيا ضما محكماً الى احضانها وكان اظهار مثل هذه النية قبيل ذلك يدعو الى امتشاق الحسام تستله فرنسا وحليفاتها الشرقيات فتقبض المانيا يدها . وحتى دار الزمن دورته فاذا بنا نرى المانيا سيدة اوربا ولم يمض ربع قرن على وقوعها فى الحضيض

فاما ان تكون الحيوية الكامنة فى اعصاب هؤلاء الناس مما لا يقاوم او ان يكون الانحلال قد دب الى خصومها بالأمس إذ يرون سلاحها يزداد ويزداد ، أما سلاحهم فيفاوتونه اما قصداً او عجزاً

فسواء أصح هذا أم صدق ذاك فالنتيجة واحدة تدفع القوى الى استلام الزعامة فى حضارة جديدة ، فان الله ما قضى بأن يحتكر العالم شعب واحد او شعبان ابد الدهر

ان الارض يرثها عباد الله الصالحون ، وليس أهلا لأن يكون من هؤلاء الصالحين إلا من أخذ بأسباب العزم والجد فى شئون الحياة كلها ، أخذاً يجمعه قولك : القوى القوى

سامى الجريدينى

اعتذار للكتاب

على الرغم من زيادة عدد الصفحات فى هذا العدد ، اضطررنا الى تأجيل بعض مقالات لبعض حضرات الكتاب الذين تفضلوا بمعاونتنا في تحرير الهلال . وما كان تأجيلها الا لورودها والمجلة مائلة للطبع . ومن هذه المقالات : « وجوه النقص فى التعليم المصرى » وهو مقال لحضرة صاحب العزة محمد بك فهيم المراقب المساعد للتعليم الثانوى بوزارة المعارف . وسننشره فى العدد القادم

بين الفيلسوفين

هربرت سبنسر والشيخ محمد عبده

من مذكرات مستر ويلفريد بلنت

بقلم الاستاذ راشد رستم

وضع مستر ويلفريد بلنت محامى زعماء الثورة العرابية مذكرات ضافية عن حوادث مصر فى أثناء مقامه بها . وقد خص فيها صديقه الحيم الشيخ محمد عبده بجزء كبير ترجمه الاستاذ راشد رستم . وهنا ننشر من هذه الترجمة ما رواه بلنت عن مقابلة الاستاذ الامام للفيلسوف الانجليزى هربرت سبنسر بانجلترا وما دار بينهما من حديث طريف

المستر « ويلفريد بلنت » ارستقراطى المولد والنشأة ، ولد سنة ١٨٤٠ ، وعاش حتى سنة ١٩٢٢ وكان فى حياته حركة دائمة ، كما كانت له فى حياته مناح كثيرة واسعة ، وذلك بما وهبته الطبيعة من الصفات المتنوعة ، وما هيأت له من الوسائل المتعددة ، فقد كان رجلا يتعارك فى الدوائر السياسية والدبلوماسية ، وكان بطبعه اوروبيا ، كما كان شاعراً ذا باع طويل ، وهو فنان حفار ، وقد تزوج بحفيدة « بيرون » الشاعر الانجليزى المشهور ، وهو كذلك غنى واسع الغنى يملك الضياع والغابات ، وقد شغف بتربية أصايل الخيل العربية

وقد عاش زماناً بمصر ، وكان له فيها بيت بالشيخ عبيد بالقرب من المطرية ، واسع الارجاء ذو حديقة غناء ، ترك أشجارها تنمو كما تشاء وما عليه إلا أن يسقيها الماء

له صلات بجميع من اشتغل بالسياسة المصرية ، من مصريين وأجانب منذ عهد عرابى الى أن مات . وقد عمل فى سبيل مصر كثيراً ، وفضح الانجليز وحكمهم ، حتى أغضب قومه ، وأول من غضب عليه هو الملك إدوارد السابع الذى جعل الخديو عباس يمتنع فى آخر لحظة عن زيارته بانجلترا ، وكان بلنت قد استعد لهذه الزيارة استعداداً عظيما . وقال يومها كلمة تدل على الخلق الانجليزى الغريب وهى : أنه اذا كان الخديو قد أطاع الملك ادوارد وهو ليس من رعاياه ، فان بلنت أولى بطاعته وهو من رعاياه

٩ أغسطس سنة ١٩٠٣

لقد قضيت وقتاً سعيداً فى الأيام الأخيرة مع المفتى ، واليوم بينما كنا نسير فى (نيوبلدج وود) تحدثنا حديثاً طويلا عن الدين ، وسألته خاصة عن اعتقاده فى الملائكة والجن ، فقال عن الجن إنه وإن كان لا ينكر وجودهم ، إلا أنه « ليس هناك من شاهدهم ، وليس فى الوسع ان نعرف شيئاً عنهم . وأما عن الله سبحانه وتعالى فمن المحال ان نعرف شيئاً »

ثم سألته عن الحياة الآخرة فقال إنه ستكون هناك حياة نعيم لأناس وحياة شقاء لآخرين ، ولكن على أي طريق وشكل هى ، فذلك ما لا علم له به

وهو لا يعتقد مع ذلك بالعذاب الدائم المقيم

وتحدثنا عن حوادث سنة ١٨٨٢ وقد قرأنا الجرائد التى نشرت أخبار محاكمة عرابى ، وحثنى كثيراً على نشر تاريخ ذلك العصر ، والصعوبة التى اعانيها هى ان أكثر وثائق ما هى إلا خطابات كتبها أشخاص ما يزالون على قيد الحياة قد يعترضون على نشرها . مع العلم بأنه بغيرها لا يمكن وضع صورة حقيقية عن دسائسنا الانجليزية فى تلك الفترة . على أنه ليس فى تلك الخطابات شيء شخصى . وانما هي وثائق تاريخية نزيهة لا بد يوماً أن تنشر وحبذا لو كان ذلك سريعاً وقريباً

وأخيراً تحدثنا عن القضاء وحالته الحاضرة فى مصر . وهى المسألة التى سألنى محرر جريدة المانشستر جارديان معلوماتى عنها . والآن فى وسعى ان أجيبه وذلك بمعونة المفتى

١٠ أغسطس سنة ١٩٠٣

ذهبنا الى مدينة بريتون لزيارة الفيلسوف هربرت سبنسر الذى جاء المفتى من أجله الى انجلترا إذ يعتقد أنه فيلسوف عظيم ، وقد عرب كتابه الذى الفه عن التربيـة ، وكنت قد كتبت الى سبنسر عن ذلك وعن طلب تحديد موعد للقاء

وقد أرسل سبنسر عربته وسكرتيره لمقابلتنا بالمحطة . وقد وجدنا الرجل العجوز بالفراش منذ ابريل ، على أن الصدمة التى انتابته لم تؤثر فى عقله ، وقد رأيناه سلس التفكير ، نير الذهن ، كما أنه قوي الصوت ولكنه هزيل جداً

وجلسنا معه مدة قصيرة قبل الغداء ، ثم جلسنا جلسة أخرى بعد ذلك . وقد حاول أن يتكلم بالفرنسية فلم تسعفه ، فتحول بسرعة الى الانجليزية وقمت بعمل المترجم ، وقد أظهر حسرته على اختفاء « الحق » من عالم السياسة الاوربية الحديثة ، كما استنكر حرب الترنسفال وعدها خروجا على مبادىء الانسانية . وقال بأن حكم « القوة » آت لا ريب فيه ، وان حربا عامة ستقوم فى سبيل السيادة العالمية تستعمل فيها كل أنواع الوحشية

أما فى جلسة بعد الظهر فقد تحول الحديث الى الفلسفة ، وقد سأل الفتى : هل الشرق يسير فى تفكيره على النمط الذى يسير فيه الفكر فى أوربا ، وقد أجاب الاستاذ الامام عن ذلك بقوله : « ان ما يتعلمه الشرق من الغرب هو الخبيث دون الطيب على انه لا يزال أنضج الفكر عند الاثنين سواء ». ثم قال سبنسر : « اذا رجعنا الى جوهر الامور فانى أظن ان الفكرة السائدة عن القوة الخفية المحركة للعالم والتى تقولون عنها (الله) ونقول عنها نحن (God) أى الرب ، ليس فيها خلاف بيننا »

وقد أجاب الاستاذ عن ذلك اجابة أبان فيها الفرق بين الفكرتين مما لفت نظر سبنسر ، وعده جديداً طريفاً ، قال الشيخ : «اننا نعتقد ان الله كائن وانه ليس بشخص » ، وقد سر بذلك سبنسر ولكنه قال : « ان التمييز فى ذلك صعب الفهم والادراك » ، ثم قال للاستاذ : « يظهر لى انكم تعتقدون بقصور العقل عن الادراك الالهى ، وهذا يشبه نظرية الذين يجهلون الله وهي النظرية الموجودة بين كثيرين فى أوربا »

والى هنا وقف بنا الحديث الطريف مع سبنسر لانه ممنوع من التكلم طويلا . على انى فى العودة الى المحطة تحدثت مع الأستاذ فى الموضوع ذاته بوضوح أكثر فقلت له : « هل تعتقد أن لله وعياً وأنه يعلم بأنك موجود وانى موجود ؟ وألا يدل هذا العلم على وجود الشخصية ؟ »

فقال الشيخ : « نعم انه يعلم »

فقلت له : « اذا كان هو يعلم ذلك فهو يعلم كذلك انك طيب وانى غير ذلك » وقد وافق الشيخ على ذلك

فقلت : « اذن فهو راض عنك وغير راض عنى » ؟ فقال الأستاذ : « انه يقر أشياء ولا يقر أشياء أخرى »

فقلت : « انه يقر اليوم لان أعمالك صالحة ولا يقر غداً لأنها غير صالحة ، أليس هذا التحول فى الاقرار من خصائص الشخصية ؟ فكيف إذن لا يكون الاله شخصاً ؟ »

وقال الاستاذ : « ان الله يعلم كل شىء فى كل وقت ، وليس له يوم وليس له غد ، وهو واحد أحد صمد ، وعلمه دائم ، ولا تبديل لكلماته ، مدرك لكل شىء ، خالد ، لا ينتابه الحدوث، وانى أسمى هذا كائناً ولا أسميه شخصية »

فقلت : « والمادة ؟ أليست المادة هى كذلك دائمة ، أو ان الله هو الذى يخلقها ؟ فاذا كان هو الذى يخلقها فهو بذلك يقيم تعديلا وتبديلا وتغييراً ! »

فقال الشيخ : « ان المادة دائمة كما ان الله دائم »

إلى هنا ينتهى الحديث ويتضح بذلك أساس اعتقاد الشيخ الامام ، وقد اتفقت معه على ان أفكارنا واحدة

فى أحضان الدّين

نشأ التمثيل نشأته الاولى

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

ليس التمثيل ملهاة ، أو هو على الأقل لم يكن فى كل العصور ملهاة . ولقد كان في نشأته الأولى أبعد ما يكون عن اللهو . وهذا التاريخ القديم شاهد صدق وآية يقين على أن التمثيل انما نشأ وترعرع فى حجر الدين . ونحن إذ نورد هذا القول فى التمثيل لا نقف به وقفة مؤرخيه عند الأغارقة الاوائل ، بل نوغل فى القدم حتى الفراعنة الأقدمين

فمنذ الآلاف من السنين كان الكهان فى مصر القديمة يمثلون على البركة المقدسة ، الملحقة بالمعابد الكبرى في الكرنك ومدينة آبو والعرابة المدفونة وصالحجر وغيرها ، سيرة الاله أوزيريس وفاجعة موته ومعجزة بعثه

ولقد روى هيرودوتس شهوده للحفلات فى معبد الربة الحامية « نيت » حين عرج فى زيارته لمصر على مدينة سايس (صالحجر) فى عام ٤٥٠ قبل الميلاد ، فقال : « كذلك بمدينة سايس فى معبد أثينا (هى نيت عند المصريين) ضريح هذا الذى لا أستبيح هنا ذكر اسمه الأعظم (يقصد الاله وزيريس). ويقوم الضريح وراء الهيكل مسنداً إلى الجدار الخارجى على امتداد عرضه . وفى ساحة الحرم مسلتان عظيمتان من الحجر منصوبتان . والى جانب المعبد بركة يحيط بها رصيف من الحجارة تام الاستدارة ، وعندى انها فى اتساعها تضارع البركة التى يسمونها « الدائرة » فى ديلوس . وعلى هذه البركة يجرى ليلا تمثيل آلامه (آلام أوزيريس) ويسميها المصريون الاسرار . وانى ـ وأنا الغزير العلم ببواطن كل منها ـ لأحبس عن ذكرها لسانى ، وأزم دونها شفتى ، ملتزما الكتمان ، لائذاً بحرمة الصمت »

على أن الذى أمسك عنه هيرودوتس ، وأشرج عليه صدره ، ما برحت به أعمال البحث والتنقيب فى السنوات الأخيرة حتى كشفت بعض السر وأزاحت ذيلا من الستر ، فأظهرت المتأخرين على نقوش مطمورة ، وأدراج من البردى مطوية ، تطالعهم بما يصح ان تبنى عليه صورة قريبة الشبه بما كان عليه التمثيل فى معابد المصريين

فلم يقتصر الأمر على الشعائر الرمزية يقيمها الكهان ، من عمود قدسي ينصب بواسطة حبال يشدها أفراد الأسرة المالكة ، ويقدم له القرابين كاهن راكع ، ومن حوله الاناشيد والرقص ، ثم لا يلبث أن يمال موثقاً بالحبال ، ومن آنية تكفأ ومجمرة تطفأ وتعويذة تحطم ، ومن ماعز تذبح ورأس أوزة أو عجل تقرب ، إلى غير ذلك من اشارات وتلويحات فوق متناول الافهام . بل تجاوز الأمر هذه الطقوس الملغزة الى التمثيل الفعلى ذى المشاهد المسرحية

وأولى هذه المشاهد مشهدموكب عظيم ، يمثل انتصارات أوزيريس ، فى حكمه المجيد الزاهر على مصر ، وفى الطليعة ألوية الحرب وأشايره على صورة « ابن آوى » رمز الأله انوبيس دليل المنايا ومفتح السبل ، ويليها فى وسط الموكب مركبة حربية ذات عجلات أربع يجرونها ، وعليها الفلك الشمسي وفيه تمثال أوزيريس ، ومن حوله الكهنة يخفرونه . ويقبل هذا الموكب الحافل بجموعه المؤلفة على المعبد ، فتعرض له عند بابه شراذم أعدت للقيام بدورالأعداء المناوئين ، فتنشب معركة حامية بالعصى ، سرعان ما تنجلى عن اندحار الأعداء ، ودخول أوزيريس المنتصر الى الهيكل الأعظم

وهنا بعد مغيب الشمس ، فى كنف المعبد ، ومن وراء الأبواب الموصدة ، يحتفلون بالسر الأليم . ولا يعلم ما يجرى فيه غير الكهان ومن يأعنونهم عايه . فلقد ضنوا به أن يودعوه درجا من البردى فى خزائنهم ، أو حجراً دفيناً فى مقابرهم ، ويدور الاحتفال في جملة موضوعة على مقتل أوزيريس غيلة فى قصره بيد أخيه « ست » ثم طرحه فى النهر

وكل ما يطالعون به الكافة من الجمهور عن هذه المأساة ، هو اعلان الحداد والندبة على لسان فتاتين من العذارى المطهرات ، النواعم الاهاب ، المفرغات فى قالب الحسن ، تجلس كل منهما على جانب من باب الردهة ذات الأعمدة في مقدم المعبد ، وعلى رأسها شعر مستعار وفي يدها دف مدار ، وعلى كتف احداهن اسم ايزيس ، وعلى كتف الأخرى اسم نفتيس ، وهما تتناوحان وتنشدان المراثى

وفى التاسع عشر من شهر هاتور ، تبدأ الحفلة الليلية على البركة الملحقة بالمعبد . فتعثر ايزيس فى حفاف البركة على جسد زوجها ، فيدفن فى ارباضها باحتفال مهيب ، ثم ينبرى حورس ابن الاله ليثأر له من قاتله ، وتنشب معركة بحرية بين الفريقين تدور فيها الدائرة على القتلة أعداء أبيه . وفى النهاية ترد الى أوزيريس القوة والعافية بفضل الطقوس السحرية ، ويعود اوزيريس عودة الظافر الى المعبد بين التهاليل والاغانى والرقص ومعالم الأفراح

ولقد أجاد بعض أصحاب الخيال من علماء الآثار المصرية وصف هذه المهرجانات التمثيلية ، وأجملها في الحفلة الليلية على البركة المقدسة ، مستعيناً فى تصوير دقائقها وتلوين مناظرها بمعارفه التاريخية

فترى المعبد في جنح الليل يضيئه مالا يحصى من المصابيح المسرجة ، وتتوهج النيران على أبراج أبوابه وعلى أسواره وسقف حرمه ، وتتقد المشاعل بين الصفوف المتقابلة من تماثيل أبي الهول الرابضة على جانبي الأبواب العدة المؤدية الى البناء الأعظم ، وتخفق الاعلام والبيارق على هذا المشهد المتلألىء ، وتنتظم في ارجائه أكاليل الزهر ، وتملأ جوه موسيقى شجية النغم ،

وهنا تتراءى للاعمدة المنقوشة والجدران المغشاة بالتهاويل حياة مشبوبة تحت الاضواء والنيران . وتلقى المسلات وتماثيل أبي الهول على بلاط الارض الممرد ظلالا غريبة الاشباح

وفيما يلي المعبد تنعكس أنوار ملونة على بركة صافية رائقة ، تحيط بها خمائل شجر رائعة ومنابت ريحان بهيج . وعلى صفحة هذه البركة المقدسة تجرى زوارق ذهبية فيها جوار حسان وولدان وسام ، في ثياب ناصعة البياض ، يرتلون أعذب الألحان . والزوارق بغير ربان يجريها ، بل تنساب وحدها على الماء الساجي كأنما تنساب بفعل السحر . وفي وسط هذه الزوارق سفينة عظيمة فخمة تلتمع بما عليها من حلي وجوهر . وعند سكانها - أي دفتها - فتى وسيم يلوح أنه يتولى توجيهها ، ولكن العجيب في الأمر أن السكان الذى يحركه لم يكن إلا زهرة بشنين بيضاء لا تكاد غلائلها الرقيقة تمس الماء . وفي وسط السفينة امرأة حسناء في حلة ملكية ، متكئة على وسائد حريرية ، والى جانبها يجلس رجل طويل فارع ، وعلى هامته تاج عظيم ، وشعره المرسل مزدان بالأكاليل ، وعلى منكبيه لفاع من جلد النمور ، وفي يده قضيب معقوف . وفي مؤخرة السفينة تحت سقيفة من الورد واللبلاب وزهر البشنين تقوم بقرة ناصعة البياض كالثلج لها قرون ذهبية وعلى ظهرها مطرف أرجواني . أما الرجل فهو أوزيريس ، والمرأة ايزيس ، والفتى القائم على السكان حورس سليل الزوجين الالهيين ، وأما البقرة فهي الدابة المقدسة المنذورة للربة

وتنساب الزوارق تجوز بالسفينة العظيمة ، ولا تكاد تدنو من الآلهة حتى ترتفع عقائر الجوارى الحسان بالتهاليل وأغاني الفرح ، فتمطرهن الآلهة وابلا من الثمار والأزهار

واذا بالرعد يدوى وتتعالى جلجلته حتى تصير زمجرة منكرة مرعبة ، واذا برجل شنيع الهيئة ، متشح بفروة خنزير وحشي ، ومحيط بوجهه الشتيم شعر أحمر أشعث ، يبرز من دغل ، ويقفز في البركة مقتحما غمارها الى السفينة ومعه سبعون رجلا على شاكلته

فتجفل الزوارق وتولى الأدبار أسرع من الريح . وينتفض الفتى القائم على سكان السفينة ، وتهوى من يده زهرة البشنين . وفي مثل لمح الخاطر يهجم ذلك الوحش المخيف على أوزيريس ويذبحه بمساعدة أعوانه ويطرح الجسد في تابوت يطرحونه في الماء . ولا يلبث التابوت الطافي ان يغيب بمثل فعل السحر . وفي أثناء ذلك تولى ايزيس إلى الشاطىء مهدلة الشعر نائحة مولولة ، وتجوب ضفاف البركة ومعها الجوارى وقد برحن الزوارق مثلها . وتظل الجوارى باحثات عن رفات الميت ،

وهن يرقصن رقصاً عجيباً ويرددن ألحان الفجيعة والندب ملوحات بالطرح السود . ولا يقف الولدان من غير عمل ، بل يهيئون بين العجيج والرقص تابوتاً نفيساً للرفات الغائبة . وحينما يتم تجهيز التابوت يلحقون بجوارى ايزيس النوائح النوادب ، ويطوفون جميعا منشدين المراثى الفاجعة، باحثين حول ضفاف البركة

واذا بصوت رخيم يطرق الأسماع من مصدر غير منظور ، وهو ينشد نشيداً يتعالى كما مضى فى الانشاد ، مبشراً بان جسد الاله قد احتمله عباب البحر المتوسط الى بيبلوس فى بلاد فينيقية النائية. فلا تكاد ايزيس تسمع البشرى حتى تطرح عنها ثياب الحداد ، وتنطلق تنشد ووصائفها الحسان أغنية الاستبشار والحبور

ويصح النبأ ، وتهتدى الربة الى الناووس وفيه رفات زوجها عند الطرف الشمالى للبركة . فينزلونه الى البر ، والجوارى يرقصن رقصة فرح وابتهاج . وترتمى ايزيس على الرفات العزيزة وهى تدعو أوزيريس باسمه الالهى ، وتغمر مومياءه بالقبل ، بينما يهيء الولدان ضريحاً بديعاً من زهر البشنين واللبلاب . وبعد ان يغيبوا الناووس فى ضريحه المزهر ، تغادر ايزيس هذه البقعة الحزينة ، باحثة عن ولدها . فتهتدى اليه فى الطرف الشرقي للبركة قائماً وضاح الجبين رائع الحسن قد بلغ أشده وهو يرتاض على النزال فى وسط هالة من لداته

وبينما الام مبتهجة بمرأى ولدها الجميل ، يطرق الأسماع مرة أخرى ، قصف الرعد مؤذنا مرة أخرى بمطلع « ست » البغيض ، ويهجم الوحش هجمته المنكرة على الضريح المزهر ، وينتزع قتيله من ناووسه ويمزق المومياء إربا تبلغ الأربعة عشر عدداً ، ويبعثرها كل مبعثر بين هزيم الرعد ونفخات البوق فى شطآن البركة

وتعود ايزيس ، فاذا شارفت الضريح لم تجد الا زهراً ذاويا وناووساً خاوياً . غير انه على ضفاف البركة مطارح متفرقة تبلغ الأربعة عشر عدداً ، تشب منها نيران ساطعة ذات ألوان عجيبة . فتهرع الربة الثاكلة الى هذه الشعل المشبوبة . بينما ينتظم الشباب حول حورس فيمضى على رأسهم لمقاتلة « ست » على الضفة الاخرى

ويا له من مشهد مزدوج يحار المرء الى أي وجهتيه ينصرف بسمعه وبصره وكلتاهما شائقة رائعة . فهنا معركة هائلة تحتدم بين قصفات الرعد المجلجل ونفخات الابواق العالية مما يذهل الحواس وتتعلق له الانفاس

وهناك أصوات نساء رخيمة ، ورقص عبقري مصحوب بأغان ساحرة ، وذلك بأنه إلى جانب كل شعلة من النيران المتفرقة الساطعة ، تجد ايزيس فلذة من رفات زوجها ، فهى تحتفل بها احتفال الافراح . وناهيك بحركات الجوارى خوالب للانظار سوالب للالباب ، فهن تارة محتشدات فى رقصهن كأشد ما يكون الاختلاط والهرج ، وهن تارة منتظمات فى صفوف مستوية يحاذى بعضها

بعضاً . وسرعان ما يعدن فى كل مرة إلى ما كن فيه ، فى كل طرفة عين يداولن بين اختلاط جديد وانتظام جديد . وفوق ذلك تنبعث من صفوفهن المتحركة المتحلقة في دوار لا يستقر على قرار ، أشعة زرقاء متوازية متقاطعة تخطف الابصار ، منعكسة من مرايا مثبتة بين منكبي كل راقصة فهى تضاعف الشعاع فى سكناتهن وتلمع كالبروق فى حركاتهن

ولا تكاد ايزيس يجتمع لها من أوزيريس أشلاؤه جميعاً إلا واحداً ، حتى تدوى نفخة الابواق وتتعالى الاناشيد مؤذنة بالنصر المبين على الضفة الاخرى من البركة

لقد انتصر حورس على ست . وها هو ذا يقتحم طريقه إلى الباب المفتوح الذى تحرسه عجلة البحر المفترسة ، والذى يؤدى إلى العالم السفلى فى غربى البركة . . . انه ماض ليخلص أباه

وتتسلسل فى المسامع الصاغية المشوقة أنغام عذبة من عود ومزمار ، وتأخذ الانغام فى العلو والدنو ، وتتصاعد سحائب من البخور الفاغم العطر ، وينتشر على الدغل ضياء وردى يزداد سطوعا على سطوع . ويخرج أوزيريس من باب العالم السفلى المفتوح له على مصراعيه وقد أخذ بيده ولده حورس . فتخف ايزيس الفرحى إلى ذراعى زوجها الناجى القائم من بين الموتى ، ثم تناول ولدها الجيل حورس زهرة بشنين بدلا من حسامه ، وتنثر الازهار والثمار ذات اليمين وذات اليسار ، بينا يتبوأ أوزيريس متبوأه تحت قبة ملكية مكللة باللبلاب ، يتلق الولاء والطاعة من جميع من على الارض وتحت الثرى

ونحن نرجو ان ينتبه القراء معنا من هذا الحلم الجيل ، لنقرأ وإياهم ما كشفت عنه احدى بعثات التنقيب أخيراً ، ونقله الينا العلامة المسيو دريوتون ، من نقوش على حجر فى ادفو مكتوبة على لسان من يدعى « امحب » . وهو كما يتضح من الكتابة خادم لممثل من الجوالة ، حيث يقول : « لقد صحبت أستاذى فى جولاته ، ولم أقصر فى الالقاء . وكنت عند كل خطاب لأستاذى أتولى الجواب . فاذا كان الاله ، كنت الملك . واذا كان الميت كنت المحيي » . فلم يكن التمثيل ـ إذن ـ مقصوراً على المعابد كما زعم الزاعمون حتى عهدنا الحاضر ، بل كان شائعاً شيوعه فى أيامنا هذه ، وكانت الفرق الجوالة تعرضه فى طول البلاد وعرضها ، وفي ريفها وحضرها ، فى الاسواق وفى أيام الاعياد . بيد أنه مهما قيل من ازدياد مخامرة العواطف البشرية لما كان يجرى فيه من حوار ، وينشد من غناء ، ويتخذ من مواقف ، فان موضوعاته ظلت طول المدى دائرة على الآلهة ، متوخية الهداية لها وتقوية الايمان بها

فالتمثيل عند أجدادنا الاقدمين لم يبرح ـ حتى بعد شيوعه ـ حجر الدين ، ولم يكن قط عبث شهوة للعابثين وملهاة فراغ للاهين

عبد الرحمن صدقى

اللغة العربية أغنى من الفرنسية

بقلم الاستاذ حسن الشريف

اللغة العربية أغنى من اللغة الفرنسية ، بل هي أغنى فى قوة تعبيرها وكثرة ألفاظها من سائر اللغات الاخرى . وقد قارن الكاتب هنا بينها وبين اللغة الفرنسية فى هذا الموضوع

لغتنا العربيـة ، برغم ماينقصها اليوم من كلمات تعبر عن مصطلحات الفلسفة والعـلوم ، ومستحدثات الصناعة والفنون ، لغة غنية كريمة ، طيعة مرنة ، لا تعوزها كلمة تعبر عن أى شيء مما يتصوره الانسان فى الحقيقة والخيال ، ولا تقصر عن تأدية أى معنى من المعانى التى يوحى بها الفكر والعواطف والحواس ، فما من هاجسة من هواجس القلب ، أو خاطرة من خطرات العقل ، أو عاطفة من عواطف النفس ، أو صورة من صور الطبيعة والحياة ، إلا لها فى اللغة العربية الكلمة المقابلة المطابقة الموافقة ، التى تنقلها الى المخاطب نقلا صحيحاً أميناً دقيقاً ، لا لبس فيه ولا ابهام

لا ، بل ان العربية كثيراً ما تقدم اليك الشيء الواحد فى عدة كلمات تحسبها مترادفة وما هى بالمترادفة ، إذ كل واحدة منها تصور لك لونا أو نوعا أو درجة أو حالة من ذلك الشيء نفسه

فالظمأ ، والصدي ، والأوام والهيام ، كلمات تدل على العطش الا أن كلا منها يصور درجة من درجاته . فأنت تعطش اذا أحسست حاجة الى الماء ، ثم يشتد بك العطش فتظمأ ، ويشتد بك الظمأ فتصدى ، ويشتد بك الصدى فتؤوم ، ويشتد بك الأوام فتهيم . واذا قلت ان فلانا عطشان فقد أردت انه فى حاجة الى جرعات من الماء لا يضيره أن تبطيء عليه . أما اذا قلت انه هائم فقد علم السامع ان الظمأ برح به حتى كاد يقتله

والعشق ، والغرام ، والولع ، والوله ، والتيم ، صور من الحب ، أو درجات متفاوتة منه ، تبين حالاته المختلفة فى نفوس المحبين . فليس كل محب مغرما ولا كل مغرم مولهاً ولا كل موله متيما

هذه الوفرة فى الكلمات للتعبير عن الشيء الواحد فى متفاوت صوره وحالاته ، قلما تجدها فى لغة أخرى ، واذا صادفتها فى احداها فلا يمكن أن يكون بمثل هذه الفيضوضة العربية التى تغنينا بكلمة واحدة عن عبارة مطولة نحدد بها المعنى المقصود ، وتجعلنا نقول عن المشرف على الموت

عطشاً انه « هائم » ، حين لا يستطيع الفرنسى أن يؤدى هذا المعنى الا فى ثلاث كلمات إذ يقول : « Mourant de soif » أى « مائت من الظمأ » أو فى سبع كلمات ليكون المعنى أوضح ، فيقول : Sur le point de mourir de soif أى « على وشك أن يموت من الظمأ »

على أن العيب في قصور لغتنا عن تقديم الكلمات التى تعبر عن مصطلحات الفلسفة والصناعات والفنون ، ليس عيب اللغة نفسها وانما هو عيب أصحابها الذين وقفوا بها حيث تركها الأولون ، فلم يماشوا المدنية الجديدة فى نواحي نشاطها ، ولم يسايروا التفكير الحديث فى سبل نموه وترقيه . وهو على كل حال عيب مؤقت لا يمكن أن يبقى الا ريثما تتحرر اللغة العربية من النزعة الجامدة الرجعية التى تتحكم فيها الآن ، والتى تريدها عربية خالصة ، نقية من كل أجنبى ودخيل . وعندئذ تفتح أبواب التعريب والاقتراض ، فتستكمل اللغة العربية ما ينقصها ، وتصبح بحق أغنى اللغات

ان اللغة التى تدعى أنها تستغنى بنفسها عن الاقتراض من اللغات الأخرى لم تخلق بعد ، وليس فى استطاعة هيئة من الهيئات ، ولا أمة من الأمم أن تخلقها . ومهما يكن من غنى اللغة العربية وسعتها فلا مناص لها من الخضوع لذلك القانون العام . ولسوف يتضح لأشياخنا الذين يزعمون امكان الاستغناء بالنحت والاشتقاق عن الاقتراض والتعريب أنهم يحاولون محالا وأن أكفهم الضعيفة لن تقوى على صد تيار التجديد الذى يقضى بتطعيم اللغة العربية بمفردات أجنبية فى مواد العلوم والصناعات والفنون . فمن العبث المطلق أن يحاول بعضهم التعبير عن « الراديو » بالمذياع ، وعن «التليفون» بالارزيز ، وعن «الترام» بالجماز، فى ذلك ارهاق للأذهان لاتستوجبه الضرورة وبعث أو خلق للغة جديدة لاتستسيغه طبيعة العصر

لقد كان العرب أقدر منا على النحت والاشتقاق ، وكان فى وسعهم أن يخلقوا كلمة يعبرون بها عن الآلة التى تعين مواقع الكواكب فى الفضاء ، ولكنهم اقترضوا من اليونانية كلمة « الاصطرلاب Astrolabe » وعربوها فاندمجت فى لغتهم وصارت منها . ومثل الاصطرلاب الهندسة والكيمياء والبنج والكحول والترياق والقانون والانبيق والأسورة والمنجنيق والسندس والسروال والدمقس والديباج والاستبرق والابريق والصنجة والنموذج والبرنامج والدرهم والدينار وآلاف غيرها من المفردات الأجنبية رضى بها العرب فعربوها حتى لقد ورد بعضها فى القرآن . فماذا علينا لو نحونا هذا النحو فى الاقتراض والتعريب ، وأطلقنا على مستحدثات الصناعات والعلوم والفنون أسماءها الأجنبية تقريباً للغات وتسهيلا للفهم واقتصاداً فى الوقت وخضوعاً للسنن القاهرة التى خضع لها الأولون ؟

فنقص العربية اذن نقص هين يستطاع تداركه فى أى وقت متى صحت العزائم وصلحت العقول ، ولكن تعال نوازن بين هذا النقص المؤقت الطارىء ، وذلك النقص الأساسى الهائل الذى نشاهده فى لغة كاللغة الفرنسية ، يعتبرها أصحابها وغير أصحابها أغنى لغات الارض وأكملها

نعم تعال نوازن بين هذين التقصين لنري كيف ان اللغة الفرنسية تعجز عن أن تعبر بكلمة واحدة عن صفات وعواطف واحساسات خلقت مع الانسان ، وكيف أنها اذا أرادت التعبير عن بعض المعاني النفسية والاجتماعية والعملية ، أعوزتها الكلمة ولجأت للتعبير عنها الى صياغة الجمل والعبارات

ابحث في الفرنسية كلها عن كلمة تعبر بها عن ذلك الاحساس الطبيعي ، احساس السرور الذى تشعر به عند ماترى عدواً لك قد نزل به مصاب أو حلت به كارثة ، فنحن نسمى ذلك الاحساس « شماتة » ، أما الفرنسية فليس فيها ما يقابل هذه الكلمة ، ولذلك يضطر الفرنسي الى أن يقول :

Se réjouir du malheur de son ennemi اى : يسر بمصاب عدوه

واذا ذهبت الى هذا العدو لتظهر له شماتتك به ، فأنت تتشفى منه ، والفرنسية لا تعرف أيضا كلمة تعبر بها عن « التشفى » فتعمد الى الجملة المركبة وتقول :

« Manifester sa réjouissance du malheur de son ennemi » اى : يظهر سروره بمصاب عدوه

والفرنسى يعرف الندم « Repentir » ويعرف الكفارة « Pénitence » ولكنه لا يعرف « التوبة » كأن لم يخطر ببال فرنسى يوما أن يندم ويكفر ويتوب

و « المكابرة » و « المهاترة » اللتان يألفهما قراء الصحف الحزبية فى جميع البلاد لا يعرفهما الفرنسيون حتى إنك لتضيع وقتك فى البحث عن مقابل لهما فى لغتهم فلا تجده

وكأنى بأخلاقهم قد سمت على كل عيب حتى إن الواحد منهم لا يعير أخاه بمرض أو بعاهة أو بنقيصة ، ومن ثم فأنت لا تعثر فى الفرنسية بكلمة تؤدى معنى «التعيير» فاذا أراد أحدهم أن يقول لك : « لا تعيرنى بعاهتى » قال لك : « لاتأخذ على عاهتى» Ne me reprochez pas mon infirmité

وكذلك سمت أخلاقهم عن « المن » فلا يمن أحد منهم على أخيه بما قدم له من خدمات أو بما أسبغ عليه من نعم . والدليل على ذلك أنك لا تعرف كيف تقول «المن» بالفرنسية إلا اذا قلت : « التذكير بالفضل الذى أسلفته » Rappeler ses bienfaits à quelqu'un

والفرنسيون لا « يبخلون » على احد بشيء ، ولا « يضنون » على صديق بنصيحة ، وإلا فما سرخلو لغتهم من فعلى « بخل يبخل » و « ضن يضن » مع توافر المصادر لديهم ومنها Avarice و Lésinerie

ومن عجيب أمرهم أنهم يكذبون ولا يصدقون . عندهم الفعل الذى يعبر عن رذيلة الكذب Mentir ولكن ينقصهم الفعل الذى يعبر عن فضيلة الصدق ، فاذا أرادوا أن يقولوا « صدق يصدق » لم يجدوا فى لغتهم سوى هذا التعبير dire la vérité أى « قال الصدق »

وهم يعرفون الحسد Envie والغيرة Jalousie ولكنهم لا يعرفون الغبطة

وهم أيضاً يؤاخذون ، ويلومون ، ويعنفون ، ويؤنبون ، ولكنهم لا يعتبون و « العتب »

الذي يراد به في لغتنا اللوم مع الابقاء على المودة غير معروف عندهم فهم يقولون عنه « اللوم الودي « Reproche amical »

والفرنسي يرغب في خليلته أو يشتهيها « Il la désire » وقد تنقصه « Elle lui manque » ولكنه لا يشتاق اليها أبداً ، بدليل أن لغته خالية من كلة « الشوق »

وهو لا يرجح شيئاً على شيء لأن لغته جاءت خلوا من كلة « الترجيح » ، وقد يحتاج اليها فلا يجد أمامه إلا الميل الى الظن ، فيقول : Je suis enclin à croire أو : Je penche à croire

ومن سجاياه الكريمة أنه لا « ينقم » على أحد ، حتى إنه لا يعرف في لغته مقابلا لفعل « نقم ينقم » ولكنه عند الضرورة يضع جملة مطولة فيقول « انى أضمر له الحفيظة » Je lui garde rancune » أو « Je lui en veux »

ومن عجب انه يعرف الشرف l'honneur ولا يغار على « العرض » ، والا فما ترجمة كلمة العرض باللغة الفرنسية ؟

ورب الدار الفرنسي يحسن استقبال ضيوفه bien recevoir ويكون كريماً معهم être généreux ولكنه لا يكرمهم وإلا فدلني على كلمة بالفرنسية اترجم بها فعل أكرم في قولك : زرت فلاناً فأكرمني

والفرنسيون « عندهم جوع » و « عندهم عطش » ولكنهم لا يجوعون ولا يعطشون ولذلك يقولون J'ai soif و J'ai faim أما فعل جاع أو عطش في كلمة واحدة فلا يعرفونه

وهم لا يلفقون الدعاوى ولكنهم « يصنعونها من كل قطعة » fabriquer de toute pièce أما كلمة « التلفيق » فهم يجهلونها

ولعل من كثرة علمهم أنهم يعرفون الموازين les poids والمقاييس Mesures أما « المكاييل » فلم يسمعوا بها ، ولذلك تراهم يكيلون بينما يظنون أنهم يقيسون ، والا فما معنى استعمالهم كلمة Mesures بمعنى المكاييل ، وهي المقاييس ؟

***

تلك كلمات تحضرني الآن ، ولا اجد ما يقابلها في اللغة الفرنسية الا جملا مطولة وعبارات مركبة كما رأيت . ولو انى اطلت التفكير وأحسنت البحث لعثرت بكثير غيرها . ولكن حسبي هذا القدر لأبين أن هذا النقص يمس جوهر اللغة الفرنسية وأساسها ، ويجعلها عاجزة عن أن تعبر عن بعض ما يخالج القلوب من العواطف وعن بعض ما تحسه النفس من الاحاسيس ، حين تستطيع اللغة العربية ان تفيض عليك من مفرداتها ومترادفاتها في هذه الأبواب ، ما يدعك في حيرة لا تدرى أية تأخذ وأية تدع

حسن الشريف

كتاب الشهر

نعمة الحب

للباحث الاخلاق ريمون فوتييه

أراد المؤلف بهذا الكتاب الممتع البحث فى حقيقة عاطفة الحب ونشوئها وتطورها، وتحليل الاثر الطيب الذى تحدثه فى النفس والمجتمع . والكتاب فى مجموعه تمجيد لعاطفة الحب ، باعتبارها نعمة روحية ، تصدر عنها طائفة من الفضائل الانسانية النادرة

الحب عاطفة شاذة معقدة يشترك فى تكوينها القلب والعقل والخيال . وهى أشبه بمرض مقدس قد لا تصاب به أبداً وقد تنفصك الساعة فتقع فريسة له . ومن الناس من يقضى حياة طويلة ثم يموت دون أن يحس عاطفة الحب . ومن الناس من يفكر ويشعر ويحيا ويموت فى سبيل الحب

فالحب وليد المزاج ، وأصحاب الأمزجة العصبية والمخيلات الملتهبة هم أضعف الناس أمامه ، وأشدهم كلفاً به ، أما أصحاب الامزجة الدموية فينظرون اليه نظرة مادية ، ويتهافتون عليه كما يتهافت الشره على مائدة حافلة بكل ما لذ وطاب

وكلما كان الانسان فقير العقل متبلد الذهن ، محدود أفق الخيال ، ساذجاً ، بدائياً ، موفور قوى البدن ، كان أقرب الى الفطرة في حبه ، وأوثق صلة بالغريزة ، وأسرع الى الارتواء ، وأدنى الى اعتبار الحب علاقة جثمانية تستقر في محيط الزواج . وكلما كان مثقف العقل مستنير الفكر واسع أفق الخيال ، أنهكت الحضارة أعصابه ، وأضعفت بدنه ، كان اكثر استعداداً للحب العاطفى ، وأدنى الى اعتباره علاقة فكرية روحية ، تؤلف بين قلبين ، وتجمع بين نفسين ، وتستقر فى محيط معنوى أرحب من محيط الزواج

والواقع ، أن هذا الحب العاطفى الذى يسمو بالغريزة ، ويصقل الفطرة ، ويلطف من حدة الشهوات ، ويرقى الى عالم التفاهم الفكرى المشترك ، وينمو غالباً فى نفس الفرد المثقف المتحضر ، هذا الحب لا يصدر عن الاحساس فقط ، بل عن القلب الشاعر ، والعقل المفكر ، والخيال الجامح المتأمل ، فى وقت واحد

وهذا ما سنحاول شرحه وتقريبه الى افهام القراء

لماذا يحب الانسان

الانسان متى أحب ، لا يحب شخصاً معيناً لما فيه من ملاحة أو جاذبية أو سحر عقل أو جسد ، بل هو يحب فى معشوقه اقتران صورته بصورة أحبها من قبل ، أو بلون أهاجه وفتنه فى الماضى ، أو بمنظر جميل ، أو بحادث رائع كان له أثر عميق في حياته

فأنت تحب امرأة لأن أسلوب حديثها أو طابع فكاهتها أو روح شخصها ، يذكرك بجو من المرح النسوى عشت فيه منذ أعوام ، وسعدت به ثم أفلت منك وخلفك حزيناً متجهماً ضجراً

وأنت تحب امرأة لأن ضحكتها تشبه ضحكة عزيزة أخرى ، كانت تنطلق من صدر فتاة عرفتها مثلا فى حداثتك وأعجبت بها ، أو لأن مجموع الاحلام والخيالات التى احتشدت فى عقلك منذ الصبا ، وجدتها فيها ، أو خيل اليك انها قد تستجيب لها ، أو أحسست ان هناك شبهاً بين أحلامها وأحلامك ، وخيالاتها وخيالاتك ، وماضيها وماضيك

فالماضى هو الذى يتحكم فينا عند ما نحب ، أو هو الذكريات البعيدة التى أقصاها الزمن فى عقلنا الباطن ، والتى سعدنا بها يوما ، والتى لا تتحرك وتجيش وتطفر إلى الخارج الا عندما نصادف امرأة فيها بعض ألوانها ومؤثراتها ، وما امتازت به من فتنة الماضى وحلاوة الذكرى

فكأن الانسان والحالة هذه لا يحب إلا ليبعث ماضيه الجميل من جوف الزمن ، ويجدد أروع ساعات حياته ، ويرتد الى عهد الطفولة ، ويضفى من ذكرياته الغالية حلة من الخيال الشعرى الخالص على الشخص الذى يحب ، ومتى استنهض الخيال ميت الماضى ، وأحيا قديم الذكريات ، نبض القلب واستفاقت العاطفة . ومتى استفاقت العاطفة حركت العقل الهامد ، واستعانت بقوى التفكير والتأمل على إلهاب الذكريات وإلهاب الخيال ، مما يؤدى الى إلهاب العاطفة نفسها

ولذا فالحب العاطفى المبرح العميق ، لا يمكن أن ينمو فى قلب انسان ضعيف الفكر محدود الخيال ، إذ الخيال المشبوب والفكر المتقد هما فى الواقع حوافز الحب الاولى ، وقواه التي يستمد منها الحياة والنماء

عناصر الحب

وليست العبرة فى أن تكون عبقرى الفكر عبقري الخيال كى تصبح أوفر استعداداً لعاطفة الحب ، بل العبرة فى أن يكون ذهنك بطبيعته فواراً نشطاً متفتحاً للتفكير ، وخيالك متسعاً جامحاً قابلا لتجسيم الصور والألوان

على ان ضعيف الفكر والخيال قد يحب ، وقد يذهب فى حبه الى حد الجنون ، غير أن هذا الضرب من الحب ، يصدر فى الغالب عن الجاذبية الجنسية المجردة ، ولا يشتد ويقوى فى نفس المحب

الا متى حالت الظروف بينه وبين اشباع ميله الجنسى ، أو متى سلبته الشخص الذى يجد فيه متعته البدنية . ومن الناس من هم ضعاف العقول أقوياء المخيلة ، وهؤلاء يقاسون فى الحب عذاب الشهداء ، لأن خيالهم النارى لا ينفك يستبد بهم ويعكر صفوهم ويشوه فى أبصارهم معالم الأشياء ، ويملأ حياتهم بالوساوس ، ويبتليهم بداء الغيرة ، ويباعد بينهم وبين الواقع ، ويحرمهم لذة التمتع بالحب العاطفى الشعرى الذى يبدعه الخيال ، ولكن مقترنا بما فى الفكر المتوثب من خصائص تهذب الغريزة ، وتلطف من حدة الشهوات

واذن فحرارة القلب وتوثب الذهن واتقاد الخيال ، هى العناصر التى يتألف منها الحب العاطفى ، وهى تؤثر ولا ريب فى البدن ، وتغرى المحب بامتلاك حبيبه ، ولكنها قد تكره البدن أيضاً ، وقد تبغض صلة الجسد ، وقد تكافح رغبة الحيوان ، وقد تسمو فى لحظة من اللحظات إلى عالم يفيض بالنور والطهر ، ويندمج فيه الضمير الانسانى بضمير الله !

وتلك هى صوفية الحب ، بل تلك هى معجزة الحياة

المحب اكثر الناس حرية

يزعم أناس أن الحب كارثة نفسية عظيمة ، ومظهر من مظاهر الضعف الخلقى الشائن ، ورغبة منكرة مرذولة فى احراز لذة سلبية تفقد المحب حريته وتحيله عبداً لمحبوبته ، وقد تجرده من كل كرامة ، وكل شمم وكل إباء

وهذا الزعم ولا ريب صحيح ، ولكن فى الظاهر فقط . فالمحب ولا شك يعيش من أجل شخص واحد ، ولا يجد السعادة إلا فى شخص واحد ، ولا يحس الهناء والبهجة إلا من خلال وجه واحد ، يودع العالم وينصرف اليه ، كأنما روعة الدنيا قد جمعت فيه

ولا شك أيضاً فى أن المحب يبيع حريته ، وينزل فى بعض الأحيان مختاراً عن كرامته ، ويستمرىء لذة العبودية والضعف فى سبيل عين ساحرة ، أو قامة ممشوقة ، أو جبهة ساطعة ، أو حديث عذب ، أو روح مجنح ، فان المظهر شائق المخبر عميق التأثير

كل هذا ضرب من الضعف والبلادة والخمول فى نظر الفرد العادى ، ولكن الحقيقة التى تشهد بها الحياة تنقض هذا الزعم من أساسه . فالمحب لا يستضعف إلا ليمتلك ، ولا يتراجع إلا ليثب ، ولا يحتمل الذل إلا ليثأر ، ولا يلين إلا ليشتد ويتفوق ويسيطر

فهو ارادة تأبى إلا أن تهزم إرادة ، وهو عصب يأبى إلا أن يتمكن من عصب ، وهو قوة عاتية جبارة تأبى إلا أن تسود وتتحكم . فالمحب يعيش فى كفاح مطرد ، فى كفاح غير منظور ، ولكن أسلوبه فى الكفاح هو المقاومة السلبية ، ولهذا السبب ننتقص من قدره ، ولا نعترف بقوته ، ونتهمه بالضعف فى حين أنه أقوى الأقوياء

فذلك لأنى أحرص على هذه الحرية الغالية التى أغدقتها على ، حرية الاستمتاع التأملى بما يحيط بى من روائع ، دون ما اكتراث للشقاء الذى تغمرنى به الحياة

« فأنا قوى على الدهر بها ، وما دمت أراها ، فأنا الرجل الحر السعيد ! . . »

الحب يلهب الرجولة

قد يذل الحب أعناق أبطاله ، ولكنهم متى انتهوا بالنصر استردوا بطولتهم ، وصدرت عنهم أعظم فضائل الرجولة

فالمرأة التى نحب مثلا قد تتجنى علينا ، وتعرض عنا ، وتسخر منا ، وتسومنا الخسف والهوان ولكننا لو صبرنا وكافحنا ، وأغضينا الطرف عن القذى واحتملنا العذاب ، ثم فزنا آخر الامر بتلك المخلوقة النادرة التى أذلتنا ، فمما لا يقبل الريب أن هذا النصر لا يرد الينا كبرياءنا فقط ، بل يضاعف ثقتنا بأنفسنا ، ويلهب فينا خصائص الرجولة ، ويدفعنا للقيام بعظائم الاعمال

فاذا كنا فقراء ، هزأنا بالجوع وتحدينا القدر

واذا كنا أغنياء ، افتنت عقولنا فى البحث عن أشق السبل لاحراز أكبر ثروة

واذا كنا بلداء ، تفتقت أذهاننا ودبت فيها الحياة ، واضطرمت شعلة الفكر

واذا كنا كسالى ، سرى الدم الحار فى عروقنا ، وأقبلنا على العمل بعزم الجبابرة

والواقع ان المحب الواله الذى قاسى الشدائد فى سبيل التفوق على محبوبه والفوز به ، لا يتصور لحظة واحدة ان فى العالم جهوداً يمكن أن تكون أشق من هذا الجهد ، ولذا فهو لا يكاد ينتصر حتى تأخذه النشوة ، فيقتحم الأخطار ، ويركب الصعب من الأمور ، ويلتذ الجرأة والمغامرة ، مستهيناً بالعقبات ، مستخفاً بها ، شاعراً أبلغ شعور وأوفره بأنه رجل ، وبأن فى وسع رجولته امتلاك الدنيا ما دامت قد امتلكت حبيبه الذى يمثل فى نظره أروع القوى فى هذه الدنيا ! . .

فالعاشق ينشد النصر على معشوقه أولا ، ثم تهتاج كبرياؤه فتنشد النصر على الحياة

وغاية النصر على الحياة هى الظفر بالمال أو المجد . ومتى أحرز العاشق المال أو اكتسب المجد ، ألقى به عند قدمى معشوقه ، مؤكداً رجولته ، مباهياً بنصره الجديد . وهكذا يرضى قانون الحب وقانون الحياة ، ويقدم قربان العمل لهيكل الحب وهيكل الحياة

وأبلغ الأدلة على ذلك نجده فى حياة العظماء ، فالقصصى « جوستاف فلوبير » ظل يشتغل أكثر من عشر ساعات فى اليوم مدى أربعة أشهر ليصلح ويعدل فى قصة أراد ان تفوز باعجاب حبيبته الأديبة لويز كوليه . والشاعر « ارتور رامبو » نظم أبدع قصائده بوحى من فتاة كان يحبها ، وكان يعتقد انه كلما أبدع فى شعره زادها حباً له وهياما به . والعالم الرياضى « هنرى بوانكاريه » كان يجاهد فى صباه ليهتدى الى نظرية علمية جديدة تكلله بالمجد وتضاعف اعتزاز معشوقته به

فالقصة التى وضعها فلوبير ، والشعر الذى نظمه رامبو ، والتجارب العلمية التى قام بها وانكاريه، كل هذه الأعمال الجليلة أوحى بها القلب ، ونهضت بها الرجولة ، وألهبها الحب ، فأفاد منها الحب وأفادت منها الحياة !

العاشق ينسى الموت

كل من يحب يفقد الاحساس بالفناء ، وينسى وجود الموت ، ويتجه ببصره صوب الخلود بل يؤمن فى ذات نفسه ايماناً خفياً غريباً بأنه قد خلد حقاً وأن فردوسه أصبح على هذه الأرض. والسر فى ذلك أن سكرة الحب الأولى تشبه سكرة الموت ، فاذا ما استفاق الانسان منها وكان فى حبه موفقاً سعيداً ، أحس كأنما قد بعث الى عالم سحرى لا يمت بصلة الى عالم الواقع

فالمحب كالمؤمن سواء بسواء

وكما يعتقد المؤمن الصادق أن الموت يعقبه البعث ، كذلك يشعر المحب الصادق بأن غمرة الحب موت يذهب بعالم السكون ، ثم يحييها ويجددها فى بعث لا يتطلب فصل الجسد عن الروح

لهذا السبب يمرح المحبون السعداء فى هذه الدنيا كأنما هي قد خلقت لهم ، وكأنما هي متاعهم الخاص ، وكأن لا فقر فيها ولا جوع ولا مرض ولا موت

ولهذا السبب نحن نزدريهم ، ونتبرم بهم ، ونزعم أننا أكبر عقولا منهم وأوسع مدارك وافهاما، فى حين اننا نحسدهم ، ونتمنى لو نصبح مثلهم مخلوقات أثيرية مجنحة ، ارتدت الى عهد الطفولة وتحللت من قيود العرف ، وسخرت من الأقدار ، وبسطت سلطانها الروحى على الحياة

نحن نحسدهم ، ونعجب لهم كيف ينسون الموت ، ثم نشمت بهم ساعة اصطدامهم بالواقع ووقوفهم على حقيقة الموت

نشمت بهم كأن الموت يخيفهم أو يضعف من قوى حبهم أو يستل من صدورهم نزعة الخلود !

نشمت بهم ونحن نجهل أن الحب أقوى من الموت ، وأن المحب لفرط احساسه بامتلاك دناغير هذه الدنيا ، لايستطيع أن يتصور أن مجرد فناء الجسد يمكن ان يباعد بينه وبين الحياة الخالدة فى دنياه

وهذا ما يفسر لنا تعلق العشاق بالدين ، وشدة ايمانهم بالله والعالم الآخر ، ذلك الايمان الذى يوثق روابط قلوبهم ، ويعد فى اجل سعادتهم ، ويطمئنهم إلى مصير حبهم ، ويقرن عاطفة الانسان العابرة ، بفكرة الأزل ، المتمثلة فى عمق الايمان بالله !

وإذن فالحب مرض ، ولكنه مرض مقدس . وهو بآلامه وعذاباته ، وأفراحه ، نعمة فى ثوب نقمة ، وآيات هذه النعمة تبدو كما أسلفنا فى نشاط قلب المحب وعقله وخياله ، وفى اشتداد احساسه بالحرية ، وفى اتقاد خصائص رجولته ، وفى قدرته الخارقة على تمجيد الحياة بسحق الموت ، والتطلع أبداً الى دنيا الخلود !

رجال الفن

يدينون بأعظم إنتاجهم إلى الأحزان

بقلم الاستاذ فخرى أبو السعود

أغلب الآثار العظيمة فى آداب الأمم ، وأحبها الى النفوس وأسيرها ذكراً ، متسمة بالشجن ممتزجة بالدموع . فمآسى اليونان القديمة ، ومآسي شكسبير وراسين وكورنى ، أشهر من أن تذكر والملحمة التى هى من أشرف أغراض القول متسمة بالحزن والألم عادة . وأحب أشعار شكسبير وملتون ووردزورث وشلى وكيتس وتنيسون إلى النفوس ، هى قصائدهم الحزينة فى النسيب ، أو مناجاة الأطيار ، أو التأمل فى الآثار ، أو التدبر لمظاهر الطبيعة وسنن الحياة

والجانب الأعظم من روائع الادب العربى متسم بالحزن ، مقول فى أليم المواقف أو مشجى الحوادث . فهناك مثلا مرثية المعرى الدالية ، ومراثى ابن الرومى لأبنائه ، ومرثيته فى أبى الحسين يحيى العلوى ، ومراثى البحترى فى المتوكل ، وسينيته فى إيوان كسرى ، ونونية ابن الرومى فى النسيب المتوجع المحترق ، ووجدانيات الشريف الرضى المملوءة بالأسى الدفين ، وأشعار الطموح الممزوج بالنقمة والكآبة فى ديوان المتنبى

ومن النقاد المحدثين من يعيبون على الشعراء طول هذا البكاء ، والاستنامة الى هذا الضعف ، ويطالبونهم بشعر قوى يبعث القوة فى نفوس الخلق فى هذا العصر ، عصر الكفاح المحتدم ، ولا شك فى أن نقمة أولئك النقاد أشد على المتشائمين ، أمثال أبى العلاء المعرى فى العربية ، وتوماس هاردى فى الانجليزية ، الذين هم أشد سخطاً على العالم من غيرهم ، والذين تكتسى آثارهم الأدبية بمسحة قاتمة ، لا يكاد ينفذ اليها بصيص من نور الأمل أو الطرب ، وقد يعسر عليك حقاً أن تجد فى آثار هاردى على كثرة ما نظم وما نثر موضعاً لمسرة أو معرضاً لفكاهة

وترجع تلك المسحة الكئيبة التي تصبغ آثار كثير من الادباء - وان لم يكونوا من المتشائمين - الى الطبيعة الانسانية ، التى يبدو أنها مفطورة على حب السعادة التامة المستمرة ، فهى إذا أصابها خير لم تفرح له كثيراً ولم تعده إلا أمراً طبيعياً ، فاذا نالها ضير أو ابتليت

بفقدان أو حرمت مأرباً ، تعاظمها خطبها ، ونقمت على هذا الكون الذي يحفل بأسباب السعادة ثم يحرمها قسطها منها ، فالانسان بطبعه طموح الى المثل الأعلى ، يتوقع الكمال ، فاذا أخطأه ، أهمه وأحزنه ما يرى في هذا الكون من مظاهر النقص وأسباب الشقاء

يتلقى الانسان النعمة كأنها أمر مسلم به وحق صادف أهله . أما أسباب الحزن من خيبة مسعى ، أو فقدان عزيز ، أو حرمان من لذة ، فذلك ما يحز في نفسه حزاً ، ويعده ظلماً أفدح الظلم . وشأن الانسان في مسلكه هذا حيال الطبيعة ، شأنه في مسلكه حيال أخيه الانسان ، فأنت قد تحسن الى الرجل مرة بعد مرة ، وتسعفه بحاجته حيناً بعد حين ، فلايقابل كرمك هذا بغير شكر سطحي موجز ، فاذا نالته باساءة هينة ، لا تعدل شيئاً قليلا من أياديك عنده ، تألم لها أشد الألم ، وتنكر لك ، وثار عليك ، والناس ينسون المعروف بسرعة ، وقل منهم من ينسى الاساءة مهما هانت

هكذا شأن الانسان مع أمه الطبيعة ، يتلقى إحسانها في سكون ، ويمرح في غبطته لاهياً ما دام صفو العيش حاضراً ، فاذا تنكر له الدهر ، اشتد جزعه ، واحتدم سخطه ، وهرع إلى الفن يبثه شكواه وينفث فيه بلواه ، فالشعر للشاعر انما هو نديم يريح نفسه المتألمة بالاصاخة الى شكواه . وإنما يلجأ الانسان إلى الأدب أكثر ما يلجأ في أوقات همه وعهود عسره وإدبار دهره ، بل لا يكاد يشغف بالفن ويتوفر على الشعر إلا امرؤ حزين النفس ، يشعر في دخيلة نفسه بأنه محروم مدى حياته نعمة ينعم بها الآخرون . ومن ثم كان العرب يعتقدون أن على صاحب الأدب ضريبة قاسية يؤديها للقدر الجائر من صحته أو ذات جسمه أو ذات روحه

وهل ترى أبا العلاء المعرى كان يترهب ذلك الترهب الفنى ، ويتبحر ذلك التبحر الفكرى ، لولا ما ابتلى به من نوائب أيأسته من دنياه ؟ ولعله لو كان صحيح الجسم ، مقبل الجد ، لأقبل على دنياه متملياً مستمرئاً في غبطة ونهم . وما يصدق على أبى العلاء في هذا الباب يصدق على غيره من الأدباء وإن كانوا أسعد منه حظاً وأقل منه محنة وشقاء

فالألم على ما يظهر أشد تغلغلا في النفس الانسانية من اللذة ، والألم إذا خالط النفس الانسانية أثار كمين ملكاتها ، وابتعث دفين همّاتها ، وخلق فيها قدرة عجيبة على الابتكار والتفنن . ومن ثم لا ترى الشاعر المجيد ينطق بروائع الحكم ، ويتهدى إلى صائب النظرات ، ويدلى بشائق الاوصاف ، إلا وهو مهتاج النفس ، متألم الوجدان ، يندب أملا أو يبكي غراماً أو يشيع عقيدة ، أو يرثى عزيزاً . ومن ثم تروعنا وتستهوينا قصائد شكسبير في السيدة

السمراء ، وليالى الفرد ديموسيه التى نظمها حنيناً إلى الكاتبة جورج صند ، ورباعيات عمر الخيام التى نظمها متحرقاً إلى الايمان ، متلهفاً وراء المثل الأعلى

والأديب لذلك يجيد وينتج أحسن آثاره فى أطوار خاصة من حياته ، هى التى ترين عليها مسحة من الكآبة ، وتظلها غمامة من الأسى ، حتى ولو لم ينظم فى وصف مشاعره ، ولم يتسم نظمه أو نثره بالكآبة ، فان معين الحزن الكائن فى باطن نفسه ، كفيل بتنشيط ذهنه وشحذ ملكاته ، وتوجيهه إلى صادق النظرات وملهم اللفتات ، ومن ثم يخرج الأديب أحسن آثاره فى عهد إبلاله من غرام عفا ، شأن ديموسيه السالف ذكره ، ولامرتين ، وغيرهما . أو عقب فقدانه حبيباً أو صديقا ، كما كان من أمر تنيسون ، إذ فقد أباه وصديقه ارثر هالام ، أو بعد إخفاق أمل كبير من آماله كما أخفق أمل وردزورث فى الثورة الفرنسية وضاع إيمانه فى الاصلاح السريع ، أو في عهد الغربة أو المنفى كما كان من أمر فكتور هوجو فى عهد نابليون الثالث ، أو من أمر البارودى فى سرنديب

وقد يبدو عجيبا أول وهلة أن أشعار الشباب تفيض لما وسخطا وتمرداً ، على أن الشباب لم يبتل بعد من أفعال الدهر وتقلب الأحداث ما يبتليه فى تالى الأيام ، ولكن لا عجب إذا تذكرنا أن الشباب هو عهد المطامح التى لا يتسع لها صدر هذه الحياة ، وعهد المثل العليا التى تصطدم بحقائق الحياة المتحجرة ، وتحطم على صخور الواقع المؤلم ، فلا غرو كانت حياة الشاب أحلاما جميلة ، يصحو منها بين حين وآخر فيرى نفسه فى حنادس الحياة المطبقة ، فيشتد عند استيقاظه صراخه ، ويتتابع فى النظم والنثر تمرده وسخطه وازوراره

إن آثار السعادة والحبور فى الآداب ، كثيرة معجبة ، ولكن آثار الحزن أكثر وأروع. والحزن هو التنور الذى أنضج نفوس عظماء الأدباء وفتح أعينهم على جلائل أحوال الكون وطباع الدنيا وبنيها ، ولا شك فى أن طول البكاء والشكوى والتألم مسئم ممجوج، إذا جاء ضعيفا مقرونا بالعجز والتواكل وتمنى الأمانى التى هى بضائع النوكى . هذا هو الحزن الممجوج فى الادب ، الممقوت فى الحياة . أما الحزن العظيم المقرون ببعيد المطامح وسامى النظرات ، الذى قوامه المثل الاعلى ، والذى يوقظ النفس من سباتها ويهزها من أعماقها ، وينفث فيها الهمم ويفجر فيها العواطف والمعانى ، فذلك حزن يقبل بالاجلال والعطف والاعجاب ، وذلك حزن من لم يعرفه لم يتمتع بحياته حق المتعة ، ولم يفهمها حق الفهم ، وذلك حزن ندين له بأعظم آثار الشعراء والفنانين

فخرى ابو السعود

يجب أن نحمى الحرية

ليزدهر انتاج الفكر

أية قيمة لفكر مغلول لا يستطيع التحفز والانطلاق . .

وأية قيمة لعقل مهدد لا يستطيع التفكير فى دعة وأمن ؟

من الظواهر الملحوظة فى الحياة الانجليزية ان الاوضاع الاجتماعية صارمة ، والاخلاق والعادات ثابتة متأصلة ، والتقاليد شديدة الوطأة على شخصية الفرد ، والنزعة الدينية الطهرية مستحوذة على عقول السواد الاعظم من الشعب . ومع ذلك ، وبالرغم من هذه الظواهر الرجعية التى تكتنف حياة الامة البريطانية ، فحرية الفكر مقدسة عندهم ، وحرية الكاتب فى التفكير والانتاج لاتنفك تبتكر وتبدع ، دون ما اصطدام بأية سلطة تعسفية ، تزعم لنفسها الحق فى حماية الاوضاع والتقاليد

فالفكر هناك يعيش بمعزل عن القواعد الوراثية التى ينهض عليها مجموع الامة ، وهو فى جهاده النزيه الحر ، وفى سعيه المطرد لبحث جميع المشكلات ، ودراسة مختلف المسائل ، من سياسية واجتماعية واقتصادية وفلسفية وجنسية ، يعمل شيئاً فشيئاً على ترقية المجتمع ، وتلطيف عاداته ، وتهذيب معتقداته ، وصقل تقاليده ، وتحريرها من جراثيم الرجعية بحيث تستطيع التمشى مع احتياجات الزمن وروح العصر

فاحترام التقاليد يقترن فى انجلترا باحترام الفكر الحر ، وهكذا تخدم الحرية الفكرية التقاليد بأن تجردها من شوائب الماضى ، وتوفق بينها وبين ارادة التطور ، وتخدم فى الوقت نفسه الانتاج العقلى بأن توسع آفاقه ، وتمكنه من النمو والازدهار ، فى جو دائم التجدد ، مفعم بالحركة والحياة

هذا فى انجلترا ، أما فى مصر فالامر على النقيض تماما . هناك التقاليد متحكمة ، ولكنها لا تطغى على حرية الفكر الحر ، وهنا التقاليد متحكمة ، ولكنها تأبى إلا أن تخنق الفكر الحر !

فدعاة التقاليد فى انجلترا لا يجورون على اختصاصات غيرهم ، ولا يحاولون اخضاع المفكرين لميولهم ونزعاتهم . أمادعاة التقاليد فى الشرق ـ وهم رهط المحافظين من ساسة وحكام وأشباه أدباء ـ فالحجر على حرية الفكر غايتهم ، واجبار المفكرين على اعتناق آرائهم ، يعتبر فى نظرهم رسالة مقدسة ومثلا اجتماعياً أعلى

ولقد ترتب على ذلك أن أصبح الفكر فى الشرق ضيق الآفاق ، محدود الفسحات ، مظلم الجوانب ، وأصبح المفكر الحر انساناً حائراً قلقاً مذعوراً ، يحتاط لنفسه ، ويخشى على مستقبله ، ويكبح شخصيته ، ويكبت عوامل استقلاله ، ويخفى آراءه الحقيقية ، ولا يستطيع الا ان يحاور ويداور ، لينسجم تفكيره مع مجموعة الآراء والتعاليم التى تفرضها الكتلة المحافظة على البلاد

فهو ان كان باحثاً اجتماعياً مؤمناً بجوهر الحضارة الغربيــة ، وأراد نقد عاداتنا وأخلاقنا وقوانيننا ونظمنا ، قالوا إنه رجل مارق هدام ، يخون ثقافته العربية ، ووطنيته المصرية ، وروح الشرق الذي يجب أن يميز تفكيره وطابع امته

وان كان باحثاً سياسياً ، وعالج الاشتراكية مثلا ، اتهموه بالشيوعية

وان كان مصلحاً دينياً ، وعالج شئون الدين فى شىء من الصراحة والتجديد ، اتهموه بالكفر

وان كان قصصيا وتناول وصف النزعات والميول العاطفية ، اتهموه بالاباحية

وان كان رساماً أو فناناً سينمائياً ، وراق له أن يعرض على لوحته أو على الستار الأبيض ، مشاهد واقعية تمثل الحياة الشقية البائسة التى يحياها العامل أو الفلاح المصرى ، اتهموه بترويج الدعوة ضد بلاده ، والانتقاص من كرامتها والحط من قدرها ، وتشويه سمعتها فى عيون الاجانب وعيون مواطنيه

ولو أن هذه الحرب التى تعلنها الكتلة المحافظة على حرية الفكر كانت فردية ، لهان الأمر واستطاع أحرار الفكر الثبات أمامها والتفوق فيها . ولكن الخطر كل الخطر فى أن ثمة فريقاً من الساسة والحكام وكبار الموظفين يؤمن بها ويستخدم الأداة الحكومية لتأجيجها واضرام نارها

وأبلغ دليل على ذلك تلك الكتب التى تصادر وتحرق ، وتلك الصحف والمجلات الاجنبية الحرة التى يمنع استيرادها من الخارج ، وتلك الافلام السياسية والاجتماعية التى تراقب لتبتر ، وذلك الاضطهاد الذى تنزله الاداة الحكومية بكل من يقع بين براثنها من المفكرين الذين سجل المحافظون عليهم تهمة الاباحية أو الشيوعية أو الزندقة والكفر ظلماً وعدوانا

وأبلغ من كل هــذا وأروع فى الدلالة على مأساة الفكر فى بلادنا ، ان جو الحياة نفسه قد تسمم ، وأن المحافظين البيروقراطيين تمكنوا من إيجاد طبقــة بيروقراطية محافظة ، بسطت سلطانها على البلاد ، وأقصت مفكريها الاحرار جانباً ، وتغلغلت بأفكارها القديمة وبما لها من حول ونفوذ ، فى عقلية الأمة ، فحولت مجراها ، وعارضت تيارها ، وانحرفت بنهضتها ، وردتها الى الوراء نصف قرن

فهذا الجو المسمم هو الذى يعيش فيـه المفكر عندنا ، وهو الذى يبتليه بالحيرة والقلق والذعر ، وهو الذى يعطل ملكاته ، ويخنق مواهبـه ، ويضعف قيمة انتاجه ، ويجرده من عناصر الاحاطة والشمول والخصب ، التى لا تستمد إلا من قوى التجديد النامية فى أرض الحرية !

على أن المفكر الحر يواجه خطراً أشد من خطر الحجر على حريته ، ألا وهو خطر الاغراء ، الاغراء بخيانة آرائه الحرة والانقاض عليها والطعن فيها والدعوة لما يناقضها ، مقابل مصالح أو مراكز أو أموال ، أو مجرد وعود وتوصيات ما تنفك تلوح بها الكتلة البيروقراطية المحافظة لكل صاحب موهبة أو نبوغ

ومما يضاعف هذا الخطر شدة ، أن الكتلة المحافظة عرفت حتى الآن كيف تستدرج طائفة كبيرة من الأحرار . وتلوثهم وتمسخ عقولهم وتهضمهم وتستوعبهم وتجعل منهم دعاة لها وقوما باعوا أنفسهم للشيطان

فتجاه هذه الروح المعنوية الخائرة ، وتجاه ذلك الاغراء المادى الشائن ، وتجاه نزعة الوصولية الفاشية فى معظم النفوس ، وتجاه سلطة الكتلة المتعسفة المحافظة ، تقلصت حرية الفكر ، وازداد خوفها وانكماشها ، وبات من الصعب ـ بل من المستحيل ـ على المفكر أن ينعم بجو الحرية المطلقة الذى لا بد من توافره لتحلىء الشخصية ، وينضج الذهن ، ويمرح العقل ، ويتجدد الفكر ، ويزدهر الانتاج

وانا لنتساءل : أية قيمة لفكر مغلول لا يستطيع التحرر والانطلاق ؟

وأية قيمة لعقل مهدد لا يستطيع التفكير فى دعة وأمن ؟

وأى نفع للفم المكمم أو الصدر المحطم العاجز عن ارسال صرخة الحقيقة والصدق ؟

ان قيمة الفكر فى جرأته ، والجرأة أول حوافز الاصلاح ، ولا جرأة ولا اصلاح بغير حرية كاملة مطلقة . وحيث لا حرية ، لا حضارة ولا نهضة ولا رقى

ا . م

لا بد للعبقرى من الفشل ، كى يفهم سر عبقريته ، ويدرك الجانب القوى فيها

وما يسري على العبقرى يسرى على الناس جميعاً . فاياك أن تيأس متى حاق بك الفشل . واعلم أن ليست العبرة فى أن تكون معصوما من الخطأ ، بل فى أن تفيد من خطئك بحيث لا تقع فيه مرة أخرى

(الشاعر الصيني هوشيه)

قصة ملخصة

يقظة الماضى

للكاتب الفرنسى شارل فوليه

هذه القصة جزء من تجارب مؤلفها ، وقد وقعت حوادثها فى أسرة تمت اليه بصلة القربى ، فاستطاع أن يدرس شخصيات أبطالها ، ويقف على سر حياتهم ، ويجمع فى قصته بين صدق الحقيقة اليومية وروعة الخيال الروائى

كان المطر يهطل ، والريح تدوى ، وبوارق الرعد تخطف الأبصار ، والسماء ذات الغيوم المتكاثفة تسود تارة وتومض تارة أخرى ، فتلقى الرعب فى النفس وتدفع السابلة الى الفرار . وكانت مدام أوجستا تحث الخطى ناشرة مظلتها وأسنانها تصطك ، وبدنها يرتجف ، ونظراتها الزائغة متجهة صوب منزل صغير قام على بعد فى زاوية الطريق

وكانت باريس قد غابت فى أحشاء البيوت ، وانطفأت شعلة حياتها ، وخيم عليها صمت رهيب لا تعكره غير جلجلة الرعد ، وخشخشة المطر وهو يضرب النوافذ والشرفات ، ويتساقط فى عنف على الارض

وأحست مدام أوجستا أنها وحيدة فى هذا العالم الثائر المدلهم ، وأن الرجل الذى تعبد قد أفلت منها ، فغصت بريقها ، وكادت تبكى . ولكنها استجمعت قواها ، وألهبت حيوية أعصابها ، واستطردت السير

ولما شارفت المنزل وأبصرت نفسها تجاه بابه الحديدى ، أحست كأن الارض تميد بها ، وخيل اليها أن المظلة الرازحة تحت وطأة المطر سوف تسقط من يدها ، فتنبهت ورفعت عينها وتطلعت الى الدار وهى تلهث

لمحت نوراً يسطع من خصاص نافذة ، فانقبض قلبها وأجفلت ، وهمت بالعودة من حيث أتت ولكن قوة الحب ، وقوة الغيرة ، أيقظتاها وأثارتا كوامن حقدها ، ودفعتا بها على الرغم منها الى الامام

ركلت الباب الحديدى بقدمها ، فبهتت إذ ألفته مفتوحا . ثم دخلت وانطلقت فى المشى

الطويل وسط الشجيرات المبللة حتى بلغت باب الدار الداخلي ، وهناك وقفت بغتة وزايلتها قواها ولم تستطع الاتيان بحركة

أتطرق الباب وتقتحم الدار وتواجه الفضيحة غير حافلة ، فتستهدف لثورة زوجها وسخرية عشيقته ، أم تتئد وتتراجع وتحاول الوقوف على الحقيقة من طريق آخر ؟

آثرت كبح عواطفها ، فاستدارت واتجهت نحو الحديقة ، ويممت وجهها شطر النافذة التي ينبعث منها النور

وكان البيت منخفضا ، مؤلفاً من طابق واحد ، تتهدل أغصان الأشجار على نوافذه وشرفاته ، فاقتربت مدام أوجستا بخطى اللص الحذر ، وانكمشت خلف جدار الحجرة المضاءة ، ثم أمسكت بغصن كبير أمالته عليها فأخفاها ، ثم استوت على أطراف قدميها ، ثم حدقت الى الحجرة من خصاص النافذة

حدقت لحظة ، ثم فغرت فاها ، وقد ارتسم على محياها الذهول !

أين هي المرأة التي تبحث عنها ؟ . . أين هي عشيقة زوجها ؟ . . أليست هنا ؟ . . أليست في هذه الدار ؟ . . أو لم يفد زوجها الى هذا البيت ليلقاها ويقضي معها بضع ساعات ينعم فيها بحب محرم أثيم ؟

لا ... لا امرأة هنا ! . . هنا شاب يرقد على فراش ضيق ، شاب تعرفه حق المعرفة ، شاب جميل الطلعة وضاح الجبين يبدو عليه أنه يشكو مرضا ، شاب يحنو عليه زوجها ويتعهده بعنايته ، ويصب له دواء في كأس ، ويتحدث اليه في حركة تدل على خالص العطف والمحبة !

عجيب ما ترى ! . . أيجب أن تبقى ، أم ترحل ؟ . . أيجب أن تدخل وتستجلي غوامض هذا السر ، أم ينبغي أن تعود فوراً الى دارها وتنتظر مقدم زوجها ، ثم تحاول أن تعرف منه كل شيء ؟

لا .. لقد خدعت .. لقد غرر بها ، والأفضل أن تسرع بالرحيل

وظلت مكانها برهة طويلة وبصرها لا يفارق النافذة . ثم تركتها وتحسست طريقها بين الأشجار ، ثم نشرت المظلة واندفعت الى الخارج ، واتخذت السبيل المؤدي الى بيتها

وفيما هي تمشي ملكتها الوساوس ، وعاودتها الشكوك ، واحتلت ذهنها الأخيلة ، فاستسلمت لها وأطلقت لفكرها العنان :

إذن فلا عشيقة له . . هو لم يخدعني . . لم يذهب الى خليلته كما كنت أعتقد . . ولكن لماذا أخفى عني هذه الزيارات الليلية ؟ . . لم لم يصارحني بأن « ريمون » مريض ، وما السر في مسارعته اليه وعطفه عليه وكتمان هذا الأمر عني ؟ . . ان ريمون صديق عادي لأسرتنا ، وليس من المعقول أن

يتخذه زوجي الكهل خلا له ! .. أنا حائرة ، لا أفهم شيئاً ، لا أفهم شيئاً ، ولا بد لى من الراحة والطمأنينة والاستقرار !

وكانت تمشى متثاقلة الخطى ، منصرفة الى أفكارها ، تعصف بها الخيالات والرؤى ، وتضرب حبات المطر مظلتها ، وتكاد تختطفها منها الريح ، حتى بلغت دارها فدخلتها مسرعة ، وصعدت الى مخدعها وغلقت الأبواب ، وشرعت تنضو عنها فى بطء أثوابها المبللة

***

وكما يحدث عادة فى أثناء الازمات النفسية الشديدة ، أحست أوجستا بغتة ان عقلها يتفتح ، وخيالها يتسع ، وذهنها يتوقد ويغلى ويتوق الى عمل شىء . ولكن ماذا تعمل ، وأى طريق فى وسعها أن تسلك لاكتناه ذلك السر ؟

وجالت برأسها شتى الخواطر ، ونشطت أعصابها ، وساقتها إلى العمل بالرغم منها ، وكانت قد انطرحت على سريرها فنهضت من تلقاء نفسها ، ودارت فى الغرفة لحظة ،ثم تقدمت وفتحت الباب ، وعندئذ فقط أحست ان قوة طارئة مجهولة تدفع بها الى مكتب زوجها

اجتازت البهو الكبير وهي لا تدرى ما يمكن ان تفعل فى المكتب ، ولا ما يمكن ان تجد فيه ، ولما وصلت اليه ودفعت بابه دهشت إذ الفته موصداً . . . وإذ ذاك تضاعفت رغبتها فى الدخول ، فكرت راجعة الى مخدعها ، وجاءت بالحلقة التى ضمت فيها مفاتيح البيت كلها ، وشرعت تجربها واحداً واحداً حتى وقفت الى مفتاح ما ان دفعته فى ثقب الباب حتى انفتح

وكان القصر هادئاً ، والخدم نياماً ، وزفيف الريح يتراءى من الخارج ، ويشيع فى النفس أغرب الصور ، ويولد فى العقل أخطر الافكار

وتقدمت أوجستا وصدرها يعلو ويهبط ، وتوسطت الحجرة ، ثم ضغطت باصبعها زر الكهرباء ، فسطع النور وغمر الأرجاء ، فارتعدت المرأة وأوشكت أن تثوب الى رشدها ، ولكن الغريزة ، الغريزة النسوية الحادة ، البصيرة المشرقة ، استحوذت عليها بغتة ، وهدت أنظارها الطائشة الى احدى زوايا الحجرة حيث الخزانة الحديدية الصغيرة مستودع أسرار زوجها وأمواله

وكانت الخزانة قد تركت مفتوحة لأول مرة ، تطل من جوفها الخطابات والاوراق المالية ، فاضطربت اوجستا ، وأدركت ان زوجها كان اليوم فى حالة نفسية شاذة ، وكان قد أسرع بالخروج لغرض هام ، فأبقى الخزانة مفتوحة واكتفى بأن أغلق الباب ، فتحولت واتجهت صوب الخزانة ، ومدت يدها المرتعشة وتناولت بعض خطابات وحوالات وجعلت تتأملها وتقلبها وتجاهد لتقرأ ما فيها ، وقد ملك الرعب حواسها واستعجل حركاتها خشية المباغتة والافتضاح

وانها لتقلب الرسائل وتنعم النظر الى بعضها ، واذا بها تتراجع فجأة ، وتندلع عيناها ، ويصفر وجهها ، وتنطلق من اعماق صدرها صرخة سرعان ما خنقتها

وتداعت قواها وخارت أعصابها ولم تستطع احتمال الصدمة ، فألقت بالرسائل فى جوف الخزانة ، وعادت الى مخدعها متهالكة على نفسها ، مسلوبة الحول ، ذاهلة اللب ، تهذى وتختلج وتبكى بكاء الأطفال ! . .

وانقضت ساعة طويلة واوجستا تئن وتزفر وتتلوى في فراشها وتنتظر عبثاً مقدم زوجها . وكانت تتعذب ، ولكن عقلها كان صافياً يفكر ويتأمل ويقلب الاشياء على مختلف وجوهها . وفجأة نهضت ، نهضت مشرقة الجبهة ، متهللة الوجه ، ملتمعة العينين ، وهزت رأسها فاسترخى شعرها الذهبى على كتفيها فسرحته بيدها ثم وثبت الى علبة (البودرة) فتناولت منها وطلت وجهها ، ثم زججت حاجبيها وارتدت ثوبها الوردى الجديد ، ثم اتجهت الى المرآة ومضت تتفرس فى هذا الهيكل النسوى الماثل أمامها



. . . وانها لتقلب الرسائل وتنعم النظر الى بعضها واذا بها . . .

أحست انها ما تزال جميلة ، أدركت انها ما تزال فاتنة ، وتفت بحسنها الرائع ، واطمأنت الى أن الزمن الغادر لم يستطع تشويه جمالها ، فابتسمت ابتسامة ساخرة ماكرة لئيمة ، وضمت قبضتيها ، وتجلت فى عينيها المتقدتين رغبة هائلة فى التشفى والانتقام ! . .

***

وفى نفس تلك اللحظة طرق باب مخدعها ، ثم فتح الباب فى رفق ودخل منه زوجها المسيو هوبير ، محنى الرأس ، محدودب الظهر ، متعباً كليلا

ودنا منها ، وقال فى لعثمة :

— معذرة يا أوجستا فقد استبقانى وكيل أعمالى المسيو جيرار فى منزله حتى هذه الساعة . . كنا نتحدث فى موضوع الرهن ، رهن بعض أملاكى لأداء ما على من ديون . . أوشكت ان أخاطبك بالتليفون ، ولكنى كنت مضطربا فأنسانى الاضطراب شخصك . . معذرة . . معذرة يا حبيبتى

وانحنى عليها يريد تقبيلها وقد تمثل حبه العظيم لها فى نبرة صوته ، ولمعة عينه ، وفيض الاستغفار المنسكب عليه ، ولكن أوجستا تملصت منه ودفعته عنها ، وصاحت به وهى تلهث :

ـــ أنت كاذب !

فارتجف وتطلع اليها ، فقالت وقد خنق الغضب صوتها :

ـــ ألا تخجل من نفسك ؟ . . ألا تشعر بتبكيت الضمير ؟ . . ألا تفكر فى هول الخيانة ؟ . . عشرون عاما قضيتها معى فى ظل الغدر والخديعة ! . . خدعتنى منذ أول عام اقترنت بك فيه ! . لا . . لا تعترض . عرفت كل شىء . كنت الآن فى مكتبك وطالعت ما فى خزانتك الحديدية من أوراق وخطابات . خدعتنى . اتخذت لك عشيقة بعد زواجنا بسبعة أشهر فقط ، ثم نبذتها ، ثم ماتت . ماتت بعد ان . .

وجاهدت أوجستا لتتكلم ، ثم ألقت فى وجه زوجها بالعبارة الهائلة :

ـــ بعد ان خلفت لك ابناً هو ريمون ! أجل ، ريمون هو ابنك ! ابن الهوى المحرم ! عشت من أجله ، انصرف اليه عقلك وقلبك ، قربته الينا ، عرفتنى اليه ، احتضنته ، جئتنى فى هذا البيت ، فى بيتى ، بابن المرأة التى وصمتنى بالعار . وكنت أجهل ذلك ، كنت عمياء ، كنت أحبك بل كنت أعبدك ، وأنت ، أنت أيضاً ، أحببتنى بعد ذلك ، أحببتنى بعد وفاتها ، ولكنك كنت تروغ منى ، كنت تقبل على ثم تعرض ، كنت تمنحنى الحب ولكن بقدر معلوم . كان ابنك ، كان ريمون يقاسمنى هذا الحب وأنا لا أدرى ! سلبك منى ، استحوذ عليك ، وهذا أنت فى هذه الايام تهجرنى ، وتكذب على ، وتختلق الأعذار ، وتسرع خلسة لرؤية ولدك لأنه مريض ، ولأنك تحبه أضعاف حبك إياى !

أجب ، ألم تكن الساعة هناك ؟ فى الفيلا الصغيرة ، عند فراش المريض ؟ . . تكلم !

فاختلج هوبير اختلاجاً عنيفاً وحجب وجهه بكلتا يديه ، ثم أرسل نفساً مستطيلا ، وأمسك بذراعى امرأته ، وطفق يقول بصوت غائر متحشرج :

ـــ ان خوفى على مستقبل حبنا هو الذى دفعنى الى الكتمان ! لقد أجرمت فى حقك يا أوجستا ، ولكننى كفرت عن جريمتى بأن أحببتك وأخلصت لك ، وأردت فى نفس الوقت ان أحب ولدى وأخلص له !

فقالت أوجستا وهى تهدر :

ـــ لن يكون لى فى قلبك أى شريك ، إما أنا وإما ريمون !

فاصفر وجه الرجل وشحب شحوب الموتى ، ثم رفع رأسه وغمغم :

ـــ أوجستا ، اشفقى على ، وارحمي ذلك الشاب المسكين

فابتسمت المرأة ابتسامتها الساخرة ، وقالت :

ـــ أتحبه إلى هذا الحد ؟ ! . .

فقال هوبير وهو يقبل يدها : « لا ولد لى سواه . انه نعمة شيخوختى ! »

فقالت فى هدوء : « يبدو لى ان حبك له مستمد ولا ريب من ذلك الحب العظيم الذى كنت تحمله لوالدته ! . . أليس كذلك ؟ »

فصاح هوبير قائلا : « كلا . أنت الآن امرأتى وحبيبتى ، وأما تلك فقد أصبحت مجرد ذكرى »

فقهقهت أوجستا ثم عبس وجهها ، وقالت بصوت ملؤه الحقد :

— ولكن الذكرى تعيش فى شخص ريمون فاختر بيننا . اما زوجتك واما ولدك . يجب أن يرحل عن باريس . أعطه نقوداً وليرحل !

فهتف روبير كحيوان مطعون قائلا : « لا حياة لى بدونكما ! لا غنى لى عنكما ! ثم . . ثم كيف أعيش بمعزل عنه ؟ كيف أنبذه وهو ولدى ؟ انى لأفضل اذن توديع الحياة ! »

وكانت اوجستا تحدق اليه وتقيس مدى حبه لريمون ، وتزن مبلغ عبادته لذكرى عشيقته المتوفاة ، والبغض يملأ صدرها ، والغيرة تأكلها ، وارادة الانتقام تختم على بصرها وتحول بينها وبين رؤية الشقاء الذى يعانيه ذلك الرجل التعس المنكود

ولما ألفاها صامتة تفكر ، مشى اليها وجثا عند قدميها ، وطوقها بذراعيه ، وجعل يلثم ركبتيها ويقول والدمع يفيض من عينيه :

— ارحمي هذا الشاب . فكرى فى وحدته ، فى ذله ، فى حاجته الى العطف والحنان . لقد صفح هو عنى ، وغفر لى عار مولده ، أفلا تصفحين أنت أيضاً يا أوجستا ؟ . .

ثم أردف صارخاً :

— عدينى أن حياتنا لن تتغير ، وأنه لن يبدو منك أى شىء ينفر ولدي من زيارتنا ، وانك ستحتفظين بالصمت كأن هذا الحديث لم يدر بيننا . عدينى بذلك وثقى باخلاصى لك وإلا تركتك الساعة وتركت ريمون وانتحرت !

ولبث مشرئباً بعنقه اليها ، ينتظر الكلمة الفاصلة منها ، وقد اتخذ وجهه الأسمر الخمرى نفس طابع الكآبة الحالمة المرتسم على وجه ولده ، فذعرت أوجستا ، وتمثلت لها الخيانة ، واشتد حقدها ، وعصفت بهـا رغبة الانتقام ، فضمت شفتيها ، وكبحت عواطفها ، واستسلمت للفكرة المروعة الماثلة في ذهنها ، وقالت بلهجتها الهادئة الغامضة وهى تربت بيدها على ذراع زوجها :

— لك ما تريد يا هوبير !

فزفر الرجل زفرة حرى وأكب على قدميها يقبلهما ، بينا كانت ترمقه بالنظر الشزر ، وفؤادها يخفق ، وبدنها المهزول يرتعد لفرط ما استولت عليها فكرتها الشيطانية الثابتة ! . .

* * *

وفى صباح اليوم التالى دهش هوبير إذ أبصر زوجته ترتدى ملابسها وتعرب عن رغبتها فى زيارة ولده المريض

ذكرت له وهى تصطنع الندم العميق ، انها أصبحت تقدر موقفه وتفهم عاطفته ، وتدرك أنه اختار سواء السبيل ، وأن من واجبها أن تعاونه على انقاذ ولده ، وتكون له بمثابة ام رؤوم

استغرب هوبير انقلابها الفجائى ، وخيل اليه أنها من أجل حبه ، وفى سبيل الحرص على حياته ، اخمدت الحسرة فى صدرها ، ووطنت النفس على العناية بريمون ، لتدلل على نبلها ، وتفوز بأوفر قسط من حب زوجها وتقديره اياها . فأكبر فيها هذا الاحساس ، وازداد تمجيداً لها ، وبات يشعر بأنه كان يجهل سر شخصيتها ، وانها امرأة فاضلة وعظيمة ، وانها بين النساء مثل أعلى

وانطلقت أوجستا تزور ريمون فى الفيلا الصغيرة ، وتعنى به فى غيبة زوجها ، وتسهر عليه وتتصل بطبيبه ، وتعد له الدواء ، وتحنو على صباه حنواً خالصاً عميقاً ساحراً لم يألفه الشاب ، ولم يحلم به أبداً

أشعرته لأول مرة بما يمكن ان يحمله قلب المرأة من رقة وعطف وحنان وتضحية

أشعرته بذلك الجو الفاتر القرير الذى تخلقه المرأة

أشعرته بتلك السعادة الحالمة الوسنانة ، التى تنبع من فؤاد المرأة وينشدها كل يتيم ، فتعلق بها وقدسها ، وبدأ يتماثل للشفاء ومليء نفسه الأمل فى استطاعته الحياة بقرب والده وقربها

وكانت اوجستا الغادرة الماكرة التى سم الحقد أخلاقها ، وأفسدت الغيرة عواطفها ، وانحدرت بها رغبة الانتقام الى هاوية الشر والرذيلة ، لا تذهب لعيادة الشاب إلا بعد أن تفتن فى التجمل وتسرف فى التبرج وترتدى أبدع أثوابها فتبدو فى عينيه مخلوقاً رائعاً من جمال

وكانت تستمد من غريزتها قوى الخبث والدهاء ، فتقرن نظرة العطف البريئة بنظرة الحب المريبة ، وكلمة الحنان الخالص بكلمة الاغراء الخفيفة ، وحركة المودة الطاهرة بحركة الدل الفاتن ، وإعادة الصداقة النزيهة بإعادة الهوى الخفى للبرح المكظوم

ولم يفطن الشاب أول الامر الى مختلف هـذه المعانى المستورة ، ولكنه شعر بها فى النهاية ، فأجفل ، وراجع نفسه ولم يصدق عينيه ، فحذرت اوجستا ما يجول فى فؤاده ، فتأدت وتحفظت ، ثم ضاعفت نشاطها ، ولاذت بعوامل إغراء جديدة ، فاستهول الشاب مسلكها ، وحار ، وقلق واضطرب ، وعقد العزم على صدها واجتوائها ، والزامها فى أدب حد العقل والفضيلة

غير أنه كان قد اعتاد رؤيتها ، اعتاد الجلوس والتحدث اليها ، اعتاد الحياة فى جوها النسوى الفاتر ، اعتاد الاحساس بنعمة الحنان تفيض عليه من محياها الناضر الجميل

وأما اوجستا فلم تفكر لحظة واحدة فى حبه كما كان يعتقد ، لم تفكر فى استدراجه الى علاقة أثيمة ، لم تشعر من نحوه بأية عاطفة ، بل كانت على النقيض تكرهه بقدر ما كانت تحب والده ، كانت تتخذ منه فريسة لانتقامها بعد ان تلهب فى قلبه حباً خيالياً جنونياً يائساً

ومضت فى هـذا السبيل ، تقبل تارة ثم تعرض ، تجود ببعض نظرات ثم تبخل ، تمنى ببعض

هبات ثم تعدل ، حتى ولهت الشاب بها ، وبددت مخاوفه ، وأقصت عنه شبح والده ، وشجعته على الاقدام ، وأخضعته لسلطان حبها ونداء انوثتها

ولم يكن ريمون قد عرف المرأة . لم يكن قد أحب امرأة قبل اوجستا ، فأضفى عليها من روائع خياله الساذج المتقد الغرير ، ما زادها حسناً ، وما ضاعف العاطفة فى صدره قوة وغلياناً

ولما استوثقت من سلطانها عليه ، وادركت بثاقب نظرها أنه بات فى قبضة يدها ، وان عاطفة البنوة قد فترت فى نفسه ، وان الشعور بالواجب قد تقلص فى فؤاده ، وان ضميره المعذب الحي قد اضمحل وتداعى واشرف على موت محتوم ، أقبلت عليه ، وشرعت تخرج الى الملاهى فى صحبته ، وتجلس اليه الساعات الطويلة فى بيتها ، مذكرة إياه بأن حبها كان السبب فى شفائه ، وان حبها هو الذى جعل منه الآن شابا قوى الساعد مفتول العضل ، ممتلئاً نشاطاً وعافية وحياة

وهكذا تمكنت منه ، واستولت عليه ، ومثلت فى نظره ملاك الرحمة والحنان ، ثم عادت فتمنعت مرة أخرى ، وصدت وأعرضت ، وتظاهرت بالذعر الشديد ، وصارحته بخوف العاقبة ، ثم تأبت وتعالت ومثلت فى مهارة وحذق دور المرأة الفاضلة التى تستنكر الخيانة ، وتستهول الاقدام على ارتكاب محرم ، فاضطرمت العاطفة فى صدر الفتى وطغت عليه ، وأفقدته اتزانه وأحالته فى النهاية عبداً لها

وعندئذ عزمت أوجستا على العمل

وكانت قد أصابت هدفين بحجر واحد : فازت بحب ريمون ، ولفرط ما أظهرت من ضروب العناية به ، فازت فى نفس الوقت بتضاعف حب زوجها لها ، فأرادت أن تأخذ الزوج فى فخ حبه الجديد الملتهب ، فجعلت تقيم المآدب وتنظم الحفلات وتستقبل الشبان وتكثر من التغيب فى الخارج ، وتهمل شئون زوجها ولا تكترث له ، بغية أن تثير فيه الشكوك ، وتنفث فى قلبه سم الغيرة ، وتلقى فى روعه أنها انحرفت عن السبيل السوى

ولما اطمأنت الى أن نفس هوبير أصبحت مسرحا للقلق والهم وفوضى الحب ووساوس الغيرة ، انتهزت فرصة سفره الى احدى مزارعه ، وأنبأت ريمون بأن الجو قد خلا لهما ، وطلبت اليه أن يسارع لملاقاتها فى البيت مساء اليوم التالى فى ساعة متأخرة من الليل . ثم انطوت على ذاتها وحبست نفسها فى مخدعها ، وجاءت بجريدة قديمة وجعلت تقص منها بعض حروفها ، وترتب هذه الحروف وتلصقها على الورق فى شكل رسالة بعثت بها الى زوجها ، وأخبرته فيها على لسان صديق مجهول ان امرأته تخدعه ، وأنه لو عاد الى بيته فى موعد معين فسوف يجدها فى صحبة عشيقها

وكانت ترتب حروف الرسالة وهى لا تعى ما تفعل . كانت نهب حقدها ، ومتاع انتقامها ، وملك فكرتها الثابتة . فلما أتمت وضع الخطاب ، وفرغت من كتابة العنوان بخط حورته ونكرته وشوهت معالمه ما استطاعت ، نهضت ، وخرجت الى الشارع ورمت بالرسالة فى أول صندوق

بريد صادفته . فى تلك اللحظة جمد الدم فى عروقها وأحست هول ما فعلت ، ولكن شعورها القوى بأن الأمر أفلت من يدها ، وبان المصير بات فى قبضة القدر ، زادها عزماً واصراراً ، ورد اليها قسوتها فرفعت رأسها ، وتنفست طويلا ، واتجهت صوب المنزل بخطى وئيدة ثابتة !

* * *

وكانت الليلة حالكة السواد ، هامدة الحركة ، يخيم ظلامها على القصر الساكن المتوحش . وكانت أوجستا واقفة خلف نافذة مخدعها تنظر من خصاصها الى الشارع تعد الدقائق وتنتظر مجيء ريمون . وكانت تجاهد لتحول بين نفسها وبين التفكير فيما سوف يحدث . كانت تسدد قواها العاقلة الى هدفها المنشود وتأبى إلا أن تنظر فى هذا الهدف وتتطلع اليه وحده ، وكان كلما جمح بها الفكر الى التأمل فى العواقب ، ضربت الارض بقدمها ، وحنقت على نفسها ، ومضت تتمثل صورة ريمون وتستمد منها ارادة الصبر والثبات والمقاومة

وزايلتها فى تلك اللحظة كل عاطفة انسانية ، وكل شعور وجدانى نبيل ، وغمرتها اللذة الكبرى ، لذة المرأة الضعيفة الموشكة أن تشهد صراعا بين رجلين ، أثارته هى بقوة خيالها الشيطانى وذكائها المشبع بروح الشر والاجرام

وانها لمستغرقة فى فكرتها الثابتة ، واذا بها تلمح فى حديقة القصر شبحاً يتسلل بين الشجيرات فخفق فؤادها ، وسارعت الى الباب ففتحته ، وخرجت لاستقبال ريمون ثم عادت به الى المخدع

وكان الشاب يرتعد . وقبل يديها وقد انعقد لسانه ، وتصبب العرق من جبينه ، وكادت تصيبه نوبة اغماء ، فاقتادته من ذراعه ، وأجلسته على المقعد المستطيل ، وهرعت الى النافذة ففتحتها وهى تبتسم ، ثم أضاءت المصباح الصغير الخافت ، ثم جلست بجوار ريمون وأرسلت ضحكة قصيرة حادة بهت لها الشاب واستفاق

وشرعت تحدثه فى التافه من الامور ، شرعت تحدثه عن صحته وعن الجو وعن ملاهي باريس، وريمون يحدق اليها مضطرباً حائراً ، يود لو يضمها الى صدره فلا يستطيع

وبدرت منه حركة نابية ، فاستضحكت أوجستا وتراجعت ومضت تلغط وتثرثر وتقتل الوقت فى حديث جديد عن روايات المسارح وأفلام السينما . فعيل صبر الفتى وهم باعتناقها فدفعته عنها فى رفق، ولكنه استشاط غضباً وتشبث بها وحاول ان يطوقها بذراعيه القويتين ، فنهضت مذعورة مختلجة متأبية . غير أنها فى نفس تلك اللحظة سمعت وقع خطى لم يتنبه لها الشاب ، فأقبلت عليه وهو مذهول وضمته بين ذراعيها ، واستدارت وأطفأت المصباح . وعندئذ طرق الباب ، فانخلع قلب الفتى وجمدت المرأة في مكانها ولم تتكلم ، فثارت أعصاب ريمون وأحس الخطر ، وأراد أن يتملص منها ، فلم تمكنه وتقدمت به حتى النافذة ، وأومأت برأسها اليها ، فتوهم ان المرأة تحبه وتشير عليه

بالفرار، فقبلها واستجمع قواه وهم بالافلات منها ، ولكنها حبسته بين ذراعيها ، ولم تطلقه إلا عند ما فتح الباب ودخل هوبير

أدرك الشاب ان والده قد باغته ، وانه لم يتبينه لفرط الظلام ، فأسرع وانطوى على نفسه ، ثم تحفز ليثب من النافذة ، ولكنه قبل أن يصل اليها ، وقبل أن يهم بالوثوب ، دوى فى الغرفة طلق نارى أعقبته صرخة هائلة وصوت جسم ثقيل يهوى على الارض !

وحينئذ تقدمت أوجستا وفى صمت عميق وهدوء مروع ، مدت يدها وتحسست الحائط وضغطت على زر معين فأضاء المصباح الكبير وغمر النور أرجاء الحجرة

وفى تلك اللحظة عرف الوالد ولده ، فجحظت عيناه وشاع الخبال فى تقاطيع وجهه وأرسل صوتا ممزقا ، ثم تهاوى وسقط على



الجثة مغشياً عليه ، بينا كانت أوجستا تطوف أنحاء الغرفة وتقول بصوت مهشم المخارج ، وهي تضحك وتقهقه قهقهة مزعجة وحشية غريبة :

— مات حبيى ! مات حبيى !

***

واشتدت على أوجستا أعراض الجنون فنقلت فى اليوم التالى الى أحد مستشفيات الامراض العقلية ، أما المسيو هوبير فبعد ان أطلق سراحه وبرأه حكم القضاء ، رزح تحت وطأة جريمته ، وأراد التكفير عن ماضيه ، فباع كل ما يملك ووزع أمواله على الفقراء ، واشتغل عاملا بسيطاً فى بأحد مصانع الحديد

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

الصين لا تقهر

لبيرل بك . الفائزة أخيراً بجائزة نوبل للآداب

يؤكد من تتبعوا أنباء الحرب التي تدور الآن في الصين ، أن اليابان قد باءت بهزيمة لم تكن في حسابها . فحين بدأت الحرب في أغسطس من العام الماضي قدرت أن حسبها ثلاثة أشهر تجثو بعدها الصين على ركبتيها خاشعة ذليلة . ولكن ها قد انقضى عام كامل وشهور عدة ، أخذت اليابان في أثنائها تفقد الأمل في النصر يوماً فيوما ، بينما صارت الصين أقوى مما كانت الى حد بعيد جداً ، فعندها من الذخائر والأموال ما يكفيها سنتين طويلتين بغير عناء

بيرل بك

فلماذا أخطأت اليابان في تقديرها ؟ لأنها لم تفهم مرامي الصينيين وأساليبهم على وجهها الصحيح . فقد أرادت من هذه الحرب أن ترغم الصين على إجابة مطالبها ، بالقاء الرعب والفزع في قلوب أهلها الآمنين . ونجحت في مهمتها أول الأمر إذ اضطرب الصينيون حين وجدوا أنفسهم غير مستعدين ولا متأهبين أمام دولة مسلحة تسليحاً قوياً حديثاً . فلما زحفت عليهم اليابان زحفها الأول ، ارتدوا على أعقابهم مندحرين ، حتى كادت تسحقهم القوات المغيرة سحقاً

ولكن لم يلبث الصينيون أن تبينوا أن الأمر ليس على ما يحسبون ، وأن هزيمتهم لا ترجع الى ضعفهم قدر ما ترجع الى خوفهم . فقد وجدوا من اليسير عليهم أن يتجنبوا القنابل التي تقذفها طائرات الأعداء ، بهذه الخنادق التي هبوا لحفرها في كل مدينة ، وأووا اليها آمنين أخطار الطائرات . . . نعم ، أخذ اليابانيون يدكون المباني ويخربون المدن ، ولكن الصينيين ليسوا شعباً

«حساساً» يفزع من هذا ويثور، فكل بناء يهدم يمكن أن يقام، والبيت الصيني العادى لا يستغرق بناؤه أكثر من ليلة واحدة ...

والمبانى لاتعنى الصينيين كثيراً، وانما تعنيهم الارض وحدها . وهذه لا يستطيع اليابانيون أن يخربوها، بل ولا أن يستولوا على مساحات فسيحة منها . فمع أنهم أقاموا خطاً حربياً هو أطول خط عرفه التاريخ، فانهم لم يستطيعوا أن يستولوا إلا على السكك الحديدية والمدن القائمة عليها . أما السهول الفسيحة التى اجتازوها فسرعان ما عاد اليها أهلها وزرعوها وسكنوها، متأهبين مع هذا لمغادرتها حين تهبط عليها فصائل اليابان . وهكذا فشلت اليابان فى أن تحتل الارض بطائراتها وبجيوشها . وقد قال لى أحد الصينيين : « ماذا تجنى اليابان من هذه القنابل التى تقذفها طائراتها؟ ان أكبر واحدة منها لا تحدث إلا حفرة فى الارض طولها ثلاثون قدما وعمقها عشرون . فهل هذه الحفر تضيرنا؟ انها برك حسنة نربى فيها الاسماك ! » . فلما ذكرت له ما تودى به هذه القنابل من الأرواح قال : « لقد علمتنا المجاعات التى طالما اجتاحت بلادنا، والحروب الأهلية التى طالما شبت بيننا، أنه ما من شىء يمكن أن يقضى على الناس ما داموا قد تركوا يتوالدون ويتناسلون »

وهكذا تبين الصينيون أن اليابان لا تستطيع أن تستولى على أرضهم، ولا أن تقضى على أرواحهم . فبدأوا فى أمن وهدوء يدبرون وسائل الدفاع والمقاومة . وانك لتراهم اليوم فى الخنادق التى يأوون اليها يعيشون كما كانوا يعيشون فى بيوتهم : يأكلون راضين، وينامون هادئين، ويتعاملون ويتحاسبون، بل يلعبون ألعابهم الشعبية

وانهم ليقولون لك الآن مغتبطين ان هذه الحرب قد أفادت الصين فائدة كبرى، فلعلها الأمر الوحيد الذى كان يمكن أن يحقق الوحدة السياسية التى طمحت اليها الصين طويلا، وكافحت فى سبيلها كثيراً . فقد صارت القوات الثلاث المتناحرة ـ الحكومة الوطنية التى يرأسها تشيانج كى تشك، والقواد المتنازعون، والشيوعيون ـ كتلة وطنية واحدة تواجه عدواً اجنبياً واحداً

وثمة فائدة أخرى أصابتها الصين دفعة واحدة، ولولا الحرب لسعت اليها جاهدة الأجيال والقرون، وهى فتح أقاليم الصين الداخلية لتيار المدنية الحديثة . ذلك أن اليابان لا تستطيع فى أحسن الظروف المؤاتية أن تتعدى بجيوشها النصف الشرقى من بلاد الصين، ولا تجرؤ على أن تبث جيوشها ولا طائراتها فى المناطق النائية المهجورة من الجانب الغربى . وهذه المناطق سهول فسيحة خصبة يمكن أن تمون قارة بأسرها من خيراتها الوفيرة، ولكنها ظلت حتى الآن تحيا حياة القرون الوسطى بلا استغلال واستثمار، حتى أن الصينى الحديث المثقف يجهل هذه الاقاليم البكر كل الجهل، ولا يفكر فى أن يتغلغل فى شعابها وارجائها، لأنه ما يزال يجد فى المناطق الشرقية مجالا واسعاً للعمل والكسب

أما الآن فتتجه الكتلة الصينية صوب الغرب لتعمر هذه المناطق البكر الغنية . فالحكومة تبتعد

بمقرها عن الساحل من حين الى حين وتنتقل به الى داخل البلاد ، والجامعات تنقل دورها الى هذه المناطق المهجورة ، والمدن الصناعية ترحل بآلاتها وخيراتها الى المدن الداخلية ، وطرق السيارات والسكك الحديدية تنشأ بسرعة فائقة ، فتقيم هياكل الحضارة فى هذه الفيافى التى لم يكن من أمل فى تعميرها ، وشرعت الصين تشق الطرق التى تصلها بشرق أوربا ، وتزمع أن تجدد الطرق القديمة التى كانت تربط الشرق بالغرب منذ قرون والتى اخترقها ماركوبولو فى رحلته الى الصين . وكذلك شقت طريقين فسيحين ينقلان تجارتها الى بورما والى التركستان الصينية . .

على أن أعظم ما غنمته الصين من الحرب هو هذا الروح القوى القاهر الذي انبعث فى قلب كل صينى ، منذ أن مرت فترة الفزع الأول ، وأمنت الصين على حياتها وأرضها . وأحسب أنك لا تجد الآن فى الصين فرداً واحداً يخشى الهزيمة ويتوقعها ، لأنهم يحاربون وفق طرائقهم وأساليبهم الخاصة ــ أى حرب العصابات التي دوخت اليابانيين بمفاجآتها الغريبة . فان خطوط اليابانيين المحكمة لم تستطع حتى الآن أن تقاوم هذه العصابات التي تتسلل فرداً فرداً وسط الكتائب اليابانية ، فتقتل جنودها وتأتى عليهم ثم تلوذ بالفرار

وأبلغ مثل على أن الروح الذى تحارب به الصين ينبىء عن نصر قريب مؤزر ، هذه الواقعة التى حدثت على ضفاف النهر الاصفر ، حين قطعها الفلاحون فطغت المياه والامواج ، فجرفت اليابانيين والصينيين معا . .

نعم ، كيف يقهر شعب هذه استماتته فى الكفاح ؟ !

فلنتساءل اذن الى أى مدى تريد الصين أن تسير فى طريق هذه الحرب ، وماذا تؤمل من وراء المناضلة العنيفة التي تثابر عليها ؟ . . ان هذا الشعب الحكيم الرزين قد وضع للحرب منهاجا لا ينتهي إلا حين لا يبقى فى أرضه شبر واحد يحتله الاعداء . ولكنهم لن يخطئوا فى تنفيذ خطتهم هذا الخطأ الذى ارتكبه الحلفاء حين أذلوا المانيا اذلالا ، كان لا بد من أن يولد فى أهلها الرغبة فى الثأر والانتقام ، بل تريد الصين ان تدأب على مقاومة اليابان مقاومة لا تكل ولا تنى ، حتى تيئسها من كل أمل فى النصر ، بل حتى تضطرها الى مصالحة الصين واسترضائها ، وعند هذا لا تفرض عليها الصين من الفروض ما يجعلها ناقمة حاقدة بل ما يتركها راضية حامدة ...

[خلاصة مقال للقصصية الامريكية بيرل بك فى مجلة ريدرز دیجست]

من أنا

بقلم هـ . ج . ولز


هـ . ج . ولز

من أنا ، ومن هو ذلك الانسان المدعو ولز ؟ ...
لقد حاولت أن أفكر فى شخصى وفى مجموعة العواطف والافكار التى يتألف منها كيانى ، فعدت بخيبة مرة تركت فى فؤادى أعمق الحسرات

ان شخصيتى ما تنفك تتبدل وتتحول ، وما ينفك ماضيها يبتعد عنى ويتبدد ويتلاشى فى جوف الزمن السحيق

لقد سقطت أيام حداثتى من سريرى على الأرض ، فاصطدم رأسى بزجاجة كبيرة هشمت وجهى وأبقت فيه هذا الأثر الواضح الذى أحدق اليه الآن ، فالأثر المادى باق وأسفاه ، ولكن أين هي الأفكار والعواطف التى أحدثتها الصدمة إذ ذاك فى نفسى ، وأين احساس الزمان والمكان ، وأين الألم الذى شعرت به ؟ . كل ذلك قد مات وليس فى مقدورى أن اذكره مهما صببت عليه من شعاع خيالى المضطرم

واذن فليس فى وسعى ان أقرر ان ولز الطفل الذي فكر وأحس وتألم في ظرف من الظروف ، هو ولز العاقل الرصين المكتمل الجالس الساعة الى مكتبه ، مقطوع الصلة بماضيه ، يفكر فى هذا الماضى على غير جدوى

ولقد اتفق لى عندما بلغت العشرين من عمرى أن اصبت بمرض خبيث ، نكر أخلاقى وأفسد طبعى وأحالنى مخلوقا سوداوى المزاج ، سريع الانفعال ، سريع الغضب . فماذا بقى من هذا المخلوق فى نفسي ؟ . لاشىء ! انى أتأمل الآن صورة ذلك الشاب المريض ، وأطالع الخطابات التى كان يكتبها فأدهش للفارق العظيم بينى وبينه ، ويكاد يتملكنى الذهول لفرط احساسى بأنه قد انسلخ عنى ، وأنه لم يكن منى ولم أكن أبداً منه !

فولز القديم قد مات ، ولكن من هو ولز الحديث ، من هو ولز الماثل فى ضميرى وعقلى وقلبي ، وهل هو حى حقاً ، كما يخيل الى وكما يعتقد الكثيرون ؟

والغريب أنى مهما فكرت فلن أستطيع الهبوط الى قرارة نفسى واكتناه أسرار تلك الانفعالات المعقدة التى تمرح وتتقلب فى ذلك الجو الضبابى المحدق بى

ان آلاف الخلايا التي يتألف منها شخصى تروح وتجيء فى عرض كيانى أشبه بجمهور يتنزه فى شوارع مدينـة . فهل فى مقدوري بعد هذا كله ان أقول انى كائن ، وانى مطلق الحرية ، وانى مستقل برأيى وارادتى كما يخيل الى ؟

قد أكون وهماً بيولوجياً ، وقد أكون صفوة تجارب عدة أجرتها على الطبيعة لغاية خفية من غاياتها ، او لمحض رغبتها فى أن تبدع الآونة بعد الأخرى نفراً من الرجال النوابغ الممتازين بالكبرياء ! ألن تزايلنى هذه الكبرياء برغم كل ما قلت ؟

انى لأحس ان جسمى نفسه منفصل عنى ، وان الفم الذى أتكلم به ، والعين التى أنظر بها ، والمعدة التى فيها حياتى ومنها موتى ، جميع هذه الاشياء غريبة عنى وان كنت فى أشد الحاجة اليها

نعم . هي غريبة عنى ولكنها أشبه بنوافذ أطل منها على العالم . فأنا والحالة هـذه مجبر على العناية بها والحرص عليهـا وان كنت أكرهها ! . أجل . أنا أكره بدنى ووظائفه ، وأشعر أنه دخيل على ، غير انى اداريه واحتمله ابقاء على شعلة فكرى

ولكن إذا كان بدنى ثقيل الوطأة على ، دخيلا على شخصى ، وإذا كان شخصى المعنوى نفسه لا ينفك يتغير ويتبدل مستمداً قواه من الغير ، فمن أنا ، وما هى حقيقتى ، وما هو اعتقادى فى مصير الجسم ومصير الشخصية الانسانية ؟

يلوح لى أن الجسم يفنى ، وأن شخصية الفرد المعنوية ، فناء تمشى الى فناء . وأما عقيدتى فهى ان الجوهر الباقى هو مجموع الفكر البشرى النامى ، ومجموع الارادة البشرية المتفوقة ، ومجموع الجهود الفكرية والنفسية التى يقوم بها الكل والتى يمثل كل فرد جزءاً منها

فالناس الى فناء . ولكن الانسان هو الباقى . والانسان هو روح المجموع ، هو «لاشخصية» المجموع ، هو سر المجموع وعبقريته . فى الانسان قوة أقوى منه ، قوة كان يسميها كونفشيوس الشخصية العليا ، وكان يسميها القديس بولس آدم الجديد ، وكان يسميهـا الفلاسفة الرواقيون « لوجوس » ، ونحن الآن نطلق عليها اسم السبرمان أو الانسان الاعلى

فالانسان الاعلى ليس شيئاً فى نفسه ، وقيمته تنحصر فى أن تفوق المجموع قد تمثل فيه ، وأن عبقرية المجموع قد حلت عليـه ، وأن شعوره بضرورة انماء مواهبه ينبع لا من نفسه بل من المجموع ، وينصب لا فى نفسه بل فى حياة المجموع

واذن فجهادنا يجب ان ينصرف لخدمة النوع الخالد ، أو الانسان الخالد ، لا الى خدمة ذاتنا المضمحلة الفانية التى لا قيمة لها من حيث هى ذات بشرية منفصلة

[خلاصة مقال عن لاريق مونديال]

الحرب

فى عصر الابتكار والتجديد

كانت الحرب فيما مضى غيرها اليوم . وكان الملك أو الامير الذى يستطيع تجنيد خمسين الف رجل ، يعد ملكا عظيما واسع السلطان مرهوب الجانب . ولقد تمكن فردريك الأكبر من احراز سلسلة انتصارات مجيدة بواسطة جيش مؤلف من سبعين الف رجل

والواقع أن فكرة انشاء الجيوش الكبيرة ترجع الى ملك فرنسا لويس الرابع عشر ، ولكن نابليون هو الذى حققها عند ما انشأ جيشا مؤلفا من ثلاثمائة الف مقاتل

ولقد روع هذا الجيش أوربا وألقى الذعر فى قلوب ملوكها واعتبر إذ ذاك قوة ساحقة هائلة ولكن عدد جيش نابليون لا يمكن أن يقاس بعدد الجيوش التى حشدها الحلفاء وخصومهم فى الحرب العظمى

ففرنسا وحدها جندت ٦ ملايين ، والمانيا جندت أكثر من هذا العدد ، وكان مجموع الذين جندتهم دول أوربا يبلغ أكثر من ٢٥ مليون رجل . غير أن كثرة العدد اقترنت بتقدم بطىء فى صناعة الأسلحة . فلم تكن الأسلحة المبتكرة من العوامل الفاصلة فى مصير المعارك ، بدليل أن الانجليز قد استخدموا فى حرب القرم نفس البنادق التى استخدموها فى معركة واترلو ، ومع ذلك فقد استطاعوا الثبات فى وجه الروس ، ولم يشعروا بأن سلاحهم القديم كان مصدر ضعف لهم

بعد ذلك نشطت حركة تجديد السلاح وتحسينه ، وساهم العقل العلمي فيها ، واستخدمت النهضة الصناعية من أجلها ، فظهرت أنواع شتى من البنادق ، وابتكر الالمان مدافع ثقيلة كانت السبب الرئيسى فيما أحرزوه على الفرنسيين من نصر عام ١٨٧٠

ولما جاءت الحرب الكبرى سير الالمان الى ميادينها مدافع ثقيلة بعيدة المرمي ، فقابلها الفرنسيون بمدافع (باتج) القديمة . ولكن تفوق هؤلاء فى صنع المدفع القصير المدى السريع الطلقات المعروف برقم (٧٥) مكنهم من صد عادية الالمان واجراء التوازن بين مدفعيتى الدولتين

ولأول مرة فى التاريخ ابتدعت الدول فى أثناء الحرب العالمية أسلحة جديدة

وهاهى ذى اليوم تتبارى فى ميدان الابتكار والتجديد مستعينة بأحدث ماوصلت اليه اكتشافات العلم العصرى

غير أن السرعة فى الابتكار اقترنت بسرعة مثلها فى عجز السلاح المبتكر عن متابعة حركة

التجديد الجنونية . فالطراز من الدبابات أو الطائرات أو المدافع لايكاد يظهر وتنقضى على ظهوره أعوام عدة حتى يظهر طراز آخر أفضل منه وأشد فتكا ، فتضطر الحكومات لانفاق المبالغ العظيمة فى تبديل سلاحها أو تحسينه تمشياً مع روح العصر وحركة التجديد

ولقد كانت طائرة المطاردة الفرنسية التى تقطع ثلاثمائة كيلومتر فى الساعة ، تعد الى زمن قريب معجزة فنية ، ولكن بعض جيران فرنسا ابتدعوا أخيراً ضربا من طائرات المطاردة لا تقاس به الطائرة الفرنسية من حيث السرعة والمتانة

فالدول والحالة هذه مجبرة على التضحية بسلاحها القديم الذى كلفها غالياً ، أو بيعه ، أوالانتفاع به فى حرب تثيرها عمداً ، خشية أن يسبقها خصومها الى ابتداع أسلحة جديدة ، أو خشية أن تعصف بها أزمة مالية تقعدها عن تجديد سلاحها

ولو استطاعت دولة من الدول ان تضمن السلم عشر سنوات مثلا ، فمن الحكمة ألا تسرف فى التسلح فى خلال هذه الفترة ، وان تراقب فقط حركة التجديد عند جاراتها ، وألا تستطرد تسلحها إلا فى السنوات الثلاث الاخيرة بعد اذ تكون قد ادخرت مالا وافراً

وهكذا تفيد من اختراعات سواها وتضيف اليها غيرها ، وتأمن تقلبات «المودة» وفعل الزمن فى سلاحها ، ولكن كيف نضمن الغد ، ومن ذا الذى فى وسعه التنبؤ بما قد يأتى به الغد ؟ . .

ان الساعة الرهيبة قد تدق الآن ، بل فى هذه اللحظة ، ومن الواجب والأسفاه أن تواصل الدول الكفاح وتنشط وتتبارى وتراكم سلاحا فوق سلاح وابتكاراً فوق ابتكار

وعندى ان هذه المباراة الملعونة جعلت أوربا تعيش عيشة الحرب فى زمن السلم ، فهل فى مقدورها مواصلة حياة كهذه ، وهل فى وسعها المضى فى هذا السبيل دون مواجهة الفاقة واخطار الازمات الاقتصادية المروعة ؟

ان ألمانيا تنفق المليارات على تسلحها ، وعمالها يشتغلون بأجور مخفضة ، وكذلك تفعل ايطاليا واما انجلترا فتنفق على السلاح مبالغ لا يتصورها العقل ، وكذلك الولايات المتحدة ، وأما الدول الصغيرة كالبلجيك وهولاندا وسويسرا ويوجوسلافيا والمجر فقد أخذت فى الفخ وشرعت تنفق على جيوش كانت تكفي فيما مضى لغزو القارة الاوربية بأسرها

والجميع يشتركون فى رقصة الموت هذه ، والجميع يتبارون فى أيهم أنشط حركة ، وأمهر وثبة ، وأقدر على التحفز والانقضاض . . ألا إنه لعار وخزى وانحطاط ! . .

فمتى تفيق اوربا من سباتها ، ومتى ترجع الى سابق جهادها ، ومتى يتفق الاوربيون على تحويل هذا التيار الفاجع ، واستخدام عبقريتهم فى سبيل الحياة لا فى سبيل الدمار والتهلكة ؟ . .

[خلاصة مقال بقلم روسى عضو اكاديمية جونكور نشرت بصحيفة ماريان]

معانى الرقص

عند قدماء المصريين

كان المصريون القدماء على نبوغ ملحوظ فى فن الرقص . وكان رجالهم ونساؤهم يجيدون هذا الفن كما تشهد بذلك النقوش المصرية القديمة البادية على بعض الآثار

ففى مقبرة اكاهورو نرى الموت جاثماً على مقعد صنعت أطرافه على شكل قدمى أسد ، يتأمل رجلين يرقصان وبالقرب منهما ثالث يصفق بيديه تصفيقا توقع عليه حركات الرقص . ويرى الناظر عن بعد جمعاً من النساء يرقصن أيضاً ، وقد وقفت بجوارهن امرأتان تصفقان



الرقص على نغم الموسيقى كما يبدو فى بعض مقابر طيبة

والذى يسترعى البصر فى هذا المنظر ، أن ضفائر النساء طويلة ، وأنها تنتهى بشبه كرة تهتز فى أثناء الرقص اهتزازاً يؤدى إلى تماوج الضفائر حول جسم الراقصة تماوجاً ساحراً غريباً

فالمصريون والحالة هـذه كانوا لا يكتفون بتقديم الهبات المادية لموتاهم ، بل كانوا يعنون فى الوقت نفسه بادخال السرور على نفوسهم من طريق الفن

ولقد كان أوزيريس يحب هرمس ويقدره . وكان هرمس فى نظر المصريين عالما وفنانا . فهو الذى أرشد الناس فى زعمهم إلى مبادىء علم الفلك ، وهو الذى راضهم على فن الموسيقى ، وهو الذى علمهم الرقص ومختلف أنواع الرياضة البدنية ، بعد أن ابتدع لهم القيثارة ذات الثلاثة الاوتار

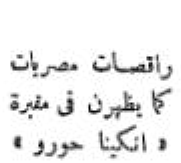
ومما يدعو إلى الاعجاب أن الرقص عند قدماء المصريين كان رجع صدى الحياة ، وكان فناً يراد به تمثيل الحياة . فالراقص الفذ هو الذى كان يستطيع بحركاته المتزنة المنسجمة أن يحاكي ليونة الماء ، واضطرام النار ، ووحشية الاسد ، وغضب الفهد ، واصطفاق أغصان الشجر ، محاكاة دقيقة تنم عن تقديسه الطبيعة وشعوره العميق بما فيها من عنصرى القوة والجمال

وكانوا يبتكرون رقصات تمثل حركات الافلاك ، تحدث عنها أفلاطون حديثاً ملؤه الاعجاب والتقدير . وأما المآدب التى كانوا يقيمونها تمجيداً للعجل أبيس فكانت تبدأ بحفلات رقص رائعة ، فتتقدم الصفوف جموع الكهنة وتقوم حول الهيكل بالرقصة الأولى . وكان الهيكل يمثل الشمس فى كبد السماء ، وحركات الرقص ترمز إلى مختلف التغيرات السماوية التى تحدث فى أثناء اشراق الشمس ومغيبها ، وفى خلال تطور أضوائها طول العام

وكان الكهنة يمجدون فى رقصهم فوق ما تقدم مآثر أوزريس وخيراته ونعمه . فيمثلون مولده السرى ، والملاهى التى كان يتعشقها فى طفولته ، وغرامه بالالهة ايزيس ، وبسالته العظيمة . وتأهبه لغزو بلاد الهند على رأس جمع من المحاربين

وكان الكهنة لا يتوجون أوزريس ملكا على المصريين فحسب ، بل يشيدون به باعتباره أخاً





راقصات مصريات كما يظهرن فى مقبرة « انكينا حورو »

للمصريين ، وذلك فى رقصات نشطة حماسية مبتهجة تشيع فى أفئدة الشعب عواطف الفرح والحب والاعتزاز

ولما كان موعد وفاة العجل أبيس يقترب ، كان الكهنة يشيعون جنازته بالرقص . وكانوا يرقصون فى الهيكل وفى الشوارع رقصاً ينم عن حزن شديد يظل مستحوذاً على نفوس الشعب حتى يظهر العجل الجديد ، وعندئذ كانت تستأنف المآدب والحفلات ويقضى الشعب أسبوعا كاملا فى اللهو والرقص

والواقع أن الشعوب القديمة وفى طليعتها شعب مصر ، كانت تقدم الرقص إلى الله قربانا . وتعبر بالرقص عن عرفانها بجميل الخالق

فالرقص كان نوعا من أنواع العبادة . وكان انسجام حركات الراقص يرمز إلى تمجيد انسجام الظواهر الطبيعية وتمجيد مبدعها الأعظم

ولهذا السبب كان الكهنة يتدربون على فنون الرياضة البدنية ، والتلويح بالأذرع والاقدام قبل


رقص الوثنى

البدء بدراسة أصول اللاهوت ، وقبل التفقه فى علوم الدين . وكانوا يؤمنون بان الراقصين متى اندمجوا فى رقصهم واشتدت حماستهم وعنفت حركاتهم ، كان رقصهم الدينى خير واسطة لهبوط الوحى الالهي عليهم

ولقد ورد فى كتاب العلامة « لولى » عن تاريخ الفنون الجميلة أن الرقص كان وثيق الصلة عند قدماء المصريين بمختلف شعائرهم الدينية ، وان قوانينهم نظمته وحددت أصوله ، وخلعت عليه من ألوان التسبيح والفرح ما جعله أروع آية من آيات العبادة والتمجيد

[خلاصة مقال عن مجلة Musique]

أكاذيب التاريخ المشهورة

تمجد فريقا وتظلم فريقا بغير حق

كثير مما رواه المؤرخون المثبتون وذكرته مؤلفاتهم المعتمدة ، ليس إلا أحاديث خرافة أو أقاصيص مفتراة ، قصدوا منها إلى تمجيد فريق من الناس تمجيداً فيه إطناب واسراف ، والى تحقير فريق آخر تحقيراً لا انصاف فيه . ثم تداول الناس هذه المفتريات أجيالا تلو أجيال ، فقرت فى أذهانهم كأنها حقائق ، حتى قام علماء هذا العصر ينقبون عن آثار الماضى ويفحصون أسانيده ، فأماطوا اللثام عن كثير من هذه الاكاذيب الذائعة ، وأثبتوا أن المؤرخين القدماء قد عظموا أناساً لا يستأهلون التعظيم ، وظلموا آخرين لم يقترفوا ما نسب اليهم زوراً !

وهنا نذكر بعض هذه الأكاذيب :

يقولون ان الاسكندر المقدونى بكى حين دخلت جيوشه أرض الهند لأنه أخضع كل أرض معمورة فى أيامه ، فلم تعد ثمة أقاليم يغزوها ويسودها . ولكن لدينا الآن من الادلة ما يثبت أن

جيوشه قد هزمت أمام الجيوش الهندية ، وأنه اضطر إلى أن يرجع القهقرى مهزوماً !

وبالغوا فى الحط من تاريخ نيرون حتى صار مضرب المثل فى البغى والعسف . فاتهموه بانه أمر بقتل أمه ، مع أنها قتلت دون أن يدرى . واتهموه بأنه أمر باحراق روما ليشاهد النيران تلتهم معالمها وتفتك بأهليها ، بينما هو ينشد الاغانى ويعزف على « الكمان » لاهياً . والحق ان النار التى أحرقت روما شبت قضاء وقدراً ، وأما « الكمان » فلم تخترع إلا بعد عهده بمئات السنين !

وأضفى المؤرخون على « قسطنطين الأول » صفات القداسة ، فلم يعد اسمه ينطق إلا مسبوقا بلقب قديس .. لماذا ؟ .. ألأنه قتل زوجته ، وولداً أو ولدين من أولاده ، ونفراً جماً من أهله ؟! والواقع أن هذا الذى يقدسه المسيحيون حتى اليوم لم يكن يعرف من المسيحية كثيراً ولا قليلا ، لأنه لم يكن ينتمى اليها إلا انتماء ظاهرياً فحسب

وتقرأ فى تاريخ سويسرا هذه القصة الرائعة التي تروى عن البطل وليم تل ، وكيف انتفض على حكم أوستريا وعمالها الغاشمين ، وألب عليهم القبائل فنفروا معه إلى حرب الدخلاء الغاصبين ، حتى قهرهم وطردهم وحرر بلاده من الاغلال . . وتمتلىء نفسك إعجاباً بهذه البطولة الفذة ، ولا سيما حين تقرأ القصص الرائعة التى وضعها الشعراء والروائيون تمجيداً لوليم تل . . ولكنك ستأسف حقاً حين تعلم أن المؤرخين الحديثين يثبتون أن هذه القصة ليست إلا حديث خرافة ، فليس من دليل على أن وليم تل قد وجد على ظهر الارض يوماً ما

ويريد المؤرخون الاشادة بشجاعة الاغريق وبسالتهم ، فيؤكدون أنه حين احتشدت جيوش الفرس الزاخرة تحت إمرة اكزركسيس عند ترموبيلى ، تصدى لهم ثلاثمائة أغريقى فقط ، فانهالوا على كتائب الفرس تقتيلا حتى كادوا يردونها على أعقابها . . ولكن البحث التاريخى يثبت أن جنود الاغريق لم يكونوا ثلاثمائة ، بل كانوا اثنى عشر الف نسمة على الاقل . وأنهم لم يصمدوا لقوات الفرس التى أودت بهم جميعاً

وقد كانت كليوباترة تحيا حياة باذخة بلا مراء . ولكن المؤرخين يسرفون فى تصويرها حتى جاوزوا كل معقول . فقال القدماء منهم ، وتابعهم المحدثون ، إنها كانت تذيب الجواهر فى كؤوس الخمر ، حتى يكون شرابها نفيساً غالياً جداً . . فهل لهم أن يتحققوا من أن أى صنف من الخمر لا يمكن أن يذيب أى جوهر أو حجر كريم ؟

وكذلك كان جورج وشنطون رجلا نبيل الخلق عزيز النفس ، ولكن ثمة قصة خرافية لا يخلو منها كتاب ترجم له ، وهى أنه فى حداثته اقتلع شجرة نادرة كان أبوه يزين بها حديقته ، فسأله أبوه عمن اجتثها ليعاقبه عقابا شديداً ، فقال له : « انى لا أستطيع ان أكذب يا أبى ، أنا الذى قطعتها بمنجلى » . هذه القصة ابتكرها أحد المؤرخين ، فأعجب بها الناس ، فعز عليهم أن يعدوها

أقصوصة مختلقة ، وأبوا إلا ان يعدوها حقيقة لا يأتيها الشك ، وها هم أولاء يلبثونها فى كل كتاب ويلقنونها كل تلميذ

وتقرأ قصة اعدام لويس السادس عشر فتجد إجماعا من المؤرخين على انه ذهب إلى المقصلة رزيناً إلى حد الجرأة والشجاعة ، فلم يخش منظرها الرهيب ولم يفزع من جلادها القاسى ، بل أسلم نفسه فى هدوء وثبات .. ولا تجد منهم من يؤكد الحقيقة وهى أنه راح يصيح مستنجداً مستغيثاً ، وأنه أمسك بالجلاد يبعده عن نفسه تارة ، ويسأله العفو والرحمة تارة !

ويصور المؤرخون والشعراء الذين عاصروا اليصابات ملكة انجلترا فى صورة المرأة الكاملة التى تأسر بنبل أخلاقها ورقة مشاعرها وحنان قلبها . ويأتى خلفاؤهم فيأخذون بهذه الأقوال على علاتها دون تمحيص . ثم تثبت الوثائق التى كشف عنها المؤرخون الحديثون أن اليصابات كانت ضيقة الصدر سيئة الطبع إلى درجة لا تطاق ، فكانت تسب وصيفاتها سباً لا يصدر من أفواه الملكات ، بل كانت تنهال عليهن لطما ولكماً وركلا

وهناك أكذوبتان مشهورتان عن كولمبوس . فتراجمه تذكر أنه حين نزل جزيرة جمايكا فى رحلته الرابعة سنة ١٥٠٤ ، أوهم أهلها الهمجيين الذين هموا بقتله أنه قادر على كل شيء ، حتى ليستطيع أن يخسف لهم القمر اذا شاء . وكان الفلكيون قد تنبأوا بان القمر سيخسف فى الليلة التى نزل فيها أرض الجزيرة ، فلما رأى أهلها هذا المنظر العجيب استسلموا له خاضعين . ولكنك ترجع الى الفلكيين فيؤكدون لك أن القمر لم يخسف فى تلك السنين ولا فى السنين القليلة التي سبقتها أو لحقتها .. وأما قصة البيضة التي أوقفها على المائدة ليتحدى بها خصومه ، فما من طفل الا يعرفها ويستدل بها على ذكاء كولمبوس ، والواجب أن نستدل بها على ذكاء المؤرخين الذين ابتكروها فهى احدى بنات أفكارهم الكثيرات !

ولعل أقدر المؤرخين على مثل هذه الافكار هو أبوهم « هيرودوت » . فهو مثلا يتحدث عن حدائق بابل المعلقة ، مع أنها لم تكن حدائق ، ولم تكن معلقة ، بل كانت أسطحاً مقامة على أعمدة ، ومحملة بأصص الشجيرات والاشجار . وهو يتحدث عن حصار طروادة وما كان بين باريس وهيلانة من حب حينذاك ، مع أن سن هيلانة حين وقع هذا الحصار كان يجاوز وفق تقديره ستين عاما . . !

وهكذا نجد كتب التاريخ حافلة بكثير من الاكاذيب التى تشوه الحقائق تشويهاً كبيراً ، فتضفى الفضل على من لا يستحقونه ، وتظلم أناساً أبرياء مما ينسب اليهم

[خلاصة مقال لكنيث وود فى مجلة باريد]

دور المرأة فى المجتمع المصرى

حديث مع هنرى فورد

أوفدت « المجلة العالمية » الفرنسية ، محررها الاول لاجراء حديث مع « هنرى فورد » حول مركز المرأة فى المجتمع المصرى ، والدور الذى يمكن أن تقوم به فى المستقبل لترقية شئونها والنهوض بنظام الاسرة واليك ما كتبه المحرر :

هنرى فورد

وأخيراً تحدثت الى ذلك الرجل العظيم المشرق الجبهة اللامع العينين المتقد الأعصاب ، الذى لا تكاد تبصره حتى يفتنك منه فرط نشاطه وذكائه وثقته بنفسه وتأهبه الدائم لاقتحام مشروعات مبتكرة تدل أبلغ الدلالة على ما انطبع عليه من حب المغامرة

ذكرت له الغرض من زيارتي فابتسم ابتسامة خفيفة ، ثم قهقه ضاحكا ، وارتسمت على وجهه المجعد أمارات التفكير العميق ، وسرعان ما اختفت ابتسامته وانطفأت ضحكته ، وقال فى هدوء :

— نحن نعيش فى عصر الآلة ، أى فى عصر الرفاهية . ولقد كانت المرأة الى زمن قريب أشبه بحيوان بيتى ، ترهقها الواجبات المنزلية وتحول بينها وبين التمتع بالملاهى البريئة وبمختلف أنواع الفنون والآداب . ولكن الآلة ستبدل هذا النظام شيئاً فشيئاً . وعندى أن سلطان القوة الكهربائية سيمتد حتى الحقول والمزارع ، فتحل الكهرباء محل المرأة ، وتقوم الآلات الكهربائية بالأعمال الوضيعة التى كانت تقوم بها المرأة ، وحينئذ تنعكس الآية ويهجر الرجال والنساء المدن الكبيرة وينزحون الى الريف المتحضر وتستطيع المرأة الحياة فى جو الطبيعة محتفظة بأنوثتها وبالشعر الوجدانى المنبعث من عواطفها ، والذى تطغى عليه حياة البيوت والمصانع فى المدن الكبيرة

ولقد أسدت الآلات الكهربائية الى المرأة اجل الخدم فى المدن ، وعاونتها فى أعمالها البيتية ، ومنحتها أوقات فراغ ثمينة . ولكن المهم انتشار تلك الآلات فى الريف حيث يمكن ان تعيش المرأة فى الهواء الطلق وتنتج أبناء أصحاء

ولقد نظمت بعض الصناعات فى بعض المناطق الرفية ، وأنشأت عدداً من المزارع الكبيرة زودتها بأسباب الراحة وجلبت اليها القوة الكهربائية والآلات الحديثة . فكانت النتيجة أن المرأة

تمتعت بالماء الجارى ، واستخدمت آلات الغسل والكى والطهى ، واستعاضت عن الفحم والخشب بالكهرباء ، وازدادت شعوراً بالصحة والنظافة والراحة وتوافر أوقات الفراغ

— ولكن ما الفائدة من توافر أوقات الفراغ إن نحن لم نحسن استخدامها ؟ وما الفائدة من تخفيف عبء العمل عن المرأة إذا كانت ستقضى أوقات فراغها فى الثرثرة أو تبادل الزيارات أو لعب البريدج أو ارتياد دور السينما ؟

فأجاب فورد قائلا : أوقات الفراغ قوة . وهذه القوة يجب ان توجه لترقية الجانب الروحى فى المرأة . تلك حقيقة واضحة أقرك عليها . ولقد فكرت فيها طويلا . وفى نيتى ان انشىء في تلك المزارع ملاعب للرياضة ومكاتب للمطالعة ومسارح للتمثيل وقاعات للمحاضرات . وان اخصص فيها أقساماً للعاملات من سيدات واوانس.وهكذا ارقى بمستوى المرأة الفكرى والنفسى ، واشعرها بالفائدة العظيمة التي يمكن ان تجنيها من حسن استخدام اوقات الفراغ

فقلت : وما رأيك فى المرأة والعمل والزواج ؟

فقال : سبق ان قلت لك إننا نحيا فى عصر الرفاهية . فليس من العدل والحالة هذه ان نحرم المرأة من زيادة رفاهية الأسرة بالاقبال على عمل فيه ربح للمرأة ومعاونة مادية لزوجها

ولكن إذا كان قد ترتب على استخدام الآلات تخفيض ساعات العمل . وتخفيف شتى الجهود البيتية عن عاتق المرأة . وامتاعها بأوقات فراغ ثمينة . فعندى أن معظم أوقات الفراغ هذه يجب أن ينفق فى البيت وفى رعاية الأبناء وفى توثيق روابط العلاقات الزوجية . وينبغى أن أصارحك بأن مركز المرأة الحقيقى هو البيت لا المصنع . وقد يدهشك أن تعلم أن الصناعة لن تحتاج الى المرأة فى المستقبل القريب . اذ كلما تطورت الصناعة وتطلبت زيادة فى الدقة وانعام النظر ، استغنت عن المرأة . وذلك لأن الذكاء الميكانيكي الدقيق ينقص المرأة . ولأن المرأة لا صبر لها على صنع الآلات الدقيقة ، ولا قدرة لأعصابها على الاهتمام بتحسين صناعة تلك الآلات وابلاغها حد الكمال الممكن

ولقد انشأت اخيراً مدرسة للتجارة ، فتبين لى ان الفتيات لا يصلحن للاعمال التجارية ايضا . انهن يعرفن كيف يطعن الأوامر ولكن أذكاهن عقلا لا تستطيع مجاراة الشاب فى حسن التصرف وفى قوة الابتكار وفي الاعتماد على التفكير المستقل الشخصى

ومن خصائص المرأة ان تطيع وتحمل الرجل مسئولية العمل . وسواء أكانت تشتغل فى مصنع ام فى مكتب فأقصى آمالها الاحتفاظ بعمل آلى لا يتطلب انعام فكر او الاضطلاع بمسئولية

على ان المرأة فى بيتها أنشط أعصاباً وأحد ذهناً منها خارج البيت . وذلك لأن الرجل يلهب عزيمتها ، وغريزة الامومة تفتق حيلتها ، وشعور الامن والدعة والاستقرار يمكنها من اظهار ما تنطوى عليه نفسها من عطف وحنان وتضحية

— وما هى فى عرفك الاعمال التى يجب ان تقوم بها المرأة كى تصبح ربة بيت كاملة ؟

فقال : العناية بالطعام أولا ، وتجهيزه تجهيزاً صحيا ، ثم تربية الابناء تربية استقلالية ورياضتهم على حب الصراحة والصدق ، وعدم ارهابهم أو توقيع اية عقوبة بدنية عليهم . ثم الاعتقاد بأن الحب وحده لايجلب السعادة . بل الحب المقترن بالعمل المتواصل والتضحيات الدائمة هو سر الهناء العائلي فى هذه الحياة [خلاصة مقال عن مجلة لاربق مونديال]

كيف تحل معضلاتك ؟

وكيف تصل الى أصوب الآراء ؟

كل منا تمر به فترات طويلة ينظر فيها الى اشياء أمامه دون ان يتبينها ، أو يصغى الى أصوات حوله دون أن يسمعها ، لأن عقلنا حينئذ يكون زاخراً بأفكار يدفع ويزاحم بعضها بعضاً

الم تجلس مراراً امام محاضر أو موسيق دون أن تعى شيئاً مما يلق ، بينما نكون قد سرحنا الى جهات اخرى نتخيل مشاهدها وأصواتها المتعددة ؟

هذه هى حالة « اللاشعور » التى تحدث حينما يمتنع « العقل » عن التفكير . وفيها نستطيع أن نحل كثيراً من مسائلنا العسيرة ونعالج كثيراً من مشاكلنا العصية . إذ يبلغ التفكير فيها اقصى ما يبلغ من القوة والصفاء ، ويستجمع المرء أكثر ما مر به من تجارب الماضى ومعارفه

ولاشك فى ان هناك ساعات يمكن ان نحل فيها المشاكل بمجرد التفكير المركز العميق . ولكن هناك اوقاتاً اخرى ينبغى ان نكف فيها عن التفكير ، وندع الامور لهذا « العقل اللاشعورى » يبحثها ويعالجها . فهذا العالم الفرنسى « فيهر » قد درس حياة المفكرين الذين عاصروه ، فقرر له ثلاثة أرباعهم انهم وصلوا الى اهم مكتشفاتهم ومخترعاتهم فى اوقات لم يكونوا فيها منصرفين الى البحث والتفكير

واغلبنا يجهد تفكيره ويضنيه ، ومع هذا تأتى آراؤنا على كثير من الخطأ والشطط ، لأننا فى هذه الحالة نكون قد استخدمنا نصف عقولنا فحسب ، وأقل من نصف تجاربنا كذلك . أما نصف العقل فهو هذا « اللاشعور » الذى ندخر فيه اكثر تجاربنا ومعارفنا . والمثابرة على التفكير من شأنها الا تبيح « للاشعور » ان يظهر ويعمل ، مع ان من مصلحتنا ان نوقف التفكير من حين الى حين لنحل محله هذا «اللاشعور» . وفى هذا يقول الكاتب الامريكى هنرى دافيد ثورو : « ان العامل الكفء القدير هو الذى لايزحم يومه كله بالعمل ، بل يمنح لنفسه شيئاً من الفراغ ينطلق فى أثنائه من قيود العقل ، ليحيا حياة ـ لاشعورية ـ يكون فيها أقدر على التفكير والابتكار »

كيف إذن نستطيع ان نوجد هذا «اللاشعور» ونستخدم قواه فى ابتكار آراء صائبة جديدة ؟

والاجابة عن هذا السؤال تقتضى أولا ان نشبه عمليته بعملية طهى الطعام ، فمن الالوان ما ينضج جيداً اذا اججنا تحته النار وأضرمناها ، ولكن منها ما يفسد إذا لم نتمهل فى طهيه على نار هادئة خابية . وكذلك الآراء ، منها ما يمكن ان نصل اليه إذا أمعنا فى البحث وحددنا التفكير ، ومنها مالا سبيل اليه إلا إذا تركناه يظهر من تلقاء نفسه شيئاً فشيئاً

فالعقل يشبه – فى حالة الطهى – النار المندلعة المشبوبة ، بينما يشبه اللاشعور النار الهادئة الخابية . فمن الخطأ ان ندع كل المسائل لهذا العقل الذى قد يفسد بعضها كما تتلف النار الحامية بعض ألوان الطعام ، وينبغى أن نكل الى اللاشعور بعض مشاكلنا ومعضلاتنا فيبحثها ويعالجها متمهلا متريثاً

وإذن فهناك قاعدة عامة يجب ان نتبعها لنحل كل مشكلة تصادفنا ، وهى ان نفكر فى هذه المشكلة الى أقصى حدود التفكير ، ثم نعيدها الى اللاشعور ليبدى فيها رأيه الصائب فى غالب الاحيان

وهناك طريقان لهذا :

«اولها» أكتب المشكلة التي تواجهك على قصاصة من الورق ، وقيد معها كل الوجوه المحتملة لحلها ، وبين الى جانبها أسباب التأييد والمعارضة المختلفة . وبعد هذا مزق الورقة وذرها فى الهواء وتناس كل شىء يتعلق بتلك المشكلة قدر ما تستطيع . وعند ذلك ينتقل الامر من دائرة العقل الى دائرة اللاشعور ، الذى يتولى الفحص الدقيق والعلاج الناجع بينما أنت مطمئن مستريح

« ثانيهما » اطرح هذه المشكلة على بعض اهلك وصحبك ، وشاورهم فيها وخذ آراءهم على اختلافها وتناقضها ، وحاول معهم ان تبحثوا كل دقائقها وتنفذوا الى كل زواياها . ولكن لاتحاول ان تصل الى حل حاسم أو نتيجة نهائية . بل ألق بكل هذه الحلول الى « اللاشعور » فيتولى تمييز بعضها عن بعض ، وانتقاء السمين والقاء الغث منها

وهناك امثلة عدة تبين ان كثيراً من الآراء العظيمة لم تأت فى ساعات التفكير بل فى فترات الراحة

فمن ذلك ان الجراح الامريكى فردريك جرانت بانتنج ظل ذات ليلة يعد محاضرة يلقيها عن مرض البول السكرى ، واخذ يراجع مختلف الآراء ويقلب شتى النظريات ، حتى بدأت رأسه تدور بهذه الافكار المتعارضة المتناقضة ، وحتى اخذته سنة من النوم فاستلقى فى الفراش قبل ان يصل الى نتيجة حاسمة . وفى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل افاق من نومه ، واضاء حجرته ، وخط ثلاثة سطور على قصاصة ورق . هذه السطور الثلاثة التى لم يكن قد فكر فيها من قبل هى التي ادت الى اكتشاف الانسولين ! فكيف تم هذا إذا لم يكن وراء العقل قوة مفكرة اخرى هى اللاشعور

وقد ذكر الرياضى الفيلسوف الكبير ديكارت انه كشف اهم نظرياته وهو مستلق على فراشه فى الصباح الباكر

[خلاصة مقال لروبرت ابدجراف فى مجلة فوربز]

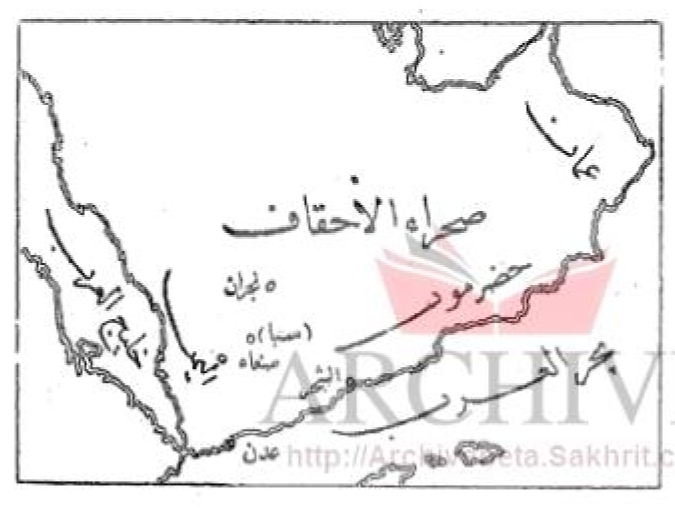
العلم والعالم

كشف صحراء الاحقاف

ما يزال العالم يجهل كل الجهل منطقة «صحراء الاحقاف» التي يسميها الجغرافيون «الربع الخالى» في جنوب الجزيرة العربية . فلعل المكتشف الانجليزى «ه . س فيلبى» يلقى ضوءاً على ذلك الاقليم الذى اخترقه فى رحلته الأخيرة من البحر الاحمر إلى المحيط الهندى

فقد مر فى طريقه بأرض سبأ التى لا يعرف من تاريخها إلا ما ذكرته التوراة والقرآن عن ملكتها الحكيمة الجميلة ، وما كان لها مع سليمان من قصة مشهورة . ومن المؤكد ان تلك المنطقة الموحشة كانت عامرة فى عهد هذه الملكة بمدن كبيرة وقصور باذخة ، ما تزال أنقاضها مطمورة تحت الارض تنتظر من ينقب عنها فيميط اللثام عن حقبة باهرة في تاريخ الشرق القديم . ولكن مقاومة أعراب ذلك الاقليم لكل دخيل عليهم لم تمكن الجامعات والهيئات العلمية من ان توفد اليه بعوثا منظمة للحفر والتنقيب ، فظلت آثاره مجهولة حتى الآن

ومن المعروف فى كتب الجغرافيا وأطالسها أن ليس فى الجزيرة العربية كلها سوى نهر واحد ، ولكن فيلبي شاهد بعينيه فى تلك المنطقة وحدها ستة أنهار تنبع من قمم الجبال ولا يغيض ماؤها مطلقا



وقد أمضى أسبوعين فى نجران وهى أخصب واحة فى الجزيرة كلها ، ومع هذا لا يعلم عنها العالم الا قليلا ، ولم يطأها من الاجانب قبل هذا سوى فرنسى واحد زارها سنة ١٨٦٩ . وقد وجد فيها المكتشف الانجليزى أنقاض قلعة كبيرة تدل على أن ثمة آثار مدينة عظيمة

وسيكون لهذه الرحلة نتائج علمية مهمة ، فقد نقل كثيراً من الرسوم المنقوشة على الصخور والانقاض ، مما سوف يكشف عن كثير من النقط المجهولة فى تاريخ العرب ونشأتهم الأولى وعلاقات قبائلهم بعضها ببعض

جامعة فى سجن !

لا شك فى أن العالم قطع أشواطا طويلة فى طريق المدنية برغم كل ما بقى فى حياتنا من نقائص . وحسبنا دليلا على هذا التقدم أن نقارن بين سجون الماضى التى ما زلنا نرتجف كلما قرأنا ما اقترف فيها من فظائع التعذيب الرهيبة ، وبين « سجن بريتوريا المركزى » فى جنوب أفريقيا الذى صار جامعة يتلقى فيها سجناؤه مختلف العلوم والدراسات ليحصلوا على الدرجات العلمية الكبيرة

خصص هذا السجن للمجرمين الأوربيين الذين يحكم عليهم بمدد طويلة ، فرأت ادارته أن من العبث ان يبقى نزلاؤه السنين تلو السنين بلا عمل يؤدونه ، سوى ان يتعلموا مختلف وسائل الاجرام ، ورأت أن من الواجب أن تمكنهم من أن يستغلوا مدة سجنهم استغلالا علمياً يعود عليهم بالفائدة المادية والخلقية معاً ، فأباحت لفريق منهم أن ينتسبوا للجامعات العلمية ، وهيأت لهم وسائل الدراسة والاطلاع بطريق المراسلة ، بل سمحت لهم بالتردد على الجامعات والمعاهد المنتمين اليها تحت إشراف مدرس من مدرسى السجن

وقد اختار هؤلاء السجناء لدراساتهم موضوعات علمية قيمة ، سوف تفتح لهم فيما بعد أبواب الحياة الشريفة . فمنهم من حكم عليهم فى جرائم التزوير والاحتيال ، ومع هذا فقد حصلوا على شهادات كبيرة فى ادارة الاعمال وشئون التجارة . ومنهم رجل حكم عليه بسبع سنوات ، فاستطاع فى بحر خمس منها ان يحصل على درجة بكالوريوس فى الآداب ودبلوم فى التعليم ورأى أن يشغل السنتين الباقيتين له فى السجن فى دراسة العلوم التجارية

ولا شك فى أن هذا النظام يفتح أمام السجين أبواب الامل فى مستقبل يعوض فيه ما فاته ، فمن السجناء هناك رجل حكم عليه بسبع وعشرين عاما لارتكابه جرائم القتل والسطو والسلب ، ومع هذا لم ييأس من مستقبله ولم يرض أن يضيع هذه السنين الطويلة هباء ، بل أكب على الدرس والتحصيل حتى نال شهادة البكالوريا ثم درجة عالية فى علم المناجم والهندسة الميكانيكية

ومن الغريب أن نسبة السقوط بين هؤلاء المسجونين قليلة جداً ، ومنهم من يتفوق تفوقا علمياً باهراً . وقد بدا فى أخلاقهم أثر العلم الحميد ، فصاروا أكثر طاعة للاوامر ومحافظة على النظام ، وبذلك قوم السجن أخلاقهم بلا عنف ولا عنف ، وهيأ لهم الطريق الى حياة صالحة تكفر عن جرائمهم وخطاياهم

أما نفقات التعليم فيقوم بها السجناء الميسورون ، أو تدفعها عنهم ادارة السجن مما يصلها من هبات المحسنين . وكذلك تساهم الحكومة فيها بجزء من الاموال المرصودة للخدمات الاجتماعية

وهنا يصح أن نتريث قليلا ، فقد يطمع سجناؤنا الممتازون - أى المثقفون - لا فى الانتساب الى الجامعة ، بل فى السماح لهم بمطالعة الصحف ، فيحرمون من ذلك ! وعندنا شبان راغبون فى العلم سائرون الى الرقى يريدون أن ينتسبوا الى جامعتنا ، كما ينتسب سجناء أفريقية الجنوبية الى جامعتهم ، فتسد فى وجوههم الابواب . فما أكبر الفرق بيننا وبين الدول التى لا تعد راقية جداً !

لاسقاط الطائرات

الطائرة تجرى بسرعة فائقة تبلغ ٢٠٠ ميل فى الساعة ، وعلى ارتفاع شاهق يجاوز خمسة أميال أو ستة ، وهى لا تسير فى طريق مستقيم بل تنحرف وتحاور يميناً وشمالا . فكيف يستطيع الجندى أن يصيبها بقنبلة يقذفها مدفعه الى هذا الفضاء الفسيح ؟

الواقع أن اصابة الطائرة بمثل هذه الطريقة

يبين هذا الرسم كيف تلتق قذيفة المدفع بالطائرة المقصودة بفضل الجهاز المجاور للمدفع الذى يبين مدى ارتفاع الطائرة وسرعتها ، ويحدد المنطقة التى تبلغها الطائرة حين تصل قذيفة المدفع الى مستواها وينقل نتيجة هذا الحساب بسرعة فائقة الى المدفع فتتجه قنابله إلى أهدافها بغير انحراف

ليس إلا أمر توفيق ومصادفة ، فلا يصح الاطمئنان اليه بينما الطائرة تصب الموت بلا هوادة على الرؤوس .. لهذا اخترعت أجهزة تزود بها المدافع المضادة للطائرات ، لتساعدها على أن تصيب قنابلها الأهداف المسددة اليها

والعملية التى تؤديها هذه الأجهزة هى (١) أن تحسب مدى ارتفاع الطائرة عن سطح الارض ومدى السرعة التى تنطلق بها فى الفضاء ، (٢) وأن تحدد ـ وفق هذا الحساب ـ النقطة التى سوف تصل اليها الطائرة فى اللحظة التى تصل فيها قذيفة المدفع الى المستوى الذى تطير فيه الطائرة . فاذا قدرنا أن العملية الاولى تستغرق ١٠ ثوان ، وأن العملية الثانية تستغرق ١٠ ثوان أخرى ، وأن القنبلة تستغرق ٥ ثوان حتى ترتفع الى مستوى الطائرة ، كان المطلوب اذن معرفة النقطة التى تصل اليها الطائرة بعد مغادرة موقفها الأول بهذه الثوانى الخمس والعشرين

وعند ذلك توصل هذه النتيجة النهائية الى الجهاز الذى يوجه فوهة المدفع ، فتنطلق قنابله متجهة الى المكان الذى تلتقى فيه بالطائرة المقصودة ، أو تنفجر على مقربة منها . وحيث أن الطائرة لا تستطيع أن تغير اتجاهها فى ظرف عشرين أو ثلاثين ثانيه ، أى لا تستطيع أن تنحرف الى اليمين أو الى الشمال فى هذا الظرف القصير ، فمن المؤكد اذن أن تصيب القذيفة الطائرة . ويلاحظ أن القنبلة حين تنفجر تقذف رشاشاً يصيب الطائرة ولو كانت تبعد عن موضع الانفجار بخمسة عشر متراً ، مما يجعل اصابة الهدف مضموناً الى حد بعيد

والمهم فى هذا المخترع أنه يقوم بهذه العمليات الحسابية الدقيقة ، وينقل نتائجها من جهاز الى جهاز ، بطرق اتوماتيكية تدهش بسرعتها الفائقة ودقتها التامة

الخطابات الناطقة

لم يعد عمل مكاتب البريد فى المانيا مقصوراً على نقل الرسائل ، بل تعداه الى نقل الاصوات كذلك . فبدلا من أن يكتب الانسان خطاباً بيده ، يذهب الى دار البريد حيث يملى رسالته فيسجل املاؤه هذا على اسطوانة كاسطوانات الجرامفون ، ترفق بثلاث إبر ويبعث بها الى المرسل اليه ، وبذلك يستطيع أن يسمع صوت صاحبه وهو يتحدث اليه . فاذا أرفقت هذه الاسطوانة بصورة فوتغرافية صار فى وسع البريد بهذه «الخطابات الناطقة» أن يؤدى - الى حد ما - مهمة التلفيزيون ، وهى نقل المشاهد والأصوات معاً

لماذا نتعلم القراءة؟

مانظن رأياً فى تعديل برامج التعليم بلغ من الجرأة والغرابة مبلغ هذا الرأى الذى ينادى به الدكتور آرثر ليخنشتين من أساتذة جامعة جون هو بكنز الامريكية ؟ فهو يرى أن قد آن الوقت لمعافاة بعض التلاميذ الضعفاء من تعلم القراءة ، لأننا نعيش فى عصر لا ضير علينا من أن نكون فيه أميين . . !

فكثير من المخترعات الحديثة قد سلبت « القراءة » بعض ماكان لها من أهمية كبيرة .

فهذا الراديو يصب فى آذاننا كل حين كثيراً من الانباء والمحاضرات

وهناك الآن مجلات يستطيع الأمي أن « يقرأها » جيداً لأنها ليست إلا مجاميع من الصور تشرح موضوعاتها وتروى قصصها بطريقة بينة واضحة . ومن المعروف أن الصحافة الحديثة تقلل كل يوم من كمية « السطور » لتزيد من كمية « الرسوم » ، وكثير من الصحف الراقية الرائجة لاتنشر سوى صور مذيلة بكلمات وجيزة قد يمكن الاستغناء عنها كذلك

وقد طغت السينما على الصحف والكتب طغيانا كبيراً ، حتى ليستطيع المرء أن يدرس الجغرافيا ويتعمق فى التاريخ دون ان يقرأ كتاباً واحداً فيهما ، اذا هو تابع ما تعنى شركات السينما باخراجه من المشاهد الجغرافية المفصلة ، والروايات التاريخية الدقيقة

بل لم تعد بنا حاجة الى أن « نكتب » رسائلنا الى أصحابنا وعملائنا ، بفضل الأجهزة الحديثة التى يملى عليها الانسان « رسائله » فتسجلها على اسطوانات يحملها البريد . وقد ذكرنا فى النبذة السابقة أن هذه الاسطوانات بدأت تذيع فى البريد الالمانى

فلماذا اذن - كما يقول الدكتور ليخنشتين - نجهد التلاميذ الضعاف فى تعلم القراءة ، حتى لتضيع عليهم السنين الطويلة وهم يكافحون فى سبيل حل رموزها وطلاسمها ، وحتى لييأس الكثيرون منهم ويخفقون فى التعليم اخفاقا قد يقتل مواهبهم وملكاتهم ، مع أن القراءة فى هذا العصر ليست إلا « مادة » كسائر مواد الدراسة - فهل لو أخفق التلميذ فى مادة الجبر مثلا وجب أن يحكم عليه بعجزه عن التعليم كله ؟ كذلك الأمر فى القراءة ، اذا أخفق التلميذ فى تعلمها فلنعفه منها ، لأنه يستطيع أن يدرس ما يشاء من العلوم من غير أن يعرف كيف يخط خطاً . . !

الحركة الفكرية

العداء التقليدي بين المانيا وفرنسا

يعتقد المؤرخ الأشهر اميل لدويج في كتابه « الاتحاد المقدس الجديد » ان العداء ما يزال مستحكما بين المانيا وفرنسا، وأنه لا بد أن يفضى الى حرب أوربية جديدة

ومن أعجب ما يقوله اميل لدويج ان المانيا النازية لا تنشد التوسع ولا تطمح الى المستعمرات ولا تتطلع الى المواد الأولى، بقدر ما تسعى لغسل العار الذى لحق بها فى « قاعة المرايا » عندما فرضت عليها معاهدة فرساي عقب الهزيمة فى الحرب الكبرى



اميل لدويج

فالمانيا تريد الثأر لشرفها لا بتحطيم معاهدة فرساي فقط بل باسترداد مجدها العسكري أيضاً فى حرب جديدة تفرض فيها شروطها على المغلوب فى قلب باريس وفى نفس قاعة المرايا

ويؤكد لدويج أن الشعور بالمهانة والضعة سيظل متأججاً فى صدور الألمان حتى يفوز الجيش الألمانى فى حرب مقبلة

ولقد فاز الألمان بمنطقة الرين واحتلوا النمسا وسيطروا على بلاد السوديت ، ولكن دون حرب ، فلم تستطع هذه الانتصارات محو عارهم وتوكيد مجدهم العسكرى فى نظر العالم

فالعبرة لدى الألمان فى عرف لدويج ليست بالكسب دون حرب ، بل بالاشتباك في حرب يراد بها قبل كل شيء غسل عار الماضى والتغلب بوجه خاص على فرنسا التي ألحقت بهم هذا العار

وحى القصصيين

كيف يكتب كبار القصصيين ، وما هى مصادر وحيهم ، وهل هم يعتمدون على ملاحظة الواقع أو على مجرد التصور الخيالى ؟ هذه هى الاسئلة التى طرحها الأديب النمساوى «جراليك» على طائفة من أشهر الروائيين فى أوربا . واليك بعض ما سجله من آرائهم في كتابه الأخير « فن القصة »

قال الروائي الانجليزي هكسلى : « أنا لا أستوحي الحياة ، ولا أنقل فى قصصى شخصيات خبرتها فى الحياة ، بل أبدع اول الأمر افكاراً مجردة ثم البس هذه الأفكار هياكل انسانية أصورها باعتبار أنها رجع صدى تفكيري وثقافتى ، ثم أحاول ان أوفق بينها وبين مختلف الظواهر الفكرية والنفسية الشائعة فى طبيعة الانسان ، وهكذا أصل بينها وبين الحياة »

وقال الروائى الفرنسى جول رومان :

« انا اعتمد على ملاحظات مأخوذة عن الواقع أدونها فى كراسة لا تفارق جيبي . فمتى ملأت كراسة استعضت عنها بأخرى . ومن هذه الكراسات الحافلة بتجارب الحياة أستمد وحى قصصي،وأخلق شخصيات أبطالى،واندمج فى الصورة أو الحادثة التى أريد ان أرسمها »

وقال الروائى الامريكى تيودور دريزر :

« كلما أردت وضع قصة شعرت بأن لابد لى من احساس غريب بالرحمة يلهب قواى التخيلية ويدفعنى الى العمل ، ولذا فقد الفت التجوال فى أحياء العمال القصية حيث الفقر والجوع ، والمرض والذل ، والكفاح اليومى الباطل ، والعبودية النفسية المرة . فمن هذه الأحياء استوحى فنى ، ومنها أستمد عاطفة الرحمة التى تضرم نار خيالى وتفعم تفكيرى بالنزعة الانسانية ، التى لا فن ولا جمال إلا بها »

وقال الروائى الشاعر الصينى هو ـ شيه :

« أنا لا استوحى الحياة الواقعة ، ولا أدون ملاحظات فى كراسات ، لأن مختلف صور الحياة وشتى افاعيل النفس البشرية ، اجدها فى خيالى وأنثرها من ذاكرتى ، وأشعر بها نابضة مختلجة فى أعماق قلبي ، فما على إلا ان اجلس الى مكتبي وأتناول قدحاً كبيراً من القهوة ، وأطلق لخيالى العنان . وعندئذ أحس الخواطر والصور والألوان تفيض من عقلى الباطن وترتسم على الورق فتذهلنى وتبهرنى بما اشتملت عليه من صدق وجمال وحياة !

كيف تتخلص من الحب ؟

ينصح بعض الناس جماعة العشاق المعذبين ، بالفرار من المرأة تخلصاً من داء الحب . وهم يقولون ان البعد يشفى المحب من حبه ، ويتحول بأفكاره وعواطفه الى محيط آخر ، وهكذا تفنى العاطفة فى العمل وتجرفها الايام وتلق بها فى جوف الزمن

ولكن الباحث الأخلاقي الفرنسى (اتيين ريه) يستخف بهذا الرأى ، ويقترح علاجاً آخر غريباً . فهو يرى انك لن تستطيع الشفاء من الحب بهجرك المرأة التى تحب ، إلا إذا كان فى مقدورك الشفاء من الظمأ بهجر الماء . فعليك فى عرفه ان تتخذ الطريق المعكوس ، وان تحاول جهدك الاتصال بالمرأة التي تهوى ، وأن تتقرب اليها وتذلل مختلف العقبات فى سبيل رؤيتها أو التحدث معها أو الانخراط فى سلك المجتمع الذى تعيش فيه . وقد يؤلمك هذا ، ولكن شفاءك فيه ، لأن اقبالك على المرأة هو الذى يستهلك قوى حبك ، ويستنفد قوى خيالك ويفتح مغاليق بصرك ، ويهديك شيئاً فشيئاً الى رؤية نقائصها بعقلك ، وهكذا تفهم حقيقتها وتتحرر منها وتنسى ما احتملته من ذل وعذاب

هذا هو رأى الباحث الفرنسى ، وهو فى جوهره صحيح ، ولكن العمل به يتطلب قوة خارقة فى احتمال العذاب الذى تحدثه رغبة الاتصال الدائم بالمرأة ، وليس الناس جميعا أقوياء

تفوق الفاشزم على الاشتراكية

لماذا تفوقت الحركة الفاشية أو النازية على الحركة الاشتراكية وسلبتها أنصارها وتوطدت فى دولتين كبيرتين مثل ايطاليا والمانيا ؟

يجيب عن هذا السؤال المفكر الانجليزى ريتشارد . ج . روبنسون في كتابه الاخير (الفاشية والاشتراكية) بقوله : « إن الفاشية انتصرت لأنها خاطبت عواطف الجماهير،وألهبت

فى صدورها حاسة الكبرياء الوطنية ، وأحاطت نفسها بمشاهد عسكرية مسرحية أثارت اعصاب العامة . أما الاشتراكية فلا قمصان لها ولا شكات عسكرية ولامشاهد تمثيلية ، وهى فى لبها مذهب مادى محض لا يخاطب العاطفة بل العقل ، ولا يثير الحماسة بل التفكير وانعام النظر

فالفاشية استطاعت أن تخاطب شعوباً بأكملها ، أما الاشتراكية فلم تفلح إلا في التأثير فى طبقات معينة لها فيها مصلحة مادية مباشرة . ولن تنجح الاشتراكية إلا متى بسطت وركزت فى تعاليم عاطفية وابتكر زعماؤها بعض مشاهد مسرحية يمكن ان تثير فى الجماهير خصائص الدهشة والحماسة والاعجاب

الحب والموت والفن

من أبدع القصص الحديثة التى أخرجها الروائى الانجليزى تشارلز مورجان قصة (سيركنبروك) . وفى هذه القصة يتحدث الكاتب عن الحب والفن والموت حديثاً مبتكراً رائعاً فيقول : « ان أوجه الشبه عظيمة بين هذه القوى الثلاث ، فالحب هو تسجيل لموت الشخصية البشرية الجثمانية وبعثها فى عالم لا يمت الى الواقع بسبب ، والفن هو تسجيل لجمال المرئيات وجمال النفوس فى أعمال عظيمة يصاب فيها الجمال الظاهرى بالموت توطئة لبعثه فى عالم خيالى روحانى لا يمت الى الواقع بصلة ، وأما الموت فهو كالحب وهو كالفن ، قوة تخلع عن الانسان ثوبه المادى وتبعثه فى عالم روحانى لا يمت أيضاً الى الواقع بأى سبب »

فالحب والفن والموت هى فى عرف الروائى قوى الخلاص والتحرر والانطلاق من ربقة المادة الى فسحات الروح . فكل من أحب يحس فناء شخصيته الظاهرية ، ويحس أنه يبعث الى عالم جديد . وكل من ابتدع عملا فنياً أو أعجب بعمل فنى يحس أنه يودع الدنيا ويشرف على الابد . وكل من مات يحس أنه يخرج من حلم الى يقظة نورانية خالصة من مرهقات المادة ومطالب الجسد . فكأن الحياة الكبرى فى رأى تشارلز مورجان هى تلك التى يعيشها العشاق والفنانون ولا نشعر نحن بها إلا بعد أن نموت أو فى ساعة الاحتضار ! . .

الدولة والثقافة

أصدر المفكر الألماني «أرتورفون فوكنر» وهو أحد الادباء الاحرار الذين هجروا وطنهم بعد قيام حكومة النازى ، كتابا بالعنوان المتقدم حاول فيه عرض الأسباب التى جعلت من الالمان شعباً يدين بمبدأ القوة وينشد السيادة والتوسع . ومما ورد فى كتاب فوكنر قوله : « ان علة العلل فى تاريخ المانيا الحديث هى الفصل بين شئون الثقافة وشئون الدولة

« فرجال الدولة يكرهون المثقفين من أحرار الفكر ، ويعتقدون ان الثقافة الواسعة لا تتفق وشخصية رجل الدولة ، وان مهمة الحكم يجب ألا يعهد بها إلى المفكرين ، بل الى رجال الجيش

« وعندهم أن الفضائل العسكرية أى ـ النظام والطاعة وتجنب المناقشة والجدل ـ هى المثل الأعلى . أما فضائل الفكر الحر ـ أي الاستقلال والنقد والاشراف على أعمال الحكومة ، فهى رذائل تفكك مجموع الأمة ، وتجرده من نزعة القوة وارادة التفوق

« ولقد كانت هذه الآراء شائعة أيام بسمارك وغليوم الثانى ، فاعتادها الشعب وآمن بها ، فلما قام الحكم الجمهورى فى المانيا عقب الحرب الكبرى ، أحس الشعب ان هذا النظام دخيل عليه ، ولهذا السبب لم يكد المارشال هندنبرج يعلن ان هزيمة الالمان فى الحرب كانت نتيجة خيانة الأحزاب الديموقراطية والاشتراكية ذات العناصر اليهودية البارزة ، حتى اغتبط الألمان بهذه الفكرة ، وعادت النزعة العسكرية تضطرم فى صدورهم ، مما سهل على جماعة النازى اقتحام الرأى العام الالمانى والاضطلاع بشئون الحكم

« فرجل الفكر الهادىء المتزن الرصين يعد فى المانيا غير صالح للحكم. ولابد ان يكون عسكرياً، أو ممن يقدسون فضائل الجيش كى يفوز بحب الشعب واخلاصه »

وصفوة آراء فوكنر ، هى ان الانتصارات التى أحرزها العسكريون الألمان على النمسا وفرنسا والتى أسفرت عن تحقيق الوحدة الألمانية ، قد ألقت في روع الشعب ان الثقافة شىء وأساليب الحكم شىء آخر ، وان من مصلحة الشعب إقصاء المفكرين عن الشئون العامة وتسليمها للعسكريين

وهذا هو السر فى ان الشعب الالمانى لم يغضب أبداً لتقييد حرية الفكر ، ولم يقم بأية ثورة كبيرة فى سبيل هذه الحرية

كل مجنون فنان

أثبت العالم الفرنسى « جورج لوازون » وهو من كبار أطباء الامراض العقلية أن كل مجنون فنان . وقد تناول هذه النظرية بالبحث والتحليل فى كتابه الأخير « الجنون وفن الجمال »

ويرى هذا العالم أن الفكرة الثابتة التى تحتل ذهن الانسان وتطغى على سائر أفكاره وتؤدى به الى الجنون ، يمكن أن تصدر عنها بعض أعمال ذات قيمة فنية لا شك فيها . وقد عرض المسيو لوازون فى كتابه طائفة من الصور رسمها طائفة من المجانين ، فجاءت أمثلة رائعة من الجمال

وتمتاز هذه الصور بخيال واحد ينبع من الفكرة الواحدة التى تسيطر على عقل المجنون

فهذه الفكرة التى تركزت فيها خصائص الجنون العقلية ، تتمثل فى الرسوم بدقة غريبة يعجز عن تأديتها أمهر الفنانين

ويعتقد المسيو لوازون أن المجنون يجد عزاء كبيراً فى عمله الفنى . وقد لاحظ عدداً من المجانين كانوا يرقصون فرحاً كلما رسموا بضع صور على لوحة ، أو خططوا رسوما على الارض أو على الجدران

ففرحهم يشبه فرح الفنان بانتاجه ، ويفضى آخر الأمر الى شىء من الراحة والهدوء

ويذهب العالم الفرنسى الى أبعد مما تقدم فيؤكد أن كل مجنون فنان ، وان فى تصرفات كل مجنون وأعماله مظاهر فنية تعبر أتم تعبير عن بعض جوانب النفس البشرية فى اطار خيالى قد تشوبه الفوضى ولكن العين الملاحظة تلمح فيه بارقة من حقيقة تومض فى جو من الشعر والجمال

الكتب الجديدة

مروج الذهب ومعادن الجوهر

للمسعودى فى أربعة أجزاء كبيرة

مطبعة دار الرجاء بدمشق

ان الأتجاه صوب الثقافة الاوربية لا يغنى الاديب العربى عن ثقافته الأصيلة التى لا بد من اقترانها فى ذهنه بروائع التفكير الحديث ، كى تنمو فى العقل الشرق خصائص مستقلة مبدعة

والواقع ان إحياء الصالح من الأدب العربى القديم هو واسطة تحقيق هذا الغرض الأسمى

وقد أدرك ذلك الأستاذ محمود حلمي صاحب دار الرجاء للطبع والنشر في دمشق ، فاهتم بكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى وأعاد طبعه فى حلة أنيقة وثوب قشيب

والمسعودى هو على بن الحسين بن على من ذرية عبد الله بن مسعود ، نشأ فى بغداد وجاب مصر ، وجال ابتغاء طلب العلم فى بلاد فارس وكرمان عام ٣٠٩ ﻫ ثم رحل إلى الهند والصين وطاف البحر الهندى إلى مدغشقر ثم عاد إلى عمان ، ثم سافر إلى الشام وفلسطين وانطاكية ، واستقر آخر الأمر فى مصر

ولم ينفك المسعودى فى أثناء رحلاته عن البحث والاستقصاء فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه اليه أحد من أهل عصره

وأشهر تآليفه مروج الذهب وقد وصف فيه الخليقة واختصر قصص الانبياء ، ووصف البحار والأرضين وما فيهما من عجائب ، وعرض لتاريخ الأمم القديمة كالفرس والسريان واليونان والروهان والفرنجة والعرب القدماء وأديانهم وعاداتهم ومذاهبهم ، ثم عطف على تاريخ الرسالة الاسلامية من ظهور النبى عليه الصلاة والسلام إلى مقتل عثمان ، ثم تطرق إلى تاريخ الاسلام نفسه من خلافة على إلى أيام المطيع لله العباسى

فأنت ترى مما تقدم مبلغ أهمية الكتاب ووجوب العناية بنشره وترويجه بين شعوب العربية . وهذه هى المهمة التى اضطلع بها الاستاذ محمود حلمى على خير وجه مستطاع بمساعدة الأديب الكبير الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد الذى راجع أصول الكتاب ، ورقمه وضبط مبهمه وعلق عليه ، فجاء غرة خالصة من غرر الأدب العربى الخالد

رسالة التوحيد والأسلام والنصرانية

بقلم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

طبع دار المنار بمصر

رسالة التوحيد للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده أشهر من ان تعرف للقراء ، فهي بحث مستفيض فى العقائد والوحى ووظائف الرسل عليهم السلام ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والدين الاسلامى والاسلام

وقد استهلها الأستاذ الامام بفصل فى تعريف علم التوحيد ثم تدرج إلى البحث فى علم العقائد، فمذاهب الفلسفة فى الاسلام ، ثم تطور الى دراسة الحقيقة من الوجهة العقلية ودراسة الجوهر الفرد ، ثم انتهى إلى بحث روح الاسلام وما

تنطوى عليه من عدل ورحمة وحرية وتسامح
ومما يجدر بالذكر ان هذه الرسالة الفريدة قد نقلت الى مختلف لغات العالم ، وترجمت منذ سنوات عدة الى اللغة الفرنسية ترجمة جديدة أحرزت شهرة واسعة فى فرنسا وعززت مكانة الاسلام فى العالم الغربى

وقد طبعتها دار المنار الطبعة الثامنة مصدرة بجدول منظم ومعلقا عليها بقلم المغفور له السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار

وأما كتاب (الاسلام والنصرانية) ، فقد أعادت طبعه دار المنار أيضاً ، وهو دائرة معارف إسلامية رد فيها المؤلف على كثير من الشبهات التى ألصقت بالدين الاسلامي كما بين حقيقة هذا الدين وخدمته للعلم والمدنية ، وقارن بينه فى ذلك وبين المسيحية ، مع ذكر نبذة تاريخية لكل منهما ، ثم عطف على حال المسلمين الحاضرة وبحث عللهم وأمراضهم الاجتماعية كما وصف علاجها

وليس شك فى ان دار المنار قد أسدت باعادة طبع هذين السفرين العظيمين ، أجل الخدمات للاسلام والمسلمين

نهضة العرب

« THE ARAB AWAKENING »

للاستاذ جورج أنطونيوس

لا تستطيع إذ تفرغ من مطالعة هذا الكتاب إلا أن تعترف بفضل مؤلفه ، وبأنه جدير بأن يحتل مكانه فى الصف الأول بين كتاب التاريخ ، ليس للمجهود الذى بذله فى وضعه باللغة الانجليزية فقط ، بل لأنه مؤلف أول كتاب من نوعه يعرض لهذه الناحية من نواحى التاريخ الحديث ، التى ما تزال مع الأسف مجهولة لكثيرين حتى من المهتمين بالمسألة العربية من الساسة ومن المؤرخين على السواء

ففى أكثر من سبعين وأربعمائة صفحة من الحجم المتوسط سجل الاستاذ البحاثة « جورج أنطونيوس » تاريخ الحركة القومية فى العالم العربى فى خلال الأعوام المائة الاخيرة حتى اليوم ، أي منذ بدأت فكرة « العروبة » و « الوحدة العربية » فى الثلث الاول من القرن التاسع عشر ، وحرص على أن يضع تحت أنظار قرائه صورة صادقة لنهضة العرب فى هذه الحقبة من التاريخ ، صورة لا تقف عند حد سرد الوقائع والحوادث ، وانما تتعداها الى تحليل ما أحاط بكل هذه الحوادث من الظروف والملابسات ، وما انتهت اليه من نتائج وتطورات ، متوخياً فى ذلك من الدقة وسلامة القصد كل ما يجب على المؤرخ المنصف أن يتوخاه ...

وتزداد قيمة هذا الكتاب النفيس فى نظر قارئه عند ما يلمس الجهد الذى بذله المؤلف فى وضعه ، فلم يكتف بالاعتماد على ما وصل الى يده من المصادر العربية أو الاوربية التى يستطيع أن يحصل عليها وهو جالس الى مكتبه أو فى منزله ، بل أبى إلا أن يشد رحاله الى مختلف البلدان العربية والاوربية باحثاً منقباً عن كل ما يتصل بهذا الموضوع الذى تناوله فى كتابه .

حتى جاء « نهضة العرب » وصفاً صادقا وصورة ناطقة لنهضة العرب . خصوصاً وقد حرص المؤلف على تدعيم كتابه بالاسانيد والوثائق التى تساعد المشتغلين بالمسألة العربية على أن يتفهموا الموقف الحاضر فى العالم العربى على حقيقته ، سواء فى شبه جزيرة العرب أو سورية أو فلسطين أو العراق . وتساعد بعبارة أخرى على

حل ما يواجه الشرق العربى فى هذه الآونة من مشاكل نرجو أن يوفق الساسة الى حلها

صقر قريش

للاستاذ على ادهم

مطبعة المقتطف فى ١٣٠ صفحة

يعرف قراء الهلال الاستاذ على أدهم حق المعرفة فهو من أغزر الشبان المصريين ثقافة ومن أوفرهم نشاطاً ومن اوسعهم اطلاعا على مختلف التيارات الفكرية الأوربية ولا سيما فى دائرتى التاريخ والفلسفة

ومن خصائص الاستاذ على ادهم تفوقه الملحوظ فى الجمع بين ثقافتي الشرق والغرب، فهو كلف بتاريخ العرب والاسلام ، ولوع بالتفكير العربى الاسلامى ، يبذل قصاراه فى التوفيق بين خلاصة الروح العربية وصفوة الفكر الاوربى

والواقع ان هذا الاديب الفاضل من اقدر المصريين على فهم الفلسفة الاوربية والتحدث عن « هيجل » او « كانت » او « رينان » حديث عارف خبير . ولقد سبق له ان نقل (محاورات رينان الفلسفية) الى اللغة العربية ، فجاءت مثلا يحتذى فى دقة الترجمة وروعة الاسلوب

وها هو ذا اليوم يصدر كتابه الجديد عن صقر قريش عبد الرحمن الداخل مؤسس أكبر دولة اسلامية عرفتها اسبانيا

ويمتاز هذا الكتاب بتوافر عناصر التاريخ وعناصر فن القصة فيه . فهو دراسة تاريخية صادقة الاخبار صحيحة الوقائع ، وهو قصة شائقة مؤلفة من شخوص حية صب عليها المؤلف من ضوء تحاليله النفسية ما كشف عن خفى عواطفها ومكنون احساساتها وميولها . وأما بطل القصة عبد الرحمن الداخل فقد صوره الاستاذ على أدهم فى شجاعته وقوته ، وفى دهائه ورقته ، وفى ارادته وعزمه ، وذلك من خلال الحوادث التاريخية التى امتاز بها عصره

وقد استهل المؤلف كتابه بفصل تمهيدى عن معيار البطولة وأثر الجماعة والافراد فى توجيه حركات التاريخ ، ثم تطرق الى تحليل شخصية عبد الرحمن الداخل من الجانب السياسى ، ثم تحدث عن نزعاته الفنية ، ثم انتهى بفصل تمجيدى اشاد فيه بعزيمة بطله وقدرته الخارقة على فرض ارادته على عصره وطبع هذا العصر بطابع عبقريته

ولقد ابرز المؤلف هذه الصورة الكاملة ومختلف الصور التي احاطت بها ، فى عبارة واضحة جزلة بليغة تجمع الى دقة التحقيق العلمى، فتنة الخيال الشعري وجلال التصوير الروائي

وفي وسعنا ان نقول ان الاستاذ على ادهم اتخذ من التاريخ أداة لابتداع عمل فنى حميد ، أسوة بما يقوم به فى الغرب امثال اميل لدويج ، واندريه موروا ، وجون درنكووتر ، واضرابهم فالتاريخ فى كتاب (صقر قريش) يختلج حرارة وحياة ، ونحن إذ نطالعه نعيش فى الماضى اضعاف ما نعيش فى الحاضر وتلك هي قدرة الاديب الفنان

الأنظمة الجمركية

لحماية المنتجات الوطنية

للاستاذ كمال حداد

لنظام الجمارك فى عصرنا أهمية عظيمة وتأثير كبير فى ازدهار البلاد وتقدمها . فهو بمثابة الحجر الأساسى فى بناء صناعاتها وتقوية زراعتها وانماء تجارتها وتحسين أحوالها الاجتماعية

والسياسية بما يدر على الميزانية العامة من الأموال التى تجبى من الضرائب بصورة غير مباشرة

وقد اهتم المؤلف الفاضل ببحث الأنظمة الجمركية وفرض الرسوم بنسبة القيمة أو نوع البضاعة ، وأفرد فصلا مستقلا لدراسة أساليب حماية الانتاج الوطنى كنظام تحديد الواردات أو ربط الواردات بالصادرات من طريق التبادل ، ثم انتهى بفصل ممتع عن الاتحاد الجمركي بين البلاد العربية وفوائده

وقد استند فى كتابه إلى بحوث طائفة من كبار علماء الاقتصاد والمال كباريتو وجيد وداوسون وغيرهم . ومما لا يقبل الريب ان الكتاب جدير بان يطالعه كل أخصائى وكل مستنير

مجموعة شعر فرنسية

بقلم الأستاذ رياض المعلوف

طبع باريس فى نحو ٥٠ صفحة

يمتاز شعر الأستاذ رياض المعلوف بخيال متقد وعاطفة رقيقة وقدرة على ملاحظة أدق صور الحياة . وهو إلى ذلك بسيط الأسلوب واضح الأداء جزل التعبير ، ينم عن بساطة نفس الشاعر وصفاء قلبه وخلوص سريرته

وأبدع مقطعات هذه المجموعة (الغيرة) و (الموعد) و (دموع شمعة) و (الحنان) و (خيبة الأمل) ، وفيها جميعاً يحس القارىء تلك العذوبة الشرقية الصادرة عن الفطرة البدائية الساذجة ، تسرى فى أنغام القصيد وتتخلل الالفاظ والتعابير الفرنسية ، فتضفى عليها حلة طريفة شائقة

والأستاذ رياض المعلوف يجيد اللغة الفرنسية كما يجيد لغة وطنه ، وله بالعربية دواوين شعر تضعه فى مستوى كبار الشعراء المجددين . وها هو ذا يحمل إلى اللغة الفرنسية نسمة من وحى الشرق وروحه وإيمانه العميق بالحق والخير والجمال

أمثال سليمان

بقلم الاستاذ مراد فرج المحامي

مطبعة صلاح الدين بالاسكندرية فى ٣٣٠ صفحة

هذا الكتاب هو شرح وتفسير لأمثال سليمان الحكيم نظمها الاستاذ المؤلف شعراً ، غير قليل منها لم يسعه البيت الواحد فأكمله بآخر من عنده كي يستقيم المعنى فى أسلوب عربى فصيح

وقد رجع المؤلف فى شرحه وتفسيره الى مصنفات المفسرين العبريين أمثال (راشى) و (مصودة داود) و (مصودة صيون) وحاول أن يوفق بين النص العبرى وما يقابل هذا النص باللغة العربية

وأما الأمثال نفسها فتدور حول موضوعات أهمها الحكمة وتقوى الله وطاعة الوالدين وأدب التقاضى والنهى عن الرشوة والظلم ، وما الى ذلك من الحكم الغالية والمعانى السامية التى تدل أبلغ الدلالة على أن حياة سيدنا سليمان كانت زاخرة بالتجارب يشرف عليها عقل فيلسوف وذهن مفكر وخيال شاعر صوفى متأمل عظيم

أسرار التنويم المغناطيسى

بقلم الاستاذ بيومي عبد القادر

مطبعة العلوم بالقاهرة فى ١٣٠ صفحة

للتنويم المغناطيسى طرق كثيرة مهما تنوعت أساليبها فهى مبنية على الاعتقاد بالنوم . فعلى ضوء نظرية العقل الباطن نرى أن أساليب التنويم ليست إلا خططا مختلفة يلجأ اليها

المنومون لتهدئة العقل الواعى أو الظاهر فى الشخص المراد تنويمه واستغلال عقله الباطن

وقد شرح المؤلف شتى أساليب التنويم كاسلوب (مسمر) و (جمس بريد) و (شارل ريشيه) وأضرابهم. كما تحدث عن قدرة الانسان على تنويم نفسه وتنويم الحيوانات واستخدام أساليب التنويم فى معالجة الامراض العصبية كالهستيريا والجنون

والكتاب حسن التبويب واضح العبارة يقرب هذا العلم التجريبى الى أفهام سواد القراء

إنشاء مصنع مصرى لصناعة الأجهزة اللاسلكية

بقلم الأستاذ السيد محمد مذكور

طبع بمصر فى نحو ٣٠ صفحة

هذا الكتاب هو صورة تقرير وضعه الأستاذ السيد محمد مذكور الحائز لدبلوم الكهرباء لتأسيس مصنع وطنى لعمل الأجهزة اللاسلكية

ويرى المؤلف ان من الميسور انشاء هذا المصنع على أن تقوم ادارته أول الأمر بشراء التصميمات والأجزاء من الجهات المختصة، ثم تخرج منها جهازاً معداً للاستعمال. ثم تتدرج الى صنع الاجزاء محلياً، وهكذا تستغنى عن الوارد

ويقدر الأستاذ مذكور عدد المستهلكين فى القطر المصرى بنحو ٤٠٠٠٠، فاذا كان عمر الجهاز يتراوح بين أربع سنوات وخمس سنوات كان عدد الاجهزة المطلوبة سنويا يزيد على ١٥٠٠٠ جهاز. وهذا القدار يغرى بانشاء مصنع محلى، مع ملاحظة امكان إضافة بعض الاسواق الخارجية لاستهلاك الاجهزة المصنوعة بمصر

وقد أشار المؤلف إلى مستلزمات المصنع ووضع تصميمه ورفع التقرير إلى وزارة التجارة والصناعة فوعدت بدراسته والنظر فيه

فعسى ان تهتم الوزارة بهذا المشروع فالبلاد قد نهضت وأصبح لا غنى لكل أسرة مصرية عن جهاز لاسلكي، بل لقد أصبح هذا الجهاز أداة رئيسية تنقل الحضارة إلى كل بيت، فالاهتمام بانتاجه انتاجا محلياً، يرفع مستوى الحياة الاجتماعية فى مصر ويعود على الحكومة بربح وافر ويمكنها من تشغيل عدد كبير من العمال المتعطلين

المجلة الرسمية للبوليس المصرى

العدد الاول طبع بمطبعة النصر بالقاهرة فى ١٠٠ صفحة

أنشئت هذه المجلة الرسمية لتكون صلة ورابطة قوية بين رجال البوليس فى مختلف أنحاء القطر، يتجاون فيها آراءهم وبحوثهم ويتعودون إبداء الرأى الصريح والملاحظات الدقيقة فى كل ما صادفهم فى حياتهم العملية من حوادث غريبة ومشكلات تتعلق بالأمن العام ومكافحة القوى الاجرامية فى المجتمع

والعدد مصدر بكلمة رائعة لمدير المدرسة، وفيه بحوث شائقة أهمها (علاقة الشعب بالبوليس) للاستاذ محمود أبو النجا، و (فن تحقيق الشخصية فى أعمال البوليس) للاستاذ رياض داود، و (التنكر الحديث) للاستاذ احمد منيب، و (رجال الأمن وأساليب اختيارهم وتدريبهم) للبكباشى على حلمى

ولا شك فى أن هذه المواد الطريفة لا يفيد منها رجال البوليس فقط، بل كل قارىء مثقف مستنير يدرك ان إقرار الامن فى بلد من البلدان هو العامل الرئيسى فى تحضر هذا البلد ورقيه

هل تنجح الدكتاتورية عندنا

آراء لثلاثة من المفكرين

أحمد لطفى السيد باشا

الأستاذ عباس محمود العقاد

الدكتور عبد الحميد سعيد

فى هذه الآونة التى تضطرب فيها احوال الشرق العربى ، ويعمل الشرقيون لبناء مستقبل مجيد ، وطيد الأركان ، أخذ بعضهم يفكر فى مدى نجاح كل من الديمقراطية والديكتاتورية ، ويوازن بين المذهبين و بين فوائد كل منهما لأمم الشرق العربى ، ويتساءل : هل الديكتاتورية العادلة أفضل للأمم العربية وأكثر ضماناً لسعادتها ، ام ان الديمقراطية الصحيحة هى أجدى وأبقى ؟ . من اجل ذلك رأت « الهـــلال » ان تتناول هذا الموضوع ، وقد عرضناه على ثلاثة من خيرة المفكرين ، وهم : سعادة احمد لطفى السيد باشا مدير الجامعة المصرية ، والأستاذ عباس محمود العقاد الأديب الكبير وعضو مجلس النواب ، والدكتور عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين وعضو مجلس النواب ، فأجاب حضراتهم بما يلى :

رأى أحمد لطفى السيد باشا



لست أعتقد ان الدكتاتورية فى مصر ، ولا فى أمم الشرق العربى يمكن أن تنجح وتفيد ، وتضمن لنفسها بقاء طويلا تستطيع فيه أن تضع الأسس الصالحة ، وتشيد فوقها بناء جريئاً قويا

بل أستطيع أن أقول ان الدكتاتورية العادلة لا يمكن ان تولد فى الامم العربية على ما هى عليه الآن من الضعف والتفكك وعدم الرشد وقيام النزاع والخصومات بين أبناء كل أمة منها ، فان الدكتاتورية لا بد لها من عناصر رشيدة ، تؤيدها وتساعد على نجاحها ، وتعمل لتوطيد أركانها ، وتوجيهها توجيهاً صالحاً .

والأمة الرشيدة هى التى تخلق الدكتاتور العادل ، وهو منها بمثابة ربان السفينة ، وقائد الجيش ، يحميها من العواصف ، ويدفع عنها مطامع الاعداء ، ويأخذ بيدها إلى بر السلامة ، ويبلغ بها ذروة النصر ، ويعمل جاهداً فى تقوية جوانب الضعف منها ، ويعالجها بحكمته من أمراضها ، ويدفعها دائماً إلى الامام وطلب السيادة والمجد ، فلا تمضى بضع سنوات حتى تكون قد بلغت من القوة والعظمة مالا تبلغه الامم الخاملة فى عشرات السنين

وهو فى هذه الحال يستمد من رشد أمته قوة ، ومن تأييدها جرأة فى الهدم والبناء — هدم عوامل الضعف والتأخر فيها ، سواء أكانت هذه العوامل نفسية أم حسية ، وبناء صروح جديدة من التربية الصالحة والمبادىء النافعة ، والتعليم المنتج ، والتعاون الصادق ، والتضامن المتين الذى يجعل للامة كياناً قوياً سليما ، تستطيع فيه أن تكافح وتناضل ، وتتغلب فيه على سواها

مثل هذه الأمة التى تتوافر فيها العناصر الرشيدة ، ليست موجودة فى أمم الشرق العربى ، ولذلك لست أقول بقيام الدكتاتورية ، فى أية أمة من هذه الامم التى يقوم الآن بين أبنائها التنافر والخصام ، حتى على أتفه الأشياء ، وهى حال لا تساعد المصلحين فيها على الاصلاح ، ولا تشجع العاملين المخلصين على الامل فى الانتاج والنجاح

وأنا لا أفضل بذلك الديكتاتورية على الديمقراطية ، فما من شك عندى فى ان الديمقراطية على الرغم من عيوبها خير من الديكتاتورية ، وهى إذا استخدمت فى موضعها ، ووجهت توجيهاً نافعاً أنتجت ما لا تستطيع الديكتاتوريات أن تنتجه . ولقد قرأت كتاباً للمربى الفيلسوف سبنسر منذ ٣٥ سنة تحدث فيه عن عيوب الديمقراطية ، وأثبت من محاضر جلسات مجلس النواب البريطانى نصوصاً تدل على ان نهر التاميز ينبع من البحر ، ويصب فى الجبل . وبعد ان عدد عيوب الديمقراطية قال :

« ومع هذه العيوب كلها ، فان الديمقراطية أصلح للامم من سائر الانظمة الاخرى »

العيوب التى تعانيها الامة المصرية وبعض الامم العربية من الديمقراطية هى ما يحفز الآن إلى تفضيل الديكتاتورية فى رأى بعضهم ، خصوصاً بعد ما تكشفت عيوب الاخلاق عندنا ، غير انى لست ضعيف الرجاء فى أن تأتى الايام التى نرى فيها أمتنا المصرية وسائر الامم العربية قد ثابت إلى رشدها ، واستفادت من الديمقراطية الحقة ، وهجرت القشور ، واهتمت بالجوهر ، واندفع أبناؤها إلى التعاون فيما بينهم ، وأخلصوا لمصلحتهم العامة . وانى لأرى فى حياتنا الحاضرة ما يبعث الامل فى النفوس بأن يأتى الجيل الذى يؤمن بهذه الحقائق ، ولعله الجيل القادم

لقد قال لى بعض الاصدقاء : « نحن كل يوم فى تأخر »

فقلت له : « كلا ، نحن نتقدم كل يوم ، وحياتنا فى هذا العهد خير منها فى العهود السابقة »

والواقع أننا حين نستقرىء جوانب الحياة العامة عندنا نجد أننا تقدمنا

نحن تقدمنا فى التعليم مافى ذلك شك ، ونحن تقدمنا فى الصناعة كذلك ، وتقدمنا فى الزراعة ، وتقدمنا فى حياتنا الاجتماعية ، وفى حياتنا العمرانية

نعم ، بل تقدمنا فى الاخلاق أيضاً . وكل من عاش فى الجيل السابق ، وفى الجيل الحاضر يلمس هذه الحقيقة . غير أن الفرق بين الحالين ان أخلاقنا فى الجيل الماضى كانت مستورة بالخوف والحذر اللذين أوجدهما الاحتلال البريطانى أو السيادة التركية . فلما زالت هذه السيادة وهذا الاحتلال ، وشعرنا بالحرية والاستقلال تكشفت أخلاقنا على حقيقتها . ومع ذلك فأنا أقول إنها الآن خير مما كانت ، وانها سوف تكون فى المستقبل خيراً منها الآن بدليل النقد الذى يوجه اليها من كل جانب . وهذا النقد آية اليقظة التى تتمشى فى الأمة ، وبشير التقدم الذى يسعى اليه الجميع

رأى الاستاذ عباس محمود العقاد

قبل كل شىء هل نجحت الدكتاتورية فى البلاد الغربية ؟

قال حكيم يونانى قديم : « إن المرء لا يعرف أسعيد هو أم شقى إلا بعد موته » . ويصدق هذا القول على الحكومات الدكتاتورية فلا تعرف أهى ناجحة أم فاشلة إلا اذا اصطدمت فى نكبة كبرى من النكبات التى تمتحن بها مناعة الدول وقدرتها على البقاء الطويل ، فخرجت منها ظافرة أو سليمة ، والحروب العظمى هى أصدق امتحان لهذه النظم الطارئة التى لم يثبت قط حتى الساعة أنها خرجت من حالة الطروء الموقوت الى حالة الاستقرار الدائم

وأمام الدكتاتوريات فى البلاد الغربية امتحانان لا تزال الاسئلة فيهما معروضة بغير جواب

فالامتحان الأول أن تنجح الدكتاتورية فى الأمة


الاستاذ عباس محمود العقاد

والامتحان الثانى أن تنجح الأمة فى معترك السياسة العالمية

ولم يثبت بعد نجاح فى هـذا الامتحان أو فى ذاك ، لأن جهود الحكومات المستبدة كلها مصروفة الى القوة العسكرية والعدة الحربية . فهل فى وسع أمة أن تقضى الزمن كله فى مثل هـذا الاستعداد بغير حرب ؟ وهل يتخيل أحد أن هـذه الحكومات المستبدة تدخل فى حرب مع الدول الديمقراطية ومنها بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة وحلفاؤها فى العالم الواسع ثم تخرج منها ظافرة أو سليمة ؟

فالدكتاتورية لم يثبت لها نجاح فى البلاد الغربية ، وأغلب الظن عند كاتب هذه السطور أنها فاشلة لامحالة بعد سنوات قليلة ، ومن يعش يره !

لكننا نغض النظر عن النجاح الدائم ، ونسأل عن القيام الناجح ولو فترة قصيرة من الزمان ، فهل تقوم فى بلاد الشرق الأدنى دكتاتورية على مثال الحكومات التى من هذا القبيل فى الامم الغربية الحاضرة ؟

وجواب ذلك يسبقه أن نعرف ، لماذا قامت الدكتاتوريات الغربية على شكل من الاشكال

فهى لم تنشأ قط فى أمة مستقيمة الأمور موفورة الأرزاق

وانما تنشأ الحكومة المستبدة فى أمة مهزومة أو كالمهزومة ، وتنشأ فى هـذه الأمم بعد اضطرابات داخلية تهدد نظامها الاجتماعى بالتداعى أو التقويض ، وتنشأ مع ذلك حين تكون القوة العسكرية هنالك راغبة فى محو عارها واستئناف كرامتها ، مقرونة بالأمثلة العليا والدعوات القوية والعالمية ، ثم لاغنى لها فى جميع هذه الحالات عن شخصية موصولة بجهاد قديم وعقيدة جديدة أو أمل جديد

فالروسيا خرجت من الحرب العظمى مهزومة ممزقة بين الدعوة الشيوعية والموروثات القديمة البالية ، متهيئة لاجابة زعيم قدير يستطيع قيادتها وإراحتها من هذه الزعازع التى لا يطول عليها صبر الشعوب . فقامت فيها الدكتاتورية بهذه العناصر جميعها ، فلو نقصت الهزيمة ، أو نقصت الدعوة الشيوعية ، أو نقص الزعيم لنين ، لما تأتى قيامها فى تلك الفترة على النحو المعروف

والمانيا خرجت من الحرب العظمى مهزومة ذليلة موقرة بالمطالب عاجزة عن السداد ، ممزقة كذلك بين الاشتراكية وأحزاب المحافظين والعسكريين ، متحفزة للأخذ بالثأر ، مستعدة للغضب الوطنى والنخوة القومية ، فلو نقصت الهزيمة أو نقص هذا الدين الجديد المعوض لها من عار الهوان ومذلة الخضوع ، أو نقص هتلر وأصحابه ، لما تأتى قيام السيطرة النازية على النحو المعروف

وقل مثل ذلك فى ايطاليا التى حسبت من الظافرات فى الحرب العظمى لانها كانت الى جانب الحلفاء لا لأنها خرجت فى مثل حال الظافر الميسور ، أو قل مثل ذلك فى بوغسلافيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا التى انتصرت ظاهراً وكانت فى الحقيقة كالمهزومات المضطربات لاشتمالها على شتى الأجناس والأقوام ، بينهم من الأحن والفارقات ما ليس يصلح معه نظام الحرية ، ولا تستقر عليه قواعد الحكومة النيابية

فاذا انتقلنا من الغرب الى الشرق فأقرب الأمثلة أمامنا تركيا وإيران ، وكلتاهما كانت تشكو من العسر والقلق والاختلاف بين القديم والحديث واختلال الأمور بعد الحرب العظمى ما يهيء الطريق لقيام الحاكم « الدكتاتور »

وكلتاهما لم تكن على حالة من الحرية الصحيحة ، فانتقلت منها الى فقد الحرية وتوطيد الاستبداد بل قصارى الأمر فيهما أنهما انتقلتا من استبداد عقيم الى استبداد مثمر ، ومن طريق الرجعة الى طريق التقدم ، فهما الآن أشبه بالديمقراطية مما كانتا قبل قيام الحكومة الدكتاتورية ، ولولا مصطفى كمال ورضا بهلوى ، لنقص من أركان الحكومة الجديدة فى هاتين الأمتين شيء كثير

والآن نعيد سؤالنا : هل تقوم فى بلاد الشرق الأدنى دكتاتورية على مثال الحكومات التى من هذا القبيل فى الأمم الغربية الحاضرة ؟

والجواب السريع أن المقدمات اذا تشابهت فالنتائج تتشابه لامحالة ، وأن العوامل التى أقامت تلك الحكومات المستبدة يمكن أن تقيمها عندنا إذا تكررت على هذا المنوال فى بلادنا الشرقية

ولكن الأمر المشكوك فيه ، هو تكرار هذه العوامل فى بلادنا لاختلاف السوابق التاريخية والبواعث العصرية والآمال فى المستقبل

فاذ تقلبت الأطوار فى بلادنا الشرقية تقلباً يلائم الدعوات الاجتماعية المتطرفة ، فالمرجح أن هذه الدعوات الاجتماعيـة المتطرفة تكون قد فشلت فى ذلك الحين حيث ظهرت فى البلاد الغربيـة ، فيؤدى فشلها هناك الى ضعفها وقلة الاصغاء اليها بيننا

وقد رأينا أن الدكتاتورية لابد لها من دكتاتورين متصلين بدعوة وجهاد ، فاذا وجد الدكتاتورون عندنا فما هى الدعوة التى يستندون اليها ؟

الرجعة الى القديم مستحيلة كل الاستحالة ، لأننا رأينا جميع الحاكمين بأمرهم فى الغرب والشرق يهجرون القديم ، ويقيمون شعائرهم على وجهة جديدة . فهتلر وموسولينى وستالين مغضوب عليهم جميعاً من كهان العقائد القديمة ، ومصطفى كمال ورضا بهلوى لايرجعان الى الوراء بل ينطلقان فى طريق يسميانه طريق التقدم والارتقاء ، وهو على كل حال ليس بطريق الشاهات والسلاطين والخلفاء

فاذا كانت الدعوة التى يستند اليها الدكتاتور الشرقى عند وجوده بعيدة عن الحركات الاجتماعية

المتطرفة وبعيدة عن الرجعة الى القديم فماذا عسى أن تكون ؟

أتراها تكون «عصبية وطنية» عمياء وحماسة قومية هوجاء ؟

هـذه العصبيات لا توجد إلا فى أمة مكظومة مهزومة مهددة فى أرزاقها ، أما الأمم التى لا تشعر بكظم الهزيمة والاهانة والجهاد المكبوت ، فهى كذلك لا تشعر بالمرارة التى تخلق العصبية العمياء والحماسة الهوجاء ، ولا سيما اذا تيسر لها الرزق ، وسلمت من الفوارق الاجتماعية التى تجعل ندرة الارزاق عند بعض الناس مسألة طائفية أو حربا كحرب الطبقات المعهودة عند جماعة الاشتراكيين

فنحن لانبصر أمامنا الآن دعوة صالحة لقيام الدكتاتور ، ولا نبصر أمامنا الآن فى أمة من أمم الشرق « المتطورة » دكتاتوراً متصلا بدعوة ناجحة ، يمكن أن تطغى فى المستقبل على غيرها من الدعوات

ليست أمامنا اشتراكية يرجى لها النجاح

وليست أمامنا رجعة الى القديم يرجى لها النجاح

وليست أمامنا هزيمة مهينة تحيى فى النفوس مرارة العصبية العمياء

فالدكتاتورية اذا قامت فى بلادنا الشرقية لم تقم على أساس وطيد ، وأوشك أن يبادر اليها التقويض قبل أن تفرغ من البناء

وكل تطور فى أحوالنا يرجى أن يقربنا الى الديمقراطية ولا يخشى أن يقربنا من الدكتاتورية ، وتضاف الى عواملنا الداخلية فى هذه المسألة عوامل السياسة الخارجية التى نحن مرتبطون بها ، فان بلاد الشرق الأدنى من أفريقيا الى آسيا موصولة الاسباب بالدولتين الديمقراطيتين بريطانيا العظمى وفرنسا ، وتقضى هذه الصلة بتشابه فى النظم الحكومية لا نشذ عنه إلا اذا وقع الشذوذ فى شعوب تينك الدولتين ، ودون ذلك حجاب من الغيب يخطئه الحسبان والتخمين

قلنا فيما سبق إننا لانبصر أمامنا أمة من أمم الشرق « المتطورة » فيها رجل مرشح للدكتاتورية فالذى نعنيه « بالمتطورة » كل أمة فارقت بساطة البداوة التى تقوم فيها حكومة بسيطة تشبه حكومات الآباء أو رؤساء العشائر أو الحاكمين بأمرهم ، فان شعوب البداوة الشرقية يحكمها أمراء مطلقون وسيظلون على اطلاقهم ما بقيت شعوبهم على تلك الحال من البساطة . فاما اذا ركبت طريق التطور فعند ذلك تختلف الاحكام

ان الدكتاتورية لن تنجح فى بلادنا الشرقية إلا اذا احتاجت بلادنا الشرقية اليها ، ونحن حتى الساعة لانرى حاجة لهذه البلاد ليست مكفولة التحقيق على أيدى الحكومات الديمقراطية

عباس محمود العقاد

رأى الدكتور عبد الحميد سعيد



من نعم الله على الامم العربية الآن انها بدأت تستيقظ من سباتها ، وتفطن الى واجباتها ، وتعمل لنيل حقوقها ، واستعادة ما كان لأجدادها من كرامة ورجولة ومجد وقوة

فقد كانت المحن المؤلمة التى مرت بالعروبة وأبنائها ، وقوضت هذا الصرح الشامخ الذى بناه المسلمون والعرب من حضارة ضخمة فرضت نفسها على العالم ردحاً من الزمان — من أعظم الحوافز الى التعاون والشعور بالكرامة ، والنهوض بالواجب ، بعد ما مضت أجيال كانت فيها الأمم العربية فى سبات عميق ، وقد أنساهم الترف الذى نعموا به فى عصور الانحلال تلك الجهود العظيمة التى يبذلها الغربيون فى سبيل التقدم ، وبناء حضارتهم الحديثة التى استطاعت أن تسيطر على العالم ، وأن تجتاح الأمم الأخرى أمامها وأن تبرهن على أن البقاء للقوة ، والخير لمن عمل له وثابر على الجهاد فى سبيله

ولقد كان لمثلها العليا فى الرقى الذى وصلت اليه تلك الحضارة ، ثم لمطامع الغربيين الذين يعملون جاهدين للقضاء على العروبة ما دفع شباب الامم العربية والاسلامية فى الوقت الحاضر الى اليقظة والنهوض ، فهبوا يعملون لتوحيد الروابط ، وتقوية الأواصر ، وزيادة التعارف بين العرب والمسلمين فى أقطار الارض ، وهى نهضة مباركة جديرة بالاعجاب والتأييد

لكنى ألاحظ ان هذه النهضة فى حاجة الى عمل منتج ، ولا يكون ذلك إلا بتوحيد تلك الجهود وتوجيهها إلى الهدف الاسمى . فما زالت الجهود والمساعى التى يبذلها أبناء العروبة والاسلام أو طائفة منهم ، مبعثرة متفرقة . وما زال العمل للخلاص من الضعف والاستعباد غير منظم . وما فتئت الوسائل الكلامية هى المساعى الاولى لتحقيق هذه الغاية

وما كانت النهضات القومية تنتج انتاجها الصحيح بالشكل الذى عليه النهضة الاسلامية العربية الآن من التأييد اللفظى والتعاون القلبي ، والأمل الذى لا يغنى عن العمل

لقد تكون الامم العربية والاسلامية قد نجحت فى الدعاية لهذه الفكرة ، وتوجيه الاذهان اليها ، لكنها الى الآن لا يصح أن يقال عنها انها نجحت من ناحية الانتاج ، فالنهضة الاسلامية العربية أثبتت وجودها حقاً من حيث الشعور العام بوجوب التضامن فى سبيل رقى العرب والمسلمين واستعادة مجدهم ، ولكن هل هذا التضامن واقع فعلا ، وهل له مظاهر عملية ، وهل هناك قيادة منظمة ؟ كلا ، فما زالت الصحافة أولا ، والخطابة ثانياً ، تلهجان به وتدعوان اليه ، ويمر

العام بعد العام دون أن نجد القيادات المفكرة المدبرة التى تخلص للوطن ، وللوطن وحده ، وتؤمن بفكرة التضحية فى سبيل الدفاع عن العقيدة والمبدأ ، والتى تصنع فى أعوام ما لا يصنعه الكلام فى قرون

لقد كان الشيخ محمد عبده فى حركته الاصلاحية ، يدعو الى وجوب توحيد الجهود ، وقيام هيئات للاصلاح لا يتسرب اليأس اليها ، ولا تعرف فى الحق رياء ولا دهاناً ، حتى لقد بلغ به التحمس لفكرته ان أخذ الحكمة التى نطق بها فيلسوف الشرق الاكبر جمال الدين الأفغانى ، وهى : « إنما ينهض بالشرق مستبد عادل » ، وجعل يؤيدها ويعززها ، حتى شرحها بما يأتى ، قال :

« انما ينهض بالشرق مستبد عادل ـ مستبد يكره المتناكرين على التعارف ، ويلجىء الأهل إلى التراحم ، ويقهر الجيران على التناصف ، ويحمل الناس على رأيه فى منافعهم

« عادل لا يخطو خطوة إلا ونظرته الأولى إلى شعبه الذى يحكمه ، فان عرض حظ لنفسه فليقع دائماً تحت النظرة الثانية ، فهو لهم أكثر مما هو لنفسه ، يكفى لابلاغهم غاية لا يسقطون بعدها خمس عشرة سنة ـ وهى سن مولود يبلغ الحلم ـ يولد فيها الفكر الصالح وينمو تحت رعاية الوالد الصالح ، ويشتد حتى يصرع من يصارعه . خمس عشرة سنة يلوى فيها أعناق الكبار الى ما هو خير لهم ولأعقابهم ، ويعالج ما اعتل من طباعهم بأنجع أنواع العلاج ـ ومنها البتر والكى إذا اقتضت الحال ـ وينشىء فيها نفوس الصغار على ما وجه النزعة نحوه ، ويسدد نياتهم بالتثقيف ، يتعهدها كما يتعهد الغارس شجرة بضم أعواد مستقيمة إلى سوقها لتنمو على الاستقامة . هل يعدم الشرق كله مستبداً من أهله ، عادلا فى قومه ، يتمكن به العدل أن يصنع فى خمس عشرة سنة ما لا يصنعه العقل وحده فى خمسة عشر قرنا »

هذا ما قاله الاستاذ الامام لما رأى تنافر الشرقيين ، وعدم اتحادهم حتى تمكن كل طامع فيهم فسلبهم أعز ما يملكون ، واستبد بهم حتى أنسوا الى الذل والخنوع . ألا وان العالم قد تطور تطورات شتى ، ونهضت أمم نهوضاً سريعاً ، ولكن ما نشاهده من ذلك النهوض فى أنحاء العالم لا نجد له صدى فى البلاد الاسلامية والعربية . لذلك وجب أن نفكر ، نفكر طويلا ، مع الجد فى تكييف حالاتنا ، ورسم الخطط السريعة للاستفادة من النهضة المباركة المبرورة التى نراها قد ظهرت فى أنحاء الشرق . وهى لا تتطلب كما قلنا إلا رجالا وهيئات تنظم تلك الجهود وتستغلها وتستثمرها من أسرع الطرق وأقصر المسالك

وأنا بهذا لا أدعو الى الديكتاتورية ، وانما أدعو الى النهوض بأى شكل منتج يؤدى الى النجاح ، والى الفوز فى هذا المعترك الانسانى الذى لا يؤتى أكله الا لمن جاهد وضحى ، وعمل بعزيمة وحزم واقدام

عبد الحميد سعيد

الطبيعة تداوى نفسها

بقلم الدكتور ابراهيم ناجى

لما مرض الرئيس ابن سينا مرض الموت ، وأحس أن لا فائدة من العلاج ، قال : « المدبر الذى كان يدبر بدنى قد عجز عن التدبير ، والآن لا تنفع المعالجة » . ومن هذه العبارة قال بعض أطباء العرب « الطبيعة تداوى نفسها » ، وهو الموضوع الذى يتناوله هنا الدكتور ابراهيم ناجى ، وقد بحث فيه الناحية الاجتماعية الى جانب الناحية الطبية
[المحرر]

تعريف « الطبيعة » فى رأى الفيلسوف سبينوزا هو أنها مجموعة القوانين الأزلية التى تتغلغل فى صميم الاشياء وهى لب لبابها الذى لا يتغير ، وأما المظهر فيختلف . وهذه القوانين اما طبيعية أو كيماوية ، فاشعاع الذرة وطاقتها وكهرباؤها ، قوانين طبيعية صارمة ، والتفاعل الكيماوى بين العناصر الداخلة فى بنائها كهيدروجينها وكربونها ، من القوانين الكيماوية الأزلية

هذه القوانين تسيطر على الحى كما تسيطر على الجماد . وهى فى الواقع « روح » الوجود ، فاذا سميتها « الطبيعة » فقد أصبت التسمية ، ولكل « روح » أو « جوهر » مظهر يختلف عن غيره ، فاذا أضفت الى تلك « الروح » صنوف تلك المظاهر من نبات وجماد وحيوان فسميت كل هذا « الطبيعة » ـ تجاوزا ـ فانت غير مخطىء ، ما دمت تدرك أن روح الوجود هى هذه القوانين الضرورية Laws of necessity

ومن هذه القوانين التوالد والنمو والفناء

ومن عجائب الطبيعة الخارقة أن يكون بين قوانينها الأزلية قوى متعارضة يناقض كل منها الآخر تمام المناقضة ، فالميلاد والنمو آيتا الحياة ، فانظر الى الطبيعة كيف تداوي الحياة بالموت وتداوى الموت بالحياة ! ان المعجزة ليست فى الخلق ، وانما فى أن ضمان استمرار الخلق والحياة على الأرض يكون بقانون أزلى هو الموت ! فضلا عن أن ذلك « الحاصد » يترك الميدان خاليا لزرع جديد ، وفضلا عن أن الموت يقى العالم من التكاثر المطلق والازدحام المخيف ، فكل عظمة الحياة قامت على خيال الموت وتوقعه ، فالقطار والطيارة والباخرة وغيرها من وسائل السرعة انما اخترعت لأن العمر قصير ، والكفاح من أجل الخبز ـ وذلك آية الحياة ـ قائم على أننا من غير الخبز نموت ! وهكذا يمكنك أن تفكر فى الملبس الذى يقيك البرد ، والمنزل الذى تهرب اليه وتأمن فى ظلاله ،

ألست تخاف البرد لأنه يؤدى الى الموت ، وأنت بغير المنزل معرض لأية كارثة تؤدى الى الموت ؛

ثم ما الحب والزواج ؟

اثنان يجتمعان ابتغاء النسل

ولماذا يكون لهما أولاد ؟ !

لأنهما ذاهبان ، وهما يريدان أن يتركا أثراً يبقى على الدنيا بعدهما !

إذن فخيال الموت ماثل حتى فى هذا ! فالطبيعة تداوى الأشياء بضدها . ومسألة الحياة والموت انما هى صفحة من كتاب متشابه الفصول !

فان الطبيعة كذلك تداوى الخير بالشر ، والشر بالخير ، وقد قرأت فى هذا الباب فصلا ممتعاً جداً فى رواية « النار التى لا تموت » من قلم الكاتب الشهير هـ . ج ولز جعله مقدمة لهاته القصة ، وافتتحه بحوار بين الله والشيطان

الله ـ أنا خلقت الانسان وجعلت الخير فى صميم طباعه والفضيلة أول عناصره ، أما أنت

الشيطان ـ أنا جملت الفضيلة وجلوتها بأن جعلت لها ضداً ، أنا جعلت للحياة مذاقا ، إذ لو استمرت خيراً كلها لكانت مملة مسئمة !

ومداواة الأمور بضدها « Point counter Pointe » وهو العنوان الذى اتخذه الكاتب هكسلى الشهير عنواناً لقصته الخالدة ، شيء نعرفه نحن الأطباء جد المعرفة ، وعليه قام بناء الجسم الانسانى

ومن فكر فى ذلك وفهمه أدرك حقيقة « كيف تداوى الطبيعة نفسها » ، واليك شيئاً من التفصيل :

كل عضلة تقبض ، أمامها عضلة تبسط

كل عصب يؤدى الى الاسراع ، أمامه عصب يؤدى الى الابطاء ، فمن أهم أعصاب الجسم اثنان يختلفان تماماً : العصب الحائر والعصب السمبتاوى ، فاذا تنبه العصب الحائر أبطأ النبض ، واذا تنبه السمبتاوى أسرع النبض ، وجرت كثير من عمليات المعدة والامعاء فى اضطراب وقلق

ثم خذ « الهرمونات » أو افرازات الغدد اللاقنوية

هى مجموعة متضاربة متناقضة ، وقد شبهها السير لانجدون براون بسفينة ذات مجاذيف كل مجموعة منها تسير فى اتجاه مختلف ، ولكن النتيجة ان المركب تسير الى غايتها . وماهو الانسولين؟ هو : هورمون طبيعى يشعل « الفتيل » فى السكر فيحترق ، وضده الادرنالين وا فراز الغدة النخامية . ولولا خوف الاطالة لفصلنا هذا الأمر تفصيلا أكثر ، ولكننا ننتقل لنرى أعجوبة الأعاجيب وهى الدم الانسانى الذى قال عنه جيته : « انه مخلوق عجيب كامل » ! فالذى يعرف فسيولوجية الدم يؤمن ايماناً تاماً بان الطبيعة تداوى نفسها ، فقد جعلت لكل سم ترياقا ، وأعدت لكل عدو يطارد الجسم من يقف له ويصده ، وجيشت الجيوش « البيضاء » والأعلام « الحمراء »

وأحاطت كل هذه بأسوار من « الناعة » التى يقف بجانبها خط « ماجينو » وقد عراه الخجل !
وانك لو استعرضت كيفية هاته « الناعة » لهالك ما أعدته الطبيعة من وسائل المحاربة ، فى الدم « المنيع » « مضادات » ، و « مرسبات » وغيرها وغيرها ، فاذا تقدم الخصم انبرى له الذى يصده والذى « يلجمه » والذى « يكتفه » ، وهكذا من آيات التفنن المعجز الذى يحير العقول
وتكون هذه « الناعة » على أتمها فى أول العمر
ولذا قال أوزلر الطبيب العالم المشهور ، وهو قول رائع : « لا تيأس من طفل مريض » ! لأن الناعة فى الطفل تكون فى أوجها ، وأما فى الشيوخ فتكون الناعة قلت ، والاسوار تهدمت
ان مشاهير الاطباء لا يسرفون فى وصف الدواء ، فأعلمهم هو أعلمهم بما تصنع الطبيعة ، وهو فى علاجه انما يساعدها ، ويستعين على ذلك بما أعدته الطبيعة فى خارج الجسم من الوسائل الطبيعية كالشمس والهواء والنور
وعند ما تعجز الطبيعة ، فهذا فى الواقع ليس بعجز ، وانما هى تنتصر لأنها تنفذ قانوناً حتمته على الاحياء ، وهو الفناء !

ابراهيم ناجى



كفاك كفاك !

لماى يحن لثم لماك	فعينى هناك وعقلى هناك
فيا نجم حي كفاك دلالا	تنازل ولو لحظة عن سماك
اخال الفراديس ظلا ووردا	بعينى لما أراها أراك
ولا أصطفى غيرك العمر خلا	فعينى اصطفتك وقلبى اصطفاك
فدوما جمالك فى خاطرى	وفى مقلتى دائماً مقلتاك
فيا مخجل الحسن بالحسن مهلا	كفاك دلالا كفاك كفاك ! !

رياض المعلوف

الشيطان في الشعر الحديث

بقلم الاستاذ على أدهم

إذا كانت فكرة الانسان عن الله ، هي مقياس ايمانه ، فلا نزاع فى أن تصور الشاعر للشيطان يبين موقفه حيال مشكلة الشر وأسلوبه فى نقد الحياة

لا امتراء فى أن عقل الانسان من أعجب عجائب الكون وأروع مبتكراته ، ومع تقدم العلم واستفاضة المعرفة لا يزال البحث عن طبيعته من المسائل المعضلة والمشكلات المستعصية . ولم يهتد بعد الى حقيقته ولم يعرف مصدره ، ولكن هذا العقل الغريب المجهول المصادر والموارد ، والغامض الطبيعة ، قد برز من نواحيه ناقد للكون وآثاره طلعة كثير التساؤل بعيد الغوص ، وكثيراً ما يشد طرفه ويتطاول الى مقام خالقه كالولد العاق الذى يعصى أباه ويسلقه بلسانه ويستطيل عليه ، فمن أين استمد العقل هذه القدرة على الفصل فى القضايا وإصدار الاحكام ؟ وهل عالج الحياة فى عوالم أخرى واسعة الرحاب حتى تسوغ له الموازنة بينها وبين عالمنا الصغير المحدود ؟ . ومن الواضح أن هذا العقل جزء من الكل فكيف أتيح لهذا الجزء أن يتناول الكل بالنقد والزراية والتسفيه ؟ وهل أوتى العقل علماً خفياً وألهم حكمة تخوله هذا الحق ؟

وعندما يرفض العقل الحياة ويتنكر للوجود ، فهل هناك قوة يستشهدها ويستعين بها على هذا الانكار ؟ وهل هذه القوة مناوئة لقوة خالق السموات والارض ، وفاطر الاكوان بأسرها ؟

كثير من المفكرين يرون أن الوجود والكمال ضدان لا يلتقيان ، والوجود الكامل كلمة جوفاء خالية من المعنى وخيال لاسبيل الى تحقيقه ، وعالم الوجود هو عالم النقص والتناقض والخلاف والتنافر ، و « ليبنتز » رأس الفلاسفة المتفائلين ، لم يستطع ان يقول أكثر من أن هذه الدنيا خير دنيا ممكنة ، ولكن هل هذا يرضى النفس ويقنع نوازع القلب ؟ ان خير المستطاع وجهد الطاقة والامكان قد يقصر أشد تقصير عن أن يفى بحاجات النفس ويلبى مطالب الروح ! ويرى بعض الفلاسفة أن المطلق — أى الكل فى شموله واحاطته — وما يندرج تحته وينطوى فى ثناياه ، كامل لا يعتوره نقص ولا يشوبه عيب ولكن العيون لا تبصر والقلوب لا تعى . وقد كان « هجل » فى طليعة الفلاسفة القائلين بذلك ، ولكننا عندما نعلم انه كان يرى ان « المطلق » قد تحقق فى حكومة بروسيا

المعاصرة له والتى كان يلقى محاضراته فى ظلال رعايتها ، يبدأ الشك يساورنا فى كمال هذا المطلق ونميل إلى تصديق قريعه «شوبنهاور» الذى كان يرى ان النقص كامن في تركيب الدنيا ملتصق بطبيعتها ولا حيلة لنا فى ذلك . أمثال هذه الافكار ، أوحت فى بعض الاحايين الاعتقاد بان نظام الدنيا نظام جائر ، وان الحياة أكذوبة ، وأن الخير والصلاح طريدان مشردان فى هذا الوجود تلاحقهما النقمة ويصب عليهما العذاب ، وقد قاوم هذه العقيدة كبار الفلاسفة الاخلاقيين وتصدوا لتفنيدها، لأنهم كانوا يؤمنون بوجود نظام مقدس للدنيا وغاية حكيمة للوجود ، وبأن الخير منسجم مع هذا النظام ، وأن الشر منافر له غير متجاوب معه

ولقد عرف بعض المفكرين الشيطان بأنه الروح الذى يعمل ضد القوى الكونية ويحاول أن يفسد صنيعها ويهدم بناءها ، وانه الثائر الذى يتحدى إرادة الجميع ويقاوم رغباتهم ويخرج على اجماعهم . والفلاسفة القدماء كانوا يتصورون الشر على هذا النمط ، ويتصورون الخير على أنه طاعة القوانين والخضوع للعرف المألوف والعادات المتبعة ، فالصلاح فى رأيهم قرين الولاء وصنو الخضوع ، والخطيئة هى الثورة والتمرد

وفى الأساطير اليونانية قصة بروميثاس الثائر المتحدى للقوى الجائرة المسيطرة على الدنيا من أجل بنى الانسان ، وسبب أمثال هذه الثورة الحكم السيء الذى يولد النقمة ويقوى عوامل الحقد والبغضاء فى نفوس الافراد ، وسببها فى بعض الأوقات ضرب من المثالية السامية الموكلة بالقمم العالية والمحلقة فى أجواء أثيرية لاتستطيع الحياة الواقعية تحقيقها

والشعراء ــ بطبيعة احساساتهم المرهفة ونفوسهم المتطلعة وآمالهم المترامية ــ أميل الى الثورة على الكون ، وأكثر تعرضاً لجوانب الحياة المحزنة ونواحيها المظلمة وصدماتها المؤلمة ، حتى قال أحد النقاد : « لا شيء أقل شاعرية من التفاؤل » ، وفى الخرافات اليونانية أن زوس خلق الآلهة من ابتساماته ، وخلق البشر من دموعه ، فالحزن والثورة والملل أقرب الى الشعر وأمس به ، ولقد عبر عن ذلك الشاعر شلى فى قوله : « ان أعذب ألحاننا وأحلى أغانينا هى تلك الالحان والاغانى التى نعبر بها عن عميق حزننا وبالغ أسانا» . ولو تتبعنا أثر التطلع الى عوالم أخرى غير هذا العالم ، والآمال المشرئبة الخائبة ، واحتقار الواقع فى الشعر الحديث ، لطال بنا الحديث . وليس غرضى أن أتتبع نغمة الحزن فى أشعار شعراء القرن التاسع عشر ، وأقتفى أثر النقمة على الوجود والتمرد على الحظ فى دواوينهم . وإذا كانت فكرة الانسان عن الله هى مقياس ايمانه وسمة حياته الروحية ، فلا نزاع فى أن تصور الشاعر للشيطان يبين موقفه حيال مشكلة الشر وأسلوبه فى نقد الحياة . وقد تناول مسألة الشيطان فى الشعر طائفة كبيرة من كبار الشعراء فى طليعتهم «ملتون» فى الفردوس المفقود ، و« بيرون » فى رواية قايين ، و « جيتى » فى رواية فاوست . وسأقصر الحديث هنا على رواية قايين لأنها فى اعتقادى أكثر حرية ووضوحاً وأقوى ثورة ، وان كان ينقصها جلال الفردوس المفقود وعمق فاوست

فى رواية قايين يمثل لنا بيرون آدم وحواء بعد خروجهما من الجنة وقد ندما على ما كان منهما ورضيا قضاء ربهما وخشعا وأخذا يعبدانه فى ضراعة وخضوع ، وأبناؤهما مثلهما فى الخشوع وخشية الرب حاشا قايين ، فنى أول صلاة لله عند تقديم القربان الذى يعبر عن ولائهم جميعا يشوب الحفلة صمت قايين المتحدى ووجومه المريب ، ويرفض فى أنفة السجود لله الذى حرم على الانسان المعرفة وقدر له ولذريته الموت ، وتبدأ الشكوك تعتلج فى نفسه فيقول : « أهكذا الحياة ، عناء وكدح ! ولم أكدح وأكابد العناء ؟ ! ألأن أبى لم يستطع الاحتفاظ بمكانه فى الجنة ؟ لم أكن حينذاك قد ولدت ولم أرد أن أولد ولم ترقنى هذه الحالة التى ساقنى اليها هذا الميلاد ، ولماذا استسلم للحية وانقاد للمرأة ؟ ولماذا جر عليه الاستسلام الشقاء ؟ وماذا كان فى ذلك ؟ لقد كانت الشجرة مغروسة هناك فلماذا حرمت عليه ؟ واذا كانت قد حرمت فلماذا جىء به الى جانبها حيث ربت وترعرعت فى وسط الجنة ؟ ولماذا لا تلقى إلا جوابا واحداً عن شتى الأسئلة وهو أن ذلك هو ارادته وانه رحيم ، وكيف أعرف ذلك ؟ أمن أجل انه قوى يكون رحيما ؟ ! انى أحكم على أعماله بثمراتها ، وهى ثمرات مرة ، وها أنذا أتجرع مرارتها لذنب لم أجنه ! »

وهذه هى أول مناجاة له ، وهى تبين روح الرواية واتجاهها ، والرواية معركة حامية بين الشك واليقين ، ولكن للشك فيها القدح المعلى والنصيب الاوفر ، فقد شك قايين فى أن الله رحيم ولكن يظهر بعد ذلك الشيطان ويؤكد له ذلك ، وينفى عنه الشك فيقول عن الله : « هو عظيم حقاً ولكنه فى عظمته وسموه ليس أسعد منا حالا ولا أنعم بالا وان الخير لا ينتج شراً وماذا صنع غير ذلك ؟ ولكن دعه متربعا على عرشه الواسع المترامى تحفه العزلة ويخلق العوالم ليخف حمل الأبدية على وجوده الضخم الهائل ووحدته التى لا شريك له فيها ، ودعه يكدس الاجرام جرما على جرم فهو مستبد متفرد . ألا يستطيع تحطيم نفسه وسحق كيانه ! إن ذلك هو خير نعمة يسديها ! ولكن دعه مبسوط الظل نافذ الأمر يكرر نفسه فى الشقاء ويجدد خلقه . والناس والملائكة يتقاسمون الشقاء ، وهذا الشقاء الشامل يلطف جراحاتنا ويهون آلامنا ، ولكنه فى عزلته البائسة قلق مكب على الخلق والتجديد »

ويقره الشيطان على انكاره ويزيد ثورته اشتعالا . وعندما يسمع قايين حديث الشيطان يقول له : « انك تتحدث الى عن أشياء طالما جالت بنفسى وخطرت ببالى » ثم يسترسل قائلا : « انى أشعر بعبء العمل اليومى وشدة وطأة الهم اللازم لى ، وأدير الطرف حولى فيبدو لى انى لا شىء فى الوجود ، على حين تجيش بنفسى أفكار كأنما تحاول بسط سلطانها على الأشياء . وقد كنت أحسب فى وحدتى أن الحزن نصيبى . ولقد لان جانب أبى وريض جماحه ونسيت أمى العقل الذى أظمأها الى المعرفة وعرضها للعنة الله وغضبه . ولم أصادف من قبل من يقاسمنى الشقاء ويرثى لبلواى »

فهل تنجلى غمرة هذا الشك القوى ويعلن قايين تحديه الصريح وانضمامه الى حزب الشيطان

وسيره تحت لوائه ؟ ان الشيطان يعتمد على كبره الذى لا يستذل ولا تنحنى صعدته ولا تخمد جذوته ويتعزى بحبه للحق وايثاره الحق على السعادة والنعيم ، ويوحى الشيطان الى قايين كراهته الخضوع فيقول : « انى ارفض السعادة التى تـومئ الخسف وتحمل كل من يلوذ بى الذل والهوان »

ولكن « عادة » — زوجة قايين وشقيقته — ترهب الشيطان ولا تطمئن اليه وتقول له : « انى أرى على محياك علائم الهم وآيات الشقاء فلا تجعلنا مثلك محزونين وانى سأذرف الدمع من اجلك »

فيجادلها الشيطان قائلا : « لو تعلمين أى بحار من الدموع الغزار ستراق ويجرى طوفانها ، وكم من الناس الذين سيخرجون من ذريتك سيغص بهم الجحيم » ولكن « عادة » بعيدة المنال عليه ، فلا يؤثر فى نفسها حديثه ، فيزين لقايين رفض الخضوع واعلان الثورة

ويدرك الشيطان أن سبب تردد قايين فى اعلان عصيانه هو عجزه عن احتقار ما يحب وما يكره لضيق أفقه وقلة درايته وجهله حقارة عالمه وضؤولة شأنه فيأخذ على نفسه مهمة تلقينه دروس الازدراء واستصغار الأشياء ، فينتقل به فى الفضاء غير المحدود تنقل الضياء فى الارجاء حتى تختفى عن ناظره الجنة وتصير الارض كالهباء ، ويرى عوالم جديدة ودنى مجهولة بها جنات وحيات وأناس ، ويطوف به حتى يقوى شعوره بعظم المجهول وضخامة أمره ، ثم تدور بينهما هذه المحاورة

الشيطان : والآن أعيدك الى عالمك وستتكاثر بك ذرية آدم ، وستأكل وتشرب وتجاهد وتكابد وترتعد وتضحك وتبكى وتنام ثم تموت فى النهاية !

قايين — ولاى غاية قد رأيت الاشياء التى كشفت لى عنها وأطلعتنى عليها ؟

الشيطان — ألم تطلب المعرفة ؟ ألم أعلمك بما أطلعتك عليه ان تعرف نفسك ؟

قايين — وا أسفاه ، يتراءى لى أنى لا شىء

ولكن الواقع ان مأساة قايين ليست فى هذا الشعور بالنقص وهوان الامر ولا شيئية النفس وانما هى فى شعوره بالتناقض بين ترامى أفكاره وبعد طموحه والاحساس بلا شئية نفسه ، وهو يصارح الشيطان بذلك فى قوله : « لقد أريتنى أشياء من وراء طاقتى ومن فوق مداركى ، ولكنها أيسر من طمحات نفسى وأهون من تصورات فكرى »

ويحاول قايين ان يلعب دور الشيطان ولكنه يعجز عن ذلك ، وفى ثورة هوجاء يخضب الارض بدماء أخيه ويرتكب أول جريمة فى تاريخ الانسان ، وقد بدأ قايين ينقم ويتألم لوجود الشر الذى يشوب الحياة ويغشى الأشياء ، ثم أخذ يشتد شكه ويستفحل خطره حتى أصبح يشك فى وجود الخير . ورواية قايين تبين فى أوضح صورة أن يبرون من أنصار مدرسة الشيطان الذى يأبى الخضوع ويؤثر المعرفة على السعادة وراحة البال . وخلاصة حكمته أن على الانسان ان يفكر ويتأمل ويصبر لما يلحقه فى سبيل ذلك من مرير الالم وعارم الحزن ، والانسان لا يرتفع الى ذروة الكرامة الانسانية الحزينة إلا بالبحث عن المعرفة والجرى وراء الحق

على أدهم

وجوه النقص في التربية والتعليم (*)

بقلم الأستاذ محمد فهيم بك

المراقب المساعد للتعليم الثانوى ورئيس جمعية المعلمين

سياسة التعليم فى مصر ليست نتيجة لبحث حاجات البلاد ، بل هى سياسة مرتجلة ، تمليها الظروف ، وترسمها الطوارىء

إنى أستميح صديقى الأستاذ إميل زيدان بك عذراً إذا أنا جعلت عنوان هذا المقال : « وجوه النقص فى التربية والتعليم بمصر » إذ لا بد أن تسير التربية والتعليم جنباً الى جنب فى تنشئة الشبيبة ، وإعدادهم لحياتهم المستقبلة ، وتسليحهم لدخول معترك الحياة ، وخدمة المجتمع والوطن

وإن من يدرس تاريخ التعليم بمصر ، ويقف على تطوراته يجد أنه بعيد كل البعد عن القومية المصرية ، فقد سيطرت عليه الثقافة العربية القديمة زهاء عشرة قرون ، ثم نسج فيه على منوال الثقافة الفرنسية فى عهد محمد على باشا ، ثم تأثر بالسياسة الانجليزية التى وضع خطتها اللورد كرومر ، وقام بتنفيذها مستر دنلوب . وكان من آثار الثقافة العربية الاتجاه الى اللغة العربية والدين ، وقصر الجهود على التفقه في فنونهما ، وحذق فروعهما ، وإهمال التطورات العلمية فى المواد المختلفة ، وعدم مسايرة الزمن ، فتأخرت مصر ، وسبقتها دول لم تكن شيئاً مذكوراً

وكان من آثار الثقافة الفرنسية والانجليزية معاً أن أصبح التعليم قائماً على نظام مركزى متطرف يسيطر عليه عدد محدود من كبار الموظفين ، وقد نتج من ذلك :

(أولا) عدم استقرار الخطط والمناهج

(ثانياً) قصر الغرض من التعليم على إعداد الشبان لشغل الوظائف الحكومية

(ثالثاً) تقييد حرية المراقبين والنظار والمدرسين وفناء شخصيتهم

أما الخطة فقد تناولها التعديل من وقت الى آخر ، ولنضرب لذلك مثلا خطة التعليم الثانوى ،

---

* هذا موضوع متشعب ، ومتعدد النواحى ، ولا يمكن توفيته حقه فى مقال واحد ، ولذا اكتفينا بالمامة نتعرض فيها وجوه النقص فى التعليم العام

فقد بدأت فى سنة ١٨٣٧ بثلاث سنوات دراسية ، ثم جعلت أربعاً من سنة ١٨٦٣ – ١٨٩٢ ، ثم خمساً فى سنة ١٨٩٢ ، ثم ثلاثا مرة أخرى فى سنة ١٨٩٧ ، ثم أربعاً فى سنة ١٩٠٥ ، ثم خمساً فى سنة ١٩٢٥

ومما تجمل الاشارة اليه أن تعديل الخطة حتى سنة ١٩٢٥ كانت تمليه الرغبة فى تخريج الموظفين فحسب ، لا الرغبة فى النهوض بالتعليم ، ونسوق على سبيل المثال أن العوامل التى أدت الى خفض مدة الدراسة الثانوية فى سنة ١٨٩٧ تتلخص فى أن نظارة المعارف العمومية كان واجباً عليها بمقتضى الدكريتو الصادر فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٩٢ أن تخرج سنوياً للاستخدام بمصالح الحكومة أكثر من ٢٠٠ من الشبان الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية ، على حين أن المدارس لم تستطع أن تمد المصالح بهذا العدد ، إذ ثبت ان الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية ، الذين يرغبون فى التوظف بمصالح الحكومة ، كان عددهم حوالى ٢٥ كل عام ، ولذا اضطرت النظارة الى تقليل مدة الدراسة من خمس سنوات الى ثلاث ، لتكثير عدد الحائزين على شهادة الدراسة الثانوية فى كل سنة لتحقيق غرضين :

(الأول) توفير العدد اللازم من الموظفين لملء الوظائف التى تخلو كل عام بمصالح الحكومة حتى لا تضطر تلك المصالح الى تعيين الحاصلين على شهادة الدراسة الابتدائية إذ أن أغلب رؤساء المصالح كثيراً ما جاهروا برأيهم فى هؤلاء الأخيرين بأنهم لم يتلقوا الدروس الكافية ولم تصل عقولهم الى الدرجة اللائقة للقيام بالخدمات التى توكل اليهم على وجه مرض

(الثانى) توفير العدد اللازم من الطلبة للحاق بالمدارس العالية التى كانت قليلة العدد فى ذلك الوقت

فأنت ترى كيف أن مستوى التعليم كان يهبط تبعاً لحاجة الوظائف الحكومية ، وبذا كانت الشهادة غاية لا وسيلة ، وتأصل حب التوظف بالحكومة في نفوس الشبان المصريين ، بدرجة يصعب معها القضاء عليه ، فحال ذلك دون دخولهم ميدان الأعمال الحرة ، فكان فيه متسع للاجانب الذين استولوا على جميع تلك الاعمال ، وسيطروا على ثروة البلاد وتجارتها . وما زلنا نعانى آثار هذه السياسة الخرقاء فى التعليم ، ولن تقوم لنا قائمة الا بالقضاء عليها

وسنة ١٩٢٥ هى الحد الفاصل بين ذلك العهد وبين العهد الجديد الذى انتقلت فيه مقاليد الأمور فى وزارة المعارف الى أيدى المصريين فافتتح هذا العهد حضرة صاحب المعالى (والآن صاحب المقام الرفيع) على ماهر باشا بجرأة وهمة ، ورغبة صادقة فى النهوض بالتعليم ، وعاونه رجال التعليم أصدق معاونة ، فوضعت الخطة الجديدة ، وأدخلت عليها المواد التى أقفرت منها فى العهود الماضية ، وقام الاخصائيون بوضع المناهج ، وراجعها معاليه بنفسه ، فطفرت بالتعليم طفرة واسعة المدى ، أملتها الرغبة فى النهوض بعد الركود الطويل . ونفذت من العام الدراسى ١٩٢٥ – ١٩٢٦ ، ثم أدخل

عليها بعض التعديل والتبديل ، والتخفيف الذى مسخها ، من وقت الى آخر ، حتى عام ١٩٣٦ لما أن عين حضرة صاحب العزة الأستاذ أحمد نجيب الهلالى بك وزيراً للمعارف ، فعكف على دراسة الخطط ، ووجه عنايته للتعليم الثانوى ، وكتب تقريراً عن عيوبه وأوجه إصلاحه ، وسيبقى هذا التقرير تحفة خالدة فى تاريخ التعليم بمصر . وقد راعى فى وضع الخطة والمناهج الجديدة تطور البلاد وحالة التلاميذ، فخفف ثقل وطأة الدراسة عليهم ، وشدة ما كانت تفرضه عليهم من تكاليف يعجزون عن تحمل أعبائها ، إذ كانت مواد الدراسة التى يمتحنون فيها كل عام كثيرة متشعبة ، والمناهج طويلة يصعب إنهاؤها فى الزمن المحدود لها ، كما كانوا يمتحنون فى مقرر ثلاث سنوات فى المرحلة الأولى من التعليم الثانوى ، وفى مقرر سنتين فى المرحلة الثانية

ولهذه المناسبة يجدر بى أن أوجه النظر الى خطأ شائع ، ذلك أن الناس يعلقون أهمية عظمى على المناهج ، مع أنها فى ذاتها ليست عاملا هاماً فى مستوى التعليم ، إذ أن العبرة بتنفيذها ، والمدرس الصالح الذى يفهم عمله ، ويخلص فى أدائه ، لا يحتاج الى مناهج ليرفع تلاميذه الى المستوى المطلوب . كما أن العبرة بالخطة فهى التى يجب أن يعنى بها ، لتشمل المواد الضرورية لتثقيف التلاميذ ، ولسد حاجة البلاد

وأما النتيجة الثالثة ، وهى تقييد حرية المراقبين والنظار والمدرسين ، فهى نتيجة النظام العام للتعليم، الذى تسوده المركزية المتطرفة، التى تتجمع فيها السلطة وحق تصريف الأمور ، فتصدر جميع الأوامر والنشرات والتعليمات ، واليها يرجع فى جل وصغير من الشئون ، وذلك المركز هو الذى يحرك كل معاهد التعليم ويوجهها الوجهة التى يرضاها

ولست أجد أروع فى وصف هذه المركزية من الوصف الذى ورد فى بحث الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، والدكتور أحمد عبد السلام الكردانى بك والأستاذ اسماعيل القبانى ، عن « التعليم العام والى أى حد كان عاملا من عوامل العطل » الذى ألقى عن « مشكلة المتعلمين المتعطلين فى مصر : أسبابها وعلاجها » فى مؤتمر المعلمين الثانى الذى عقد بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية فى أيام ١٧ و ١٨ و ١٩ من يونيه سنة ١٩٣٤ ، قالوا :

« . . . وفى هذا النظام شبه وصاية مفروضة على تلك الفروع التى لا تتصرف من تلقاء نفسها إلا فى الحدود التى ترسمها لها الادارة المركزية ، وفيه افتراض بأن تلك الفروع ليس لديها من الرشد ما يؤهلها للاستقلال بشئونها ، وتوجيه نفسها فى الوجهة التى ترتضيها . وما ينبغى لنا أن نناقش الاعتبارات التى غلبت هذا الروح على نظامنا من عهد بعيد ، ولكنا نشير الى أن مثل هذا الجو أبعد الأجواء عن تكوين شباب مستقل أصيل التفكير والتصرف ، فالتلميذ لا يمكن أن يتعلم الاستقلال من مدرس مقيد يتحرك بأوامر ناظر مقيد ، ولا يمكن أن يجد غذاءه الروحى فى نظام مدرسى يتحرك كله تحركا آليا جامداً لا تصرف فيه ولا تجديد

إن الجو الصحيح الملائم للتربية الصحيحة هو جو الحرية المنتظمة التى تطلق فيه الحرية للطفل للتعبير الصادق عن ميوله وحاجاته ، وتتاح له الفرصة لارواء هذه الميول وسد هذه الحاجات بوسائل النشاط الممكنة ، ولن يتحقق هذا حتى يكون جو المدرسة خاليا من القيود ، والاستاذ المشرف على تربيته كامل التصرف ،

والرئيس الذى يشرف عليهما مكينا عاطفا قادراً على مساعدتهم جميعا على ما تقتضيه التربية الصحيحة . هذا هو الوضع الصحيح الذى يجب أن توضع فيه المدرسة حتى تؤدى رسالتها ، وأن تكون كلا بذاتها ، مستقلة فى جهودها ، حرة فى تصرفها »

وإذا كان هذا صحيحاً عن المدارس ، فهو صحيح عن المراقبين وكلهم رجال نشأوا فى وزارة المعارف وخبروا شئون التعليم ، وإطلاقهم من قيود المركزية يفسح المجال أمامهم ، ويجعلهم يشعرون بالمسئولية ، فيعمل كل فى ناحيته لتلافى وجوه النقص ، والنهوض بالتعليم ، رائده الاخلاص ، وعونه تجاربه واطلاعه وحسن التصرف فى الأمور ، وبهذه الطريقة يخلق «الرجال» والشخصيات المستقلة التى تستطيع المساهمة فى التجديد والتطور ، وإنهاض التعليم وإعلاء شأن البلاد

افتقارنا الى سياسة قومية

ولعل من وجوه النقص افتقارنا الى سياسة قومية تدرس حاجات البلاد فى مرافقها المختلفة ، وتوجه التعليم فى شتى المراحل الى الغرض الذى يكفل سد هذه الحاجات . والواقع أن حاجات البلاد ليست مدروسة ، ولا هى بالواضحة أو الجلية . ويتوقف إنشاء الفصول والمعاهد فى جميع مراحل التعليم على ضغط الراغبين فى اللحاق بها، فان خف فلا حاجة الى الانشاء ، وإن زاد أصبحت الحاجة ملحة الى تدبير الأمكنة اللازمة لجميع الطالبين . وأنا أعلم أن الحكومة اليابانية تدرس حاجات البلاد ، وتتبين عدد اللازمين من أبناء المهن والحرف المختلفة ، فلا تقبل فى الجامعات والمعاهد الخاصة إلا بالقدر اللازم . أما فى مصر فالتوازن معدوم بين خريجى كليات الجامعة والمعاهد العالية والخاصة ، ففى الوقت الذى فكر فيه فى إغلاق جدول المحامين قبل بكلية الحقوق حوالى الف طالب ، كما قبل مثل هذا العدد فى العام الماضى ، وفى الوقت الذى رفضت فيه المصالح الحرة استخدام المتخرجين فى كلية التجارة قبل بتلك الكلية ما ينيف على الألف ما بين أقسام نهارية وليلية . وهذه هى حال متخرجى كلية الزراعة . ومن العجيب أن متخرجى المدارس الصناعية يطلبون الاشتغال سعاة وفراشين بمصالح الحكومة . أليس هذا سبباً فى زيادة عدد المتعلمين المتعطلين ، أليس فى هذا إسراف بليغ ؟ فسياسة التعليم فى مصر ليست نتيجة لبحث حاجات البلاد ، بل هى سياسة مرتجلة ، تمليها الظروف ، وترسمها الطوارىء

ولرب قائل يقول إن التشريع المصرى ينقصه الزام المصالح الحرة قبول المصريين فى وظائفها ، وانى أعترف بهذا ، وأقول إن الاعتراض على أن المصريين لا يحذقون اللغات الأجنبية قول مردود إذ يجب أن تسود اللغة العربية فى شتى نواحى العمل الحر

فقدان التعاون بين المدرسة والمنزل

قال لى مرة أحد وزراء المعارف السابقين : « إن وزارة المعارف لم تبلغ رسالتها » فقلت : «وكيف كان ذلك ؟ » فقال : « لأن المناهج غير صالحة ، ولأن المعلمين لا يخلصون فى أداء واجباتهم»

قلت : « إن المناهج طيبة للغاية ، على أن المناهج فى ذاتها ليست عاملا هاماً فى مساعدة الوزارة فى أداء رسالتها » ، كما قلت : « إن المعلمين بالرغم من ثقل واجباتهم ما بين دروس يحضرونها ويعطونها ، وكراسات يصححونها، ومعاونة يقدمونها فى الاشراف على مختلف نواحى النشاط المدرسى، يخلصون الاخلاص كله فى أداء هـذه الواجبات . وذكرت لمعاليه أننى لما كنت طالباً بانجلترا لفتت نظرى ظاهرة عجيبة فى الشارع الذى كنت أسكن فيه ، تلك أن الشارع كان فى لحظة معينة يكتظ بصغار التلاميذ والتلميذات ، وكان فى لحظة معينة يخلو منهم ، فعملت على زيارة بعض المنازل المجاورة فشاهدت فى كل منها طفلا أو أكثر يعاونه أبوه أو أمه أو أخته أو أخوه فى مراجعة الدروس وفي أداء الواجبات المنزلية

وأما فى مصر فان مدرسة الأم معدومة إذ أن نسبة من يعرفن القراءة والكتابة من النساء لا تزيد على ٣ فى الألف . والتلاميذ يغادرون المدارس ويذهبون الى منازلهم فلا يجدون من يستقبلهم ليحاسبهم على تأخيرهم ، ويعاونهم فى الدرس والتحصيل . فعناية الآباء بأبنائهم قليلة ، ويعتقد الكثيرون أن واجبهم نحو أبنائهم ينتهى عند دفع المصروفات المدرسية ، ولذا أصبح نفوذ الآباء على الأبناء ضعيفا

فلهذه الأسباب كانت البيئة المنزلية غير مثقفة ، ضعيفة النفوذ ، خالية من الرقابة على التلميذ ، وقد أدى هـذا الى فقدان التعاون بين المنزل والمدرسة ، وقد حاولت المدارس جهد طاقتها أن تحقق هذه الناحية من العناية بتربية تلاميذها فلم تفلح لعدم اهتمام أولياء الأمور ، الذين يتركون الحبل على الغارب للأبناء ، ويتكلون على المدارس فى تربية أبنائهم . والمدارس إن هى أحسنت توجيه التلاميذ فى أثناء وجودهم بها ، فانها لا تستطيع الاشراف عليهم خارجها

ولعل هـذا يدفعنى الى الادلاء برأى طالما رددته ، وهو أن يلبس التلاميذ زياً خاصاً داخل المدارس وخارجها ، وأن يكونوا تحت رقابة بعض رجال التعليم ممن تندبهم الوزارة لهذا الغرض على أن تكون الرقابة شديدة ، والعقوبات لمن لا يحسنون السلوك رادعة

ولهذه المناسبة اذكر أنه فى بولنده لا يسمح للتلميذ بالاشتراك فى أى ناد رياضى إلا بترخيص من مدرسته ، ولا يذهب الى السينما إلا بترخيص منها كذلك ، فالتلاميذ هناك تحت رقابة شديدة ذلك لأن تلك الأمة تريد أن تكون شعباً متجانسا ، قوياً بأخلاقه ورجولته ، بعد أن لمت معاهدة فرساى شمل أجزائها التى كانت موزعة بين الروسيا والنمسا والمانيا ، وحققت استقلالها . وما أحوج مصر فى أول عهدها بالاستقلال الى رعاية هذه الناحية ، لتعد أجيالا صالحة ، صحيا وخلقيا وعلميا

اشتغال الطلبة بالسياسة

ومن المعاول الهدامة للتربية ، والهابطة بمستوى التعليم ، اشتغال التلاميذ بالشئون السياسية ،

والنازعات الحزبية ، وتشجيع الهيئات السياسية لهم مما أدى الى انصرافهم عن الدرس ، واعوجاج أخلاقهم ، وخروجهم على النظام لمناسبة ولغير مناسبة ، وضياع هيبة المعاهد العلمية والاساتذة من نفوسهم . وهـذه مسألة خطيرة النتائج أرجو أن توجه اليها عناية خاصة تتناسب مع خطرها ، وأرجو أن نتقى الله فى أبنائنا

أذكر أنه فى سنة ١٩٢١ اتصل بوزارة المعارف فى انجلترا أن أحد نظار المدارس أعد العدة لأن يقوم أحد رجال السياسة بالقاء محاضرة على تلاميذ المدرسة فى موضوع يتصل بالسياسة ، فتدخل وزير المعارف فى الأمر ، وطلب الى الناظر أن يلغى المحاضرة على أساس أنه لا يسمح بأن يتأثر التلاميذ فى تلك السن المبكرة بآراء رجال السياسة الحزبيين

وأعتقد أننا في مصر أولى برعاية هذه القاعدة

تواكل الطلبة

وتواكل التلاميذ وتراخيهم ، وتسويفهم فى الاستذكار عادة متأصلة فيهم تحول دون التحصيل المجدى المثمر . واللغات العربية والاجنبية ملكات لا بد أن تنمى بالاطلاع المستمر يوما بعد يوم ، ومثلها المواد الأخرى ، فاستذكارها المتواصل ينتج عنه سمو المدارك ، والتقدم العلمى ، والنهوض الخلقى . والذى اشتهر عن التلميذ المصرى أنه يضيع وقته سدى ، ويتراخى فى عمله وأداء واجباته الشطر الاعظم من العام الدراسى ، حتى إذا ما شعر باقتراب أيام الامتحان ، أخذ يحشو المعلومات حشواً فى ذهنه ، ويستذكرها بمجرد التذكار ، فاذا قدر له النجاح طارت هذه المعلومات وضاعت بمجرد انقضاء الامتحان ، وبذا تعدم فائدتها فى تكوين عقله ومداركه ، والذنب فى ذلك ليس ذنبه ، بل هو ذنب أبيه وأمه ، والمسئولية تقع عليهما لأنهما لا يشرفان عليه منذ الصغر ، ولم يعوداه الاستذكار وأداء الواجبات المنزلية أولا فأولا ، ولم يحاسباه على وقته وحركاته ، ولم يقدما له المساعدة الواجبة . والى ذلك يتركانه دون أية رقابة ، فيقضى ساعات فراغه فى اللعب والمرح ، وفيما لايجدى أو يفيد ، ويلهو عن عمله وواجبه . هذه مسألة خطيرة ، وهى تحتاج الى علاج سريع

ازدحام المدارس بالتلاميذ

وهناك مسألة أخرى لها خطرها ، وهى ازدحام المدارس بالتلاميذ ، ولقد عرضت مراقبة التعليم الثانوى لها فى تقاريرها عن الأعوام الأخيرة ، واقترحت ألا يزيد عدد تلاميذ أية مدرسة ثانوية على ٦٠٠ . والهدف الذى ترمى اليه من وراء هذا الاقتراح ظاهر معروف لكل من يمت الى التعليم بصلة ، ويكفى أن نذكر هنا أنه لا ينتظر من ناظر مدرسة ثانوية غاصة بالتلاميذ أن يشرف اشرافا تاماً على مدرسته كما أنه لا يستطيع أن يدرس الحالات الفردية لتلاميذه ويوجه عنايته لكل

منهم ، ليتبين فيه مواطن الضعف ، أو نواحى التقدم والنبوغ ، وليتمكن بذلك من توجيهه توجيهاً سليما ، ويستغل فيه تلك النواحى التى إن تعهدها خلقت منه رجلا صالحاً نابغاً . فاكتظاظ المدارس بالتلاميذ عامل من العوامل الفعالة التى تؤدى الى تدهور المدرسة فى شتى النواحى

مشكلة الامتحانات

ومشكلة الامتحانات معول من معاول الهدم ، فان الامتحانات المتعددة جعلت النظام القائم آلة للتعليم،لأن الفكرة السائدة عن التعليم الابتدائى والثانوى أنه وسيلة تمكين التلاميذ من اجتياز الامتحانات ، وما دامت هذه هى الحال ، وهذا هو النظام ، فستظل المدارس وسيلة للتعليم لا للتربية بمعناها الشامل الصحيح . والعلاج هو ألا يقام للامتحانات أكثر من وزنها ، وألا نجعلها تشغل كل أفكار العاملين والمتعلمين على السواء ، وأن نجعلها وسيلة لا غاية ، حتى يستقيم حال التعليم، ويأتى بالثمرة المرجوة من تكوين رجال مثقفين مهذبين

فالامتحانات بنظامها الحالى خطر وبيل ، وشبح مفزع ، وهى أكبر ما جنى على التربية فى مصر ، إذ فيها يعظم شأنها ، ويحاط بسياج من الرعب والوهم ، ويقام وزن عظيم لنتائجها ، حتى لقد كيفت التعليم بدلا من أن يكيفها ، وصرفته عن وجهته الصحيحة ، وأنست المدرسة والتلميذ الغرض الأصلى من التربية

ولا يمكن التخفيف من وطأة الامتحانات ، والتقليل من شأنها ما دامت تعقد بالكثرة التى نعهدها الآن ، فلكل امتحان دور ثان ، سواء أكان امتحان نقل أم امتحانا عاماً ، ولامتحانات الدور الثانى نتائج خطرة نعددها فيما يلى :

(ا) تسهيل النجاح لضعاف التلاميذ

(ب) إحداث تراخ فى جهود التلاميذ مما أدى الى هبوط نتائج امتحانات الدور الأول

(ج) ازدياد أعمال المدرسين ورجال التعليم جميعاً فأصبحوا يقضون العطلة الصيفية فى التحضير للامتحانات ، وتسييرها ، وتصحيح أوراق الاجابة ، وإعلان النتائج . وهذا يقعد بهم عن الاستفادة من تلك العطلة علمياً ، وصحياً ، ويحول دون استعدادهم للعام الدراسى الجديد

(د) تقصير مدى كل من العام الدراسى والعطلة الصيفية

(ﻫ) اعتلال صحة التلاميذ الذين يرسبون فى الدور الأول ، وبخاصة صغارهم إذ أنهم يصرفون العطلة الصيفية فى الاستعداد للدور الثانى ، بدلا من تمضيتها فى الراحة والنزهة ، والفرح والمرح ، والتنقل ، استجماما لقواهم ، وتنشيطاً لعقولهم ، وتقوية لأجسامهم ، حتى يستقبلوا العام الجديد بنشاط ، وميل الى العمل

ومن رأيى أن تلغى جميع امتحانات الدور الثانى ، كتدبير سريع ومؤقت ، عدا امتحان

شهادة الدراسة الثانوية بنظاميها العام والخاص ، ولم نستثن هذين الامتحانين الا لأن التلاميذ فى هاتين الفرقتين يكونون فى آخر المرحلة الثانوية ، ولا بأس من اعطائهم فرصة أخرى ، ولابد من تقييد دخول هذا الامتحان بشروط كالتخلف لعذر قهرى عن امتحان الدور الأول أو الرسوب فى مادة أو مادتين على الاكثر من مواد الامتحان

ضعف التعليم الحر

ولعلى أتناول ناحية أخرى من نواحى التعليم ، فأذكر كلمة عن التعليم الحر ، ونحن نعلم من تجاربنا ومشاهداتنا أن التعليم الحر فيه مواطن ضعف نورد أهمها فيما يلى :

(١) تنشأ بعض المدارس الحرة على أساس أنها مشروع تجارى ، فلا تراعى فيه مصلحة التعليم ، وقواعد التربية ، وما كان التعليم مورداً للكسب ، فضلا على أن المنافسة على قبول التلاميذ بأقل الأجور تؤثر تأثيراً سيئاً فى مالية تلك المدارس

(٢) حشد التلاميذ فى الفصول للحصول على أقصى ما يمكن من المصروفات المدرسية ، وهذ بطبيعة الحال ذو أثر سيء فى التعليم ، بل إنه يقوض أسس التعليم والتربية ، ويحول بين المدرس وبين أداء واجبه الذى ترضاه نفسه ، وتحتمه عليه مهنته

(٣) العسر المالى يؤدى الى عدم توافر وسائل التعليم وبخاصة من الناحية العملية من حيث أجهزة المعامل وأدواتها وموادها ، ومن حيث وسائل الايضاح فى الجغرافية والتاريخ وبذا تضيع ثمرة هذه الناحية في التعليم وتقوية المدارك والملكات

(٤) الكثير من أمكنة المدارس الحرة لا تتوافر فيها الشرائط الصحية والتعليمية

والأفراد الذين ينشئون مدارس فى الخارج يحصلون مصروفات مدرسة عالية تسد النفقات جميعها ، وما كان أجدر بنظار المدارس الحرة أن يسلكوا هذا المسلك ، وينهجوا هذا النهج ، بأن تتحد كلمتهم على القيام بمثل ذلك . والواجب أن تكون المصروفات المدرسية فى المدارس الحرة أعلى منها فى مدارس الوزارة لأننا نعرف أن التلميذ فى كل نوع من أنواع التعليم يكلف الوزارة أكثر مما يدفع لها

ولقد عملت الوزارة على تنظيم التعليم الحر ، فسنت لذلك قانونا ، ولكن الواجب يقضى بتصفية المدارس الحرة قبل وضع سياسة للنهوض بها ، فان الكثير من تلك المدارس لا يصح أن يطلق عليها هذه التسمية

اختلاف معاهد المدرسين

ولعل من وجوه النقص اختلاف المعاهد التى تخرج المدرسين ، ولنضرب لذلك مثلا مدرس اللغة العربية فانه يتخرج فى دار العلوم وكلية اللغة العربية بالازهر الشريف ، وكلية الآداب بجامعة فؤاد

الأول ، ومدرسو المواد الاخرى تخرج بعضهم فى مدرسة المعلمين العليا وبعضهم فى معهد التربية ، وبعضهم لم يعد ليكون مدرسا ، وعندى أن هذا من شأنه أن يخلق فروعا لأبناء الطائفة الواحدة ، يشعر كل منهم بشخصيته ، وقد يؤدى هـذا الى مشاكل لا يصح أن تنشأ بين المعلمين . وعندى أنه اذا أريد الاصلاح أن يفكر فى الأمر على أساس أن يتعلم كل طالب ماشاء فى المعهد الذى يخصصه للمادة التى يريد التخصص فيها ، على أن يمر الجميع بمعهد التربية فيعدوا لمهنة التعليم . هذا خير وأجدى ، وفيه اقتصاد كبير ، ومعاونة على خلق جسم متجانس لطائفة المعلمين

تعدد مراحل التعليم الأولى

ولعل هذا يسوقنى الى طرق موضوع تعدد معاهد المرحلة الأولى من مراحل التعليم ، فهناك المدرسة الالزامية ، والمدرسة الأولية على نظام اليوم الكامل ،والمدرسة الاولية القديمة ،والمدرسة الابتدائية . ولقد عملت الأمم التى سبقتنا فى مضمار التعليم على أن توحد هذه المرحلة ، وأن تنشىء مدارس يؤمها جميع أبناء الشعب أغنياؤهم وفقراؤهم على حد سواء ، ومهمتها أن تعطى جميع هؤلاء الابناء الحد الأدنى من الثقافة الذى يجعل من كل فرد مواطنا صالحا يفهم حقوقه وواجباته . وهذا الحد الأدنى يختلف بطبيعة الحال باختلاف مستوى الأمم . وعندى أنه من المرغوب فيه جداً من كل الوجوه ، وبخاصة من الوجهة المالية ، أن توحد المدارس الأولية والابتدائية،على أن يلغى التعليم الابتدائى الحالى ، ويقسم قسمين ، قسم يدمج فى المدارس الاولية ، والآخر يلحق بالمدارس الثانوية فيدخلها التلاميذ بعد اجتياز امتحان دخول فى مستوى السنة الثالثة الابتدائية الحالية ، وتكون مدة الدراسة الثانوية العامة (من العاشرة الى السادسة عشرة) وهذه هى مرحلة الثقافة العامة ، وأما من شاء أن يواصل التعليم العالى فعليه أن يدرس سنة أو سنتين ليستعد للكلية التي يريد اللحاق بها ، فيدرس المواد التى تؤهله لها . وجمعية المعلمين تدرس هذا الموضوع الآن

هذه عجالة يسيرة ، ونبذة قصيرة لموضوع له خطره ، متشعب النواحى ، متعدد الفروع ، وما قصدت إلا أن أوجه النظر الى بعض وجوه النقص،وكلى رجاء فى أن يؤدى هذا الى أن يفكر كل من يعنيهم الأمر ، ويهمهم نهوض البلاد وتقدمها فى هذه الوجوه وغيرها ، وأن يعاون الجميع فى القضاء عليها ، وفى تحسين الحال ، حتى تتركز الحياة العلمية والاستقلالية فى مصر ، فتتبوأ المركز اللائق بها بين الدول العظمى فى ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم « فاروق الأول » حفظه الله ، ونصره ، وأيده بروح من عنده

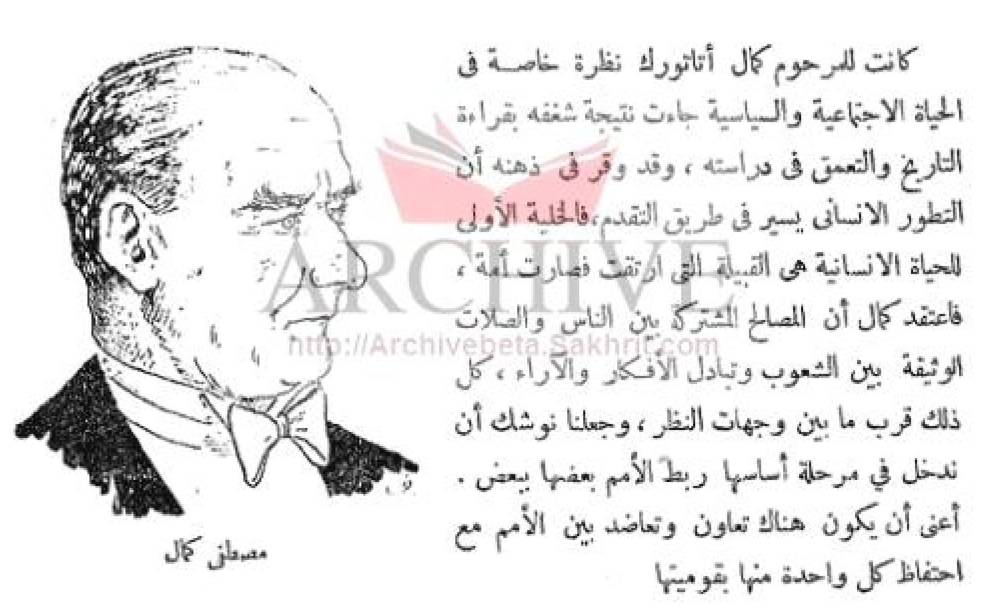
محمد فهيم

بعض ما أعرفه

عن كمال أتاتورك

بقلم عبد الملك بك حمزة

وزير مصر المفوض السابق فى أنقره وعضو مجلس النواب


مصطفى كمال

كانت للمرحوم كمال أتاتورك نظرة خاصة فى الحياة الاجتماعية والسياسية جاءت نتيجة شغفه بقراءة التاريخ والتعمق فى دراسته ، وقد وقر فى ذهنه أن التطور الانسانى يسير فى طريق التقدم، فالخلية الأولى للحياة الانسانية هى القبيلة التى ارتقت فصارت أمة ، فاعتقد كمال أن المصالح المشتركة بين الناس والصلات الوثيقة بين الشعوب وتبادل الأفكار والآراء ، كل ذلك قرب ما بين وجهات النظر ، وجعلنا نوشك أن ندخل في مرحلة أساسها ربط الأمم بعضها ببعض . أعنى أن يكون هناك تعاون وتعاضد بين الأمم مع احتفاظ كل واحدة منها بقوميتها

عقيدته السياسية

اعتقد مصطفى كمال أن الانسانية كلها مقبلة على تطور جديد ، وأن تركيا تستطيع أن تأخذ بنصيبها فى تعجيل هذا التطور . ولخدمة هذه الفكرة أكب على دراسة التاريخ وحاول أن يسخره لخدمة آرائه ، وتحقيق مآربه ، فكلف العلماء ربط بعض الوقائع الثابتة على طريقته ليستنتج منها ـ بصورة علمية ـ أساساً تاريخياً ، يجعل تركيا تقوم بدور هام فى التاريخ الحديث

ومن بين تلك المسائل التى لجأ اليها ، أنه كان يحاول إفهام الناس واقناعهم بأن الأمة التركية

القديمة هي أصل الأمم جميعاً ومصدر الحضارات ، مستشهداً على صدق دعواه بأمور كثيرة ، منها تقارب بعض العادات والتقاليد بين الأمة التركية الأولى والأمم القديمة جداً ، وكذلك تقارب الديانات واللغة . وراح يدعو الى أن جميع تلك الأمم قد نقلت قواعد الحضارة والعمران عن الأمة التركية ، وكان لا يفتأ فى جميع مجالسه حتى مع رجال السلك السياسى يبشر بهذا الرأى محاولا أن يصل الى اقناعنا

ولم تكن هذه الفكرة ناشئة عن نزعة تعصبية ، بل كان الرجل مؤمناً ايماناً كاملا بأن تركيا الحديثة قد اجتمعت لديها جميع الأسباب التى تجعل لها رسالة عالمية تقوم بأدائها، فأراد لها أن تكون محوراً لكل الأمم وعاملا للتقريب بينها . فكان يقول إن تركيا شرقية وغربية فى وقت واحد ، ففيها يلتقى الشرق والغرب ، وفيها يمكن أن تنبثق شجرة السلم العالمى فتظل الناس جميعا

ونهضة تركيا الحديثة لم تأت وليدة المصادفات المحضة ، بل هى نهضة العوامل التى ترمى الى غاية كونية عالمية ، ولكى تتحمل تركيا أعباء هذه المهمة ، لابد أن يجعلها دولة عزيزة قوية ، وأن يجعل سياستها مشبعة بروح السلام . فلما وصل الى ذروة المجد فى بلاده لم تعد له أطماع خارج حدود تركيا بل أراد أن يجعل بلاده شبه مركز لبلاد البلقان ، فصار يتوسط فيما ينشأ بينها من خلافات ، وقد كانت فيما مضى متقاتلة متباغضة ثم ركزت فيها أركان السلام ، وكان لجهود كمال أتاتورك فى ذلك نصيب عظيم

عرفت ذلك منه شخصياً ومن أحاديثه فى مجالسه الخاصة . وأذكر أنى اجتمعت به ذات يوم وكان معنا الملحقون العسكريون لبعض الدول الكبرى، وكان هناك إشكال بين تلك الدول، فسمعت مصطفى كمال يقول لهم : « ان الدول الكبرى يجب أن تسخر قواها لخدمة السلام فى العالم ، يجب على هذه الدول أن تدرك التطور الحديث ، وأن تعرف رغبات الشعوب وميولها ، يجب أن تحس أننا فى عالم جديد غير العالم الذى كانت تعيش فيه قبل الحرب » ثم التفت الى أحدهم وقال : « أرجو منك أن تبلغ هذا عنى لحكومتك ، وان أكبر مجد يسطره التاريخ لساسة هذا العصر هو العمل على توطيد دعائم السلام وتخفيف متاعب الانسانية »

سياسته الدينية

لعل الناس اليوم يختلفون فى الحكم على مصطفى كمال لبعض المسائل التى تجعل الكتابة عنه من الدقة بمكان كبير . وفى مقدمة تلك المسائل سياسته الدينية . وفى اعتقادى ان كمالا وأمثاله لا تعدى معرفتهم بالدين وتفهمهم لأصوله الصحيحة ما لقنوه فى المدارس ورأوه فى البيئة المحيطة بهم . والنهضة الاسلامية لا يمكن أن توجد فى بلاد ليست العربية لغتها . ولذلك كانت تركيا قبل انقلاب الكماليين فى حالة ركود من الوجهة الدينية ، وتسلطت عليها بعض أفكار الرجعيين فى الامور الدينية ، ففشت

خزعبلات كثيرة ، واعتبرت من الاسلام بدع ليست منه . والاتراك في ذلك الحين لا يقدرون على تحكيم العقل والمنطق ونبذ ما ليس من الدين وطرحه ظهرياً ، بل أخذوا كل شيء على علاته فكانت حركة مصطفى كمال فرصة لرد فعل عجيب

رأى كمال أن في تركيا طائفة من المشتغلين بالدين كانت سبباً في تأخر البلاد وتقهقرها بسبب تحكمها في عقليات الناس وتصرفاتهم ، فحارب هذه الطائفة ، وكانت الحرب من الشدة والعنف بحيث ظن أنها حرب على الدين نفسه ، ولكنها كانت كفاحاً ضد طائفة معينة ومظاهر معينة . أما عقيدة الرجل ذاته وما كان ثابتاً في قرارة نفسه فليست من الامور التي أتعرض لها في هذا المقام ، على أني أروي على سبيل الذكرى انني اجتمعت به ذات مرة ، وكان في حضرته وزير مفوض لاحدى الدول المسيحية ، وعضو في مجلس النواب كانت معه ابنته الصغيرة التي تناهز الثامنة من عمرها ، فطلب كمال وهو يداعب الفتاة الصغيرة أن تقبل زميلي الآخر فأبت ، ثم أمرها ان تقبلني ففعلت ، فلما سألها عن السبب أجابت بأنها تقبلني لأني مسلم ، فضمها إلى صدره فرحاً ضاحكا كما يفعل الرجل المسلم بطبعه

قلت ان تلك الحركة أريد بها محاربة طائفة معينة وكف تأثيرها في الناس ، فترك الشعب حراً في صلواته ومعتقداته ، لأن الذين قاموا بتلك الحركة يظنون ان الدين هو العبادات وحدها ، وأن المسائل المدنية بما فيها قواعد الأحوال الشخصية من طلاق وزواج ومواريث وغير ذلك ، لا تعدو أن تكون معاملات ، ولهذا استباحوا لانفسهم أن يستعيروا القانون المدني السويسري ويطبقوه في تركيا الحديثة

فصلوا الدين عن الحكومة في صدد محاربتهم لطوائف من رجال الدين ، وكان أولى بهم أن يعملوا على تنوير أذهان الشعب بنشر قواعد الدين الصحيحة . وأصرح هنا بأن مصطفى كمالا لو كان هدفه محاربة الدين بالذات لانفض من حوله أكثر رجاله وأكبر أعوانه ، واني لأعرف من أكبر أنصاره فوزي باشا رئيس أركان الحرب وعصمت باشا الذي يشغل منصبه بعد وفاته ، وكلاهما من الحرص على الدين بمكان عظيم ، فلو أشهر زعيمهم أتاتورك سلاحه على الدين نفسه لما وجد منهم مسايرة له في حركته

واني ألاحظ ان كل أمة تتطلع إلى المجد لابد أن يكون لها من الدين عاصم ، وأنه اذا قدر للاسلام أن يستعيد سيرته الأولى ونهضته القديمة ، فسيكون بعث نوره وعظمته في بلاد تتكلم العربية

نظام حكمه

مات أتاتورك وترك نظاماً من الانظمة وحكومة ذات شكل معين فماذا يكون بعد موته ؟

أرى أن من أركان الثبات في تركيا ان القوة الفعالة تتمثل فى الجيش ، والجيش كله تحت إمرة فوزي باشا ، وهو من المخلصين للنظام الحاضر ، ولا يسمح بأى حال أن تعبث السياسة بأمور الجيش

وقد سمعت أنهم عرضوا عليه رياسة الجمهورية بعد وفاة أتاتورك فامتنع ، وقال بأن مهمته المحافظة على أركان الجيش لانه يضمن سلامة الجمهورية

هناك أيضاً الرأى العام المستنير وقادته وأصحاب النفوذ فيه وكلهم من دعاة النظام الحاضر

والاصلاحات التى أدخلت أشياء يقول عنها الاتراك انها ثبتت واستقرت ومنها نهضة المرأة التركية لا يمكن الرجوع عنها . وكذلك الحروف اللاتينية لن يعدل عنها إلى غيرها ، لأنها سهلت كتابة اللغة التركية عما كانت عليه فى اللغة العربية فمخارج الحروف التركية أكثر تمشياً مع الأحرف اللاتينية منها مع الاحرف العربية . وقد استطاعت الأحرف اللاتينية أن تقضى على كثير من التعقيد الذى يوجد فى اللغة التركية ولا يوجد فى لغتنا

على أن الترك لما غيروا حروفهم خسروا خسارة كبيرة فى الأدبيات فضاعت منهم ذخيرة قد يعوضونها مع الزمن . ونحن نعرف أن مصطفى كمالا كان يباشر تعليم اللاتينية بنفسه فخلق لها من طبقة العامة دعامة متينة وان تكن ما تزال الكتابة اللاتينية صعبة نوعاً ما على الذين تعلموا الكتابة بالعربية فى العهد القديم حتى اذا صادفت أحداً من هؤلاء فى الدواوين وأمليته إملاء سريعاً يضطر الى الكتابة بالاحرف العربية ليوفر على نفسه فرصة التفكير والتروى

وان ما صلح للغة التركية لا أراه صالحاً أبداً للغة العربية لأنها لا يمكن أن يستبدل بها غيرها

***

مات مصطفى كمال فترك ذكريات في نفوس أصحابه وعارفيه الذين يشهدون له بظرفه وخفة روحه وأدبه الجم . وقد كان رحمه الله ديموقراطياً متواضعاً فى معاملته للناس ، فكان فى بعض الحفلات واجتماعات السلك السياسى يحدث كل فرد باصغاء واحترام تام ، وقد ينصرف للتبسط مع ملحق لاحدى الدول « attaché » ما يقرب من نصف ساعة على كثرة مشاغله

كان من أبرز صفاته اهتمامه بكبريات المسائل دون صغريات الامور ، ونشاطه الجبار الذى لا يقف عند حد ولا يعوقه أى عائق . وانه لمن أهم ما يستوقفنى فى الحديث عنه ايمانه القوى الذى بنى عليه سياسة بلاده ونهضتها

وكان هذا الايمان عنده يجعل جميع الحلول سهلة ممكنة ويبسط فى نظره كل الصعاب

ويقينى أنه لو حكم دولة من كبريات الدول لهز أركان العالم ، وغير سير الانسانية . فلقد عرفت فيه شخصية عبقرية فذة من أندر الشخصيات التى يعرفها التاريخ ، وهذا لا يمنع انى عرفت فيه مآخذ كثيرة لأنه بشر والكمال المطلق لله وحده

عبد الملك حمزة

توحيد الاسلام والنصرانية

بين الشيخ محمد عبده وأحد القسس الانجليز

بقلم الاستاذ راشد رستم

عن مذكرات « مستر ويلفريد بلنت »

نشرنا في العدد الماضي جزءاً من المذكرات التي وضعها محامي الثورة العرابية مستر ويلفريد بلنت عن الشيخ محمد عبده وترجمها الاستاذ راشد رستم وقد عنينا في هذا الجزء بما دار بينه وبين الفيلسوف الانجليزي الكبير هربرت سبنسر في أثناء مقابلتهما في انجلترا . واليوم ننشر جزءاً آخر منها ، ونعرض هذه الفكرة الجريئة التي عرضها أحد القسس الانجليز على الشيخ محمد عبده . وهي « توحيد الاسلام والنصرانية » وكاد الاستاذ الامام يوافق على الدعاية لهذه الفكرة هو وبعض علماء دمشق لولا تدخل السلطان عبد الحميد في هذا الحين لأسباب سياسية [المحرر]

لسنا اليوم بصدد التحدث عن بلنت ذاته وان كانت حياته وأعماله وآثاره أمراً عجباً ، ولكنا نتحدث عن الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وعلاقة بلنت به ، نستخلص ذلك من مذكراته في يومياته التي نشرها قبيل وفاته ، وهي المذكرات المكتوبة بالقلم البليغ السهل ، والمملوءة بتاريخ الحوادث والرجال من سنة ١٨٨٨ الى سنة ١٩١٤ ، وقد قال إنه يحفظ بقية مذكراته الى سنة ١٩١٩ وديعة تنشر بعد وفاته . ولكنها لم تنشر الى الآن ، غير أنه يفهم من أقواله أنه لم يكن يرى صحة المبررات التي دخلت بها انجلترا الحرب مع فرنسا ضد ألمانيا

فاذا رجعنا الى العهد القائم ، والود الدائم ، بين المستر بلنت وبين الشيخ محمد عبده ، نجده يرجع الى أوائل سنة ١٨٨١ ، حيث يذكر بلنت في كتابه « التاريخ السري لاحتلال انجلترا لمصر » أن اليوم الذي ذهب فيه لملاقاة الشيخ محمد عبده في بيته بجهة الازهر هو في حياته يوم أغر محجل ، إذ بدأت له فيه صداقة رجل من أحسن الرجال وأعقلهم وأظرفهم ، وأنه يقول ذلك عن خبرة بالرجل في حالاته ، أشدها وأيسرها

١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٢

كنت قد بعثت الى الشيخ محمد عبده بنسخة من كتاب بتلر عن « فتح العرب لمصر » ، ولما جاء اليوم شرحت له محتويات الكتاب لجهله بالانجليزية . وفي المسألة الخاصة بنظرية المؤلف

عن أن المقوقس هو سيرس بطريق الاسكندرية ، قال الشيخ عبده بأن هذا خطأ . وعنده أن المقوقس قبطى ، وانه حاكم منفيس ، وانه وجماعته القبط فى ذلك الوقت رحبوا بالفاتحين العرب لأنهم سيخلصونهم من ظلم الرومان ، وإلا فانه كيف أتيح للقبط أن ينالوا من عمرو بن العاص ما نالوا من امتياز وعهود طيبة وحكم ذاتى تمتعوا به عصوراً متالية ؟

وكذلك فى رأيه أن الحروب الصليبية ، وبالأخص هجوم الصليبيين على مصر هى التى جعلت القبط موضع الاضطهاد ، وذلك لأنهم أعلنوا أمرهم فى جانب الصليبيين

ودار حديث عن الأمور الحاضرة ، فقال الشيخ محمد عبده ان علاقات الخديو بالسلطان سيئة ، وقد امتنع السلطان عن مقابلة الخديو حتى أخذ عليه عهد ألا يتكلم فى مسألة جزيرة طشيوز . والمسألة ان الجزيرة ملك الخديو بالميراث ، ولكنها من أملاك الدولة . وكان الخديو يسوم أهلها ثقيل الضرائب فلبثوا يشكون للسلطان ، فانتهز هذا الفرصة وأرسل الجند اليها . والخديو يريد أن يخلى الجزيرة من هؤلاء الجنود ، ولكن لا سميع له فى القصر

وقال الأستاذ إن الخديو الآن تحت نفوذ سيدة مجرية . وقد كانت معه فى حادثة الاتوموبيل التى وقعت لهما أخيراً وهما عائدان من الدار البيضاء بطريق السويس ، وقد غرزت العربة فى الرمل وامتنع الخفراء عن المساعدة ، وحوكموا بالحبس مع الشغل مدة أسبوع ، مما كان له أثر سىء و « خناقة » بين الوكالة البريطانية والقصر

وتكلم عن موت السلطان عبد العزيز فقال انه كان انتحاراً . وتحدث عن مدحت فقال : إنه كان يعامل معاملة سيئة جداً فى منفاه بالطائف ، ويحرم الغذاء ويعطى الخبز الجاف حتى كسرت أسنانه . وقد عذب عذاباً شديداً الى أن مات من سوء العذاب ، ثم قطعت رأسه وأرسلت الى الاستانة

نوفمبر سنة ١٩٠٣

ذهب الشيخ محمد عبده الى جامعة اكسفورد ، وعثر فى مكتبتها على مخطوطات لأحد فلاسفة العرب اسمه El-Sebain (١) وهى مراسلات الى فردريك الكبير

وقد قال الأستاذ انه سيعمل لنسخها بواسطة الاوقاف

وقد زار تونس والجزائر وحدثنى عن حالتهما بالنسبة لمصر فقال : هما مثل النور والظلام

ثم حدثنى عن أعمال الخديو فى سبيل جمع المال ، وما يريد اقتراضه من السير كاسل ليستبدل به أطياناً من الأوقاف . وقال ان الخديو فى ظاهره على صداقة معى ، ولكنه يعمل لاخراجى من الافتاء

(١) لم أعرف اسمه باللغة العربية

٣ ابريل سنة ١٩٠٤

فى حديثى اليوم مع الشيخ محمد عبده أخبرنى بقصة هامة ، فقال :
فى أثناء نفيى فى دمشق سنة ١٨٨٣ كان أحد القسس الانجليز فى انجلترا واسمه « اسحاق تيلور » يقوم بالدعاية لتوحيد الاسلام والنصرانية ، على أساس فكرة التوحيد الموجودة فى الاسلام والموجودة عند الكنيسة الانجليكية . وكان لى صديق فارسى اسمه « مرزا بكر » يعتقد امكان تحقيق هذه الفكرة ، وقد تمكن هـذا من اقناعى أنا وآخرين من علماء دمشق بكتابة رسالة الى تيلور فى الموضوع . وما ان وصلت هذه الرسالة الى القس تيلور حتى فرح بها ونشرها مستعيناً بها على صحة دعواه ولكن لم ينشر أسماء الكاتبين . إلا أن السلطان عبد الحميد كلف سفيره فى انجلترا معرفة تلك الاسماء ، وكان ذلك سهلا عليه فقد عرفها من القس نفسه . فحاق بى وبهؤلاء العلماء اضطهاده العظيم

ويقول الشيخ محمد عبده فى ذلك أيضاً :

وقد عرفت فيما بعد سر غضب السلطان وهو أنه خشى أن يسلم الانجليز . ويدخلوا فى دين الله أفواجاً . فيطلبوا ان يكونوا هم أصحاب الدولة فى الاسلام وان تكون الملكة فيكتوريا ملكة المسلمين . . . ويذهب السلطان من السلطان

وسبحان مقسم العقول(١) ! . .

١٩ فبراير سنة ١٩٠٥

عاد الشيخ من السودان ، وقد أخبرنى بما رآه وأنه مسرور مما رأى وشاهد . وأن الحكومة هناك أحسن ادارة ونظاما منها فى مصر . وان الاهالى قانعون راضون ، حتى عن مسألة النخاسة . وان الدراسة فى كلية غردون على أساس معقول موافق مناسب . وان قانون العقوبات السودانى أسهل وأحسن من أخيه المصرى . وان السردار ونجت يحكم عادلا معتدلا . وان هناك شعوراً حسناً بين الانجليز والسودانيين

١٧ مارس سنة ١٩٠٥

تركت الشيخ محمد عبده فى هذا الصباح ، ويلوح لى ان هذا السفر الى الأبد ولغير رجعة . على

---

(١) قيل ان المستر بلنت كان فى صميمه مسلماً وان لم يجهر بذلك ، ويستدلون على ذلك بما عرف عنه من أنه أوصى عند موته بأن يغسل ويكفن ويدفن على ما يشبه الطريقة الاسلامية ، وطلب ألا يلبسوه ثيابا وألا يضعوه فى تابوت أو صندوق ، وأن يلحدوه فى قبر مفروش بالرمل على سجادة شرقية ثمينة ، وقد نفذت وصيته بغاية الدقة

وقد ذكر فى احدى يومياته سنة ١٨٩٨ أنه جاء عليه وقت فكر فيه أن يتخذ الاسلام دينا

أن المكان حبيب الى نفسى كثيراً ، لشمسه المشرقة وما فيه من وحش وطير ، فيا ويلى ، ومن ذا الذى يرعى ذلك كله اذا ما ذهبت ؟

وقد حضر الشيخ محمد عبده الى محطة القاهرة ليودعنى ، ولقد بقينا نتحدث طول الوقت الى آخر لحظة تحرك فيها القطار ، وكان وداعاً مؤثراً حزيناً ، ذلك لأنى كنت أشعر حينذاك بأنى لن أراه بعد هذه المقابلة ، ولكن لم اكن انا الذى مات ، وانما هو الذى مات فى هذا العام

٨ يونيو سنة ١٩٠٥

ان الحادث الذى يقل كل حادث ويضعف ويمحى أمامه هو موت الشيخ محمد عبده . تلك خسارة عظيمة لى وللعالم الاسلامى كله . وانى ليخالجنى الشك فى سبب موته ، ذلك لأن موته كان فجائياً . كما أن له أعداء سياسيين كثيرين

٥ يوليو سنة ١٩٠٥

مصطفى كامل من الشبان المخلصين الاكفاء ، ذوى المواهب العليا . سألته مرة عن رأيه فى الشيخ محمد عبده فأجاب بتحفظ ، وأخذ عليه تمسكه بمركزه الرسمى برغم اضطهاد الخديو له . وقال مصطفى كامل انه لو كان قد اعتزل هذا المنصب لكنا جعلناه زعيم الحرية والوطنية فى مصر

راشد رستم

الصبر

للفيلسوف الاندلسى على بن حزم

الصبر على الجفاء ثلاثة أقسام : فصبر عمن يقدر عليك ولا تقدر عليه . وصبر عمن تقدر عليه ولا يقدر عليك . وصبر عمن لا تقدر عليه ولا يقدر عليك

فالأول ، ذل ومهانة

والثانى ، فضل وبر . وهو الحلم الذى يوصف به الفضلاء

والثالث ، ينقسم قسمين : اما ان يكون الجفاء ممن لم يقع منه على سبيل الغلط ، ويعلم قبح ما أتى به ، ويندم عليه . فالصبر عليه افضل وفرض ، وهو حلم على الحقيقة وأما من كان لا يدرى مقدار نفسه ، ولا يندم على ما سلف منه ، فالصبر عليه ذل للصابر وافساد للمصبور عليه

سجل الأيام

بقلم الأستاذ سامى الجريدينى

الشئون الداخلية

أمورنا الاقتصادية

ليس الغرض من كتابة هذه الفصول اخباريا شأن الصحف اليومية ، وليس تحزبياً سواء أ كان ذلك فى السياسة أم فى الاجتماع ، ولكنه سعى تدفعه النية الطيبة الى إظهار ما هناك فى شئوننا جميعها من مبادىء وأسس – وابداء الرأى فيما فى هذه المبادىء والاسس من أمثلة يصح أن تحتذى أو يجدر أن تجتنب

ولقد قلنا فى فصول سابقة إن البراعة الاقتصادية ليست فى وضع مشروعات للانفاق ، فهذا أمر فى متناول كل أحد ، وعلى الأخص اذا كان الانفاق من « جيب » عام لا يشعر المنفق بخروج شىء من مكمنه الخاص يدله على مواطن الخطر ، فالذى يذوق طعم الجلد والعصا تعمل فى ظهره ، ليس كالواقف يعد الضربات

إنما البراعة كل البراعة فى مواجهة الحقائق الاقتصادية والمالية ، والأخذ بها دون أى اعتبار آخر يتناول العاطفة وينأى عن الصواب . وهذا ما نحمده فى وزير ماليتنا الحكيم

فقد والله طالما حبرت المقالات ، وتليت الخطب ، ونشرت البيانات ، فى تحبيذ تضييق ميزانية المرتبات وتهذيبها ، وقصرها على استطاعة البلاد ، بمواجهة الحقائق الاقتصادية ، والنظر اليها نظراً يسمو عن الساعة التى نحن فيها الى الغد المحفوف بالمخاطر ، فما استطاع زعيم أن يخرج من ميدان القول الى ساحة العمل ، ولا أقدم وزير على تنفيذ ما كان يجاهر به . حتى جاء وزيرنا الحالى الذى جعله الملك على خزائن مصر ، فهم بالمبادىء ووضعها موضع العمل ، وأقسم لينفذن حق البلد فى مال أبناء البلد

وقد قامت بعض الفئات التى زعمت أن مسها الضر تناوىء المشروع ، وتدعو الله أن يسقطه ، أما نحن ، فليس لنا مأرب فى الجدل ولا فى الدفع بما تقضى به النظريات الافلاطونية ، ولكننا نزعم أن العبء ضربة لازب على الجميع ، وان ميزانية الموظفين تميز فئة من أبناء مصر على فئة أخرى هى الاكثرية العظمى ، وحاشا ان يقبل ذلك رجل مهذب ، والموظف ذلك الرجل ،

بل نزعم أننا إذا سرنا على هذا الطريق ولم نضع حاجزاً فى السبيل أو لم تقيد أرجلنا بقيود الواجب لعثرنا وسقطنا وكان سقوطنا عظيما

فلوزير المالية الحمد كله فانه نظر الى الامر نظرة رجل دولة لا نظرة رجل سياسة فظهرت رجولته وهذا كل ما تطلبه أمة من رجالها العموميين

واذا جاز لنا أن نتمنى على البرلمان أو على الوزارة أمنية فهى أن تكون القاعدة الاشتراكية نصب العيون ، فيؤخذ ممن له ويعطى لمن ليس له . هذه اشتراكية أمرت بها الأديان والأخلاق جريا وراء ما ينفع الناس فى أمورهم المادية أولا فالأدبية ثانياً

كما أنه يجب تمشياً مع القاعدة ذاتها ان يحمل الناس على الأخذ بمبدأ الجزاء من جنس العمل ، وأن الخبز يؤكل بعرق الجبين ، فلا يدر خير على من لا يعمل أو يعمل قليلا ، بل يطرح الذين لا يعملون خارجاً ويفسح المجال للعاملين المجتهدين

على أن الاقتصاد فى الميزانية لن يكون مقصوراً على الأجور ، انما يجب أن يتناول كل ما يمت الى الاعمال الحكومية بسبب ، فالاسراف فى الانفاق والبطء فى العمل أصبحا من لزوميات ماتقوم به الحكومة ، وهذا ما يجدر أن تصح النية على مقاومته واصلاحه

ولقد وصفنا وزير المالية بالرجل الجرىء ، واننا نرى هذا الخلق خير ما يتحلى به الزعيم المالى فى هذه الظروف العسيرة التى تتخبط فيها مصر مع جميع بلاد الله

وتكون الجرأة على أتمها وعلى أنبل ما تكون إذا وقعت فى سبيل شعور كريم فتغلبت عليه خذ أمر الانفاق على الدفاع العسكرى مثلا

فمن من الناس لا يخفق قلبه فخراً إذا ما رأى الجيش فى شتى أسلحته بالغاً القمة نظاما واستعداداً وكمالا

وقد تتغلب العاطفة فى كثير من أعمال البشر فتسطو على العقل اندفاعاً وراء الكرامة الوطنية فلا تلبث العوامل الاقتصادية أن تأخذ ثأرها فتقلب العزة الخاطفة ذلا مالياً يدعو الى اسوأ النتائج .

فانه سهل وداع الى الفخار أن يشرع فى تجنيد الامة وان ترتب الميزانية على المكاتب فى داخل الغرف فتغدق الاموال على المدافع وعلى الطائرات وعلى بناء الثكنات وكل ذلك على أحدث الطرق العصرية. ولكن كيف يتم الانفاق ومن أين يؤتى بالمال ؟

وإنه لسهل وداع الى الفخار أن يقال مصر غنية فنضع الضرائب على أهل البلاد ونرتب الميزانية على المكاتب فى داخل الغرف ونظهر الارقام

ولكن هل روعيت مقدرة الممولين ، وهلا بدأنا بتجربة الضرائب بضع سنين حتى اذا استقرت وآتت أكلها بنينا قصور الانفاق على قاعدتها

فالتؤدة رأس الحكمة فى تقدير الضرائب وفى فرضها وفى تحصيلها ، والا انقلب الامر وبالا

وبؤنا بدين يرجعنا أسرى الدائنين ، والمال مكار يفر كالزئبق الى حيث يطمئن فى خزائنه ـ وأعصابه كأوتار العود حساسة ترن وترتجف لأخف الاصابع نقراً ، وهو أنانى لا يعمل للوطنية أو للقومية مهما تبجح صاحبه ، بل تراه يعمل فى الخفاء على عكس ما يقول صاحبه فى العلانية . أو ما رأيت كيف تفر الاموال الفرنسية مرة الى أميركا ثم تعود الى وكرها ، وأخرى الى انجلترا ثم تنثنى الى مخبئها كلما قعقع لها وزير مالى بشنان ثم جاء بعده آخر يراودها ويمهد لها سبيل الرضى

فاذا قام وزير أو برلمانى يتبجح بمشروعات حربية تجعل من أفراد الامة عسكراً مجراً ويقسم الجيش الى وحدات ذات عدد عصرية مع ما يتبع ذلك من مصانع ومعامل للذخائر وللبنادق وللمدافع ، إذا قام مثل هذا يخطب ويشيد بمكارم العواطف ويستحث الشعور وراء هذه الغاية الشريفة ، كان حقاً مقدسا على وزير المالية أن يرجعه الى صوابه بحكمة الارقام وبعبرة التاريخ . فما نجا بلد حكم عواطفه فى عقله من مخالب الفقر والقهقرى

وما رأينا عظيما قام على وزارة مالية من ماليات الدول الاخرى إلا كان رائده العقل والجرأة والاستهتار بالتصفيق الرخيص

ان رؤساء الوزارات فى انجلترا يكونون فى معظم الاحيان ممن أحسنوا القيام على خزائن الدولة . وقد وصف التاريخ هذا الوزير فقال إنه رجل يهزأ بسياسة الشوارع ويصم أذنيه عن تصفيق الجماهير ويعلم حق العلم أن التغنى بالوطنية آخر سلاح يلجأ اليه « النصابون »

ثم يدور الزمن دورته فاذا بهذا الوزير من عظماء الرجال الذين بنوا مجد بلادهم الحقيق . وإذا بذاك قد صار نسياً منسيا

تقاليد سابق لأوانه

لم يفاجأ الواقفون على أخبار السياسة الداخلية باستقالة وزير الحربية ، ولكنهم وجميع الناس فوجئوا مفاجأة غير سارة بكتاب الاستقالة الذى بعث به الى رئيسه ورئيس الحكومة

فانك ان تفهم اختلاف وزير مع آخر على سياسة ما ، وإن تفهم تعليل الاستقالات وتسبيبها حتى يعلم الناس كلهم ماذا يريد منهم وزراؤهم ـ فانك لا تفهم كتابا يكتب ويزج بالعرش وبالجيش فى معترك الاختلاف السياسى حتى يضطر رئيس الحكومة الى أن يجيب عما جاء فيه بمثل ما يقوله المتقاضون أمام المحاكم فيقول : « هذا غير صحيح »

انا كنا نفضل أسلوباً غير هذا فى التمشى وراء تقاليد الوزراء فى كتابة استقالاتهم

على أن العبرة بالجوهر ، فاذا كان وزير الحربية السابق قد استقال لانه لم يمكن له فى جعل نفقات الجيش ملايين لا يعلم أحد من أين يؤتى بها ، فقد أحسن الى البلاد إذ نجاها من خطر داهم مميت لا يقاس به الخطر العسكرى الموهوم

أمور مزعجة فليكسر هذا القلم ان لم يكن من خدام الحرية ، ولتشل يد تحارب به لغير الحرية .

انما قد يكون الدفاع عن الحرية فى مقاومة الفوضى أو ما يسميه بعضهم حرية وهى مزيفة

لذلك نكتب بكل ما لدينا من قوة نستنكر هذه الحركات الصبيانية التى تحارب الناس فيما ألفوه من ارتياد القهوات وتناول المشروبات الروحية

ان البشر مفطورون على الخير وعلى الشر ، ولم تنزع الأديان والقوانين شيئاً من الغرائز منهم بل عاقبت على عمل الشر ، تلك فى الآخرة وهذه فى الدنيا

وشر الأساليب لنشر المبادىء الطيبة هو القوة والتعدى ، وخير ما قامت به الحضارة هو ترك الناس وشئونهم حتى يلحقون الضرر بالغير

فما شأن هؤلاء الذين يقتحمون المحلات العامة ويضايقون الناس

ألا يعلمون أن أبسط قواعد الاجتماع يقوم على ترك الناس تتعرف وحدها ضرها من نفعها . وأن شر الناس هم المتطفلون المبشرون الذين يعظون الناس بالحسنى ، وشر منهم من يعظونهم « بالنبوت »

على أننا نحب أن نبقى على اعتقادنا بأن هذه الحركة صبيانية من ناحية ، ومستمدة من مبادىء الذى حرق هيكل افسس من ناحية أخرى

الشئون الخارجية

صوت صارخ فى الولايات المتحدة لم نكن على ميعاد مع الرئيس روزفلت عندما قلنا فى مقال سابق (فلو صفت النيات ولو مكن الاميركيون عباد الدولار لرئيسهم ولسن فى الأرض وأيدوا سياسته إذن لرأينا قوة عظيمة تكره أوربا على السير فى صراط مبادىء العصبة ، وإذن لرأينا الأمم تعيش فى الأمن فينمو الاقتصاد وتشتد السواعد العاملة على هدم حواجز الصناعة والتجارة ، وإذن لرأينا ما هو أبدع وأبقى وأنقى — لرأينا عصراً تموت فيه روح القوميات وتأخذ روح الأممية فى الانتعاش ...) ولكنه كان هو على ميعاد مع القدر إذ بعث برسالته الى مجلس شوراه فاذا به يعيد الى الناس ايمانهم برسالة اميركا العظمى — تلك الرسالة التى قام بها ولسن وبشر بها روزفلت الكبير وآمن بها عدد غير قليل من رؤساء هذه الجمهورية العظيمة ، انما جحدها أبناؤها وتنكروا لها وآثروا اصنامهم المموهة بالدولار على مبادىء انسانية سامية

فاذا أراد الله بهذه الأمة الأميركية خيراً فسيهيىء لها تجديد الرياسة لهذا الزعيم روزفلت عساه أن يخرج الناس من ظلمات المادة الى نور الحياة الأدبية الحرة ، فقد طالما استعبد الاميركيون (جلهم

لا كلهم) للمال وللفلسفة المادية ، بينا العالم يعلق عليهم آمالا كباراً . ولقد أتيحت للرئيس الحالى كل مؤهلات الزعامة فعساه أن ينفذ ما نادى به

وإن الذين عابوا على الديموقراطية ما عابوه ، ونعوا عليها استماتتها لم يكونوا على جهل بما تنطوى عليه مبادئها الصحيحة من تسام ، ولكنهم ملوا منها تضييعها للاسلوب وأخذها بنصيحة المعلم دون عصاه

فهل يدرك الاميركيون الآن — وقد ضاقوا ذرعاً بأعدائهم يناصبونهم العداء فى مناطق نفوذهم وفى دور جيرانهم — ما فى قول سمى رئيسهم وفى عصاه الغليظة من حكمة دونها كل المواعظ والنصائح ؟ إنهم إن أدركوا ذلك — اما اختياراً أو كرهاً — واستعدوا ليتولوا الزعامة فى هذا العالم المضطرب فانهم يسدون للانسانية المعذبة جميعاً خدمة يشترك فى نعمائها الأصدقاء والأعداء ويزول هذا الكابوس المخيم على صدور الناس

أما إذا كان سر القدر مخبوءاً عنهم فانهم سيطلقون عقولهم ويؤثرون عزلتهم ، فيتولى زعامة المدنية المقبلة أقوام ما عرفناهم وما عرفونا ، ويكون صوت رئيسهم صوت صارخ فى البرية . أعدوا طرق الراحة والاستكانة واكسبوا متاعاً مادياً يزول فى القريب العاجل ، ثم تطلعوا فاذا بزعامتكم أخذت منكم وتقلدها الآخرون

المؤتمر العربى فى مصر

وإذا ذكرنا وفود الأقطار التى يتكلم أهلها العربية وذكرنا حفاوة الحكومة المصرية بهم فما ذاك الا لنذكرهم بما ينتظر الناطقون بالضاد منهم ، فهذه أول مرة تتهيأ لوفود تمثل العربية ان تجتمع فعساها ان تتعارف أولا ، ثم تجمع أمرها على خدمة هذه المجموعة من أبنائها خدمة حقة لا تقوم على طلب المستحيل أو البعيد ، انما تتجه الى وضع أساس تثقيف ينتظم شتى البلدان ، ثم يتجه كل قطر الى ما فيه ترقية سكانه مادياً وأدبياً قبل الطفرة وقبل الدعوة الى وحدة سياسية لا تمكن ولا يقوم بها الآن من أراد بأهله خيراً

وليكن رائد الجميع خدمة الأهالى على قاعدة التسامح مع كل فئة قد تختلف عن فئة أخرى فى نظرها الى الأمور — ذلك التسامح الذى يريد صاحبه للغير ما يريده لنفسه ، والذى يعلو بصاحبه عن رؤية العصمة فيما يراه هو أو الخطأ فيما يراه جاره

وليس هذا على الزعماء الذين أظلتهم مصر — وشاركتهم — بعزيز

سامى الجريدينى

في هذا المقال دراسة سياسية دقيقة لمختلف الأساليب التي يتبعها الألمان في زحفهم الى الشرق ، وتحقيق مطامعهم الاقتصادية الواسعة ، مقتدين في هذه السياسة بامبراطورية آل هبسبورج . فهل يفوزون بهذه المطامع ، أو يكون مصيرهم كمصير تلك الأمبراطورية؟

المانيا تزحف إلى الشرق

وتقتدى بامبراطورية آل هبسبورج فى التوسع

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

أصبحت المانيا بعد احتلال النمسا ومناطق السوديت امبراطورية مؤلفة من نحو ٨٠ مليون نسمة . ولقد مكنها اتفاق ميونيخ الأخير من الاتجاه بأبصارها صوب التوسع الاقتصادى فى شرق أوربا . فهذا التوسع الذى تنظر اليه الآن فرنسا وانجلترا بعين القلق ، يزداد اطراداً يوما بعد يوم ، ويخشى أن يفضى الى اختلال فى قوى التوازن الاوربى ، قد ينتهى آخر الأمر الى حرب

ان تقسيم الجمهورية التشيكوسلوفاكية الذى أقره مؤتمر ميونيخ ، وضع هذه الدولة من الوجهة الاقتصادية تحت رحمة المانيا

فتشيكوسلوفاكيا أصبحت بحكم جوار المانيا السياسى والعسكرى ، مرغمة على الاتجار مع مقاطعة ساكس ومع سيليزيا ومع النمسا ، وهى مجموعة بلدان تسيطر على اقتصادياتها حكومة الريخ

وأما بلاد المجر فهى سهل مفتوح ، ولم يعد فى وسعها بعد أن عصفت الاحداث السياسية بجمهورية تشيكوسلوفاكيا ، إلا أن توثق روابط التبادل التجارى بينها وبين الالمان ، فتبيعهم وتبتاع منهم ماهى فى حاجة اليه من شتى المواد المصنوعة

وهكذا تمكن الألمان — بعد انقضاء عشرين سنة على توقيع معاهدة فرساي — من بسط نفوذهم الاقتصادى والسياسى على ٢٠ مليونا من الشعوب المجرية والسلافية

هذا النصر المفاجىء غير المنتظر ، قوى عزائم الالمان ، وضاعف مطامعهم ، وحملهم على التفكير فى انشاء خط ملاحة مزدوج ، يمتد من الرين الى الدانوب ، ومن نهر الأودر الى الدانوب ، مجتازاً بلاد تشيكوسلوفاكيا ، ومؤديا الى جعل مينائى « همبورج » و « بريم » على بحر الشمال ، مساويين فى الأهمية لميناء « كونستنزا » على البحر الاسود

والواقع أن هذه الخطوط النهرية ستكون عاملا رئيسياً فى التوسع أو الضغط الاقتصادى على

المملكة الرومانية الغنية بمناجم البترول . ويعلم القارىء أن رومانيا هى احدى دول التحالف الصغير ، وهى حليفة لفرنسا . ولكن رومانيا كانت قبل الحرب الكبرى تتجه فى اقتصادياتها نحو الالمان ونحو امبراطورية النمسا والمجر ، ولهذا السبب يخشى الفرنسيون على مصيرها ، ويحاولون بالاتفاق مع الانجليز ضمان استهلاك ما تنتجه من البترول ، منافسين فى ذلك مطامع الالمان الاقتصادية

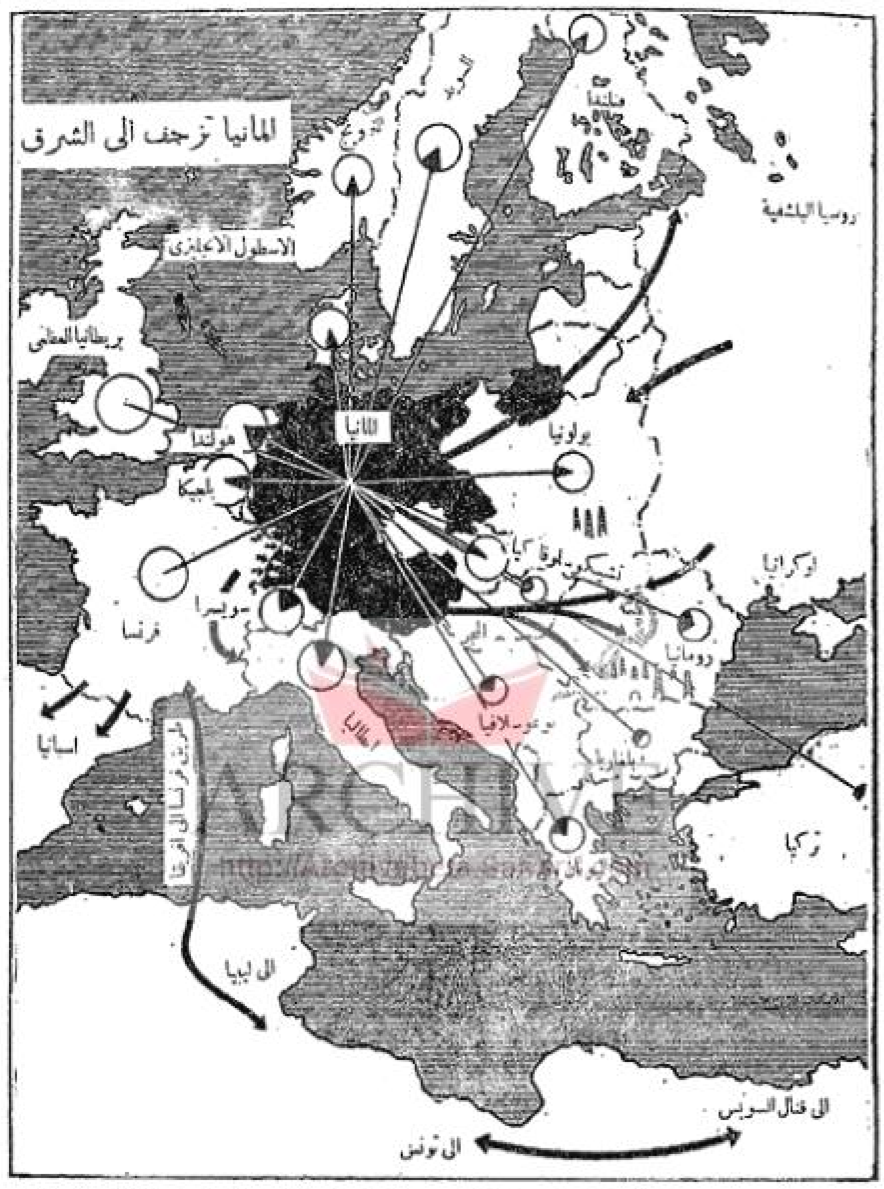
يتضح مما تقدم أن السياسة التى يأخذ الالمان بها اليوم ، هى عين السياسة التى كانت تأخذ بها امبراطورية النمسا والمجر فيما مضى . فحكومة الريخ حلت محل حكومة تلك الامبراطورية ، وها هى ذى تجدد حياة النمسا ، وتجدد نفوذها الاقتصادى السابق على التشيك والسلوفاكيين والمجريين . ولم يعد الآن شك فى أن المانيا القيصرية كانت تنشد التوسع فى غرب أوربا وفى اتجاه فرنسا ، وأن المانيا النازية عدلت عن هذا الغرض «مؤقتاً» ، واقتدت بامبراطورية آل هبسبورج وأصبحت تنشد التوسع فى جنوب أوربا الشرقى

ولكن كيف يسعى النازى الالمان لتحقيق هذه الغاية ، وما هى الجهود التى قاموا بها حتى الآن ، وهل يمكن أن يرافق السلام أحلامهم ولا ينتهى بكارثة كتلك التى طوحت بامبراطوريتى آل هوهنزلرن وآل هبسبورج ؟ . هذا ما سنجتهد فى الاجابة عنه

رومانيا بين مخالب الالمان

نظمت حكومة الريخ ــ جرياً على عادتها ــ دعاية نازية واسعة النطاق فى رومانيا ، ولا سيما فى ترانسلفانيا حيث تعيش طائفة كبيرة من الالمان والمجريين . ثم هيأت مشروعا يرمى الى شراء محصول القمح الرومانى فى الموسم المقبل ، وجعل تجارة رومانيا فى القمح والخشب متمشية مع النظم الحديثة التى وضعها الاقتصاديون الالمان ، ليتم لهم الاشراف على صادرات رومانيا بما فيها البترول ، والسيادة شيئاً فشيئاً على حوض الدانوب . ولقد اكتسبت المانيا صداقة المجر باصرارها فى أثناء تقسيم تشيكوسلوفاكيا على ضم بعض الاراضى التشيكوسلوفاكية الآهولة بالمجريين الى الوطن المجرى ، ليتسنى لها أن تنشىء على حدود ترانسلفانيا قوة مجرية صديقة تهدد رومانيا فى حالة الحرب

روعت هذه السياسة الملك كارول ، ولكنها لم تفقده اتزانه ، فكان أول ما اهتم به تعزيز برنامج الدفاع الوطنى وتقوية الجيش وسلاح الطيران على حدود بلاده الغربية والشمالية الغربية ، ومكافحة خطر الدعاية النازية فى مختلف انحاء المملكة ، وتنمية العلاقات التجارية بين رومانيا وأمريكا ، ثم القيام برحلة الى لندن وباريس يستوضح فيها نوايا الساسة الانجليز والفرنسيين نحو بلاده ، ومقدار المساعدة التى فى وسع الجبهة الديموقراطية تقديمها الى رومانيا كيلا تقع بين مخالب الالمان . فرومانيا ــ والحالة هذه ــ مركز الصراع الاقتصادى والعسكرى الاول بين حكومة الريخ وحكومتى انجلترا وفرنسا



تبين هذه الخريطة اتصال ألمانيا السياسى والتجارى بدول أوربا والشرق الادنى وشمال افريقا . وترى الطرق الاساسية التى تصل بينها وبين ما حولها من دول ، مرسومة على شكل أسهم منحنية . أما الاتصال التجارى ، فقد عبر عنه بالخطوط المستقيمة ، وقد انتهى كل منها بسهم روعى فى حجمه نسبة العلاقة التجارية بين الدولة التى يشير اليها وبين ألمانيا . وتستورد ألمانيا من الدول المحيطة بها كميات كبيرة من حاجياتها ، فمن يوجوسلافيا : الخشب والنحاس والاذرة . ومن المجر : القمح والماشية . ومن رومانيا : القمح والبترول ؛ ومن دول الشرق : الغلال والقطن والبترول والمواد الغذائية . ويتضح من الخريطة كذلك ، أن ألمانيا تعتمد فى حاجياتها على الدول الشرقية ، وتقل صلاتها التجارية بالدول الغربية

تركيا تجاه الالمان

كان الاميرال فون تربتز مؤسس الاسطول الالمانى البحرى فى عهد الامبراطور غليوم الثانى ما ينفك يقول : « حافظوا على صداقة تركيا ، واحذروا مكائد الانجليز هناك ! . . » ويظهر ان حكومة النازى لم تنس العمل بهذه الوصية ، فهى تبذل جهد استطاعتها للفصل بين الاتراك والانجليز ، وحمل تركيا على الدخول فى نطاق النفوذ الالمانى . فتركيا تنتج كمية هامة من القطن الخام تسد بعض حاجات المانيا وتغنيها عن الاسراف فى انتاج القطن الصناعى الذى تربى قيمة تكاليفه على سعر القطن الطبيعى . ويعتقد الاخصائيون الالمان أن فى تركيا كميات كبيرة من غاز الهليوم ومعدن الكروم لم يكشف عنها بعد . وقد عرض الدكتور فونك وزير الاقتصاد الالمانى فى أثناء زيارته الأخيرة لتركيا ، أن تشترى المانيا غاز الهليوم التركى ـ المشهور بعدم قابليته للاحتراق ـ والذى تحتاج اليه المانيا فى صنع مناطيدها ، وفى الثبات ضد الغارات الجوية

ويلاحظ أن امريكا تحتكر هذا الغاز وترفض بيعه بشروط ترضى المانيا ، وهذا هو السبب فى محاولة الالمان الفوز به على حساب تركيا ، متوسلين بما بينهم وبين الاتراك من روابط اقتصادية وثيقة . والواقع أن ٦٠ فى المائة من تجارة تركيا الخارجية والداخلية تجرى الآن مع الالمان ، وأما الصناعات الالمانية فى تركيا فتتقدم تقدماً مطرداً

فتركيا كرومانيا إذن واقعة بين شقى الرحى . وهى ان ارتمت بجمعها فى أحضان انجلترا فقدت السوق الالمانية وأصابها الدمار . وهى ان انحازت الى الجانب الالمانى ، مكنت للمطامع الالمانية منها وفقدت استقلالها الشخصى

ولذلك يلزم الاتراك الحياد التام ، ويتشبثون باستقلالهم ، ويدللون على مهارتهم السياسية بالتعامل مع الانجليز والالمان ، والابقاء على رواج تجارتهم مع حكومة الريخ ، والانتفاع فى الوقت نفسه بمركز بلادهم فى شرق البحر المتوسط ، لعقد قروض فى انجلترا تمكنهم من تعزيز جيشهم وتكسبهم صداقة بريطانيا بعد أن اكتسبوا الصداقة الفرنسية عقب تسوية مشكلة الاسكندرونة

التحول صوب سويسرا

لم يكتف الالمان بتهديد رومانيا والسيطرة على الدانوب والبلقان والسعى لبسط نفوذهم على تركيا ، بل أرادوا فوق ذلك استغلال نجاحهم فى جنوب أوربا الشرقى باجبار سويسرا على الدخول فى دائرة الاقتصاد الالمانى . ولقد أصدرت سويسرا عام ١٩٣٧ الى المانيا بضائع تبلغ قيمتها نحو ٢٠٠ مليون فرنك واستوردت منها بضائع بنحو ضعف هذا الثمن . وكان السبب فى زيادة ما أصدرته سويسرا هو ضرورة استرجاع المبالغ العظيمة التى أودعها أصحاب رؤوس الأموال من السويسريين

فى المانيا لاستغلالها . وكان يحدث عند تصفية الحساب أن تجد سويسرا على الدوام دينا مقيداً لحسابها ، فالمانيا تريد اليوم أن تعقد لسويسرا قروضاً جديدة تبقيها ابداً فى مركز الدين وتفرض عليها الحياة فى ظل النظم الاقتصادية الالمانية

خوف الايطاليين من الالمان

ان الاتفاقات التجارية التى عقدت اخيراً بين المانيا وتركيا فتحت أمام الالمان بابا لمزاحمة ايطاليا فى أسواق الشرق الادنى . وقد خفض الالمان ٣ فى المائة من أسعار منسوجاتهم لمزاحمة المنسوجات الايطالية فى أسواق يوغوسلافيا واليونان وبلغاريا . تجاه هذا الخطر عمدت بعض الدوائر الصناعية الايطالية الى انشاء حلف تجارى ايطالى تركى على نسق الشركة التجارية القائمة الآن بين ايطاليا ويوغوسلافيا . فمزاحمة المانيا لايطاليا على التجارة والشحن فى بحر الادرياتيك تشتد يوما بعد يوم . وأخوف ما يخافه الايطاليون برغم محور « روما ــ برلين » هو توسيع تجارة الترانزيت بين المانيا وتركيا بواسطة ايران ، وانشاء صلة بحرية مباشرة بين همبورج وايران بطريق الدانوب والبحر الاسود ، تؤثر فى ترقية خط البواخر بين ايطاليا وايران ، وترقية « ترستا » محطته الرئيسية

وإذن فهناك صراع خفى ثالث بين برلين وروما ، تنظر اليه الجبهة الديموقراطية بارتياح وتعقد عليه أكبر الآمال فى تصديع الجبهة الديكتاتورية

المانيا فى آسيا الوسطى

وقد لاحت طلائع التوغل الالمانى الاقتصادى فى آسيا الوسطى أيضا ولا سيما فى ايران ، وبدأت تقلق اتحاد جمهوريات السوفييت . ومنذ عدة أشهر أعلن الالمان أن احدى شركاتهم الجوية افتتحت طريقا منظما للطيران الاسبوعى من برلين الى كابل بطريق طهران . ويؤكد مراسل المانشيستر جرديان فى موسكو أن المانيا تحاول أن تحصل على إذن ببناء مطار حديث فى طهران على نفقتها الخاصة ، وأن الروس يخشون تحقيق هذا المشروع ، وينظرون بعين القلق أيضا الى الاذن الذى منح للالمان بانزال طائراتهم فى المطار الحربى فى « مشهد » على مقربة من حدود السوفييت

فالروسيا بفضل استيلائها على أسرع الطرق التجارية المؤدية الى ايران الشمالية ، ما تزال تحتل المركز الأول فى تجارة ايران ، ولكنها تخشى منافسة الشركات الالمانية التى تلقى مساعدات مالية كبيرة من حكومة برلين ، وأن يهدد الاستعمار النازى مؤخرة السوفييت فى آسيا الوسطى

وأما غاية الالمان الرئيسية فهى الاستيلاء على ثروة ايران المعدنية . ولقد وفقوا فى حمل الحكومة الايرانية على توجيه صناعة الحديد والفولاذ صوب المانيا بعقد صفقات متواصلة مع شركة المانية ترمى الى انشاء مصانع كبيرة بنفقات تبقى ديناً على ايران الى آجال طويلة ولا تدفعه الحكومة

(البقية على صفحة ٤٠٨)

اسماعيل صبري باشا

بمناسبة ظهور ديوانه الكامل

> كتبنا فى عدد ديسمبر من الهلال نستنهض وزارة المعارف الى العناية بتراث أدباء نهضتنا الحديثة حتى لا تذهب ضحية النسيان والضياع . وقد سرنا أن تعنى لجنة التأليف والترجمة والنشر بطبع ديوان شيخ شعراء العصر اسماعيل صبرى باشا بمساعدة صاحب العزة حسن رفعت بك المستشار سابقاً بمحكمة الاستئناف

قد يأخذك من الشاعر سحر الأسلوب ، وبلاغة العبارة ، وانسجام القافيـة ، وحلاوة الرنين ، وجلجلة اللفظ ، والقـدرة على التنميق والتطريز والوشى ، فتنخدع بهذه الظواهر ويخيل اليك أن خيال الشاعر مشبوب ، وتصوره جامح قوى ، وعواطفه أصيلة صادقة ، فتهتف معجباً وتقول : إنه فى الحق لشاعر كبير !

ولكن بلاغة اللفظ ، قد تستر المعنى الشائع ، والفكرة المبتذلة ، والعاطفة المفتعلة ، وقد تدل أبلغ الدلالة على عجز واضح فى ملكات التخيل وفى قوى الاحساس والشعور

ونحن الشرقيين ، نؤثر فى الغالب العرض على الجوهر ، ونقدر اللفظ أضعاف تقديرنا المعنى ، ويفتننا الأسلوب العاصف المدوى أكثر مما يفتننا الفكر العميق ، والاحساس الصادق ، والبساطة النادرة الصادرة عن العقل الحكيم والقلب الناضر الصافى

فهذه الخاصة النفسية الملحوظة فى كثير منا ، تباعد بيننا وبين روح الانصاف والعدل فى الحكم على شعرائنا ، وتشوه معنى الشعر الصحيح فى نظرنا ، وتفضى بنا الى غمط حقوق نفر من النوابغ الموهوبين هم فى طليعة كبار شعرائنا

والحق أن اسماعيل صبرى باشا ، لم يفز منا أيام حياته بالشهرة التى كان يستحقها ، ولم يحظ بالمجد الخليق بنبوغه ، ولم يقدر شعره المصرى الصميم قدره ، وذلك لأن الرجل تجنب الاسراف فى البهرجة اللفظية ، وكان فنانا ينشد الحقيقة والصدق ، ويمثل الحياة الخالصـة كما أحسها دون مزيد أو نقصان

فهذا الشاعر الفذ لم يجر وراء اللفظ فقط ، ولم يعبد الرنين الموسيقى فقط ، ولم يغلب العرض على الجوهر ، ولم يخدع الناس بالقشور ، بل حاول جهد استطاعته التوفيق بين اللفظ والمعنى ، بين المادة والروح ، بين روعة الاطار الجثمانى وروعة الصورة المعنوية ، وهكذا أجرى التعادل المنشود بين العبارة العربية البليغة والخيال الحى البديع المندمج فيها

وليس شك فى أنه شاعرنا الوحيد الذى جمع الى عمق المعنى طلاوة اللفظ ، فى شعر جزل

يكره التعمل وينفر من التعقيد ، وينم عن بساطة نابعة من نفس مستقيمة وخلق أبى كريم ، يؤمن ايمانا حاراً بأن أولى فضائل الفنان هى فضيلة الصدق

على أنه على قلة منظومه ، كان شاعراً واسع الاطلاع ، موفور الثقافة ، غزير قوى الخيال ، متعدد الجوانب والآفاق الشعرية. نظم أجمل المقطعات فى الغزل والوصف والاجتماعيات والوطنيات، وتفوق تفوقاً نادراً فى الشعر الصوفى وفى المراثى ، وتجلت روحه المصرية الأصيلة فى أغانيه البلدية الشائقة التى مايزال يتغنى بها فى مصر الكثيرون

فاما غزله فرقيق ، عذب عذوبة الطبع المصرى ، تمازجه حسرة الفلاسفة ، ويشوبه أسف الحكماء واحساسهم بتقلص الحياة اليومى وفناء كل ما فيها من متع الحب وأحلام الهوى فناء مطرداً مروعا

واليك فى ذلك قوله :

تزود من الأقمار قبل أفولها ... لظلمة أيام الفراق وطولها
فرب وداع ينفع المرء بعضه ... اذا رضيت نفس امرىء بقليلها
غدا تفعل الاشجان بالركب فعلها ... وتجتث هاتيك التى من اصولها
ويدرى اخو الاشواق سر هلوعه ... لذكر النوى والخوف قبل نزولها
لقد بوغتت تلك المنى فتصرمت ... ولم تقض منها النفس أيسر سولها
أأنت رزين أيها القلب فى غد ... كعهدك أم سار وراء حمولها

ولقد يبرح الحب باسماعيل صبرى ، وتهتاجه الذكرى ،ويطل من برج خياله على ماضيه السعيد المضمحل ، فيشعر بوحدته ، ويلمس عذاب قلبه ، ويدرك أن ذكريات الماضى لن ترد اليه سعادته، فيستجمع قواه ، ويلوذ برجولته وينشد صائحاً متحرراً :

اقصر فؤادى فما الذكرى بنافعة ... ولا بشافعة فى رد ما كانا
سلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا ... حمل الصبابة فاخفق وحدك الآنا !

ولما يحس دل حبيبه ، وصده وجفاه وإعراضه ، يعاتبه فى رفق هذا العتاب الجميل :

لما تبوأ من فؤادى منزلا ... وغدا يسلط مقلتيه عليه
ناديته مسترحما من زفرة ... أفضت باسرار الضمير اليه
رفقاً بمنزلك الذى تحتله ... يا من يخرب بيته بيديه !

فهذه البساطة فى التعبير تدلنا على أن الشاعر قد عرف الحب حق المعرفة ، فلم يمثله بخياله بل صوره بقلبه النابض ونفسه المختلجة حرارة وحياة

وأما الوصف فقد نبغ فيه اسماعيل صبرى نبوغا لا يقل عن نبوغه فى الغزل . فعينه الثاقبة شديدة الملاحظة لا تفوت شيئاً ولا يغيب عنها شىء . ومن هنا كان شعره الوصفى أقرب ما يكون

الى تمثيل الواقع تمثيلا دقيقاً ، لا يطغى عليه الخيال فتضطرب معالمه ، ولا تنوء عليه الاستعارات فتقطع الصلة بينه وبين الحقيقة ، بل على النقيض تدنيه منها وتضاعف تأثيره قوة وفتنة ، كما ترى فى هذه الابيات التى يرسم فيها لمحات البرق والسحاب :

أبرق يتوج هام الربى ... وإلا فهاتيك نار القرى
كأن سناه عيون مراض ... يحاولن تحقيق شمس الضحى
وإلا فتلك مصابيح قبل ان ... طفاء يثرن لصدع الدجى
وإلا فتلك سيوف تميل ... بأيدى كماة عراها الونى
وإلا مواطىء خيل على ... صخور تطاير منها اللظى
وما من صخور تراها العيون ... سوى غاديات تؤم الفلا
تكاد تطير اشتياقاً لما ... اذا أشرفت ظامئات الربى
كأن الثرى رام تقبيلها ... فمد اليها رؤوس الزبى
اذا هى مرت بواد محيل ... وجرت عليه ذيول الحيا
كسته مطارف من سندس ... وأنست جوانبه ما ظما !

ويتفرد شاعرنا فى الاجتماعيات والوطنيات ، بنظرات حرة ، ونزعات تجديدية ، وعواطف تجيش حماسة ونخوة . فشعره الاجتماعى مثال التركيز والقدرة على حصر الفكرة الكبيرة في أضيق حيز ممكن بحيث تثبت فى الذهن وترسخ فى قرارة النفس كقوله :

يا من تزوج باثنتين ألا اتئد ... ألقيت نفسك ظالما فى الهاويه
ما العدل بين الضرتين بممكن ... لو كنت تعدل ما أخذت الثانيه

ويمتاز شعره الوطنى بفيض ايمانه بواجب انهاض امته وابلاغها بين شعوب العالم المتحضر المكانة الخليقة بماضيها المجيد

وأما شعره الصوفى ، فيدل على ولع شديد بالتأمل التجريدى ، وعلى رغبة عميقة فى التطلع الى ما وراء الطبيعة ، واكتناه سر الاشخاص والاشياء ، والاتصال بالقوة الخالقة العليا من طريق العبادة والتطهر وصقل النفس وتهذيب الغرائز والشهوات

والواقع أن الأصل فى سمو شاعرية اسماعيل صبرى ، وحبه البساطة ، وغرامه بالصدق ، كامن فى نزعته الصوفية ، وفى قدرته ـ بفضل ايمانه وتقواه ـ على الاتصال بالذات العليا ، والانكماش والتضاؤل حيال نورها الوهاج ، طلباً للاندماج فى هذا النور والتخلص من ظلمة العالم المادى البغيض

وليس فى وسعنا عند ما نذكر اتضاع اسماعيل صبرى وخشوعه أمام الله ، إلا أن نذكر شاعر الهند تاغور ، فكلاهما يمجد الله بأسلوب واحد ، وكلاهما يسلك الى الله سبيل الحب والخضوع والتسليم

كان لعصرنا الجديد ــ عصر السرعة والآلة والاختراع ــ أثره فى تطور العلوم والآداب والحياة الاجتماعية ، وقد ظهر هذا الاثر أيضاً فى التمثيل المسرحى ، فتغير كثير من أوضاعه واتجه اليوم اتجاهات جديدة لم تكن معهودة من قبل فى البلاد الغربية ، تمشيا مع التطور الحديث . فما هى هذه الاتجاهات ــ ذلك ما يشرحه الاستاذ الفنان زكى طليمات

اتجاهات جديدة فى فن التمثيل

بقلم الاستاذ زكى طليمات

مفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف

فن التمثيل ــ كغيره من الفنون ــ مرآة الحياة الاجتماعية ، يخضع لقيمها ، ويصدر عن أوضاعها ، ويماشى العصر فى نغمه ، وفى مزاجه العام

وعصرنا اليوم غير عصرنا بالأمس ، وحياتنا الاجتماعية تختلف عما كانت عليه منذ ربع قرن ، فقد بادت ــ أو كادت تبيد ــ أوضاع أدبية كانت بالأمس موسومة بالجدة والحداثة ، واختفت عن العين مقاييس للأدب والفن كانت تعتبر نهاية النهايات ، وأخذت مكان هـذا كله أوضاع وقيم ومقاييس جديدة ، ستلقى ولا شك نفس النهاية وتبيد حينا يدور الزمن دورته ويجرى سنته ، إذ العالم يتقدم ولا يقيم على حال ، وما نشغف به اليوم نحرقه فى الغد

وأوضاع الاجتماع تعمل على تغييرها عوامل عديدة ، بعضها مشتق من الحياة نفسها ، إذ الحياة يعتورها الملل كالأفراد . وبعضها الآخر يرجع الى احداث مختلفة . والمقام يضيق بالاسهاب فى هذا لتشعب نواحيه ولخروجه بعض الشىء عن صميم الوضوع الذى نعالجه . على أنه واجب أن نشير الى العوامل الهامة التى عملت على تغيير أوضاع الأدب والفن فى أوائل هذا القرن ، ثم الى الأحداث التى تمخضت عنها أوضاع جديدة فى هذه السنوات الأخيرة ، وهو أمر لا غنى عنه لتعرف الاتجاهات الحديثة فى فنون المسرح ، وهو موضوع بحثنا هذا

* * *

انتهى القرن الماضى بعد أن بلغ المذهب الواقعى (١) أوجه فى القصـة والشعر والمسرحية ، وسائر الفنون الشكلية ، وهى النحت والتصوير والزخرفة . فكان الأدب ، والفنون بما فيها التمثيل ، صوراً منسوخة من صميم الواقع فى جملتها وفى تفاصيلها

---

(١) Réalisme

كانت المسرحية مشاهد مقتطعة من الواقع ، وكانت الأستار المسرحية نسخاً من المرئيات بحذافيرها ، وكانت مهمة المخرج المسرحي أن يعنى قبل كل شيء باحياء الصبغة المحلية للرواية ، وتجسيم اطارها المادى ، وايراد كل ما من شأنه أن يقدم للنظارة صورة تحاكى الواقع كما هو مفروض فى المكان الذى تقع فيه الرواية . وقد حفظت واعية النقد المسرحي ان المخرج الفرنسي الشهير « أنطوان » زعيم المذهب الواقعى فى الاخراج ، أورد في احدى مناظر رواياته أبقاراً وخرافا ، بعد ذبحها وسلخها وشدها الى السقف بحبال ، ليقدم الى الجمهور صورة واقعية لاحدى سلخانات باريس !

والسبب فى قيام هذا المذهب وازدهاره ، راجع الى روح ذاك العصر نفسه ، فقد كان عصراً تمخضت فيه العلوم والاختراعات عن عجائب لم يكن فى الحسبان اتيانها ، بهرت العقول ، وأخلدت بها الى المبالغة فى قدرة العلم واقتداره ، فمن البخار وتسخيره فى الحركة والانتقال ، الى الكهرباء ومعجزاتها ، الى الطب وتقدمه فى الناحيتين التشريحية والبكتريولوجية وتسخير بعض الجراثيم فى ابراء بعض العلل كالجدرى والدفتريا وداء الكلب الخ ... كل هذا أضفى على ذلك العصر طابعاً علمياً لهج به الناس بعد ان بهروا به ، وأحيا فى نفوسهم نزعة الى تناول كل شيء بالتحليل ، الذى يتناوله بالتجزئة والتفصيل

غير أن القرن الحاضر لم يلبث أن جاء بألوان جديدة فى العلم والاختراع ، جعلت الناس ينتقصون من قدر اعجابهم بما كانوا به يعجبون ، وتطلعوا الى المزيد من المعرفة فأهابوا بالمعمل واستنجدوا بالتحليل . ولكن المعمل والتحليل ، على الرغم من تقدمهما ما وسعته طاقتهما ، لم يسعفا هذا التطلع ، ووقفا عاجزين عن الكشف عن كل مغلق فى النفس ، واستكناه كل غامض فى المرئيات ، وتقرير كثير من الأشياء على الوجه الذى يروى غلة النفس المتعطشة الى العلم والمعرفة . فوضح أن الأخذ بظاهر الاشياء ، والعلم بجزئياتها ـ وهما نتاج التحليل ـ لا يكفلان إيضاحاً كاملا لجميع خصائص الأشياء ، ولا يحققان البيان الوافى لمدى القوى الكامنة فيها . فكان ان داخل النفس كثير من الشك ، فنر من جرائه الاعجاب بما ينتهى اليه التحليل ، من الاكتفاء بتسجيل دقائق الاشياء ، والاتيان بتفاصيلها . فنزعت النفس الى الرمز والى الايحاء

وكانت هزة نزلت بالتفكير عامة تبعها اضطراب فى المزاج النفسى العام

هذا من جهة . . ومن جهة أخرى ، فقد كان تقدم التصوير الشمسى حادثاً كبيراً ذا شأن ، زاد فى خطره أن صار فى مقدور الآلة المصورة إيراد لوحات شمسية ملونة تزرى باللوحات الزيتية المصورة من حيث نسخ الطبيعة وإيراد المرئيات بتفاصيلها ، مع الاقتصاد فى النفقة والوقت والجهد . فانحرفت الفنون الشكلية ، وفى مقدمتها التصوير ، عن سبلها التى كانت تضرب فيها مهتدية بهدى (الواقعية) وما تفرضه من الحرص على قواعد المنظور Pérspective ، ومن المغالاة فى ايراد

تفاصيل ما تسجله الريشة المصورة ، وأخذت تنزع نزعات جديدة يناقض بعضها خصائص (الواقعية) وينحرف بعضها الآخر عن سننها ، فقامت مذاهب (الرمزية) (١) و (الايحائية) (٢) و (التأثرية) (٣) و (التعبيرية) (٤) . وهى مذاهب اتخذت وسائل جديدة للتعبير الحسى والمعنوى للاشياء التى تسجلها ريشة المصور ، وقلم المثال ، ومرقم المزخرف . وبالجملة فقد تغيرت أوضاع فنية كثيرة تبعها تغير فى اوضاع الأدب وأسلوبه

ماذا كان أثر ذلك فى فنون المسرح ؟

انصرف كثير من المؤلفين عن كتابة المسرحية الواقعية الموضوع والاسلوب ، ليعالجوا مسرحياتهم بأساليب أخرى منها الرمزى والايحائى والرومانسى وغيرها ، وهى أساليب تختلف عن الاسلوب الواقعى فى مبناه وفيما تبعثه فى ذهن القراء أو النظارة

وبعد ان كان احياء (الصبغة المحلية) للرواية هو أهم مايعنى به المخرجون المسرحيون ، وذلك نزولا على تحقيق (الواقعية) فى مناظر الرواية ومهامها ، أصبح المخرجون ينشئون مناظر الرواية وأستارها وفاقا لأوضاع المذاهب الجديدة التى سبق ذكرها ، فقصروا همهم فى ذلك على ايراد ما من شأنه أن يومىء أو يوحى الى الأشياء ، تاركين لمخيلة النظارة استكمال تفاصيلها ، عاملين ما استطاعوا على ايجاد (الصبغة النفسية) للرواية بحال يبرز معه طابع الرواية ، ويتنفس عن واعيتها الباطنة

وجاء اتجاه فنى جديد من روسيا دخل أوربا الغربية قبيل الحرب الكبرى بواسطة الفرق الرحالة الروسية المعروفة باسم فرق (الرقص الروسى) Ballet Russe قوامه المغالاة فى ايراد الألوان الصارخة وتحويل مظاهر الطبيعة فى رسم الاستار المسرحية الى كوائن زخرفية منمقة ، وكانت هذه محاولة للخروج بعض الشىء على واقعية المناظر ، وايجاد نمط زخرفى خاص بالاستار المسرحية

وفى أثناء ذلك خطت السينما خطوات واسعة قضت على كل طموح من جانب المخرجين الى تجسيم الواقع فى الاستار المسرحية ، وذلك لما للسينما من موارد لا ينضب معينها فى نسخ الحياة وتجسيم الواقع فى أدق مظاهره على الشاشة البيضاء

وكانت الحرب الكبرى ، وهى حدث من الاحداث ، فاضطرب ميزان الحياة فى كل شىء ، وكان ذلك التقدم الآلى الباهر فى اعطاء أكبر النتائج بأسهل الوسائل وفى أقصر وقت مستطاع

رأينا الطائرات تشق عباب الجو فى سرعة لم تكن تخطر ببال ، وإذا السيارات تزرى بسرعة القاطرات البخارية والكهربائية ، وإذا الآلة تأخذ مكان الدابة واليد العاملة ، وهى تملأ الأذن بجلبتها الحادة وتطلع على العين بمشاهد يغلب على شكلها القطع الهندسى . وبالاختصار فان الحياة طالعتنا بايقاع جديد ملىء بصفير السرعة وأزيز الحركات . ووقف الانسان منهولا بين كل هذا ،

(١) Synbolisme (٢) Suggestive (٣) Impressionnisme (٤) Expressionnisme

ولكن سرعان ما ألف الايقاع ، وجرى عليه فى شئون حياته ، بعد أن تغير الكثير من مسموعه ومنظوره

نعم ، أخذت المرئيات تبدو فى مظاهر لم تكن مألوفة من قبل ، فهى تبدو فى جملتها لا فى تفاصيلها تحت تأثير سرعة الانتقال ، وآية ذلك أن راكب العربة التى تجرها الجياد كان يرى الاشياء بتفاصيلها . وذلك لان العين كان فى مقدورها أن تستقر ممعنة النظر فى الاشياء . كان يرى الشجر مثلا بأغصانه وفروعه وفريعاته ، بل بتجاعيد جذوره . ويميز بين شتى ألوانها . أما اليوم وهو ينهب الارض بالسيارة ، فقد أصبح لا يرى من الشجر الا جذوعاً ملساء ذات صفرة داكنة تتوجها أجرام خضراء

أما راكب الطائرة فغدا يشاهد الكائنات من زوايا جديدة لم يكن يعرفها من قبل ، وبالجملة فقد طالع العين منظور جديد فى الاحجام والزخرفة ، قطعها وخطوطها مستلهمة من صميم الاشكال الهندسية ، لا سيما بعد ان تأثر البناء بطابع الآلة وشكلها ، وبعد ان تقدم فن العمارة على أساس الخرسانة المسلحة

وكان من جراء ما ذهبنا اليه آنفاً ان أصبحت السرعة طلبة الانسان وبغيته ، ينشدها فى انتقالاته ، وفى تحقيق مطالبه الصغيرة والكبيرة ، ويبتغيها فى كل شىء حتى فى مقروئه وفى سمره وفى متعته

ووثبت السينما وثبة واسعة المدى بأن أصبحت ناطقة ، فصارت الملهى الاول والاخير للجمهور

وهكذا قام عصرنا الجديد ، عصر السرعة والآلة والسينما الناطقة . والمقام لا يسع ، مهما أجملنا ، ان نسجل أثر هذا العصر فى مختلف نواحى حياتنا الاجتماعية بما فيها الأدب والفنون ، فلنقصر جهدنا حينئذ على تبين أثر هذا العصر فى فنون التمثيل لنعرف الاتجاهات الجديدة التى أخذت هذه الفنون سمتها

الرواية المسرحية

عمد المؤلفون المسرحيون الى تصغير حجم مسرحياتهم بحيث لا يستغرق تمثيلها غير ثلاث ساعات على أكبر تقدير ، فبعد ان كانت الرواية تتألف من خمسة فصول أو ستة ، أصبحت لا تتجاوز الثلاثة الفصول ، وأخذت المسرحية اتجاهات جديدة من حيث صيغتها وأسلوبها ، ومن حيث الموضوعات التى تعالجها

(١) فقد دأب بعض المؤلفين على احياء طريقة قديمة فى صياغة الرواية يرجع أمرها الى شكسبير وكالدرون فى القرن السادس عشر . وتتلخص هذه الطريقة فى ايراد الرواية على مشاهد متعددة بعيد بعضها عن بعض كل البعد من حيث الزمان والمكان ، عمدوا الى ذلك مع مراعاة

الاختصار الواجب ، حتى لا يطول تمثيل الرواية عن الساعتين ونصف الساعة . وكان الباعث لهم على ذلك محاولة مناهضة السينما فى ايرادها المشاهد الكثيرة المتعاقبة ، وقد ساعدهم على ذلك تقدم الناحية الآلية فى المسرح ، اذ صار تغيير المناظر يجرى بسرعة عجيبة بواسطة المصاعد الكهربائية أو المسرح الدوار بيد أن هـذه المحاولة لم تسفر عن نجاح كبير ، نظراً الى قصور المسرح وآليته فى هذه الناحية عن مجاراة السينما

(٢) واتجه الفريق الآخر من كتاب المسرحية الى اشراك السينما فى رواياتهم . فكان يتخلل مشاهد الرواية مواقف ينتقل فيها التمثيل من خشبة المسرح الى الشاشة البيضاء ثم يعود اليها ، وذلك فى المواقف التى يكون عمدتها الحديث عن حادث جزئى فى الرواية يصعب ايراده على المسرح فى زمن قصير

(٣) واتجه نفر آخرون الى معالجة الحالات النفسية الشاذة،أو الاغراق فى الكشف عن خفايا التيارات النفسية التى تستمد معينها من العقل الباطن ، أو الاتيان بالملابسات الذهنية التى يضطرب أمامها العقل ، وتقصر عن توضيحها النظريات الفلسفية ، وذلك باعتبار ان هذه الموضوعات لا يتيسر للسينما معالجتها على وجه كامل ، لأن عمدتها الحوار والبطء الذى لا غنى للعاطفة عنه وهى تجتاز مراحل تكوينها وتدرجها وتطورها ، وبلوغ أوجها . هذا فى حين ان السينما فن آلى يقوم على السرعة والحركة

(٤) ونزع مؤلفون الى احياء الرواية التاريخية ، وهى نوع من المسرحيات كان له شأن كبير فى المسرح، لم يتحرج الفن السينمائى عن ان يسطو عليها ، ويبنى عليها رواجه ، نظراً الى ما تضمنته هذه الروايات من المفاجآت والحوادث والمشوقات

حاول هؤلاء النفر من المؤلفين نشر هذه الروايات من جديد ،ولكن على قاعدة جديدة تتلخص فى انها مقصورة على النظر الى أبطال التاريخ من زوايا جديدة لم يسبقهم اليها المؤلفون المتقدمون ، وفى أنها تكتفى بتحليل أصحاب هذه الشخصيات التاريخية فى حياتهم الخاصة دون افراط فى ايراد الحوادث وزف المفاجآت المليئة بالحركة ، وهى أساس فن السينما كما ألمحنا

(٥) وبالغ نفر آخرون من المؤلفين فى ايراد رواياتهم فى أسلوب (فانطازى) Fantaisiste ،وهو أسلوب أدبى يتنافر مع الأسلوب الواقعى فى مبناه ، اذ هو ملىء بالطرافة ، فياض بالخيال ، ينزع الى التنميق والزخرفة ، لا فى كله فحسب ، بل فى جوهر معانيه أيضاً . نزعوا هذا المنزع بعد ان وضح لهم ان السينما ، على ما هى عليه من الاحكام الآلى ، تضيق ذرعاً بالروايات التى يكون عمدتها الشعر والخيال ، وأساسها الحوار المنمق والحذق الذهنى الوشى

ومن هذا يتبين ان التأليف المسرحى ، قد حاول فى تطوره هذا أن يجارى السينما فى رواياتها من حيث تعدد المشاهد ووفرة المشوقات ، أو أن يناقض الرواية السينمائية فى عناصر تكوينها ،

وذلك بإيراد عناصر أخرى تعجز السينما عن ابرازها على الوجه الذى يستطيعه المسرح

أما الظاهرة البارزة التى شملت هـذه الروايات مع اختلاف أنواعها ، فهى سهولة فى معالجة الموضوع ، واحكام فى التعبير من غير اسراف فى اللفظ ، وحرص على المعانى من غـير افراط فى الـكلام . وهكذا جنح المؤلفون عامة الى التركيز فى أسلوبهم نزولا على شرعة السرعة

كذلك أخذت المسرحية الحديثة تنهض على حوار وثاب وحذق ذهنى بارع ، أكثر مما تقوم على عقدة متينة وحبكة مجدولة . وصار عرض الشخصيات يجرى على طريقة (التركيب) أوالتركيز Synthèes ــ لا على طريقة التحليل

الاخراج المسرحي

الاخراج المسرحى يتبع المسرحية فى أسلوبها وفى ايقاعها وفى ذاتيتها ، ويمـاشيها فى وسائل تعبيرها ، ويعمـل على تحقيق مبتغاها ، والمسرحية والاخراج يخضعان فيما ذكرنا لروح العصر ومزاجه العام ، لذلك لم يكن غريباً ان نرى الاخراج المسرحى ينزل على روح هذا العصر ويخضع لمتطلباته فى ناحيتيه التصويرية والنفسية ، فشملته البساطة ، واتسم بالتركيز فى جملته وفى جزئياته ، وأصبحت غايته القيام بأكبر جهد وتقديم أوفر نتاج فى أقرب وقت

تغيرت « دولابية المسرح » فأخذت القبـة تقام من الجص المشدود بالقضبان الحديدية « Le Coupole » مكان ستار « المؤخرة » المصنوع من القماش المغطى بالألوان «Toile de Fond» ، وصـارت أجزاء من أرض المسرح ترتفع وتنخفض وفق ما يريده المخرج بمجرد تحريك زر كهربائى

المناظر المسرحية

ازدادت اتصالا بالرواية من حيث التعبير عن منحاها وروحها ، ومن حيث تيسير وسائل التعبير هذه . فبعد ان كانت هـذه المناظر خاضعة في قطعها وفى تلوينها الى ما هو متبع فى تصوير اللوحات الزيتية من حيث مراعاة قواعد الرسم والتلوين ، سواء أكان المصور ينزع فى عمله هذا عن المذهب «التأثرى» أم « الابتداعى(١) » أم « الاتباعى(٢) » أم « التكعيبى (٣) » الخ . . فـكانت هذه الأستار فى جملتها لا تخرج عن كونها لوحة زيتية مكبرة ، أصبحت اليوم كائناً زخرفياً قائماً بذاته خاضعاً لمتطلبات الرواية من حيث مواقفها ومجال الحركة لممثليها . وغدا همها الاول ايجاد مستراد يتحرك فيه الممثلون الحركة التى تساعد على التعبير الجسمانى فى أحسن مظاهره ، وأمست زخرفتها تجنح إلى البساطة المتناهية والغنية فى آن واحد ، بحيث لا تستلب أنظار الجمهور ، وبحيث تبرز الممثل فى المقام الأول وتجعله موضع اهتمام النظارة

---

(١) Romantisme (٢) Classique (٣) Cubisme

وكان من جراء هذا الاتصال الوثيق بين المناظر والرواية ، ان فتر الاهتمام بالصبغة المحلية ليزداد من حيث احياء الصبغة النفسية ، وذلك باعتبار ان الاولى لا تخرج عن كونها المظهر الخارجي للرواية ، وان الثانية من واعيتها الباطنة . والعصر الحديث كما أسلفنا يعنى بالباطن لا بالظاهر الذى هو نتيجة التحليل . وهكذا صارت المناظر والأستار تقطع باشكال تعبيرية تفصح عن باطن الرواية وعن واعيتها

وكان من جراء الحرص على جعل الممثل الكائن الاول الذى يجب أن يحظى باهتمام النظارة أن بلغ الاقتصاد مداه فى ايراد قطع الاثاث والمهمات فوق المسرح بحيث لايوضع شيء منها الا اذا كان يلعب دوراً مع الممثل،أو يشترك مع الممثل فى التعبير ، وصار ترتيب هذا الاثاث يجرى بحيث يساعد الممثل ويعمل على ابرازه وليس لمجرد الزينة والترف وابتغاء التأثير فى الجمهور

كذلك روعى فى المناظر ايراد أحجام شكلية يغلب عليها الطابع الهندسى للكوائن الزخرفية التى كان يكتفى للدلالة عليها بالرسم والنقش على الاستار ليزداد الممثل بروزاً ، وذلك باعتبار أن الممثل كائن له حجم وليس زخرفا مرسوما على ستار ، وفى هذا مافيه من ايجاد وحدة بين الممثل وبين المحيط الذي يقف فيه

واجتمع هذا الحرص على ابراز الممثل ، والأخذ بالرمز والايحاء ، ومجاراة العصر فى روحه من حيث السرعة ، اجتمع كل هذا على أحسن حال فى الاتجاه الروسى الحديث ، المعروف باسم « الاتجاه البنائى Constructivisme » ، وهو اتجاه فى أساسه الرمز المعبر البسيط للواقع ، وذلك بايراد أجزاء من المنظر المسرحى المطلوب فى صيغته الشكلية من حيث الجرم لا من حيث الرسم والتخطيط فحسب

وعمد بعض المخرجين الى احياء طريقة قديمة فى الاخراج التصويرى كانت شائعة فى المسرح الانجليزى فى عهد الملكة اليزابيث ، كما كانت معروفة فى القرون الوسطى التى سبقت عصر النهضة

وتتلخص هذه الطريقة فى تمثيل جميع مشاهد الرواية أمام منظر واحدثابت تركزت فى أجزائه كافة المناظر التى يعقل أن تقع فيها حوادث الرواية ، مع مراعاة احياء الصبغتين النفسية والمحلية للرواية بقدر المستطاع ، وايجاد وحدة فنية زخرفية بين الاجزاء . أخذ بعض المخرجين بهذه الطريقة بعد ادخال تحسينات عليها تتفق وروح هذا العصر من حيث الاضاءة والتعبير ، وسموا المنظر الذى يشاد على هذه الطريقة « Scène simultanée » أى المسرح المقترن

وفى احياء هذه الطريقة انكارتام للمذهب الواقعى فى الاخراج ، وفيها رجعة الى بداوة المسرح ، وهى بداوة غنية بأخيلتها ، عرف فن التمثيل فيها الازدهار والعظمة . ولئن عمد القدماء الى هذه الطريقة بحكم افتقارهم الى المسارح المزودة بالمناظر والمهمات ، فان رجال المسرح اليوم يأخذون بهذه الطريقة متعمدين ابتغاء اقامة فاصل ظاهر بين المسرح ، على أن تكون وسائله التعبير عن

طريق الرمز والايحاء ، وبين السينما ووسائل التعبير فيها قائمة على نسخ الطبيعة ونقل الواقع
وما أتينا على ذكره قليل من كثير ، إذ المقام يضيق بذكر جميع الاتجاهات الحديثة فى فن الاخراج من حيث المناظر وتهيئة المسرح

أما الملابس المسرحية وغيرها من المهمات ، فقد خضعت بدورها لنفس الاتجاهات التى أخذت بها المناظر المسرحية ، ابتغاء ايجاد الوحدة الفنية التى يجب أن تجمع بين سائر المهمات المسرحية وتعمل متكاتفة على ايجاد الاطار المادى للرواية

وكذلك الاضاءة فانها لم تتوان عن اتخاذ اتجاهات جديدة تماشى الطابع الذى أسلفنا ذكره ، ولا سيما بعد أن تقدمت وسائلها من الناحية الآلية ، وبعد أن قدمت السينما الوانا طريفة منها
وأهم ما نزل بالاضاءة المسرحية من التغيير أنها أصبحت «مركزية» بعد أن كانت «عامة» . وأقصد بهذا أن الاضاءة كانت تجري سابقا بحال يشمل النور فيها كافة أقسام المسرح بدرجة واحدة من حيث القوة الضوئية . أما اليوم فصارت توزع على أقسام المسرح بدرجات مختلفة يراعى فيها الشدة فى أقسام المنظر التى يجرى فيها تمثيل أهم المواقف وذلك لتوجيه اهتمام النظارة اليها ، كما يلاحظ أن تكون مصادرها من الجهات التى يهبط منها النور الطبيعى عادة ، وبذلك تغيرت مواضع مصادر الاضاءة فى المسرح فاختفت أنوار الحافة La rampe وكذلك أمشاط النور Les herses وأخذت مكانها مركزات النور Projecteurs وطارحاته Reflecteurs

وهكذا بعد أن كان الغرض الأول من الاضاءة مقصوراً على انارة المسرح أصبحت لها أغراض أخرى بعد أن غدت للظلال لغة من حيث التعبير عن حالة نفسية خاصة أو الاتيان بما من شأنه أن يبعث تأثيراً خاصاً فى نفوس الجمهور . بل كثيراً ما أخذت الاضاءة مكان الأستار المسرحية فى بعض الروايات مقدمة لها اطاراً معنوياً ، فيه متعة للخاطر ، وفيه ما يبعث المخيلة ويستثير باعث الجمال

فن الممثل

أما فن الممثل فلم يكن ليشذ عن سائر فنون المسرح ، وقد فرض عليها العصر ومزاجه ما فرضا صار الممثل اليوم يجنح الى السرعة فى الالقاء مع المحافظة على فصاحة النطق ، وأصبح يميل الى الاجمال بدلا من التفصيل ، والى التركيز بدلا من المبالغة فى تحليل العبارات والاتيان بما هو تكميلى من حيث بلاغة التعبير الصوتى . كذلك خلا القاؤه من الغناء والمبالغة فى اخراج الصوت واتيان الحركة ، وأصبح همه مقصوراً على التنبيه الى كل ما من شأنه أن يبرز خصائص دوره . وعلى الجملة فقد شمل وسائل التعبير لدى الممثل ، من صوت وحركة واشارة ، طابع من الرصانة والبساطة والتفكير هو نفحة من روح هذا العصر الذى غدا للمعنويات فيه شأن كبير ، وصار شعاره المعروف ، احداث أكبر تأثير فى أقصر وقت

زكى طليمات

مصرع ابراهام لنكولن

رئيس جمهورية الولايات المتحدة

بقلم الاستاذ حسن الشريف

ابراهام لنكولن أحد اثنين - والآخر جورج واشنطن - هما أعظم الرؤساء الذين اعتلوا دست الرياسة فى جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان لرياستهما أبلغ الاثر فى حياة تلك البلاد

واذا كان واشنطن عظامياً ، مثل فى زمنه خاصة الشعب الامريكى فى أحسابها التليدة وثرواتها الضخمة ومظاهرها الرفيعة ، فان لنكولن عصامى قد مثل عامة ذلك الشعب بنشأته الخاملة وحياته العانية ، وجده فى طلب التفوق والسيادة والسلطان

نشأ عاملا ابن عامل ، وقضى ضحى شبابه فى قطع الشجر ونشر الخشب ووسق الارماث وقيادتها فى الأنهار ، فكان يقضى ساعات النهار فى طلب القوت ، وهزعاً من الليل فى طلب العلم غير مترفق ببنيته الهزيلة ، ولا عابىء بصحته السقيمة . ثم أحس فى نفسه ميلا إلى الاشتغال بالمسائل العامة فأقبل عليها وبرز فيها تبريزاً لفت اليه الأنظار، فصار نائباً فوزيراً فرئيساً للجمهورية

كان مديد القامة ناحل الجسم منحدر الكتفين صغير الرأس ، ذا يدين وقدمين تدهش الناظر ضخامتهما ، وقسمات يحسبها الرائى قسمات قرد كبير . ولكن الطبيعة التى قست عليه فى الخلقة لم تضن عليه بشىء من مكارم الأخلاق ، فلقد كانت الطيبة تنبجس من نظراته ، والرقة تنبعث من حديثه حتى لقد لقبه مواطنوه بالعم آب تصغيراً لاسمه « ابراهام »

ولقد قدر عليه أن يكون عهده فى الرياسة عهداً عصيباً ، حافلا بالمآسى الدامية والأحداث الجسام، إذ شبت فى زمنه الحرب الأهلية التى سميت حرب الانفصال بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية إثر صدور قانون الاتجار بالرقيق الذى سنه البرلمان

كانت تجارة الرقيق شائعة فى جنوب الولايات المتحدة الى ذلك الحين . وكان الاغنياء وكبار الملاك يشترون العبيد بالثمن البخس ويسخرونهم فى فلاحة الارض لقاء النزر من الطعام ، فلا عجب ان ثارت ثورتهم على ذلك القانون الذى حرمهم تلك الملايين من الأيدى العاملة بالمجان ، على ان

مسألة الرقيق وتحريم الاتجار به لم تكن الا ذريعة تذرع بها الجنوبيون لاعلان الحرب بغية الانفصال عن الولايات الشمالية ، والتحرر من الضرائب التى كانت حكومة الجمهورية لا تفتأ تفرضها عليهم

ذلك بان الولايات الجنوبية ولايات زراعية أهم محاصيلها القطن والقصب وعماد ثروتها تصدير هذين الصنفين الى الخارج . ولقد عن للحكومة ان تستبقى للبلاد مابقى بحاجتها من ذينك المحصولين الرئيسيين ففرضت على تصديرهما ضريبة باهظة شلت حركة هذا التصدير وصيرته قليل الربح عديم الفائدة . فلما سن البرلمان قانون الرق الذى يحرم الاتجار بالعبيد اعتقد الجنوبيون ان نواب الولايات الشمالية ــ وهى أقاليم صناعية لا تتأثر بما تتأثر به الاقاليم الزراعية ــ يسيرون الحكومة والبرلمان وفق ما تقتضيه مصالحهم غير مراعين فى فرض الضرائب وسن القوانين ما يلائم أحوال مناطق الجنوب ، فهبوا الى الحرب منادين باستقلالهم واتخذوا مدينة ريتشمند عاصمة لهم وانتخبوا كبير زعمائهم مستر جفرسن ديفيس رئيساً لجمهوريتهم الجديدة

تلقاء ذلك لم تر حكومة واشنطن بداً من أن تسير حملة تؤدب بها أولئك العصاة فجردت عليهم جيشاً بقيادة الجنرال جرانت ، وقد ظنت أول الأمر أنه لن يلبث حتى يبيد شأفة تلك العصابات ولكنها ما عتمت حتى ألقت نفسها فى حرب طاحنة طالت خمس سنين واكتوى بنارها كل سكان البلاد واشترك فيها ثمانية ملايين من الرجال سقط منهم ثمانمائة الف صرعى فى ميادين القتال

ولاشك فى أنه كان يحز فى قلب الرئيس لنكولن أنه يرى بلاده تقطع أوصالها بأيديها ، وأن يرى قوى الدولة ومواردها تتبدد فى ذلك النضال القومى العنيف . لذلك كان اغتباطه عظيما لما آن لتلك الحرب الأهلية أن تضع أوزارها إذ سقطت ريتشمند عاصمة الثوار وفر زعيمهم جفرسن ديفيس وسلم قائدهم الجنرال « لى » نفسه الى قائد جيوش الشمال

حدث ذلك يوم الجمعة ١٤ ابريل سنة ١٨٦٥ فانطلقت نواقيس الكنائس تأرجح فى أبراجها معلنة نبأ الانتصار ، وازينت شوارع واشنطن بالأعلام والانوار ، وتصعدت الالعاب النارية نحو السماء مبشرة بالفوز العظيم وبات أهل العاصمة فى فرح يغنون ويرقصون ويخطبون

لم يكن لنكولن إذ ذاك قد جاوز السادسة والخمسين من عمره ، ولكن أعباء الرياسة وأثقال الحكم وهموم المسئوليات كانت قد عاجلته بالشيخوخة فقوست كاهله وأذهبت من محياه البقية الباقية من آثار الشباب ، فبدا شاحب الوجه مجعد البشرة مثقل الرأس دائب العبوس . واذا كان قد اشترك فى مظاهر فرح حكومته بالنصر الذى أحرزه جيشها على الثوار ، فقد بقى ذهنه منصرفا الى توفير الوسائل لضمد تلك الجروح العميقة التى أحدثتها الحرب الأهلية فى جسم البلاد . وبينما كان الرأى العام يطلب اعدام زعماء الجنوب ، وأخذ الذين اشتركوا فى الثورة بأقسى العقوبات ، كان هو يفكر فى اصدار عفو يشمل الجميع رجاء لم الشمل ورأب الصدع وإعادة الاتحاد الى ذلك البلد العظيم الذى عصفت به ريح الخلاف وكادت التيارات المتضادة تورده موارد الهلاك

على أن تلك الشواغل والهموم لم تحل دون أن يقوم رئيس الجمهورية بالواجبات التي يفرضها عليه منصبه الرفيع فى مثل ذلك اليوم السعيد . فلقد استقل وزوجته مركبة طافت بهما أحياء المدينة فكانا يلقيان التحية على الجماهير الحاشدة الهاتفة باسم لنكولن . ويتلقيان باليمين وبالشمال باقات الزهر التى كانت تنهال عليهما من كل صوب . ثم عاد الى البيت الابيض مقر الرياسة فرأس وليمة كان قد دعا اليها وزراء الدولة وقواد الجيش وطائفة من أعضاء البرلمان ، وألقى فى ختامها خطابا بين فيه ما يجب عمله لانهاض البلاد واستتباب الأمن والنظام فى ولايات الجنوب

ولما انتهت الوليمة جلس الرئيس الى بعض أصدقائه يتحدث ويقص عليهم رؤيا عجيبة رآها فى نومه الليلة البارحة وكان قد رآها قبل ذلك مرة أيضاً ، وهى أنه كان فى سفينة غريبة الشكل شاذة المنظر تسير به فى بحر مضطرب نحو شاطىء قاتم السواد لا ترى العين أوله ولا يأتى البصر على نهايته . ولقد عجب أصحابه من تكرر نفس الرؤيا مرتين ثم ضحكوا من هذه الوساوس وأكدوا أنها أضغاث أحلام ، وظلوا يتسامرون ويتحدثون الى أن جاءت مسز لنكولن تنبه زوجها الى أن موعد ذهابه الى ملعب فورد قد أزف ، فعليه أن يتأهب لشهود الحفلة التى تقام فيه احياء لذكرى موقعة صمتر التى انتصرت فيها جيوش الجمهورية واستردت حصنها الشهير . وظل الرئيس يتباطأ ويسوف ، وظلت زوجته تستحثه وتستعجله ، حتى اذا لم ير بداً من الامتثال ودع رفاقه واستقل المركبة معها الى دار التمثيل . واذ كان الجنرال جرانت وزوجته قد اعتذرا عن مصاحبة رئيس الجمهورية الى الملعب لسبب عائلى طارىء ، فقد دعا الرئيس الى مقصورته صديقين له هما مستر راثبون وخطيبته الآنسة هاريس ابنة أحد أعضاء مجلس الشيوخ

وكان الجمهور يعلم مما نشرته الصحف أن رئيس الجمهورية والقائد العام سيمضيان السهرة فى ملعب فورد فاشتد الزحام على شباك الملعب وغصت مقاصيره ومقاعده بالنظارة وامتلأت الساحة الواقعة أمامه والشوارع الموصلة اليه بالجماهير التى كانت تهتف وتصفق تحية للرجلين العظيمين ودخل الرئيس مقصورة الرياسة المطلة على المسرح ، فتعالى الهتاف والتصفيق من كل ناحية وجلس على الكرسى المعد له فى الجانب الأيمن من المقصورة وجلست زوجته وصديقاهما المدعوان الى يساره

ورفع الستار وظهرت الممثلة لورا كين تمثل دورها فى رواية « بنت عمنا الامريكية » فقدم الرئيس كرسيه الى الامام قليلا وجعل ساعديه على حافة المقصورة وانصرف الى سماع حوار الممثلين

عندئذ حدث شىء عجيب : حدث أن سمع النظارة صوت طلق نارى لم يتبينوا أول الأمر مصدره وقد حسبوه صادراً عن المسرح ثم رأوا رجلا يقفز من مقصورة الرياسة الى خشبة المسرح فتعثر قدمه فى باقة الاعلام التى تزين المقصورة فيقع على ركبتيه ولكنه يسرع فينهض ويستل من حزامه خنجراً يشهره ويصيح : « الويل لمن يقترب منى » . ثم رأوا الملقن يهب من مكمنه

ويحاول القبض على الرجل فيبتدره هذا بطعنة ويجرى فيجتاز المسرح ويتوارى فى الدهاليز

لم يستغرق هذا المنظر العجيب أكثر من بعض دقيقة حتى لقد ظنه المتفرجون منظراً من وقائع الرواية التى تمثل أمامهم ، فلبثوا برهة واجمين يتساءلون بالنظرات عن حقيقة ماهو واقع . ولكن تساؤلهم لم يطل إذ سمعوا مسز لنكولن تصيح مولولة : « اقبضوا عليه .. لقد قتل الرئيس »

جون وايلكز بوث ، قاتل الرئيس لنكولن ، ممثل من الطراز الاول اشتهر بحسن تمثيله أبطال شكسبير . وقد امتاز باعتدال فى القوام وجمال فى الخلقة ورخامة فى الصوت ورشاقة فى الحركة جعلته هدف أنظار النساء وملتقى حبهن . ولقد أقبلن عليه وتزاحمن حتى أن واحدة منهن اشتدت بها الغيرة فلم تضن عليه بطعنة من سكين كادت تودى بحياته

ولقد بلغ من ولعه بفنه أنه كان يتقمص شخصية البطل الذى يمثله تقمصاً يجعله ينسى نفسه وما حوله فيبكى ويضحك ويغضب ويثور ويعانق ويقبل على المسرح كما لو كانت هذه المواقف مواقف حقيقية لامجرد تمثيل للبكاء والضحك والغضب والثورة والعناق والتقبيل ، بل لقد حدث له أن نسى نفسه فى احدى المبارزات التمثيلية فطعن مبارزه بالسيف طعنة أحدثت بجسمه جرحاغائراً

ولكن هل يصل توهم الانسان البطولة فى نفسه من فرط تمثيل أدوارها الى حد الاقدام على الأعمال العنيفة والجرائم المنكرة ؟ اللهم ان هذا لما لانستطيع ان نقطع فيه برأى ، فندعه الى علماء الطبائع البشرية ليقولوا قولتهم فيه

على أننا نكاد لا نتبين سبب تشيع جون وايلكز بوث لقضية الجنوبيين . فلقد أمضى حياته فى الشمال وأصاب شهرته فيه ، ولم يعرف عنه أنه اقتنى عبيداً أو اتجر بالعبيد حتى يثور على قانون الرق ، ولا أنه كان من زراع القطن والقصب حتى يثور على ضريبة التصدير كما ثار أهل الجنوب . والرئيس لنكولن على ما يشهد به التاريخ لم يلعب دوراً خاصا فى حرب الانفصال ، الا الدور الذى يقتضيه منصب رئيس الدولة . فلم يقل أحد إنه امر بالتنكيل بالجيش المهزوم ، ولا إنه حرض المنتصرين على ارتكاب المظالم واقتراف الفظائع وتجاوز أساليب القتال الشريف الى أساليب اخرى تستنكرها تقاليد الحروب . فاذا لم يكن هـذا ولا ذاك فيم حقد ذلك الممثل عليه ، وما سر ذلك الضغن الذى سلح يده للاقدام على جريمته الشنعاء ؟

لقد كشف التحقيق عن أن بوث كان ينتمى الى عدة جمعيات سرية مختلفة الأسماء متحدة الاغراض ، وأنه على اتصال بجفرسن ديفيس زعيم الجنوبيين . وثبت بشهادة الشهود أنه كان قد عقد النية على اغتيال لنكولن من زمن بعيد ، حتى لقد صرح مرة بأن « لا سلام للولايات المتحدة إلا باعدام الرئيس » ، وجهر مرة أخرى بقوله : « كم آسف كلما ذكرت أنه كان فى مقصورته على بعد خطوة منى بدار التمثيل ولم أقتله » ، وكتب الى أحد زعماء الجنوب يعتب عليه ويقول : « لماذا لم تقتلوا لنكولن يوم أصدر قانون الرقيق ؟ »

ويظهر أن بوث لم يكن يرمى أول الأمر الى قتل رئيس الجمهورية ، وانما كان يدبر اختطافه ليجعله رهينة عند الجنوبيين يساومون الحكومة عليه لعلهم يفوزون عند عقد الصلح بشروط أوفق لمصلحتهم . ولقد الف لهذا الغرض الجرىء عصابة قوامها خمسة من الممثلين العاطلين ــ هم « باين » و « آتزروث » و« ارنولد » و « لانجلن » و «هارولد» ــ خابوا في مهنتهم ، ثم خابوا من بعد ذلك فى كل عمل زاولوه لكسب القوت ، فصاروا يتلمسون العيش من أى سبيل . ولقد سحرهم بوث بشخصيته القوية ،فزين لهم أن يمثلوا مأساة مروعة على مسرح الحياة بعد أن لفظتهم مسارح التمثيل فانقادوا له عمى البصائر لا يعصون ولا يعقلون

وإذ كان الرئيس لنكولن اعتاد أن يتنزه بمركبته فى الطريق الخلوى المؤدى الى بلدة برايايتاون فقد كمنت له العصابة فيه ثلاث مرات عسى أن توفق الى اختطافه ، ولكن اتفق في المرات الثلاث أن حدث للرئيس ما عاقه عن الخروج الى النزهة لأسباب مختلفة ، فاستشاط بوث غيظا وأقسم ليقتلنه فى أول فرصة تسنح

وأخيراً أذاعت الصحف أن رئيس الجمهورية سيشهد الحفلة التمثيلية التى تقام فى ملعب فورد احياء لذكرى معركة صمتر ، وأن الجنرال جرانت سيكون فى معيته ، فرأى بوث أن الفرصة قد تهيأت لارتكاب الجريمة ، فجمع عصابته وأفضى اليها بما اعتزم ، واختار لنفسه مهمة قتل لنكولن وجرانت ، على أن يتولى « باين » قتل مستر سيوارد وزير الداخلية

وقبل أن يفترق المتآمرون كتبوا بيانا أعدوه لينشر فى الصحف غداة الاعتداء وذيلوه بهذا التوقيع « رجال يحبون وطنهم أكثر مما يحبون المال والحياة » وقالوا فيه :

« لقد كرسنا وقتنا ومالنا لنحقق مشروعا خطيراً صممنا بتحقيقه مراراً وأخفقنا فيه ، وهانحن أولاء نعدل عن الوسائل التى عملنا بها حتى اليوم الى وسائل أخرى نرجو لها النجاح . نعم إن العالم سيسخط على فعلتنا ، ولكنا واثقون من أن الاجيال التى تخلفنا ستقدر عملنا وستحمدنا عليه »

وفى أمسية يوم ١٤ ابريل سنة ١٨٦٥ استأجر جون وايلكز بوث جوادين أودعهما اسطبلا قريباً من ملعب فورد ، وجعل على حراستهما صاحبه هارولد . ثم دخل دار التمثيل التى كان موظفوها يعرفونه ويألفون رؤيته فيها ، واجتاز الدهليز الموصل الى صف المقاصير الممتازة حتى بلغ مقصورة رئيس الجمهورية ، وهي مقصورة تقع فوق مقدمة المسرح مباشرة وينفذ اليها الداخل من حجرة صغيرة جعلت ليستقبل فيها الرئيس زواره فى فترات الراحة التى تتخلل الفصول

أخرج بوث من جيبه مثقاباً أحدث به ثقباً فى الباب الصغير الذى يفصل حجرة الاستقبال من المقصورة ليتسنى له عند الحاجة أن ينظر منه فيرى ما بداخلها . ثم فك المسامير اللولبية التى تثبت رتاج الباب فجعلها لا تقاوم دفعة هينة ، ثم دخل المقصورة وغير وضع المقاعد فيها جاعلا مقعد

الرئيس الى ناحية اليمين بمعزل عن بقية المقاعد ، ثم خبأ عصاه وهى من الخيزران المتين فى ركن مظلم من أركان المقصورة وانصرف

وكان بوث يحتسى كؤوساً من الخمر فى مقصف دار التمثيل عندما أقبل عليها الرئيس لنكولن وضيوفه . ولقد تريث ريثما يهدأ الهرج والمرج اللذان أحدثهما قدومهم ويستقر كل منهم فى مكانه ثم دفع ثمن ما شرب وذهب الى مقعد من مقاعد الطنف الأول المقابل لمقصورة رئيس الجمهورية وجلس يراقب الحالة ويتعرف الاشخاص والوجوه . فرأى لنكولن يستلق متعباً على كرسيه،وزوجته تجلس بالقرب منه ، ومستر راثبون ينصرف الى مغازلة خطيبته الجميلة مس هاريس . ولما لم ير الجنرال جرانت بينهم قال لنفسه : « هذا رجل كتبت له السلامة »

وتسلل بوث من بين مقاعد الطنف ، وسار الى المقصورة الرئيسية فألفى الضابط المنوطة به حراستها قد ترك مكانه واحتل كرسياً قريبا منها وانصرف الى مشاهدة التمثيل ، ففتح الباب الموصل بين الدهليز وحجرة الاستقبال وأخذ عصاه من مخبئها ، وقوسها وحشر طرفيها فى صدغى الباب بعد ان أغلقه وراءه ليستعصى فتحه على من يريد الدخول . ثم سار على أطراف قدميه وفتح باب المقصورة الداخلية من دون أن يحدث صوتا فلم ينتبه اليه أحد ، وأخرج المسدس من جيبه وسدده الى رأس لنكولن وأطلق الرصاصة ، فاخترقت العظم المؤخرى بجانب الأذن اليسرى ، فمال المصاب على جانبه ، ثم انكفأ على مقعده والدم يسيل من رأسه غزيراً

واستغل المعتدى الأثيم ذلك الذهول الذى استولى على ضيوف الرئيس وقفز من المقصورة الى المسرح ولكن مستر راثبون تنبه وجذبه من طرف سترته فتعثرت قدما المجرم فى قضبان الرايات التى كانت تزين المقصورة من الخارج فسقط على خشبة المسرح سقطة أحدثت كسراً باحدى ركبتيه بيد أنه لم يعبأ بالألم الشديد الذى أحسه وأراد ان يبلغ أحد مخارج الملعب ولكن الملقن اعترضه فتخلص منه بضربة خنجر ، ثم طفر الى الدهاليز واجتاز الباب الخلفى وكان صاحبه هارولد ينتظره عند هذا الباب بالجوادين فامتطياهما وانطلقا بهما عدوا وغابا عن الأنظار

فلما صاحت مسز لنكولن : « اقبضوا عليه لقد قتل الرئيس »، عمت الفوضى وعلت الضوضاء ، وهب النظارة من مقاعدهم وأقبلوا على المقصورة متدافعين متزاحمين،فوجدوا الرئيس على ماوصفنا، ورأوا زوجته تتلوى على كرسيها وقد استولت عليها أزمة عصبية كادت تفقدها صوابها

وأقبل طبيبان كانا بين جمهور المتفرجين فأفسح لهما الناس طريقا وفحصا الجريح وأسعفاه بما تيسر لهما وقتئذ من وسائل العلاج السريع ، ولكنهما لم يستطيعا حبس النزيف ، فأعلنا أن الحالة لا تحمل على الاطمئنان . وجاءت الشرطة وأخلت دار التمثيل من النظارة وحملت الجريح بكرسيه الى منزل قريب من الملعب واستدعت جراحاً مشهوراً فى المدينة كشف عن الجرح وقرر أن هنالك نزيفاً داخلياً لا سبيل الى وقفه

وتوفى الرئيس ابراهام لنكولن صباح اليوم التالى فلفت السلطات جثته فى علم الاتحاد الجمهورى ونقلوه الى البيت الأبيض مقر الرياسة ثم عرضوا الجثة فى الكابيتول طيلة ثلاثة أيام حملوها بعدها فى قطار خاص الى بلدة سبرنجفيلد حيث دفنوها فى المقبرة التى كان لنكولن أعدها لنفسه هناك

وبينما كان بوث يرتكب جريمته المنكرة فى ملعب فورد كان زميله « باين » يرقى درج السلم المؤدى الى الشقة التى يسكنها الوزير سيوارد وزعم للبواب أنه صبى صيدلى جاء بأدوية طلبها الوزير المريض . وكان مستر سيوارد مريضا يشكو ألماً فى فكيه وقد تمدد على سريره معصوب الجبين والصدغين . فدخل عليه « باين » وابتدره بعدة طعنات متوالية من سكين استلها من حزامه فلم يتركه الا بعد ان فارق الحياة . ثم أراد الفرار فاعترضه ابن القتيل وممرضته وسدا عليه باب الحجرة فصاح بهما : « دعانى فانا مجنون » فلما لم يدعاه أهوى على رأس كل منهما بمقبض مسدسه فطرحهما أرضا ونزل الى الشارع وامتطى جواده وأطلق له العنان فاحتوته غياهب الظلام

أما بوث وهارولد فانطلقا بجواديهما وكان خط السير الذى رسماه أن يجتازا ولاية ماريلاند ويعبرا نهر البوتوماك ليبلغا فرجينيا وهى احدى ولايات الجنوب ، حيث يقيمان فى أمن ريثما تتسنى لهما مغادرة القارة الامريكية والارتحال الى سويسرا التى يحظر دستورها تسليم المجرمين السياسيين

ولقد سارا حتى أعياهما السير فأمضيا الهزيع الأخير من الليل فى بيت طبيب بمدينة برايانتاون اسمه الدكتور « ماد » كان بوث يعرف فيه ميوله العدائية لسياسة أهل الشمال ، فعهد اليه فى أن يعنى بالكسر الذى أصاب ركبته . ولكن الطبيب خشى مغبة إيواء هذا المريض الخطر فى بيته فصرفه بالتى هى أحسن معتذراً بأنه لا يمارس طب العظام

واستأنف الشقيان مسيرهما فكانا يواصلان السفر بالليل ويأويان الى الغابات بالنهار حتى ورمت ساق بوث ورماً أعجزه عن المشى فارتمى فى غابة قضى بها ستة أيام كان هارولد يذهب فى خلالها الى المدينة القريبة فيبتاع منها المأكل وما يحتاجه صاحبه من الأربطة والمراهم لعلاج ساقه

وكان نبأ مقتل رئيس الجمهورية قد انتشر فى ارجاء البلاد وأعلنت السلطات أوصاف القاتل ووعدت من يقبض عليه بجائزة مالية قدرها عشرة آلاف من الدولارات ، وجردت الحكومة جيشاً من الخفية والشرطة تحت قيادة ضابطين من خيرة ضباط قسم المخابرات ، فوليا وجهيهما شطر نهر البوتوماك موقنين أن لا بد لبوث من أن يلجأ الى احدى ولايات الجنوب

وكان هارولد ينقل الى صاحبه المريض من القرى التى يختلف اليها أخبار الشرطة وما تفعله بأهل تلك القرى فى سبيل الكشف عن مخبىء القاتل الطريد . وأيقن بوث أنه لا محالة واقع فى أيدى السلطات ولكنه أبى إلا أن يحتال للافلات من يدها جهد ما تسعفه به الحيلة ، فابتدأ بأن قتل الجوادين بالرصاص خشية أن يفضحه صهيلهما ، ثم اتكأ على ذراع رفيقه الرعديد وسار به وهو يتنزى من الألم ليقطع الشقة الباقية أمامه ليبلغ شاطىء النهر بل شاطىء السلامة

وعبر الصاحبان نهر البوتوماك فى قارب صغير وجداه هناك وأمضيا سحابة النهار مختبئين فى كوخ لأحد العبيد ، حتى اذا جن الليل قادهما العبد الى « عزبة » صغيرة قائمة فى وسط مزرعة من مزارع الدخان ظناً منه أن لن تهتدى اليهما فيها العيون

ولكن الصبح لم يكد يتنفس حتى كانت شراذم من الجند تحيط بالعزبة ، وشراذم أخرى تدهم البيوت باحثة عن الشقيين الهاربين ، ذلك بأن الشرطة اقتفوا أثرهما فى الطريق وفى الغابات حتى شاطىء النهر واستعلموا من صاحب القارب الذى استقلاه الى الشاطىء الآخر فعلموا الوجهة التى ولياها فتبعوا آثار أقدامهما في الارض حتى هدتهم الى مزرعة الدخان

ولقد استشعر العبد الخطر الداهم فأسرع وزج بضيفيه الى حظيرة مظلمة من تلك الحظائر التى يخزن فيها علف الماشية أو بعض المحاصيل وأوصد بابها عليهما وانصرف الى عمله متظاهراً بالطمأنينة وهدوء البال

ويظهر أن الضابط « كوبر » قائد الشرطة كان يعرف من أخلاق أولئك العبيد أنهم لا يخونون اللاجئين الى مروءتهم ، ولا يسلمونهم قبل أن يستنفدوا كل وسائل الدفاع ، فعمد الى شجرة علق بأحد فروعها حبلا ذا أخية ثم جاء بالعبد وجعل الأخية فى عنقه وقال له : « ارشدنى الى مخبأ بوث وإلا شنقتك » ولكن العبد استبسل وأكد أنه لا يعرف بوث ولم يره . وكان ابن ذلك العبد شاهدا هذا الحوار فخاف على أبيه أن يشنقه البيض فتضرع اليه أن ينقذ نفسه وأن يفضى الى الضابط بما يعلم . فلما انتهره أبوه وأصر على الكتمان بكى الغلام وتردد برهة ثم أخذ يد الضابط واقتاده الى الحظيرة وقال : « هنا يا سيدى » وأحاطت الجنود بالحظيرة ودق الضابط بابها ونادى : « اسلم نفسك يا بوث » فلما لم يسمع جوابا عاد فنادى : « يا بوث ان خمسين جنديا مدججين بالسلاح يحاصرونك فاذا لم تفتح الباب أحرقنا الحظيرة وأنت فيها »

ودنا بوث من الباب وصاح : « أنا كسيح يا سيدى الضابط ومع ذلك أريد أن ادافع عن نفسى في قتال شريف ، فابرز لى أنت وجنودك أبارزكم جميعا ، وليكن الحكم بيننا للسلاح »

فقال كوبر : « لسنا هنا لنبارزك ايها المجنون فأسلم نفسك وإلا فأعدها للهلاك بالنار »

وفتح الباب وظهر هارولد وقد استولت عليه رعدة شديدة وانهمر الدمع من مآقيه وقال : « ها أنذا اسلم نفسى » فشدوا الوثاق على معصميه وربطوه الى شجرة ثم جاءوا بزيت ألقوه على باب الحظيرة وأشعلوا فيه ناراً لم تلبث أن امتدت الى السقف وانعقد دخانها فى الفضاء

عندئذ لم ير بوث مناصاً من الخروج ففتح الباب المحترق وظهر للجنود متكئا على عصاه فى وقفة مسرحية فخمة وقال : « ماذا تريدون ايها السادة ؟ » فأجابه الضابط قائلا : « ألق عصاك وارفع ذراعيك فى الهواء » وفى هذه اللحظة سمع الحاضرون دوى رصاصة انطلقت من مسدس أحد الجنود ورأوا الممثل القاتل يترنح ويسقط على الارض وهو يتخبط فى دمه ويغمغم

بين شفتيه قائلا : « حسنا فعلتم فهذا خير لى ولـكم » . والتفت الضابط مبهوتا وسأل : « من الاحمق الذى اطلق الرصاص ؟ » فأجابه الجندى الضارب : « انا ياسيدى . وقد فعلت ذلك تنفيذاً لمشيئة الله » وقد ظهر فيما بعد ان هذا الجندى كان مجنونا وانه قضى نحبه فى مستشفى المجانين

وجاءوا بمركبة نقل وضعوا عليها بوث الجريح وصاحبه هارولد ، واقتادوهما الى شاطىء البوتوماك ، ومن هنالك اقلتهما سفينة نهرية الى واشنطن عاصمة البلاد

وتوفى بوث فى الطريق متأثراً بجرحه فلفوا جثته فى غطاء سرير . ولـكن كم كانت دهشة الجميع عظيمة عند ما رست السفينة وجاءت السلطات لتتسلم الاسيرين فلم تجد منهما إلا واحداً وهو هارولد ، أما جثة الثانى فكانت قد اختفت من دون أن تخلف أثراً يدل على مصيرها . وقد قيل فى تأويل هذا الاختفاء العجيب الشىء الـكثير ، ولـكن الحقيقة ظلت خافية على الجمهور ، إذ لم تعلنها الحـكومة لسبب غير معلوم

واعترف هارولد باشتراكه مع بوث فى تدبير اغتيال رئيس الجمهورية وأفضى الى المحققين باسماء أفراد العصابة الآخرين ، وأرشدهم الى مخابئهم ، فلم تكن إلا أيام حتى قبضوا عليهم اجمعين

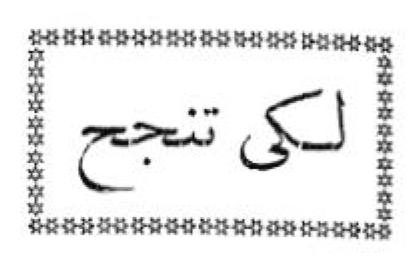
وإذ كانت حالة الحرب ما تزال قائمة فقد أصدر مستر جونسن رئيس الجمهورية الجديد بلاغا رسمياً قال فيه : « بما أنه ثبت أن مقتل الرئيس ابراهام لنكولن والوزير سيوارد قد وقع بتدبير تم بين القاتلين وجفرسن ديفيس وغيره من ثوار الجنوب ، فقد أصبحت محاكمة المتهمين من اختصاص المحاكم العسكرية . وبناء على ذلك أمرنا بتشكيل مجلس عسكرى عال مؤلف من تسعة ضباط عظام برتبة جنرال برياسة الجنرال هولت لمحاكمة الجناة والمتآمرين »

وانعقدت المحكمة العسكرية ، وجعلت جلساتها سرية ، وسمعت شهادة ١٣٨ شاهداً ، ثم سمعت مرافعة المدعى العام الذى أثبت أن مصرع الرئيس لنكولن لم يكن إلا جزءاً من مؤامرة خطيرة ضد سلامة الدولة وأمنها ، دبرها الزعيم جفرسن ديفيس وأعوان له مقيمون فى كندا ، وليس جون وايلكز بوث إلا أداة من ادواتها وطلب الحكم باعدام جميع المتهمين

ودافع المتهمون عن انفسهم فذكر لانجلن وآرزروث انهما رفضا ان يشتركا فى الجريمة ، وقرر الطبيب « ماد » انه ابى ايواء بوث فى بيته بعد ان وقف على حقيقته ، وانه اذا كان قد اسعفه ببعض العلاج فلأن مهنته تقتضيه ان يعالج كل مريض يلجأ اليه . وحاول باين ان يتظاهر بالجنون فظل يهرف بكلمات وعبارات لا معنى لها ولـكنها لم تنطل على احد من القضاة

وانسحبت المحكمة للتشاور ثم عادت فاصدرت حكمها بالاعدام شنقاً على جميع المتهمين ماعدا الطبيب «ماد» ولانجلن ، فقد خرجا من تلك المحاكمة الرهيبة بحكم يقضى بسجنهما عشر سنوات

حسن الشريف



حاسب نفسك

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

نجاحك مقيم فى خلايا دماغك . فاذا عرفت كيف تستخرج منها الحكم الصائب نجحت فى عملك

خلايا الدماغ المركزية عدة التفكير ، فاذا حافظت على سلامتها من العطب وأحسنت استعمالها جرى التفكير فى الطريق القويم الى الحكم الصائب

ولكن . من أنت يا ذا الذى يحافظ على سلامة هذه العدة ويحسن استعمالها ؟

أنت ذات مركبة من ثلاث ذرات : عقل يفكر ، وضمير يدرب ، وارادة تنفذ . فاذا كانت هذه الثلاث سليمة ، سلمت من الزلل

ألا تعتقد أن معظم الحوادث السيئة نتيجة سوء التدبر ــ سوء التفكير ، وخراب الضمير ، والارادة المصابة بالتخدير ــ ولكن قليلا من النكبات سببه المقادير

فاذا فشلت فى عملك أو انتابتك نائبة فابحث عن السبب فى خليات دماغك أولا

رسوبك فى الامتحان المدرسى ، أو خيبتك فى مشروعك ، أو خسرانك مالك ، أو عقم جهادك فى عملك ، وحتى زلل قدمك ، أو اصطدامك بسيارة او وقوعك فى حفرة أو مرضك او اعتلالك ، كل ذلك سببه اعتلال او اختلال وقتى فى خلايا دماغك

جميع الحوادث المشئومة التى تحدث فى المجتمع ناجمة عن اعتلال العقول والضمائر والارادات ، لأن لنظم الكون والطبيعة والاجتماع سنناً ثابتة لا تتغير إلا فى أحقاب او ادهار او عصور . فاذا راعيتها فى تفكيرك رعاية منطقية فقل ان تضل عن الصواب . وإذا كنت تجهلها أو تجهل بعضها فما انت الانسان الناضج ، انما أنت (لا مؤاخذة) الطفل الذى لم يقبل دماغه اختباراً ولا تعليماً ولا تثقيفاً بعد

كيف تحسن التفكير ؟

قدرة التفكير معادلة لسعة المعرفة . بقدر ما لك من المعلومات تستطيع المقايسة والاستدلال والاستنتاج للتوصل الى الرأى السديد والحكم الصائب . اذن يجب أن ينحصر تفكيرك فى دائرة معلوماتك . فاذا تطاولت الى ما هو خارج عنها وجب عليك ان تستزيد معرفة واطلاعاً . اعنى انك إذا طمحت الى التفكير فى امر لا تعلم عنه إلا اليسير وجب ان تستطلع عنه الخبير ــ الكتاب أو المعلم او ذا الخبرة فيه ــ وإلا ضالك الفكر المستقل

لا يُنسدر قط أن تجهل انك جاهل . قد تظن انك عالم بجميع أحوال الموضوع أو المشروع الذى تفكر فيه لكى تحل قضيته وتحكم بصلاحيته أو فساده . فاذا استقللت بتفكيرك واعتمدت على معرفتك القاصرة ونفذت حكمك ، فلا تلبث أن تفشل فى عملك ، وثم تكتشف جهلك وجهلك لجهلك . لذلك حاذر أن تقدم على تنفيذ حكمك قبل أن تستشير فيه من تظنه أوسع منك علما وأكثر خبرة ، أو تناقش فيه غيرك عسى أن تكتشف أموراً كنت تجهلها فتستدرك تهوراً كنت موشكا أن تتهوره . مهما كنت واثقاً من معرفتك ، فافترض أنك تجهل أموراً يجب أن تعلمها لكى تستتم استعدادك للحكم فى قضيتك . إذن ، الآية الذهبية فى التفكير هى « لا تتسرع » . أشرف على الموضوع اشرافا اجمالياً أولا . ثم أنعم النظر فى كل جزء من أجزائه . لا تنفر من نقد غيرك لك . فكثيراً ما تكون النصيحة فى ثنايا النقد ، حتى ولو لم يقصدها الناقد . لا تقبل النصيحة بلا تمحيص ، فقد تنطوى على خديعة

اقرن العقل بالبداهة ، كل منهما مرشد للآخر . لا تنفر من التجديد المرغوب . ولا تتشبث بالتقليد المتحجر لئلا تنكسر فى محاربة سنة الرقى الاجماعى التى لا تقاوم

الأساس الراسخ ــ الضمير

العمل الذى لا يقوم على قاعدة الحق متزعزع وعرضة للحبوط ، بل هو حابط لامحالة

الفرد جزء من جماعة مرتبط بها ارتباطاً معنوياً ، أعنى أنه لا يستطيع أن يحيا مستقلا . هذا الرباط هو تبادل المنفعة المتعادل ، أعنى أنه يأخذ بقدر ما يعطى ، فاذا حاول أن يأخذ أكثر أو من غير أن يعطى تعرض لنقمة المجتمع ، واذا كان مرمى عمله أن يقنص حق غيره كان عرضة لأن يعاقب عقاب السارق أو المختلس ، وقد يكون عقابه فى نفس طبيعة عمله من غير حكم محكمة . المفلس تفليساً احتيالياً مثلا يخسر معاملة الناس له . وبخسرانها قد يخسر ربحاً كان مقدراً له فى طى عمله لو جرى فيه على قاعدة الحق

من ينصب لك ميزان الحق ؟ . الضمير ــ الضمير المدرب ــ حكم العقل فى طريق الحق

قد تفكر تفكيراً منطقياً صحيحاً فتصل الى رأى صائب يكفل نجاح مشروعك . ولكن اذا لم

يوافق الضمير على خطة المشروع فنجاح المشروع لا يضمن لك هناء الحياة

قد يفكر اللص بخطة سديدة لسرقة أو اختلاس . ويحتمل جداً أن تنجح الخطة وتتم السرقة. ولكن نجاحها لا يضمن سلامة اللص من حكم القضاء ، وان سلم منه فلا ينجو من نقمة المجتمع على الأقل . وقد ينجح ذكاء شخص شرير في استغلال أي شخص بريء ، ولكنه يخسر نفعاً أعظم كان مقدراً له فى خطة صالحة يرسمها ذكاؤه . إذن ، الطريق الأمين هو الذى يختطه الضمير السليم

ألا يمكن أن يضل الضمير عن الحق ؟ . . نعم - اذا كانت تخنقه اشواك الاهواء والاغراض

قبل أن تصدر حكمك أو تبت رأيك أو تقرر مشروعك أو توشك أن تجرى في عملك ، حاسب نفسك . هل أنت سليم من شائبة التغرض والتحيز والتشيع

تجرد من موقفك وضع نفسك موضع الضد . ثم سل ضميرك : هل هو مرتاح الى الخطة التى رسمت ؟ والى عواقبها ؟ قدم الحقيقة على العاطفة ، والواقع قبل هوى النفس

يجب أن يكون كلامك وعملك حاملين كل فرد من الناس على حسن الظن فيك . حاذر من تأثير العصبية الجنسية أو الدينية في ضميرك. فقد يكون للاجنبى عنك حق عليك ، وتعصبك يحجب هذا الحق عن ضميرك . آمن بالشخصية لا بالجنسية . لا تغتر بشهرة فقد تكون وقتية . اعتصم بالنبل الشخصى

تعلم من المرأة كما تتعلم من الرجل . لكل منهما رأى وخبرة على السواء . ضع نصب عينيك ضرورة التعاون المتبادل والانتفاع المتكافىء . اذكر تآخى أفراد الجنس البشرى ، فهو سنة الاجتماع التى لا تنقض

ادارة الارادة

اذا اتفق العقل والضمير بعد التفكير والتروى الكافيين والموازنة ، لا يبق عليك إلا الاقدام

التردد آفة النجاح . الشجاعة نصف القوة فى التنفيذ

اقل حيرة او تردد يلاشى كل القوة . لا فائدة من عمل يجرى فى طريق الريبة أو الشك

اذا تغلب الشك فالرجوع عن العمل اصوب . والعودة الى التفكير والدرس والتروى والاستطلاع والتمحيص أسلم عاقبة . الشك نذير بأن المشروع لم يدرس جيداً ولم يحكم فيه الحكم الصائب أو لم يكن الضمير حراً فى تقريره . يجب أن تقرن الشجاعة بثقتك فى رأيك

توسط بين التشاؤم والتفاؤل الى أن تصل الى النتيجة . التشاؤم نذير محذر . والتفاؤل مشجع ولكنه أحياناً مغرر . الغرور آفة تطبيق العمل على العلم . فاحذره

طالع هذا المقال غير مرة . وحاسب نفسك وسائلها : هل أنت سالك حسب هذه التعليمات ؟ وإلا فهل تنبهت الى اخطاء فى سلوكك فتصلحها ؟

راقب نتائج أعمالك عسى أن تكتشف أسباب نجاحك فيها أو خيبتك

نقولا الحداد

ألقيت هذه الكلمة فى الحفلة التى أقيمت فى حلب تكريما لشاعر الاقطار العربية الاستاذ خليل مطران برئاسة الامير الجليل مصطفى الشهابى فى نادى الشبيبة الكاثوليكية

خليل مطران

المدرسة الحديثة في شعره

بقلم الاستاذ اسعد الكورانى المحامى

كل من درس الشعر العربي يراه دائراً حول موضوعات ذاتية محدودة كالفخر والمدح والرثاء والهجاء. ولم يخرج شعراء العرب عن هذا الأفق الضيق من الحياة، وكلما مضى قرن وجاء قرن، سار الشعراء على النهج الذى وجدوه، فنظموا كما نظم أسلافهم بلا تغيير ولا تبديل، وها هو ذا تاريخ الآداب العربية وما يحويه من نظم الشعراء ناطق بتأييد ما أقول. واذا كان بعض الشعراء كابن الرومى مثلا قد شذ عن هذا الأسلوب فى القليل من شعره، فالفضل فى ذلك ـ كما يدل عليه البحث العلمى ـ يعود الى تأثير الآداب الفارسية واليونانية

خليل بك مطران

والقصيدة فى الشعر العربى لاتدور حول موضوع واحد، والشاعر فيها ينتقل من موضوع الى موضوع على ما بينهما من بون شاسع وفرق كبير. ومن الممكن تقسيم القصيدة العربية الى أقسام لا صلة بينها، كل قسم منها خاص بموضوع مستقل. وكثيراً ما اشتهرت القصيدة عند العرب ببيت أو بيتين فنسيت القصيدة وخلد البيت

لا أقصد من هذا القول الحط من شأن الشعر العربى، فان هذا الشعر زاخر بالآيات البينات فى الوصف والحكمة والفلسفة. وقد أجاد شعراء العرب فى هذه الموضوعات، وبلغوا فيها منتهى الاتقان، إلا أن هذه الموضوعات لم تكن وحدة قائمة بذاتها، بل كانت فى الأغلب تأتى فى قصيدة مدح أو رثاء. ولم تكن غاية الشاعر متجهة اليها، بل الى الغرض الذى يرمى اليه من مدحه ورثائه

هذه هى الصفة العامة التى تميز الشعر العربى عن الشعر الغربى . ولا يسع الباحث المنصف إلا أن يقر بأن كثيراً من الموضوعات الشعرية التى تحتاج الى الخيال الواسع ، ولا سيما الملاحم ، مفقود فى الشعر العربى . وسبب ذلك ان الشاعر العربى ذاتى لا موضوعى ، فهو لاينظم فى موضوع قائم بنفسه كما يفعل الشاعر الغربى ، بل ينظم فى الامور الذاتية المجردة . ومن هنا كان الشعر العربى إلا أقله منحصراً فى المدح والرثاء والهجاء . وكانت القصيدة الواحدة مفككة الاجزاء لا ترتبط بوحدة الموضوع . ولما نهض الشعر العربى نهضته الحديثة بعد العصور المظلمة التى مرت على الآداب العربية ، سار الشعراء على نهج أسلافهم القدماء . فلما جاء خليل مطران شذ عن هذا النهج ، فأخذ ينظم فى موضوع واحد وصارت القصيدة عنده وحدة مرتبطة الأجزاء

ومن الانصاف للأدب والتاريخ أن نقول إن خليل مطران رأس حركة جديدة فى تاريخ الآداب العربية ، وانه قد حول مجرى الشعر العربى من الذاتية الى الموضوعية . فلقد تجرد عن ذاتيته ونظم في الامور الموضوعية فكان شعره متحد الأجزاء كامل الوحدة

نقرأ قصيدة لخليل مطران فاذا بنا أمام فكرة استلهمها من التاريخ ، أو من حادثة شاهدها ، أو ذكرى مرت عليه ، فصاغها بخياله الواسع شعراً . وهو لا ينسى هذه الفكرة من أول القصيدة الى آخرها فهي في كل بيت من أبياتها . والقصيدة عنده وحدة كاملة لا يحذف منها بيت ولا يقدم بيت على بيت . فانظروا الى قصيدته التى نظمها بعنوان « السور الكبير فى الصين » والى قصيدته فى قلعة بعلبك . والى قصيدته « العقاب » وقد نظمها فى ديسمبر سنة ١٩٠٠ وقال فى تقديمها : « إنها واقعة جرت فى مصر لاحدى الأسر المثرية تسلسلت من عهد اسماعيل حتى انتهت بالفاجعة الموصوفة فى القصيدة » والى قصائده « الوردة والزنبقة » و « النساء » و « الجنين الشهيد » و « غرام طفلين » و « فتاة الجبل الاسود » فانكم اذا قرأتم هذه القصائد وغيرها مما هو موجود فى ديوانه المطبوع فى أوائل هذا العصر والذى نرجو أن يعاد طبعه ، لوجدتم كل قصيدة من هذه القصائد متحدة الأجزاء تدور حول موضوع واحد

على أن خليل مطران لم يشأ ان يقطع الصلة بينه وبين أسلافه ومعاصريه فنظم فى التهانى والرثاء والمدح والتكريم أيضا . والحق أن الانسان مهما أراد أن يتجرد من ماضيه وحاضره فلا بد من أن يؤثرا فيه شاء أم أبى . وضرورات الحياة الاجتماعية تدعو الشاعر أو الكاتب فى بعض الاحايين الى مماشاة معاصريه والسير على مناهجهم وتضحية فكرته الخاصة فى هذا السبيل

لقد كان خليل مطران يدعى الى حفلات الرثاء والتكريم فكان مضطراً الى تلبيتها والقاء الشعر فيها مسوقا الى ذلك بما بينه وبين المكرمين والداعين من أسباب الحياة ودواعيها . وقد اعترف خليل مطران بهذه الحقيقة فى حديث له مع الهلال قال فيه :

« عندى نوعان من الشعر ، شعر الطلب فى المدح والرثاء ونحوهما وهذا لا يكلفنى مجهوداً لانى لا أعتنى فى اتقانه فأكتبه كما يتفق . » (١)

والواقع أن هذا النوع من الشعر أبعد ما يكون عن الشاعرية الصحيحة . والحق أن الشعر العربى قد أفسدته المناسبات الطارئة فصار الشاعر مكلفا بنظم الشعر فى الظروف التى لا تمت الى الشعر الصادق بصلة أو نسب . فاذا أردنا ان نعرف خليل مطران حق المعرفة فعلينا بشعره الفنى البعيد عن المناسبات ففيه تتجلى شاعريته ويعرف قدره . هـذه هى منزلة خليل مطران فى الشعر العربى قديمه وحديثه . وهى كما رأيتم منزلة الانشـاء والابتكار . فهو بلا شك منشىء المدرسة الشعرية الحديثة التى نرجو لها من الازدهار مايساعد على أداء رسالتها خير أداء

لما مات حافظ ابراهيم واحمد شوقى كتب الدكتور طه حسين مقالا فى احدى الصحف العربية قال فيه إن إمارة الشعر قد انتقلت بعد وفاة الشاعرين الكبيرين من مصر الى العراق . فهاج هذا القول أدباء لبنان ، فكتب أحدهم ـ وأظن انه الاستاذ ابراهيم سليم النجار ـ مقالا انتقد فيه رأى الدكتور طه أشد الانتقاد ، وقال كيف تنتقل امارة الشعر الى العراق وفى مصر خليل مطران ؟ وقد رد الدكتور طه على هذا الانتقاد بأن خليل مطران يختلف فى شعره عن شوقى وحافظ ، وأن مذهبه فى الشعر يباين مذهبهما فيه ، فمن الطبيعى أن لا يكون خلفاً لشوقى فى إمارة مذهبه

وللدكتور طه فى شعر خليل مطران رأى أكثر وضوحا وبيانا نقتطف منه ما يلى :

« مطران ثائر على الشعر القديم ، ناهض مع المجددين ، وهو قد سلك طريق القدماء فلم تعجبه فأعرض عن الشعر ، ثم اضطر فعاد اليه ، وحاول ان يعود اليه مجدداً لا مقلداً . وهو ينبئك بأنه يعرض عليك فى ديوانه شيئاً من شعره القديم ،لتتبين به مقدار ما وصل اليه من التجديد . وهو متواضع لايزعم أنه بلغ من التجديد مايريد ، وانما يترك ذلك للذين سيأتون من بعده . وهو شجاع لا يعتذر ولا يتلطف ، وانما يعلن ثورته على القديم واغتباطه بالعصر الذى يعيش فيه وحرصه على أن يلائم بين شعره وبين هذا العصر

« وهو معتدل . فهو لايرفض القديم كله وانما يحتفظ بأصول اللغة وأساليبها فى حرية ، كما يتأثر القدماء فى اطلاق فطرتهم على سجيتها ، لا يكظم فطرته ولا يغشيها بالأستار الخداعة الخلابة . وهو فنى له فى جمال الشعر مذهب ان لم يكن واضحاً كل الوضوح ولا مبتكراً كل الابتكار فهو على كل حال مذهب قيم ، لانه يمثل شيئاً من المثل الاعلى الفنى فى هذا العصر ، فهو يكره هذا الشعر الذى تستقل فيه الأبيات وتتنافر وتتدابر ويريد أن تكون القصيدة وحدة ملتئمة الاجزاء » (٢)

اسعد السكورانى المحامى

---

(١) مجلة الهلال يوليو سنة ١٩٢٨ (٢) حافظ وشوقى للدكتور طه حسين . ص . ١٧

كتاب الشهر

كيف تسيطر على غرائزك

للكاتب الفرنسي الكبير هنرى دى مونترلان

يتحدث مؤلف هذا الكتاب عن طائفة من الغرائز ، تتحكم فى النفس البشرية ، وتستبد بمسلك الفرد ، وتجرده من خصائص الشخصية القوية . وهى غريزة الخوف من الحياة ، وغريزة حب الرفاهية ، وغريزة احترام أوضاع المجتمع ، وغريزة حب المرأة. فاذا استطاع الانسان السيطرة على هذه الغرائز كان هو الرجل القوى الصالح للحياة ، المعد لعظائم الامور

غريزة الخوف من الحياة

متى اطمأن الانسان الى حياته ، واستراح الى عمله ، وأمن غوائل الفاقة ، وأحس أن مستقبله المادى مكفول ، تحكمت فيه غريزة الخوف واستبدت به وصرفته عن الأقدام على عظائم الأمور . فهو عندئذ يخاف المغامرة لئلا يهدم نظام حياته ، ويخاف أن يتجدد لئلا يعكر صفو أمنه ، ويخاف أن يسلك طريقاً غير مألوف ، لئلا يتقوض صرح هنائه

وغريزة الخوف هذه تتمثل لا بعرض الجبن فقط ، بل بداء الأنانية ، وما يصدر عنه من استهتار وعبث ، وتوا كل وقناعة رخيصة ، بملذات وأحلام وضيعة تافهة

فالرفاهة وان كانت نسبية ، والأمن وان كان مؤقتاً ، يجردان الفكر من روح العزم وفضيلة المخاطرة ، ويحصران جهود المرء فى دائرة نفسه ، ويباعدان بينه وبين الحياة الرحبة العاملة تحت شمس الجرأة والاقدام

ولكن أية قيمة لساعات وأيام نقضيها فى سعادة سلبية ، وأرواحنا واهنة ، وعزائمنا خائرة ، وقوانا مضمحلة ، وأمثلتنا المقدسة العليا متجهة صوب الاستمتاع بلذة العيش الفاتر اللين فى دعة وسكون ؟

ان مجد الحياة فى أن تكون مفعمة بالمخاطر ، زاخرة برغبة التجدد ، حافلة بحوافز الرقي والتقدم ، غير مكترثة للألم العميق الذى تحدثه الحركة الدائمة ، والارادة المطردة الجبارة فى تأدية رسالة نبيلة أو القيام بعمل عظيم

فغريزة الخوف لا تحارب الا بغريزة الطموح

ومتى ألحدت نفسك ، وقضيت على إبائك وكبرك ، ودفنت مثلك الأعلى ، وعشت للتافه من

الأمور ، فانت عبد الخوف ، صريع الجبن ، لن يفيد الناس منك شيئاً ، ولن تعرف لذة الرجولة أبداً !

ولذة الاحساس بالرجولة كامنة فى فضيلة التحدى ـ تحدى القدر ، تحدى الألم ، تحدى الطوارىء أيا كانت ـ والتأهب لاحتمال شر الكوارث فى سبيل الخروج من حياة متشابهة راكدة آسنة ، لا صراع فيها ولا بطولة ولا جمال

فانبذ الرخيص من اللذات ، التافه الوضيع من الجهود ، وحمل نفسك فوق طاقتها ، واذهب فى تنشيط حيويتك الى حدها الاقصى ، وتفوق على انسانيتك ما استطعت ، تشعر فى تلك اللحظات أن نشوة الرجولة تخمد فى قلبك غريزة الخوف من الحياة ، كما تخمد نشوة الخمر فى نفس المحزون غريزة اللهو بحزنه ، والمبالغة فى تصور بؤسه وشقائه

والواقع أن طريق الصحراء المظلم الوعر المؤدى الى الواحة الغناء ، يخاف الناس أن يسلكوه مؤثرين الموت جوعا وظمأ بعد أن يستنفدوا كل ما معهم من طعام وشراب ، ولكنهم متى اقتحموه ، أنستهم الجرأة الخوف ، وكان لهم من شجاعتهم أمتع غذاء يعينهم على مواصلة السير ، ويعزيهم ، حتى لو خاب أملهم وضلوا الطريق ، وابتعدوا عن الواحة الغناء ، وخرجوا من صحرائهم الى صحراء !

فلا يقعدن بك الخوف عن تجربة حظك ، وتجديد آمالك ومطامعك ، ولا تتوهم أن الجبان يعيش ، فدود الأرض أيضاً يعيش ، ولكن قدم الانسان تسحقه ، كما خطت على الأرض خطوة تدل على رغبة جديدة فى العمل والكفاح !

غريزة ترفيه البدن

قال « سان ـ جوست » أحد أبطال الثورة الفرنسية : « ان الحياة لا تبدو شاقة غير محتملة إلا على الذين يتراجعون أمام رؤية قبورهم ويهابون الموت »

وانها فى الحق لفكرة رائعة أن يكون الانسان دائم الاستعداد للموت فى غير جبن أو تردد ان عصفت به أحداث الحياة . ومع ذلك فليست العبرة فى أن يتغلب الفرد على الاحداث باحتقار الموت والتأهب لاستقباله عند الاقتضاء ، بل العبرة كل العبرة فى أن يسيطر برجولته على تلك الاحداث والظروف ، ويطوعها لارادته ، ويسخرها لمصلحته ومصلحة الانسانية جمعاء

ولن يكون فى وسع الفرد النهوض بعمل كهذا وهو محكوم بأخبث غرائزه ، ألا وهى غريزة ترفيه البدن وتنعيمه والفصل بينه وبين مقتضيات الكفاح اليومى

فنحن نسرف الاسراف كله فى عبادة أجسامنا ، فى تقديس إطارنا المادى تقديساً يحجب عنا صورة أرواحنا . نحن نفتن فى تدليل ابداننا والعناية بها والحرص عليها وصيانتها من البرد والحر

والجوع والمرض والتعب . نحن لا نفكر إلا فيها ، ولا نعيش إلا لها ، ولا نستمتع إلا منها وبها . فاذا مافاجأتنا الظروف القاسية والاحداث المروعة ، وكان من واجبنا التفوق عليها واخضاعها ، عزت علينا أبداننا الناضرة وأجسامنا البضة المليئة الناعمة ، فتخاذلنا أمام قسوة الواقع ، وتراجعنا حيال الجهد الشاق ، وآثرنا الارتماء فى نعيم تلك الابدان على احراجها وتذليلها ورياضتها وارغامها على ما تكره وعلى مالم تتوقع من عنت الحياة وعسف القدر . ونحن نعلم علم اليقين ألا مفر لنا من طاعة أبداننا ، وانا مهما أهبنا بها فلا بد أن تخذلنا . ولهذا نفضل أن نحنو عليها ونبقى لها رفاهتها ونوفر لها أسباب راحتها ونعيمها ، ولو صرعتنا الطوارىء وسحقتنا الضرورات

فابداننا ألد أعدائنا ، وهى كالمرأة نقبل عليها فتستمرىء الاقبال ، ونحبها فلا ترضى منا بغير الجنون ، ونعطيها فتطلب المزيد ، وما نزال بها ندللها ونغدق عليها من آيات حبنا عجبا ، حتى نغيب فى أحضانها ولا نعود نفرق بين الموت والحياة

فالرجل القوى هو الذى لا ينسى أن بدنه حيوان برى جاثم فيه ، وان عليه أن يعامله معاملة حيوان برى ، فلا يقبل عليه إلا ليعرض عنه ، ولا يأمن له إلا وهو حذر منه ، ولا يعطيه إلا بقدر ويظل يروضه ويسوسه حتى يكسر من شرته ويلطف من حدته ويرده طائعاً صاغراً مقهوراً

ولن يتم هذا النصر على البدن إلا بالحرمان

فاحرم بدنك ما استطعت لذات الحياة ، جنبه أفانين الترف ، انفض عنه غبار الخمول ، حرره من ربقة الاعزاز ، جرده من وشائج التدليل ، ارفع عن بصره غشاوة اللذة ، لا تسرع بانقاذه من وطأة الجوع ، ولا صيانته من قارس البرد ، ولا بوقايته من لافح القيظ ، بل اتركه مفتح المسام لمختلف العناصر ، ودعه يخشوشن ويحيا حياة صارمة فى ظل عقله المدرك المتوقد الصارم

ومتى فرغت منه ، وائتمنته ، فلن تروعك الاحداث مهما عظمت ، ولن يفت فى عضدك نداء البدن المخنث ، ولن يخيفك الموت نفسه اذا قدر وواجهت طيفه فى لحظة من اللحظات

ولا يدخلن فى روعك أن هـذا الضرب من الحياة سيدل منك انسانا بآخر ، وينتزع من صدرك فضائل الطيبة والرحمة ، ويردك حيوانا برياً كجسمك ، ويقتضيك العيش فى غابة . إذ الواقع أنك لن تستطيع رياضة بدنك على الصورة التى أشرنا اليها ، إلا اذا اتبعت وحى فكر ثاقب ، وعقل راجح ، وذهن لامع متقد وقاد

غريزة احترام أوضاع المجتمع

ليس شك فى أن حياة المجتمع مستحيلة بدون تقاليد وأوضاع مقررة ، إذ الناس بطبعهم يكرهون التجديد ، ويخشون الفكر المتمرد الثائر ، ويستريحون لكل ما ألفوه من مبادىء ونظريات

ولو انهم أخذوا بالفكرة الجديدة أول ظهورها ، واستقبلوا صاحبها بالهتاف والتهليل ، ما قاست

الشخصيات الفذة مختلف ضروب الاضطهاد ، وما كانت هناك حاجة لبذل أية تضحية فى سبيل تطور الفكر البشرى

فالمجتمع يثبت على أوضاعه ، وصاحب الشخصية الكبيرة يقاوم هذه الاوضاع . فكأن ثبات المجتمع واستمساكه بتقاليده ، خير امتحان لما ينطوى عليه تفكير العقل المجدد من خير واصلاح .

ولكن المجتمع لفرط اعتداده بالآراء والنظريات التى درج عليها ، ولفرط اسرافه فى الاشادة بها والدفاع عنها ، يخلق فى معظم الافراد احساسا عميقا يوحى اليهم احترام كل ما يصدر عن المجتمع سواء أكان خطأ أم صوابا

فنحن فى حياتنا اليومية عبيد المجتمع ، نقر ما يراه الغير ، ونصدق ما يقوله الغير ، وما دامت الأغلبية أجمعت فنحن نجمع ، وما دامت قد آمنت فنحن نسلم ونؤمن

وتلك هى غريزة احترام أوضاع الجماعة ، تنبع من رغبتنا الشديدة فى مسايرة حكم الاغلبيات الساحقة ، وفى الحرص جهد الطاقة على مصالحنا ، وفى تجنب الاصطدام بالعرف القائم ، الواقف لنا بالمرصاد يسجل علينا تفكيرنا المستقل ويحاسبنا عليه حسابا عسيراً

غير أن هذا الاحترام المطلق لاوضاع الجماعة ، يهدد الجماعة نفسها بالتدهور والانحلال إن هى اتخذت منه فرضاً وعقيدة ، ويهدد الفرد بالموت المعنوى البطىء ان هو أسرف فيه ، أو نسى أو تناسى أنه غريزة قوية عنيفة عليه أن يكافحها

فعقلك لن ينمو حتى يفوق رقيك رقى المجتمع الذى تعيش فيه ، وذهنك لن يتحرر حتى تصبح حريتك أوسع مدى وأرحب أفقا من حرية المجتمع الذى تعيش فيه

ولن يزدهر عقلك ، وتخصب حريتك ، وتنقذ نفسك من ذل الاحترام الشائن للأفكار والتقاليد والمعتقدات البالية التى يقدسها المجتمع ، إلا يوم أن تستبدل احتراما باحترام ، وتعقد العزم على احترام رأيك قبل رأى الآخرين ، وعلى تكوين فكرك قبل الخضوع لفكر الآخرين ، وعلى الانصات لصوت عقلك وضميرك قبل الاصغاء لثرثرة الآخرين . ومتى تم لك التمتع باستقلال فكرك ، واجتزت مرحلة الحرية الاولى ، كان عليك أن تستجمع قواك وتجوز المرحلة الثانية وهى الأشق ، وأعنى بها مرحلة المظاهر والاشكال

فلقد تكون حر الفكر ، بارز الشخصية ، ثم يستخفك المظهر الكاذب ، وتطربك الأبهة الباطلة ، وتأخذك نشوة المنصب الرفيع والجاه العريض ، فلا تستطيع إلا أن تدفع ثمن هذه الأباطيل من عصارة فكرك ، وخالص حريتك ، فترتد عبداً للجماعة بعد إذ كنت قد سموت عليها بعقلك فى جهاد مرهق طويل

فانبذ الاشكال والمظاهر فهى مجلبة السخرية للرجل الرصين ، وهى فخ نصب للرجولة ، وهى مهواة سحيقة يتردى فيها الفكر الحر والذوق السليم

واعلم انك لن تؤكد استقلالك إلا بتوكيد رأيك وميلك ومنزعك فى أى وسط كان ، وفى أية بيئة كانت ، ودون ما اكتراث لرأى هذا الوسط فيك ، وفكرة تلك البيئة عنك ، وما يمكن أن تجره تصرفاتك المستقلة من سخط الناس عليك وتبرمهم بك وكراهيتهم لك

فتغلب على قطيع النوكى والصعاليك من عباد الاصنام الفارغة ، والتقاليد البائدة ، وتحداهم فى عزم وأدب وعدم احتفال ، وافرض عليهم احترام شخصك ، وكن ارستقراطى الروح لا المظهر ، يجلك الناس وقد يدينون لك آخر الامر بالطاعة ، شعوراً منهم بأنك تفوقت عليهم لا بالفكر فقط ، بل باحتقار المظاهر والاشكال التى تمثل فى نظرهم أغلى متع الحياة وأثمنها

غريزة حب المرأة

كانت المرأة والدتك وستصبح فى غد زوجتك ، فانت مشدود اليها ، وغريزتك تطلبها ، وليس فى وسعك الاستغناء عنها . ولكن المرأة مخلوق لا يرحم . المرأة تطلب كل شيء ، ولا يقنعها شيء ، ولا تهدأ وتطمئن حتى تستولى على كل شيء . فالحب غايتها ، وحيازة الرجل قبلتها

واما انت فغايتك العمل ، وقبلتك السيطرة على الحياة

فاحذر المرأة وما تحمل من شهوة تذيب العقل ، وتجفف القلب ، وتلهب الحواس ، وتنهك الاعصاب ، وتذهب بنشاط البدن ونضرته وقوته

ان عبقرية المرأة تتمثل فى قدرتها الخارقة على اضعاف كل مقاومة ، واستنفاد كل قوة ، وغمر الرجولة النابضة المتوثبة ، فى محيط الآمال والاحلام والخيالات واللذائذ ، ومختلف أوهام الحواس ، والمخيلة التى تشيع فى النفس البلادة وتقطع الصلة الوثيقة بين الرجل وفروض الحياة

المرأة تحبك لا لشخصك ، ولا لعملك ، ولا لنبوغك ، بل لنفسها . وأقصى أمانيها أن تفنى فيها كما هى متأهبة للفناء فيك ، فان تمردت على هذا الاسلوب فى الحب ، اتهمتك بالفتور والخيانة ، وانطلقت تحاورك وتداورك وتفتن فى اغرائك حتى تتمكن منك ، وتجعل فناءك فيها وفى عاطفة الحب مثلك الأعلى !

فاذا شئت توديع الحياة ، وحصر جهودك فى ارضاء مخلوق واحد ، وتحقيق سعادتك بواسطة مخلوق واحد ، مخلوق متقلب متلون مطبوع على القسوة والانانية والاستبداد ، فأحب المرأة واستسلم لها وألق اليها قيادك ، ولكن لا تذكر بعد ذلك أنك رجل ، وان حياتك اليوم كانت أسعد منها بالأمس

لاسعادة إلا متى اقترن الحب بالرجولة ، ومتى حيل بين الحب وبين القضاء على الرجولة . واذن فالصداقة هى التى يجب أن تنشدها لا الحب ، صداقة المرأة العاقلة المثقفة المعتدلة فى عواطفها ان أمكن الفوز بمثلها ، وإلا فصداقة الرجل الذى يفهمك ويعرف كيف يبادلك فكرك ويشجعك

على استطراد جهادك بدل أن يعطل نموك وينفث فيك سم البلادة والخور

فابحث عن امرأة تكون رفيقة لعقلك ، قبل أن تكون متعة لشهوتك . ابحث عن الزوجة الصديقة لا الزوجة العاشقة المفتونة الولهى . وإلا فخير لك ألا تتزوج وألا تحب ، وأن تكتفى بصداقة رجل مثلك تحسن اختياره وتشعر باصداء ذهنك وقلبك تتجاوب فى ذهنه المتوقد وقلبه الكبير

ولن تستطيع أن تجعل من نفسك صديق المرأة التى تحبها ، ولن تستطيع أن تجعل منها صديقة لك ، وتحملها على الاهتمام بفكرك أكثر مما تهتم ببدنك ، إلا متى تمكنت أنت نفسك من كبح جماح حواسك ، والتسلط على شهواتك ، وتغليب مطالب فكرك على مطالب بدنك ، ووضع فضيلة الصداقة فوق نزغات الحب

وهذا كله فى مقدورك أن تشعر به وتروض طبعك عليه لو تدربت على الرياضة البدنية وذهبت الى ملاعب الرياضة واختلطت بالرياضيين وشاهدت بعينيك كيف تكون صداقة الرجل القوى للرجل القوى

ان فى ملاعب الرياضة أجساما عارية منصوبة القامات عريضة المناكب متوترة العضلات ، تغريك بالقوة والصحة وتنفرك من الحب الشهوى الرخيص عدو القوة والصحة

وفى ملاعب الرياضة يقدر الرجل الرجل ، ولا يخون الرجل الرجل

وفى ملاعب الرياضة يقدس الرياضيون فضائل الشهامة والصراحة والأمانة

وفى ملاعب الرياضة يعقد الرجال أواصر الصداقة النزيهة القائمة على تبادل التقدير والاعجاب

فى مدرسة البطولة هذه ، تتعلم كيف تكبح نفسك ، وكيف تنعم بلذة القوة والصحة فوق لذة الشهوة ، وكيف تقدر الصداقة أضعاف تقديرك الحب ، وكيف تحاول البحث عن امرأة لا يخمد حبها فى كيانك عناصر الصحة والقوة والصداقة التى لا بد لك منها لتحتفظ برجولتك وتؤدى واجبك وتنهض بأعمالك على أكمل وجه مستطاع

فاحذر المرأة وغرامها ، وقاومها حتى تحترم صحتك وقوتك وتصبح صديقة لعقلك وروحك . فاذا ما نجحت فلك أن تعشقها ، فهى عندئذ خير قوة تعاونك على السعى والجهاد !

***

هذه هى الغرائز الأربع ، الكامنة فيك ، المستقرة فى تضاعيف بدنك ، المندسة فى أطواء عقلك الباطن ، تصرف غرائزك الاخرى وتتحكم فيها وتوجهها أى الوجهات تريد . فلو أنعمت النظر فيما تقدم ، واكتنهت أسرارها ، ثم وفقت لكبحها والتغلب عليها ، فأنت الرجل القوى ، الصالح للحياة ، المعد للعظائم ، المبشر الناس بامكان خلق روح جديد ، وجيل جديد ، يسبق وقوع المعجزة ، ويتقدم ظهور الانسان الاعلى !

قصة ملخصة

الجاحد

للروائي الفرنسي جان فونتان

حاول المؤلف أن يركز حوادث هذه المأساة المروعة ويحصرها ، ليضاعف تأثيرها ويصب ضوءا ساطعا على جوهر نفسيات أبطالها . ووجه الطرافة فى هذه القصة ، أن الماضى يقترن فيها بالحاضر ، ويوجهه ويستبد به من خلال الحوادث المتعاقبة ، فى سرعة لاتدع مجالا لاعتراض أحكام القدر (المحرر)

أغلقت مدام كلاريون أبواب البهو الكبير وهى ترتجف ، ثم كرت راجعة الى حيث كان يجلس هنرى فى زاوية قصية من زوايا البهو . ولما اقتربت منه ، رمقته بنظرة فاحصة وهزت رأسها ، ولم تعرف كيف تبدأ الحديث

وكان هنرى معتمداً رأسه بين يديه ، مستغرقا فى تفكيره ، مطلقا العنان لخواطره ، فعند ما شعر بها مقبلة عليه ، تحرك فجأة وتطلع اليها فى شبه ذهول ، فتلفتت كأنما هى تخشى عين رقيب ، ثم استجمعت قواها وكبحت جماح نفسها ، وانحنت على الشاب وطوقته بذراعيها وقالت :

— وما تجدى القبلات ؟ . . أهـذا كل ما يطلبه حبك ؟ . . اذا كنت تقنع بالفتات فانا لا أقنع ! . . لقد أشقيتنى وسلبتنى راحتى ووهبتنى حباً أود الحياة من أجله ، والموت فى سبيله ! . . كلا . . لن أسلم بشىء ولن أصبح لك حتى اطمئن الى سـعادتك والى السعادة التى أحلم بها فى أحضانك . وكيف نـكون سعيدين والمال ينقصنا ، والثروة العظيمة يستمتع بها غيرنا ؟ . . كلا . .

فزفر الشاب زفرة حرى ، فقالت ساخطة :

— أهذه حياة ؟ .. أنت لاتجد مالا يمكنك من التمتع بشبابك .. أنت تعيش عالة عليه ، وهو لايرغب إلا فى التخلص من نفقاتك ! . . وأنا أعيش أيضا مما يتصدق به على ! . . أعطيته كل شىء . . وهبته كل ما أملك . . أسندت اليه ادارة المصنع بعد وفاة أبى ، فاستولى عليه وأقصانى واستغله لا لمصلحتى ولا لمصلحتك ولا لمصلحة الأسرة ، بل لمصلحة تلك المرأة التي يعبدها والتى سلبت لبه وسـيطرت على كل جارحة فيه ! نحن عبيد تلك المرأة ! . . وماذا يحدث فى الغد لو اضطهدنى ونكل بى وخيرنى بين الطلاق أو حياة العذاب والذل ، ماذا يحدث لو أصبحت تلك

المرأة قرينته ؟ . . أيمكن أن تجود عليك فى ذلك اليوم بفرنك واحد ، أيمكن أن تبقى عليك ، أيمكن أن تعيش أنت فى هذا القصر وهى ربته ، وتجنى من ثمار المصنع ماتشتهى وهى قابضة عليه وعلى قلب صاحبه ؟ . . انها الآن عشيقة فحسب ، ومع ذلك فهى تحرمنا كل شىء . فماذا يكون لو أصبحت زوجة محبوبة آمرة ناهية ؟ ... فكر ... تأمل ... أنت شاب لم تألف العمل ، ولم تألف الجهاد ، ومن حقك أن تعيش وتتمتع لأنى أحبك ولأن المال الذى ينفق على تلك المرأة هو مالى ، ولأنك أحق به من رجل أذلنى وخدعنى وغرر بى !

فتطلع اليها الشاب مذعوراً ، ثم نهض وجعل يذرع الحجرة وهو شارد البصر

وبعد أن انقضت بضع دقائق ، مشى اليها وتناول يدها وطبع عليها قبلة طويلة ثم غمغم :

— أما من سبيل آخر ؟

فقطبت حاجبيها ونفرت منه ، وطوت ذراعيها الليثتين وقالت شامخة متأبية :

— ان الفوز بامرأة مثلى يتطلب كثيراً من التضحيات ياهنرى ! .. وانها لاهانة لى أن تعتقد امكان الظفر بى دون اقدام على عمل جرىء ! ولقد كنت أثق بشجاعتك ، وأتخيل أن الحب سيجعل منك رجلا آخر ، ولكنك غير ما كنت أتصور . . . أنت متردد ... أنت لا تحبنى . . . أنت جبان !

فانتفض الشاب وشخص اليها مبهوتا ، ثم أمسك بذراعها وجعل يهزها هزاً عنيفاً ويقول :

— كفى . . . كفى . . . اصمتى !

فأرسلت ضحكة قصيرة حادة ، ثم استطردت جادة وصوتها الناعم يتهدج

— كنت معقد أملى . . . أردت أن أهبك جسمى وقلبى وحياتى بأسرها وتاج ذلك المصنع الذى يدر الذهب على سوانا ، ويتحكم فيه مخلوق دخيل بغيض ، ولكن أملى قد خاب ، وحلمى قد تبدد ، ولم يعد فى مقدورى إلا أن أستسلم لطالعى المنكود . فاذهب ، اذهب يا هنري

ودفعته بذراعها وأجهشت فجأة بالبكاء ، فروع الشاب وفقد صوابه وطوقها بذراعيه ، ثم جثا أمامها وطفق يقبل أطراف ثوبها ويردد كمخبول :

— لن تعيش سونيا ! . . لن تعيش ! .. لن تعيش !

فأسبلت مدام كلاريون جفنيها ورشقته من خلال أهدابها الطويلة بنظرتها المتفحصة المائلة ، ولما أبصرته مشرئب العنق جاحظ العينين متوتر العضلات ملؤه الارادة والعزم ، قالت :

— متى ؟

فنهض لفوره وقال وهو يحدق اليها :

— الآن ! . . الليلة !

وعندئذ انبسط محيا المرأة وأومض فيه الفرح ، ففتحت ذراعيها وضمت الشاب الى صدرها

وعانقته فى عنف وهتفت : « لأجعلن منك أسعد رجل ! »

ثم أفلتت منه وأسرعت الى المنضدة الصغيرة وصبت له خمراً فى كأس ، ثم عادت تحمل الكأس وتضحك وتغنى أنشودة شائعة كأن لم يحدث بينها وبين الشاب شيء ، وكأنها لم تحرضه الساعة على ارتكاب الجريمة المروعة

***

ولم تكن هذه أول مرة حرضت فيها مدام كلاريون ذلك الشاب المفتون على ارتكاب تلك الجريمة . فلقد أشعرته برغبتها منذ أيام ، فأيقن أنه لن يفوز الا متى لبى نداءها وتخلص من سونيا ، ولقد باعت مدام كلاريون جزءاً من حليها ومجوهراتها وأعطته المال فأغرى به صيدلياً من اصدقائه ، هيأ له سماً زعافا لا يحدث فى الجسم ألماً ، ولا يخلف فيه أى أثر ظاهر . وكان هنرى يحمل فى جيبه زجاجة السم ، ولكنه كان كعادته خائر النفس واهن العزم ضعيفاً متردداً ، يخشى العواقب ويتخبط بين حبه الشديد للمرأة وحبه الشديد للمال والترف والسطوة ، وبين خوفه العميق من افتضاح أمره وفقدان مكانته الاجتماعية ، والعادة الرائعة التى يحب ، فما خاطبته مدام كلاريون بتلك اللهجة العنيفة وحقرته فى عين نفسه ، وأوشكت ان تقطع كل صلة لها به ، جن جنونه ، وزايله ضعفه ، وحلت فيه شجاعة طارئة غريبة لم يعهدها فى شخصه من قبل

أراد ان يحتفظ بكبريائه ، ويدلل على رجولته ، ويبرهن على صدق حبه بمغامرة تخضع له قلب حبيبته ، وتمكنه من بسط سلطانه على المرأة والمصنع والقصر

وأدركت مدام كلاريون بغريزتها أن نفس الشاب قد تحولت ، فغمرته بعطفها وحنانها ، ومنحته من القبل ما ضاعف نشوته ، ومنته بكل ما يشتهى ، ثم فتحت باب الصدر فى رفق ، وأومأت باصبعها الى الغرفة الكائنة فى أقصى المشى الطويل ، ثم فتحت ذراعيها مرة ثانية وعانقت الشاب فى عنف كأنما هى تودعه صفوة ارادتها وتنفخ فيه روح البطولة والعزم

واختفى الشاب فى الدهليز المظلم ، وانسلت المرأة الى مخدعها ، ونضت عنها ثوبها ، ثم انطرحت لحظة على الفراش وخفقان قلبها يكاد يخنقها ، ثم نهضت واتجهت صوب النافذة المفتوحة واتكأت على حافتها ، ورمت ببصرها نافذة كبيرة منخفضة تشرف على الحديقة ، وظلت تتأملها وتنتظر

وكانت الساعة قد بلغت الثانية بعد منتصف الليل . وكان الجو حاراً خانقاً ، وأشجار الحديقة جامدة هامدة ، وأبنية المصنع تلوح عن بعد كأشباح رهيبة عليها غلائل بيضاء

وكأن أبنية المصنع أثارت كوامن حقد المرأة ، وألهبت قواها العاقلة ، فأرسلت نفساً مستطيلا وشرعت تفكر فى الماضى وعينها تخترق الظلمة ، ولا تفارق النافذة الكبيرة حيث الحجرة التى ترقد فيها سونيا ! وطفقت تخاطب نفسها وهى تزفر :

« كان «ارمان» فقيراً معدما . كان كاتبا وضيعا فى مكتب محام . كان لا يحلم بالثروة أبداً ، وكان

كلما أبصرنى فى مكتب سيده يغض من طرفه احتراما ، ويحيينى فى أدب وإجلال ويسرع بالخروج . ولكنه كان جميلا ، كان أسود العينين ، دقيق الشفتين ، عريض الجبهة ، مديد القامة ، خمرى اللون ، يفيض صحة وشبابا وحياة ، فأحببته ، أحببته الى حد الجنون . أحببته واعترضت مشيئة والدى واقترنت به . وفى مثل لمح الطرف جعلت من هذا الفقير انسانا ، ومن هذا الصعلوك أميراً ، وهبته نفسى ، وأغدقت عليه مالى . وبعد وفاة والدى عهدت اليه بادارة المصنع ، ثم نزلت له عن جميع حقوق فيه ، ثم اطمأن قلبى لنزاهته ، وعرف كيف يفوز بثقتى فنزلت له عن القصر أيضا ، وأصبح هو المالك الوحيد لكل ما فى حوزتى . غير ان هذا الرجل الوضيع غدر اليوم بى ، أنكر احسانى ، جحد فضلى ، أصابنى فى صميم كبريائى ، وها هو ذا يقبض اليد عنى وينفق على عشيقته من مالى ، بل ها هو ذا يدعو عشيقته لزيارتى ويأويها الليلة فى مخدع كان فى يوم من الأيام مخدعى !

« انها هنا الآن ! . . انها تغط فى نومها كالحيوان الهادىء المكتظ ! ولكن الموت يرمقها ، ولسوف يبصرها زوجى جثة هامدة ويعلم علم اليقين ان هنرى ، ان شقيقه هو الذى قتلها ! »

وتنفست مدام كلاريون فى جهد وانحنت قليلا ، وأطالت التحديق فلم تر شيئاً

غاظها هذا السكون وأثار أعصابها ، وحول اتجاه تفكيرها ، فاستدارت وتحسست بيدها شيئاً كانت قد وضعته على مقعد خلف ستار النافذة ، ثم ابتسمت ابتسامة ملؤها العبث الشامت ، وعادت تخاطب نفسها قائلة :

— لا أظن أنه قد جبن ! وعلى كل فماذا يهم ، لو تراجع هو فسأتقدم أنا ، سأتقدم لفورى وأغامر بحياتى ومستقبلى وحبى غير آسفة على شىء !

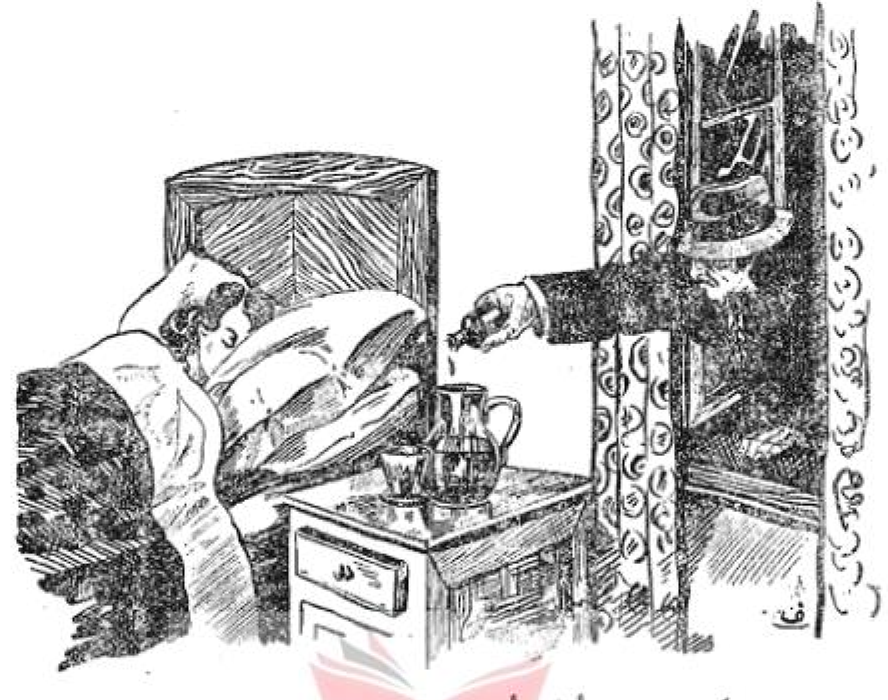
وفيما هى تنعم النظر وقد خيل اليها أنها استحالت الى طائر من طيور الليل التى لا تبصر إلا فى الظلام ، بدا لها أن الأشجار تضطرب ، والحديقة تتحرك ، وأن رأسا قد برز من خلال الأغصان وأن يداً ارتفعت وغابت فى جوف النافذة المفتوحة ثم ارتدت وضربت الأغصان فى عنف

عندئذ أحست مدام كلاريون أن كل شىء قد انتهى ، فهمت على الرغم منها بارسال صرخة فرح ، ولكنها أخمدت الصرخة فى صدرها ، وأسرعت فاغلقت النافذة ، وقربت اليها المقعد الصغير واسدلت عليها الأستار ، وفى تلك اللحظة طرق مسمعها وقع أقدام ، فمشت الى الباب وفتحته ، فالفت نفسها أمام هنرى وجها لوجه !

لم يجرؤ الشاب على الدخول . وقف جامداً منعقد اللسان ، مشعث الشعر ، ممتقع الوجه ، زائغ العينين ، يرتجف ، فاحتضنته ، وقالت وهى تلهث : « ماذا تم ؟ »

فاجاب بعد لحظة وهو متشبث بها :

— كانت مستغرقة فى نومها . لم تشعر بى . لم تتقلب . فصببت بعض النقط فى ابريق الماء الموضوع على المنضدة الصغيرة تحت النافذة



فصاحت مدام كلاريون : « أواثق أنت ؟ »

فاجاب صوت مهشم النبرات

— كل الثقة ! . ولكن من يدرى فقد لا تستيقظ ، وقد لا تشعر بحاجة الى شرب الماء

فضحكت مدام كلاريون ضحكا شيطانية وقالت :

— أنسيت انها تشكو داء السكر ، وأنها أبداً ظمأى الى الماء ؟ . ستشرب الآن . أو بعد قليل أو عند مطلع الفجر . فاطمئن يا حبيبي . وامسح هذا العرق الذى يكلل جبينك وعد الى غرفتك ونم بسلام

وضمته الى صدرها . ومنحته خدها . ثم نزعت فى خفة منديله الأبيض الحريرى من جيب سترته . ثم مسحت به وجهه . ثم القت بالمنديل على السرير . ثم طوقت الشاب بذراعيها وظلت تدفعه فى رفق الى الخارج وهى تهمس فى أذنه :

— ساكون لك . ساكون لك . وكل ما هنا سيصبح فى غد لك . أما الآن فيجب ان تذهب. يجب . يجب . اذهب ونم بسلام

فانحنى هنرى وقبل يدها واستدار واتجه صوب غرفته وهو يمشى كالنائم ، مسلوب الحول طائر اللب ، لا يفكر فى شىء ، ولا ينشد غير النوم العميق يصرعه ويبدد البقية الباقية من احساسه بهول ما فعل

ولم يكد ينصرف حتى ردت مدام كلاريون الباب فى هدوء ، ثم أغلقته بالمفتاح ، ثم تحولت الى فراشها واختطفت المنديل الأبيض الحريرى ودسته فى صدرها ، ثم القت على كتفيها معطفها الاسود وتقدمت بخطى ثابتة وئيدة وفتحت باب غرفتها الداخلى المؤدى الى حديقة القصر

هبطت الدرج وهى ترتعش ، ونحت عنها بحركة عصبية أغصان الشجر ، وانسلت على الارض الرطبة اللينة ، ولما بلغت النافذة الكبيرة حيث المخدع الذى ترقد فيه سونيا ، انطوت على نفسها ، وأرهفت السمع ، فأزعجها غطيط المرأة ، فتشجعت وأخرجت المنديل والقت به من النافذة ، فسقط بجوار المنضدة الصغيرة داخل المخدع

وتريثت مدام كلاريون وأنصتت فلم تسمع اي صوت ، فكرت راجعة الى حجرتها ، وصعدت درجات السلم بخطى خفيفة ، ثم أوصدت الباب الداخلى بالمفتاح أيضا ، ثم ارتمت على فراشها وتدثرت بغطائها وأسنانها تصطك وجسمها يرتعش

وأخذ الكرى يعاقد اجفانها . ولكنها جاهدت جهاد الابطال كى لا تستغرق فى النوم !

***

وانها لتحلم بهنرى. وتبتسم له ابتسامة ماكرة غادرة . واذا بها تنتفض مذعورة على صوت طرق متعاقب عنيف على باب الحجرة المجاورة

نهضت مسرعة وقد استشعرت حقيقة ما وقع . واندفعت نحو باب مخدعها المؤدى الى غرف القصر ففتحته . وعدت كالمخبولة حتى بلغت مخدع سونيا . وهناك أبصرت زوجها ارمان وخادم القصر العجوز « ارنست » واقفين تجاه باب المخدع ، يدقان عليه تارة ويعالجان فتحه أخرى ، ويناديان مدام سونيا فلا يجيبهما غير الصدى

اصطنعت مدام كلاريون الخوف والقلق ، وصاحت بزوجها الذى كان يحدق اليها كالمصعوق :

ـــ ادفع الباب بكتفك ! ثم تحولت الى الخادم العجوز وأردفت :

ـــ وأنت . اذهب وحاول ان تقفز الى الغرفة من نافذة الحديقة . هيا

وهرول الشيخ راكضا . وعاونت الزوجة زوجها فى دفع الباب حتى انفتح

وما ان توسطا المخدع حتى أبصرا الخادم يثب من النافذة متجنباً الاصطدام بالمنضدة الصغيرة التى وضع عليها ابريق الماء

واتجهوا صوب الفراش بعد أن أضاءوا المصباح الكهربائى الكبير . فشاهدوا سونيا مندلعة العينين . مفغورة الفم . هامدة الحركة . شاحبة شحوب الموتى . فارتمى عليها ارمان وتحسس بدنها وجعل يهز ذراعيها هزاً عنيفا . ولكنه ألفاها باردة برودة مروعة . فاختبل وضاع صوابه . ونسى وجود امرأته والخادم ، وانحنى على عشيقته وطوقها بذراعيه ، وجعل يصرخ :

ـــ ماتت ! ماتت سونيا !

وكأن هول الكارثة أيقظ عقله ، فالتفت الى امرأته وأردف فى شبه زئير :

ــ ولكنها كانت بالأمس ممتلئة نشاطا وعافية ! كانت لا تشكو شيئاً ! فماذا وقع ؟ وكيف ماتت على هذه الصورة ؟ ان قلبها كان سليما ولقد عادها طبيبي فى الاسبوع الماضى فلم يجد أن داءها قد استفحل ولم ينذرها بأى خطر !

وكان أرمان يتكلم وهو لايعى ما يقول ، كان يندب عشيقته على مسمع من امرأته ، فرمقته مدام كلاريون بنظرة ذاهلة آسفة ، حاولت جهدها أن تخفى كل ما أودعته فيها من لذة الانتقام الشامت ، ثم ابتعدت فجأة عنه ، ومدت يدها وأضاءت مصباح الكهرباء الليلى الصغير ، وحملته وتقدمت نحو الفراش وغمغمت قائلة :

ــ ان منظرها يثير الرعب ، يجب أن أغطيها !

وتعمدت تصويب ضوء المصباح على المنضدة ، بينما صاح الزوج :

ــ أرنست ، أسرع وأدع لى طبيبى الخاص الدكتور أندريه

وعندئذ تحرك الضوء وانصب بجمعه فوق المنضدة وأبرز جوانبها ، وغمر قدمى الخادم العجوز فلاح المنديل الابيض يتألق حريره تحت وهج النور ، فانحنى ارنست والتقطه ، ولم يكد يتأمل الاحرف الاولى المنقوشة عليه حتى دفعه الى سيده ، وصاح :

ــ هذا منديل المسيو هنرى !

فصرخت مدام كلاريون قائلة : « مسيو هنرى ؟ »

وأسرعت فاختطفت المنديل من يد الخادم وتأملته ثم دسته فى صدرها ، بينا كان أرمان وقد استحوذ عليه الوجوم ، يتراجع مبهوتا ، وينقل بصره الشارد فيمن حوله

وأرادت مدام كلاريون أن تلقى الرعب فى فؤاد زوجها ، وتنتهز هذه الفرصة التي جاد بها القدر عليها فقالت : « أسرع يا أرنست وادع الطبيب ! »

فهب أرمان واقفاً وصاح :

ــ كلا . ليس الآن . . انتظر قليلا . . . اذهب ، اذهب الى غرفتك

ومال الى الشيخ وربت على كتفه وأردف بلهجة ملؤها التوسل والاستعطاف :

ــ أرنست ، الصمت يا ارنست ، الكتمان ، هذا ما أرجوه منك . أنت لم تر هذا المنديل . . أتفهم . . . لم تقع عليه عينيك . . . إياك والتفوه بكلمة ... انى لأحبك كما لو كنت والدى ! . . سأضمن لك حياتك وحياة أولادك .. اذهب ، اذهب الآن وانتظر أوامرى !

ولم يكد ارنست يختفى حتى هتفت مدام كلاريون : « إذن فهنرى كان هنا ؟ »

واستدارت وجذبت غطاء السرير وأشارت الى وجه سونيا وأردفت :

ــ أهذه ميتة طبيعية ؟ . . انظر الى هذه العين المندلعة ، وهذا الفم المفغور ، وهذه البقع

الخفيفة السوداء . . لابد أن هنرى كان يحبها وكان يغار منك انت شقيقه ، فأقدم الليلة على قتلها ! نعم . لابد انها ماتت مقتولة . . لا بد انها قد تجرعت سما ، لأنه لو كان قد خنقها لأبصرنا على عنقها آثار أصابعه ، أو لوجدنا فى الغرفة أو على الفراش آثار مقاومة وكفاح . . . ولكن النظام سائد هنا ، وأنا لم أسمع صوت استغاثة ، فهل سمعت شيئاً انت ؟

فهز رأسه كمعتوه واجاب : « كلا »

فقالت وهى تلقى طرف الغطاء على وجه القتيلة :

ـــ وعلام عزمت الآن ؟

فلم يجبها ، وحانت منه التفاتة ، فأخذت عينه ابريق الماء والكوب نصف الممتلىء الموضوع بجواره ، وكان يبدو عليه أنه يمعن فى التفكير ، وفجأة تناول الكوب وحدق اليه وهو يلهث ، ثم اختلج ، وبدل أن يرده الى مكانه ، تقدم والقى من النافذة بما فيه ، ثم تناول الابريق ورش ماءه على أغصان الشجر ، ثم اختطف الكوب ، وأسرع ففتح خزانة صغيرة وأخفى في أحد أدراجها الكوب والابريق

وإذ ذاك قهقهت مدام كلاريون ضاحكة ، وقالت فى هدوء :

ـــ ولكن المنديل معى . . . وارنست كان هنا ، وهو رجل مؤمن ورع تقى ، ومن المحال أن يكذب متى سئل !

فتطلع اليها أرمان مذعوراً وقال : « ما معنى هذا ؟ »

فأجابت :

ـــ أنت تخفى معالم الجريمة ، وتريد أن تنقذ نفسك من الفضيحة ، وشقيقك من حكم القضاء . ولكن برهان الجريمة معى ، وارنست هو خادمى ، ولقد ربى فى بيتنا وأحسن اليه والدى ، فهو لن يخلص لك ويخوننى !

فحملق اليها أرمان ، وغشي الدم وجهه ، وقال وهو يرتعد : « وماذا تريدين بكل هذا ؟ »

فاستضحكت وأجابت :

ـــ سأحتفظ بالصمت أنا أيضا ، ولك أن تتفق مع طبيبك وهو رجل وصولى مغامر مثلك لن يتردد في منحك إجازة رسمية بالدفن ، مقابل مبلغ كبير من المال . سأغض الطرف عن هذا أيضا ، وأتناسى أنى كنت أحبك وأنك كنت تخدعنى . وانى خلقتك من لا شىء ، وانك جحدت فضلى . واني وهبتك مالى فحرمتنى إياه وأنفقته على هذه المرأة . نعم ، سأتجاوز عن كل هذا مقابل شيء واحد

فضم ارمان جفنيه ونظر اليها من خلال أهدابه ، وقال وقد أحس أنه يتخبط في الشرك :

ـــ وما هو ؟

فأجابت على الفور قائلة : « هو ان ترد الى ملكى ! ان تنزل لى عن ملكية المصنع الذى ورثته عن أبى ، والذى وهبته لك فى ساعة نزق وجنون

فصاح ارمان : « ماذا تقولين ؟ »

فاستطردت غير مكترثة تقول : « المصنع مشهور . وهو ينتج لسيدات باريس أبدع الجوارب . فأنا أريد التمتع بنتاجه كما اشتهى . سأديره بنفسى . وسأحيا بدورى حياة الترف التى كانت تحياها عشيقتك سونيا »

فتمالك الزوج نفسه وقال : « أرد اليك ملكية المصنع ؟ لماذا ؟ . لأى غرض ؟ . لكى تحولى البيت الى جحيم وتجمعى من المال ما استطعت . ثم تجبرينى على الطلاق . فأعود فقيراً معدماً كما كنت ؟ هذا محال ! محال ! »

فتفرست مدام كلاريون فى زوجها . ثم دنت منه ، وطوقت خصره بذراعها ، وقالت ونبرة الصدق الخالصة تدوى فى صوتها :

ـــ تعلم يا ارمان انى أحبك ، ولن أحب فى هذه الحياة سواك . واذا كنت أتقدم اليك بهذا الطلب فذلك لأنى أضن بك ، ولا أريد أن تعتمد فى المستقبل أيضا على مالى فتتخذ لك عشيقة جديدة

فثارت أعصاب ارمان وصرخ :

ـــ لن أستعبد لامرأة . المصنع أصبح ملكى ولن أتنزل عنه أبداً

فتشبثت به مدام كلاريون وجثت عند قدميه وقالت وهى توشك ان تبكى :

ـــ امنحنى ما أطلب فأنا أحبك ، وغاية ما أريد هو الاطمئنان الى مستقبل حى

فزجرها ودفعها بقوة وصاح قائلا :

ـــ افعلى ما بدا لك . ضحى بأخى اذا شئت . تكلمى .. ولكن المصنع لى وسيبقى لى ! . .

فنهضت مدام كلاريون صامتة وكفكفت دمعها وأخفت تأثيرها ما استطاعت ، وقالت بصوت هادىء متزن :

ـــ ما تعودت ان أعصى لك أمراً .. انى أحبك وسعادتى فى طاعتك . . لن أتكلم .. لن أضحى بهنرى .. وأرجو ان تقدر هذا وتحبنى غداً أكثر قليلا مما كنت تحبنى بالأمس !

وتظاهرت كأنها تجهش بالبكاء ، ثم تحاملت على نفسها واستدارت وخرجت من الغرفة

***

ولما بلغت مخدعها لم تستطع كبح أعصابها ، فصرت على أسنانها ، واستجمعت مدخر قواها ، وفى عزم ثابت ، وارادة جبارة ، ورغبة جارفة ساحقة فى التخلص من كل شىء وتدمير كل شىء ، صاحت قائلة :

ـــ لا أحد فى المصنع ، اليوم يوم أحد ! . .



واتجهت صوب الاستار المسدلة على النافذة ، فنحتها ، وأخذت الوعاء المسدود الذى كانت قد وضعته على المقعد وأخفته خلف الاستار ، ثم اختطفت علبة كانت بجواره ، واندفعت نحو الباب المؤدى الى الحديقة ففتحته وانطلقت تعدو حتى أشرفت على المصنع . وهناك تحولت ودخلت من الباب الخلفى المفتوح على الدوام والمؤدى إلى مكتب زوجها ، ثم عرجت منه على عنابر المصنع ، وما ان ألفت نفسها وسط الآلات والاخشاب والسكون يكتنفها والعزلة المشجعة تحيط بها ، حتى نزعت عن الوعاء سدادته وصبت البترول على كل ما وقعت عليه عيناها ، ثم أخذت من العلبة عود ثقاب وأشعلته وألقت به على البترول ، وسرعان ما اندلعت ألسنة النيران وامتدت وشرعت تضطرم وتأكل جوانب المصنع

وفى أقل من لحظة عبق الدخان ، وأحدقت النار بمدام كلاربون ، وقطعت عليها سبيل العودة ، فجعلت تقفز وتصرخ كمعتوهة ، وتشق طريقها بين الآلات الملتهبة ، والاخشاب المتداعية ، حتى بلغت مكتب زوجها ، شوهاء الوجه ، نكراء التقاطيع ، مخنوقة الانفاس ، تزأر من آلام الحرق ، فأسرع اليها زوجها وخدم القصر ، وكانوا قد هبوا لاخماد الحريق ، وحملوها الى مخدعها وهى تتلوى وتصيح وتقبل زوجها فى شغف وجنون كأنما كانت تشعر أنها تودعه الوداع الاخير !

***

وفى اليوم التالى أقبل الطبيب صديق ارمان ، وتقاضى أجر صمته ، وأجاز دفن الجثتين ، فشيعت جنازة الزوجة والعشيقة فى وقت واحد

ولما واروهما التراب ، واستفاق ارمان من سباته ، وأدرك انه فقد زوجه وعشيقته والمصنع الذى كان يدر عليه المال أنهاراً ، التفت فلم يبصر غير شقيقه هنرى ، فنسى جأة كل شىء ، واحتضنه وغفر له ، ثم طفق يبكى بكاء الاطفال وقد عقد العزم على الرحيل

وبعد انقضاء بضعة أيام شرع ارمان فى تصفية أعماله ، ثم جمع ما تبقى له من مال ، وسافر فى صحبة شقيقه لتجديد حياته ، والتكفير عن ماضيه ، والعمل فى المستعمرات

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

متى يثور الانجليز

رأى انجليزى فى أخلاق قومه

الانجليز فى الظاهر قوم أعصابهم هادئة ، وأفكارهم متزنة ، وآدابهم الشخصية متشابهة ، قوم يخضعون للعرف القائم ، ويكرهون التمرد والثورة ، ويسلمون قيادهم لأحزاب اليمين أو اليسار ، ويحبون كلابهم حباً يفوق حد الوصف

والواقع ان الاجنبى فى الغالب يستخف بنا ، ويرمينا بالبلادة والغباء ، ويتهمنا بالكسل والرخاوة ، ويعتقد ان السواد الاعظم فينا يمثل شعباً أكلته الحضارة والرفاهية ، ولم يعد قادراً على أعمال عظيمة توسم بالجرأة والمخاطرة

ومع ذلك فالطبيعة الانجليزية فى هدوئها الغريب، وفى جمودها المستفز ، أشد استعاراً من أتون متقد ، فهى تلهو بالحياة وعينها الحادة ترقبها ، وهى تستسلم للحياة ولا تسرف فى التمتع بها إلا لتستطيع عند الحاجة ان تحتقرها

تشارلز مورجان

ولقد دلل الانجليز فى العشرين سنة الاخيرة وفى أزمات ثلاث على مبلغ الحيوية الكامنة فى صدورهم والتى أدهشت الدنيا ، وذلك فى خلال الحرب العظمى أولا ، وفى أثناء حركة الاضراب الكبيرة التى نظمها العمال ثانياً ، وفى الأزمة المالية التى عصفت بالبلاد عام ١٩٣١ ثالثاً

فى غضون هذه الازمات الثلاث ، كشف الانجليز عن طبعهم ، وأنقذوا حضارتهم وامبراطوريتهم ، بفضل تلك القوة العجيبة التى امتازوا بها ، ألا وهى عنادهم الرائع المقترن بضرب غريب من التعصب الأعمى لفكرة الطاعة ، طاعة قادتهم وكبارهم لمصلحة الامبراطورية

فالانجليز يتخاذلون ، ويتركون التيار يحملهم ، لأنهم شعب يكره النظريات السياسية والاجتماعية ولا يتعصب لها ، وهم فى خلال عبثهم واستهتارهم ، يتسامحون مع الاغبياء من حكامهم ، يتسامحون

مرة واثنتين وثلاثاً ، غير أنهم عند اشتداد الخطر يهبون هبة رجل واحد ، ويبحثون عن الذكاء فقط ، عن القدرة فقط ، عن الكفاية فقط ، ثم يعصفون بالحكام الأغبياء ويحلون محلهم أصحاب الفضائل المجربة ، وذلك بدون ثورة وبدون سفك دماء ، وبدون مراعاة أى اعتبار للمصالح الشخصية ، أو الشهرة الباطلة ، أو المجد الأجوف الرنان

والانجليز يكرهون الطغيان ولا سيما متى اقترن بالادعاء الفكرى والحذلقة النظرية ، ومع ذلك فهم ليسوا شعباً حراً بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، بل هم ليسوا ديموقراطيين بالدم والفطرة . والواقع انهم لا يتبرمون بالحكومة القوية التى تعرف كيف تفرض سلطانها عليهم

والسر فى ذلك ان سلطة الحكومة القوية ، تطمئنهم على أعمالهم وهم رجال أعمال ، وتصون النظام الذى يطربهم ، لأن أعمالهم التجارية فى حاجة قصوى الى استقرار هذا النظام

على ان الحكومة يجب ألا تستبد برأيها ، ويجب ألا تظهر بمظهر القوة المعصومة من الخطأ والا أبغضوها . فهم يحبون منها ان تلزمهم الطاعة والاحترام ، ولكن فى غير عنف وادعاء ، ليستطيع كل فرد منهم ان يغالط نفسه ، ويعتقد انه محكوم بارادته ومن تلقاء نفسه

ويقينى انه لو اتفق أن حاولت احدى الحكومات الانجليزية أن تسلك سبلا ديكتاتورية ، فتصدر مراسيم بقوانين كما تشاء ، وتضطلع بسلطات استثنائية ، وتكم الحريات العامة ، وتسخر من وجود البرلمان ، فمما لا ريب فيه ان الشعب الانجليزى لن يتردد فى القيام بنفس الثورة التى قام بها عام ١٦٨٨ ، وذلك لأن الانجليزى قد يرضى بان يوقع على ابنه عقوبة الضرب بيده ، ولكنه لن يتجاوز عن وجود معلم مدرسة يلوح بالعصا ، ويستمرىء الطغيان ويستطيب الاستبداد ، ولو كان يطمح لاقرار العدل

غير أن مثل هذا المعلم أو الحاكم لا يأخذه الانجليزى بالعنف ، ولا يحاول فى غضبة طارئة أن يضربه ضربة قاضية ، بل يجتهد فى أن يسخفه ويحقره وينتزع من يده العصا . فاذا عاد فاستخدمها ، عاد الانجليزى فزجره وانتزعها منه ، فاذا لم يثب الى رشده ولوح بالعصا من جديد ، تألب عليه الانجليز كلهم وتخلصوا آخر الأمر منه

هذه هى الظاهرة الملحوظة فيهم . لا يقاومون الخطر إلا اذا استفحل ، ولا يلجأون الى القوة إلا بعد أن يعييهم الصبر وطول الانتظار

لماذا ؟ لأنهم وهم أعداء كل تطرف لايتصورون أن خصمهم قد يفقد عقله ويسرف فى التطرف الى حد يدفع بهم لضرورة مقابلته بالعنف ، لذلك يصبرون عليه ، ويخفون غضبهم ، ويحاولون مصالحته وعقد تسوية معه ، فاذا أيأسهم من أخلاقه ، واستغل دماثتهم وحلمهم ، استنهضوا عزائمهم الراقدة ، وصارحوه بالعداء ، واستخدموا عنادهم المشهور فى سبيل سحقه والقضاء عليه

(خلاصة مقال الروائى الانجليزى تشارلز مورجان عن النوفيل ليترر)

اعرف نفسك

اذا كنت تنشد السعادة


أندريه موروا

لاشك فى ان السعادة فى الأمل . ولكن الأمل برق خلب ، وسراب خادع ، ووهم لو طال التعلق به أسفر عن الخيبة المروعة المرة . فأنت تعيش فى فسحة من الأمل الزاهر ، تبنى القصور ، وتنتظر أن يغدق القدر عليك نعمه ، وتشعر فى الواقع بسعادة سلبية عظيمة ، ولكن شدة حبك آمالك تستهلك شيئاً فشيئاً مادة السعادة الكامنة فى تلك الآمال ، وعندئذ يستفيق ذهنك وتشعر بأن الأمل قد خدعك ، وانك فى جوهر نفسك أتعس انسان

فاذا لم تكن السعادة والحالة هذه فى الأمل ، فأين هى ، وكيف تحققها ، وما هى السبيل الموصلة اليها ؟

وجوابى عن هذه الأسئلة ان سعادة الانسان فى الجهاد المطرد لتحقيق أمله

وليست العبرة فى أن تفوز بأحلامك ، وتبصر آمالك حقائق واقعة ، بل العبرة كل العبرة فى لذة الجهاد ، وفى رغبة الجهاد ، وفى إرادة الجهاد بعزيمة لا تعرف الكلل

وعندى ان الأمل نفسه متى تحقق فقد قيمته ، وأبقى فى فؤاد الانسان فراغاً ممزقاً لا تملؤه الا مواصلة العمل واستطراد الجهاد ، فى سبيل أمل آخر ورغبة اخرى

ولكن لعنة البشر كامنة فى عجزهم عن التوفيق بين آمالهم وبين ما يمكن أن تحققه الحياة منها فالخيال البشرى لا يعرف لتصوراته حدوداً ، غير أن للحياة الواقعة حدودها ، وقوانينها ، ومقتضياتها . والسر فى شقاء الناس هو استخفافهم بتلك الحدود ، وعبثهم بتلك القوانين ، ومحاولة السواد الاعظم منهم ، ارغام الحياة على تحقيق آمالهم كاملة غير منقوصة

ولقد عرفت أشخاصاً ، آثروا الانتحار ، على النزول عن جزء من آمالهم العريضة حيال مقتضيات الحياة

ولقد عرفت غيرهم ، أصيبوا بالهستريا والجنون ومختلف أمراض الجهاز العصبي ، لانهم طلبوا الى الحياة أكثر مما تستطيع أن تعطى ، واعتقدوا أن كل ما يجول فى خيالاتهم المشوشة المضطربة ، يمكن أن تحققه الحياة

فالأمل عذب إذن ، والسعادة فى السعى لتحقيقه على شرط أن تعرف كيف توفق بينه وبين مقتضيات الواقع ، وكيف تلائم بينه وبين قواك النفسية ومقدار كفايتك العقلية ، ومبلغ استعدادك للفوز به

فان كنت تنشد تحقيق أمل عظيم ، فاعرف قبل كل شيء نفسك ، واهبط إلى قرارها ، وادرس طبيعتها ومنزعها ، واستوثق من وجود عنصر العظمة فيك ، وإلا فاعتدل وتوسط ووفق ما استطعت بين حلمك وقوتك ، بين خيالك واستعدادك ، ثم امض فى العمل فى حدود كفايتك ، تشعر بالسعادة المنشودة ، سواء أنجحت أم لم تنجح

والمهم فى الأمر — اذا شئت أن تكون سعيداً — ألا تعلق على النجاح التام أهمية كبيرة ، وألا توقع من الحياة فوزاً كاملا سريعاً ، وألا تنتظر من الناس أن يخدموك كما تخدم نفسك

على انك لو لطفت من حدة ميولك، وشذبت من أطراف خيالك ، ونزلت فى آمالك وأحلامك على حكم الواقع ، وأحسنت تقدير قواك ، فأكبر الظن انك تنجح وتستطيع أن تجعل من أملك حقيقة تختلج حرارة وحياة

ولكن احذر الراحة بعد العناء ، والاستنامة بعد الكفاح ، والاستخذاء والتراجع بعد المجاهدة والنضال

احذر النوم على أكاليلك ، والاكتفاء بما أحرزت ، واعلم كما ذكرت لك ان السعادة فى أمل جديد تحاول تحقيقه مرة أخرى ، وليست فى الأمل القديم الذى تحقق واستهلك ومات

جدد آمالك ما وسعك التجديد ، ووفق بينها وبين الواقع ، واجعل من حياتك سلسلة أعمال متصلة ، وقوة فى الكفاح ثابتة مطردة ، تشعر بالسعادة التى يتهالك عليها الناس حائرين

ولا بأس عليك من مثل أعلى تتعلق به ، ويضاعف نشاطك ، ويلهب فيك خصائص المقاومة وفضائل الدأب والجد ، ولكن اياك والاعتقاد بان سعادتك منوطة بتحقيق ذلك المثل الرائع الأعلى لانك لو اعتقدت ذلك سممت حياتك وحياة من حولك ، وقضيت العمر سعياً وراء خيال . فانشد المثل الاعلى فى استعدادك لمواصلة العمل فى سبيله ، لا فى فرحك بأن تراه يوماً من الايام حقيقة مطلقة

هذا هو سر السعادة فى رأيى وفى رأى كل انسان يحترم الواقع ويقدس العمل ويعبد الحياة !

[خلاصة مقال لأندريه موروا عن مجلة كونفرانسيا]

نفسية الشعب الامريكي

الامريكيون لايعرفون المستحيل


أندريه سيجفريد

ان الجهود الثقافية والفنية فى أمريكا لايقوم بها العنصر الانجلو سكسونى وحده بل مختلف العناصر التى يتكون منها الشعب الامريكى . ولقد اتفق لى فى نيويورك أن شاهدت قصة مسرحية وضعها مؤلف يهودى ، ولحنها موسيقى زنجى وأخرجها على المسرح مخرج أرمنى . وهذه القصة التمثيلية كانت تقدم للجمهور باعتبار أنها من الاعمال الفنية الامريكية الخالصة

فامريكا ما تزال تبحث عن شخصيتها المستقلة ، ونفسيتها الخاصة ، وطابع تفكيرها المحلى والانسانى . ولكنها على الرغم من تعدد أجناس أفرادها وعناصرهم ، تحاول أن تصبهم فى قالب واحد ، وتتجه بهم نحو مثل واحد أعلى ، هو تقديس الحرية وعبادة العمل وتقدير الديموقراطية

ويلاحظ أن العنصر العامل على تكوين النفسية الامريكية هو العنصر الانجلو سكسونى السائد المتفوق . فبحث خصائص هذا العنصر هو الذى يهدينا الى مميزات تلك النفسية

ان العنصر الامريكى الانجلوسكسونى ، مشهور بقدرته الخارقة على العمل ، وهو مؤلف من أفراد تجرى فى عروقهم دماء أسلافهم الغزاة الفاتحين . وهؤلاء الافراد على جانب عظيم من الذكاء ، يشعرون بقيمة الارض البكر التى يعملون فيها ، ويشعرون كأنهم ولدوا بالأمس فقط ، ولذا تراهم متحررين من تقاليد الماضى يتجهون صوب المستقبل ولا يفكرون إلا فى الغد

وأعجب ما فيهم شدة ايمانهم بعبقرية الانسان وقدرته على طبع حضارة الغد بطابعه ، وتسخير عناصر الطبيعة لمصلحته ، واستخدام نعم الدنية لخدمة الغير وتبديل حظ السواد الأعظم من الناس ، ومع ذلك فهم أشد ايمانا بعبقرية الرجل الامريكى منهم بعبقرية الرجل الاوربى ، وهم يعتقدون أن الامريكى لايعرف المستحيل ، وأن تفوقه على الاوربى يرجع الى استخفافه بالقواعد الموضوعة ، والخطط المرسومة ، والعرف الاجتماعى والفكرى السائد ، وتأهبه فى كل لحظة لتجربة خطة جديدة أو فكرة جديدة ، ولو ذهبت حياته وثروته ثمنا لها

فالاوربى محكوم بالماضى ، أو بما قررته تجارب الماضى من أفكار وخطط ، وأما الامريكى الانجلو سكسونى فمحكوم بعقيدة الابتكار ، وعقيدة الابتكار هذه لا يمكن أن تنمو وتزدهر إلا فى ظل الحاضر الخالص من شوائب الماضى ، وفى اتجاه المستقبل الذى تبدعه من صلب الحاضر ارادة الانسان . فحرية الامريكى ليست حرية نظرية كحرية الاوربى ، وليست حرية التعبير عن الفكر المجرد لذة التعبير ، بل هى حرية عملية ، تطبق على الواقع المحسوس ، وتتمثل فى مختلف التجارب اليومية التى لا ينفك يقوم بها الامريكى معرضاً فى سبيل نتائجها المجهولة راحته وأمواله وحاضره المادى المكفول

والملاحظ أيضا فى شخصية الامريكى الانجلوسكسونى ، ايمانه العميق بما عليه من واجب نحو الجماعة التى ينتسب اليها ، فهو ان كان مثقفاً لا يستطيع أن يكون مثقفاً لنفسه ، فتراه ينشىء الاندية ويؤلف الجمعيات ويحاول أن يبشر بافكاره ومعتقداته وينشر ثقافته فى أوسع جو مستطاع ، وهو ان كان غنياً لايستطيع أن يكون غنياً لنفسه ، فتراه يبتكر المشروعات الجليلة ، والاعمال النافعة ، وينفق عليها من حر ماله بغير حساب . فسعادته فى أن يكون حراً ، لتتسع أمامه آفاق العمل والابتكار ، ولكن سعادته لن تتم إلااذا أشرك فيها الغير وانتهى بها الى خدمة الآخرين

وهو يحب أن ينصح ويرشد ويهدى ، خاضعا فى ذلك لما تخلف فى أعماق روحه البروتستانتية من ميل الى الوعظ والتبشير ، وهو يعد نفسه مسئولا عمن هم أقل منه عقلا وثروة ، مسئولا عن ترفيه حياتهم ، وترقية مداركهم ، والارتفاع بهم فى سلم الحضارة ومدارج الكرامة البشرية . ومع ذلك ففيه نقص غريب ، نقص يرجع الى بساطة قلبه ، وسذاجة عواطفه ، وولعه الشديد بالرفاهية المادية ، وهذا النقص ملحوظ فى ميله إلى تقدير كل شىء بالدولار ، واعتباره المكافأة المادية خير ما يمكن أن يعوض به الآخرين عن جهودهم

ولقد اتفق لى ذات يوم وأنا على ظهر الباخرة فى طريقى الى أمريكا ، أن عصفت ريح شديدة بسفينة امريكية ، فغرق بعض ركابها واستطاع بحار فرنسى انقاذ واحد منهم ، ولشد مادهشت بعد لحظات عند ما أبصرت سيدا امريكياً يصعد الى الباخرة ويتقدم من قبطانها ويظهر استعداده لتقدير شجاعة البحار بأى مبلغ من الدولارات يفرضه قبطان الباخرة

ولاشك فى أن النية نفسها حسنة ونبيلة ، ولكن قوامها التقدير المادى وحده . أما الاحساس بالسعادة الروحية المطلقة التي خالجت البحار بعد أن انقذ الراكب الامريكى ، فشىء لايتصور الامريكان انه قوة فى نفسه ، وأنه قد يغنى صاحبه عن المطالبة بمكافأة مادية ، بل هم لايتصورون أن هذه المكافأة قد تلوث عاطفة البحار وتجعل أغراضه فى الحياة نفعية

ولقد قرأت ذات صباح فى نيويورك اعلانا عن أعمال جمعية تسعى للتقدم الاجتماعى جاء فيه :
« ان نجاحنا الادبى لايقاس به أى نجاح ، فقد انفقنا على التعليم فى خلال عام ١٩٣٣ وبالرغم من

اشتداد الأزمة ثلاثة مليارات من الدولارات ، وفى صندوق جمعيتنا أكثر من عشرة مليارات تنفق منها اليوم على التعليم والتربية ، أما ما أنفقناه على الكنائس فيقدر بأربعة مليارات »

هذا هو جانب النقص فيهم ، مكافأة العواطف تقدر عندهم بالدولار ، وخدمة العلم بالدولار ، وخدمة الدين بالدولار أيضاً . فكأنهم يقيسون مبلغ رقى الانسان لا بمبلغ رقى عواطفه المجردة ، وتفكيره النزيه ، بل بمبلغ رقى مستواه المادى فى الحياة

ولهذا السبب يعملون جهد الطاقة على ترقية مستوى الشعب ، وتوفير أسباب الرفاهية لأكبر عدد ممكن من الناس . فالامريكى الانجلو سكسونى يهتم ولا ريب بتعليم طبقات الشعب الفقيرة مبادىء الدين وفضائل القلب البشرى الخالدة ، ولكنه يهتم أكثر من ذلك بمكافحة الفقر نفسه ورفع مستوى الشعب من الناحية المادية

أما ترك الأبدان تنحط ، والسعى لرقى العقل وحده أو الروح وحدها ، فشىء لا يفهمه الامريكى ولا يمكن أن يقره بحال ، وهذا هو سر قوته وزهوه واعتداده بنفسه

تلك هى الظواهر البادية فى الطبقة السائدة من الامريكيين الانجلو سكسونيين ، وهى تنحدر منهم الى مختلف عناصر الأمة شيئاً فشيئاً ، وتعمل على تكوين النزعات الفكرية والاتجاهات المعنوية التى تنهض عليها نفسية الشعب الامريكى [خلاصة مقال لاندريه سيجفريد فى مجلة دير كتيف]

حياة الافراد
فى ظل الدول الديكتاتورية

أوضح مثال على الفارق بين حياة الفرد فى الدول الديكتاتورية وبين حياته فى الدولة الديموقراطية ، نجده فيما اعترى أهل النمسا من تغير خطير مفاجىء حين اجتاحتهم المانيا على حين غرة ، فحولت بلادهم من جمهورية تكفل لهم الحرية فى أوسع مداها ، الى قطعة من أرض الريخ يفرض عليها هتلر سيادته المطلقة

فما إن دخلت كتائب الجيش الألمانى أرض النمسا يوم ١٢ مارس الماضى حتى ألمت بأهلها نوبة من الوجوم والاشفاق ، فبعد أن كانوا يتكلمون فى كل أمر كيف شاءوا وينالون بألسنتهم كل من أرادوا ، وبعد ان كانت « فينا » مقر النكات الساحرة اللاذعة ، وبلداً ساراً بملاهيه البهيجة ولياليه الصاخبة ، راح الحذر والخوف يملآن النفوس لأن ثمة غمامة من الرهبة بدت على حين غرة فى السماء ، فبسطت ظلالها الداكنة على أولئك المرحين اللاهين

وماذا حدث بعد هذا ؟

صار الاطفال جميعاً أبناء الدولة أو أبناء هتلر ، فليس لأبيهم عليهم مثل ما للريخ أو للفوهرر . فهم يلقنون من المبادىء ما يجعلهم عدة للدولة فى الأيام القادمة ، فلا يدرسون من التاريخ إلا ما يلقى فى روعهم أن لألمانيا من تاريخها المجيد ومن فضائلها السامية ما يخولها دائما حق السيادة على سائر الشعوب ، وأن تطور الانسانية انما يسير فى طريق تنتهى الى غاية معينة هى فرض كلمة ألمانيا الممثلة فى أن الزعيم فوق الجميع . والى جانب هذه الدراسة المخططة الجوفاء يمارس الطفل التمرينات والمظاهرات العسكرية ، ويشترك فى معسكرات الرحلات الاجماعية ، ويرتل الاناشيد الوطنية وغير ذلك من المظاهر التى تأسر ذهنه الناشىء وتستبد بخياله البسيط . فلن تجده يسأل أباه يوماً ما : هل هذا حق وهل ذاك جميل ؟ ولكنه يسأله دائماً : هل هذا يزيد فى قوة ألمانيا ، ويرضى الزعيم ؟

وإذن فحين يعود الأب الى بيته سيجد ابنه يتكلم لغة يشق عليه ان يفهمها ، هى لغة الفاشستية أو النازية التى تتحكم فى عقله وتستبد بشعوره . سيجده يقول إن ألمانيا انتصرت فى معارك الحرب الكبرى كلها ، ولولا أنها خدعت بحيلة السلام لاجتاحت أعداءها جميعاً . ومع هذا لا يستطيع الأب أن يصحح لابنه هذه الاخطاء « أولا » لأنه لن يفهم ولن يصدقه مهما أجهد نفسه ، و « ثانياً » لأنه قد يبلغ أمره الى المدرسة فى اليوم التالى ، فيكون جزاؤه قاسيا أليما . والواقع أن تعاليم الفاشستية والنازية تغلغلت فى أذهان الأطفال فى ايطاليا وألمانيا حتى صاروا يعتقدون ان ليس عليهم من واجب قبل آبائهم ، بل كل ما عليهم انما هو للدولة وزعيمها وحدهما

واذا لم تكف الخطوات الثقيلة التى يضرب بها الطفل أرض البيت مقلداً مشية الجنود ، والصرخات المدوية التى يطلقها كل حين هتافا باسم هتلر — ان لم يكف هذا وذاك ليشعر الأب بأن غمامة الديكتاتورية قد انبسطت فوق الرؤوس ، فان الصحافة كفيلة بأن تبعث فيه هذا الشعور ، فقد كانت صحف فينا حافلة بشتى الأنباء الخارجية تستقيها من مختلف المصادر ، وكانت معنية بالمقالات الجريئة التى تنتقد هذا النظام أو تمتدح ذلك السياسى ، أما الآن فقد امتدت اليها يد « الرقيب » الحديدية فجعلتها كسائر الصحف الألمانية ، أى نشرات يصدرها حزب النازى لبيان وجهات نظره ونشر خطب زعمائه وتبرير ما يأتى من اضطهادات ، والى جانب هذا كله بضعة أسطر عن المسرح والموسيقى ، وسيجد المرء أن أكثر ما يقرأ من الأخبار يناقض ما يراه بعينيه ويسمعه بأذنيه ، فقد يكون عاملا فى مصنع قبض فيه أمس على مائتى عامل ، ومع ذلك يقرأ فى الصحف ان كل من قبض عليهم فى خلال الشهر كله مائة شخص ، وغير ذلك من الأكاذيب والمفتريات التى تشعر المرء بأن الجو الذى يحيا فيه قد اضطرب ، اذ خبت منه الديموقراطية وشبت فيه الديكتاتورية

فان ذهب المرء بعد هذا الى مقهى يلتمس فيه شيئا من الراحة والسلوى ، واجتمع حوله نفر من أصحابه ليتحادثوا ، وجدوا أنفسهم مضطرين الى أن يأخذوا من أطراف الحديث أتفهها وأسخفها ، ليكونوا بمنأى عن كل مظنة شائكة ، فان سولت نفس أحدهم أن يبدى رأياً يخالف

رأى الدولة ، فقد يلفى نفسه فى اليوم التالى نزيل السجن بلا تحقيق أو قضاء ، لأن احد أصحابه أو خادم القهوة ليس إلا عيناً من عيون الحكومة المنبثين فى كل مكان

وهذا الحرمان من الحرية يجعل أكثر الناس ينفرون من الديكتاتورية ويحذرونها ، ففيها يتعذر على المرء أن يتعلم كيف شاء ويقرأ كل ما يريد ، وأن يبدى كل ما يعن له من الآراء ، ذلك لان ما تنشره الكتب والصحف قد مرت به يد الحكومة الباطشة ، فحذفت منه وأضافت اليه ما يؤيد مصلحة الدولة . فيجب إذن أن يقنع المرء من الثقافة والمتعة بقدر ما ترى الدولة أن من الخير لها ألا ينال أكثر منه . وانى أعرف ناسا فى ايطاليا قلما يلقون بالهم الى ما تنشره الصحف ، وقلما يذهبون الى دار للتمثيل او السينما ، لانهم لن يجدوا فى الصحف أية ثقافة حرة ، ولا فى الملاهى أية متعة خالصة ، وانما سيجدون دائما دعاية لديكتاتور الدولة وتبريراً لمناهجه وأطماعه . ولهذا كثيراً ما نجد فى الدول الديكتاتورية ناسا يمضون العمر صم العقول غلف الاذهان ، لا يستمتعون بشيء من متع الحضارة المعنوية التى حرمتها عليهم الدولة خوفا وحذراً

فأين يجد الناس فى هذه الدول الديكتاتورية خلاصهم من هذه الحياة المملة الجافة ؟

يجدون خلاصهم فى أن ينضووا تحت لواء الحزب الحاكم ليفرجوا عن نفوسهم ما يثقلها ، وذلك فيما يمضونه من وقت ويجدونه من متعة فيما يعقد من اجتماعات ، ويقيم من مظاهرات ، ويعد من مآدب أو فيما يلقى زعماؤه من خطب ومحاضرات ، وغير ذلك من المظاهر التى توهمهم أنهم يتولون أمر الدولة ويوجهون سياستها . هذا الى أن هذه الهيئات الحزبية تخول أعضاءها امتيازات شتى فى الرحلات والملاهى والقطارات والبواخر ، بل كثيراً ما تقدمهم على سواهم فى بعض الأعمال المهمة التى تتصل بالرأى العام ، مثل الصحافة التى لا يسمح بأن يعمل فيها إلا من كان منضويا تحت لواء الحزب الحاكم . وهم يجدون فى هذا لوناً من ألوان المتعة والبهجة ، إذ من الذى لا يسره حين يذهب الى المقهى مثلا أن يرى الخادم يسرع اليه بالقهوة قبل سواه

ويجب أن نذكر أن اولئك الذين فرض عليهم أن يخضعوا للديكتاتورية لا يشعرون بأثقالها ومظالمها مثل ما يشعر بها الاجانب الذين يرتعون فى بحبوحة الديموقراطية ، لأن المرء فى تلك الدول الديكتاتورية لا بد أن يتوهم ــ بطريق لا شعورى ــ ان هذا الديكتاتور الذى يسيطر عليه هو أعدل الناس حكما وأصوبهم رأياً . ذلك لأنه يسمع فى المدرسة ، ويقرأ فى الصحف ، ويسمع فى الراديو مائة مرة كل يوم ان هتلر قد ارسلته العناية الالهيــة لانقاذ المانيا واصلاحها ، أو أن موسولينى قد هيأه الله ليعيد مجد رومة ويقيم امبراطوريتها الدارسة . وقد لا يصدق هذا الكلام أول الامر ، ولكنه لن يستطيع انتقاده وتفنيده ، فلا يلبث أن يجد هذه الآراء تنفذ الى ذهنه وتتغلغل فى شعوره ، حتى تفرض نفسها عليه فرضا . وهذا شأن الغالبية العظمى من الايطاليين والالمانيين [خلاصة مقال لفنسنت شيان فى مجلة ريدرز دايجست]

دور الكهولة

أروع دور في حياة المرأة

المرأة فى سن الاربعين إما إنسان كامل فاضل ، واما مخلوق يثير الشفقة أو يستفز عاطفة الاحتقار والسخرية

والحق أن المرأة فى تلك السن تجتاز مرحلة من أخطر مراحل حياتها . فهى تتطلع إلى المرآة منسحقة مبهوتة ، فتلمح أولى الشعرات البيضاء تنساب فى رأسها ، أو تبصر التجاعيد الغادرة تعبث بصفاء محياها ، وتشهد عوامل الترهل والسمن تشوه تقاطيعها وتمسخ أجزاء بدنها وتجعل منها كتلة بليدة خاملة

كل ماكان بالأمس سر جمالها ، وموطن حسنها ، وباعث زهوها وفخارها ، تراه يفر منها ، وترى نفسها حائرة قلقة شبه مخبولة ، لا تستطيع حيال الطبيعة القاسية شيئاً . فتدب الحسرة فى قلبها ، ويغمر الأسى عواطفها وأهواءها ، وتتلفت فاذا الصبايا الحسان يرمقنها بعين متهكمة ، ويسخرن منها ، ويعيرنها ، ويشعرنها فى كل لحظة بأن دولتها قد دالت ، وان الشيخوخة التى لا ترحم واقفة لها بالمرصاد

وهذه أروع فاجعة فى حياة المرأة

فهى بين أمرين : إما أن تنطوى على نفسها ، وتكتفى بزوجها وبيتها ، وتقنع بحب أبنائها إن كانت والدة ، وإما أن تستسلم لحسرتها العميقة ، فتثور على الزمن وتتمرد على حكم القضاء ، وتسعى للثأر من الطبيعة ، فتطلق العنان لغرائزها وتظل تنحدر حتى تعصف بها الشيخوخة فتلزمها حد التفكير والعقل

والواقع أن خطر سن الأربعين على المرأة كامن فى ميلها الفطرى إلى المقاومة ما استطاعت ، والامتناع عن تسليم سلاحها جهد الطاقة ، ومحاولة تمثيل دور الشباب حتى آخر رمق من حياتها ، فالطبيعة تهدم وهى تبنى ، والطبيعة تضحك وهى لا تنفك تقاوم وتجاهد وتبكى

فهذا التحرق على الشباب الضائع هو شر أنواع الاغراء التى تصيب المرأة فى سن الاربعين ، وذلك لأن المرأة فى تلك السن تقدر الحياة أكثر مما يقدرها الشباب ، وتشعر بنعيمها وفتنتها أكثر مما يشعر بهما الشباب ، ويخيل اليها أن فى وسعها — اعتماداً على تجاربها — أن تحب وتسعد بأسلوب لا يمكن أن يتصوره الشباب

فهى وقد شرعت الحياة تتقلص منها ، تود أن تعانقها العناق الاخير ، وتود أن تشرب نفسها

الظمأى كل ما وسعته الحياة من ملذات ونعيم ، يقيناً منها أن حرارة بدنها الناضج مصيرها القريب إلى زوال، وان تجاربها واختباراتها لن تجديها فى الغد شيئاً ان لم تسرع اليوم وتنتفع بها ، وتتخذ منها وسيلة لامتلاك أمتع اللذات وآخرها

وليس شك فى أن رؤية الصبايا وقد أضفت عليهن الطبيعة الماكرة مختلف ضروب الجمال ، تلهب فى صدرها عاطفة التمرد ، وتضرم نار الكفاح ، وتضاعف رغبتها فى تحدى القدر ، وتحدى أترابها ، وتحدى الحياة . ولقد شاهدت نساء اضطربت أعصابهن فى سن الاربعين وأصبن بالنورستانيا ، وعرفت غيرهن ذهبن ضحايا الهستريا والجنون ، ورأيت بعينى رأسى أمهات يغرن من بناتهن ، ويزاحمن بناتهن ، ويسعدن بنظرة الرجل تقع عليهن قبل أن تلمح بناتهن

فالمرأة فى سن الاربعين أذل مخلوقات الله ، وأشدها فى نفس الوقت سخطاً وتمرداً ، وأقدرها على الشر ، وأقربها الى الرذيلة . ولهذا كله يجب أن نصارح المرأة بحظها ، ونلفت نظرها إلى أخطار الكهولة التى تتهددها ، ولا نكتم عنها أن الزلة قد تغتفر فى سن الشباب ولكنها لن تغتفر فى سن الكهولة أبداً

وكيف نغفر زلة لامرأة تركزت حياتها فى محيط الزواج ، وفازت من زوجها بثقته الغالية ، ومن أبنائها بحبهم واحترامهم ، ومن المجتمع بالتقدير الخالص والاعجاب العميق

ان مجرد هفوة تبدر منها فى تلك السن، لتعصف بأقدس الاشياء التى تنهض عليها دعائم حياتنا . تعصف بالزواج نفسه وتلقى فى روع الناس انه خدعة كبيرة ، وانه نظام فاسد لايمكن أن يثبت على الزمن . تعصف بالأمومة وتجعل من البنات أعداء للام وتسمم أخلاق جميع أفراد الأسرة . تعصف بإيمان الناس بوجود الفضيلة على هذه الارض ، ما دام أن تقدم السن ، ووفرة التجارب ، واكتمال الخبرة ، لا تساعد على وجودها . فهذه الاعراض التى يشعر بها الكل ،تجعل من هفوة المرأة فى سن الأربعين ، وفى مطلع الشيخوخة ، جريمة لا تغتفر

فمجد المرأة والحالة هذه يتجلى فى قدرتها على الاخلاص فى تأدية واجبات الزوجية والامومة فى سن الكهولة أكثر مما يتجلى فى اخلاصها لتلك الواجبات فى سن الشباب

إن الشباب فى معظم الاحيان يفرح بنفسه ، ويكتفى بنفسه ، ولا يعرف الحسد ، ولا يأتيه الاغراء من الداخل ، أما الكهولة فمحض تحسر وتحرق وغيرة ، محض حسد وكراهية وصغار . وشر ما يصيبها ان الاغراء يأتيها من الخارج ، من شتى مفاتن الحياة التى طالما تذوقتها والتى يعز عليها اليوم أن تودعها الوداع الاخير

فحياة البيت ، والاهتمام بشئون البيت ، وعبادة البيت ، هى العوامل النفسية التى تنقذ المرأة من نفسها ومن إغراء العالم فى سن الاربعين

ينبغى أن تتسامى المرأة بلذاتها ان كانت تطمع فى شيخوخة محترمة سعيدة . ينبغى أن تجد

سعادتها فى إسعاد الآخرين لا فى المضى فى اسعاد نفسها فقط ، خاضعة لضرب من الانانية الجنائية سرعان ما تتمثل عواقبه فى حياتها وحياة أسرتها

المرأة فى شبابها ملك زوجها كثيراً ، وملك نفسها قليلا ، وأما فى كهولتها فهى ملك الآخرين ، ملك زوجها وأبنائها ، والمجتمع الذى يطالبها بأن تكون المثل الأعلى للزوجة والام والسيدة

هذا شرط سعادتها ، وطوبى للمرأة التى جاوزت الاربعين واستطاعت أن تقول : أنا امرأة شريفة !

[خلاصة مقال لمدام مارسل تينير فى مجلة دير كتيف]

تنظيم أوقات الفراغ فى المانيا

جمعية القوة بواسطة الفرح

ان جمعية القوة بواسطة الفرح التى يشرف عليها الدكتور روبرت لاى ، ترمى الى تنظيم أوقات الفراغ فى المانيا ، واستخدامها لرفع مستوى العمال أدبياً وعقلياً

فمحاولة إشعار العامل ـ بعد إذ يقضى سحابة نهاره فى جو المصنع القاتم المكفهر ـ بأنه انسان له عقل وكرامة واحساس ، ورغبات فكرية وروحية يجب أن تتحقق حرصاً على رق المجموع ورق الكتلة العاملة التى تمثل هذا المجموع ، هذه المحاولة هى الغرض الأول من انشاء « جمعية القوة بواسطة الفرح »

فهذه الجمعية التابعة لجبهة العمل ، أرصدت جهودها على العناية بالفنون كواسطة لترقية مستوى العمال المعنوى فى أثناء تمتعهم بأوقات الفراغ . وقد نظمت فى العامين الماضيين ما يقرب من عشرة آلاف من الحفلات الموسيقية حضرها أكثر من خمسة ملايين من العمال ، وانشأت مسارح شعبية متنقلة أهمها فى برلين مسرح الشعب ، وأوبرا الشعب ، ومسرح نولندورف ، وفى ميونيخ المسرح العام ، وفى برسلو مسرح الكتلة العاملة . وجاهدت هيئة الجمعية جهاداً مطرداً أسفر عن انشاء عدد كبير من الأندية الشعبية تجتمع فيها طوائف العمال وتستمع فى ساعات معينة لاذاعات لاسلكية مجانية نظمها الدكتور لاى ونوع براعجها وأدمج فيها عناصر الموسيقى والأدب والعلم

وأقامت الجمعية فوق ذلك معارض للصور والآثار الفنية ، أرادت بها إحكام الصلة بين الشعب وفنانيه ، وشرح الاعمال الفنية الحديثة وتفسير غوامضها وتقريب معانيها الى أذهان العامة ، ثم انشأت فرعا خاصاً أطلقت عليه اسم « فرع تربية الشعب الالمانى » ، واليك أهم الاغراض التى يسعى هذا الفرع لتحقيقها :

أولا ـ انشاء مؤسسات يقصد بها معاونة الفرد فى كفاحه اليومى المادى ، وتسهيل سبل العمل أمامه ، واستكمال جوانب النقص الملحوظة فى ثقافته كى يتم تسليحه للحياة العملية

ثانياً ـ انشاء مؤسسات يقصد بها ادماج الفرد فى مجموع الأمة ، وتعريفه الأنظمة الجديدة التى تأخذ بها الحكومة وتسير بموجبها الحياة العامة فى المانيا النازية ، كى يشعر شعوراً عميقاً بأنه جزء من كل ، وأن عليه أن ينزل راضياً على ارادة المجموع

ومن أنفع الأعمال التى قامت بها الجمعية ، انشاء المكتبات المتنقلة ، فقد نظمت حتى الآن مايقرب من ثلاثمائة مكتبة شعبية صغيرة ، حشدت فى كل منها نحو اربعمائه كتاب قيم ، ووضعتها تحت تصرف العمال وأبنائهم ، فى المصانع والمكاتب والمدارس وشتى ميادين العمل

ولم تهمل الجمعية تنظيم الرحلات الصغيرة للعمال ، بل لقد فرضتها فرضاً ، وجعلت من الواجبات المقدسة على كل عامل أن يروح عن نفسه ويقوم برحلة قصيرة بين آن وآخر تنعش قواه وتجدد نشاطه وترده الى دائرة عمله مجدد العزم متأهباً لاستطراد الكفاح

ففى وسع العمال الالمان أن يسافروا باجور زهيدة الى بعض المناطق المعينة خارج المانيا ، والى مختلف المناطق داخل البلاد ، والجمعية تسهر على راحتهم ، وتوفر لهم أسباب المرح ، وتشعرهم بأن الدولة ترعاهم وتهتم بهم ولا تنظر اليهم كمحض أدوات للعمل والانتاج

ولقد أنفقت الجمعية على رحلاتها فى العام الماضى ما يقرب من ٤٥ مليون مارك ، وقدر مجموع المبالغ التى أنفقتها ورحبتها بما يربى على الخمسين مليونا

وعنيت الجمعية فوق ذلك بتنظيم الالعاب الرياضية وأنواع الألعاب الخاصة بفصل الشتاء كالانزلاق على الثلج ، ومباريات العدو ، ولعب التنس ، ثم اتجهت بأبصارها صوب القرى وعملت على رفع مستوى الفلاحين ، فانشأت فرعا خاصاً لتجميل القرى ، وآخر للقرى النموذجية ، وحسنت الحياة فى ٧٠ قرية وزودتها بأسباب الرفاهية الحديثة من راديو ومسارح وملاعب رياضة ، واستطاعت أن تنشىء ٣٥ قرية نموذجية سرعان ما أصبحت فى العام الماضى ٦٠ قرية بديعة التخطيط ، رائعة البيوت ، ذات متنزهات فسيحة وحدائق غناء

ولقد قام الفلاحون أنفسهم بنصف نفقات هذا الاصلاح ، وقامت الدولة بالنصف الباقى تحت اشراف جمعية القوة بواسطة الفرح

فمهما اختلفت الميول فى تقدير النظم الديكتاتورية ، فواجب النزاهة يقضى بالاعتراف لحكومة تعد النازى بما أسدته من خدمات للطبقة العاملة

والحق أن جمعية الدكتور لاى فكرت فى كل شىء . وشملت اصلاحاتها كل شىء ، فاعمالها قدوة لكل شعب متمدين يدرك واجبه المقدس نحو عماله وفلاحيه

[خلاصة مقال عن مجلة ليزوم دى جور]

الحب والحرب

أغاني الجيوش الاسبانية في ميادين القتال

بين قصف المدافع وصليل السيوف ، وفى أعماق الخنادق حيث يقبع الجنود الاسبان متهيئين للدفاع أو الهجوم ، يسمع المراقبون العسكريون الآونة بعد الاخرى أنغاما جميلة وأناشيد رائعة تتصاعد من جوف الظلام وتنتشر فى الأفق الضبابى ، ويختلط رنينها بأصوات انفجار القذوفات النارية ، فتحدث فى النفس شبه نشوة تختفى حيالها صرخات الجرحى ومختلف صور الحرب الأهلية المروعة النكراء

والغريب فى تلك الأناشيد الغرامية أنها الظاهرة الوحيدة التى تؤلف بين الجيشين المتحاربين وتشعر السامع بأن الجنود المتقاتلين هم فى معظمهم أفراد أسرة واحدة وأبناء وطن واحد

فالجمهورى يغنى نفس الأغنية التى ينشدها الوطنى ، وكأن المقطعة الواحدة المنبعثة من هذا الخط تتجاوب أصداؤها فى الخط الآخر فتدل أبلغ الدلالة على محنة الشعب الاسبانى ورغبة السواد الأكبر منه فى المصافحة والتهادن واقرار السلام

وقد أتيح لأحد المتطوعين الفرنسيين فى الجيش الجمهورى أن يجمع طائفة من تلك الاغانى الاسبانية الغرامية الشعبية ، وأن يترجمها الى اللغة الفرنسية بعد أن اتصل عقب عودته الى بلاده بمتطوع فرنسى آخر كان قد اشترك فى الحرب فى صفوف جيش الوطنيين ، وأقر زميله على أن تلك الاغانى هى نفس ما كان يغنيه جيش الجنرال فرانكو وماكان يغنيه بعض الضباط الوطنيين أيضا قبيل استعدادهم للدخول فى معارك فاصلة . واليك بعض هذه الاغانى التى يمتزج فيها الحب بالحرب ، والتى تنم عن حقيقة شخصية الشعب الاسبانى وحقيقة نفسية الجيوش الاسبانية

أغنية الحب والحسرة

ليس لى من يبكى على
أنا أحارب أخى وهو يحاربنى
أنا أحب أخته وهو يحب أختى
وكلانا فى الحقد المروع سواء !

***

أريد أن أبث أخى شكوى غرامى

ولكن الحب يصرعني ، وسيف أخي يجهز على
ولسوف أموت هنا وقدمه تسحقني
أما هو فقد أمزقه باسناني وقد يموت رافعاً بصره الى !

***

لن يدق ناقوس الكنيسة ايذانا بموتى
ولن أحمل الى معشوقتى باقة من الزهر
ان شقيقها عدوى ، وهى تخشاه وتحبنى
لقد قتل حبها وعما قريب يقتلنى
فوداعا للحب إذن ، ولأقاتل فى سبيل واجبي !

***

لم تبق لى من تعزية غير هذا الواجب
فليمت أخي ، ولتمت معشوقتى
ان عبير البارود ليفعم صدرى
ونشوة المعارك تسكرنى ، واندلاع النيران من فوهات المدافع يذهب بلبي ويفتننى ، فلتعش سبانيا الحرة ، وليمت أخي ومعشوقتى !

***

فى هذه الاغنية نلمح حنين الجندى الاسبانى الى أخيه الذى يقاتله ، وعطفه عليه ، وحبه إياه ، ولكننا نشعر فى نفس الوقت بتأصل عاطفة الواجب فى قلوب الاسبان ، ورغبة كل منهم فى توكيد مبدئه والدفاع عنه حتى النصر النهائى . فبينما ينشد الجندى الجمهورى قائلا : «لتعش اسبانيا الحرة» ينشد أنصار الجنرال فرانكو قائلين : «لتعش اسبانيا الوطنية» . وهذه هى نقطة الخلاف الوحيدة بين اخوة أشقاء حفرت بينهما المبادىء السياسية هوة روحية ساحقة

واليك أغنية ثانية أوقع فى النفس من الاولى :

اغنية المرح والحياة

منحت إجازة أسبوع أقضيها فى بيتى
يا للسعادة ، يا للجنون ، يا للحياة !
سوف أرى أمى العجوز متقرحة العينين تنتظرنى
سوف أرى معشوقتى مفتوحة الذراعين متهيئة لحبي
الجو صاف ، والنسيم عليل ، وانفجار القنابل لا يصم أذنى

ولكن أين هي الراحة ، أين هو الملاذ ، أين هو ذلك البيت الجميل الذي كان بالأمس بيتي ؟

***

أشرفت على قريتي فوجدتها كومة من تراب

أشرفت على بيتي فوجدته تلا من رماد

أخي الاسباني هدم صرح بيتي

أخي الاسباني شرد أمي ومعشوقتي

أخي الاسباني قتل كل أمل في صدري

الويل لك يا اسبانيا ما دمت مسرحا دمويا للجريمة

الويل لك يا اسبانيا ما دمت مسرحا لكل جندي غريب !

***

كنت على وشك ان افرح واثأر من شقائي بالارتماء في حضن الحياة

كنت على وشك ان انتقم من الموت بالاسراف في حب الحياة

ولكن جيش أخي وطائراته عصفت بكل ما كان يمثل في نظري البائس جمال الحياة

فعلي ان انتقم من الموت بالموت ، وان اسرع الى خط القتال ، واضرب أولئك الطغاة

أولئك الطغاة الذين هدموا البيت

البيت الجميل الذي كان بالأمس بيتي

والذي استحال اليوم الى كومة من تراب ورمال !

***

وفي هذه الاغنية الثانية نلمس شعور الجنود الاسبان بعاطفة الكراهية للاجانب الذين ساعدوا على اضرام نار الحرب الأهلية ، كما نحس أن ميول الاسبان منصرفة الى تحميل اولئك الاجانب وحدهم مسئولية الحرب

فالذي يتضح من تلك الاغاني الاسبانية الشعبية ، هو ان الشعب الاسباني قد برم بتلك الحرب الهائلة ، وازداد شعوره بأنه قد وقع فريسة للامم الاجنبية ، واشتد احساسه بهول ما يفعل ابناؤه وهم يتقاتلون لمصلحة الغريب

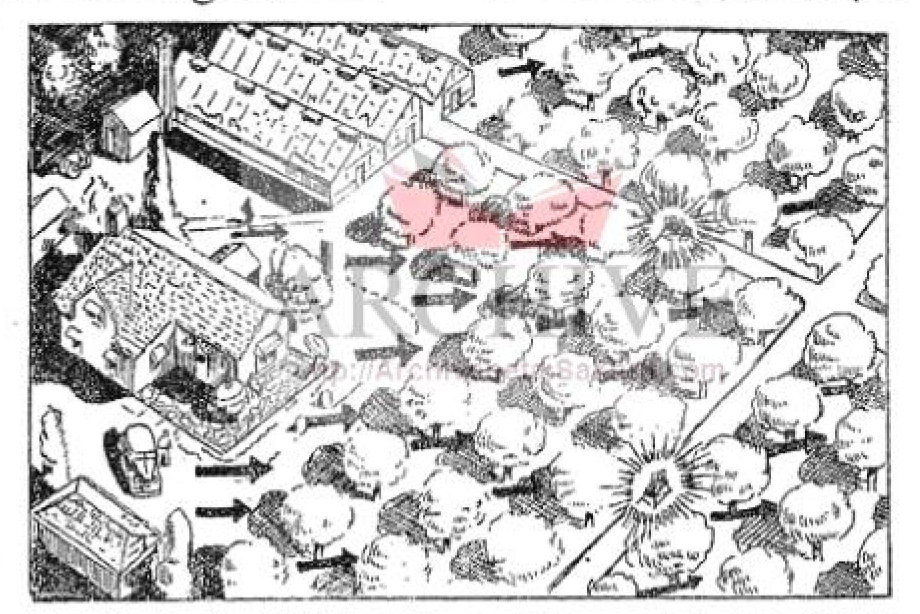
[خلاصة مقال عن مجلة نوفيل آج]

العلم والعالم

تطهير المزارع بالكهرباء

٤٠٠ مليون جنيه تفقدها الولايات المتحدة كل عام من ثمن محصولاتها الزراعية ، بسبب ما تلتهمه منها أسراب الحشرات التى تعبث فى مزارعها . هذا ما قدرته وزارة الزراعة من تلك البلاد بناء على مباحث واحصاءات دقيقة عليها هناك تيار كهربائى يصعقها ، أو وجدت حوضاً من الزيت تسقط فيه ولا تخلص منه

وقد اتخذت هذه المصائد فى بعض المزارع فزاد محصولها زيادة ملموسة . ومعنى هذا أن فائدتها لا تقتصر على المنتج وحده ، بل تتعداه



شاملة ، فما أعظم الخدمة التى ستؤديها الكهرباء للزراعة عما قريب حين تطهر حقولها من هذه الحشرات والآفات المتلفة

فقد اخترعت أخيراً مصائد كهربائية تنصب فى الحقول فتصطاد ما فيها من الحشرات ، وذلك بأن تشع ضوءاً يجتذبها بألوانه المغرية الأخاذة فما تكاد الحشرة ترى هذا الضوء حتى تسرى اليه ثم تسعى الى مصدره ، فاذا بلغته انصب الى المستهلك كذلك ، فان وفرة المحصول تؤدى الى انخفاض ثمنه . كما أن تطهير المزارع من الحشرات والآفات يضمن للمستهلك ثماراً نقية

وهذه المصائد لاتكلف المزارع كثيراً ، فان أنبوبة الضوء التى تساوى حوالى عشرة جنيهات تكفى فدانا من النباتات أو الاشجار مدة ٥٠٠٠ من الساعات ، أى تكفى لاضاءته طول الليل مدى ١٠ سنوات أو ١٢ سنة

جوائز نوبل العلمية

لم يمنح فى هذا العام من جوائز نوبل العلمية الثلاث سوى جائزة الطبيعيات ، التى نالها العالم الايطالى الاستاذ انريكو فيرمى ، وهو الذى



العالم الايطالى أنريكو فيرمى

اكتشف أثقل العناصر المعروفة ، وكشف أربعين عنصراً قابلة للنشاط الراديومى ، ووضع جداول رياضية عن تركيب الذرة وحالاتها ، وغير ذلك من المباحث النظرية والتجارب العلمية

أما جائزة الكيمياء وجائزة الطب فلم تجد الجامعة من العلماء والاطباء من يستحقهما فى هذا العام، فقررت ادخار قيمتهما الى العام المقبل، وتبلغ قيمة كل منهما أكثر من سبعة آلاف من الجنيهات

أثمن شيء فى العالم

ما أغلى شيء فى هذا العالم ، أهو الذهب ؟ أم الراديوم ؟ أم الاحجار الكريمة النادرة ؟ أم ماذا ؟

أما الذهب فلا ، فانا نجده رخيصاً جداً إذا قارناه بالراديوم الذى يبلغ ثمن الجرام الواحد منه الآن حوالى ٤٢٥٠ جنيهاً . ومع هذا فهناك من الجواهر التاريخية النادرة ما يفوق ثمن الجرام الواحد منها هذا المبلغ الهائل كله ، فلنكن كرماء أسخياء ونفرض أن الجرام الواحد من هذه الجواهر يساوي ٢٠٠٠٠٠ جنيه ، ثم لنبحث عن شيء آخر أثمن من ذلك وأغلى

لقد قدر العالم الانجليزى الكبير « ا . ف . هيل » أنه لو جمعت الخلايا التى خرج منها سكان الارض جميعاً ، وعددهم الآن حوالى ألفى مليون من الانفس ، ثم أخذت من كل خلية الجرثومة الأولى التى انبعثت منها حياة انسان ، ووزنا هذه الجراثيم كلها لما زاد وزنها على وزن قطرة واحدة من الماء — أو لبلغ على وجه الدقة ١/٣٢ من وزن الجرام

ولنكن فى هذه المرة أشحاء بخلاء ، ولنفرض أن كل انسان على هذه الارض لا يساوى أكثر من عشرين قرشاً ، فماذا نجد ؟ نجد أن الجرام الواحد من هذه الجراثيم التى أنجبت البشر يساوى — حسب هذا السعر الزهيد — ٤٫٨٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات !

فهل فى الوجود كله أثمن وأغلى من هذه المادة ؟

فن العمارة المصرية

أين نشأ فن العمارة : فى مصر أم فى بابل ؟

هذا هو السؤال الذى عرض للبعثات الأثرية التى تنقب الآن عن آثار الاشوريين فى أرض العراق . فقد كشفوا عن أطلال يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد بأربعة آلاف من السنين ، فوجدوا فيها من أساليب العمارة الدقيقة ما كانوا

يحسبونه قبل الآن من ابتكار أوربا فى العصور الوسطى ، ووجدوا ان الاشوريين كانوا يعرفون فى هذا العهد السحيق نوافذ البيوت ، وكانوا يجوفون الحوائط ليقيموا التماثيل فى تجاويفها كما هو الشأن فى المعابد اليهودية والمسيحية

وكانت هذه البعثات تميل الى أن تنسب الى أشور فضل ابتكار فن العمارة ، ولكن العالم الاثرى « بلدوين سميث » قال : ان العمارة المصرية هى أقدم العمارات القديمة وأدقها وأبدعها . فقد عرفت مصر منذ ستين قرنا من الزمان « المراوح » التى تفتح فى الجدار أو السقف لتجديد الهواء فى البيوت . وأخذ عنها الاغريق رؤوس السباع التى كانوا يزينون بها فوهات النوافير وصنابير الماء فى الحدائق والحمامات والقصور ، كما أن الكهوف التى يحفرها المسيحيون تحت كنائسهم هى من تراث المغاور التى كان المصريون يشقونها تحت معابدهم

والمصريون هم أول من ابتكروا الشوارع المتوازية ، وأول من بنوا البيوت على امتداد خطوط مستقيمة ، وأقاموا بيوتا من طبقتين ، ليخزنوا محاصيلهم وليقضوا فترة الصيف فى الطبقة العليا ، وهم الذين وضعوا أساس تنظيم المدن وتعميرها وفق خطة مرسومة

فيتامين جديد

أضيف الى قائمة الفيتامينات فيتامين جديد كشفه الاستاذ ادوارد وندوس من حائزى جائزة نوبل العلمية ، وأطلق عليه « فيتامين د ٣ » . وقد ثبت أنه أنجع علاج لمرض الكساح الذى يصيب الاطفال بسبب نقص غذائهم ، فيقوس أذرعهم وسيقانهم ويشوه خلقتهم ويهيئهم لقبول أمراض أخرى . ويستخرج هذا الفيتامين من زيت سمك « التونة » ، فيجدر بالامهات أن يغذين أطفالهن بكمية وافرة من هذا السمك ، الذى يشتمل على فيتامين آخر يصلح لمقاومة مرض الكساح وهو « فيتامين د ٢ »

أين يكثر النسل ؟

هل يكثر نسل الانسان حيث يرتع فى حياة الريف ، وهل يقل نسله حيث يعانى مساوىء الحياة فى المدن ؟

المدن الكبرى : أكثر من ١٠٠٠٠٠ نسمة

المدن الصغيرة : من ٢٥٠٠ نسمة الى ١٠٠٠٠٠ من السكان

قرى ريفية لا تعنى بالزراعة

قرى ريفية تعيش من الزراعة

نعم ، وهذا رسم بيانى يوضح هذه الظاهرة فى الولايات المتحدة الامريكية ، فتجد أن الاطفال الذين تقل أعمارهم عن أربع سنوات تكثر نسبتهم فى القرى وتقل فى المدن . كما أن هذه النسبة تختلف فى القرى بقدر قربها من الحياة الزراعية الوادعة ، وتختلف فى المدن بقدر قربها من الحياة الصناعية والتجارية الصاخبة

وعدد الاطفال المبين فى الرسم يمثل نسبتهم الى كل الف امرأة فى سن الحمل ، أى تتراوح أعمارهن بين الخامسة عشرة والرابعة والاربعين

العلم ينتقم

هو عنوان كتاب أصدره الباحث الاجتماعى الفرنسى جورج مونو ، وفيه يلفت الكاتب الانظار إلى مشكلة من الخطورة بمكان عظيم ، فهو يقول انأوربا ابتدعت العلم الحديث ولكن هذا العلم أفلت منها وأخضعها لسلطانه وشرع يثأر من العقل الذى ابتدعه ، فلقد حولت أوربا مبتكرات العلم الى وسائل قتل وتدمير اتخذت منها الدرع الذى يحمى حضارتها ، بل جعلت منها دليل القوة ووسيلة الحياة والبأس والنفوذ . وهكذا أدرك الشرق ان القوى المعنوية باطلة والقوى الثقافية المجردة عبث لا طائل تحته . فهب يبتاع مبتكرات العلم ويتزود من وسائل القتل والتدمير ، وها هو ذا فى اليابان مثلا يستخدم علم أوربا وأسلحتها لطردها من الشرق الاقصى توطئة لاجتياحها فيا بعد لو سنحت له الظروف

والشرقيون فى عرف المسيو جورج مونو ، يحلمون بالسيادة والتفوق ، ويحيون حياة بسيطة التكاليف لا ترهق ميزانية الدولة التى فى وسعها استخدام أموالها لشراء الأسلحة ودفع الشعب الى الحروب . وهذا ما تم فى اليابان وما دل أبلغ الدلالة على أن العلم العصرى ينتقم من العقل الذى صنعه انتقاماً تضاعف آثاره منازعات أوربا الداخلية وانشقاق دولها بعضها على بعض

ويقترح المؤلف علاجاً لهذا المشكل انشاء ولايات أوربية متحدة كتلك التى كان ينادى بها المسيو بريان ، على أن تخير هذه الولايات شعوب روسيا وشعوب الشرق الاقصى بين الحرب وبين ائتلاف السلاح ، وانشاء جامعة أمم دولية تتعهد بتوزيع المواد الأولى توزيعاً عادلا تشرف على تنفيذه الولايات المتحدة الامريكية

العالم يتقدم

يقدر عدد ما أطلق من الرصاص على كل قتيل فى الحرب السبعينية التى نشبت بين بروسيا وفرنسا بثمانين رصاصة . أما فى الحرب الكبرى فكان نصيب كل جندى قتل فيها ٢٨٫٠٠٠ رصاصة و٨٦٠ قنبلة . ويقال إنه فى الحرب القادمة سيكون نصيب كل قتيل ٨٫٦٠٠ قنبلة ، أما الرصاص فلن يقل نصيب القتيل منه عن ١١٫٦٠٠٫٠٠٠ رصاصة

أليس هذا أبلغ دليل على أن العالم يسير قدما فى طريق الحضارة ؟!

ولهذه المناسبة نذكر أن أول قذائف أطلقتها البنادق كانت مصنوعة من الأحجار ، وكان ذلك فى سنة ١٥١٤ . أما القذائف الحديدية فلم تعرف إلا فى سنة ١٥٥٠

نفقات الجيوش الحديثة

هذه قائمة بأثمان بعض المعدات والآلات التى يتألف منها كل جيش حديث :

البارجة الكبيرة	٦٫٠٠٠٫٠٠٠	جنيه
حاملة الطائرات	٢٫٨٠٠٫٠٠٠	«
النسافة البحرية	٢٫٢٠٠٫٠٠٠	«
الطائرة قاذفة القنابل	٢٠٫٠٠٠	«
الدبابة	١٦٫٠٠٠	«
المدفع عيار ٣٧ مليمتر	٢٠٠	«
القنبلة	٣	«

الحركة الفكرية

الثقافة والعبقرية

يخطىء من يظن أن العبقرية فى حاجة الى ثقافة غزيرة كى تنمو وتزدهر وتؤتى ثمارها . إذ الواقع أن العبقرية هبة طبيعية ، فى حين أن الثقافة قوة مكتسبة . ومهما كانت ثقافة الأديب أو الشاعر أو المفكر عظيمة ، فليس فى وسعها ابداع ما تبدعه العبقرية . وقد أصدر أخيراً



كيتس

شكسبير

الكاتب الالمانى هنريك فون مولر كتابا عالج فيه هذا الموضوع مستشهداً بالشاعر شكسبير الذى لم يفز بقسط وافر من الثقافة ، وبالشاعر كيتس الذى مات قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره وقبل أن يستكمل ثقافته مخلفا أعمالا وضعته فى الطبقة الاولى من شعراء الانجليز

وسرد الكاتب الالمانى أسماء طائفة كبيرة من العباقرة غير المثقفين ، ثم تطرق الى رأى طريف ، خليق بأن تمعن النظر فيه

ويتلخص هذا الرأى فى أن الانسانية تعيش على النوابغ المثقفين أكثر مما تعيش على العباقرة الأفذاذ

فالعبقرى جوهر نادر تجود به الطبيعة فى كل قرن مرة ، وليس فى مقدورنا أن نخلقه خلقاً ، ولا أن نبدع منه عشرات يدفعون بعجلة التطور الى الامام ، ولكن فى مقدورنا أن نمهد السبيل لظهور مئات من المثقفين النوابغ . وهذا ماحققته الانسانية بالفعل ، وأقامت عليه صروح حضارتها ، فمقياس عظمة الأمة مثلا ، هو كثرة عدد المثقفين النوابغ من أفرادها ، أما العبقرى فقد يظهر فيها وقد لايظهر . والعجيب أنه قد يلوح فى أفق الأمة المتأخرة ، ويختفى جيلا أو جيلين أو ثلاثة من سماء الأمة المتحضرة ، ومع

ذلك فظهوره فى أمة متأخرة لايعد برهانا كافياً على تحضرها ، وإلا كان ظهور تاغور فى الهند مثلا يعد دليلا على تقدم الشعب الهندى

فالعبقرى والحالة هذه جوهر نادر يجب ألا نعول عليه بل يجب أن نتجه بجهودنا صوب انتاج أوفر عدد ممكن من النوابغ المتفقين

العظماء والعزوبة

يعتقد الكاتب الامريكى والاس جورج ان العظيم يجب ألا يتزوج ، وان نظام الحياة الزوجية ينهض على الأنانيـة فى حين ان العظيم رجل غيرى بطبعه ، لا يستطيع حصر جهوده اليومية فى محيط ضيق ، وإلا تأثرت عبقريته وانكمشت وضاق أمامها الأفق الانسانى

وقد بسط الكاتب هذه النظرية فى كتابه الأخير (الفكر والمرأة) . ومن أغرب ما ورد فى هذا الكتاب أن لا عدو للرجل العظيم سوى المرأة ، فهى لا تلهمه الفكر وروائع الخيال كما يعتقـد كثيرون ، بل تلهمه على النقيض روح احتقار الفكر وازدرائه والاستخفاف به ، وعبادة الحياة المحسوسة بدلا من تقديس الوهم العقلى

والمرأة فى عرف والاس جورج مخلوق نزاع الى البلادة ، لا يعرف كيف يحب إلا متى حصر الرجل فى دائرة الحب ، أى متى ابتلى عقلـه بالبلادة الذهنية وحبس قواه المفكرة على الحب وحده

فعدوى البلادة والكسل والخمول ، هى التى تسرى من المرأة الى الرجـل فى جو الحياة الزوجية

فاذا كان الرجل عظيما نشب الصراع بينه وبين امرأته ، أى بينه وبين المرض الماثل أمامه والموشك ان يتغلغل فيه

وهذا الصراع يفقد العظيم شيئا كثيراً من سلطانه على نفسه ، وسلطانه على فكره ، وقدرته الاصيلة على الانتاج

واذا سلمنا بان من العظماء من تتفوق عقولهم على أخلاقهم ، وجب أن نسلم بان ضعاف الاخلاق منهـم لابد أن يذهب معظمهم فريسة للمرأة والزواج . لهذا ينصح الكاتب الأمريكى العظماء بالعزوبة ويحذرهم خطر المرأة ، ويقول : « إن سعادة العظيم هى فى التبتل والانقطاع لخدمة الفكر وحده »

اغراء السينما

أصدرت الأديبة البولونية «ماريا ريناسكى» رسالة شائقة بحثت فيها شعور الاغراء الذى يتملك المرأة وهى تشهد أفلام السينما الامريكية

وتزعم مدام ريناسكى أن معظم أفلام السينما تنهض على أبطال متأنقين مترفين اجتمعت لهم مباهج الثروة ومفاتن الجمال ، فأصبحوا لدى الجماهير ولا سيما جماهير النساء مثلا أعلى

فالمرأة اليوم تنشد وسائل الترف وتتهالك على الأزياء الحديثـة وتكره الفقر والفقراء وتسرف فى الأنانية ولا تهتم بفضائل البسـاطة والاقتصاد ، لأن السينما هى غذاؤها اليومي ، ولأنها فى السينما لا تجد غير مظاهر الرفاهيـة والترف والنعيم

فهذا النعيم الذى تحيا فيه نجوم هوليوود ، أو هـذا النعيم الذى يتظاهرن به على اللوحة البيضـاء ، هو الاغراء الدائم يكتنف المرأة العصرية ويفسد أخلاقها ويسمم عواطفها ويدفعها فى بعض الأحيان لارتكاب شتى المحرمات فى سبيل الفوز به . ومما يزيد فى أثر هـذا الاغراء ، أن المرأة ليست كالرجل ، وأن الرجل

قد يكتفى بحب الترف والاعجاب بالمترفين اعجاباً خيالياً ، أما المرأة فتريد تقليدهم ، تريد أن تطبع حياتها بطابعهم وتعيش فى الجو الذى يحيون فيه ولذا تقبل النساء على السينما أكثر من اقبالهن على المسرح حيث لا وجود لتلك البهرجة المادية التى تمتاز بها معظم أفلام السينما

وتقترح مدام ريناسكى لعلاج هذه الظاهرة اقتباس أفلام من حياة العمال والفلاحين ، توحى العمل والكفاح ونزعة البساطة والادخار ، وسحر العواطف النقية الساذجة البريئة

عضو جديد فى الاكاديمية الفرنسية

انتخب الاديب القصصى جيروم تارو عضواً فى الاكاديمية الفرنسية

وجيروم تارو هو شقيق جان تارو ، وقد اشترك الاخوان فى وضع طائفة من القصص الشائقة تدور حول دراسة الاخلاق والعادات عند الشعوب الاسلامية واليهودية وبعض شعوب البلقان

وتمتاز مؤلفات الاخوين تارو بتجردها من نزعات التعصب ، وشيوع روح الفن والصدق فيها . والواقع أنها سلسلة صور أمينة دقيقة



الاديب القصصى « جيروم تارو »

لمختلف العادات والتقاليد الاسلامية فى المستعمرات الفرنسية ، ومختلف العادات والتقاليد اليهودية فى بعض بلدان أوربا

ففن الاخوين تارو ، يسجل الحقائق دون تعليق ، ويرسم شتى الصور تاركا للقارىء الحكم لها أو عليها . وأما أسلوبهما الادبى فيتفرد بالبساطة والوضوح وانسجام الألوان والظلال ، ومتانة العبارة وعذوبتها وصفائها

وقد استفاضت شهرة الاخوين تارو عندما احرزا جائزة جونكور تقديراً لكتابهما (دنجلى الكاتب الشهير) ، وأما المؤلفات التى تحدثا فيها عن شئون الشرق فأهمها : (سادة مراكش) و (فرسان الله) . ولا ريب فى أن الاكاديمية الفرنسية أحسنت الاختيار بانتخابها جيروم تارو عضواً فيها ، فهو أديب كبير ومصور ماهر وفنان نزيه مخلص للحقيقة والجمال

اسبانيا والنظام الملكى

يظهر أن النظام الملكى وشيك العودة الى اسبانيا ، ويعتقد بعض كبار المفكرين الاسبان أنه أصلح الانظمة وأقدرها على اقرار السلام فى تلك البلاد

وقد وضع السنيور مارتن جوميز أحد انصار الجنرال فرانكو كتاباً بعنوان (اسبانيا الجديدة) دعا فيه لتوحيد صفوف الاسبان تحت لواء الملكية . ومما ورد فى هذا الكتاب أن النظام الملكى الدستورى هو النظام الوحيد الذى يمكن أن ترضى عنه أحزاب اليمين الكاثوليكية وأحزاب اليسار التى تقدس الفكرة الديموقراطية

ويقترح السنيور مارتن جوميز اقامة نظام ملكى دستورى على نمط النظام المتبع فى انجلترا .

وهكذا تحترم حقوق الكنيسة ويحتفظ النبلاء ببعض امتيازاتهم مقابل ضرائب مالية كبيرة تفرض على ثرواتهم، وتتمتع أحزاب العمال بحرية انشاء النقابات، وتتجه البلاد صوب تحقيق الاصلاحات الداخلية فى ظل الديموقراطية الملكية حارسة جميع الحقوق والحريات

ومما يدل على استعداد الجمهوريين الاسبان لتقبل هذه المقترحات، ان صحيفة «العصر الجديد» الباريسية أذاعت ان حكومة الجمهورية سمحت لكتاب السنيور جوميز بدخول المناطق الاسبانية التى تسيطر عليها

مقياس الرقى

ما هو مقياس الرقى فى أمة من الأمم؟ هل هو مبلغ ثقافة الخاصة فيها أو مدى تقدمها فى ميادين العلم والادب والفن؟. يجيب عن هذه الأسئلة الباحث الفرنسى جول مونتيه فى كتابه (غاية الحضارة) بقوله ان مقياس الرقى فى أمة هو المستوى المادى والثقافى الذى بلغته الطبقات الشعبية فيها. فاذا كان مستوى العامل والفلاح رفيعاً، واذا كفلت لهما الامة حق الحياة المادية والفكرية الخليقة بكرامة الانسان، فالأمة اذن متحضرة، وساستها من النوابغ، وقادة الفكر فيها من المخلصين المنزهين الأوفياء

وأما اذا انحصر العلم والمال فى أيدى طبقة معينة، فذلك هو الحكم الاقطاعى بعينه

ومهما بذلت تلك الطبقة المتعلمة الغنية فى دائرتها الخاصة من جهود فى سبيل الثقافة المعنوية والرفاهة المادية، فيجب ان تنحدر هذه الجهود الى سواد الشعب الجاهل الفقير كى تصبح الأمة كتلة منسجمة القوى فياضة الحيوية

ولقد كان المال والعلم فى عهد روسيا القيصرية وقفاً على طبقة الأعيان والأشراف وكبار الموظفين فكانت الأمة فى مجموعها ضعيفة ضعفاً أودى بها عند أول كارثة

والمهم فى الامر كى تطمئن الطبقة العالية على امتيازاتها ومستقبلها ان تخلص لطبقة الشعب وتعنى بحاجاتها وتقوم نحوها بالواجب الذى تفرضه عليها حيازة العلم وحيازة الثروة

بهذه الوسيلة تنهض الأمة وتتماسك وتحقق الوحدة المعنوية المنشودة بين مختلف طبقاتها

الفن فى خدمة السلام

وضع الناقد الامريكى الفنى (تشارلز موريسون) كتابا شائقاً ابتكر فيه رقصة جديدة نظم أوضاعها ورتب خطواتها بحيث تمثل الآلام المروعة التى يقاسيها الجنود فى الخنادق بعد قيامهم بمعركة بالسلاح الابيض

وهذه الرقصة الجماعية التى يتطلب تمثيلها اشتراك أكثر من ثلاثين راقصاً، صادفت هوى من نفس الراقص الروسى المشهور سرج ليفار الذى يعيش الآن فى باريس، فشرع يعد العدة لاخراجها على أحد المسارح الباريسية بمعاونة أفراد فرقته الذين يتدربون عليها تحت اشرافه ورعاية جمعية أنصار السلام النسوية فى فرنسا

وتمتاز هذه الرقصة المصحوبة بنغمات الموسيقى بأن الصرخات والزفرات والتأوهات المعبرة عن الالم الذى يقاسيه الجنود، لا تنطق بها شفاه الراقصين بل تتمثل فى حركاتهم فقط، وتعزز تأثيرها وتكشف عن معانيها نغمات الموسيقى

وقد ذكرت صحيفة باريسية أن موسيقى هذه الرقصة الطريفة قد عهد فى وضعها الى الملحن الفرنسى الكبير داريوس ميلو. وهكذا يشترك فن الرقص العصرى لأول مرة فى خدمة قضية السلام

الكتب الجديدة

مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية

بقلم عبد الرحمن الرافعي بك

مطبعة الشرق بمصر فى ٥٠٠ صفحة

طالع الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك فى كتابه عن مصطفى كامل جيلنا الحديث بصفحة من الجهاد القومى تصل حاضرنا بماضينا ، وتنير لنا السبيل فى جهادنا الحالى ، وجهادنا فى المستقبل

فلقد صور لنا الزعيم مصطفى كامل فى إبان ظهوره عام ١٨٩٠ ، على حين فترة من الحركة الوطنية ، وهجعة من الكفاح القومى ، وانحلال فى الروح المعنوية ، أى على أثر اخفاق الثورة العرابية واحتلال انجلترا مصر

ظهر مصطفى وقد تحالفت على البلاد عوامل اليأس ، وتساءل الناس كيف تقوم حركة وطنية لاستخلاص الاستقلال من يد أقوى الدول نفوذاً وأوسعها سلطاناً ؟ . ولكن وطنية مصطفى كانت أقوى من الجيل الذى ظهر فيه ، فأخذ يثابر على دعوته ويناضل عنها ، حتى استجابت الامة لندائه ، فكانت نهضة ، وكان شعور ، وكان جهاد وحياة

ولقد أحاط الاستاذ النابغة الرافعي بك بوصف جميع المراحل التى مرت بها حياة الزعيم الشاب ودراستها دراسة تاريخية علمية قوية

فنشأة الفقيد والعصر الذى ظهر فيه ، وجهاده فى المدرسة الثانوية وفى مدرسة الحقوق ، وجهاده حتى وقوع حادثة فاشودة ، وظهور صحيفة اللواء ، وتطور الاحداث السياسية عقب توقيع الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا ، وموقف مصطفى كامل من نتائج هذا الاتفاق ، وموقفه فيما بعد من حادثة دنشواى ، ثم تأسيس الحزب الوطنى . كل ذلك تناوله الاستاذ المؤلف فى أسلوب رائع سهل أخاذ ، يجمع الى التحقيق العلمى ، بلاغة العبارة الادبية ذات البساطة الممتعة الصادرة عن عقل ملؤه الاعجاب ونفس عامرة بتقدير العظمة والعبقرية

والواقع أن كتاب الاستاذ الرافعي بك هو صرخة تمجيد يرفعها الى مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية المصرية ، وهو عمل يدل على عرفان المصرى لجيل من أيقظه ورد اليه عنصر الحركة والنشاط بعد طول استغراقه فى السبات العميق ، وهو جهد يستنهض عزائم الجيل الحاضر ويحرك همه الراقدة ، ويدفع به قدماً نحو استكمال عناصر استقلال مصر وجعل مستقبلها خليقاً بماضيها المجيد

رجعة أبى العلاء

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

مطبعة حجازى بالقاهرة فى ٢٧٠ صفحة

الاستاذ عباس العقاد واسطة العقد بين الادب العربى والادب الاوربى ، بين حضارة الشرق وحضارة الغرب ، بين ما يجب أن نحتفظ به من تراثنا الادبى الخالد وما يجب أن نضيفه اليه من مولدات العبقرية الأجنبية

والعقاد شاعر كبير وكاتب كبير ، يجمع الى

اتقاد الخيال ، قوة العقل وقوة الفكر ، وهذه الظاهرة الملحوظة فى شعره نلمح آثارها العميقة فى نثره أيضا ولا سيما فى كتابه الشائق الأخير « رجعة أبى العلاء »

فخيال الشاعر هو الأصل فى هذا الكتاب، ولكنه خيال يرمى الى احياء عصر عربى وبعث عبقرية عربية ، وادماج هذه العبقرية فى عصرنا هذا ، وتصوير شتى انفعالاتها وتطوراتها ونظراتها الفلسفية حيال مشكلات عصرنا

فالمعرى كاره الحياة ، أراد العقاد أن يعيده الى حياتنا ، أراد أن يتخيله بيننا ، أن يسمع ماذا هو قائل ، ويرى ماذا هو فاعل

وتلك لعمرى فكرة طريفة تستفز شاعراً كبيراً وتستحق أن يعنى بها كاتب كبير

ولقد عاد الاستاذ العقاد بابى العلاء الى الدنيا وجعله يطوف بأنحاء العالم الحديث ويطبق على ما يرى خلاصة آرائه وصفوة فلسفته . وهكذا يمضى المعرى الى أمريكا ويدرس التيارات الفكرية والاقتصادية فيها ، ثم ينطلق الى المانيا وايطاليا وروسيا ويبدى رأيه فى المذاهب النازية والفاشية والشيوعية ، ثم يذهب الى انجلترا وفرنسا ، ويحدثنا عن مسائل الحرب والسلم والعادات والاخلاق ومركز المرأة العصرية ، ثم يرتد الى مصر والبلاد العربية فيصارح برأيه عن نهضتها ومبلغ تغلغل الروح الديموقراطية فيها ، ثم يلقى آخر الأمر نظرة وداع على الدنيا مشيعاً ما رأى بقصيدة رائعة من قصائده

فانت ترى مما تقدم أن كتاب (رجعة أبى العلاء) هو دراسة اجتماعية شاملة فى قالب قصة، أو هو سلسلة آراء نقدية فى حضارة العصر الحاضر صاغها المؤلف فى شكل قصة وأوردها على لسان شاعر المعرة وفيلسوفها أبى العلاء

وجماع القول أن كتاب (رجعة أبى العلاء) عمل فريد فى اللغة العربية ، يدل أبلغ الدلالة على أن العقاد ما يزال يواصل تجديد مختلف الانواع الادبية من شعر ونقد وقصص

مستقبل الثقافة فى مصر

بقلم الدكتور طه حسين بك

مطبعة المعارف بمصر

فى جزئين كل منهما فى ٢٤٠ صفحة

الدكتور طه حسين بك رجل تحرر من التقاليد القديمة ، والآراء والأفكار التى خلفتها فى نفوسنا وعقولنا أجيال التأخر والاستبداد وما كان شائعاً فيها من جهل شائن وتعصب ممقوت . فهو كاتب أشرب نفسه حب الثقافة الأوربية ، ووعى مبادئها ، وآمن بحرية الفكر وحرية الفرد ، وقيمة الديموقراطية ، ثم شرع يكافح ويناضل فى سبيل تقريب مسافة الخلف بين بلاده وأوربا ، وإحكام الصلة بين جوهر التعاليم الاسلامية وجوهر التعاليم الأوربية ــ القائمة فى صميمها على احترام فضائل الديموقراطية والتسامح والحرية

وهو فى كتابه الجديد « مستقبل الثقافة فى مصر » يبحث فى مستقبلنا الثقافى وتعيين اهدافه وتحديد الاغراض التى يتجه اليها ، فيدلل على أن العقل المصرى ليس عقلا شرقياً خالصاً، وأنه تأثر بالعقل اليونانى والفلسفة اليونانية والحضارة التى نشأت حول بحر الروم

ثم يتدرج الى دراسة العقل الاسلامى ويرى أنه كالعقل الاوربى فى وسعنا ان نرد أصوله الى عناصر ثلاثة : حضارة اليونان ، وحضارة الرومان ، والدين

ثم ينتقل بنا الى مصر الحديثة ، فيدرس

نظم الحكم والتعليم فيها وعلاقتها بالنظم الاوربية، وينعى عليها تقصيرها فى الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة ، ويؤكد فى حرارة أن الاسلام قدساير الحضارة فى مختلف العصور ، ويطمئن المصريين على قوميتهم وماضيهم ، ويبرهن على أن الاتصال القوى الصريح بحضارة العصر لا يمكن ان يفقد الشعب القوى طابع عنصره وخصائص شخصيته

ويفرد الدكتور طه حسين بك فصولا شائقة يحدثنا فيها عن الديموقراطية والتعليم الأولى فى مصر ، وعن وجوب العناية باصلاح مدارس المعلمين الأولية ، وعن التعليم الجامعى والتعليم فى الأزهر ، ثم ينتهى بنا الى دراسة الحركة الفكرية والثقافية نفسها ، والتعاون الثقافى بين مصر والاقطار العربية ، ثم يستخلص من هذا كله بحثاً طريفا فى نوع الثقافة المصرية وطابعها وما عسى ان تمتاز به فى الغد ، ووجوب اتجاهها نحو الاحاطة بالعنصرين الرئيسيين اللذين تتكون منهما كل ثقافة رفيعة حية ، وهما العنصر الوطنى ، والعنصر الانسانى

فهذا الكتاب — كما ترى — دراسة شاملة للحياة الفكرية فى مصر ، وصورة واضحة الأجزاء بارزة المعالم ، لمختلف الأدواء التى يشكو منها العقل المصرى والتى تعترض نماءه وازدهاره وسعيه لابتداع ثقافة تنم عن مبلغ نهضته ، ومدى استعداده الفكرى ، وترمز الى جوهر نفسه وطابع عبقريته

التصوف الاسلامى فى الادب والاخلاق

بقلم الدكتور زكى مبارك

مطبعة الرسالة بمصر فى جزئين كل منهما ٤٠٠ صفحة

يدرس الدكتور زكى مبارك فى هذا الكتاب الرائع نزعة التصوف دراسة من يفهم أسرار التصوف بعقله ويشعر بها فى عاطفته وقلبه . ووجه الطرافة فى دراسته أنه يبحث الوجوه المختلفة للرأى الواحد ، ثم تراه متشيعاً لكل وجه منها ، فكأن هذه الوجوه المنوعة أشخاص يتحاورون لا شخص واحد ، وتلك هى ميزة الباحث متى كان قبل كل شىء اديباً وفناناً

فالدكتور زكى مبارك لم يؤلف كتابه فى الدعوة الى التصوف وان كان هو نفسه صوفى النزعة ، وانما الف كتابه فى نقد التصوف فبين ما فيه من محاسن وعيوب ، وكشف عما فيه من ضعف وقوة ، فزاد ولع القارىء به ، وتقديره للرقى المعنوى الذى يحدثه فى نفس كل من توفر على حبه ودراسته

وقد تحدث الدكتور فى كتابه عن التصوف فى الادب العربى ، وعرض لكلام الشعراء فى الزهد ، وأماط اللثام عن بعض ذخائر منسية من الادب الصوفى ، وأشار الى حكم ابن عطاء الله الاسكندرى ، والى مكانة محيى الدين بن العربى فى الادب والتصوف . ثم تطرق الى بحث شخصية الحلاج وتصوير مصرعه ، ثم حلل فى دقة علمية خالصة مختلف المنظومات العربية الصوفية ولا سيما منظومات اليافعى واشواق ابن الفارض، ثم رسم صورة صادقة للمجتمع الاسلامى من خلال كتب الصوفية ، وللاثر العميق الذى أحدثه التصوف فى عالم الفنون

وبعد ان استكمل الدكتور زكى مبارك دراسة التصوف من الجانب النظرى أو الجانب الفلسفى التجريدى — شرع يبحث فى أثر التصوف فى الاخلاق فافرد الفصول الشائقة للنظر فى آداب الدعاء ، ودعاء الاستقاء ، وأدعية زين العابدين والتوحيدى ، وآداب الطعام والصيام

والزواج وما انطبع فيها من المؤثرات الصوفية التى سرت فى الحياة الاسلامية سريان الماء الصافى فى الزهرة الفياحة الناضرة

والحق ان الدكتور زكى مبارك أحاط فى كتابه بكل ما يتعلق بالتصوف الاسلامى وأثره البالغ فى الادب والاخلاق ، فسجل مراحل رائعة من مراحل الحضارة الاسلامية ، وصب ضوءاً ساطعاً على نزعة نفسية سامية نبيلة يعتز بها الاسلام والمسلمون

ولقد ذكرنا كتابه بكتاب وضعه العلامة الفرنسى « الاب بريمون » عن التصوف عند المسيحيين الكاثوليك . ففى الكتابين نجد نفس النزاهة فى النقد ، ونفس الحرية فى البحث ، ونفس الاشراق الصوفى تفيض به نفس المؤلف فى أسلوب شائق جزل ، وعبارات شعرية فاتنة ، وضرب من الرغبة العميقة فى الاتصال بالله ، تشترك فيه الاديان جميعاً متى تجردت من ثوب التعصب ولاذت بجوهرها الخالد

سياسة الغد

بقلم الاستاذ مريت بك بطرس غالى

مطبعة الرسالة بالقاهرة فى ١٨٠ صفحة

يرى الاستاذ مريت بك بطرس غالى أن الطبقة المثقفة فى مصر قد راعتها علامات الضعف فى النظام السياسى والقومى ، ومظاهر التفكك التى تبدو فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية المصرية ، وأن هذه الظاهرة قد تمثلت فى العامين الاخيرين على الأخص فى اهتمام صحفنا ومجلاتنا ببحث مشاكل البلاد الداخلية

فنحن على أثر اكتساب حريتنا الوطنية انتقلنا إلى عصر جديد فى تاريخنا وبدأنا نشعر بأن مستقبلنا القومى أصبح فى أيدينا ، وان من واجبنا العناية بشئوننا الداخلية التى أهملناها منصرفين بمجموع قوانا الروحية والفكرية الى حل قضية الاستقلال فبحث هذه الشئون الداخلية هو مادة كتاب « سياسة الغد » الذى يعد جزءاً متمماً لكتاب الدكتور حافظ عفيفى باشا «على هامش السياسة»

ولم يقصد الاستاذ مريت بك بكتابه درس جميع المسائل التى تواجه الدولة المصرية فى الوقت الحاضر ، ولا عرضها تباعاً واقتراح حلول معينة لكل منها ، بل الغرض الذى توخاه هو القاء نظرة اجمالية على كافة مظاهر النشاط القومى مع التدقيق فى بحث العوامل الاساسية التى أدت إلى تضخم مشاكلنا ، ثم رسم بعض الخطط العامة التى يحسن العمل بها لمعالجة هذه الأخطار

فاستناداً إلى ما تقدم بحث المؤلف النابغ فى سوء استعمال الحكم النيابى ، وفى تنظيم الادارة ، وأعمال الحكومة ، وثروة البلاد الزراعية ، ومتوسط الانتاج ، ومستوى المعيشة ، ومعالجة مشاكل النقص فى التغذية ، وانتشار الامراض المتوطنة ، ثم تطرق الى دراسة النهضة الصناعية المصرية وعوامل تقدمها ، ثم انتهى بسلسلة بحوث شائقة عن التعليم والتربية ، وتنظيم الدفاع الوطنى

والفكرة النبيلة المسيطرة على هذا الكتاب هى وجوب تعميم الشعور القومى بين مختلف طبقات الشعب المصرى بحيث يستحيل من تعلق سلبى بالارض المصرية الى رغبة ايجابية فى العناية بها ورفع مستوى الوطن المصرى

ديوان الجارم

الجزء الثانى

بقلم الاستاذ على الجارم بك

مطبعة المعارف بمصر فى ١٧٠ صفحة

الاستاذ على الجارم بك شاعر كبير لامع الاسلوب ، مشرق الديباجة ، عربى اللفظ ،

مصرى الروح ، يحس احساساً عميقاً صادقاً بكل مايتجاوب فى بيئته المصرية من أصداء الحياة فهو ليس كاولئك الشعراء الخياليين التجريديين الذين يعيشون بمعزل عن محيطهم ، ويسبحون فى عوالم اثيرية لا تمت الى الواقع المحسوس بسبب ، وانما هو شاعر يستمد وحيه من طبيعة بلاده وخصائص عنصره وحوادث عصره ، ويصب مولدات هذا الوحى فى قالب عربى خالص ولفظ مبين

ووجه النبوغ فى فنه ، أن الفاظه لا تطغى على معانيه ، وعربيته لا تطغى على مصريته ، وذهنه المتوثب الوقاد يستطيع على الدوام تحقيق التناسب الروحى ، والانسجام الفنى ، بين الفاظه ومعانيه ، بين نزعته العربية وروحه المصرية . فالقارىء العربى يفهمه ويعجب به ، والقارىء المصرى يعجب به ويستجيب له . وهذه الظواهر ملحوظة فى ديوانه الجديد الذى يعد فى طليعة الاعمال التى امتازت بها الحركة الادبية فى العام الأخير

وينقسم الديوان الى ثلاثة أقسام ، التهانىء والرثاء ، والغزل . فاما التهانىء فتفيض ولاء واخلاصاً للجالس على عرش مصر ، وتفيض وطنية وحماسة ورغبة حارة فى اعلاء شأن الوطن

واما قصائد الرثاء ولا سيما رثاء شوقى والزهاوى فتمتاز بشيوع الحكمة فيها ، وتغلغل عاطفة الحسرة بين سطورها ، وامتلاء أبياتها بتمجيد العظمة

وأما غزله فغزل شاعر أبى النفس مكتمل الرجولة لايستضعف حيال المرأة وان كان يدرك حق الادراك انها أثمن مادة من مواد الشعر وأقدس الهام من الهامات العبقرية

الجمال وفن التجميل

بقلم السيدة حكمت منصور

فى جزئين كل منهما فى نحو ١٤٠ صفحة
مطبعة خطاب بالقاهرة

الفكرة الصحيحة عن الجمال الانسانى الذى يختص الله المرأة بأكبر نصيب منه ، لم تصادف من سيداتنا من يعمل على نشرها

ولقد أرادت السيدة الفاضلة حكمت منصور بكتابها عن الجمال وفن التجميل سد هذا النقص الملحوظ فى ثقافتنا ، فتحدثت حديث سيدة دقيقة الملاحظة شديدة الخبرة موفورة الذوق عن مختلف مقاييس الجمال وشتى الأساليب التى فى وسع المرأة اتباعها كى تقهر الطبيعة وتفوز عليها وتصبح مخلوقاً فاتناً يروق الناظرين

فنضرة الجلد ونعومة الشعر وصفاء الوجه وسحر العينين وتناسق أوضاع البدن ، كل ذلك أشارت اليه المؤلفة الفاضلة ونصحت سيداتنا وأوانسنا بالاهتمام به

وقد عنيت عناية خاصة بالناحية الصحية الرياضية فأفردت فصولا شائقة عن أسباب السمنة وعلاجها ، وعن أنواع الاطعمة والسوائل وعلاقتها بالجمال ، وعن التمارين الرياضية اليومية ، وتصفيف الشعر وعمل التواليت واختيار الأزياء وتوخى الانسجام والبساطة فى فنون التجمل ، فأسدت الى الحياة الزوجية فى مصر والشرق أجل الخدم بكتابها هذا ، فالمرأة عندنا جميلة ولكن الذوق ينقصها ، وميالة الى التحضر ولكن روح المبالغة الشرقية تفسد مظهرها ، فهى تراكم الألوان والمساحيق ، وتولع بالأزياء الصارخة ، ولا تعرف كيف توفق بين الروعة والبساطة

بين الهلال وقرائه

ايقورى ؟

(القاهرة — مصر) أمين اخنوخ

ما معنى هذه العبارة التى نجدها فى كثير من الصحف والكتب « فلان ايقورى النزعة » ؟

(الهلال) اصطلح الناس على اطلاق كلمة « ايقورى » على الشخص الذى يجرى وراء اللذات الحسية وينهمك فيها ، متناسياً كل ما ينكرها من قواعد الدين . وهذه النزعة تنسب خطأ الى الفيلسوف اليونانى « ابيقور » (٣٤٢ — ٢٧٠ ق . م) مؤسس مذهب السعادة الشخصية فى علم الاخلاق . وكان يرى أن أساس الأخلاق اللذة ، فاللذة وحدها غاية الانسان ، ولم يكن يدعو الى التماس الشهوات الجسمية والتهالك عليها ، بل كان يرى نقيض هذا ويفضل اللذة العقلية على اللذة الجسمية

بوهيمى ؟

(القاهرة — مصر) ومنه

ما معنى كلمة « بوهيمى » التى تطلق على من يحيا حياة مضطربة مشتتة ، همه فيها اللذة والسرور ؟

(الهلال) هذه الكلمة نسبة الى « بوهيميا » أو بلاد المجر . ذلك لأن هذا الاقليم حافل بقبائل الغجر التى لا عمل لها فى الحياة الا السكر والرقص والغناء ، والتنقل فى فجاج الارض ، فاطلق اسم بلادهم « بوهيميا » على كل من يحيا مثل حياتهم بين الحانات والملاهى ، غير عابىء بالقواعد المرعية ولا مقيد بالمواعيد المقررة . وانتشرت هذه الكلمة فى اكثر اللغات الاوربية ، وصارت كلمة « عالمية » ذائعة

نظرية النسبية

(تكساس — الولايات المتحدة) حنا توما فارس

هل لكم ان تشرحوا معنى نظرية النسبية ؟

(الهلال) تقوم نظرية النسبية على قواعد رياضية معقدة لا يمكن أن يفهمها إلا علماء الرياضة المتعمقون . بل يقال إن كثيراً من هؤلاء العلماء لم يستطيعوا أن يجاوزوا مبادئها وقواعدها الاولى

وخلاصة النظرية أن كل شىء فى الكون مرتبط بزمان ومكان ، فلا يمكن أن ندرك شيئاً إلا إذا كان قد استمر « زماناً » ما ، وكان هناك « مكان » يشغله . فاذا رسمنا على الورق خطاً مستقيما طوله مائة سنتيمتر ، وجب أن نضيف اليه عاملين ، عامل الزمان الذى استغرقه رسم الخط ، وعامل المكان الذى يشغله هذا الخط . فتكون النتيجة ان هذا الخط ذاته يبدو للشخص الواقف فى الشمس مثلا كانه مائة كيلو متر ، لأن الارض قد قطعت فى دورانها فى أثناء رسم الخط على سطحها هذه المسافة . كما انه لا يراه خطاً مستقيما بل منحنياً لأن الارض فى دورانها تسير فى اتجاه منحن فتنحنى معها كل الخطوط المرسومة على سطحها . ومعنى ذلك ان هناك « نسبة » بين كمية كل شىء وقدره فى الوجود ، وبين المكان الذى يشغله والزمان الذى يبقاه

ونظرية النسبية تخطىء نظرية الجاذبية . فنيوتن يقول ان الثمرة التى تنفصل من الشجرة لا ترتفع الى أعلى بل تسقط على الارض ، لأن فى مركز الارض قوة تجذبها ، ولكن اينشتين يقول انها تسقط على الارض لأن الكون منحن ، وكل ما فيه يسير فى خط منحن ، كما تتدحرج الكرة على الارض المتزلقة . وعلى هذا فليس فى الامكان رسم خط مستقيم ، بل كل الخطوط منحنية . والنور المنبعث فى الكواكب يسير فى خطوط منحنية ، ولهذا فانا لا نراها فى مواضعها الحقيقية لأنها تبدو لنا على امتداد خطوط مستقيمة

وكل هذه النظريات تثبت بتجارب رياضية فلكية معقدة دقيقة ، وفى وسعك ان تأخذ عنها فكرة أوضح وأوفى اذا قرأت كتاب الاستاذ نقولا الحداد « هندسة الكون بحسب ناموس النسبية »

مجلات انجليزية

(يافا ــ فلسطين) الياس فرج المنير

ما عنوان مجلتي « ليكتشر ريكورد » و « بوك دايجست » اللتين لخصتم منهما مقالي « هؤلاء الانجليز » و « موسوليني وهتلر وستالين في حياتهم الخاصة » ؟

(الهلال) عنوان المجلة الاولى :

Lecture Recorder, Ltd.,
16 Marsham Street, S.W.1., London

وعنوان المجلة الثانية :

Book Digest, Inc., at 523
Plymouth Court, Chicago, U.S.A.

وكل المجلات الاوربية والامريكية الراقية تباع في المكاتب العامة المصرية والسورية

ضعف الصحة العامة

(دكار ــ سنغال) ع . هـ .

لي صديق في سن الرابعة والعشرين من عمره ضعيف البدن شاحب الوجه كثير الاوجاع . ما زلت به حتى أفضى إليّ بانه يمارس العادة السرية منذ بلغ سن الحلم . فنصحت له بالزواج ففعل منذ سنة ونصف سنة ولكنه ما زال على مرضه وضعفه . فهل من علاج له

(الهلال) لاشك في أن طول ممارسة هذه العادة المقوتة قد آذى جسمه أذى بالغاً واستنزف من قواه شيئاً كثيراً ، فكان ينبغي ألا يقدم على الزواج قبل أن يبرأ من هذه العادة التي كثيراً ما تلازم المتزوجين وكثيراً ما تدفعهم الى الاسراف . وعلى كل حال فما زال صاحبك في سن تمكنه من أن يستعيد قواه ويحيا حياة مرحة سعيدة . وذلك يستلزم أولا أن يكبت رغباته قدر ما يستطيع ريثما يعيد بناء جسمه ، متخذاً في ذلك كثيراً من الحزم والمقاومة . ولا بأس من الاستعانة « بالايحاء النفسي » فقد ثبتت فائدته في هذه الحالات ، وينبغي كذلك أن يقلل ساعات عمله لينال جسمه نصيباً وافياً من النوم والراحة والرياضة ، وأن يمارس بعض الالعاب الرياضية الخفيفة (الجمباز) بضع دقائق كل صباح ، وأن يتناول من الاطعمة المغذية كزيت كبد الحوت والفواكه والخضروات الناضجة . ولكن هذا لا يغني عن استشارة الطبيب الاخصائي واتباع نصائحه

اليهود وفلسطين

(القاهرة ــ مصر) احمد توفيق سويلم

سمعت من قسيس مسيحي أن التوراة تنص على أن اليهود سيرجعون الى فلسطين وسيقيمون فيها ملكهم فهل هذا صحيح ؟

ولماذا خرج اليهود من فلسطين ، ومتى نشأت عندهم فكرة الوطن القومي ؟

(الهلال) يفسر اليهود بعض آيات التوراة على أنها وعد بعودتهم الى فلسطين وقيام دولتهم في أرض صهيون . ولكن هذا التفسير أو التخريج لايمكن أن ينفي الحقيقة الدامغة ، وهي أن فلسطين وطن عربي صميم منذ آلاف السنين

وقد خرج اليهود من فلسطين قبل الميلاد بسبعمائة سنة ، حين أغار الاشوريون على الجزء الشمالي من فلسطين حيث كانت تسكن قبائل اسرائيل فشتتوها وأخرجوها . وما زال في فلسطين بضع مئات من الاسرائيليين يعرفون « بالسامريين » نسبة الى « سامرة » عاصمة ملكهم . ثم أغار الفرس على المنتصف الجنوبي من فلسطين حيث كان يقيم اليهود ، فخرجوا من بلادهم مشتتين . ومنذ ذلك العهد وهم يعتقدون ــ أويعنون أنفسهم ــ بان المسيح الحق سوف يظهر على الأرض فيجمع شتاتهم ويعيدهم الى فلسطين . وقد ظهرت هذه « الأمنية » في العهد الحديث حين شرعوا يحققون حلمهم هذا بالوسائل السياسية والاقتصادية . وكان أول من فكر في انشاء دولة يهودية هو الصحفي النمسوي « تيودور هيرتزل » مؤلف كتاب الدولة اليهودية سنة ١٨٩٥ . ولم يكن من رأيه انشاؤها في فلسطين حتما ، بل اقترح لها فلسطين أو الأرجنتين . وهناك فريق كبير من اليهود يعارضون هذه الفكرة الصهيونية ويرون أن من الخير أن يظل اليهود ــ كما هم ــ منتشرين في شتى أقطار الارض على أن يتخلوا عن مميزاتهم القومية الواضحة ويندمجوا في كتلة الشعوب التي يعاشرونها ، وبذلك يتقوا أسباب العداء والاضطهاد

الزجل

(دمشق ــ سورية) سامى ضياء الدرس

متى نشأ فن الزجل ؟ وهل يعد من فنون الادب وهل له أوزان كأوزان الشعر ؟

(الهلال) الزجل فى اللغة العامية يقابل الموشح فى اللغة الفصيحة . فقد استحدث أدباء الأندلس « الموشحات » وهى مقطعات شعرية سلسة العبارة مبسطة القوافى ، كان المغنون يلحنونها وينشدونها وكان الناس يكلفون بروايتها وترديدها ، فأخذ العامة فى مدن الاندلس يقلدون الادباء وينظمون موشحات بلغتهم العامية ، أطلقوا عليها اسم « الازجال » وفى مقدمة ابن خلدون ان اول من أبدع هذه الطريقة الزجلية هو ابو بكر بن قزمان الذى سمى « متنبى الزجل » . وقد انتشرت أزجاله فى الشرق فكانت تروى وتنشد فى بغداد

وقد أبدع الزجالون الاندلسيون والقاهريون مقطعات زجلية جميلة المعنى سهلة العبارة ، فكان الزجل فى عهدهم فناً أدبياً يقدره النقاد ويرويه الرواة

التهاب اللسان

(المنيا ــ مصر) ح . ب حنا

اشرب كل يوم أقداحا عدة من القهوة الساخنة ، فأحدث هذا التهابا بسيطا ، ولكنه مستمر ، فى طرف لسانى ، فهل من ضرر فى هذا ؟ وهل الاكثار من تناول القهوة مضر ؟

(الهلال) ننصح لك ألا تتردد فى عرض أمرك على الطبيب ، فان اللسان من اكثر أجزاء الجسم تعرضاً لمرض السرطان ، والالتهاب مظهر من مظاهر هذا المرض الذى يمكن علاجه بسهولة من أول الامر ، ولكنه يستعصى علاجه إذا ترك حتى يشتد ، ونرى أن تمتنع عن شرب السوائل الساخنة فترة يزول فيها هذا الالتهاب

والقهوة إذا شربت باعتدال أفادت الى حد ما ، فتساعد على الهضم ، وكذلك تريح الاعصاب المتعبة ، ومادة الكافيين التى تحتوى عليها تدر البول وتنبه القلب ، ولكن الافراط فيها مؤذ بلا شك ، إذ يحدث عسراً فى الهضم ، وأرقا مؤلما ، وقد يتعب الاعصاب ويضرها

العرب فى الهند

(بغداد ــ العراق) راشد الحسنى

هل أغلب المسلمين فى الهند عرب نزحوا الى تلك البلاد ، أو هنود اعتنقوا الاسلام ؟ وهل ينتظر أن يتغلب الدين الاسلامى على الدين الهندوكى فى هذه البلاد عاجلا أو آجلا ؟

(الهلال) يبلغ عدد المسلمين فى الهند حسب آخر احصاء أجرى هناك سنة ١٩٣١ حول ٧٧ مليون نسمة . وكلهم من الهنود الذين اعتنقوا الاسلام إبان الفتوح الاسلامية أو بعدها ، ما عدا خمسة ملايين من سلالة العرب والفرس والترك والأفغان الذين هاجروا الى الهند

وقد كان عدد المسلمين قبل ذلك بعشر سنوات ٦٨ مليونا فحسب ، مما يدل على أن عددهم ينمو سريعاً ويزداد بنسبة ١٣ ٪ كل عشر سنين . وقد قال آغا خان زعيم الطائفة الاسماعيلية التى تضم عدداً كبيراً من مسلمى الهند : « إن المسلمين منذ خمس سنوات كانوا خمس سكان الهند ، وهم الآن ربعهم ، وسيكونون ثلثهم قبل أن يكتهل أبناؤنا »

وقد جهر زعيم الهند الاكبر مهاتما غاندى بانه يفضل أن يعتنق الهندوكيون الدين الاسلامى إذا لم يكن ثمة سبيل آخر لتحقيق وحدة الهند وتمكين كيانها القومى ، فان هذا خير من أن تظل بلاداً موزعة القوى متنافرة العناصر بسبب اختلاف عقائدها الدينية . وهذا يبشر بأن الدين الاسلامى يتقدم فى هذه البلاد تقدما سريعاً ، ولا سيما وقد بدأت البلاد الاسلامية الاخرى ــ وفى مقدمتها مصر ــ تعنى بنشر الثقافة الاسلامية وتبشر بدينها الحنيف بين جماعات الهند المختلفة

مصر والخلافة

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

« . . ان الخلافة عبء يضاف الى تبعاتنا ، ولا يفيدنا نحن ولا البلاد الاسلامية المشمولة بها ، وانه ما من مزية مفروضة للخلافة الا ونحن قادرون على تحصيلها فى حالتنا الحاضرة »

فى اعتقادى أن مصر تقبل الخلافة اذا كانت « أولا » معروضة عليها من الدول الاسلامية ، وكانت « ثانياً » مفيدة لها ولهذه الدول الاسلامية التى تعرضها عليها ، ولم تكن مع هذا وذاك معطلة لحسن العلاقة بين مصر ومن يتصل بها من الدول الشرقية والغربية

والذى يلوح لنا ان الأمر فى مسألة الخلافة على خلاف ذلك ، بل على نقيض ذلك ، فلا الدول الاسلامية تجمع على اقامتها فى مصر ، ولا هى مفيدة لنا أو للمسلمين ان قامت فى بلادنا ، ولا هى مما يساعد على انتظام العلاقات الحسنة بيننا و بين دول العالم

***

فقد ظهر أن بعض الدول الاسلامية تمتعض من إقامة الخلافة فى غير بلادها ، لأنها ترى فيها دخولا بينها و بين رعاياها يمس الاستقلال بعض المساس ، وترى أنها تلزم رعاياها واجبات وفروضاً نحو الخليفة غير الواجبات والفروض التى يلتزمونها لحكوماتهم والقائمين عليها . ولهذا صرح وزير الخارجية التركية بامتعاض حكومته من إثارة مسألة الخلافة ، وهو وزير الدولة التى لا يظن بها الميل الى اقامة خليفة منها أو منافسة الآخرين فى هذه الرغبة ، فاذا كان هذا شأن الحكومة التركية ، فلا خفاء بما يكون للمسألة من الشأن فى البلاد الأخرى

أما أن تكون الخلافة مفيدة لنا ، فالواقع أنها تزيد أعباءنا ونفقاتنا بما تفرضه علينا من مظاهرها ومراسمها وتبعاتها ، ونحن أحوج ما نكون فى هذه الفترة الى استيفاء معالم الاستقلال وتحضير عدة الدفاع وتدبير وسائل الاصلاح والتنظيم

واذا تعدى الأمر هذه المراسم والشعائر إلى العمل المفيد ، فنحن لا نملك القوة التى نجردها لحماية الشعوب الأخرى وانصافها ، ولا نستطيع أن نقابل شكاياتها بما يحقق آمالها ، وكل ما نجنيه أننا نعرض أنفسنا للمطالب التى لا نتعرض لها الآن ، ثم نخيب هذه المطالب ونعقبها بما يعقب كل خيبة من شعور المضاضة والانكار

وهناك دول أوربية لها علاقة بالأمم الاسلامية ، لأنها تحكمها ، أو لأنها تبادلها التجارة والمعاملات السياسية والاقتصادية

فهذه الدول لا تريحنا ولا نحن نستريح معها من جراء الخلافة ، لأنها إما أن تحاول الاستعانة بنا على شعوب المسلمين وفى ذلك إحراج لموقفنا ، وإما أن تتوجس من استخدام الدول الأخرى لنا فى هذا الغرض فتنظر الينا بعين الريبة والمقاومة . فاذا خطر لنا يوماً أن نطالبها بانصاف رعاياها ، فهى لا تقبل منا هذا الطلب الا اذا قضت فى مقابلته مصلحة من المصالح على حسابنا ودخلت بنا فى مساومات لا نخرج منها رابحين ، فان لم تكن لها مصلحة عندنا تدفعها إلى تلك المساومات ، فهى ولا ريب تستنكر منا التعرض لشئونها ، وتعتبره أمام العالم افتياتا على حقوقها واخلالا بحدود المعاملات بين الحكومات المستقلة

وأول النتائج التى يؤدى اليها قيام الخلافة فى بلادنا ، أن تسعى الدول الأوربية فى إقامة خلافات أخرى فى البلاد الواقعة فى نطاق نفوذها

فايطاليا تستطيع أن تقيم خلافة يمانية يتبعها مسلمو اليمن والحبشة والصومال وما يجاورها فضلا عن المسلمين فى طرابلس وما يليها

وفرنسا تستطيع أن تقيم خلافة مغربية يتبعها مسلمو مراكش والجزائر وتونس والمستعمرات الأفريقية

وهولندة لا تقصر فى هذا الميدان ، ولا نجنى نحن من وراء هذا جميعه الا التفرق والعداء وما لابد أن يقع من الجدال والتنابذ بالدعاوى والشروط ، بل التنابذ بالنقائص والعيوب ، ثم فتح الباب للمغامرين والمروجين للدعوات والمتجرين بالمنافسات والمناقشات ، وهم فى الديار الشرقية غير قليلين

ولا يخلو الحال من أن نفيد بريطانيا العظمى بخلافتنا عند النزاع بينها وبين رعاياها ، فنحن إذن لا نفيد المسلمين

أو نفيد المسلمين فنحن اذن لا نفيد بريطانيا العظمى ، ولا نزال عرضة للدسائس والمناورات من أعدائها ومنافسيها

أو لا نفيد هؤلاء ولا هؤلاء ، فما أغنانا عن هذا العناء !

***

وعلينا أن نسأل أنفسنا : ماذا أفادت الأمة التركية من قيام الخلافة فيها ؟

لقد حاربها الانجليز والروس والفرنسيون بجنود المسلمين

وقد هزمت فى الحرب العظمى ، فراح الشيوخ والسفطا يمهدون فيها للحماية الانجليزية أو للحماية الأمريكية ، ويهدرون دم مصطفى كمال وأشياعه ، لأنهم يرفضون الحماية الأجنبية ويقاومون جيوش الأعداء

وقد استطاع أعداؤها أن يؤلبوا عليها الشعوب والحكومات باسم المسيحية وأن يتهموها بالاساءة الى رعاياها المسيحيين ، ولم تستطع هى أن تؤلب الشعوب الاسلامية ولا أن تدفع التهم المكذوبة التى يقربها الى التصديق انها دولة العصبية الاسلامية ، فغير بعيد عليها أن تسىء إلى المحكومين فيها من غير المسلمين

فأى مزية من أشباه هذه المزايا نحرص عليها نحن المصريين ؟

***

أما أثر الخلافة فى حياتنا الداخلية ، فأول ما نتوقعه من آثارها أن تخلق لنا مع الزمن كهانة دينية تناقض تعليم الاسلام ، وتضيع على المسلمين فضيلته الكبرى ، وهى ابطال الكهانات التى ابتلى بها بعض الشعوب الأخرى

وقد مر بنا زمن سمعنا فيه من رجال الدين من يحرم تعليم الجغرافيا لأنها تقول باستدارة الأرض ، وهى ليست مستديرة بحكم القرآن — كما يعتقده — والقرآن من اعتقاده براء

ومر بنا زمن سمعنا فيه من رجال الدين من يحرمون مذهب التطور ، أو يحرمون استخدام التليفون ونور الكهرباء

وليست الاختراعات ولا المذاهب ولا الكتب وقفاً على الماضى ، فنقول اننا قد أمنا من هذا الجانب بعد اليوم ، ولكنها شىء يتجدد ويتكرر ويعلمه المختصون به قبل رجال الدين ، ولا نحب أن تتعرض أسباب التقدم الانسانى عندنا لأخطار الكهانات المحتملة التى يأباها العلم ويأباها الاسلام

واذا وجدت هذه الكهانة ، فسوف توجد الى جانبها جماعات كثيرة تحاول الاصلاح الاجتماعى بالوسائل العاجلة المقتضبة ،أوتعالج الآفات الاجتماعية بغير علاجها كما حدث فى الولايات المتحدة حين منعت الخمر فجأة ، فكان من جراء ذلك رواج الخمر خفية ، وانتشار العصابات التى لم يقتصر ضررها على صنع الخمر وتهريبها بل تجاوزه الى السلب والسطو ، وخطف الأطفال وتهديد الآمنين فى الطرقات والبيوت ، فخسرت الحكومة ضرائبها وخسرت الأموال التى تنفقها على حفظ الأمن ومطاردة العصابات ، ولم تمنع معاقرة المسكرات بل أشاعت الردىء المغشوش منها ، وعودت الناس عصيان القانون والتجسس والوشاية ، وحببت اليهم اقتحام هذه الأخطار جرياً على المألوف فى بعض الطباع من حب الهجوم على المحظورات

وقد يظهر غداً من يحرض الشعب على الغاء المصارف والشركات وما شاكلها من المرافق المالية التى تجرى المعاملة فيها بالفائدة أو الأرباح المعروفة ، وقد يظهر غداً من يحرم التصوير والغناء والفنون الجميلة تحريماً للاجسام العارية وما يسمونه لهواً ومجانة ، وقد يظهر كثير من أشباه هذه النزعات التى تعرقل الأعمال وتبلبل الأفكار وتشغل الحكومة والشعب بأمور ليس من ورائها طائل ، ولو تولاها المختصون لنفعوا فيها ، حيث يرجى النفع وهونوا الضرر حيث يستعصى امتناعه كل الامتناع

***

وخلاصة الرأى عندنا أن الخلافة عبء يضاف الى تبعاتنا ولا يفيدنا نحن ولا البلاد الاسلامية المشمولة بها ، وأنه ما من مزية مفروضة للخلافة الا ونحن قادرون على تحصيلها فى حالتنا الحاضرة من طريق التعاون والمساعدة الأدبية التى لا إلزام فيها لنا ولا غضاضة فيها على غيرنا ، ففى وسعنا اليوم أن نخدم اخواننا المسلمين وجيراننا الشرقيين بالوساطة الحسنة كما قدرنا عليها فى مسألة فلسطين دون أن يفهم من وساطتنا معنى سيادة أو ولاية أو افتيات على دولة من الدول الأجنبية ، وفى وسعنا أن نتبادل الرأى والمشورة كلما سنحت الفرصة الملائمة ، وأن نصبح قبلة للقاصدين ، ما دمنا قادرين على الافادة والخدمة . فأما اذا عجزنا عنهما فليس لنا ولا للامم الأخرى مصلحة فى اتجاه الأنظار الينا . وهكذا نحقق الخير الذى فى الخلافة ولا نجر على أنفسنا ولا على العالم الاسلامى شيئاً من تبعاتها وشقائها

عباس محمود العقاد

هل يمكن توحيد الاسلام والمسيحية

رأيان للاستاذ محمد فريد وجدي والقمص سرجيوس

نشرنا فى عدد فبراير الماضى الجزء الثانى من مذكرات مستر ويلفريد بلنت التى نقلها الى العربية الأستاذ راشد رستم ، وقد جاء فى هذا الجزء أن القس اسحاق تيلور أحد القسس الانجليز قام بالدعاية لتوحيد الدينين الاسلامى والمسيحى ، وقد اتصل بالمرحوم الشيخ محمد عبده ، وكاد الاستاذ الامام يوافق على الدعاية لهذه الفكرة هو وبعض علماء سورية فى أثناء نفيه بها ، لولا محاربة السلطان عبد الحميد لهم لأسباب سياسية .
وقد رأينا أن نستفتى فيها على صفحات الهلال طائفة من المشتغلين بالشئون الدينية ، ونبدأ فى هذا العدد برأيى الاستاذ محمد فريد وجدى ، والقمص سرجيوس

رأى الاستاذ محمد فريد وجدى

نعم ، لأن الاسلام جاء للتوفيق بين جميع الأديان ورفع أسباب الخلاف منها ، وقد نص على أنه هو صلة التوفيق بينها ، بانياً ذلك على أصول تنحصر فيما يلى :

(١) دين الله واحد لجميع الامم ، ولا يعقل أن يتعدد

(٢) كان الناس أمة واحدة يدينون بدين واحد ، وانما أوجد الشقاق بينهم قادتهم بغياً منهم

(٣) التقليد غير جائز الا بعد التحقق بالدليل أن من يراد تقليده أحق مما هو عليه

(٤) كل انسان عليه تبعة أعماله لا يتحملها عنه غيره

(٥) لا يكلف الانسان باعتقاد ما لا يعقله ، وما لا يمكن إقامة الدليل على صحته

(٦) دين البشرية ، كل لايتجزأ فيجب الايمان بجميع الرسل وبجميع الكتب الالهية اجمالا

(٧) يرجع فى فهم الدين الى منطوق الوحى ، لا الى الشروح الملحقة به ، ولا التأويلات المبنية عليه ، ولا الأقاويل التى أتى بها الذين انتحلوا لأنفسهم التكلم باسم الدين دون غيرهم

(٨) حذف الطوائف المنتحلة للوساطة بين الله وخلقه ، قطعا لذرائع استغلال الأديان للتسلط على الجماعات ، واخلاء لطريق الوفاق بينها من عقبات المصالح المتعاكسة لطلاب التسلط

هذه هى الأصول التي تذرع بها الاسلام لتوحيد الأديان وازالة الخلافات التى بينها ، وهى أصول من السداد بحيث تنساق الفطر السليمة للتسليم بها ، ولا يجد طلاب التوفيق معدى عنها ، والا فمن الذى يسلم بان دين الله يعقل أن يكون متعدداً ؟ ومن الذى يشك فى أن الناس كانوا أمة واحدة ثم

اختلفوا بسبب تشتت جماعاتهم فى البقاع الأرضية المتباعدة ؟ وفى أن هذا الخلاف أوجده رؤساء أديانهم ؟ وأى عاقل يجيز التقليد الأعمى للاسلاف وهو كما يكون فى حق يكون في باطل ، أويتخيل أن هذا التقليد يعفيه من كل تبعة ؟ وهل فى البشر من يسيغ أن يكلف باعتقاد ما لا يعقله ، وما لا يمكنه أن يقيم الدليل على صحته ؟ وما دام يراد التوفيق بين الأديان فهل يتصور حصول ذلك التوفيق بدون الاعتراف بان دين الانسانية كل لا يتجزأ ، فلا يجوز الايمان ببعض الرسل والكتب والكفر ببعضها الآخر ؟ وهل يسوغ فى العقل أن يرجع هؤلاء الموفقون الى أقاويل قادة الأديان التى فرقت بين الأمم ، ويهملوا اللجوء الى نصوص الوحى نفسه

اذا جرى أهل العصر على هذا الدستور العظيم الذى وضعه الأسلام ، اتضحت وحدة الأديان جلية ناصعة ، فكلها تدعو الى الأخذ بالعقائد الصحيحة ، وكلها تنصح بعمل الخير ، ومحاسبة النفس ، والعمل بالحق والعدل ، والتعاون على البر والتقوى ، فاذا بقيت بعد ذلك أشياء فهى آراء الرؤساء ، وشروح القادة ، وتأويلات الزعماء ، ولا يلزم الأمم منها شىء ما داموا يعلمون انهم من البشر ، وغير معصومين من الخطأ والغلو وسوء القصد

وبعد ، فالاسلام يتقدم الى الناس لا باعتبار انه دين جديد ، ولكن باعتبار انه دين البشرية الأقدم ، خالصا من جميع الشوائب التى ألحقتها به الأجيال المتعاقبة . فهو لذلك لا يعترف بتعدد الأديان ، ويقرر أن للانسانية دينا واحداً يجب الايمان به جملة ، ولا يعتد بايمان يأتى على غير هذه السنة من التعميم والوحدة ، فهو يقول : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء » . ويزيد هذا الاجمال تفصيلا فيقول : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا »

فالاسلام لا يعتد بايمان مؤمن الا اذا عم به جميع الرسل ، وجميع الكتب السماوية ، حتى لا تبقى جماعة بشرية خارجة عن نطاق هذه الوحدة التى يعتبرها غير قابلة للتجزؤ ، الا الطوائف التى شذت عن الأديان السماوية ، واتخذت لها أصناما آلهة ، وزعماء ليس بينهم وبين الأنبياء أدنى صلة ، وتعاليم مضللة ليست متنزلة من الكتب الالهية . ومذهب الاسلام فى هذا الصدد يتبين من قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم ، وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب . فلذلك فادع (أى لتوحيد الدين فادع) ، واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لاعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ،

لا حجة بيننا وبينكم (أى لا محاجة ولا خصومة) ، الله يجمع بيننا واليه المصير » وقوله : «قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم »

هذا مذهب الاسلام فى التوفيق بين الاديان . أما طريقة عرض الاصول المتخالفة ، وتبادل التنازل عن بعضها للتقريب بين وجهات النظر المتباينة ، لغير ضرورة سوى تقديس الآراء البشرية ، والجمود على التقاليد المتحجرة ، فلا يعتبره الاسلام عملا نافعا ، لان وجهته تخليص النفسية البشرية من أسر الاهواء والخيالات الموروثة ، والافضاء بها الى باحة الفطرة السليمة ، والحياة العقلية الحرة ، لتخلية الطريق لادوار التطورات التى تصل بالانسانية الى كمالها المنتظر . والى هذا يشير قوله تعالى : « بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ، فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين . فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . منيبين اليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون »

رأى القمص سرجيوس

ان توحيد الاديان هو حلم البشرية اللذيذ ، وقد سعى الكثيرون فى سبيل تحقيقه وان كانوا قد فشلوا ، إلا أن هذه الفكرة لم تمت بل كما ذبلت وخفت عادت الى الازدهار مرة أخرى ، مما يدل على أن تحقيقها لا بد وأن يتم يوما ما حين تنضج البشرية التى هى الآن فى حالة الفجاجة من جهة هذا المطمع السامى . كيف لا وها هى ذى المسيحية تتوقع هذا كما جاء فى سفر (الرؤيا ص ١١ : ١٥) قوله : « فحدثت أصوات عظيمة فى السماء قائلة قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فيملك الى أبد الآبدين » . وجاء الاسلام بعدها يطمح الى هذه الأمنية المباركة قائلا : « حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله »

وقد يطول زمن تحقيق هذا الحلم اللذيذ والرجاء المبارك ، وقد لا تحققه المحاولات البشرية قبل حلول الوقت المعين لأنه بالرغم من دعوة الاسلام فى زمن محمد بقوله : « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » لم يتحقق التوحيد الى هذا اليوم

وإن الكثيرين فى فترات متقطعة حاولوا التوحيد بين الاسلام والمسيحية واليهودية فباءوا بالفشل بل أمسوا مكروهين من أصحاب الأديان الثلاثة ، ويذكر العالم محاولات المدعو خريستو فوروس جباره ومؤلفاته العديدة فى هذا الصدد ، وكيف كان نصيبه الفشل التام

وعلة الفشل فى هذه المحاولات وتعرض أصحابها للمقت من الجميع ، هى أن كل الذين دعوا

الى توحيد الأديان ، رأوا للوصول الى بغيتهم هذه أن يعمدوا الى تفسير بعض العبارات الواردة فى الأديان تفسيراً ظنوه يزيل النواتىء المانعة للاتحاد ، بينما أن تلك العبارات كانت فى نظر أصحاب الأديان جوهرية وأساساً للدين عندهم . فعوضاً عن أن يوحدوا الاديان أقاموا بتفاسيرهم دينا آخر ، وصاروا خصما رابعاً فى الدعوى

ونضرب مثلا لذلك بخريستفوروس جباره ، فانه أخذ فى مؤلفاته يقيم البرهان على خطأ المسيحيين لأنهم يعتقدون بلاهوت المسيح ، ويبرهن على خطأ المسلمين لأنهم لا يعتقدون بصحة الانجيل ، ويدلل على خطأ اليهود لانهم أنكروا مجىء المسيح

فكان فى مسلكه هذا هادماً للاديان الثلاثة ، لأنه أراد أن يجعل المسيحيين مسلمين ينكرون لاهوت المسيح الذى هو أساس دينهم والذي تتركز فيه كل عقائدهم ، كما أنه أراد ان يجعل المسلمين مسيحيين يعترفون بصحة الانجيل الأمر الذى إذا سلم به المسلمون لوجب أن لا يقبلوا كتاباً آخر غير الانجيل وأن يعترفوا بلاهوت المسيح الذى يسطع فى كل صفحة من صفحات الانجيل

كما أنه أراد ان يجعل اليهود مسيحيين لانه طلب اليهم أن يعترفوا بأن المسيح قد جاء الى العالم ، ولو اعترف اليهود بمجىء المسيح لهجروا طقوسهم اليهودية وعباداتهم وصاروا مسيحيين لأن المسيح هو محور نبوءاتهم وروح توراتهم وحقيقة رموزهم الممثلة فى عبادتهم

وهكذا ترى البهائيين المتظاهرين بتوحيد الاديان قد هدموا عقائد الاسلام والمسيحية واليهودية ليحلوا محلها الدين البهائى

ولو كانت المحاولات البشرية تستطيع توحيد الاديان لكان من باب أولى ان توحد المذاهب المتفرقة فى كل دين . فهل استطاع المسلمون أن يوحدوا بين مذاهب المسلمين ؟ وهل استطاع المسيحيون ان يوحدوا بين مذاهبهم العديدة التى يحارب بعضها بعضاً ؟

وهل استطاع اليهود توحيد مذاهبهم اليهودية ؟

فلنحاول اولا توحيد مذاهب كل دين من الاديان الثلاثة ، فان أفلحنا تقدمنا الى الاديان نحاول توحيدها بالطريقة التى تنجح فى توحيد المذاهب

ولكن هناك اتحاداً ممكناً ، وهو أن تتحد المسيحية والاسلام فى محاربة الكفر والالحاد لاتحادهما معاً فى الاعتقاد بوجود الله الواحد

يتحدان فى محاربة الرذيلة والحث على الفضائل وبناء الاخلاق ، يتحدان فى العمل على رفعة الاوطان ورفاهيتها كما حدث فى مصر وفلسطين حينما اتحد المسلمون والمسيحيون على خير وطنهم

ولم تكن الاختلافات الدينية مانعاً لاصحاب الدينين عن الاتحاد والاتفاق فى أمور الحياة الحاضرة ، لان من أغراض كل من الدينين تنظيم هذه الحياة وجعل الناس يعيشون معاً فى سلام ومحبة يظللهما العدل والحق

بشر العرب

بقلم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

تتجه الاذهان الآن الى العمل للوحدة العربية ، وتوثيق الروابط الثقافية والاقتصادية والقومية بين الناطقين بالضاد وفى هـذه الكلمة يشرح المرحوم الشيخ محمد عبده فوائد هذه الوحدة ، وما يدل عليه الميل اليها من فأل سعيد ، وخير منتظر

أمران خطيران تحمل عليهما الضرورة تارة ، ويهدى اليهما الدين تارة أخرى . وقد تفيدهما التربية ، وممارسة الآداب ، وكل منهما يطلب الآخر ، ويستصحبه بل يستلزمه ، وبهما نمو الأمم وعظمتها ورفعتها واعتلاؤها ، وهما الميل الى وحدة تجمع ، والكلف بسيادة لا توضع . واذا أراد الله أن يوجد شعباً أودع فى أصوله هذين الوصفين الجليلين ، فأنشأه خلقاً سويا ، ثم استبق له حياته بقدر ما مكن فيه من الصفتين الى منتهى أجله

كل أمة لا تمـد ساعدها لمغالبة سواها لتنال منها بالغلب ما تنمو به بنيتها ، ويشتد به بناؤها ، فلابد يوما أن تنقض وتهضم ، وتضمحل ، ويمحى أثرها من بسيط الارض . ان التغلب فى الامم كالتغذى فى الحياة الشخصية فاذا أهمل البدن من الغذاء وقفت حركة النمو ، ثم ارتدت الى الذبول والنحول ، ثم أفضت الى الموت والهلاك . وليس من الممكن لأمة أن تحفظ قوامها الا ان تكون متفقة فى تحصيل ما تحتاج اليه هيئته . اذا أحسست من أمة ميلا إلى الوحدة ، فبشرها بما أعد الله لها فى مكنون غيبه من السيادة العايا

اذا تصفحنا تاريخ كل جنس ، واستقرينا أحوال الشعوب ووجودها وفناءها ، وجدنا هذه سنة الله فى الجمعيات البشرية ، حظها من الوجود على مقدار حظها من الوحدة ، ومبلغها من العظمة على حسب تطاولها فى الغلب . وما انحط شأن قوم ، وما هبطوا عن مكانتهم الا عند لهوهم بما فى أيديهم وقناعتهم بما تسنى لهم ، ووقوفهم على أبواب ديارهم ينتظرون طارقهم بالسوء . وما أهلك الله قبيلا الا بعـد ما رزئوا بالافتراق وابتلوا بالشقاق ، فأورثهم ذلا طويلا ، وعذابا وبيلا ، ثم فناء سرمديا

الوفاق تواصـل وتقارب يحدثه إحساس كل فرد من أفراد الامة بمنافعها ومضارها ، وشعور جميع الآحاد فى جميع الطبقات بما تكسبه من مجد وسلطان ، فيلذ لهم كما يلذ أشهى

مرغوب لديهم ، وبما تفقد من ذلك فيألمون له ، كما يألمون لأعظم رزء يصابون به . وهذا الاحساس هو ما يبعث كل واحد على الفكر فى أحوال أمته ، ليجعل جزءاً من زمنه للبحث فيما يرجع اليها بالشرف والسؤدد ، وما يدفع عنها طوارق الشر والغيلة ، ولا يكون همه بالفكر فى هذا أقل من همه بالنظر فى أحواله الخاصة ، ثم لا يكون نظراً عقيما حائراً بين جدران المخيلة دائراً على أطراف الألسنة ، بل يكون استبصاراً تتبعه عزيمة يصدر عنها عمل يثابر على استكماله بما يمكن من السعة ، وما تحتمله القدرة على نحو ما يكون من استحصال مواد المعيشة بلا فرق ، بل تجد الانفس ان شأن الأمة فى المكان الأول من النظر ، والدرجة الأولى من الاعتبار ، والشئون الخاصة فى المنزلة الثانية منهما ، ولا تقف فيما تجد عنده جلب المصالح ودرء المفاسد لأوقاتها الحاضرة ، بل يأخذ العقلاء منها سبلا من التفكير ، ويخترطون سيوفا من الهمة ليصيبوا من سعيهم شوارد من القوة ويستخرجوا دفائن من الثروة

إذا بلغ الاحساس من مشاعر أفراد الأمة إلى الحد الذى بيناه رأيت فى الدهماء منهم والخاصة هما تعلو ، وشيا تسمو ، واقداماً يقود ، وعزماً يسوق ، كل يطلب السيادة والغلب ، فتتلاقى هممهم وتتلاحق عزائمهم فى سبيل الطلب ، فيندفعون للتغلب على الذين يلونهم كما تندفع السيول على الوهاد ، ولا تقف حركتهم دون الغاية مما نهضوا اليه

قال صاحب الشرع : « ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وان المؤمن ينزل من المؤمن منزلة أحد أعضائه ، إذا مس أحدها ألم تألم له الآخر . وجاء فى نهيه « لاتقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا » . وأنذر من شذ عن الجماعة بالخسران والهلكة ، وضرب له مثل الشاة القاصية تكون فريسة للذئاب

هذا كله بعد ما أمر الله عباده بالاعتصام بحبله ونهاهم عن التفرق والتغابن ، وامتن عليهم بنعمة الاخوة بعد ان كانوا أعداء ، ونطق الكتاب الالهى بإنما المؤمنون اخوة ، وطلب من المخاطبين بآياته أن يبادروا إلى اصلاح ذات البين عند التخالف ، ثم شدد فى وجوب الاصلاح ، وان أدى إلى مقاتلة الباغى ، فقال : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله » ، وأمر الله بتوحيد الكلمة الجامعة فقال : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات »

من تاريخ البطولة النسائية

عائشة الحرة

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

ابنة سلطان وزوج سلطان وأم سلطان ، نشأت فى مهاد العز والنعمة ، وتقلبت حيناً فى أعطاف الملك والمجد ، ولكنه ملك يحتضر ، ومجد يشع بضوئه الأخير ليخبو ويغيض ، تلك هى عائشة الحرة زوج السلطان أبى الحسن النصرى ملك غرناطة ، وأم ولده أبى عبد الله محمد آخر ملوك الاندلس

يقترن اسمها بتاريخ المأساة الاندلسية ، مأساة خاتمة الدولة الاسلامية فى الاندلس ، كما تقترن بها أسماء أخرى أكثر ذيوعاً وذكراً ، وفى مقدمتها اسم ولدها المنكود أبى عبد الله ، ولكن لعل اسماً منها لا يثير من الاعجاب والاحترام أو من الأسى والشجن ، قدر ما يثير ذكر هذه الاميرة النبيلة الساحرة ، التى تذكرنا خلالها البديعة ومواقفها الباهرة وشجاعتها المثلى فى خلال الخطوب المدلهمة ، بما نقرأ فى أساطير البطولة القديمة من روائع السير والمواقف

والواقع ان حياة عائشة الحرة تبدو لنا فى خلال الحوادث التى ترتبط بها كأنها صفحة من القصص الشجى ، أكثر مما تبدو لنا صفحة من التاريخ الواقع ، وهذا اللون القصصى لا يرجع فقط إلى كونها أميرة أو امرأة تشترك فى تدبير الملك أو توجيه الحوادث ، ولكن يرجع بالأخص إلى شخصيتها القوية ، والى رفيع مثلها ، والى سمو روحها ، والى جنانها الجرىء يواجه كل خطر ويسمو فوق كل خطب ومصاب

كانت ابنة للسلطان أبى عبد الله الايسر ، واقترنت فى زهرة صباها بابن عمها السلطان أبى الحسن الذى تولى عرش غرناطة سنة ٨٧١ هـ (١٤٦٦ م) ، ورزقت منه بولدين هما محمد ويوسف . وكانت مملكة غرناطة قد شاخت يومئذ وازور نجمها الساطع ، وأحدقت بها قوى العدو من كل صوب ، ولاح لها خطر الفناء جاثماً يكاد ينقض عليها فى كل لحظة . ومع ذلك فقد كانت تضطرم بروح من العزم وحب البقاء ، وكانت تشتبك مع النصارى من آن لآخر فى معارك محلية تنتصر فيها أحياناً وتثبت دائماً . وأبدى السلطان أبو الحسن فى بداية عهده همة فى تحصين المملكة ومقاتلة العدو ، وأبدت الفروسية الأندلسية فى تلك المعارك الأخيرة ضروباً رائعة من

البسالة ، ولاح مدى حين أن دولة الاسلام فى الأندلس تضطرم بروح جديدة ، ولكن هذا البعث لم يطل أمده ، ذلك لأن عوامل الخلاف الداخلى كانت تقضم أسس المملكة المتداعية ، وركن السلطان أبو الحسن فى أواخر أيامه الى حياة الدعة ، واسترسل فى اهوائه وملاذه . وكان فى بطانة السلطان فتاة نصرانية رائعة الحسن ، تختلف الرواية فى شأنها فتقول الرواية العربية إنها كانت جارية رومية اشتراها السلطان ثم افتتن بها ، وتعرفها باسم « ثريا الرومية » ، وتقول الرواية الاسبانية ان « ثريا » هذه كانت ابنة عظيم من عظماء اسبانيا هو القائد « سانكوكنيس دى سوليس » ، وانها وقعت أسيرة فى بعض المعارك فاخذت الى بلاط السلطان ، والحقت وصيفة بقصر الحمراء ، فشغف ابو الحسن بها حباً ولم يلبث أن تزوجها ، واصطفاها على زوجه الأميرة عائشة التى عرفت عندئذ « بالحرة » تمييزاً لها عن الجارية الرومية ، أو اشادة بطهرها وعفتها . وكان ابو الحسن يومئذ قدشاخ وأثقلته السنون وغدا أداة سهلة فى يد زوجه الفتية الحسناء . وكانت ثريا التى تعرفها الرواية النصرانية باسم « زريدة » فوق حسنها الرائع فتاة كثيرة الدهاء وافرة الاطماع ، وكانت تتطلع الى أبعد من السيطرة على الملك الشيخ ، ذلك لأنها أعقبت منه كخصيمتها عائشة ولدين ، وكانت تطمح أن يكون الملك من بعده لأحدهما ، وكان ولى العهد المرشح للعرش هو ولد عائشة محمد الملقب بأبى عبد الله ، وكان أشراف غرناطة يؤثرون ترشيح سليل بيت الملك على عقب الجارية النصرانية ، ولكن ثريا لم تيأس ولم تفتر همتها فما زالت بأبى الحسن حتى أفسدت ما بينه وبين عائشة ، وأقصى السلطان زوجته الشرعية وولديها عن حظيرة عطفه ، ثم انتهى بأن أمر بها فزجت مع ولديها الى برج « قمارش » أمنع أبراج الحمراء ، وهنالك ألقى المغضوب عليهم فى ظلمات البرج مدى حين

— ٢ —

وهكذا أسلم الملك الشيخ قياده لمعبودة قلبه وغدت ثريا سيدة غرناطة الحقيقية ، وكان ذلك نذير الاضطراب والخلاف فى المجتمع الغرناطى ، ففريق يؤيد الأميرة الشرعية وولديها ، وفريق يؤيد السلطان وحظيته . واستأثر الفريق الأخير بالنفوذ مدى حين ، ومن ورائه ذوو المصالح والأهواء ، وذهبت ثريا فى طغيانها الى أبعد حد ، فحرضت الملك الشيخ على ازهاق ولده أبى عبد الله عثرة آمالها ، وكان المنجمون حسبما تقول الرواية قد تنبأوا له عند مولده بأنه سيرقى الى العرش ولكن سيكون آخر من يرقاه من ملوك المسلمين وسوف تسقط غرناطة على يديه ، وكانت ثريا ترتجف لهذه النبوءة وتحاول أن تدلل على بطلانها بصورة عملية ، وأذعن السلطان لمشيئة ثريا وتحريضها ، فقرر أن يبطش بولده السجين ، وأن يغالب باعدامه طوالع النجوم وأقوال المنجمين

وكانت عائشة الحرة فى سجنها ترقب سير الحوادث ، وكانت هذه الأميرة الجلدة الباسلة على يقين من أن أيام المحنة لن تطول ، وكانت على اتصال دائم بعصبتها وأنصارها تدبر معهم وسائل

الفرار والمقاومة ، فلما وقفت منهم على نية السلطان الغادرة ، قررت أن تبادر بالعمل ، وأن تغادر الحمراء مع ولديها بأية وسيلة . وفى ذات ليلة من ليالى جمادى الثانية سنة ٨٨٧ هـ (١٤٧٢ م) فى جوف الحلك ، كان بعض الخدم المخلصين ينتظر مع الجياد على مقربة من الحمراء على شاطىء النهر مما يلى برج قمارش ، وكانت الأميرة الباسلة من جانبها توثق أغطيتها وأغطية وصائفها معاً فى حبل طويل تدليه من أعلى البرج ، وبعد أن أنزلت ولديها بهذه الوسيلة ، هبطت بدورها الى الارض ، واختفت مع ولديها تحت جنح الظلام

وهكذا استطاعت الاميرة الباسلة أن تفر من معتقلها فى اقدام وجرأة وشجاعة تخلق بابطال الرجال . واختفى الفارون حيناً حتى قويت دعوتهم ، وظاهرهم فريق كبير من أهل غرناطة ، وكان اسم عائشة ورفيع خلالها ، وقصة فرارها الجرىء تثير أيما عطف واعجاب ، وسار ولدها الامير الفتى أبو عبد الله محمد الى وادى آش حيث جمع عصبته وأنصاره ، ولم تلبث الثورة أن نشبت فى غرناطة وانقضت العاصفة على أبى الحسن ، وسار ابو عبد الله الى غرناطة فى أنصاره ودخلها ظافراً ، وجلس على العرش مكان أبيه ودالت دولة أبى الحسن وعصبته ، وتألق نجم عائشة وولدها مرة أخرى

— ٣ —

كانت عائشة الحرة روح الملك الجديد الذى يجلس ولدها على عرشه ، وكان أبو عبد الله يعتقد حين ولايته أنه يستطيع احياء سنن الجهاد التى جرى عليها اسلافه ملوك غرناطة العظام ، ولكنه لم يكن يتمتع بشىء من خلالهم الساهرة ، وكان يحكم مملكة مزقها التفرق شذر مذر ، ومع ذلك فقد حاول أن يعالج الجهاد والغزو ، فخرج فى ربيع سنة ١٤٨٣ م متجهاً صوب قرطبة ، واجتاح فى طريقه عدداً من حصون النصارى ، ولكنه حين العودة التقى بالنصارى عند حصن اللسانة (لوثينا) ووقع بين الفريقين قتال رائع هزم فيه المسلمون وأخذ ملكهم أبو عبد الله أسيراً بين الاسرى . وعاد المسلمون الى غرناطة دون ملكهم فارتاعت غرناطة للنبأ ، واضطرب الشعب وساد الوجوم فى القصر ، ولكن عائشة تلقت النبأ فى هدوء وسكينة ، ولما بكت أمامها « مريمة » زوج ولدها الفتية الحسناء وابنة الامير على أحد انجاد غرناطة ، عنفتها قائلة : « ان الدموع لا تليق بابنة مجاهد ولا بزوج ملك ، وان الخطر لأشد على ملك يتمتع بقصره منه عليه حين يأوى الى خيمته ، وانه لواجب على زوجك أن يشترى سلام عرشه بمخاطر الميدان »

ولبث السلطان أبو عبد الله محمد يرسف فى أسره حيناً عند فرديناند ملك النصارى ، وانتزع العرش فى أثناء ذلك أخو السلطان أبى الحسن ، محمد المعروف بالزغل صاحب مالقه ، ولكن عائشة لم تيأس ، وبذلت مجهوداً لانقاذ ولدها بمؤازرة الحزب الذى يناصره ، وانتهت المفاوضات بين ملك قشتاله وبين أصحاب أبى عبد الله بعقد معاهدة ، قبل فيها فرديناند الافراج عن أسيره على أن يتولى

ملك غرناطة بمؤازرته وتحت حمايته بشروط معينة ، منها أن يؤدى الجزية وان يطلق أسرى النصارى ، وان يقدم ابنه الوحيد كفالة مع عدد من أبناء الاسر الكبيرة . وقبل ابو عبد الله هذه الشروط الفادحة ليسترد ملكه المفقود ، ثم سار الى غرناطة بمؤازرة حلفائه النصارى واستطاع بعد معارك دامت مدى أشهر ، ان يسترد عرشه ، وارتد عمه الزغل الى وادى آش حيث أعلن نفسه ملكا عليها . وانقسمت مملكة غرناطة الصغيرة بذلك الى مملكتين جديدتين ، وزادت ضعفاً على ضعفها ، وأضحت فريسة هينة لملك قشتالة المتربص بها

ولم يطل أمد انتظار النصارى للانقضاض على فريستهم بعد أن أنهكت قواها الحرب الاهلية ، فسير فرديناند قواته سنة ١٤٨٧ الى مالقه فاستولت عليها برغم دفاعها المجيد ، ثم استولت تباعا على المنكب ، فالمرية ، ثم نفذت الى وادى آش فاستولت عليها وقضت بذلك على أحد شطرى المملكة الاسلامية المتحضرة ، واقتضت هذه الغزوات زهاء أربعة أعوام ، ثم تجهز فرديناند للصراع الأخير ، وسار الى غرناطة فى جيش كثيف ، وضرب حولها الحصار منذ مارس سنة ١٤٩١ م

ولا يتسع المقام للافاضة فى تفاصيل هذه المأساة الشهيرة ، مأساة سقوط غرناطة آخر معقل للاسلام فى الاندلس ، ولكنا نذكر فقط ان الحصار دام عشرة أشهر استنفد فيها المسلمون كل وسائل الدفاع والمقاومة ، ثم انتهى المسلمون بالاذعان والتسليم وفق شروط اشترطوها واعتقدوا انها تكفل سلامتهم وسلامة دينهم وتراثهم القومى فى ظل الحكم الجديد ، ودخل النصارى غرناطة فى يناير سنة ١٤٩٢ واحتلوا قصر الحمراء ، وانتهت بذلك دولة الاسلام فى الأندلس ، وطويت الى الأبد تلك الصفحة المجيدة الباهرة من تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية

— ٤ —

وكان مما قضته معاهدة التسليم ان يغادر الملك المنكود ابو عبد الله محمد غرناطة مع أهله وصحبه الى البشرات ، وأن يحكم هذه المنطقة باسم ملك قشتالة ، فى نفس اليوم الذي دخلت فيه الجيوش النصرانية المظفرة مدينة غرناطة غادرها الملك المخلوع فى مناظر تثير الاسى والشجن

فى فجر ذلك اليوم كان رنين البكاء يتردد فى غرف قصر الحمراء وأبهائه ، وكانت الحاشية تعد أمتعة أبى عبد الله وأسرته ، وقد ساد الوجوم كل محيا ، واحتبست الزفرات فى الصدور ، وما كادت تباشير الصباح تبدو حتى غادر القصر ركب قاتم مؤثر ، هو ركب الملك التى يحمل أمواله وأمتعته ، ومن ورائه أهله وصحبه القلائل ، وحوله كوكبة من الفرسان المخلصين ، وكانت الاميرة عائشة تمتطى صهوة جوادها صامتة يشع الحزن من محياها الوقور ، ولكن مريمة زوج السلطان وباقى السيدات كن يرسلن الزفرات العنيفة والدموع السخينة . واخترق الركب غرناطة فى صمت البكور ، وحين بلغ الباب ضج الحراس بالبكاء لرؤية المنظر المؤلم ، ثم اتجه صوب شنيل فى طريق البشرات

أما أبو عبد الله فقد خرج الى لقاء فرديناند عدوه الظافر وسيده الجديد ، فى سرية من الفرسان والخاصة ، فاستقبله فرديناند فى محلته على ضفة شنيل بالعطف والترحاب، وتسلم منه مفاتيح الحمراء رمز التسليم النهائى ، ثم اصطحبه الى زوجه إزابيلا فقدم اليها أبو عبد الله تحياته وخضوعه ، ثم غادر الملكين وانحدر الى طريق البشرات ليلحق بآله وصحبه

وهنا تقول الرواية ان أبا عبد الله أشرف فى أثناء سيره فى شعب تل البذول (بادول) على منظر غرناطة ، فوقف يسرح بصره لآخر مرة فى هاتيك الربوع العزيزة التى ترعرع فيها وشهدت مواطن عزه وسلطانه ، فانهمر فى الحال دمعه وأجهش بالبكاء ، فصاحت به أمه عائشة : « أجل فلتبك كالنساء ملكا لم تستطع ان تدافع عنه كالرجال » ، وتعرف الرواية الاسبانية تلك الأكمة التى كانت مسرحا لذلك المنظر المحزن باسم شعرى مؤثر هو « زفرة العربى الاخيرة » El Ultimo Sospiro del Moro وما تزال قائمة حتى اليوم يعينها سكان تلك المنطقة للسائحين

كذلك تقول الرواية الاسبانية إن باب غرناطة الذى خرج منه ابو عبد الله لآخر مرة ، قد سد عقب خروجه منه الى ملك قشتالة ، وبنى مكانه حتى لا يجوزه من بعده انسان

***

ونحن نعرف ان الملك المنكود أبا عبد الله غادر اسبانيا بعد ذلك بقليل ، والتجأ الى بلاط فاس وعاش أعواما طويلة فى غمر الحسرات والندم ثم توفى سنة ٩٤٠ هـ (١٥٣٤ م)

أما أمه الاميرة الباسلة عائشة الحرة ، فلسنا نعرف شيئاً عنها منذ غادرت غرناطة الى البشرات ، فهل توفيت هنالك ودفنت فى الأندلس أرض الآباء والأجداد ؟ أم جازت البحر مع ولدها الى مراكش ودفنت هنالك ؟ هذا ما لم تحدثنا الرواية عنه

محمد عبد الله عنان



معركة سقاريا

وأثرها فى كيان تركيا الحديثة

بقلم الاستاذ حسن الشريف

لا تكتسب المعارك الحربية أهميتها فى نظر التاريخ بضخامة الجيوش التى اقتتلت فيها ، ولا بعدد القتلى والجرحى الذين سقطوا فى ميدانها ، ولا بأسماء القواد الذين أداروا رحاها ، وانما تكتسب هذه الأهمية بالنتائج التى تترتب عليها

وإذا نظرنا الى معركة سقاريا من ناحية النتائج السياسية والقومية والجغرافية التى ترتبت عليها ألفيناها ، كمعركة المارن الكبرى ، تستوقف نظر المؤرخ وتسترعى اهتمامه باعتبار أنها معجزة من معجزات البشر حولت المجرى الطبيعى لسير الحوادث فى فترة معينة من الزمان ، ووجهت التاريخ وجهة غير التى أرادتها طبيعة الأشياء وأرادها الأقوياء المسيطرون على مصائر الشعوب . فلولا انتصار الترك على اليونانيين فى سقاريا لصارت خريطة أوربا على غير ما هى عليه اليوم ، ولكانت استانبول وبوغازا البوسفور والدردنيل منطقة نفوذ بريطانية ، ولكان غرب الاناضول أرضاً يونانية ، وشرقه مملكتين مستقلتين واقعتين تحت السيطرة الانجليزية : أرمينيا وكردستان ، وجملة القول لكانت تركيا اليوم اسماً تاريخياً لا وجود له فى أطلس العالم الحديث

عظمة مصطفى كمال

واذا نظرنا الى حرب الاناضول ، مراعين الأحوال الخارجية التى أحاطت بها والظروف الداخلية التى لابستها ، لم نتردد فى الحكم بأن التاريخ لم يعرف شعباً استبسل فى الدفاع عن قضيته كما استبسل الشعب التركى ، ولا قائداً صارع الموت وانتزع وطنه من أنيابه كما صارعه مصطفى كمال

وان لمن الغبن البين لمصطفى كمال أن نريد الموازنة بين عظمته وعظمة أىّ من بناة الدول وقادة الأمم فى هـذا الزمان ، لأننا إذا عرفنا ظروفه الشخصية التى ثار فيها على السلطنة العثمانية ومعاهدة سيفر وهو قائد معزول من منصبه ، محكوم بالاعدام عليه وعلى أصحابه مطارد من حكومته فى كل مكان ، واذا عرفنا الحال المحزنة الموئسة التى وجد بلاده فيها يوم كانت انجلترا وفرنسا وايطاليا تحتل العاصمة وتراقية والبواغيز ، واليونان تحتل ازمير وغرب الأناضول وتتلقى علم الحرب الصليبية من يد لويد جورج لتجهز على البقية المحتضرة من دولة آل عثمان ، وأرمنيا وكردستان

ثوران مطالبين باستقلالها عملا بمشورة لورد كيرزن ، واذا عرفنا الضعف الذى كانت عليه تركيا وهى خارجة من سلسلة حروب مع ايطاليا والبلقان والحلفاء لم تنقطع طيلة عشرة أعوام ، إذا عرفنا كل ذلك ثم تأملنا فى النتائج المذهلة التى وصل اليها مصطفى كمال ، ألفينا هذا الرجل أعظم فى ميادين الحرب والسياسة والادارة من جميع الذين عاصروه، وسلمنا بأن من حقه أن يقف فى صف عظماء التاريخ الى جانب بسمارك وواشنطن ونابليون

اليونان فى الاناضول

كان المتفق عليه بين الحلفاء منذ سنة ١٩١٥ أن تستولى ايطاليا ـ ثمناً لانضمامها اليهم فى الحرب ـ على ميناء أضالية وما حولها من أراضى آسيا الصغرى الواقعة على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، ولكن السياسة البريطانية لم تر من مصلحتها أن تسيطر دولة قوية كايطاليا على هذه المنطقة الهامة من ذلك البحر ، وذكرت أن عليها لليونان دينا يجب الوفاء به جزاء ما أسلفت لها من الخدمات فى أثناء الحرب ، فأوعزت الى أثينا باحتلال أزمير وولاية آيدين وما يتيسر لها احتلاله بعد ذلك من غرب الاناضول

ولقد هاج هذا الاحتلال خواطر الترك ، ورأوا فيه بعد معاهدة سيفر محاولة جديدة تحاولها أوربا المسيحية لتقضى على تركيا المسلمة وتتقاسم تركة آل عثمان ، فثاروا على اليونانيين ووقعت بين الفريقين مصادمات عنيفة أقلقت بال الحلفاء على مصير السلم فى الشرق الأدنى وأقنعتهم بان الاحتلال اليونانى لن يستقر له حال ، وحملتهم على التفكير فى ايجاد حل نهائى للمسألة الشرقية كلها قبل أن يتطاير شرارها فتتلقفه روسيا البولشفية وتوقد به النار فى الشرق كله . ولقد انتهى ذلك التفكير إلى عقد مؤتمر دولى يسوى فيه الخلاف القائم بين تركيا واليونان ، فوجه مجلس الحلفاء الأعلى دعوة الى حكومتى الاستانة وأثينا لحضور هذا المؤتمر الذى أزمع عقده فى ابريل سنة ١٩٢١ . ولكن يظهر أن حكومة اليونان خافت أن تجىء التسوية المطلوبة على حسابها وحساب الحقوق التى اكتسبتها فى آسيا الصغرى ، فرفضت قبول الدعوة التى وجهت اليها ، وأبت إلا أن تجعل الحرب حكما بينها وبين تركيا وتعهدت للوندرة سراً بان تأخذ على عاتقها مهمة قمع الحركة القومية التركية التى كانت بوادرها قد بدرت فى الاناضول

وفى مستهل فصل الربيع سنة ١٩٢١ زحفت الجيوش اليونانية من أزمير قاصدة أنقرة عن طريق اسكى شهر وأفيون قره حصار ، جاعلة هدفها الأول الاستيلاء على سكة حديد الاناضول التى تعتبر بمثابة العمود الفقرى فى جسم تلك البلاد . وكان الجنرال بابولاس قد قسم قواه قسمين سار أحدهما صوب الجنوب واحتل مرتفعات دوملو بونار، وباغت اللواء رأفت باشا مباغتة لم يستطع الثبات لها فسقطت أفيون قره حصار وسقط معها الجزء من السكة الحديدية الواقع فى تلك المنطقة .

أما القسم الثانى فاتجـه صوب الشمال وألقى نفسه أمام محمد عصمت باشا الذى تلقاه فى اينونو « In-Eunu » بضربة أجلته عن جميع مواقعه وردته إلى النقطة التى ابتدأ منها هجومه واسترد الترك أفيون قره حصار

انتهت بذلك الدورة الاولى من دورات الهجوم اليونانى ، وهى كما رأيت لم تسفر عن نتيجة لصالح أحد من الفريقين ، ثم أعقبتها فترة استراحة واستجمام طالت أربعة أشهر تولى فى خلالها عصمت باشا قيادة الجبهة الغربية كلها وانصرف إلى استكمال ما كان ينقصه من ذخيرة وسلاح ورجال

وجمعت حكومة أثينا جموع اليونانيين استعداداً للدورة الثانية فجندت كل يونانى قادر على حمل السلاح من سن السادسة عشرة إلى الخامسة والخمسين ، ورصدت على الحرب آخر درهم فى خزائنها ، واستمدت من لويد جورج الذخيرة والسلاح وملايين المثرى زوهاروف ، وأهابت بالشعب أن تلك خاتمة الحروب الصليبية وأن لا بد من ضرب الاسلام فى صميم قلبه أى فى أنقرة عاصمة الاناضول

وفى التاسع عشر من شهر يوليو أى فى عز فصل القيظ والجفاف تحرك الجيش اليونانى الفخم تحت أنظار الملك قسطنطين ، وولى وجهه شطر كوتاهية ليتحاشى مواقع الترك فى اسكى شهر ، وهنالك التقى مرة أخرى بعصمت باشا القائد التركى الموفق العنيد

لم يهل عصمت باشا أن جيش العدو يبلغ فى العدد أضعاف جيشه ، ولا أن سلاح هذا العدو من أحدث طراز أخرجته المصانع الانجليزية فى حين أن سلاح جيشه ملفق من كل طراز قديم ، ولا أن اليونانيين يهاجمونه بأربعمائة وخمسين مدفعاً ، وهو لا يملك نصف هذا العدد . لم يهله شىء من ذلك واستقبل العدو بابتسامته المستخفة المرحة التى لا تفارقه حتى فى أشد مواقف الهول ، ودار القتال عشرة أيام التحم فيها الجيشان ، وأطبق كل منهما على الآخر وأنشب أظافره فيه محاولا أن يلصق كتفيه بالرغام . وفى اليوم العاشر كانت المعركة على أشدها بين خصمين غير متكافئين فى القوة أحدهما يهاجم بكثرته ويرى النصر منه قيد خطوة ، والثانى يدافع مستميتاً وهو يعلم أن فى خسران هذه الوقعة خسران الحرب كلها ، ولكن كل ساعة كانت تزيد فى حالة الجيش التركى سوءاً ، إلا أن عصمت باشا كان قد قرر أن ينتصر حيث هو أو يموت

انسحاب الجيش التركى ومواجهة الصعوبات

وانتهت أخبار المعركة الى مصطفى كمال فى أنقرة ، وكان يومئذ رئيساً للحكومة ولا صفة له فى الجيش ولا رتبة ، فرأى أن يزور ميدان القتال ليتفقد الحالة بنفسه فسافر الى اينونو وألقى نظرة شاملة على الميدان واطلع على تقارير المخابرات عن حالة العدو وأدرك ان استمرار المعركة فى ذلك

الميدان معناه فناء الجيش التركى وانهيار صرح الدفاع ، فآثر أن يختار لمنازلة العدو ميداناً آخر يستدرجه اليه فيبعده عن مراكزه ، وأن يكسب وقتاً هو فى أشد الحاجة اليه ليقوى جيشه ويعده عما ينقصه ، فأصدر أمراً بوقف رحى القتال وبالانسحاب الى ناحية الشرق واخلاء اسكى شهر وأفيون قره حصار والتخلى عنهما لليونان

قرار خطير فى موقف خطير يحمل صاحبه تبعات لا يقدم على حملها رئيس حكومة . ولكن مصطفى كمال كان قائداً موهوبا صحيح التقدير سريع الحكم لايطيل التسديد ، ولكنه أيضاً لايخطىء الهدف . ولقد أدرك أن العدو خائر العزيمة منهوك القوى يلتمس فترة للراحة فهو لا يستطيع أن يتعقبه فى انسحابه ولا أن يلاحقه ، فأشرف بنفسه على حركة التقهقر وأدارها بمهارة أعادت الى أذهان رجال الحرب ذكرى تراجع الروس أمام نابليون وتركهم اياه يتوغل فى بلادهم لينال طقسها القاتل من جيشه ما لم ينله الحديد والنار

وفى أحد القطارات الاخيرة التى غادرت اسكى شهر قاصدة أنقرة ، كان مصطفى كمال جالساً مع بعض رجال أركان الحرب فى مقصورة حقيرة محطمة النوافذ يضيئها مصباح ينار بغاز البترول ، والهواء يداعب ذبالتـه كما نفذ اليها من الغطاء الزجاجى غير المحكم . وكان الضباط ينظرون من النافذة فيرون أفواج الجيش المنسحب والرجال يجرون سيقانهم جراً وقد تقوست كواهلهم من التعب ، تسير وراءهم مواكب من عجلات ومركبات ثقل تحمل ما بقى من مهمات الجيش وذخيرته ، وتأتى من بعدهم زمر من النساء والأطفال والشيوخ نزحت عن قراها فراراً من اليونان الذين ما دخلوا قرية الا خربوها وذبحوا من فيها . فلما امتلأت أعينهم برؤية ذلك الشعب المهاجر وهو يحتمى بذلك الجيش المغلوب عادوا الى أماكنهم وأخذوا يتحدثون

لم تكن الهزيمة التى منوا بها أشد ما يحز فى قلوبهم ، بل كان أشده هو يقينهم بأن كل مقاومة باتت عبثاً خطراً ان لم تكن هى الانتحار بعينه ! فالأناضول بلد مساحته كمساحة فرنسا والمانيا مجتمعتين ، ومع ذلك ليس فيه إلا خط حديدى واحد يمتد من الشرق الى الغرب وعليه يتوقف مصير الحرب ، وهو قد وقع فى قبضة العدو ووقعت معه جبهة القتال الغربية كلها بما فيها اسكى شهر وافيون قره حصار ، وقد كانت هذه المنطقة أهم مورد لتموين الشعب والجيش ، فماذا بقى بعد ذلك وأى مقاومة تظل فى الامكان ؟

ثم ان الجزء الداخلى من الأناضول هضبة مترامية الاطراف لا مسالك فيها للجيش ولا طرق للمواصلات ، والمساحات الزراعية فى تلك الهضبة مساحات ضيقة لاتفى بحاجة الجنود فما بالك بحاجة أهل البلاد ؟ فلماذا أراد الزعيم أن يتخلى عن المواقع الأمامية الصالحة للقتال وينسحب الى ذلك القفر الجرب الكفيل بالقضاء على الجيش قبل أن يقضى عليه الأعداء ؟ واذا كانت المسألة مسألة تجارب فلم لم يدع عصمت باشا يمضى فى تجربته الى النهاية عسى أن تسفر عن نجاح ؟

وبعد فلو كان الجيش التركى كله محشوداً فى ميدان واحد لأمكن الاعتماد عليه الى حد ما ، ولكن هذا الجيش موزع على ثلاثة ميادين متباعدة ، فجزء منه فى الجنوب يقاوم زحف الفرنسيين على آسيا الصغرى ، وجزء ثان مشتبك فى قتال الانجليز عند ازميد ، وليس فى استطاعة القيادة العليا أن تهمل هذين الميدانين لتعزز قواها فى الميدان الثالث الذى تصد فيه إغارة اليونانيين

رجل الساعة

كان ضباط أركان الحرب يتحدثون فى ذلك بينما كان مصطفى كمال مكباً على خريطة عسكرية نشرها فوق ركبته وقد جعل يغرس فى مواضع منها دبابيس ملونة الرؤوس ، وأخرى يحمل بعضها أعلاما تركية ويحمل بعضها الآخر أعلاما يونانية . فلما انتهى من درس الخريطة طواها وألقى من يده السبحة التى كانت أصابع يسراه تداعب حباتها الكهرمانيـة ، وأسند رأسه الى المسند الجلدى وشخص الى الصباح بعينيه ثم تساقطت من فمه هذه الكلمات : « أيها السادة ، بعد أربعة أسابيع سنضرب العدو ضربة قاضية » . فتبادل الضباط نظرات الدهشة أو الاستهجان وأشفقوا على هذا المتفائل المجنون فلم يردوا عليه

أما فى العاصمة ، أنقرة ، فقد امتزج السخط على القيادة العليا باليأس من كل شىء ، فعبست الوجوه وتجهمت الأسارير ، وبلغت درجة الغيظ فى المجلس الوطنى حد الغليان ووقف المعارضون لمصطفى كمال يشهرون بخطته فى الانسحاب ويتوقعون من ورائها الطامة التى لا طامة بعدها ، ويؤكدون أن قضية الوطن صائرة الى الدمار ما فى ذلك شك ولا ريب . ولقد اعتصم الزعيم بالصبر على هذه الحملات كأنما كان يدخر تدخله لوقت آخر أو لساعة يعلم أنها آتية عما قريب

وظن خصوم الزعيم أن هذا الصمت اعتراف منه بضعف مركزه واقرار بأن الحالة العامة مستعصية على العلاج ، فأرادوا ، ليقضوا على هيبته القضاء الأخير ، أن يلقوا على كتفيه العبء كله رجاة أن ينوء به أو يأبى حمله فيسقط من عليائه ويخمل ذكره ويعلم الشعب انه ليس البطل الذى ارتسمت صورته فى أذهان الجماهير ، فاستصدروا من المجلس قراراً بأن الأمة كلها تعلق الأمل الباقى لديها فى النصر على شخص رئيس الحكومة وتكل اليه القيادة العامة للجيش

وكانت هذه هى الساعة التى طالما ارتقبها الزعيم ، فلم يكد المجلس يصدر قراره حتى ارتقى مصطفى كمال المنبر وأعلن انه يشكر للمجلس ثقته به وحسن ظنه فيه ، وأنه يقبل أن يتولى قيادة الجيش ويحمل مسئولية انقاذ الوطن ، ولكنه علق هذا القبول على شرط لا بد منه ، وهو أن يخوله المجلس الوطنى كل سلطاته التشريعية والتنفيذية لمدة قدرها ثلاثة أشهر

تردد المجلس أول الأمر امام هـذا الشرط وخاف مغبة تركيز السلطات كلها فى يد رجل لعله طماع مداور يسعى الى الدكتاتورية ليصل من ورائها بوسائله الغامضة الى عرش الخلافة والسلطنة

ولكن اصرار الزعيم على شرطه قضى على تردد النواب ، فنزل له المجلس عن سلطانه للمدة التى أرادها محتفظا لنفسه بحق سحب هذه السلطات متى تراءى له وجوب ذلك

شهد الله ان مصطفى كمال لم يكن الرجل الذى يتهيب المسئوليات أو يفر منها باشتراط شروط لاتقبل ، ولاالرجل الذى يستغل مصائب الشعب لحسابه الخاص فيتصيد لنفسه المنافع فى الاضطراب العام . ولكن الحالة الاستثنائية التى كانت البلاد فيها كانت تتطلب اجراءات وتدابير واحتياطات استثنائية لا تحتمل بطء الدولاب الحكومى ولا الثرثرة التى لا حد لها فى المجالس النيابية . لذلك لم يكد الزعيم يتلقى من يد المجلس الوطنى تلك السلطة حتى اعتلى المنبر مرة ثانية وقال : « ان ثقى بأننا قادرون على قهر العدو لم تتزعزع يوماً من الأيام ، وانى أجهر بكل ما فى نفسى من قوة أمام هذا المجلس وأمام الشعب والعالم بأننا سننتصر وبأنه لم يبق بيننا وبين النصر الا أيام »

ترى أكان الرجل مصدقاً نفسه عندما ألقى هذا التصريح ، أم هى العزة أخذته فألقاه متأثراً بالموقف أو متمشياً مع ضرورات الساعة ؟ من يدرى ؟ ولكن مصطفى كمال لم يكن الرجل الذى يلقى الكلام على عواهنه ولا الذى يقامر بمصير أمته معتمداً على الحظ والمفاجآت . لقد كان حديد البصر ثاقب الرأي يحسن وزن المسائل وتقدير الاشياء ، لا يبهره النجاح فيغفل عما قد يقع من الطوارىء ، ولا يسكره التوفيق فيغريه بالمحال ، ولا يغالط نفسه ، فيلهيها بظفر الساعة عما هو متوقع أو محتمل الوقوع . لذلك كان قليل الكلام شديد الحذر ، لا ينطق إلا بقدر فلا تتجاوز عبارته حدود فكرته ولا تتجاوز فكرته حدود الممكن والمعقول . ولقد ضحى حتى يومئذ بآلاف وآلاف من شباب الجيل فى سبيل انقاذ الوطن ، فهل يظل ، حتى لو انقطع الأمل ، يضحى بآلاف وآلاف فى سبيل تجربة طائشة أو تحقيق حلم مستحيل ؟

يقول الذين اتصلوا به فى تلك الفترة من حياته ان الهموم التى كانت تساوره كانت هموما مضنية أثرت فى صحته أثراً ظاهراً ، فلقد تلونت سحنته بلون رمادى ضارب الى الصفرة ، وانقبضت أسارير وجهه وغاضت الغضون فى جبينه وحول عينيه ، وتبدى العنف فى كلامه وحركاته ، وبات سريع الغضب سريع التهيج يتعذر فهمه على مخاطبيه كما يتعذر ارضاؤه على معاونيه

المعجزة

أخذ مصطفى كمال على عاتقه اذن مهمة انقاذ الوطن وتطهيره من الأعداء فى ظروف جعلت أشد أنصاره تفاؤلا يشكون فى نجاحه بل يوقنون بفشله . ولكن المسئوليات الخطيرة تشحذ النفوس الكبيرة ، فلم يلبث الزعيم حتى تبدى كفؤاً لتلك المهمة واستطاع أن يبث من همته هما فى نفوس أعوانه ، فبات كل منهم يرى نفسه قائداً مسئولا ويحس ان المصير رهين الجهد الذى يبذله والنصيب الذى يساهم به فى قضية البلاد

لم تكن فى الاناضول مصانع للاسلحة والذخائر والمهمات يمكن الاعتماد عليهـا ، ولم تكن لدى الجيش طائرات حربية إلا ما وقع منها بين يديه من طائرات العدو المحطمة أو المحترقة ، ولم تكن لدى القيادة مؤن تفى بحاجة الجنود . عندئذ تجلت مواهب مصطفى كمال الادارية فاستحالت البلاد فى أيام قلائل ميدان نشاط عسكرى واسع النطاق ، فبعض ما كان ينقص الجيش صار يصنع بالأيدى فى مصانع الحـدادين والسباكين وفى معامل السروجية وورش النجارين وأفران الخبازين ، حتى الطائرات الحربية كانت ترمم وتصلح هناك جهد ما يصل اليه الامكان . وصدرت القوانين تفرض على كل بيت فى الاناضول أن يساهم بنصيب فى توفير المهمات للجيش بأن يقـدم فى بحر أسبوع من يوم صدور القانون ملابس جندى كاملة

ولم تكن فى الأناضول وسائل للنقل السريع ولا للنقل البطىء ، فصدرت قوانين تفرض على الفلاح أن يقرض الجيش ثيرانه وخيوله وبغاله ومركباته لمدة معينة تعاد اليه بعدها . ولما كان كل رجال البلد مجندين تحت السلاح فقد تولت النسوة والبنات تحميل تلك المركبات بالذخائر وقيادتها إلى المعسكرات وخطوط النار . وهكذا استطاعت عبقرية الزعيم أن تخلق الكثير من لا شىء وأن تعصر البلاد فتخرج منها خيرات تنفع الجيش

بقيت مشكلة المال والمدافع والأناضول فقير لا يستطيع حكامه فرض ضرائب جديدة عليه ، والتفكير فى عقد قرض من الخارج ضرب من الجنون اذ من الذى يقرض ماله حكومة ثورية مبتكرة غير معترف بها من الدول ولا من الحكومة الشرعية فى البلاد ؟ ولكن لابد من المال والا فلا حرب

وهنا يتجلى نبوغ مصطفى كمال فى السياسة كما تجلى فى الحرب والادارة

فـكر الرجل فى روسيا البولشفية ورأى انها دولة منبوذة من أوربا ، تحاول نشر دعايتها فى الدنيا فتجد نفسها محصورة داخل حدودها ، وفكر فى أن احتلال الانجليز للبوسفور والدردنيل يجعل انجلترا عدوة طبيعية لروسيا لأن بقاء هذين البوغازين فى قبضة الأسد البريطانى يغلق باب البحر الاسود ويقضى على الجمهورية السوفيتية بالحبس الدائم بخلاف ما لو بقيا فى يد دولة صديقة أو ضعيفة كتركيا . فـكر مصطفى كمال فى ذلك ورأى أن يتودد إلى روسيا ويكسب عطفها على قضيته التى هى قضيتها ، فأرسل رسله الى موسكو يفهمون حكومتها ما لها من المصلحة فى معاونة الحركة الكمالية ويعرضون عليها أن تمد تركيا بالمال والسلاح لتستطيع إقصاء الانجليز عن الدردنيل والبوسفور ولتسمح للدعاية البولشفية بأن تتسرب إلى الشرق الادنى من طريق الاناضول

واقتنعت الروسيا بنظرية مصطفى كمال فتدفقت ملايين الروبلات من خزائن موسكو الى خزائن أنقرة وأخذت قطارات السكك الحديدية تنقل صناديق السلاح والذخائر والمدافع من كل صنف الى الاناضول عن طريق القوقاز ، وهكذا انحلت العقدة واستكملت تركيا أهبتها للحرب فى حين

أن الشيوعية لم تكسب شيئاً لأن مصطفى كمال كان يقضى عليها فى الخفاء بوسائل لم يدركها البلاشفة الا بعد فوات الاوان

***

هنالك وراء مجرى نهير سقاريا والمستنقعات التى تغطى وجه الارض ، فى تلك البقعة المحفوفة بالهضاب أمر مصطفى كمال بوقف الانسحاب وجمع أشتات الجيش وحفر الخنادق للقاء العدو . وقد حدث قبل وصول الجيش اليونانى بيومين أن خرج الزعيم على جواده يتفقد الميدان وقد أراد أن يرتقى مرتفعاً هناك يدعى قره داغ (الجبل الاسود) فانزلقت مقدمتا الدابة فوقعت وسقط القائد تحت ثقلها فانكسرت ثلاثة من أضلاعه واضطر رجاله الى أن يحملوه وهو يكاد لا يعى من فرط الألم . ولقد رأى المتشائمون فى هذا الحادث فألا سيئاً وتهامسوا قائلين : ماهذه المعركة التى تفتتح بكسر أضلاع القائد العام ؟ . ولكن شد ماكانت دهشتهم عند ما رأوه فى اليوم التالى يغالب الألم ويسير بجواده بين الصفوف ويقول : «هذا نذير من الله بان هذه البقعة التى تكسرت فيها ضلوعى سأكسر فيها العدو »

وفى اليوم الرابع عشر من أغسطس سنة ١٩٢١ خفق العلم اليونانى فوق احدى الهضاب غربى سقاريا ودوى المدفع ايذاناً ببدء القتال ، ولم يمض النهار حتى كان الجنرال بابولاس قد عبر النهر بجيشه ووجه هجومه شطر الجناح الأيسر للجيش التركى ليخترق الطريق إلى أنقرة كما وجه قوة أخرى صوب قره داغ الذى يعبر من فتحة فى وسطه الخط الحديدى الموصل إلى تلك العاصمة

كان الاتراك يعرفون قلتهم ونقص عددهم ولكنهم كانوا يعرفون أيضاً أن هذا آخر خط دفاع يحمى العاصمة فاذا سقط سقطت أنقرة وانتهت الحرب واستولى العدو على البلاد . لذلك كانوا يقاتلون قتال الراغبين فى الموت لا قتال الدافعين والمقاومين . ولقد كانت الصفوف تتحطم وتهوى ويبدو الفراغ فى مكانها هائلا مخيفاً فيهرع القائد فوزى باشا إلى التليفون طالباً النجدة فلا يتلقى من الزعيم الا هذا الجواب : « استمروا »

ولقد استمروا اثنين وعشرين يوماً واثنتين وعشرين ليلة والمعركة مستعرة كالجحيم لا تخبو ولا تهدأ ، والترك لا يتراجعون عن موقع الا ليعودوا فيسترجعوه ، ولا ينزلون عن شبر من الارض الا بعد أن يتقاضوا ثمنه غالياً من المهج والأرواح . واشتد الحر وقل الزاد والماء وارتفعت حمى النضال ، وأخذ كل من الجيشين بخناق الآخر واشتبكا فى صراع مرعب عنيف

وكان مصطفى كمال قد جعل مقر القيادة العليا فى دار عتيقة بقرية ألاجوش القريبة من ميدان القتال ، وقد جلس فى احدى حجراتها الضيقة أمام منضدة نشر فوقها خريطة الميدان وانكفأ عليها ليدرسها ويدير المعركة وفقاً للانباء التى تصل اليه ، فاذا أحس ضغط ضلعه المكسور على

احدى رئتيه نهض من كرسيه وأخذ يذرع الغرفة ذهاباً وجيئة ،وهو لا ينفك يصدر الأوامر والتعليمات . فاذا كان الصباح امتطى جواده وزار الجبهة وخطوط النار واطلع على التقارير وأبدى ملاحظاته للقواد ورتب الجيش طبقاً لما تقتضيه الحالات الجديدة ثم قفل راجعاً الى مقره مطمئن النفس هادىء البال

لقد لازمه النصر فى كل المعارك التى قادها واقترن اسمه بجميع الانتصارات التى أحرزها الترك فى أنا فارطة وأريبورنة وغيرهما من معارك الدردنيل ، فلا عجب ان كان لمجرد ظهوره بين الصفوف قوة سحرية تبعث النشاط والحمية فى الجنود فتقوى عزائمهم وتحيي ميت الامل فى نفوسهم ،وتجعلهم إذا رأوه عابساً يدركون أنه غير راض ، فيضاعفون جهودهم ويستميتون فى القتال ، واذا رأوه باسماً ، يطمئنون ويعلمون أن النصر قريب

ولكن حدث فى صباح السادس من شهر سبتمبر أن سقط قره داغ وقد كان أمنع مواقع الجيش التركى فأبلغ فوزى باشا هذا النبأ المزعج الى مصطفى كمال ، فلم ينزعج بل قال : « قره داغ غير مهم فحافظوا على جل داغ » ، وقبيل غروب شمس اليوم سقط جل داغ وانفتح طريق أنقرة أمام العدو فغمر اليأس النفوس وعم الأسى القلوب ولكن الزعيم لم ييأس بل استدعى عصمت باشا اليه وقال له : « ان بابولاس فى الرمق الأخير وما النشاط البادى منه إلا الصحوة التى تسبق الموت ، وهو سيجمع الليلة معظم قواه ليخترق ميسرتنا وليقتحم طريق أنقرة ، فخذ أنت ما تستطيع أخذه من هذه الميسرة وقو بها وسطنا وجناحنا الأيمن وهاجم بهما قلبه وميسرته وبذلك يقضى عليهما قبل أن يتيسر له استرجاع القوى التى عزز بها الهجوم على جناحنا الأيسر »

ونفذ عصمت وفوزى وكاظم قره بكير خطة الزعيم تحت ستار الليل فلم يتنبه لها العدو . وبينما كان بابولاس قد حشد معظم جيشه فى جل داغ اذ بعصمت يفاجىء قلب اليونانيين وميسرتهم بهجوم سريع عنيف لم يحسبوا له حساباً لأنهم لم يتوقعوه . فلما أفاق بابولاس من دهشته وحاول العودة بفرقه الى أماكنها الأولى كان الاتراك قد أنزلوا بقية جيشه هزيمة منكرة فلم يسعه إلا التقهقر فى غير نظام

انتصار الأتراك

وعند منتصف الليل دق جرس التليفون فى مقر القيادة العليا وكان المتكلم فوزى باشا رئيس أركان الحرب وقد طلب التحدث الى القائد العام . وتناول مصطفى كمال السماعة والضباط من حوله ينصتون وقلوبهم تكاد تقف فى صدورهم ، فسمعوه يقول : « هذا أنت يا باشا ؟ . . استعدتم جل داغ ؟ . . حسن جداً .. ماذا ؟ .. أواثق أنت مما تقول ؟ .. اليونان يتقهقرون .. وبسرعة ؟ شددوا الضرب وابذلوا كل شىء .. العدو فى يدكم فلا تدعوه »

ولما طلعت الشمس كانت نيران العدو قد سكتت وكان اليونانيون ينجلون عن قره داغ ويعبرون النهر قافلين إلى مواقعهم الأولى وراء الضفة الأخرى . وبذلك تمت معجزة مصطفى كمال على شاطىء سقاريا كما تمت معجزة جوفر على شاطىء المارن . ومن عجائب المصادفات أو مدهشات القدر أن يتم انتصار الترك فى سقاريا فى السابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٢١ الموافق للذكرى السابعة لانتصار الفرنسيين فى المارن

تبدل الموقف وسيطر الترك على الميدان واستحال بابولاس مدافعاً بعد ان كان مهاجماً ووقف مصطفى كمال يدير المعركة بنفسه من فوق الصخرة التى تحطمت عليها ضلوعه ، ويرى اليونانيين وهم يتلمسون طريق النجاة خوفا من أن يلحق بهم الترك فيقطعوا عليهم سبيل الفرار

عادوا الى أماكنهم الأولى وراء النهر واستطاعوا أن يثبتوا فى وجه الاتراك ستة أيام أخرى كانوا يقاتلون فيها قتال الخائر الذى لا تحمله ساقاه ، فلما رأوا ميمنة مصطفى كمال تتجه شمالا لتقوم بحركة التفاف تطوقهم بها لم يشأ قائدهم ان ينتظر حتى يقع بجيشه فى الشرك المنصوب فانسحب متقهقراً وظل يتقهقر حتى عاد الى اسكى شهر وأفيون قره حصار . وهكذا غرق فى أمواه سقاريا ذلك الحلم البديع الذى زين للملك قسطنطين أن يبعث الامبراطورية اليونانية القديمة ليقيمها على أنقاض دولة آل عثمان

ألا فليحفظ المسلمون هذا الصنيع لذكرى مصطفى كمال فهو قد حفظ تركيا للاسلام ، وليمجدوا اسم «سقاريا» بين الاسماء ، فهو يذكرهم بأحدى المعارك الحاسمة فى تاريخ الاسلام (١)

حسن الشريف

---

(١) للمرحوم شوقى فى تمجيد انتصار الاتراك فى حرب الاناضول وفى الاشادة بعظمة مصطفى كمال قصيدة قلما جادت بمثلها قريحة شاعر ولعلها أروع شعره على الاطلاق ، نقتطف منها هذه الابيات وقد قالها مخاطباً بطل سقاريا :

تحية أيها الغازى وتهنئة	بآية الفتح تبقى آية الحقب
وقيما من ثناء لا كفاء له	الا التعجب من اصحابك النجب
قواد معركة ، وراد مهلكة	أوتاد مملكة ، آساد محترب
من فل جيش ومن أنقاض مملكة	ومن بقية قوم جئت بالعجب
أخرجت للناس من ذل ومن فشل	شعباً وراء العوالى غير منشعب

الطبقة العالية فى مصر
وهل تؤدى واجبها نحو الشعب

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

ليس فى مقدورنا أن نقرر أن أمة من الأمم قد تحضرت ، لأن الطبقة العالية فى هذه الأمة قد ركزت فى يدها قوى المال والعلم

فالطبقة العالية قد تستطيع حصر السلطة فى نفسها ، وقد تستطيع بفضل أموالها تعليم أبنائها خير تعليم وأكمله ، وقد تستطيع انتاج أعمال فكرية عظيمة ، والاضطلاع باعباء مناصب خطيرة والأخذ باسباب حياة راقية متمدينة ، ولكن حضارة الأمة فى مجموعها لا يمكن أن تقاس بنسبة الرقى الاجتماعى والفكرى والاقتصادى الملحوظ فى طبقتها العالية

ولقد كان عصر لويس الرابع عشر عصراً ذهبياً ، ازدهرت فيه الآداب والفنون والعلوم ، ولكنه كان عصر حضارة ارستقراطية نهضت بها طبقة واحدة ، فلم يشعر سواد الشعب بأنه كان المقصود ولو ببعض تلك الجهود ، وأن طبقة الخاصة فكرت فيه ، أو عملت على اسعاده ، أو سعت لاشراكه فى النعيم الذى كانت تمرح فيه

والواقع أن الأمر كان على النقيض ، فقد استقلت الطبقة العالية بحضارتها ، واعتزت بثقافتها ، وضاعفت مالها من حقوق وامتيازات ، وأرهقت غالبية الشعب بالضرائب ، وأثقلت كاهله باعباء الحروب ، فمهدت للثورة الفرنسية الكبرى ، وقوضت بيديها دعائم النظام الارستقراطى الذى كانت تعتقد اعتقاداً راسخاً أنه مثل الحضارة الأعلى

فكل حضارة ارستقراطية الروح ، اقطاعية المنزع ، مصيرها المحتوم الى الفناء . وكل أمة لا ترتقى مختلف طبقاتها بنسب متعادلة بحيث لا تطغى فيها طبقة على طبقة ولا تستأثر فيها بعناصر المال والثقافة والرفاهية طبقة دون طبقة ، هى أمة مضطربة مزعزعة متأخرة ، كائنا ما كان رقى خاصتها ، وبالغاً مابلغ تحضر طبقاتها المتمولة العالية

فحضارة الخاصة يجب أن تنحدر منهم الى سواد الشعب ، ويجب أن تصدر عنهم لخير الشعب ، ويجب أن تستخدم لتحقيق الوحدة الفكرية والاقتصادية والقومية بين جميع طبقات الشعب

فى ضوء هذه النظرية التى يؤيدها الواقع فى معظم الأمم الحديثة المتمدينة ، نستطيع أن نتساءل : هل قطعت مصر شوطا بعيداً فى ميدان التحضر ، وهل هى وحدة لا تنفصم ، وكتلة

حسية ومعنوية تتجه أنجاها كاملا نحو الرقى ، أم هى أمة مؤلفة من كتلتين متباعدتين : الخاصة والعامة ، المتحضرون والشعب ، الاغنياء الذين يحيون حياة مستقلة منفصلة ممتازة ، والفقراء الذين لا يمتون للاغنياء بأية صلة ؟

ليس شك فى أن مصر لم تحقق بعد وحدتها المعنوية والاقتصادية المنشودة

فى مصر طبقة غنية جداً ، وأخرى فقيرة جداً

فى مصر طبقة غنية بمالها ، غنية بنفوذها ، غنية بعلمها وثقافتها ، تعيش فى المدن الكبيرة ، وفى الاحياء الأنيقة ، وفى الترف الاوربى الساحر

وفى مصر طبقة لاتأكل كفايتها ، ولا تعيش إلا لتعمل ، ولاتعمل إلا لتموت فريسة الاجهاد وشتى الامراض المستعصية المروعة

فالطبقة الاولى تعيش على حساب الثانية ، وتعتصر جهودها ، وتنفق مما تدره هذه الجهود على حيازة أدوات الترف الأوربية ، وهكذا يربح الصانع الاوربى والتاجر الاوربى ، وتستحيل حياة الوجهاء المصريين أنفسهم الى حياة أوربية مصطنعة ، وبذلك يتم استقلالهم الفكرى وانسلاخهم المعنوى والاقتصادى عن مجموع الشعب

ومتى تم الانسلاخ شاعت فى النفوس عاطفة الأنانية ، واشتد الاحساس بروح الطبقة ، واشتد الحرص على مصالحها وامتيازاتها ، واقترن هذا الحرص بنزعة كبر وترفع وارستقراطية زائفة ، سرعان ما تنقلب الى نفور من الشعب ، واستخفاف به واحتقار له وعدم اكتراث مطلق لواجب انهاضه والرقى به

هذه النزعة هى التى كانت مستحوذة على الطبقات العالية فى فرنسا قبيل الثورة الكبرى ، وهى التى كانت فاشية فى روسيا فى عهد القياصرة ، وهى التى شطرت الأمة الاسبانية الى شطرين وأضرمت فى اسبانيا نار الحرب الأهلية

فانسلاخ الطبقة العالية عن مجموع الشعب ، وعدم احتفالها بما تفرضه عليها امتيازاتها من واجب نحوه ، كل هذه العوامل قد تفضى على مر الزمن الى اضطرابات وثورات

ومع ذلك فاتقاء هذا الخطر أمر ميسور ، لو أدرك أبناء الطبقة العالية ان كل حق يترتب عليه أداء واجب ، وكل امتياز ينبغى أن يبرر بعمل ، وكل سلطة يجب أن تعزز نفسها وتؤكد وجودها بحمل عبء من المسئوليات يشفع لها فى نظر الشعب

ولقد أدركت الطبقات العاليـة فى الامم الديموقراطية الكبيرة هذه الحقيقة الخالدة ، فوثقت صلاتها بسواد الشعب جهد المستطاع ، وسعت لرقى المجموع لا لرقى طبقة واحدة ، فحسنت حياة الفلاح ، ورفعت مستوى العامل ، وحمت مصالح صغار الموظفين والتجار ، واعترفت بالنقابات واشتركت فى تنظيمها ، وسهلت للجميع سبل التعليم ، وقضت على بعض الفوارق الاقتصادية

والثقافية الهائلة التى كانت تقسم الامم الأورية فيما مضى الى كتلتين منفصلتين تتربص الواحدة منهما بالأخرى

لهذا السبب لن تقوم ثورة اشتراكية دموية فى فرنسا وفى انجلترا مثلا ، وذلك لأن الطبقات العالية تعرف كيف تجيب الشعب الفرنسى أو الانجليزى الى جوهر مطالبه العادلة ، ورغائبه المشروعة ، خطوة فخطوة ، فى ظل النظام ، وفى دائرة التطور التدريجى الطبيعى

على أن الطبقات العالية فى أوربا لا تنتظر عمل الحكومات كى تقوم هى نفسها بواجبها المفروض نحو الشعب ، واليك الدليل :

جاء فى كتاب الباحث الاجتماعى جورج نوردمان « الخاصة ينقذون الحضارة » ما ترجمته :

« فى فرنسا اليوم أكثر من ٣٠ جمعية يتولى ادارتها عدد من أبناء الطبقة الفرنسية العالية وينفقون عليها من مالهم الخاص ، وهذه الجمعيات تعنى بمكافحة أمراض الفلاحين ، ومحو الأمية من القرى ، وتعليم أبناء العمال المتعطلين ، والعناية باللقطاء ، وانقاذ البغايا وتدريبهم على بعض الصناعات اليدوية

« وفى بولونيا ٢٤ جمعية يديرها أبناء البيوتات العريقة ، ومهمتها انشاء المستشفيات لفقراء الفلاحين والعمال ، وتنظيم ملاعب للرياضة فى الريف وقاعات للمحاضرات وبعض دور للتمثيل والسينما

« وفى رومانيا ١٥ جمعية يديرها الوجهاء المتمولون أيضاً ، وقد أسفرت جهودها عن انشاء مصح عظيم لمرضى السل من فقراء الفلاحين ، ومستعمرة للمتشردين من أبناء السبيل ، ومسرح ريفى متنقل ، ومستشفى للعمال العاطلين ، ومستوصف لأبنائهم ، وملجأ للعجزة منهم

« ولأبناء الطبقات العالية فى انجلترا وايطاليا والمانيا واليونان ويوجوسلافيا أكثر من ٧٠ جمعية تتنافس فى خدمة الشعب وتنفق من مال الخاصة على فقراء الشعب ، وتبذل قصاراها لانقاذ الحضارة فى الامم الاورية باشعار الجماهير البائسة بحقها فى الحياة ومنعها بهذه الوسيلة من الأخذ بأساليب العنف والالتواء إلى الثورة على الخاصة وعلى أنظمة الحكم القائمة ، مما يهدد كيان الدولة ويطمع فيها الغريب »

بهذه الاعمال الرائعة تبرر الطبقة العالية وجودها فى أوربا ، فبماذا تبرر هذه الطبقة وجودها فى مصر ؟

الواقع ان معظم أفرادها يعيشون بمعزل عن الشعب ، ويستنكفون الاتصال بالشعب

كلما ازداد ثراؤهم ، ازدادوا عن الشعب انسلاخاً ، وكلما ارتفعوا فى سلم المناصب اعتبروا الحكومة ملكا حلالا لهم وأداة لحماية مصالحهم ومرتعاً خصباً لهم ولأبنائهم

وأما مشروعاتهم للخير العام ، فأين هى ؟ وهل أبرزوا منها ما يساوى جزءاً يسيراً مما يقوم به

زملاؤهم فى الامم الاوربية الصغيرة كاليونان مثلا ؟ وهل فى وسعهم وتلك حالهم التفكير فيها ؟ وهل فى مقدورهم وهم يبددون المال ويستمرئون الدين أن يحاولوا تنفيذ بعضها ؟

انها لمحض كلمات عابرة ، ومحض مقالات تطوى مع الصحف التى تنشرها ، ومحض شقشقة يراد بها ادعاء العناية فى الخدمة العامة لمجرد الزهو وحب الظهور ، أو لتعزيز المركز الاجتماعى أو السياسى

فالكل متأهب ولا ريب للتشدق بالنظريات والعواطف الانسانية ، ولكن متى جد الجد ومست الجيوب ، واقتضت الحاجة انفاق بعض المال ، فالكل يتراجع ، والكل يتلكأ ، والكل يتنصل ويلوح بواجب الحكومة ويطالب الحكومة وحدها بالعمل والتنفيذ

هذه هى الظواهر الاقتصادية والنفسية الملحوظة فى معظم أفراد طبقتنا العالية

وما دامت هذه الطبقة لا تشعر بواجبها ، ولا تنهض برسالتها ، ولا تؤدى للشعب حقه ، ولا تدرك ان للثروة مسئولياتها ، وان على الجاه العريض فروضه . ما دامت تستطيب الحياة على هامش الامة ، وتمعن فى الانسلاخ عن مجموع الشعب ، وتضرب حول نفسها منطقة حراما ، وتكون لنفسها ارستقراطية بيروقراطية اقطاعية مشبعة بفكرة الأثرة وروح الانانية ، فستظل الامة المصرية مشطورة شطرين ، وسيظل الفارق عظيما بين أغنيائها وفقرائها ، وستظل وحدتها الاقتصادية والثقافية بعيدة التحقق ، وستظل أمة تنقصها عوامل التحضر الرئيسية ، أمة تشبه تمثالا عجيباً رأسه من نحاس وقدماه من طين !

ابراهيم المصرى

حياة العظماء

ان حياة العظماء مأساة ، لأنها حياة تنهض على الكفاح المطرد فى سبيل التغلب على شهواتهم والدعوة لأفكارهم

فاذا أبصرت العظيم وقد ظفر بالمجد باسم الثغر مبتهج النفس ، فلا تحسده . واعلم انه فى صميم قلبه لا يرى المجد الا فى مواصلة ذلك الكفاح «تلستوى»

أدباء فرنسا يوجهون الشعب لانقلاب جديد

وظيفة الأدب فى الاصلاح الاجتماعى

الاصلاح النفسى الذى يقوم به الادب ، لا يمكن أن يفيد الفائدة المنشودة ان لم يقترن باصلاح اجتماعى

يزعم الالمان اليوم كما كانوا يزعمون قبيل الحرب الكبرى ان الشعب الفرنسى شعب أرهقه ماضيه ونضبت حيوية ابتكاره وجفت عصارة ذهنه الخلاق وانحدرت به روحه المادية الى هاوية الاضمحلال والفناء

والغريب ان دعوى الالمان فى انحطاط الامة الفرنسية ، يروجها دعاة النازى فى الوقت الذى تبدو فيه فرنسا مسرحا لنشاط ثقافى واجتماعى عظيم يصح أن يكون قدوة لمختلف شعوب أوربا

والواقع أن فرنسا الشاعرة بخطر النهضة الجرمانية ، والمدركة تمام الادراك ما يراد بها فى المانيا ، فرنسا التى أصبحت مطوقة بشبكة وثق أطرافها محور « روما — برلين » ، لا تحفل بالخطر الذى يهددها ، بل تستخف به وتتحداه وتقوم بشبه ثورة اجتماعية ذات نزعة انسانية واضحة تستمد قواها ومثلها العليا من الثورة الفرنسية الكبرى ومبادئها الديموقراطية وآرائها المشهورة فى وجوب تحرير الفرد وانهاضه ورفع مستواه المادى والثقافى وتقرير حقوقه المقدسة تجاه الدولة

ولقد قامت بهذه الثورة السلمية حكومة الجبهة الشعبية برياسة المسيو ليون بلوم ، فجعلت أسبوع العمل أربعين ساعة ، ونظمت العلاقة بين العمال وأصحاب العمل بواسطة عقود اجماعية ولجان للتحكيم ، وضمنت للعمال حق العمل والراحة ، وأنقذتهم من طمع أصحاب رؤوس الاموال ، وأشعرتهم بانسانيتهم . وكانت على وشك أن تتم اصلاحاتها الاجتماعية بوضع يدها على وسائل الانتاج وتصريفها لخير الامة ، ولكنها اصطدمت بارادة الطبقة المحافظة الممثلة فى مجلس الشيوخ فاضطرت لتقديم استقالتها على أن تستأنف كفاحها خارج دائرة الحكومة ، وبواسطة الصحافة ومن طريق البرلمان

والمهم فى كل ما تقدم ان أدباء فرنسا كانوا طلائع هذا الانقلاب ، وان الادب هو الذى مهد للاصلاح وهو الذى ما ينفك يعبد الطريق لانقلابات أخرى ، من المحتمل ان يقوم بها الشعب بعد اذ تنقضى فترة التسلح الحاضرة التى يفرضها على الفرنسيين تسلح المانيا وتوسعها الفجائى فى شرق

أوربا وفي جنوبها الشرق . ولكن من هم أولئك الأدباء رواد النهضة ، وأصحاب الافكار الجريئة الحرة ، وما هي أفكارهم ومبادئهم والغايات التي يسعون اليها ؟

قبل أن نشرع في تحليل خصائص تلك الشخصيات الفذة ، يجب أن نلفت نظر القارىء الى أسلوبها في فهم الأدب وغايته

ليس الادب في عرف أولئك الكتاب أن يفتن الاديب في تصوير العواطف البشرية فقط وفي تحليل الازمات النفسية فقط ، وفي شرح فواجع الحب ومآسي الهوى ، وفي رسم الاخلاق والعادات الشائعة في بيئته رسماً تحقيقياً يسجلها في العمل الادبي ويكفل لها الخلود

ليس غرض الأدب في زعمهم تجميل الحياة فقط ، واضفاء حلة من الجمال الشعرى عليها ، ورفع مستوى العواطف والغرائز وصقلها وتهذيبها والتلطيف من حدتها

كل ذلك يعترف به الادباء دعاة الانقلاب ويسلمون بفائدته ويقرون قيمته المعنوية العظيمة ، ولكن ما يميزهم عن الآخرين هو اعتقادهم بان الادب وحده لا يمكن أن يرق بطبيعة الانسان ، ولا يمكن أن يفضى الى إلهاب نزعات الخير في نفسه ، ما دام لا يقترن باصلاحات اجتماعية تبدل نظام حياته وتشعره بكرامته وتحرره من وطأة الفاقة وذل البؤس وتجعل من عقله قوة قابلة للتثقف ومن قلبه قوة قابلة للرحمة متأهبة للانتفاع بما في جوهر الادب من سمو روحاني

فالاصلاح النفسي التي يقوم به الادب لا يمكن أن يفيد الفائدة المنشودة منه ان لم يقترن باصلاح اجتماعي يوفر للفرد أسباب التمتع بمطالبه المادية الضرورية ، ويضمن له حق العمل والراحة كي ينصرف الى تثقيف عقله وقلبه بالآداب والفنون والعلوم آمناً على حياته مطمئنا الى مستقبله

هذه هي النظرية . وأما أبطالها فهم « رومان رولان » و « أندريه جيد » و « جان كاسو » و «هنري بولاي» و «أندريه مالرو» . وسنحاول فيما يلي التحدث عن خصائص كل منهم في ايجاز :

رومان رولان

يمتاز رومان رولان بنزعاته الاشتراكية الجريئة وطابع تفكيره المضطرم التقدمي . فهو من الناحية الاجتماعية السياسية يدعو لحكم الشعب ، وينادي بنظام ينهض على محو فوارق الطبقات ، وزيادة الضرائب على أصحاب الملكيات الكبيرة ، وجعل وسائل الانتاج ملكا للأمة ، وتحويل البرلمان الى مجلس شعبي يمثل مختلف نقابات العمال والفلاحين وأصحاب المهن والحرف من أهل الطبقة المتوسطة . ورومان رولان لا يسعى لتحقيق هذا البرنامج بهدم النظام الحكومي القائم فهو يبغض القوة ويكره العنف ، ويخشى على بلاده أخطار الحرب الداخلية ، وكوارث حرب الطبقات وما يمكن أن تحدثه من تصدع في وحدة الشعب الفرنسي تطمع فيه المانيا وايطاليا

فالطريق البرلماني المشروع اذن هو طريق رومان رولان

أندريه جيد

كان أهم عمل قام به أندريه جيد تمهيداً للانقلاب الاجتماعى هو اماطة اللثام عن الحياة المادية الوضيعة التى تحياها الطبقة العالية فى فرنسا ، فأ كاذيب هذه الطبقة ونفاقها العاطفى وأنانيتها العميقة وحرصها الشديد على المال واستخفافها بحقوق الشعب واتخاذها من ثقافتها المختارة وسيلة للترفع والمباهاة والزهو والامعان فى حياة الترف العقلى والبدنى على حساب الشعب ، كل ذلك صوره أندريه جيد بريشته الماهرة الدقيقة فى عدة مقالات وبحوث تشف عن نفس سامية نبيلة ، ونزعة انسانية رحيمة ،وقلب يخفق بحب الحق والعدل ، ويجود بكل مرتخص وغال فى سبيل كل بائس محروم

فاندريه جيد الهب الروح الانقلابية من ناحية العاطفة ، واستخدم أسلوبه الرائع وعبارته البليغة وقدرته الخارقة على التعبير الوجدانى ، فى خلق الشعور بضرورة الانقلاب والتحرر فى نفس الشعب

فهو فنان فى ثوب مصلح ، ولكنه لفرط خضوعه لمزاجه الفنى التخيلى ينشد فى الاصلاح السرعة فى تحقيق المثل الأعلى ، ولهذا السبب تصطدم نظرياته ، بأفكار رجال الاحزاب الذين ينزعون نزعته ويخططهم لأنهم يفترقون عنه فى أساليب التوجيه وضرورة اقترانها بالروح العملية ومستلزمات الواقع

جان كاسو

هذا الأديب اختار لنفسه طريقاً خاصاً لحفز حركة الانقلاب ، وهذا الطريق هو العودة الى الماضى ونبش التاريخ الفرنسى واحياء مافيه من آثار البطولة الشعبية وتمجيد ما اشتمل عليه من ثورات انسانية كانت غايتها تحرير الفرد ورفع مستواه واشراكه فى حكم بلاده اشراكا يتجلى فيه معنى الديموقراطية الحقيقية

فمن تاريخ الثورة الفرنسية الكبرى ومن تاريخ اليعاقبة ومن تاريخ معارك الكومون ، استمد جان كاسو وحيه الأدبى ثم أودعه طائفة من القصص أحكمت الصلة فى نظر الشعب الفرنسى بين ماضيه وحاضره ، وأشعرته أن الجهاد فى سبيل الرقى الاجتماعى والحرية الفردية هو جهاد ينبع من تاريخه وينحدر اليه من أسلافه وينم عن جوهر عبقريته وعن طابع الرسالة التى يحملها الى المدنيـة . فانعكاس الماضى على الحاضر ، والايمان بقدرة الماضى على تجديد الحاضر ، والاحساس بالانسجام الثقافى بين الماضى والحاضر ، والشعور بما فى استطراد الجهاد التاريخى من عظمة ومجد ونبل ، هذه هى العناصر التى أوجدها جان كاسو وغذى بها حركة الانقلاب

هنری بولای

أعرض هذا الكاتب عن النظريات الاجتماعية والسياسية وأرصد قواه الأدبية على رسم صور صادقة من حياة الشعب العامل البائس المنكود

عاش فى الاحياء الفقيرة ، وخالط أوضع الطبقات ، وأشرف على حقيقة الفقر المروع ، ولمس الجوع والذل والحرمان ، ثم واجه قراءه بصور واضحة الاجزاء بارزة التقاطيع ، عارية القسمات أحدثت فى نفوسهم أثراً من الحنان الممزق ، لم يحدثه منطق الاجتماعيين ونظرياتهم الجافة المجردة من مسحة الواقع المختلج الدامى . ومما تمتاز به أعمال هذا الكاتب ، ان أسلوبها لا يشيع فى النفس العطف والحنان فحسب ، بل يبعث فيها السخط ويثير الاستنكار ويستنهض قوى الارادة ويدفع بها الى مواصلة العمل والكفاح

أندرية مالرو

حاول أندريه مالرو أن يعلم الشعب كيف تكون البطولة ، وكيف تكون التضحية ، وكيف يكون الاستشهاد فى سبيل المبدأ ، فوضع طائفة من القصص أبطالها جبابرة مثاليون تنقضى حياتهم فى السعى لنصرة أفكارهم ، لاهين بالموت ، مستهينين بالخطر ، متهافتين على المهالك ، واجدين أكبر لذة فى التفوق على ضعفهم ، والتفوق على الحياة بفرض ارادتهم وسلطانهم ومجموع أفكارهم على شتى مناحى الحياة

وسواء لدى بطل (مالرو) ان يوفق الى تحقيق مبدئه أو لا يوفق ، فالعبرة فى نظره بالتأهب الدائم للموت من أجل هذا المبدأ ، وما دام شعور التأهب قائماً فى نفسه ، حياً فى فؤاده ؟ مالكا عليه احساسه وفكره ، فهو حى ومبدؤه حى والقدوة الصادرة عن سلوكه تغرى الناس ببطولته وتضاعف قوة المبدأ وإيمان الجماهير به وتقديسهم له

فاحتقار الألم ، وازدراء الموت ، وتحدى الضعف الطبيعى المتأصل فى الفطرة البشرية ، وطلب اللذة فى المغامرة بالحياة من أجل مبدأ ، هـذه هى التعاليم التى يبثها أندريه مالرو فى قصصه الشكسبيرية الرائعة ، التى يساهم بها من الناحية العاطفية أيضا فى تنشيط حركة الانقلاب الشعبى الفرنسى

* * *

أولئك هم الكتاب الخمسة الكبار الذين يمثلون من بعض الوجوه فى عصرنا هذا ما كان يمثله فولتير وديدرو وروسو فى القرن الثامن عشر . وكما أن هؤلاء مهدوا للثورة الفرنسية الكبرى ، كذلك يمهد أولئك لانقلاب اجتماعى يتم بدون ثورة ، وبدون سفك دماء

هل تنجح الدكتاتورية عندنا

بقلم الاستاذ عبد الرحمن شكرى

نشرنا فى العدد الماضى مقالا بعنوان « هل تنجح الديكتاتورية عندنا » ، وقد حوى ثلاثة آراء لحضرات احمد لطفى السيد باشا ، والاستاذ عباس محمود العقاد ، والدكتور عبد الحميد سعيد . وقد اطلع عليه الاستاذ عبد الرحمن شكرى ، وأرسل الينا هذا الرد النفيس ، يحلل فيه كلا من نظريتى الحكم الديمقراطى والحكم الديكتاتورى من ناحية حاجة الشعب اليه ، وهو يرى أن قيام أى حكم يتوقف على حالة الامة وأن نجاحه تابع لحاجة الامة اليه

ان التاريخ يدل دلالة واضحة على أن قيمة نظم الحكم تتوقف على الرجال القائمين بتنفيذها وعلى أحوال حياة الأمة التى تنفذ فيها ، فلا يمكن أن يقال على الاطلاق إن نظاما من نظم الحكم خير من نظام آخر فى كل زمان ومكان ، ومهما اختلف القائمون بتنفيذ النظام الواحد . وإذا صح هذا فمن العبث البحث فى أيهما أفضل الدكتاتورية أم الديموقراطية الا بعد تقصى دخائل نفوس الذين يراد أن ينفذ النظام الحكومى على يديهم ، ومعرفة طباعهم وخططهم ، وبعد معرفة الأحوال التى تستدعى النظام المراد تنفيذه وهل تلك الأحوال تستدعى حقيقة ذلك النظام أم ان هنالك وهما . فالتاريخ ينكر ما يقال من أن صوت شعب ما من صوت الله ، وتعالى الله عما يصفون ، فان صوت الشعوب كصوت الأفراد يشمل حوافز الضغن والخطأ وسوء التقدير والجهل وقصور الذهن ، بل لقد ثبت لعلماء النفس أن رأى الرجل الفذ النابغة الرجيح العقل قد يضيع أو يتخلى عنه طوعا إذا أراد أن يقود الجماهير ، فليس من حسن الايمان أن يقال إن صوت الشعب من صوت الله ، ولكن التاريخ أيضاً ينكر على الواحد المفرد الحاكم بأمره ، أن يدعى أنه مفوض له من قبل الله جل شأنه أن يفعل ما يريد

فنظرية حق الحاكم الالهى المقدس باطلة ، كنظرية جعل صوت الشعب من صوت الله . والنظم الديموقراطية الحديثة مهما بلغت من قداستها لدى بعض الشعوب الحديثة ما كانت تستطيع أن تنهض بأوربا عقب تدهور النظام الاقطاعى فيها ، إذ كانت أممها فى حاجة الى حكام أقوياء حتى ولو كان فى بعض قوتهم اثم وجبروت كى ينجوا الامم من معايب ذلك النظام الاقطاعى ومفاسده خصوصاً فى عهده الاخير . ولقد كان الملك فى تلك الاحوال أشبه بالمنقذ ، فكان ملكا وكان دكتاتوراً أو شبه دكتاتور ، ومن أجل ذلك تعطلت النظم الديموقراطية حيث كانت توجد مبادئها ، ولو فرضنا أنها لم تتعطل لكان نواب الشعوب الاوربية وقتئذ لا محالة على مثل حالة الجماهير

الاوربية العقلية والنفسية من التأخر والركود ، وإذن لو فرضنا أن النظم الديموقراطية كانت سائدة وقت دخول آراء نهضة إحياء العلوم لارتاع نواب الشعوب من الآراء الجديدة ، كما ارتاعت الجماهير ، ولحاولوا القضاء عليها ، بينما كان كثير من الامراء والملوك يشجعونها بنفوذهم وأموالهم

وليس هذا كل عيوب تلك النظم فى أمة أو أمم غير مستعدة لها ، وأظن أن ابا النظم الديموقراطية جان جاك روسو الفيلسوف هو الذى قال إن أصلح من تصلح لهم الديموقراطية هم قوم من الملائكة تنزهوا عن اتخاذ نفوذهم السياسى فى الديموقراطية وسيلة لنيل مآربهم ، وقد ظهر هـذا العيب حتى فى أول نشأة الديموقراطية أيام الثورة الفرنسية الاولى ، فلم تكن كل التهم التى قيلت عن ارتشاء الزعماء تهما باطلة ، بل كان منها الباطل وكان منها الكثير من الحقائق ، وكانت هـذه هى الداعية الى إذاعة التهم الباطلة فى حالات أخرى . وقد كانت النظم الديموقراطية فى انجلترا قديمة ، ولكنها كانت قبل القرن التاسع عشر ارستوقراطية حقيقة وديموقراطية شكلا ، فلما اضطرت الارستوقراطية الى اصلاح توزيع الحقوق الانتخابية وتوسيعها اضطرت الحكومة الى اصدار قوانين لرفع مستوى الجماهير العلمى خشية اساءة استعمالهم حقوقهم ومع ذلك فان النظم الديموقراطية لم تحقق حكم الشعب بالمعنى الاعم الاتم ، بل كانت ديموقراطية « أوليجاركية » ، أو ديموقراطية رأسمالية بسبب انحطاط الجماهير نسبياً ، ونشاط أصحاب الاموال نسبياً ونفوذهم ورقيهم أيضاً ، فلا معنى لان نعد صوت شعوب تلك الحكومات من صوت الله ـ تعالى الله عما يصفون

والضرورة هى التى تخلق نظام الحكم حتى ولو كان المفكرون النظريون ضده

ففوضى الثورة الفرنسية وجرائم حكومة الارهاب ومفاسدها ، وخشية عودتها ، والخوف من غزو الدول لفرنسا ، هذه هى الاسباب التى مهدت السبيل لحكومة نابليون شبه الاوتوقراطية ، ومن قبل ذلك مهدت فوضى الجمهورية الانجليزية بعد سقوط شارل الأول ومقتله لدكتاتورية كرومويل ، وكان كرومويل يكره ثرثرة النظريين من رجال السياسة كما كان يكرهها نابليون ، وقد صادف كل منهما نجاحاً كبيراً ، ولكن لم يستطع أحدهما اقامة حكومة ثابتة ، وترك نابليون فرنسا أقل مما وجدها بالرغم من فتوحاته الكثيرة ، وزاد الطين بلة ان مجد اسمه مهد السبيل لنابليون الثالث ، ولضياع الالزاس واللورين في عهد هذا الاخير . وإذا كان لا يجوز لجيل من أجيال أمة التحكم فى مرافق أجيالها المستقبلة ، وتحمل مسئولية ضياعها فكيف يستطيع فرد أن يتحمل تلك المسئولية اذا لم تدعه الامة إلى هذا النوع من الحكم كما دعت نابليون فى أول الامر (١) دعوة مفروضة فى موافقتها على حكمه

(١) نجاح نابليون الدائم كان فى توجيه نظام الادارة وتوحيد القوانين ، ولكن ينبغى ألا ننسى ان خطة التوحيد هذه كانت خطة ملوك البوربون وخطة الجمهورية الفرنسية الاولى قبل نابليون

ونحن اذا استعرضنا الدكتاتوريات الشهيرة فى التاريخ وجدنا الناجح منها ما كان مؤقتاً ومؤسساً على ارادة الشعوب ، وكان فى أمة قوية لم تنحل أخلاقها بسبب مفاسد عصور استبداد طويلة ، وكانت ضرورة الاحوال هى التى دعت الى الدكتاتورية المؤقتة وأيدتها

أما اذا نشأت الدكتاتورية من غير ضرورة قاهرة فى أمة انحلت أخلاقها بسبب مفاسد عصور استبدادية طويلة . زادت الدكتاتورية مخلفات تلك العصور ، اذ أن نظام ذلك الحكم الدكتاتورى ينشىء فرصة لكل انسان ان ينتفع منه بالطريقة عينها التى كانت النفوس تحاول الانتفاع بها فى العصور الاستبدادية القديمة ، ولا يستطيع الدكتاتور أن يوجد نفوسا خالية من تلك العيوب ليدير بها نظام الحكم على طريقة جديدة صالحة مهما كان حسن النية ، إلا اذا كانت الامة لا تزال فيها حيوية وطبقات خالصة من تلك العيوب ، أو قهرت تلك العيوب بالرعب . واذا نظرنا الى دكتاتورية مصطفى كمال وجدنا ان الحالة التى وصلت اليها تركيا بعد الحرب ، وأطماع الدول فى أقسامها ، هى الأسباب التى مهدت لدكتاتوريته السبيل ، حتى إن كثيرين ممن كانوا يسيئون به الظن كانوا يؤيدونه بالرغم من ذلك ، وأعتقد ان مؤثرات الاناضول الجغرافية نجت تركيا من انحلال خلق كبير بسبب عصر الاستبداد ، وجعلت فيها حيوية تمكنت من التغلب على كل شىء وجعلتها قابلة للانتفاع باصلاحات دكتاتور مثل مصطفى كمال . فاذن لا يصح أن نقول ان كل أمة يمكنها أن تنتفع بالحكم الدكتاتورى كما انتفعت تركيا ، ومع ذلك فان ظروف السياسة الخارجية لو كانت غير ما كانت لمنعت دكتاتور تركيا من النجاح ، فليس النجاح مضمونا لنظام من الحكم معين

فاذا فرضنا ان نظاما ديموقراطيا برلمانيا فى أمة استخدمه نواب الامة والقائمون على أمرها أداة انتفاع وغلبت مفاسد المقهور اذا تحكم ، وظهرت فوضى النفوس التى سببتها وقهرتها عصور الاستبداد الطويلة ، أو ظهرت لضعف الحكومة مفاسد النفوس البشرية عامة ، واقتضت الضرورة ايجاد نظام من هذه الفوضى ، فالحكم الدكتاتورى يقوم بطبيعة الحال وبحكم الضرورة ، وبصرف النظر عن كونه يؤدى الى اصلاح ، أو لا يؤدى

أما اذا لم تحدث تلك الضرورة الملحة القاهرة فى أمة فلا تقوم فيها دكتاتورية شعبية بالمعنى الحقيق ، وفى بعض الاحايين تؤدى ضرورة الفوضى أو الفساد الاجتماعى أو الاقتصادى الى دكتاتورية أو حكومة مطلقة نفعية كما حدث مراراً فى التاريخ ، فصلاح الحكم الدكتاتورى أو فساده لا دخل له بالضرورة التى تؤدى اليه

ولكن من حسن حظ مصر ان الفوضى التى كانت فيها فى أواخر عهد حكم أمراء المماليك والوالى والجنود الترك أدت ضرورة معالجتها الى ظهور دكتاتور قادر عبقرى استطاع أن ينشىء مصر الجديدة ونعنى به محمد على باشا

عبد الرحمن شكرى

النقد الفنى

بين المذهبين : الاجتماعى ، والفردى

بقلم الاستاذ على أدهم

فى الحياة قوانين تدرك فعلها وأثرها ولكننا نجهل طبيعتها وكنهها ، ومن هذه القوانين قانون التناقضات الذى يقضى بان كل فكرة تنتشر وتسود وتستقر سلطتها تظهر فى آثارها فكرة جديدة مناقضة لها وتطاردها وتحاول تقليص ظلها وازالتها ومحوها ، فاذا تمت الغلبة لهذه الفكرة الجديدة وواتتها الظروف المسعفة والفرص السانحة ، وخلا لها الجو وعقدت لها ألوية النصر،أخذت تظهر فى الأفق طلائع فكرة أخرى حديثة تشمل الفكرتين المتناقضتين وتضمهما تحت جناحيها . وترى الحضارات والمذاهب الفكرية والنظريات العلمية والأديان والشرائع ومختلف ما يصدر عن العقل الانسانى والعواطف البشرية فى شتيت صوره وعديد ألوانه خاضعاً لهذا القانون ، وقد ظهرت الحضارة الرومانية بقوانينها المعروفة وصبغتها السياسية العملية بعد الحضارة اليونانية التى امتازت بنزعتها الفنية وأسلوبها الفكرى ، ثم امتزجت الحضارتان والتقتا فى الحضارة الاغريقية الرومانية . وظهر فى الفلسفة مذهب أرسطو وسمته العملية ظاهرة بعد مذهب أفلاطون ونزعته المثالية غير منكورة ، وكذلك جاء « كانت » بعد دافيد هيوم ،وساد مذهب شوبنهاور وتشاؤمه بعد تغلب مذهب هجل وتفاؤله ، وجاءت فى أثرهما فلسفة ادوارد فون هارتمان وهى جامعة لعناصر مذهبي هجل وشوبنهاور ومحاولة للتوفيق بين أغراضهما ، وقد نشأت الديانة المسيحية السمحاء القائمة على الحب بعد الديانة اليهودية القائمة على الصرامة والشدة ومعرفة الواجب ، ثم جاءت الديانة الاسلامية وأسمى صفاتها الحرص على العدالة وهى تتضمن عنصرى الحب ومعرفة الواجب

كان النقد فى القرن التاسع عشر خاضعاً فى تطوره لقانون التناقضات ، فظهر فى أوائله المذهب الاجتماعى ، ثم تلاه المذهب الفردى ، إلى أن ساد فى الايام الاخيرة مذهب مكون من الاثنين وهو المذهب الاجتماعى الفردى

وفى طليعة النقاد الذين أثاروا مسألة النقد الاجتماعى النقادة الالمانى شلجل فى كتابه عن تاريخ الأدب ، وذلك اذ عرضت له مسألة الدراما وعلاقتها بالعصر الذى نشأت فيه وبالبيئة الاجتماعية ، وقد انتهى فى بحثها إلى نتيجة صائبة ، وهى أن لكل قوم أدباً خاصاً يعبر عن نفسيتهم ويصف شعورهم ويستمد أهميته وقوته من خصائصهم القوميـة وماضيهم التاريخى ، وقد فتح هذا الرأى للنقاد كوى ينفذ منها الضوء ويبسط لهم أمداً فسيحاً ، وعلموا منه أن الفوارق الملحوظة بين آداب

الامم واختلافات القوالب والصور المعبرة عن الافكار ومجانبتها السير على وتيرة واحدة ليست من أسباب النقص والتدهور ولا من سمات التخلف ، بل هي على نقيض ذلك من المزايا الجديرة بالتقدير والبحث لأن من أسمى صفات الأدب وألزم واجباته وأبعد غاياته ومنازعه تمثيل الخصائص القومية ورسم ملامحها المختلفة وشمائلها المتنوعة ، واعجابنا بشاعر مثل شكسبير لا يناقض إعجابنا بمثل سوفوكليز ، وتقديرنا للبانثيون وآيات الفن اليونانى لا يقتضى الحط من قيمة الفن المصرى المخالف له

وبذلك أزيلت الحواجز وبطلت النعرات التى كانت تعوق الامم عن تذوق آداب الغير وتقدير فنه وأصبحت كل صورة من صور الفكر الانسانى وكل مظهر من مظاهر الشعور وكل لون من ألوان العواطف شيئاً جديراً بالتأمل والبحث ، وزادت فى الوقت نفسه العناية بالآداب القومية لأنها هى المعبرة عن حياة الشعب والممثلة لشخصيته ، واستثمرت النهضات القومية هذه الفكرة واتخذتها وسيلة من وسائل اثارة النخوة القومية وتحريك الشعور الوطنى اذ استبان للقادة والزعماء ان النهوض بالادب والفن يقتضى النهوض بالامة وتحريرها لتظهر شخصيتها وتعبر عن نفسها

على أن النقد لم يكتف بهذه النتيجة الثمرة ولم يقنع بها ، لأن الوقوف على علاقة أى أثر من الآثار الفنية بعصره والبيئة التى درج بها ونشأ فى ظلالها ليست طريقة كافية للحكم عليه وتقدير قيمته ، وذلك لأنه قد يكون ممثلا لأفكار عصره أحسن تمثيل وأوفاه ولكنه مع ذلك مجرد من قوة الفن وعاطل من جماله ، وكيف نفاضل ونوازن بين شعر وشعر وأدب وأدب اذا كان كلاهما تعبيراً أميناً وصورة صادقة للبيئة والأحوال الاجتماعية ؟ وقد ينبغ مؤلفان فى وقت واحد ويعبران عن روح العصر المستترة وخيلائه المطوية وما راود أهله من الآمال وما ساورهم من المخاوف ولكن تتفاوت مع ذلك أقدارهما وتختلف قيمتهما فما هو مقياس قوتهما ومعيار أقدارهما ؟

أخذ النقاد يجاهدون هذه المشكلات ويحاولون الاهتداء إلى جلاء غياهبها والكشف عن أسرارها فغشيتهم الحيرة وأدركهم الاضطراب ، وفى ذلك الوقت أشرق على العالم ضوء مذهب فلسفى جديد كما تشرق أنوار الفجر على أمواج البحر اللجى ، وهذا المذهب هو مذهب الفيلسوف الألمانى هجل ، وهو فى طليعة فلاسفة العالم النظريين ، وقد غزا القرن التاسع عشر بطائفة كبيرة من الافكار شغلته زمناً ليس بالقصير ولا تزال إلى اليوم مرجعاً للبحث وموضوعاً للجدل والنقاش ، وقد رأى هجل بثاقب فكره ان محاكاة الطبيعة عمل آلى لا فائدة منه ولا غناء فيه ، والا فلماذا لا يكون التصوير الشمسى فناً أيضاً ؟ وما فائدة إعادة تصوير الطبيعة بقضها وقضيضها وعمل نماذج منها ؟ وفضلا عن ذلك فان التطلع الى محاكاة الطبيعة محاولة مقضى عليها بالفشل لأن مشاهد الطبيعة وصورها وحوادث الحياة البشرية ماثلة أمامنا فى كل وقت وبكل مكان ، على حين ان الفن محدود فى وسائله ومحاولاته ، وأين نجد فى الطبيعة مثالا للبانثيون أو لنغمة من نغمات بيتهوفن ؟

ليس غرض الفن المحاكاة وانما غرضه أن يدني من حواسنا ومشاعرنا كل ما هو كائن في عقل الانسان ، ومهمته هي ايقاظ المشاعر الغافية والميول الراقدة وارغام الانسان سواء كان مثقفاً أم خلواً من الثقافة على أن يشعر بكل ما يثير القلب ويضطرب في النفس ، ولا يوجد العمل الفني الا مصحوباً بالفكرة ، ولابد أن تظهر فيه قوة الفنان المبدعة المعبرة عن الفكرة ، ولا يقوم الفن على الفكرة وحدها أو على التصور المجرد الخالص ، لأن التصور المجرد أساس العلم والتفكير الفلسفي ، وفي الفن تمتزج الفكرة بالصورة امتزاجا تاما ويتصل التصور المجرد بالتمثيل الخارجي اتصالا محكما وثيقاً ، ومقدرة الفنان تمد الفكرة بالصورة الواضحة وتهبها الحياة والحركة حتى تتمثل لنا الفكرة في شكل خيال أو صورة احساس أو في شكل خلق حي نابض أو شخصية متحركة واضحة جلية ، ويتخذ الفنان الأشياء الطبيعية مادة ذهنية لتوضيح فكرته والتعبير عما يدور في خاطره ، وليست مزية العمل الفني متوقفة على قيمة الفكرة المجردة في عقل الفنان وانما على مقدار ما ينفحها به من عالم الواقع ودنيا الحقائق الملموسة ، فاياجو في رواية عطيل التي وضعها شكسبير مثال من أمثلة الرذيلة وانتكاس الأخلاق ولكن نصيبه من الفن والحياة أوفر من نصيب أي شخص من الاشخاص العاديين الذين تراهم العين وتلمسهم اليد ، وذلك لأن شكسبير أفاض عليه حياة جعلته حاضر المثال حي الصورة ، وسلط عليه ضوءاً جعلنا نلمح خفايا نفسه وبواعث سلوكه ، وفصل الفكرة عن الصورة مفسدة للاعمال الفنية لأن جمال الفن قائم على امتزاج الفكرة بالصورة

ويستخلص من ذلك أن وظيفة الفن هي نقل الفكرة المجردة الى حقيقة حية ملموسة ويترتب على ذلك أن البحث عن قوانين الفن وقواعده لا يكون الا في دائرة القوانين الفكرية وكيفية التعبير عن الافكار ، ونلمح من ذلك أن هيجل حول مجرى الافكار الى ناحية جديدة ، وكان من أثر ذلك ظهور المذهب الفردي الذي يبحث عن الشاعر في الشاعر نفسه ولا يرتضي أن يبذل جهداً كبيراً في توصيف بيئته والالمام باحوال عصره وانما يكتفي بأن يمر بها لماما ويعرضها عرضاً سريعاً ، قال دي سانكتيز De Sanctis وهو ناقد ايطالي من ممثلي هذا المذهب : « ان الشاعر وقد تملكته الأخيلة واستأثرت به بنات الأفكار لا ينظم كل ما يتراءى له أو ما يشعر به ويفكر فيه ، وانما يكتفي بأن يأتي بالخصائص المطلوبة لجعل تصوراته وافكاره حقائق ملموسة يحسها قراؤه ، وإذا رزق الناقد روحاً فنياً فانه يستثار بما يقرؤه وبما تبصره عينه فينفذ إلى باطن عقل الفنان ويتغلغل الى صميم وجدانه حيث يدرك بالالهام واللقانة الفكرة المتغلبة على الشاعر المتصرفة به ، والناقد الصادق يسير مع المؤلف جنباً الى جنب ويراقب نشوء أفكاره ومولدها ونموها وترعرعها وفي خلال اقتفائه آثارها ومتابعته لأدوارها يعيد في نفسه ـ في بصيرة ووعي ـ خلق كل ما تناوله الشاعر ولمحه وعبر عنه من غير قصد ولا تعمد وانما أدركه بالوحي والالهام والشعور الباطني ، والناقد يجعل الشاعر أصح فهماً لنفسه وأحسن تقديراً لقوته ، وإذا كان للناقد اصالة رأي وحرص

على استيفاء البحث فانه لا يكتفى بتقدير قيمة الفنان وأعماله منفصلة وقائمة بذاتها بل يقدرها بنسبة علاقتها بعصره وبسير التاريخ بوجه عام »

وهناك مذهب آخر من مذاهب النقد يرى أن الفن ليس مما تجود به قرائح الأفراد وانما مصدره الجماعة وروح الشعب فهو ثمرة احساسها ونتيجة تفكيرها ، وروح الجماعة التى لم تتجسم فى شخصية فذة هى التى أوجدت الاغانى الشعبية وخلقت الاساطير والخرافات والاقصوصات وابتكرت الأمثال وشوارد الحكم ، وأكثر ضروب الآداب من منشآت خيال هذا الكائن المجتمع المسمى « بالناس » . وهذا الفنان المبدع هو الذى يخلق المواد الشعرية التى تسيطر عليها عبقرية شخصية وتستوعبها وتطبعها بطابعها ، وتنشأ أعظم مبتكرات الفن وأبقى آياته من امتزاج عمل الجماعة بعمل الفرد ، ولولا ذلك لما استطاع هومر ان يملى الياذته وأوديسته لانهما من نبت اللغة وثمرة الميثولوجيا اللتين ولدتهما الروح الاغريقية ، فهومر هو اليونان القديمة متمثلة فى شخصية شاعرة بنفسها مدركة لوجودها ، وعمل الشاعر لا يفهم على حقيقته إذا نظرنا اليه منفصلا عن عمل الجماعة ، ولماذا تقصر التاريخ على حياة الأفراد والعبقريين وتتجاهل الجماعات وهى التى تنهض بأكبر الأعمال ؟

وفى هذا المذهب مقدار كبير من الصحة وشىء من الغلو ، وهو المرحلة الأخيرة نحو المذهب الحديث الذى لا يبخس الفرد حقه ولا ينكر على الجماعة نصيبها ، بل ينظر الى الفنان من ناحيتين : من ناحية نفسه ونوازعها الخاصة وبواعثها الدخيلة ، وتركيب عقله وطريقة تفكيره ، ومن ناحية عصره ومستوى حضارته ، فشعر المتنبى مثلا هو ثمرة الحالة الادبية والسياسية لعصره ، وهو فى الوقت نفسه ثمرة عقل خاص ونفس فذة ، وصدى لنغمات بعضها مألوف فى عصره ومسموع فى بيئته ، وبعضها غريب مستبهم النشأة والاصل يترامى الينا من نواح تقف على حدودها بحوث التاريخ وطرائق العلم دون أن تستطيع السير فى مجاهلها واستكشاف أصقاعها ، والطريقة الاجتماعية فى النقد مدارها البحث والتحليل ورد العناصر الى أصولها ، أما الطريقة الفردية فلا تنال بالكد والاجتهاد وحدهما وانما تستشف بنوع من الوحى وضرب من المشاهدة الروحية لأن عبقرية الفنان — بعد أن يقول عنها العلم والتاريخ كل ما فى وسعهما قوله — ستبقى غريبة من الغرائب وسراً من خفى الاسرار لا تدركه إلا عبقرية أخرى غريبة غامضة السر وهى عبقرية الناقد الملهم

على أدهم

سجل الأيام

بقلم الاستاذ سامى الجريديني

نظرة عامة الى حال العالم الآن

من قال لك إن النزاع القائم بين الدول الآن ـ محور روما وبرلين واليابان من ناحية ، ومحور لندن وباريز ومن اليهما من ناحية أخرى ـ خصام بين الحكم الشعبى والحكم المطلق ، فلا تصدقه فانه تغره هذه الألفاظ التى يقذفوننا بها فى جرائد العالم ويسمونها ديموقراطية ودكتاتورية ـ فليس هناك شيء من هذا . إنما الشعوب كانت ـ ولا تزال ـ سيئة الحظ فى الذين يتولون أمورها ، فهم يظهرون لها القشور ويخفون اللباب ، ويسكون لها الكلمات الحلوة ثم يخرجونها من حلوقهم قوالب تهد فى أموالهم وفى نفوسهم

فانك ان أنت نزعت كلمات « الحرية » و « الحق » و « المساواة » وجمل « حق الشعوب فى تقرير مصيرها » و « رأى الله من رأى الشعب » و « الناس ولدتهم أمهاتهم أحراراً » ـ ان نزعتها من قاموس السياسة والاجتماع لم يبق هناك سراب يؤملون الظمآن به ، ولم يبق قياد يسلس للقادة المتزعمين . حقيقة النزاع الذى يظهر تارة ثم يختفى وهو اليوم على أشده ليس فى حقيقته إلا حرباً بين أمم ليس عندها كفافها وبين أخرى عندها ما يزيد على حاجاتها

هو هذا النزاع الذى ولد مع ولادة الناس ، وتنظم و « تمدين » بارتقاء الحكومات وتعدد أشكالها ـ نزاع على العيش من بسيطه الى مركبه ، وعلى السلطة تديرها يد ناعمة أو أخرى جافة

ولقد مرت على حاملى راية هذه الحضارة الراهنة فرصة لو عرفوا أن يقتنصوها لأراحوا الناس ولاستراحوا حقبة من الدهر هذا مقدارها . ذلك عندما وضعت الحرب أوزارها فى سنة ١٩١٨ ، فلو حكم الذين وقعوا المعاهدات عقولهم وضربوا بعواطفهم حائط الماضى المتعصب ، لاستطاعوا أن يقيموا فى هذا العالم نظاماً يشبع الجائع ويروى كل عطشان

لو فعلوا ـ وليس الأمر بالصعب فقد نبهوا اليه وأشار به كتاب عظماء مخلصون ـ لوضعوا للتسلح حداً ولأرضوا كل صاحب حاجة ، فى أرض الله متسع لكل مخلوقاته ، ولأقاموا نظاماً فوقياً « على غرار سوبرمان » يخضع له العالم شرقيه وغربيه . ولكنهم أخذتهم العزة بالاثم فولوا وجوههم شطر الماضى وشطر تعصب القوميات ، وجعلوا الأنانية قاعدة العالم السياسى والعالم

الاقتصادى ، وأبوا على الصلح إلا أن يكون صلح غالب منهوك القوى ومغلوب يتحفز للثأر ، ولم يخلصوا - وهم عصبة - بعضهم لبعض فحق عليهم القول ، وجاءوا الآن يذوقون مرارة ما قدمت أيديهم

يقول لى متحذلق - وقد جاءنى بعض كتب المتحذلقين - : ترى ألم يكن بين ساسة العالم الذين وضعوا المعاهدات والذين تولوا الأمور منذ ذلك الحين حتى الآن من تغرب عنه هذه الأوليات فيعمى عما يضره ؟

والجواب على ذلك « لا » - فلست من هؤلاء الذين ينظرون الى أولياء الأمر نظرة اعجاب لأنهم يتولون الأمر بل أنظر الى أعمالهم ونتائج هذه الاعمال فان أخطأوا لا تقوم لهم شفاعة

فلفاؤنا البريطانيون عجلوا باغراق أسطول المانيا ووضعوا يدهم على ما راقهم من مستعمراتها ، ثم انقلبوا يستعدونها على الافرنسيين ويهيئون لها أسباب التسلح بما أقرضوها من مال وبما تغافلوا عنه من تجهز سرى وعلنى . وأصدقاؤنا الفرنسيون طربوا باسترجاع الالزاس واللورين ، وأكلوا أموال الاميركيين والانجليز ، وأبوا إلا نظرة انتقام وحقد وخوف الى أعدائهم ، ولم يقتنعوا بالسلطان المدود لهم بل استعمروا وندبوا أنفسهم الى التبسط فى السيادة ، وكأنهم ينسون أو يودون لو نسى الزمن وأهله أنهم قوم غير متسلين ، وأن فرنسا بغناها فى أرضها تتسع لثمانين مليونا وهى لا يعمرها إلا أربعون فما بالك بهذه المستعمرات المبعثرة فى أنحاء المسكونة ؟ !

نعم . نقولها ولا نخشى التكرار ، إن هذا المحور المرتبطة به مصايرنا فى السراء والضراء ، والمعلقة عليه آمالنا الأدبية وأموالنا وما ربينا عليه وورثناه من حضارة ، إن هذا المحور أخل بما تفرضه عليه الزعامة الانسانية من واجب ولم يرع حرمة السلام البشرى ، ولم يعهد لنظام انسانى يخفف من أعباء هؤلاء الناس الذين يملأون الارض فى خدمة نفر قليل متسلط - ان هذا المحور تحجر قلبه من أنانية مبادىء الرأسمالية ، فعاد عقب الهدنة سيرته الاولى ، وظن أن العالم هو هو وان ما كان سيكون ، ذلك بأنه لم يخلص لعهد جمعية الامم ولم يحاول توسيع مبادئها وتعميم سيادتها ، وذلك لأنه حكم عاطفته وليدة الأحقاد والوطنية والمنافع التجارية المادية ، وأبعد عقله فلم يجمع أوربا كلها ويوفق بين مطالب الدول واستعدادها

***

على أننا لسنا فى مقام الوعاظ ، بل فى مقام المصاب يئن مما ابتلى به ، فأين موطن الخطر الآن منا ؟

انه هنا فى الرقعة الاسبانية وهناك فى البحر المادىء ، ونقول منا لاننا سنقاد الى الحرب ان وقعت أردنا أو رفضنا ، وانه مهما يكن الغالب فليس لنا مقام فى الرأس منه أو فى سواه ، لذلك نتجه باللوم الى الشركاء الذين دخلنا فى حضارتهم فما نالنا إلا نصيب الحمل مع السبع

فاذا قالوا لنا ماذا تعون علينا ومن أى شيء تشكون ؟ قلنا ــ والكلام للشريك الأعظم البريطانى ــ إننا ننقم عليكم قصر نظركم ، وفى مأثور الاقوال « إن آلة الحكم بعد النظر »

ولسنا الآن فى مقام تكرار ما آخذناكم والديموقراطية به من التلاعب بجهد عصبة الامم وقصرها على اموركم ، بل فى مقام لومكم على ما يمسنا مباشرة رضينا ورضيتم أم كرهنا وكرهتم

فقد نزعتم سلاحكم قبل ان تقودوا العالم الى فعل ما فعلتموه بارضاء الجائع الملح ارضاء كان رخيصاً قريب المنال وهو الآن غالى المهر مضيع للكرامة . ولم تنزعوه مخلصين بل قصدتم الى تدعيم مقامكم الاقتصادى على حساب العالم أجمع ، فأصابنا نحن ما نصاب به كل يوم من شبع ساعة وجوع شهر . فكأنكم أضعتم مكانتكم لدى الدهر وفقدتم مؤهلات زعامة العالم

هذه مشكلة العمال المتعطلين فى بلادكم ، فهل يجوز لسلطان لا تغرب الشمس عنه ان يعجز عن تشغيل مليونين او ثلاثة ملايين فى بقعة من المسكونة تكاد تبلغ ثلثها وتضم ربع سكان العالم . فاستراليا تشكو سعة مساحتها وقلة الأيدى العاملة فيها ، ومثلها كندا ، ودع عنك البلاد الاخرى غير الانجليزية ، فلماذا لا تتمكن حكومة من حكوماتكم ان ترحل انجليزاً عاطلين فى بقعة من الامبراطورية الى بقعة اخرى يعملون فيها ويتناسلون

عبثاً يدافع المدافع منكم بقوله : إننا نقدس الحرية ولا نكره أحدنا على ما لا يريد ، فهذا كلام فارغ ، بل هذا كلام رياء ونفاق . فالحرية التى تدفع بالناس الى الفقر والى اليأس من العمل ليست بحرية بل هى عجز فى الاستنباط وعجز فى تسيير دفة الامور

وقل مثل هذا فى الخدمة العسكرية الاجبارية ، فهى مألوفة فى كل العالم وأنتم تلجأون اليها فى أشد المآزق حرجاً ولكنكم تأبون الأخذ بنظامها فى برلمانكم تمسكا بتقاليد بالية وخوفا من السوقة والدهماء أومنعاً للسوقة أن تدفع بهم الخدمة العسكرية الى روح مساو تأباه عليهم الطبقة الحاكمة عندكم

وبعد هذا العتاب ــ وهو صابون القلوب ــ نرجع الى ما قلنا إنه منبع الخطر على السلام فى العالم

فانه ان لم تعد انجلترا الى سابق سطوتها فتملك ناصية هـذا الجزء من البحر المتوسط ، وان لم يشعر موسولينى ان فى هذا البحر قوة حطمت فيما مضى كل قوة أخرى وقفت فى سبيلها ، وان لم تقع الواقعة ويتم النصر للقوات البريطانيـة تنجدها القوات الافرنسية ، فقل على ما عرفناه من الحضارة حتى الآن السلام . فان الذين ينظرون الى هذا النزاع القائم الآن فى العالم ويعدونه حلقة غير مفرغة من حلقات النزاع الدائم فى أوربا ينتهى تارة بتغلب فرنسا ومرة بفوز انجلترا وكرة بانتصار جرمانيا ، انما ينظرون بعين الماضى القريب ويقربون أفقهم فيبعد الماضى التاريخى ، ويختفى المستقبل وهو يكاد لا يستره شيء عن أعين الناظرين

فبالأمس كنا ــ والامس فى أيام التاريخ لا يقاس بسنين ــ وأسبانيا والبرتغال تقتسمان العالم الاميركى، وكلما وقع فى المحيط الهادى قسمة لم ير رجال السياسة فى ذلك الزمن الا بسطها لدى رئيس

الكنيسة فى روما . فأخذ خريطة الارض وشطرها شطرين ، أعطى لاسبانيا ما وقع غربا منه ، والبورتغال ما وقع شرقا ، وقال انعموا بطيبات كل من أميركا وآسيا وجزر الهادىء وكفى الله المؤمنين القتال . حتى إنه لما عبر « مجلان » مضيقه الذى دعى فيما بعد باسمه ودار حول الارض ـ وهو بورتغالى ـ عاب عليه قومه الالتجاء الى عاهل اسبانيا وقبوله تجهيزها أسطوله . وها نحن أولاء نرى هاتين المملكتين وقد تضاءل سلطانهما حتى اقترب من الصفر فى الارقام ، وعشنا ورأينا هؤلاء الصفر الذين لم يكن يعدهم بنو اسبانيا والبورتغال فى عداد الآدميين قد ملأوا البر الاسيوى جيوشاً والبحر الهادى يكادون يملأونه سفيناً . فهل نطمئن الى أن كل شيء مستقر فى الحياة وكما نريده أن يكون ، أو نتوقع احتمالات تتمخض عنها الايام وسوف يضعها التاريخ

فاليابان تقتنص الفرصة السانحة ولن ترجع عما وضعت يدها عليه الا بقوة تصمد لها

وأين هذه القوة ؟ ان انجلترا ـ وامبراطوريتها ـ مترامية الأطراف تمتد فى البحر والبر ولا بد من حمايتها ، فاذا توفرت للانجليز الحماية فى الشرق الأقصى ، فهل تتوفر لهم قوة تضارعها لحماية البحر المتوسط ثم لحماية انجلترا نفسها . هذا سر مغلق مفتاحه فى يد القدر

وأميركا التى تتردد فتقدم مرة وتحجم أخرى هل تهب للنجدة ؟ فاذا نجدت وتم النصر على يديها أو بمعونتها فهل تسكت عن اقتضاء ثمن النصر فتتحول السيادة اليها وتكون انجلترا فى الحالين ـ حال الانكسار وحال النصر ـ من الخاسرين

انه يلوح لنا أن المسيطر على الميزان هو هتلر دون سواه ، فاذا قنع بما هى عليه المانيا الآن من قوة واتساع ولم تخوله نفسه الاقتداء بنابوليون بمد سلطانه ذات اليمين وذات الشمال ، وأشار لزميله موسولينى انه لن يبسط له يد الانقاذ اكتفاء بوعد يناله من انجلترا أن تعوضه عن سكوته مستعمرات ـ اذا فعل ذلك أمنت انجلترا شر الدفاع فى جميع أنحاء العالم ، وعلمت كيف تتغلب على الخصوم . وأما أن تشهر سيفها فى وجه العالم المتألب عليها كله فشيء يفوق طاقة البشر

وانجلترا إما أن تكون دولة من الطراز الأول كما هى الآن أو لا تكون شيئاً

***

واذا كان القارىء قد مل السياسة فلنذهب به الى حقل آخر من حقول القراءة

فقد جاءني كتاب من صديق اسرائيلى عرفته فى أوائل عهد الشباب أيام كان حسن الظن ينصرف إلى الاسرائيليين انصرافه إلى غيرهم ، وقد أقام فى فلسطين منذ ربع قرن ونيف بعد ان كان هنا مصريا وحسنت مصريته ، كتب الى يحبذ ما كتبته فى بعض هذه الفصول ، ولكنه يشط فى تفسير ما يقول . فهو على مذهب القائلين بان الله واحد وأن الحكم فى الأرض يجب أن يكون لواحد وان هذا الواحد يجب أن يكون ملكا ، وأن ما زاد على هذا من أنواع الحكم فى الارض رجس من عمل الشيطان يجب اجتنابه

وحتى هنا لا غبار على ما يقول فانه رأى من الآراء فى سياسة الشعوب يقول به كثيرون ويشمئز منه كثيرون ، ونحن فى عصر تترك فيه الحرية للآراء مهما تطرفت

أستغفر الله بل كنا فى مثل هذا العصر وها نحن الآن لا نضمن حرية فى رأى فى كثير من مضطرب هذه الارض ، ولكن صديق القديم هذا ينسب رأيه إلى الله ويقول : « هكذا قضى الله فى كتبه المنزلة فاذا ذهبنا غير هذا المذهب خالفناه سبحانه وتعالى وحقّ علينا العقاب »

وقد كنت أعهد فى هذا الاسرائيلى المحترم أنه متعمق فى الدروس الدينية أيام كان ينقل التلمود إلى اللغة العربية ويطلعنى على الترجمة ، فاذا به غير متمكن من تعاليم التوراة

فاذا سلمنا بأنه علم رأى الله سبحانه فى الملكية والملوك من الكتب المنزلة ، وإذا علمنا انه يهودى لا غش فيه كان حقا عليه أن يأخذ بما جاء فى التوراة

والتوراة كلام الله فى مذهب أبناء عمومتنا اليهود على الاقل

وها نحن أولاء نحجه من كتابه

فقد جاء فى سفر صموئيل الاول فى الاصحاح الثامن منه ان اجتمع شيوخ اسرائيل وجاءوا صموئيل النبى وقالوا إننا نريد ملكا علينا يقضى لنا كسائر الشعوب فلقد مللنا النظام الابوى على أيدى القضاة . فساء الامر فى عينى صموئيل وصلى الى ربه فقال له اسمع لصوت الشعب فانهم لم يرفضوك أنت بل اياى رفضوا ، إذ فضلوا قضاء الملك على قضائى فالآن اسمع لصوتهم ولكن أشهدنى عليهم وأخبرهم بقضاء الملك الذى يملك عليهم ، فجمع صموئيل جموعهم وقال لهم اسمعوا كلام الرب : « هكذا يكون قضاء الملك الذي يملك عليكم ، يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه ، لمواكبه وفرسانه ، ويركضون أمام مواكبه ، ويجعل لنفسه رؤساء ألوف ورؤساء خماسين فيحرثون حراثته ويحصدون حصاده ، ويعملون عدة حربه وأدوات مراكبه ، ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات ، ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم أجودها ويعطيها لعبيده ، ويعشر زروعكم وكرومكم ، ويعطى لخصيانه وعبيده ، ويأخذ عبيدكم وجواريكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم ويعشر غنمكم وأنتم تكونون له عبيداً ، فتصرخون فى ذلك اليوم من وجه ملككم الذى اخترتموه لانفسكم فلا يستجيب لكم الرب فى ذلك اليوم »

انتهى بالنص الحرفى

فأنت ترى أيها الدكتور الصديق أن مذهب الله على لسان كتابكم وأنبيائكم ليس مذهبك ولكن البشر ضلوا وزاغوا ولم يسمعوا كلام الله

فان كان لك رأى فى السياسة ، فانسبه إلى الناس والى ما يصلح لهم أو مالا يصلح ، ودع الله جانبا

سامى الجريديني

تجار الموت

الذين يسوقون الشعوب الى الحروب

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

١ ـ صانعو الأسلحة ـ ٢ ـ قواد الجيوش
٣ ـ الدكتاتورون وأصحاب النفوذ الدولى

ألا تباً لأهل الفتنة دعاة الشر !

تضرب حكومتنا الآن ضرائب ثقيلة لكى تجمع ملايين الجنيهات ، لماذا ؟

لكي تسلح البلاد استعداداً للدفاع عنها اذا شبت حرب واندلع لهيبها فى جميع أنحاء المعمور . ونحن فى منطقة تعتبر مركز هذا المعمور ، إذن لا محيص لنا من الدفاع عن كياننا

ولماذا تشب الحرب فى حين أن أى من سألته من الناس فى جميع أنحاء المعمور : هل تريد حرباً ؟ يجيبك ، مستعيذاً بالله ، ان لا مأرب له فى حرب

فلماذا نخشى أن تشب الحرب اذن ؟

ـ لان هناك أناساً من أهل الفتنة والشر يزجون بالامم فى اتون الحرب رغم أنوفها

موضوع هذا المقال هو ، من هم هؤلاء الفاتنون المفسدون المغرمون باثارة الحروب ؟

لو تيسر لك ان تطلع على جميع المفاوضات الودية التى تسبق الحرب وعلى جميع مناقشات ساسة الدول التى تتخلل تلك المفاوضات ، ربما أمكنك أن تعرف من هم المحرضون على الحرب . وحينئذ تجد انهم ثلاث فئات وهى :

أولا ـ صانعو الاسلحة

ثانياً ـ قواد الجيوش والضباط الكبار

ثالثاً ـ الدكتاتورون وأصحاب النفوذ الأول

وبالطبع لكل فئة من هذه الفئات مطامع شخصية تحفزها لهذا الفعل الشنيع الذى يراد به تقتيل الناس لغير ماذنب جنوه ولغير مطمع أو مأمل

صانعو الأسلحة

أما صانعو الاسلحة فلا يظهرون على المسرح وانما يلعبون أدوارهم من وراء الستار كما لعب ابليس دوره على آدم وحواء من وراء دماغ الحية ، وربما كان لهم الدور الاعظم والاهم فى إثارة الحروب

فابليس وراءنا وراءنا منذ يوم حادثة الفردوس ، فهو يتنقل من دماغ الحية الى دماغ السياسيين الى دماغ الرجل الحربى الى دماغ صانع السلاح بلا ملل

هل كنت تعلم أن معمل كروب الالمانى كان يرشو جرائد أوربا كى تنشر تقارير مزورة وأخباراً كاذبة عن علائق دول البلقان وتركيا الجديدة بعد الانقلاب العثمانى الى ان شبت حرب البلقان ! وكان ذلك المعمل الجهنمى يمون بالسلاح والذخيرة دول البلقان من ناحية ويمون تركيا من ناحية أخرى

وقد ثبت بعد انكسار تركيا ان السلاح الذى كان يبيعه لها كان من الصنف الردىء لأن دول البلقان كانت تجود له أو لسماسرته بالثمن الأوفر

وقد قرأنا فى العام الماضى ان تركيا تسلمت بارجة حربية كانت قد أوصت عليها مصنعاً المانياً ، ولما فحصتها وجدتها من صنف الدرجة الثانية ، لأن المعمل لا يصنع بوارج من الدرجة الاولى إلا لألمانيا وحدها ، لذلك تابت تركيا عن أن توصى مصنعاً المانياً لصنع السلاح من أى نوع كان

ولبيان الوسائل الشريرة التى تتوسل بها مصانع الأسلحة لاختلاق أسباب الحرب واثارتها نورد محصل التقرير الذى قررته اللجنة الملكية البريطانية التى حققت مع مصانع الاسلحة فى التهم المعزوة اليها من هذا القبيل ، وقد عين هذه اللجنة منذ عامين الديوان الملكى البريطانى من بعض كبار الدولة والساسة وأهل العلم والصحافة ، وكان من أعضائها الصحافى الكبير فيليب جبس الذى أصدر حديثاً كتاباً قيما عنوانه « محنة انكلترا » وعقد فيه فصلين خاصين عن هذه اللجنة ، وعنه لخصنا المعلومات التالية :

استدعت اللجنة المذكورة الاشخاص المتازين من رجال الحربية والبحرية وغيرهم لسماع شكاواهم واتهاماتهم لمديرى معامل الاسلحة ، كما انها استدعت هؤلاء لسماع دفاعهم . وكان الغرض الذى قصد اليه بهذا التحقيق هو الحكم فى « هل الافضل ان تجعل جميع معامل الأسلحة ملكا للامة وتتولى ادارتها الحكومة بنفسها؟ أوان يبقى صنع السلاح والذخيرة فى أيدى شركات تستغله لنفسها؟ » وقد بنت هذه اللجنة تحقيقها على تقرير لجنة مشابهة لها عينتها جمعية الامم سنة ١٩٢١ لمثل هذا الغرض

وبعد تحقيق ومرافعات عدة أسابيع أصدرت اللجنة البريطانية تقريرها وقدمته للحكومة ،

وهذه قدمته بنوبتها للبرلمان ، واليك مجمل ذلك التقرير :

١ ـ ان شركات مصانع التسليح فى أوربا جميعاً كانت تسعى جهدها فى اثارة المخاوف من الحروب ، وحمل بلادها على اتخاذ سياسة الاستعداد للحرب بغية أن تزيد سلاحها

٢ ـ ان شركات التسليح كانت تحاول رشوة رجال الحكومات الرسميين فى بلادها وفى خارج بلادها لكى يعتنقوا تلك السياسة

٣ ـ كانت تلك الشركات تنشر تقارير كاذبة عن برامج الدول الحربية البرية والبحرية بغية التحريض على زيادة التسليح ، وكانت تستأجر الجرائد سراً لهذه الدعاية الشريرة

٤ ـ كانت تتوسل بكل وسيلة شريرة للتأثير فى الرأى العام فى بلادها وفى خارج بلادها بواسطة السيطرة على الجرائد

٥ ـ نظمت دوائر تسليح دولى وظيفتها تنشيط التنافس بين الدول فى التسليح

٦ ـ نظمت اتحاداً دولياً فيا بينها ، واتفقت جميعاً على رفع أسعار السلاح للحكومات التى تضطر أن تشترى منها

٧ ـ وأدهى من كل ما تقدم ان مبدأ هذه الشركات هو ان الحروب يمكن أن تطول بتموين الدول المتعادية بالسلاح حتى انها كانت تسلح بعضها مجاناً لكى تطيل أمد الحرب

٨ ـ وقد برهن الشاكون على ان تجارة السلاح تؤدى دائماً الى قلقلة العلائق الدولية الطيبة وان السمسرة بين هذه الشركات والدول الغريبة عن بلادها تؤدى الى فضح أسرار الدولة الواحدة للدول الأخرى التى يمكن ان تكون يوماً عدوة لها

٩ ـ وأخيراً أيدت اللجنة مبدأ احتكار الدولة لصنع السلاح لكى تأمن شرور سعايات شركات الاسلحة ولكى تضمن الوسيلة الفضلى للدفاع الوطنى . زد على ذلك ان مصانع الشركات لا تستطيع أن تلبى طلبات الدولة التى تتزايد عادة فى مدة الحرب

وقد أشار أولئك الشكاة الى قضية موليز Molliner التى اتهم فيها هذا الشخص بأنه أثار فى الصحف البريطانية حملة ضد المانيا قبل الحرب الكبرى ، وبين رجال الحكومة ومعارضيهم أيضا ، لكى يحصل على « طلبات » من وزارة البحرية لشركته

وقد ذكرت عدة حوادث من الرشاوى ومن تحريض تجار الأسلحة للحكومات الأجنبية على التسلح اتقاء لعدوان خصومها

وكذلك ذكرت قصص عن الفساد السياسى فى فرنسا بسبب تدخل هذ الشركات السرى ، وأشير الى فضائح أخرى من هذا القبيل فى حكومات أوربا الوسطى

كثير من الدول ولا سيما الصغرى خالية من معامل السلاح والذخيرة ومن مصانع السفن ومصانع المفرقعات والطيارات والعربات المصفحة والدبابات الى غير ذلك من اللوازم الحربية ، فاذا

حدث خلاف بين دولتين أو أكثر سعت تلك الشركات بأساليبها الشيطانية الى تجسيم الخلاف والى تحريض الدولتين على الحرب ، حتى إذا نشبت الحرب جعلت الشركة الواحدة تمون العدوتين فى وقت واحد ، كما حدث فى الحرب الفظيعة التى اتقدت بين جمهوريتى بوليفيا وبارجواى فى أميركا الوسطى ، وكما ثبت ذلك للجنة عينتها جمعية الامم للتحقيق فى أسباب هذه الحرب

***

لذلك كان رأى اللجنة الملكية أن الوسيلة الفضلى لتقليل التسليح الى أدنى ما يمكن وازالة الشكاوى من شركات صنع السلاح هو اتفاق الدول على نزع السلاح أو تقليله الى أدنى حد

ومع أن اللجنة قررت أن نزع صناعة الأسلحة من أيدى الشركات واستيلاء الحكومات عليها غير ممكن فى الظروف الحاضرة ، وانه لم تتسن حالة داعية لاتخاذ هذا الاجراء العنيف فقد الحت على الحكومة أن تتخذ على عاتقها المسئولية عن انتاج السلاح وتوريده الى الخارج بواسطة المراقبة الدقيقة والتدخل فى شئون المصانع ، وأن تكون المراقبة برياسة وزير مسئول لدى البرلمان ، وأن يعطى قوة التنفيذ فى مدتى السلم والحرب ، وأن تكون له السيطرة على جميع المواد اللازمة لتموين المعامل بالمواد الخام وعلى صنعها وعلى مقدار كلفها وعلى اعطاء الرخص بتوريدها

ونصحت اللجنة للحكومة بأن تكون معامل الحكومة مستعدة الاستعداد الكافى لانتاج السلاح البحرى والجوى ، وانما يكون عندها اخصائيون للمباحث العلمية مسئولون عن تدريب الخبيرين وتحسين الآلات الخ ، وتقرير قواعد الانتاج ليس لمعامل الحكومة فقط ، بل لمعامل الشركات أيضا لكى تكون البلاد على استعداد عند الضرورة

ومما ورد فى أقوال المتناقشين أن فكرة الحرب والاستعداد للحرب لايجوز أن تكون وسيلة للاستغلال والتعيش ، ولذلك نصحت اللجنة بأن تحدد أرباح معامل السلاح بنظام دقيق لمراقبة النفقات ، لانه اذا أزيل سبب الطمع بالارباح المطلقة من القيود لايبقى سبب للغش ولاساءة الخدمة المرجوة من المعامل

وكذلك نصحت اللجنة بأن تحول الحكومة دون افراط المعامل فى صنع السلاح والذخيرة لكيلا تضطر أن تصرف مصنوعاتها فى الخارج وتتوسل الى هذا التصريف بطرق الاغراء والتحريض على الحرب

قال الصحفى فيليب جبس الذى لخصنا عنه ماتقدم عن أعمال اللجنة : « قدمنا تقريرنا هذا الى الحكومة ثم الى البرلمان ، واندفن فى البرلمان وحضرت جنازته »

رجال الحرب

فى الصيف الماضى انعقد مجلس وزراء اليابان للبحث فى « هل من مصلحة البلاد أن تستمر

الدولة فى محاربة الصين ، وهل ما ستجنيه من الانتصار يعادل ما ستنفقه فى سبيل الحصول عليه » ، فكان رأى معظم الوزراء أن تقبل الدولة وساطة الوسطاء بالصلح على قاعدة حفظ الكرامة والاكتفاء بما حصل من مجانى النصر لكيلا تتورط فى نفقات وأموال وتقتيل رجال لا تعادل ثمرة هذا النصر

ولكن قواد الجيش الكبار جحدوا هذا الرأى وخذلوه وأصروا على التمادى فى القتال ما دام النصر يتلو النصر ، وحدثت حينئذ أزمة وزارية فى اليابان وتهدد القواد الحكومة بالدكتاتورية العسكرية ، وعلى أثر ذلك أصبح الحكم فى اليابان دكتاتورياً عسكريا بالفعل ، واحتكرت السلطة العسكرية باسم الحكومة جميع مرافق البلاد وجميع أسباب المعايش فيها من مصانع ومزارع الخ ، وقيدت المتاجر والشركات بقيود لا تتفق مع المبادىء الدستورية

كذلك كانت المانيا لعهد الامبراطور غليوم السابق القائد الأعلى للجيش تتحين أية فرصة لاثارة حرب ، كانت هذه السلطة قبل الحرب العظمى مستفحلة حتى إنها كانت فوق القانون أو هى الغاية من حياة الأمة لا الواسطة للحرص على سعادة الامة وهنائها . فكان أصغر جندى المانى فى نظر الامبراطور المخلوع أعز من أفضل أفاضل الأمة ، فقد يرتكب الجندى جريمة فيغض النظر عنه ، ولكن الويل لمن يمس الجندى بأقل سوء

كذلك كان كبار الجيش الالمانى يترقبون بذاهب الصبر أى سبب لاثارة الحرب ، فلما حدث حادث « الغدير » المشهور فى غربى افريقيا كادت الحرب تشب لالحاح قواد الجيش فى طلبها لولا أن رجال البحرية نصحوا للدولة بالتريث حين شعروا أن الاسطول الانكليزى كان يتحفز للوثوب إذا كانت البارجة الألمانية التى وقفت تجاه ذلك الثغر الافريقى لا تعود منه فى الحال

ولما حدث مقتل الارشيدوق سيراجيفو رأى رجال الجيش الالمانى هذا الحادث فرصة لانتفاعهم فحملوا حكومتهم على استفزاز غطرسة النمسا ضد سربيا لكيلا يبقى مناص من شبوب الحرب ، وعلى الرغم من بذل فرنسا وانكلترا جهدها فى تدارك الكارثة قبل وقوعها شبت الحرب لأن رجال الجيش الألمانى كانوا يبتغونها ، ولم تقبل المانيا أى نصح أو تسوية سلمية لأن الحرب كانت معشوق جنديتها

والتاريخ مليء بالشواهد على أن رجال الحرب كانوا دائماً أقوى العوامل لاثارة الحروب

ولماذا يبتغى هؤلاء الرجال الحرب ؟

— لأن ادمغتهم مشبعة بهذه الشهوة ، فلا يحلمون إلا بميادين القتال وصفوف الرجال ، ولأن مشاهدة أشلاء الجحافل تتناثر أمام رصاص البنادق والقنابل هى منتهى اللذة عندهم ، وهى توطئة للفخر الذى ينشدونه من النصر ، والمجد الذى يتوقعونه من أكاليله . وربما طمع القائد أن يكون بعد النصر دكتاتوراً أو شبه دكتاتور ، ذلك لأن النظام العسكرى يقوى فى القواد والضباط

نعرة الانانية وحب الاثرة والسيادة ، فأناس كهؤلاء تطبعوا بطبع السؤدد والسيطرة تتلاشى فيهم روح العطف الانسانى ، ويضمحل فيهم مبدأ العدالة والمساواة فى الأمة ، ولا يبقى فى أنفسهم الا عقيدة ان الجنود عبيد الضباط والامة مغذية الجنود ، فلا بدع أن يتحينوا الفرص لاثارة الحرب

الدكتاتوريون

ومطامع الدكتاتورين لا تختلف عن مطامع رجال الحرب من حيث ابتغاء السؤدد واحراز المجد والفخر لأنفسهم ، وانما يتوسلون الى هذه بادعاء العمل لاجل رفاهة الامة والحرص على مجدها وكلاهما يقتضى زيادة ثروتها وتوسيع موارد الرزق لها . فاذا لم يتسن للدكتاتور بلوغ هذه الغاية عمد الى الفتح والاستعمار إطماعاً لأمته بالثراء وإلهاء لها عن مناوأته وعن تأييد حساده فى منازعته لسلطة الحكم

فموسولينى أمل الشعب الايطالى بضعة عشر عاماً بمجانى الاستعمار الى أن تم له فتح الحبشة ، ولولا هذا التأميل لربما سقطت دكتاتوريته . ولو فشل فى فتح الحبشة لسقطت سلطته حتما ، لذلك كان محتوما عليه أن يحارب وأن يستعد للحرب استعداداً عظيما لا لكى يستطيع الفتح فقط بل لكى يستطيع أن يناهض الدول التى قد تصده عن الفتح . فلذلك كان ديدنه أن يقنع أمته بأن تبذل من قواها بسخاء لاجل التسليح استعداداً للحرب . فعلى عاتق الحرب أو على عاتق التسليح على افتراض حدوثها تستوى دكتاتورية موسولينى

كذلك هتلر لا يمكن أن تثبت دكتاتوريته يوما واحداً لو لم يغامر فى تمزيق معاهدة فرساى واسترداد ما فقدته المانيا فى الحرب العظمى ، فهو مضطر بحكم طبيعة السؤدد أن يوطد مركزه فى دكتاتوريته باثارة الحرب أو بالتحفز لها على الاقل

فهو وموسولينى فى نظر السلميين كانا مقلقين لسلم العالم ، وسبباً مباشراً لارهاق الدول لاممها بنفقات التسليح . ولولا دكتاتوريتهما لما احتدم هذا التنافس الدولى فى التسلح حتى إنه التهم نصف مجهود الامم بحيث لم يبق من نتاج العمل ما يكفى لان يعيش الأنام العيشة الراضية . بل انحط مستوى المعيشة الى دون ما كان عليه فى أزمان الحضارة البسيطة التى لم تحظ بما حظيت به مدنية هذا الزمن من نعم العلم والاختراع

هذه هى الفئات الثلاث التي احتل ادمغتها ابليس لكى يستخدمها لاثارة الحروب ، فمن لنا بأن تطهر هذه الادمغة من ارجاس ابليس

نقولا الحداد

أميرات الأدب الأوربي الحديث

صور رائعة من جهود المرأة فى عالم القصص

منذ ازدهرت عناصر النهضة الاوربية الحديثة ابتداء من القرن التاسع عشر حتى اليوم ، لوحظت ظاهرة عقلية غريبة ، وهى ان المرأة الاوربية التى احرزت قسطا كبيراً من الحريات الاجتماعية والسياسية ، والتى اخذت بنصيب وافر من التعليم العالى، لم تنبغ فى العلوم أو فى فن الموسيقى ، قدر ما نبغت فى فنون الأدب والشعر والرسم

ويظهر أن فن القصة صادف هوى من نفس المرأة ، ووافق مزاجها وعبقريتها ، لما يتطلبه من دقة فى الملاحظة ، وقدرة على التخيل ، واندماج فى شتى حوادث الحياة ، وخبرة بخواجع القلب

وليس شك فى ان المرأة على العموم اشد احساسا من الرجل ، واقدر على ملاحظة التفاصيل والجزئيات ، واقرب الى الشعور بانفعالات النفس وتطورات العاطفة البشرية

وقد تجلى نبوغ المرأة فى فن القصة حتى كاد يطغى على جهود الرجال فى عالم القصص الاوربى الحديث ، ومما يدل على ذلك أن جائزة نوبل الادبية قد منحت لأربع سيدات من أشهر قصصيات هذا العصر ، وان النهضة الروائية الحديثة تشترك فيها المرأة بأعمال أدبية فذة

وسنحاول فى هذا المقال عرض صور سريعة لطائفة من اميرات الأدب الأوربى الحديث ، تفوقن فى فن الرواية وفى فن الشعر ، واضفن الى تراث الحضارة ودائع ثمينة

مدام كوليت

هى أشهر القصصيات الفرنسيات ، يمتاز فنها بالقدرة الخارقة على تصوير كل مايتعلق بالحواس وكل ما يمكن أن يتصل بالحواس . فالاشخاص أو الاشياء التى يقع عليها البصر ، أو تسمعها الاذن أو تلمسها الايدى ، أو يتنسم عبيرها الانف الرهف ، تجد فى مدام كوليت أمهر فنان يعبر عنها ويؤديها فى أسلوب مبتدع طريف

ووجه الروعة فى فن هذه الاديبة انه فن امرأة . فالمرأة بطبيعتها تحس من طريق الحواس ، أى من طريق البصر والسمع والذوق والشم واللمس ، أكثر مما تحس من طريق الفكر والخيال ولذا كان فن مدام كوليت وثيق الصلة بروح جنسها وجوهر انوثتها ، مستقل الوحى والالهام عن فن الرجل وأسلوبه فى النظر الى الحياة والاحساس بها . فعاطفة الحب مثلا ، لا تبدو فى قصص مدام كوليت عاطفة خيالية مجردة ، بل عاطفة تنبع من الفطرة ، وتتغذى من البدن ، وتعيش وتنمو بواسطة الحواس ومن مؤثرات الحواس . عاطفة لا تشعر بها المرأة الا متى أطربها النظر

الى رجل جميل ، أو استخفها سماع صوته العذب ، أو راقها ملمسه القوى ، أو أخذتها نشوة العبير الفائح من رجولته ، أو استطابت رحيق قبلاته . فمتى افتتنت حواس المرأة ، أحبت ، ومتى أحبت فهى تحب بحواسها ، أى بفطرتها الحيوانية البريئة الساذجة . والمرأة غادرة كالهرة ، سريعة التقلب كالهرة ، كثيرة النزوات كالهرة ، ولكنها لن تعود اليك الا متى أخذتها فى شرك الحواس كالهرة ايضاً . ولقد أفردت مدام كوليت الفصول الطوال للتحدث عن الهررة وعظيم الشبه بين أخلاقها وأخلاق النساء ، لتدلل على فطرة المرأة واتصالها الوثيق بعالم البدن والحواس

وأما أبدع قصص الروائية الفرنسية ، فقصة (حبيبى) وفيها ترسم الأديبة الكبيرة ، عشق امرأة كهلة لفتى فى العشرين . والواقع أن سن الكهولة هى السن التى تهتاج فيها حواس المرأة ، هى السن التى تطمح فيها المرأة لمشاهدة أجمل المناظر ، وسماع اعذب الاصوات ، وتذوق أشهى الأطعمة ، واستنشاق أطيب الاعطار ، أو بمعنى آخر التمتع بالبقية الباقية من شبابها ، وهذا ما رسمته مدام كوليت فى شخصية تلك المرأة الكهلة بطلة قصتها ، وفى حبها ذلك الفتى اليافع الذى يمثل فى نظرها نضرة الحواس وعنفها وما تمتاز به من حرارة وقوة فى سن الشباب

غير أن لذة الحواس عابرة خادعة ، والحب القائم عليها سريع الزوال ، لأنها لا تنفك تتغير وتتجدد بتجدد الاشخاص والاشكال الواقعة عليها الحواس ، ولهذا تنكب البطلة الكهلة فى حبها ، ويخدعها الفتى اليافع ويسرع الى لذة حسية أخرى ، ثم يعود اليها مدفوعاً بما خلفه عشقها فى جسمه ونفسه من أثر مخامر كالداء الوبيل ، فاذا به يراها قد تغيرت وانصرفت عنه وتبعت بدورها حياة أخرى ولذة حسية أخرى

وإذن فارادة الحياة بواسطة الحواس ، ثم غدر الحواس بالمرأة والرجل على السواء ، هذا هو الوحى النسوى الذى تستمد منه مدام كوليت مادة فنها وطابع قصصها الخالد

مدام هنرييت شاراسون

أنبغ شاعرات فرنسا ، وأصفاهن أسلوبا ، وأصدقهن عاطفة ، وأنبلهن فكراً واحساساً ووحياً ، يدور شعرها حول تمجيد الأمومة ، وقدسية الزواج ، وسعادة الحياة البيتية

فصرخات الانثى فاجأها ألم المخاض وتأهبت لمنح العالم حياة جديدة من خالص دمها وأعصابها ، وصرخات الام الملتاثة عند فراش ابنها المريض ، وصيحات الام الفرحة المفتونة بافلاذ كبدها ، وابتهاجات الزوجة الهادئة الحالمة المستقرة فى عقر دارها ، وتهليلات الزوجة الوفية لمقدم قرينها الوفى ، وأفراحها الباطنية وآلامها الخفية ، وجهادها اليومى ، وتضحياتها الدائمة الصامتة فى سبيل الزوج والبيت والابناء ، كل هذه الفضائل النسوية الرائعة ، تتغنى بها مدام هنرييت شاراسون فى شعر جارف كالسيل ، مجلجل الاسلوب كالرعد ، يسكن بغتة عند ذكر الهناء البيتى ، فيترقرق كماء الجدول ، ويصفو كسماء الربيع

وأبدع أعمال هذه الشاعرة ديوان « الامومة اللائكية » ومجموعة « أفراحى الباقية » وقصيدة « الرقص فى فسحة البيت » . وفى هذه القصائد جميعاً ، يحس القارىء أمن المرأة فى محيط الزواج الموفق ، وعظمة جهادها ، ونبل تضحياتها ، وما يمكن ان تقوم به من جلائل الاعمال متى اخلص الرجل لها ، وائتمنها على بيته وعرضه ومستقبل أبنائه . فشعر الاسرة اذن هو الطابع الذى يميز فن مدام هنريت شاراسون ، ولقد تفوقت فى أدائه والتعبير عنه لانها استخلصته من صميم حياتها ومن وظيفة الحرص على النوع التى أعدتها الطبيعة وأعدت كل انثى للقيام بها

ولفرط ما أجادت هـذه الشاعرة فى تصوير فضائل الامومة والزواج ، شاعت قصائدها على الالسن وتغلغلت فى جميع الاوساط

فرجنيا ولف

هى انسان نادر غريب ، دقيق الحس ، متقد الخيال ، مرهف الاعصاب ، له مزاج امرأة وعقل رجل . والواقع أن فرجنيا ولف التى تعد اليوم أقدر الروائيات الانجليزيات ، تمتاز عن أديبات عصرها ، بذهن واسع الاطلاع ، موفور قوى الثقافة ، احتشدت فيه أحدث النظريات المتعلقة بالفلسفة وعلم النفس وعلوم الاجتماع . فهى قد تأثرت بفلسفة برجسون وآرائه المشهورة فى تغليب البصيرة على العقل وفى الاعتماد على الالهام الباطنى لادراك حقائق الحياة ، وتأثرت بفن الروائى الفرنسى مارسل بروست القائم على تحليل جزئيات العواطف وردها الى حوادث الماضى التى اشتركت فى تكوينها

فالقصة التى تضعها فرجنيا ولف ، لا تعنى بالوقائع العنيفة ، أو المفاجآت الخارقة ، أو تحليل العواطف الشائعة التى تطفو على سطح النفس البشرية . بل هى قصة ترمى إلى كشف النقاب عن مجموع المؤثرات العقلية والنفسية والحسية التى شعر بها الانسان فى ماضى حياته ، والتى اختزنها فى عقله الباطن ، والتى تستيقظ فجأة من سباتها ، وتبرز من مكامنها تحت تأثير حادث طارىء ، فتبدل حاضر الانسان وتستبد بأعماله ، وتتحكم فى اتجاهات فكره وقلبه ، وتسيطر على مستقبله . فأثر الماضى فى الحاضر والمستقبل ، أثر عواطفنا القديمة فى عواطفنا الجديدة ، أثر عقلنا الحافل بالذكريات فى توجيه جهودنا اليومية الراهنة ، هذه هى العناصر التى يتفرد بها فن فرجنيا ولف

لهذا تجتهد الروائية الانجليزية النابغة فى تفكيك عواطف أبطالها وردها إلى مصادرها الأولى ، وفى تحليل جزئيات الماضى وتفاصيله كى تصل إلى تفسير الافكار والعواطف المستولية على أبطالها فى الحاضر . فكأنها لا تعترف بوحدة الشخصية الانسانية ، وكأنها تبرهن بدقة تحاليلها على أن الانسان محكوم بماضيه ، وعلى ان شخصيته لا تنفك تتحول وتتبدل وتتطور ، تبعاً للحوادث والظروف التى تطرأ عليـه ، وتخلف فى ذاكرته مجموعة من الصور والانفعالات ، ترقد فى عقله

الباطن ، ولا تستفيق إلا متى اصطدمت بحادث جديد فيه بعض الشبه منها

وعندئذ يستجيب الماضى للحاضر ، ويشعر الانسان على دهش منه انه يقوم بأعمال ويحس بعواطف غريبة عنه ، فى حين انها تنبع من قرارة نفسه ومن جوف ماضيه

فهذا النور الساطع الذى تصبه فرجنيا ولف على حقيقة النفس البشرية ، والذى يأخذ بريقه الابصار فى قصتيها الرائعتين (مس دالواى) و (الامواج) ، يرتفع بفنها الروائى الى مستوى فن دستويفسكى ومارسل بروست وجورج ميريدث ، ويجعل من قصصها شبه دراسات علمية مستفيضة فى جوهر النفس وطبيعة الاهواء وسر شخصية الانسان

مجدا ربنارت

لم تصدر هذه الاديبة الاسوجية الشابة غير قصة واحدة هى (الطغيان) ، ومع ذلك فقد احتلت بين يوم وليلة مركزاً تحسدها عليه جميع أديبات أوربا

ولقد اقتحمت مجدا ربنارت ميداناً لم تسبقها اليه امرأة ، ألا وهو ميدان الادب الروائى السياسى ، فقصتها المشار اليها تقع بعض حوادثها فى الصين وبعضها الآخر فى احدى مدن أسوج ، وتدور حول تصوير فظائع الشركات الرأسمالية الاجنبية فى استعمار بلاد الصين

فتسميم الصينيين بشتى انواع المخدرات ، ومحاولة القضاء على ثقافتهم ، ونشر مختلف أدواء المحسوبية والرشوة بين كبار موظفيهم ، وإذلال الطبقة الفقيرة من فلاحيهم وعمالهم ، واستغلال هذه الطبقة جهد المستطاع ، واستعانة الشركات الأجنبية بحكوماتها على تنفيذ مآربها الوضيعة وسياستها المروعة ، كل ذلك رسمته مجدا ربنارت بريشة مصور ماهر يعرف كيف يوزع الظلال والالوان وكيف يبرز الصارخ منها ، ويضاعف أثر السخط والرعب الذى يحدثه فى أعماق النفوس

وليس هو الرعب وحده ، او السخط وحده ، الذى تثيره فينا مطالعة قصة (الطغيان) ، فهناك أيضاً نغمة عذبة انسانية رقيقة تتخلل السطور وتسرى فى تضاعيف الكتاب مسرى النسيم فى جو خانق ، ألا وهى الرحمة النابعة من قلب امرأة عاشت اكثر من خمس سنوات مع أبطال قصتها ، ولمست حياتهم التاعسة عن كثب ، وآلت على نفسها ان تسمع العالم المتمدين صراخ عذابهم الاليم

فعاطفة الرحمة فى قصة مجدا ربنارت ، تخفف من وطأة صور العذاب والبؤس ، وتلطف من حدتها ، ولكنها تزيد القارىء إحساساً بالسخط ، وتلهب فى صدره عاطفة الاستنكار ، وتحفزه للتمرد على الظلم ، وتدفعه للقيام باى عمل لاغاثة الصينيين ، أو نصرة أية أمة ضعيفة وأى فرد بائس مظلوم . وتلك هى فى الحق أرفع مراتب الفن الروائى بلغتها مجدا ربنارت فى أول قصة لها فاستحقت عليها لقب « الاخت المجاهدة » الذى اطلقته عليها جماهير الشعب الصينى

كتاب الشهر

فن الصداقة

للباحث النفسي البير سرلاند

في هذا الكتاب الطريف يدرس المؤلف عاطفة الصداقة ، ويبحث خصائصها وأطوارها ومختلف القوى الروحية التي تصدر عنها . وهو يمجدها أروع تمجيد ، ويعدها أنبل من الحب ، لاشتراك فضائل العاطفة والعقل في تكوينها

كل كائن عالم مستقل بنفسه ، وكل انسان يعيش في شبه عزلة

فالعواطف والميول التي تختلج في صدر الفرد تتخذ في نظره صوراً وأشكالا عزيزة عليه إلى حد أنه يؤثر كتمانها والاحتفاظ بها وعدم انتهاك حرمتها بالتحدث في شأنها إلى أي مخلوق ، ومع ذلك فغريزة البوح والافضاء عميقة الأصول في النفس البشرية كغريزة الانطواء والتكتم ، ولو أن انسانا - كائنة ما كانت غرابة عواطفه وتعقدها وقداسة جوهرها - حاول أن يحتفظ بها لنفسه فقط ، فما لا يقبل الريب أن مصيره إلى الجنون المحتم

والواقع ان توزع رغبات الفرد ، وتأرجحها بين ضرورة التكتم وضرورة البوح ، هما اللذان يدفعانه إلى البحث الطويل عن الصديق المخلص الذي يفهمه ، ويقدر مصارحته ، ويحترم سر روحه ، ويبادله الاحساس والتفكير ، ويستطيع عند الحاجة بذل النصيحة له

ونحن لفرط شعورنا بغرابة عواطفنا ، وشذوذ الخفي من انفعالاتنا ، نخجل من الافضاء بها لأي كان ، ونحس ضرباً من العار يغمرنا ، متى أقدمنا على إماطة اللثام عنها أمام الاجنبي الغريب

ونحن نتألم ونشقى ، ولا نريد أن نطمع الغريب فينا ، ونستدر شفقته علينا ، ونقف منه موقف المهانة والذل . ونحن بعد هذا قد نفضي إلى الغريب بدخيلة نفوسنا ، لو كنا على ثقة من عطفه الخالص علينا ، ولكن أين هو العطف الخالص ، وكيف يشعر به مخلوق لا يعرفنا ، ولم يتصل بنا ، ولم تنشأ بيننا وبينه تلك الاستجابات الروحية التي تجرد القلب من غريزة الأنانية ، وتؤلف بين النفوس ، وتجمع بين العقول ، وتصدر عنها عاطفة الصداقة ؟

فلهذه الأسباب مجتمعة ننشد الصداقة ونسعى اليها ونتهالك فى سبيلها ، يقيناً منا ان فى عثورنا عليها إنقاذاً لنا من حياة العزلة ، ومن خطر الاستهداف للجنون

وقد يستطيع العظيم الاكتفاء بنفسه والاستغناء عن صداقة فرد من الناس ، والاستعاضة عنها بصداقة عقله وفكره ، أما نحن فنقضى الحياة بأسرها سعياً وراء الصداقة أكثر مما نقضيها سعياً وراء الحب

فاذا عشقنا امرأة وغدرت بنا ، وجدنا العزاء الاكبر فى الشكوى إلى صديق . واذا فجعنا فى عزيز لدينا ، لطف من حسرتنا وجود صديق . واذا عصفت الكوارث بأعمالنا ، التمسنا النصح من لدن صديق . واذا ضاقت بنا الدنيا وعضنا الفقر بنابه ، فملاذنا الأعلى وملجأنا الوحيد بعد الله هو الصديق !

فالصداقة والحالة هذه أغلى من الحب ، لأنها تتصل بمختلف الأحداث التى يمكن أن تصيبنا بها الحياة . وماذا عسى أن ينفعك حب امرأة متى وقعت فى ورطة مالية ، أو فصلت من عملك ، أو تملكتك الحيرة فى تدبير الخطير من شئونك ، أو تضاعفت مسئولياتك ولم يعد فى مقدورك حمل أعبائها وحدك ؟

فالحب هو اندماج مخلوقين فى حيز ضيق وفى دائرة معلومة ، أما الصداقة فاندماج مخلوقين فى أوسع أفق ممكن ، وفى جميع التيارات المتعارضة المتضاربة فى محيط الحياة اللانهائى

ولذا كان الفوز بالصديق الوفى نصراً لا يقاس بنصر الفوز بامرأة ، بالغة ما بلغت من الجمال ، وبالغاً ما بلغ حبنا لها وجهادنا فى سبيل اخضاعها وامتلاكها

كيف نختار الصديق

نحن نختار أصدقاءنا مسترشدين بوحى الميول التى تجمع بيننا وبينهم ، وتسهل علينا سبل الوداد والتفاهم معهم

فأساس الاختيار هو فى الغالب تشابه الميول والعواطف ، أى وحدة الرغبات والاهواء . وقل أن يتدخل العقل الناقد الفاحص فى اختيار الصديق ، وتلك هى الظاهرة الشائعة فى معظم الناس ، فالسكير مثلا يميل إلى مخالطة السكير ، والمنافق يميل إلى عشرة المنافق ، وزير النساء يهوى الحياة فى صحبة زير النساء ، ولاعب الميسر لا يطيب له العيش إلا فى رفقة من كان عبداً لنفس رذيلته

فنداء الرذيلة هو الذى يجذب الأصدقاء فى الغالب بعضهم إلى بعض ، والصداقة القائمة على تجانس الرذائل هى أحب الصداقات إلى الناس وان جلبت عليهم شر الكوارث ! والحق أن السواد الاعظم منا لا يختار غير الصديق الذى يعاله على رذائله ، ويتملق أوضع ميوله ، ويشاركه فيها ، ويضاعف لذة استمتاعه بها . والسبب فى ذلك أن العاطفة هى التى تختار لا العقل . وكما أن

العاطفة هي التي تخلق الحب الجنسي وتختار المرأة المعشوقة ، كذلك تختار العاطفة الصديق دون ما اكتراث لصوت العقل ، ولكن العاطفة كما اسلفنا لا تحسن الاختيار ، ولا تنظر الى الخير والصلحة بقدر ما تنظر إلى تشابه النقائص وأوجه الضعف

واذن فيجب أن نحكم العقل فى اختيار الصديق كما يجب أن نحكم العقل فى اختيار المرأة عند ما نفكر فى الزواج ، لان الصداقة أيضاً نوع من الزواج ، ولكن فى دائرة الفكر والروح . وأهم الشروط التى ينبغى أن تتوافر فى الصديق الوفى هى :

أولا ــ أن يكون منزهاً عن الأغراض

ثانياً ــ أن يقسو فى أحكامه علينا ، فلا يجاملنا ، ولا يتزلف الينا ، ولا يخشى من أن يواجهنا بالحقائق ولو كنا نكرهها

ثالثاً ــ أن يكون متأهباً للبذل فى سبيلنا عند الاقتضاء على قدر ما أظهرنا من البذل فى سبيله

رابعاً ــ أن يحتمل تقلبات أخلاقنا ، ونزوات طباعنا ، فلا يسرع فى الغضب منا ، بل يصبر علينا ، ويحاسبنا فيما بعد على هفواتنا فى عبارة سمحة وعتاب رقيق

خامساً ــ أن يكون صريحاً معنا ، فلا يكذب ولو اعتقد أن فى الكذب مصلحة لنا

سادساً ــ أن يحترم بيوتنا ويقدس أعراضنا ولا يشتهى نساءنا

سابعاً ــ أن يكون أفضل منا خلقاً ، وأوسع عقلا ، وأنبل غاية . فيرفعنا اليه بدل أن ينحدر الينا

ثامناً ــ أن يذهب إلى حد التضحية من أجلنا عند الحاجة

تاسعاً ــ أن يطابق تفكيره واحساسه أعلى مراتب تفكيرنا واحساسنا

عاشراً ــ أن يحفظ سرنا ، ولا يغتابنا ، ويتفق ظاهره مع باطنه فى كل ماله علاقة بنا

هذا هو الصديق الأمثل ، وتلك هى فضائله . واما فن الصداقة نفسه فينحصر فى عاملين : قدرتك على تمييز هذه الفضائل فى صديقك بقوة عقلك ودقة ملاحظتك ، وقدرتك على أن تبادله هذه الفضائل بمثلها تحقيقاً لمعنى الصداقة الأسمى وهو المساواة التامة فى التعاطف والولاء

فأنت مكلف أن تعطى الصديق مثل ما يعطيك ، وتتجرد من الأنانية تجرده منها ، وتقابل احسانه بنفس الاحسان ، والا كنت مستغلا صداقته ، عاملا على تقويضها

جربه أولا ثم اعتمد عليه ، امتحنه أولا ثم اخلص له ، وليكن امتحانك اياه على هدى عقلك ، وفى ضوء الفضائل التى أشرنا اليها ، فمتى تحققت من وجودها فيه ، واستوثقت من احساسه بها ، فبادله صداقة بصداقة ، وأنزله من نفسك المنزلة الجديرة به ، وامنحه ثقتك ، وأفض عليه من ذات فضائله مايوثق بينكما روابط الألفة والمودة والوفاء ، وكلما كنت أنت نفسك قدوة لصديقك فى البذل والسخاء والعطف والتجاوز والتسامح ، وكلما فتحت له مغاليق صدرك ، وأشركته فى

جوهر فكرك ، ورفعت الكلفة العاطفية بينه وبينك ، أخجلته وأسرته واستوليت على كل جارحة فيه ، فقدر جميلك وعرف فضلك وأخلص لك

غير أن كريم الأصل ، عريق المنبت ، هو الذى يعرف الجميل ويخلص . ولهذا يجب أن يطول امتحانك العقلى له حتى تلمس فيه ذلك الكرم الأصيل ، وعندئذ فقط تستطيع أن تقربه اليك وتخلع عليه لقب الصديق الوفى

ومع ذلك فقد يخيب فيه على مر الزمن أملك ، بل قد يخونك ويغدر بك ، فاذا قدر ورأيت منه عكس ما كنت ترجو ، فكن أنبل منه ، ولا تسرع بزجره ، ولا تبالغ فى اعراضك عنه ، بل احرص عليه ما استطعت واستبقه جهدك وعاتبه بالحسنى ، فقد يكون نادما على ما فعل ، وقد تكون ظروف الحياة القاسية هى التى بدلته ، وقد يكون وهو فى خيانته أشد تعلقاً بك ، وأوفر حباً لك مما كان فى ولائه واخلاصه

صداقة المرأة للرجل

المرأة لا تفهم قيمة الصداقة بين رجلين ، ولا تفهم أن تكون قيمة الصداقة فى نظر الرجل مساوية لقيمة الحب أو أثمن منها ، فصديق زوجها أو صديق عشيقها هو فى الواقع عدوها ، تحذره وتخشاه وتخاف أن يسلبها شيئاً من حب الزوج أو العشيق

ومن خصائص المرأة أنها لا تدرك أن الحب يعمل فى الدائرة الباطنية ، وأن الصداقة تعمل فى المحيط الخارجى ، وأن الرجل لا يمكن أن يعيش فى الباطن فقط ، وأنه فى أشد الحاجة لانسان يشاركه الحياة الخارجية وكل ما يتصل بها من آراء وأفكار وجهود لا تمت الى المرأة ولا الى الحب بأية صلة

فالمرأة للنفس والجسد ، والصديق للنفس أيضا ثم للحياة الكبرى

وهذا ما لا تقره المرأة بأى حال ولا يمكن أن تفهمه . لماذا ؟ لأنها تأبى إلا أن يسيطر حبها للرجل على حياته الداخلية والخارجية ، المنزلية والدنيوية ، باعتبارهما وحدة لا تتجزأ ويجب ألا تنفصم

غير أن عقل المرأة مهما كانت مثقفة ، لا يمكن أن يلم بمختلف أسباب الحياة الدنيوية ، وعقل الرجل مهما كان عاشقاً لا يمكن أن يكتفى بعلاقات الحياة البيتية ، فهو ملك العالم قبل أن يكون ملك البيت ، وهو ملك الدنيا قبل أن يكون ملك امرأة ، وهذا هو السبب فى أن كل زوج يحاول فى الغالب أن يتخذ بجوار امرأته التى تمثل فى نظره نعمة الحب والبيت ، صديقاً يمثل فى نظره نعمة الاتصال بما فى العالم الخارجى من حركة وحياة

تلك هى المأساة ، لا تستطيع المرأة أن تتصور زوجها أو عشيقها منفصلا عنها ، مشاركا غيرها

فى جزء من حياته . ولا يستطيع الرجل وقف كل حياته على المرأة والتضحية من أجلها بكل صديق

ومن هنا كانت المرأة المحبة الذكية لا تنفك تسعى لتكون الزوجة والصديقة فى نفس الوقت ، ولكن هل فى وسع المرأة تحقيق ذلك المثل الأعلى ، وهل فى مقدورها أن تغنى الرجل عن الرجل ، وهل يمكن أن يقوم حبها وذكاؤها وما خبرته من الحياة ، مقام خبرة الصديق وتجاربه بوصف كونه رجلا ؟

ان المرأة فى الغالب لا تستطيع أن تشارك الرجل فكره وعمله وجهاده فى الخارج إلا متى أحبته ، ومتى أحبته استبدت لحكم غريزتها بالرغم منها ، واجتهدت فى تحويل فكره عن جهاده الخارجي الى حبها ، واليها نفسها ، والى الحب باعتباره غاية فى ذاته

فالحب عندها غاية مطلقة تسمو على غيرها ، والحب عند الرجل راحة بعد العناء ، وفرج بعد الشدة ، ولذة يستمتع بها عقب النضال ، ويستمد منها القوة اللازمة لاستطراد الجهاد والكفاح

فكيف تستطيع المرأة أن تحل محل الصديق والحب غايتها ، وحصر الحياة فى دائرة الحب قبلتها ، وعبادة الحب والبيت تخيم على بصرها وتحول بينها وبين التمرس العميق بشئون العالم الخارجي حيث يعمل ويفكر ويعيش زوجها أو عشيقها؟

ليس شك فى أن المرأة قد تكون قادرة على ابداع فضائل خارقة تصدر عن الحب والحنان ، وتتمثل فى انكار الذات والتضحية ، ولكن هناك أشياء بين الرجل والرجل لا يمكن أن يصل اليها مدى تفكيرها . هناك ضروب من الشهامة فى المعاملة ، والنخوة فى المعاونة ، والدقة فى الاحساس ، والتعمق فى فهم وجهات النظر المختلفة ، والتجاوز عن السيئات ، والتأهب الدائم للصفح والنسيان ، لا تستطيع المرأة أن تفهمها أو تشعر بها أو تروض نفسها عليها كى تحل محل الصديق الرجل فى قلب زوجها أو عشيقها

ويجب أن نصارح بأن هذه المحاولة منها ، دليل رغبة فى السمو بالحب ، والرقى بالفكر ، والاشتراك مع الرجل بالجسد والروح ، وهى محاولة نبيلة ومجيدة ، ولكن على المرأة أن تعلم أن صداقتها لن تكفى الرجل ، وان نقص الرجل لن يكمله إلا الرجل ، وأن احتفاظها بسلطانها على الزوج أو العشيق في حياته الداخلية لا يساعد عليه فى معظم الأحيان إلا وجود صديق شريف وفى ، يعرف كيف يشبع فى الزوج أو العشيق مطالب الحياة الخارجية

فعلى المرأة ألا تنفر من صديق زوجها ، أو تغار منه ، بل عليها أن تبحث عما اذا كان أبى النفس كريم الخصال جديراً بتلك الصداقة ، فاذا استوثقت منه ، فلتحكم الصلة بينه وبين زوجها ، ولتعلم أن مثل هذه الصداقة قد تكون أكبر معوان لها على الاحتفاظ براحتها البيتية وأمنها العائلى وحب زوجها

خواطر في معنى الصداقة

* الصداقة هي العاطفة الوحيدة التي تحررنا ، وأنت قد تخفي الحقيقة عن امرأتك ولكنك لن تكتمها عن صديقك ، فكأن الصداقة تغذي أنبل فضائلنا وهي فضيلة الصدق
* لكي يكون لك صديق ، يجب أن تكون أنت نفسك كفؤاً للصداقة
* الصديق يحبك ، ولكن ليس كل من يحبك صديقك
* النعم تجلب الصديق ، ولكن المحن هي خير امتحان لصداقته
* من أقدس واجبات الصداقة أن تعرف رغائب صديقك قبل أن ينطق بها ، وأن تلبي نداءه قبل أن يستصرخك ويطلب إليك شيئاً
* ان من كان صديقا للجميع لا يمكن أن يكون صديقاً لأحد
* عند ما يضحك صديق ، فمن واجبه هو أن يفضي الى بسر فرحه . أما عند ما يبكي ، فمن واجبي أنا أن أكشف النقاب عن سر شقائه
* إذا أعطيت صديقك ، فكأنك أعطيت نفسك
* عزاء البشرية في فضيلتين : الايمان بالله ، والثقة بصديق
* ان كبرياء الانسان تعميه عن رؤية نقائصه ، وصراحة الصديق هي التي تفتح عينيه
* الصديق الوفي هو الذي لا يحاسبك على كل شيء إلا ليغفر لك كل شيء
* الأصدقاء المغرضون يشبهون كلاب الطريق التي تحب العظام أكثر مما تحب اليد التي ألقت بها
* ان غيرة المرأة من المرأة تخنق عاطفة الصداقة في محيط النساء
* إذا منحتك امرأة صداقتها الخالصة ، فذلك لأنك جاوزت سن الحب



الثورة الفاشستية

من سنة ١٩١٩ - إلى سنة ١٩٣٩

احتفل الايطاليون فى الشهر الماضى بمرور عشرين عاماً على قيام الحركة الفاشستية وانتصارها على الحركة الشيوعية التى ظهرت فى ايطاليا على أثر انتهاء الحرب الكبرى . وفى هذا المقال عرض للنضال الذى قام بين الحركتين حتى استتب النصر للفاشست

لا نستطيع أن نفهم الفاشزم إلا إذا أنعمنا النظر فى الظروف التى تقدمته . وذلك لأن هذا المذهب السياسى والاقتصادى والثقافى ، ما هو إلا رد فعل عنيف لحالة عنيفة سبقته ، أو هو قوة متطرفة نهضت لمكافحة قوة متطرفة مثلها

والواقع أن الثورة الشيوعية كانت على وشك أن تجتاح ايطاليا كلها عام ١٩١٩ . فقد زعزعت الحرب الكبرى كيان الأمة الايطالية واقترنت نهايتها بأزمة اقتصادية مروعة ، ففشا العطل بين صفوف العمال ، وعم البؤس ، وانتشر الجوع ، مما ضاعف سخط الاشتراكيين الذين كانوا من أنصار الحياد ، على الوطنيين دعاة الحرب والتوسع ، وهكذا أحس الشعب الايطالى أن حربه أفلست ، وأن الاشتراكيين والشيوعيين كانوا على حق فى مقاومة الوطنيين دعاتها ، فاستسلم لهم ، وبدأت موجة الشيوعية تجتاح مختلف بلاد ايطاليا

وكان أن اطلقت الحكومة سراح طائفة كبيرة من الاشتراكيين والشيوعيين الذين كانوا قد اعتقلوا مدة الحرب ، فشرعوا فى تنظيم خططهم تمهيداً لاضرام نار ثورة عامة ، وانتهاز الفرصة لقلب نظام الحكم

وحدث إذ ذاك أن احتل العمال بعض المصانع ، ودمروا بعض المحال التجارية ، وأوغروا صدر الجمهور حقداً على الجيش ، فاغتال الشعب نفراً من ضباطه ، وانطلقت فرق الحرس الأحمر الشيوعى تقتحم القطارات في شتى المحطات ، وتعتدى على الجنود وهم عائدون الى أرض الوطن

وأما النواب أنصار هذه الحركة ــ وكان عددهم يزيد على مائة وخمسين نائباً ــ فقد قاموا فى البرلمان بمظاهرة مأثورة ، وانسحبوا هاتفين بالثورة فى نفس اللحظة التى أعلن فيها قدوم الملك

وحدث فوق ما تقدم ان تألفت في بعض مناطق المدن الايطالية مثل « اميليا » و « رومانى » جمهوريات مستقلة صغيرة ، وأعلن حزب سردينيا رغبة أعضائه فى الحصول على الاستقلال الذاتى ، وسرت العدوى الى الحزب الاكليريكى المحافظ نفسه ، فانتخب مائة نائب من الثوريين الشعبيين

ولم تستطع الحكومة وقف هذا التيار الجارف ، فدب الرعب فى الطبقات المتمولة والطبقات الوسطى ، وخشيت على مصالحها وأملاكها ، وخافت أن يقع فى ايطاليا ما وقع فى فرنسا فى عهد العاقبة ، وما وقع فى روسيا القيصرية فى أثناء الحرب وأفضى الى قيام الحكم الشيوعى ، فجمعت كلمتها ووحدت صفوفها ، وأنشأت فى أشد المدن استهدافاً لخطر الشيوعية - أى فى ميلانو وتورينو وتوسكانا واميليا - فرقاً للمقاومة تولى تنظيم أكثرها الشاعر والمؤلف المسرحى (سام بنيلى) ، والأديب المفكر الاجتماعى بنيتو موسوليني الذى كان اشتراكيا ومديراً لصحيفة (افانتى) ، ثم انقلب فجأة وانحاز الى صفوف الطبقتين المتمولة والوسطى

وكانت هذه الفرق نواة الحركة الفاشية ، وأما غرض الحركة فكان الضرب على أيدى الثوار وكسب صداقة أعداء الثورة ، ومقابلة كل اعتداء بمثله واستئصال الفكرة الشيوعية من عقلية الشعب

وصادفت فرق المقاومة أكبر هوى فى نفوس الشبان الوطنيين ، فانضم اليها عدد عظيم منهم عرف الزعماء كيف يغرسون فى قلوبهم حب النظام والطاعة ، وكيف يقسمونهم الى فرق شبه عسكرية ، وكيف يسرعون بهم فى سيارات كبيرة الى مناطق الاضطرابات ، حيث يقومون ضد الثوار بحملات تأديبية هائلة

وكانت هذه الفرق تضرم النار فى بورصات العمل ، وتجتاح بيوت الاشتراكيين ، ثم تسيطر على مناطق الاضطراب ، وتحكم فيها وتأمر الى أن تقر النظام ، وعندئذ ينسحب أفرادها قبل أن يصل جيش الحكومة أو الحرس الملكى

ولقد تهور الفاشست فى وقت من الاوقات تهوراً أحال حملاتهم التأديبية الى مجازر ، فكانت المقاطعات الصغيرة الثائرة تتهيأ لاستقبالهم بحفر الخنادق واقامة المتاريس وحث النساء على اعداد قدور الزيت المغلى ، والصبيان على التدرب على اطلاق مدافع المتراليوز

ولكن المقاومة الشيوعية كانت فجائية طارئة ، وكان ينقصها النظام ، فطمع الفاشست فى تدويخها من طريق الامعان فى القسوة ، حتى أوقعوا الرعب فى صفوف الشيوعيين ، وأنهكوهم ، فضعفت قواهم المعنوية ، وانضم بعض نقاباتهم الى الحركة الفاشية ، وفتر شعورهم الثورى واضمحل شيئاً فشيئاً ، وانتهت جهودهم العملية فى اميليا وتورينو وتوسكانا الى فشل ذريع


موسولينى

وكما يحدث عادة ، تبدلت فجأة نفسية الجماهير ، والجماهير كالمرأة تعبد القوة ، فشوهدت إذ ذاك جماعات من العامة ، وطوائف من خيرة الثوار ، أعرضت عن مبادئها وفرت

من الميدان وأنكرت ما كانت تقدسه بالأمس ، وأسلمت قيادتها لجماعة الفاشست

وأراد الفاشست الاحتفاظ بكيانهم وبالنصر الذى أحرزوه ، فانتظموا فى شبه حزب برلمانى بزعامة بنيتو موسولينى . ولكن موسولينى ارتكب فى تلك الفترة هفوة كادت تقضى عليه . وذلك أنه جاهر فى نزق غريب ، يبعض ميول جمهورية صارخة ، فثارت عليه ثائرة فريق من أتباعه ومؤيديه ، ولا سيما جماعة الوطنيين الملكيين فى بيمونتا وبولونيا

وكان من جراء انحرافه ، وقبوله العمل فى ظل النظام البرلماني ، وكفه عن استخدام العنف الذى تعوده أنصاره ، وظهوره بمظهر الجمهوري ، ان انسلخ عنه بعض الشعب الفاشية والفت فلورنسا وبريول كتلا معارضة أطمعت الثوار فى الفاشزم ، وبعثت حركتهم من جديد

تجاه الخطر المشترك ، أفاق الملكيون من غشيتهم ، وعدل موسولينى سياسته ، وأرصد قواه لتنظيم حزبه خارج دائرة البرلمان ، فألف فرقا عسكرية عرفت باسم (Squadre) وحول النقابات التى انضمت اليه الى نقابات فاشية ، وشرع فى تربية صغار الشباب ، وتكوين فرق (الباليلا) ، ثم تطلع ببصره الى القبض على ناصية الحكم

وفى أواخر شهر أكتوبر عام ١٩٢٢ ، تأهب الفاشست بمساعدة الوطنيين وقدماء المحاربين ، للقيام بأول حركة ثورية واسعة النطاق جريئة الاسلوب بعيدة المرمى

وهكذا تم الزحف الي روما ، وانتهى كفاح الفاشزم بالاستيلاء على زمام الحكم

***

هذا العرض التاريخى الموجز ، يمكن القارىء من ادراك العوامل التى أدت لظهور الفاشزم ، والأساليب التى اتخذها فى كفاحه ، وشعور زعمائه ولا سيما موسولينى ، بأن قبولهم العمل فى دائرة النظام البرلمانى كاد يقضى عليهم ، وأن مستقبل الفاشزم كحركة اجماعية شاملة ، لايمكن أن يعيش ويتوطد إلا فى ظل الديكتاتورية

وهذا هو الأصل فى عقيدة الفاشزم

فالحركة الفاشية فى صميمها إذن ، حركة ترمي الى اعلان افلاس النظام البرلماني ، والمبادىء الديموقراطية التى سيطرت على العقلية الأوربية فى القرن التاسع عشر ، حركة تدعو الى تركيز جميع السلطات فى يد الدولة ، والى فناء حرية الفرد فى شخصية الدولة ، والى حصر مختلف القوى التنفيذية فى يد زعيم الدولة

وهذا ما تم فى ايطاليا

ففى ٢٤ دسمبر عام ١٩٢٥ ـ بعد أن اختفت أحزاب الأحرار والاشتراكيين والشعبيين ، واندمج معظم أعضائها فى الحزب الفاشى ، وبعد أن اضطهد موسولينى خصومه ونفى منهم من نفى وأعدم من أعدم ، صدر قانون يخول رئيس الوزراء حق التمتع بسلطة استثنائية خارقة

وفى ٣١ يناير عام ١٩٢٦ ، صدر قانون آخر يمنح السلطة التنفيذية حق وضع القوانين

وفى ٣ ابريل من العام نفسه ، صدر قانون ثالث يقضى بالحد من حرية النقابات ووجوب تدخل الحكومة فى حل مشاكل العمل

وفى ٢١ ابريل عام ١٩٢٧ ، صدر دستور العمل الذى يعتبر حجر الزاوية في النظام الفاشي

وتتلخص مواد هذا الدستور فى أن العمل واجب اجتماعى ، وأن حرية الفرد فى ممارسة عمل من الأعمال يجب أن تخضع لمصلحة المجموع ، وأن حرب الطبقات محرمة ، وأن التعاون فرض على جميع الأفراد والطبقات ، وأن من الواجب تحقيق التضامن بين العمال وأصحاب العمل فى وحدة عامة ، ومن أجل مصلحة عليا هى مصلحة الدولة

ولتطبيق هذا الدستور « الأدبي » فى محيط العمل ، كان أهم انقلاب أحدثته الحكومة ، هو أنها عدلت نظام الاقتراع والتمثيل ، ومنحت حق الترشيح النيابى لاتحادات العمال النقابية الوطنية المعترف بها من الحكومة

فعلى أساس التمثيل النقابى قام النظام الفاشى

ولكى يحصر السلطة الاقتصادية المنتجة فى يده ، انشأ فى ٢٠ مارس عام ١٩٣٠ ، مجلساً وطنياً خاصاً بتنسيق جميع القوى الاقتصادية فى الدولة ، وجعل من خصائص هذا المجلس تمثيل أرباب المهن والحرف أي تمثيل الطوائف والجماعات المشرفة على الانتاج ، ومنح المجلس حق ممارسة التشريع فأصبح يمثل الدولة كوحدة اقتصادية

فتمثيل نقابات العمال من جهة ، وتمثيل أرباب المهن والحرف من جهة أخرى ، هذا هو لب النظام الفاشى

ولكن هذا النظام لايمكن فهمه على حقيقته ، إلا باماطة اللثام عن القوى الكبرى التى تسيره وتبعث فيه النشاط والحيوية

وهذه القوى هى : الحزب الوطنى الفاشى ، والمجلس الفاشى الأعلى

ويلاحظ أن الدولة انشئت لتكون فوق الأحزاب ، ولكن الحزب هو الذى أوجدها ، والحزب هو الذى غذاها بماله وأرواح رجاله . فالحزب والحالة هذه أصبح سند الدولة التى خلقها أول الأمر فاستوعبته فى النهاية وأصبحت هى الحزب نفسه . أما المجلس الفاشى الأعلى فسنفرد له مقالا خاصاً في عدد مقبل

على هامش القانون

استعانة المحقق بدقات القلب

العرب يسبقون الغربيين الى هذه النظرية

بقلم الاستاذ محمد كامل حسن المحامى

من بين النظريات التى يعتبرها العالم حديثة العهد ويرجع الفضل فيها الى علماء العرب نظرية استعانة المحقق بالظواهر النفسية ودقات القلب على حقيقة الشخص والاهتداء الى المجرم ، لكن هذه النظرية ليست جديدة ، فقد سبق العرب اليها كما يظهر فى قصة هذا المقال التى رواها الكاتب من ابن سينا

عقد فى لندن سنة ١٩٢٥ مؤتمر دولى للسجون وكان من بين قراراته المهمة أنه حتم على من يهمهم حفظ الأمن أو من يشتغلون بالقضاء أو التحقيق أن يقفوا على أخلاق المجرمين ، ويزيدوا فى معلوماتهم عن علم النفس والاجتماع

وتعليل ذلك هو أن الحوادث تحتفظ لها فى المخ بمكان خاص ، فاذا ما أثيرت بواسطة الترابط L'association أنتجت الأثر الذى يتسق وطبيعتها ، وسرى التيار من المخ ، وهو على رأس الجهاز العصبى الى سائر الأعضاء الأخرى

ويقسم العلماء هذه الانفعالات مبدئياً الى انفعالات خاصة بالاعضاء الخارجية وأخرى بالداخلية

أما الاولى فليست من الصعوبة بمكان عظيم ، ولا يتطلب لمعرفتها دراية خاصة ، فكل انسان قوى الملاحظة يمكنه أن يتبين ان كان الشخص الذى أمامه مضطرباً أو غير مضطرب من رؤية أسارير وجهه ، انما الصعوبة فى ملاحظة الاعضاء الداخلية للمجرم وأهمها القلب ودقاته ، إذ المفهوم أن القلب مقياس صحيح لانفعالات الانسان ، وتختلف دقاته قوة وضعفاً وسرعة وبطأً حسب خوفه واطمئنانه وحزنه وسروره وما الى ذلك مما يطوف به

ويسند الغربيون لانفسهم فخر اكتشاف هذه الظاهرة ، والحقيقة أن العرب كانوا أسبق منهم اليها ، وقد سجلت تجاربهم فى هذا الصدد فى كتب عدة ، وكان لها نفس النتائج التى حصل عليها أمثال العلامة « منتسبرج » وغيره ممن يتغنى العالم بفضلهم الآن

الجلفانومتر

فطن العلامة منتسبرج الى ما فطن اليه العرب من أحقاب بعيدة وهو أن دقات القلب لا تكذب كاللسان ، وأجرى عدة تجارب ناجحة ، ولا سيما فى التحقيقات الجنائية

وقد اخترع « منتسبرج » جهازاً علمياً خاصاً لهذه التجارب ، إذ أنه أتى بقطعتين من النحاس وأوصل كلا منهما بسلك كهربائى أحدهما موجب ، والآخر سالب ، وكان التيار يمر بجهاز خاص اسمه « الجلفانومتر » ويتكون من ابرة ممغطسة تتذبذب فى اتجاهات مختلفة ، وتتغير ذبذبتها قوة أو ضعفاً حسب وطأة التيار الكهربائى

أما المتهم المراد استجوابه ، فانه يطلب منه أن يقبض بيده على احدى اللوحتين وباليد الاخرى على اللوحة الثانية ، ويجب على المحقق أن يكون قوى الملاحظة ماهراً فى انتقاء الاسئلة ، فاذا طرح عليه مثلا اسم أحد ممن لهم علاقة بالجريمة ، وجد أن الابرة تهتز فى شكل ظاهر ، على عكس مالو سأله سؤالا لايمت بصلة الى موضوع الاستجواب

ولا يمكننا أن نغمط حق « منتسبرج » ، أو نشوه ما أحرزه من نجاح ، انما من حقنا أن نقول إن ما أحرزه هذا العلامة الغربى الكبير ، قد سبقه اليه « ابن سينا » ووصل الى نفس الهدف ، ولو أنه لم يستعن « بجلفانومتر » أو شىء من هذا القبيل

وسأذكر هنا تجربة « ابن سينا » فهى زيادة على اتصالها بموضوعنا ، تبين رسوخ قدم العرب فى العلوم والفنون المختلفة ، وتفحم من جهة أخرى بعض النظريات الغربية التى تدعى أن الشرقيين أقل ذكاء وقدرة على الاختراع من الغربيين ، وأهمها نظرية Carl Brighan الاستاذ بجامعة « برنشتين » الذى حمل على الشرقيين عامة والعرب خاصة على أثر ما ذاع من اقتباس الغرب منهم ومن آدابهم ، وذلك فى أواخر القرن الماضى حينما اتضح أن ديوان « لافونتين » الشاعر الفرنسى المعروف الذى نشره تحت عنوان Les Fables هو اقتباس أو نقل عن « ابن المقفع » وما ذكر فى كتاب « كليلة ودمنة »

وقال كارل إنه من غير المعقول أن يسبق الشرق الغرب ، وأيد كلامه بنظرية حسابية مضحكة وهى : ان « الذكاء = الدولة + الميراث + البيئة » ! . وبما أن العرب هم قوم رحل - كما يقول - فليست لهم دولة منظمة ، ولا بيئة تساعد على العلم والاختراع ، ولذا فانه لا يمكن أن يسبقوا أهل الغرب المتمدينين فى شىء !

وللرد على هذه النظريات يكفى أن نذكر فقط احدى تجارب ابن سينا وهى تبين كيف أن هذا العالم العربى الجليل قد سبق « منتسبرج » بقرون طويلة الى نظرية دقات القلب وعلاقتها بما يقوله الشخص وما يخالجه من انفعالات نفسية

تجربة ابن سينا

كان أحد أمراء العرب له ابن شاب ، ينزله من قلبه منزلة كبيرة ، ويعتز بقوته وشجاعته بين أترابه ، وفى أحد الايام رأى الوالد ابنه قد نزل به السقم ، وانتابه داء غريب لم يفهم أحد كنهه ، فعرضه على أطباء هذا العصر ، فلم يفقه أحدهم علته ! ، وصار الشاب ينتقل به المرض من سيء الى اسوأ حتى فقد أبوه كل أمل فى شفائه

ونما خبر هذا المريض الى ابن سينا ، فتطوع للذهاب الى الامير ، وعرض عليه أن يفحص ابنه لعل الله يكشف عن بصيرته فيهتدى الى موطن الداء

وفحص ابن سينا ابن الامير ، فأدرك رغم ما به من هزال ان جسمه سليم ، وأيقن أن سقمه لا بد من تفكير لم يبح بمنشئه لمخلوق

وظل العالم بالشاب حتى أدرك أنه مريض بالحب ، وان حبيبته من أسرة فقيرة ويخشى أن يطلع أباه على رغبته فيحتقر ما به من عاطفة نحوها ! فنقل ابن سينا هذا القول الى الوالد الذى ما لبث أن أظهر رغبته فى تحقيق كل ما تصبو اليه نفس ابنه ، ولكن الشاب رغم هذا لم يبح باسم حبيبته

فطرأت على مخيلة العالم فكرة عظيمة ، هى عين ما اهتدى اليه علماء الغرب بعده بأحقاب ! فقد أحضر شيخاً كبير السن ، يعرف أهل البلد جميعهم وطلب اليه أن يذكر أسماء شوارع المدينة واحداً واحداً ، ثم قبض بيده على نبض ابن الامير ، وابتدأ الشيخ يذكر أسماء الشوارع حتى ذكر اسم شارع معين فزاد نبض الشاب ، فطلب ابن سينا من الرجل أن يذكر أسماء الازقة المتفرعة من هذا الشارع ، ففعل ، فزاد نبض الشاب عند ذكر اسم أحدها ، فانتقل العجوز الى ذكر أسماء الاسر المقيمة فى هذا الزقاق ، فزادت دقات قلب ابن الامير عند ذكر أحد الاسماء ، فطلب ابن سينا ذكر أفراد هذه الاسرة ، وما ان وصل الشيخ الى اسم الفتاة حتى زاد نبض الشاب زيادة كبيرة ، فأدرك العالم أنها هى سبب هذا السقم الطويل ، فلما زوجه أبوه منها ذهب عنه الداء وعاد اليه الشفاء

وتلك النتيجة الموفقة التى انتهى اليهـا ابن سينا ، هى نفس نظرية « منتسبرج » التى دعمها باختراعه العلمى الحديث « الجلفانومتر » ، وهم يفكرون الآن فى تطبيقها عملياً والاعتراف بها قانونياً

وان المنقب فى آداب العرب ومخلفاتهم يجد فيها الشيء الكثير من النظريات والمبادىء فى علم التحقيق الجنائى الذى يعتبر من أحدث العلوم

تجربة أخرى لابن سينا

وهناك قصة أخرى لابن سينا يتضح منها أنه ضرب بسهم وافر فى العلوم النفسية ، ويعتبر بحق أول من اهتـدى الى اثر الايحاء فى النفس "The inspiration." وطبقه عملياً قبل أن يولد امثال

فرويد ومكدوجل وهوبز وغيرهم من الاعلام الذى يدين العالم لهم الآن بكثير من الفضل ، وتدرس نظرياتهم فى علم النفس بكافة الجامعات

يحكى انه كان فى عصر « ابن سينا » رجل أصابه نوع من الخبل ، وخيل اليه أنه بقرة وانه لا يمت الى بنى الانسان بصلة من الصلات ، وصار يخرج صوتاً كأصوات الأبقار ، وامتنع عن الطعام والشراب ، وأبى ألا يأكل إلا العشب والبرسيم تشبهاً بالحيوان حتى هزل جسمه ، وزاد به الضعف فساءت حالته ، وزاد خبله وجنونه

وعلم ابن سينا أمر هذا الرجل فسعى اليه ، وكان هذا شأنه كلما سمع بحالة غريبة أو مستعصية والتقى العالم بالرجل ، فوجده مصمماً على أنه بقرة ، فقال له :

« إذن فسأذبحك »

فلم يتراجع الرجل ، بل قال : « وما فائدة البقر ان لم تذبح »

وأعد « ابن سينا » حبلا غليظاً وسكيناً مرهفة ، وقيد الرجل ثم ألقى به على الأرض ، واقترب بالسكين على رقبته فلم يجد منه أى رفض ! ولم يرسل أنة واحدة ، او يستغيث !

وأخيراً أدرك العالم أن الداء قد تأصل فى الرجل المسكين فنهض عنه وهو يقول له :

— انى لن أذبحك ! إنك بقرة هزيلة لا تغنى ولا تشبع من جوع ! إنك حقير بين البقر

ونهض الرجل ، وهو حزين لأنه لم يذبح ، ولأنه علم حقارة شأنه بين البقر ، فقال للعالم :

— وما العمل الآن ؟

— قو نفسك ، وكل من الطعام والشراب ما شئت ، حتى إذا ما سمنت احضر إلى فأذبحك

وخرج الرجل ، وأقلع عن أكل البرسيم والعشب ، وصار يأكل الخبز واللبن والتمر حتى يصبح بقرة سمينة تستحق الذبح

وكان ابن سينا يقصد من ذلك ان يوحى اليه إيحاء عكسياً حتى إذا ما أقبل على الاكل وعادت اليه صحته ، ذهب عنه ذهوله وخبله ، وقد صح قصده فعاد قوى الجسم

وزاره ابن سينا بعد ذلك ، وسأله ان كان مصمماً على أنه بقرة ؟ ! فضحك الرجل وشكر العالم شكراً جزيلا

محمد كامل حسن
المحامى

قصة ملخصة

بين مخالب القدر

للروائي الفرنسي رينيه ميزروا

من خلال حوادث هذه القصة ، يمثل لنا المؤلف سلطان القدر ، وحرص القوى الطبيعية العليا فى تطوراتها اليومية على اقرار فكرة العدل ، وانزال القصاص بكل غادر أثيم

ارتجفت مدام بلانشار وعقد الرعب لسانها إذ أبصرت الباب يفتح فى رفق ، ويدخل منه سكرتير زوجها . وتقدم الرجل وحيا المرأة فى احترام ، وجلس دون أن يستأذنها ، ثم أشار اليها بالجلوس ، وقال وهو يلهو بسلسلة ساعته وينظر الى الأرض تارة والى مدام بلانشار تارة أخرى :

ـــ أود أن أحدثك فى موضوع هام ياسيدتى ، ولقد طلبت إذناً بمقابلتك فرفضت ، فجئت أنا اليك لأن الأمر عظيم الخطر

وطفق يسعل سعالا خشناً متداركا،ثم قرب مقعده ودنا من مدام بلانشار،وأردف وهو يبتسم نصف ابتسامة خفيفة يشيع فيها الدهاء واللؤم : « انى لأشد حرصاً على مصلحتك منك أنت نفسك »

فارتعدت فرائص المرأة وشحب وجهها شحوب الموتى وأيقنت أن قد تحقق ظنها ، فغمغمت :

ـــ لا أفهمك يا مسيو أندريه

فضحك الرجل ، ثم نهض فجأة وجعل يذرع الغرفة وهو صامت ، ثم عاد فجلس على مقعده وطوى ذراعيه على صدره ، وقال بصوت حاد ولهجة جافة :

ـــ انى أحب زوجك ، انى أحب المسيو جاستون أصدق حب وأعمقه ، فهو صاحب الفضل الاكبر على ، وليس فى وسعى أن أغض الطرف وأتجاوز عندما أراك أنت . . . أنت زوجته . . .

فنهضت مدام بلانشار وقاطعته صائحة : « ليس لك حق التدخل بينى وبين زوجى ! »

وأشارت الى الباب باصبع مرتعشة وأردفت : « أخرج ! الى مكتبك حالا ! »

فرشقها أندريه بنظرة نارية وابتسم مرة أخرى ، ثم دنا منها ، وتغضن وجهه ، وتبدلت تقاطيعه ، وقال بصوت لين منخفض يشبه فحيح أفعى : « احذرى ! فانا أعلم كل شىء ! »

فوجمت وخيل اليها أن الارض تميد بها ، فتهالكت على نفسها وارتمت على المقعد ولم تستطع

النطق بكلمة ، فلم يمهلها أندريه واستطرد يقول وهو يتلفت الى الأبواب :

— راقبتك منذ شهر ، اقتفيت أثرك ، وقفت على سر المهام التى تعهدين بها الى خادمتك ، ولقد كنت هناك بالأمس ورأيتك !

فاستجمعت مدام بلانشار قواها ، وارتدت اليها بغتة شجاعتها وعزة نفسها ، فصاحت شبه معتوهة : « اخرج ! ، اخرج »

ولكن أندريه بدل أن ينصرف ، أرسل ضحكة قصيرة اخترقت فؤادها كطعنة سكين ، ثم همس فى أذنها : « لقد أعماك الحب يا سيدتى فحال بينك وبين الأخذ بفضائل الحيطة والحذر والتعقل ، لقد جعلت من خادمتك ايزابيل موضع سرك ، وائتمنتها على الخطاب الأخير الذى أرسلته لعشيقك ، وهذا الخطاب ، هذا الخطاب المروع ، وقع فى يدى وهو الآن معى ! »

فانخلع قلب مدام بلانشار وهتفت مندلعة العينين : « وكيف حصلت عليه ؟ »

وخانت نفسها بهذه العبارة على الرغم منها ، فقهقه أندريه وأجاب : « دفعت ثمنه غالياً ! »

فاختلج بدن المرأة وصرخت : « ويل لها ، لقد خانتنى ! »

فأمسك اندريه بذراع مدام بلانشار وقد استشعر قوته ، وذهبت بلبه نشوة النصر ، وقال :

— لن تمس ايزابيل بسوء ، هى الآن تحت حمايتى ، وأما الخطاب فسأطلع زوجك عليه ، سيراه المسيو جاستون اليوم بل الساعة !

فجحظت عينا مدام بلانشار ، وتولتها رعدة ، ولكنها غالبت نفسها ، وحاولت أن تقاوم ، فنصبت قامتها ، واصطنعت الهدوء والثقة وعدم الاكتراث ، وقالت :

— لن تساومنى على أوهام ! لن تخيفنى بتهديدك ! ومن المحال أن أصدق أن الخطاب فى يدك . . أين هو ؟ أبرزه ، أطلعنى عليه ، أنا أيضاً سأدفع لك الثمن !

فأرسل اليها أندريه نظرة خفيفة من خلال أهدابه المتآكلة ، ثم ضحك ضحكته الهادرة الوحشية ، فارتج خداه المترهلان ، وبرزت أسنانه السوداء النخرة ، وازداد دمامة وقبحاً ، فهلع فؤاد مدام بلانشار ، وتقهقرت ، وحجبت وجهها بكلتا يديها

أما هو فأخرج محفظته من جيب سترته ، وتنحى عنها ، ثم انتزع الخطاب ولوح به أمام المرأة وهو يردد : « أليس هذا خطك ؟ أليس هذا خطك ؟ »

ومضى يقرأ بعض السطور ، فحملقت فيه مدام بلانشار ، ورأسها يهتز ، وبدنها يختلج ، وإعصار الخوف والقلق والحيرة يطوح بها كورقة من أوراق الخريف اليابسة الذابلة . ولما أبصرها وقد غشى اليأس محياها ، دس الخطاب فى محفظته ، ثم تقدم اليها وجعل يتأملها بعين خبيثة يومض فيها بريق هائل مروع ، فدفعته عنها وتراجعت الى أقصى الغرفة وأجهشت فجأة بالبكاء ، ثم زايلتها فى لحظة كرامتها وعزة نفسها وكل مااتصفت به من شمم وإباء وكبر ، وجثت على الارض عند قدمى

أندريه ، وتعلقت به ، وقالت مسترحمة متوسلة ونبرات صوتها المتحشرج الدامى ترن فى أرجاء الحجرة وتتصاعد كالصلاة الممزقة الحارة منبعثة من قلب شهيد يوشك أن يطالع الموت ويلفظ النفس الأخير : « ارحمنى ، رد الى خطابى أمنحك ما تريد ، كم تطلب ؟ كم يجب أن أعطيك ؟ تكلم ، أسرع قد يعود الآن زوجى ، وقد يفاجئنا ، وقد أفتضح ! تكلم »

وصمتت وهى تلهث ، فأعرض عنها أندريه ، وذهب فاتكأ على حافة النافذة . ومن هناك ترامى اليها صوته يقول : « أنا فى أشد الحاجة لعشرة آلاف فرنك ! »

فأشرق وجهها وتهللت أساريرها وخيل اليها أنها أنقذت ، فرفعت يديها المرتجفتين وشرعت تنزع قرطها وخواتمها وعقدها الأبيض اللؤلؤى ، وتضعها على منضدة صغيرة أمامها ، ولما فرغت ، أطبقت براحتها على الحلى ، وقالت وقد ارتدت اليها كبرياؤها :

ـــ هذه الحلى تساوى أكثر من ثلاثين الف فرنك ، اليك هى ، وأعطنى الخطاب !

فابتسم اندريه وكر راجعاً اليها ، وقال بصوت غائر أجش وهو يشير باصبعه الى كومة الحلى ، ترسل أضواءها الساحرة من خلال أنامل المرأة : « هذا ثمن صمتى ، أما الخطاب فله ثمن آخر ! »

فذهلت مدام بلانشار وحدقت اليه ، وأصابها شبه جنون . أدركت ما يريده منها وما يساومها عليه ، فتملكها سخط هائل مشوب باشمئزاز عميق . هذا الوجه الأصفر الداكن ، هذه الاهداب المتآكلة ، هذه الشفاه الغليظة الملتوية ، هذه الأسنان النخرة السوداء ، هذا الهيكل الدميم المخيف يعانقها ، يقبلها ، تبادله الحب ؟ محال ، كل شىء ما خلا هذا !

واستبد بها الحنق وغمر نفسها الاشمئزاز ، وهمت باسترجاع الحلى واخفائها فى درج المنضدة ، ولكن أندريه أسرع فانقض عليها وأمسك بيدها ، وقال :

ـــ هذه الأشياء أصبحت لى ، هى ثمن صمتى ، صمتى المؤقت ، ومقابل حصولى عليها سأحتفظ بالصمت ، الى غد فقط ، الى مساء الغد ، الى الساعة السادسة من مساء الغد

ومال اليها وحاول ان يضمها الى صدره ، فذعرت ونفرت منه ، فلم يحفل بها واستطرد :

ـــ سأنتظرك فى منزلى مساء الغد ، وهناك ، هناك أرد لك الخطاب

وهدأ لحظة وهى تتطلع اليه ، ثم دنا منها وأبرقت عينه الشرهة الغادرة ، وردد بصوت مخنوق :

ـــ أنا أحبك ، أحبك ، وستكونين لى !

جمدت مدام بلانشار فى مكانها ، وانسحقت تحت وطأة الرعب ، وأغمضت عينيها كى لاتبصر الهيكل الدميم المتربص بشبابها وجمالها وسعادتها ، أما أندريه فبسط يده وقال فى سكون الواثق :

ـــ أعطنى الحلى ، وإلا انطلقت الساعة أبحث عن زوجك !

فمدت أصابعها المرتخية ، وبحركة آلية من يدها المشلولة ناولته الحلى والدموع تترقرق على خديها . وعندئذ تراجع اندريه ، وحيا مدام بلانشار فى احترام ، وقال وهو يعقد أزرار سترته :

— سأنتظرك مساء الغد ! فتكرمى بالحضور وإلا جعلتنى فى حل من وعدى ، وهدمت حياتك ومستقبلك بيدك

ومشى الى الباب بخطى متزنة ثابتة ، وقبل أن يفتحه استدار قليلا ، ونظر الى مدام بلانشار وهز رأسه وغمغم :

— أنا رجل دميم ، ولعنة القدر قد انصبت على ، ولكنى أريد ان أنتقم من حظى وأسعد بامرأة جميلة ولو مرة ! . وضحك ضحكته الوحشية الهادرة ، وهز كتفيه ، وانصرف ، ومدام بلانشار تتبعه النظر ، مسلوبة الحول ، طائرة اللب ، تتحسس صدرها المتجرد ، وتتذكر حليها الغالية ، وتتلوى ، وتهذى وتبكى بكاء الأطفال !

وكان أندريه رجلا شديد الذكاء شديد الحذر ، فلم يطمئن لصمت مدام بلانشار ، وخشى أن تحاول الثأر منه بابلاغ عشيقها حقيقة أمره وما طلب ، فعقد العزم على مراقبتها وملاحظة تصرفاتها والتجسس عليها والاسراع بتقديم خطابها الغرامى المشئوم لزوجها قبل أن تفاجئه بانتقامها وتأخذه على غرة ، وتضربه الضربة القاضية . وتعلل فى تلك الليلة بكثرة أعماله وتراكمها ، وأنبأ المسيو جاستون بأنه لن يغادر القصر ، وأنه سيسهر فى مكتبه وقد ينام فيه إذا لزم الامر . وأعجب الزوج باخلاص سكرتيره وترك له حرية التصرف ، ولم تقف مدام بلانشار على ما تم بين الرجلين لفرط اهتمامها بنفسها ، وبالكارثة التى حلت فجأة عليها

وها هى ذى الآن فى مخدعها تحاول النوم فلا تستطيع . ماذا تفعل ، وكيف تتصرف

هى الآن تحت رحمة ذلك الرجل الدميم يهددها وينذرها بالويل ويساومها على عرضها ، ويأبى إلا أن يجعل منها فريسة له . ويجب أن تخضع ، يجب أن تذعن ، يجب أن تسلم ، وإلا أبرز لجاستون وثيقة خيانتها ، تلك الوثيقة التى لو وقعت فى يد زوجها فما لا يقبل الريب أنه سوف يطلقها فتحرم لذات النعيم الذى تعيش فيه ، وترتد فقيرة معدمة كما كانت فيهجرها عشيقها ، يهجرها روبير الجميل الذى تحبه أعظم الحب ، والذى تأخذ من زوجها وتعطيه ، والذى غامرت براحتها وسعادتها من أجله . والحق أن مدام بلانشار لم تكن لتحلم أبداً بهذه الحياة الشائقة المترفة

كانت بائعة أزهار فى أحد أحياء باريس فأحبها جاستون السرى واقترن بها ، وأغدق عليها المال وجعل منها بين عشية وضحاها ملكة من الملكات . ولكنها كانت تحب روبير قبل زواجها ، كانت مفتونة بروبير موظف الحكومة الفقير ، فلما ابتسم لها الحظ وتعرفت الى جاستون ، وسوس لها الشيطان ، فأرادت أن تجمع بين النقيضين : المال والحب ، أرادت أن تكون زوجة جاستون لتسعد روبير وتنقذه من ذل العمل والفقر . فهذه الجريمة التى حاكت خيوطها قبل الزواج ، هذه الخيانة المنكرة التى وطنت عليها النفس منذ أول يوم وطأت فيها قدمها عتبة القصر ، هذا المسلك الشائن القائم على النفاق والغدر يجب أن تدفع ثمنه الآن . يجب أن تدفع

الثمن من جوهر كرامتها ، يجب أن تخون عشيقها كما خانت زوجها ، يجب أن تتبذل وتنحط ، وترضى بأن تكون سلعة للمساومة !

هذا هو انتقام القدر العادل منها ، ولكن كيف تقبل ، كيف تسلم ، كيف تهوى الى مثل هذا الدرك طائعة مختارة ، وكيف يمكن أن تعيش فيما بعد ؟ . ان رؤيا أندريه لتثير فى نفسها أعمق عواطف الاشمئزاز والسخط ، ان مجرد النظر الى وجهه أو سماع صوته أو الدنو منه ، ليلهب الدم فى عروقها ويثير فى أعصابها ثائرة الجنون ، ويضرم فى خيالها فكرة القتل ، ويدفع بها لارتكاب جريمة ؟

ارتكاب جريمة ؟ الاقدام على القتل ؟ نعم ، لم لا ؟ ، أليس فى مقدورها أن تتخلص من أندريه وتستريح؟ اليس فى وسعها وهى الغنية بالمال أن تغرى انسانا بقتله ، أو تدس له سماً فى طعام ، أو تتفق مع روبير على ضربه الضربة القاضية ؟ ، ولكن أندريه رجل ذكى ، رجل متيقظ ، وقد يفطن الى ما يراد به ، فيقابل الشر بالشر ، فترتد الضربة اليها ،أو تتحول فتصيب عشيقها المعبود فى الصميم !

كلا . . . ليس من الحكمة إصابة أندريه ! ليس من الحكمة الاستهداف لمثل هذا الخطر ! ولكن أين هى الحكمة إذن ؟ وماذا يجب أن تفعل مدام بلانشار ، وكيف تتصرف بحيث تبقى على مال زوجها ، وعلى حياتها المترفة ، وعلى عشيقها ، دون ما اكتراث بتهديدات أندريه ؟ وهنا لمعت عيناها ، وامتقع وجهها ، وتولتها رعدة غريبة لا عهد لها بها . شعرت كأن السحب قد انجابت عن ذهنها ، وكأن قوة خارقة سرت فيها ، فابتسمت ، أجل ابتسمت لفكرة رائعة جالت بخاطرها ، وتمثلت فى تضاعيفها الراحة والسعادة والخلاص !

ومن فورها وقبل أن يطغى عليها العقل ويجبرها التفكير الطويل على مراجعة نفسها واعادة النظر فيما عزمت عليه ، نهضت من فراشها ، وفتحت نافذة مخدعها ، واشرأبت بعنقها وجعلت تحدق الى الدرج الخشبي القائم فى احدى زوايا الحديقة والمؤدى الى سطح القصر حيث كن الدجاج الذى اعتاد زوجها زيارته فى كل صباح مرة

وتأملت الدرج الخشبى وذكرت ولع جاستون بتربية الدجاج ، وراهنت بينها وبين نفسها على أن زوجها لابد صاعد كعادته لتفقد الكن عند الصباح ، واستحوذ خيالها عليها ، واستبد بها فرح الخلاص ، وأصبحت بمجمع نفسها ملك فكرتها ، فلم تتريث ، ومضت الى الباب ففتحته فى رفق وانطلقت فى الدهليز المظلم ، والكل نيام ، وأسنانها تصطك ، وبدنها يختلج ، حتى بلغت مطبخ القصر ، فانحرفت قليلا ، ثم اتجهت صوب غرفة مهجورة ملئت بمختلف الأدوات التى تستخدم عادة فى مختلف شئون البيت . وهناك اتأدت وأنصتت لحظة ، ثم فتحت أدراجا وأغلقت أخرى ، حتى عثرت على منشار صغير فأخذته ودسته تحت معطفها ، ثم كرت راجعة حيث باب البهو الكبير المؤدى الى الحديقة . وعند ما شعرت بنسيم الليل يلفحها وتنفذ برودته الى عظامها ، تضاعفت

شجاعتها ، وسارت فى اتجاه السلم الخشبى ، ثم صعدت درجاته فى حذر وبطء ، ولما بلغت الدرجة العالية الأخيرة المؤدية الى السطح وكن الدجاج ، تنحت عنها ، وهبطت الى الدرجات التى تتقدمها ثم انطوت على نفسها وجلست القرفصاء وشرعت تقرض بالمنشار الصغير قطعة الخشب الرفيعة التى تستند اليها أعلى درجات السلم وتتصل بها

وكان الظلام حالكا والنسيم يهب الآونة بعد الاخرى فتصطفق أغصان الشجيرات وكأنها تتعانق لتتهامس ، وانكفأت مدام بلانشار راجعة وقد اندفق الدم الى محياها ، وسرت فى أعضائها شبه حمى ، ولم تسمع أية حركة غير مألوفة بين الأغصان ، ولم تحس وجود شخصين يراقبانها ، هما أندريه وخادمتها ايزابيل

لم تبصر شبح ايزابيل وهى تعدو مسرعة نحو القصر ، ولم تفطن عند ما دخلت مخدعها الى أنها كانت قد تركت بابه نصف مفتوح ، ولم يخطر على بالها أن من المحتمل أن يكون قد دخل مخدعها فى هذه اللحظة انسان غريب واختلس منه شيئاً قد يخونها فى الغد ويفضح سر جريمتها !

وتمددت على فراشها الوثير شبه سكرى بعد أن وضعت أداة الجريمة حيث كانت ، ثم جعلت تتقلب وتتلوى وتفكر . ولم يصرعها التعب ، ولم يأخذ السكرى بمعاقد أجفانها إلا عندما لاحت لها السماء من خلال زجاج النافذة بنفسجية اللون تتهيأ بعد أن ودعت الظلام ، لاستقبال أولى أشعات الشمس . وأما أندريه فقد كان فى تلك الساعة يتناول الوشاح الحريرى الاسود الذى اختلسته ايزابيل من مخدع سيدتها ، ويضم أطرافه بعضها الى بعض ، ويلقى به تحت السلم الخشبى وخلف درجاته الاولى بحيث يستطيع أن يتخذ منه فى غد أبلغ دليل على جريمة مدام بلانشار

وهكذا استغرقت الزوجة المجرمة فى نومها ، بينا كان أندريه يعود أدراجه الى مكتبه فى القصر فى صحبة ايزابيل ، ويقول لها وهو يحاول جهده خنق ضحكته الوحشية المادرة :

— المستقبل لنا ، سأصبح فى غد عشيقها وسيد هذا القصر ، ومن يدرى فقد تتزوجنى . وأما أنت ياايزابيل ، فسأكفل لك العيش الرغد مدى الحياة !

***

واستفاقت مدام بلانشار من نومها حوالى منتصف الساعة الثامنة صباحا ، أى فى نفس الوقت الذى يستيقظ فيه زوجها ، كأن فكرة الجريمة هى التى أطارت النوم من أجفانها وحفزت أعصابها للحركة ، ودفعت بقلبها المخبول الى طلب الراحة والاطمئنان

وكان من عادة المسيو جاستون أن يتناول الشاى فى الحديقة قبل أن يصعد الى كن الدجاج ، فارتدت مدام بلانشار معطفها البيتى وهبطت الحديقة فأبصرت زوجها وقد استفاق مبكراً فى ذلك اليوم على غير عادة يتحدث الى سكرتيره أندريه أمام أقداح الشاى الفارغة ويتهيأ للصعود الى سطح القصر ، وقام بنفسها فجأة أن تمنعه ، أن تحذره من الخطر الذى ينتظره ، أن تغامر بكل شىء

وتنقذه ولكنها لمحت أندريه يرمقها بعين ملؤها الرغبة الحسية الصارخة ، فعضت على شفتيها . ولاذت بمدخر قواها ، وأسلمت نفسها لمشيئة القدر ، وانطلقت تتحدث وتبتسم وتضحك . وزوجها يحدق اليها مستغرباً شحوب لونها واتساع الهالة الزرقاء المحيطة بعينيها ، وأقبلت ازابيل حاملة ابريقاً من الماء الساخن ، وجعلت تعد الشاى وطعام الافطار لسيدتها وفى تلك اللحظة استأذن جاستون سكرتيره وتقدم فى خطى وئيدة وشرع يصعد درجات السلم الخشبى

تفرست فيه مدام بلانشار ، وجحظت عيناها ، وهمت للمرة الثانية بان تهيب به أن احذر وتراجع فالموت واقف لك بالمرصاد ، ولكن موجة عاطفية طارئة طغت عليها ، فجمدت فى مكانها كتمثال ، ولم تستطع النطق بكلمة

وانها لتحدق إلى زوجها ، وصدرها يعلو ويهبط ، والرعب يطوقها ويملأ كيانها ويبتليها بضرب من الشرود النفسى العميق ، واذا بها تسمع صوت الخشب يتكسر ، وترى جاستون وقد استند بيسراه إلى الحائط ، يضرب الهواء بيده اليمنى ويترنح كالشارب الثمل ، ثم يفتح فمه ويرسل صرخة هائلة ، ثم يسقط من أعلى السطح على أرض الحديقة وقد شج رأسه وتفجر منه الدم !

وصاحت مدام بلانشار صيحة مزعجة ، وارتمت على جثة قرينها ، وأهابت بأندريه كى يسرع ويأتى بطبيب

ثم تنبهت وتمالكت نفسها ، واستوقفت أندريه ، وطلبت اليه أن يعاونها هو وازابيل على حمل زوجها إلى فراشه . وكانت جاثية على الارض بجوار الجثة ، تائهة العينين ، مشعثة الشعر ، ملتاثة التقاطيع ، تنتظر ان يصدع أندريه بالأمر . ولكنه قطب حاجبيه ، وأعرض عنها ، وشرع يدور حول الدرج الخشبى ، ويفحصه ويدمدم : « لا أصدق .. لا أصدق ان هذه الميتة طبيعية ! »

وفيما هو يتكلم ويبحث ، تصاعد الدم إلى وجه مدام بلانشار ، واحتدمت عواطفها ، وتملكها الحنق فصاحت : « أسرع بمعاونتى ، وأنت يا ازابيل »

وقبل أن تتم عبارتها برز أندريه من خلف الدرج حاملا بيده الوشاح ، متفرساً فيه ، وهو يصطنع الدهش العظيم المقرون بالاستفظاع والرعب ، وتقدم منها ووضع الوشاح تجاه عينيها وصرخ:

ـــ أليس هذا وشاحك ؟ لقد رأيته على كتفيك مساء أمس !

فوجمت المرأة ، وزاغ بصرها ، واستولى عليها الذهول ، وأحست كأن صاعقة انقضت عليها ، واستشعرت من حركات أندرية وهيئة ازابيل انها قد أخذت فى فخ نصب لها

ولم يمهلها أندريه بل عاجلها بقوله وهو يلهث :

ـــ هذا الوشاح وشاحك ، ولقد وجدته هنا ، فمن ذا الذى ألقى به خلف السلم ؟ ، أنت ؟ أنت ولا شك ، لقد سقط منك سهواً لأنك كنت هنا ، نعم ، كانت هنا يا ازابيل ، جاءت لتقترف الجريمة ، هى التى قتلت ، وهذا هو البرهان ، وأنت الآن شاهدة على ما جنت سيدتك

ثم اصطنع الغضب والاستنكار ، وصعد بعض درجات السلم ، وألقى نظرة فاحصة على الخشب المتكسر وصرخ : « هذا عمل يد خبيثة ! ، كأن الخشب قد قرض بمنشار ! »

وكر راجعاً اليها ودفعها بذراعه واستطرد وهو يجأر :

ـــ كيف فعلت ذلك ؟ ، كيف ؟

وصمت لحظة ثم أردف بلهجة هائلة ملؤها العزم : « إن واجبي يقضي على بأن أبلغ عنك ! »

واستدار وهم بالذهاب ، فتعلقت به مدام بلانشار ، وتشبثت بقدميه ، وجعلت تلثمهما في جنون وهي تبكي وتتوسل : « ارحمني يا أندريه ، انقذني من الفضيحة ، لا تغدر بي ! »

وكان منحنياً عليها يريد التملص منها ، فطوقته بذراعها الناضرة في رفق وهمست في أذنه !

ـــ سأكون لك !

فابتسم ابتسامة خفيفة ، وتنحى عنها ، وتنفس الصعداء

ثم التفت الى ايزابيل ، وقال بلهجة الآمر :

ـــ تقدمي ، ولنتعاون على حمل الجثة !

وحمل كلاهما جثة القتيل وسارا بها إلى مخدعه ، ومدام بلانشار خلفهما ، تنظر إلى زوجها تنتفض ، ثم تنظر الى وجه أندريه فيقشعر بدنها اشمئزازاً ورعباً

وما ان مددوا الجثة على الفراش ، وانصرف أندريه يبحث عن الطبيب ، وغادرت ايزابيل الحجرة بأمر من سيدتها ، حتى استيقظت مدام بلانشار حقاً ، وارتد اليها سلطانها على أعصابها ، وأبصرت نفسها تجاه الحقيقة المروعة وجهاً لوجه !

أحست إحساساً قوياً ساحقاً انها فقدت كل شيء ، أن العدالة قد ثارت منها ، انها لوثت يدها بالجريمة على غير جدوى ، انها ستصبح في غد فريسة ذلك الرجل ، ينتهك حرمتها ويستبد بها ويفصل بينها وبين عشيقها الذي تعبده والذي اقترفت الجريمة من أجله ! ، أحست انها تتخبط بين مخالب القدر ، وأن ليس في نفسها من القدرة على مكافحة الاشمئزاز والرعب ، ما يجعلها قادرة على التبذل والتفريط في عرضها ومنح ذاتها لذلك الوحش الدميم الغادر المدعو أندريه . وتصورت في حالة رفضها ، ذل الفضيحة وعذاب السجن ، فطاش صوابها ، واسودت الدنيا في عينيها ، واستحوذ عليها يأس جارف ، سرعان ما استحال إلى رغبة عميقة في الخلاص ، فلم تتريث ، ولم تفكر ، ولم تنتظر ، وأبت أن تقع عينها مرة أخرى على وجه أندريه ، فنهضت من فورها ، وتقدمت إلى الفراش بخطى وئيدة ، وانحنت على جثة زوجها ، وقبلت عينيه ، ثم تناولت يده الباردة وقبلتها أيضاً ، ثم أسرعت وفتحت نافذة المخدع الكبيرة ووثبت على مقعد ، ثم تلفتت وألقت على الفراش نظرة وداع ، ثم ألقت بنفسها من النافذة ، فسقطت هي الاخرى على أرض الحديقة جثة مضرجة بدمائها !

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

كل الاجناس متطابقة

وليس هناك جنس أرقى من سواه

هل من الحق ما يقوله هتلر عن « الآريين » الخلص ، وما يقوله موسوليني عن « الرومانيين » النقاة ؟

ترى غالبية الباحثين المعتمدين في « علم الانسان » (١) أن ليس بين البشر جنس نقي خالص لم يخالطه جنس سواه (٢) وأنه إذا أمكن حفظ احدى السلالات البشرية نقية من كل دم غريب فانها لن تبلغ السلالات المختلطة قوة وصلاحا

بل إنهم يشكون فيما اذا كان قد وجد في أي عصر جنس بشرى خالص الدم كامل النقاوة ، فالجماعات الانسانية المختلفة تتنازع وتتحارب منذ أقدم العصور ، فيقهر ويغزو بعضها بعضاً ، وتتزاوج وتتربى معاً ، فتختلط وتمتزج سلالاتها على مر الأجيال ، وقد ازداد تداخل الجماعات الانسانية وامتزاجها حين بدأ الأوربيون منذ أربعة قرون يزحون وينتشرون في أرجاء أمريكا وافريقية وآسيا وأستراليا وغيرها من البقاع التي كشفوها حديثاً

والواقع المقرر أن الانسانية كلها تكون جنساً واحداً ، وأنه يتعذر التمييز بين الجماعات البشرية لانها تنتمي كلها الى أصل واحد ، وهذا الذي يقرره ثقات العلماء قد أيده العالمان الأنجليزيان الكبيران « هكسلي وهارون » في كتابهما الأخير « نحن الاوربيين » الذي أكدا فيه أن ليس بين الاجناس والجماعات الانسانية حدود فاصلة قاطعة ، فقالا فيه : « ان الابيض (النموذجي) يختلف عن الصيني (النموذجي) وعن الزنجي (النموذجي) ، ولكنه مع هذا مرتبط ارتباطاً وثيقا بالأصفر وبالاسود في جميع النواحي » ثم يقولان : « ان التحليل العلمي للجماعات الانسانية يرينا أن ما بينهما من الاختلاف يناقض تماما ما يقع في فصائل الحيوان من التفاوت ، هذا إلى أن

ما يحدث بين البشر من الهجرة بين الأقاليم ، ومن التزاوج بين الشعوب ، يجعل من الخطأ أن نعتبر احدى الجماعات « جنسا » متميزاً عن سواه

« واذن فهؤلاء الساسة الذين يزعمون أن بعض الجماعات أرقى وأكفأ من سواها ، أو أن بعضها أدنى وأضعف من غيرها ، قد انحرفوا كثيراً عن جادة الحق الذى يقرره العلماء ــ وهو انه ما من جماعة انسانية يمتاز جميع أفرادها بالصفات العالية ، أو يتسم جميع أفرادها بالصفات الوضيعة ، بل كل منها خليط أو مزيج من جميع العناصر المحمودة والذميمة

« فالجنس الابيض مثلا يتألف من ثلاث جماعات كبيرة : (جماعة النورديين) وهم أهل الشمال الذين يمتازون بطول القامة ، وقوة العضل ، وزرقة العيون ، ونعومة الشعر ، وطول الهامة . و (جماعة البحر الابيض المتوسط) ويتميزون بضعف أجسامهم ، وقصر قاماتهم ، وطول رؤوسهم ، وبسواد عيونهم وشعورهم . و (جماعة الألبيين) وهم متوسطون فى الطول ، ويميلون الى الاكتناز ، وشعورهم داكنة ، ورؤوسهم عريضة ، وعيونهم سوداء أو خضراء أو رمادية . وليست هناك حدود فاصلة بين هذه الاقسام ، فكثيراً مايتشابه بعض أفرادها ، فترى من النورديين من يشبهون الألبيين فى عرض الرأس ، ومن هؤلاء من يشبهون الآخرين فى شقرة البشرة وطول القوام . ومن هذه الجماعات الثلاث الكبرى يتألف جميع البيض من سكان أوربا وأمريكا ، والذين يزعم بعض الساسة ان منهم من يرجع الى أصل آرى خالص ، بل ان دماءهم تمتزج كذلك بدماء بعض العناصر الاخرى التى وفدت الى اوربا من أنحاء الشرق والجنوب »

ويقول الاستاذ هكسلى : « ان هناك شعباً المانياً ، وهناك لغة المانيـة ، وهناك ثقافة المانية ، ولكن هذه الجماعة المتميزة بلغتها وبثقافتها لا تؤلف (جيشاً) واحداً نقى الدم خالص الطبيعة ، وإنما تتألف من عناصر الجماعات الثلاث التى ذكرناها ، مضافا اليها قطرات من دم الغجر واليهود والمغول »

وقد سبق هكسلى الى هذا الرأى العالم الفرنسى « دى كواترفاج » الذى أعلن أيام ان غزت جيوش بروسيا ارض فرنسا فى حروب السبعين ان البروسيين من الناحية الجنسية قرناء القبائل المغولية ، فهم لهذا يعدون وسط الشعوب الأوربية الخالصة جماعة من الدخلاء المتبربرين . وقد أيد هذا الرأى فريق من كبار العلماء ، فمنذ شهور قليلة ألقى الاستاذ جريفث تايلور(١) محاضرة أمام المجمع البريطانى لتقدم العلوم ، أكد فيها أن الدم المغولى سرى فى عروق الالمان وعروق بعض الشعوب الاوربية الأخرى ، وأن من المرجح ان الالمان الأول كانوا يتكلمون إحدى اللغات المغولية

---

(١) راجع هلال ديسمبر ١٩٣٨ باب العلم والعالم



(١) يقول العالم إن أجناس البشر قد اختلطت وامتزجت معاً ، فلا يتيسر تمييز أفرادها تمييزاً دقيقاً ، ويدلك على ذلك هذه الوجوه الثلاثة التي قد لا تستطيع معرفة الأجناس التي تنتمي اليها



(٢) وهذه الفتاة الجميلة ترجع الى أي جنس يا ترى ؟

(٣) إيطالية ؟ أم إغريقية ؟ أم ماذا ؟

(٤) وما عسى أن تقول عن جنس هذه المرأة ؟

[قارن اجابتك بالاجابة الصحيحة المنشورة في صفحة ٥٨٤]

وكذلك لا يقر أكثر العلماء هذه الدعوى الزائفة عن تفوق الآريين على سائر الاجناس ، فيقول الاستاذ « هـ . ج فلير » من كبار العلماء البريطانيين بان ما يدعيه بعضهم من أن أصل الانسان وأرقى أجناسه يمتاز ببياض البشرة أو شقرتها ، وأن الاجناس الاخرى جاءت وليدة التزاوج بين هؤلاء البيض الممتازين وما عداهم من الاجناس الملونة الوضيعة ، ليس الا حديث خرافة ينتحل اسم العلم

ويقول الاستاذ يوجين بيتار من علماء جامعة جنيف ان ما يقال عن أجناس العالم ، وتفاوت بعضها وارتقائه ، واختلاط بعضها وانحطاطه ، لا يرتكز على أي أساس علمي ، ولا يؤدي الا الى

هذه الكراهة التى تقسم العالم أشياعاً متنافرة تضطرم فى صدورها نار الحقد والعداء

والعلم والتاريخ ينبئان بان الاختلاط بين الجماعات الانسانية يؤدى الى تنشيط موهبة الذكاء ، وهى أول ملكة يعتز بها الانسان . ويقول الاستاذ « فلير » ان انجلترا مدينة بأكثر قوتها ، بل بكل قوتها إلى أنها لا ترجع الى جنس موحد الأصل خالص الدم ، بل الى خليط من الشعوب والجماعات المختلفة . وكذلك الهولنديون يرجعون إلى أجناس مختلطة ممتزجة ، كما أنهم فتحوا بلادهم وبيوتهم لكل الجماعات المضطهدة فى أرجاء أوربا ، ولهذا تراهم من أقل شعوب العالم فى عدد الأميين وفى نسبة جرائم القتل وحوادث الانتحار ، وفى مقدمة أمم العالم كلها خلقاً وذكاء ونظاما

والحضارات الكبرى التى قامت فى العهود القديمة لم تقم بها الاجناس التى حافظت على عزلتها ولم تختلط بسواها ، بل أنشأتها وأقامتها الاجناس المختلطة الممتزجة ، مثل الاغريق والرومان . وكذلك الصين فى أزهى عصورها ، وهو عصر أسرة « تشو » الذى بدأ حوالى العام الألف قبل الميلاد . وأوضح من ذلك فى الدلالة على صحة هذا الرأى ، الحضارة التى قامت فى بابل منذ ستة آلاف سنة على أيدى « السامريين » الذين كانوا يتألفون من ثلاث جماعات : احداها وفدت من الشمال ، والثانية جاءت من الشرق ، والثالثة كانت تعيش فى أرض سورية . فامتزاج هذه العناصر المختلفة السلالة هو الذى أنجب هذه الحضارة التى يعدها بعض المؤرخين أولى حضارات العالم ، وأول جنس انتقل بالانسانية من طور الهمجية الى طور المدنية

[خلاصة مقال للدكتور واشنجتون بيت فى مجلة ذى امريكان ويكلى]

ذكر أم أنثى ؟

هل ينجح الطب فى تحديد جنس الجنين ؟

حاول الانسان منذ بدء الحضارة أن يتنبأ عن جنس الجنين المنزوى فى احشاء الحامل ، وفكر العلماء والاطباء القدماء فى وسيلة يحددون بها جنسه وفق مشيئة الانسان ، فكان « أبقراط » يزعم أن الوليد يجىء ذكراً اذا كان أبوه أوفر من أمه قوة وأصح بدناً ، فان أراد أولاداً فليتزوج امرأة ضعيفة هزيلة ، وان أراد بنات فليقترن بامرأة ممتلئة فارهة

وانتشرت بين الجماعات خرافات غريبة من هذا القبيل ، ما يزال بعضها باقياً حتى الآن ، فى التيرول يلوث الأب جسمه بدم الأرنب ان أراد أن ينجب ولداً ، ويدهن الأوزة ان أراد أن

يجيء بنت . وفى الصرب تسرق الحامل من جارتها آنية تشرب منها أو تغتسل فيها ان أرادت أن يكون وليدها كآخر وليد وضعته جارتها

على أن الأمر لم يبق فى دائرة الخرافات الشعبية ، بل انتقل فى السنوات الأخيرة الى أيدى العلماء ، فنجد الاستاذ « أوتر برجر » الطبيب الالمانى الكبير يعلن فى مقال كتبه سنة ١٩٣٠ أنه وجد بعد مباحث طويلة وتجارب متعددة أن استحمام الحامل بالسوائل القلوية يؤدى الى أن تلد ذكراً ، وقد نجح هذا الطبيب فى اثبات نظريته فى أربع وسبعين حالة ، ولكن العلماء لم يسلموا بآرائه ولم ينتهوا فيها الى نتيجة حاسمة

ومن أهم التجارب التى أجريت لتحديد جنس الجنين ماقام به الطبيبان الشقيقان هارولدتايلور وجوردون كروان تايلور من أطباء مستشفى سانت جورج بلندن ، فقد أثارا اهتمام العلماء حين أعلنا فى سبتمبر سنة ١٩٣٤ أنهما قد استطاعا أن يكشفا وسيلة تحدد جنس الجنين وفق مشيئة الحامل

وقد ذكر هذان الطبيبان فى مقال نشرته المجلة الطبية الانجليزية « ذى لانست » ما يأتى :

« من المتفق عليه أن البذرة التى ينشأ منها الانسان تنقسم قسمين : أحدهما يمثل الذكورة والآخر يمثل الأنوثة ، وقد أثبتت التجارب التى أجريت فى ألمانيا أن المواد القلوية تؤدى الى تقوية بذرة الذكورة ، بينا تؤدى المواد الحمضية الى اشتداد بذرة الانوثة . وهذه هى القاعدة التى أقمنا عليها بحثنا ، ولا نستطيع ان نؤكد أننا قد وصلنا الى نتيجة قاطعة رغم اننا وفقنا فى آلاف وآلاف من الحالات ، وقد أثبتنا صحة تجاربنا فى ٨٠ ٪ من الحالات التى عالجنا »

وقد سئل احد هذين الطبيبين : « هل آن للام ان تسأل الطبيب ان يولدها ذكراً فلا يعجز الطبيب عن اجابة سؤلها ؟؟ »

فقال : « لم يؤن هذا حتى الآن ، ولكنى لا أظن أن تحقيق هذه الفكرة يتأخر كثيراً ، فانا نجحنا فى الحالات التى اتبع فيها الأبوان نصائحنا بكل دقة ، ولم نخفق إلا فى الحالات التى اهمل فيها الوالدان تنفيذ آرائنا تنفيذاً كاملا »

هل يتحقق حلم الناس القديم بفضل العلم الحديث لنرى مدى ما قطعت الانسانية فى طريق الحضارة من اشواط ، حين نذكر ان الفيلسوف ارسطاطاليس كان يعتقد ان الأم تلد ذكراً اذا هبت ريح باردة تأتى من الشمال . . !

[خلاصة مقال فى مجلة فاكت دايجست]

ماترلنك وفكرة الموت

أو فن احتمال الشيخوخة



هذا شبه اعتراف أفضى به الى نفسه الكاتب والفيلسوف البلجيكى موريس ماترلنك وحاول فيه أن يرسم صوراً صادقة من مختلف العواطف التى جاشت فى صدره ، وشتى الأفكار التى طافت بذهنه ، وأثارها خيال الموت وعذاب الشيخوخة ، قال :

« الموت واقف لى بالمرصاد ، وأيام الشيخوخة تعصف بى وتمر بحياتى ، ومن واجبى أن أستقبلها وأوطن النفس على احتمالها وأعرف كيف أعيش معها

« والواقع أنى أجد فى الشيخوخة سعادة غريبة ما كنت لأحلم بها

« أنا اليوم فى غير حاجة الى نفسى ، وكأن هذه النفس قد بدأت تفر منى ، وكأنى أعيش بمعزل عنها ، وكأن سعادتى قد أصبحت فى تجردى منها ، والاتجاه فى صفاء نحو العدم والفناء

« وليس شك فى أن الشيخوخة حسرة مرة ، ولكن هذه الحسرة لا تخيفنى ، وعذابها لا يحيرنى ولا يقلقنى

« لقد جردتنى من قدرة الشباب ، قدرة الشباب على الاستمتاع ببعض الملذات العنيفة القوية ، ولكن هذه اللذات نفسها لم تعد تؤثر فى ، ولم أعد أحبها ، بل لقد جاهدت من زمن طويل للتخلص منها ، وهكذا بت اليوم قليل الشعور بوطأتها غير أسيف على تبددها وضياعها

« وصحيح أن الموت يرمقنى ، وطيفه يتحين الفرص للايقاع بى ، ولكنى قد ألفت الموت أيضا ، ولم أفصله قط عن حياتى ، ولم أنفك أحدق اليه ، وفى وسعه أن يأتى ، فانا لا أخشاه كما أنى لا أخشى الشيخوخة ، ولا أفكر لحظة فى التبرم بها أو محاولة الانتقاص عليها

« لن أبدل مجرى حياتى ، لن أبدل نظام عملى ، لن أحول فى هذه اللحظات الأخيرة اتجاه تفكيرى . سأظل أحيا كما كنت بالأمس أحيا ، وسأظل أفكر كما كنت بالأمس أفكر ، ولن أهاب الموت لأنى ما فتئت أعمل وأفكر كما لو كنت سأموت غدا !

« لم أظلم أحداً ، ولم ألحق الأذى بأى مخلوق ، فليس من واجبى والحالة هذه أن أكفر اليوم

عن ذنوب اقترفتها بالأمس ، عن ذنوب تعكر على صفائى ، وتسمم جو شيخوختى ، وتخيفنى من ظلمة الموت . ولهذا السبب لا أعتقد أنى سأبدل فى اللحظة الأخيرة أفكارى ، فأتطور فجأة ، وأصبح أمام الموت رجلا آخر

«وينبغى أن أصرح بأنى كنت فى شبابى كمعظم الناس ، عللت نفسى بآمال كبار ، وبنيت القصور ، والعلالى ، وحلمت بتحقيق أعمال رائعة لا تتناسب مع قوى ذهنى وحدود انسانيتى

« أجل ، سعيت وراء الوهم الساحر الأعوام الطوال ، ولكن الشيخوخة علمتنى اليوم معنى التواضع ، وأرشدتنى الى حدود قواى ، ولا أظن انى سأنهك فى الغد عقلى وخيالى فأحاول ـ والموت ينتظرنى ـ أن أتخطى تلك الحدود واستعيض عن لذة القناعة بحمى الكبرياء

«لقد أديت واجبى على خير وجه وأكمله ، أديته فى أقصى حدود المستطاع ، فاذا كنت لم أتفوق تفوقا عظيما ، واذا كنت قد عجزت عن الاتيان بالخوارق ، فذلك لأنه لم يكن مقدراً لى ان افوز بأكثر مما فزت ، ولم يكن مقدراً لطبيعتى أن تستحق أكثر مما منحت

«والحق أنى حاولت اجتياز الحدود التى فرضها القدر على ،جاهدت فى هذا السبيل جهاد الابطال ، ولكنى عبثاً جاهدت ، عبثاً جاهدت لاقتحام تلك المنطقة التى كنت أعلم علم اليقين ان أعظم ما أجهل ، أو صفوة ما أريد أن أعرف ، كامن خلفها

« ومع ذلك فسأجرب ، سأجرب اجتياز تلك الحدود مرة أخرى ، ولو أن شيخوختى تويئسنى والموت الغادر يحدق إلىّ . سأجرب ولكن فى غير إعنات ، فى غير كبر أو حسرة أو غضب ، سأجرب لأن الحياة جهاد متصل ، ولأن الجهاد فرض مقدس يجب أن نؤديه فى ابتهاج حتى النفس الأخير

« ولسوف يعزينى ، أن هناك من سيقوم بعدى بأعظم مما قمت به . هناك من سينظر الى أبعد من أفقى ، ويتجه فى طريق أرحب وأطول من طريقى ، ويجاهد ليحقق ما لم أوفق اليه برغم صبرى وعملى وكفاحى ، ونيتى الحسنة التى تشهد بها كل صفحة من صفحات حياتى

« وصفوة القول أنى لم أرتكب شراً ، إلا اذا كان البحث عن الحقيقة يعد شراً ، ولم اعمل خيراً إلا اذا كان البحث عن الحقيقة يعد فى نظر الناس خيراً ، فاذا أراد أحد أن يحاسبنى ، فليتقدم ، وليعلم أن ماضى حياتى يخولنى ان احاسبه أيضاً ، أن أحاسبه حسابا قد يكون فيما أعتقد صارماً وعسيراً

« فانا كما قلت لم اظلم أحداً ، ولم أفكر فى الاساءة الى أحد ، ولم أدخر وسعاً فى سبيل تأدية واجبى . وضميري لايؤنبنى على شىء ، وحياتى عامرة بارادة التفوق على نفسى ، وهذا هو فى الواقع مايسهل على احتمال شيخوختى ، ويجعلنى اعيش مؤتنسا بالموت . لا أخافه وان كنت لا أتعجله ، ولا

اتبرم به لأنى طالما ادمجته فى حياتى ووطأته كتفى ونظرت اليه مواجهة فى غير حسرة أو هيبة أو استنكار أو حنق

« ولقد كان الفيلسوف المتأمل (سنيكا) مؤدب الامبراطور نيرون يقول: « ان لذة الشيخوخة هى فى شعورك بانك لم تعد فى حاجة لأية لذة ، فاذا كان لك من حكمتك قوة تعاونك على فهم هذه الحقيقة ، واذا تأصل فيك شعور الاكتفاء هذا فقد صفت نفسك ، أو ارتقت مداركك ، وتهذبت انسانيتك ، وأصبحت أنت الرجل السعيد ! »

[خلاصة مقال للفيلسوف البلجيكي موريس ماترلنك]

التعصب الوطنى

ومستقبل الحضارة

ان موجة التعصب الوطنى تكاد تطغى على معظم شعوب أوربا فى هذه الأيام فالعقائد الدينية تنتهك حرماتها باسم الوطنية ، وفوارق الأجناس والعناصر تتخذ ذرائع للتنكيل والبطش باسم الوطنية ، وحرية الفرد وحقوقه وكرامته تخنق باسم الوطنية ، والشعب بأجمعه يحشد فى معسكرات وتفرض عليه الطاعة العمياء لزعماء الدولة باسم الوطنية

فالوطنية المتعصبة الحديثة أصبحت أشد خطراً على الحضارة من كل دعوة فوضوية أو نزعة إباحية أو مبدأ اشتراكى متطرف فى أساليبه وأغراضه

ولقد كانت غاية الحضارة بالأمس غرس روح التسامح والانسانية ، واقرار حرية الفرد تجاه الدولة ، والسماح للفرد باستخدام هذه الحرية لمعارضة الدولة فى حدود النظام والقانون

وكان الفرد يحترم لنفسه مهما تكن عقيدته أو لون جلده ، وكان لا يؤاخذ الا على عمله ولا يحاسب الا على ما قدمت يداه

أما اليوم فالصالح يؤخذ بجريرة الطالح ، والابن يكفر عن سيئات أبيه ، والاب يكفر عن انتسابه الطبيعى الى جنس معين ، والجنس يكفر عن أصله الذى لا حيلة له فيه

فالتعصب الوطنى يضيق الآفاق الفكرية والروحية التى جاهد عظماء العالم الأوربى منذ عصر النهضة فى سبيل رحابتها واتساعها ، وهو إلى ذلك يفرق بين عناصر الامة الواحدة ، ويفقد الأمة مجموعة ثمينة من القوى العاملة هى فى أشد الحاجة اليها ، ويؤلب الشعوب على بعضها بعضا ، ويستحيل

فى نفوس الافراد الى شبه تعصب دينى ترتكب باسمه منازعات واضطهادات ، وحروب كتلك التى كانت تنشب باسم الدين فى القرون الوسطى

والواقع أن الحضارة تتجه اليوم فى طريقين متعارضين ، فبينا العلم الحديث يؤلف بين أطراف العالم ، ويحاول بالسيارة والقطار واللاسلكى أن يجعل من العالم شبه وحدة انسانية حية ، بينا يتجه العلم فى هذا السبيل ، اذ تتجه النظريات الاجتماعية والسياسية والثقافية فى طريق معارض ، تتجه صوب الانكماش والانطواء والاكتفاء بالنفس وكراهية الاجنبي العامل وعرقلة كل سعى شريف يقوم به الاجنبى ليتأقلم بالبيئة التى يعيش فيها ويخدم الوطن الذى يحمله ويغذيه

ولقد كانت أوربا تنظر الى الأمة باعتبار انها مجموعة أفراد ساهموا أجيالا طويلة فى جهود رائعة ، وقاموا من أجل مجد الأمة بسلسلة تضحيات تفوقوا فيها على آرائهم الشخصية ، وفوارقهم الدينية والعنصرية ، وانتهوا فيها إلى المصلحة المشتركة والخير العام

أما اليوم فبعض دول أوربا تكره الذى يسعى لخدمتها وان كان فى الاصل من صفوة أبنائها ، تكرهه وتطارده ثم تلفظه ، ثم تحرم على أبنائها الشعور بأى فارق فكرى ، ثم تصبهم فى قالب واحد ، ثم تخضعهم لنفوذ الدولة ، ثم تعلمهم ان الخير فى الطاعة ، وان المجد الوطنى لا ينحصر فى خدمة الوطن وفق أهواء الفرد ووفق احساسه المستقل بالخير والحق والعدل ، بل وفق مشيئة الدولة ورغبتها ، سواء أكانت على خطأ أم على صواب

ومقابل هذه الطاعة العمياء ، وهذا الفناء الفكرى ، تقدم الدولة للشعب غذاء معنوياً هو ذلك التعصب الوطنى الذى يشيع فى النفس حمى الزهو الباطل والكبرياء الفارغة ، والذى يشيع فى الخيال الملتهب نشوة العنف وأحلام الفتح والاستعمار والسيادة

والحق أن الشعوب الاوربية المتعصبة أصبحت لا تفكر بل تردد ما يلقن اليها ، ولا تأمر بل تأتمر ، ولا تسوق بل تساق ، ولا تأكل بل تتسلح . فانحطت حضارتها ، وهبط انتاجها الفكرى إلى حده الأدنى ، وفقد فيها الفرد المثقف راحته وأمنه ، وشاعت بين صفوفها رذائل المحسوبية والتجسس ، وبات أهلها من خوف الغد فى خوف عميق تداريه مظاهر البطولة العسكرية التى لم تعد تخدع إلا أصحابها

فهل يمكن أن تقبل حضارة الغرب الى زمن طويل هذه الروح الوطنية المتعصبة التى تناقض جوهرها ؟ أم ان هذه الروح ستخلق فى الغد حضارة جديدة لا عهد لنا بها ؟

نحن فى الواقع فى مفترق الطرق : الدول الديموقراطية تدافع عن حضارة الغرب كما تفهمها باعتبار انها جهاد مطرد فى سبيل تقدير معنى التسامح والانسانية ، والدول الديكتاتورية تدافع عن كيان الدولة باعتبار ان التعصب للدولة هو مصدر كل رخاء وسعادة وتقدم لأبنائها

ولكن عناصر الرخاء والسعادة والتقدم ، هذه العناصر الموهومة ، يجب أن تحرزها الشعوب

التى يحكمها الديكتاتور ، بتضحية حرياتها وتضحية كرامتها وتضحية حقها فى التفكير والمعارضة

فهل هـذه الشعوب مستعدة لاحتمال هذه التضحية الى ما شاء الله ؟ هل هى متأهبة لانكار ماضيها وإنكار أصول حضارتها واتخاذ عبادة الدولة قاعدة لبناء حضارة جديدة ؟

تلك هى المسألة !

ان الديكتاتور يظل على رأس شعبه ما بقى هذا الشعب جائعاً نهماً متطلعاً إلى الفوز بقسطه المشروع من نعم هذه الدنيا

فمتى أصاب الشعب هـذا القسط وشعر بأنه قد اكتفى ، وبأن قواه لم تعد تساعده على الفوز بأكثر مما فاز ، فعندئذ ، وعندئذ فقط قد يتبرم بالديكتاتور وينقلب عليه ويرتد الى ماضيه ويحس واجب احياء حضارته ونبذ عاطفة التعصب الوطنى الممقوت والاتجاه صوب التسامح والانسانية

واذن فشعوب أوربا الواقعة تحت نير الديكتاتورين لا بد أن ترتد من تلقاء نفسها إلى حضارة الغرب عند ما تشعر أن الديكتاتور قد أنجز مهمته وأعطاها كفايتها

ولكن الديكتاتور قد يقاوم ، وهنا مركز الخطر

قد يلوح الديكتاتور بأحلام جديدة ، ومطامع جديدة ، وقد يستند إلى ما فاز به ليزداد مطالبة بأكثر منه ، وقد يمعن فى إلهاب التعصب الوطنى تحقيقاً لآمال خيالية بعيدة لا يتناسب التلويح بها مع قدرة الشعب على الجهاد فى سبيلها

اذا سلك الدكتاتور هذا المسلك استهدف لثورة أهلية وقوض بنفسه الصرح الذى شاده بيده ، فتجددت بالرغم منه حياة شعبه ، وعاد هذا الشعب الى الايمان بمبادىء الحضارة التى كان يؤمن بها أسلافه

فالتعصب الوطنى ، ومختلف العوامل النفسية التى تصدر عنه كعبادة الدولة وانتهاك حرية الفكر وجنون النزعات العنصرية ووهم البطولة وكبرياء المجد الحربى ، هذه الظواهر التى تلوث اليوم الحضارة الاوربية وتشوه أوضاعها وترتد بالعالم قرونا الى الوراء ستزول آثاها يوم تصيب بعض شعوب أوربا كفايتها على أيدى الديكتاتورين الذين يحكمونها

[خلاصة مقال فى مجلة « نوفوكابيه »]

مدرسة الزعماء

كيف تربي المانيا زعماء المستقبل

رأت المانيا أن تربي جماعة من الشباب وفق مبادىء وأساليب خاصة تخلق منهم « زعماء » يتولون أمر فرق « النازى » وهيئاته ، وذلك بعد أن تبينت أن الجيل الالمانى الحاضر قد نشأ على آراء ومبادىء لا تلائم - بل تناقض - فكرة « النازى » وفلسفته ، فليس فيه من يصلح لتزعم الجيل الناشىء الذى تعده المانيا لحياة جديدة

فأنشأت لهذا أربع مدارس سمتها « قلاع النظام » وجعلت كلا منها فى منطقة تمثل ناحية خاصة من نواحى الحياة فى المانيا ، ويقضى التلميذ فى كل مدرسة سنة واحدة ، فاذا انتهى من دراسته كان ملماً بجميع وجوه الحياة ونظم المعيشة فى بلاده

وتختار هذه المدارس طلابها من أحسن شباب المانيا ذكاء وروحاً ، ومن أنسبهم للرياسة والزعامة . وينتخب هؤلاء الطلاب على درجتين ، إذ يختارون من بين تلاميذ مدارس « أدولف هتلر » التى تضم أذكى تلاميذ المدارس الثانوية

وأول ما ترمى اليه التربية فى « قلاع النظام » رياضة النفس على العنف والشقة ، وأخذها بالخشونة والحرمان ، فرغم أنه يشترط فى التلميذ أن يكون متزوجاً قبل التحاقه بالمدرسة ، أو أن يتزوج فى أثناء دراسته ، إلا أنه يقضى سنوات الدراسة الأربع بعيداً عن أهله وبيته ، فيما عدا اجازات قصيرة فى الأعياد والمواسم الكبرى ، وهم مع هذا يخضعون لنظام خلق وصحى دقيق يمنعهم من كل ماتدفع اليه نزوات الشباب

كذلك تعنى « قلاع النظام » برياضة تلاميذها على أشق الألعاب وأخطرها ، فيجب أن يتعلم التلميذ قيادة الطائرات ، وأن يلقى بنفسه فى الفضاء - فى أول مرة يركب فيها الطائرة - بواسطة مظلات الهبوط « البراشوت » ، ويجب أن يقذف بنفسه فى أحواض السباحة - حتى ولو كان يجهل العوم - من علو ثلاثين قدماً ليتدرب على ملاقاة الأخطار الشديدة

ويجب أن يمارس جميع الألعاب الرياضية العنيفة ، مثل تسلق الجبال ، والانزلاق على الثلوج ، وركوب الجياد ، والمبارزة والملاكمة . . الخ

أما من الناحية النظرية فيتجه هم هـذه المدارس الى تثبيت نظرية « تفاوت الاجناس » فى أذهان الطلاب ، ليؤمنوا أن الانسانية درجات يتربع الالمان على أعلاها ويقبع اليهود فى أدناها . وكذلك تدرس هذه المدارس تاريخ المانيا معنية بتمجيد دقائق الحركة النازية ، مهتمة بتعظيم رجالها ، أما الأدب والفلسفة واللغات الاجنبية فلا مكان لها فى منهاج هذه المدارس

وبهذا ترمى « قلاع النظام » الى ثلاثة أهداف : بناء أجسام متينة لا يجهدها التعب ولا تضنيها المشقة ، وخلق أذهان تؤمن أثبت الايمان بنظريات النازى السياسية والجنسية ، وتكوين جماعة من الزعماء والرؤساء يستطيعون أن يحلوا ما يعرض لهم من العقد والمشاكل بواسطة غريزتهم وشعورهم ، لا بواسطة عقلهم وتفكيرهم - أى صب هذه الجماعة فى قوالب حربية تنشئهم أقوياء أشداء ، وخلق ملكة خاصة فيها تحل محل « الفكر » الذى يتمسك به الفرد العادى

وتتوزع ساعات اليوم فى « قلاع النظام » هكذا :

الساعة السادسة صباحاً : الاستيقاظ من النوم وتمرينات الصباح الرياضية

الساعة السادسة والربع : الاستحمام وارتداء الملابس

الساعة السابعة : التدريب العسكرى وتحية العلم والافطار

من الساعة الثامنة الى منتصف الساعة العاشرة : العمل الاجماعى

الساعة العاشرة : محاضرات

الساعة الثانية عشرة والربع : التدريب العسكرى وتناول الغداء

منتصف الساعة الثالثة : الالعاب الرياضية

من الساعة الخامسة الى منتصف السابعة : التدريب العسكرى وتناول العشاء

الساعة العاشرة : الايواء الى الفراش

وتوجه هذه المدارس أقصى همها الى أن تحيا طلابها الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والعشرين والتاسعة والعشرين حياة حاسمة طاهرة ، يضحون فيها بالرغائب العادية التى ينبغى أن يتنزه عنها من يعدون أنفسهم للقيادة والزعامة

والغاية التى يرمى اليها النازى من انشاء هذه المدارس أن يخلق جيلا يؤمن بمبادىء الوطنية الاشتراكية التى تقوم على اخضاع الفرد واستغلاله ، لمصلحة الشعب وخدمة الدولة ، فهى لا تقر نظرية الحرية الفردية ، وتعدها مبعث الفوضى ومصدر الاضطراب ، ولا تقبل فكرة الحكم الديموقراطى ، وتعده مضيعة للوقت واضعافا لقوى الدولة ، وانما تؤمن بأن ليس للفرد قيمة ذاتية وأنه لا يساوى شيئاً إذا لم يكن أداة تخدم المجموع . أما « الحزب » فهو عماد الدولة ، لهذا يجب أن يتولى ادارتها وتوجيهها ، ويجب أن يشرف على تنشئة ابنائها وإعدادهم ، ويجب أن يبعد عن جسمها كل عضو يعطل حركة سائر أعضائها لأنه وحده الذى يعرف ما تقتضيه حاجتها وما تطلبه مصلحتها

أما المجتمع فيجب أن يؤلف كياناً موحد الاصل والجنس ، يشبه خلية النحل فى نظامه وتدبيره ، فلا فارق بين فرد وفرد مهما اختلفا فى الاصل والنشأة ، أو فى المال والتعليم ، بل الجميع سواسية فى خدمة الدولة والاستفادة منها . وإذن فكل صبى فيها بلغ سن العاشرة يجب أن ينتظم فى جماعات

« الشباب الهتلرى » ثم ينقل منها الى معسكرات العمل ، ثم يرقى منها الى كتائب الجيش ، ثم ينضوى أخيراً تحت لواء هيئة من الهيئات « النازية » المتعددة

ويجب إذن ألا يسعى المرء الى تكوين شخصية فردية مستقلة ، بل يجب أن يندمج فى المجتمع فيصير حجراً من بنائه ، أو فرداً من « القطيع » كما قال نيتشه . وبذلك يتألف مجتمع مثالى يتزعمه ويقوده جماعة كل امتيازهم ينحصر فى نقاء دمهم وتأصل طبيعتهم ، وفى قوة بدنهم وصفاء روحهم ، وهذه هى مهمة « قلاع النظام » الالمانية

[خلاصة مقال بقلم ج . ف . أنجيلوز فى مجلة مركير دى فرانس]

البقرة تفقر شعباً

مأساة عبادة البقر فى الهند

يعيش على الارض زهاء ٦٩٠,٠٠٠,٠٠٠ بقرة ، منها ٢١٥,٠٠٠,٠٠٠ بقرة فى الهند وحدها أى أن كل مائة هندى تنافسهم وتزاحمهم على خيرات الارض ستون بقرة ، فتكون النتيجة ألا يجد البشر ولا البقر ما يحفظ الرمق إلا بجهد وعناء

والمفروض أن يكون الشعب الهندى الذى يسمو بهذا الحيوان الى مرتبة التقديس والعبادة ، أوفر الشعوب نصيباً من انتاجه ، إذ أن نشأة هذه العقيدة الدينية انما ترجع الى الدافع الاقتصادى ، ولكن الواقع أن البقرة الهندية أقل الأبقار انتاجاً ، وأن الشعب الهندى من أقل الشعوب استهلاكا للألبان ، وذلك لأن هذه الملايين من الابقار التى لا تجد فى أرض الهند مايكفى غذاءها أبقار هزيلة عجفاء لا يقوى أكثرها على العمل والانتاج

وفى وسع الهند أن تعالج هذه المشكلة الخطيرة التى يرجع اليها بعض ما تقاسى من فقر وشقاء ، لو أنها كفت عن تربية الابقار الضعيفة الهزيلة ومنعتها من التوالد والتكاثر ، ولكن كيف يمكن هذا فى بلد يؤله الابقار ويتعبدها ، ويأبى إلا أن يطلق حبلها على غاربها ؟

ولو أن شعباً آخر واجه هذه المشكلة لسارع دون تردد الى ذبح كل ما يفيض عن حاجته من البقر وأكل هذه الذبائح ، ولكن الهندوس يحرمون أكل اللحم تحريماً قاطعاً ، وليس فى الهند من يأكل اللحم سوى المسلمين والاوربيين ، وهم على قلتهم لا يلذ لهم أكل اللحم فى هذا الاقليم الحار كما يلذ فى البلاد الباردة والمعتدلة ، هذا الى أن القاطعات الهندوسية تحرم على المسلمين والاوربيين ذبح الابقار ، وتتركها تهرم وتمرض حتى تموت الميتة الطبيعية . وينشىء الهندوس

حظائر ، يسمونها « جوشلاس » و « بنجرابولز » تأوى اليها الأبقار المسنة والمريضة والضالة ، فتطعم وتسق حتى تموت ، فيلقى بجثتها الى الكلاب والذئاب والضباع ، أو الى بعض الطبقات الدنيا من المنبوذين الأنجاس

وما من نصيحة ينكرها الهنود ويأبونها مثل النصيحة بذبح ما لا نفع فيه من الابقار ، وبيع لحومها لمن تبيح لهم شرائعهم أو تقاليدهم أكلها ، وستظل هذه العقيدة الدينية المسيطرة على غالبية الهنود عقبة كبيرة فى سبيل رخائهم الاقتصادى

ومع أن بعض الابقار الهندية من خير السلالات وأقواها ، حتى لتتخذ فى تحسين أبقار كثير من أقاليم العالم مثل الولايات المتحدة الامريكية وجزائر الفلبين ، إلا أن كثرة هذه الابقار الى حد يتعذر معه أن تجد الغذاء الكافى حرم الهند كل فائدة تجنيها الاقاليم الاخرى من أبقارها ، فالبقرة الهندية بطيئة النمو جداً ، فلا تلد إلا فى السنة الرابعة أو الخامسة ، بينما تلد البقرة فى الاقاليم المعتدلة قبل أن تبلغ الثالثة ، ولبنها غنى بالزبد ولكن متوسط انتاجها منه طول السنة يتراوح بين ٦٠٠ رطل و ٥٧٠ رطلا . وهكذا تحرم الهند من الفائدة الاقتصادية التى تربى من أجلها الابقار ، ولكن الهنود لايعنيهم ذلك لأنهم لا يربونها بقصد الكسب والنفعة ، بل أداء لفرائض الديانة الهندوسية وشعائرها ، أو سعياً وراء الجاه والنفوذ فى بلد تتحدد فيه مكانة المرء غالباً بقدر ما يملك من الابقار !

والواقع أن البقرة مصدر خير فى جميع بلاد العالم ، إلا فى الهند فهى منشأ طامة كبيرة ، فانا اذا قدرنا ما ينفق على الابقار من الطعام والمأوى وأجور الرعاة ، ووازناه بما تؤديه من عمل وتنتجه من لبن ونسل ، لوجدنا أن الهند تشق نفسها من أجل هذا الحيوان الذى يسعد به كثير من الشعوب ، برغم أن الهند تقدسه وتعبده ، وتلك تسخره وتذله ! . وقد قدرت الاحصاءات أن ماتخسره الهند فى تربية أبقارها أكثر مما تدفعه للحكومة من الضرائب ، فلولا هذه الحيوانات لاستطاعت أن تقتصد ثروة طائلة تضيع الآن هباء ، فتنفقها فى كثير من المرافق الحيوية التى لن تنهض إلا بها

وثمة خسارة فادحة أخرى ، فبرغم أن مهنة الرعى من أهم المهن فى الهند ، إلا أن هذه الأبقار تعيث ليل نهار فى المزارع والحقول ، فتلتهم جزءاً عظيما من المزروعات والمحصولات ، وتؤدى الى كثير من الجرائم والمعارك والمناوشات ، وكذلك خربت الابقار من غابات الهند ما تبلغ مساحته بضعة آلاف من الأميال المربعة ، واحالتها أرضا بائرة جرداء من الأعشاب والأشجار

[خلاصة مقال بقلم س . هيجينبو توم فى مجلة آسيا]

الشرق والغرب

يلتقيان ولا يتناقضان

أعتقد أن الشرق والغرب يلتقيان فى ذهن كل فرد متحضر ، وليس هناك فى الواقع أى تناقض بين العبقرية الغربية والعبقرية الشرقية ، فكل منهما تكمل الأخرى كما يكمل جمال العقل نور القلب ، وقوة الجسد سحر الروح . ولا ريب فى أن حضارتنا مدينة للشرق ــ ولا سيما للشرق الاسيوى ــ بروائع ، أعتقد أن من الجحود انكارها أو تناسيها أو غض الطرف عنها

ففى عهد الامبراطورية الرومانية كانت مدارس الطب العلمى مزدهرة فى آسيا ، ومن الاقطار الاسيوية تعلمنا زراعة العنب والبرتقال وتربية دود القز ، وعنها أخذنا أصول جميع الصناعات تقريباً ولا سيما فى الفترة التى تلت غزوات الجرمان

وأما تنظيم الدولة تنظيما مدنياً عقلياً ، بمعزل عن العقائد الدينية والتقاليد الفكرية والعاطفية ، فقد كان معروفاً فى الصين فى القرن السابع عشر ، وكان بعض المقاطعات الصينية يطبقه ويعتز به

ولقد كانت آسيا فوق ما تقدم مهد الاديان ، ومنها تعلمنا نحن عشاق المادة كيف نرفع أبصارنا الى السماء ، وكيف نلمس حدود عقلنا المتكبر ، وكيف تدرك أن انتصارات العقل المادى لا قيمة لها إلا إذا اقترنت بانتصارات العاطفة والروح واتجهت وجهة انسانية لمصلحة الفرد وخير المجموع البشرى ، فالشرق أعطانا الكثير من ناحية الروح أيضاً ، ولكنه لم يتلق منا غير مخترعات مادية تدل أبلغ الدلالة على أن الجانب الروحى ما زال ينقصنا

فهل تساوى هباتنا المادية ما حبانا به الشرق من نعمة التأمل الروحى ؟

ان حضارتنا الصناعية قد سادت العالم ، والشرق نفسه أصبح مولعاً بها ، متهالكا عليها ، باذلا قصاراه فى سبيل امتلاكها ، وأخوف ما أخافه أن تطغى هذه الحضارة على ميراث الشرق الروحى فتجرد الشرقيين شيئاً فشيئاً من نزعاتهم الانسانية النبيلة وتختم على أبصارهم فلا تعود ترى غير الجانب المادى المطلق من الحياة

فالشرق اليوم فى أشد الحاجة لاسباب حضارتنا ، ونحن كذلك فى أشد الحاجة لاصول حضارته ، وكلما أمعن علماؤنا ومخترعونا فى تسخير قوى الطبيعة لمصلحة الانسان ، ازدادوا تطلعاً نحو الشرق ، وازدادوا احساساً بوجوب انعاش مختلف النزعات الصوفية التأملية التى تلطف من حدة المطامع والشهوات ، وتجعل من العالم شبه وحدة روحية ، وتتجه بالحضارة وجهة الحق والخير والعدل والجمال ، فغاية الحضارات الشرقية كانت تحقيق الكمال الروحى ، وغاية حضارتنا هى القوة واتساع السلطان وشدة البأس وامتلاك فسحات الارض والسماء

ومهما أخذتنا نشوة القوة ، فمن المحال أن ننسى نشوه الكمال الروحى ، وهذا هو سر تعلقنا بالشرق ، هذا هو سر تهافتنا على مطالعة أعمال تاغور وغاندى ، ودراسة الفلسفات الهندية القديمة ، وتمجيد كونفشيوس وبوذا ، والعناية ببحث مذاهب التصوف فى المسيحية والاسلام

ولا شك فى أن هذه الظاهرة النفسية تنم عن المأساة المروعة التى نعيش فيها ، فنحن قد بلغنا أوج التقدم العقلى ، وما زالت عواطفنا على أصلها . ونحن قد ارتقينا بأذهاننا ، وما زالت أرواحنا هائمة حائرة . ونحن قد عشقنا العلم ومجدناه وآمنا به ، وهاهوذا يستخدم لعكس ما كان مقدراً له

لهذه الأسباب تتجه قلوبنا صوب ماضى الشرق ، الذى توشك أن تهدم بقاياه حضارتنا ، والذى نحبه على قدر ما نشعر بأننا مسئولون عن هدمه . وإذن فالكمال الروحى الذى كان بالأمس مثل الشرق الاعلى ، أصبح اليوم قبلة طائفة كبيرة من الغربيين ، تحاول أن تدمجه فى عقيدة القوة والتقدم المادى ، لتؤلف من المزيج مثلا انسانياً أعلى . والواقع أن فى الغرب اليوم بعض شخصيات فذة ، علمية وروحية ، عقلية وتأملية ، غربية وشرقية ، شخصيات تحس أبلغ احساس أن غرض الحضارة الاسمى يتجلى فى الجمع بين هاتين القوتين

ومع ذلك فمهمة التوفيق هذه ، يجب أن تكون رسالة الشرق الجديد ، ومن الوهم أن يحاول بعضنا صرف الشرق عن اقتباس ما يصلح له من الحضارة الغربية ، فالشرق يأخذ منا بعض ما أعطانا ، وهو لا بد سائر حيث العالم يسير . وليست العبرة فى أن تنصح الشرقيين بالتراجع والتخلف والجمود ، حرصاً على مجدهم التالد ، وخشية أن يذهب التقدم بتراثهم الروحى الثمين ، بل العبرة كل العبرة فى أن نطالبهم بتحقيق الرسالة الانسانية الكبرى ، بالجمع بين حضارة الغرب وحضارة الشرق ، بين العلم والعاطفة ، بين العقل ونزعة التأمل ، بين الفكر التجريبى والفكر الصوفى ، بين قوى الذهن المادى المبتكر وقوى الروح النبيلة الساعية لتحويل جهود الذهن لخير البشرية جمعاء

[خلاصة مقال للمؤرخ الايطالى « فريرو » فى مجلة ايروبيان]

كل الاجناس متكافئة

الوجوه التى فى صفحة ٥٧١ هى على التعاقب :

(١) وجه رومانى يرجع الى القرن الاول قبل الميلاد

(٢) فتاة رومانية عاشت منذ ١٨٠٠ سنة

(٣) مقدونى عاش بعد الميلاد بثلاثة قرون

(٤) ملكة الجمال فى المكسيك فى هذا العام ، وهى ترجع الى أصل اسبانى

(٥) فتاة عصرية عاشت بعد الميلاد بقرنين

(٦) احدى نساء الاسكيمو

العلم والعالم

من أسرار الصناعة

اذا أراد أحد مصانع السيارات أن يخرج سيارة من طراز جديد يبيعها بمائتى جنيه مثلا ، فكم تراه ينفق فى اخراج السيارة النموذجية الاولى التى ينشىء على غرارها سائر السيارات ؟

— عشرات الآلاف من الجنيهات !

هذا غريب حقاً ، ولكن انظر ماذا يحدث : فى كل مصنع من مصانع السيارات الكبرى قسم خاص بالجاسوسية ، يقوم بما تقوم به أقسام الجاسوسية فى الحكومات والجيوش

فهو يبث عيونه فى المصانع المنافسة ، ويغدق عليهم الرشى والأموال الطائلة ، ليسرقوا له أسرار ما يجرى وراء جدرانها . فاذا أراد أحد المصانع أن يخرج سيارة تمتاز بآلة جديدة أو بهيئة طريفة ، أسرع هؤلاء العيون يخبرون مصنعهم بأمر هذا الطراز الذى يريد المصنع أن يبيعه بمائتى جنيه مثلا ، وسرعان ما تجتمع إدارة المصنع وتقرر إخراج سيارة من هذا الطراز تبيعها بمائة وثمانين جنيها فقط

ومن غريب صناعة السيارات ان ثمنها يتحدد عادة وفق وزنها ، فهى تباع — كما يباع الجبن أو السكر — بالرطل ، وعلى هذا يقوم قسم التصميم فى المصنع بتحديد حجم السيارة التى يريد المصنع بيعها بمائة وثمانين جنيهاً ، وهذا الحجم يتناسب مع الوزن تناسباً عكسياً ، فيهتم المصنع بانقاص وزنها إلى أدنى حد لا تضعف عنده متانة السيارة لستطيع تكبير حجمها وتوسيع جوانبها

ثم يخرج المصنع عدة نماذج مختلفة تدور كلها حول هذا التصميم ، فهذه أطول من هذه شيئاً ما ، ولكنها تحرق من البنزين أكثر قليلا ، فأيهما يفضل المشترى ؟ وتلك أوسع من هذه شيئاً ما ، ولكن هذه تمتاز بمتانة عجلاتها مثلا ، فأيهما يؤثر الجمهور ؟ . وهنا تبدو كفاءة مدير المصنع الذى يتوقف ربحه على حسن فهمه لنفسية الجمهور ، كما قد تصيبه الخسارة الفادحة إن أخطأ تقدير الميول السائدة

فاذا قر رأيه على اختيار أحد هذه النماذج قام المصنع باخراج بضع سيارات ، وتعد هذه النماذج لاختبار متانتها . ويحاول المصنع إخفاء هذه السيارات عن أعين جواسيس المصانع الأخرى المتبثين فى جوانب مصنعه ، فيلجأ غالباً الى تشويه ظاهرها وتكسير بعض أجزائها الخارجية ، حتى تبدو قديمة لا تلفت اليها الانظار ، ثم تطلق هذه السيارات فى الطرقات حيث تقطع عشرات الآلاف من الأميال مجتازة طرق المدن المعبدة تارة ، وطرق الريف المهجورة تارة ، وقد تؤخذ الى سفوح التلال أو الى فجاج الصحراء لاختبار متانتها ، وكثيراً ما تنقل من أمريكا الى آسيا وأفريقا لتجربتها فى المناطق الوعرة ذات الصخور والوهاد والمرتفعات . وأخيراً تصطدم سيارتان نموذجيتان احداهما بالأخرى لمعرفة مدى احتمالهما

فاذا رأى مدير المصنع ان هذا النموذج يفى

بشروطه ، أعدت آلات الصنع لتقوم باخراج هذه السيارات الجديدة ، وقد يقتضى هذا الاعداد تغير كثير من الآلات القديمة واستبدالها بآلات جديدة . وعند ذلك فقط يبدأ قسم الاعلان مهمته فى الدعاية لهذا الطراز الجديد

أرأيت كيف يتطلب اخراج سيارة نموذجية واحدة عشرات الآلاف من الجنيهات ؟ !

التحنيط فى أمريكا

من المشاكل التى تواجه علماء التاريخ مشكلة منشأ المدنية الانسانية : ففريق منهم يرى أنها نشأت فى مكان واحد ـ مصر أو بابل ـ ثم تفرعت منه الى سائر الشعوب ، وفريق يرى أنها قامت من تلقاء نفسها فى عدة بلاد متباعدة نتيجة تطور الانسان وارتقائه

وقد اتخذ الفريق الأول من المبانى الهرمية التى وجدت فى أمريكا حجة تعزز رأيه ، واستدل بها على اتصال الدنيا القديمة بالدنيا الجديدة فى قديم العصور . وقد ظهرت الآن حجة أخرى تؤيد هذا الرأى الذى بدأت تأخذ به أغلبية المؤرخين ، فقد عثر المنقبون فى بعض آثار أمريكا القديمة على موميات محنطة ترى هنا رسم احداها ، ومعنى هذا أن فن التحنيط الذى ابتكرته مصر قد انتقل منها الى أمريكا على أيدى من ارتحل من العالم القديم الى العالم الجديد فى تلك العهود

ولكن الفريق الآخر من المؤرخين قد يجد فى هذه الموميات ذاتها حجة له على الآخرين إذ أنها لم تحنط كما كانت تحنط الجثث الفرعونية بواسطة المواد الكيمياوية المختلفة ، بل اكتفى بتجفيفها فى أغوار الكهوف التى كانوا يسكنونها حينذاك ، حيث الهواء جاف من الرطوبة التى تحلل الأجسام وتفسدها ، وهذا يدل على أن أمريكا لم تأخذ التحنيط عن مصر ، وإلا لاتبعت



الطريقة المصرية المعروفة ، وانما نشأ فيها كما نشأ فى مصر ، نتيجة ارتقاء الفكر الانسانى وتناوله مسألة الموت والبعث والخلود

النسيج السادس

توفق الكيمياويون الى اخراج مادة جديدة سموها « النسيج السادس » وأضافوها الى الانسجة الخمسة الأخرى وهى : القطن والصوف والتيل والحرير والحرير الصناعى

ويصنع هذا النسيج الجديد من الحائر التى يصنع منها الورق ، ولكنه يشبه « الجوخ » فى نعومته ومتانته ، ولهذا ينتظر أن ينتشر كثيراً ولا سيما أنه زهيد الثمن وسهل التنظيف ، فيمكن أن تتخذ منه ستائر المنافذ وأغطية الموائد وأكياس الوسائد وما شابه ذلك

وهذا النسيج الورق لايغسل ولايرفى ، بل ينظف بخرقة مبللة بالماء ، فاذا تمزق لم يكن بد من القائه . ومع هذا فهو أنسب للفقراء من

الأنسجة الأخرى لرخص ثمنه ومتانة خيوطه

ويرى رجال الصناعة والتجارة أن مستقبل هذا النسيج لن يقل عن مستقبل الحرير الصناعي الذي استأثر بأكثر أسواق الحرير الطبيعي في مدة لاتتجاوز خمسة وعشرين عاما . وسيؤدي انتشار الأنسجة الورقية الى الاقلال من استهلاك بعض الأنسجة الاخرى ، والى تضييق دائرة العمل في وجوه المرتزقين من صناعتها وتجارتها ، ولكنها في الوقت نفسه ستؤدي الى قيام أعمال جديدة ، كقطع الاخشاب ونقلها ، وتحضير خمائر الورق وإعدادها ، وما يتبع ذلك من أعمال البيع والنقل والتوزيع ، مما يفتح أبوابا جديدة للعمل والارتزاق

تأمين الطيارين

من أهم ما يتدرب عليه الطيار طريقة استعمال المظلة الواقية « الباراشوت » التي يلجأ اليها حين يضطر إلى ترك الطائرة في الفضاء إذا تعرضت حياته فيها لخطر شديد ، كأن احترقت أو انفجرت أو أصابتها قذيفة كبيرة

ولكن كثيراً ما تضيع حياة الطيار قبل أن تسعفه هذه المظلات التي يتطلب نشرها في الفضاء كثيراً من الخبرة والمهارة والسرعة . لهذا فقد اخترعت مظلة « اوتوماتيكية » يحملها الطيار على ظهره دائما ، حتى إذا اضطر الى أن يقفز من الطائرة انفتحت على عجل من تلقاء نفسها ، وامتلأت بالهواء الذي يمكنها من أن تطير ، حتى تصل بالطيار الى سطح الأرض في هوادة وأمان

الزكام وخسائره الفادحة

ما يحس به المزكوم من الدوار والصداع ، وضيق التنفس وفقد الشهية ، قد حمله على أن يفكر في أمره منذ أقدم العصور ، فزعم الاغريق أنه نتيجة ما يتجمع في الدم من السموم ، وظن أهل العصور الوسطى أنه من فعل السحرة الأشرار ، وكان الناس الى ما قبل باستور يحسبون أنه سائل يتدفق من المخ الى الأنف ، فكانوا يلجأون الى « النشوق » لتجفيف المخ وتنظيفه !

ونحن الآن نزعم أنه يأتي من التعرض للهواء البارد ، فنتدثر بالملابس الثقيلة ، ونحرم أنفسنا الهواء الطلق المتجدد ، ولكن أحد الأطباء الامريكيين أجرى احصاء في هذا الموضوع فوجد أن الشخص الذي يعمل داخل بناء بعيد عن الجو الرطب أو البارد ، يصيبه الزكام تسع مرات مقابل كل مرة يصيب فيها سائق السيارة أو جندي المرور وهما دائماً وسط العراء

وقد قدر هذا الطبيب أن متوسط اصابة كل شخص بالزكام هو مرتان في كل عام ، ومعنى ذلك أن الولايات المتحدة يقع فيها كل سنة ٢٠٠ مليون اصابة بالزكام تستمر كل منها أسبوعاً تقريباً ويتعطل بسببها المزكوم عن العمل يوماً أو يومين ، فاذا حسبنا ما تخسره هذه البلاد من تعطيل الأعمال ، ومن أجور الاطباء ، ومن أثمان الادوية ، لوجدناها تخسر سنوياً في سبيل

الزكام ٣٠٠٠ من ملايين الجنيهات !

وفى الانسان مناعة طبيعية ضد الزكام ، فلو عاش الانسان منفرداً لما عرض له هذا المرض مطلقاً لانه يصيبنا بالعدوى وحدها . وأبلغ دليل على ذلك أن القبائل الهمجية التى تضرب فى الغابات لم تعرف الزكام قبل أن يفد اليها الجنس الابيض ، فكان هذا المرض احدى « النعم » التى يمن بها البيض على السود ! وأغرب من ذلك أن الاسكيمو الذين يعيشون وسط أصقاع الثلوج لم يعرفوا الزكام الا عن طريق الرحالة البيض الذين يهبطون الى بلادهم

ومعنى هذا أنه كما كان الانسان منفرداً كان بمنجاة من الزكام ، الذى لا يصيب المرء إلا فى الاماكن المزدحمة ، أو بطريق اللمس والمصافحة ومثلهما من أسباب العدوى

تقويم البشرية

أراد الاستاذ أرثر كومبتون – من كبار علماء الطبيعة ومن حائزى جائزة نوبل العلمية – أن يلخص تاريخ الانسان منذ ظهر على الارض فى سطور قلائل ، كما لخصه من قبل أناتول فرانس فى كلماته الثلاث المشهورة : أنه يولد ، ويتعذب ، ويموت

فافترض هذا العالم الكبير أن الانسان عاش على الارض عامين اثنين فقط ، فكيف أمضاهما ؟

ظل منذ بدء العام الأول حتى بدء الاسبوع الماضى وهو يتعلم كيف يصنع من الاغصان والاحجار معاول وأدوات

وفى الاسبوع الماضى تعلم كيف ينحت الاحجار ويجعل منها كهفاً يأوى اليه

وفى أول من أمس استطاع أن يبتكر رسوما وأشكالا يكتبها تعبيراً عن آرائه ومشاعره

وأمضى النصف الأول من أمس فى اختراع الحروف الهجائية

أما النصف الثانى فقد أنفقه الاغريق فى انشاء فنونهم ووضع علومهم

وقد سقطت رومة ليلة أمس

وفى الساعة الثامنة والربع من صباح اليوم وضع غاليليو نظرياته الفلكية

وفى الساعة العاشرة أعدت أول آلة بخارية

وفى الساعة الحاديه عشرة وضعت قوانين الكهربائية والمغناطيسية

وبعد ذلك بنصف ساعة دخلت الكهرباء دائرة الصناعة فظهر التلغراف والتليفون

وفى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الاربعين اكتشفت أشعة اكس

ومنذ خمس عشرة دقيقة أخذت السيارة تجرى فى الطرق

ومنذ خمس دقائق ارتفعت الطيارة فى الفضاء

وفى الدقيقة الأخيرة اخترع الراديو وملأ صوته الآذان

والآن – وقد انتصف النهار – يسعى العلم جاهداً الى توحيد البشرية المفككة ، وجمع أطرافها المتنافرة !

حقائق عن جريمة القتل

* تفوق ايطاليا جميع دول أوربا فى نسبة ما يقع فيها من جرائم القتل الى عدد من فيها من السكان . ولكنها مع هذا لا تتجاوز ثلث نسبة هذه الجرائم فى الولايات المتحدة الامريكية

* يتعرض الانسان للقتل فى مدينة نيويورك أربعين مرة مقابل كل مرة يتعرض فيها للقتل فى مدينة لندن

* ٧٤ فى المائة من القتلة لم يقترفوا من قبل أية جريمة ولم يشاركوا فى أية جناية

الحركة الفكرية

اندريه موروا وشاتوبريان

أخرج الكاتب الذائع الصيت أندريه موروا ترجمة جديدة لحياة الاديب الفرنسى الكبير شاتوبريان ، وقد انتهزت هذه الفرصة الصحفية الامريكية مسز روجرس فوضعت رسالة طريفة عن موروا وأبطال الادب الذين يؤرخ حياتهم



شاتوبريان

وقد تساءلت الصحفية الامريكية في رسالتها عن سر اختيار موروا لشخصيات فذة لا تتفق وأخلاقه وطابع أسلوبه ونظرته الى الحياة . فهو قد وضع كتاباً عن الشاعر الانجليزى بيرون ، وآخر عن زميله شلى ، وها هو ذا يخرج ترجمة لشاتوبريان . فما هو سر حبه لأصحاب هذه الشخصيات الجامحة الثائرة المستسلمة لقوى الخيال ، والتى تناقض فى جوهرها مزاج موروا ، وما اشتهر به من رصانة واعتدال وميل الى المحافظة على التقاليد الشائعة فى الطبقة الفرنسية العليا ؟

تجيب مسز روجرس عن هذه الاسئلة بعرض رأى من الغرابة بمكان . ويتلخص هذا الرأى فى أن اندريه موروا أراد أن يكون روائياً عظيما ففشل ، أراد أن يرسم طائفة من الشخصيات الجريئة القوية يبدعها خياله الخالق وعبقريته الروائية ففشل . فما كان منه الا أن اتجه الى الواقع واستمد هذه الشخصيات من التاريخ ، ليثأر من ضعفه الروائى ويجدد حياة أبطال كان يود لو استطاع أن يخلقهم ، فهو يشبع فى نفسه رغبة الخلق على حسابهم ، وهو يتعزى بهم

وأما أفكاره الرصينة المعتدلة المحافظة ، فتزعم الصحفية الامريكية أنها لا تتفق ومزاجه ، وأنه اضطر اليها اضطراراً ليعرف بنزوع تفكير مستقل ، يجمع بين احترام التقاليد وتمجيد الابطال الذين كانت حياتهم ثورة على هذه التقاليد

سر نجاح النظم الديكتاتورية

أصدر العلامة الفرنسى بول لانجفان رسالة عرض فيها لبحث أهم العوامل التى أفضت الى نجاح النظم الفاشية والنازية

ويرى هذا العالم الكبير أن هذه النظم قد أفلحت لأنها جمعت بين عنصرين رئيسيين من العناصر التى لابد من توافر بعضها لقيادة الشعوب الحديثة التى خرجت مهزومة من الحرب الكبرى أو التى لم تحقق الحرب جميع أطماعها

والعنصر الأول هو سعى الحكومة لخدمة الطبقة المتوسطة ورفع مستوى الطبقة العاملة

من فلاحين وعمال ، على حساب بعض امتيازات تقتطع من الطبقة الغنية المتمولة

والعنصر الثانى هو اضرام نار الوطنية فى النفوس والتلويح للجماهير بالاحلام الامبراطورية ورياضتها على حب المجد الحربى وامتاعها بتنظيمات عسكرية مسرحية تشعرها بأن المثل الأعلى فى هذه الدنيا هو الحياة فى حالة حرب دائمة

فبينا الديموقراطية تنصح بالهدوء والاتزان وتتجنب تجنيد أفراد الأمة وحشدهم فى شبه ثكنة هائلة ، تسعى الفاشية والنازية لالهاب أعصابهم وغرس عاطفة البطولة الحربيــة فى صدورهم

وبينا الديموقراطيـة تعنى برفع مستوى الطبقة العاملة والطبقة الوسطى مع الاحتفاظ جهد الطاقة بأهم امتيازات الطبقة المتمولة ، تحاول الفاشية أو النازية بعد أن نهضت على أكتاف الطبقة المتمولة ، ان تأخذ منها وتعطى الطبقتين العاملة والوسطى . فهذا المزيج من الاشتراكية والوطنيــة هو سر نجاح النظم الديكتاتورية فى أوربا

ولكن أحلام التوسع والاستعمار قد تهدم هذه النظم ، لأن تحقيقها لن يتم إلا بمضاعفة الانفاق على التسلح ، هذا الانفاق الذى ينخر شيئاً فشيئاً حكومتى المانيا وايطاليا والذى لايمكن أن يستمر إلا على حساب ما ربحتــه الطبقتان العاملة والوسطى

كيف تخلد الاعمال الادبية

يعتبر العمل الادبى خالداً متى اشتمل على خصائص فكرية ونفسية لاتتبدل بتبدل الازمنة والعصور ، بل تبقى حية يرى فيها الناس فى كل وقت صورة صادقة لجانب من آمالهم وأحلامهم ومتجه عواطفهم ، ولكن هـذه النظرية قد تغيرت الآن ، وقد وضع الكاتب الروسى سرج ايفانوف كتابا عن « معنى الخلود فى الادب » أيد فيه بالارقام أن أعمال هوجو وسرفانتس وكورنيل ونيتشه لم يقبل عليها جمهور القراء الاوربى فى أى زمن من الازمان كما هو مقبل عليها اليوم ، فآلاف النسخ تباع منها وآلاف الدراسات تكتب عنها ، وذلك لان تلك الاعمال الموسومة بطابع القوة والجرأة والبطولة والعظمة تصادف هوى من نفوس أهل هذا العصر الولوع بمختلف ضروب التفوق

فأعمال هوجو وأعمال سرفانتس تعجب الديموقراطيين أنصار الحرية ، والاشتراكيين أنصار الطبقة العاملة البائسة ، وذلك لان هوجو كان بطلا من أبطال الحرية وسرفانتس كان داعية من دعاة التفكير الانسانى الغيرى ، وأما أعمال كورنيل ونيتشه فتعجب أنصار النازية والفاشية لما تشتمل عليه من تمجيد القوة والواجب واحتقار الضعف والضعفاء

والمهم فى الامر أن عنصر الخلود فى الادب لم يعد عنصراً تجريديا فقط أو عنصراً عاطفياً يشترك فى الاحساس به الناس جميعاً ، بل أصبح عنصراً عملياً نفعياً يجب أن يختلط بالسياسة وينزل على أحكامها

السلم الانجليزى

أصدر الكاتب الروسى « سرج ايفانوف » أحد أعداء ستالين وأنصار تروتسكى كتاباً بالعنوان المتقدم يبسط وجهة نظر جديدة فى تحليل الغايات البعيدة التى يبذلونها الآن فى سبيل اقرار السلم فى أوربا

وبرى سرج ايفانوف ، أن غاية السياسة الانجليزية هى عقد معاهدة عدم اعتداء رباعية بين المانيا وفرنسا وانجلترا وايطاليا ، تكفل مصالح البريطان فى البحر المتوسط وتكفل سلامة فرنسا من الغرب ، وتطلق الالمان فى الشرق وتدفعهم للاصطدام بروسيا

ويعتقد الكاتب أن المحافظين الانجليز يتوقون الى حرب يصطدم فيها ستالين بهتلر ، فتضعف روسيا والمانيا ، بعد أن ضعفت اليابان من جراء حرب الصين ، وهكذا يعود الى بريطانيا ماكان لها من نفوذ فى الاقطار الاسيوية ويخف الضغط الالمانى على حدود فرنسا . ويرى الكاتب أن المساعى الانجليزية تبذل منذ الآن لحمل فرنسا على التخلص من الميثاق المعقود بينها وبين روسيا ، وأن كل ما نشاهده اليوم من مناورات سياسية بريطانية لا غرض له إلا عزل روسيا وجعلها فريسة لمطامع النازى

والغريب أن سرج ايفانوف ينصح الحكومة الروسية تجاه هذا الخطر بوجوب تعديل سياستها الخارجية والاسراع بالتخلى عن فرنسا وتوثيق صلة الجوار الاقتصادى بينها وبين اليابان ولو كان ذلك على حساب الصين

ويتنبأ الكاتب فوق ما تقدم بقرب زوال النفوذ الذى كان يتمتع به فيما مضى قوميسير الشئون الخارجية الحالى الرفيق لتفينوف

الرجل تجاه المرأة الجميلة

يزعم أناس أن الرجل متى أقدم على الزواج آثر المرأة الفاضلة على المرأة الجميلة ، شعوراً منه بأن الجمال كثير التكاليف وبأنه فوق ذلك مثار منازعات بيتية قد تنقلب الى فواجع . ولكن الاديبة الانجليزية مرجريت كندى ، ترى غير هذا الرأى فى قصة جديدة لها صدرت اخيراً بالعنوان المتقدم

وفى هذه القصة تؤكد الأديبة الانجليزية أن الرجل مخلوق يملأ الزهو نفسه ويطرب الغرور كبرياءه ، وتدفعه الخيلاء الكاذبة الى إيثار الجمال على الفضيلة يقينا منه أن فى مقدور رجولته التغلب على رذائل المرأة الجميلة وتحويلها الى فضائل زوجية رائعة ، فهو يود التمتع بالجمال بصرف النظر عن الاخلاق ، وهو يعتقد أن عقله الواسع ، وارادته الصارمة ، كفيلان بتبديل أخلاق زوجته الحسناء على مر الزمن . ولكنه متى تزوج ، سجلت عليه امرأته الجميلة اعترافه الرسمى بسلطان جمالها ، وطفقت تستغل هذا السلطان استغلالا يشعره بعد حين بأن رياضة الجمال من أشق الأمور وأصعبها على الزوج

وتستخلص مرجريت كندى مما تقدم أن كل رجل لا بد أن يشقى فى زواجه اذا كان قد تقدم للزواج بدافع التمتع بجمال المرأة فقط ، وذلك لأن رغبة التمتع هذه تنبع من الكبر والغرور ، والمرأة تعرف كيف تستغلها لمصلحتها ، مما قد يفضى الى استعبادها الرجل واطلاق العنان لرذائلها وتسميم جو البيت وتقويض صرح الأسرة

هل يتجدد الخطر الشيوعى ؟

كانت روسيا قد كفت فى الاعوام الاخيرة عن ترويج الدعوة فى البلاد الاوربية للمبادىء الشيوعية ، وكانت قد دخلت عصبة الامم

وسالمت الدول الديموقراطية وحصرت جهودها فى تكوين جبهة ديموقراطية اشتراكية لمحاربة النازى الالمان ومنعهم من التوسع فى شرق أوربا ، هذا التوسع الذى يهدد المصالح الروسية ويهدد مقاطعة اوكرانيا التى يحلم الالمان بضمها الى بلادهم

ولكن الموقف قد تغير بعد مؤتمر ميونيخ وبعد سياسة التقرب الى الديكتاتوريات التى أخذ بها المستر تشمبرلن والمسيو دلادييه

وفى هذا يقول الباحث السياسى البولونى « سرج فيانكى » : ان روسيا ــ وقد شاهدت انهيار عصبة الامم وانهيار تشيكوسلوفاكيا ، وتطلع الالمان الى شرق أوربا ولا سيما اوكرانيا الروسية ، وتقرب فرنسا الى الالمان ــ من المحتمل جداً أن تبدل سياستها السالفة ، وتعود الى مناصبة الدول الديموقراطية العداء ، والى ترويج الدعايات الشيوعية فى مختلف أقطار أوربا

وكلما ازداد التفاهم بين الديموقراطية والديكتاتورية ، ازداد الخطر الشيوعى على اوربا ولا سبيل الى درء هذا الخطر فى عرف الكاتب البولونى إلا بوضع حد لمطامع الالمان فى شرق اوربا

هزيمة الحرية

ليس شك فى أن المبادىء الحرة تقاسى الآن محنة كبيرة ، فالدول الديكتاتورية أجهزت عليها فى بلادها وأحلت محلها سلطان الحكومة الذى يتدخل فى كل شىء ويشرف على كل شىء ويسخر لمصلحة الدولة جميع وسائل التعبير عن الفكر ــ كالصحافة والراديو والمسرح والسينما .

ولكن هل تظل الحرية صريعة فى البلاد الديكتاتورية ، وهل تظل الشعوب فى هذه البلاد راضية بالحياة على هذه الصورة ، ومتى يقدر للحرية أن تنتعش وتسترد حقها فى المانيا وايطاليا مثلا ؟ . هذه هى الاسئلة التى طرحها الكاتب الأمريكى « ليلى ساكسون » فى كتابه الاخير « هزيمة الحرية » ، وأجاب عنها بما يأتى :

« ان حظ الحرية فى البلدان الديكتاتورية منوط بحظ هذه البلدان فى الميدان السياسى ، ففى اليوم الذى تستعيد فيه الديموقراطيات الكبيرة نفوذها الحربى وتتمكن من فرض ارادتها على الديكتاتوريات فتضع حداً لأطماعها وتلزمها جانب الاعتدال ، فى ذلك اليوم تستيقظ نزعة الحرية عند الشعوب النازية والفاشية ويبدأ الصراع الداخلى بين تلك الشعوب وبين حكوماتها حول حق الافراد فى التمتع بالحرية

والواقع أن تلك الشعوب قد باعت حريتها للديكتاتورين تحقيقاً لمطامعها السياسية ، وقد استطاع الديكتاتورون الفوز ببعض هذه الاطماع ، ولكن اطراد تسلح الدول الديموقراطية سيجعل من الحرب العامل الفاصل فى الميدان السياسى ، وبما ان الديكتاتوريات تشعر بعجزها الاقتصادى عن التورط فى حرب عظمى ، فلابد لها من التراجع آخر الأمر والكف عن إلهاب نزعات القوة والمغامرة فى نفوس شعوبها ، وعندئذ تنصرف قوى هذه الشعوب إلى الداخل وتدب فيها من جديد رغبة الحياة فى جو تسوده الحرية

ولسوف نسمع فى ذلك اليوم لا بحروب تشنها الديكتاتوريات بل بثورات داخلية تعلن عليها باسم حق الانسان الطبيعى فى التمتع بالحرية

الكتب الجديدة

مصر والنيل

منذ فجر التاريخ الى الآن

بقلم سعادة أمين سامى باشا

مطبعة دار الكتب المصرية فى ٢٥٠ صفحة كبيرة

تدور بحوث هذا السفر التاريخى الممتع حول فيضان النيل وارتفاع مياهه ومختلف الوسائل التى اتخذت منذ فجر التاريخ حتى اليوم لاتقاء غوائل الفيضان

فانشاء الخزانات فى مجرى النيل لادخار مياهه ، وصنع سيالة فى كل خزان تفيض منها المياه الى مابعدها بقدر معلوم ، واعداد مصرف للنجاة من طغيان ماء النيل عند الفيضانات العالية كى يفيض منه الى جهة الواحات وما بعدها الى مريوط ، مما يكسب تلك الاراضى خصوبة تساعد على انبات حب الحصيد والنخيل والأعناب ، كل ذلك يعرضه الباحث الكبير سعادة امين سامى باشا فى اسلوب يجمع الى بلاغة العبارة ، دقة البحث العلمى واستناده الى الأدلة الواقعية المستمدة من صلب التاريخ

فالكتاب والحالة هذه يعالج مشكلة من أخطر المشاكل التى تعترض الحياة العامة فى مصر ، ويجدر بكل مصرى وكل اخصائى فى شئون مياه النيل أن يطالعه وينعم النظر فيما اشتمل عليه من آراء وأفكار تمس الثروة المصرية ومستقبل الوطن المصرى فى الصميم

ديوان ابن الساعاتى

عنى بتحقيقه ونشره الاستاذ انيس المقدسى

مطبعة الجامعة الامريكية ببيروت

يقول ابن خلكان وابن أبى أصيبعه إن والد صاحب هذا الديوان خراسانى الأصل والمنشأ وقد انتقل الى الشام وفيها زاول حرفة صناعة الساعات ، وصنع منها تلك التى كانت عند باب الجامع بدمشق أيام نور الدين محمود بن زنكى ، أما ابنه فاشتهر بقرض الشعر واسمه بهاء الدين ابو الحسن على وقد كنى بابن الساعاتى ، وأما شعره فصورة صادقة للعصر الذى نشأ فيه بدمشق

ولقد بلغت الصناعة البديعية فى ذلك العصر أقصى مداها ، على أنه ليس فى الدواوين الشعرية جميعها مابلغت فيه صناعة البديع مبلغها فى ديوانى ابن الفارض وابن الساعاتى فهما فارسا هذا المضمار ، وانما يختلفان فى أن الأول قصر شعره على الحب والتصوف ، والثانى سار فى سنن الشعراء من مدح وفخر وهجاء ورثاء ووصف ومجون

وابن الساعاتى على جودة طبعه لم يأت بروائع توقد الشعور العالى وتملأ النفس بجلال الحياة كروائع أمراء الشعر المشهود لهم ، بل قصر همه على الافتنان فى المحسنات اللفظية والمعنوية

على أن من الانصاف أن ننوه بمقدرته التخيلية التى تظهر فى تشابيهه واستعاراته وفى دقة أوصافه الطبيعية

وقد عنى الاستاذ الكبير انيس المقدسى استاذ الادب العربى فى جامعة بيروت الامريكية

بهذا الديوان فحقق قصائده ورتبها وقدم لها بحث تحليلى مستفيض عن شخصية الشاعر ونوع شاعريته وأثر البيئة والوراثة فى تكوينه

كتاب الزراعة السنوى

لعام ١٩٣٤ – ١٩٣٥

يصدره قسم الاحصاء بوزارة الزراعة المصرية

المطبعة الاميرية ببولاق فى نحو ٥٠٠ صفحة

تدور بحوث هذا الكتاب حول وقاية مختلف المزروعات باتباع خير الاساليب الحديثة التى لا تكبد الزارع نفقات تثقل عاتقه ولا تكلفه القيام بأعمال ينوء بها ، اذ هى زهيدة النفقات ، سهلة الاجراءات ، وقلما تستدعى استخدام آلات أو مواد كيمياوية

فأساليب مقاومة الذباب الذى يحط على الثمر، وآفات البطاطس وأعراضها ، ومكافحة دودة ورق القطن ، وحشرات الحبوب المخزونة ، وكيفية تجنب الخسائر التى تنشأ عن مرض الشعير ، ووسائل علاج مرض بياض العنب ، وجميع ما يتعلق بمكافحة أدواء النباتات ، كل ذلك تلمسه فى بحوث شائقة مستفيضة توافرت على وضعها طائفة من نوابغ الأخصائيين المصريين فى فن الزراعة

والواقع أن مثل هذا الكتاب لا يستغنى عنه أى مزارع مصرى يحرص على أرضه ، ويسعى لمضاعفة انتاجها ، وتحديد أساليب زراعتها وفق أحدث مكتشفات العلم العصرى . ولاشك فى أن مثل هذا العمل جهد رائع تحمد عليه وزارة الزراعة التى ما تنفك تسدى للزارع المصرى أجل الخدم

تاريخ علماء بغداد

لابن رافع السلافى

صححه وعلق على حواشيه الأستاذ عباس العزاوى

مطبعة الاهالى ببغداد فى ٢٨٠ صفحة

كانت بغداد قد فقدت منزلتها السياسية إبان صولة « هولاكو » ، فبقيت منها طائفة من العلماء نزح أكثرهم الى الأقطار المجاورة ، فبذروا العلوم وولدوا الثقافات ولا سيما فى مصر والشام والحجاز وغيرها . وهكذا لم تفقد بغداد منزلتها العلمية بل عززتها مدة عصرين تقريباً ، وكان رجالها أصحاب القول والفصل فى شتى العلوم والآداب

فهؤلاء الرجال هم الذين اختص ابن رافع السلافى المتوفى سنة ١٣٧٢ الميلادية بدراستهم فى كتاب رائع هو « منتخب المختار فى تاريخ علماء بغداد »

ولقد جمع ابن رافع فى كتابه تراجم أنبغهم وأشهرهم من أمثال البرهان الازجى وتقى الدين الحنبلى وبرهان الدين الكنسى وأحمد الرصافى وأبو العباس الحمامى وغيرهم ، فجاء الكتاب أثراً خالداً ينم عن صفوة الجهود الفكرية التى قام بها علماء بغداد تمهيداً لاستعادة مجد بلادهم الثقافى والسياسى . ولقد أحيا الاستاذ عباس العزاوى هذا الأثر النفيس فضبطه وعلق على حواشيه وأبرزه فى حلة قشيبة مؤديا بذلك أكبر الخدم لبلاده وتاريخ العربية

الموسيقى الشرقية والغناء العربى

بقلم الأستاذ قسطندى رزق

المطبعة العصرية بمصر فى ١٨٠ صفحة

هذا الكتاب دراسة مستفيضة فى أصول

الموسيقى الشرقية والتطورات التى مرت بها وكبار الملحنين والمطربين الذين ساهموا فى تجديدها ورقيها

وقد تناول المؤلف بحث فن الموسيقى عند قدماء المصريين، ثم تحدث عن نشأتها فى الشرق العربى ثم تدرج الى فنون الغناء المصرية أيام عبده وعثمان، ثم أفرد فصولا شائقة عن أثر الموسيقى فى نهضة الفن المسرحى المصرى

والأستاذ المؤلف مولع بما تمتاز به الموسيقى الشرقية من طابع خاص ينم عن جوهر النفسية الشرقية، وهو لا ينفر من محاولة تجديد موسيقانا بادماج بعض الألحان الأوربية فيها، ولكنه يطلب الى المجددين أن يحرصوا أشد الحرص على تقاليد الماضى وأن يحتفظوا بهذه التقاليد جهد الطاقة كى لا تفقد الموسيقى الشرقية طابعها المستقل فتفنى على مر الزمن فى مختلف ضروب التجديد المستمدة من أوضاع الموسيقى الأجنبية

المنتخبات الطبية والصحية

بقلم الدكتور عبده رزق

مطبعة القديس بولس بحريصا فى ١٣٠ صفحة

فى هذه المنتخبات الطبية والصحية يجد القارىء معلومات ثمينة وفوائد جمة ويشهد صوراً مختلفة للحرب العوان التى تشهرها الامراض على الانسان الضعيف، فيكافحها الطبيب بعقله وعلمه حتى يستأصل شأفتها ويتمكن منها ويرد الى الفرد الصحة والقوة والحياة

فأمراض المسالك التنفسية، وأمراض السمن وأغراض الصمم، والاضطرابات المعوية، والادواء المعدية، وظواهر الشذوذ فى الاعضاء، والامراض المستعصية كالسرطان والسل، هذا كله يوفيه المؤلف الفاضل حقه من البحث، ويصب عليه ضوءاً ساطعاً من مكتشفات العلم الحديث، ويرشد الى أسباب علاجه، وأساليب الوقاية منه، بحيث يستطيع القارىء الذى لم يفز بقسط وافر من العلوم الطبية، أن يفهم نفسه ويدرك أسرار جهازه الجثمانى، ويتقى عادية المرض، ويعرف كيف يعاون الطبيب فى العلاج عند الاقتضاء

وأمثال هذه الكتب ترفع ولا شك مستوى الصحة العامة، وتساعد على تكوين جسم سليم يمهد لازدهار الفكر النابه والعقل السليم

الامتحانات العمومية فى الحساب والطبيعة

بقلم الأستاذ فرج صليب عوض

الطبعة التجارية بمصر فى ٢٠٠ صفحة

هذا كتاب يتقدم به المؤلف الفاضل إلى تلاميذ السنة الأولى الثانوية بالمدارس المصرية، وقد وضعه وفق آخر منهج أقرته وزارة المعارف ليكون عونا للطلبة فى مادتى الحساب والطبيعة. والكتاب يحتوى على مسائل حسابية مختارة مما ورد فى امتحانات المدارس الأميرية عام ١٩٣٧، مع ارشادات واضحة الى طرق حلها، وتلى ذلك أسئلة منوعة فى مادة الطبيعة تشتمل على جميع أجزاء المقرر، أرفقت بتمارين معينة تعين الطالب على الفوز بأعلى الدرجات فى هذه المادة

والكتاب فى مجموعه جهد موفق لا يستغنى عنه طلبة السنة الأولى الثانوية، فهو يعاونهم على حل غوامض المسائل الحسابية والطبيعية فى عبارة واضحة وأسلوب رياضى علمى دقيق

نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها

بقلم الأب انستاس مارى الكرملى

المطبعة العصرية بمصر فى ٢٤٠ صفحة

هذا بحث لغوى جرى فيه العالم الكبير الاب انستاس مارى الكرملى على الاسلوب الحديث ، تمحيصاً للحقيقة ، ودفاعاً عن اللغة العربية ، وايضاحاً لما فيها من دقائق الاوضاع وغوامض الحروف وخصائصها ، وبدائع الصيغ وأوزانها ، وما فيها من مختلف لهجات القبائل ولغاها

وأهم فصول هذا الكتاب ما تحدث فيه المؤلف الفاضل عن مستقبل اللغة العربية وتجديدها من طريق البحث فى الفاظها الدخيلة الجديثة وما يجب استبعاده من هذه الالفاظ وما ينبغى الابقاء عليه منها

ولقد عرض الاستاذ الكرملى عرضاً وافياً مستفيضا لأصول الكلم وتركيب حروفها ، ولأوزان العربية وصيغها ، والفارق الملحوظ بين المشابهة والاشتقاق ، والصلة الوثيقة بين اللغة العربية ولغات الاقوام التى احتك بهم العرب قديما ولا سيما اليونان والرومان والفرس والنبط . وقد حمل الاب الكرملى على بعض المستشرقين فقال إنهم لا يريدون أن يكون بين العربية وبين لغاتهم أدنى صلة أو مجانسة او ملابسة ، خوفا من أن يقال لهم ، او نقول نحن العرب لهم : بيننا وبينكم يا قوم ، لحمة نسب قديم وصلة رحم ، وهو مما يتبرأون منه وينبذونه من مسامعهم كأن مجرد التلويح بهذه الفكرة يهدم البناء الذى وضع أساسه أستاذهم الألمانى مكس مولر

فالأب الكرملى والحالة هذه يؤيد بالادلة الناصعة أن ثمة كلمات عربية هى عين الكلم اليونانية أو اللاتينية ، وأن الحضارة تراث انسانى واحد تشترك فيه جهود الجميع

ولا ريب فى ان كتاب هذا العالم المحقق الكبير يفتح للباحثين فى اللغة العربية آفاقا جديدة ، ويهديهم الى سبيل غير مطروقة ، ويكشف عن كنوز لغوية طمرت وآن زمن احيائها وصياغتها فى قوالب مستحدثة تجدد للعربية شبابها وتمكنها من مواصلة التقدم ومماشاة روح العصر

الطب الشرعى وعلم السموم

بقلم الدكتور فؤاد غصن

مطبعة السبيل ببيروت فى ٨٠٠ صفحة

لا ينكر ما للطب الشرعى من أهمية كبرى فى عصرنا ، نظراً لاتصاله الوثيق بالحوادث الجنائية ، ولقد لاحت أصول الطب الشرعى فى مستهل القرن السادس عشر ، وفى جامعات ليون ومونبليه وروما والبندقية . ولكن العرب ـ ولا سيما ابن سينا والرازى ـ كانوا قد مارسوا هذا العلم منذ أواسط القرن الخامس عشر

ومما يدعو الى الاعجاب ان الأستاذ الدكتور فؤاد غصن ، وصل ما انقطع من تاريخنا ، وحشد فى كتابه الرائع مختلف التطورات التى مرت بعلم الطب الشرعى فجاء مؤلفه شبه دائرة معارف لا يستغنى عنها رجال الطب والقضاء والمحاماة فى الشرق العربى

فهو قد طبق النظريات العلمية الحديثة على مقاييسنا الشرقية ، وأحوالنا الخاصة وقوانيننا العامة ، فوضع مستنداً شرعياً فى الامور

القضائية ، يعود بأجزل الفائدة على كل من يود معرفة ما له فى المجتمع من حقوق وما عليه من واجبات

ولقد تحدث الأستاذ المؤلف فى كتابه عن تقسيم الجرائم وطرق كشفها وعلاقات المحاكم بها ، وعن مسئوليات الطبيب الشرعى وعلاقته بالمتهم والمعتدى عليه ، وعن فحص الجثة وتشريحها ، ثم أفرد فصولا علمية شائقة عن علاقة الأمراض الجنسية بالاجرام ، ثم وضع « أطلس فى التشريح والفسيولوجيا » ، ثم صاغ هذه البحوث جميعاً فى أسلوب عربى واضح جزل وفى ألفاظ نحت بعضها نحتاً ، واشتق بعضها الآخر ، وبذل قصاراه فى رياضة اللغة العربية كى تؤدى المصطلحات والتراكيب العلمية الحديثة على أكمل وجه مستطاع وأدقه

مقدمة لدرس لغة العرب
أو كيف نضع المعجم الجديد

بقلم الأستاذ عبد الله العلايلى

المطبعة العصرية فى ٢٥٠ صفحة

ان اللغة تنمو بنمو الحضارة وتقوى بقوتها فاذا انحدرت الحضارة فى مهاوى الفساد انحدرت معها اللغة الى الجمود والتحجر . وهنالك تجرى عجلة الزمن بغيرها من اللغات التى يتكلمها المتحضرون ويستعملونها فى أغراضهم الثقافية ، فاذا مر الزمن وكرت القرون على لغة جمدت ، تعذر عليها أن تلاحق غيرها من اللغات فى مضمار الرقى والحياة العملية ، ما لم تنشط نشاطا كبيراً فى استخدام مواردها واصولها ونواحى المرونة فيها لتستكمل عدتها وتستوفى شروط البقاء بقدرتها على التعبير عن مختلف الاغراض التى رصدت اللغات لتحقيقها

فالاستاذ عبد الله العلايلى بكتابه هذا يدعو لا الى مذهب الصلابة والتقيد فى الحرص على اللغة العربية خشية تسرب العجمة اليها ، بل يدعو الى مذهب التوسع والسماحة ويقول إن كل ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، وإن اللغة جسم حى ينمو ثم يتوالد ، ويموت اذا امتنع عليه النماء وتعذر التوالد . فمقدرة اللغة على التغذى بعناصر جديدة ، ومقدرتها على تمثيل تلك العناصر تمثيلا يحولها الى جزء من أصل بنيتها ، وتفوقها فى هذا الكفاح المتصل على مر الايام ، هذه هى العوامل الرئيسية التى تحفظ لها حياتها وتمدها بعناصر النماء والازدهار

فانت ترى مما تقدم أن الاستاذ العلايلى لا يتعصب لموقف الصلابة فى انهاض اللغة ، ولا يخشى عليها التجديد ومسايرة العصر - وهذا هو أيضا رأى الاستاذ الكبير اسماعيل مظهر - الذى قدم للكتاب ببحث شائق ينم عن سعة اطلاعه وغزير علمه

وأما أقسام الكتاب نفسها فتدور حول نشأة اللغة ، ولغة الانسان الفطرى ، وأثر السماع فى اللغة عند العرب ، وتاريخ فكرة الاشتقاق ، والقلب اللفظى ، والاعلال ، والاتباع والمزاوجة ، وأساليب ابتداع الالفاظ الجديدة بما يطابق روح اللغة ويتفق ومقتضيات العصر

ووجه الطرافة فى هذا الكتاب أنه يرضى أنصار القديم والجديد على السواء ، ويرمى الى تجديد اللغة دون التضحية باصولها وعبقريتها وطابعها التقليدى

بين الهلال وقرائه

موضع مرض البلهارسيا

(بنها ـ مصر) يوسف رزق الله

هل يمكن أن يصيب مرض البلهارسيا من أعضاء الجسم سوى مجرى البول ؟ وما مدى الاضرار التى تصيب الانسان إذا تمكن منه هذا المرض وأزمن طويلا؟

(الهلال) من المعروف للاطباء المصريين ـ وهم أكثر الاطباء دراية بهذا المرض الذى لا يكاد ينجو منه فلاح مصرى ـ أن البلهارسيا تصيب جميع أجزاء الجسم بغير استثناء . فهى تتعدى المجارى البولية كلها الى القناة الهضمية فتصيبها من أول الفم الى آخر الشرج والى الاعضاء الداخلية فتحدث التهابا فى الكلى والكبد والطحال والبنكرياس ، بل عرض فى المؤتمر الجراحى الدولى الذى عقد فى سنة ١٩٣٦ حالات بلهارسيا أصابت ملتحمة العين . وذلك أن جرثومة البلهارسيا تعيش فى الدورة الدموية ، وتنساب فى الأوردة الى حيث تصيب جميع أجزاء الجسم

ومضاعفات البلهارسيا خطيرة جداً ، إذ تقتضى مبضع الجراح الذى قد يعجز عن علاجها إذا استفحل خطرها ، وذلك أنها كثيراً ما تسبب حالات سرطانية فى المثانة ، وكثيراً ما تؤدى الى تضخم الطحال وتتطلب إزالته . ولكن علاجها فى بدء الامر يسير بواسطة الطرطير المقيء ، وقد أصبح هذا العلاج سهل المنال فى هذه المستشفيات التى تنشرها الحكومة فى قرى الريف وتعالج فيها المرضى بدون مقابل

البراق ؟

(مكسيكو ـ المكسيك) انطونيادس الياس روفائيل

ما هو البراق الذى يبكي عنده اليهود ؟ وما أصل هذه الكلمة التى لم نجدها فى القاموس ، ولماذا يتنازع عليه المسلمون واليهود ؟

(الهلال) البراق دابة رمزية قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم امتطاها ليلة المعراج حين أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى . ويقولون انها ربطت فى ساحة مسجد قبة الصخرة المعروف باسم جامع عمر فنسب اليها هذا المكان وسماه المسلمون « البراق الشريف »

وهذا المكان واقع بين هيكل اليهود القديم وبين الحرم الاسلامى الشريف ولهذا يقدسه الفريقان : ففى يوم الصيام المعروف بيوم « ٩ آب » ، وهو اليوم الذى ضرب فيه آخر الهياكل اليهودية ، يسعى اليهود الى ذلك المكان يبكون مجدهم ويذكرون تاريخهم . أما المسلمون فيعدون هذا المكان ثالث الأماكن المطهرة وهى : البيت الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى . فهناك الصخرة التى قيل إنها المذبح الذى تل عليه ابراهيم ابنه ليقدمه قربانا . وهناك المكان الذى ربط فيه البراق وعرج منه النبي الى السماء ليلة الاسراء ، وهو بحكم القانون ملك المسلمين بل ان الافريز الذى يقف عليه اليهود فى أثناء صلاتهم وقف اسلامى قديم

شخصية جحا

(دمشق ـ سورية) مشترك

هل كان جحا شخصاً حقيقياً ؟ وان كان كذلك فمتى عاش ؟

(الهلال) اختلف المؤرخون فى هذا الأمر ، وقد قرأنا مقالا للدكتور عبدالوهاب عزام جاء فيه :

ـــ قال فى لسان العرب : « وجحا اسم رجل » . وقال فى القاموس: « وجحا لقب أبى الغصن دجين بن ثابت » . وقال شمس الدين بك فى قاموس الاعلام : « هو من قبيلة فزارة . يضرب به المثل في الحمق ، وكان فى الكوفة إبان ثورة أبى مسلم الخرسانى ، وجحا الرومى كناية عن « خواجة نصر الدين » ،

وقد ذكر ابن النديم فى الفهرست كتاب نوادر جحا

وأما جحا الرومى أو خواجة نصر الدين فيروى أنه كان معاصراً حاجى بكتاش . ويقال إنه عاش فى عصر السلاجقة . ويروى كذلك أنه عاش فى عهد تيمورلنك وكان بينهما بعض النوادر . وتحكى عنه نوادر كثيرة فى التركية كنوادر جحا فى العربية . وفى جوار آقشهر مكان غير مسور وله باب عليه قفل كبير يقال انه قبر نصر الدين

الاخلاص بين الرجل والمرأة

(الحصن — شرق الأردن) سامى خورى الجوينى

أيهما أثبت على الوفاء : الرجل أم المرأة ؟

(الهلال) هناك فارق جنسى بين الرجل والمرأة يرجع اليه تفاوتهما فى الصبر على الوفاء وطول مدة الاخلاص ، فالرجل يشتهى المرأة ساعة ويزهد فيها ساعة ، أى أن رغبته فيها تأتى على فترات متقطعة وقد تكون متباعدة . على نقيض رغبة المرأة فيه ، فانها تستمر مدة طويلة وعلى وتيرة واحدة ، فلا يعصف بها الميل حيناً ثم يقعد بها السأم حيناً . وهذا ما يجعل بعض الناس يتوهم أن الغريزة الجنسية فى المرأة أقوى منها فى الرجل ، مع أنه لا اختلاف بينهما من حيث القوة والضعف ، وانما من حيث طول المدة وقصرها . ولهذا السبب كانت المرأة — بحكم غريزتها هذه — أثبت على الاخلاص ، واصبر على الوفاء من الرجل . وقد فطرها الله على هذه الطبيعة ليعدها لأداء مهمة الأمومة التى تتطلب طول الصبر والأناة ، مما لا يتحقق اذا كانت كالرجل سريعة الملل كثيرة التقلب

جرح المخ لا يميت

(القاهرة — مصر) سامى يوسف الريان

لو أصيب مخ الانسان بجرح أو بدمل ، فهل يؤدى الى الموت ؟ وما حيلة الطبيب فى هذا الداء ؟

(الهلال) مخ الحيوان هو مركز السيطرة على حركاته وعلى احساسه وعلى تفكيره. فاذا أصيب المخ إصابة تعطل وظائفه كلها ، أدى هذا الى وقف حياة الحيوان وموته . واذا أصيب جزء واحد منه أدى الى فقد جانب من احساسه أو من تفكيره أو من حركات أعضائه

ومع هذا فقد يصاب المخ بجرح غائر أو بدمل كبير دون أن يموت الحيوان بل دون أن تشل احدى وظائفه . والفضل فى هذا لارتقاء فن الجراحة الى درجة يستطيع عندها الجراح أن يزيل جانباً من مخ الانسان دون أن يلحق الجسم أى أذى . وقد قرأنا فى هذا الموضوع بحثاً كتبه الدكتور فردريك دامرو وترجمه الاستاذ احمد بك زكى أورد فيه طائفة من الحالات التى أمكن فيها لمشرط الجراح أن يجتزىء من المخ قطعاً كبيرة اصابتها جروح أو دمامل . ففى احدى الحالات اقتطع الجراح نصف المخ الايمن كله ، بعد أن سرى فيه دمل كبير . ثم ملأ نصف الجمجمة الذى أفرغه بمحلول دافىء من الملح وكانت النتيجة شفاء المريض شفاء تاما لايشعر فيه بأى شلل أوضعف والمخ على ضعفه وليونته ذو مناعة قوية ، فقد ورد فى هذا المقال أن أحد المجانين دق خمسة مسامير طويلة فى رأسه ، فغارت كلها فى مخه ، ومع هذا انتزعت منه دون أن يصاب بأذى ما . وان عاملا نفذ فى رأسه قضيب حديد بوصة ، ففقأ عينه اليسرى ، وأتلف جزءاً كبيراً من مخه ، ثم خرج من قمة جمجمته ، ومع هذا عاش عشرين عاما سليما عاقلا

هذا وقد ثبت أخيراً أن مادة « السلفانلاميد » ، وهى معجزة الكيمياء والطب فى هذه الأيام ، تصلح علاجا ناجعاً لما ينشأ فى المخ من الدمامل أو ما يلم به من الجروح ، وقد جربها بعض الأطباء المعتمدين فنجحت تجاربهم نجاحاً باهراً

الملكيات فى أوربا

(الخرطوم — السودان) سلامة فاخورى

ما هى الدول الملكية فى أوربا ؟ وهل ينتظر أن تكون الغلبة فى المستقبل للنظام الملكى أو للنظام الجمهورى ؟

(الهلال) يقوم النظام الملكى فى اثنتى عشرة دولة أوربية وهى : بريطانيا العظمى ، وايطاليا ، وبلجيكا

وهولندة ، والسويد ، والنرويج ، والدانمرك ، ورومانيا ، وبلغاريا ، ويوجوسلافيا ، والبانيا ، واليونان

وليس في الامكان ان نعرف مستقبل النظام الملكي أو النظام الجمهوري في كل دولة ، لأن هذا رهن بمجرى الشئون الداخلية في كل منها وبتطور الحوادث الخارجية الخاصة بها . ولكن الى جانب هذه العروش الراسخة ، نجد النظام الجمهوري ثابتاً في البلاد التي أخذت به طويلا . هذا الى أنه لا يقوم الآن شيء من العداء أو المنافسة بين الملكيات والجمهوريات ، وانما تقع العداوة والتناحر بين الديموقراطيات والديكتاتوريات ، وكل منها تشتمل على بلاد ملكية وأخرى جمهورية على حد سواء

لماذا يضطهد اليهود ؟

(القاهرة — مصر) وديع جندي

لماذا تضطهد اكثر الدول اليهود ؟

(الهلال) عانى اليهود ضروب الاضطهاد منذ أقدم العهود ، فكان ملوكهم الاوائل يسلبونهم أموالهم ، ويخرجونهم من ديارهم ، ويخربون معابدهم وهياكلهم . أما اضطهاد الشعوب الأخرى لهم فيرجع الى ثلاثة أسباب :

سبب ديني وهو أن المسيحيين يحملونهم وزر صلب المسيح عليه السلام ، بعد أن أنكروا عليه دعوته وائتمروا على مناوئته ، وكذلك نشبت بينهم وبين المسلمين عداوة شديدة إذ آذوا نبيهم وحاربوه

وسبب جنسي وهو أن اليهود أبوا أن يندمجوا في الشعوب التي تشتتوا في بلادهم وأووا الى ديارهم ، بل ظلوا جماعة متميزة باسلوب حياتها وعمنها ، فظلت كل أمة تنظر اليهم نظرتها الى الاجنبي الدخيل ، الذي يحق لها طرده كلما ضاقت مواردها . ولو استطاع اليهود أن يندمجوا في الشعوب التي يحيون معها لاتقوا بجافاتها واضطهادها إياهم . والدليل على ذلك أن اليهودي الأمريكي لا يلقى أي شيء من التعصب والاضطهاد لانه اندمج في صميم الشعب فلم يعد من فارق بينه وبين مواطنه المسيحي ، أما في أواسط أوربا فقد ظل اليهود متشبثين بتقاليد وبأعمال بل بملابس وأماكن خاصة ، فظلوا يقاسون عداء أغلبية الشعوب واضطهادها

وسبب اقتصادي وهو أن اليهود استأثروا منذ اقدم بالاعمال المالية المربحة وبالاسواق التجارية الرائجة ، بينما ظلت أغلبية الشعوب تعمل في أعمال الزراعة والصناعة وهي كثيرة التعب قليلة الربح ، فأثرى اليهود بلا عناء ، وظل أصحاب البلاد فقراء جاهدين ، مما أدى إلى حقد الاغلبية على الاقلية التي هضمتها حقوقها وأضاعت عليها مصالحها . ومن أهم الاسباب الداعية الى اضطهادهم احترافهم الربا الذي مكنهم من أن يستولوا على شطر كبير من ثروة البلاد التي استوطنوها ، دون أن يؤدوا اليها فائدة اقتصادية بانشاء المصانع وإصلاح الاراضي وغير ذلك من الاعمال التي يضنون عليها باموالهم الطائلة

مرض نفسي

(المحرق — البحرين) أحد القراء

إني مصاب بضعف أعصابي نتيجة أزمة نفسية رزحت تحتها عدة سنين . فهل من سبيل الى الخلاص مما أنا فيه ، ولا سيما أن هذه الازمة قد تلاشت ؟

(الهلال) نرجح أنك تجد في «الايحاء الذاتي» ما يشفي أعصابك مما أصابها من جراء هذه الازمة النفسية التي لم تزل إلا بعد أن خلفت فيك آثارها . وما دمت تعرف موضوع هذه الازمة النفسية ففي وسعك أن تعالج آثارها إذا أنت أوحيت الى نفسك كل صباح وكل مساء بما يوهمك أنك قد تغلبت عليها ونجوت منها وأنها لم تترك فيك أثراً ما

وإذا وفقت إلى رجل يجيد التنويم المغناطيسي على أسسه العلمية المعتمدة ، فقد تجد على يديه شيئاً من الراحة والشفاء . ولكن حذار من الدجالين الذين يستغلون المرضى والمأزومين ، وحذار أيضاً ممن يزعمون تحضير الأرواح ، هذا ومن الواجب أن تعرض أمرك على أحد أطباء الامراض العصبية ، فمن الخطأ ترك الداء يشتد ويستشري دون استشارة طبيب أخصائي

حكومة عالمية

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

لماذا لا توجد « سيادة العالم » فى مكان سيادة الامم ، حتى يتهيأ المكان تمام التهيؤ لنظام عالمى تنطوى فيه جميع السيادات

سلفادور دى مدرياجا (Salvadore de Madariaga) هو ولا ريب أشهر الكتاب الاسبانيين فى العصر الحاضر ، وهو إذا عد الكتاب العالميون فى الطليعة التى لا تتجاوز عدتها العشرين أو الثلاثين

مثل بلاده فى عصبة الأمم ، واختبر السياسة الدولية عن كثب من جانبها الحكومى الرسمى ، ومن جانبها العلمى النظرى ، ومن جانبها الواقعى الاجتماعى ، وأضاف الى ذلك جميعه ملكة أدبية نادرة ، وخصالا انسانية كريمة ، وشغفاً بالاصلاح والتقدم ينتظم به بين خيرة الباحثين فى معضلات الاجتماع وأزمات السياسة العالمية ، وعنده ولا شك جميع المعلومات التى تتأتى الاحاطة بها لرجل من ساسة العصر الحاضر فى شئون التسليح ومساعى الوفاق والسلام ، لأنه قضى أكثر من ست سنوات فى رئاسة القسم المختص بنزع السلاح فى عصبة الأمم ، وقضى مثل هذه المدة نائباً عن أمته فى مجلس العصبة وفى المؤتمرات التى عقدت لتقرير قواعد التسليح

ألف هذا الكاتب الألمعى كتاباً أسماه النظام العالمي « The World's Design » يدل اسمه على موضوعه ، وهو النظر فى امكان الاتفاق على نظام للحكومة العالمية أو على أساس للتقارب بين الامم من هذه الناحية

واعتقاد الكاتب ان الأرض ممهدة لاقامة ذلك البناء ، لأن حدود السيادة القومية تضمحل عاماً بعد عام ، وتتداخل من جوانب شتى حتى تأذن بالاشتراك بين الحكومات المتعددة فى تدبير المسائل « الاستقلالية » التى كانت تبرمها كل حكومة على حدة

فالسيادة الوطنية « Sovereignty » كانت تستأثر من قبل بشئون الجيش والعملة وضرائب المكوس ومسائل العمال والتجارة ، فما زالت تضعف وتسمح بالمشاركة حتى أصبحت فى جملتها من شئون المؤتمرات والمعاهدات الدولية ، وأصبحت الدولة من الدول تتقيد بما تصنعه غيرها من تقرير عدد جيشها وقيمة عملتها وضرائب موانئها والمصالحة بين عمالها وأصحاب الأموال فيها ، ومنها من تتقيد أو تريد أن تتفق على قيود للخامات والمصنوعات وتوزيع الأسواق . ويصادف حصول هذا فى الوقت الذى تقاربت فيه الأزياء والمصطلحات ، وتقاربت فيه المواصلات والمسافات ، وتقاربت فيه المعارف والمعلومات ، وشاع الايمان بان مشكلات العالم لن تحل بعد الآن على أساس قومى منفرد ، ولا غنى فيها عن حلول قائمة على أساس المصالح العالمية

فلماذا لا توجد « سيادة العالم » فى مكان سيادة الامة أو الى جانب سيادة الأمة حتى يتهيأ المكان تمام التهيؤ لنظام عالمى تنطوى فيه جميع السيادات ؟

والرجل بعد درسه الطويل وتجربته الوافية ، لا يمكن أن يكون حالما من أولئك الحالمين الشطاحين الذين يصفون العلاج ولا يعنيهم أن يصدموا به الواقع أو يطلبوا به المستحيل ، فهو لهذا يقترح من وجوه الاصلاح والتبديل ما يقبل التحقيق والانجاز فى زمن معقول ، ومن أمثلة ما يقترحه انشاء لجنة عليا مجردة من العصبية الوطنية للاشراف على مسائل المكوس والمبادلات التجارية ، وانشاء مصرف أكبر للعالم بأسره ترتبط به المصارف المركزية كما ترتبط المصارف العادية فى داخل الأمة بالمصرف المركزي الكبير ، وانشاء لجنة للتعاون الثقافى والاشراف على تنظيم الحركات الفكرية ، واسناد السيطرة المرعية إلى كل لجنة من أمثال هذه اللجان مع الاعمال المرسومة والدساتير المقسومة التى تتيح لها أن تراجع وتحاسب وتشير بما تراه وتنجز ما تراه . وقد شفع ذلك ببيان الوسائل « العملية » الفعالة التى تؤدى الى إقامة هذا النظام فى دور التجربة ثم فى دور النجاح والاقرار

***

مضى على صدور هذا الكتاب بالانجليزية سنة كان له فى خلالها أثر محسوس فى تحضير الاذهان واستمالة النفوس الى فكرة السيادة العالمية

ثم طرأت أزمات الخريف الماضى وأزمات هذه السنة ، فاذا بالفكرة تثب الى الامام وثبة قوية من جانب الباحثين الامريكيين ، واذا بالصحفى الامريكى المشهور « كلارنس استريت » Clarence Streit يواجه أبناء وطنه وأبناء الأمم الديمقراطية الغربية باقتراح جرىء فى مسألة

السيادة الوطنية والحكومة المؤتلفة ، ضمنه كتابا مفصلا أحسن التفصيل لهذه الفكرة الجديدة أسماه « الوحدة الآن » Now Unit ودعا فيه الى توحيد الدول الديموقراطية على مثال الولايات المتحدة فى أمريكا الشمالية ، وقال ما فحواه ان الاطلاع على تاريخ هذه الولايات وما كان بينها من شقاق أو تناقض فى المصالح كفيل باقناع من يرتابون فى امكان التوحيد بين الدول المتفرقة على نحو هذا النظام

فقد بلغ من تضارب المصالح بين ولايات أمريكا الشمالية ان حكومة نيويورك كانت تفرض المكوس الثقيلة على أخشاب كونيكتيكوت لحماية تجارة الوقود فيها ، وكانت تفرض مكوساً أخرى على الزبدة الواردة من نيوجرسى لحماية فلاحيها ، وكانت ولاية مساشوست تفتح موانئها للسفن الانجليزية وولاية كونيكتيكوت توصدها فى وجهها ، وكانت بوستون تقاطع رود ، وفيلادلفيا ترفض العملة التى تتعامل بها نيوجرسى ، بل كانت نيويورك تحشد جنودها على الحدود وجنود بنسلفانيا تثخن فى القادمين من كونيكتيكوت ذبحاً وتقتيلا كأفظع ما عرفت المذابح بين الأعداء . فاذا جاز التوفيق بين هذه الولايات المتقاتلة المتنافسة قبل مائة وخمسين سنة ، أفيمتنع على الديمقراطية الراسخة بعد أن جربت ما جربت وتعلمت من الأيام ما تعلمت أن تجارى تلك الديمقراطية الناشئة فى طفولتها ؟

أما الدول الغربية التى يدعوها المستر ستريت الى الوحدة فهى الولايات المتحدة وكندا وانجلترا واستراليا ونيوزيلاندة وأفريقيا الجنوبية وايرلندة وفرنسا والبلجيك وهولندة وسويسرة والدانمارك والسويد والنرويج وفنلاندة ومن شاء أن يدخل فى نطاقها من الشعوب الديمقراطية على أن تلغى السيادة الوطنية كل الالغاء ، وأن تكون «الوحدة» هى الفرد الحر دون الحكومة أو الولاية . ولتكن هذه الدولة الكبرى نواة للدولة العالمية ، مشتركة فى قوة الدفاع والعملة والبريد والمواصلات والمكوس الجمركية ، قادرة بهذه المثابة على نقص النفقات الكثيرة التى تنفقها الآن على التسليح ، لأنها تملك نصف الكرة الأرضية ومعظم بحارها وثلثى تجارتها وكل ما فيها من ذهب وثروة مصرفية ، فهى لهذا تستطيع أن تكتفى بأقل ما تحتاج اليه من السلاح ، وتكون مع هذا مساوية لضعفى القوات التى تخرج عنها أو تناضلها

ومتى قلت الحاجة الى التجنيد والتنظيم بالاكراه والاضطرار ، فقد زاد نصيب الفرد من الحرية والكرامة ، وزاد الرجاء فى التقدم وتهذيب الأخلاق وبطلان الدعوات البغيضة القائمة على التقاطع والعداء ، ثم تشعر الدول المستبدة بالعجز عن المقاومة وتشعر الأمم الخاضعة

لها بالمزايا المكسوبة فى ظلال الدولة المتوحدة ، فتجنح الى الوفاق وتتدرج الدنيا بأسرها الى توحيد الحكومة العالمية وتحطيم الفوارق التى خلقتها السيادات الوطنية

ويجتمع للدولة المتوحدة مجلس نيابى واحد ينوب فيه العضو عن مليون من السكان ، ومجلس أعلى ينوب فيه اثنان عن كل حكومة ، ويتولى أمورها خمسة رؤساء ورئيس وزارة مع طائفة من الوزراء

تلك خلاصة سريعة للفكرة الأمريكية الجريئة ، قد يسأل السائل : هل هى قابلة للتنفيذ؟ وهل هى نافعة حاسمة للمشكلات التى يقترحها الكاتب من أجلها ؟

أما نحن فنفضل أن نسأل : هل هناك استعداد لقبول الفكرة بين ذوى الجد من كتاب السياسة ؟ . ونتعمد أن نسأل عن « كتاب السياسة » دون وزرائها العاملين ، لأن الوزراء فى كل دولة هم آخر من يقبل الافكار وينتقل بها الى التنفيذ أو الدراسة

والجواب أن الاستعداد لقبول الفكرة ظاهر من طريقة تناولها فى كتابات الباحثين المتزنين ، فلو أن كلارنس ستريت أظهر كتابه هذا قبل ثلاثين أو أربعين سنة ، لكان هدفا للسخرية أو للتعليقات النظرية التى تلحق آراءه بأحلام الخيال وأمانى طلاب الاصلاح بعد أمد بعيد . أما اليوم ، فناقد التيمس يناقشه مناقشة الآراء العملية ، ويقتصر فى ملاحظاته على تنبيه الكاتب الى نسيان مسألة مهمة ، وهى مسألة الأثر الذى يتركه « انقلاب الوحدة » فى نظام كل حكومة من الحكومات الداخلة فيها ، ويقرظ العالم الدستورى ليونيل كرتيس هذا الكتاب فيقول إنه لم يتركه من يده إلا للنوم أو الطعام ، ويعقب عليه اللورد لوثيان بمقال ، ويثنى عليه ويكهام ستيد ، ويرفع ادوارد هالتون قبعته تحية الاعجاب ، ويعده جيرالد بولت أهم كتاب ظهر منذ الحرب العظمى

فمثل هذا الاستعداد لتقليب وجوه الفكرة لن يذهب مع الهباء ، وأغلب الظن أننا سنرى فى حياتنا خطوة بل خطوات الى تقريب هذه الغاية جهد المستطاع ، وربما بدئت باقرار السيادة العالمية الى جانب السيادة الوطنية ، فيسهل من ثم إلقاء التبعات على مثيرى الحروب وسافكى الدماء ممن كانوا يسلمون حتى الساعة من العقاب ، لأنهم مسئولون أمام أوطانهم وحدها ، وأوطانهم وحدها قد تحسبهم من الابطال وتسلكهم فى عداد العظماء المخلدين

عباس محمود العقاد

حياتنا الدينية والفكرية

الى أين تتجه فى الوقت الحاضر

آراء لثلاثة من المفكرين :

الشيخ محمد مصطفى المراغى ، على ماهر باشا ، احمد لطفى السيد باشا

قام الكاتب الانجليزى المعروف « روم لاندو » برحلة فى الشرق الأدنى درس فيها الحياة الدينية والفكرية بين أمم الاسلامية ، وقد اجتمع فى أثناء هذه الرحلة ببعض زعماء هذه الأمم وقادة الفكر فيها ، ثم وضع كتاباً عن هذه الرحلة ضمنه أحاديثهم ، وما حوته من مختلف الآراء . ونحن ننشر هنا ما دار بينه وبين ثلاثة من رجال مصر المعروفين ، وهم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر ، وصاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس ديوان جلالة الملك ، وصاحب المعالى أحمد لطفى السيد باشا مدير جامعة فؤاد الأول . وقد أدلى كل منهم برأيه فى الاتجاه الجديد لحياتنا الدينية والفكرية [المحرر]

الأستاذ الأكبر



الاسلام كما يفسره الأزهر ، يسعى الى أن يطابق بين قواعده وبين مطالب الحياة العقلية الحديثة ، وقد حاول الشيخ المراغى أن يوفق بين الروح والمادة توفيقاً عملياً ونظريا فى آن واحد ، ويتبين هذا التوفيق من الناحية العملية فيما أدخله فى الازهر من أوضاع التقدم وأساليب الارتقاء

ذهبت اليه فى حلوان برفقة مترجم إذ أنه لا يتكلم سوى العربية ، وبلغت منزله ذا الطابع الشرقى فى الصباح ، فوجدته يتمشى فى حديقته الخاصة وقد تمثلت فيه صفات الهيبة وسمات الوقار

وجلسنا فى الحديقة حول مائدة ، وجاءنا بالقهوة خادم أسود ناصع الثياب ، وسألنى عما إذا كنت أبحث فى مسائل الدين أم مسائل ما وراء الطبيعة . واذ لم تكن التفرقة بين الأمرين تعنينى

كثيراً ، لم ألق إجابة صريحة ، وقلت : كلاهما ، ولكني أوثر البحث فيما وراء الطبيعة

فقال الشيخ العالم : « إنها قليلة الجدوى جداً »

قلت له : لقد سمعت ان الشباب بدأ يتجه صوب الحياة العقلية ، فتبذل لهذا جهود ترمى إلى التوفيق والملاءمة بين الدين والعلم ، فهل هذا صحيح ؟

— لا أرى ان الشباب المصرى أقل تديناً مما كان فيما مضى ، وليس فى القرآن شىء يناقض العلم والحق ، وليس فى أحدهما ما ينافى ماضى ثانيهما

فرأيت أن أجهر برأيى الصريح قائلا :

— ألا ترى أن العناصر الروحية ، بل العناصر الصوفية الغامضة ، هى أهم ما فى الدين ؟

فأجاب إجابة هادئة ناعمة :

— من يعلم ما كنه الله وما طبيعة الروح ؟ فبعض أساتذتنا يرى أنها حقيقة ملموسة ، وبعضهم يرى أنها ليست إلا فرضاً أو وهما ، ولكن ما من أحد يستطيع أن يقرر رأيه تقريراً حاسماً ، والقرآن لا يضع فاصلا بين الامرين ، وهو يبحث الى جانب المسائل الروحية المعنوية حقائق شتى مثل الزواج والقواعد المالية

— ما عسى أن يجرى لآلاف الطلاب الذين لا يجدون ما يكفيهم من الوظائف والاعمال ؟

— من يدرى ؟ انى لا أعرف

فألححت فى سؤالى قائلا : « انك ترأس أكبر معاهد التعليم فى مصر ، فلابد أن تكون قد أدليت برأيك فى هذا الموضوع »

فقال : « انى أحاول ان أنقص عدد من يدخلون الازهر »

— وهل ترى أن الفارق الكبير بين عدد من يحملون شهادات الجامعة وعدد الوظائف والاعمال الممكنة فى مصر ، قد يؤدى يوما ما الى الشيوعية ؟

— من يستطيع أن يتنبأ ؟

وأشرق وجهه بابتسامته المعهودة ثم أضاف :

— قد يأتى مثل هذا الخطر ، ولكنا ما زلنا بعيدين عن منشئه

— ترون فضيلتكم ان كل المبادىء السياسية الحديثة مصدر خطر فى مصر ، وأن القوة الوحيدة التى توازن بينها هى قوة الدين بلا مراء ، فهل ترون ـ باعتبار انه موكول إليكم رسمياً حماية الدين من هذا التطور ـ أنكم تحملون مسئولية خطيرة وتؤدون مهمة عسيرة ؟

— انى أشعر بذلك ، ولكنى أعتقد ان الامة لن تهجر الدين ، وانها ستعود دائماً الى حماه ، ولكنى لا أستطيع الآن ان أؤدى واجبى على وجهه الاكمل ، إذا لم أجد العون اللازم من رجال السياسة ورجال الصحافة ، ومن الشباب نفسه

ـــ وهل وجدت هذا العون ؟

ـــ كلا

ـــ لعلك تظفر به فى المليك الشاب ، أليس شديد الايمان بالدين ؟

ـــ نعم أجده ، فان المليك عظيم الايمان ، عامر القلب بالتقوى

على ماهر باشا

يعيش على ماهر باشا فى بيت حديث أنيق ، وسط حديقة فسيحة تطل على النيل ، ويتمثل فى وجهه الأسمر وعينيه المتقدتين روح الرجل الشرقى الذى خبر الدنيا وعاش ملء الحياة

سألته بعد ان أخذنا مجلسنا فى حجرة استقبال باذخة المظهر :

ـــ هل توافق على أن الشباب المصرى أخذ يقصر فى واجبات دينه ؟

ـــ أظن أنى أوافق ، ولكن يجب أن تقدر الظروف التى يقع فيها هذا ، فبعد الحرب اتقد الشعور الوطنى وطغى على كل ما عداه ، فأزوت مشاعر الشباب وتوارت عواطفهم خلف مصالحهم القومية

ـــ فهل تراهم يجدون طريق الرجوع الى الدين يوماً ما ؟

ـــ أرى أنهم سيجدونه ، بل هناك طائفة من شباب اليوم تطمح وتسعى الى أن تكتشف لنفسها طريق الدين ، ولكنها أقلية ، فنحن معرضون لآراء جديدة كثيرة تؤدى الى أن تقوم فى الحياة المصرية حركات شتى يناقض بعضها بعضا ، ومن المستحيل أن ننتهى الى نتائج حاسمة ، ولكنى أرى من الصواب أن تقول إن فريقا من الشباب الحديث يتجه الى الدين أكثر مما كان يتجه اليه الشباب منذ بضع سنوات

ـــ وماذا اتخذ لتوجيه قوات الشباب التى كانت تنصرف فيما مضى فى نواحى الجهاد السياسى ؟

ـــ عند ما كنت رئيساً للوزارة ، وضعنا برامج مفصلة لانشاء معسكرات خاصة أعدت لتهيىء للشباب فرص التدريب الجسمى والرياضة العقلية ، فتقضى فيها جماعات الشباب اربعة أيام من كل شهر ، يستمعون فى أثنائها الى محاضرات فى الاجتماع والتاريخ والمعارف العامة ، يلقيها أساتذة دائمون ، ويقصد منها الى تثقيف أخلاقهم وتوجيهها ، وقد أردنا بذلك ان ننشىء شيئاً متواضعاً يشبه الى حد ما الجامعات الانجليزية ، ويلائم بيئتنا الخاصة

ـــ وهل نفذت هذه البرامج ؟

— لما جاءت حكومة الوفد أوقفتها

— ولكنى سمعت عن الجهود الكثيرة التى تبذلها مصر فى سبيل الألعاب الرياضية

— نعم ، ولكن النظم الحالية ترمى إلى إعداد نفر من الرياضيين يصلحون للفوز بالمداليات فى المباريات الدولية ، فهى لا تعنى بالجماعات الكبيرة التى نريد إصلاحها ، كما أنها مقصورة على الرياضة البدنية وحدها ، دون الرياضة الخلقية التى نفتقر اليها

احمد لطفى السيد باشا

أقدر الناس على أن يهدينى فى تيه الحياة المصرية هو احمد لطفى السيد باشا مدير الجامعة ، فان دائرة تفكيره الفسيحة تشمل قضية القومية ، ومسألة الدين ، ومشكلة الشباب ، وأمور التعليم

زرته فى منزله النائى فى ضاحية مصر الجديدة ، حيث لقينى فى مكتب يشبه المعبد الصغير ، فسقفه مرتفع مقبى ، وجدره تختفى وراء صفوف الكتب والأسفار ، وفيه تمتزج مظاهر الشرق والغرب امتزاجاً معتدلا جميلا

سألته بعد أن فرغنا من المجاملات المعهودة :

— أى عمل فكرى خطير ترى أن مصر قد أدته فى خلال القرون الأربعة التى خضعت فيها للسيادة التركية ؟

— العمل الذى قامت به الجامعة الازهرية ، ولا سيما فى تأليف كتب الشريعة وتصنيفها

— ألا يدل حصر جهود الأمة الفكرية فى دائرة المباحث الدينية النظرية على ضيق أفقها وقصر نظرها ؟

فرفع حاجبيه قليلا ، وتريث فى رده ملياً ، فأكملت سؤالى قائلا :

— كثير من الغربيين يعتقدون أن التفكير العربى تفكير نظرى ، فاذا كان تفكير مصر فى خلال اربعمائة عام لم يجاوز نطاق الفقه الدينى ، فقد يبدو أن هؤلاء الغربيين لم يكذبوا ولم يخطئوا

— وماذا تعنى بالتفكير النظرى ؟

— التفكير الانجليزي مثلا تفكير واقعى ينفر من الفروض النظرية ، وينصب على شئون اليوم التى نعانيها ، أما التفكير العربى فيبدو أنه منوط ببحث القواعد التى سبق تقريرها والقوانين التى فرغ من وضعها ، فهو كقطع «الارابيسك» لاترى فيها حياة نابضة ، وان تكن جميلة بما فيها من دقة التخطيط والتنسيق

فقال وهو يبسم ابتسامة اعتذار :

— يؤسفني ألا أوافقك ، فاني أرى نقيض ماترى ، إذ يبدو لى أن التفكير العربي أقرب الى الواقع من التفكير الغربي ، فالشريعة الاسلامية التى ذكرتها دلالة على « نظرية » تفكيرنا ، ليست كالشريعة المسيحية مقصورة على بحث أصول العقائد والأخلاق فحسب ، بل تتناول تفاصيل الحياة ووقائعها ، فهى تضع قواعد للعمل وللزواج وللميراث ، ولما شاكل ذلك من أمور الحياة . وأظن أنا نصل الى لب المسألة اذا درسنا خيال الشعب كما يعبر عنه الدين . فكيف رسم الخيال المسيحى صورة الجنة ؟ انه لم يرسمها ، إذ هى عنده ليست إلا « رحمة » لا شكل لها يمكن أن تراه أو تتخيله ، وهذا هو عين التفكير النظرى . أما كيف رسم الخيال الاسلامى صورة النعيم ؟ فانه رسمها قطراً حقيقياً تنساب فيه أنهار اللبن والعسل ، وتتكدس فيه أكداس الذهب والفضة ، وتظله الأشجار وتنضره الأزهار وتجمله الحور . وكل هذه حقائق ترى وتسمع وتامس . وقد يعنينا هنا أن نذكر كذلك أن « الأخيلة الواقعية » فى المسيحية والاسلام لا تلتقي إلا فى الناحية السلبية ، وهى تصوير نار الجحيم ، التى تتكلم المسيحية عن لهبها الوقدة ، وعذابها البدنى البئيس

وأمسكت حينئذ عن مناقشة هذا الرأى بأن « الخيال » المسرف فى الواقعية ، يدل دائماً على عجز العقل عن « التفكير الواقعى » ، ثم وجهت أسئلتى وجهة أخرى ، فقلت :

— هل مايزال الدين عاملا قوياً فى الحياة المصرية ؟

— مايزال أثره فى الحياة الاسلامية أوضح من أثره فى الحياة المسيحية ، وذلك أن قوانيننا تقوم على قاعدة من القرآن ، ومن العسير فى الأقطار الاسلامية أن نفرق كثيراً بين تعاليم الدين وأمور الحياة اليومية

— وماذا عندك عن القومية المصرية الراهنة ؟ سمعت أنها ترمى الى فصل الحياة الفكرية فى مصر عن سائر مصادر الفكر فى العالم ، والى أن يستغنى بالانتاج الذهنى المحلى عن كل إنتاج عقلى اجنبى ، فهل ترى خيراً فى هذا الانفصال والاعتزال ؟

— كلا ، وقد كذبك من ذكر لك هذا ، فان قوميتنا لاتمتد الى دائرة الثقافة ، واذا لم يكن فى جامعتنا من الأساتذة الأجانب قدر ما تريد ، فما ذلك إلا لأن مواردنا المالية لا تسعفنا كثيراً ، فان الاستاذ الانجليزى يتقاضى ثمانمائة جنيه أو تسعمائة جنيه فى السنة ، مما لا نقدر عليه إلا قليلا

— وماذا عن الحركة القومية بين الطلاب ؟

— تملؤهم قوة الحماسة شأن الشباب دائما ، ولكنهم بدأوا يهدأون ويسكنون شيئاً فشيئاً ، ولا تنس أنه لم يتح لهم الانتظام فى صفوف الجيش ، ولا التعبير عن آرائهم ومشاعرهم السياسية جهراً وصراحة ، بينما كانوا هم يشعرون بهوان أمتهم التى سلبت حق الحرية والاستقلال ، فكانوا عندئذ فى حاجة الى منفذ يصرفون فيه قواتهم وجهودهم ، أما اليوم فلم تعد بنا حاجة الى مظاهراتهم الصاخبة

تحقيق تاريخي

فرعون موسى

بقلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد

قصة موسى وخروجه ببنى اسرائيل من مصر قصة عالمية شائعة فى الامم التى تدين باحدى الديانات الثلاث الكبرى : الاسلام والمسيحية واليهودية ، وهي لذلك تكاد تفقد صبغتها الاسرائيلية ، وتعتبر حادثتها حادثة عالمية تمثل الثورة للحرية والعقيدة على القوة والسيطرة ، وقد يكون لها فى هذه الايام معنى آخر لأنها تظهر كيف تبدأ الشعوب فى حجر المبادىء السامية ، فترفض أن يتحكم الجبروت فى كرامتها وعقيدتها ، ثم تنتهى بعد حين بأن تسعى الى الجبروت والارغام وتنزل بالشعوب الاخرى ماكانت تأباه لنفسها من الاخضاع والعسف . غير أننا لن نحاول هنا أن نحلل المعانى التى ينطوى عليها خروج الاسرائيليين من مصر ، ولا أن نتابع سيرة ذلك الخروج حتى يبلغ الاسرائيليون الارض التى دفعتهم ثورتهم نحوها ، بل نكتفى بان نحاول الكشف عن شخصية واحدة من شخصيات قصة الخروج وهى شخصية فرعون موسى

لا نستطيع أن نجد فى التاريخ ولا فى دلالة الآثار ما يساعدنا على أن نستجلى الغموض الذى يحيط بتلك الشخصية ، ولهذا لايخلو البحث عنها من لذة البحث وراء الغامض المجهول ، فعلينا أن نتحسس طريقنا فى الضباب الكثيف ونتلمس السبل فى ذلك الظلام ، لعلنا نقع على الطريق المؤدى الى الغاية مع ما يعترضنا من ركام العصور المنقرضة

لاغنى لنا عن أن نبحث عن الخيوط الاولى التى نسير من طرفها ، فان نحن ظفرنا بها رجونا أن نبلغ طرفها الآخر عند غايتنا المقصودة ، وتلك الخيوط الاولى ماثلة فى ثنايا قصص التوراة ، ففى التوراة أول ذكر لحادثة الخروج وفيها أول تفصيل لحوادثه التى أغفل التاريخ ذكرها ، فاذا ما وقعنا هناك على فرض أمكننا أن نعود الى التاريخ لنقارن ونناقش ونبرهن

قصة الخروج فى التوراة

أول ذكر لبنى اسرائيل فى التوراة مقترن باسم اسرائيل نفسه وهو يعقوب بن ابراهيم العبرانى الذي نزل فى أرض مصر ضيفاً على ابنه يوسف وزير الدولة وثانى رأس بها بعد فرعون

ووجد يعقوب فى مصر ترحيباً واكراما ، ونزل هو وبنوه وحفدته فى أرض جاسان فى شرق الدلتا ليرعوا هناك سائمتهم بعيدين عن أهل مصر وعن ريفهم لأن الرعاة كانوا يعدون فى مصر أنجاساً لايجوز نزولهم فى البلاد العامرة ولا حلولهم بين ظهرانى أهلها

ونما عدد هؤلاء العبرانيين حتى ملأ سهول جاسان ، وكانوا أعوانا للدولة القائمة ـ مع أنهم كانوا أجانب عن الديار ـ وهذا يدعو الى القول بأن الدولة القائمة نفسها كانت دولة أجنبية ، تستكثر من الأجانب وترحب بنزولهم فى أطراف البلاد ، لعلهم يكونون لها أعوانا اذا دعا الداعى الى المعونة .

ثم تغيرت الدولة بعد حين وقامت دولة جديدة معادية للدولة السابقة فجعلت همها أن تطهر مصر من آثار الحكم القديم ، وأخذت تتعقب أعوانه بالعسف والاضطهاد وتحكمهم بالسيف والسوط

قالت التوراة فى ذلك : « ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف ، فقال لشعبه هوذا بنو اسرائيل شعب أكثر وأعظم منا هلم نحتال لهم لئلا ينموا ، فيكون اذا حدث حرب انهم ينضمون الى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الارض »

ولكن التوراة لا تبين ما هى هذه الدولة الجديدة ، ولا تحدد لذلك الحادث تاريخا ، وليس فى هذا عجب فان تلك القصة انما كتبت بعد قرون من الحادث ، ودونت من الروايات المأثورة التى لا يمكن أن تطالب بكثير من التفاصيل ، فلا نعرف من الخبر إلا أمراً واحداً وهو أن الحكم تغير وأن الدولة الجديدة مختلفة عن الاولى ومعادية لها ولاعوانها ، وانها أخذت تشدد الحكم على بنى اسرائيل وتعمل على تقليل عددهم خوفا من أن تحدث حرب فينضموا الى أعدائها

واستمر هذا الحكم الشديد مسلطا على بنى اسرائيل زمنا طويلا ، فثارت فى نفوسهم كراهة شديدة للحال التى آلوا اليها ، واستعدت عواطفهم للثورة حتى ظهر فيهم زعيم قوى دعاهم الى اباء الظلم ، وحبب اليهم الخروج من موطن الاضطهاد ، ومازال بهم حتى أطاعوه وخرجوا معه متحدين ارادة فرعون وقوة دولته ، وذلك الزعيم هو موسى الكليم

وسار فرعون فى جنوده وراءهم ، ولكنه عجز عن ارجاعهم ، وحلت به وبجيشه نكبة عظيمة فى أثناء عبوره البحر وراءهم ، فاستطاعوا الخلاص الى البرية الفسيحة خارج حدود الارض المعمورة

هذه هى قصة الخروج فى التوراة موجزة ، وليس فى ثناياها ما يمكن أن نستخلص منه شيئاً عن شخصية فرعون ، ولا عن تاريخ ذلك الحادث ، ولا عن وصف الحياة السياسية التى تدل على الدولة القائمة عند ذلك .

تاريخ خروج بنى اسرائيل من مصر

ولكن التوراة وان أغفلت تحديد ذلك التاريخ قد ذكرت تاريخا آخر فى مقام آخر ، وهذا التاريخ الآخر ذو دلالة كبرى ، ونستطيع به أن نصل الى ذلك التحديد بغير عناء

جاء فى التوراة ذكر لحادثة هامة أخرى فى تاريخ بنى اسرائيل ، وهى حادثة بناء بيت المقدس فقد بنى ذلك البيت فى السنة الرابعة من حكم الملك سليمان .وحددت التوراة ذلك الحادث بأنه كان بعد الخروج من مصر باربعمائة عام وثمانين ، فقد ورد فى الاصحاح السادس من سفر الملوك الأول :

« وكان فى سنة الاربع مائة والثمانين لخروج بنى اسرائيل من أرض مصر فى السنة الرابعة لملك سليمان على اسرائيل فى شهر زيو وهو الشهر الثانى أن بنى البيت للرب »

إذن فالتوراة تحدد تاريخ الخروج بطريق غير مباشر ، لان حكم سليمان محدد معروف فى صفحات التاريخ ، وهو أقرب الى الثبوت وأكثر اتصالا بالآثار وحوادث العالم من الحادثة القديمة ، ولا يتعذر علينا أن نقيم به فرضاً على أساس متين

حدد التاريخ حكم سليمان تحديداً واضحاً مع شىء يسير من التردد ، فأصح الآراء أنه كان بين سنة ٩٧٠ وسنة ٩٣٠ قبل الميلاد . فاذا نحن سرنا على هذا الدرب أمكننا أن نحدد خروج بنى اسرائيل من مصر بعام ١٤٤٦ قبل الميلاد

وقد يتبادر الينا سؤال لا بد من التحقق منه قبل المضى فى البحث ، وهو هل نستطيع أن نطمئن الى أن الفترة بين الخروج وبين بناء بيت المقدس هى تلك المدة التى ذكرتها التوراة وهى اربعمائة عام وثمانون ؟

لقد ذكرت التوراة حوادث أخرى كثيرة وحددت لها تواريخ وذكرت عنها تفاصيل وأوردت فيها أسماء ملوك وقواد فى أقطار مختلفة وشعوب متفرقة ، وكان ذلك كله قبل أن يلقى ضوء البحث الجديد على حوادث الماضى ، فلما استطاع العلماء أن يقفوا فى بحوثهم على حقائق تلك العصور التى ورد ذكرها فى التوراة ، تبين لهم ان ما نصت عليه التوراة كان صدقا ، وان وصفها كان وصفا صحيحاً دقيقاً إذا نظرنا اليه من وجهة نظر بنى اسرائيل . وفى هذا ما يجعلنا نطمئن أكثر الاطمئنان الى أن تحديد بناء بيت المقدس كان تحديداً دقيقاً وثيقاً . ولا شبهة فى أن خروج بنى اسرائيل من مصر كان أكبر حادث فى تاريخهم القومى ، ومثل ذلك الحادث جدير أن تعده الأجيال المتعاقبة من ذلك الشعب مبدأ لقيد الحوادث وعد السنوات ، فهو فى حياة الاسرائيليين لا يقل عن حادث الهجرة عند المسلمين ، ولا غرابة ان كانوا يحرصون على عد السنين من عنده ، وأن يكون إسنادهم اليه عن تأكد ودقة اذا لم نقل عن إثبات وتسجيل ورواية متواترة معنعنة ، فلاشك أن علماء الاسرائيليين وأحبارهم كانوا يحرصون على تدوين سيرة شعبهم وتحديد تواريخ أحداثه الجليلة . واذا ذكرت التوراة تاريخا لبناء بيت المقدس كان ذلك التاريخ مستمداً من الوثائق المدونة أو من الروايات المحققة

على أن التوراة لم تذكر تلك المدة ذكراً عرضياً فى فقرة واحدة لايوجد من التحديد سواها ، بل قد ذكرت فى كتب القضاة والملوك وغيرها سيرة مفصلة لتقلبات الأحوال التى مرت ببنى اسرائيل ، وذكرت أسماء القضاة والكهان والملوك الذين كان ذلك الشعب يدين لهم على مر العصور ، وحددت

مدد تاريخه المختلفة من فترات استقلال واستعباد ، ونستطيع أن نتتبع هذه التفاصيل ونضم أطرافها بعضها الى بعض فنعرف أجزاء المدة التى فصلت بين الخروج وبناء البيت جزءاً جزءاً ، ومن ذلك نستطيع أن نستوثق من دقة التاريخ الذى حددته لحادثة بناء البيت

ونحن ان فعلنا ذلك وجدنا أن تلك المدة التى ذكرتها التوراة لم تكن مبالغاً فيها ولا منقوصة فى وجه من وجوهها

إذن نستطيع أن نقول فى كثير من الاطمئنان ان تاريخ الخروج كان حقيقة كما تدل عليه قصة التوراة وانه كان فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد

حالة مصر فى ذلك الحين

غير أنه لابد لنا من الرجوع الى صحف التاريخ لنرى هل كانت حال مصر تسمح عند ذلك بحدوث ذلك الحادث ، وهل يتناسق ذلك التاريخ وسائر الحوادث التى استقر عليها البحث الوثيق؟

يذكر التاريخ أن مصر قضت نحو قرن ونصف قرن من الزمان تحت حكم دولة أجنبية اسمها دولة الهكسوس ، وهم قوم من البدو الساميين جاءوا من صحارى الشرق وفتحوا البلاد واتخذوا لهم عاصمة فى « اواريس » فى شرق الدلتا ، على مقربة من سائر بلاد دولتهم الفسيحة فى الشرق الأدنى ، وكان آخر حكمهم على مصر فى أوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد

ثم قامت فى مصر ثورة عامة على ذلك الحكم الاجنبى واستطاع الشعب المصرى أن يجلى الهكسوس عن بلاده ويطاردهم وراء حدودها الى تخوم فلسطين ولبنان ، وقد خلد فى ذلك الجهاد اسم يعد رمزاً على تلك الحركة الوطنية المصرية وهو اسم « احمس » أمير طيبة وزعيم الثورة الذى أصبح مؤسساً للدولة الوطنية الجديدة ، وحل احمس فى نفوس المصريين محل التقديس والتأليه ودانت البلاد لحكمه راضية

ثم حكم بعده ابنه امنحتب الأول ، فجعل أول همه استئصال جذور الهكسوس والقضاء على كل آثارهم فى مصر ، والضرب على أيدى أعوانهم وخدامهم ، واستعباد من بقى من قومهم ومن أتباعهم

ومضى على ذلك الجهاد الوطنى جيلان ، تدفقت فى خلالهما سيول الغنائم من الحروب الموفقة فى خارج الديار حتى أصبحت طيبة أغنى مدن مصر وانعقد على رأسها لواء المجد والعزة ، ولكن بيت احمس لم يرزق سليلا من الذكور بعد الجيل الثانى ، اذ لم ينعم الاله بابن يخلف امنحتب الاول ابن احمس ، لتتصل به سلسلة الابطال من بيت الملوك المجاهدين . فآل الملك الى تحوتمس الاول الذى لم تكن له صلة بالبيت الملكى المقدس الا أنه كان زوجا للاميرة الملكية (احمموس)

بقى تحوتمس فى الحكم مدة طويلة ورزق بأولاد من زوجات غير ملكيات ، ولكنه لم يرزق من الاميرة الملكية الا بابنة أنثى وهى (حعتشبسوت) ذات الذكاء النادر ، والذوق المصفى والجمال الرائع

وبدأ القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وقد دب الاضطراب الى طيبة وهز أركانها لان الاحزاب تعددت فيها واختلفت منها الاهواء وتضاربت المصالح

كبر الملك تحوتمس الأول وضعف نشاطه ، ولم يكن له ابن تجرى فى عروقه دماء « احمس » ليرث الملك بعده بغير منازع ، ولم تكن مصر تعرف حكم النساء ولا ترغب فيه ، ولا تذعن لحكم امرأة وان كانت تلك المرأة هى حعتشبسوت سليلة البيت الملكى المقدس القديم

فكان هناك حزب يدعو الى الابن الاول وهو تحوتمس الثانى ، وكان ثمة حزب ثان يدعو الى الابن الثانى وهو تحوتمس الثالث الذى دخل فى زمرة الكهنة ، وحزب ثالث يدعو الى الاميرة الملكية حعتشبسوت ، ويحاول أن يحمل النفوس على الرضاء بجلوسها على عرش الفراعين الآلهة

واستمر النضال بين الاحزاب سنين عدة حتى انجلى أخيراً بعد عشرين سنة عن انفراد الامير الكاهن بالملك ، وهو الذى أصبح خالداً فى صحائف التاريخ باسم العاهل الكبير والبطل الفذ والفاتح العظيم تحوتمس الاكبر « الثالث »

وبقى ذلك العاهل على الحكم وحده نيفاً وثلاثين سنة ، وبنى لمصر دولة فذة فى تاريخ العالم القديم ، لامثيل لها فى كل تاريخ مصر قديماً وحديثاً ، تمتد من بلاد الجزيرة وآسيا الصغرى فى الشمال الى بلاد السودان والصومال فى الجنوب ، وبلغت قوة مصر فى أيامه شأواً لم تبلغه من قبله ولا من بعده الى أيامنا هذه

ومات ذلك الملك العظيم بعد حكمه المجيد فى أواسط القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وان شئت التحديد فقد مات فى ربيع عام ١٤٤٧ قبل الميلاد

فلنضع صفحة التاريخ لننظر ما تدل عليه فيما نحن فيه من البحث

بنو اسرائيل فى مصر

إذن قد نزلت فى مصر دولة أجنبية أقامت على حكم البلاد الى أوائل القرن السادس عشر ، وكانت سامية من بنى عمومة بنى اسرائيل ، تشاركهم فى قرابة الجنس واللغة والعادات . وانه لجدير بمثل هذه الدولة أن ترحب بمقدم بنى عمومتها بنى اسرائيل الى أرض مصر وتتخذ منهم أعوانا وجنداً وخداما

ثم قام شعب مصر بثورته على الحكم الاجنبي ، وجعلوا يستأصلون شأفته ويوقعون بخدامه الاقدمين الذين أعانوه وكانوا مقربين الى حكامه

فمن الطبيعى ان يكون بنو اسرائيل هدفا لاضطهاد الدولة الوطنية الجديدة وعسف ملوكها وبطشهم

ثم ضاقت نفوس بنى اسرائيل بما وقع عليهم من الظلم ، ولكنهم تحملوا الاذى دهراً طويلا

حتى وجدوا الزعيم الذى يحركهم ويقودهم فقاموا وراءه ، وخرجوا من مصر بعد أن مضى على الحكم الجديد قرن ونيف من الزمان ، تنوعت عليهم فى أثنائه ضروب الارهاق والاذلال

ولا بدع أن يمر هذا الزمن الطويل على قوم يرسفون فى القيود ، فان الشعوب لاتتحرك الا بعد لأى ، ولا تدب فيها الروح إلا إذا تهيأ لها القائد المهدى

ولعل التوراة تؤيد طول هذه المدة التي خضع فيها الاسرائيليون للاضطهاد ، فقد جاء فيها ان موسى ولد فى أثناء عصر الاضطهاد ، ثم شب واكتهل والاضطهاد لا يزال قائما ، ثم خرج من مصر بقومه وهو فى سن الثمانين والاضطهاد لا يزال قائما

اذن فهناك مدة طويلة بين أول حكم الدولة الجديدة التى أخذت فى الاضطهاد وبين حادث الخروج من مصر ، ولنا أن نصدق أن تلك المدة كانت تزيد على قرن من الزمان

أمنحوتب الثانى هو فرعون موسى

واذا كان أول حكم الدولة الجديدة فى أوائل القرن السادس عشر ، كان الخروج بعد قرن ونيف من ذلك التاريخ ـ أى فى أواسط القرن الخامس عشر ـ فليس فى صحف التاريخ ما يمنع من أن يكون عام الخروج هو العام الذى تدل عليه قصص التوراة أى عام ١٤٤٦ قبل الميلاد . وذلك يوافق العام التالى لموت ملك مصر العظيم « تحوتمس الاكبر » ـ وهو أول عام من حكم خليفته « امنحوتب الثانى » . وعلى هذا يكون هذا الملك هو فرعون موسى المقصود ببحثنا

وليس فى الحقائق ولا فى العقل ما يمنع من أن يكون هذا حقا ، فان تحوتمس الاكبر جدير بأن يكون صاحب البطش الشديد واليد الثقيلة على قوم يعدون أنصاراً للاعداء ، وأعوانا للمغير الذى يريد غزو أرض مصر ، ولاشك فى أن وفاته تحدث فى البلاد رجة عنيفة ، تكون أصلح الظروف لقوم يريدون الثورة على الحكم والخروج على ارادة الدولة

على ان الامر لا يقتصر على أن العقل يسيغ هذا التحديد والحقائق تبرره ، فان هناك فى الآثار دلالة تجعل ذلك التاريخ قريباً من الثبوت والقطع

كشفت فى تل العمارنة « بالمنيا » فى السنوات الاخيرة مجموعة من الرسائل كان حكام الشام يرسلونها الى امنحوتب الثالث حفيد تحوتمس الاكبر ، والى أمنحوتب الرابع من بعده ، وفيها يرجونهما أن ينهضا للدفاع عن امبراطورية مصر ويشكون اليهما من هجوم بدو (الخابيرى) من الصحراء واستيلائهم على أرض فلسطين وساحل الشام

وكان تاريخ هجوم هذه القبائل على فلسطين فى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد

ويقول جمهور علماء التاريخ ان هؤلاء (الخابيرى) ليسوا سوى قبائل (العابيرى) وهم العبرانيون بنو اسرائيل

فاذا كان بنو اسرائيل قد أقاموا فى برية سينا أربعين عاما عقب خروجهم من مصر - كما ورد فى التوراة - كان هجومهم على فلسطين فى أواخر القرن الخامس عشر مصداقا لدلالة التوراة على أن الخروج كان فى أواسط ذلك القرن

يمكننا إذن أن نقول فى كثير من الاطمئنان إن قرائن التاريخ تقر ما تدل عليه قصص التوراة من تحديد خروج بنى اسرائيل من مصر فى عام ١٤٤٦ قبل الميلاد - أى فى السنة الأولى من حكم أمنحتب الثانى

غير اننا لا نستطيع أن نترك هذا البحث بغير أن نشير إلى رأى ردده بعض العلماء ، وهو ان « فرعون موسى » انما كان منفتاح بن رمسيس الاكبر ، وهو رأى لم يبن على شىء أكثر من شبهة صغيرة لن نجد صعوبة فى إماطة اللثام عنها ، والبرهان على انها تعزز ماذهبنا اليه ولا تنقضه بل يزيده قوة

جاء فى آثار الملك منفتاح انه ذهب إلى الشام وأوقع بالبلاد التى خرجت عن سلطان مصر ، وذكر اسم بنى اسرائيل بين أسماء الامارات التى أوقع بها فرعون وأذلها وأزال ملكها

ولكن هذا الخبر لا يمكن أن يدل على ان خروج بنى اسرائيل من مصر كان فى مدة منفتاح لأنهم كانوا عند ذلك قد أقاموا دولة وأسسوا ملكا واستقر لهم الأمر فى فلسطين وسائر بلاد الشام وقاوموا سلطة مصر وتحدوا ملوكها ، فلم يكن منفتاح الا محاربا لدولة اسرائيلية معادية ، لها مدن وجيوش واقليم ، وان كانت شوكتها لا تستطيع أن تقاوم بطش فرعون مصر . وتكوين الدولة والاستقرار فى البلاد والتمكن من الحكم يتطلب زمناً طويلا ، فلابد ان تكون غزوة منفتاح لبلاد اسرائيل قد وقعت بعد زمن طويل من خروجهم من مصر

من كل هذا يبدو لنا اننا نستطيع ان نثق بما جاء فى التوراة من معالم الحوادث ، ويمكن أن نقول ونحن على هذا البعد الشاسع من ميدان تلك العصور : ان ضباب الزمن لا يحجب عنا شخصية فرعون موسى ، بل اننا نستطيع أن نشير إليه لائحاً من بعيد ، فهو امنحتب الثانى ابن بطل مصر تحوتمس الكبير

محمد فريد أبو حديد

خلق أمثلة عليا

للشبان المصريين

بقلم الأستاذ ابراهيم المصرى

هذا العصر هو عصر الامثلة العليا ، فحيثما سرحت ابصارك وحيثما قلبت أوجه النظر ، وجدت الأمم والشعوب مدينة بحياتها ونهضاتها لطائفة من المثل العليا

فالحوافز الفكرية والعاطفية هى التى تقود الجماهير اليوم ، وهى التى تستمد منها الحكومات عناصر القوة ، وهى التى تحمى مستقبل الدول ، وهى التى تتجه بالشعوب صوب الرغبة الملتهبة فى الاضطلاع بعظائم الامور

بل لقد خلق الايمان بالمثل العليا ، أمما كانت فى حكم المضمحلة الصائرة الى الفناء ، وأمما أخمدت الهزيمة فيها مختلف عوامل الحياة ، وأمما تولاها الاستخذاء والضعف وكان مقدرا لها أن تعيش محسوبة على الغير ، تقتات من فتات جيرانها المستبدين الجشعين الاقوياء

ونظرة سريعة على شتى الظواهر الملحوظة فى العالم الحاضر تدل ابلغ الدلالة على صحة ما تقدم :

لما دب شعور الحياة فى تركيا الحديثة ، وتركزت ارادتها فى استعادة كرامتها القديمة ، وفى الاحتفاظ باستقلالها ، وفى التجرد من شوائب « الرجل المريض » خلقت فى نفوس شعبها ايمانا برسالة جديدة ، فوجهت هذا الشعب وجهة صريحة نحو أوربا ، وجعلت من اصطناع الحضارة والثقافة والاخلاق الاوربية مقرونة بالاحساس القومى الصميم ، مثلا تركيا أعلى

ولما اضطربت الحياة النيابية فى ايطاليا بعد الحرب ، واستفحلت الازمات الاقتصادية والسياسية ، واساءت العناصر الاشتراكية التصرف ، ولم تحسن معالجة الامور ، ومكنت موسولينى وأصحابه من دفع الطبقات المتوسطة الى الثورة ، ومن تسلم مقاليد الحكم ، أراد موسولينى ضم صفوف الشعب ، وتوحيد عناصر الأمة ، فخلق لها حكومة جديدة تحمل مثلا امبرطوريا أعلى ، ينحدر من ماضى الشعب ، ويحجب عنه سوءات حاضره ، ويعوض عليه ما أصابه من فشل سياسى عقب الحرب

ولما عصف صلح فرسايل بالأمة الالمانية ، واشعرها بالمهانة والذلة ، وقبض عنها موارد الحياة ، وزعزع اقتصادياتها ، جاء هتلر فجدد نشاطها ، واستنهض ميت آمالها ، بأن خلق لها مثلا أعلى ، هو السعى لانشاء ألمانيا الكبرى ، بتحطيم معاهدة فرسايل اولا ، وبالكفاح

من أجل نقاء العنصر الالمانى « الآرى » ثانيا ، وبالنضال فى سبيل استرداد المستعمرات ثالثا

ولسنا هنا بسبيل الحكم على هذه الامثلة العليا ، أو محاولة اجراء أية موازنة أو مفاضلة بينها ، فنحن نعجب بالبعض منها ، ونكره البعض الآخر بل تتمنى له الهزيمة والفشل ، ولكن المهم فى موضوعنا ان تلك الشعوب قد استعادت بعض مجدها وسلطانها بواسطة مثل أعلى ، وان هذا المثل الاعلى قد نما وازدهر وآتى ثمراته بفضل شبابها

والحق ان مبادىء مصطفى كمال وموسولينى وهتلر ، وجهت أول ما وجهت الى الشباب ، وكانت من الثقة بروح القوة ومن اليقين بالأثر البالغ الذى تحدثه الكبرياء الوطنية فى كل نفس فتية ، بحيث استحوزت على عقول الشباب ، وصادفت هوى من عواطفهم وميولهم ، وجعلتهم فى مقدمة المؤمنين بها الذائدين عنها

ومن طبيعة الشباب استنكار الواقع المتجمد ، وكراهية البلادة والفتور ، والسخط على المحاورات والمداورات وجميع ضروب الاصلاح الموسومة بالحيرة والقلق والخوف والتردد وتجنب القول الفصل والعمل المنتج الصريح

فالشيوخ يميلون الى الاخذ بالحلول الموقتة ، ويؤثرون معالجة الامور فى دائرة الواقع المتجمد ، ولا يتصورون أنه من المحتمل أن يكون هناك غير هذا الواقع ، والشباب يتطلعون الى التحول ، الى التحول الكامل ، الى التبديل التام ، الى التنظيف الشامل ، الى حياة جديدة تعدهم والأمة لمستقبل زاهر جديد

وهذا ما أدركه الديكتاتوريون ، ولذلك غلبوا عنصر الشباب فى وظائف الحكومة ، وفى صفوف الضباط ، وفى المناصب السياسية الكبيرة ، وفى جمعيات الدعاية ، وفى مختلف الهيئات التى انشأوها لرفع مستوى العمل والعامل ، كجمعية « ستكانوفا » فى روسيا ، وجمعية « القوة من الفرح » فى المانيا ، وجمعية « بعد العمل » فى ايطاليا

فالشباب فى المانيا وايطاليا وروسيا ، هم دعامة الحكومة ، وقاعدة النظام ، والسواعد المؤيدة للحزب المسيطر ، لانهم أشد عناصر الأمة ايمانا بمثل الدولة الاعلى

ولقد فطنت فرنسا وانجلترا فى صراعهما ضد الديكتاتوريات ، الى ان من الواجب استخدام الشباب ، وتوجيه حماسته ، وامتاعه برسالة عظيمة يتغذى منها حلمه ، وتنصرف اليها مطامعه ، ويجد فيها احساسه المشبوب لذة فى الكفاح ومعنى للحياة ، فخلقت له فرنسا — حيال تهديدات الايطاليين — مثلا أعلى هو تمجيد الامبراطورية الفرنسية ، والحرص عليها ، وتقديس سلامتها ، باعتبارها المظهر الرائع لما استطاعت ان تحققه عبقرية وطنه فى شتى العصور . وخلقت له انجلترا مثلا أعلى هو تمجيد روحها الديموقراطى باعتبارها أم الديموقراطيات ومبدعة النظم الدستورية الحرة

وهكذا تكون فى فرنسا تيار جارف من الشباب يؤمن بواجب الجهاد فى سبيل رفع شأن الامبراطورية ، ثم انتظم هذا التيار فى جمعيات كبيرة امتدت فروعها الى اطراف البلاد

واشهرها جمعية « الوطن الاكبر » التى انخرط فى صفوفها جمع هائل من الطلبة والطالبات كان يعيش بلا غاية فى الحياة ولا مثل أعلى

وهكذا تكون ايضا فى انجلترا تيار من الشباب يؤمن بالجهاد فى سبيل الديموقراطية ، ثم انتظم هو الآخر فى بعض جمعيات اشهرها جمعية « طلبة اكسفورد » التى حولت مجراها وبعد ان كانت تنشد السلم بواسطة نزع السلاح العام ، أصبحت تدعو لمضاعفة التسلح لانقاذ الديموقراطية

فهذه الغايات المتعددة ، كائنة ما كانت ، يهمنا ولا شك ان نبحثها وندرسها ، ولكن ما يهمنا اكثر من ذلك هو ان ندرك انها لو لم تستحل فى افئدة الشباب الى مثل عليا ، ما كان قد قدر لها النجاح الذى احرزته اليوم

واذن فخلق مثل عليا فى نفوس الشباب هو الحافز لكل اصلاح وكل رقى وكل مجد .
فهل يؤمن شبابنا المصريون بأية مثل عليا ، وهل لحياتهم غاية ، وهل لجهودهم قبلة ، وهل فى مجموعهم نظام ورغبة واضحة جلية فى القيام بعمل عظيم وتحقيق شىء عظيم ؟

الواقع انه كان للشباب المصرى فى الماضى القريب مثل أعلى ، وكان هذا المثل هو الظفر باستقلال البلاد ، ولقد عاش الشباب من أجله ، واستشهدوا فى سبيله ، وكانوا فى العمل والتضحية خير قدوة لمجموع الأمة وزعمائها

أجل . عاشوا واستشهدوا فى سبيل فكرة ، ولكنهم لفرط شبابهم ، وفرط تمكن سلطان العاطفة منهم ، لم يلحظوا ان بسط الفكرة كان ناقصا ، وعرض الغاية كان مبهما ، وصورة المثل الاعلى كانت محجوبة المعالم ، مستورة التقاطيع ، تقدم اليهم فى حلة تجريدية يحف بها ضرب من الغموض الرائع

وتعاقبت الحكومات ، وترادف الزعماء ، والاستقلال فى اذهان الشباب حلم ، وفى تصورهم خيال ، وفى نفوسهم عاطفة لم تقترن بأية ثقافة ، أو بمعنى أوضح لم تقترن بشرح وتعيين مبادىء وافكار واضحة تتعلق بنظام الحكم ووسائل اصلاح الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى البلاد ، وتكون بمثابة اهداف الاستقلال واغراضه البعيدة المنشودة

فالشاب المصرى كان يموت ليحرر البلاد من الغاصب فقط ، وأما نتائج هذا التحرر فيما يتعلق بمستقبل بلاده ، والصورة الدقيقة التى سوف تحكم بها ، والطريق التى سوف تتبع لاصلاحها ، كل هذا كان يجهله ، ولم يكن بين الزعماء من صارحه به ، أو هداه اليه ، أو حمله على العناية به والتفكير فيه

كان طلب الاستقلال عاطفة مجردة ، ولم يكن عاطفة مقترنة بثقافة كما كان عند الايطاليين وكما فهمه (ماتزينى) مثلا ، وغرسه فى صدور الشعب الايطالى . فلما تطور الزمن ، وعقدت المعاهدة بين مصر وانجلترا ، وقيل ان الامور قد استقرت فبطل الكفاح فى سبيل الاستقلال ، استيقظ الشعب ، واستيقظ الشباب بوجه خاص ، واذا بهم لا

يعرفون لهم مثلا جديدا أعلى ، ولا يشعرون بأن دعاية الاستقلال خلفت فى عقولهم ونفوسهم أغراضا اجتماعية واقتصادية تتمثل فى مجموعة اصلاحات داخلية عظيمة ، يمكن أن تصبح اليوم حوافز لاستطراد النضال ومواد أمثلة عليا

فالشباب المصرى اليوم حائر فى أمره لايعرف على وجه التحقيق ماهى دقائق النظام الديموقراطى مثلا ، وما قيمة التشبث بها ، ولا أى النظم العالمية الراهنة أفضل لبلاده ، ولا أى الطريقين أصلح لها ، طريق الحضارة الاوربية الذى سلكته تركيا أم طريق يجمع بين حضارتين شرقية وغربية

ثم هو فوق ذلك لم يتدرب على التفكير فى حقوق الطبقة العاملة ، حتى ولا على الشعور بعدالة تلك الحقوق من الوجهة الانسانية المحضة

لم يحدثوه فى كراسات ونشرات كما تفعل جميع أحزاب العالم المتمدين ، عن أدواء بلاده وأساليب علاجها، عن تبدد ثروتها وسوء توزيعها ، عن مقاومة رأس المال الاجنبى، ورفع مستوى الفلاح والعامل ، وتعزيز حقوق المرأة فى الاسرة ، وتجديد عناصر الثقافة ، وما شابه ذلك من غايات اجتماعية واقتصادية تبرز الغايات السياسية وتقيد الزعماء السياسيين وتفرض عليهم تنفيذ البرامج المحددة متى اضطلعوا بأعباء الحكم

ولقد كانت النتيجة المروعة أن الشباب الذين لم يألفوا تقديس المبادىء والكفاح من أجل مجموعة أهداف ، استسلموا لعواطفهم بالرغم منهم ، وطفقوا يخلعون على الزعيم تلو الزعيم ، صفوة ما تحمله نفوسهم من آمال وأحلام

وهذا هو السر فى أن الزعامات عندنا تتساقط الواحدة بعد الاخرى كما تتساقط أوراق الخريف الذابلة

وكيف يمكن أن يكون الامر عكس ذلك ، والشباب ومن ورائه الشعب لا يجدون فى أية زعامة تلك المجموعة الحية من المبادىء التقدمية ، ومن العقائد الاصلاحية الواضحة، التى يتركز فيها ايمان أمة برسالتها ، وارادة أمة فى توجيه مصيرها ، ونضال أمة فى سبيل توكيد مثل أعلى ؟ ...

وهكذا أصبحنا اليوم تجاه شباب أحسوا بأن قد تضاءل مثلهم الأعلى السياسى ، فلم يستطيعوا التوجه بحوافزه الى ميدان آخر ، وحصر هذه الحوافز فى الاصلاح الداخلى، وجعل التبارى فى تحقيق هذا الاصلاح مثلا جديدا أعلى

ولا شك أن الشباب على استعداد للعمل ، وعلى استعداد لمواصلة الجهاد ، وماتحمسهم للجندية ،وابتهاجهم بالانخراط فى التشكيلات شبه العسكرية ، وطموحهم لتكوين أمة قوية مسلحة ذات بأس حربى ، الا بعض مظاهر هذا الاستعداد

ولكن تمجيد الروح العسكرية لا يمكن أن يعد فى ذاته مثلا أعلى. انه نشوة عاطفية قد تجد كفايتها فى نفسها ، وقد تموت وتفنى فى محيطها ، الا اذا كانت الدولة هى التى توجهها ، والا اذا كان نظام الدولة هو النظام الديكتاتورى

وأما ونحن أمة ديمقراطية ، فمن الخير أن نقتدى بالديموقراطيات ، وأن نجعل المجد العسكرى وقفا على أهله ، وأن نوجه تفكيرشبابنا الى ضرب آخرمن المثل الصالحة المنتجة العليا

وهذه المثل ، هذه المثـل الاصلاحية التى أشرنا الى البعض منها ، والتى نحن اليوم فى أشد الحاجة اليها ، والتىباعد بيننا وبين السعى لتحقيقها سوء فهمنا لمعنى الاستقلال، هذه المثل هى التى ينتظرها الشباب من زعمائنا ، مرسومة ومحددة فى برنامج تقدمى صريح ، يتفق ومنزعنا الحر ، وطابع نهضتنا الحديثة الموسوم بروح الديموقراطية. وما دام لا يتقدم زعيم مخلص جرىء بمثل هـذا البرنامج الشامل ، فستظل نفوس شبابنا خاوية ، وحياتهم المعنوية بائسة ، وشعورهم العملى مخنوقا ، وقواهم المدخرة نهب كل سياسى محترف ، يسخرها لسياسته ، ويستخدمها لاغراضه ، على حسـاب اخلاصهم البرىء ، وعلى أنقاض مصلحة البلاد ومستقبل الوطن !

ابراهيم المصرى

بين بادرفسكى ومستر اسكويث

اتفق لبادرفسكى الموسيقى الذائع الصيت ورئيس الدولة البولونية أن زار لندن عام ١٩٠٨ وكان يقوم بدعاية واسعة النطاق لمصلحة بلاده وراميا الى تحريرها من طغيان روسيا القيصرية

وقد التقى فى لندن بعدد كبير من رجال الحكومة البريطانية واتصل بالمستر اسكويث الذى كان رئيسا للوزارة فى ذلك الوقت

وجرى بين الرجلين حديث طويل قال فى أثنائه رئيس الوزارة :

ــ لا أمل لوطنك فى الاستقلال ياعزيزى بادرفسكى . ان بريطانيا تعرف ما تقول

فتطلع اليه بادرفسكى وابتسم وقال فى هدوء :

ــ ان تحت الشمس يا مستر اسكويث أشياء كثيرة قد تغيب حتى عن ذكاء بريطانيا . وانى لأحس بما فى نفسى من استشعار رجل الفن أن وطنى لا بد أن يستقل يوما

وقد تحققت نبوءة بادرفسكى

ليس أقدر من الدين على التوفيق بين حياة الروح وحياة الجسد . والاسلام فى رأى الكاتب من أشد الاديان قدرة على حل هـذه المعضلة

بين حياة الروح وحياة الجسد

بقلم الاستاذ على أدهم

العصر الحاضر من العصور التى غشيها الشك وثقلت عليها وطأته وتفشى تأثيره حتى لايكاد ينجو من غوائله شيء ، وقد تناول هذا الشك أصول الدين ومبادىء السياسة وقواعد العلم والفلسفة ، وقد هز العلم الحديث أسس العقائد الدينيـة جميعا هزا عنيفا ورماها بفوادح كادت تعصف بها وتقتلع جذورها ، ومن المشاهد الآن ان الدين لا يرضى الكثيرين ولا يقنعهم ، وقد فترت العلاقة بين الدين والحياة وكادت تنقطع الاسباب الواصلة بينهما ، ولم تستطع الفلسفة ان تشغل فى النفوس مكان الدين لانها فى العصر الحاضر ليست لها رسالة واضحة ولا غاية معلومة ولا خطة مرسومة ، والانسان العادى يسمع من بعيد لغط الفلاسفة وثرثرة العلماء وضجة الصراع بين المبادىء والنظريات ، ثم يسير فى طريقه الى دار الصور المتحركة ليتسلى بمناظرها المتتابعة وصورها المتوهمة كما كان يتلهى الرومان بمشاهدة ميادين المصارعة وملاعب الحيوانات المفترسة لما أخذت تتقوض الحضارة الرومانية وتنهار دعائمها

ويجثم على الدنيا فى هذا العصر الشعور بالقلق وخشية الحرب ، وعلاقة الطبقات بعضها ببعض قائمة على أسس واهية ، وبناء الحضارة الحالية الشامخ يكاد يهتز من الضعف والتصدع ، ويرى المفكرون فى مختلف الامم هذه الأخطار الماحقة والعلامات المنذرة بوخامة العاقبة وسوء المنقلب فما هو طريق الخلاص وسبيل النجاة ؟

وهل نشك فى الحرية ونعدها سبب كل هذه الفوضى الفاشية والمخاوف المتلاطمة ونشتد فى النقمة عليها ونسير تحت ألوية كل من ثار بها وانشق على مبادئها واجترأ على أن يجمع فى يده أباديد القوى ؟ وهل نسيغ الطغيان لحسم الفوضى ونعمل على تضير اليقين وتقوية الدين لنرم بناء الحضارة المتداعى ونعالج به احوالها التى شملها الفساد ؟

يردد الكثيرون الآن ان الدين غير منسجم مع مقتضيات العصر الحاضر وانه لا يستطيع تفريج الازمة وكشف الغمة لانه لا يواتى حاجات العصر ولا يفى بمطالبه ، ولهذه الانتقادات دلالتها البعيدة ، ولا يستطيع مفكر يحاول ان يتبين مشكلات عصره على وجهها الصحيح ان يكتفى بانكارها ويعرض عن مواجهتها ، ومن الواضح ان الناس فى العصر

الحاضر لايقبلون الدين قبولا سهلا هينا ، ولا ينظرون الى الدنيا نظرة بسيطة بريئة ولايقبلون عليها بروح مطمئنة ونفس راضية مرضية ، ويكاد كل انسان ان يعتقد ان النظام العالمي به اخطاء عدة يجب أن يتناولها الاصلاح وعيوب ينبغي أن تستدرك ومظالم يجب أن تزول ، ولعل أشد الناس تبرما بالدين واكثرهم تحديا له هم الذين يرغبون رغبة اكيدة متقدة في تغيير الاحوال الدنيوية ، وهم يناصبون الاديان العداء لانهم يعتبرونها من القوى التي تعرقل تقدم العالم وتقف في سبيل الاصلاح الحقيقي للحياة الانسانية ، وهم يعرضون عن الدين لاعتقادهم انه ليس له قوة حقيقية على تغيير الدنيا وانقاذ الانسانية من المشكلات المعضلة التي تنوشها في الوقت الحاضر

وقد فقد الناس يقينهم في القيم الروحية التي كانت ترفد الحضارات السالفة وتمدها بروح الحياة والقوة واتجهت آمالهم الى محاولة تنظيم المجتمع على أساس اشتراكي أو اقامته على قواعد علمية ومعالجته بطرائق وضعية محدودة ، ولكن برغم ذلك قد أخذ فريق من المفكرين الذين احسوا خطورة هذا الشك الغالب والقلق العميم المستحوذ على النفوس يتبينون ان الاعتقاد بامكان الاصلاح العلمي الخارجي لا يكفي لانقاذ الانسانية واسعادها ، والحقيقة ان مأساة الانسان في العصر الحاضر ومأساة المدنية الحالية هي عجز التقدم المادي عن تلبية حاجات الانسان المعنوية ، فالعصر الحاضر من وجوه كثيرة من أقوى العصور ان لم يكن أقواها جميعا ، ولكنه يوجه جانبا كبيرا من مجهوده للهدم والتدمير لا للاصلاح والبناء ، وهو احفلها بالنعم السابغة والخيرات المغدقة ، ولكنه مع ذلك واقع في قبضة الازمات الاقتصادية ومستهدف للمجاعات الجائحة ، وهو من اوسع العصور معرفة واغزرها علما ولكنها معرفة لا تسمو بالانسان ولا تغنيه ولا تمنحه الاطمئنان الداخلي وهدوء البال ، فالحضارة الحديثة لا تنقصها أسباب القوة أو مظاهر الثروة ودواعي المعرفة وانما تنقصها الحيوية الروحية ، واذا لج بها هذا النقص وطال أمده وعز شفاؤه فليس من المستبعد ان يكون مصيرها المحتوم هو مصير الحضارات القديمة التي كانت قوية مزدهرة ثم أدركها البلى وشاع فيها الفساد لفقدانها القيم الروحية التي قامت عليها ، ومسألة هذه الحيوية الروحية سواء في الفرد أو الجماعة هي جوهر المشكلة الدينية ومحورها ، فليس الدين علما ولا فلسفة وانما هو اتصال وتجاذب مع الحياة القدسية الخفية سواء نظرنا اليها في داخل نفوسنا أو نظرنا اليها في الخارج متبدية في نظام من المعتقدات والشعائر التي يحاول الانسان بها ان يجعل حياته متصلة الاسباب بالقوى المسيطرة على الكون

ولقد كانت الديانات القديمة معنية بقوى الطبيعة في مختلف مظاهرها ، وكانت تخص بالرعاية مظهرين هامين من مظاهر تلك القوى وهما : مظهر الخصب ومسائل التناسل ، لأن على المظهر الاول تقوم حياة الارض ووفرة المحصول ، وعلى المسائل التناسلية تقوم حياة الانسان وتجدد أجياله ، وكانت جميع الحوادث البارزة والمواقف الفاصلة في تاريخ القبيلة أو حياة الفرد تضفى عليها القداسة وتطبع بطابع الخلود وتقام لها

الحفلات الدينية ، وكانت هذه الحفلات بمثابة قنوات يتصل الانسان عن طريقها بالحياة الخالدة والقوى المقدسة المسيطرة على الدنيا ، فلم يكن ثمة تناقض بين الدين والحياة ، وكان الدين هو محور النظام الاجتماعي وسيطرته مبثوثة في كل شيء فلا سبيل للخلاف بين المادي والروحي لان الماديات نفسها كانت تعتبر وسائل القوى الروحية

ثم تطور الدين واكتسب صفة النظام الروحي والتأمل الفكري ، ولكن هذا التدرج في سلم الرقي أوجد بتمييزه الجلي بين « الروح » و « المادة » بذور التفرقة بين الدين والحياة ، وتغالى الانسان في التحليق والصعود والامعان في الابتعاد عن سلطان المادة وأسر الجسد ، وقد بلغ ذروة ذلك السموفي الديانة البوذية لانها محاولة مباشرة متجهة الى حل مشكلة الحياة عن طريق انكار الحياة ، وبوذا على ما في نظراته الاخلاقيـة من سمو ونبل يرينا أن الوجود شقاء وأن نشدان الخلاص انما يكون عن طريق «النرفانة» حيث تخمد الرغبات وتفنى المطالب وتموت الاهواء

وهذه النظرة التشاؤمية التي تغرى بنبذ الحياة والاعراض التام عن الدنيا تميز الكثير من الاديان القديمة ، وحتى الديانات اليونانيـة على ما بها من نزعات انسانية وتقدير للحياة الطبيعية لم تخل من أثر تلك النظرة ، فالصوفية الاورفية تنزع الى الخلاص من الدائرة الحزينة دائرة الميلاد والموت ، وقد كانت الافلاطونية الجديدة وهي آخر كلماتها تتحدث عن محاولة الروح الافلات من شر المادة ودنيا الحواس الى عالم الروح النقي الخالص من الشوائب

وقد جاء الاسلام الى عالم حافل بأمثال هذه التصورات والفلسفات من بقايا المعتقدات القديمة الدائرة ، فأصلح بين الدين والحياة ورأب الصدع بينهما ، واله الاسلام أقرب الى أن يكون قوة فعالة في الكون توجهه وجهة صالحة فليس هو فكرة فلسفية تجريدية ، فهو مختلف عن اله الفلاسفة ، وهو أشبـه بقوة أخلاقية أخرجت العالم من الفوضى وتعهدت خطواته وأشرفت على تقدمه . وقد استطاع الاسلام بما فيه من قوة وحيوية أن يسمو بطبيعة الانسان ويقدم للعالم نماذج من الاخلاق الكاملة ، وأعاد بناء الجسر القائم بين الحياة والدين ورد الالفة بينهما ، ونفح الحياة البشرية بالحقيقة الروحية ، وبذلك استطاع أن يلعب دوره ويؤثر تأثيره ، وقد مكن ذلك المسلمين من لقاء حقائق الحياة المرة وتجاربها القاسية بصبر وشجاعة ، والاسلام على ما في مبادئه من يسر وسماحة لا يتملق النفس الانسانية ولا يترضى الجوانب الوضيعة فيها ، وانما يحاول أن يجعل قوتهـا على احتمال الألم والتضحية موقوفة على الغايات الكبيرة والمطالب العالية وقد استنقذ بذلك جانبا عظيما من جوانب النفس الانسانية كانت تخيم عليه ظلال الموت وتنعب في أرجائه غربان الفناء ، وهو جانب الميل الى التضحية ومقاومة الاهواء وأحسن توجيهه الى الناحية المثمرة التي تعود على الانسانية بالخير الجزيل

وواجب المصلحين من رجال الاسلام في العصر الحاضر هو أن يبينوا أن هذه النهضة

لم تكن وهما من الاوهام ، ويثبتوا أن القدرة على السمو بالنفس الانسانية واحداث ثورة في الاحوال الدنيوية لا تزال كامنة في الاسلام تحت صدأ القدم وغبار الاجيال ، ومن اليسير اثبات ذلك في وجه التاريخ وعلى ضوء حوادثه ، والباحث النزيه لا يستطيع أن ينكر أن الاسلام كان من القوى الروحية الهامة في التاريخ ، وأنه لا يزال قوى السيطرة في نفوس الامم التي احتكت به وتشربت روحه ، ومصدر ما يعتوره من الضعف في الوقت الحاضر هو أن الاتصال بينه وبين الحياة لم يسر في طريقه المألوف ومجراه الاصلي الطبيعي بسبب الحوادث المعترضة والتوجيهات الخاطئة ، وتجديد الاسلام انما يقوم على اعادة هذا الاتصال بينه وبين الحياة الذي كان مصدر قوته وعنوان فضائله ، والحياة في العصر الحاضر منشقة على نفسها ، وليس أقدر من الدين على التوفيق بين حياة الروح وحياة الجسد ، والاسلام في رأيي من أشد الاديان قوة على معالجة هذا المشكل وحل تلك المعضلة ، وقد حاولت الاديان الشرقية علاج مشكلة الحياة بالاعتداء على الجسد واهدار حقوقه واعتبار المادة شرا ، وحاولت النزعة الانسانية الحديثة أن تنفي القيم المطلقة وأن توفق بين الانسان والاحوال المادية بإسكات هواتفه الروحية فهي تحاول من جانبها أن تضحي الروح لتنقذ الجسد ، وكلا الحلين لا يجدي ، وهذا التناقض غير موجود في الاسلام

حقيقة ان الحياة الدنيوية زهيدة في نظر الاسلام بالقياس الى الحياة الاخرى الخالدة ، ولكن الحياة الدنيوية من ناحية أخرى لها أهمية كبيرة لانها في الوقت نفسه اعداد وتهيئة للحياة الاخرى ، فهي بمثابة الاساس للبناء الشامخ والمطلع للقصيدة العامرة ، وليس الموقف على وجه الاجمال سهلا لأن القوى الاقتصادية المسلطة على العصر الحاضر لا تعبأ كثيرا بالاعتبارات الدينية

علي ادهم

---

* الرجل يعالج ولكن المرأة هي الممرضة فلا غنى للواحد منهما عن الآخر ، إذ الأول يمثل العقل الفاحص والثانية تمثل القلب المحب

جوتيه

أمراض تدفع أصحابها إلى المجد

بقلم الدكتور ابراهيم ناجى

من الامراض ما يفتح أمام أصحابها أبواب الأمل والاشراق والايمان، بدل اليأس والظلام والكنود، وتساعدهم على تبوء أريكة الشهرة والمجد، دون الاستسلام للضعف والنسيان، فيصبحون من نوابغ العلماء والادباء، وكبار القواد والابطال. وقد عنى الدكتور ابراهيم ناجى بتحليل هذه الناحية فى هذا المقال الطريف [المحرر]

الأمراض إما جسمية أو نفسية

أما الجسمية فقسمان «عضوية» و «غير عضوية». أى تغير باثولوجى أو تغير وظيفى، أي إصابة حقيقية فى أنسجة العضو، أو اضطراب فيا يؤديه من الاعمال. والحد بين هذا وذاك غير فاصل، والواحد منهما يؤدى إلى الآخر. ومن الأمراض ما نولد باستعداد له، ومنها ما نرثه، ومنها ما «نستهدف له»، ومنها ما نتعرض له بسبب مهنتنا أو معايشنا، ومنها ما لا نستطيع أن نتقيه فهو معنا يلازمنا ملازمة القدر، وإن كنا نداوره ونحتاط له. مثال ذلك أننا نرث المرض التناسلى، والاستعداد للسل والسرطان والنقرس والسكر، ونستهدف للربو والاكزيما، ونتعرض بسبب معايشنا إلى الروماتزم إذا اضطررنا إلى العمل فى الأمكنة الرطبة، أو إلى الدوسنطاريا إذا اضطررنا بسبب الترحال والأسفار إلى شرب الماء العكر أو الزاد الذى لا نعرف من أين جاء، ونتعرض لما لا مناص منه كالبرد والزكام والسعال عند نزول الشتاء

وبعض الأمراض يكون بطبيعته «دافعاً» لوجهة خاصة، ومعيناً هدفاً بذاته، وبعض الأمراض يؤدى إلى الغاية بدافع اليأس أو الاضطرار. وبعض الأمراض يؤدى اليها إذ لا طريق لغير هذه الغاية إلا بارتياد هذا السبيل

مثل ذلك أن السل بطبيعته وطبيعة ميكروبه منشط للأعصاب والحيوية، يحدث صفاء فى الذهن وإشراقاً فى السريرة، هذا شأن المرض الدافع بطبيعته

ومن الأمثلة الأدبية المشهورة، أن بروست كان مريضاً بالربو، فكان يحبس نفسه فى غرفته ولا يخرج إلا نادراً، ويقضى الوقت فى الكتابة والتأليف، وأن الكاتب الشهير ولز مرض بنزيف رئوي فى أول شبابه فغير ذلك مجرى حياته تماما وأخذ يزاول الأدب والكتابة فنبغ وتفوق تفوقا كبيراً. والشاعر هينه أصيب بشلل أقعده وهو فى الشباب، فصار يكتب ويملى ويحرر صحيفة من سريره!

ومالى أذهب بعيداً فان أبا العلاء المعرى لو كان مبصراً لما كان له فى الشعر العربى ضريب ولا منافس ، ولكن فقدان البصر جعل منه ذلك الفيلسوف المتأمل الذى كان يقضى الساعات فى التفكير والتحليل لأنه لم يكن يملك غير ذلك

ومن الأمثلة المشهورة كذلك ما يعرفه المتأدبون عن الشاعر بيرون ، فقد ولد أعرج ، وكان عرجه موضع سخرية أمه وأصحابه ، فظل يمارس الرياضة حتى نبغ فى السباحة وغيرها ، وكان الشعر عنده نتيجة هذا الشعور بالنقص وتكملة لما أحسه منه

ولقد أخبرنى صديق من أطباء لندن أن من مريضاته فتاة أصيبت بخلع فى عظام الحوض ، وصارت بعد شفائها موضع كلام وغمز ، فلجأت الفتاة الى الرقص تحترفه انتقاماً ، حتى صارت راقصة شهيرة

الامراض النفسية

هذا كله يختص بأمراض الجسم . وقد رأينا كيف يدفع بعضها بأصحابها الى المجد

ولكن الشأن الأكبر هو لأمراض النفس

وأمراض النفس تتوقف على (١) الاستعداد الذى نرثه ، أى بنيتنا وتركيب جسمنا والميل المتأصل المتسلسل فى الجنس عامة ، وفى الجدود والآباء خاصة (٢) التربية التى تلقاها فى صبانا (٣) البيئة التى ننشأ فيها (٤) أثر التعليم والقدوة — فى المدرسة والحياة

قبل أن نفصل تأثير هذه الأمور فى التوجيه نتكلم عن بعض الحقائق الهامة الخاصة بالنوع البشرى على الاطلاق . ومن هاته الحقائق ما هو جديد جداً فى علم النفس ، وهو لجدته مخيف بقدر ما هو حقيق . ولكنه أساس لهاته « الدوافع » التى تزج بالناس زجاً فى طريق تؤدى بأصحابها الى ما قد يسميه العالم « مجداً » إذا شاء . اذا اتفقنا على أن من المجد ما صنعه « تيمور لنك » وهو يكتسح البلاد كالسيل فاتحاً غازيا مدمراً هادما ذابحا . . .

كيف ينشأ الدافع الى المجد ؟

إذا اتفقنا على هذا فلنبحث الآن كيف ينشأ هذا « الدافع » الى المجد !

العقل مكون من طبقتين العليا هى مركز التفكير والارادة . وهى مشرقة غالية تغمرها الشمس . . والسفلى تكون أغلب البناء ، لا تنفذ اليها الشمس إلا بصيص مبهم . وفى هذه الطبقة نرى « أثاث » « العنصر » الانسانى مكدسا . فماذا نرى ؟ نرى « الليبيد » أو مركز الشهوة ، ونرى حوله الغرائز المشتركة فى الناس عامة ، ومن العجيب أن علماء النفس كانوا منذ قليل يعطون لأهمية « الليبيد » ويقولون إنه كل شىء فى حياة الفرد ، فاذا بهم يتبينون أن بقرب هذا «الليبيد» وملاصق له مركز الكره ! ويتركز فيه الميل الى الاعتداء والاجرام

واتضح أنه بقدر ما يهز « الليد » النفس هزاً بطفولته وحمقه ومطالبه السخيفة ، وبقدر ما هو محتاج للنصيحة والتهذيب والضغط ، بقدر ما لمركز الكره من أثر بالغ فى هز النفس الانسانية ، حتى لقد يزداد حتى يمزقها الى عدة « نفوس » متفرقة مبعثرة ! أنظر إلى الطفل فهو دائما يريد أن يضرب ويختطف ويعتدى ! وقد نعده شريراً ، ونعجب لطفل نعرفه هادئا ، إذ نراه يثور ويختطف ما ليس له ويضرب أخاه أو أخته بغير مناسبة . هذا ما تحدثه غريزة الكره الملاصقة لمركز الحب ! وكثير جداً من المخاوف والضمائر المعذبة والنفوس المكفرة فى الكبر ناشئة من هذا المركز العجيب وتأثيره فى الصغر !

نبدأ الآن بمركز الحب . . إن للحب فى النفس البشرية تطوراً وخطا مرسوما ، فاذا التوى أو صدم أو توقف ، أدى الى تلك « الدوافع » التى تحدث أمراً هاما فى الفرد قد يسير به الى شأن خطير فى العالم . ولقد كان كارليل يفسر التاريخ على ضوء هذه « الدوافع » الانسانية

خط السير للحب هو هذا : حب النفس أولا ، ثم حب الأم أو الأب ، ثم حب الناس ، ثم حب الجنس المشابه ، ثم حب الجنس المخالف

فمن يقف عند حب النفس أى يحرم من حب الأم والأب وعطف الناس من ذكر أو أنثى ـ وهذا كثير شائع ـ يشعر « بفجوة » أو « بنقص » كما يسميه علم النفس ، يستعين به على رد ما حذف منه فى خط سير الحياة . فاذا انصرف الى نفسه انصراف المهذب المثقف لا يلبث أن يثب بها الى المجد . ولعل كثيرين من الديكتاتوريين نشأوا فى صباهم هذه النشأة بلا عطف أب ولا حنان أم ولا رعاية من العالم !

واذا حذف من خط الحياة جزؤها الثانى ـ حب الناس ـ قد ينقطع الرجل الى تأملاته وحيداً ـ كما انقطع شوبنهور فيثب الى المجد ، ولو فى آخر أيامه . واذا صدم رجل فى الجزء الأخير من حياته مثلا ، أى لم يجد أليفاً من الجنس المخالف يحنو عليه ، أو وجده فاختطف منه فماذا يصنع ؟ يتغير مجرى الحياة تماما ، قد يصير شاعراً خالداً كدى موسيه فى لياليه باكياً على جورج ساند ، أو موسيقياً مبرزاً كشوبان ! من يدرى ربما كانت أغلب الفنون الرائعة من أثر هاته الصدمات ، من يدرى كيف كتب توماس هاردى « كلمات الشتاء » و « سخرية الحياة » ومن يدرى هل كان كتيس يكتب لو لم تكن هناك « فانى » ! الواقع أن هـذه « الدموع » « فى الاشياء » هذا الخط أو الحظ الذى يبتر ويقتطع قبل نهايته هو السبب فى « تغطية » نقص يشعر به المضيع الفاقد ، فيسير به الى المجد وقد يدفعه دفعاً !

ولقد يسأل القارىء وما شأن حب الجنس المشابه ؟

نجيب أن هذه فترة المدرسة ، وهى عابرة ، فاذا دامت ولم تمش الى المرحلة الأخيرة ، أدت الى الشذوذ الجنسى الذى نسمع به كثيراً ، ومن العجيب أن هذا الشذوذ قد يؤدى الى النبوغ

فى نواح كثيرة ، فأمر أبى نواس معروف ، وحكاية أوسكار وبلد أشهر من أن تذكر
نتكلم الآن عن غريزة الكره

إن النفس البشرية عبارة عن أمواج لا تهدأ . فى لحظة واحدة للحب مطالب وللكره مطالب ، وهناك فى النفس رقباء يتدخلون وينصحون ويجتهدون أن يجعلوا ما فى داخل النفس ملائماً مع ماهو خارجها ! وهذا هو ماصنعته الانسانية ، وما تزال تصنعه . وهذا هو معنى المدنية كبح النزعات الغشيمة المستقرة فى أعماق العقل الباطن ، وجعلها متلائمة مع ما اصطلح عليه العالم من تقاليد ونظم ، وما توارثه من قوانين صارت لها على الأجيال قداسة الأديان . لايختلف انسان عن انسان فى عدد هذه الغرائز وكيفيتها . وفيم الاختلاف إذن ؟ يختلفون أولا فى « الاستعداد » الذى يرثونه ، ومعنى الاستعداد ميل خاص لتفوق غريزة وخمول أخرى ، والغرائز لا تموت ولا يقتلها التهذيب أو السجن أو العقاب . وانما «تكبت» و « تلجم » . أو يطلق لها العنان اذا رؤى فى ذلك صلاح للبشرية

ويختلف الناس كذلك فيما تعودت هذه الغريزة أو تلك أن تلقاه من « الاستجابة» لمطالبها فى البيت أو المدرســة أو البيئة . فاذا اعتاد طفل مثلا أن يصفق له كلما سب أو ضرب ألف هذا الطريق ورسم له ومهد منذ الصغر . وكذلك يختلفون فى كيف « تعامل » هذه الغرائز الثائرة فاذا ضرب طفل أو أوذى كلما اخطأ ، قد يؤدي ذلك الى شيء من ثلاثة إما انطواء على النفس و « كبت » يكون له أثره السيء فى الكبر وإما شعور بالغ « بالنقص » يحاول أن يغطيه بطريقة من الطرق قد تكون سبيلا له الى المجد ، وإما يعتاد هذه الاستجابة ، يألف هذا التعذيب ، يصير من أرباب الضمائر النادمة ، يحب التكفير ، يطلب العذاب ومن يقرأ دستوفسكى يلاحظ فى كتبه ذكر هذه الخاصية عن الشعب الروسى ولعل هذا ناشيء من كثرة ما أصاب هذا الشعب من الضيم والارهاق . وانه ليذكرها كثيراً على لسان أبطاله فى « الجريمة والعقاب» ولقد يبالغ الواحد منهم فى التكفير ، فيكفر عن خطيئة لم يرتكبها ، معتقداً أنه يكفر عن الانسانية كلها

وهذا يفسر لنا السادزم والماشوكزم والفتيكزم يفسر لنا اعترافات روسو ، يفسر لنا مذاهب وعقائد محيرة للعقول ، ولكنها فى الأصل مبنية على هذا « الشعور بالعذاب »

هكذا تدفع الامراض بأصحابها الى المجد . اذا كان المجد هو الشيء الخارق للعادة يقوم به فرد شاذ فى نشأته ، شاذ فيما لقى فى صباه ، سار خط الحياة عنده على غير ما تقتضى الطبيعة أن يسير !

ابراهيم ناجى

مملكة بلنسية ومرسية

بقلم الامير شكيب ارسلان

عنى العلامة الكبير الامير شكيب أرسلان بوضع كتاب فى تاريخ الاندلس بعنوان « الحلل السندسية فى الاخبار والآثار الاندلسية » . وقد أصدر منه الجزءين الاول والثانى منذ سنتين . وقد أتم تأليف الجزء الثالث . وتفضل حين زيارته لمصر . فأتحف الهلال بالفصل الاول من هذا الجزء وهو الذى ننشره فى الصفحات التالية [المحرر]

فاتحة

هذا هو الجزء الثالث من كتابى عن الاندلس يتلو اخويه السابقين الجزء الأول والجزء الثانى اللذين ظهرا منذ سنتين . وهو على نمطها فى ذكر مواقع البلاد الجغرافية ومزايا كل منها ومن نبغ فيها من العلماء والأدباء . وكما كان الكلام فى الجزئين السابقين عن شمالى اسبانية مثل قشتالة وليون ونبارة واداغو ، وكتلونية داخلة فيها قواعد العرب المشهورة طليطلة ومجريط ووادى الحجارة وقونكه ومدينة سالم وقلعة أيوب ودروقة وسرقسطة ووشقة ولاردة ومضافاتها ، سيكون الكلام فى هذا الجزء عن شرق الاندلس من طرطوشه فى الشمالى الشرق نازلا الى لورقة فى الجنوب الغربى مندمجة فى هذا الجزء مملكة بلنسية وملحقاتها ومملكة مرسية وتوابعها مما كان يطلق عليه اسم شرق الاندلس ، وقد ترجمنا من نبغ فى هذه البلاد الشرقية من العلماء والأدباء مع زيادة توسع فى أخبارهم ومع بعض استطرادات متشعبة من أصل الموضوع . وسيتلو هذا الجزء من كتابنا الجزء الرابع الذى سيكون الكلام فيه عن حيان وقرطبة ونواحيهما ، ثم يأتي بعده الجزء الخامس الذى سيكون الكلام فيه عن اشبيلية وشرميش وبطليوس وغرب الاندلس الى البرتغال ، ثم يتلوه الجزء السادس الخاص بمملكة بنى الاحمر غرناطة والمرية وبسطة وادى آش والمنكب ومالقة ورندة وملحقاتها ، ثم يتلوه الجزء السابع فى التاريخ من أول الفتح الى آخر دولة بني أمية ، ثم الجزء الثامن من بداية ملوك الطوائف الى انقضاء دولة المرابطين ثم دولة الموحدين الى انتهائها ، ويأتى بعد الجزء التاسع الذى سيكون الكلام فيه عن سلطنة غرناطة الى سقوطها ، ويتلوه جزء خاص بتاريخ عرب اسبانية المدجنين الذين يقال لهم الموريسك وهم المسلمون الذين قاموا تحت حكم النصارى الى أن طردوهم أخيراً قاطبة وذلك فى نواحى سنة ١٦١٢ وربما يدخل فى هذا الجزء رسالتنا عن جزائر الباليار ميورقة واخواتها . هذا هو رسم كتابنا الاندلسى الذى توخينا أن يكون أوسع كتاب فى هذا الباب سائلين المولى عز وجل أن يفسح فى الأجل ويأخذ باليد لانجازه

مملكة بلنسية ومرسيه

من عادة المؤرخين والجغرافيين أنهم اذا وصلوا الى ذكر مملكة بلنسية وساحل اسبانية الشرق يذكرون معهما جزائر البالبار التى هى ميورقة وميورقة وبايسة ، ومنهم من يذكر هذه الجزائر مع كتلونية لأنها مصاقبة من الجهة الشمالية لكتلونية كما هى من الجهة الجنوبية مصاقبة لبلنسية ، ونحن اخترنا أن نفرد لهذه الجزائر جزءاً مستقلا من الحلل السندسية تحت اسم « الاصول المعرقة والغصون المورقة فى محاسن جزيرة ميورقة » فنذكر هذه الجزيرة واخواتها ونطوف بجغرافيتها وتاريخها وجمع أخبارها ونعرج على آثارها ونتكلم عن رحلتنا اليها ونترجم من نبغ فيها من العلماء والادباء واشتهر من الامراء والعظماء سواء كانوا من العرب أم من الاسبانيين ، فلذلك سنمضى الآن فى ذكر مملكة بلنسية وتوابعها مبتدئين بمدينة طرطوشة التى هى آخر كتلونية من جهة الجنوب وأول البلاد التابعة لبلنسية من جهة الشمال ، وقد كانت طرطوشة فى الماضى وبقيت مدة طويلة هى الحد الفاصل بين المسلمين والنصارى وكان يقيم بها فى أيام الخلافة الأموية مندوب من قبل الخليفة ينظر فى أمور الداخلين من بلاد الافرنج الى المملكة الاسلامية وعلى يده يكون التصريح فى الدخول والخروج ، وممن تولوا هذه الخطة القاضى منذر بن سعيد البلوطى الشهير لعهد الخليفة الناصر عبد الرحمن

طرطوشة

وطرطوشة اليوم مدينة متوسطة واقعة على ضفة نهر « ابره » الذى ينحدر على مقربة منها الى البحر وعدد سكانها نحو من ٢٨ الف نسمة ، وهى من كرسى أسقفية وقد كان يقال لها فى زمن الرومانيين « درتوزة » . وكان لها أيضاً اسم آخر وهى « مستعمرة جوليه السعيدة »

وكان لها حق فى سك العملة و بالنظر لموقعها الجغرافى كانت لها دائما أهمية بين المدن الاسبانية لا سيما انه بالقرب منها غابات من الصنوبر المتين الصالح لانشاء السفن فلا تخلو طرطوشة أبداً بهذا السبب من دار صنعة بحرية . وقد استولى عليها العرب فى بداية الفتح ولكن الافرنج جاءوا بعد استيلائهم على كتلونية فهاجموا طرطوشة لاجل استردادها

وفى سنة ٨٠٩ للمسيح حاصرها الملك لويس الحليم بن شارلمان فعجز عنها فانكفأ عن حصارها ثم عاودها بعد سنتين ففتحها ثم عاد العرب فاسترجعوها ، وعلى طرطوشة وقعت الوقائع بين لويس الحليم بن شارلمان والحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الأموى الذى أرسل ولده عبد الرحمن بجيش أخرج منها الافرنج . قال لاوى بروفنسال فى «الانسيكلوبيدية» الاسلامية : انه نظراً لوجود طرطوشة فى طرف بلاد المسلمين كان الخلفاء يجعلونها منفى لمن يكرهون إقامته فى داخل المملكة . قال واليها نفى المنصور بن أبى عامر عبد الملك بن ادريس الجزيرى . ولما تشظت

عصا الخلافة ونجمت ملوك الطوائف صارت طرطوشة أمارة مستقلة قام بها نبيل الصقلي من المماليك العامرية واستولى نبيل هذا أيضاً على بلنسية لكن لم يطل أمره بها . وكان قبل نبيل تولى عليها الفتى لبيب وفتى آخر اسمه مقاتل لقب نفسه سيف الدولة . وفى سنة ٤٥٢ للهجرة وفق ١٠٦٠ للمسيح ثارت طرطوشة بأميرها نبيل الصقلى فاضطر أن يلجأ الى المقتدر بن هود صاحب سرقسطة . فبقيت هذه المدينة فى أيدى الملوك من بنى هود الى ان تقلص ظل الاسلام عنها ، وكان النصارى قد استولوا عليها سنة ٥١٢ هجرية وفق ١١١٨ مسيحية ثم أخرجهم المسلمون منها الى ان ضاق النصارى ذرعاً بغارات المسلمين البحرية التى كان أكثرها صادراً عن طرطوشة لأنها كانت مركزاً عظيما لقرصان المسلمين ، فصمم ريمون بيرانجة على أخذ طرطوشة ووافته نجدات من فرسان الميكليين الرابع صاحب برشلونة من الصليبيين وأساطيل بيزة وجنوة من ايطالية فافتتحوا البلد براً وبحراً واستولوا عليها فى ١٤ شعبان سنة ٥٤٣ وفق ٣٠ دسمبر سنة ١١٤٨ وهى السنة التى استولى فيها النصارى على لاردة وافراغة ، فكرّ المسلمون على طرطوشة وكادوا يفتحونها فدافع الأسبان عنها أشد دفاع ، وظهر من النساء فى ذلك اليوم استبسال نادر المثال ، حتى قيل انهن كن السبب فى حفظ طرطوشة من الوقوع فى يد الاسلام ، فلذلك منحهن بيرانجة وساماً اسمه وسام العناس وهو عبارة عن شريطة حمراء يحملنها ويتبخترن بها وكذلك أعطين حق التقدم على الرجال فى حفلات الزواج

وكان خلفاء بنى أمية شديدى الاعتناء بطرطوشة ، نقل ابن عبد المؤمن الحميرى انهم حصنوها بأسوار منيعة وجعلوا لها أربعة أبواب وعمرت فى أيامهم عمراناً زائداً ، وبنى فيها الخليفة الناصر عبد الرحمن سنة ٣٣٣ هـ وفق ٩٤٥ دار صنعة السفن لا يزال تاريخ انشائها منقوشاً على الحجر ، وكان فى طرطوشة مسجد جامع بخمسة صفوف من الأقواس ، ذكر لاوى بروفنسال انه مبنى من سنة ٣٤٥ للهجرة ، ولكن رأيت فى دليل بديكران : الكنيسة الكاتدرائية فى طرطوشة هى من بناء مطران اسمه (غوفريدة) اشتغلوا فى بنائها من سنة ١١٥٨ الى ١١٧٨ وذلك فى مكان مسجد بناه الخليفة الناصر سنة ٩١٤ والاقرب أن يكون هذا المسجد هو المسجد الجامع ، هذا الا اذا كان هناك مسجد آخر بناه الناصر . وعلى كل حال فلا يزال فى صومعة الثياب الكهنوتية الى اليوم كتابة كوفية تتعلق ببناء هذا المسجد ، وفى هذه الصومعة أيضاً خوذة عربية ، ثم ان قبة الجرس التى فى هذه الكنيسة هى مأذنة المسجد باقية كما كانت . وكان بنو أمية قد بنوا فى طرطوشة مبانى أخرى منها أربعة حمامات عمومية وكانت أرباضها فى غاية العمران . قال لاوى بروفنسال اذا نظرنا الى العلماء الذين يحملون لقب « الطرطوشى » حكمنا بان هذه البلدة بقيت مدة طويلة مركزاً لامعاً بأنوار العلوم الاسلامية الخ

عوامل النهضة الحديثة في المجتمع الاسلامى

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

« المجتمع الاسلامى اليوم في عصر احياء لا سبيل الى تجاهله
ومن المحقق أن الاسلام كحركة فكرية وروحية استطاع أن يحد
من تقدم الاستعمار الغربي ، وتغلغله فى الأمم الاسلامية »

مرت بالاسلام فى تاريخه الحافل عصور قوة وضعف ، ونهضة واضمحلال ، ونور وظلمات . ولم يكن شأنه فى ذلك الا شأن جميع الحركات التاريخية العظيمة ، آنا تضطرم وآنا تخبو ، وتجتمع لها أحيانا عوامل القوة المادية والمعنوية فتمهد لها سبيل الغلبة والظفر ، وتنتابها أحيانا عوامل الانحلال والضعف فتقوض من صروحها العظيمة وتحد من سلطانها ومؤثراتها وقد تقضى على أسسها وتمحو آثارها

وقد أثبت الاسلام خلال ماضيه الطويل ، أنه لم يكن فقط حركة تاريخية عظيمة ، تخضع لنواميس التطور التاريخى ، بل انه أيضا حركة انسانية خالدة ، تحمل فى أعماق أصولها عناصر الاستمرار والخلود ، وأنه اذا كان قد مرت به أطوار ضعف وظلمات ، فانه كان يخرج دائما من غمراتها بقوى معنوية جديدة ، تذكى قوته وتمهد له من جديد حياة القوة والنهوض

ونحن نعتقد أن الاسلام يجوز فى عصرنا مرحلة جديدة من مراحل النهوض تزداد على ممر الايام قوة واضطراما . وليس من العسير على المتأمل أن يلمح آثار هذا النهوض واضحة فى الامم الاسلامية المختلفة ، وفى المجتمع الاسلامى الحاضر ، وهى آثار لا تقتصر على الحياة العامة فقط ، بل تتناول الحياة الخاصة أيضا ، وتتناول الفرد كما تتناول المجتمع وهى فى مجموعها تكون بالنسبة للاسلام عوامل عصر جديد من عصور الأحياء . وقد يكون هذا العصر اليوم فى بدايته بالرغم مما حقق للاسلام فيه من مظاهر القوة والنهوض ، ثم يزداد ارتساما ووضوحا فيسترد الاسلام فيه لونا من ألوان مجده ، ويستأنف حياة السلطان والظفر التى فقدها منذ عصور ، وقد يكون من جهة أخرى ذروة مرحلة قصيرة من النهوض نضجت عواملها وآتت كل ثمرها

على أنه يجب لكى نقدر عوامل هذه النهضة التى تبدو طلائعها اليوم فى المجتمع

الاسلامى ، أن نرجع الى الوراء لنلقى نظرة الى حالة الامم الاسلامية فى أواخر القرن الماضى ، ثم نقارن الماضى القريب بالحاضر لنرى الى أى حد يبدو الفرق واضحا بين هاتين المرحلتين المتصلتين من تاريخ العالم الاسلامى

ففى أواخر القرن التاسع عشر كانت الدولة العثمانية التى لبثت عصورا تمثل الاسلام فى نظر الغرب ، قد بلغت مرحلة الاحتضار ، وكانت أملاكها الأوربية تخرج من قبضتها تباعا منذ معاهدة برلين حتى لم يبق لها فى أوائل هذا القرن فى أوربا سوى ولاية أو اثنتين . وسقطت الامبراطورية الفارسية فى الوقت نفسه صرعى النفوذ الأوربى ، وفقدت كل استقلال فى شئونها . ووضعت انكلترا يدها على مصر ، ووضعت فرنسا يدها على تونس ، بعد أن وضعت يدها على الجزائر من قبل ، ثم فرضت حمايتها على مراكش بعد ذلك بقليل . وفى فاتحة هذا القرن الى ما قبل الحرب الكبرى كان العالم الاسلامى قد انتهى الى حالة يرثى لها من الانحلال والركود ، وغاضت قواه المعنوية أمام ضغط الغرب ، فلم يكد يسمع له صوت أو يحس به أحد . وجاءت الحرب الكبرى والعالم الاسلامى غارق فى سباته مستسلم الى قدره ، والامم الاسلامية ترزح تحت نير الدول الأوربية ، ولا تكاد تملك لنفسها أمرا أو يسمح لها بشىء من حرية التصرف فى مصايرها

وتكشفت غمر الحرب فاذا بالامم الاسلامية تخرج منها منهوكة ممزقة وقد استنفدت قواها ومواردها فى سبيل معركة لم تردها ولا صالح لها فيها ، وفقدت البقية الباقية من تماسكها ، وتحطم كيانها السياسى ، فانهارت الدولة العثمانية ، وتقاسم الحلفاء الظافرون أشلاءها ، ووضعت انكلترا يدها على فلسطين والعراق ، كما وضعت فرنسا يدها على سورية ، وفرضت الحماية الانكليزية على مصر قسرا ، واحتل الحلفاء قسطنطينية ، ونفذت اليونان الى قلب الاناضول تريد احياء الدولة البيزنطية . وأحكمت الدول الظافرة أغلالها فى الامم الاسلامية بصورة خيل معها أن هذه الامم لن تقوم لها قائمة بعد وأنها فقدت كل أمل فى الحياة الحرة الكريمة

كانت هذه الصورة القاتمة التى تقدمها الينا الامم الاسلامية فى خاتمة الحرب الكبرى أشنع ما مر بالعالم الاسلامى من صور الانحلال والتدهور . ولكن أولئك الذين ظنوا يومئذ أن العالم الاسلامى قد لفظ أنفاسه الاخيرة كوحدة سياسية واجتماعية ، أخطأوا الظن ولم يحسنوا التقدير

***

ذلك أن هذه الصورة المادية المحزنة كانت تحجب حقيقة أخرى غفلت عن ادراكها الامم الأوربية وهى أن العالم الاسلامى كان يجيش دائما بقوى معنوية عظيمة وان ذلك الركود الظاهر لم يكن الا فترة انتظار وتدبر يتلمس فيها العالم الاسلامى اتجاهه الذى يجب أن يسير فيه

فلما انتهت الحرب وعاد الصفاء الى الافق ، لم يتردد العالم الاسلامى فى سلوك الطريق

التى رأى أن يختارها لنفسه ، ولم يحفل بما بدا له من تعنت الامم الغربية ووعيدها ، ولم يرتض لنفسه هذا المصير المؤلم الذى أرادت أن تفرضه عليه ، ومع أن الامم الاسلامية لم تكن فى ظروف تسمح لها باجتماع الكلمة أو باتحاد القوى ، فانها سارت جميعا منفردة فى نفس الاتجاه وقصدت جميعا الى نفس الغاية ، وهى السعى بكل ما وسعت لاسترداد حقوقها المسلوبة وتبوء مكانتها فى الحياة الحرة الكريمة ، وهنا يبدو لنا ذلك المظهر الرائع الذى ظهرت به الامم الاسلامية جميعا فى وقت واحد ، ففى الوقت الذى هبت فيه تركيا لترد المعتدين على أراضيها ، ولتسترد عاصمتها القديمة ، قامت فارس تجاهد فى التحرر من أغلال النير الاجنبى الذى أخذ يصفدها ، وفى الوقت الذى جاشت فيه مصر بوثبتها الوطنية المضطرمة ، كانت سورية والعراق وفلسطين وشمال افريقية ، تجيش بحركات مماثلة ، وقامت افغانستان تسترد استقلالها الذى كادت تسحقه انجلترا ، وساهم مسلمو الهند بأعظم قسط فى حركة الاستقلال الذاتى التى كادت تزعزع أركان النير البريطانى ، ولم يتخلف مسلمو اندونسيا (الهند الشرقية) عن رفع صوتهم فى وجوه المستعمرين . وعلى الجملة فقد سرت الى جميع أنحاء العالم الاسلامى فى الفترة التى تلت خاتمة الحرب الكبرى مباشرة حركة انتقاض عامة على النير الاوربى ، اتخذت فى مختلف الامم الاسلامية صورة حركة وطنية ترمى الى التحرير السياسى ، واسترداد الحقوق الوطنية المغصوبة ، واقترنت فى أحيان كثيرة بفورات من الكفاح العنيف ، ولو انها كانت تستند دائما الى القوى المعنوية التى أثبت العالم الاسلامى فى هذه الظروف انه يزخر بالكثير منها

والآن أعنى لنحو عشرين عاما من اضطرام العالم الاسلامى بهذه الفورات العامة ، تقدم الينا الأمم الاسلامية منظرا آخر أدعى الى الطمأنينة والأمل ، فقد استطاعت مصر والعراق أن تحقق كل منهما استقلالها بعد كفاح طويل ، وتسير الآن سورية فى مثل هذا الطريق ، والأمل قوى فى أن تفوز فلسطين بتحقيق أمانيها ، وفى قلب الجزيرة العربية اليوم دولة اسلامية قوية جديدة هى المملكة السعودية ، وفى تونس والجزائر ومراكش نهضة قوية تبشر بأن تؤتى ثمارها بصورة من الصور ، هذا وقد استطاعت تركيا الكمالية بعد جهود جبارة أن تعود فتتبوأ مكانتها بين الدول القوية العزيزة الجانب ، ومع انها لا تشاطر العالم الاسلامى وجهته وأمانيه ، وتؤثر أن تسير فى طريقها الخاص فانها أقامت صرح حياتها الجديدة على أنقاض دولة اسلامية قديمة هى الدولة العثمانية الذاهبة . وأما فارس فقد استطاعت أن تتحرر من النفوذ الأجنبى المتغلغل فيها وأن تسترد سيادتها القومية كاملة . واستطاعت افغانستان أن تحمى استقلالها من كيد الكائدين . وأما الهند فقد سارت خطوة لا بأس بها فى سبيل الاستقلال الذاتى

على ان هذا التقدم فى تحقيق الامانى الوطنية بالنسبة للأمم الاسلامية ، ليس كل شىء فى حركة الاحياء التى يجوزها العالم الاسلامى اليوم ، فهناك عناصر نهوض أخرى ربما كانت أهم وأبعد أثرا ، ونعنى بها العناصر المعنوية ، فالمجتمع الاسلامى اليوم يضطرم

بروح ومشاعر جديدة أخص ما فيها ما يبديه اليوم من يقظة ظاهرة وشعور بالكرامة وتطلع الى المثل الاعلى • ولقد توالت على المجتمع الاسلامي عصور ركدت فيها مشاعره ، وساد فيه نوع من الجمود الروحي ، وهانت عليه كرامته أمام لطمات الغرب وعدوانه ، وتاريخ الامم الاسلامية فى القرن الماضى ملىء بهذه المواقف المؤلمة • ولكن الامم الاسلامية تخلع عنها اليوم هذا الرداء البالى ، وتواجه الغرب بماضيها العظيم ، وتحاول جهد استطاعتها أن تذود عن كرامتها القومية كلما ظهرت بوادر اعتداء عليها ، ثم هى تحاول ما استطاعت أن تقف على قدم المساواة مع غيرها من الامم ، ولا يردها عن ذلك ما ينتابها من عوامل الضعف المادى ، لانها تتجه الى هذه المواقف المشرفة قبل كل شىء بروحها وقواها المعنوية

وترجع هذه اليقظة وهذا الشعور بالكرامة ، بلا ريب الى ما أحرزته الأمم الاسلامية فى العصر الاخير من عوامل التقدم الثقافى والفكرى ، والى ما ترتب على ذلك من تحسن فى المستوى الروحي والخلقى، ويكفي أن نلقى فى ذلك نظرة الى النهضات الثقافية والفكرية التى تجيش بها الأمم الاسلامية وفى مقدمتها مصر ، ومصر اليوم قلب الاسلام النابض وموئل الحركة الاسلامية ، وهى اليوم تعود فتؤدى رسالتها التاريخية فى قيادة هذه الحركة وتوجيهها ، وهى جد مغتبطة اذ تعمل على توثيق روابطها الفكرية والثقافية مع سائر الأمم العربية والاسلامية ، وهى بأزهرها وجامعتها ومعاهدها المختلفة مقصد الطلاب من سائر أنحاء العالم الاسلامى • ومصر تحمل اليوم لواء حركة احياء حقيقى فى التفكير والآداب ومن حولها الأمم الاسلامية الاخرى ، تتعاون معها فى العمل على احياء التراث المشترك • وليس من ريب فى ان مصر انما تستمد ما تتسم به اليوم من زعامة العالم الاسلامى بالاخص من حراستها لذلك التراث المعنوى ، وسهرها على تقدمه وازدهاره

والخلاصة ان المجتمع الاسلامي يجوز اليوم عصر احياء لا سبيل الى تجاهله ، ومن المحقق ان الاسلام كحركة فكرية وروحية استطاع أن يحد من تقدم الاستعمار الغربى وتغلغله في الأمم الاسلامية في العصر الاخير • كذلك كان للغة العربية باعتبارها لغة القرآن ولغة الثقافة القومية شأن كبير فى مقاومة الغزو الثقافى الغربى الذى يرمى قبل كل شىء الى تحطيم القوى المعنوية القومية للأمم المغلوبة • وفى وسعنا أن نقول أن حركة الاحياء الاسلامية هذه تتخذ على الاغلب مظهرا ايجابيا ، وان كنا نستطيع من جهة أخرى أن نقول انها قد ترجع من وجهة سلبية الى عوامل الانحلال التى تعانيها اليوم حضارة الغرب • على ان الذى يجب التساؤل عنه قبل كل شىء هو المدى الذى بلغته هذه الحركة اليوم ، فهل نعتبر انها قد بلغت ذروتها وان الاسلام قد استنفد فيها كل جهوده وقواه ؟ أم انها مرحلة بدء فقط سوف يعظم شأنها ، ويضطرم فى خلالها الاسلام بعزائم وقوى أخرى ؟ هذا ما يجب أن يترك الجواب عليه لمستقبل ليس ببعيد

محمد عبد الله عنان

السلم أرجح

بحث يثبت تفوق الدول الديموقراطية

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

لا يخشى من وقوع الحرب مهما تحرجت الازمات . وان شبت ، فكفة الدول الديموقراطية تكون الراجحة . لان القوى الحربية فيها تفوق القوى الحربية فى الدول الديكتاتورية . ثم أن المواد الاوليـة تتوافر فيها بكثرة ، فى حالة افتقار الدول الديكتاتورية اليها ، وهـذه المواد الأولية عامل عظيم الشأن فى ترجيح كفة النصر

الحوادث الأخيرة فى أوربا الوسطى مع ما صحبها من تهويل الدكتاتورين ذعرت الناس لأنها أوهمتهم أن صرح السلام متزعزع . وما تبع هذه الحوادث من محاولات الدول الديموقراطية فى انقاذ السلم ، أوهم أن قوى الدول الدكتاتورية أرجح من قوى الديموقراطية

ولـكن البيانات الرقمية التالية عن كل من الجانبين ، ترى عكس الظاهر . ولا تبقى شبهة بأن الدول الديموقراطية كانت تبذل جهدها فى تحايد الحرب حقناً للدماء البريئة ، وان الدكتاتورين كانا يستغلان قصدها هذا لانفسهما لا للسلم

ولا يخفى أن الديموقراطية تجعل الحكومة خادمة الشعب حريصة على سعادته ، والدكتاتورية كما نخبرها اليوم بالعكس تجعل الشعب خادما للحكومة مرغما بأن يضحى بكل قواه لأجل حياة الحكومة ، والحكومة تضحى بكل شيء لأجل سؤدد سيدها الدكتاتور . ولكى يطمئن الدكتاتور فى كرسى سلطته ، يزين للشعب ثمار الفتح والاستعمار الشهية ، وبهذه الحجة يتمادى فى التسليح الى أن يستهلك جميع قوى الشعب . فقد يفتقر الشعب فى سبيل تدجج الدولة بالسلاح ، ويشق وهو يعلل النفس بسراب الآمال التى تزينه له الدكتاتورية

فى الجدول التالى بيان للقوى الحربية البرية والبحرية والجوية عند كل من الدول الديموقراطية والدكتاتورية فى هذا العام ، وما ينتظر من المزيد منها فى الأشهر التالية

قوات الدول الديمقراطية حتى سنة ١٩٣٩

		القوات البرية		القوات البحرية							القوات الجوية	
	عدد السكان بالمليون	تحت السلاح الآن بالألوف	تمكن التعبئة بالملايين	بالاطنان	بوارج	حاملات طائرات	طرادات	مدمرات	غواصات	مجموع القطع	عدد طائرات	جنود طيران
بريطانيا	٤٧	١١٥ ألفاً	٩	١٬٢٩٦٬٣٥٣	١٨	٦	٥٩	١٢٩	٥٤		٢٠٠٠	٦٥٠٠٠
		٩٠ ألفاً بالمستلكات		(تحت الصنع الآن)	٥	٥	١٧	٣٣	١٨			
					٢٣	١١+	٧٦+	١٦٢+	٧٢+	٣٤٤=		
فرنسا	٤٢	٤١٥ ألفاً	٩	٥١١٬٨١٧ تحت الصنع	٦ ٣	١ ٢	٢	٦٨ ١٠	٧٥ ١١		١٥٠٠	٥٠٠٠٠
					٩+	٣+	٢+	٧٨+	٨٦	١٧٨=		
روسيا	١٧٠	مليون و٣٠٠ ألف	٣٥	٢٥٠٬٠٠٠	٤	تحت الصنع	٤ ٤	٢٥	١٥٠	١٨٧	٤٥٠٠	١٠٠٠٠٠
الولايات المتحدة	١٢٩	٣٦٠ ألفاً	٢٠	١٬١٦٣٬٦٤٠ تحت الصنع	١٥ ٤	٤ ٢	٣٠ ١٠	٢١٦ ٣٦	٨٥ ٢٢	٤٢٤		
			٧٣	٣٬٢٢١٬٨١٠	١٩	٦+	٤٠+	٢٥٢+	١٠٧+	١٬١٣٣		

وفي أثناء كتابة هذا المقال أجاز الرئيس روزفلت أيضاً بناء بارجتين عظيمتين حمولة كل منهما ٤٥٠٠٠ طن

قوات الدول الدكتاتورية حتى سنة ١٩٣٩

	القوات البرية			القوات البحرية							القوات الجوية	
	عدد السكان بالمليون	تحت السلاح بالالوف	تعبئة الممكنة بالملايين	بالاطنان	بوارج	حاملات طائرات	طرادات	مدمرات	غواصات	مجموع القطع	عدد طائرات	جنود طيران
المانيا	٨٠ (ما عدا سلوفاكيا)	مليون واحد	١٣	١٤٧٢٧١ تحت الصنع	٦ ٤ +١٠	+ ٢	٦ ٧ +١٣	٣٥ ٢٧ + ٦٢	٣٦ ٢٣ = ٥٩	١٤٦	٢٦٠٠	١٣٠٠٠٠ تبقى كل شهر ٢٥٠ طائرة
ايطاليا	٤٣	٥٥٠	٨	٤٢٩٢٤٣ تحت الصنع	٤ ٦ ١٠	+	+٢٢	١١٤ ٤٢ +١٥٦	٨١ ٣٠ =١١١	٢٩٩	٢١٠٠	٥٠٠٠٠
اليابان	٧١	٣٣٢ (عدا ما في الميادين الصينية)	١٣	٨٠٢٣٦٢ تحت الصنع	٩ ٢ +١١	٤ ٣ + ٧	٣٥ ٢ +٣٧	١١٢ ١٥ +١٢٧	٥٧ ٥ ٦٢	٢٤٤	١٦٧٠	٢١٠٠٠
			٣٤	١٫٣٧٨٫٧٧٦						٦٨٩	٦٣٧٠	
الدول الكبرى التي على الحياد المهدد أو المتردد												
يوجوسلافيا	١٥	١١١	٣	٩٥٠٠							٣٠٠	١٠٠٠٠
رومانيا	٢٠	١٤١	٣ ½	١٠٠٠٠							٢٨٠	١٠٠٠٠
بولاندا	٣٤	٢٦٦	٦ ½	٨٥٠٠							٥٠٠	١٠٠٠٠

ولو فرضنا أن الحرب اقتصرت على الدول الاوربية الأربع الكبرى ، كانت القوى المتقابلة هكذا :

انكلترا وفرنسا	مقابل	المانيا وايطاليا
تعبئان من الجنود ١٨ مليونا	«	٢١ مليونا
« من البوارج ٣٢	«	١٨
من الغواصات ١٥٨	«	١٧٥
من الطرادات والمدمرات الخ ٣٣٢	«	٢٥٥
مجموع القطع البحرية ٥٢٢	«	٤٤٣
اطنان القطع البحرية ١٫٨٠٧٫١٧٠	«	٥٧٦٫٥١٤
طائرات ٣٥٠٠	«	٤٧٠٠

فان تقتصر الحرب على البر فقط بين هذه الدول الأربع مع تعادل جميع الاعتبارات الاخرى يكن النصر متردداً بين الجانبين وربما كان راجحا للدكتاتورية . ولكن هذا الافتراض من المستحيل ، لأن الحرب لا تقتصر على القتال البرى فقط ، ولا تنحصر فى الدول الأربع ، بل تبرز الى الميدان الأسلحة الأخرى وتزلق اليه دول أخرى مهما آثرت الحياد ، وتلعب الاعتبارات الاقتصادية المختلفة أدواراً عظيمة الشأن أيضا كما سترى

ترى من معادلات القوى البحرية أن فى امكان الدولتين الديموقراطيتين انكلترا وفرنسا أن تضربا حصاراً بحرياً اقتصادياً ، اذا لم يكن تاما فلا بد أن يكون مضيقا الخناق على الدكتاتوريتين ، ولا سيما لان المانيا فى حاجة الى الواردات الغذائية والوقود والمعادن والمواد الأولية من الخارج . ولذلك لاتتردد المانيا حال شبوب الحرب أن تغزو رومانيا على الأقل طمعا بغلالها وبترولها ومعادنها وفى هذه الحالة لا تتردد روسيا السوفيائية أن تصدها عنها لئلا تتمادى الى هنجاريا فبولاندا فاوكرانيا أخيراً . اذاً يرجح أن تكون روسيا خامسة الدول المحاربة

واذا كانت اليابان تلبى استغاثة صديقتيها المانيا وايطاليا ، أو أنها تغتنم فرصة انشغال روسيا غرباً فتهاجمها شرقا ، فالصين كافية لان تجعل هذه المهمة صعبة جداً عليها . ناهيك عن أن قوى روسيا البرية ، وهى عظيمة جداً ، لا تتحول كلها الى الغرب بل يبقى منها الكثير لصد اليابان أو لأعانة الصين كذلك إذا كانت اليابان تنتهز الفرصة لكى تهاجم الممتلكات الانكليزية والفرنسية فى الشرق ، فالغالب أن الولايات المتحدة لا تبقى واقفة مكتوفة اليدين تشاهد هذا الخطر الأصفر يستفحل ويهدد مصالحها فى الباسفيك ، وأسطولها أقوى من الأسطول اليابانى ، ناهيك عما يوافيه من مدد المستعمرات الانكليزية والفرنسية فى الشرق

إذن لا تقتصر الحرب على الدول الأربع ، ويستحيل أن ينحصر ميدانها فى غربى أوربا
فاذا أضفنا إلى جانبي الدول الأربع نصيراتها ، كانت القوات المتقابلة هكذا :

روسيا والولايات المتحدة مع انكلترا وفرنسا	مقابل	اليابان مع إيطاليا والمانيا
٧٣ مليون جندى	»	٣٤ مليونا
(٤٠٣ مليون صينى)	»	....
٩٥٥ قطعة بحرية	»	٦٨٩
أطنان السفن الحربية ٣٢٢١٨٠٠	»	١٣٧٨٧٧٦
الطائرات ١٠٨٨٥	»	٦٣٧٠

وللقارىء الحكم فى هذه المقابلة

أما الدول الأوربية الغربية الأخرى ، فتجتهد أن تحافظ على حيادها ، وتضطر أن تدافع الدول التى تعتدى عليه . وأما الدول الأوربية الشرقيـة والجنوبية الأخرى فتحسب حساباً للعواقب ، وقد تساوم على حيادها . وأما بولاندا فمركزها حرج جـداً . لا تريد أن تقع فى حضن المانيا لئلا تخسر استقلالها إلى الأبد . وتنفر من روسيا لمثل هذا السبب ، فضلا عن أنها تفزع من الشيوعية ، ولهذا تحاول أن تحافظ على حيادها ما استطاعت

رومانيا قد لا تتردد فى أن تنحاز إلى الدولتين الديموقراطيتين ، لأنها تأمن معهما على استقلالها أكثر مما تأمن عليه مع المانيا وإيطاليا . ولمثل هذا الاعتبار تتجنب يوغوسلافيا الوقوع بين براثن إيطاليا

أما حظ هنجاريا فيتوقف على نتيجة الحرب . فان خسرتها الدكتاتوريات هى ، وإلا اندمجت كشقيقتها القديمة النمسا مع المانيا حتما . ولكن الشعب الهنجاري لا يرتاح كالشعب النمساوى الى هذا الاندماج لما بينهما من الفوارق السلالية واللغوية

بقيت الدول الصغرى الشرقية ، بلغاريا واليونان وتركيا ، فتجتهد أن تحافظ على حيادها ، ويغلب أنها لا تجسر أن تناوىء فرنسا وانكلترا لئلا تقع تحت خطر أسطوليهما

وهب ان لهيب الحرب التهم جميع الدول التى يندلع اليها . فمن الجداول السابقة تعلم أى الدول أرجح : الديموقراطية أم الدكتاتورية . اذا كانت أميركا لا تمد أوربا الديموقراطية بالجيش البرى كما فعلت فى الحرب الماضية . فيكفى ان تمون الدول الديموقراطية ، وان تسعفها بحريا

ولابد من كلمة عن سلاح الطيران ، هذا السلاح قوة هجوم لاقوة دفاع ، يتخطى حدود القتال الى البلاد الآمنة ويصب جام المصائب على الناس الابرياء ، ولا تستطيع طياراتهم طردها ، وانما تستطيع أن تقابلها بالمثل أى أن تذهب الى بلاد العدو وتنزل بأهلها المصائب والويلات . والى الآن لم تختبر قيمة مقدرة البلاد على صد غارة الطيارات على جيشها وحصونها ومعامل ذخيرتها وسفنها الخ

النصر غير مكتوب لعدد الجيوش مهما كثرت ، ولا لعتادها مهما وفر ، بل لعامل ثالث عظيم

الشأن مع هذين العاملين ، وهو مدد للمؤونة والذخيرة والسلاح

فمن ناحية الدول الدكتاتورية كانت المانيا بعد الحرب الكبرى أكثر الدول المحاربة انتهاكا . فقدت أسطولها ومستعمراتها ومعظم مواردها من الخارج ، واضطرت فى هذه المدة أن تبذل كل قوى شعبها فى التسليح ، ولكى يستطيع دكتاتورها أن يسمع العالم ارعاده كان مضطراً أن يضع مليونا ومائة الف جندى تحت السلاح فى وقت السلم ، وكان مضطراً أن يجعل ثلاثة أرباع ميزانية الدولة للنفقات الحربية ، ولكى تتعادل هذه الميزانية كان مضطراً ان يردف الضريبة بالضريبة ، ولكى يمكن جباية هذه الضرائب صار غذاء الشعب جرايات مقننة ببطاقات ، فالراجح اذن ان الشعب الالمانى يقتر فى نفقاته الخاصة لكي تتمون وزارة الدفاع بغية أن تفعل ما عجز عنه نابوليون واسكندر قبله. ثم ان زراعة المانيا لاتسد حاجة شعبها الى الغذاء ، فألمانيا تقايض مصنوعاتها بأغذية ومواد أولية ، فاذا تجند كل عامل فى مدة الحرب (١٣ مليونا) فمن يبق ليصنع ويقايض صادرات مصنوعاته بواردات أغذية الخ ، واذا ضربت أساطيل أعدائها نطاقا اقتصاديا عليها فمن أين تستورد ؟

أمر ايطاليا لا يختلف كثيراً عن شأن المانيا ولا سيا لأن هذه نزفت كثيراً من دمها فى حرب الحبشة وفى تهدئة الحال فى طرابلس

وفى أثناء كتابة هذا المقال صدر بيان عن واردات ايطاليا فى شهرى يناير وفبراير فكانت مليارين و٦٨٠ مليون ليرا فى مقابل ٣ مليارات و٣٢٠ مليوناً ليرا فى الشهرين المذكورين من السنة الماضية . وذلك لعدم امكان تغطية هذا النقص بصادرات تعادلها . ولذلك غطيت الميزانية الجديدة بضرائب جديدة

واليابان وهي مشغولة منذ عامين فى الصين ، ليست أسعد حالا من المانيا وايطاليا

فاذا كان ربح الحرب لمن يبقي معه آخر قرش من الخصمين ، كما قال نابوليون ، فلا ندرى ان كانت الدول الدكتاتورية تستطيع أن تكسب الحرب قبل أن تنفق آخر قرش ؟ !

بعد هذه البيانات قلما يظن أن المانيا وايطاليا تتجاسران أن تجاوزا حدود الابراق والارعاد الى المغامرة فى حرب . وقد فعل هتلر ما فعله فى شرق أوربا لأنه كان واثقاً أن انكلترا وفرنسا لا تندفعان معه الى ميدان القتال لأجل أمر لا يمس مصالحهما الخاصة

ويقال إنه اذا كان كل من هتلر وموسولينى يغامر فى حرب كبرى ، فليس لأن شعبيهما يريدان هذه المغامرة ، بل لأنهما أنفسهما مضطران الى المغامرة لئلا يضعضع الهدوء نفوذهما . لذلك لا يخشى من وقوع الحرب مهما تحرجت الازمات . وان شبت الحرب ، فلأن هتلر وموسولينى دفعا أمتيهما اليها ، ولأن الأمتين الانكليزية والفرنسية دفعتا حكومتيهما اليها . والفرق بين الدافعين كالصبح ظاهر

نقولا الحداد

هل يمكن توحيد الاسلام والمسيحية

رأيان : لفضيلة الشيخ محمد عرفه والقس ابراهيم سعيد

نشرنا فى عدد مارس من «الهلال» رأيين فى هذا الموضوع للاستاذ محمد فريد وجدى ، والقس سرجيوس ، ونحن ننشر فى هذا العدد رأيين آخرين لرجلين معروفين من رجال الدين الاسلامي، والدين المسيحي . هما فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عرفه الوكيل السابق لكلية الشريعة بالأزهر ، والقس ابراهيم سعيد

رأى فضيلة الشيخ محمد عرفه

وكيل كلية الشريعة السابق بالازهر الشريف

إذا نظرنا الى أصول كلتا الديانتين والغرض منهما كان التوفيق بينهما ممكناً سهلا ، وإذا نظرنا الى الزيادات والتعاليق التى ألصقت بالمسيحية كر الغداة ومر العشى ، كان التوفيق بينهما عسيراً

فأصول كلتا الديانتين الايمان بآله يجازى المحسن باحسانه والمسيء باساءته ، والغرض منهما بل الغرض من الاديان كافة أن يعمل الناس الخير ويكفوا عن الشر ، ليسعد البشر ، فى الدنيا والآخرة ، ويزول الشقاء ، ولا شك فى أن هذا الاصل وهذا الغرض تتفق فيهما الديانتان

وعلى ذلك يمكن التوفيق بينهما من هذه السبيل ، أما ما أحدثه تقادم العهد من الحواشى والزوائد فباعد ما بينهما ووسع مسافة الخلف ، وجعل التوفيق بينهما صعباً على من يحاوله

وإن فى الاسلام ميزة باقية اختص بقائها عن سائر الأديان ، جعلت التوفيق بينه وبين غيره من الأديان سهلا ممكنا ، وهى احترامه لسائر الرسل وتحتيمه على متبعيه أن يؤمنوا بسائر كتب الله ، وبجميع رسل الله غير مفرقين بين أحد منهم

« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ، والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله » . فالمسلمون يؤمنون بعيسى وموسى ونوح وابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وما أوتى النبيون من ربهم

وبهذا المبدأ كان التوفيق بين الاسلام وبين النصرانية أقرب من التوفيق بين المسيحية وبين اليهودية التى لا تحترم عيسى مثلا ، ولايؤمن أتباعها به بل يؤمنون بادخال النقيصة عليه ، بل كان التوفيق بين الأسلام وبين الديانات الأخرى أقرب من التوفيق بين بعضها وبعض

ان أهل كل دين يجدون احترام كتبهم ورسلهم فى الاسلام ،ويجد كل منهم ثلب كتابه ونقيصة

رسوله فى الديانات الاخرى ، فلذلك يسهل الامتزاج بينهم وبين المسلمين أكثر من الامتزاج بين بعضهم وبعض . وإن الدارس للاسلام دراسة خالية من التعصب ، يؤمن إيماناً لا يعتريه الشك بأن الاسلام علم حاجة البشر الى الاتفاق ، وعلم ماجلبته فرقة الأديان على البشر من شرور وويلات ، فجعل رسالته فى هذا الوجود قطع أسباب الخلاف بين البشر ، وجمعهم على دين واحد ، وكلمة واحدة

بين أن الناس كانوا أمة واحدة فاختلفوا ، وأن أسباب الاختلاف هى البغى والجور من أتباع الأديان ، ولو رجع الناس الى العدل فيما بينهم لعادوا الى الوحدة والاتفاق

« وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم »

بين أن مرجع هذا البغى الى تعصب كل فريق الى ما عنده ، وتكذيبه ما عند الآخرين

« وقالت اليهود ليست النصارى على شىء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شىء ، وهم يتلون الكتاب . كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم ، فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون »

« وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

وبدهى أنه إذا أزيل هذا البغى ورجع أصحاب الأديان الى إنصاف بعضهم بعضاً ، فآمن أهل كل دين بأنه ليس لأهل الأديان الأخرى الباطل صرفا ، وأنها جميعاً من الله قصد بها صالح البشر ، كان العالم أقرب الى الوفاق ، وكذلك فعل الاسلام

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فانما هم فى شقاق ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون »

رأى الاسلام أنه إذا أوجد أصول الاديان التى تشترك فيهـا ، ولا يخالف فيها بعضها بعضا ، ودعا الناس اليها ، كان ذلك أقرب الى القبول وأدعى الى التوفيق المنشود ، فأوجد هذه الأصول

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »

وربما ظن ظان أن محاولة الاسلام التوفيق بين المسيحية واليهودية والتوفيق بينهما وبينه غرض نبيل وجليل ، ولكنه خيال لا يتحقق ولن يتحقق ، فانه يفصل بين المسيحية واليهودية والاسلام القول بالتثليث وبنوة المسيح لله ، فان المسيحية تثبتهما ، واليهودية والاسلام ينفيانهما

والزمن كفيل بازالة هـذا الفاصل ، فكلما تقدمت الانسانية ، وأدركت جلال الله وكماله وتعاليه عن مشاركة الحوادث ، علمت أن تلك البنوة التى نطق بها المسيح بنوة اكرام وتعظيم ، لا بنوة نسب وولادة ، وإذا فهمت المسألة على هذا الوجه رجع الناس الى التوحيد الخالص والى الدين

الخالص . ولقد بدأت طلائع ذلك ، فقد كتب الفيلسوف رينان فى كتابه « حياة المسيح » فقال :
«ان بنوة المسيح لله التى نطق بها المسيح بنوة مجازية» ، فالمعنى ان الله يعامل المسيح كما يعامل الوالد ولده بالبر والشفقة والاحسان ، وقد رجعت الكنيسة الانجليكية الى القول بوحدانية الاله»

وانى مؤمن أن الانسانية عندما تسأم الخلافات الدينية ، وترى شرورها على البشرية ، وتود التوفيق بين عقائد البشر ليزول ما بينهم من إحن وأضغان ، ستجد فى الاسلام هذه المبادىء العالية للوفاق ، وستراها أسسا صالحة لجمع الناس على شرعة واحدة ، فتستعين بها على ما تحاول من وفاق ، ليكون لله المجد ، وللبشر السعادة ، وعلى الارض السلام

رأى القس ابراهيم سعيد

هذا سؤال شائك — أردت ان أقول انه « شائق » — لكن « الضمير » عصانى ، مع أن اللسان طاوعنى . وكثيراً مايختلف الضمير واللسان على أشياء متشابهة فى مظهرها ، لأنها متباينة فى جوهرها!

اذا أجاب المرء عن هذا السؤال بالنفى ، وجهت اليه تهمة التعصب ، وضيق الصدر . واذا أجاب بالايجاب ، قيل له : وأى دين من الاثنين ، يكون ضحية هذا الاتحاد المنشود ؟ فان قال ان دينه هو الدين الحق ، وان سائر الاديان يجب ان تبتلع فيه كما تبتلع الأنهر فى البحر ، أو كما يختفى ضوء الكواكب أمام بهاء القمر ، كان جوابه هذا ايقاظاً لفتنة نائمة ، وان هو حاول ان يتسامح فى دينه ، قال له « الضمير » ان الدين وديعة فى صدر الانسان ، فاذا جاز له أن يتسامح فى حق شخصى له ، فليس له ان يتسامح فى وديعة تسلمها من الأجيال الغابرة ليودعها « صدور » الأجيال القادمة ، ولن يتسامح فى حق غيره الا من كان ضعيف العقيدة سقيم الوجدان

غير انى أعتقد ان خطورة هذا الموضوع ، يجب ألا تتخذ ذريعة للهرب منه ، بل حافزاً لمعالجته بالحكمة والنزاهة . فالموضوعات الدقيقة ، كقمم الجبال الشامخة ، تنادى الناس ان يتسنموها

الدين وصلة بين الخالق والمخلوق ، فهو على هذا الاعتبار ذو طرفين : أولهما من جانب الله ، والثانى من جانب الانسان . أولهما يتصل بعالم الغيب ، وثانيهما يتصل بعالم الشهادة . فالدين فى جانبه العلوى يتناول المعلنات الالهية التى هى مظهر ارادة الله للبشر . والدين من جانبه الانسانى يراد به فهم البشر لهذه المعلنات الالهية وتطبيقها على حياتهم العملية

ومن المسلم به ان ارادة الله واحدة ، لأن الله واحد للجميع . فالدين من هذا الجانب الالهى ، دين واحد لا يحتاج الى توحيد بل الى كشف حقيقته والرجوع اليه

لكن الحق الالهى متعدد المظاهر ، وإن يكن واحداً فى الجوهر . فهو أشبه الأشياء بحجر كريم متعدد الجوانب ، لكل جانب منه جمال خاص ، وبهاء ممتاز . وقد يقال إن كل دين من الأديان الثلاثة البارزة ، قد وقع أنشودة التعبد لله على نغمة خاصة . فاليهودية وقعت نغمة

« القداسة الالهية ». والمسيحية وقعت نغمة « المحبة الالهية المضحية بتجسدها وآلامها ». والاسلام وقع نغمة « الوحدانية الالهية » . فمتى ائتلفت هـذه الأديان واتحدت ، تغنت بانشودة التعبد لله الحى الحقيق ، الذى هو إله واحد ، كلى المحبة ، كلى القداسة

وليس الدين غاية فى ذاته . لكنه وسيلة لغاية ـ هى تقرب النفس من الله ومن الناس . فاذا شبهنا هذه الغاية المثلى بأشعة النور ، كانت الأديان بمثابة الألوان التى تتحلل اليها أشعة النور متى وقعت على منشور بلورى . فمتى رفع ذلك « المنشور » عادت أشـعة النور كما هى بغير لون . لأن غاية النور أن يوجه الأنظار الى المرئيات ، لا إلى نفسه . ولسوف يأتى وقت فيه نجتمع فى حضرة الله فلا ينشغل أحدنا بدينه ، بل بالله نفسه ، الذى نتخاطب وإياه ، لا بلغة البشر ـ مهما سمت ـ بل بلغة الصمت التى هى لغة السماء ـ لغة الملائكة ـ لغة المحبة ـ لغة الله لأن الله محبة

من أجل هذا أعتقد بامكان توحيد الأديان ـ ولكن لا بالطريقة الآلية التى تقوم ببتر جزء من هذا الدين ، وجزء من ذاك ، ليتكون منهما دين واحد . لأن هذا يكون بمثابة بتر أعضاء من جسم انسان ، وبتر ما يقابلها من جسم انسان آخر ، على أمل أن يتكون منهما جسم واحـد . ولكننى أعتقد بامكان توحيد الأديان على أسلوب روحى ، يحتفظ فيه كل « بجسمه » فيتحد الاثنان فى روح واحد ، وغاية واحدة ، والروح بالروح تتلاقى أمام الله سيد الأرواح

وهنا أصرح من أعماق نفسى أنى لست أؤمن بمجرد شىء اسمه الدين المسيحى ، لكنى أومن بشخص هو المسيح الحى ، الذى قال : « أنا هو الحق » . وفى الوقت نفسه علمنى أن أحب أعدائى ، فكيف لا أتحد مع بنى جنسى ، وأهل وطنى ، الذين تظللنى وإياهم سماء واحدة ، وأشرب وإياهم من ماء نيل واحد ، ويجمعنى وإياهم وطن واحد ، ومزجتنى وإياهم دماء الضحايا الواحدة

أردت بهذا أن أقول : إنه ان تعذر توحيد الأديان ، فلا أقل من أن تتحد قلوب الناس الذين يدينون بهذه الأديان اتحاداً روحياً قلبياً ، لوجه الله ، فليس أبغض على نفس الانسان من أن يرى أن محفلا يضم قوماً لا يبالون بالدين قد تسوده المحبة والألفة والصفاء ، أكثر من محفل يضم قادة الرأى من أديان مختلفة . كأنما الدين وضع لاثارة الأحقاد فى النفوس

يمكننا أن نخطو خطوات واسعة نحو توحيد الاديان ، متى انصرفنا عن العرض الى الغرض ، وأكثرنا من حديثنا عن « الحق المشترك » الذى يجمعنا ، وتناسينا ـ ان لم يمكننا أن ننسى ـ الخلافات التى تفصلنا ، ونظرنا الى المحاسن التى عند غيرنا . عندئذ نرانا وقد التقينا فى حضرة الله فيكون مثلنا مثل قطع من المعادن اجتذبتها مغناطيسية كبرى فقربت كل قطعة من الأخرى

بل يمكننا أن نكون أقرب ما نكون الى توحيد الأديان ، متى جمعنا صفوفنا فى هذا البلد الأمين وألفنا مثلثاً للخير والفضيلة يناهض مثلث الشر والفساد : المسكر ، والمنكر ، والميسر ، ومتى التقينا حتماً فى هذا الميدان ألفينا أنفسنا متحدين فى حضرة الله ونحن لا ندرى

حفني ناصف

في ذكراه العشرين

بقلم الاستاذ مجد الدين ناصف

بدأت مصر بعد عشرين سنة تذكر المغفور له حفني بك ناصف ، بعد عشرين سنة من وفاته ، وهو نابغة العربية ، وأحد مؤسسي الجامعة المصرية ، وأستاذ كثير من أعلام هذا الجيل . وقد ألقى نجله الاستاذ مجد الدين ناصف كلمة في الحفلة التي أقامتها محطة اذاعة الحكومة المصرية بمناسبة ذكراه العشرين وهي تحوي معلومات لم تنشر (المحرر)

من بيان لشاعر الاقطار العربية وكاتبها الأستاذ الكبير خليل مطران بك ، في ترجمة المغفور له حفني ناصف ، نشرته « السياسة الأسبوعية » في ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٧ تحت عنوان « رجال التاريخ المصري الحديث » ما نصه :

« قضى أربعين سنة من عمره ، يثقف العقول ويروض الأخلاق ، ويفيض مما أكسبته مطالعته وخبرته ، على متلقي دروسه ، ومتصفحي طروسه ، وسامعي خطبه وأحاديثه . كان له فضل لا يجحد في تهيئة الأسباب للنهضة الفكرية ، وأثر لا ينكر في بعث اللغة العربية ، ولكنه لم يجد من النصفة في رزقه ما كان جديراً به ، شأنه في ذلك شأن سائر الذين انقطعوا للمعنويات في الشرق وانصرفوا عن الماديات ، فكسبوا الجيل من الثناء ، وحرموا ما عداه من حسن الجزاء . انتقل من هذه الدنيا سنة ١٩١٩ ، وهي السنة العظيمة ، التي ولدت فيها أمة مصرية جديدة من أمة ولدت في الدم ، ومن رشاش ذلك الدم نطاف زكية ، سفكها تلاميذه ومريدوه ، والتأدبون بأدبه ، والشاعرون بما بثه فيهم من صادق الشعور . فهي النطاف التي تصيب فيها دم قلبه المتليء بحب البلاد ، فكان له فيها نصيبه من التغذية والجهاد

« شغلت مصر أيامئذ عن أداء مفترض خدمته رثاء وتأبيناً ، بما كان يشغلها من عميم الخطب ؛ ولكنه بقي في كل ضمير ، انها عما قليل ترجع الى ما أهمل من أمره ، وتقضي ما لم يقض من حق شكره . فهل في ولاة الحل والعقد ، وهل من قادة الشعب ، من يتبين ما تحت هذه السطور ، من واجب يؤدى ، ودين يوفى ، لذلك الفقيد العظيم في آثاره النفيسة يضن بها على الفناء » . ثم قال : « والمترجم هو الحاج محمد الحفني . وقل من يعرفه بهذا الاسم . ولد في بركة الحج القرية

من القاهرة . يرتفع نسبه الى الامير ناصف الذى استوطن تلك الجهات ، وليس فيها من يحمل هذا اللقب الا تلك الأسرة » . ثم بين ان من تلاميذه ـ مع حفظ الألقاب ـ عبد الخالق ثروت ، اسماعيل صدقى ، زكى أبو السعود ، عبد العزيز فهمى ، أحمد لطفى السيد ، مصطفى كامل ، أحمد شوقى ، طلعت حرب ، نجيب غالى ، احمد زكى ، طه حسين »

هذا مما كتبه الأستاذ الجليل ، تلوناه هنا ، بمناسبة ان الاذاعة العربية فى مصر رأت ان تذكر به أهل العروبة ، فى هذه الذكرى العشرين لوفاته ، واذا كانت لتخليد الراحل طرائق عدة ، فقد بدأ بعض أمل المطران يتحقق ، اذ أمر العلامة وزير المعارف الحالى ، باحياء التراث الأدبى لهذا المترجم ، على يد نابغة اللغة والشعر ، تلميذه وصديقه ، المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف ، الأستاذ الكبير على الجارم بك ، الذى سيسمعكم ـ بعد ـ خريدة فريدة هبطت عليه من سماء الشعر ووحى الخلود

فما هو اذن هذا التراث ؟ آخر ما صنع : كتاب صغير استنبط فيه طريقة سيدنا عثمان بن عفان فى رسم المصحف ، وقد صرف مع أصحاب له سبع سنين حتى ضبط القرآن على نحو ما فعل هذا الخليفة الراشد . ولا يعلم الا القليل كم سهر فى سبيل هذا العمل وكم فنى فيه ، حتى حرم نفسه التوافر على جمع تواليفه ورزقه ، وحتى أقر آخر مسودة مضبوطة وأرسلها للمطبعة الأميرية ثم توفى على الأثر ، وكانت سنه ٦٣ سنة . هذا هو المصحف الذى بين أيديكم وعليه امضاؤه ، والذى تعممه الحكومة فى أنحاء البلاد الاسلامية توحيداً للدين واللغة وتكسب من بيعه آلاف الجنيهات فى كل عام

وكتاب ثان فى الامثال العامية ، وثالث فى غريب لغة الصعيد ، ورابع فى المنطق ، وخامس فى الانشاء القضائى ، وسادس فى مميزات لغات العرب ، وسابع فى تاريخ الأدب ، وثامن فى البديع ، وتاسع فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وعاشر فى السيدة هاجر ، وحادى عشر فى مارية القبطية ، ورسائل ومقالات ، ومحاضرات الجامعة المصرية الأولى ، غير كتب النحو الذى كان قبل ذلك يدرس على طريقة الازهر الصعبة ، وشعر ونثر ، وزجل ونكات أدبية مأثورة ، وبحوث قضائية نموذجية . فكان المترجم كما قال فيه حافظ ابراهيم :

(مفتناً وفقيهاً وقاضياً وابن فن)

هذا صدى ما يقوله الناس فيه . أما عن نفسه فكان لا يقول شيئاً الا اذا استدرج استدراجاً . ولم أعثر على مثل هذا الا فى عجالتين . فى احداهما قصيدة بمناسبة احالته على المعاش يظهر فيها أسفه على ترك العمل النافع ، ولكنه لا يمن على أحد ولا ينقم على أحد . قال منها :

ناهز الستين عمرى انما لم أزل جم القوى جم الجدارة
واذا لم يشك مثلى علة هل من الحكمة ان يلزم داره

ان ترك خـدمة الاوطان مع طول ما مارست فى الدنيا خسارة
وحيـــاتى كلها قضيتها تارة فى العدل والتعليم تارة

وفى الثانية كان يرد على صديق عاتبه على تباطئه فى قضاء حاجة ويعتذر له :

لعمرك لن أنسى وما كنت ناسياً ولكن قضاء مـه فتأجلا
ولا تنس أنى حائل الفكر بعد ما تقدمنى من كان بعدى فلا ولا

ولعله يجتزىء بهذا الختام من قولهم « لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم »

وهو مستسلم مرح على كل حال . كان له صديق حميم متأخر عنه ولكنه سعى وسعى ، حتى قلبه وأخذ منه مكانه من الترقية ، فكيف يوفق بين فرحه لصديقه وبين هذا القلب ؟ كتب له برقية من كلمتين وهما « أهنيكم بقلبى »

وكانت الجذالة تضويه حتى في بحوثه العلمية . اجتمع نادى دار العلوم لبحث ما يجب اتباعه نحو المسميات الحديثة . فكان رأى المجددين أن يستعملوا الكلمات الأعجمية كما هى . فألقى بياناً أتلو عليكم مقدمته كى تتبينوا أنه رغم دسامة الموضوع كان شيقاً جوالا . قال :

« أكثر القائلون بتطبيق سياسة الباب المفتوح على اللغة العربية ، من ذكر جمود أمتنا واشتغالها عن الجواهر بالأعراض ، ووقوفها موقف المستضعفين أمام الأمم الغربية ، ونعوا علينا تحرجنا قبول الدخيل فى لغتنا ، ورمونا بالرجوع الى الوراء ، والنفور من كل جديد ، والوقوف عند حد ما أماته الزمان ، ومخالفة سنة اللغات الحية صاحبة الحركة الدائمة التى قدر أهلها أن ينتفعوا بكل ماخلقه الله ، الى آخر ما أتوا به من القضايا الخطابية بقصد التأثير فى أفكار السامعين ، حتى تخيلوا أن الكلم الأعجمية واجبة الاستعمال فى اللغة العربية ، حرصاً على الزمن أن يضيع فى انتقاء ألفاظ عربية تسد مسدها ، وأن قواعد الاقتصاد السياسى تقضى بصرفه فى اختراع آلة حربية أو معمل صناعى أو مصرف مالى . ولقد كدت من شدة التأثير ، أمسك عن الكلام خيفة أن أضيع عليكم ساعة يمكنكم فيها اختراع بندقية جديدة ، أو آلة للطيران ، أو علاج للسرطان . مسكينة الأمة المستضعفة لا تدرى من أين تؤتى ولا تعرف لتأخرها علة ، فتذهب مع كل ذاهب ، وتمشى وراء كل حاطب . ظننا النيل سبب رخاوتنا فعدلنا عنه الى الآبار فما نشطنا ، وخلنا الأزياء الواسعة مانعتنا عن الحركة فاستبدلنا بها أزياء ضيقة فما عدونا ، وحسبنا اتخاذ السيارات يوصلنا الى المدنية فاقتعدنا وما استفدنا ، وعددنا القنازج معارج فما عرجنا » . ثم قال : « فما أخرجنا كل ذلك عما نحن فيه من الاستضعاف ، ولا سما بنا الى مراقى الالمان والانجليز واليابان . إن لارتفاع الأمم وانحطاطها أسباباً خاض فيها الحكماء ، وأفاض فى بيانها العلماء ، وليس المقام الآن مقام ذكرها . وان المسألة التى نحن بصددها مسألة نقلية يرجع فيها الى كتب اللغة والأدب ، وليس لأحد أن يأخذ فيها بالهوى أو يسترسل مع الوجدان ، أو يقتصر فيها على مجرد الاستقباح

والاستحسان . فكما لا يجوز فى التاريخ أن تنكروا غلبة اليابان للروس محتجين بأن الصغير لا يغلب الكبير ، لا يجوز فى العربية أن تنصبوا الفاعل وتقدموا خبر (إن) على اسمها احتجاجاً بأن المعنى لا يتغير ، ولا أن تقولوا : ما الفرق بيننا وبين العرب الاولى حتى جاز لهم وضع ألفاظ مقتضبة وتعريب كلمات أعجمية والشذوذ عن القياس ، وامتنع علينا . أليسوا رجالا ونحن رجال » وهكذا حتى دخل فى الموضوع بلباقة حيث قال « ومن شاء أن يتبع النصوص فهاهو بيانه » وما زال بالقوم حتى أقلعوا عن رأيهم وأقروا رأيه ، وهو المتبع الآن فى المجمع اللغوى الذى يضم بضعة من أعلام المستشرقين ..

وكتب لابنته ملك (باحثة البادية) وقد عملت له عملية جراحية فى عينيه استغرقت مدة طويلة دون الاستعانة بمخدر تحملها بجلد نادر قال :

ولقد ذكرتك والطبيب بجانبي   والجسم فوق فراشه مطروح
وجفون عينى بالملاقط فتحت   وبها المباضع تغتدى وتروح
والخيط يجذب فى الجفون بأبرة   جذباً تكاد تفيض منه الروح
فطربت من وخز الحديد كأنه   قول برفض العذل فيك صريح

فردت بما يلى وكانت هى الأخرى تشكو سعالا أقض مضجعها قالت :

من مبلغ عنى طبيبك أنه   يفرى بمبضعه حشاى وأضلعى
يخبرك صدرى بالحقيقة إذ بدا   من إثر خطته السعال مشايعى
فلئن سكت فمن ضرورات الأسى   ولئن سعلت فزفرة المتفجع
عجباً جفونك دائماً مغموضة   وأبيت محصية النجوم الطلع
ما زلت أرقبها تروح وتغتدى   بالليل حتى قد جفانى مضجعى
فاسلم أبى وانظر الى برأفة   عينى فداؤك كى أقر ومسمعى

تغمدهما الله بواسع رحمته وحفظ عليهما نعمة بر مصر والامم العربية

استدراك

وقع خطأ مطبعى سهواً فى مقال « حكومة عالمية » إذ جاء فى السطر الثانى من صفحة ٦٠٣ ، جملة Now Unit وصحتها Union Now

سجل الأيام

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

العالم المضطرب

اقترب يوم الفصل وقد يكون غداً فى آخر الربيع وقد يكون بعد سنة ، ولكنه آت لا ريب فيه ، الا اذا تحكم العقل فى أعمال البشر وهذا مستحيل ، أو نكصت انجلترا على أعقابها وقبعت بأسطولها فى البحر الشمالى ، لا تجازف بالاسطول وتحرص عليه حرص الشحيح على خاتمه أو الجبان على حياته ، حتى قال المستهزئون انها أطلقت على وحداته اسماً لا يتغير وهو « المحروس الذى لا يجازف به » ((H.M.S. Unriskable)) ولكن الاسطول بناه البناءون للنزال والقتال وروح نلسون لا تزال ترفرف على رجاله،وقد يضيق صدرهم برجال السياسة المترددين فيحذون حذو مثلهم الأعلى يضعون كرامتهم فوق عيونهم فلا يصرون ذل رجال الكلام ، ويدفعون بتلك الملايين تكدست مدرعات ومدافع الى هذا البحر الذى ولدوا فيه وشبوا على عبادته الى ملاقاة من قام ينازعهم سيادته فطرب الرقاب حتى اذا جعلوا سفين العدو فى قاع البحر عادوا الى ما ألفوه من امتلاك ناصية اليم أو غاروا هم فيه وأسلموا أرواحهم الى بارئها وزمام الماء الى قوم آخرين

أما أن يسود العقل الناس فيجمعون على توزيع المرافق وتبادل المنافع ، ويحتكمون الى هيئة تفصل فيما يتنازعون فيه ، فأمر عز على البشرية حتى الساعة ، وقد تهيأت لهم الاسباب ودعاهم ولسون الى الأخذ بالمبدأ فتغلبت السليقة وساد الماضى على الحاضر فانقلبت جمعية الأمم أداة لم تكن مقصودة فى ذهن الذين غرسوا بذورها فلم يبق الا أساليب هذا الماضى وعقليته ولم يعد من مندوحة عن الاحتكام الى المدفع . وقد يكون الأمر قريباً جداً إذا أنس الحاكمون بأمرهم فى أنفسهم قوة طاحنة ، واذا وثقوا من ضعف خصومهم ومن عدم استكمال تسلحهم بعد

فانا لا يخامرنا شك بان الانجليز كانوا يرمون إلى كسب الوقت فيما كانوا يسلمون به ويتقهقرون أمامه ، إلى كسب أيام يتم لهم فيها الأخذ بأسباب كل ما أنتجه العلم والاختبار فى سبيل الحرب ، والى كسب حلفاء تجمعهم بهم جامعة الخوف والمنفعة المشتركة

فهم وضعوا مشروعاً للتسلح لم يبلغ مداه بعد وهم تذبذبوا فى اختيار الأصدقاء وساموا أمرهم طبقة تنظر إلى القرن العشرين نظرة أهل القرن التاسع عشر

والناس عبيد القوى ، فاذا أنس البلقانيون وسكان شرق أوربا ضعفاً من انجلترا انفضوا من

حولها وسلموا أمرهم لله ولوليه هتلر وشريكه موسوليني

وليس المقام مقام لوم وعتاب على ماض أضاعه الديمقراطيون بالاستكانة الى مبادىء أهل الكهف فان اليوم يوم الحزم والبحر المتوسط كان ولا يزال قبراً يضم رفات سلطنات وممالك ولم يسلس قياده الا لصاحب حزم وبطش

ولا يكاد يصدق العقل ان هؤلاء الانجليز أبناء البحر يعقون أباهم ويتخلون عن الزعامة العالمية بمثل هذه السهولة التي رأيناها في وسط أوربا

روسيا الاشتراكية

ولكنهم ارتابوا بروسيا فبعدوا عنها وتركوا موسوليني حراً طليقا يحصن البحر المتوسط على هواه منذ خمسة عشر سنة وتركوه ينضم الى هتلر بعد أن مكنوا لهتلر في القارة الأوربية وجعلوا من اليابان حليفة سددوا ساعدها فقامت ترميهم بأنكى السهام

وتردد حكامها أصحاب المال والمصانع هل يخشون الاوتوقراطية وهى تمت اليهم بنسب أم يحالفون الاشتراكية فيزول سلطانهم . فحدث ما كان أبداً دائما يجرى هذا المجرى في سير الزمان منذ انبثق تاريخ الممالك وهو التضعضع بالتردد بين المحافظة على توليهم أمور الامبراطورية وبين السير بالامبراطورية في سبيل جديد إما بمحالفة الروس والأخذ بالاشتراكية أو بالعودة إلى روح الامبراطورية القديم أخذاً بالحزم والبطش . فضاع أمرهم بين العاملين فاقتنصها ذوو العزم فرصة لموا فيها شعثهم وحزموا أمرهم وأصبحوا يملون على العالم مشيئتهم ، ولماذا لا يكون الأمر هكذا والقاعدة ان من رعى غنما ونام عنها تولى رعيها الضبع

ولقد جنى الانجليز شر ما بذروه من عداوة لدولة الروس . فهم بتزعم هذه الطبقة من حكامهم التى يمثلها تشمبرلين ومعظم رجال البرلمان الحالى وبتضليل الصحافة الرأسمالية يرأسها وصوليون اغتنوا بعد فقر وقامت دولتهم على مساوىء النظام الرأسمالى أبعدوا الأمة الانجليزية عن الروسيا ومكن لهم في ذلك عداوة موروثة عن دولة القياصرة عند ما كانت تطمح بأبصارها الى الهند ، ولقدكانوا فى ذلك فى ضلال مبين

وآية هذا أن الروس ليسوا كما يصورهم للناس الرأسماليون ، وليس نظامهم شيوعياً بالمعنى الذى تفهمه العامة من كلمة « شيوعية » نظامهم اشتراكي قائم على تعاليم « كارل ماركس » في كتابه « رأس المال » ، وكتاب ماركس هذا كتب في انجلترا واشترك فى تحريره رجل قضى عمره فى انجلترا (هو فردريك انجلس)

وقد مضى على ظهوره للناس ما يزيد عن خمسين سنة ، ودرسه الطلبة فى كل مدارس العالم فى ما يلق عليهم من شرح للنظم الاقتصادية

حبذه الكثيرون وانتقده الكثيرون

وشاء الحظ ان تقوم الثورة فى الروسيا القيصرية وتعقد الصلح مع الألمان ويشاء الحظ أن يتولى الامر رجل اسمه لينين مثله فى الاشتراكية مثل بولس الرسول فى المسيحية ، فأخذ يطبق قواعد ماركس تطبيقا عملياً فى الروسيا . وحصل انقلاب عظيم وارتكبت أخطاء جمة ، فالقوم كانوا يباشرون أمراً لم يسبق له مثيل فى ملك ضخم يضم الملايين ، فكانت هذه المخازى التى شاع ذكرها ، وكان البلاشفة أنفسهم أول من أشاعها وضخمها أعداؤهم الرأسماليون فى أوربا ، وكان ذلك فى الفترة التى انتهت فى سنة ١٩٢٧

ولو أنصفهم خصومهم لقالوا ان ما شاهده العالم فى روسيا فى ذلك الزمن كان أنقاض القيصرية وأقذارها تتهدم وتزول وما كان خراباً أحدثته الحكومة الاشتراكية عند تجديدها البناء

فالذين يصفون الدولة الروسية الآن بأنها شيوعية ، وأنها فوضى ، وأنها مسرح السيف والنار ، يهرفون بما لا يعرفون ، هذا اذا حسنت نيتهم فما بالك بهم اذا ساءت نيتهم ، والسبب الخلافى بسيط يفسر كل ما تقدم

فالنظام الاشتراكى لم يطبق عملياً فى حكومة من حكومات العالم الا فى روسيا

وهذا النظام ان نجح أغرى أوربا والعالم كله باتباعه

والقوم الذين فى أيديهم زمام العالم الآن قوم خلقهم النظام الرأسمالى فصار كيانهم وقفاً عليه

لذلك كان من المحتم أن يقاوموا الاشتراكية العملية

وهذا الروح ، بل وهذا الدين الاقتصادى القائم على الرأسمالية ، يجمع بين أبنائه جمعاً محكماً يكاد يودى بالجامعة القومية أو العنصرية

لذلك ترددت إنجلترا وأحجمت وراودت فرنسا على تطليق الروسيا ونجحت ان كان الوقوع فى فخ هتلر وموسولينى يسمى نجاحا . وأذكر انى قرأت لأكثر من كاتب انجليزى آراء وأقوالا يردفونها بالمستندات تؤيد زعمهم بأن حكومة المحافظين كانت تعمل على تمكين ايطاليا فى الحبشة وفوز فرانكو على الجمهورية الأسبانية ، وكل ذلك حبا بفوز النظام الاقتصادى والحكومى العادى للنظام الروسى

ومن يدرينا وقد احتاج القوم للروس الآن ، أن لا تنتهزها الروسيا فرصة سانحة فتجعل نفسها مرجحا وحكما بين الفريقين المتعادين فى أوربا وفى العالم على غرار ما كانت تفعله انجلترا فى ما سلف من الزمان

روما الحديثة

ان كان الزعيم موسولينى يطمع فى اعادة امبراطورية روما سيرتها الأولى بعد أن أدال الله منها منذ ونيف مئات من السنين ، فهو ينفذ الآن ما اعتزم ويسير على خطوات روما عند ما وحدت ايطاليا وبدأت ترنو الى جاراتها القريبات فالبعيدات بأعين الشر

والغزو . وكان ذلك قبل الميلاد المسيحى بنحو قرنين أيام حكم الجمهورية والقناصل

فانها لما رأت نفسها سيدة ايطاليا ، وانها لاتعيش إلا اذا ملكت عنان البحر المتوسط ، ذهبت غرباً تناوىء قرطاجنه ، وبعد حروب معروفة فى التاريخ فازت على الدولة الفينيقية فى أفريقيا (وهى تونس الآن) ، وأخذت فى مصادقة مصر فلم تغزها ، بل وطدت معها علاقات الود وتبادل المنافع ، فكانتا حليفتين غير متعاديتين

فلما أمنت هذا الجزء من البحر ذهبت شرقاً فكانت حروبها المعروفة بالحروب المكدونية انتهت بالقضاء على الاغريق ومدنيتهم وصار ما هو الآن البانيا ويوغوسلافيا واليونان جزءاً من أملاك الجمهورية التليانية ـ وها هو موسولينى الآن يرفع صوته يطلب تونس فهل يجسر أن ينازل فرنسا ووراءها انجلترا كما نازل سلفاؤه قرطاجنه . ولا أظنه وقد توجه شرقاً نحو البانيا إلا يائساً من المجازفة على تونس

فهو قد خالف طريق روما القديمة الآن . فتلك لم تتوجه شرقاً إلا بعد أن أمنت عدوتها قرطاجنة فى غربها ، وحلت محلها فملكت هذه الناحية من البحر المتوسط

وصاحبنا القنصل الحديث لم يخضع تونس ولم يخوف فرنسا ولم يمتلك اسبانيا حتى يأمن هذا الجانب فيتوجه الى الجانب الشرقى من ملك روما القديم

وانى أخاله غير مستقر على قرار . فانى له أن يناوىء جيران البانيا ويعادى انجلترا وفرنسا وهو لن يستطيع أن يرث روما هناك فى جنوب أوربا أو هنا فى شمال أفريقيا إلا اذا قضى على القوة البحرية المالكة زمام هذا الشطر من العالم

أجاد هو أم مقامر؟ ان كان جاداً فلا بد من وقعة فى هذا البحر ترفعه الى السماء أوتضعه فى أسفل السافلين وان كان مقامراً «يبلف» فالرد عند الدولتين اللتين يكشر لهما عن أنيابه . هل أتما برنامج تسلحهما وقد جعلت انجلترا سنة ١٩٤٠ ميعاداً له . أم تستطيعان بما تملكان الآن أن تدفعاه الى الوراء ومعه شريك محوره

تلك مسألة المسائل

فاننا نحن الذين لانملك أن نعلم أسرار تسلح الدول لايبقى لدينا إلا القرائن والاستنتاج نسوقهما تفسيراً للامور الواقعة . فقد عرفنا عهوداً قرأنا أخبارها رأينا فيها الاسطول البريطانى يتحرك اذا أصيب تاجر أفيون انجليزى فى الصين بسوء فيلقى الرعب فى قلوب العالمين . وسمعنا الأسد البريطانى يزأر لقتل قسيس فى الحبشه فيجتاح الجيش البلاد على وعورتها ويرد الهيبة الى يافوخها . فماذا جرى لهذه الدنيا ؟

هل تعب البريطانيون من تحمل الاعباء الامبراطورية . وهل ضاقت بهم موارد الثروة ؟ ولماذا تركوا الاسطول يصدأ ويهمل أمره ؟ . أسياسة مالية هذه أم اجرام فى حق العالم ارتكبه

رجال تولوا الحكومات فى آخر هذا الزمن وهم بتولى معامل الاسمدة وبيعها أولى . أتستباح حرمة البحر المتوسط وتضع دولة ناشئة طامعة يدها ورجلها على الادرياتيك فيختل التوازن ويصبح البلقان خائفاً مضطربا ويظل الاسطول ساكنا وهو لم يعرف إلا الأمرة والسيادة فى هـذا البحر المتوسط كله منذ وقعة أبى قير

ان لنا ملجأ واحداً من المنطق نفر اليه . ذلك أن البريطانيين يهيئون أسطولهمويكيفون قوته بحيث تصبح لا ترد حتى اذا ضربوا قضوا على الخصم وظلوا أقوياء فهم لا يجازفون الا اذا كان النصر مضموناً . وموقفهم الآن غير موقفهم أيام نلسن . فذاك جازف وغامر وجعل انجلترا سيدة البحار . أما خلفاؤه اليوم فأسياد لا يجازفون انما يدفعون دفعا أكيداً قويا اذا أريد بهم شراً . ومهما تكن قوة انجلترا فى هذا البحر الآن ـ فاننا لا نرى لموسولينى قبلا بمنازلتها ولو اتخذ هتلر ظهيراً . انما يمد له فى حبل الأمل الى حين ثم ترى كيف تأتيه صواعق القوة البحرية البريطانية بعد زمن غير طويل

فالذى يريد أن يمهد للامبراطورية الرومانية الجديدة يجب أن يقضى على هـذه القوة البحرية تظاهرها القوة الفرنسية ويشد أزرها هذه الشعوب على شواطىء البحر من الشرق والغرب التى تأبى أن تنتقل من استقلال مرجو الكمال الى ظل رومانى لا يطاق مهما حسنت له الدعايات

واننا نرى فى اسبانيا مفتاح المشكلة الآن فان خرج موسولينى بمتطوعيه وعددهم وعتادهم خروجا لا شبهة فيه كان الأمر دليلا على أنه ارعوى وان الاسطول البريطانى قد استعاد بعض هيبته . وتكون هذه الحملة الألبانية والتاج الألبانى فدية الموقف الأسبانى

أما إذا بقى القوم ـ ايطاليون والمانيون ـ فى اسبانيا لا يتزحزحون فالأمر جد خطير . ولـكننا نراه غير جدير بما اشتهر عن السياسة الموسولينية الميكيافيلية من الحذر وبعد النظر . فهو يغتنم فرصة الضعف الطارىء الآن فيكسب من الغنائم السائبة حتى اذا صحا الرعاة عاد القوم كلهم الى تسوية قوامها مؤتمر يؤيده سلاح يقعقع به القوى . أو الى مقارعة مفاجئة ينصر الله فيها من يشاء ويذل من يشاء

فاننا لا يخامرنا شىء قليل من الشك بان القوة العسكرية الالمانية هى العامل الاكبر بل العامل الوحيد فى تكييف السياسة الموسولونية،وان الالمان يرون الساعة مواتية لهم اذا أضاعوها الآن أضاعوا مطامعهم فى تحكم عالمى عظيم ، فهم يدفعون موسولينى عساهم أن يضعفوا من تألب بقية العالم عليهم . فهل يرى الدوتشى مصلحة ايطاليا الحقيقية وأين تكون . أم هل يقضى القدر قضاءه فيظل وراء هؤلاء المستأثرين بالأمر يحرك من همتهم ويدفعهم الى الأمام والى هنا والى هناك حتى لا يطيب لهم الوقوف وحتى يصبحوا بين نارين احداهما تقدم فاصطدام بكل العالم وثانيتهما وقوف فانتحار على يد ثورة أهلية

أثر الحرب العالمية الأخيرة

فوالله لولا ضمير يوبخ وقلب يتحسر لتمنينا حربا قريبة طاحنة تصلح ما أفسدته تلك التي يسمونها بالكبرى . وليس من كبير فيها الا ما خلفت من شر وويل وفوضى . فان هؤلاء الكذابين الذين يدونون التاريخ يقولون لك فى الحروب قديمها وحديثها ما يشاءون من تبديل فى نظام بال وتغيير فى استعباد الشعوب فينسبون اندثار الاقطاعية الى الحروب النابوليونية كما يحملونها فضل نظام القوميات فى أوربا . وتوحيد ايطاليا والمانيا . وقس على هذه الحروب ما سبقها منذ قديم الزمان

وأما هذه الحرب التى اكتوى العالم بنارها نحو خمس سنين طوال فماذا جنى العالم منها . ماذ أفاد الشعوب من بعد أن بذلوا الملايين فى النفس والنفيس على وقودها .ماذا أفادوا اقتصاديا وماذا أفادوا سياسيا ؟

ان كان الكره والحقد والمزاحمة القاسية من آثار الهمجية فهذه الحرب التى لم ننسها بعد هاجت هذه العواطف وقوتها وباعدت بين أمم الأرض ، على أنهم قالوا لنا إنهم أثاروها للقضاء على الحرب وحتى تكون الديموقراطية آمنة فى ديارها

ولم يتعلم قادة الناس شيئاً

لذلك تمنينا هذه الأمنية الفظيعة ـ حرباً تضع العالم على قواعد أخرى أثبت وأقوى . فاما نظام عام يجمع الناس كلهم كما يجمع الدولة الواحدة أبناءها الآن، أو خضوع لقوة غاشمة تبدأ لنا مدنية جديدة لا تسرنا الآن ولكنها قد تصبح هدى للانسانية بعد أن يفنى هذا الجيل من الناس

أما أن يظل هذا الاضطراب سائداً العالم فشىء غير معقول . انما هو مقدمة لانقلاب سيشمل العالم كله سواء أوقعت الحرب أم لم تقع

فاذا اشتعلت نارها كان النظام الجديد أسرع تناولا وأقرب موعداً ، واذا لم ينفر القوم الى الحرب فستكون زعامة عالمية أميركية انجليزية تقرب من النظام الروسى قربا شديداً فيعود الأمن الى مقره عند الشعوب الصغيرة . فهذا النظام الهتلرى القائم على العنف وعلى إرادة واحدة لا ترد ليس من طبيعة الأشياء وليس من مفر من تحطيمه طال الأمد أم قصر . فهو خطر أخذ يجمع أميركا الى أوربا فى الوقوف فى سبيله ويمهد الطريق لزعامة روزفلت

ولقد ذكرنا هتلر ولم نزد . ذلك أن هؤلاء الانجليز فى ما يقولون ويكتبون لا يشيرون الى الخطر الايطالى بحرف ، فهم إما غير مكترثين بهذا الخوار ينقله اليهم الأثير من هذه الناحية من البحر المتوسط ، أو أنهم يجعلونه تبعا للشريك الاكبر فى قلب أوربا وشمالها فتراهم الآن لا يهدسون الا بالخطر الألمانى وبمقاومة هتلر وبماذا يفعلون به بعد أن يحطموا أصنامه

سامى الجريدينى

محمد السادس
آخر سلاطين آل عثمان

بقلم الاستاذ حسن الشريف

انتصر مصطفى كمال فى سقاريا ودحر جيوش اليونان . . . . سحبت حكومة أثينا القيادة من الجنرال بابولاس بعد هزيمته فى سقاريا . . . . استرد عصمت باشا منطقة إسكى شهر وأفيون قره حصار . . . . تمزق جيش حاج آنستى وولت فلوله الأدبار متجهة صوب أزمير . . . . استولى فوزى باشا على أزمير وقذف اليونان فى البحر . . . . طهر الأناضول من العدو . . . . أثينا تستغيث بحكومات الحلفاء طالبة الصلح مع الأتراك . . . .

كانت هذه الأنباء تتوالى على أهل الاستانة فى صيف سنة ١٩٢٢ بعد ان طالت عزلتهم عن باقى الوطن واستذلهم العدو وسار فيهم سيرة الجبار المنتقم ، فكانت تحيى الأمل فى النفوس وتبعث الرجاء فى القلوب ، وقد بدأت الرؤوس المطرقة من ثقل الغم ترتفع ، والشفاه المطبقة من فرط الهم تبتسم ، والأفئدة الرازحة تحت أعباء الكوارث تخفق وتتناجى وتتجه الى الله بدعوات خافتة أن يكلل جهود أبطال الأناضول بنصره العزيز .

فلما وافاهم النبأ بأن الجيش التركى يزحف نحو إزميد فى طريقه الى الاستانة ، لم يبق ثم سبب للخوف والتحفظ ولا داع الى المداجاة والتستر ، فانفكت عقدة الالسنة وانحل عقال النفوس ، وخرج أهل العاصمة الى الشوارع والطرقات يحيون الحادث العظيم فى مواكب حاشدة ومظاهرات صاخبة ، وغصت نوافذ الدور وشرفات القصور بالنساء يلوحن بالأعلام وينثرن الرياحين والازهار والكل يهتف عاليا : « ياشا ياشا ، بن ياشا مصطفى كمال باشا »

فى وسط تلك المظاهر الفخمة ، مظاهر الفرح والابتهاج ، وبين تلك الوجوه المشرقة والاسارير المتهللة ، والثغور الباسمة ، والهتافات المدوية ، كان رجل واحد قد انزوى فى ناحية من قصر يلدز ، وقد كبته النصر الذى أحرزه شعبه ، وساءه الفرح الذى شمل عاصمته ، فبات ساهراً قلقا محزون النفس مهموم الفؤاد . ذلك الرجل هو السلطان محمد السادس الشهير بوحيد الدين ، السابع والثلاثون ـ والاخير ـ من سلاطين آل عثمان

اعتلى السلطان محمد السادس عرش تركيا فى شهر يوليو عام ١٩١٨ وكان فى السابعة والخمسين من عمره ، شيخاً متهدما أغبر الوجه ناحل الجسم متقوس الكاهل ، تنم نظراته على الارتياب فى كل انسان والتخوف من كل شىء ، ضعيف الارادة خائر العزيمة ، شديد الجبن أمام المواقف المعقدة والحلول الحاسمة ، ماكراً فى غير ذكاء ، حذراً فى غير فطنة ، دساساً فى غير لباقة ولا لياقة ، وإذ كان فى شبابه قد عاشر أخاه عبد الحميد فقد أخذ عنه كل عيوبه ولم يتحل بمزية من مزاياه ، ومن ثم فهو لم يتقن الا التجسس واستخدام الجواسيس ، وبغض دعاة الاصلاح ، والخوف من كل حركة ترمى الى تجديد أو تغيير فى أنظمة الحكم ، أو فى ما درجت عليه البلاد من السنن والتقاليد

تبوأ العرش والحرب الكبرى تقترب من نهايتها ومما تحمل هذه النهاية من كوارث للامبراطورية العثمانية ، تبوأه والدولة أحوج ما تكون الى رئيس أبى النفس قوى الشكيمة يغالب الحوادث ويدافع النوازل ويحاول أن يغير مجرى الاحداث والأقدار ، فلم يلبث حتى غلبه أنور باشا على أمره وفرض عليه إرادته وطواه فى شخصيته . ومن ذلك اليوم قنع الرجل من السلطنة والخلافة بمظهرهما الفخم وما تدرانه عليه من المال ، فقبع فى قصر يلدز بين زوجتيه الشرعيتين وخليلاته الثلاثين ، ولم يتورع وهو فى تلك السن وعلى أبواب الأبدية عن أن يتزوج بابنة جنائنى القصر وهى فتاة فى الخامسة عشرة من عمرها اسمها نفزاد . وهكذا كان ذلك السلطان المشئوم يتلهى بين ذراعى تلك الكاعب الحسناء عن شئون الملك وهموم الدولة ، ويتعامى عن شبح الفناء الذى يمد ذراعيه ليطوى بينهما امبراطورية آل عثمان

توهم ذلك السلطان أن نجاح الحركة الكمالية فى الأناضول قد يقتلعه من العرش ، وأن مصطفى كمال يعمل لنفسه ويرمى الى اغتصاب السلطنة منه ، فارتمى فى أحضان الانجليز ، وطاب له أن يصبح لعبة فى يد الجنرال هارنجتن قائد قوى الحلفاء التى كانت تحتل الاستانة إذ ذاك ، وأعماه الخوف من أبطال الأناضول عن رؤية الحقيقة الواضحة وهى أن بريطانيا العظمى — بعد أن سجلت فى معاهدة سيفر فناء الامبراطورية العثمانية — تريد أن تستولى على القسطنطينية والبوسفور والدردنيل ، لتسيطر على هذا المفتاح الثالث من مفاتيح البحر الابيض المتوسط ، بعد ان استولت على مفتاحيه الآخرين : جبل طارق وقناة السويس ، وأنه لولا جهاد مصطفى كمال ورفضه الاذعان لمعاهدة سيفر لما بقى لتركيا أثر فى الوجود

ولقد كان من نتائج ارتمائه فى أحضان السياسة البريطانية وإصغائه الى نصائحها وعمله بها أنه نصب نفسه عدواً للحركة الاستقلالية ، فأصدر أمراً بالقبض على جميع النواب والزعماء الوطنيين الذين كانوا يناصرون مصطفى كمال ، ثم نفاهم الى جزيرة مالطة ليكونوا سجناء فيها تحت حراسة أصدقائه الانجليز ، وأنه قرب اليه أعداء الحركة الكمالية والذين يشكون فى نجاحها ، فكان يجمعهم حوله ويشير بيده الى البوارج البريطانية الراسية أمام القصر فى مياه البوسفور ويقول :

« ما الذى يستطيع مجانين الأناضول أن يفعلوه حيال هذه الأساطيل ؟ »

ولم يكتف بهذا القدر من التنكر لوطنه ، فلما دعاه أبطال أنقرة الى تشجيع حركتهم بجعلها تحت حمايته ، كان جوابه على هذه الدعوة الكريمة الطاهرة أن استصدر فتوى من شيخ الاسلام بان أولئك الرجال قد خرجوا على الدين والسلطان وخليفة المسلمين ، فاستحقوا الحد الذى شرعه الله للمرتد وهو الموت . وعقب على هذه الفتوى العجيبة فأصدر حكما بالاعدام على مصطفى كمال وأعوانه والذين يلوذون به أو ينضمون اليه ، وكتب إلى الشعب كتابا منشوراً يقول فيه : إن دماء هؤلاء الرجال باتت مباحة ، ولمن يسفكها مكافأة مالية تغنيه مدى الحياة ، وحملت الطائرات اليونانية الفتوى والحكم والكتاب المنشور ، وجعلت تلقى نسخها بالآلاف على الجنود التركية فى الخنادق والمعسكرات

وأمعن السلطان فى الكيد للمجاهدين فى سبيل الله حتى أصدر أمره الى عامله بخربوط ، بان يحاصر بجنوده نواب الأمة عند اجتماعهم فى مؤتمر سيواس ويرسلهم اليه مكبلين بالحديد . ولولا يقظة مصطفى كمال واحتياطه للطوارىء ، لنجحت المكيدة ، ولحق أولئك الابطال باخوانهم فى المنفى السحيق

على أن الخيبة التى منى بها وحيد الدين فى كل مؤامراته لم تحل دون مواصلته السعى فى عرقلة الحركة الاناضولية بغية احباطها ، فلقد حاول أكثر من مرة تجريد « حملة تأديبية » يؤدب بها « عصاة الاناضول » . ولما كان الجيش كله يعمل فى آسيا الصغرى تحت إمرة مصطفى كمال لم يسع السلطان إلا أن يجند عصابات من متشردى الاستانة وعاطليها ونزلاء سجونها وقطاع طرقها ، ويرسل هذه العصابات لتحارب تحت لواء اليونان ، فانطلقت تعيث فى قرى الاناضول فساداً وتستبيح الاموال والاعراض ، وتسمى نفسها « جيش البادشاه » . فلما خاب رجاء « البادشاه » فى عصاباته ، عمد الى وسائل الدس والتفريق التى حذقها عن أخيه عبد الحميد ، فسعى بواسطة رسله بين الجنود الشراكسة ليحملهم على التمرد والعصيان فلم ينجح الا فى اخراج بضعة آلاف منهم انضمت الى اليونان

وهكذا ظل وحيد الدين حربا على المدافعين عن الوطن ، لا يفتأ يدس لهم ويكيد ، ويتآمر عليهم مع اليونان والانجليز ، حتى حنقت عليه الأمة وأبغضه الشعب

وكان النصر الحاسم الذى أحرزه مصطفى كمال فى سقاريا ، ثم فى اسكى شهر وأزمير ، قد أعقبه مؤتمر مودانيا ، وقد تقرر فى هذا المؤتمر أن ينسحب اليونان من تراقية تحت رقابة الحلفاء ، وأن يتقدم الجيش التركى فيحتل مرتفعات أزميد ، كما تقرر فيه حق حكومة أنقرة فى أن توفد من قبلها مندوبا سامياً يشترك مع مندوبى الحلفاء فى حكم المنطقة المحتلة ، منطقة العاصمة والبواغيز ، ريثما يتم الصلح وتستقر الاحوال

واختار الغازى لهذه المهمة الدقيقة اللواء رأفت باشا وزير حربية أنقرة وزميله فى الجهاد القومى ، فسافر الى الاستانة ، ولم يكد أهلها يعلمون نبأ قدومه حتى هرعوا الى استقباله بحفاوة نمت على ما تكنه قلوبهم للكماليين من الحب والولاء والتأييد

وتسلم رأفت باشا مهام منصبه فى الباب العالى ، وجاءته وفود العاصمة مهنئة ومستفسرة عما ستؤول اليه الحال ، فلم يتردد فى أن يدلى بهذا التصريح الخطير « ان نظام الحكم المعمول به فى أنقرة ــ وهو النظام القائم على المبادىء الديمقراطية السليمة وعلى أن الامة هى مصدر السلطات ــ سيعم تركيا كلها والاستانة معها بمجرد توقيع عقد الصلح بين المتحاربين وانسحاب جيش الاحتلال من عاصمة البلاد ، وعلى ذلك لن تبق فى تركيا سلطة فردية تمثلها أو تتكلم باسمها أو تدير شئونها ، أما السلطنة فستلغى على أن يحتفظ السلطان بالسلطة الروحية على المسلمين ، ويلقب بالخليفة أمير المؤمنين »

ألق هذا التصريح نوراً على نيات أنقرة نحو السلطنة والسلطان ، فأدرك وحيد الدين أن بقاءه على العرش موقوت ، وفكر فى أن ينجو بنفسه قبل أن يحل به ما حل بأسلافه عبد العزيز ومراد وعبد الحميد وغيرهم من السلاطين المخلوعين ، ولكنه رأى أن يتريث ولا يتعجل القدر مادام فى الوقت متسع . أليس أصدقاؤه الانجليز قريبين منه يحمونه ويبذلون له المعونة متى شاء ؟ وإذا زالت عنه صفة السلطان أليست صفة الخليفة باقية له بنعم بسلطتها الروحية على المسلمين ؟ وهل يجرؤ الكماليون على إلغاء الخلافة أيضاً وهم الذين يحرصون أشد الحرص على ارضاء عواطف اخوانهم فى الدين ؟ ألم يشيدوا طيلة سنى جهادهم بولائهم للخلافة ، ويعلنوا فى أرجاء العالم الاسلامى أن الخليفة أسير فى أيدى الأعداء وأنهم انما يحاربون لينقذوه ؟ ألم يستخدموا تلك الدعاية المؤثرة فى جمع القلوب حولهم وحشد أهل الاناضول تحت لوائهم واستدرار عطف مسلمى الدنيا عليهم ؟ وهل هب المسلمون فى المشرق والمغرب يؤيدون قضية تركيا أمام الحلفاء الا لأن تركيا صاحبة الخلافة ومقر أمير المؤمنين ؟

ذلك هو الأمل الذى كان يبسم لوحيد الدين كلما أطبقت عليه الهموم فيصرفه عن فكرة الفرار ، ولكن الحوادث التى كانت تتسابق وتجرى سراعا لم تبق فى نفسه طويلا على ذلك الامل الأخير

لقد كان وجود رأفت باشا فى العاصمة مشجعاً لأهلها على أن يبدوا عواطفهم نحو الكماليين ويجهروا بولائهم لحكومة الاناضول ، بعد أن كانوا يكتمون تلك العواطف ويتسارون بهذا الولاء فى الخفاء

ولقد كان من نتائج ذلك أن ارتحل عن الأستانة أكثر البارزين من حاشية السلطان ووزرائه ورجال العهد القديم حتى لا يعرضوا أشخاصهم لاهانات الشعب ، أو يثيروا بوجودهم

فى العاصمة شعور الجماهير . إلا أن بعضهم من الذين كانوا يعتزون بجيش الاحتلال البريطانى أبو إلا أن يتحدوا الشعور العام ، ويتنقلوا بين احياء المدينة جهرة وفى وضح النهار ، فكانوا يغشون مقاهيها وأنديتها ويجوبون شوارعها وطرقاتها رغم نظرات المقت التى كانت تنصب عليهم من أعين الناس

وكان من أظهر أولئك المناكيد رجل اسمه على كمال كان وزيراً ثم احترف الصحافة ، وقد عرف الشعب فيه عداءه للحركة الكمالية ومبالغته فى التنديد بها والسخرية منها والتأكيد بأنها حركة قائمة على المطامع الشخصية والغايات الفردية ، وأنها حركة فاشلة لا يرجى لها نجاح . ولقد كانت نفوس الاتراك تتقزز أيما تقزز عند ما تقرأ فى صحيفته اليومية عبارات التهكم اللاذع على مصطفى كمال وكلمات التعريض القذر بأصحابه الأوفياء ومقالات أخرى من شأنها أن تثبط همة الشعب وتوهن عزيمته وتحثه على الخضوع لمشيئة الحلفاء

وحدث أن كان على كمال هذا يجتاز ذات ليلة أحد الشوارع فى حى « بيره » فعرفه بعض الناس فتنادوا وأحاطوا به وقبضوا عليه ، وألقوه فى سيارة لم تلبث أن احتوته حتى أسرعت به الى إزميد حيث سلمته الى اللواء نور الدين باشا قائد الفيلق التركى الذى كان يحتل المدينة إذ ذاك

وشكل القائد مجلساً عسكرياً لمحاكمة الوزير السابق بعد أن وجه اليه تهمة الخيانة العظمى للوطن ، وأخذ المجلس يعقد جلساته ويسمع أقوال الرجل . ولكن الجماهير لم تشأ أن تنتظر حكم القضاء البطىء وآثرت أن تنفذ فيه حكمها السريع فتربصت له يوما عند خروجه من دار المجلس العسكرى الى السجن فانقضت عليه وأوسعته ضربا ولكماً وركلا والقت طربوشه على الأرض وداسته بالأقدام ، واشتد حوله الزحام وأخذت الأيدى تتقاذفه يمنة ويسرة كأنه كرة يلعب بها أطفال ، وأسرع أحد المتجمهرين وأتى بحجر كبير ضربه به ضربة طرحته أرضا وكسرت بعض أضلاعه ، وحذا الآخرون حذوه وجاءوا بحجارة وقطع من الخشب والحديد فانهالوا عليه بها ولم يدعوه إلا بعد أن فاضت روحه وصار جثة هامدة

وقع هذا الحادث اسوأ الوقع على دوائر القصر ، وخاف رجال حاشية السلطان أن ينزل بهم مثل ما نزل بصاحبهم فهجروا القصر وتشتتوا فى المدينة والضواحى يلتمس كل منهم مخبأ يختبىء فيه ، واشتد خوف وحيد الدين على نفسه وأهله فطلب الى الجنرال هارنجتن أن يضاعف عدد الجنود الذين يحرسون يلدز وأن يعد له بارجة بريطانية يأوى اليها مع نسائه وأولاده فيما لو أراد به الكماليون شراً أو حاولوا أن يضعوا يدهم عليه

واطمأن السلطان الى هذه الحماية الأجنبية ولبث يداعب أمله فى البقاء على كرسى الخلافة والتربص للفرص التى قد تسنح فينتهزها ليصلح ما أفسده عليه الزمان . ولكنه أراد بداءة ذى بدأ ان يقف على حقيقة نيات الكماليين نحوه وأن يناقشهم فى تفاصيلها، ليعلم مبلغ الجد أو التهويش

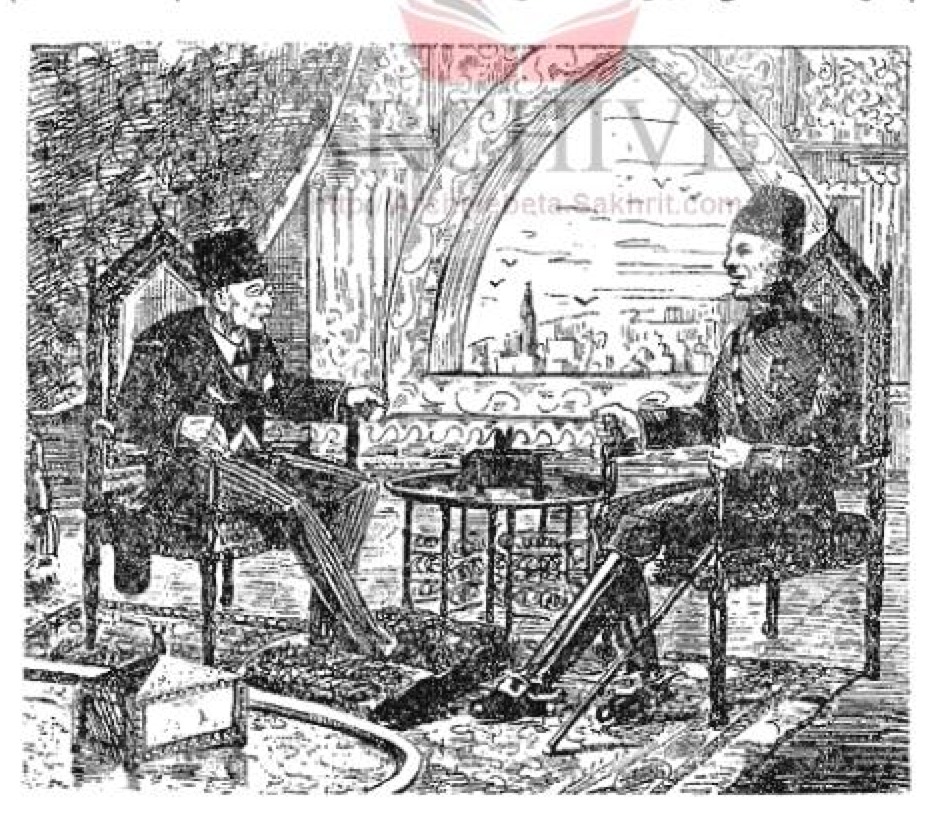
فيها ، وليعرف ما يضمرونه للخلافة بعد أن عرف ما أضمروه للسلطنة . فأرسل الى رأفت باشا يدعوه الى مقابلته بالسراى

وفي الساعة السادسة بعد ظهر التاسع والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٩٢٢ استقبل وحيد الدين القائد الشاب فى احدى حجرات قصر يلدز المطلة على البوسفور

كان السلطان مرتديا ردنجوتا قاتمة اللون لاتزينها أوسمة ولا نياشين ، وكانت الأحداث الأخيرة قد أبرزت شيخوخته قبل أوانها ، فبدا فى حالة من الضعف والهزال ظاهرة للعيان ، وقد تمثلت فى شخصه صورة تركيا العجوز التى كان يطيب للأوربيين أن يسموها « الرجل المريض » . أما رأفت باشا فقد دخل على السلطان فى بذلته العسكرية ومسدسه معلق على جنبه فى القراب ، وأومأ برأسه تحية ، فمد اليه وحيد الدين يده مسلماً ، وأشار الى كرسى وقال : « تفضل ياباشا »

سبحان المعز المذل ، يغير ولا يتغير وهو على كل شىء قدير !

هذا سلطان البرين وخاقان البحرين أمير المؤمنين وصاحب التاج والشوكة والصولجان يجلس جلسة المقهور على أمره ويستمع الى محدثه كما يستمع المتهم الى الحكم ينطق به قاضيه . وهذا ضابط شاب عزله السلطان من الجيش وجرده من رتبه وألقابه وقضى عليه بالاعدام ، وقد جاء اليوم



يتحكم فى هذا السلطان ويملى عليه أوامره ونواهيه . فيا عبرة الدهر وياعظة الأيام أين من يتعظ وأين من يعتبر ؟ !

بدأ وحيد الدين الحديث بالاستفسار عما تعتزمه حكومة المجلس الوطنى نحو السلطنة والخلافة ولكن القائد الشاب قطع عليه الكلام وقال : « اسمع ياسيدى . . . »

اختلجت عينا السلطان وامتقع لونه ، إذ رأى ممثل أنقرة ينكر عليه لقب صاحب الجلالة وبناديه بما ينادى به عامة الناس ، فقال محتجاً : « باشا حضرتلرى ، أرجو أن لا تنسى أنك تخاطب السلطان » ولكن رأفت باشا لم يعلق أهمية على هذا الاعتراض بل استطرد فقال :

« اسمع ياسيدى ، ان الحالة الحاضرة لايمكن أن تدوم ولا أن تطول أكثر مما طالت ، وأظنك تتفق معى على أنه لا يجوز أن تظل لتركيا حكومتان ، إحداهما فى الأستانة صورية لا عمل لها ولا اعتبار ، والأخرى فى أنقرة وهى الحكومة الفعلية المعترف بها فى البلاد . ولقد جئت أرجو منك أن تقدر دقة الظروف التى تجتازها الأمة فى هذه الأيام ، وأن تخضع لقوة الحوادث فتضع حداً لهذا الازدواج الذى لا مثيل له فى الدنيا والذى يضر بمصالح الشعب ويعقد المسائل الى حد بعيد

قال السلطان : « وكيف يكون ذلك وأنتم ثائرون على العرش لا تعترفون بالحكومة الشرعية ولا بصفتها الرسمية ؟ »

فأجاب رأفت باشا : « ان الحكومة الشرعية هى التى يرتضيها الشعب ويثق بها ، ونحن نطلب اقالة حكومة الباب العالى وتوحيد الحكم فى البلاد »

وأطرق وحيد الدين برهة وكانت الآمال الكاذبة لا تزال تغريه بالمقاومة والمراوغة فقال : « انى لا أستطيع ، بناء على مجرد رغبة بضعة رجال يزعمون أنهم ممثلو الشعب ، أن أقيل من الحكم وزارة مؤلفة من رجال شرفاء مخلصين للعرش والدستور ولكن الذى أستطيعه عند الضرورة هو أن أتدخل بنفوذى لأدمج الحكومتين وأؤلف منهما وزارة واحدة ،ولعل سعادتكم ترون معى أن الوزارة القائمة فى أنقرة قد شكلت فى ظروف حرجة لم تدع للذين شكلوها وقتاً يحسنون فيه انتخاب الرجال واختيار الكفايات ، على أنه مهما يكن من الأمر فأنالا أقدم على شىء من هذا ما لم أتبين حقيقة نيات أنقرة نحو شخصى وعرشى »

وهنا رأى القائد أن يقطع الشك باليقين فصاح : « ماذا تنتظر من رجال خذلتهم فى شدتهم وحكمت عليهم بالموت وهم يجاهدون فى سبيل انقاذ وطنك وعرشك ؟ ان أغلبية المجلس الوطنى التى تعرف علاقاتك بالعدو تأبى عليك أن تظل سلطانا ولعلها ترى أيضا فى بقائك فى الخلافة خطراً على أمن الدولة وسلامتها ، فهى تفكر فى تنصيب خليفة حائز ثقتها ليكون الانسجام تاماً بين جميع السلطات »

وازداد وجه وحيد الدين اصفراراً وتحشرج صوته وقال : « ان مسألة الخلافة تهم جميع المسلمين وترتبط بمصالح الاسلام فلا يجوز لطائفة من الناس بل ولا لحكومة من الحكومات أن تنفرد بالبت فيها وإلا أساءت الى الاسلام وجرحت عواطف المسلمين ، أما وزراء الباب العالى فيظلون فى مناصبهم حتى يتم الاتفاق بين العرش وحكومة أنقرة ، وتزول من بينهما دواعى التنافر والاختلاف . لقد كنتم فى ظروف أنا أقدرها قدرها فهلا علمتم أنى أيضا كنت فى ظروف اضطررت الى مراعاة مقتضياتها ؟ ولماذا لا تريدون أن تقدروا ظروفى كما قدرت ظروفكم ؟

عندئذ لم ير رأفت باشا بدأ من أن يجيبه بالحقيقة كاملة فقال وهو يهم بالانصراف : « لاتنس يا سيدى أنك فى أيدينا وأننا المسيطرون على مصيرك ، أما وزراؤك فان أصروا على البقاء فى مناصبهم رغم ارادتنا وارادة الشعب فلكل منهم لدينا مشنقة تنتظره »

لم يشأ وحيد الدين أن يرى الحقائق كما صورها له رأفت باشا،وأبى الا أن يجرى وراء السراب الخادع فيسدر فى ضلاله وينتظر ما تتمخض عنه الايام ، معتمداً على صداقة الجنرال هارنجتن وتأييد سادته الانجليز . ولكن الحوادث لم تلبث حتى أيقظته من غفلته وفتحت عينيه ، فاذا آماله أضغاث أحلام

كانت حكومات الحلفاء قد وجهت دعوة الى حكومة أنقرة تدعوها بها الى حضور مؤتمر يعقد بلوزان لتصفى فيه الخلافات الناشبة بين تركيا واليونان من ناحية ، والمسائل التى لا تزال معلقة بين تركيا والحلفاء من ناحية أخرى . ولقد عز على السلطان وحيد الدين أن تهمل أوربا دعوة حكومة الباب العالى الى الجلوس فى ذلك المؤتمر فسعى سعيه لدى انجلترا وظل يلح ويلحف حتى نزل لورد كيرزن على رغبته وأرسل دعوة الى الصدر الاعظم توفيق باشا بصفة كونه رئيس الحكومة الحائزة لثقة السلطان

وانتهى نبأ تلك المساعى الى المجلس الوطنى بأنقرة فثارت ثائرته ، وأرسل مصطفى باشا كمال برقية الى الباب العالى يقول فيها انه يعتبر ايفاد مندوبين من حكومة الأستانة يمثلونها فى مؤتمر لوزان خيانة كبرى للوطن يعاقب مرتكبوها بالاعدام ، وأرسل برقيات أخرى الى ممثلى الحلفاء فى المؤتمر ينذرهم فيها بأن ليست لتركيا الا حكومة واحدة وهى حكومة المجلس الوطنى ، وأن هذه الحكومة تمتنع عن ايفاد من يمثلها فى لوزان اذا وافق المؤتمر على ادعاء الباب العالى حق تمثيل البلاد

وعقد المجلس الوطنى جلسة مستعجلة تعاقب الخطباء فيها مبينين مافى عمل السلطان من خيانة جديدة تضاف الى سلسلة خياناته السابقة ، وما فى بقائه على عرش السلطنة من تهديد مستمر لأمن الدولة وسلامة الوطن . ثم ارتقى مصطفى كمال المنبر ونطق بعبارات وجيزة كانت فصل الخطاب ، قال

« ان نظام السلطنة قد زال من تركيا بالفعل فليس معقولا أن يظل قائماً فيها بالاسم ، لقد أصبحنا أمام أمر واقع لا محيص لنا من الاعتراف به فأنا أطلب منكم هذا الاعتراف » ثم ضرب المنبر بيده وصاح « ان تقرير سلطة الامة شيء لابد منه ، فان تقرروه تحسنوا صنعاً والا فهو سيقرر ولكن بعد قطع بعض الرؤوس »

لم يبق بعد هذه الكلمات الحاسمة مجال لطول النقاش فوافق المجلس على مشروع قانون قدمته اليه الحكومة فى أربع مواد

١ ـ ان نظام الحكم المعمول به فى الأستانة والقائم على مبدأ السلطة ممثلة فى شخص السلطان نظام أبطل وأصبح فى ذمة التاريخ

٢ ـ تظل تركيا مقراً للخلافة وتظل الخلافة فى أمراء آل عثمان

٣ ـ ينتخب المجلس الوطنى من بين أمراء آل عثمان من يأنس فيه الجدارة ليتولى منصب الخليفة

٤ ـ يحاكم السلطان السابق محمد السادس أمام محكمة مخصوصة على ما اقترف فى حق الوطن من الآثام

كلام واضح لا غموض فيه ، ومعناه أن السلطنة ألغيت وأن صفة الخلافة زالت عن وحيد الدين

وأبلغ القرار بالتلغراف فى اليوم التالى الى رأفت باشا فى الاستانة فبادر الى تبليغه الى المندوبين السامين الذين يمثلون دول الحلفاء ، وأضاف اليه أن حكومة الباب العالى لم يبق لها بعد ذلك القرار وجود ، وأنه ابتداء من اليوم نفسه يتولى باسم حكومة المجلس الوطنى ادارة مدينة الاستانة والمنطقة المحتلة بلا شريك . والله وحده يعلم كيف كانت دهشة السلطان عندما قرأ بلاغا رسمياً أصدره سفراء الدول ومعتمدوها الرسميون وفى مقدمتهم الجنرال هارنجتن وقالوا فيه : « انهم لا يسعهم حيال ما يتعلق بشئون تركيا الداخلية الا أن يلتزموا سياسة الحياد الدقيق » ـ أى أنهم يتخلون عن صاحبهم ويعتبرون مسألة خلعه ومحاكمته مسألة داخلية لا شأن لهم بها فهم يطلقون يد حكومة أنقرة فيها بلا مناقشة ولا حساب

خاب رجاء وحيد الدين فى أصدقائه الانجليز وفى كل شيء آخر وأيقن أنه هالك لا محالة اذا هو حاول المراوغة أو أصر على البقاء ، فلم يبق أمامه الا أن ينجو بنفسه اذا استطاع النجاة

وأخذ الرجل يدبر وسائل فراره فى الخفاء فكتب الى الجنرال هارنجتن كتاباً قال فيه إنه يضع نفسه وذويه تحت الحماية البريطانية ، ويعتمد على هذه الحماية فى أن يجتاز الحدود التركية فى أمن وسلام . وأوفد الى القائد الانجليزى أحد أمنائه اللواء ياور باشا ليضع واياه خطة الهروب

ولم يشأ أن يغير شيئاً من عاداته ولا من نظام معيشته حتى لا يلفت اليه الأنظار ، فخرج يوم

الجمعة العاشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٢ الى الصلاة وحفلة السلاملك . ولكن موكبه فى هذه المرة كان حقيراً أو متواضعاً الى درجة لم تغب عن أحد من المتفرجين . فلا الجماهير احتشدت فى الشوارع لتهتف له هتافها التقليدى « بادشاهم جوق ياشا » ولا فرق الجيش والبحرية اصطفت على طول الطريق لتؤدى له التحية ، ولا الموسيقات السلطانية تقدمت موكبه ، ولا فصائل الحرس الهمايونى حفت بمركبته فى ثيابها الزاهية الالوان ومزاريقها ذات الأعلام ، ولا مظهر من تلك المظاهر الفخمة التى كان أهل الاستانة يخرجون كل جمعة لمشاهدتها والتفرج بها والتحدث بعظمتها، وانما سارت مركبته بين شرذمة من الاغاوات السود كانوا يسيرون على الأقدام كأنهم يشيعون ميتاً الى لحده ، وقد سبقتها ثلة من جنود الحرس فى لباسهم العادى لا فى زى التشريفات ، وكانت هنا وهنالك جماعات من الناس صامتة ساكنة لا تهتف ولا تصفق ، وكأنما أحس وحيد الدين عمق الهوة التي تردى فيها فانكمش فى ركن المركبة عابس الوجه مقطب الجبين غائر العينين لا يحيى أحداً ولا أحد يحييه ، فلما بلغ المسجد تلفت فلم يجد من يستقبله فاقتحم باب المسجد مسرعاً وأخذ مكانه الى جانب المنبر وجلس يستمع الى الخطيب فاذا الخطبة خلو من الدعاء الذى جرت العادة بأن يدعو به الخطباء للسلاطين

وعاد الى القصر فهاله انفضاض الحاشية عنه وخلو مكاتب المابين من موظفيها وأحس وحشة مقبضة فى ذلك القصر الذى كان حتى أمس يعج بالوزراء والقواد والياوران فأمر بأن يعد له الجوسق القائم فى طرف الحديقة والمعروف باسم « الجوسق المراسم » ليمضى الليلة فيه

فلما أمسى المساء انتقل وحيد الدين الى الجوسق بعد ان حزم أمتعته ومقتنياته وكل ما وصلت اليه يداه من مخلفات آل عثمان . وهنالك وافاه ابنه الصغير أرطوغرول وزوجاته الثلاث وبعض الرجال المقربين . وإذ انتصف الليل وأطفئت الأنوار وسكنت الحركة وظن الناس أن سكان الجوسق قد أووا إلى مخادعهم ، تسلل السلطان وأهله من باب سرى يؤدى الى شاطىء البوسفور واستقلوا قارباً كان ينتظرهم هناك ، وركبوا البارجة البريطانية « ملايا » فاقلعت بهم الى جزيرة مالطة التى اختارتها حكومة لوندرة مأوى تأوى فيه آخر سلطان من سلاطين آل عثمان

حسن الشريف

كتاب الشهر

الشعور بالمسئولية

للباحث الاخلاقى الفرنسى روجيه فونتان

> « ما أحوج الشرق العربي الى غرس فكرة الشعور بالمسئولية في قلوب أبنائه كي يعدم لمستقبل زاهر يضطلعون فيه بعظائم الامور ، وهذا الكتاب الشائق الذى نقل الى مختلف اللغات الحية والذى تلخصه اليوم لقرائنا يحدد معنى المسئولية وقيمتها وأثرها الخطير فى حياة الافراد والجماعات »

الضمير هو أساس المسئولية

ليست العبرة فى أن تكون جم الاطلاع غزير الثقافة موفور قوى العقل كفؤا لتأدية عملك على أكمل وجه مستطاع ، بل العبرة كل العبرة فى أن تحس إحساساً عميقاً بمسئوليتك العظيمة حيال نفسك لا أمام رؤسائك . والواقع ان خوف العقاب أو خوف الفضيحة أو الحرص على السمعة هو الذى يشعر معظم الناس بواجب المسئولية ، فمتى أمنوا العقاب ، واتقوا شر الفضيحة ، وخيل اليهم أن التجاوز أو الاهمال لن يصيب سمعتهم بسوء ، تراخت قواهم ، وضعفت روحهم المعنوية ، وانحط مستوى جهودهم ، وفشت فيهم رذائل التواكل والعبث والاستسلام وعدم الاكتراث

ومثل الرجل فى حياته العملية كمثل المرأة فى حياتها الزوجية ، فهى مطالبة بالاخلاص لزوجها من تلقاء نفسها ، وهى لن تكون مخلصة أبداً وسط التهديد والخوف مصلت فوق رأسها ، وليس شك فى أن الفضيلة عند المرأة يجب أن تصدر عن الضمير لتكون فضيلة مجيدة رائعة ، وأما الفضيلة الزائفة المصطنعة التى تجبر المرأة عليها إجباراً فلا خير فيها ، ولا ثبات لها . ومن المحال أن تدل على استقامة المسالك ، ونبل الطوية ، وشرف الخلال

وكما أن المرأة لا يمكن أن تكون موضع ثقة فى عفتها إلا إذا كانت هى نفسها واثقة بأخلاقها . شاعرة بمسئولياتها ، ذات ضمير مشرق أبى ، يحب الشرف لذاته والفضيلة لذاتها ، كذلك الرجل لا يمكن أن يكون موضع ثقة فى عمله ، إلا إذا كان له من ضميره ما يدفعه للاخلاص فى تأدية هذا العمل ، والاحساس بمسئولية تجويده ، بصرف النظر عن القوة المشرفة التى قد تحاسبه يوما عليه

فالضمير هو أساس المسئولية ، ومن لا ضمير له ، لا خير فى عمله ، ولا اطمئنان لنزاهته ، ولا

مجال لايداع الثقة فيه . وحيثما يتوزع العمل ، وتكثر فروعه ، ويتعدد رؤساؤه ، وتكفل الهيئات أو الحكومات المستقبل المادى للقائمين به ، حيثما يكون هذا ، يفتر الشعور بالمسئولية ، ويحاول الفرد التنصل من تبعاته ، ثم يلقى بها على عاتق سواه ، فتتبلد الضمائر ، وتنحط الاخلاق ، وتفشو المحسوبية ، وتتعطل فى النهاية آلة العمل ، ويصبح كل فرد وكأنه يعيش عالة على المجموع ، بل كأنه يسلب هذا المجموع صفوة جهود أبنائه وخلاصة قوى العاملين فيه

ومهما لوحت الهيئات أو الحكومات بالعقوبات الصارمة تنصب على العابثين والمهملين ، أو بالعلاوات والمكافآت تغدق على من تظنهم عاملين مثابرين ، فلن يرقى العمل ، ولن يرتفع مستواه ، إلا اذا كانت تربية الافراد نفسها تربية سليمة ، وكان شعورهم بالمسئولية شعوراً طبيعياً غرزيا لا يتجلى خوفا من عقاب أو رغبة فى ثواب

والحق أن الرغبة فى الثواب على العمل المجود عاطفة مشروعة ، ولكن الاحساس بالغبن والحيف وضآلة الأجر وعدم تناسبه مع قيمة العمل ، هذا الاحساس لا يجب أن يؤدى الى اهمال العمل ومسخه وتشويهه والاستخفاف به والتنصل من مسئولياته

فللمظلوم أن يتظلم ، وللمغبون أن يشكو ، على شرط ألا يثأر لحظه من عمله ، وألا ينتقم للغبن الواقع عليه ، بافساد العمل ، والاقبال عليه فى تبرم يخنق شيئاً فشيئاً رغبة التجويد وروح المسئولية

ولقد حدث فى فرنسا منذ عدة أعوام أن قامت طائفة كبيرة من معلمى المدارس الابتدائية ، وتظلمت ، ورفعت شكاواها الى الحكومة ، وطالبت بزيادة رواتبها ، فماطلت الوزارة فى ذلك العهد وسوفت ، وظلت تماطل مدة عامين حتى سقطت . فلما جاءت الوزارة الجديدة وأجرت تحقيقاً عادلا فى مطالب المعلمين وفى سير العمل فى مدارسهم ، تبين لها أن النتائج التى قدموها فى العامين اللذين استفحلت فيهما شكاواهم ، كانت هى نفس النتائج السابقة الرائعة لم يلحقها تبدل ولا اعتراها أى نقصان

فأولئك الاساتذة كانوا يتذمرون ، ولكن مسئولية العمل كانت حية فى نفوسهم ، فلم يقصروا فى تأدية واجبهم ، ولم ينتقموا من الحكومة بالحط من مستوى العمل . وهذا هو الشعور بالمسئولية فى أعلى مراتبه ، ضمير يقظ أبى حساس ، يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الآخرون ، ورغبة مشروعة فى الثواب العادل لا تؤثر فى سير العمل ولا تضعفه

ولقد اتفق للسياسى الكبير كليمانسو عند ما كان فى أمريكا ، أن سأله بعض الامريكيين عن سر نجاح النظام الجمهورى وتوطده فى فرنسا مع تعاقب سقوط وزاراتها تعاقباً لو أصيبت به أمة أخرى لكان مصيرها الاضمحلال والفناء ، فأجاب كليمانسو بعبارته المشهورة : « ان الحياة عندنا لا تقوم على الوزارات والوزراء بل على الموظفين ، وفخر الموظفين الفرنسيين هو شعورهم الحى بمعنى المسئولية »

فالوزارة تذهب والوزارة تجيء ، ولكن الموظف يظل بمعزل عن السياسة، منكباً على عمله ، مختصاً فيه ، متفانياً في تأديته ، يهدى الوزير بتجاربه ، والوزير ينسق هذه التجارب ويضيف الجديد اليها دون مساس بجوهرها ودون اعتداء على اختصاصات الفنيين

واذن فالشعور بالمسئولية ، ذلك الشعور الشخصي النزيه ، هو الذي يصون اطراد العمل في نظام ، وهو الذي يكفل اطراد الرقى ، لأنه يصدر عن الضمير المجرد ، أي عن الفطرة صقلتها المبادىء وقومتها التربية ، واتجهت بها نحو خدمة النفس وخدمة المجموع

تربية الضمير لتحقيق معنى المسئولية

ما دام الشعور بالمسئولية نفحة من نفحات الضمير الحي ، فينبغي الحرص على تربية الضمير كي ينمو الشعور بالمسئولية

وأساس تربية الضمير ، تقديس النزاهة ، وتمجيد الواجب ، وحب العمل ، والكلف بالدقة والنظام . فالصبي الذي يروضه أهله ومؤدبوه على القيام بواجب معين ، ويزينون له هذا الواجب ، ويشعرونه بما في حسن تأديته من لذة النجاح المجرد ، الصبي الذي ينشأ على حب العمل لذاته ، وحب المعرفة لذاتها ، وتمجيد الواجب باعتبار أنه جهد يتفوق به على نفسه ، ويتفوق به على أقرانه ، تفوقا يضاعف احساسه بكرامته ، ويضاعف احساسه برجولته ، ويضاعف احساسه بالقوى العاملة المدخرة فيه ، الطفل الذي ينشأ على تحرى الدقة والنظام في العمل ، لا رغبة منه في مكافأة ، ولا طلباً لتقدير ، ولا سعياً لمرضاة انسان ، بل خضوعا لشعور تخلف فيه عن أهله ، وانحدر اليه من مؤدبيه ، بأن العمل الدقيق الكامل يحمل في نفسه لذته ، وفي نجاحه قيمته ، وفي اكتماله فخر صاحبه ، هذا الصبي هو الذي يحس معنى المسئولية فيما بعد ، لأن النزاهة كانت غذاء ضميره ، وحب الواجب للواجب كان منذ الصغر قبلة حياته ومثله الأعلى

فلا تلوح لطفلك بقطعة حلوى كي تغريه على العمل ، ولا تمنه بنقود ، ولا تعلله بلعبة أو نزهة ، واياك أن تلقى في روعه أن للفضيلة أجراً غير ممارستها ، وما يصدر عن هذه الممارسة من لذة معنوية ، تلهب قوى الارادة ، وتجدد حماسة العمل ، وتستقر آخر الأمر في الشعور بالعزة والتفوق

فحب العمل للعمل يولد في الضمير عاطفة النزاهة ، ومتى شب المرء نزيها ، حاول أن يجود عمله من تلقاء نفسه ، ومتى نضجت فيه هذه الخاصة ، أصبح الشعور بالمسئولية فطرة كامنة فيه

ويجب أن نلاحظ أن مثل هذا الفرد المسئول بطبعه ، الدقيق بسليقته ، المتطلع الى الكمال بفطرته ، لا يمكن أن يظل مهضوم الحق مغموراً ، اذ الشعور بمسئولية العمل هو السر في نجاح العمل ، ومتى تجلى النجاح وتعاقبت صوره وأودعت في قلوب الناس روح الثقة بصاحبه ، فالفوز

المادي مكفول ، والجزاء وان طال انتظاره لابد أن يصبح فى يوم من الأيام على قدر العمل

فكن مسئولا قبل كل شيء أمام ضميرك ، واعمل مخلصا ولا تنتظر الجزاء ، اعمل ولا تعلق عملك على حسن الجزاء ، يأتك الجزاء من الناس عفواً ، لان الناس مهما تجاهلوك فلسوف يرشدهم اليك على الاقل واحد ، وهذا الواحد قد يؤمن بك فيستطيع أن يزلزل من أجلك الدنيا

وفى ذلك يقول الروائى أونوريه دى بلزاك :

« ما فكرت يوما فى شهرة أو مجد أو مال ، كل ما وضعته نصب عينى هو ان أكون أنا نفسى مسئولا عن عملى ، وأن أبلغ بهذا العمل حداً من الكمال يرضى ضميرى ويحقق أطماعى ويؤكد مثلى الاعلى ، ولقد عشت فى وحدتى سعيداً بهذا المجد المتواضع الشخصى ، ولكنى شد ما بهت يوم أدركت انى من فرط دأبى على العمل واخلاصى المجرد فيه ، أذهلت الناس فمزقوا الحجب عنى وعرفونى ، ثم أغدقوا على المجد والمال بلا حساب ، والحق انى الآن والمجد يكتنفنى والمال يبهر على ، أحوج منى بالامس الى فضيلة النزاهة ، وذلك لان اللذة المجردة ـ لذة الاخلاص دون غرض ، لذة المسئولية أمام الضمير ، لذة الكفاح لمحض التفوق ـ هى القوة الحافزة لكل فضيلة ولكل عمل عظيم »

واذن فالغاية المنشودة ، الغاية التى يجب أن يوجه اليها المؤدبون جهودهم ، هى تهذيب الضمير كى ترجع اليه المسئولية فيصبح هو الهادى وهو النذير وهو الحكم !

ارستوقراطية الشعور بالمسئولية

مما لا يقبل الريب أن الشعور بالمسئولية يولد فى النفس ضرباً رائعاً من العظمة

فنحن كلما ازددنا احساساً بمسئولياتنا ، ارتفعت أقدارنا فى عين أنفسنا ، وسمت أخلاقنا وطباعنا وارتقت عواطفنا وأهواؤنا ، واستنكرنا التافه من الأفكار والجهود ، وعز علينا الهبوط من مستوانا العقلى والخلقى ، وتمشينا بالرغم منا نحو ارستقراطية الفكر والارادة والعمل ، والواقع أن عمق الشعور بالمسئوليات هو لب الارستقراطية الحقيقية ، أو ليست الارستقراطية فى معناها الصحيح ، أن يكون الانسان أقدر من غيره على حمل المسئوليات ، وأن يكون قدوة لسواه ، وأن يخدم بلا طمع ، وأن يضرب المثل الصالح فى التعرض لشق المتاعب التى تجلبها كل مسئولية ؟

ان مثل هذه الارستقراطية فى وسع الموظف الصغير أو العامل البسيط أن يصل اليها ، إذ الموظف أو العامل كلما اضطرم شعوره بمسئوليته ، تجلت له قيمة عمله ، وأحس أن لافارق بينه وبين صاحب العمل ، وأنه غير مدين لصاحب العمل بشيء ، وأنه ند له وان لم يكن قرينه فى النفوذ والسلطان والجاه والعريض . فصاحب العمل يدفع ، والموظف أو العامل يخدم ، وشرط

الخدمة ـ كي لاتذل نفس الخادم ـ أن تكون خدمة صادقة قوامها الولاء ، وشعارها الاحساس بالمسئولية

وهذه المسئولية الممثلة فى العمل الجيد ، هى التى ترفع مستوى العامل ، وتشعره بكبريائه البشرية ، وتجعله فى نظر صاحب العمل انساناً ، خليقاً بالتقدير ، مساوياً له فى العزة والكرامة

ولا شك فى أنه فى هذه المساواة النسبية ، أو فى هذه الكرامة يكمن الشعور بالعظمة ، وكما تضاعفت مسئوليات العامل أو الموظف اتقدت فى نفسه عاطفة المساواة ، والتهب الاحساس بالكرامة ، ونما وازدهر شعور العظمة

وانها فى الحق لعظمة أن تكون موضع ثقة ، وأن تضطلع بمسئوليات ضخام ، وأن تكون فى حمل مسئولياتك نزيهاً ، وأن تحس أن مصير العمل فى يدك ، وأن مصائر غيرك معلقة على أن تكون عند حسن ظن الناس بك

انها ولا ريب عظمة ، وعظمة من نوع ارستقراطى سليم ، يعجب بها الكل ويقرها الجميع ، ولا سيما متى تجردت فى نفس صاحبها من شوائب الترفع والغطرسة والغرور ، ولم تستحل الى ارستقراطية بغيضة زائفة ، تتمثل فى المظهر فقط ، وتنتهى الى استخدام المنصب الكبير ومسئولياته فى سبيل توكيد شخصية متجبرة ، وسلطة غاشمة متعسفة عمياء

وإذن فمن عمق الشعور بالمسئولية تنشأ فضائل الارستقراطية الصحيحة ، وأهمها حب العمل والاخلاص فيه لا لما يدره من مال ، بل لما يصدر عن تجويده من قوة الاحساس بالكرامة الشخصية ، ولما فى حسن تأديته من قدوة صالحة ، ولما فى ابداعه على أكمل وجه مستطاع من نفع مادى ومعنوى يشترك فيه الفرد والمجموع على السواء

روح المسئولية عند بعض العظماء

قد يذهب الشعور بالمسئولية عند الرجل العظيم الى حد المرض ، فهو لشدة كبريائه يأبى أن يكون مسئولا أمام أحد ، ويأبى إلا أن يكون مسئولا أمام نفسه وضميره فقط

والظاهرة الملحوظة فى بعض العظماء أن حاسة المسئولية تنمو فى نفوسهم وتتطور وتستحيل الى شبه تعصب لقدسية العمل ولواجب النزاهة المطلقة فى تأديته

فكليماسو ، كان مثلا يضرب فى الصلابة والعناد ، لا يتسامح فى هفوة ، ولا يتجاوز عن خطأ ، ولا يغض الطرف عن رشوة ، ولا يعرف مداهنة صديق ، ولا يغتفر لأى كان ضروب التمسح والملق والزلفى

ولما كان أنصاره وناخبوه يأخذون عليه إسرافه فيما يسمونه التعصب للهنات من الأمور ، كان يقول لهم :

« لو كنت أعد نفسى مسئولا أمامكم فقط ، لاستطعت مرضاتكم باليسير ، ولكنكم فى مجموعكم الصغير تمثلون وطنى ، وأنا مسئول أمام نفسى ووطنى قبل أن أكون مسئولا أمامكم ، ولذلك لن أرحم وزيراً يستضعف أو موظفا يتهاون أو يخون ! »

ولقد كان المارشال جوفر يصاب فى أثناء التأهب لكل معركة كبيرة بداء التدقيق فى كل شىء ، فكان يصدر الأوامر ثم يراقب تنفيذها بنفسه . كان ينتقل من معسكر الى معسكر ، ويتصل بالقواد شخصياً ، ويهبط الخنادق ، ويلاحظ أنظمة الاستحكامات ، ويتحسس آثار الروح المعنوية عند الجنود . ولما كان يعود الى مقر القيادة مطمئن البال منشرح الصدر وقد أنهكه التعب وأجهد أعصابه المشى الطويل ، كان بعض أركان حربه يقول له : « أرأيت ؟ كل شىء على ما يرام ، ولم تجر العادة بألا ينفذ القواد والضباط أوامرك بكل دقة » فكان جوفر يقول : « أعلم ذلك ولكنى أريد أن تطمئن مسئوليتى أمام ضميرى ! »

وكان الروائى الشهور جوستاف فلوبير يعد نفسه مسئولا عن أعماله القصصية لا أمام ضميره فقط ، بل أمام الأجيال المقبلة أيضا . كان يعتقد أن ثمة مرحلة من تقدم البشرية منوط به أن يحققها ، فكان يخلق فى العذاب ، يخلق وقبلته الكمال ، يكتب العبارة عشر مرات فلا تروقه فيحذفها ، ويكتب الصفحة الرائعة بعد جهد فلا ترضيه فيستبعدها ، ويظل بالعبارة الواحدة يجلوها ويحكم صياغتها ، حتى تتوتر أعصابه ، ويتصدع رأسه ، فيرتمى على فراشه منهوك القوى ، فريسة إحساسه الجنونى بمسئوليته العظيمة حيال فكرة تمثل فى خياله مثلا بعيداً أعلى

فهؤلاء العظماء وأمثالهم ، كان فى وسعهم اصابة المجد من أقرب السبل ، كان فى وسعهم إصابة المجد والمال بالتخفيف من غلواء مطامعهم ، والحد من تطرف أحلامهم ، وإعطاء الجماهير ما تطلب ، وممالأة الأغلبيات على أفكارها ونزعاتها ورغائبها وما تجد فيه متعة أو تفكهة أو سلوى

كان فى وسعهم ولا ريب اصابة مثل هذا المجد الزائل ، ولكنهم أرادوا مجداً باقياً وطيداً على مر الأيام ، فلم يخلصوا إلا لقلوبهم ، ولم يحتكموا إلا لضمائرهم ، ولم يصونوا إلا مسئولياتهم حيال أنفسهم والمجموع ، وهكذا خلدوا ذواتهم فى أعمال خارقة تدل أبلغ الدلالة على ما يمكن أن تتمخض عنه عبقرية الانسان متى سمت وارتقت وتنزهت عن كل غرض وضيع وآمنت بسلطان الضمير ومعنى المسئولية !

ا ٠ م

الأحلام
ما يفسر منها وما لا يفسر

بقلم الأستاذ أديب عباسي

موضوع الاحلام من البحوث التي يعنى بها الآن علماء النفس لاتصاله بشخصية الانسان وغرائزه وسلوكه وعاداته . وقد تاق الانسان منذ القدم إلى تفسير ما يراه فى نومه من صور وحوادث ، وتفاءل بها تارة ، وتشاءم بها أخرى ، وتنبأ منها فى بعض الاحيان بما سيقع له فى اليقظة . وقد جاء علم النفس الحديث فرد الأحلام إلى عوامل غريزية ، وفزيولوجية ، وكيماوية يتعرض لها النائم ، ولكن بقيت هناك أحلام لم يستطع حتى الآن تفسيرها . . . المحرر

لماذا لا نستطيع أن نفسر جميع ما نحلم من أحلام ونرى من رؤى ؟

ولكن قبل الاجابة عن هذا السؤال لا بد لنا أن نشرح بعض الشيء كيف يفسر جمهور العلماء اليوم هذا الجانب من أحلامنا الذى يمكن تفسيره وتحليله ، وبعدها نرى ماهى هذه الأحلام التى لا نستطيع تفسيرها ، ولماذا هذا الامتناع منها على التفسير والتحليل

بأى شيء يفسرون الأحلام اليوم والى أى الدوافع يردونها ؟ انهم يفسرون أحلامنا جملة ويردونها الى ثلاثة عوامل كبرى هى : عوامل الكبت للغريزة الجنسية والغرائز الأخرى ، ثم عامل المؤثرات الفزيولوجية والميكانيكية التى تصيب الجسم ، وأخيراً عامل المؤثرات الكيمياوية التى يتعرض لها النائم على نحو غير عادى

(١) أما عوامل الكبت الجنسى وما يلحقها من طائفة الأحلام الجنسية فهى أننا جميعاً نحس الجوع الجنسى ، ولكننا لا نستطيع اشباعه على نحو ماهو مغروس فى طبائع الناس من حب التنويع الى غير حد يوقف عنده وينتهى اليه ، فينشأ عن ذلك كبت الغريزة الجنسية كبتاً كلياً أو جزئياً على قدر حرماننا من دواعى اشباع هذه الغريزة ، أهو حرمان مطلق أم حرمان نسبى . فاذا استولى النوم على الفرد الذى يعانى كبتاً مطلقاً أو نسبياً « ويجب أن يعانى أحدهما كما أسلفنا » أخذت تراوده الأحلام الجنسية تارة على نحو واضح وأخرى على نحو متخف مرموز

هذا الصنف من الأحلام الذى يدور حول تحقيق الشهوات الجنسية المكبوتة هو الذى أراد فرويد وأتباعه أن يبسطوا دوافعه على جميع أصناف الأحلام ويفسروها على ضوئها

ولكن هذا النظر كان تناسياً من المدرسة الفرويدية لجميع غرائز الانسان الأخرى وفيها مالا يقل قوة وتلويناً لحياة المرء الشاعرة أو غير الشاعرة عن الغريزة الجنسية ، وفى أول هذه الغرائز غريزة حب السيادة وشهوة الاستعلاء وغريزة الحيازة وغريزة الاستطلاع. ولا ريب فى أن جزءاً غير يسير من أحلامنا هو صدى لهذه الغرائز وتعبير مداور أو مباشر عما كبتنا من دواعى هذه الغرائز، هذا ولا بد هنا من ملاحظة خاصة وهى أن أكثر الأحلام التى تجىء تعبيراً عن شهوة مكبوتة من شهوات الغريزة سواء أكانت جنسية أم غير جنسية ، انما تجىء معبرة عما يجىء فى هامش الشعور من شهوات مكبوتة — وهنا وجه كبير للغرابة — بدل أن تجىء تعبيراً عما يتوسط الشعور ويتصدر الخيال من صور الشهوة المكبوتة ، وكأن هذه الصور القوية الواضحة لشهوات الغريزة فى حالة اليقظة هى تحقيق فعلى ونيل صحيح فلا ضرورة معه لظهور هذه الصور فى أحلام النائم ؟

(٢) والعامل الثانى الذى نستطيع أن نرد اليه طائفة كبيرة من أحلامنا هو التأثيرات الفزيولوجية والميكانيكية التى تلم بالجسم النائم ، كالأصوات التى تطرق سمعه وتصل الى طبقة اللاوعى ، أو كالنور الذى يباشر عينيه ويستطيع النفوذ الى ما تحت الشعور ، أو كالبرد والحرارة الزائدين يصيبان الجسم ، أو كسقوط اليد أو الرجل من محل ارتكازها

فالنائم قد يسمع طرقاً قوياً على باب مخدعه ، ولكنه فى الغالب لا يسمعه كطرق له دلالته العادية فى حالة اليقظة ، وانما يسارع الخيال المرح ، فى غيبة العقل الواعىَ وما يبادر الى الضبط ورد الجموح فى الاستجابات الأولى ، الى انشاء الصور الغريبة والتفاسير العجيبة حول هذا المؤثر المفاجىء ، فهذا الطرق القوى قد يعنى للنائم جيشين متحاجزين متناحرين تدوى بينهما المدافع وتطير الاشلاء وتزهق النفوس وتجرى الدماء وتدك الابنية وتقوض الصروح ، أو قد يعنى البرق والرعد والماء والسماء والنهر والبحر وما اليها من صور تتداعى وراء الصورة الأولى

والنور الفائض على العينين قد يعنى إذا وصل الى طبقة الشعور — ثريات مدلاة تغمر بنورها القوى ولألائها الشديد عشرات الراقصين والراقصات وما يستتبع الرقص من شراب وأكواب وتلاق وافتراق وغمز ولمز وخلاف هذه من الصور التى تتداعى على نسق أو غير نسق

وسقوط الرجل أو اليد من محل ارتكازها قد يعنى الهبوط فى هاوية أو السقوط من طائرة محلقة أو العثار والوقوع على الارض فى الأقل . وقد تدرك قوة هـذا المؤثر الميكانيكى فى الجسم ومبلغ أثره فى انشاء الاحلام المرعبة حينما تستعيد استجاباتك العنيفة ورعبك الاكيد وإجفالك الشديد وقت تزل اليد أو الرجل فى حالة السهو الشديد أو التهويم الذى يجىء بين اليقظة والنوم

(٣) أما العامل الثالث فى انشاء الاحلام ، وهو عامل المؤثرات الكيمياوية غير العادية التى تصيب الجسم النائم فاليه ترد أحلام الضيق والحرج والاختناق وما اليها مما يعرف بالكابوس

هذه هي المؤثرات التي يرد اليها علماء النفس الأحلام ويرون أنه يستطاع على ضوئها مجتمعة أو منفردة تفسير أحلامنا جميعاً

الا أننا نرى أن هناك عاملا آخر غير العوامل السابقة ينشىء منفرداً أو بالاشتراك مع هذه العوامل طائفة من الأحلام يكاد يستحيل تحليلها وفهمها كل الفهم ، أو يستحيل تحليلها وفهمها أي فهم . وكل منا ، ممن لا يرضيهم التفسير الرخيص للاحلام ، وقع له أصناف من هذه الاحلام التي يقف الفكر حيالها حائراً متسائلا من أين جاءته حوافزها ودواعيها ، وليس فيما يذكر من حوادثه اليومية واختباراته وأفكاره وهواجسه واخيلته علاقة أو شبه علاقة بهذه الاحلام الغريبة ، وأكثر الذين يشككون في التفسير الطبيعي للاحلام ويصرون على أن لها أصلا غيبياً غير طبيعي يجيئهم الشك من ناحية هذه الاحلام التي تبدو منقطعة الصلة من كل خبرة للفرد بعيدة أو قريبة

وهذا العامل الذي نرى أنه يفسر لنا هذا الجانب من أحلامنا الذي لا نستطيع أن نرده الى ما شرحنا من دوافع الأحلام ومثيراتها اجمالا ، هو ـ كما نرى ان ندعوه ـ عامل التداعي المقطوع ـ وفي بقية هذا المقال شرح هذا العامل

جلست ذات صباح في الربيع الباكر تستقبل بوجهك الشمس وشعرت بالدفء اللذيذ تشيعه في جسمك فانصرف ذهنك اليها ، ومن صورة الشمس وفكرها في ذهنك قد ينصرف تفكيرك أي منصرف ويسير أي مسير . ونفرض أن صورة الشمس نقلت تفكيرك الى البلدان الباردة حيث تغيب الشمس ويشتد البرد ، ثم من الصورة العامة للبلدان الباردة انتقلت الى صورة خاصة هي صورة المنطقة القطبية ، ومن المنطقة القطبية بثلجها وجليدها وزمهريرها انصرفت الى أشياء القطب وحيوانه ، وكان طائر البطريق « البانجوين » أسرع حيوان القطب الى خيالك . ونفرض أنك كنت قرأت رواية « جزيرة البانجوين » لأناتول فرانس ، فلا يلبث طائر البطريق ذاك أن يحضر الى خيالك الرواية بصورها وأخيلتها الغريبة وتنتبه الى نفسك فجأة أمام هذه الصور الأخيرة فتستولي عليك الدهشة أول الأمر كيف انتهيت اليها ، وليس حيالك ما يذكرك بها كما تحس أنك لم تتعمد قط أن توردها مورداً من خيالك أو تفكيرك . وقد تكون عرفت شيئاً يسمونه تداعي المعاني الحر أو لا تكون عرفته ، ولكنك في كلا الحالين تستطيع ـ مع شيء من القدرة على سلسلة الصور الذهنية وربطها بعضها ببعض ـ أن تعود بالصورة الأخيرة درجة درجة الى الوراء ، وفي كل درجة تلحظ العلاقة المنطقية بين الصورة الواحدة والتي سبقتها واضحة جلية الى أن تنتهي الى الصورة الاولى ، فيتضح لك من أين جاءتك الصورة الأخيرة وكيف انتقلت الصور في ذهنك خطوة خطوة في هذه السلسلة المتداعية

هذه الصورة الافتراضية التي رسمنا هي صورة ما يحدث في أذهاننا وقت تنام وتكون أحلامنا ، ولكن مع فارق أو فارقين هامين ، هما أن النائم لا يستطيع أن يقوم بعملية التسلسل العكسي

للصور الأخيرة من الحلم لأن العقل الواعي الذي يسلسل ويربط هذه الصور في حالة اليقظة بما سبقها يكون معطلا هنا ، فلا تجيء اليقظة حتى تكون الصور الأخيرة من الحلم قد اختلطت بالصور السابقة أو بصور أخرى ناجمة من بعض المؤثرات الأخرى التي وصفنا ، وهكذا يغدو من أصعب الصعب على المرء أن يحلل مثل هذه الأحلام . هذا والفارق الآخر بين السلسلة المتداعية في حالة النوم وفي حالة اليقظة هو أن السلسلة في حالة النوم تجيء غالباً مبتورة مقطوعة مما سبقها . وذلك أن الأحلام التي تتذكرها جيداً هي فقط الأحلام التي تجيء عند الحد الفاصل بين اليقظة والنوم ، كما هو ثابت لدى الباحثين في الأحلام ، أما الصور السابقة لها مما يجيء وقت الاستغراق في النوم فلا نذكر منها شيئاً ، وهكذا يغدو من المستحيل علينا أن نصل صور الحلم المذكورة بالصور السابقة لها لأنها صور لم يلتقط منها الوعي الغائب شيئاً لذلك يبقى الحلم من هذا النوع وحدة مقطوعة من سلسلة التداعي لا نستطيع أن نفهمها أو نفسرها ، لأننا لا نستطيع أن نعود بها الى مثيراتها الاولى

وقد يسأل القارىء : وهل من الضروري أن تكون أحلامنا مسبوقة بصور أخرى غير الصور المذكورة ، ثم لم لا تكون الصور الواردة في الحلم هي كل ما طرق مخيلة النائم الحالم من صور ، فلا تكون ثمة ضرورة لفرض انقطاع الحلم من صور سابقة غير مذكورة ؟ وجوابنا أنه من الثابت علمياً أن النائم يظل طول ليله يحلم ولكنه لا يذكر من أحلامه إلا ما يجيء قبل اليقظة بقليل ، أما ما يجيء منها قبل ذلك فنسبته الى النسيان المطلق

هذا ولا ننكر أن جزءاً من أحلامنا التي لا نستطيع تفسيرها يرجع الى بعض العوامل الأولى التي شرحناها كالعوامل الفزيولوجية والكيمياوية والميكانيكية ، وذلك حينما يقع تأثير هذه العوامل على الجسم ، ولكننا حينما نفيق تكون هذه المؤثرات قد انقطعت ، فالطرق على الباب قد ينشىء أحلاما لا نستطيع تفسيرها — كأحلام السلسلة المقطوعة — اذا أفقنا من نومنا بعد أن يكون الطرق على الباب قد انقطع

على أننا نعود ونقول : إن معظم أحلامنا التي لا نستطيع تفسيرها يرجع الى هذا العامل من سلسلة المعاني المقطوعة في حالة النوم

ويجب ألا ننسى أن من أحلام السلسلة المقطوعة التي يذكرها الحالم بعد أن يفيق ، ما لا تجيء اليقظة بعده مباشرة فكيف نفسر ذكره اياها ؟ التفسير هنا هو أن النائم في مثل هذا الحال لا يكون في حالة من الاستغراق في النوم تفضي الى النسيان المطلق ولا يكون في حالة من التنبه تفضي الى الافاقة

أديب عباسي

الجنون

على لسان مجنون

حمائمَ النيل أزواجاً وَوِحدانا … هل يبنكنّ فؤادى يَبمع الآنا!

فقدتُه ، فاذا الايامُ سالمة … من الهموم وصَرف الدهر قد هانا

جُننتُ فى زمن عادَ الجنونُ به … خيراً من العقل بل نعمى وإحسانا

« قد كنتُ أحلم قبل اليوم فى سِنةٍ … فصرتُ أحلمُ بعد اليوم يقظانا »

وما الحياةُ سوى أحلامِ هاجعةٍ … فى الليل تَنسجُها للصبح أشجانا

سيّان عقل يدينُ العالمون له … وجِنّة تدعُ المجنونَ حيرانا

لو صحّ فى الناسِ رأى كان أعقلَهم … مَن لا يقيمُ لعقل بينهم شانا

تلك العقولُ التى تاهت مدَى زمنٍ … ضاقت من الموتِ غازاتٍ ونيرانا

وأخرجت لبنى الانسان مخترعاً … يدمّرُ الارضَ بلداناً وسكانا

وأغرت الناسَ بالعدوان فاقتتلوا … وساقت البؤسَ أشكالا وألوانا

وغيّرت صورَ الاشياء خادعة … وصوّرت خدعَ الاقوام عِرفانا

إنى برئتُ فلا الأحقاد من شيمى … ولا أقابل بالعدوانِ عُدوانا

وقد سلوتُ فلا وجدٌ ولا شغفٌ … ولا أخافُ من المعشوق سِلوانا

وقد قنِعتُ فلا حرب ولا طمع … وقد رضيتُ من الايامِ نسيانا

وقد سلمتُ فلا صحف تهاجمنى … وتقلبُ الحسنَ المحمودَ خذلانا

وطابَ قلبى فلا غدرٌ يخالجنى … ولا أخون مع الأهواء أوطانا

ولا حاب ولا محسوبَ فى أمل … ولا أجاملُ إخواناً وخلانا

بالله يا عقلاء القوم فاحتكموا … دنياكمو الدونُ أم علياءُ دنيانا ؟

دنياكمو زخرت بالشر وامتلأت … غدراً وقد ضحكت زوراً وبهتانا

يا رب طابت حياتى فى الجنون فلا … تردّ عقلى إلى الدنيا كما كانا

طاهر الطناحى

المجلس الفاشى الاعلى

أثره العظيم فى توجيه السياسة الايطالية

يقوم المجلس الفاشى الاعلى بدور عظيم فى توجيه شئون الدولة وتنظيم جهود الحزب الفاشى ، فهو قوة واسعة النفوذ مؤلفة من صفوة رجال ذلك الحزب ، اعترفت بها الحكومة الايطالية بصفة رسمية وبقانون صدر فى ٩ ديسمبر عام ١٩٢٨ ، وسنحاول فى هذا المقال بيان اختصاصات المجلس الأعلى وعلاقته الوثيقة بالحزب الوطنى الفاشى

يتولى المجلس الأعلى قيادة الحزب الفاشى ، وله الحق فى أن يختار من بين ممثلى النقابات ، الأربعمائة شخص المقترح ترشيحهم للانتخابات النيابية

ورئيس الحكومة هو رئيس المجلس ، وفى دائرة المجلس تنظم جميع قوى الدولة ، ومنه تنشأ وحدة الاتجاه ووحدة القيادة فى شتى ميادين العمل

وينبغى أن نلاحظ أن المجلس الأعلى يقوم فى المحيط السياسى بالدور الأول ، كما يقوم المجلس الاقتصادى فى محيطه بالدور الأول . غير أن المجلس الأعلى يمتاز بالاشراف على تنسيق جميع الجهود وبضمان وحدة الفكرة الفاشية وثباتها واستمرارها واتصالها الدائم بالروح الثورية التى بعثتها

والواقع أن المجلس الأعلى هو صاحب الكلمة الأخيرة فى توجيه سياسة الدولة ، وهو الذى أعد جميع القوانين الفاشية الرئيسية ، وهو الذى يهيمن على النظام العام بفضل استناده الى القاعدة الكبرى أى الحزب الوطنى الفاشى وفروعه المنتشرة فى مختلف انحاء البلاد

وأما الحزب الوطنى الفاشى فقد يرى أناس أن الواجب كان يقضى بحله مادام قد استطاع تحقيق حلمه وانشاء حكومة فاشية قضت على كل حزب معارض . ولكن ما حدث هو نقيض هذا تماما

فالحزب الوطنى الفاشى قد نما وازدهر واستحال من هيئة ذات برنامج حزبى الى هيئة ذات برنامج وطنى اجتماعى شامل

وبعد أن كان الحزب يمثل وجهة نظر معينة ، أريد به أن يمثل الأمة ومجموع المبادىء والنظريات التى تهتدى بها الأمة والدولة

ولقد أدمج هذا الحزب فى صلب الدولة أيضاً واعترف بقوانينه ولوائحه بمرسوم ملكى صدر فى ١٤ ديسمبر عام ١٩٢٩ ، فهو الحزب الايطالى الوحيد ، وهو القوة الشعبية التى تغذى الحكومة ، وهو السور الكبير الذى يحميها والدعامة الوطيدة التى تنهض عليها

وفى عرفنا أنه من الخطأ أن نطلق على هذه الهيئة اسم حزب ، إذ هى فى الحقيقة أشبه بكنيسة يلتف حولها جمهور من المؤمنين ، يخضعون لرئيسها أى لموسولينى خضوعاً أعمى ،

ويخدمون نظامها أى الدولة الفاشية خدمة سداها الطاعة ولحمتها تجنب المناقشة والجدل

فالاحزاب كما تفهمها الدول الديموقراطية ، لا تقيد الى هذا الحد حرية الفكر ، ولا تسلب العضو حقه فى الجدل والنقاش ، بل قد ينقسم الحزب منها الى كتلة يمين وكتلة يسار ، أما الحزب الفاشى فلا يسلم بشىء من هـذا ، لأنه ينهض على مبادىء وأفكار تركزت فى نفوس أعضائه وتغلغلت فى عواطفهم وأصبحت شبه عقائد دينية إما ان يؤمن بها الفرد واما أن يكفر بها

فهذا الحزب الروحانى الوضع والمتجه ، يضطلع بمهمة الوصاية الفكرية والثقافية والاخلاقية على أعضائه ومجموع المواطنين الايطاليين ، وذلك من طريق الاشراف على مؤسسات للتربية والتعاون والاسعافات العامة ، يقصد بها رفع المستوى الاجتماعى المادى وتنشئة الجيل الجديد على المبادىء الفاشية والاحلام الرومانية والنظريات الاستعمارية وتمجيد الروح العسكرى

ولكن الحزب مع تمتعه بهذا النفوذ ، يخضع للحكومة التى لا تنفك تتدخل فى شئونه وتسير أعماله وتوجهها ، خشية أن يطغى عليها أو يجور على اختصاصاتها أو ينحرف عنها يوما فيغدر بها

ومن المهم أن نذكر أن جميع كبار الموظفين وأعضاء مجلس الدولة ، هم أعضاء فى الحزب الفاشى ، وأن الحزب ممثل بصفة رسمية فى كل هيئة كبيرة تعمل باسم الدولة ، وأنه فى الواقع همزة الوصل بين الجماهير والحكومة ، وبين النقابات والحكومة ، وبين القوى العاملة والمنتجة وبين الأغراض السياسية والاقتصادية التى تستخدم فيها الدولة الفاشية هذه القوى

فالحاكمون والمحكومون يربطهم فى ايطاليا الفاشية رباط وثيق ، هو ذلك الحزب الذى يسهر على سلامة الدولة ويحفظ سيادتها ، ويؤدى هذين الواجبين بالاشتراك مع الهيئات النقابية وهيئات أرباب المهن والحرف من خلال هيئة التنظيم والتنسيق الكبرى أى المجلس الفاشى الأعلى

فالنظام الايطالى الفاشى وقد أراد تقويض النظام الديموقراطى البرلمانى ، ابتدع نظاما آخر لدولة وطنية تنهض على قواعد ثلاث :

أولا ــ حزب سياسى وطنى واحد يوجه الدولة وجهة سياسية وطنية واحدة

ثانياً ــ نظام تمثيل نقابى للعمال ولأرباب المهن والحرف ، يوجه الدولة وجهة اقتصادية واحدة

ثالثاً ــ ارادة اجماعية واحدة تبسط سلطانها على جميع مرافق الدولة وتوجهها وجهة واحدة

غير أن الحزب الأوحد هو عنصر الحياة والتوازن فى هذا النظام ، إذ هو الذى يتصل بالجماهير لتدريبها ، وبالقادة لتنفيذ أوامرهم ، ومدهم عند الحاجة بالرجال الممتازين من أعضائه أصحاب المواهب والكفايات البارزة

وإذن فرياضة الشعب على الطاعة السياسية بايجاد حزب واحد يسمو بمبادئه فوق المصالح المتضاربة ويؤلف بين جميع المواطنين فى شبه عقيدة دينية وايمان مشترك ، هذه الرياضة النفسية هى التى مكنت زعماء الفاشست من حمل جمهور الشعب على التسليم بضرورة التوفيق بين أغراضه

ومصالحه المتنافرة ، واخضاعها جميعاً لنظام يسلب الفرد ولا شك حريته ولكنه يفضي آخر الأمر الى تقوية الدولة التي فرضته

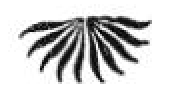
فكأن الفرد يضحي بحريته ، أي بحقه في التفكير كما يحلو له ، وحقه في الاعراب عن فكره وحقه في نقد الحكومة ، وحقه في تصريف شئونه وفق هواه ، يضحي بهذا كله في سبيل مصلحة الدولة التي تعلو كل مصلحة ، والتي يجب أن يؤمن بها الفرد ايماناً دينياً مجرداً ، ويعتقد أن زعيمها معصوم من الخطأ كما يعتقد الكاثوليكي مثلا في كنيسته وفي بابا روما الذي يرعاها ويسيطر عليها

ومما لا يقبل الريب أن هناك شبهاً كبيراً بين نظام الكنيسة الكاثوليكية ونظام الفاشزم فالأول كالثاني ينهض على الطاعة العمياء والنظام الصارم وتقديس شخص الزعيم وانكار حرية الفكر وتضحية مطالب الذات ، لتوكيد عظمة المجموع وتعزيز نفوذه وسلطانه

ولكن الفارق الوحيد بين النظامين ، هو أن البابا إذا مات قام آخر بدلا منه ، يقر المؤمنون ورجال الكنيسة في الحال قدسيته ، لاعتقادهم الوراثي بحلول بركة الله عليه . أما إذا مات الزعيم الديكتاتور فلا قدسية وراثية ولا بركة تقليدية يمكن أن تحل احداها على من سيقوم بدلا منه . وعندئذ قد تحدث الكارثة . قد ينقلب الشعب أو الحزب نفسه على الديكتاتور الجديد فيقوض في ثورة طائشة صرح البناء الذي شادته عبقرية الديكتاتور الأول

وهذا ما يعزز رأي الكثيرين في أن خير أنواع الديكتاتورية هو ذلك الذي تأخذ به في بعض الأحيان فرنسا وانجلترا

ففي هاتين الدولتين الديموقراطيتين ، عندما تعصف الأزمات بالدولة ، يجتمع مجلسها النيابي ويخول لأحد رجال الحكم النوابغ فيها ، سلطة استثنائية لمعالجة الطوارىء وانقاذ البلاد ، أي سلطة ديكتاتورية برلمانية موقتة تزول بزوال الخطر وتعود بعدها البلاد الى نظامها السابق ، وقد ازداد توطداً واستقراراً ، وازداد القائمون به حنكة ودراية ومعرفة بأصول الحكم وفن تذليل المصاعب واتقاء الازمات



قصة ملخصة

الضحية

للروائي الكبير شارل فوليه

في هذه القصة يرسم لنا الروائي الكبير شارل فوليه فاجعة من فواجع النفس تتمثل من خلال حوادثها الرائعة شخصية امرأة شقية اصيبت في حياتها الزوجية وفي صميم حبها لابنها الوحيد ، فغامرت بمستقبلها واقدمت على التضحية بكل شيء في سبيل انقاذ اسرتها

أغلقت مدام مونكلار نافذة مخدعها وقد شعرت ببرودة الليل تسرى فى عظامها ، ثم نضت عنها ثوبها، وارتدت غلالة رقيقة بيضاء ، ثم استلقت على فراشها وراكت على نفسها الأغطية ، وأسنانها تصطك والحمى تساورها والخواطر السوداء تطوف بذهنها وتحرمها لذة النوم . وكان الألم قد برح بها ، والأرق قد استحوذ عليها ، فضاقت ذرعا بفراشها ، ونهضت كمجنونة وجعلت تذرع الغرفة وهي تزفر وتوشك أن تبكي و فجأة ابردت حرارة بدنها ، وهمدت سورة أعصابها المتوترة ، واستولى عليها شبه جمود ، فارتمت على مقعد بجوار النافذة ، وأسندت رأسها الى الزجاج البارد ، وحدقت من خلاله الى الشارع الساكن العريض ، وأجهشت بالبكاء

ذكرت الايام الحلوة التى قضتها مع زوجها شارل ، والغرام الفاتر العذب الذى تقدم زواجهما ، وحب شارل العظيم لها ، وميلاد ابنها ارمان ، وسعادة أمومتها ، وكل ما أغدقته عليها الحياة من نعيم تكفر عنه الآن وتدفع ثمنه غالياً من خالص راحتها ، ومن مستقبلها ، ومستقبل ولدها المعبود أرمان

انها ما تزال صبية ، لم تبلغ الأربعين بعد . ما تزال جميلة الوجه ، ساحرة العينين ، ناضرة المحيا . ولكن ماذا يهمها جمالها ، ماذا يهمها صباها ، ماذا يهمها سحر أنوثتها المكتملة الرائعة ؟ . انها لم تعد تطمع فى شيء — لم تفكر أبداً فى خيانة زوجها واتخاذ عشيق ، لم تفكر فى نفسها ، لم تفكر فى محاسنها ، بل هى متأهبة للتضحية بكل شيء ، متأهبة للتضحية بشبابها الزاهر ، وفتنتها النادرة ، على شرط أن تطمئن على مستقبل ابنها ، وعلى البقية الباقية من ثروتها التى أودعتها البنوك باسم ابن عمها قبل زواجها ، والتى يرمقها زوجها بعين شرهة ويحاول السطو عليها كى ينفقها على عشيقته ، مدام فرناند

لقد حملت مدام مونكلار الى زوجها بائنة عظيمة تقدر بآلاف الفرنكات ، فاستثمرها أول الأمر فى مشروعات ناجحة ، ولكنه منذ أكثر من عام ، منذ أن تعرف الى فرناند ، أخذ ينفق عليها بلا حساب ، ويهمل شئون بيته ، ويطيل السهر فى الخارج ، ويكتم حقيقة أمره ، ويكتم فضيحة افلاسه ، حتى علمت بها زوجته منذ أيام ، وأدركت ان الخراب قد حل بهم ، وان الحياة تقضى عليهم بالاقتصاد جهد الطاقة ومحاولة الاكتفاء بالمرتب الذى يتقاضاه شارل من الحكومة ، والمرتب الذى يتقاضاه ارمان من الشركة التى يعمل فيها

ومع ذلك ، وبرغم هذه الكارثة ، لم يتنبه شارل الى الخطر ، لم يكف عن زيارة عشيقته ، لم يعدل عن حبها ، بل لقد أعمته حاجته الى المال ، ورغبته فى استرضاء فرناند ، فاقتحم مخدع امرأته فى هذا الصباح ، وفى ثورة المحب اليائس ، وجنون العاشق السخى المدله ، طلب اليها أن تمده بالمال ، أن تحول باسمه المبالغ التى تملكها والتى أودعتها البنوك باسم ابن عمها ، والتى أعدتها للزمن ، وباتت تعتمد عليها فى إسعاد ابنها ارمان وتشييد صرح مستقبله

أراد شارل أن يستولى على هذا المال أيضاً ، أن يضحى ابنه الوحيد بعد أن ضحى بزوجته ، أن يقدم الاسرة كلها قربانا على مذبح حبه الشائن الاثيم . ولما رفضت مدام مونكلار هذا الطلب ، أرغى وأزبد ، وهدد وتوعد ، وأنذر امرأته بسلسلة من الاضطهادات ، ثم صارحها بأنه لن يكف عن خديعتها واضطهادها الا بعد أن يحصل على المال ، ومتى حصل عليه رضى بالطلاق منها وأنقذها من شقائها ، هذا اذا كانت تقبل الطلاق وتقنع بحياة سعيدة مع ابنها

تلك هى مأساة مدام مونكلار ، ولقد طغت عليها ، وضيقت سبل العمل أمامها ، وابتلتها بضرب مروع من الجزع والقلق والحيرة ، الى حد انها لم تجد مخرجا منها ، الا بعرضها على أنظار ولدها ، والتوسل الى ارمان ، الى ابنها نفسه ، أن يذهب الى تلك المرأة ، الى فرناند ، ويطلب اليها أن تكف عن ملاحقة أبيه ، وأن يعرض عليها مبلغاً معيناً من المال مقابل انصرافها عن شارل ومغادرتها باريس

ومنذ أكثر من أسبوع وابنها يحاورها ويماطلها ولا ينفك يردد انه سوف ينجح ، وان فرناند سوف تتخلى عن والده ، وأنه موقن كل اليقين ان فى يده خلاص الأسرة وانقاذ أبيه ورد السعادة والاطمئنان الى قلب أمه المنكودة التعسة

وها هى ذى مدام مونكلار تنتظر ، تنتظر على أحر من الجمر ، تنتظر مقدم ابنها الذى كان قد وعدها بأنه سيزور اليوم فرناند ، ويفصل فى الأمر ، ويعود اليها مسرعا بالنبأ السار

ولكنه لم يأت ، والساعة تدق العاشرة ، والوساوس والظنون تعبث بالمرأة المسكينة وتوشك أن تذهب بالبقية الباقية من اتزان عقلها وهدوء أعصابها

وبغتة ، ومدام مونكلار مستغرقة فى التفكير ، سمعت طرقا قوياً على باب مخدعها ، فأجفلت وأشرق محياها ، وصاحت :

— ادخل

وبدلا من أن تبصر ارمان شاهدت نفسها أمام خطيبته بلانش وجها لوجه !

ودخلت بلانش صامتة ، وألقت عنها معطفها ، ثم سرحت طرفها فى الحجرة ، ثم انتفضت وألقت بنفسها بين ذراعى مدام مونكلار وطفرت من عينيها الدموع

ارتاعت المرأة وطيبت خاطر الفتاة وأجلستها بالقرب منها على حافة السرير ، وجعلت تربت على كتفها وتقول :

— ما بالك يا بلانش ، تكلمى يا بنيتى ، ماذا حدث ؟ ما بك ؟ وما الذى دفعك الى المجيء الى هنا فى مثل هذه الساعة ؟ تكلمى ، ألست والدتك ؟

فكفكفت الفتاة دموعها ، ورفعت الى المرأة عينين متقرحتين شاردتين ، ثم أمسكت يدها ، وطفقت تهزها هزاً عنيفاً وتقول :

— انتهى كل شيء ! كل شيء ! فقدته ، فقدت ارمان

فذهلت مدام مونكلار وصاحت :

— لا أفهمك ، أفصحى

فتفرست الفتاة فى والدة الشاب الذى تحب ، ثم أجابت بلهجة غريبة يشوبها الحنق المكظوم :

— أماه ، أنت السبب ! أنت السبب !

جحظت عينا المرأة وخيل اليها انها قد فهمت ، فضمت الفتاة الى صدرها وصرخت :

— ماذا تقولين ؟

فأحنت بلانش رأسها وقالت وكأنها تنسحق تحت كل كلمة من كلماتها :

— أرسلته لينقذكم فوقع فى الفخ ! أرسلته لينقذ والده فأصيب هو أيضاً ! نعم ان ارمان أصبح يحب فرناند ، وهذا هو السر فى مماطلته ، فى تسويفه ، فى اقناعه اياك بالصبر والانتظار ، لقد أحبها وهو يرغب الآن فى التخلى عنى والتزوج منها ، وهى بعد أن بددت ثروة المسيو شارل ، تعلل نفسها بالاقتران بارمان يقينا منها انه شاب عامل نشط متعلم مهيأ للتمتع بمستقبل مجيد وثروة كبيرة أعددتها له أنت نفسك ؟ فأنت يا أماه قد ألقيت بولدك بين براثن تلك المرأة ، وأنا لا ألومك ولا أتهمك ، ولكنى أنا أيضا أتعذب وأحب ارمان وأخشى ان أفقده الى الأبد ، فمن واجبك ان تنقذينى يا أماه ، ان تردى الى خطيبى ، ان تعاونينى ، ان . .

فقاطعتها مدام مونكلار وقد شحب وجهها وتصلبت تقاطيعه ، وأسدل عليه فجأة شبه ستار كثيف من الهلع والرعب :

— ومن أين لك كل ذلك ؟

فأجابت الفتاة وهي تلهث وتبرز من صدرها الخطاب المشئوم :

— وصلني منه هذا الخطاب ، بعد ظهر اليوم ، وكنت في السينما مع والدتي ، فلما عدنا الى البيت تسلمت الخطاب ، ولم أكد القي عليه نظرة وأدرك حقيقة ما فيه حتى تولاني شبه جنون فاستأذنت والدتي وأسرعت تواً اليك !

وكانت بلانش تتكلم ، ومدام مونكلار تحدق الى الارض ، وتتمايل وتتهادى شيئا فشيئا على نفسها ، وظلت تتهادى وتئن حتى خانتها قواها فارتمت بجمعها على صدر الفتاة وقد أغمضت عيناها وازداد اصفرار لونها وانقطع زفيرها ، وأصبحت أشبه بجثة فارقتها الحياة

وذعرت بلانش وهمت بان ترقدها على سريرها وتنادي الخدم ، ولكن مدام مونكلار فتحت عينيها وتحركت ، ثم رفعت يدها وضمت بها قلبها المطعون ، ثم استفاق عقلها ، فأجالت البصر حولها ، ثم ركزته على بلانش ، ثم غافلت الفتاة وتناولت يدها وطبعت عليها قبلة

وفي تلك اللحظة ، وقبل أن تسحب الفتاة يدها ، وقبل أن تستنكر هذه الاشارة الرمزية المؤلمة ، سمع وقع أقدام في المخدع المجاور ، مخدع الزوج ، مخدع شارل

سمع وقع أقدام تعرفه مدام مونكلار ، ثم تلاه وقع أقدام أخرى تعرفه بلانش ومدام مونكلار معا ، فأجفلت المرأتان وتبادلتا النظر . وفي حركة آلية متشابهة ، وبدون النطق بأية كلمة ، تقدما معاً واقتربا من باب المخدع المجاور وألصقا أذنيهما بالباب وأنصتا وكل منهما تحاول خنق أنفاسها واخماد ضربات قلبها

وكان المخدع المجاور مسرحا لحركة غير عادية ، كانت أقدام من فيه تضرب الارض في عنف ، وكانت مقاعده تنقل من مكان الى آخر وتحدث ضجة مزعجة ، ثم ساد الصمت ، ساد فترة قصيرة صمت عميق . وفجأة شعرت المرأتان ان الحديث قد بدأ منخفضاً يشبه الهمس ، فأرهفت مدام مونكلار سمعها واقتدت بها الفتاة بالرغم منها

فترامى اليهما صوت شارل يقول في غمغمة يعلوها السخط :

— افسح لي الطريق والا جعلتك تندم ! ، هذه المرأة ليست لك ، لن تفوز بها ، وأنا أحرم عليك زيارتها ولو فاجأتك يوما في بيتها كما فاجأتك الآن ، فثق انى لن أفرق بينك وبين الغريب ، ثق انى أقتلك كالكلب

وسكن الصوت فارتعدت فرائص مدام مونكلار ، وخيل اليها ان من واجبها ان تدفع الباب وتدخل ، ولكن صوت ابنها ارمان ترامى اليها هادر النبرات يحاول خنق الحدة المنبعثة منه فلا يستطيع :

— انى أحبها ، وسأتزوجها ، أما أنت فعد الى بيتك وامرأتك ، فهذا أجدى عليك

فارتفع صوت شارل يقول :

— احذر !

فأجابه ارمان فى لهجة ساخرة متحدية :

— لن تخيفنى ، أنا حر وهذا حق ، واذا كنت تأبى على الحياة معك فأنا نفسى قد برمت بها ، وأقصى مناى ان أتخلص منها

فصرخ شارل وقد ذهب الغضب بلبه وأفقده صوابه :

— اخرج إذن ، اخرج !

فصاح ارمان :

— يجب ان أودع والدتى أولا !

وعندئذ استجمعت مدام مونكلار قواها ، ونصبت قامتها ، ودفعت الباب ، ودخلت مخدع زوجها تتبعها بلانش

وما ان أبصرها زوجها حتى تراجع

وما ان أبصر ارمان خطيبته حتى ذهل وانعقد لسانه ، وكأن شارل عند ماوقعت عينه على عين بلانش أحس الخجل وكبر عليه ان تفتضح حياته الخاصة أمام الغريب ، فاعتذر بحاجته الى الترويح عن نفسه واختطف قبعته وحيا الجميع وخرج

وعاد الصمت فضرب رواقه الكثيف على البيت ، وتحول ارمان إلى النافذة وجعل ينقر على زجاجها بأصابعه ، وانطلقت بلانش تحدق اليه وتستجدى نظرة منه ، وجلست مدام مونكلار على مقعد وطوت ذراعيها على صدرها وأحنت رأسها الكليل وانتظرت حتى تنقضى العاصفة

وبعد برهة تحركت وقالت وهى مطرقة :

— ارمان ، أفى نيتك ان تتركنا ؟ لقد سمعت كل شىء !

فدهش الشاب لهدوئها وأجاب فى قسوة المحب المفتون دون ان يلقى على بلانش نظرة :

— هذه على ما يظهر رغبة والدى ، نعم ، سأترككم وسأتزوج عما قريب ، فى يوم الأحد المقبل ، مدام فرناند ماسون !

فشحب وجه بلانش شحوب الموتى ، وابتسمت مدام مونكلار نصف ابتسامة غريبة ، وقالت دون ان يزايلها هدوؤها :

— يوم الأحد المقبل ؟ ، بعد أربعة أيام اذن ؟

فأجاب ارمان :

— هذا اعتزامى يا أماه !

فحاولت أن تضحك وقالت متبسطة :

— أنت بالطبع حر ، ولك ان تختار المرأة التي تشاء ، ولكن فى وسعك ان تبقى معنا حتى يوم الزواج ، هذا كل ما أطلبه اليك !

فصعقت بلانش وجحظت عيناها وفغرت فمها كبلهاء ، ولكن مدام مونكلار لم تكترث لها واستطردت فى هدوء !

— ما كنت أظنك تخدع كما خدع والدك ، ولكن للقلب أحكامه ، فتزوج بفرناند اذا شئت ولكن ابق معنا فى هذه الايام ، واحترم والدك ، وأخف عليه عزمك ، وتظاهر على الاقل بطاعته . افعل ذلك من أجلى أنا ، امتنع عن زيارة تلك المرأة فى هذه الفترة فقط ، وتجنب الاصطدام بأبيك . ولك أن تراسلها ، وتتفقا فيما بينكما على يوم الزواج ومكانه وموعده . وحبذا لو يتم كل ذلك خارج باريس ! أفهمت ؟ كن عاقلا وحكيما ، وأنا أعدك بأنى سأحول بقية أموالى باسمك فى اليوم التالى لعقد الزواج ! اذهب ، اذهب الآن الى فراشك ونم مطمئن البال !

وكانت تتكلم بلهجة مهيبة ، وصوت واضح المخارج ، دقيق النبرات ، فتهلل وجه ارمان فرحا ، وخنقته السعادة الطارئة ، فلم يتمالك من ضمها الى صدره محاولا تقبيلها ، ولكنها تملصت منه فى رفق وردته عنها وأشارت بيدها الى بلانش التى كانت واقفة بالقرب منها لا تتكلم ولا تسمع ولا تحرك ساكنا أشبه بتمثال ، وقالت :

— اطلب الصفح من بلانش ، ولا تنس أنها المرأة الوحيدة التى تحبك أكثر منى !

فوجم ارمان وتناول يد الفتاة وغمغم وهو يشيح بوجهه :

— بلانش ، اعذرينى واصفحى عنى !

واستحوذ عليه الخجل والعار كما استحوذا على والده من قبل ، فلم يلتفت ولم ينظر الى أمه ، بل يمم وجهه شطر الباب وانصرف مسرعا الى مخدعه

ولما أبصرت بلانش نفسها فى الحجرة تجاه مدام مونكلار ، اختلجت اختلاجا عنيفاً ، وغمرتها موجة من السخط والحقد والاشمئزاز والجنون ، فتقهقرت واندفعت الى الخارج واختطفت معطفها ، فلحقت بها مدام مونكلار وأمسكت بذراعها ، ولكن الفتاة دفعتها واستطردت السير ، فتعلقت بها المرأة ومالت اليها ، وفى لهجة قاطعة حاسمة ملؤها العطف العميق والحنان الممزق ، صبت فى أذنها هذه العبارة :

— سيكون ارمان لك !

فنظرت اليها الفتاة ، ثم أرسلت ضحكة هستيرية طويلة ، ثم دفعتها للمرة الثانية فى عنف ، ثم خرجت مسرعة لا تلوى على شىء !

* * *

وما إن اختفت بلانش حتى أرسلت مدام مونكلار نفساً مستطيلا ، ثم تلفتت حولها ، ثم مشت

بخطى ثابتة الى مكتبها الصغير ، ثم جلست تجاه المكتب وشرعت تكتب لابن عمها خطابا توصيه فيه بأن يسعى قدر طاقته لزواج ابنها ارمان من الآنسة بلانش عجلوار ، فاذا أخفق فى سعيه واصطدم برفض ارمان ، فعليه أن يحول بقية ثروتها المودعة فى البنوك من اسمه هو الى اسم الآنسة بلانش عجلوار

وبعد أن غلفت الخطاب وكتبت العنوان وألصقت طابع البريد ، دست الرسالة فى صدرها ، ثم نهضت متوترة الحركة والاشارة ، واتجهت صوب مخدع زوجها ، ثم خرجت من المخدع ضامة فى حقيبتها المنتفخة شيئاً ثقيلا ، ثم تقبعت وألقت عليها معطفها وخرجت بعد أن أوصدت الباب خلفها فى عناية ورفق

ولما توسطت الشارع ، وانصبت عليها الأضواء القوية المنبعثة من الحانات والمخازن ، ازداد نشاط أعصابها ، وتضاعفت قوى ارادتها ، وأحست كأن يداً من حديد تدفعها وتسوقها الى حيث الطريق الواضح الذى رسمته لها المقادير ، فحثت خطاها ، واخترقت الشارع ، وعرجت على زقاق مظلم ، ثم انطلقت منه الى شارع آخر ، الى شارع عريض تنهض على حافتيه فيلات صغيرة حديثة الطراز ، بديعة الصنع . وجعلت تتطلع الى أرقام البيوت ، وهى تنتفض برداً ، وتجمع حول صدرها أطراف معطفها ، حتى اهتدت الى البيت الذى تعرف رقمه والذى تبحث عنه . وفجأة تذكرت الخطاب ، فكرت راجعة الى رأس الشارع حيث صندوق البريد ، وهناك ألقت الخطاب فى الصندوق ، ثم تريثت لحظة واستجمعت قواها ، ثم انطلقت الى البيت المعين ، وصعدت درجاته الثلاث ودقت الجرس ، ففتح لها الخادم متحفظا ، وتقدمها وهو يدمدم ، وأدخلها صالون الانتظار

وكانت منطوية على نفسها أشبه بحيوان برى متحفز للوثوب ، وكان بصرها حاداً ، وأعضاؤها متجمعة متربصة ، ويدها اليمنى ترتعش ، وكيانها الحسى والمعنوى كله متجها نحو الباب المنخفض المحجوب خلف أستار سميكة حمراء

وبعد برهة طويلة ، فتح الباب ، ونحت الأستار يد مرمرية رخصة ، وبرزت مدام فرناند رائعة الجمال فى ثوب حريرى أبيض تبرق فيه زهرات وردية مرصعة أطرافها بخيوط من ذهب

وما إن أبصرتها مدام مونكلار حتى نهضت ومشت اليها ولم تتكلم ، بل جعلت تتأمل لحظة هذه المرأة الفاتنة الغادرة التى سلبتها بالأمس قلب زوجها وماله ، والتى توشك اليوم أن تسلبها قلب ابنها وحبه وسعادته ومستقبله

تأملتها وراعها منها جمودها المستخف الساخر ، وكبرها المتغطرس الوقح ، فصاحت بها :

— أنا مدام مونكلار ، زوجة شارل ووالدة ارمان !

فضحكت فرناند نصف ضحكة ملؤها التهكم وقالت :

— لى الشرف بمعرفة سيدة يقال انها من أجمل سيدات باريس وأذكاهن وأسعدهن !

ولوت وجهها واختنقت الضحكة فى صدرها ، فأحست مدام مونكلار كأن الاهانة تخترق قلبها كطعنة سكين ، فغلى الدم فى عروقها وغشى الحقد بصرها ، وحفزها للانقضاض ، فتراجعت خطوة ، وفتحت حقيبتها ، وقبل أن تتنبه فرناند ، أو تتحرك ، أو تستغيث ، صوبت اليها مدام مونكلار فوهة المسدس الذى أخذته من مخدع زوجها ، واطلقت النار وهى تقول :

ـــ ستعلمين أيضا انى من أشجع سيدات باريس!

ولم تكد تتم عبارتها حتى انطلقت صرخة هائلة من صدر فرناند ، وتهاوى جسمها ، وسقط على الارض مضرجا بالدم ، ثم فتح أحد الأبواب فى عنف واندفق منه الخدم ، واحتاطوا بمدام مونكلار ، وأمسكوا بها ، وجعلوا يتصايحون ، فلم تقاومهم ، بل استسلمت لهم فى



هدوء الجبار المنتقم الهادىء المطمئن ، وقالت مشيرة الى الجثة المخضبة بدمائها :

ـــ سلبتنى كل شىء ، فسلبتها حياتها !

وأجالت بصرها الشارد فى جماعة الخدم وأردفت : « سأبقى هنا حتى يفد رجال البوليس ! » وأعطتهم المسدس ، ثم عادت فجلست ، وفتحت حقيبتها وأخرجت منها صورة ارمان ، وجعلت تقبل الصورة وتناجيها وتودعها وقد اغرورقت عيناها فجأة بالدموع !

* * *

وحكم على مدام مونكلار بالسجن عشر سنوات ، وانسحق زوجها تحت همه ، وأرهقته تبكيت الضمير ، فتبدلت أخلاقه ، وتطهرت نفسه ، وانصرف بكليته الى عبادة الله ، وخدمة البؤساء والمحرومين . أما ارمان فقد عاد الى خطيبته بلانش ، وأدرك ما انطوت عليه نفسها من خالص الحب ، فتزوجها بعد بضعة أشهر عملا بوصية والدته ، ونزولا على مشيئة المرأة التى ضحت فى سبيله وفى سبيل والده ، كل شىء !

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

مشكلة الأقليات فى أوربا

هى الشرارة التى توقد نار الحرب القادمة

قد يكون المرء ألمانيا صرفاً أو بولندياً صميماً ، رغم أنه لم يستوطن ألمانيا أو بولندا يوماً ما ... هذه هى الحقيقة الغريبة التى تضطرب من أجلها شعوب أوربا وحكوماتها ، وهذه هى الشرارة الكامنة التى سوف توقد نار الحرب القادمة . فلنعرضها إذاً عرضاً وجيزاً يتناول بعض أطرافها الكبرى

نبدأ بألمانيا : فنجد فى أقصى الجنوب ٣٣٠ر٠٠٠ ألمانى يقيمون فى التيرول الجنوبى من أرض إيطاليا ، ونجد حول بودابست عاصمة رومانيا مدناً وقرى ألمانية صرفة ، ونجد « مستعمرات » ألمانية كثيرة منبثة فى أرجاء دول البلقان المتعددة ، بين ساحل البحر الأسود شرقاً وساحل الادرياتيك غرباً . ثم نجد فى أقصى الشمال أفواجاً من الألمان يستوطنون سيليزيا العليا البولندية ، ونجد أقلية ألمانية تقيم فى أرض الممر البولندى ، ونجد جماعات ألمانية كبيرة منبثة فى أنحاء روسيا وليتوانيا ولاتفيا واستونيا

وقد انبثت هذه الأقليات الألمانية فى شتى النواحى ساعية وراء الاتجار والارتزاق ، أو سائرة فى ركاب الغزاة والفاتحين . فقياصرة روسيا هم الذين أسسوا مستعمرة « الفولجا » الألمانية ، والفرسان التيوتون هم الذين أقاموا المدن والقرى الألمانية فى صميم ترنسلفانيا منذ خمسة قرون ، وأشراف هنغاريا هم الذين أتوا بالألمان إلى أرض رومانيا ويوغوسلافيا فى القرن الثامن عشر

ومع أن هذه الأقليات أتت فى تلك الأقاليم منذ عدة قرون ، إلا أنها ظلت محتفظة بطابعها القومى متميزة من الشعوب التى تعيش بين ظهرانيها ، لأنها أبت أن تخالطها بالزواج والمصاهرة إذ تعد نفسها أطيب منها عنصراً وأرقى منها مستوى

ويلاحظ أن الألمان كانوا آخر الشعوب الأوربية الكبرى فى تحقيق وحدتهم القومية . فمنذ ثلاثة قرون فرقت حروب الثلاثين سنة ألمانيا الحالية وجزأتها أكثر من ثلثمائة مقاطعة مستقلة



الاقليات الألمانية التي تعيش خارج حدود ألمانيا

هل تتقدم ألمانيا خطوات أخرى فى طريقها الى جمع هذه الاقليات تحت لواء الرخ

بأمرها . وقد اتحدت بعض هذه المقاطعات فصار عددها فى عهد نابليون تسعاً وثلاثين مقاطعة . ثم أنقصها بسمارك الى ست وعشرين ، ظل أكثرها مستقلا عن الاتحاد الألمانى استقلالا تاماً إلى أن تولى هتلر أزمتها جميعاً ، فأزال ما بينها من حواجز وسدود ، كان آخرها الحدود الفاصلة بين ألمانيا والنمسا ، فتكونت بذلك الأمة الألمانية الكبرى

والمشكلة الخطيرة التى تواجه أوربا الآن هى : هل تتقدم ألمانيا خطوات أخرى فى طريقها الى جمع شمل الألمان تحت لواء الرخ الاكبر ؟ نظن ذلك إذا لاحظنا هذه الدعاوة الملحة التى تبثها ألمانيا بين أبنائها المشتتين فى الدول الأخرى ، لتثبت فى أذهانهم أن لا يعدوا ألمانيا وطنهم الروحى فحسب ، بل أن يتخذوها حاميتهم وحارستهم من الاجنبي ـ ولو كان هذا الاجنبى هو الشعب الذى يعيشون معه منذ أجيال وقرون

ولم تنشأ مشاكل الأقليات الأوربية من معاهدة فرساى كما يتوهم عامة الناس ، بل انها لترجع الى تلك الأيام العصيبة التى مرت فى أثناء انحلال الامبراطورية الرومانية وانتهائها ، فقد اجتاحت أصقاع أوربا جيوش الهون تحت إمرة الطاغية أتلا ، وأفواج القوط بقيادة رودريك ، وغيرها من الجماعات الجائعة الهائمة التى أخذت تضرب فى أوربا من اقليم الى اقليم سعيا وراء الارض الخصيبة المنتجة .

فنشأت من هذه الهجرات الكبرى ما لا بد أن ينشأ من أقليات تضرب وحدها فى الارض شرقا وغربا ، ومن أقليات أخرى تتخلف عن جماعاتها الكبرى هنا وهناك . وقد حافظت هذه الاقليات على عاداتها وتقاليدها ، وعلى لغاتها ولهجاتها ، وعلى عقائدها ومذاهبها ، فصرنا نرى الآن فى دول أوربا الوسطى والشرقية أخلاف هذه الجماعات متجاورين سويا ، ولكن كل فريق منهم يتكلم لغة خاصة ، ويعبد الله على مذهب معين ، ويتميز من سواه حتى فى عمارة المنازل وزى الملابس . وتبدى هذه الجماعات المتجاورة من دلائل التنافر وأعمال التباغض ما لا يختفى إلا تحت ضغط الحكومات المسيطرة القاهرة

ومما يدل على اضطراب دول أوربا وشعوبها بحشا كل العناصر والاقليات أن البروسيين ليسوا « جرمانا » كما يعتقد أغلب الناس ، بل هم من صميم الصقالبة . وأن البلغار ليسوا « صقالبة » كما هو الرأى الشائع ، بل هم من سلالة المجر . وأن فريقاً كبيراً من يهود أوربا الشرقية المقيمين فى بولندا ورومانيا وهنغاريا وروسيا ليسوا من السلالة السامية ، بل من صميم قبيلة تترية هبطت تلك المناطق فى بدء العصور الوسطى واعتنقت الدين اليهودي منذ ألف سنة

أما عن دول البلقان فكيف يمكن أن تحقق وحدتها القومية ما دامت تضم أشتاتاً من الاقليات المستقلة المتمايزة المتنافرة ؟ ؟ ألسنا نجد هناك أقليات من الصقالبة فى هنغاريا وايطاليا والنمسا . وأقليات من الرومانيين فى يوغوسلافيا وألبانيا ، وأقليات من الالبانيين فى يوغوسلافيا واليونان . فضلا عن أولئك المقدونيين الذين يزعمون فى يوغوسلافيا أنهم يوغوسلاف ، وفى بلغاريا أنهم بلغار ، وفى اليونان أنهم يونان ؟ !

ولتكمل هذه الصورة المعقدة المضطربة يجب أن نذكر أنه فى صميم مقاطعة سكسونيا الالمانية ، وعلى مقربة من برلين ذاتها ، يمتد خط طويل من القرى الصقلبية تسكنها جماعات ما زالت متميزة بلغتها وملبسها وعاداتها من سائر الشعب الالمانى الذى تعيش بينه منذ ألفى سنة ! !

وهكذا نستطيع أن نقول إن أرض أوربا تشبه جلد النمر ، قد انتثرت فيها النقط والبقع التى تمثل الاقليات الاجنبية المشتتة فى أكثر دولها . فمثلا نجد ٧٥٠٫٠٠٠ بولندى يعيشون فى ألمانيا الجنوبية الشرقية ، بينما نجد خمس اقليات مختلفة تعيش فى أرض بولندا ، وهى من اليهود والاوكرانيين والالمان واللتوانيين والروسيين . وكذلك نجد ثلث سويسرا من اللاتين وثلثيها من الجرمان الذين لا يصمون آذانهم عن دعاة ألمانيا الكبرى ، ولا سيما أن بين العناصر التى يتألف منها الشعب السويسرى كثيراً من المنافسة القومية الخطيرة ، تبدو فى رغبة كل منها فى تغليب لغته واقرار سيادتها . وبلجيكا مثل سويسرا ، فنصفها من « الوال » الذين يتكلمون الفرنسية ، ونصفها من « الفلمنك » الذين يتكلمون البلجيكية ، والى جانب هؤلاء وهؤلاء أقلية ألمانية ترنو الى أمها الكبرى . بل ان بريطانيا نفسها تتألف فى الواقع من أربع أقليات بينها شىء

من التنافس الكامن المستور . فان كلا من أهل سكوتلاندة وأهل ويلز ، وأهل انجلترا ، وأهل ايرلندة ، يسعى الى تغليب قوميته الممثلة فى عاداته وأخلاقه ولهجاته

وطالما ظلت أوربا تعانى مشكلة الاقليات هذه ، ظل العالم يسمع اشاعات النزاع والنضال ، منبعثة من الناحية الاقتصادية تارة ، ومن الوجهة العنصرية تارة أخرى ، الى أن يصل الامر الى غايته الطبيعية وهى نار الحرب ، التى تأتى على كل شىء الا على مشكلة الاقليات ، فانها تزداد إثر الحرب خطورة وتعقيداً

[خلاصة مقال بقلم جودفرى لياس فى مجلة « كريستيان سينس مونيتور »]

٠٠٠ر٥٠٠ر١٦ نسمة

مجموع الاقليات الاورية

بولندة : عدد سكانها ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٢ نسمة. ٣٠ فى المائة من مجموع السكان يتألف من أقليات. ٠٠٠ر٣٠٠ر٤ من الاوكرانيين (أوكرانيا تقول إن لها من سكان بولندة ٠٠٠ر٠٠٠ر٧) ١٩٤ر٠٥٩ر١ من الالمان ، والباقى من التوانيين والروسيين والتشك

رومانيا : عددسكانها ٠٠٠ر٠٠٠ر١٨ نسمة. ٢٥ فى المائة من مجموع السكان يتألف من أقليات تعدادها ٠٠٠ر٥٠٠ر٤ موزعة هكذا : ٧١٧ر٢٨٦ر١ من الهنغاريين ، ٦٤٥ر٧٧٤ من الالمان ، والباقي من الروتانيين والبلغار

يوجوسلافيا : الأقليات فيها يكونون ١٥ فى المائة من مجموع السكان . وهم موزعون هكذا : ٣٢٦ر٤٩٩ من الالمان ، ١٨٥ر٤٦٨ من الهنغاريين ، ٤٨٢ر١٧٦ من التشك والسلوفاك والايطاليين والروسيين والروتانيين والبولنديين والبلغار

هنغاريا : فيها ٠٠٠ر٥٠٠ من الالمان ، وأكثر من ٠٠٠ر١٠٠ من السلوفاك وكذلك عشرات الآلاف من الصرب والكروات والرومانيين والروتانيين

ايطاليا : فيها ٠٠٠ر٢٥٧ ألمانى ٠٠٠ر٥٠٠ من السلاف والكروات وقد ارتضت ألمانيا أن تترك يد ايطاليا حرة فى صبغ هذه الأقلية الالمانية بالصبغة الايطالية كيف تشاء

ألمانيا : تقدر احصاءاتها الرسمية أن ٢ فى المائة من مجموع السكان يمثلون أقليات أجنبية . ففيها ٠٠٠ر٨٠٠ بولندى (وبولندة تقدر أبناءها فى ألمانيا بمليون ومائتى الف نسمة) و ٠٠٠ر٦٢ من التشك و ٠٠٠ر٨٠ من السلاف بخلاف عدد من البلجيكيين والتوانيين

[من كتاب : « خانو تشيكوسلوفاكيا » تأليف ج . ج . جورج]

الحرب

وهل تساعد على تقدم البشرية ؟

هل تساعد الحرب على تقدم البشرية ، وهل هى تضاعف ثروات الشعوب وعددها وأسباب رخائها ومدى رقيها الثقافى وعبقريتها الانسانية ؟

نعم ولا .

لقد نشبت حروب ساعدت على تقدم الحضارة ، ونشبت حروب زعزعت صروح الحضارة من الأعماق وابتلت الأمة المحاربة بشر الكوارث

فروما قضت على قرطاجة وعلى الممالك التى نشأت من فتوحات الاسكندر وعلى حكومات سوريا ومصر وغيرها ، ولكن انهيار هذه الدول أصاب روما نفسها بسلسلة أزمات داخلية مروعة . وكانت روما كلما ازدادت فتوحاتها ، وازداد عدد البلدان الخاضعة لها ، تضاعف شعورها بالعجز عن توكيد سلطانها على ممتلكاتها ، وعن حكم هذه الممتلكات حكما يحرر الامبراطورية من عوامل الاضطراب والفوضى

ومع ذلك فبعد انقضاء ٣٠ سنة على حكم قيصر اغسطس ، وبعد أن وطد هذا القيصر أنظمة الحكم ، ورد الى الجمهورية دستورها تحت اشرافه ، ساد السلم ، وعم الرخاء ، وتحضرت بلاد الغال ، وأصبح البحر المتوسط طريقا تجاريا حرا ، وازدهرت الزراعة والتجارة والصناعة فى الشرق والغرب على السواء

فهل معنى ذلك أن حروب الرومان ساعدت على تقدم البشرية واحتفظت بمجد روما ؟

ان تاريخ القرن الثالث يشهد بعكس ذلك

وإذن فالحرب قد تخدم الحضارة ردحا من الزمن ، وقد ترجع بها القهقرى . لماذا ؟ . لأن الحرب فى الواقع قوة تقضى على حالة من حالات التوازن القائمة . فاذا كانت أمة من الأمم مثلا تشعر أن توازن نظام الحكم فيها ، أو توازن أنظمتها الاجتماعية والاقتصادية ، يحول بينها وبين اظهار قواها المدخرة ، ويحبس هذه القوى العظيمة ويقيدها ، فالحرب التى تهدم هذا التوازن التقليدى الجامد ، قد تطلق القوى النامية من عقالها وقد تظهر مقدرة الشعب على التقدم وقد تساعد على رقى البشرية

واذا كانت الأمة لا تشعر بأن توازنها الاجتماعى والاقتصادى ، يغل قوى أبنائها ، ويحبس مواهبهم ، ويقيد استعداداتهم وملكاتهم ، فالحرب التى تهدم هذا التوازن الصالح لا بد أن تفضى الى تدهور الامة وانحطاطها

ولقد كانت حروب الثورة الفرنسية وحروب نابليون هى الأسباب الرئيسية فى الرق الصناعى الذى نتمتع به اليوم . لماذا ؟ لأن هذه الحروب هدمت التوازن الجامد القديم وكانت شبه منصرف لقوى نفسية مدخرة ولرغبة عامة مكبوتة ترمى الى حياة أكثر حرية ، وأكثر متعة

ولقد تجلت هذه الحياة التى كانت تنشدها الجماهير ويحلم بها العلماء فى الرق الصناعى والعلمى ، فى الآلات البخارية التى غزت القرى ، فى ظهور الديموقراطيات الحديثة بجيوشها الهائلة وثرواتها التى لا حد لها

ولكن هل يساوى هذا النصر المادى المجرد ، تلك القوى الروحية القديمة التى أجهزت عليها حروب الثورة الفرنسية وحروب نابليون ؟

الحق ان الحرب الكبرى ضاعفت سلطان القوى المادية فى أوربا ، فتضخم النشاط الصناعى ، وتدهور النظام العائلى ، وتحللت الاخلاق ، وشاع فى الناس جنون الترف ، وراجت نزعات الاباحية الجنسية ، ودبت الافكار الثورية فى العقول والقلوب ، فانتهزت الدول التى خرجت من الحرب الكبرى فاشلة أو مهزومة فرصة هذا الاضطراب ، فأعلنت الديكتاتورية ، وارتدت الى الوراء عدة قرون ، وجاهرت بعدائها للمبادىء الحرة التى أعلنتها الثورة الفرنسية ، ثم وحدت قواها ، وضمت صفوفها وصارحت بالرغبة فى الحرب . لماذا ؟ لأن التوازن الحاضر أصبح لا يكفيها ولا يتفق والقوى الجديدة التى حشدتها الديكتاتورية فى صدور أبنائها

ولقد أدرك الساسة الديموقراطيون هذه الحقيقة فافسحوا للديكتاتوريات بعض المجال ووهبوها بعض المنح ونزلوا لها عن بعض الممتلكات ، ليتم لها التوازن الجديد الذى تنشده فلا تعود تحلم بتحقيقه من طريق الحرب

وهذا هو فوز العقل الحكيم على الرغبة العاطفية الجامحة . فالتوازن الجامد العتيق يولد حربا قد تكون صالحة وقد تساعد على تقدم الأمة وبالتالى على تقدم الحضارة . ولكن من ذا الذى فى وسعه أن يضمن نتائج أية حرب . ولذلك تقضى الحكمة السياسية ، وتقضى مصلحة البشرية فى هذه الحقبة الرائعة من تحضرها ، أن يفكر الساسة فى اقرار نوع من التوازن السليم فى كل أمة ، نوع من التوازن يتفق مع قوى الأمة ومؤهلاتها ، وحاجاتها الطبيعية ، وحقها المشروع فى الحياة بحيث لا تطغى على حقوق غيرها ، ولا تشعر بضعف أو ذل أو فقر لا يتناسب مع حالتها الجديدة ومع شروط التوازن السليم الذى تطمح اليه

هذا هو السلم الخصب الذى يعود على العالم باضعاف ما تعود عليه أية حرب موفقة ، تحمل فى تضاعيفها خيراً تهدده الأيام وقد يعصف به الزمن

[خلاصة مقال للمؤرخ فريرو عن مجلة « العصر الجديد »]

فرعون ينتحر !

هل كانت حياة الفراعنة مأساة ألجمة ؟



رمسيس الأكبر الذي جدد له السحرة شبابه ليتفادى القتل في إبان شبابه

هل خالجك يوما شعور الأسى على أولئك الفراعنة العظام العتاة ؟ كلا ! ولكن أحد علماء التاريخ المصري القديم كشف أخيراً عن مآس فاجعة ألمت بكثير من أولئك الفراعنة ، فأحالت حياتهم جحيما موقداً . . ذلك انه كان مفروضاً ألا يتربع فرعون على العرش أكثر من سبع — أو تسع — سنوات ، ثم تقضي عليه العقائد الدينية حينذاك بأن يدع دنيا الأحياء إلى عالم الموتى !

وهذا العالم الأثري هو « ج . ا . وينرايت » من مفتشي مصلحة الآثار المصرية السابقين . فقد أمضى السنين الطويلة يدرس ويبحث أحداث التاريخ ، وتعاليم الدين ، وخرافات العامة في تلك العصور الخالية ، فانتهى الى نتائج تكشف بعض النواحي المستورة ، وتعلل بعض الحركات الخطيرة ، التي وقعت في ثنايا التاريخ المصري

وخلاصة هذه النتائج ان فرعون كان يحيا حياة من ظاهرها السطوة والنعيم ، ومن باطنها الشقوة والعذاب . فهو يتراءى محفوفا بأسباب السلطة المطلقة والكلمة الحاسمة ، فأما مه تحنى كل قامة وتخفض كل هامة ، وبين يديه ملايين البشر يلبون إشارة من بنانه ، ويزحفون الى الحرب ليثبتوا قدمه ويذيعوا صيته ، ويتكاتفون جميعاً ليقيموا تمثالا يخلده أو قبراً يواريه . وهو في أثناء هذا يعيش عيشة الرفه المسرفة ، في قصر جمع أسباب البذخ كلها ، وقد انتثرت في أرجاء وادي النيل العمائر الضخمة والتماثيل الرائعة تحدث الناس حقا أو زوراً عن أمجاده ومآثره

ولكن هذه المظاهر الآسرة كانت تخفي وراءها آلاماً بئيسة ، مصدرها عقيدة غريبة من عقائد الديانة المصرية

كان الناس يعتقدون أن لفرعون قدرة إلهية كبرى ، ولكنها تضمحل وتتضاءل كلما مرت

عليها الايام ، فاذا أراد أن يورثها خلفه كاملة وافية وجب عليه ألا يتربع على العرش طويلا

وتبدو هذه العقيدة غريبة شاذة ، ولكن « ويترايت » وجد مثلها فى كثير من البلاد القديمة والحديثة . فبعض قبائل أوغندة فى وسط أفريقيا تتطلب من زعيمها أن ينتحر اذا قضى فى زعامتها فترة معينة ، وكذلك كان الزعيم الدينى فى بعض نواحى ايطاليا القديمة يذبح إذا أسن بيد عبده الرقيق ، وفى بروسيا القديمة كان الملك المقدس يوقد بيديه كومة الخشب التى تعد لاحراق جثمانه !

وهكذا كان من تقاليد الديانة المصرية الاولى أن تنتهى حياة فرعون باحراقه ، وهناك فى آثار مصر قصص شتى عن كثير من الملوك الذين قضى عليهم بهذا القضاء الفاجع . وهذه القصص ليست ترهات تساق كيفما كان ، بل هى أسانيد وثيقة ضمت دقائق الديانة المصرية القديمة ، وما كانت تجر على معتنقيها من خطوب وأهوال

فمن الفراعنة الذين قاسوا قضاء هذه العقيدة « منقرع » أحد بناة الاهرام . فانه لم يلبث على العرش سوى سبعة أعوام أرغم فى نهايتها على أن يقضى على حياته بيديه ، وقد شكا أمره الى رجال الدين ليمهلوا حتفه بضع سنين ، فقد كان فى إبان حياته ، ولكنهم لم يرحموه رغم أنه كان مخلصاً لدينه مؤديا قرابينه ، وقد ضاعت حياة « منقرع » فى مستهلها لأنه كان واهن العزيمة تجاه كهنته الأقوياء ، أما سلفاه الحازمان « خوفو » و « خفرع » فقد ثارا بهذه العقائد وبهؤلاء الكهان ، وأبيا عليهم مثل هذه التضحية الكبيرة ، فعاشا كل عمرهما غير عابثين

ولم يكن جمال الملكات شفاعة مقبولة عند رجال الدين . فهذه « نيتكوريس » ذات الشعر الذهبى والخدود المتوردة ، قد تبوأت عرش مصر بعد أخيها الذى ثار عليه المصريون وذبحوه ، فلم تلبث أن قادت الجيش الى معارك النصر ، ولم تلبث ان انتقمت ممن ثاروا على أخيها القتيل ، ولكن هذا لم يجدها شيئا عند ما أمضت فى الحكم سبع سنوات ، بل اضطرت الى ان تنتبذ حجرة ملئت حطباً وهشيا لتلقى فى ناره حتفها الرهيب

ولكن لما انقضى عصر بناة الاهرام بدأ الفراعنة يتفادون هذا المصير الفاجع بما يأتون من تأويل وتخريج لقواعد الدين ومراسمه ، فظهرت وسائل مختلفة أمكن الفراعنة بها أن يؤجلوا لقاء الموت بضع سنين ، أو أن يستبدلوا أنفسهم بضحايا آخرين . فمن ذلك أن يجدد فرعون شبابه بوسائل السحرة الماهرين ، وهذا ما لجأ اليه رمسيس الاكبر ، أو أن يقنع الناس بان هذه التضحية تغنى عنها تضحية أحد تابعيه ، أو تقديم قربان من الحيوان ، أو أن يمثل دور الموت تمثيلا فحسب ، ثم يبقى بعد ذلك حياً الى أن يستوفى أيامه كلها

أما الفراعنة المتأخرون فقد نجوا من هذه النهاية القاسية ، إذ جاءوا حينما اضمحل الدين القديم وانزوت عقائده الغريبة . وظهرت ديانة جديدة تقوم على عبادة « رع » إله الشمس الذى لم يكن

يحرم فرعون من الجلوس على العرش مدى حياته ، وان كان لأحد كهانه أن يرسل أمر الموت وقتما يشاء . وهذا ما يحمل « وينرايت » على أن ينظر الى هـذه الثورة الدينية الخطيرة التى قام بها « اخناتون » نظرة جديدة فى ضوء نتائجه المبتكرة

رأى هذا الملك الشاعر ان يقضى على ذلك الجمع الغفير من الآلهة والأرباب ، وأن يستبدلهم بإله واحد يتمثل فى قرص الشمس ، فزعم الكثيرون ان اخناتون كان يصدر فى هذا عن فكرة مثالية عليا لعلها من قبيل الرؤى الروحية السامية . ولكن وينريت يرى ان الامر لم يكن الا نتيجة ما استولى على اخناتون من الفزع الرهيب ، كلما تذكر أن فى وسع أحد كهان « رع » ان يرغمه على الموت وقتما يشاء . يدلنا على ذلك انه أفرغ أشد غضبه وأقصى سخطه على رجل واحد من رجال الدين القديم ، هو ذلك الكاهن الذى كان له وحده أن يصدر عليه حكم الموت

ولم تنجح ثورة اخناتون فى هدم الدين القديم ، وأخفقت كما أخفقت ثورة خوفو وخفرع من قبل ، وأعقبه توت عنخ امون الذى ارتد الى دين « أمون » واتخذ اسمه . وهنا يلاحظ « وينرايت » أن هذا الملك الشاب مات بعد أن تبوأ على العرش تسع سنوات ، وبعد أن اعتنق دين آمون سبع سنوات ! فهل كان هذا الموت الباكر قضاء أصدره الكهان ، أم نتيجة ما استقر فى ذهنه من احياء الدين وتأثيره ؟ ؟ وسواء كان هذا أو ذاك فقد نجا توت عنخ أمون من الموت حريقا ، وهى غاية كان يسعى اليها كثير من الفراعنة ويتمنونها !

وقد ظلت هذه العقيدة قائمة الى سنة ٧١٢ ق . م . حين نرى الملك « بوخوريس » ، يموت محروقا بعد ان أمضى على العرش سبع سنوات ، وكان هذا بعد ان أغار الليبيون على مصر واستولوا على عرشها ، إذ من المحتمل انهم بعثوا الديانة القديمة وأحيوها ، فان ليبيا هى مهد هذه العقيدة الشاذة ومصدرها

وفى مصر الآن من رأى مشهداً يمثل هذه العقيدة المصرية الغابرة . فمنذ ستين عاما كانت قرى صعيد مصر تقيم فى بدء السنة القبطية مهرجانا يرتدى فيه أحد القرويين ملابس ملك هزلى يدعى « أبو نروز » أى « أبو العام الجديد » ويستمر هذا المهرجان ثلاثة أيام ثم يخلع القروى ملابس الملك ويلقيها فى النار ، فاذا احترقت برز القروى فى موضع رمادها بملابسه العادية الجديدة . وهذه العادة تمثل ـ فى رأى وينرايت ـ آخر درجة من درجات تطور تلك العقيدة الدينية القديمة التى عاناها كثير من الفراعنة الجبابرة

[خلاصة مقال بقلم اميلى دبفيز فى مجلة « رسالة الاخبار العلمية »]

التاريخ يعيد نفسه

أو من القرد الى الدكتاتور



كأنها تحية الفاشستية تقدمها جماعات الانسان الشبيه بالقرد !

هذا عصر الرجل العظيم ، بل عصر الانسان الكامل ، إذ ما عسى أن يكون « الديكتاتور » إن لم يكن مثل الرجولة الأعلى ؟ فهو يتقدم ويقود والقطيع يتبعه ويسير ، وهو يأمر وينهى والشعب يسمع ويطيع ، وهو الذى يعرف كل شيء ، فيحلل ويبيح ما يريد ، ويحرم ويمنع ما يشاء ، وهو الذى يضع قوانين « القبيلة » ويفرضها ، ويملك قوات الدولة ويصرفها. وفى الدول التى يسودها نظمت حياة الأفراد تنظيما دقيقاً يتناول — كما يقولون — آخر شعرة فى لحية الرجال ، وفى حاجب المرأة ! فليس للرجال والنساء أن ينطقوا إلا بصوت واحد ، ولا أن يتكلموا إلا بلفظ معين ، كأن يقولوا مثلا: « هيل هتلر ! » أو « فيفا دوتشى ! » . فشطر كبير من رجال العالم ونسائه لم يعد مؤلفاً من أفراد مستقلين بأمرهم متميزين بشخصيتهم ، بل صار قبيلة كبيرة يندمج فيها الأفراد جميعاً على حد سواء

وهكذا تسير الحياة فى هذه البلاد على نسق واحد يبث السأم ويثير الضيق — اذا استثنينا ما نجده من التغيير والطرافة فى معسكرات الاعتقال فى ألمانيا ، وسجون جزائر البحر الأبيض المتوسط فى ايطاليا ، ومعاقل التعذيب وسط ثلوج الشمال فى روسيا ، وما شاكل ذلك من ساحات تقطع فيها الرقاب ، وفرق تفوّق الرصاص الى الصدور . ولا ننكر أننا نجد الى جانب ذلك — الكتائب المصفوفة ، والمظاهرات المنظمة ، والشكات الرسمية التى يتزين بها الجميع ، ونسمع الخطب اللاسلكية المدوية التى يهدر بها الديكتاتور يوماً فيوماً

فلو هبط برلين أو رومة أحد سكان عطارد لحسب أن ما يدين به الناس هناك من عبادة « القبيلة » و « الزعيم » أمر جديد ووضع مبتكر . أما نحن فنعرف ان لا جديد تحت الشمس ،

وأن التاريخ يعيد نفسه ، فهذا الذى نشهده اليوم قد رآه أجدادنا فيما مضى . نعم رأوه ولكن لا منذ مئات السنين أو آلافها ، بل قبل أن يبدأ التاريخ . أى منذ كان الانسان «شبه انسان» يجتاز مرحلة التطور بين القرد الأعلى والانسان الأدنى !

فمنذ مليون سنة بدأت احدى سلالات القرد تتطور تطوراً بطيئاً وئيداً انتهى بانجاب «الانسان الشبيه بالقرد» الذى ظهر على الأرض منذ نحو ٢٠٠,٠٠٠ سنة ، وامتاز عن أجداده بقدرته على التفكير والابتكار ، وعلى النطق والكلام ، وعلى المشى منتصباً على قدميه وحدهما !

والدم الذى يسرى فى عروقنا الآن شبيه بالدم الذى كان يسرى فى عرق «الانسان الشبيه بالقرد» فان دمنا يختلف اختلافا تاما عن دم الكلب أو الخروف ، ولكنه لا يكاد يختلف عن دم الشمبانزى ، مما يدل على أنه منشؤنا ومبدؤنا ، وقد كان الانسان الشبيه بالقرد يعيش كما يعيش الانسان الحالى فى جماعات منظمة ، أى فى قبائل مستقلة ، وكان يتسلح بالعصى والأحجار ، وتؤلف كل جماعة عصابة من اللصوص والقتلة تخشى الجماعات الأخرى بأسها وأذاها . وقد أبانت دراسة هذا الانسان ان المجتمع الذى كان يعيش فيه يشبه شبهاً كبيراً المجتمع الذى يقوم الآن فى الدول الديكتاتورية . والواقع أننا نستطيع أن نجد نواة الحكم الديكتاتورى فى أسلوب الحياة الاجتماعية فى تلك العصور التى سبقت التاريخ بعشرات الآلاف من السنين

فكان كل مجتمع حينذاك يكره مبادىء كل مجتمع سواه ، وينقم على كل فرد وكل شىء خارج نطاق قبيلته ، وكان ما بين أفراد القبيلة من الفوارق يمحى ويزال قسراً وكرهاً ، ويوضع الجميع على حد سواء خداما للقبيلة وزعيمها . وكذلك كان هناك ما نراه اليوم من كراهة الأجنبى واضطهاد الغريب ، ولم يكن الزعيم الذى يتبعه الانسان الشبيه بالقرد - إلا كالدكتاتور الحديث - ممتازاً بعصاه الغليظة وبصوته الجهير

ولم يكن أجدادنا هؤلاء يكلفون بشىء قدر كلفهم بالأزياء والمظاهر ، فكانوا يعلقون ذيولا من النباتات المتسلقة ، ويطوقون أعناقهم بأكاليل الأعشاب الطويلة ، ويتزينون بقطع العظام والصخور المنحوتة ، فاذا ما أخذوا زينتهم على هذا النسق بدأوا يسيرون زرافات بنسبة منظمة مرتبة ، تبدأ بخطى متمهلة رزينة ، ثم تسرع وتتسع شيئاً فشيئاً حتى تصير قفزاً عالياً ووثباً خفيفاً

وهكذا نرى القواعد الرسمية ، والمظاهرات العامة ، و « خطوات الأوزة » التى تخطر بها كتائب الدول الديكتاتورية ليست إلا إحياء لما كان يقوم به الانسان القرد فى قديم الزمان

وكذلك كانت قبائل تلك العهود تتعصب ضد القبائل الأجنبية منها وتضطهدها وتؤذيها ، فاذا هاجرت إحدى القبائل الى أرض قبيلة أخرى ، عانت هناك كل ضروب العسف والبغى والقتل . ومما وقع من حوادث الاضطهاد فى تلك العصور السحيقة أن نوعاً من أنواع الانسان الشبيه بالقرد يعرف بجنس «نياندرتال» نسبة الى منطقة فى المانيا الغربية حيث وجدت احدى هياكله العظمية ،



منذ ٢٠٠,٠٠٠ سنة كانت هناك كتائب مصفوفة ومظاهرات عامة كهذه التي تشهدها اليوم في روما وبرلين وموسكو ! . .

قد أفنى وأباد جنساً انسانياً كاملا وقع بين براثنه ، رغم أنه كان أرق منه عقلا وأوفر ذكاء ، ثم لم يلبث هذا الجنس أن زال من الأرض منذ عهد بعيد ، وإن ظلت اكثر مشاعره وآرائه باقية حتى يومنا هذا تعمر أذهان فريق كبير من المعاصرين . وقد بادت أجناس بشرية كثيرة في تلك العصور ـ نتيجة ما لاقت من عسف واضطهاد وحروب أتت عليها ـ رغم أن عدة القتال حينذاك لم تكن قنابل وسموما بل عصياً وأحجاراً ، وهكذا ، نجد أن الانسان القرد وان كان قد تطور فصار انساناً سوياً ، الا أن مشاعره وخصاله ما زالت باقية على طبيعتها الأولى

ولم يكتف العلماء بدراسة « الحلقات المفقودة » بل تراجعوا الى الوراء ليدرسوا القرود ذاتها فراعهم أن يجدوا وجوه تشابه كثيرة بينها وبيننا ، إذ أن القرود مجتمعة لا تكاد تفترق في خصالها وأساليبها وأنظمتها عن الناس مجتمعين سوياً

فاذا هاجم قرود القبيلة أحد الاجانب ، ثارت القبيلة كلها دفعة واحدة ثورة هوجاء ، وراحت تنبح نباحاً واحداً وتعوى عواء منكراً ، وكلما علا صوتها واشتد صراخها ، هاجت ثورتها وتميز غيظها ، وتظل هكذا حتى ينال منها الجهد وينهكها العناء . فان أرادت أغلبية القبيلة أن تجنح للهدوء وتركن للمسالمة ، قام بضعة قرود فيها ـ مهمتها أن تستفز حقدها وتثير بغضاءها وتحرضها على القتال والانتقام ـ فلا تلبث القرود المسالمة أن تندفع وراء القرود المشاغبة ناقمة حاقدة ثائرة هائجة ، دون أن تدرى داعياً للنقمة أو حافزاً للثورة

واذا وجدت قرود القبيلة قرداً أجنبياً بينها ، هب زعماؤها داعين الى إذلاله وايذائه ، فلا ينتهى الأمر إلا بقتله أو بطرده

أليس من الحق إذن أن نقول إن الانسان الحديث قد سئم المدنية وملها ، فراح في كثير من أنحاء العالم يكر راجعاً الى الوراء الغابر ، ساريا في ظلام الماضي السحيق ؟ ؟

[خلاصة مقال للدكتور ر . د . تشارك في مجلة «ذى باسنج شو»]

مدينة الغد

أو المدينة الفاضلة كما يتخيلها الامريكيون

[أضيفت الى المدن الفاضلة التي تخيلها الفلاسفة الحالمون أمثال أفلاطون والفارابى وويلز ، « مدينة الغد » التى أنشئت فى معرض نيويورك العالمى نموذجاً لمدن المستقبل المثلى . وهذه صورة عامة لهذه المدينة التى قد تتبين من أسلوب انشائها ونظام حياتها جانباً من العقلية الامريكية التى تنأى عن الحلم والخيال وتتجه الى الواقع والمادة]

تتألف « مدينة الغد » من « مركز » تقوم فيه منشآتها وملاهيها العامة ، ومن « ضواحٍ » تنتشر فيها مساكن أهلها ومصانعها الكبرى

وتسكن كل أسرة فيها بيتاً نائياً فى إحدى ضواحيها . ويضم كل بيت ثلاث حجرات جميلة للجلوس وللأكل وللنوم وقد زخرفت جدرانها وسقوفها بزخارف أنيقة بسيطة . والغرف الثلاث تواجه حديقة البيت الشذية البهيجة ، التى يتوسطها حوض للسباحة وفناء يلعب فيه الاطفال . ومع هذا فلكل بيت طرازه الخاص ومظهره المستقل ، فلا تجد فى الشارع بيتين متشابهين ، مما يوحى الى سكانه أن لهم طابعاً معيناً وشخصية مفردة



نموذج مصغر لمدينة المستقبل فى معرض نيويورك

ويستيقظ أهل المدينة صباحاً فيطلون من نوافذ بيوتهم على أشجار وارفة وأعشاب ناضرة . ويخرج الرجل باطفاله إلى المدارس آمنين حوادث الطريق ، لأنهم لا يجتازون طريقاً تجرى فيه العربات والمركبات . ثم تخرج الزوجة الى السوق سائرة وسط حديقة عطرة تمتد حول المدينة وفى أنحائها ، وتذهب لتشترى حاجات البيت من المتاجر التى أقيمت وسط متنزهات جميلة منسقة . وإذا أرادت أن تركب سيارتها فلن تخشى أن تصدم أحداً من السابلة ، لأن أهم ما روعى فى تصميم الشوارع والمبانى هو أن يختص المشاة بطرق غير الطرق التى تجرى فيها العربات

وفى كل ضاحية سوق يؤمها فلاحو المدينة ليبيعوا ما أنتجت حدائقهم ومزارعهم . ولهذا

لن يأكل أهل « مدينة الغد » لحماً مجففاً أو فاكهة محفوظة ، بل يتناولون كل يوم طعاماً طازجاً شهياً . ولن يزينوا بيوتهم بازهار صناعية ، بل بأزهار تبللها قطرات الندى

ونحن نبدل الملابس التى نرتديها بملابس نظيفة ، أما أهل هذه المدينة فيبدلونها بملابس جديدة فقد ابتكروا نوعاً من القماش لا يلبس سوى مرة واحدة ، وبذلك لا يلبسون الا الجديد القشيب . وهذه الملابس تهيء الاجسام ما تتطلبه من درجات الحرارة ، إذ يسرى فيها تيار كهربائى يبث فيها من البرد أو من الدفء ما يلائم ساعات اليوم وتغيرات الفصول . وهى ملابس مهلهلة فضفاضة ولكنها أنيقة متسقة وزاهية جذابة . هذا ولن يضطر المرء فى مدينة المستقبل الى أن يتعرض للجو العاصف المطير ، ولكن ملابس أهلها تقى من البلل والرطوبة من يريد أن يسير تحت المطر ابتغاء الصحة أو النزهة . ومع ما يتوافر فيها من المميزات الجمة فانها أرخص من ملابسنا ثمناً

ولا ترتفع أبنية المدينة كثيراً ، فيما عدا بناء واحد يتوسطها اسمه « الديموقراطية » ، وتشغله حكومة المدينة ومصالحها العامة . وكذلك تتباعد مبانيها بعضاً عن بعض مسافات طويلة ، فتشرق منازلها ومصانعها ومتاجرها باضواء النهار ، بدلا من ان تضاء بالكهرباء كما هو الشأن فى كثير من الاحياء المزدحمة فى المدن الكبرى

وقد انتشرت منازل المدينة فى أرجاء نواحيها وعلى امتداد غدرانها . وكذلك أقيمت فنادق المدينة على حافتها المشرفة على المزارع والبساتين الناضرة . أما مصانعها ومتاجرها ومكاتبها فتطل على الأراضى الخضراء التى تكتنف المدينة وتتخلل انحاءها . وقد دهنت جدرانها بالوان زاهية لاتتعب الأعين ولا تهيج الأعصاب . وهكذا يرى الناس أمامهم طول النهار خضرة ناضرة ، وضوءاً مشرقاً ، ومشهداً جميلا بهيجا . وأجمل ما تكون المدينة اذا أقبل الليل وتوهجت مبانيها وميادينها وتماثيلها تحت ما ينصب عليها من أضواء ساطعة البياض ، وأضواء أخاذة الألوان

ونحن الآن نحيا حياتين : حياة العمل وحياة البيت . أما أهل هذه المدينة فقد أضافوا حياة ثالثة هى حياة اللعب ، أى الحياة التى يقصد منها الى تنمية الجسم وتقويم العقل وتهذيب الخلق عن طريق اللهو والراحة ، وبذلك كان أهلها أرق منا ذوقا وأدق شعوراً وأحسن تقديراً ، فهم مثلا لا يدعون الراديو حين يذيع سيمفونية موسيقية لبيتهوفن ، كما يفعل اليوم أكثرنا لأن ثقافتنا لا تيسر لنا فهمها وقدرها كما ينبغى لها

وقد اجتنبت هذه المدينة « فكرة السرعة » التى تسيطر على أعمالنا وأنظمتنا وتملك علينا أذهاننا وأعصابنا ، ومكنت المدينة لأهلها كثيراً من أوقات الفراغ الهادئة الوادعة الجميلة ، وأنشأت فيها بناء فسيحاً هو « بيت الفراغ » حيث يقضى أهل المدينة فترة من اليوم يلهون فيها سويا ، لهواً كله نفع وخير ، إذ يجعلهم أصح منا أبدانا ، وأقوى أعصابا ، وكذلك أكثر منا رضى بالحياة واطمئنانا الى هذه الدنيا . والحياة الخلقية فى المدينة هادئة راضية ، لأن أهلها لا يكدون كثيراً ولا

يشكون أمراً مهماً ، ولهذا لا تحتاج - على سعتها - إلى أكثر من مائة شرطى

وكذلك انتفت منها أسباب الاجرام ، لأن المساكن الضيقة المعتمة هى البؤرة التى يتربى فيها المجرمون ، وليس فى هذه المدينة مسكن واحد يضيق بأهله ، أو لا يتدفق اليه الضوء والهواء

وكذلك لا تحتاج المدينة الى فرقة كبيرة من رجال مطافىء الحريق ، لأن مبانيها مقامة من مواد لا تقبل الالتهاب ، ولأن فى وسع كل سيدة أن تطفىء ما قد يشب فى بيتها من النار، إذا هى ضغطت زراً كهربائياً فيتفجر الغاز الذى يخمد النار توا

هذا هو النموذج الذى وضع فى معرض نيويورك لمدينة المستقبل ، وقد تعاون على اخراجه جماعة من الاخصائيين فى فن تخطيط المدن وهندسة البناء ، فأبدعوا هذه المدينة التي لا تعد حلماً يتعذر تحقيقه ، وخيالا نسرح فى رحابه ، بل الصورة التى ينبغى ، والتى يتيسر أن تكون عليها مدننا فى الوقت الحاضر ، اذا انصرفت أفكارنا إلى استغلال حضارتنا ، وتجميل حياتنا

[خلاصة مقال لهنرى دريفوس في مجلة « بوبيولار ميكانيكس »]

عادة الختان ومعناها الاجتماعى

عند بعض القبائل المتوحشة

تتخذ عادة الختان عند بعض القبائل المتوحشة فى أفريقا الوسطى أهمية كبيرة ، نظراً للعلاقة الوثيقة التى تؤلف بينها وبين فكرة الرجولة ، فالصبى عندهم يظل رقماً غامضاً بين الصفوف ، وقوة نامية مبهمة تعيش عالة على الغير ، حتى يدرك سن البلوغ ، وعندئذ تتجه اليه أنظار القبيلة وتعقد عليه الآمال وتدمجه فى هيئة المجتمع وتقرر هذا الادماج بعملية الختان

والختان فى عرفهم يقدس الواجبات المفروضة على الفتى اليافع ، ويشعره بخطورتها ، ويرفعه الى مصاف الرجولة ، ويخوله حق التمتع بالمرأة والحب

ولكنه لكى يصبح جديراً بحمل هذه المسئوليات ، والتمتع بنعيم الحب والأبوة ، يجب أن يشعر بالألم ، يجب أن يتعذب فى صميم بدنه ، ويجب أن تنزف كمية من دمه ، ويجب أن يصبر على التجربة ويحتملها باسماً ، ويدرك أن التضحية الشخصية هىأساس كل عمل مجيد فى هذه الحياة

فكأن عملية الختان تفصل بين ماضيه وحاضره ، وبين حاضره ومستقبله ، وتبعثه فى عالم جديد ، وتهيئه لاقتحام طريق الرجولة والجهاد . ومن عادة تلك القبائل ولا سيا قبائل أوبانجى ، أن تجرى عملية الختان لطائفة من الذكور يجتمعون فى صعيد واحد وفى شبه سهل فسيح

فبعد إجراء العملية ، يساق الذكور الى ضاحية بعيدة ، وتفرض عليهم حياة قاسية ، تمتحن بها

قوى رجولتهم . ففى تلك الناحية يسود الصمت العميق ، ويحرم الكلام ، وتفرض العقوبات الصارمة على كل من ينبس بكلمة ، ويتبارى المختتنون فى القيام باعمال شاقة مجهدة ، وفى إبراز ما تكنه نفوسهم من صفوة فضائل الصبر والطاعة والاحتمال

وبعد هذه التجربة الأولى ، توقع عليهم التجربة الثانية ، فيتقدم بعض الكبار وفى أيديهم سياط من جلد ويشرعون فى جلد الشبان ، جلداً متعاقباً شديداً

ويلاحظ أن الغرض من الجلد هو طرد الروح الشريرة التى تعتقد تلك القبائل أنها تسكن أجسام الفتيان ، وتجردهم من الفضائل التى أودعتها الطبيعة فيهم منذ ساعة الميلاد

فكأن العقيدة المتسلطة على أذهان زعماء تلك القبائل ، هى أن الانسان يولد صالحا ، وأن الحياة هى التى تفسده بأرواحها الشريرة المندسة فى كل مكان . ولذلك يستخدم الجلد لطرد تلك الارواح وتطهير الشاب منها ورده الى طبيعته الخيرة الأولى

فالمقصود بالجلد إذن هى الروح الخبيثة لا الشاب نفسه ، وهذا هو السر فى امعان الكبار فى الضرب والتعذيب دون شفقة . وأما التجربة الثالثة فشبه دينية ، وتدخل فى باب الطقوس الشكلية المحضة ويراد بها اقرار حالة التطهر والاحتفاظ بقداستها

وتنحصر فى اجتماع المختتنين وذهابهم الى ناحية أخرى حيث أعدت لهم كمية كبيرة من رشاش الفحم الممزوج بالبوص أو التبن أو نشار الخشب ، وهناك يأخذون من هذا التراب ويدلكون أجسامهم فتشوه وجوههم ويستحيل كل منهم فى نظر نفسه وفى عيون الغير الى انسان آخر

وقبل أن يتفرق المختتنون يوزع عليهم زعيم القبيلة حبات نبات معين ، فيبتلعها كل منهم متجنبا مضغها بأسنانه لئلا يتبدد ما فيها من عنصر الحياة . فكأن هذه الحبات هى قربان التطهر يقبلون عليه خاشعين ، حتى اذا ما احتوته نفوسهم ، أسرعوا فطهروا أجسامهم أيضا بطلاء أبيض ثم ارتدوا لباساً أبيض ، ثم خرجوا الى الحياة بقلوب عامرة بالصفاء والايمان

هذه هى المعانى التى تحملها عادة الختان عندهم ، ولا بأس من ذكر بعض عادات أخرى تميزهم ويعرفون بها . وأهم هذه العادات نفورهم من بعض الألوان وتقديسهم بعضها الآخر ، فاللون الاسود يمثل عندهم فساد الخلق ولؤم الطبع وموت الجسد ، واللون الابيض يمثل البعث والتجديد والطهر ، واللون الاحمر يمثل الابتهاج والنشاط والفرح بالحياة وكل ما يصدر عن حرارة الدم

وأغرب ما فيهم اعتقادهم الراسخ بأن اللون الابيض هو سيد الألوان ، فالحبة تبدو بيضاء عند ماتنشق وتثمر ، والحيوان يبدو أبيض الجسم عند ما يولد ، وأطفالهم نفسها تبدو بيضاء الجسوم عند ما تولد ، فالبياض والحالة هذه دليل الحياة ، ورمز الخصب ، وكثيراً ما تراهم يجردون جثة الفقيد العزيز عليهم من بشرتها السوداء الثقيلة ، كى يبدو الجسم أبيض فيسهل عذاب الميت وانتقاله الى العالم الآخر

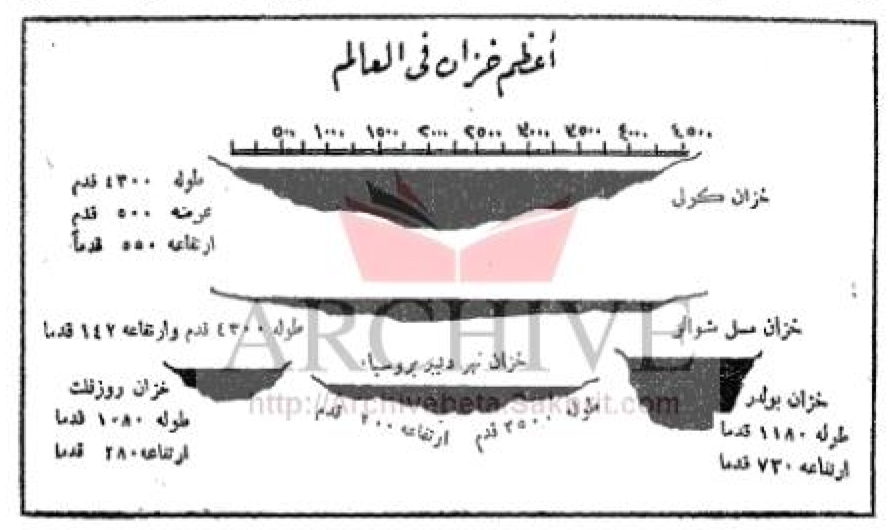
[ملخصة عن « ماريان »]

أضخم بناء على سطح الارض

معجزة الهندسة فى القرن العشرين

لا تكاد تفتح صحيفة أمريكية دون أن تجد فيها شيئا عن هذه المعجزة الهندسية الكبرى ، معجزة « خزان كولى » الذى سيكون أضخم تقام يتطلب قطاراً طوله ٥٠٠ ميل !

وأن طول هـذا الخزان ميل كامل ، أما ارتفاعه فارتفاع بناء يتألف من ستة وأربعين



رسم بيانى يقارن بين أحجام الخزانات الخمسة الكبرى وهى : خزان « كول » على نهر كولومبيا ، وخزان « ماسل شوالز » على نهر تنيسى ، وخزان « روزفلت » على نهر سولت ، وخزان « بولدر » على نهر كولورادو ، وخزان « دنيبر » على نهر دنيبر فى روسيا . ويلاحظ ان من هذه الخزانات الخمسة أربعة فى أمريكا وحدها

بناء أقيم على سطح الارض حتى يومنا هذا

ويكفى من يريد أن يتخيل ضخامته الهائلة أن يعلم ان زنة الصخور التى أقيم منها هى ٢٣ مليونا من الاطنان ، أى مثل وزن هرم الجيزة الاكبر أربع مرات !

وأن نقل الصخور من محاجرها الى حيث طابقا ! وانه اذا تم بناؤه أمكن ان يحتشد بين جدرانه كل من فى الولايات المتحدة من رجال ونساء وأطفال ! !

وقد أقيم هذا الخزان على نهر كولومبيا ، على مسافة تسعين ميلا من وشنجتن ، بقصد توفير المياه اللازمة لرى المساحات القاحلة فى هذه

المنطقة . ويبلغ عرض النهر فى هذا المكان ٧٠٠ قدم ، ويصل عمقه أحيانا الى ٧٠ قدما ، وماؤه سريع الجريان إلى حد بعيد ، اذ يتدفق بسرعة ١٤ ميلا فى الساعة ، وسيقوم هذا الخزان بحجز مياه النهر وراءه ، حيث تخزن فى بحيرة طولها ١٥١ ميلا ، الى ان تصرف منها وقت الحاجة وتوزع على الأراضى المقفرة

أما المحركات الكهربائية الثلاثة التى ستدير حركة هذا الخزان فهى أعظم ما أخرجت مصانع العالم من محركات ، فوزنها ستة ملايين من الارطال ، وارتفاع كل منها ٢٤ قدما ونصف قطره ٤٥ قدما ، وتشتمل على أربعة ملايين ونصف مليون رطل من الصلب ، وعلى أسلاك من النحاس طولها ثلاثمائة ميل . وهى تكفى لاضاءة جميع منازل وشوارع مدينتى نيويورك وواشنجتن ، اذ أن قوتها تساوى قوة ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ حصان !!

ولا عجب فالحضارة الحديثة بخصائصها الحقيقية ، تكاد تتركز فى هذه المنطقة التى جمعت دعامتى الحضارة : العلم والمال

الآلة المتكلمة : العلم ينطق الجماد !

أحرز العلم نصراً جديداً عظيما ، اذ توفق أخيراً إلى اخراج أول آلة متكلمة ، أى تنطق هذه الالفاظ والعبارات التى ينطقها الانسان . ويزيد من قيمة هذا النصر الكبير ان الطبيعة ظلت مئات الألوف من السنين وهى ترقى الانسان وتدربه على النطق حتى استطاعه ، أما الانسان فقد تمكن فى سنوات قليلة من أن يستنطق الجماد ويعلمه طريقة الكلام !

وهذا الجهاز العجيب يجمع بين جهاز البيانو وجهاز التليفون ، ليمكن له إخراج جميع الحروف الهجائية التى يتألف منها كلام الانسان ، وهذه الحروف تنقسم قسمين مختلفين فى مصدرها



وفى صوتهما : قسم يصدر عن هذا النفس الذى يخرج من الحلق ، ويمر باللسان والاسنان والشفاه ، محدثا صفيراً خافتاً تخرج منه حروف التاء والسين والفاء وما شاكلها . وقسم يشمل الحروف الساكنة التى تصدر عن حركة اللسان والاسنان والشفاه ، وما يكون عن تقاربها وتباعدها وعن التصاقها وانفصالها ، ومثلها حروف الباء والدال والكاف ، وإلى جانب هذه الحروف بضعة حروف متحركة كالالف والواو والياء

وفى الآلة المتكلمة أنابيب وأوتار شتى تصدر عنها مختلف الاصوات التى تمثل الحروف الهجائية الأصلية ، وعددها اثنان وعشرون حرفا .

وطريقة إدارة الجهاز تشبه الى حد ما طريقة العزف على البيانو ، فهناك أمشاط يتصل كل منها بوتر أو أنبوبة ، فاذا ما ضغطه الانسان بأصبعه خرج الحرف الخاص به ، كما يخرج من فم الانسان تماما ، وهكذا يمكن إخراج الحروف التى تتألف منها الالفاظ ، فالعبارات ، التى تريدها

وقد جرب هـذا الجهاز أخيراً أمام مجمع « فرانكلين » العلمى فى أمريكا ، وكانت أول جملة نطقها هى « التمرين يؤدى الى الكمال » . وقد لفظها باللغة الانجليزية واضحة كل الوضوح، كما نطق جملة بالفرنسية هى « كيف حالك » ، بل لقد أصدر أصواتا أخرى لا يمكن تمييزها من مواء الشاة ، وخوار البقرة ، وصوت الخنزير

وسيعرض هذا الجهاز فى معرض نيويورك وسان فرنسيسكو كى « يلقى محاضرات » على من يمرون به

على ان إدارة هذا الجهاز تحتاج الى مهارة لا تقل عن مهارة عازف البيان ، وسيتبين من يديره قيمة هذه الملكة الغامضة التى وهبها الله كل انسان ، إذ يستطيع أن ينطق الحروف ويؤلف منها الكلمات ، ثم يكون العبارات ، دون أدنى جهد أو تفكير ، مع ان كل حرف من آلاف الحروف التى يهذر بها كل ساعة تصدر عن نظام خاص وبترتيب معين

طريقة احصائية جديدة

هل يمكن تطبيقها على تاريخ مصر ؟

اختلفت أقوال المؤرخين فى تقدير عدد سكان مصر خلال العصور القديمة اختلافا كبيراً فمنهم من رأى أنه لم يبلغ ستة ملايين نسمة ، ومنهم من تجاوز به ثلاثين مليوناً من الأنفس ومرجع هذا الخلاف إلى أن كلا منهم اعتمد فى تقديره على طريقة خاصة أقرب إلى الحدس والتقريب منها إلى الجزم والتحديد

فبعضهم بنى تقديره على نسبة جنود الجيش إلى مجموع الشعب . مع أنه كثيراً ما يقوم الجيش الهائل من شعب صغير كما كان شأن مصر فى عهد محمد على . وكثيراً ما يكون الشعب كبيراً وجيشه قليل العدد كما هو شأننا منذ عهد قريب .

وبعضهم بنى تقديره على ما يجبى من الضرائب ، وهذا لا يصدق إلا اذا اعتمد على ضرائب الرؤوس وحدها ، أما سائر الضرائب فان مقدارها لا يرجع إلى تعداد الشعب قدر ما يرجع إلى الحالتين الاقتصادية والادارية العامة . ومن هنا كان الاختلاف بين المؤرخين عظيما إلى درجة لا يسع الباحث المدقق أن يقف عليها

وليس الاختلاف فى تقدير السكان الأقدمين مقصوراً على مصر وحدها ، بل تناول جميع الشعوب الأخرى . فمن ذلك أن فريقاً من مؤرخى روما زعموا أن عدد سكانها أيام مجدها القديم لم يجاوز نصف مليون نسمة ، بينما زعم فريق آخر من المؤرخين أن عددهم بلغ أربعة عشر مليوناً من الناس ! وقد هال هذا الاختلاف أحد أساتذة التاريخ فى جامعة برنستون الأمريكية ، فرأى أن يعمد الى طريقة أقرب إلى الدقة ، وهى تقدير عدد السكان حسب ما كانوا يستهلكون من الخبز

فأغلب المؤرخين مجمعون على أن مصر كانت تصدر إلى روما كل سنة ٢٠ مليون « مودى » وأن روما كانت تستورد من مصر ثلث مؤونتها فحسب . فاذا عرفنا أن الشخص العادى يستهلك كل شهر أربعة « موديات » كانت النتيجة الحسابية البسيطة هى أن عدد سكان روما كان حوالى ١٫٢٥٠٫٠٠٠ شخص... أي أقل من عددها الحالى ببضعة آلاف ، إذ يبلغ الآن ١٤٩٠٠٠٠ نسمة

فاذا استطاع أحد مؤرخينا أن يجد فى الاسانيد المنقوشة على الآثار أو المخطوطة على البردى أو التى كتبها الرحل القدماء ما يدلنا على على ما كانت تنتج مصر من الغلال ، وما كانت

تصدره الى الخارج أو تستورده منـه أحياناً ، أى يعرف مقدار ما كان يستهلكه منها الشعب المصرى ، لأمكن معرفة تعداده الصحيح فى تلك العصور

البيت مقر المرأة

لا داعى لأن نجهد أنفسنا كثيراً فى دعوة المرأة الى إيثار عمل البيت على العمل فى الخارج . فان ثمة غريزة متأصلة فيها منذ أقدم العصور تحبب إليها هدوء البيت ، وتنفرها من الجلبة القائمة فى كل مكان سواه . . . فهذه المرأة الامريكية لها من الحرية المطلقة كل ما للرجل ، وهى تنال من التعليم الجامعى والفنى مثلما ينال الرجل ، وأبواب الحياة الاقتصادية تفتح أمامها أكثر مما تفتح أمام الرجل ، إما لأنها أصلح منه

السن	فى البيوت أو فى المدارس	عاملات أو طالبات عمل
١٦ سنة	٨٣ فى المائة	[illegible]
١٧ سنة	٧٣ فى المائة	٢٧ فى المائة
١٨ سنة	٥٠ فى المائة	٥٠ فى المائة
٢٠ سنة	٦٠ فى المائة	٣٥ فى المائة

رسم بيانى لنسبة الفتيات العاملات الى مجموع الفتيـات فى الولايات المتحدة الامريكية

لكثير من الأعمال ، وإما لأنها تقبل أحياناً أجراً لا يرضاه . ومع هذا نراها ــ كما تتبين من هذا الرسم البيانى ــ لا تقبل على العمـل ولا تتهافت على الربح ، قدر ما تميل الى حياة الهدوء التى تجدها فى البيت تارة وفى المدرسة تارة أخرى . ونلاحظ أن اقبالها على العمل فى سن الواحدة والعشرين أشبه بالنزوة العارضة التى تلم بها فى هذه السن التى يهيج فيها الاحساس وتنتعش فيها الآمال وتتطلع فيها العيون ، ولكن لا تلبث أن تعود الفتاة الى حالتها الطبيعية فتأوى الى بيتها وتخلد الى زوجها

هل لماء البحر قيمة ؟

ليست قيمة مياه البحار منحصرة فيما نصيده من أسماك تسبح فيها ونخرجه من أصداف تستقر تحتها ، ولا فيما تصعده من أبخرة تتكاثف وتتساقط أمطاراً تروى بعض الاراضى الجدبية . بل انها مصدر ثروة طائلة قل أن نحصل عليها مما تنتجه اليابسة الخصبة . فان ميلا مربعاً من ماء البحر ، عمقه ١٢٤ قدماً فحسب ، تجاوزت قيمته ــ كما قدرتها شركة « دو » الكيماوية الامريكية ــ مبلغ ٣٦٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه !

فقد استغلت هذه الشركة فى أعمالها طول السنة الماضية كمية من الماء لا تجاوز الكمية التى يحتويها ميل مربع من أحد البحار . فاستخرجت من هذه الكمية : ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ طن من الملح ، ٦٨٫٩٠٠ طن من المغنسيوم ، ٧٦٤٫٠٠٠ طن من كبريت المغنسيوم ، ٠٧١ر من الطن من الذهب . فضلا عن كميات أخرى من النحاس والحديد والألمونيوم والبوتاسيوم واليود والفضة

هذا ، والبحر أمام كل منا يأخذ منـه ما يشاء ، ويعب منه كيف أراد ، بلا مقابل ما !

الحركة الفكرية

لن تقع الحرب هذا العام

أصدر الصحفي الفرنسي «بيير مارتان» كتابا بهذا الاسم أكد فيه بمختلف البراهين المستمدة من تطور الحوادث السياسية الحاضرة أن الحرب لن تقع هذا العام

ويرى المسيو بيير مارتان أن ألمانيا بعد أن استولت على النمسا ومناطق السوديت وتشيكوسلوفاكيا وشقت طريقها الى شرق أوربا لا بد ان تشعر بحاجتها الشديدة الى فترة هدوء واستجمام تدل عليها تصريحات هتلر بشأن معالجة مشكلة المستعمرات وحلها من طريق المفاوضة والتفاهم السياسي

وأما إيطاليا فيعتقد المسيو مارتان أنها فوجئت مفاجأة شديدة بانضمام الولايات المتحدة الى سياسة الدفاع عن الديموقراطيات ، كما فوجئت بنهضة فرنسية لم تكن تقدر مداها ، وأنها فوق ذلك وبعد اعتراف فرنسا وانجلترا بحكومة اسبانيا الوطنية ، أصبحت تميل الى زيادة التقرب الى الديموقراطيات ، وان كانت تتئد فى المصارحة بالرغبة فى هذا التقرب كى تساوم على موقفها الحاضر وعلى علاقتها ببرلين لتفوز ببعض امتيازات من فرنسا

فهذه الظواهر كلها تبعد شبح الحرب ، ولكن الظاهرة الاكثر أهمية هي تضخم نفقات التسلح فى انجلترا وفرنسا تضخما يزعج موسوليني وهتلر للفارق العظيم بين موارد الجبهتين الديموقراطية والديكتاتورية

فقد خصصت انجلترا هذا العام ٥٣٠ مليون جنيه للتسلح ، وأرصدت فرنسا ٢٢٦ مليون جنيه ، وعقدت الحكومة البريطانية فوق ذلك قرضا للتسلح بمبلغ ٦٠٠ مليون جنيه لعام ١٩٤٠

فهذه الارقام تلقى الرعب فى قلوب الديكتاتورين وتشعرهما بعجزهما عن الثبات فى سباق التسلح ، وتقصى شبح الحرب لا سيما والولايات المتحدة قد كشفت عن وجهها النقاب وحددت موقفها ، وأرصدت هى الاخرى على التسلح مبالغ هائلة

وحى العظماء

ما مصادر الوحى التى يستوحى منها عظماء المفكرين والأدباء آراءهم وعواطفهم ، وما هى القوى الروحية التى تدفعهم إلى الانتاج والخلق ؟

يجيب عن هذا السؤال الكاتب الدنمركى جوناس مجدبورج فى رسالته « أصول الوحى » بما مؤداه أن مصادر الوحى ثلاثة : المرأة ، والله ، وشخصية العظيم

فمن العظماء من يستوحون المرأة وهم فى الغالب طائفة الشعراء أمثال الفريد دى موسيه وبيرون ، ومنهم من يستوحون إيمانهم الصوفى بالله وهم مزيج من الشعراء والروائيين والمفكرين الفلاسفة أمثال تاغور وتلستوى ودستويفسكى وبسكال ، ومنهم من يستوحون كبرياءهم الشخصية وعظمتهم النفسية وايمانهم الجنونى بعبقريتهم الفذة أمثال نيتشه وفولتير

وربنان ، وهؤلاء لا يحتاجون الى أحد ، ولا يعتمدون على أحد بل يستخرجون كنوزهم من منجم كبريائهم ومن عقيدتهم الجبارة بأن خلاصة الحياة قد جمعت وركزت فيهم

ولذلك نلمح فى تفكيرهم ضربا من الاعتداد الخارق بالنفس ان لم تلطفه السخرية وشىء من التواضع الظاهرى ، فقد يؤدى بصاحبه الى الجنون كما وقع لنيتشه

الديكتاتوريات لن تعمر طويلا

يرى الكاتب الالمانى «فردريك فون سايس» وهو أحد أحرار الألمان الذين هجروا وطنهم فراراً من حكم النازى ، أن الديكتاتوريات لن تعمر طويلا وان مستقبلها حالك السواد . وقد أصدر هذا الأديب رسالة بالعنوان المتقدم أجمل فيها رأيه وإليك خلاصته :

« إن الديكتاتورية لا تعيش إلا على المغامرة وعلى اجتذاب الشعب ودفعه للقيام بمغامرة . فالمغامرة هي روح الديكتاتورية ، وبطولة المغامرة هى مثلها الاعلى ، ومع ذلك فالديكتاتور وهو ينشد المغامرة يخشى التورط فى حرب مصيرها الاخير فى يد القدر . ولهذا السبب تراه يتحين فرصة ضعف خصمه فينقض انقضاض الصاعقة ويلوح بالحرب فقط . ولقد نجحت هذه الطريقة فى حرب الحبشة ، ومكنت الألمان من الاستيلاء على منطقة الرين وعلى النمسا وعلى تشيكوسلوفاكيا . وهي قد نجحت لان خصوم الديكتاتورية كانوا ضعفاء ، ولكنهم الآن بمواردهم العظيمة قد شرعوا فى حركة تسلح هائلة . والواقع أن حركة التسلح هذه سوف تقضى شيئا فشيئا على روح المغامرة الذى تتغذى منه الديكتاتوريات . وعندئذ تنطوى الديكتاتورية على نفسها وتدور حول محورها وتتحجر وتتلبد وتسرى عليها سنة التطور التى تسرى على جميع أنظمة الحياة

ونحن نشهد منذ الآن حركة انكماش المانية وأخرى ايطالية . وهذه الحركة هى نذير الضعف ونتيجة تسلح الديموقراطيات

غذاء اليائسين

لم يوفق أديب لتحليل عاطفة اليأس توفيق الأديب الامريكى « فوكنر » فى كتابه الموسوم بالعنوان المتقدم . ومن النظرات العميقة الواردة فى هذا الكتاب قول المؤلف إن شر ما يصيب الانسان فى هذه الحياة هو انحداره نحو اليأس ، لا لأن اليأس معناه العدم ، ولا لأن غاية اليأس هى الراحة والكسل والاستخذاء والتسليم ، بل لأن فى اليأس قوة عاملة مروعة تنتقل بنشاطنا من دنيا الجهاد الى دنيا الحلم . فالفرد متى استحوذت عليه عاطفة اليأس من تحقيق عمل عظيم ، تغذى من يأسه هذا ، ومن حسراته ، فشرع يحيا فى جو من الخيال الشائق وشرع يكتفى بتصور العمل العظيم محققاً فى دائرة الوهم المجرد

فاليأس يغذى الوهم ، والوهم أساس الحياة ، والحياة فى محيط الوهم أيسر وأمتع منها فى ظل الكفاح العملى اليومى

ونحن لفرط ميلنا الغريزى الى التخيل والتأمل نستطيب اليأس لانه مفتاح الخيال ، فنتغذى منه ، ونعيش به ، وقد يستبد آخر الأمر بنا ، ويقنعنا أننا قد أصبنا بالفعل أهدافنا وقمنا بالعظائم فى حين أننا اكتفينا بسراب الهدف ووهم العظمة الباطل الخلاب

ومن اليائسين ، من ينعم بخيال الفكرة

أكثر ألف مرة مما كان ينعم به لو أنه أخرجها الى حيز العمل . وذلك هو إغراء اليأس بل هذا هو خطره الفظيع على كيان الفرد وجوهر شخصيته

ولليأس متى تحكم خاصة أخرى ، خاصة ارستقراطية تولد لذة غريبة ، وهى احتقار الحياة واحتقار الناس والترفع عليهم والاستخفاف بجهودهم والوقوف منهم ومن حياتهم موقف الفيلسوف المتفوق المطل من سمائه على أرض كلها أقزام

فهذه الأعراض المختلفة تحبب اليأس الى قلب الانسان ، وتغريه به ، وتتحين فرص اضطرابه وضعفه ، لتستقر فى صميم غريزته الميالة بطبعها الى المرح الهادىء فى جو الاحلام

فمتى شعرت بعجزك عن تحقيق عمل عظيم، فاعلم أن هذا العجز هو ضعف وقتى يطرأ على أعصاب أقدر الناس . فاترك العمل جانبا وروح عن نفسك ولا تيأس ثم عد اليه فى ساعة صفاء تشعر أن ما أعجزك بالأمس قد لان لك اليوم وانقاد لمشيئتك

نابليون والثقافة

كان نابليون مصابا بجشع ذهنى هائل تمكن منه واستحوذ عليه حتى آخر لحظة من لحظات حياته . وقد نشرت أخيراً مذكرات عن القائد العظيم بقلم الكونتس سانفيتال ابنة مارى لويز من عشيقها الجنرال نيبرج . ومما جاء فى هذه الذكرات ان نابليون كان لا ينفك يطالع ولا ينفك يطلب كتباً جديدة ، باذلا قصاراه فى الوقوف على ما كانت تخرجه المطابع فى عصره

فأصغر كاتب على شىء من النبوغ كان معروفا عنده ، وأى مقال ممتاز فى الاجتماع أو الأدب كان يطالعه ويعلق عليه ويناقش فيه رجاله وحاشيته . والغريب انه كان مولعاً أشد الولع بمطالعة القصص . ولما كان يسافر لاحقا بجيشه كان يكدس القصص فى مركبته ، وينكب على قراءتها فى أوقات فراغه ، ثم يلقى بها الواحدة بعد الأخرى من نافذة العربة فيجمعها أفراد الحاشية أثراً من الآثار النابليونية الخالدة

والواقع أن ذكاء نابليون كان ذكاء فطريا وعبقريته كانت سليقة لامعة حادة ، ولكنه ألهب عبقريته بثقافة رائعة شاملة جعلت منها قوة متعددة العناصر تمرح طليقة فى أى الأجواء تشاء

روح السرعة تقتل الادب

ليس شك فى أن عصر السرعة الذى نعيش فيه ، يغرى الأديب والفنان بالانتاج السهل السريع الذى لا يتطلب جهداً كبيراً ولا تنفق فيه الاعوام الطويلة الزاخرة بالجهاد العقلى المطرد الشاق

وقد تناول هذا الموضوع الباحث المجرى هنريك رالف فى كتابه الاخير (الفكر وجنون السرعة) . فكان مما قاله ان الانتاج الصحفى السريع الذى يدر على الكتاب فى هذا العصر مالا وفيراً ، باعد بينهم وبين إنضاج مؤلفاتهم وامتاع الناس بأعمال أدبية خالدة . فالقارىء يسرع فى القراءة والأديب يسرع فى الانتاج ، والعصر نفسه يسرع فى تجديداته وابتكاراته ، والاعصاب دائمة التوتر والغليان ، وملاذ الحضارة وأفانينها لا تنفك تتحول وتتبدل وتشيع فى طبيعة الانسان حب التحول والميل الى عدم استقرار

والواقع أن الأدباء يؤلفون اليوم كتباً صغيرة

مختصرة أو كتباً ضخمة لا يقرأها أحد ويكتفى الجمهور بمطالعة شىء عنها فى الصحف والمجلات. والظاهرة الملحوظة هى ان معظم الكتب يؤلف بسرعة ويخرج أشلاء كسيحة ولا سيما كتب الأدب

فأين اليوم روائى كفلوبير يقضى أكثر من خمس سنوات فى وضع قصة ، وأين اليوم روائى كزولا يفكر فى تصوير عصر بأجمعه فى قالب قصصى . ان هذه المهمة يقوم بها اليوم الكاتب الفرنسى جول رومال وحده . أما سائر الكتاب فروح السرعة يقضى عليهم وعلى مستقبل انتاجهم شر قضاء

ويقترح فرانك رالف لاتقاء هذا الخطر ان تنظم فى المدارس الثانوية والكليات مسابقات فى مطالعة الكتب العظيمة والمجلات التى تعنى بالفكر العالى ، ومتى درج الطالب على حب المطالعة العميقة الشاقة هزأ فيما بعد بالانتاج الرخيص وأجبر الأدباء على التؤدة والتريث وانضاج تفكيرهم وأعمالهم جهد المستطاع

مفاضلة بين المرأتين الانجليزية والفرنسية

هذا عنوان رسالة وضعتها الروائية المشهورة فيكى باوم ، وفاضلت فيها بين شخصية المرأة الانجليزية وأختها الفرنسية . وفى وسعنا تلخيصها فيما يأتى : ترى فيكى باوم ، ان المرأة الانجليزية تقليدية الفكر والاحساس والمرأة الفرنسية مبتكرة العقل والروح . فالانجليزية المتوسطة تحاول تقليد المركيزة النبيلة ، فتعنى بهندامها ، وتعنى بحركاتها واشاراتها وجلساتها ، وتهتم بنظافة البيت ونظافة الاولاد وراحة الزوج على أن يحترمها الكل احتراما جديراً بسيدة ارستقراطية عريقة . أما الفرنسية فلا تقلد أحداً لا فى هندامها ولا فى تفكيرها ولا فى طابع بيتها . وهى تعد نفسها ربة المنزل وصاحبة الكلمة العليا فيه . وتبرر هذا المركز باقتصادها فى النفقات وحسن إدارتها ويقظتها الشديدة وانتباهها الدائم لكل ما يتعلق بمصلحة زوجها وأبنائها . لهذا السبب يركن إليها الزوج ويثق بها ويسلمها قياد البيت وينصرف الى عمله مطمئن البال

والانجليزية سخية لأن السخاء فضيلة ارستوقراطية ، والفرنسية مقتصدة لأن الاقتصاد فضيلة اجتماعية ، تكفل حياتها فى دائرة الاسرة وفى كنف زوج وأبناء

والانجليزية دقيقة الحساسية ، تتقد عواطفها ، ويغلى فى صدرها شعور الحب وان كانت تخفيه ، وأما الفرنسية فلا تؤمن بالحب كثيراً ولا تسرف فى الثقة بالرجال ، والحياة فى نظرها مصلحة منظمة تسود العاطفة ، لا عاطفة جامحة تحاول تنظيم المصلحة

ولهذا السبب لا تتأثر الفرنسية بالحب قدر ما تتأثر به الانجليزية . ولكن الفرنسية لا تستطيع الحياة مع زوج لا يحبها ، وأما الانجليزية فقد تخنق عاطفة الحب فى سبيل تربية الابناء ، وقد تستغنى عن حب الزوج بالتفانى فى حب الابناء . ومع ذلك فحب الانجليزية لأبنائها يختلف عن حب الفرنسية لهم . فالاولى تحبهم ولكنها لارستقراطيتها التقليدية تتحفظ فى اظهار حبها ، والثانية تعبدهم وتجاهر بعبادتها فى حنان يطمعهم فى بعض الاحيان فى شفقتها وطيبة قلبها

الكتب الجديدة

على فراش الموت

بقلم الأستاذ طاهر الطناحى

عنيت بنشره دار الهلال فى ١٧٤ صفحة

تقضى حياة بعض المتصوفة فى تصور الموت وأثره فى عالم الأحياء وما سوف يعقبه من نعيم أو شقاء . ولكن الناس فى مجموعهم لا يفكرون فى الموت ولو فكروا لاستعصت عليهم الحياة ولاحت لهم صور الفناء فى كل متعة وكل جمال ، ومع ذلك فالتفكير فى الموت هو لب الحكمة ، وأصل الفضيلة ، ومبعث كل فلسفة دينية باقية . ولهذا السبب يحتل خيال الموت أذهان العظماء ويكمن فيها ويستقر فى تضاعيفها ويبرز ساعة موتهم فى حكم رائعة وكلم خالدات

ولقد عنى الكاتب النابغ الأستاذ طاهر الطناحى فى كتابه « على فراش الموت » بتسجيل هذه الحقبة الاخيرة من حياة بعض العظماء ، فوضع قصصاً شائقة لطائفة من أعلام الشرق العربى فى العصر الحديث ، قصصاً هى فواجع مروعة تقترن فيها فكرة الموت بفكرة الخلود وقد أحاط كل فاجعة ومأساة بحوادث تاريخية وطرائف أدبية وذكريات وطنية تتعلق بالايام الأخيرة لهؤلاء الأعلام

والواقع أنه لم يسبق لأديب عربى أن عرض لمثل هذا الموضوع بهذه القوة والاحاطة ، وبهذا الاسلوب الممتع الجزل الذى يرسم الحقائق بريشة شعرية تضاعف رهبتها وتأثيرها العميق فى النفوس . فالساعات الأخيرة لبعض العظماء الخالدين أمثال الخديو اسماعيل والخديو توفيق والسلطان حسين والملك فؤاد والشيخ محمد عبده ومصطفى كامل واحمد عرابى وعلى يوسف وجرجى زيدان ومحمد فريد واسماعيل صبرى ، ومصطفى المنفلوطى وسعد زغلول واحمد شوقى واضرابهم وما اقترن بهذه الساعات من حوادث خارقة ، وكلم رائعة ، ومؤثرات نفسية بعيدة تتغلغل فى نفسية الشعب المصرى والشعوب العربية ، كل ذلك يعرضه الاستاذ طاهر الطناحى عرضاً صادقا أميناً من خلال أسلوبه التحقيق الشعرى الذى يؤلف بين عنصرى الأدب والتاريخ فى حلة سحرية شائقة

وقد وضع مقدمة هذا الكتاب طبيب من أكبر الأطباء المصريين هو الدكتور مصطفى بك فهمى سرور أستاذ الباثولوجيا بكلية الطب بجامعة فؤاد الأول . وقد تناول فيها الموت من الناحية الطبية وموقف العلم منه ، وتلاه المؤلف بفصول دراسية رائعة عن الموت من الناحية التاريخية والروحية وأوضح فكرة الموت عند مختلف الشعوب ، وتحدث عن الخوف من الموت ، وعن جمال الموت ، والحب والموت ، ثم أعقب هذا التمهيد الدراسي بمآسى عشرين علماً من أعلام الشرق على فراش الموت

فهذا الكتاب هو مجموعة من الدراسات الجديدة والصور الممتعة والوصايا الخالدة يحملها الجيل الماضى الى الجيل الجديد على يد المؤلف النابغ الذى أدى الرسالة على أكمل وجه مستطاع و (الهلال) التى لا تدخر وسعاً فى سبيل

خدمة قرائها تقدم هـذا السفر النفيس هدية لمشتركيها الكرام

مختارات عالمية من الشعر الغرامى

بقلم الأستاذ ابراهيم المصرى

عنيت بنشره دار الهلال فى ١١٢ صفحة

لكل أمة طابعها الخاص وأسلوبها المستقل فى الاحساس والتفكير . وما الأدب إلا التعبير الصادق عن هذا الأسلوب المستقل والصورة الواضحة الجلية لعبقرية الطابع الذى تنفرد به كل أمة

والواقع أن تحليل عاطفة الحب عمل يشغل حيزاً كبيراً من الأدب العالمى

ولكن الشعر هو الميدان الفسيح الذى تمرح فيه عاطفة الحب . وهو القالب الذى تصب فيه شتى الأمم خلاصة إحساسها بقوة الجمال ، وقوة الوحى المنبعث من المرأة ، وقوة الحب التى تصدر عنها فى معظم الأحيان أنبل وأسمى العواطف البشرية

فالشعر عند مختلف الأمم ولا سيما الشعر الغرامى هو مرآة ساطعة نقية لما يجول فى نفوس شعوبها من ميول وأهواء ولما تمتاز به هذه الشعوب من أساليب الاحساس والتفكير

ولقد عنيت مجلة «الهلال» بأن تقدم لقرائها بين هدايا مشتركيها طائفة مختارة من أروع الشعر الغرامى العالمى تدل أبلغ الدلالة على الاتجاهات المتباينة التى تذهب فيها كل أمة للتعبير عن عاطفة الحب الخالدة

فوضع كتاب « مختارات من الشعر الغرامي » الأديب الكبير الأستاذ ابراهيم المصرى وجعله باقة نفيسة تضم أزهاراً مختلفة الألوان متنوعة الأشكال يفوح من كل زهرة منها عبير خاص ينعش النفس ويأخذ بمجامع القلوب

ففى هـذه المجموعة الفريدة نقرأ شعراً مصرياً فرعونياً قديماً فيه بساطة وفيه صدق وفيه حياة . ونقرأ شعراً آسيوياً فيه طرافة وغرابة وابتكار ، ثم نقرأ شعراً لأقطاب شعراء الروس والانجليز والفرنسيين والايطاليين والبولونيين وغيرهم ، شعراً تتمثل فيه أعمق نزعات الأمم الأوربية فى الاحساس بعاطفة الحب والقدرة على تصويرها

فهذا الكتاب يجمع بين دفتيه صفوة قلوب العالم وهو شبه نهر تنصب فيه عواطف البشرية وخيالاتها حتى لكأنه يعكس صورة الانسان نفسه فى أعز شىء لديه ألا وهو فؤاده الذى منه يتغذى وبه يحلم وبواسطته يحلق فى أجواء بعيدة ينشد فيها تحقيق أمثلته العليا

ولقد أبدع الأستاذ ابراهيم المصرى فى اختيار القطعات الشعرية الأجنبية وصاغها فى أسلوب عربى محكم العبارة وثيق التركيب يقترن فيه اللفظ بالمعنى اقتران الظل بالنور ، وتبدو من خلاله المعانى الأجنبية فى ثوب عربى فاتن قشيب كأنما هى قد خلقت خلقاً ووضعت فى الأصل باللغة العربية نفسها

وهـذه الترجمة الشائقة الكاملة تذكرنا بترجمة « فتزجيرلد » لرباعيات الخيام إلى اللغة الانجليزية . وعندنا أن الجهد الذى قام به الأستاذ ابراهيم المصرى لا يقل عن ذلك الذى قام به « فتزجيرلد » بل هو أوسع منه مدى وأشد جرأة ومخاطرة لأنه إنما تناول عدة شعراء لا شاعراً واحداً ، وعدة أمم لا أمة واحدة

فكتاب مختارات الشعر الغرامي ثروة أدبية أضافها الأستاذ المصرى إلى اللغة العربية ودلل

على أنه فنان يعرف كيف يندمج فى شخصيات من يمثلون العواطف المتباينة عند مختلف الأمم ويبرزها فى عبارة سلسة صافية ، وفى أسلوب عربى متين

الشيعة فى التاريخ

بقلم الأستاذ محمد حسين الزين

مطبعة العرفان بصيدا فى ٢٠٠ صفحة

يرى مؤلف هذا الكتاب ان طائفة من كتب التاريخ والملل غير الشيعية قد صورت عقائد الشيعة بصور لا تمت إلى الواقع بسبب ، فنسبت اليها من الاغراض السياسية والتعصبات المذهبية ما هى بريئة منه

لذلك حاول الأستاذ محمد حسين الزين أن يستند فيما كتبه عن الشيعة الى مؤلفات كبار العلماء الشيعيين فى أصول الدين وفروعه ، فأثبت ان هذه المؤلفات طافحة بالبراهين الساطعة فى إثبات التوحيد والنبوة وغيرهما من أركان الدين الاسلامى وأصوله

ولقد حمل المؤلف على آراء ابن حزم فى الشيعة واعتباره الشيعيين من الروافض غير المسلمين ، ثم تطرق الى بحث نشوء الشيعة فى الاسلام ، فعلاقتها بمسألة الخلافة ، فمواقفها فى العهدين الأموى والعباسى ، فبراءتها من الغلو والغلاة ، الى ان انتهى بكلمة يحث فيها المسلمين على التفاهم والتآزر والاتحاد

النحو والنحاة بين الازهر والجامعة

بقلم الاستاذ محمد احمد عرفة

مطبعة السعادة بمصر فى ٢٤٠ صفحة

كان أحد المدرسين بكلية الآداب بالجامعة المصرية قد أصدر كتابا عن (احياء النحو) ، قسا فيه على النحاة المتقدمين جميعاً ، من سيبويه ومعاصريه الى العصور الحديثة . فانبرى للرد عليه الاستاذ محمد احمد عرفة صاحب كتاب « النحو والنحاة بين الازهر والجامعة » وكانت الأغراض التى قصد اليها مؤلف كتاب « احياء النحو » هى :

(أولا) ـ نقد النحويين فى قصرهم مباحث النحو على الاعراب والبناء ، دون أن يبحثوا خصائص الكلام ، من التقديم والتأخير والنفى والاثبات والاستفهام والتأكيد والتوقيت

(ثانياً) ـ الرد على النحاة فى زعمهم أن الاعراب أثر لفظى لا يؤدى معنى ولا أثر له فى تصوير المفهوم ، وإثبات ان حركات الاعراب تدل على معان قصدت من الكلام ، فالضمة علم الاسناد ، والكسرة علم الاضافة ، والفتحة علم الخفة

(ثالثا) ـ نقد النحاة فى زعمهم ان الحركات اجتلبها العامل ، وإثبات ان المتكلم هو الذى أحدثها

(رابعاً) ـ اثبات ان التنوين علم التنكير ، فلك فى كل علم ألا تنونه

وقد ناقش الاستاذ محمد أحمد عرفة فى كتابه (النحو والنحاة) هذه البحوث وما تفرع منها ، وذلك بان توخى نقل كلام خصمه بالنص ثم لخصه ، ثم ذكر المقصود منه ، ثم أتبعه بالرد

والكتاب بحث نفيس يهم النحويين مطالعته ويهم الاطلاع عليه كل من يعنى بدراسة أسرار قواعد اللغة العربية وغوامضها . وقد وضعه المؤلف فى أسلوب سلس واضح ، وجعله سهل التناول ، فى فصول متقنة حديثة النظام والتنسيق . ومما يمتاز به هذا الكتاب اللغوى أن مؤلفه أديب وكاتب كبير من خيرة الكتاب الذين أنجبتهم الجامعة الازهرية

الحياة الزوجية

من الوجهتين التشريعية والاجتماعية

بقلم الأستاذ محمود على قراعة

مطبعة الفتوح بالقاهرة فى ١٧٠ صفحة

لا ريب فى أن الأسرة صورة مصغرة للامة وكما تكون الأسرة تكون الأمة . ولن ينفع إصلاح اجتماعى ما لم يبدأ بوضع أسس جديدة للحياة العائلية فى مصر

ولقد أدرك الاستاذ محمود على قراعة هذه الحقيقة فتناول فى كتابه الرائع مشكلة الزواج من وجهتيها التشريعية والاجتماعية فوفاها حقها من البحث والتحليل

ولقد استهل كتابه كعالم نفسى بالبحث فى طبيعة الحب وأطواره وفى موقف الرجل والمرأة منه ، وفى مقدمات الزواج وشروطه الصحية ، ثم تطرق إلى دراسة طائفة من أمراضنا الاجتماعية الخطيرة كالمغالاة فى طلب المهر والمغالاة فى أعداد الجهاز ، ثم اقتحم فى جرأة يشكر عليها مختلف المسائل الجنسية الفيزيولوجية المتصلة بالزواج ودلل بالاسانيد العلمية على مبلغ أهميتها لسعادة الاسرة ، ثم انتهى بعدة فصول شائقة عن احكام الزوجية فى الشريعة الاسلامية

وصفوة القول أن الاستاذ محمود على قراعة تناول موضوعه من جميع أطرافه ، وأخرج كتابا لا يستغنى عنه متزوج ، كتابا يزخر بالافكار الجديدة ، والنزعات الاصلاحية المعتدلة والآراء الصائبة العميقة التى تمس صميم حياتنا ، وينهض عليها صرح العائلة المصرية والبيت المصرى

أناشيد عسكرية

بقلم الاستاذ محمود ابو الوفا

مطبعة مصر فى ٥٠ صفحة

كل ما يبعث على الشعور بالمجد الوطنى ، وكل مايلهب فى النفس خصائص القوة والمغامرة ، وكل مايعد الشعب الناهض لحياة السيادة والتفوق ، يتخذ منه الشاعر النابغة محمود ابو الوفا مادة لأناشيده العسكرية يستهبطها الوحي ويصبه فى مقطعات ناضرة الاسلوب ، مشبوبة العاطفة ، ميسورة الاستظهار ، سهلة التداول على كل لسان

فللجندى الباسل نشيده ، وللبحار المكافح نشيده ، وللطيار المغامر نشيده ، ولعلم البلاد نشيده ، وجميع هذه الاناشيد الحماسية المتدفقة عزماً وايماناً وقوة ، يتوجها نشيد ملكي رائع يفيض اخلاصا وولاء وحبا

والواقع أن هذه الاناشيد العسكرية قد وضعت لتلحن التلحين الخليق بها ، المعبر عن معانيها ، المتفق وروحها ، ثم لقد وضعت لتوزع على طلبة المدارس كى يشبوا على حب وطنهم والمفاخرة به والسعى لابلاغه المكانة العظيمة المنشودة له

ولذا نحن نلفت أنظار ولاة الامور فى وزارة المعارف كى يعنوا بهذه الاناشيد فهى صورة مصغرة لا لنهضة مصر الحاضرة فحسب ، بل للمثل الاعلى الذى يتمناه لبلاده كل مصرى صادق الوطنية خالص الولاء لأمته ومليكه

أفاعى الفردوس

للأستاذ الياس أبو شبكة

مطبعة المكشوف ببيروت فى ٨٨ صفحة

الأستاذ الياس أبو شبكة يمثل مع الأساتذة فؤاد حبيش وتوفيق عواد وأحمد مكى وخليل

تقي الدين وعمر فاخوري ، أدب الطليعة في لبنان . والحق ان هؤلاء الصحفيين والقصصيين والشعراء الشباب يضطلعون اليوم في أنحاء القطر الشقيق بنهضة ثقافية تجديدية حرة خليقة بأن تعم النظر فيها ونعترف بالجهود العظيمة التي تقوم بها

و « الهلال » لم يقصر أبداً في تقدير هذه الجهود قدرها كلما سنحت الفرص . والفرصة اليوم سانحة للتحدث عن الشاعر الكبير الياس أبوشبكة وديوانه الجديد (أفاعي الفردوس)

في هذا الديوان يتمرد الشاعر اللبناني على قوالب وأوضاع الشعر الأوربي الحديث ، على تلك الروح العقلية الهندسية الرياضية التي يأبى شعراء الغرب كبول فاليري أو جان كوكتو ، إلا أن يخلعوها على الشعر العصري مجاراة لحضارة العصر ذات الطابع العلمي العقلي الميكانيكي

فالعلم ونظرياته ومختلف بحوثه في العقل الباطن وتحلل الزمن وتبدل وتحول العواطف البشرية ، يؤثر في شعراء أوربا المعاصرين ، ويدفعهم إلى قصر شعرهم على تأدية هـذه النظريات مما يفضي في الغالب إلى تجرده من عناصر البساطة والنضارة ، وإغفاله ينبوع الفطرة المتوثبة الحية ، واستحالته إلى أسرار ورموز ثقافية لا تمت بصلة إلى جوهر القلب البشري

فالمدارس الشعرية في رأي الأستاذ أبوشبكة سجون ونظرياتها قيود . والشاعر الفذ لا يمكن أن يعيش في جو العبودية هذا . إذ الطبيعة هي جوه الفسيح تكيف إحساساته بتكيف الظواهر المتقلبة في هذا الجو ، بحيث لو خرج الشاعر منه خرج على طبيعته وكذب على نفسه

فالحياة الحرة هي المادة الكبرى التي يستمد منها الشاعر وحيه في قصائده الرائعة (شمشون) و (الأفعى) و (في هيكل الشهوات) و (عهدان) و (شهوة الموت) و (حديث في كوخ) . وفي جميع هذه المقطعات والقصائد يبسط الشاعر جناحيه غير مقيد بنظرية عقلية أو عرف اجتماعي أو قيد منطق ، فيبدع شعراً متصلا أوثق اتصال بالغرائز المضطرمة ، والميول البشرية الخفية ، والعواطف الجائشة الأبدية التي يشعر بها كل إنسان في كل بيئة وفي كل زمن

المثل المنظوم

بقلم الاستاذ اسكندر الخوري

مطبعة بيت المقدس في ١٢٥ صفحة

أراد المؤلف الفاضل بهذا الكتاب وضع طائفة من الأمثال المنظومة في شكل قصص تجري حوادثها على ألسنة الحيوان والطير ، وتنطوي معانيها على الادب والحكمة والنصيحة والفكاهة الشائقة المحببة الى تلاميذ المدارس

وقد استهدى الاستاذ اسكندر الخوري في تأليف كتابه بروح لافونتين وايزوب وما ورد من الاقاصيص الاخلاقيـة في كتاب (كليلة ودمنة) فجاءت مجموعة بديعة الاسلوب . رقيقة النظم ، واضحة المعنى ، لا يصعب على التلاميذ استظهارها والافادة منها

ولا ريب في أن تعميم مثل هذا الكتاب في معاهد العلم الابتدائية يربي في النشء ملكات الخيال وييسر عليهم فهم الحكم والمواعظ الاخلاقية وادراك حقائق الحياة الكبرى من خلال القالب القصصي وما يحمل من ضروب الفكاهة والتسلية

بين الهلال وقرائه

هل الفتق وراثى

(بئر السبع — فلسطين) شكرى سليم الترك

— أعرف عائلة كل أفرادها مصابون بداء «الفتق» فهل هذا المرض وراثى ؟

(الهلال) ليس الفتق مرضاً وراثياً ، ولكن اذا كان منتشراً بين نفر من أسرة واحدة فقد يرجع هذا الى أنهم جميعاً يحترفون عملا شاقاً كحمل الاثقال مما يؤدى الى هذا المرض غالباً ، ولما كانت بعض العائلات تتوارث الاعمال ، فلا يبعد أن تتوارث الامراض الخاصة بهذه المهن ، دون أن تنتقل الامراض نفسها بطريق الوراثة ، وقد تكون بعض الامراض الصدرية منتشرة فى الأسرة ، مما يؤدى الى اصابة أفرادها بالسعال الشديد المتواصل ، وهذا يؤدى بدوره الى نشوء مرض الفتق بينهم ، وكذلك ينجم هذا المرض عن الامساك الشديد المستمر طويلا . وهذه الاسباب الثلاثة هى أهم الأسباب المباشرة التى يحدث فتق الامعاء من جرائها

صحة الاسنان

(القاهرة — مصر) حسين احمد تركى

— سمعت من رجل متقدم فى السن أن اكل البصل يقوى الاسنان ويصلحها . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) نعم . لان البصل يحتوى كمية وافرة من الفيتامين « ج » الذى ثبتت فائدته فى تقوية الاسنان واللثة . على أن هناك أغذية أغنى من البصل بهذا الفيتامين مثل البرتقال والتفاح والسبانخ واللفت والبقول الطازجة

الفلسفة الاسلامية والفن الاسلامى

« بافاريا — المانيا » مشترك

— يقول الغربيون إن العرب لم يبتكروا فلسفة مستقلة لأنهم مفطورون على تناول الأمور المحسوسة وقلما يحفلون بالمباحث النظرية . فآثارهم الفكرية محصورة فى نقل الفلسفة الاغريقية وشرحها وتوصيلها الى أوربا الحديثة

ويقول « روزنبرج » أحد قادة الفكر النازى فى كتابه « اسطورة القرن العشرين » إن العرب عجزوا عن الابتكار المستقل . ففن البناء ، وهو الفن الوحيد الذى عنوا به ، ليس وليد مواهبهم الخاصة ، بل أخذوه عن الاغريق والفرس والهنود ، وأضافوا اليه النقش المزخرف « الارابسك » وهو مجرد لهو صبيانى . فما رأيكم فى هذا ؟

(الهلال) تقدير الفلسفة الاسلامية موضع خلاف بين المفكرين الأوربيين . فرينان فى كتابه عن ابن رشد يقول « من عجائب القدر أن الجنس السامى الذى استطاع أن يطبع ما ابتدعه من الأديان بطابع القوة فى أسمى درجاتها لم يثمر أدنى بحث فلسفى خاص وما كانت الفلسفة قط عند الساميين إلا اقتباساً صرفاً وتقليداً للفلسفة اليونانية » ولكن مؤرخا منصفاً مثل « جوستاف دوجا » يقول فى كتابه « تاريخ الفلاسفة والمتكلمين من المسلمين » : « هل يظن ظان أن عقلا كعقل ابن سينا لم ينتج فى الفلسفة شيئاً نفيساً ، وأنه لم يكن غير مقلد لليونان ؟ وهل مذاهب المعتزلة والأشعرية ليست ثماراً بديعة أنتجها الجنس العربى » . وكذلك يقول « ليون جوتيه » : « ان الفلاسفة الاسلاميين لم يألوا جهداً فى القيام بواجبهم فى التوفيق بين الفلسفة والدين ، ورأيهم فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال هو ذو قيمة فى هذه الفلسفة اليونانية الاسلامية » ومن الانصاف أن نقول أن ابن خلدون كان يرى أن الفلاسفة المسلمين « اتبعوا ارسطو حذو النعل للنعل إلا فى القليل النادر » وكذلك يرى « الشهرستانى » انهم « سلكوا طريقة ارسطاطاليس فى جميع ما ذهب اليه وانفرد به سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأى أفلاطون والمتقدمين عليه » .

[راجع ما ورد من مذكرات الاستاذ مصطفى عبد الرازق بك فى كتاب تراث الاسلام]

ويلاحظ أن ليست هناك فلسفة عربية ، بل فلسفة اسلامية . والشعوب الاسلامية لا تنتمى الى جنس واحد ، بل منها شعوب سامية وشعوب آرية وشعوب حامية ، وجمهرة كبيرة من فلاسفة المسلمين من أبناء فارس ، أى ممن يملأ عروقهم الدم الآرى الخالص . فان صحت نظرية العنصرية - وهى نظرية يخطئها أغلب العلماء كما أبنا فى العدد الماضى من الهلال - فانها لا يمكن أن تنكر على بعض المسلمين مواهبهم الممتازة وملكاتهم الناضجة

وأما ضعف الروح الفنى فى المدنية الاسلامية فيرجع الى أسباب دينية أكثر مما يرجع الى عوامل جنسية فبعض فقهاء الاسلام يرون كراهة النحت والتصوير وكذلك الموسيقى . أما فى فن العمارة فقد ابتكر المسلمون وأبدعوا كثيراً فيه يشهد بذلك ما يقوم فى مدائن المسلمين من المساجد الباذخة . وليس فن « الارابسك » بلهو صبيانى ، بل هو دليل دقة الحاسة الفنية دقة تامة ، وتسلط التفكير المنطقى على العقل العربى بوجه خاص

أسنان الاطفال

(القاهرة - مصر) روزا بشارة أنطون

— بلغ طفلى الصغير سنة كاملة ، ولكن لم تظهر فى فمه أية أسنان ، مع أن إخوته كانوا يبدأون فى التسنين منذ شهرهم الرابع أو الخامس فهل يخشى عليه من ذلك ؟ وهل من علاج لهذا العارض ؟

(الهلال) يبدأ تسنين الطفل عادة بعد ولادته بستة أشهر . وقد يبكر عن هذا فتظهر بعض أسنانه فى شهره الثالث ، بل أن بعض الاطفال يولدون ولهم سنتان فى اللثة السفلى . وقد يتأخر تسنين الطفل الى أن يبلغ سنة كاملة أو يجاوزها بعدة أشهر وهذا ينجم غالباً عن ضعف جسمه نتيجة ما انتابه من أمراض وأوجاع ، أو عن إصابته بمرض لين العظام المعروف بالكساح ، أو عن ضعف غدته الدرقية وعجزها عن افراز الكمية الواجبة . ولهذا يجب استشارة الطبيب إذا تأخر ظهور الاسنان عن ميعاده الطبيعى مع ملاحظة أن هذا التأخر قد يحدث رغم سلامة بدن الطفل سلامة تامة . وفى هذه الحالة لا يخشى على الطفل حتى ولو تأخر ظهور أسنانه الى الشهر الخامس عشر . ولكن لا بد من استشارة الطبيب الاخصائى للاطمئنان على صحة الطفل قبل أن ينتابها ما يستعصى علاجه

نمو الجسم

(الخرطوم - السودان) مشترك

— فى أى سن يقف الجسم البشرى عن النمو ؟ وهل من طريقة توقف نموه دون هذه السن ؟ وهل يمكن انقاص طول الجسم بوسيلة ما ؟

(الهلال) يستمر نمو قامة الرجل فى حالته العادية الى سن الخامسة والعشرين ، بينما يظل قوام المرأة ذى الصحة الطبيعية نامياً الى سن الأربعين . أما سمن البدن فلا يرتبط بسن ما ، فقد يصاب النحيف بالبدانة والترهل فى سن الكهولة ، وقد يعود البدين نحيفاً ضئيلا فى أخريات أيامه

ونمو القامة يتوقف على عمل الغدد الدرقية فان خلقت نشيطة أسرع الجسم الى النمو والاستطالة ، وان خلقت خاملة قلت درجة نمو الجسم ووقفت فى سن باكرة . وقد يمكن تنشيط هذه الغدد بالالعاب الرياضية ، ويحاول الاطباء ابتكار وسيلة صناعية لتنميتها وتنشيطها . ولكننا لا نظن أن فى وسع المرء اضعاف هذه الغدد وتثبيطها ، ما لم يصب الجسم بمرض أو ضعف شامل ، يقصر بكل أجزائه وأعضائه عن أداء وظيفتها الكاملة

ولم يوفق الطب إلى طريقة لاطالة الجسم ، فضلا عن تقصيره ومازال مرض طول العظام عقبة لا يستطيع الاطباء اجتيازها . وقد أصيب أحد المصريين بهذا المرض فعجز الاطباء عن علاجه ، وما زال حتى اليوم فى مستشفى المؤاساة بالاسكندرية يقاسى طول قامته الفارط

الاسلام فى اليابان

(مكسيكو - المكسيك) انطونيوس الياس روفائيل

— كم عدد المسلمين فى اليابان ؟ وكيف انتقل الاسلام الى هذه البلاد ؟

(الهلال) فى اليابان زهاء عشرة آلاف مسلم ، منهم أربعة آلاف من أهل البلاد ، والباقون من الاجانب المهاجرين ، وأكبر الجاليات الاسلامية هناك الجالية الروسية التى فرت من اضطهاد البلاشفة وكذلك الجالية الهندية التى هاجرت الى اليابان سعياً وراء التجارة . وقد أقام المسلمون مساجد فى كوبا وطوكيو وناغويا ، واحتفلوا فى العام الماضي بانشاء مسجد كبير فى طوكيو ، وشهد احتفالهم نفر من أمراء المسلمين وكبرائهم

وقد دخل الاسلام اليابان منذ بدء اتصالها بالعالم الخارجى فى منتصف القرن الماضى ، وذلك بفضل من نزح اليها من التجار المسلمين فى الهند والصين وازداد عدد المسلمين هناك منذ توثقت الروابط الثقافية بينهم وبين سائر الامم الاسلامية ولا سيما بعد انشاء « معهد الثقافة الاسلامية » و « الاتحاد الاسلامي العام » وغيرهما من الهيئات الاسلامية اليابانية . ولهذه الهيئات مجلة دينية تصدر باللغة اليابانية ، ويتزعم المسلمين هناك العالم الدينى السيد عبد الرشيد ابراهيم . وقد بدأ الأزهر الشريف يولى النهضة الاسلامية فى ذلك البلد النائى كثيراً من رعايته وتشجيعه

الاذاعة اللاسلكية المصرية

(مكسيكو ــ المكسيك) ومنه

ــ هل هناك محطة اذاعة لاسلكية فى مصر ؟

(الهلال) فى مصر محطتان للاذاعة اللاسلكية : احداهما رئيسية وطول موجتها ٩ ر ٤٨٣ وعدد الكيلوسيكل اللازم لها ٦٢٠ ، والثانية إضافية وطول موجتها ٦ر٢٢٢ وعدد الكيلو سيكل اللازم لها ١٣٤٨ . وتتناوب المحطتان الاذاعة باللغة العربية أو باللغتين الانجليزية والفرنسية وتبدأ الاذاعة عادة قبل الساعة السابعة صباحا وتنتهي قبيل منتصف الليل بساعة ، مع فترة راحة طويلة فى الضحى وبعد الظهر . وتصدر فى القاهرة مجلة خاصة بأوقات الاذاعة اللاسلكية هى مجلة « الراديو المصرى »

مسعود سماحة

(يافا ــ فلسطين) الياس فرج المنير

ــ ما عنوان الاستاذ مسعود سماحة الذى قرظتم ديوانه فى هلال ديسمبر الماضى ؟

(الهلال) يمكنكم أن تتصلوا به عن طريق مطبعة جريدة « السمير » اليومية التى تصدر فى مدينة « بروكلين » بالولايات المتحدة الامريكية

كتاب إميل . .

(بغداد ــ العراق) م ن

ــ هل ترجم كتاب « اميل » لجان جاك روسو الى اللغة العربية ؟

(الهلال) لم نقف على ترجمة عربية لهذا الكتاب النفيس الذى ترجم الى أكثر لغات العالم الراقية . ولكن فى وسعكم أن تأخذوا عنه فكرة واضحة من كتاب « جان جاك روسو » للدكتور محمد حسين هيكل باشا ، ومن كتاب « أصول التربية والتعليم » للاستاذ امين مرسى قنديل ، وكتاب « الطريقة الحديثة : فى التربية » للدكتور حسين الخزنجى ، وكتاب « تاريخ التربية » للاستاذ مصطفى امين ، وكتاب « تاريخ التربية » للاستاذ عبد الله مشنوق . ومن المفيد أن نذكر هنا أنه قد نقل الى العربية قرين هذا الكتاب ، ونعنى كتاب « اميل القرن التاسع عشر » الذى وضعه الفونس اسكاروس وترجمه الوزير السابق عبد العزيز بك محمد

سفر التكوين

(دمياط ــ مصر) محمد التابعى أبو حنه

ــ هل تعرفون كتاباً بالعربية عن سفر التكوين :

(الهلال) فى دار الكتب المصرية كتاب فى هذا الموضوع اسمه « سفر تكوين الخلائق من التوراة » ولا يعرف مؤلفه . وهو مطبوع على الطريقة القديمة المعروفة « بطبع الحروف »

مصير المذاهب الاجتماعية الحاضرة إذا وقعت الحرب

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

البلشفية ، الفاشية ، النازية - هذه أسماء جديدة لمذاهب جديدة وأساليب في الحكم لم تعهد قبل الحرب الكبرى ، فاذا نشبت حرب عامة . ماذا يكون مصير هذه المذاهب ؟ هذا ما يجيب عنه هذا المقال القيم

المذاهب الاجتماعية تتناول الأساس الذى يقوم عليه حكم المجتمع وتنظيمه ، وهى على هذا الاعتبار فى الوقت الحاضر ثلاثة أصول كبرى تشتمل على كثير من الفروع

هذه الأصول الكبرى هى (١) الديمقراطية و (٢) الدكتاتورية سواء سميت بالنازية أو الفاشية و (٣) الشيوعية ولا نذكر معها النقابية أو الفوضية لأنهما لا تقومان الآن ولا ينتظر قيامهما فى بلد من بلدان العالم فى المستقبل القريب

أما الديمقراطية فهى على أحدث ما تكون « نظام التعاون على الحكم بين جميع العناصر والطبقات التى تتألف منها الأمة »

وأما الدكتاتورية فهى سيطرة انسان واحد على الامة بأسرها ، أو فناء الفرد فيما يسمونه بالدولة ، ثم تشخيص الدولة فى ذلك الانسان الحاكم بأمره

وأما الشيوعية فهى سيادة الطبقة السفلى تمهيداً لالغاء جميع الطبقات

فماذا يحدث لكل مذهب من هذه المذاهب الاجتماعية الكبرى اذا وقعت الحرب المحذورة ؟

قبل كل شىء يجب أن نذكر أن كل مذهب من المذاهب التى أسلفناها له ركن ضرورى يتوقف عليه فى الحقيقة أو فى رأى أتباعه والداعين اليه

فالديمقراطية تتوقف على التجانس بين الاقوام الذين تتألف منهم الدولة ، وعلى التكافؤ

بين طبقات المجتمع بحيث لا تطغى واحدة منها على الأخرى لانحصار الثروة أو المناصب الموروثة فيها

والدكتاتورية تتوقف على وجود الدكتاتور وعلى وجود الحالة الحماسية التى تشيع فى الأمة فتهون عليها قبول التضحية واحتمال الحرمان من أجل غاية ترمى اليها وتعلق جميع الآمال عليها ، وكثيراً ما تكون هذه الغاية انتصاراً على أعداء متهمين بظلم تلك الامة واهانتها والسعى الى تحطيمها والقضاء عليها

والشيوعية تتوقف عند أصحابها على بلوغ التقدم الصناعى غايته القصوى وانتهاء الاستعمار « الامبراطورى » الى مرحلته الأخيرة . فاذا انتهى التقدم الصناعى والاستعمار معاً إلى تلك الغاية فالنتيجة المحتومة فى رأى أولئك الشيوعيين هى حصر الثروة العالمية فى أيد قليلة وحرمان الملايين بل ملايين الملايين من حاجات المعيشة الضرورية حتى لا يبقى لهم من الدنيا غير « قيودهم » يحطمونها و يحطمون معها الاستغلال ، ثم يقف الأمر عند هذا الحد لأن سيادة العمال لا يتبعها استغلال طبقة أخرى كما كان يحدث فى العصور الماضية ، إذ ليس هناك مستأجر وأجير بعد سيادة العمال على النحو الذى يتوقعه الشيوعيون

***

والآن وقد علمنا الركن الذى يتوقف عليه وجود كل مذهب من المذاهب الاجتماعية المتقدمة نعود فنسأل : أى هذه المذاهب يمكن أن يتوافر له الركن الذى هو محتاج اليه وملازم له بعد وقوع الحرب المحذورة ؟ وأيها يصلح فى جملته أن يعيش و يتمكن فى تلك «الظروف» الجديدة ؟

وعندنا ان الآراء تختلف اختلافا بعيداً فى الجواب عن هذا السؤال . إلا جواباً واحداً لا نحسبه محتملا لخلاف كثير أو قليل بين ذوى الآراء ، وهو أن المستقبل لن يترك بعد الحرب القادمة مذهباً واحداً من تلك المذاهب على حالته التى هو بها الآن ، وتستوى فى ذلك الديمقراطية والدكتاتورية والشيوعية على تباين ما نعرف به من العناوين والأسماء

كذلك لا يمكن أن يقال أن المستقبل للدكتاتورية لأنها بطبيعتها حالة موقوتة لا تقبل التسلسل ولا الاستمرار ، ولا يتصور العقل كيف يقوم نظام على توارث الحكم بين الدكتاتورين ، أو كيف تدوم الحالة الحماسية التى تستفز بها الامم الى الغايات والرسالات الدكتاتورية ، ولا كيف تبقى الدكتاتورية بعد انتصارها أو بعد انهزامها على السواء ، لانها

اذا انتصرت وأنجزت وعودها وأتمت رسالتها لم يبق للناس ما يضطرهم الى قبول مضانكها وقيودها ، واذا انهزمت سقطت وسقطت معها دعواها . وأصعب من كل ما تقدم تصديقاً فى رأينا أن يؤول تاريخ بنى الانسان بعد جميع أطواره الماضية الى الغاء حريات الناس والقناعة بسيطرة فرد واحد يتبعه فرد آخر الى نهاية الزمان

كذلك ننظر الى المراحل التى ترسمها الشيوعية لنفسها وتقيس عليها مصيرها فى المستقبل فترى أنها قد اختلت وتناقضت فى مقاييسها الجوهرية سواء من حيث الاطوار العالمية أو الاطوار التى كشفت عنها التجربة الروسية

فان الامم التى بلغ فيها التقدم الصناعى أقصاه هى أبعد الامم الآن عن الشيوعية كما هو المشاهد فى الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ، والعمال فيها أحسن حالا من العمال فى البلاد التى لا تزال متخلفة وراءها فى الشئون الصناعية ، وقد شاهدنا أن الروسيا تبتعد عن أصول الشيوعية كلما تقدمت فى الصناعة ، وأن بلاد الشمال قد حلت كثيراً من مشاكل الطبقات والعلاقات بين العمل ورأس المال وهى تقترب من روح الديمقراطية ولا تقترب خطوة واحدة من نبوءات الشيوعية

***

وننظر من الجهة الاخرى الى الديمقراطية فنرى « أولا » انها نظام قابل للتتابع والاستمرار ، ونرى « ثانياً » أن عيوبها هى عيوب الانسانية أكثر مما تكون عيوباً فى طبيعة القواعد وحقيقة النظام ، ونرى « ثالثاً » ان ظهور عيوبها هو فى معظم الأحيان مزية من مزاياها ، لان الحكومات المستبدة لا تخلو من أمثال تلك العيوب ولكنها تستطيع أن تخفيها وتعاقب من يظهرها لقلة نصيبها من الحرية والصراحة ، ونرى « رابعاً » أن مواضع النقص فيها كمواضع النقص فى شىء يترقى ويتقدم ولم يقف عند حد محدود أو يتحجر على نمط جامد محروم من النمو والاكتمال على سنن الاحياء

فلم يقل أحد إن الديمقراطية بلغت حد الكمال الذى لا كمال بعده ، ولم يقل أحد إن مواضع النقص فيها من الأمور التى لا تؤذن بالاصلاح والتقويم فى المستقبل ، وما دام هذا شأنها فهى أقرب إلى البقاء والتعمير ، وإلى مجاراة الانسانية جيلا بعد جيل فيما يرجى لها من مصير

***

ولهذا نرجح أقوى الترجيح أن المستقبل للديموقراطية بين شعوب الأرض كافة ، وأنها على حسب العادة فى كل مذهب يرث المذاهب الأخرى سوف تمتص أحسن ما فيها وتنبذ منها ما يناقضها ويمنع تمامها ، ولا يطول الأمر قبل وصول العالم إلى هذه النتيجة إلا ريثما ينقضى دور التخبط والانتكاس الذى لا بد أن يعقب الحرب القادمة ، ثم تستوى الشعوب على نظام ديمقراطى آخذ بأحسن ما فى الدكتاتورية وأحسن ما فى الشيوعية وأحسن ما فى الديمقراطية كما جربت إلى الآن

ويزيدنا اقتناعاً بوصول العالم إلى هذه النتيجة أننا نستطيع من اليوم أن نتحقق وسائل العلاج التى ستعالج بها الديمقراطية كل ما يقابلها من عقبات وموانع فى سياسة المجتمع وتدبير مطالب الحكومة

فهذه العقبات تتلخص (١) فى مشكلة الطبقات أو مشكلة العمل ورأس المال و (٢) فى مشكلة العناصر والأجناس التى تتكون منها الدولة الواحدة و (٣) فى مشكلة التنافس بين الدول على المصنوعات والأسواق

وكل مشكلة من هذه المشاكل قد ارتسمت لها فى عصرنا الحاضر أوائل الحلول التى تتدرج إلى خواتيمها على تعاقب الأيام

فمشكلة الطبقات أو مشكلة العمل ورأس المال لها علاج على أساس الجماعات التعاونية التي يكون البائعون فيها هم الشارون فلا يتنازعون على الأسعار والأرباح ، ولها علاج مصاحب لعلاج الجماعات التعاونية هو تعديل ما بين الأغنياء والفقراء من التفاوت بفرض الضرائب على الثروات الكبيرة وتحويلها إلى مصلحة الأمة قاطبة ، وكلا العلاجين داخل فى صميم قواعد الديمقراطية قابل للتحسن والتدرج على أيديها

ومشكلة العناصر والأجناس فى الدولة الواحدة لها علاج على أساس الولايات المتحدة فى أمريكا أو على أساس الامبراطورية البريطانية فى مشارق الارض ومغاربها

ومشكلة التنافس بين الدول على المصنوعات والأسواق لها علاج على أساس السيادة العالمية أو اشتراك الدول فى تدبير الثروة العالمية حتى يتاح للناس يوم يتيسر فيه إحصاء كل ما يتطلبه العالم من المحصول الزراعى وكل ما يسمح بزرعه منه فى هذا القطر أو فى ذاك ، فلا تبور المحصولات ولا تكسد المصنوعات ، ولا تخرج أمة من زراعتها أو صناعتها أكثر مما تستفيد منه هى وتستفيد منه الأمم الأخرى

وعلى احتقار بعض المتعجلين لعصبة الامم نعتقد نحن أنها قد أنشأت فى تاريخ بنى الانسان مقدمات السيادة العالمية ومقدمات الاحصاء المشترك ثم العمل فى تدبير ثروة الدنيا ومنافساتها على قواعد ذلك الاحصاء ، وأن عشرين سنة فى إنشاء هذه المقدمات ليست بالوقت الضائع ولا بالوقت الطويل فى تاريخ بنى الانسان

فمصير المذاهب الاجتماعية ــ بعد فترة من الصراع والتخبط ــ هو اجتماع سلالاتها كلها فى سلالة ديمقراطية قابلة للنمو والتقدم ولهضم ما عداها من غذاء صالح هيأته لنفسها وهيأته لها المذاهب التى تنازعها الآن ولن تغلبها ، لأن العقل يتصور بقاء الديمقراطية بعد الدكتاتورية والشيوعية ، ولكنه لا يتصور بقاء واحدة من هاتين بعد زوال الديمقراطية

عباس محمود العقاد



الحرية

للمرحوم اسماعيل باشا صبرى

أحب التوحيد فى ثلاثة : « الله » و « المبدأ » و « المرأة »
وأحب الحرية فى ثلاثة :

١ ــ حرية المرأة فى ظل زوجها
٢ ــ وحرية الرجل تحت راية الوطن
٣ ــ وحرية الوطن فى ظل الله

صفحة من التاريخ الاسلامى

أسد بن الفرات : فاتح صقلية

فقيه ، وقائد ، وأمير بحر

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

قصة فتح المسلمين لصقلية ، قصة طريفة تبدو بما يمازجها من الظروف والوقائع الغريبة كأنها قطعة من الخيال الشائق . وكان افتتاحها على يد شخصية عجيبة ، أسد بن الفرات الذى كان فقيها عالما ، فقائداً حربياً ، فأميراً للبحر

كان البحر الابيض المتوسط الذى يضطرم اليوم بمنافسات الدول البحرية الكبرى ، فى القرن التاسع الميلادى مسرحا لاطماع ومنافسات من نوع آخر ، وكانت الاساطيل الاسلامية قد بدأت منذ أوائل عصر الفتح تجوس خلال هذا البحر وتغزو جزره الغنية ، وكان المسلمون قد استولوا فعلا على قبرص ورودس واقريطش (كريت) فى شرقيه ، والجزائر الشرقية (البليار) فى غربيه ، فلم تبق أمامهم سوى الجزر الثلاث الكبرى ، أعنى صقلية وسردانية وقوصرة (اوكورسيكا) ، وكانت هذه الجزر الغنية الضخمة تجذب أنظار الغزاة ، فتقصدها الحملات البحرية من وقت الى آخر من ثغور افريقية والاندلس ، وهى حملات كان ينقصها الطابع الرسمى فى أغلب الاحيان ، وتتألف عادة من جماعة من المجاهدين أو النواتية المغامرين ، الذين يجوسون خلال البحر فى طلب الغنائم والكسب ، على النحو الذى اتبعه فيما بعد ، كثير من أبطال البحر الانكليز والاسبان فى القرن السادس عشر

وكانت صقلية تقع فى هذا العصر تحت سيادة الدولة البيزنطية (الدولة الشرقية) ، الفعلية ، أما سردانية وقوصرة فكانتا تقعان تحت سيادتها الاسمية ، وكان الفرنج قد استولوا على قوصرة ، وانضوت سردانية تحت لوائهم تطلب حمايتهم من الغزاة ، ومع أن السرايا البحرية الاسلامية غزت هذه الجزر غير مرة أيام الدولة الاموية ، فانها لم تستطع فيما يظهر أن تقوم فيها بفتوحات ثابتة ، نظرا لضخامتها وبعدها عن شواطىء افريقية والاندلس ، ونظرا لصغر الحملات المسيرة ، وطبيعة هذه الغزوات ذاتها

ولكن الاساطيل الاسلامية بلغت فى أوائل القرن الثالث الهجرى (القرن التاسع) فى افريقية والاندلس مبلغا من القوة والاستعداد لم تبلغه من قبل ، وحملت غزوات النورمانيين لشواطىء الاندلس ، حكومة قرطبة على الاهتمام بانشاء أسطول قوى يستطيع حماية الثغور ورد العدوان بمثله ، وكذلك عنيت حكومة الاغالبة فى افريقية (تونس) بالاسطول عناية كبيرة ، حماية لشواطئها من عدوان البيزنطيين والبيزيين والفرنج . وكان الاغالبة فى الواقع يسيطرون من تونس على المياه الوسطى للبحر الابيض ، وهى التى تغدو اليوم مسرح منافسة شديدة بين ايطاليا وانكلترا ، وكانت أساطيلهم القوية تجوس خلال هذه المياه فيما بين قلورية (كلابريا) وحتى سردانية وقوصرة وتثخن فى شواطئها ، وكانت صقلية نظرا لضخامتها وغناها وقربها من الشاطىء الافريقى ، تبدو لهم بالاخص غنيمة قيمة هينة ، فكانت مطمح أنظارهم ومرتقب آمالهم ، يتحينون الفرص لافتتاصها وامتلاكها

***

ولافتتاح المسلمين لصقلية قصة طريفة تبدو بما يمازجها من الظروف والوقائع الغريبة كأنها قطعة من الخيال الشائق ، وكان افتتاحها على يد شخصية عجيبة ، تبدو كأنها من شخصيات الاساطير الاولى ، فأما قصة الفتح حسبما تقدمها الينا الرواية البيزنطية ، فخلاصتها أن سيدا من أشراف صقلية يدعى يوفميوس (ويسميه العرب فيمى) هام بحب راهبة حسناء واختطفها من ديرها فقضى الامبراطور وهو يومئذ ميخائيل الثانى ، بجدع أنفه عقابا له على جرمه ، ففر الى بلده سرقوسة ، وثار فى عصبته وأنصاره على حاكم الجزيرة البيزنطى ، وانتزع سرقوسة وبسط حكمه عليها ، ولكنه لم يستطع أن يحتفظ بها طويلا ، اذ هاجمته جند الامبراطور وهزمته واستردت المدينة منه ، ففر الى افريقية (تونس) واستغاث بأميرها ، وهو يومئذ «زيادة الله بن الاغلب» ، ودعاه الى فتح صقلية ووصف له غناها ، وسهولة الاستيلاء عليها . ولكن الرواية الاسلامية لا تذكر لنا شيئا عن قصة الراهبة المخطوفة ، وتقول لنا فقط ان الامبراطور غضب على فيمى ، وهو مقدم أسطوله ، وأمر بالقبض عليه ، وانه ثار فى شيعته واستولى على سرقوسة ، ثم انتزعها منه زعيم آخر يدعى بلاطه ، فسار فيمى فى سفنه الى افريقية واستنجد بأميرها زيادة الله ، فاستجاب الى دعوته ، وسير أسطوله الى صقلية لافتتاحها ، بقيادة قاضى القيروان أسد بن الفرات ، وذلك فى ربيع الاول سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م)

فمن هو هذا القاضى الجرىء الذى يقود الاساطيل الى الفتح ؟ ان ما نعلمه عن حياته الاولى لا يفسر لنا كيف تحول هذا الفقيه العالم الى أمير من أمراء البحر ، فقد نشأ فى مهاد العلم لا مهاد الجندية ، وتخصص فى دراسة الفقه ، ورحل فى طلب العلم الى المشرق ، وأخذ عن الامام مالك فى المدينة ، وصنف كتاب « الاسدية » فى الفقه المالكى . ثم ولى قضاء القيروان فى عهد ابراهيم بن الاغلب مؤسس الاسرة ، واستمر الى جانبه أيام الفتنة

مخلصا للاسرة معرضا عن اغراء خصومها • وفى عهد ولده زيادة الله عين فوق منصبه شيخا للفتيا أو قاضيا للقضاة ، وكان شديد الزهد والتقى والورع (١) ومع أننا لا نعرف تاريخ مولده بالتحقيق ، فانه كان بلا ريب وقت ندبه لقيادة حملة صقلية ، شيخا قد يربى على الستين من عمره ، اذا ذكرنا أن أستاذه الامام مالك توفى سنة ١٧٩ هـ • على أن هنالك مايدل على أنه ندب لقيادة البحر قبل ذلك ، وأنه قام فى هذه المياه بغزوات بحرية سابقة ، فقد ذكر لنا ابن خلدون : « أن أسد بن الفرات شيخ الفتيا فتح قوصرة أيام زيادة الله بن الاغلب(٢) وقوصرة هي كورسيكا كما ذكرنا • وفى التواريخ الافرنجية أن المسلمين قاموا منذ سنة ٨٠٦ م بعدة غزوات فى كورسيكا ، وفى سنة ٨١٠ م ظفروا بالاستيلاء عليها مؤقتا ، حتى أخرجتهم منها جنود كارل الأكبر (شارلمان) ، ولكنهم عادوا الى غزوها بعد ذلك مرارا • ونستطيع أن نستخلص من اتفاق الرواية والتاريخ ، أن فتح قوصرة المؤقت كان أيضا على يد أسد بن الفرات ، ولكن فى عهد عبد الله بن الاغلب ، لا فى عهد أخيه ، وخلفه زيادة الله

***

وخرج القاضى وأمير البحر الشيخ ، على رأس سفنه مرة أخرى فى ربيع الاول سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) كما قدمنا متجها صوب صقلية ، ولم تكن هذه الحملة من السرايا الصغيرة ، بل كانت فيما يظهر أعظم حملة بحرية قادها أسد بن الفرات ، فقد كان حسبما تذكر الرواية الاسلامية تضم تسعمائة فارس ، وعشرة آلاف راجل غير النواتية(١) وكان معظم هؤلاء من الجند المجاهدين فى سبيل الله ، ورست السفن الاسلامية فى ثغر مازر (أو مازارا) فى طرف الجزيرة الغربى ، وهو أقرب ثغورها الى افريقية ، ونفذ أسد بن الفرات على رأس جنده الى شرقى الجزيرة لمقاتلة الروم الذين اجتمعوا حول زعيمهم بلاطه ، واجتمع اليه فيمي وأنصاره ليقاتلوا معه فأبى ، وطلب اليهم أن يعتزلوهم اذ « لا حاجة بهم الى الانتصار بالكفار» • ونشبت بين الفريقين معركة شديدة ، هزم فيها الروم ، وغنم المسلمون كل أسلابهم ودوابهم ، وفر بلاطة الى قلورية ، وقتل هنالك بيد بعض خصومه ، واستولى أسد بن الفرات على عدة حصون داخل الجزيرة ، ووصل فى سيره الى قلعة الكرات المنيعة (كلتا جيرونى) ، وقد احتشدت فيها قوة عظيمة من الروم ، فخادعوه بطلب المهادنة وأداء الجزية وشجعهم فيمى سرا وكان قد بدأ يخشى عاقبة توغل المسلمين فى الجزيرة ، فاستمع أسد الى ضراعتهم ، وتركهم أياما استعدوا فيها للمقاومة ، وامتنعوا عليه ، فضرب الحصار حول القلعة ، وبث السرايا فى نواحى الجزيرة ، وافتتح ماحول سرقوسة وحاصرها برا ، وحاصرتها سفن المسلمين من البحر ، ووصلته الامداد

---

(١) معجم ياقوت فى كلمة « صقلية » وابن الأثير (مصر) ج ١ س ١١٣ وابن خلدون ج ٤ س ١٩٦

(٢) المقدمة س ٢١١ (٣) معجم ياقوت

من افريقية ، فبعث الى بلرم الجند والسفن لحصارها ، ولكن وصل فى ذلك الحين الى مياه سرقوسة أسطول بيزنطى بعثه الامبراطور لانجاد الجزيرة ، فاشتدت المقاومة على المسلمين، ونشبت بينهم وبين الروم فى البر والبحر معارك مستمرة ، وامتد خط القتال من سرقوسة فى شرقى الجزيرة الى بلرم فى شمالها الغربى . وهنا وقع الوباء بمعسكر المسلمين فى سنة ٢١٣ هـ (٧٢٨ م) ، فهلك فيه كثير منهم ، وحمل فيمن حمل أميرهم أسد بن الفرات. والظاهر أنه توفى فى قصر يانه (كاستروجوفانى) أو على مقربة منها ، وأنها كانت يومئذ فى قبضة المسلمين ، ذلك أن الفقيه والقائد وأمير البحر الشيخ دفن بها ، حسبما تقول الرواية الاسلامية(٢) ومن يدرى فلعل رفاته ما زال يثوى بها الى اليوم فى قبر مجهول

وتولى القيادة من بعده محمد بن أبى الجوارى ، فلما رأى تفاقم الامر على المسلمين، حاول الانسحاب فى السفن فمنعته السفن البيزنطية من ذلك ، فأمر عندئذ بحرق السفن، وامتنع المسلمون بداخل الجزيرة ، وتفرقوا فيها أسرابا يغزون بسائطها ويحاصرون قلاعها، حتى جاءتهم الامداد من افريقية ، ووصل لمعاونتهم فى الوقت نفسه أسطول أندلسى من السرايا المجاهدة المغامرة فى سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) فاشتد ساعدهم ، ومضوا فى افتتاح مدن الجزيرة وثغورها تباعا حتى أتموا افتتاح معظمها ، وكان تقدمهم بطيئا لوعورة الجزيرة، فاستقروا فيما افتتحوه منها ، وفى سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٨ م) استولوا على سرقوسة آخر معاقلها فتم بذلك افتتاحهم لها ، وأسسوا بها امارة ، كانت تابعة فى البداية لحكومة افريقية ، ثم استقلت بعد ذلك عنها حينما سقطت دولة الاغالبة ، وقامت فى صقلية دولة اسلامية لبثت زهاء قرنين ، ازدهرت فيها الجزيرة ، وغدت حديقة يانعة ، تزهو بعلومها وتجارتها وصناعتها ، وأضحت فى الوقت نفسه معقلا اسلاميا ، تخرج منه البعوث والحملات البحرية، فتجوس خلال المياه الايطالية وتفتتح ثغورها . وتصل حتى رومه « ملكة العالم » حتى اذا أدرك الوهن والانحلال تلك الدولة الاسلامية الصغيرة ، توالت حملات الفرنج على الجزيرة ، حتى استعادها الدوق روجر (رجار) النورمانى سنة ٤٦٤ هـ (١٠٧٢ م) ، وانتهت بذلك دولة الاسلام فيها كما ينتهى الحلم السعيد

تلك قصة الفتح الاسلامى لصقلية ، وقصة فاتحها أسد بن الفرات وليس من النادر أن نرى فى الفتوحات الاسلامية الاولى فقيها أو محدثا أو عالما يتولى قيادة البعوث والحملات وقد كان من تقاليد الفتوحات والحروب الاسلامية دائما أن يحتشد الفقهاء والعلماء المقربون من السلطان فى مؤخرة الجيش ، ولكن هذا المنظر الرائع الذى يقدمه الينا هذا الفقيه والقاضى الشيخ ، والقائد الجرىء ، وأمير البحر المغامر ، برياسة الاساطيل الغازية ، وقيادتها الى الفتح والظفر ، والذى يملأ النفس روعة واعجابا ، حقا من المناظر الفريدة فى التاريخ الاسلامى

محمد عبد الله عنان

(١) ابن خلدون ج ٤ ص ١٩٨

الغارات الجوية بالغازات

لا جديد فى الحرب القادمة

بقلم الاستاذ عبد الحميد احمد

وكيل مصلحة الكيمياء

يصبح الملايين من الناس ويمسون فى هذه الايام ، ولا حديث لهم الا الحرب والخوف من الحرب ، ولا يشغل بالهم الا الغارات الجوية وما تجره وراءها من شرور وويلات

والدنيا الآن مضطربة فى كل مكان ، لا تستقر الاخبار الدولية فيها على حال

والناس فى خوفهم وفزعهم معذورون ما دام التهويل والارهاب يملأ الجو هنا وهناك، فيثير حربا وهمية قد يكون أثرها أشد من الحرب فى حقيقتها

وأى هول أعظم من أن يسمع الناس المنذرين بالويل ، من العارفين وغير العارفين، يبالغون فى أمر الغارات الجوية بالغازات ، موهمين أنه لا يمضى على القيام بواحدة جدية منها وقت قصير الا وتكون قد أفنت الحرث والنسل ، وفتكت بالعباد فتكا ذريعا يجعلهم فى لمح البصر أثرا بعد عين

فاذا كان لهذه البلاد — لا قدر الله — عدو واقف لها بالمرصاد بالرغم من رغبتها فى السلام، فانه بلا ريب يفيده قيام هذا الفزع والذعر بين الناس ، لانه سلاح قوى يعتز به فى مثل هذه الاحوال ، خصوصا وان فلسفة الحروب فى العصر الحديث ترمى قبل كل شىء الى اضعاف الروح المعنوية فى العدو ، بغية الوصول الى الهدف المقصود فى أوجز وقت وبأقل نفقة ، دون حاجة الى التدمير والتقتيل ، مادام ذلك فى الامكان . والحوادث الاخيرة فى أوربا خير شاهد على ذلك

لهذا كان من ألزم الامور فى الاوقات العصيبة التى نجتازها ، أن يعلم الناس شيئا عن حقيقة المسائل التى تتصل بالحروب الكيميائية الحديثة وما يستخدم فيها من وسائل

وهذا ما سنحاول عرضه موجزا ومبسطا بقدر الامكان فى هذا المقال ، غير متحيزين لفريق دون فريق ، ولا معززين سياسة معينة دون سياسة أخرى . وانما نريد سرد الحقائق مجردة لنستنبط منها ومن سوابق الحوادث ما لو تدبره الناس لبدل لدرجة كبيرة من خوفهم أمنا ومن فزعهم هدوءا فينصرف الكل الى عملهم مطمئنين ما داموا قد أتخذوا العدة للطوارىء وعملوا بالقول المأثور « الوقاية خير من العلاج »

هل تكشف لنا الحرب القادمة عن شىء جديد فى الغارات الجوية بالغازات بعد أن تقدمت العلوم وتطورت المدنية ؟

الجواب على هذا السؤال مطمئن للناس اذ المعروف بين الخبيرين بالامور انه اذا قامت حرب قريبة واستخدمت فيها الغارات الجوية بالغازات ، فسوف لا يكون هناك شيء جديد أكثر مما عرف فى الحرب الماضية . ولا غرابة فى ذلك اذا علمنا ان الغازات التى استخدمت فى تلك الحرب ، كانت كلها مواد كيميائية معروفة خواصها من قبل ، وكثير منها كان ولا يزال يستخدم لاغراض شتى سلمية فى الصنائع والفنون ، بل ان غاز الخردل ذاته ــ وهو أفتكها جميعا وقد استخدم فى الحرب الماضية سنة ١٩١٧ ــ كان معروفا منذ نحو سنة ١٨٦٠م

وقد جربت من هذه المواد مئات بل آلاف ، فلم تسفر التجربة الا عن اختيار عدد لايزيد كثيرا عن الثلاثين ، لم يوجد منه صالحا للاستخدام الحربى الا نحو اثنى عشر مركبا . ذلك لان الغاز الحربى المثالى يجب أن يستوفى عدة شروط طبيعية وكيميائية وفسيولوجية وحربية ، ويندر ان تستوفى مادة واحدة كل هذه الشروط . وهذا من حسن الحظ ، اذ لولا ذلك لكانت الوقاية من هذه الغازات من أصعب الامور

فاذا فرضنا بعد ذلك جدلا وجود غاز جديد ، فيجب أن لا يغيب عن البال أن الحرب الماضية ، وما اكتسب فيها من خبرة فى ابتكار أساليب الوقاية ودفع الاذى عن الناس ، عسكريين ومدنيين ، كفيل بأن يوجد بسرعة ، طريقة للوقاية من هذا الغاز

ولكن المنتظر على كل حال أن يكون الجديد فى الحرب القادمة هو التحسين والابتكار فى الطرق والاساليب التى تلقى بها الغازات ، خصوصا وقد تقدم فن الطيران الحربى تقدما عظيما جعل له فى الحروب شأنا كبيرا لم يعرف فى الحرب الماضية ، اذ كان هذا الفن ناشئا فى المهد

واذن فالغارات الجوية بالغازات فى الحرب المقبلة ستبدأ من حيث وقفت الحرب الماضية ولنستعرض الآن كيف كانت الاحوال فى ذلك الوقت

الغازات فى الحرب الماضية

كان أول عهد جدى بالغارات الجوية بالغازات فى الحرب الماضية فى ابريل سنة ١٩١٥، وذلك عندما بعث الالمان على الحلفاء بكميات من غاز الكلور مدفوعا من اسطوانات كان مضغوطا فيها ، فأخذتهم سحبه الخانقة على حين غرة منهم ، ولم يكن لديهم اذ ذاك ما يتقون به ضرره ، فمات منهم من مات وولى الباقون الادبار

ولكن سرعان ماوجد الحلفاء بعد تجربة الغارة الاولى وسيلة يسيرة لاتقاء شر الكلور هى اتخاذ لثام من القماش مشرب بمحاليل قلوية كان النواة فى فكرة الكمامة التى هى عماد الوقاية الآن

وظلت الحال هكذا كلما استنبط استخدام غاز جديد استنبطت بالمثل وسيلة للوقاية منه، حتى انتهى الامر باستعمال مادة واحدة تكفى للوقاية من جميع هذه الغازات هى مادة الفحم المنشط ، وهو فحم نباتى يعالج بطريقة خاصة تزداد بها كثيرا قدرته على امتصاص الغازات

فلما حدث هذا التوازن بين وسائل الهجوم والدفاع ، وكادت الحرب بالغازات تقف عند حد وتفقد أهميتها ، استعمل الالمان فى يوليو سنة ١٩١٧ طائفتين جديدتين من الغازات لم تكن الكمامات المعروفة اذ ذاك لتغنى فى الوقاية منهما شيئا . هماطائفة الغازات المعطسة، وطائفة الغازات الكاوية المنفطة . اما الاولى فهى تطلق على شكل دخان تنفذ دقائقه من الكمامة دون أن يحجزها الفحم . فكان لابس الكمامة يضطر من مضايقة العطس والسعال وفقد الثقة فيها الى نزعها ، فلا يلبث أن يصيبه شر غاز آخر مما يعقب الاعداء باطلاقه بعد ذلك . واما الثانية – ولم يستخدم منها لهذا الغرض بالذات فى الحرب الماضية الا غاز الخردل – فلا تكفى الكمامة وحدها فى الوقاية منها لان لها تأثيرا شديدا فى أى جزء صادفته من الجسم

وكان ادخال هاتين الطائفتين دافعا قويا الى تحصين الكمامات ، فاضيفت الى الفحم المنشط فيها حواجز من القطن أو السليلوز لتمنع مرور دقائق المعطسات ، وكان كذلك دافعاالى استنباط استخدام أردية خاصة للوقاية من المنفطات

فلما انتهت الحرب فى سنة ١٩١٨ كانت طوائف الغازات الحربية التى استخدمت أربعا هى :

١ – مسيلات الدموع . وهى « غازات »أهم تأثيراتها أنها تهيج العين فتنهمر دموعها وتلتهب جفونها ويصعب فتحها والنظر بها . ويندر أن تحدث هذه الغازات بالتراكيز المستخدمة عادة اضرارا بلغة أوأذى يطول بقاؤه . ولذلك يستخدمها البوليس فى بعض البلدان لفض المظاهرات ومطاردة الاشقياء ونحو ذلك . ويكفى للتخلص من تأثيرها تعريض المصاب للهواء الطلق النقى . ولقد كانت مسيلات الدموع أول الطوائف التى استخدمت من الغازات فى الحرب الماضية . والكمامات كافية للوقاية منها

٢ – الغازات الخانقة المهيجة للرئة – وأهم ما تحدثه تهيج فى اجهزة التنفس العليا وفى الرئة نفسها . ومن نتائج هذا التأثير – اذا اشتد – انسياب سائل من الاوعية الدموية الى الخلايا الهوائية الرئوية فيسد مسالك الهواء فيها وبذلك تتعطل جزئيا أو كليا عن القيام بوظيفتها . ومن أشهر المواد المهيجة للرئة الكلور والفسجين والكلوروبكرين ، وكلها استخدمت فى الحرب الماضية بكميات وافرة ، وكانت ثانية الطوائف فى الاستخدام . والكمامات كافية أيضا فى الوقاية منها

٣ – الغازات المعطسة – ومعظمها مواد صلبة تطلق فى الهواء دخانا دقيقا ، وتنحصر تأثيراتها الاساسية فى أعضاء التنفس العليا ، فتحدث فيها اكلانا تصحبه نوبات تشنجية من العطس والسعال ، وسيل اللعاب ، وافرازات مخاطية من الانف والفم ، وقد يمتد الضرر الى الرئة نفسها . كما أن هذه المواد قد تحدث تسمما عاما بسبب الزرنيخ الداخل فى تركيب معظمها . على ان الضرر البليغ لا يكون الا بتأثير التراكيز الكبيرة أو الصغيرة اذا طال زمن تأثيرها فى المصاب . ومن أمثلة هذه الغازات الداى فنيل كلوروارسين . والكمامات المجهزة

بحواجز القطن والسليلوز تقى المرء شر هذه الغازات

٤ ـ الغازات الكاوية المنفطة ـ وقد سميت بذلك لانها تحدث بالجسم بثورا وقروحا شبيهة بما تحدثه المنفطات الطبية كالزراريح والخردل • ولم يستخدم من هذه الغازات فى الحرب الماضية لهذا الغرض بالذات كما قدمنا الا غاز الخردل • وهو سائل زيتى القوام اسمر اللون شديد الخطر اذ لا يقتصر فعله على عضو معين فى الجسم ، بل يؤثر فى كل ما صادفه ، وعلى الاخص الجلد الرقيق الحساس • كما انه ينفذ من جميع الملابس العادية والمواد المعروفة • يضاف الى ذلك أن المرء لا يشعر بما ينبهه الى الاصابة به عند حدوثها اذ لا يظهر أثر ذلك الا بعد فوات وقت يعد بالساعات يبدأ بعده ظهور التهاب واحمرار ثم انتفاخ فى موضع الاصابة يعقبه ظهور بثور وقروح وتسلخ • وقد يطول علاج هذه الاصابات

لذلك سمى غاز الخردل بحق بطل الغازات الحربية على الاطلاق ، ولا يزال محتفظا بهذا اللقب العظيم • ولذلك ينتظر أن يكون له شأن فى الحرب القادمة كما كان له فى الحرب الماضية

المفرقعات وقنابل الحرائق

يضاف الى طوائف الغازات الحربية السابق ذكرها المواد المستخدمة فى احداث السحب الصناعية • وهى مواد تستخدم للتضليل فى الدفاع والهجوم على السواء وليست بذات خطر فيما نحن بصدده • يضاف كذلك أيضا المواد المفرقعة الشديدة الانفجار ، والمواد المحدثة للحرائق وهما أشد خطرا على الفرد والمجموع من الغازات • لأن الوقاية التامة من المفرقعات تستلزم مراعاة أمور فنية فى المبانى والمنشآت ليست ميسورة بوجه عام فى مصر ولا فى غيرها من البلدان ، اللهم الا فى بعض المنشآت الحديثة التى روعيت فيها هذه الاعتبارات لأغراض خاصة • وكل ما يستطاع عمله للوقاية من هذه المفرقعات الالتجاء الى مكان حصين • ويلاحظ مع ذلك أن قنابل المفرقعات الشديدة لا تستخدم عادة الا لأغراض خاصة فى اصابة أهداف معينة هامة لها اتصال وثيق بالمرافق العامة وما الى ذلك • أما قنابل احداث الحرائق فأهم ما يستعمل فى ملئها من المواد : الفسفور والترميث (الالمنيوم واكسيد الحديد) والصديوم والقطران وزيت الوقود • ويرجع خطر هذه القنابل الى أنها صغيرة الوزن تستطيع الطائرة الواحدة أن تحمل منها عددا كبيرا تلقيه هنا وهناك متعمدة فى ذلك أن تحدث فى مواقع متعددة وفى مناطق متباعدة عدة حرائق فى آن واحد ، فيحدث بذلك الارتباك الشديد ، فضلا عن الخسارة المادية • على أن اتقاء الضرر ليس عسيرا فتقوية السقوف العلوية ، ووضع طبقة من الرمل عليها تكفى فى حماية المبانى من اختراق هذه القنابل للطبقات العليا • وأفضل ما يتبع فى اطفاء هذه القنابل القاء مقدار من الرمل أو التراب عليها أو رشها بقليل من رذاذ الماء

والعجيب أن كثيرين من الكتاب قد أسرفوا فى الكلام والتحذير من شر قنابل الغازات ،

وأغفلوا الشر الكامن فى هذين النوعين من القنابل – ولا سيما فى قنابل المفرقعات – خصوصا وان احصائيات الحوادث فى سنى الحرب العظمى الماضيــة قد دلت على أن من بين كل ثمانية عشر شخصا أصيبوا اصابات غيرمميتة كان واحد فقط بسبب الغازات وأن من بين كل خمسة وسبعين شخصا توفوا بسبب اصابات الحرب كان واحد فقط بسبب الغازات

وقد حدث أيضا فى هامبورج بألمانيا فى أواخر سنة ١٩٢٨ انفجار عظيم انبعث عنه نحو أحد عشر طنا من الفسجين – ذلك الغاز الفاتك – وفوجىء بسحبه الناس الى بعد بضعة أميال من المدينة ، ومع ذلك كانت الاصابات والوفيات قليلة جدا اذا ماقورنت بالاصابات والوفيات التى أحدثتها قنبلة واحدة من المفرقعات زنتها أقل من طن ألقيت فى غارة جوية على مدينة كبيرة خلال الحرب العظمى الماضية

كذلك تكاد تكون آراء الخبراء كلها متفقة على أن غازات الحرب التى استخدمت للآن لا تترك فى النهاية أثرا سيئا لدرجة كبيرة ، أو عاهة مستديمة تعطل المصاب تعطيلا كليا. ويقول الجنرال جليشرت – وهو من الاساطين الذين درسوا الموضوع دراسة وافية وله به اتصال وثيق – فى تقرير رسمى له عن هذا الامر انه وان كانت أجهزة التنفس أكثر تأثرا من غيرها ، الا أن نتائج البحوث كافية لاقناع أى شخص بأن السل الرئوى ليس من الامراض التى تحدثها غازات الحرب ، ولا هو نتيجة من نتائجها المتأخرة . كذلك يقول أن هذه المباحث قد دلت على ندرة حدوث اصابات مستمرة التأثير فى العين وأعضاء التنفس العليا ، وأن حالات حدوث العمى التام قليلة جدا بحيث لا تذكر بجانب المجموع. أما غاز الخردل فأكثر النتائج الخطرة من جرائه تكون من الاصابات الحديثة التى أهمل اسعافها وعلاجها . بينما تلك التى مر عليها وقت ، فالحال فيها كالحال فى الغازات الخانقة المهيجة للرئة

عدتك للوقاية

تستلزم الوقاية التامة من وسائل الحروب الحديثــة عدة أمور تتكفل الحكومات بجزء وافر منها ، وهى لذلك لا تألو جهدا فى ارشاد الجمهور ووضع النظم المتينة لدرء الخطر وللاسعاف والعلاج ، وتنشر فى ذلك النشرات . ولكن الافراد عليهم واجب عظيم هو حسن ادراكهم للموقف وخطورته ، وضرورة التحوط بالرغم عما قد يكون لديهم من الاطمئنان ، وعدتهم فى ذلك عدم الانزعاج وحسن النظام ومخبأ محصن فى البيت وكمامة واقية . وللنظام وضبط النفس وعدم الانزعاج أثر طيب فى هذه الاحوال خصوصا وقد تضطر الظروف بعض الناس للالتجاء الى المخابىء العامة ، فاذا لم يكن هنـاك نظام فان الخطر من الهرج يفوق الخطر من الغارات نفسها . أما المخبأ فقد أفاضت فيه النشرات الحكومية محلية وغير محلية بما يكفى علمه وان كان بعض الناس قد شعروا بالهول من

شدة التحوط فى البيانات التى قرأوها مع أن الأمر أيسر من ذلك كثيرا وفى مقدور كل شخص فقيرا كان أوغنيا أن يعد له غرفة يلجأ اليها عند الحاجة فقلاحو بلجيكا مثلا الذين كانوا فى طريق الهجوم بالغازات لم يصبهم من أذاها شيء يذكر بالرغم من أنهم لم يتخذوا من وسائل الوقاية الا ما هو طبيعى ، أى الالتجاء بسرعة الى المنازل وسد منافذها سدا لا يتسرب منه الهواء والاحتماء فيها . أما الكمامات فقد أصبحت ولله الحمد وافية بالغرض بعد ما أدخل فيها من تحسينات أشرنا اليها من قبل . ونرجو أن توزع الحكومة هذه الكمامات مجانا على غير القادرين كما تفعل الحكومات الاخرى

لا تخف من الغاز ولا تستهتر به

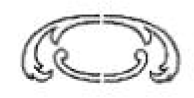
ان الذى يهمنا نحن المصريين من أمر الغارات الجوية بالغازات بعد ما قدمنا هو أن الاحوال الجوية والطبوغرافية فى بلادنا ليست مما يلائم لدرجة كبيرة نجاح أمثال هذه الغارات . اذ يقتضى نجاح الغارة بالغازات أمورا كثيرة منها :

١ ـ اعتدال فى سرعة الرياح وفى درجتى الحرارة والرطوبة ، والحرارة فى بلادنا تساعد على احداث تيارات هوائية تبخر « الغازات » وتشتتها بسرعة ، فيخف بذلك تركيزها الضار وتقل استدامتها

٢ ـ مواقع غير مكشوفة يحتبس فيها الغاز ، وارض بلادنا مكشوفة جميعها كلها سهول منبسطة ولا توجد فيها الغابات والاحراش ولا المبانى العالية التى توجد فى البلدان الاخرى

واذا اضفنا الى ذلك ما تقوم به السلطات من استعدادات حربية للتحصين ورد الهجوم ، وما حبت الطبيعة به مصر من التحصين الكونى ببعد الجنوب عن مراجل الخطر ، ووجود الصحراء شرقا وغربا مكشوفة لا تعوق الاستطلاع وممتدة ـ وعلى الاخص فى الجهة الغربية ـ الى مسافات كبيرة قد لا تستطيع الطائرات المغيرة قطعها ذهابا وايابا فى مرحلة واحدة طبقا لما تقتضيه الحال فى مثل هذه الغارات ، تبين لنا من كل ذلك ان مصر والحمد لله أحسن حالا فى هذه الناحية من كثير من البلدان الاخرى . وقانا الله جميعا الحرب وشرها ووفق الساعين الى السلام

عبد الحميد احمد



جو النبوغ هادىء معتدل ، أما جو العبقرية فانه متقلب
قد تلاقيك فيه الأنواء ، والعواصف ، وتسير من النبوغ
فى أرض ميثاء وطريق ممهـد ، وأما العبقرية فتسير منها
بين ارتفاع وصبب فى طريق حافل بالصخور المركومة

أثر النبوغ والعبقرية فى الأدب والفن

بقلم الاستاذ على أدهم

عندما نجول بين بدائع الفن وآيات الادب ، ونستمتع بما فيهما من روائع تذهل اللب وتنقل النفس لحظات الى ما وراء عالم الحس ، نجد بعد أن نفيق من نشوة الاعجاب ونؤوب من النقلة الممتعة ونرجع الى نفوسنا نستخبرها ، اننا نستطيع أن نفرق بين نوعين من الفن فى هـذه التحف النفيسة والآثار الباقيـة ، أحدهما فن النبوغ والآخر فن العبقرية ، ولكل منهما من الملامح والسمات ما قد يهديك فى سهولة أو فى صعوبة الى معرفته والوقوف على نوعه ، ويرجع سبب هذا الاختلاف الى الفرق المستقر وراء ذلك بين طبيعة العبقرية وطبيعة النبوغ ، فان خيال هذا الفرق ينعكس ويبدو أثره بأتم جلاء فى طرف الأدب وبراعات الفن

والعبقرى فى الكثير من حالاته مثل الصبى الاهوج الغرير قلق النفس نافر الطبع ، تارة يستفزه الطرب وأخرى تراه رازحا تحت عبء الاحزان الثقال ، فأحواله متناقضة وميوله متضاربة ، وهو ولوع بالحياة حريص عليها ، ولكنه أبدا يشكوها ويتبرم بالناس، ولكنه يرثى لضعفهم ، وهو دائم التنقل بين الجنة والنار ، جوال الفكر فى الخير والشر . والعبقريون فى العادة لا يشعرون بنفوسهم كل الشعور ولا يعون نتائج أعمالهم كل الوعى، وقد يتخلل بعض أعمالهم عنصر من السخف والعناد يجعلنا نرضى بانسانيتنا المتواضعة، ونطمئن الى أن الانسان مهما تعالى فى مدارج الفهم والدراية فانه بعيد عن مكانة الآلهة وكمال الارباب

والى جانب العبقريين يقف النوابغ ، وهم يستفيدون من سعى العبقريين ويستثمرون جهودهم ، وهم وان كانوا أقل قوة من هؤلاء الجبابرة المردة ، أدق فطنة وأوسع حيلة وأكثر قابليـة للتهذيب والاصلاح ، فعقولهم مرنة ونفوسهم هادئة ، ولهم من الحذق

وسهولة الفهم ما يمكنهم من تجويد أى شىء يتعاطونه

والفرق بين العبقرية والنبوغ هو أن العبقرية تفوق عميق وأصيل ، والنبوغ تفوق مكتسب سطحى ، بل الفرق أكثر من ذلك . قال البحاثة الايطالى « سيرا » « الفرق بين النبوغ والعبقرية هو أن النبوغ حالة دائمة ومستوى أرفع من المستوى العادى ، ومظاهره سرعة الاحساس والادراك ، وسرعة الاستجماع والنفاذ والزكانة ، والنابغة يجيد عمل المألوف والمتعارف ويسير سيرا حثيثا فى الطرق المعبدة المطروقة ، ولكنه يتعثر فى النواحى المجهولة ، بل هو يكره المجهول ولا طاقة له عليه . أما العبقرى فهو لا يستريح الا اذا سار فى الطرق غير المطروقة يستكشف ويجرب ، فالمجهول يستغويه وهو يؤثر أن يضل طريقه وينقطع منه الرجاء فى البوادى المجهولة على أن يسلك الطريق المألوف . من أجل ذلك قد يشتهر النابغة ويخمل العبقرى ، والاول يجيد ما يفعله الكثيرون فهم من ثم قادرون على ادراك تفوقه ، ولكن العبقرى يبدههم بشىء لا قبل لهم به ولا سابق عهد لهم بمعرفته ، ولذا لا يقدره ويدرك تفوقه الا لفيف من ذوى العقول السامية ، ومن مميزات العبقرية الحساسية العميقة ، وعدم الصبر المستمر على ما حولها من الاحوال ، وعدم الاقتناع الدائم بحالتها ، والنزوع الذى لا نهاية له الى حياة اسمى ، وليس عقل العبقرى آلة منظمة ، وانما هو ميزان غير مستقر »

هذا رأى البحاثة سيرا وأضيف اليه أن من أكبر مميزات العبقرى أنه يلقى نفسه بكليتها فى كل ما يعمل ، فأعماله وآثاره وأقواله هى عصارة نفسه وخلاصة حياته وتجاربه ، وأثره سواء فى الفن أو فى أى مظهر من مظاهر الخلق ، والتأثير أثر حى عميق ، وهو تستغرقه الفكرة فلا يلتفت عن الحقيقة فى أطباق ثراها ، والتحليق فى أجواز فضائها ، غير ناظر الى غرض آخر لأن عقله متحرر من سلطة الانانية الضيقة ، غير خاضع لاحكام المصالح الشخصية والفوائد المادية . ويستوى فى ذلك « نيوتن » وهو يكد ذهنه فى استكشاف قانون الجاذبية ، و« شكسبير » وهو يسح بقصائده العصماء ويرسل رواياته الخالدة . وقد نرى فى مخلفات كبار النوابغ مايوضع الى جانب أفخر آثار العبقرية ، ولكن حتى فى الآثار التى ارتفعوا فيها الى الذروة وناصوا أعنان الكمال ، لا نلمح التماسك الوثيق والوحدة الحية وطابع البساطة والاخلاص ، وطلاوة الجدة التى تمتاز بها آثار العبقرية ، بل نستطيع أن نرى فارقا بين الرجل وعمله ، ونتمثل الفنان وهو يفتن فى أساليب خلق التأثير واهاجة المشاعر والاخيلة ، وينحت الكلمات ويصقل التراكيب ويبدل فى الالوان والخطوط ، ومنشأ الوحدة الحية والالتئام التام فى آثار العبقريين ، هو أن الرجل قد تسرب فى آثاره حتى تكاد تسمع خلالها نبض قلبه ، ودبيب خواطره وهواجس نفسه

على أننا مهما بالغنا فى اكبار فن العبقريين وغلونا فى ايثاره على فن النبوغ ، فلامحيص لنا عن أن نشير الى صفة واضحة فى أكثر مخلفات العبقريين الى حد كبير ، وهى صفة

(٢)

التفاوت وعدم الاطراد على نسق واحد ، وما أصدق بشار وأجزل نصيبه من العمق والاصابة فى قوله : « الشاعر مثل البحر يقذف مرة بالدرر وأخرى بالجيف » ولو أنه قصر الفكرة الشاسعة على العبقرية الشعرية ، وقد نرى فى آثار العبقريين الرائع الجليل الى جانب المضحك السخيف ، ويرجع ذلك الى أن العبقرى يستمد من الوحى ، وقد لا يسعفه فى بعض الاوقات ، وليس هو دائما فى نوبة الحمى والتوقد ، فقد تفتر حرارته وينقطع وحيه ، فيعمد الى أساليب النوابغ ويسلك طرائق الوضاعين وأهل الصنعة ، وقد لا يكون له براعتهم وحذقهم ، فيتخلف عن شأوهم ويقصر عن مداهم • وفضلا عن ذلك فان قلق العبقرى واستطاراته الكثيرة على أجنحة الوحى يجعلانه عاجزا عن اتقان التفاصيل وادراك الصغائر وهو يقيس بالمقياس الكبير ويسير بخطوات المارد العملاق اذا دب غيره دبيب النمل ، وزحف زحف السلاحف • والعبقرى نافذ موفق فى الجوهريات والكليات الشاملة • وحذر ومنطقى فى فكرته العامة المسيطرة ، وان كنت قد تراه متناقضا فى التفاصيل وغير منطقى فى الجزئيات ، ففى أعمال العبقريين متسع كبير للنقد والمؤاخذة ، وكم من ناقد قدير قد تقلد سلاحه واستلأم درعه وحمل حملة صادقة على آثار العبقرية ، فعاد أدراجه بعد أن هدم جانبا من التفاصيل ، وزعزع أركان بعض الجزئيات دون أن ينال شيئا من الفكرة الكلية المتعالية الحصينة

وجو النبوغ هادىء معتدل ، أما جو العبقرية فانه منقلب قد تلاقيك فيه الانواء ، والعواصف • وتسير من النبوغ فى أرض مستواة وطريق ممهد ، وأما العبقرية فتسير منها بين ارتفاع وصبب فى طريق حافل بالصخور المركومة • وآثار العبقرية أشبه بالغابة المتأبدة تنمو نموها شاذة مطلقة لا معترض لحريتها ولا كابح لغلوائها ، تلاقيك فيها الاشجار الفارعة المتطاولة والدوح المتسامى الباسق والنبت الاثيث الملتف ، ويحسر الطرف من الجولان فى شواهقها الشامخة وأبعادها المترامية ، وتعترينا ازاءها الرهبة ونستشعر العجز ، أما آثار النوابغ فهى فى اتزانها وصقلتها أشبه بالحدائق الانيقة البديعة التنسيق ، أشجارها مشذبة وأزهارها مقلمة وطرقها مرصوفة بالحصباء ، ويعجبك نظامها ويمتعك ويهب عليك نسيمها حاملا روائح الورود وأرج الازهار

وهناك سر يذهلنا عن معايب العبقريين وينسينا محاسن النوابغ ، ويجعلنا نؤثر العبقرية ونضعها فى مكانة أسمى من مكانة النبوغ ، برغم ما فيه من براعة واتزان وكمال واتقان ، وذلك السر هو قوة شخصية العبقرى الغلابة الجاذبة سواء ظهرت فى الحلل الفاخرة أو فى الاطمار البالية ، فهى تهز النفس من أعماقها وتثير رواكدها وشجونها ، وفى العبقرية سحر تتحرك له الجوامد وتنطق الصوامت وتنجلى الاسرار والغوامض • وقد يكون العبقرى ردىء الفن خشن التعبير ، ولكن شخصيته القوية المتمازة تضىء وتشرق من سحائب فنه وتظهر سمات نفسه الموهوبة ضاحية متبلجة ، وقد لا تزدهيك أعمال صحيحة

الوضع مهندمة الشكل خارجة من مصانع النبوغ ، لأن أهم ما يسيطر على الآثارالفنية ويطبعها بطابعها هو شخصية الفنان

وقوة الشخصية هي سر اعجابنا بكبار شعراء الدراما والروائيين والقصصيين الذين تنحصر براعتهم فى تشبعهم بالشخصيات التى يصورونها وتسربهم فيهـا ، وتظهر قوة شخصيتهم فى هذه القدرة الكبيرة على الملاحظة والنفاذ الى أعماق الانسانية الذى مكنهم من أن يجسموا تجاربهم تجسيما حيا ، وليست تعجبنا الاشخاص اكثر مما تروعنا من روائهم العبقرية التى نفخت فيهم حياة من القوة والتأثير بحيث انطبعت صورهم فى نفوسنا ورسخت فى ذاكرتنا ، فالشخصية اذن فى مقدمة العوامل المؤثرة فى الفن ، بل تكادتكون هي محك الجودة وفيصل التمايز ، وللفيلسوف الايطالى النقادة «كروتشه» رأى يطابق ذلك ذكره فى عرض احدى محاضراته قال : «ان الاثارالفنية يجب أن تعبرعن شخصية، ويجب على النقد أن يقرر هل الشخصية موجودة أو لا ، والاثر الفنى الناقص هوعمل مضطرب لم تبرزفيه شخصية ظاهرة ، وانما ظهرتشخصيات متدافعة متزاحمةبالمناكب أى لا شىء والذى يروعنا فى أعمال الفن ليس صفاء التعبير والانسجام وحدهما ، وانما الذى يفيض سرورنا وينبض قلوبنا هو الحياة والحركة والعاطفة والحرارة وشعورالفنان، وهذا هو المقياس الوحيد الذى يمتاز به العمل الفنى الصادق من العمل الفنى الكاذب ، فحيث يوجد الشعور والعاطفة تسامح كثيرا ولكن لا سبيل للتسامح حيث لا يوجدان ، وان أحفل الناس عقلا وأعمقهم فكرا وأبرعهم ثقافة واستنارة ، قد لا يمنعه ذلك كله من أن يكون أثره الفنى فاترا ، وكذلك ليست ثروة الخيال ضمانا للبراعة الفنية ،ولسنا نطلب الى الفنان الماهر أن يبهرنا علمه أو أن يهولنا ثراء خياله ، وانما نطالبه بأن تكون له شخصية تستشعر الارواح الحرارة عند الدنو منها ، والمطلوب هو الشخصية بغض النظر عن الوجهة الاخلاقية ، فلتكن باسمة أو حزينة ، جادة أو ساخرة ، متحمسة أو فاترة ، بارة كريمة أو خسيسة لئيمة ، وانما يجب أن تكون روحا ، ومن حق النقد أن يقصر عمله على البحث عن شخصية الفنان فى الاعمال الفنية وعن نوع تلك الشخصية، وقد قيل كثيرا ضد ذلك ، وزعموا أن الفنان المـاهر تختفى شخصيته خلف عمله على عكس الفنان المتخلف الذى يظهر أثر شخصيته فى عمله ، وقيل كذلك أن الفنان يرسم حقيقة الحياة ومن ثم يجب ألا يشوه الصورة بادخال آرائه وحشر أحكامه ومشاعره الشخصية البحتة ، وأن عليه أن يصور دموع الانسانية لا دموعه ، وبذلك صار « فقدان الشخصية » ميزة الفن وعنوان الاجادة ، والتناقض هنـا ناشىء من عدم تحديد معنى الشخصية ، فقد كان ذلك موجها الىشخصية الفنان الارادية التجريبية لا الى شخصيته المثالية التلقائية التى يتكون منها العمل الفنى ، وقدكان الفنان الذى لايستطيع أن يصور عمق عاطفة التقوى أو عاطفة حب الوطن ، يضيف الى خيالاته العديمة اللون تأثيرات

مسرحية مغتصبة ، ظانا أنه بذلك يستفز الشعور ، وكذلك يحشر بعض الممثلين والخطباء في الاعمال الفنية أشياء خارجة عنها »

ولننتقل قليلا من التعميم الى التخصيص ، فنوازن بين شاعرين عاشا متعاصرين وتزاحما بالمناكب في بلاط سيف الدولة ، وهما المتنبي والسري الرفاء ، فالمتنبي مثال واضح للعبقرية والسري الرفاء يمثل النبوغ في أسمى درجاته فهو قريع حلبة أهل الصنعة ، وهو يبز المتنبي في الاقتدار على ضروب الشعر والتصرف في فنونه مع رشاقة المعرض وسهولة المأخذ وحسن التأتي ، وان كان المتنبي يفوقه في صلابة الشعر وقوة أسره ، ولكننا بعد أن نخوض اوشال السري الرفاء ، ونجازف في عباب المتنبي ، ننسى براعات السري الرفاء ، لأن شخصية المتنبي الساحرة تسكر مشاعرنا وتذهل حواسنا وتنقلنا الى عالم اسمى من الخواطر والاحساسات ، ولكن بعد ذلك كله هل ننكر العبقرية على شاعر فحل مثل البحتري لانسجام شعره واطراده على نسق واحد من الحسن والسلاسة ولهذا الجمال الفني الشائع في قصائده ؟ كلا فقد يكون التفاوت في بعض الحالات قرين سقوط القدرة وخمود القريحة ، وهناك طراز من العبقريات قائم على توازن الملكات واستواء المواهب ، ولست أشك في أن البحتري كان الى حد كبير مثلا بارعا لهذا الطراز من العبقرية

على ادهم

إذا أساءت اليك من تحبها

إذا أساءت إليك امرأة تحبها ، فلا يجب أن تنزل عن رجولتك ، ولا يجب أن تضعف وتستخذي وتكون أنت البادىء بمصالحتها

ولو فعلت ،فقد تستهدف لاحتقارها ، وتصبح في نظرها ذلك الرجل الطواع الذليل الذي تفعل به ما تشاء

فاخنق حبك ولو قليلا ، وتعال عليها وترفع عنها . وهكذا تشعرها بأنها قد أخطأت ، وبأنها مسؤولة عما بدر منها ، وبأنك رجل قوي يشعر بما فيه من كبرياء الرجولة وكرامتها

وهكذا تقبل عليك من تلقاء نفسها ، وتعتذر اليك ، وتقدر رجولتك وتزداد حبا لك

(بورجيه)

كل جنس له نفسيته الخاصة ودينه الخاص ، وهما عنوانه وترجمان كيانه ، وفيهما تتجلى المزايا التى خلصت له عن خصائص دمه

ألمانيا النازية تقيم نهضتها على العنصرية

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

لا تتهيأ عظمة للانسان إلا وكان رائده فكرة عظيمة ، تطوع له نفسه أن يقرب كل تضحية فى سبيلها ، وأن يبذل حياته الغالية من أجلها . وليست العبرة بما عليه الفكرة من صحة ، بل العبرة بشدة الايمان بها والتعصب لها ، وان حركة سياسية أو اجتماعية لا تقوم على فكرة قوية فى نفوس أهلها متسلطة على أوهامهم ، هى حركة مقضى عليها حتما بالقصور لافتقارها الى القوة المجاهدة ، ولا جرم يؤدى الايمان المتعصب للفكرة الى الانتصار لها اطلاقا من غير توقف ومراجعة ، والى تزكيتها ولو على حساب المقررات العلمية والمعقولات النظرية ، والى تبريرها بكل وسيلة ، وتغليبها على كل اعتبار مهما يكن حقه من الرعاية ، وحتى يبلغ الامتلاء بها الى حد انغلاق النفوس عن دواعى العدل والرحمة ، وحتى يصبح كل سلاح لنصرتها مشروعا .

والفكرة التى هى المحرك النفسى للحركة النازية هى فكرة العنصرية .

ومذهب العنصرية سابق على هتلر وحركة الاشتراكية الوطنية . ومن السابقين الى الافاضة فى موضوعه منذ قرنين ، الفيلسوف الالمانى « فيخت » فى رسالة له أسماها « خطاب إلى الشعب الالمانى » . وجاء فى أثره « جوبينو » بنظريته عن « تفاوت الاجناس البشرية » ، وبعدها انتقلت الفكرة الى الوسيقار المؤلف « ريتشارد فاجنر » ، ثم توسع فى بحثها وأسهب فى التدليل عليها واقامة صروحها العلامة « استيوارت تشمبرلين » فى مؤلفه عن « دعائم القرن التاسع عشر » ، ثم عادت للظهور عند دعاة الجامعة الجرمانية وعند المحافظين تحت لواء « ستوكر » وقد ضمنوا برنامجهم مناهضة السامية . وأخيراً ازدهرت العنصرية ازدهارها على يدى هتلر وهى مجلوة فى عز ريعانها ، وحفل عنفوانها فى كتابه « كفاحى » .

وقد تناول روزنبرج فى كتابه « أسطورة القرن العشرين » موضوع العنصرية على صورة وافية التفصيل قوية الدلالة والتعبير . ومع ان الكتاب بعيد عن كل صبغة رسمية ، وأقواله لا تلزم غير قائلها ، الا أن صاحبه كان من أخصاء هتلر المقربين ، وكتاباته متفقة وروح

الاشتراكية الوطنية ، وقد نوه الزعيم رسمياً فى مستهل عام ١٩٣٤ بانه موضع ثقته فيما يتعلق بفلسفة الحياة

ويذهب روزنبرج الى أن كل جنس له نفسيته الخاصة ودينه الخاص ، وهما عنوانه وترجمان كيانه ، وفيهما تتجلى المزايا التى خلصت له عن خصائص دمه . «فالنفس — على حد قوله — ان هى إلا الجنس منظوراً اليه من الداخل ، والجنس بعكس ذلك هو المظهر الخارجى للنفس» . ومن ثمة كان لكل جنس من الاجناس قائمة مقاييسه الخلقية وتقديراته المعنوية ، وكان له دينه الخاص ، وفكرته الخاصة عن الخير والجمال

فمن أراد التعرف الى نفس هذا الجنس أو ذاك ، فسبيله التعرف الى قيمة الاشياء عنده ، وما يقدمه منها على غيره فى قائمة مقاييسه ، ونظام ترتيبها مرتبة فمرتبة فى تقديره ، وما لذلك من شأن فى الحكومة وفى الفن وفى الدين . وكل ما يقال عن وحدة الجنس البشرى انما هو مجرد وهم وافتراض سخيف ، والحقيقة الواقعة أن هناك وراء التحليل الاخير تعدداً فى الاجناس قائماً على فوارق فى التركيب الوراثى للدم نفسه

وليست الاجناس البشرية مختلفة فحسب ، بل هى متفاوتة الأقدار والقيم . والجنس الاعلى المبدع غاية الابداع غير منازع ولا مدافع ، هو الجنس الشمالى . ومهد هؤلاء — فيما يزعمون — قارة الاطلنتيد المجهولة المحوطة بالغموض التى انسحب عليها المحيط الأطلسى من قديم . ومنهم تفرع العموريون فى هضاب شرق الأردن وهم الأباة الصامدون فى وجه فراعنة مصر وحكام اسرائيل . ومنهم الآريون فى الهند . ثم الأغارقة الاولون والرومان الأقدمون . وأخيراً وعلى وجه الخصوص أفواج الجرمان وهم مبدعو الحكومات فى الغرب . وغنى عن البيان أن خير من يمثلهم اليوم فى نظر الدعاة الألمان هم بطبيعة الحال الالمان

وتتمثل الروح الالمانية فى الأساطير الوثنية عند أبناء الشمال عن البطل المؤله «فوتان Wotan» أو «أودان Odin» الذى حكم العالم ودبر شؤونه . فهو المثال لما انطبعت عليه نفوس هذا الجنس البشرى من قوى نفسية : من نخوة وبطولة ، واقبال على فنون الشعر والغناء والموسيقى ، وكلف دائب بطلب المعرفة اغراه بالآفاق يضرب فيها استقصاء لسر الغيب وكنه الحياة ، وطوع له فقدان احدى عينيه فى سبيل الاحاطة بالحكمة العليا . وهو هادى الشجعان وحاميهم فى أطوار عمرهم جميعاً . فاذا هرموا عز عليه أن يموتوا على فراشهم حتف أنوفهم . وقيض لهم شرف لقاء الردى فى حومة الوغى ليقبضهم الى صرح «فالالا Walhalla» وهو الصرح الذى أمر ببنائه ليكون مثوى للابطال صرعى الحروب

وردهات هذا الصرح مكسوة الجدران بالتروس المدارة ، والرماح العوالى ، والسيوف البواتر المضرجة . وفى ساحاتها يتنازل هؤلاء الأبطال كل يوم أشد النزال ، ثم يجتمعون على أثرها

ـ وقد برأت بمثل السحر جراحاتهم ـ حول الاله البطل « اودان » لينعموا بالشراب تدور به عليهم حوريات الحرب الموسومات فى الخرافات باسم « الفالكيرى Walkyries » وهن فى المعارك يتقدمن المقاتلة ، ويدرن دائرة الحرب وقد امتطين صهوات الخيل بين السحب ، رائعات الجمال ، عبقريات الحسن ، يبعثن فى نفوس الصناديد من حبهن ما يدفعهم الى خوض المنايا راضين باسمين ، ويأخذنهم بعدها الى دار النعيم فى « فالالا » حيث يقمن على شرابهم جزاء وفاقاً على ما قدموا من بسالة

وهذا البطل الاله « اودان » ـ كما يؤخذ من الاساطير الوثنية الشمالية ـ كثير الخلطة بحياة البشر ، كثير التردد عليهم فى أزياء مختلفة مستخفياً تحت عباءته الكثيفة . ولكنه أبداً البطل المغوار بين الابطال المغاوير . ففى عرس حفيدة من أحفاده دخل القاعة الفسيحة رجل غريب ، وكان الرجل بالغاً من العمر عتياً ، طوالا بائن الطول ، له عين واحدة ، وكان مشتملا فى عباءة داكنة ، وتغم على جبينه قبعة عريضة الاطراف ، وفى يمينه سيف مسلول (وهو الاله البطل أودان كما لا بد قد فهم القارىء اللبيب) . وكانت تقوم فى بهوة القاعة دوحة عظيمة باسقة تتعالى فروعها الى ما فوق السقف . وهز الغريب حسامه وغيبه حتى مقبضه فى جذع هذه الدوحة وقال : « من انتزع هذا السيف من الجذع فهو له تذكاراً منى ، ولن تنضم قط يده على مهند خير منه » ثم غاب الغريب ولم يعرف أحد من يكون . وهب من كان حاضراً من الصناديد واحداً بعد الآخر يجهدون فى انتزاع السيف فلم يفلح منهم أحد . ثم تقدم سجمند Sigmund حفيد الاله ، وعمد الى السيف فأمسكه ، فاذا به منزوع وكأنما خرج من تلقائه

وان هذا الجهد الذى لا يكل فى سبيل القوة روحاً وجسداً ، وهذا الحنين الدائم الى المعرفة سواء أكانت عن طريق السحر أو البحث المدعم ، لم يقفا عند الاحقاب الاولى من تاريخ أبناء الشمال ، بل لازماهم فيما تجلى من فروسية فى القرون الوسطى ، ومن روح تصوفية غريبة فى كتابات إيكارت Eckart ، ومن نخوة قوية كشأن الزنادقة الالبجواه Albigeois أو الفودواه Vandois ، وكشأن المصلح لوثر أو القائد كولينى Coligny أو الامبراطور فردريك الاكبر أو الموسيقار باخ Bach أو الشاعر المؤلف الحكيم جوته مبدع فاوست . ومعنى ذلك أن أسطورة من أساطير الابطال الجرمانية ، وعظة من مواعظ إيكارت ، ولحناً حربياً بروسياً ، أو نغماً مردداً من وضع باخ ، ومناجاة على لسان فاوست ، كل هؤلاء تعبير نفس واحدة بعينها ، ومبتدعات إرادة واحدة بعينها ، تجلت للمرة الاولى فى العالم فى صورة الاله « فوتان » مثلما تجلت فى العصور الاخيرة فى صور فريدريك الثانى أو بسمارك . وهذه الارادة وهذه الروح ، هى ما هى بموجب الدم ، العنصرى الخلاق لكل ثقافة

ومن ثمة يتضح الخطر من امتزاج دم الجنس الاعلى بدم من نوع أدنى . وان هذا التهجين

هو علة الانحطاط التى أودى بسلسلة طويلة متلاحقة من الامم المتفرعة من شعب الاطلنيد الكريم . فالهند وفارس ويونان وروما بعد ازدهار عظيم ، منيت تباعاً بتدهور سحيق أدى بها الى الدمار ، وكذلك الامم الناشئة من الجرمان المغيرين ، وذلك لما طرأ عليهم من تغيير فى طبائعهم الشمالية ومقاييسها الخصوصية ، وما دخل دمهم النبيل من مذق وإفساد من جراء اتصالهم بالشعوب الدنيا التى سادوها

وعلى هذا الأساس يدعو دعاة العنصرية فى ألمانيا الى اطراح كل دخيل . ومن ذلك الديانة الكاثوليكية بما جاءت به من رحمة ومحبة ، فانها صادرة عن الاجناس الشرقية فى سورية وأرض اليهودية ، فهى فى الواقع غريبة عن الجنس الشمالى وما انطبع عليه من سورة ونخوة . ولقد ظهرت أعراض ما بينهما من التباين فى النزاع بين البابوية والامبراطورية ، وفى الحروب الدينية ، وفى مكافحة الزندقة ، ومناهضة حركة الاصلاح . ثم جاء القرن الثامن عشر حيث حلم البناءون الاحرار هم أيضاً حلمهم العالمى ، فزعموا امكان الجمع بين الأجناس والأديان وادماج الامثلة العليا الخلقية والقومية فى مثال عالمى واحد ، فكادوا أن يفسدوا الروح الالمانية ، كما كادت تعديها بعد ذلك الاشتراكية القائلة بالمساواة وغيرها من المبادىء والنظريات التى هى فى اعتقادهم من وحى اليهود عن سوء نية . ويخلصون الى ما كان لهذا كله من أثر فظيع دفع بألمانيا الى شفا الهاوية ، لولا أن بقية من مزايا الدم تجلت فيما أبداه الجندى الالمانى فى الحرب العظمى من البطولة وروح المفاداة فى بذلته العسكرية الرمادية وخوذته النحاسية

واليوم تعود المانيا الى أسطورتها القديمة ، وتعلن الجهاد فى سبيل احياء الروح الشمالية ، وتقيم نهضتها على العنصرية فتعزل عنها العناصر السامية وعلى الأخص اليهودية بغير هوادة . وان العمل على نقاوة الدم الألمانى هو برنامج الحكومة النازية وواجبها الاول والآخر ، فهذا الدم النقى يغنى عن كل شىء ولا يغنى عنه شىء ، وفيه وحده مصدر العبقرية الخلاقة

عبد الرحمن صدقى



الموقف السياسى الأوربى

هل ينتهى الى حرب عامة ؟

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

الأوضاع السياسية الحاضرة لدولتى المحور ، هى أوضاع روعيت فى اختيارها الحركة الحربية التهديدية . وهذا هو الخطر الماثل بين جبهتى الاستعمار فى أوربا

صلح ميونخ ولماذا عقد ؟

لكى نفهم الاسباب التى حملت انجلترا وفرنسا على عقد صلح ميونيخ ، ذلك الصلح الذى عده الكثيرون نكبة على الديموقراطيات الغربيـة وعلى السلم العـالمى ، يجب أن نوجه أبصارنا الى روسيا ، والى مدى القوة الذى كانت الافكار والمبادىء الاشتراكيـة والشيوعية قد بلغته فى ذلك الوقت

الواقع أن أوربا كانت قبل صلح ميونيخ ، تجتاز مرحلة صراع هائلة بين الفاشزم وبين الاشتراكية والشيوعية

كانت المبادىء الاشتراكية قوية فى فرنسا ، وكانت حكومة الجبهة الشعبية قد أيقظت الجماهير الفرنسية ، وأشعرتها بسلطانها وكرامتها ، وردت اليها بعض حقوقها على حساب أقطاب رجال الصناعة وكبار الممولين . وكان الحزب الشيوعى الفرنسى قد ازداد نفوذا وسيطرة ، واحتل زعماؤه فى البرلمان مراكز خطيرة ، وقاموا بدعاية ثقافية واسعة النطاق أرادوا بها تقريب مسافة الخلف بين فرنسا وروسيا وتوثيق عرى الصداقة والتعاون بين الامتين لاحداث انقلاب اشتراكى تدريجى فى النظم السياسية والاقتصادية الفرنسية ، ولسحق حركات الفاشست الفرنسيين ، وللوقوف بجانب الروسيا ضد اعتداء يصدر عن الدولة الفاشستية الكبرى ، واعنى بها المانيا

وفى غضون ذلك كانت الحرب الاهلية الاسبانية فى عنفوانها ، وكانت العناصر الاشتراكية والشيوعية المحاربة فى صفوف الجمهوريين الاسبان ، قوة عظيمة ، مرهوبة الجانب ، واسعة السلطان ، يؤيدها السلاح الروسى فى كفاحها ضد فرانكو وضد الروح الفاشستية المستحوذة عليه وعلى أنصاره من الوطنيين الاسبان

تجاه هذه الموجة الاشتراكية الشيوعية ، أحست الطبقات المتوسطة والطبقات العالية فى فرنسا وانجلترا بالخطر ، وأحس هتلر أن فى وسعه استغلال الموقف فلوح بمطالبه بشأن السوديت وحشد جيوشه وهدد بالحرب

ورأى المستر تشمبرلن والمسيو دلاديه ، والاول يمثل مصالح رجال المال فى انجلترا وأقطاب حى السيتى فى لندن ، والثانى يمثل مصالح الطبقة المتوسطة الفرنسية وكبار أصحاب المصانع ، انهما لو تورطا فى حرب مع الالمان فلن تثمر هذه الحرب الا بالاشتراك مع روسيا ، وأن حربا يقدمان عليها بالتعاون مع الروس لابد أن تلهب النزعات الاشتراكية الشيوعية المتغلغلة فى صدور الطبقات الفرنسية العاملة ، ولا بد أن تسفر فى حالة هزيمة الالمان ، عن تفاقم تلك النزعات الاشتراكية الشيوعية ، وعن سيادة العمال والفلاحين ، وعن ازدياد مطالبهم ، وتضاعف شعورهم بأن لهم حقوقا جديدة يجب أن يظفروا بها على حساب الطبقة المتوسطة والطبقة العالية جزاء لهم على حمل أعباء الحرب بوصف كونهم الاغلبية الساحقة التى قامت الحرب على أكتافها

وكان لا بد لتشمبرلن ودلاديه من أن يحسبا فوق ذلك حساب اسبانيا ، ويدخلا فى تقديرهما أنهما لو اشتبكا مع الالمان فى حرب فقد تتدخل ايطاليا ، وعندئذ تجبرهما الظروف على مساعدة الجيش الجمهورى الاسبانى وتقوية العناصر الاشتراكية الشيوعية المتسلطة عليه بحيث يحتمل عقب النصر أن تصبح اسبانيا دولة اشتراكية أو شيوعية ، تناصر الكتلة الاشتراكية الشيوعية الفرنسية ، وتمهد لزعزعة النظم الاقتصادية فى القارة الاوربية وسيادة روسيا وتعاليمها على أوربا

فتشمبرلن ودلاديه كانا بين أمرين : اما أن يغامرا بحرب لن تفضى فى حالة النصر الا الى التمكين للعناصر الاشتراكية والشيوعية النامية المتوثبة فى فرنسا واسبانيا ، واما ارضاء هتلر ومنحه مناطق السوديت ، والاستهداف لتوسعه فى اوربا الشرقية

ونظرا لخوفهما الشديد من انتصار الاشتراكية عقب حرب موفقة ، ولحرصهما على مصالح الطبقات العالية والمتوسطة التى يمثلانها ، آثرا الاتفاق مع هتلر ، والتضحية بتشيكوسلوفاكيا ، وحرمان فرنسا من المعاقل والحصون التشيكوسلوفاكية الكائنة فى مناطق السوديت ، وتحطيم ذلك المخفر العظيم الذى انشأته معاهدة فرساي سدا منيعا فى وجه التوسع الالمانى ، وقوة يصطدم بها فى الشرق اذا ما حاول اقتحام الجبهة الفرنسية فى الغرب

فأحزاب اليمين الفرنسية والانجليزية اعتبرت هتلر والحالة هذه عنصرا أقل خطرا عليها من الشيوعية والاشتراكية بل لقد ذهبت الى أبعد من ذلك ، وأشارت عليه من طرف خفى بلسان بعض الساسة والصحفيين الفرنسيين والانجليز بأن يتجه فى توسعه صوب اوكرانيا الروسية الزاخرة بالمناجم الحافلة بالمواد الاولى ، وهذا كى يدفعوا به الى

الاصطدام بروسيا والاشتباك معها فى حرب ، فيضعفوا المانيا النازية وروسيا الشيوعية على السواء

هذه هى الاسباب الحقيقية التى حملت تشمبرلن ودلاديه على عقد صلح ميونيخ ، والتى جعلتهما يرفضان المعاونة العسكرية من روسيا ، ويستبعدانها ، ويتجهان فى طريق عقد اتفاق رباعى بين المانيا وايطاليا وفرنسا وانجلترا ، يحدد الحالة السياسية فى أوربا بمعزل عن الروس ، ويطلق يد المانيا فى الشرق ويلقى بها وجها لوجه تجاه روسيا

هل هتلر يرغب فى الحرب ؟

غير أن تشمبرلن ودلاديه أخطئا التقدير

فهتلر لم يكن راغبا فى الحرب ، ولم يكن من الحماقة بحيث يتورط فى حرب معدولة كبيرة ذات جيش عظيم وسلاح جوى هائل وموارد لا تحصى

لم يكن راغبا فى حرب تضعفه وتطمع الديموقراطيات فيه ، وهو بعد فى دور الانشاء والتجديد

واذن فماذا فعل وأى الطرق آثر أن يسلك ؟

لقد سلك نفس الطريق الذى كان يخشاه الديموقراطيون أنفسهم • تحول عن روسيا وهاجمهم • لماذا ؟ •••

لأن تساهلهم فى ميونيخ كشف النقاب عن ضعفهم وأطمعه فيهم ، فبدلا من أن يتجه نحو أوكرانيا الروسية ، حشد جيوشه كعادته ، وانقض على تشيكوسلوفاكيا ، وابتلع البقية الباقية منها فثارت عليه ثائرة الديموقراطيين ، وعدوا هذا التصرف منه ، تهديدا للتوازن الاوربى ونقضا لروح ميونيخ

ولنا هنا أن نتساءل : لماذا أحدث احتلال الالمان تشيكوسلوفاكيا كل هذه الضجة ؟

والجواب عن ذلك هو أن هذا الاحتلال دل :

أولا : على رغبة المانيا فى ضم عناصر أجنبية عنها وفى السعى لانشاء امبراطورية

ثانيا : ــ وهو الاهم ــ على أن المانيا لم تقصد باحتلال بوهيميا والاشراف على قمم جبال الكربات الا الحصول على مركز عسكرى خطير ، يمكنها من التوسع والسيادة على وادى الدانوب وهنغاريا ، ويسهل عليها الدفاع عن سليزيا ، ويسمح لها بالتدفق صوب جنوب بولونيا

والواقع أن هتلر اختار طريقا صالحا للتوسع ، طريقا خلقته معاهدة فرساي خلقا صناعيا ، طريقا يكاد يكون مأهولا بقبائل لا بأمم

فهذه النمسا الضئيلة الباهتة ، وهذه هنغاريا المجردة العارية ، وهذه تشيكوسلوفاكيا المصنوعة من أجزاء غير متجانسة ، وهذه يوجوسلافيا المنقسمة على نفسها ، وهذه رومانيا الحافلة بأرهاط غريبة من البلغار والالمان والهنغاريين ، وهذه بولونيا التى لا يعد ثلث سكانها

من البولونيين والتى باندفاعها نحو البلطيق تشطر المانيا الى شطرين

هذه هى الفرائس التى هيأتها معاهدة فرسايل لهتلر ، والتى أغراه بالتهامها ضعف الديموقراطيين المشوب بالانانية

ولقد احتل هتلر النمسا ، واحتل مناطق السوديت ، فلما أسكرته النشوة ، واقتحم تشيكوسلوفاكيا ، ثم ضم ميمل ، ثم دفع بأصدقائه الهنغاريين الى احتلال أوكرانيا الكرباتية ، ثم عللهم بالاستيلاء على ترانسلفانيا الرومانية ، توطئة لتمزيق رومانيا والانتفاع بما فيها من منابع البترول ، استيقظ الديموقراطيون وجبهتهم الحقيقة ، وأدركوا أن مصالحهم هى المقصودة بالذات وأن الطريق بأسره قد يصبح غدا فى قبضة المانيا ، وأن المانيا قد تستطيع فى غد طرد التجارة الفرنسية الانجليزية من جميع أسواق أوربا الوسطى

يقظة انجلترا وفرنسا ؟

فى تلك اللحظة فقط تحرك تشمبرلن ودلاديه ، تحرك السياسيان المحافظان تحت ضغط أصحاب رؤوس الاموال الانجليزية والفرنسية الذين شعروا بخطر منافسة الالمان ، فنشر الاول مظلته السلمية واذا بها تستحيل الى سيف فى رأسه درع ، واستنجد الثانى بالبرلمان فمنحه من السلطات الاستثنائية ما جعله فى حكم الديكتاتور على فرنسا

وبدأ الفصل الثانى من المأساة

شرع تشمبرلن فى محاربة برلين وروما مستخدما نفس السلاح الذى شهرته انجلترا فى وجه نابليون

عاد الى نظرية السلامة المشتركة التى طالما تشبث بها الفرنسيون

أراد أن يؤلب الدول المهددة على المانيا وايطاليا وينشىء حلفا ديموقراطيا عظيما يقاوم التوسع الالمانى ، فأعلن الضمان البريطانى لسلامة بولونيا ، وتقرب للمرة الاولى من حكومة اتحاد السوفييت

اعترف بأهمية الروسيا كعامل فعال فى مقاومة الاعتداء على بولونيا ورومانيا ، وبعد أن كان يهملها ويغض من شأن جيوشها ، ويخشى دعايتها ، سلم بأن لا خوف على الديموقراطيات القوية من هذه الدعاية ، وأن النظام الداخلى الروسى شىء والتعاون مع الروسيا شىء آخر ، فدب الذعر فى قلوب الالمان وروعهم شبح الحرب فى جبهتين ، وعدوا المشروع البريطانى نذيرا بعزلهم وتطويقهم . فلكى يثبتوا فى وجه التهديد ويردوا عليه بمثله ، نقلوا النزاع الى البحر المتوسط حيث المصالح البريطانية والفرنسية جوهرية ، وأوعزوا الى حلفائهم الايطاليين باحتلال البانيا

وكان من جراء احتلال ايطاليا البانيا ، ان استحال الادرياتيك الى بحر ايطالى ، وأصبح فى وسع الايطاليين حصر موانىء يوغوسلافيا والقيام عند الحاجة بهجوم مزدوج على

البلقان ، أما نحو الجنوب ضد اليونان ، وأما من خلال الاراضى اليوغوسلافية نحو موناستير وسلانيك

وشفع المحور هذا الرد بآخر ، وهو حمل الجنرال فرانكو المنتصر على الانضمام الى الجبهة الالمانية الايطالية اليابانية المؤلفة لمقاومة الديموقراطيات تحت ستارمقاومةالشيوعية وهكذا بات من المحتمل أن تخضع اسبانيا لسياسة المحور ، وبات من المحتمل أيضا أن أن تستخدم اسبانيا عند الاقتضاء لتحقيق خمسة أغراض مخيفة هي :

أولا ــ ضرب جبل طارق واغلاق المضيق لحرمان انجلترا من الانتفاع بقناةالسويس

ثانيا ــ بث الغواصات والالغام الايطالية الالمانية فىموانىء اسبانيا الجنوبية وعلىسواحل الريف الاسبانى

ثالثا ــ دفع القوات الاسبانية الايطالية المرابطة فى ميورقة الى قطع طريق (مرسيليا ــ وهران) لعزل فرنسا عن ممتلكاتها فى افريقيا الشمالية

رابعا ــ استخدام القواعد البحرية الواقعة فى شمال اسبانيا على خليج بسكاى لقطع الطريق الفرنسى الكبير الممتد من سواحل فرنسا الغربية على المحيط الاطلنطى الى الدار البيضاء فى مراكش حتى دكار فى أواسط افريقيا . وفى نفس الوقت محاولة قطع طريق الكاب على انجلترا

خامسا ــ استخدام الريف الاسبانى قاعدة للهجوم على مراكش الفرنسية

هذه التدابير الهائلة لوح بها المحور عقب احتلال البانيا ، وعقب البدء فى تنظيم الجبهة الدفاعية ، فتوتر الموقف السياسى ، وبدا فى الافق شبح الحرب ، وخيف من وقوع هجوم ايطالى مفاجىء على مصر قد يؤدى الى غلق قناة السويس بينما يكون من المتعذر على انجلترا المرور من جبل طارق ومنازلة الايطاليين فى البحر المتوسط ، فعزز الفرنسيون جيشهم فى تونس ، وضوعفت أسباب الدفاع عن مصر ، وأسرعت الاساطيل الانجليزية الفرنسية فملأت البحر المتوسط

وفى نفس الوقت صمدت بريطانيا حيال التهديد ، وأعلنت ضمانها لسلامة اليونان ورومانيا أيضا ، ومضت تفاوض تركيا وروسيا لاستكمال تنظيم مشروع الجبهة الدفاعية

تدخل الولايات المتحدة

ويظهر أن الولايات المتحدة كانت على اعتقاد بأن الحرب وشيكة الوقوع ، فأسرع روزفلت وأرسل الى هتلر وموسولينى خطابه المشهور يطلب اليهما التعهد بعدم الاعتداء على طائفة من الدول ، واعلان رأيهما فيما يتعلق بضمان السلم لمدة معينة ، والاستعداد للدخول فى مباحثات دولية لفض المشاكل القائمة واقرار السلم العام

وأحبط هذا الخطاب تدابير المحور ، وسجل عليه ارادة الاعتداء ، وفوت على الالمان والايطاليين ما كانوا يقصدونه بتلك التدابير . ثم تهيأ هتلر لالقاء خطبة يرد بها على

روزفلت بعد أن أحرج الدول الصغيرة • واستفسرها عما اذا كانت تشعر بأن المانيا تهددها فعلا

ولوحظت اذ ذاك ظاهرة من الاهمية بمكان عظيم ، وهى أن موسولينى أسرع وتقدم زميله وألقى خطبة هادئة رصينة أشاد فيها بالسلم وان كان قد استخف برسالةروزفلت واستنكر من الرئيس تدخله فى شؤون اوربا

هذه الخطبة وما فيها من احساس خفي بالقلق والضعف ، أشعرت الانجليز بأن المحور لا يتراجع الا تحت الضغط ، ولا يخضع الا مهددا بأسلوبه السياسى أى أسلوب التلويح بالقوة والعزم على اظهارها • فرغبة من الانجليز فى رد هتلر الى صوابه وانقاذ العالم من عبارات عنيفة حاسمة قاطعة يمكن أن ترد فى خطبته ، أقدموا فى شجاعة خارقة على انتهاك حرمة تقاليدهم واعلان ضرب من التجنيد الاجبارى المحدود كخطوة أولى يمكن أن تتبعها خطوات فيما لو اذا أصر هتلر على سياسته ولم يقترح حلولا عملية يصح أن تكون قاعدة لمفاوضات سلمية مثمرة

وجاء خطاب هتلر واذا بالمستشار يعلن فيه :

(أولا) نقض الاتفاق البحرى مع بريطانيا • وهذا معناه اطلاق يده فى بناء البوارج الكبيرة بحيث لا يتقيد بنسبة الثلث المنصوص عليها فى الاتفاق

(ثانيا) نقض معاهدة الاعتداء المعقودة بين الريخ وبولونيا

(ثالثا) الاصرار على مطالبة انجلترا بالمستعمرات

فكأن هتلر بعد أن أرهب انجلترا بنقل النزاع الى البحر المتوسط ، وبعد أن دفع بايطاليا الى احتلال البانيا ، وأرسل أسطوله للقيام بمناورات على سواحل اسبانيا وحول جبل طارق ، أراد أن يرهب الانجليز مرة أخرى بنقض الاتفاق البحرى واتخاذ موقف الشدة حيال بولونيا ، كى يحملهم على التوقف عن السعى لاستكمال مشروع السلامة المشتركة الذى عده تطويقا لالمانيا

ولقد أراد فوق ذلك بنقض معاهدة عدم الاعتداء مع بولونيا أن يحذر البولونيين من التورط فى اتفاق جديد مع روسيا بعد اتفاق الضمان الذى ارتبطوا به مع الانجليز وعززوا بواسطته مشروع التطويق

فهتلر والحالة هذه لم يتحول عن موقفه • وقابل التهديد بمثله ، وان كان قد لوح للبولونيين والانجليز باستعداده للدخول فى مفاوضات ثنائية لحل مشكلتى دانزيج والمستعمرات

على أنه أبقى الخطر الالمانى قائما • فالجبهة الديموقراطية أرادت بلسان روزفلت أن تسوق هتلر الى مؤتمر عالمى يقيد فيه نفسه بنفسه ، ويعرب صراحة عن حقيقة مطالبه ونواياه • ولكنه تملص واحتفظ لنفسه ولمستقبل سياسته بحرية العمل

غير أن هذه الحرية الالمانية ليست مأمونة العواقب نظرا لما أسفرت عنه فى الماضى من

ضربات مفاجئة واعتداءات طارئة مروعة ، ونظرا لما قد تسفر عنه غدا من اعتداء جديد على دانزيج يكون نتيجة لنقض معاهدة عدم الاعتداء بين المانيا وبولونيا ، لهذه الاسباب قابلت الدول الديموقراطية خطاب هتلر بالحذر الشديد وعدته نذير شؤم لبولونيا

خطر سياسة التهديد

ومن المحتمل جدا أن هتلرلو هدد بولونيا وأراد أن يجعل منها تشيكوسلوفاكيا ثانية ، ولو عاد الى ارهاب انجلترا فى البحر المتوسط بالاتفاق مع الايطاليين لحملها على التخلى عن بولونيا توطئة لاضعاف مركزها واحباط مشروعها الدفاعى والفوز منها ببعض المستعمرات من طريق التهديد ، لو اتبع هتلر هذه السياسة فلا بد أن تنقلب سريعا الى عكس المراد منها ، فتتوثق الجبهة الدفاعية بدل أن تنحل ،ويتم التفاهم بين بولونياورومانيا وروسيا ، وبين بريطانيا وروسيا وتركيا ، ويتم كذلك الغاء قانون الحياد الامريكى ،وقد تقدم بريطانيا آخر الامرعلى اعلان التجنيد الاجبارى العام غيرالمحدود ، فيصبح مشروع السلامة المشتركة مشروعا يرمى بالفعل الى تطويق المانيا وايطاليا

***

على أن الحوادث المقبلة كائنة ما ستكون ، وكائنا ما سيكون عزم بعض الساسة على توجيهها وجهة سلمية ، فالامر الواقع ، والاوضاع الجغرافية الحاضرة ، تدل أبلغ الدلالة على أننا نشهد صراعا تاريخيا عظيما بين قوتين مستعمرتين هائلتين ،كما تدل على أن قوة المانياوايطاليا تتزايد يوما بعديوم بحيث قد يصبح من المتعذر غدا كبح تهديداتها وتجنب الحرب . واليك البرهان :

ان المناطق التى احتلها الالمان والايطاليون ، انما احتلوها لانها قبل كل شىء مراكز حربية تمكنهم عند الحاجة من المساومة والتهديد

فوجود المانيا فى منطقة الرين وراء خط سيجفريد يساعدها علىمنع فرنسا من التدخل فى أوربا الوسطى من هذا الطريق

وقد أشرنا الى خطورة احتلالها بوهيميا من الوجهة الحربية

موقف ايطاليا من البلقان

وأما ايطاليا ، ايطاليا التى تجاور مصر والسودان ، ممتلكاتها فى لوبيا والحبشة ، فقد تطلعت الى البلقان وآسيا الصغرى ، وحصنت الدوديكانيز ، وأنشأت فى ليروس قاعدة حربية عظيمة للسيطرة على بحر ايجه ، واحتلت البانيا وهى اليوم تحصر يوجوسلافيا وتهدد اليونان

فايطاليا لا تنفك تعزز مراكزها الحربية فى وسط البحر المتوسط وشرقه وفى البحر الاحمر ايضا حيث تطمع فى الاستيلاء على اليمن . وأما فى غرب البحر المتوسط فتحاول

استخدام الاسبان الوطنين وتعللهم بمراكش الفرنسية وطنجة وجبل طارق لتحتفظ لنفسها بجزر البليار

ويجب أن لا ننسى أن كبار المستعمرين الايطاليين يحلمون بتحقيق مشروع عظيم ، هو انشاء كتلة هائلة تضم مصر الى الامبراطورية الايطالية ، وتتجه دفعة واحدة من البحر المتوسط الى الاوقيانوس الهندى . وهم يعتقدون أن هجمات مشتركة مفاجئة من الحبشة على السودان واليمن ، ومن لوبيا على مصر ، ومن الدوديكانيز فى نفس الوقت ، قد تنتهى بالفوز

فهذا الاعتقاد الذى تعززه مساعى ايطاليا فى سبيل الاستيلاء على مراكز بحرية قوية فى الحوض الشرقى من البحر المتوسط ، وحول مصر ، وفى طريق قناة السويس ، وطريق المضايق ، يدل على رغبة فى تحدى انجلترا وينذر بوقوع حرب ، كما أن سعى هتلر لايجاد منطقة سيادة المانية تمتد من البحر الشمالى الى البحر الاسود وتهدد رومانيا وتركيا والمصالح الفرنسية البريطانية فى الشرق الاوسط والبلقان ينذر باحتمال وقوع حرب أيضا

واذن فالاوضاع الجغرافية الحاضرة لدولتى المحور ، هى أوضاع روعيت فى اختيارها الوجهة الحربية التهديدية . وهذا هو الخطر الماثل بين جبهتى الاستعمار فى أوربا

فهل سيعرف زعماء الجبهة الديكتاتورية كيف يقفون عند الحد الفاصل بين سياسة التوسع المأمون وسياسة التوسع التى لا بد أن تفضى الى حرب ؟

الجواب عن هذا السؤال ما يزال فى طى المستقبل المجهول

ابراهيم المصرى

سعادة الحب

ليست السعادة فى أن تكون محبوباً ، بل فى أن تحب وتتعذب وتعيش

وقد يكون فى وسع المرأة التى تحبك أن تسعدك . ولكن حبها كائنة ما كانت قوته لن يعلمك الحياة . فيجب أن تحب أنت نفسك وتجاهد وتتألم لتفوز بمن تهوى . وهكذا تضاعف رجولتك وتسعد من تحب وجميع من يتصلون بك

(مارسل بريفو)

الدكتاتورية حمى عارضة

لا خطر منها على الديمقراطية

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

لما استفحلت دكتاتوريات بعض الأمم في هذا الزمن طفق بعض الكتاب والساسة ينعون الديموقراطية باعتبار أنها سقطت في الامتحان . على ان ما يعدونه سقوطاً انما هو تخاذل بعض الديموقراطيات لدى تلك الدكتاتوريات المستفحلة إيثاراً للسلم . وهم يعتبرون التخاذل ضعفاً والاستفحال قوة ، والحياة عندهم خالدة بالقوة المادية

لا نهتم الآن بتفنيد هذا المنطق السخيف ، وانما نجاريهم في تطبيق ناموس « تنازع البقاء » على التنازع فيما بين الدكتاتورية والديموقراطية . فأيتهما أصلح للمجتمع تكون أبقى له وبالتالي أضمن لبقائه . وهنا لابد من تعريف الصالح للمجتمع

الصالح للمجتمع هو ما ضمن السلام بين الأمم وهناء الحياة لأفرادها . وهذان يستلزمان : أولا ألا تبذل مجهودات الناس الا فيما يصلح لمتعهم . وثانياً أن تكون علائق الامم بعضها مع بعض علائق تضامن وتعاون وتبادل منافع لكي يتسنى للناس أن يتمتعوا بثمار مجهوداتهم . على هذه القاعدة يسير المجتمع البشري في طريق نموه وارتقائه آمناً مستمتعاً

وأما النظام الذي يضطر المجتمع الانساني أن يبذل جهود ناسه في الاستعدادات للحرب من صنع أسلحة وتعبئة جنود وإشغال سواد الناس في تموين الجنود وتجهيزهم بالسلاح فلا يمكن أن يكون صالحاً للمجتمع ، بل هو النظام الشيطاني المؤدي بلا شك الى فناء المجتمع

لا يكون دائماً النظام الحائز للجانب الاكبر من القوة المادية هو النظام الصالح للمجتمع . النظام الذي تكون غايته تفاني الامم في التنازع لافتراضه وجود العداوات بينها حتما لا يعد نظاما اجتماعياً لانه يناقض سنة الاجتماع الاساسية وهي اعتبار جميع الامم أسرة بشرية واحدة يتوقف رقيها وهناؤها على تضامنها وتعاونها . المجتمع لا يحيا ولا ينمو ولا يرقى بنظام حربي يفرق بين أجزائه ويطعن به نفسه منتحراً ، بل بنظام تتآخى به جماعاته وتتعاون في تأييد السلام فيما بينها

ذلك هو النظام الاصلح للمجتمع . فلنر أي النظامين الدكتاتوري أم الديموقراطي ينتج هذا الاصلح

ورث النوع الانساني تنازع الرزق من المملكة الحيوانية التي يقل فيها النظام الاجتماعي . ولكنه كان كلما ارتقى درجة في اجتماعيته قلت حدة تنازعه درجة وتوثقت رابطة العلائق بين أفراده ثم

بين جماعاته . وسيطرد ارتقاؤه على هذه السنة حتى يكاد يتلاشى التنازع بين جماعاته ويشتد الترابط بينها . وقد قضى النوع البشرى دهراً طويلا منذ بدء اجتماعيته يتمخض بديموقراطيته ، وأمضى عصراً غير قصير الى أن ترعرعت ديموقراطيته هذه . فاذن ، ليست هذه الديموقراطية فلتة من فلتات الزمان وهى فى دور التجربة والامتحان الآن حتى يصح المنطق بان الدكتاتورية أحق منها بالبقاء لأنها نسفت الديموقراطية نسفاً لكى تنقذ المجتمع من ضررها . وانما الديموقراطية نتيجة طبيعية لسنة الرقى الاجتماعى ، وقد نشأت تدريجاً وتمشت على سنة الارتقاء ، فكل نظام مناقض لها انما هو مرض طارىء فى جسم المجتمع

لا يكون التطور الا تدريجاً ، فلا ينتقل المجتمع من حالة الى أخرى فجاءة ، لا يترك حالة قبل أن تستتب له حال أخرى . فمنذ ألفى سنة شرع الحكم الفردى المطلق يسلم مكرهاً شيئاً فشيئاً أزمة الأمور للشورى ، فكان تارة يسلمها زماما و يسترد زماما ، وتارة يسترد منها كثيراً ويترك لها قليلا وبالعكس ، وكان اذا اضطرته عاصفة التطور الى إفلات الازمة جميعاً وقعت الجماعة فى فوضى

فلأجل بناء الجديد ينبغى هدم القديم ، ولكيلا يتقوض القديم ويهلك المجتمع تحت أنقاضه كان لا بد من تسنيد ذلك القديم لكى يكون الهدم رويداً من غير كوارث ويليه البناء على الاثر

فالدكتاتوريات فى زمننا هذا انما هى نوع من الحكم المطلق الذى يطرأ على حياة الديموقراطية بدعوى تلافى كوارث الفوضى إذا تصدعت أركانها بزوبعة تطوره ، وهذه الدعوى فقط تبرر وجود الحكم الدكتاتورى إلى حين يستتب الأمر وتسكن العاصفة فتعود الديموقراطية الى مقامها

ولكن مهما زعم الدكتاتور الحرص على سلامة الأمة وهنائها وأمنها ، فلا يمكن أن يتجرد كثيراً أو قليلا من آفات الأخلاق البشرية الضعيفة التى كان الحكم الفردى المطلق يعاب بها

حب السؤدد هو أعظم خلال الدكتاتور مهما كان مخلصاً ومتعففاً ، وفى سبيل الحرص على السؤدد يبرر لنفسه كل وسيلة تفضى به اليه ، لذلك لا يتورع عن الاستبداد لأن بقاء سلطانه يقتضيه ، ولا سبيل اليه الا عن يد النظام العسكرى لان هذا النظام ممتاز بانه يستلب إرادات ألوف الجنود ويجعلها فى قبضة فرد واحد ، لذلك ترى جميع الدكتاتوريين يخصون أنفسهم بقيادة الجيش بصفة رسمية أو غير رسمية

وهذا النظام يقدرهم على الاستبداد بأقصى معانيه

فأى يوم يتسنى للزعيم أن يظفر بهذه السلطة العسكرية بدعوى انه منقذ للبلاد من كارثة أو من فوضى تصبح الامة كلها فى قبضة يده ، ولكى يضمن بقاءها فى قبضته يجب أن يقوى الجندية التى هى أداة التنفيذ فى حكمه ، ولكى يبرر استئثاره بالسلطة العسكرية يجب أن يموه على الأمة أن هذه السلطة العسكرية ضرورية لمصلحة البلاد ، ويجب أن يستخدمها للفتح الاستعمارى أو للدفاع ضد خطر من دولة أخرى أو دول . وهذه الدعوى المموهة تستلزم الدعاية الهائلة لاقناع الامة

بها . ولكي تقضي الدعاية الوطر المطلوب منها يجب أن تحمى من دعاية ضدها ، وهذه الحماية تقتضي الرقابة على الخطابة والكتابة والصحافة والطباعة وكل وسائل النشر ، وهذه الرقابة قاضية حتما على الحرية الفردية حتى ضمن دائرة القانون

هل يمكن للقارىء أن يدلنا على دكتاتورية حديثة أو قديمة احترمت الحرية وسلمت من مرض الرقابة الضاغطة المضطهدة ؟ وهل يمكن أن يحتاج الزعيم الحاكم بأمره الى هذه الرقابة القاسية اذا كانت الامة كلها أو معظمها راضية عن زعامته وسيادته وادارته

فاذاً ، دعوى الدكتاتوريين بأنهم يحكمون حكما ديموقراطيا انما هي إفك وبهتان ، ووجود برلمان ديموقراطي في عهدهم انما هو ضحك على الزمان واستهزاء ببني الاوطان . وعدم رضى الامة عن حكم الديكتاتور برهان دامغ على أن تصرفه ليس في مصلحتهم بل بالاحرى هو أذى لهم . لانه مهما كان أفراد الامة أغبياء فلا يعمون عن الصواب ولا يجهلون ما هو مآل تصرف الحاكم بأمره لهم

ليست الدكتاتورية الحاليـة الآن على مستوى واحد ، بل هي متفاوتة في اطلاق الحكم واستبداده . أعني أن بعضها أصلح لاهلها من بعض ، وبعضها أعسف من بعض . فنحن نخص بهذا المقال الدكتاتوريتين اللتين أزعجتا العالم في السنين الاخيرة ، واليهما نوجه نظر القارىء فيما إذا كانتا اصلح لاهلهما وللمجتمع من الديموقراطيات التي تخاذلت أمامهما فعدّ تخاذلها فشلا للنظام الديموقراطي

الحياة الايطالية والنظام الفاشستي

في ٢٦ مايو سنة ١٩٣٤ صرح الدوتشي موسوليني في مجلس النواب ان في ميزانية الدولة عجزاً يقدر بنحو ٣ مليارات ونصف مليار من الليرات (نحو ٣٥ مليون جنيه)

ثم جاءت حرب الحبشة فزاد عجز الميزانية كل عام زيادات متفاقمة حتى هذا العام على الرغم من أن ايطاليا اقترضت للحرب من فرنسا عشرين مليون جنيه

وفي سنة ١٩٢٢ كان الدين الايطالي نحو ١٠٣ مليارات من الليرات الايطالية (نحو ١٠٣٠ مليون جنيه) وفي فبراير سنة ١٩٣٥ ارتفع الى ١٥٤ ملياراً (نحو مليار ونصف مليار جنيـه تقريباً) . وبعد ذلك ازدادت مالية البلاد سوءاً اذ أضيف الى ذلك الدين الباهظ عجز الميزانيـة وقدره ٣٠ مليار ليرة أي نحو ٣٠٠ مليون جنيه فضـلا عن نفقات حرب الحبشة التي بلغت ٣٠٠ مليون جنيه أيضاً . والآن يناهز دين ايطاليا نحو ٢٠٠ مليار ليرة أي نحو الفي مليون جنيه

وفي كتاب « الاقتصاديات الفاشستية النظرية والعملية تأليف رفونستوك فرنك » أدلة قاطعة على مدى استخدام الحكومة الشركات المالية لتنظيم استغلال موارد البلاد وهو تنظيم قليل الانتاج ولكنه يستخدم لتأييد النظام الفاشستي

ذلك هو سر العجز المطرد فى ميزانية الدولة وضعف مالية البلاد العامة . لذلك كان الزعيم موسولينى مضطراً أن يعقد القروض واحداً بعد آخر فى الخارج . ولما لم يعد الاقتراض من الخارج ممكناً فرض قرضاً داخلياً واجباً على كل فرد بقدر ٥ بالماية من ممتلكاته

ومن أمثلة التقهقر الصناعى فى ايطاليا أن « رخص » البناء نقصت فى سنة ١٩٣٧ عنها فى سنة ١٩٢٩ نحو ٤٢ بالماية . وفى سنة ١٩٢٢ كانت ايطاليا فى مقدمة بلاد أوروبا فى صنع السيارات فهبطت هذه الصناعة فيها سنة ١٩٣٦ هبوطاً عظيما . فقد كان الانتاج فى تلك السنة ٤٨ ألف سيارة مقابل ٦٥ ألفاً فى سنة ١٩٢٧ . وفى أثناء هذا الهبوط ارتفع انتاج السيارات فى ألمانيا من ٩٦ ألفاً الى ٢٩٨ ألفاً وفى فرنسا من ١٩١ ألفاً الى ٢٠٣ آلاف وفى انكلترا من ٢١٢ الى ٤٨١ ألفاً

ونقص معدل الواردات فى ايطاليا من ١٦ مليار ليرا سنة ١٩٢٧ الى خمس مليارات سنة ١٩٣٦ . وهبط معدل الصادرات من ١٣٠٢ مليون الى ٤٥٥ مليوناً

وأظن فى هذا البيان كفاية لتصوير الحالة الاقتصادية التي انحطت اليها ايطاليا فى عهد الحكم الدكتاتوري . ومنه تستنتج الدلالة الكافية على انحطاط درجة المعيشة فى البلاد وعلى ضعف الحركة الصناعية والاقتصادية

الحياة الالمانية فى ظل القهر

تلك هى الحال فى ايطاليا . وأما فى ألمانيا فان الحكم النازى عسكرى بحت يعنى أن كل فرد فى ألمانيا بلا استثناء يشعر كأنه جندى فى زمن الحرب . فالألمانى مهما كانت مهنته أو وظيفته ، أو مهما كان مقامه وشأنه ليست له حرية العمل أو الكلام أو التفكير على الاطلاق ، بل هو أداة فى مصنع الربح ، أي أداة فى آلة الحكومة الهتلرية ، يعمل برغم أنفه ما تفرضه عليه السلطة الحكومية . وليس له أن يعترض أو أن يطلب تعليلا أو سبباً وعليه أن يقنع بما يمنح من المكافأة . ولا يحق له أن يتمتع إلا بقدر مايلزم لبقائه فى قيد الحياة . ومن يتجاوز هذا الحد اللازم يعاقب . ومن جملة فنون هذا النظام النازى أن جريدة الأطباء الألمان الرسمية نشرت قراراً من الجمعية الطبية مفاده أن من يأكل من الدهن أكثر من المقدار الذى يحتاج اليه لأوده يحسب خائناً سارقاً حق غيره . ولا يخفى أن هذا القرار نشر بايعاز السلطة الهتلرية لأن مجمع الأطباء غير مسؤول عن آداب الأكل والانفاق على الطعام

وقد بلغ من اضطرار الحكومة إلى المبالغة فى الاقتصاد لأجل تسديد نفقات التسليح ونفقات الادارة الحكومية الكثيرة التعقيد أنها كلفت لجنة من العلماء أن تبحث القضية التالية : أى الحالتين أوفر أو أكثر اقتصاداً للبلاد ؟ أن يعنى بزراعة العلف للحيوانات الداجنة لكى تكثر ألبانها ولحومها لتغذية الشعب الألمانى ، أم أن يعنى أكثر بزراعة الغلال والمحاصيل الزراعية التى

يتغذى بها الشعب مباشرة مستغنياً عن غذاء اللحوم والألبان والبيض الخ ما أمكن . وبعبارة علمية أخرى : هل تنتج الغلال والمحاصيل المغذية للناس مباشرة وحدات حرارية [١] أكثر مما تنتجه فيما لو كانت المحاصيل الزراعية أغذية للحيوانات ثم تتحول أغذية للناس . فكانت نتيجة البحث أن حاصلات البلاد الزراعية تنتج وحدات حرارية فيما لو تغذاها الناس مباشرة أكثر مما تنتجه فيما لو تغذتها الحيوانات ثم تغذى الناس لحوم الحيوانات وألبانها الخ . ولكن النتيجة الصحية فى الحالة الأولى لا تكون حسنة كما فى الحالة الثانية . فتأمل إلى أى حد اضطرت الحكومة أن تتدخل فى معيشة الشعب لكى تستطيع أن تواجه نفقاتها الباهظة الحربية والادارية

للألمانى جراية محددة يبتاعها بالنقود التى يحصل عليها من جزاء عمله . ولا يستطيع أن يتجاوز هذه الجراية لئلا يقع تحت طائلة العقاب . وليس له أن يبتاعها من حيث يشاء بل من المحلات التجارية المعينة له فى دائرته وبالثمن المحدد لها . وصاحب المحل التجارى مقيد بمبيعاته ومشترياته . وليس له من أرباحه إلا ما يحتاج اليه من النفقة الشحيحة على أسرته . وما زاد معه ينصرف إلى خزينة الدولة ضريبة وتبرعاً وتسليفاً ونحو ذلك

لجميع مجهودات الأمة منصرفة إلى الدولة والدولة تنفقها فى التسليح . ومع ذلك ليست كافية بدليل أن الحكومة تعقد قروضاً كل حين بعد آخر لتسديد عجز الميزانيات الادارية والحربية

وقد ورد فى الشهر الماضى تلغراف لمكاتب صحافى درس الحالة فى ألمانيا يصف موقف البلاد الاقتصادى والمالى قال :

« إن حالة البلاد الغذائية فى ألمانيا لا تزال سيئة . وإن الأبواب والأسوار الحديدية فى ألمانيا قد أخذت لكى تصنع منها الاسلحة . وإن تقريرات بنك الريخ الأخيرة تدل على زيادة القروض بمقدار ١٢٠٠ مليون مارك عما كانت عليه فى الأسبوع السابق . وتدل هذه التقارير أيضاً على أن مقدار العملة المتداولة بلغ رقماً قياسياً جديداً (الامر الذى يخشى بسببه من التضخم الذى يسبب هبوط قيمة المارك) . وإن زيادة إيرادات الحكومة ستقف فى سنة ١٩٤٠ »

ولم ينكشف الى الآن الا جانب من شؤون ألمانيا المالية . ولكن الأرقام الأخيرة عن ديون الريخ فاقت ما كان منتظراً . ففى آخر شهر يناير بلغ مجموع هذه الديون ما يزيد على ٣٨ مليار مارك وذلك بزيادة عشرة مليارات على السنة السابقة . وهذه أكبر زيادة سنوية عرفت منذ بلوغ النازى الى منصة الحكم . فألمانيا مدينة الآن بنحو ٢٢ مليار مارك . ونصف مليار منها لدائنين أهليين والباقى ديون أجنبية حل موعد دفع بعضها . والحكومة عاجزة عن دفعه لافتقارها الى العملة الأجنبية بسبب شح الصادرات . والأرقام التجارية الأخيرة تدل على مثل هذه النتيجة أيضا ولذلك يخشى أن يزداد تضخم العملة بسرعة

(١) والوحدة الحرارية هي مقياس القوة البدنية Calories

ولا يخفى أن نظاماً كهذا مقيداً لكل فرد لا بد أن يكون كثير التعقيد ويحتاج الى عديد من الموظفين . لذلك بلغ عدد موظفى الحكومة نحو ⅛ عدد الأهالى أى نحو ١٠ ملايين شخص راشد

أما الضغط على الحرية الشخصية فى ألمانيا فقد بلغ حداً لم يبلغ اليه فى مكان أو زمان قط . والرقابة شديدة جداً وهى شبكة من الجاسوسية مغطية كل ألمانيا وحواشيها متطرفة الى الخارج . وقد طغى ذلك الضغط على كل حالة من الحالات الاجتماعية حتى على العلم والعلماء . فالأساتذة والعلماء ليسوا أحراراً فيما يحاضرون ويؤلفون بل هم مرغمون على إملاء ما يوعزه اليهم نظام النازى

والعجيب فى هذا النظام الدكتاتورى أن ملايين تلك الأمة الراقية التى قضت سنة التطور الطبيعية ملايين السنين حتى تمخضت بها تقع الآن فى قبضة فرد واحد يتصرف بها كما يشاء

ولكن ليس بقوته يقبض هتلر عليها بل بقوة النظام الاجتماعى الذى هو من مخترعات العقل البشرى والذى هو بنوبته من نتاج سنة التطور التى نحن بصددها . فهذه السنة التى أبرزت هذا المجتمع الى حيز الوجود هى التى حملت معها قيود ذلك النظام كما يحمل الجسم فى جوفه جراثيم أدوائه . وذلك العقل الانسانى الذى رق بالجنس البشرى الى هذا المقام الرفيع هو العامل الذى ابتدع ذلك النظام لتقييده

العقل يحمل فى ثناياه أدوات اعتقاله

***

أظن فيما تقدم كفاية لبيان ما فى النظام الدكتاتورى من العوامل المدمرة لسلام الجماعات مما ليس منه شىء فى النظام الديموقراطى كما تشهد الاحوال الاجتماعية فى البلاد الديموقراطية المعروفة حيث لا استبداد ولا ضغط على حرية الجمهور ولا رقابة الخ ، وحيث يشعر الناس أنهم أسعد حالا من اخوانهم فى البلاد الدكتاتورية

ولا ينكر أن فى البلاد الديموقراطية عيوباً ونقائص . ولكن ليس الذنب ذنب النظرية الديموقراطيـة نفسها بل هو ذنب القائمين بها . على أنها عيوب خفيفة تظهر لدى عسف الدكتاتوريات محاسن ومحامد

ان النظام الدكتاتورى يجعل حياة الأمة وسيلة وحياة السلطة غاية ، أى ان الأمة موجودة لخدمة الحكومة ولاحيائها ولهناء القائمين بالحكم فيها . والنظام الديموقراطى بالعكس يجعل الحكومة وسيلة وحياة الأمة ورفاهيتها غاية ، أى ان الحكومة موجودة لخدمة الأمة

لذلك لا ينتظر أن يبقى النظام الدكتاتورى طويلا لأنه حمى طارئة على المجتمع . ولا بد أن يشفى المجتمع منها لأن سنة الاجتماع منطوية على العوامل الكافلة لبقائه ، وسلامته واطراد تطوره وتقدمه

نقولا الحداد

قصة علمية

سباق الى القطب

بقلم الاستاذ حسن الشريف

سكوت Scott أحد قباطين البحرية البريطانية ، لا شيء في ماضيه يلفت النظر اليه أو يميزه من غيره أو يعينه للمركز الذي قدر له أن يشغله في التاريخ

تنظر الى صورته فترى وجها جامدا وقورا يحمل على الثقة والاحترام ، وعينين واسعتين حديدتي البصر رماديتي اللون تقرأ فيهما الاعتزاز بالنفس وقوة الارادة ، وشفتين مطبقتين رفيقتين تنمان على الاصرار والمثابرة وقوة الشكيمة وشدة المراس

وتنظر الى خطه فيما يقع تحت يدك من كتابته فتقرأ كتابة مستقيمة واضحة لا زواق فيها ولا زخرف تنبئك أن صاحبها رجل عملي صريح يواجه الامور من نواحيها الجدية ولا يأخذ منها بغير المنتج والمفيد

وتقرأ المذكرات التي خلفها عن رحلته الى القطب الجنوبي فتقرأ أسلوبا كأسلوب التقارير الرسمية : مختصرا سريعا خلوا من التخيل والمبالغة ولا أثر فيه من التعمل والصناعة ، ولكنه بالرغم من ذلك أسلوب محكم قوي مؤثر يقنعك ولا يغويك ويستدرجك ولا يستهويك

وانك لتتأمل في كل ذلك فتخرج منه بأنك حيال رجل من أولئك المقاديم الجرءاء الذين يظهرون الفينة بعد الفينة في حياة الشعب الانجليزي فيعيشون عيشة الابطال ويموتون ميتة الابطال ولو أنهم لا يعرفون في انفسهم تلك البطولة التي يعترف لهم بها الناس • وهؤلاء المقاديم الجرءاء هم الذين شيدوا الامبراطورية البريطانية

كان سكوت قد صحب الرحالة شاكلتن في رحلة غير موفقة لاستكشاف القطب الجنوبي لم يستطع أن يمضي فيها الى أبعد من خط العرض السابع والثمانين • ولكن الخيبة التي منيت بها تلك الرحلة والتي من شأنها ان تحطم عزيمة أقوى الرجال ، لم تثن همته ولم تفل ارادته بل حملته على التفكير في القيام برحلة جديدة لعلها تنال من التوفيق حظا

واذ كانت مغامرة شاكلتن قد أتاحت له ان يعرف أسباب فشلها ووسائل تجنب هذه الاسباب ، وأن يدرك صعوبات المناطق المتجمدة وما يقتضيه ارتيادها من التأهب والاستعداد ، فقد أخذ يدرس مشروعه على ضوء تلك التجارب والمعلومات كما يدرس رجل المال عملية تجارية فيضمنها الف حساب لالف محذور ، أو كما يدرس القائد خطة حربية فيتخذ ما لانهاية له من الاحتياطات توقعا لما لانهاية له من الطوارىء أو المفاجآت

كان يعلم أن الرحلة كما تصورها تستغرق بضع سنين وتتطلب كثيرا من التكاليف وطائلا من المال فباع كل ما كان يملك واستدان ما استطاع أن يستدين وشرع يعد العدة ويتخير الاعوان . فلما تمت له الاهبة واجتمع حوله الرفاق ، ودع زوجته الشابة وطفله الرضيع وأقلع فى اليوم الاول من شهر يونيو سنة ١٩١٠ موليا وجهه شطر البحار الجنوبية والعالم المجهول

وسارت به السفينة تحمل عشرين رجلا من خيرة العلماء المتخصصين فى مختلف العلوم، وعددا كبيرا من الكلاب والبراذين المدربة على حمل الاثقال وجر الزلاقات، ومعملا للطبيعة والكيمياء مستكملا أحدث الاجهزة والعدد والآلات ، ومكتبة عامرة بالكتب فى كل فرع وباب ، وكتلا والواحا من الخشب وادوات كاملة للبناء وخيما وحبالا وأوتادا وأسلحة وكل ما تحتاج اليه الرحلة من طعام وشراب ولباس وفراء

ولعل القارىء يعرف أن ديسمبر ويناير هما عز الصيف فى المنطقة المتجمدة الجنوبية لان الشمس تسطع فيهما بضع ساعات من النهار فتنير بياض الارض بنورها الباهت وتبعث فى الكائنات دفئا نسبيا يلطف الى حد ما من قسوة البرد وشدة الزمهرير

ولقد بلغ سكوت وأصحابه حدود تلك المنطقة فى أواخر شهر يناير من عام ١٩١١ أى بعد انقضاء الصيف فتعين عليهم أن ينتظروا الصيف الجديد فى ذلك المكان حتى يتيسر لهم أن يجتازوا الشقة التى تفصلهم عن القطب فى ضوء الشمس ودفئها

وغادر القوم سفينتهم ونزلوا فوق الجمد وشيدوا عليه بيتا من الخشب يختلف عن ذلك الذى ابتناه شاكلتن بما أدخل عليه من مستحدثات السكنى ومبتدعات المدنية لترفيه الحياة وتوفير اسباب الراحة فى الاقامة . فبعد أن كان سابقوهم الى تلك الاصقاع يستضيئون بمسارج ذات فتيل ينبعث منه سخام كثيف ورائحة تؤذى الانوف ويقضون أشهر الانتظار فى غسق دائم لا يعملون شيئا ولا يتلهون بشىء ، صار هؤلاء يستصبحون بغاز الاستيلين الذى ينشر النور الابيض والدفء بين جدران الحجرات ، ويتلهون بما تعرضه الآلات السينمائية على أعينهم من مناظر البلدان والناس ، ويغنون على نغمات البيانة ويستمعون الى ألحان الجراموفون ويطالعون الكتب التى أتوا بها فتمدهم بما هم فى حاجة اليه من المعلومات

وقد قسم البيت الى غرف منها ما هو للنوم أو لتناول الطعام ومنها ما أعد للاشغال والدراسات . فهذه غرفة للاعمال الكتابية صفت فيها المكاتب والآلات الكاتبة ، وتلك غرفة مظلمة لتحميض الاشرطة والصور الفوتوغرافية ، وهذا مرصد للاحوال الجوية والظواهر الطبيعية ، وهنا معمل للاختبارات والتحاليل الكيميائية ، وهناك معمل للابحاث الجيولوجية يفحص فيه العالم المتخصص فى علم طبقات الارض ما صادفه من المواد المعدنية الغريبة ، وذلك معمل آخر يلاحظ فيه عالم الحشرات مالقيه من الطفيليات على أجسام الطيور القطبية المعروفة باسم « البطريق »

واذ كان لا يزال بينهم وبين حلول الصيف اشهر طويلة يقضونها فى هذا المكان فقد

وزعت عليهم الاعمال وقسمت بينهم الواجبات وتعين على كل من العلماء أن يوافي زملاءه بما تصل اليه معلوماته ومباحثه وتجاريبه في أثناء النهار • فكانوا يجتمعون كل ليلة بعد العشاء ليستمعوا الى احدهم يحاضرهم في موضوع علمي أو يطالعهم بشيء جديد • فاذا كان الصباح خرجوا للرياضة أو للاستكشاف جماعات فيتدربون على الانزلاق ويحفرون الجليد ليفحصوا طبقاته ويسوقون الزلاقات تجرها الكلاب أو البراذين ويجربون نصب خيامهم في العراء ليعرفوا مبلغ مقاومة اوتادها لهبوب الرياح • فاذا أقتم الجو وأقبل الليل عادوا الى البيت فرحين متهللين • وان لمن الشائق حقا أن نقرأ بقلم القبطان سكوت تعليقاته اليومية على أشياء وحوادث تبدو لنا حقيرة أو تافهة ولكن لها في حياتهم العجيبة أهمية كبيرة • فموت برذون أو طفو حوت أو اجتماع عدد من البطاريق حادث جدير بالذكر يدعو الى الاهتمام • أما ظواهر الطبيعة التي تبهر العقول والانظار كالفجر القطبي وتفاعل أضواء الكواكب على بياض الثلج ، أو أعراض الجو التي تفتك بالجسم وتشل الحركة فأشياء عادية لا تستحق التدوين

وانقضت أيام الخريف والشتاء والربيع ما بين فبراير ونوفمبر على هذه الحال • حتى اذا كان يوم من أيام شهر اكتوبر خرجت سيارة منهم للاستكشاف ناحية الغرب فاذا بها تعود مسرعة وتنبىء الجماعة أنها عثرت هنالك بخيام ، وأن هذه الخيام للرحالة النرويجي « امندسن » وقد خلفها وراءه ليستخدمها عند العودة

وكان سكوت يعلم أن امندسن قد اعتزم القيام برحلة الى القطب ولكن لم يدر بخلده ان هذا المنافس قد اختار لرحلته نفس الوقت الذي اختاره • فلما جاءه اخوانه بهذا النبأ هاله الامر ونشر الخارطة وبحث عن النقطة التي عنها اصحابه وقالوا انهم وجدوا فيها الخيام علم ان النرويجي قد قصد الى القطب من طريق آخر وانه سبقه اليه بمرحلة لا تقل عن مائة وعشرة كيلومترات •

ولو أن الصاعقة نزلت على رأس سكوت لما أفزعته كما افزعه ذلك الخبر فبات ليلته يتلوى على فراشه كالملسوع لا يغمض له جفن الا ليرى شبح أمندسن وهو يسير أمامه الى الهدف وينشر راية بلاده على ذلك المكان من الارض الذي لم تطأه قبله قدم انسان

وهنا يتناول سكوت يومياته ويكتب : « جئنا في رحلة فاذا بنا في سباق • ان امندسن يتقدمنا بمسافة لا يستهان بها ولكن يجب أن نسبقه والا فلا خير في كل ما فعلناه حتى الآن » ثم يهيب باخوانه النيام : « هيا ايها الرفاق فان شرف انجلترا رهين ما تحرزون من نجاح »

ولشدما سر القوم عندما هبوا من نومهم ونظروا الى الافق فرأوه مكللا بكلة متعددة الالوان زاهيتها تبهر العين وتملأ النفس روعة وبهجة • ذلك هو الفجر القطبي الذي ترسم ألوانه أضواء الشمس من وراء الأفق على أديم السماء فيظل منظرها البديع ماثلا أمام العيون حتى يطل القرص الذهبي من ثنايا تلك الكلة فيبددها شيئا فشيئا

ويملأ القوم نواظرهم بهذا المشهد الاخاذ بشير ظهور الشمس بعد احتجاب تسعة شهور ، وتتهلل وجوههم عندما يتكشف الافق عن قرص الشمس الذى يرسل أشعته فيغمر ذلك السهل الفسيح ويكسوه من نوره الباهت ما يكسبه لون المعدن البراق

لقد دقت ساعة المسير بعد طول الاقامة وآن للقافلة أن تبدأ رحلتها نحو القطب فالصيف قصير والايام المشمسة قليلة وهنالك أمندسن يسرع الخطو ويحاول أن يكسب الشوط فى ذلك السباق الرهيب

وينظم سكوت خطة السير للذهاب والعودة ، فيقسم الطريق الى محطات بين الواحدة والتى بعدها سفر يومين ويجعل عند كل محطة مستودعا للزاد والثياب والبترول • ويرى أن القافلة لا تستطيع أن تحمل معها ما يكفيها من المؤونة والامتعة طيلة الاسابيع التى تستغرقها الرحلة ، فيقرر أن يؤوب عشرة من الجماعة من منتصف الطريق على أن يلحق بهم خمسة أخر عندما يبلغون خط العرض السابع والثمانين ويمضى الخمسة الباقون الى القطب بما يكفيهم وحدهم من المؤونة فى الذهاب والاياب

وتبدأ القافلة سيرها فى اليوم الاول من شهر نوفمبر سنة ١٩١١ ، فتنطلق الزلاقات الميكانيكية فى الطليعة وتتبعها مركبات النقل الثقيلة تجرها البراذين ثم مركبات النقل الخفيفة تجرها الكلاب • ولكن القوم لا يكادون يقطعون المرحلة الاولى حتى تواجههم المشاكل والصعوبات فتتعطل محركات الزلاقات فيضطرون الى التخلى عنها وتركها فى الطريق ، ويتضح لهم أن البراذين التى أتوا بها من سيبريا لا تقوى على تحمل المشاق بالقدر الذى توهموه فيضطرون الى قتل ما يمرض منها والقائه طعاما للكلاب ، ويشتد عليهم البرد وتسوء حالة الجو فلا يتمكنون من قطع ثلاثين كيلو مترا فى اليوم وقد كانوا جعلوا حسابهم على أن يقطعوا الاربعين • وتتراكم على نفوسهم فوق هذه الهموم المادية هموم معنوية تتزايد وتتكاثر كلما ذكروا أن العدو النرويجى يجد فى السير وقد يبلغ القطب قبل أن يبلغوه • وتتعاظم فى نظرهم أقدار الاشياء التافهة حتى ليروا الخطر الاكبر فى أصغر الحوادث : فموت برذون أو فرار كلب أو امتناع دابة عن الطعام حادث يزعج النفس ويشغل البال ، وريح تهب أو عاصفة تثور أو سماء مربدة بالغيم قد تعوق السير وتؤدى الى القعود وهل بعد القعود الا الخيبة والخذلان ؟ ألم يتحول مجرى التاريخ وينقلب مصير أعظم الرجال ويتغير مآل أكبر الحوادث فى لحظات مشئومة طرأت فيها طوارىء لم تدخل لفرط تفاهتها لاحد فى حساب ؟

وتعتل حواس الرحالين وتتناقص قواهم بفعل عناصر الطبيعة فيضعف نظر بعضهم من شدة لألاء الجليد تحت أشعة الشمس وتتجمد أطراف آخرين من قسوة البرد وفعل الزمهرير

ويبلغون منتصف الطريق وهم على هذه الحال من الضنى والشقاء فينفصل فوج العشرة الاول عن الجماعة ويقفل راجعا ويستأنف العشرة الأخر المسير ليقتحموا أسوار الجليد

التى تحجب منطقة القطب عن الابصار • وهنا يتعذر المضى فى الطريق اذ الجمد صلب مغطى بقشرة خشنة محبية بحبوب ذات رؤوس حادة كرؤوس الحراب تعوق انزلاق الزلافات وتفرى مراكيبها فتتساقط البراذين على الارض اعياء وتقصر قوى الكلاب عن جر المركبات فيجرها الرجال • ولا يزالون كذلك يغالبون الطبيعة الجائرة ويقطعون من الطريق مراحل قصيرة حتى يبلغوا خط العرض السابع والثمانين وهو النقطة التى انتهت اليها رحلة شاكلتن والتى عينها سكوت ليتخير عندها الاربعة الذين يرافقونه الى القطب ويفصل عنه الخمسة الذين يعودون ليلحقوا بزملائهم الاولين

ويقع اختيار سكوت على أربعة هم أوتس وباورز وويلسن وايفانس ويقف الى جانبهم ليودع الخمسة المحكوم عليهم بالعودة فيقرأ فى أعينهم الحسرة التى تنهش أفئدتهم وهم يحرمون شرف الوصول الى القطب مع اخوانهم وقد صاروا منه جد قريبين فيتسامى الدمع الى عينيه ولكنه يحبسه فى مآقيه ويسرع فى توديعهم ويجر الاربعة المختارين وراءه جرا حتى لا يطول ذلك المشهد الاليم • وتفترق الشرذمتان فتتجه الواحدة جنوبا صوب المجهول وتتجه الثانية شمالا صوب الجماعة والامان ، وتظل كل واحدة منهما تلفت الى الاخرى ملوحة بالايدى والمناديل حتى تغيب عن نظرها • وعندئذ تنمحى الابتسامة المفتعلة من شفتى سكوت ويعود اليه عبوسه وتطوبه فيضرب الجليد بعصاه ويصيح : الى الامام

ويمضى الخمسة فى سبيلهم الى القطب كخمس نقط سوداء مبعثرة فى ذلك القفر الابيض الذى لا تشوف العين أوله ولا تأتى على آخره يستنشقون هواء مثلجا لم يستنشقه قبلهم انسان منذ خلق الله الارض ومن عليها ، فاذا وقب الليل نزلوا من زلاقاتهم ونصبوا خيامهم وأقاموا من الجليد سورا يقى الدواب عتو الريح الباردة ودخلوا فى أكياس مبطنة بالفرو يربطونها عند الرقبة ويستلقون على فراشهم الى الصباح

وتستولى على نفس سكوت فى تلك الايام الاخيرة حالة قلق شديد لعلها حالة من يشعر أنه شارف الغاية وقارب النهاية فيطيل النظر الى البوصلة ويرى عقربها الازرق يضطرب على مينائها البيضاء ويزداد اضطرابا كلما اقترب من القطب فيتساءل فى يومياته: « أليس لهذا العناء من آخر ؟ » • ويقيس على الخارطة المسافات الباقية ويدونها يوما بعد يوم فيكتب فى جريدته : « لا زلنا على بعد مائة وخمسين كيلو مترا وأغلب ظنى أننا لن نصل الى نهايتها اذا استمرت الحال على ما هى عليه • » ويسيرون يومين فيقعد بهم الاعياء فيصيح : « أمامنا مائة وسبعة وثلاثون كيلو مترا ما أطولها وأقساها ! » ويستأنفون المسير ويشتد بهم القلق على المصير فيكتب : « لم يبق سوى ثمانين كيلو مترا ونبلغ القطب فماذا يكون لو قدر علينا أن لا نبلغه ؟ » ثم يتسرب الى نفسه القلقة شعاع من الامل يضيئها فيهتف من أعماق قلبه : « العون يارب على السبعين الباقية ! » حتى اذا لم يبق غير خمسين كيلو مترا ملأ الامل فؤاده فيصيح : « الشقة الباقية وعرة ولكن الظفر قريب وأن هو

الا مجهود أخير وتكلل الرحلة بالفوز فنرفع الستر الذى يغطى هذا الجزء المجهول من جسم الارض »

وفى السادس عشر من شهر يناير سنة ١٩١٢ يهبون من نومهم مبكرين وقد انتزعتهم الآمال من أكياسهم قبل الميعاد الذى ألفوا أن يستيقظوا فيه ، ويسيرون جادين فى السير حتى يقطعوا المرحلة الاخيرة ولا يبقى بينهم وبين المحور الذى تدور الارض حوله الا مسافة يأتون على آخرها فى ساعة وبعض الساعة فيأبون الا أن يجتازوها راجلين

لقد تمت المعجزة أو هى على وشك التمام وصار النجاح أمرا أكيدا لاسبيل الى الشك فيه فالى الامام !

ويسير سكوت فى الطليعة ويحدق النظر فى الافق فيرى شيئا لا يعرف ما هو ولكنه شيء كالنقطة السوداء فى نهاية ذلك البياض المترامى الاطراف فيستولى عليه قلق لايلبث حتى يستحيل خوفا ثم ذعرا ثم هلعا • وتعتريه رعدة يحاول أن يغلبها فتغلبه ، ويجيل حدقتيه في من وراءه فيراهم أيضا قد شخصت أبصارهم الى ذلك الشيء يريدون أن يتبينوه ، فيسائلهم بالنظرات ولكن أعينهم تتحاشى التلاقى بعينيه ، ثم تمتقع وجوههم ويستغرقون فى ذهول شديد

ويمعنون فى السير وكل منهم يخادع نفسه فى مايرى ويريد أن يكذب بصره فيعتصم بالصمت ويوسع خطاه ويسائل الله فى سره : « ما هذا الذى أرى يا رباه ؟ »

ويستجمع « باورز » شجاعته وينظر الى صاحبه « أوتس » ويقول : «هل ترى شيئا ؟» فيجيب أوتس وهو يتلعثم وقد جف لعابه فى حلقه وتحشرج صوته فى حنجرته : « نعم ولعله شق فى الجمد أو سراب أحدثه تفاعل الالوان » • ويمد سكوت عينيه ويقف بغتة ويترنح على ساقيه وينشر ذراعه ويشير بأصبعه الى الشيء ويقول : « انها راية »

ويوقن كل واحد من الخمسة أن الفكرة التى ساورته قد ساورت جميع الاخوان ، وأن أحدا منهم لم يكن واهما ولا مخدوعا عندما أدرك أن النقطة السوداء ليست سوداء وانما هى ذات ألوان ، فيندفع سكوت عدوا الى الامام ويجرى وراءه سائر الرفاق يريدون أن يستجلوا الحقيقة ويقطعوا الشك باليقين

ويزول الشك أمام الحقيقة الماثلة وينهار صرح الامل من وقع صدمتها الهائلة • فان الشيء الذى ودوا لو يكون سرابا أو شقا فى الجليد لم يكن الا علم بلاد النرويج وقد علقه امندسن فوق سارية غرسها فى الجمد ليسجل لنفسه استكشاف القطب الجنوبى وليسجل لبلاده احرازها قصب السبق الى امتلاك هذه الاصقاع

اذن فقد وصل سكوت مصليا فى حلبة لا اعتبار فيها الا للمجلى فما قيمته بعد ذلك وما قيمة رحلته وبلوغه القطب ما دام غيره قد سبقه اليه ؟

وينظر القبطان الى أصحابه فيرى وجوها كاسفة وسحنا علاها الذهول فيتغلب على يأس نفسه ويحاول أن يسرى هم رفاقه فيبتسم ويقول : «لو أنا قصرنا أيها الاخوان لحق

لنا أن نحزن ، ولكن ما حيلتنا اذا كان غيرنا أسعد منا حظا وأكثر توفيقا ؟ » .

يا خيبة الامل ويا ضيعة الرجاء ! أمن أجل هذا باع ما كان يملك واستدان ؟ أمن أجل هذا هجر زوجته وطفله وتحمل أشق الجهود وأقسى الآلام ؟ أمن أجل هذا فقد منصبه فى البحرية وضحى برزق عياله وأضاع من عمره حولين فى هذا القفر القاتل وبين تلك الاهوال الشداد ؟

وكانت بالقرب من السارية التى تحمل العلم خيمة منصوبة فدخلها فوجد كتابا فى غلاف مثبت بمسمار فى عمود الخيمة يحمل امضاءة امندسن وقد كتب على الغلاف : « قد أقضى نحبى وأنا فى طريق عودتى الى بلادى ، فأرجو من أول انسان يصل بعدى الى هذا المكان أن يحمل هذه الرسالة الى الملك هاكون ملك النرويج » .

ويضع سكوت الرسالة فى جيبه ويقسم ليحملنها بنفسه الى الملك شاهدة على فشله وفوز منافسه ، ويقف هنيهة يجيل الطرف فى هذه البقعة التى يسميها الجغرافيون طرف المحور فيلاحظ فى أرضها آثار أقدام ودمنا ومخلفات تدل على أن الذين أتوا قبله الى هنا لم يسبقوه الا ببضعة أيام ، فتنطلق من صدره زفرة حارة وينظر الى القطب نظرة عاتبة ، نظرة المحب الى المحبوبة التى كان يحسبها بكرا معصومة فاذا هى قد استبطأته فاستسلمت لأول طالب ، فيحول عينيه عنه ويهيب بأصحابه : « هيا أيها الرفاق » .

ويتناول العلم البريطانى ويغرس ساريته فى الجليد الى جانب علم النرويج ويلقى على العلمين نظرة أخيرة ويعود أدراجه منكس الرأس محزون النفس مكلوم الفؤاد .

أما القطب الحائن فلا يستحق منه بعد ذلك اهتماما ، فهو لا يصفه ولا يتحدث عنه فى مذكراته بغير هذه الكلمات : « ليس فى هذا المكان ما يستوقف النظر ولا ما يغير شيئا من مناظر هذه المنطقة الرتيبة المتشابهة » .

وتنطلق الجماعة صوب الشمال والريح الباردة العاتية تدفع ظهورهم الى الامام فيعود القلق الى نفس سكوت فيكتب فى يومياته كما لو كان حجاب الغيب قد انقشع أمام عينيه : « ان العودة تخيفنى وانى لمتوجس منها شرا » .

وتتضافر عليهم الصعوبات والمخاطر فى طريق العودة : لقد كانت البوصلة تقودهم فى الذهاب أما فى الاياب فعليهم أن يسلكوا نفس الطريق الذى أتوا منه وأن يقتفوا الآثار التى خلفتها أقدامهم على الجليد لتهديهم الى المحطات والمستودعات ، فلا عجب أن هلعت قلوبهم كلما ثارت زوبعة من الثلج فزوابع الثلج تغشى الابصار وهم أن ضلوا السبيل ساروا الى الهلاك ما فى ذلك شك ولا ريب . وبعد فقد فقدت أجسامهم كثيرا من نشاطها ومن قدرتها على المقاومة وباتت لا تتحمل ما كانت تتحمله حين توافر الطعام الدسم الوفير . ولو أن الخطب وقف عند حد الجسوم لهان ولكن ارادتهم قد وهنت واعتلت كأنما حطمت الخيبة زنبركها وكسرت نابضها فهى توشك أن يصيبها العطل وتقف عن الدوران

لقد كانوا فى الذهاب يسعون الى تحقيق أمل عز تحقيقه على بنى الانسان ، وكانوا يريدون أن يسبقوا الامم الى هذه القارة المجهولة ليقترن اسم انجلترا بأعظم استكشاف جغرافى عرفه التاريخ ، فكانت هذه الاعتبارات السامية تضاعف قواهم وتمدهم بالصبر والمثابرة كلما أجهدهم السير أو قعد بهم الاعياء . أما الآن ويا حسرتاه فليس ثمت فكرة عزيزة تقودهم ولا غرض عظيم يسعون اليه ، وهم انما يجاهدون الطبيعة ويكافحون عناصرها لينقذوا أرواحهم من الهلاك ، ولكن ما قيمة الارواح بعد هزيمة تقصم الظهر وخيبة تبغض الانسان فى الحياة ؟

وتسرد « اليوميات » تفاصيل مأساة العودة وانها لمأساة تستثير الشجن وتدمع العيون: حالة الجو تسوء وتزداد سوءا يوما بعد يوم وقد عاجل الربيع القطبى تلك الارجاء وربيع القطب كشتائه يشتد فيه البرد وتكثر الزوابع الهوج فيعلق الثلج بنعالهم ويجمد عليها فيثقل خطوهم ويعوق سيرهم فلا يبلغون أحد مستودعاتهم الا بشق النفس وبعد الجهد العسير . ولكنهم كانوا يتواصون بالصبر والشجاعة على تحمل المشاق والآلام . ولم تكن وعثاء السفر ووعورة الطريق لتصرفهم عن أن يستفيدوا من رحلتهم كل ما يمكن أن يستفاد . ولعمرى أن قارىء « اليوميات » ليقف اجلالا لتلك البطولة المعنوية التى كانت تجعل أولئك الخمسة المستهدفين لكل أنواع الموت المشردين فى ذلك القفر النائى ينسون ذواتهم ويتلكؤون فى الطريق ليفحصوا ظاهرة طبيعية غريبة أو ليلتقطوا معدنا جديدا يضيفونه الى المجموعة التى تصيدوها فى الذهاب والاياب . ومن ذا الذى لاينحنى احتراما لذكرى العالم الجيولوجى ويلسن عندما يعلم أنه بدلا من أن يتخفف من أثقاله قد زادها ستة عشر كيلو جراما من المعدنيات ؟

بيد أن شجاعة الانسان لا تثبت طويلا أمام قسوة الطبيعة ، ولقد اشهرت الطبيعة على الخمسة المستشهدين كل اسلحتها الفاتكة : البرد والريح والجليد فأذبلت جسومهم وانهكت قواهم ثم جاءت قلة الزاد فزادتهم نهكا وذبولا اذ اضطرتهم الى التوجب والاقتصاد

ولقد هالهم يوما أن رأوا صاحبهم ايفانس ـ وكان أكثرهم نشاطا وأقواهم بنية ـ يترنح فى مشيته ويأتى بحركات غريبة ويدور حول نفسه ويتلفظ بكلام غير ذى معنى وينظر اليهم كالمشدوه . لقد جن الرجل من فرط العذاب فهل يقتلونه ليريحوه كما لو كان كلبا أو برذونا أو يمكثون الى جانبه فيهلكوا جميعا أو يحملونه معهم وهم لايقوون على حمل ما لا غنية عنه من الزاد والمتاع ؟

ولكن هذا الهم لا يطول اذ يوفر ايفانس على أصحابه مشقة التفكير فى حالته ويسقط ميتا فى السابع عشر من شهر فبراير فيحفر له الاصحاب قبرا فى الجليد ويهيلون عليه الثلج ويغادرونه والاسى يقطع منهم نياط القلوب

ويستأنفون السير بعد اذ صاروا أربعة حتى يبلغوا المستودع فيجدون كمية البترول المودعة فيه قليلة لا تكفى فيضطرون الى الاقتصاد فى احراقها للتدفوء والى تقسيمها على

عدد الايام التى سيقيمونها فى المحطة ، والبترول هو الوسيلة الواحدة للحصول على الدفء فى تلك الاصقاع التى لا سبيل فيها الى وسيلة من سائل التدفئة الحديثة

ويجدون فى المسير أياما أخرى ويبلغون المستودع الاخير ولا يبقى بينهم وبين الرفاق المنتظرين عند بداية خط السير سوى مسيرة يومين أو ثلاثة أيام ، ولكنهم يلاحظون ان كمية البترول المودعة فيه أقل من تلك التى وجدوها فى سابقه ، فيبدى أمامهم شبح الموت ناشرا ذراعيه ويبدأ الخوف على الحياة يدب الى قلوبهم واليأس من النجاة يستحوذ على نفوسهم ، فيحاول القبطان سكوت أن يشجعهم أو يهدىء من روعهم ولكنه اذا خلا بنفسه وأوراقه لم يسعه الا أن يدون الحقيقة التى يمسها ويراها ماثلة أمام عينيه ، فيكتب فى يومياته : « لا أظننا نصبر على هذه الحال طويلا » ثم تتعدد صيحات الألم فنقرأ : « أغلب ظنى أن هذه المغامرة ستنتهى الى مأساة » ، «أدركنا برحمتك يارب فقد صرنا لا ننتظر العون من انسان » ، « لقد بلغت أرواحنا الحلاقيم » • ثم يواجه الحقيقة المفزعة فيقررها بذلك الجأش الرابط الذى نعرفه فى الانجليز فيقول : « نحن صائرون الى الموت »

ويصحون من نومهم متجمدى الاطراف متصلبى المفاصل لا يقوون على النهوض بله المشى فيسيرون متثاقلين ولكنهم لا يكادون يخطون بضع خطوات حتى يروا أن صاحبهم أوتس قد بلغ به الاعياء حدا جعله يجر قدميه ويمشى وراءهم كمن ينوء بأحمال ، ثم يرتمى على الارض ويتمتم بصوت خافت : « دعونى هنا وليكتب الله لكم السلامة » • وهنا يقع الثلاثة الآخرون فى حيرة جديدة ، فلا قلوبهم تطاوعهم على تركه ولا هى تطاوعهم على المكث معه فى ذلك المكان الذى تهبط درجة الحرارة فيه الى الثانية والاربعين تحت الصفر • ويشعر الرجل انه صار عبئا على أخوانه بعد أن كان عونا لهم ويرى أن بقاءه بات خطرا على حياتهم فيتوسل اليهم أن ينجوا بأنفسهم فيأبون فيحمل نفسه من الجهد ما لا تطيق ويظل يجر قدميه وراءهم الى أن تخذله ساقاه فيقع فيعودون به الى المستودع ويقضون ليلتهم وهم يقاسون آلام البرد الشديد

وقبيل الصبح يرون أوتس ينهض من فراشه ويتسلل الى خارج الخيمة فيسألونه الى أين ؟ فيجيب : « سأغيب عنكم قليلا فلا تقلقوا » فتعتريهم رعدة وتذوب حبات قلوبهم اشفاقا عليه ويعلمون ما وراء خروجه ولكن احدا منهم لا يقوى على أن يمسك به ليمنعه ولا أن يمد اليه يدا للتوديع ، فيدعونه يذهب الى المصير الذى رضيه لنفسه ولا تمضى برهة حتى يطرق آذانهم صوت طلق نارى فيذهبون لاستطلاع خبره فيرونه جثة هامدة ممددة فوق الجمد مصبوغة بدم غزير

وها هم الآن ثلاثة ضعفاء خارت قواهم ويئسوا من كل شىء يقطعون قفرا يمدون البصر فلا يرون له نهاية ، يظلون طول النهار سائرين على أقدامهم حتى اذا جن الليل وغابت عن أعينهم علامات الطريق نصبوا خيمتهم وطهوا طعامهم وتدفأوا بما تيسر من البترول

ويحاول هؤلاء الثلاثة بلوغ البيت الخشبى حيث يوافون الرفاق المنتظرين وحيث يجدون

الدفء والطعام • ولكن يأبى حظهم العاثر الا أن تسوء حال الجو وتهب الرياح وتثور عواصف الثلج فتحول دون مبارحتهم الخيمة فيلزمونها آملين ان تتحسن الحالة قريبا فيستأنفوا المسير • وتمضي الليلة تلو الليلة والحالة لا تتحسن فيقل الزاد وينفد البترول ويهبط مقياس البرودة الى الدرجة الاربعين فيتضاءل الامل فى النجاة ولا يبقى أمامهم الا الموت بردا وجوعا

ويقضون على تلك الحال ثماني ليال حتى اذا كان الثامن والعشرون من شهر مارس أيقنوا أنهم لا محالة هالكون ، وانهم لن يفلتوا من براثن الموت الا بمعجزة غيرمنتظرة وان ليس في وسعهم الا أن يواجهوا هذا الموت فى أبشع صوره وأقسى اشكاله ، فيقررون أن يبقوا حيث هم وأن يستقبلوا النهاية المريرة فى شجاعة واستسلام • وعندئذ يدخلون فى اكياسهم المبطنة بالفراء ويستلقون على فراشهم لا يرجون شيئا ولا يؤملون فى شيء

ويدخل الثلاثة فى طور الاحتضار • ولو قدر لاحد من الناس أن يراهم يومئذ لرأى شيئا عجبا : ثلاث لفافات ضخمة من الفراء فيها ثلاثة رجال اشتدت بهم تباريح البرد والجوع واليأس فهم يعانون سكرات موت بطيء يأبى أن ينقض عليهم لينقذهم من هول ماهم فيه ولكنه يدنو منهم رويدا رويدا حتى ليحسوا دنوه ولو استطاعوا لمدوا اليه اذرعتهم مستعجلين مرحبين

أما القبطان سكوت فلا ينسيه هذا الهول أن له أسرة ووطنا وأن من حقهما عليه أن يخصهما باللحظات الاخيرة من حياته وبالفكرة الاخيرة التى تساور عقله ، فيخرج يديه من فرائه ويتناول القلم ويكتب

يكتب الى امرأته فيوصيها بولدهما ويتوسل اليها أن تجنبه حياة التراخي والخمول وأن لاترى فى الميتةالتى يموتها هو مايدعوها الى الخوف على هذا الولد خوفا يبغض اليه المغامرة فى سبيل اعلاء شأن الوطن • ويحدثها عن رحلته فلا تبدر منه بادرة أسف لما لاقاه فيها ويقول : « ماذا تريدين أن أقص عليك منها ؟ انى لمغتبط بأنى قمت بها وانى لمؤثر ذلك على القعود الهنيء بجانب الموقد فى بيتنا العزيز »

ويكتب الى زوجات أصحابه والى أمهات اللذين سبقاه الى الموت منهم فيشهد انهم عاشوا أبطالا وقضوا ابطالا ويحاول أن يعزيهن بحلو الكلام • ولعمرى ان أعجب فعجبي لهذا المحتضر الذى يعزى غيره ويصبره وهو أحوج الناس الى التصبر والعزاء !

ثم يكتب الى أصدقائه فيتواضع كلما تحدث عن نفسه ولكن العزة القومية تأخذه عندما يتكلم عن الوطن فيقول : « لا ادرى هل استحق لقب المستكشف مصحوبا بأى نعت من النعوت ولكن الذى أدريه هو أن النهاية التى نقاسيها الآن تدل على أن الشجاعة ومواجهة الاخطار والصبر على المكاره واستعذاب الفناء فى سبيل الوطن فضائل لم يعدمها الانجليز »

ثم يوجه الخطاب الى الامة الانجليزية فى صراحة المستشهد الذى لا يجمل به أن يكذب ولا أن يموه ، فيفسر أسباب اخفاقه فى ذلك التسابق الذى علقت عليه انجلترا آمالا كبارا

ويعلن انه لم يتوان ولم يقصر وانما هو توالى العوائق وتتابع الصعوبات واضطهاد الطبيعة قعد به عن السبق الذى لم يكن لولا ذلك ليشك فيه

ولا يهتم فى السطور الاخيرة بحالته الأليمة ولا بالميتة الشنيعة التى يعانيها وانما يهتم بحياة الآخرين فتنبعث من صدره المتصدع الخائر تلك الصيحة الى ابناء وطنه : « نستحلفكم بالله أن لا تنسوا أولئك الذين نخلفهم بعدنا بلا عائل ولا نصير »

وتجيء بعد ذلك كلمات متقطعة ثم حروف متباعدة ثم خطوط متعرجة .. ثم يدب الموت الى اليد فتتجمد الاصابع ويسقط القلم

***

كان الرفاق الآخرون مجتمعين فى البيت الخشبى ينتظرون عودة القبطان واصحابه الاربعة طيلة أسابيع واسابيع . ولقد انتظروهم أول الامر فى ثقة وطمأنينة ، ثم أخذ القلق يدب الى نفوسهم ويشتد حتى لم يروا مندوحة عن أن يوفدوا سيارة منهم للبحث عنهم أو لاستقصاء خبرهم . ولكن زوابع الثلج لم تمكنهم من المضى فى الطريق الى بعيد . وهكذا امضت الجماعة طيلة الخريف والشتاء من ابريل الى اكتوبر فى البيت الخشبى لا تعرف شيئا عن مصير القبطان والذين معه . فلما طال بهم المطال وحل شهر نوفمبر سنة ١٩١٢ قرروا أن يخرجوا مرة أخرى لاستطلاع خبر هؤلاء الغائبين ، فسلكوا نفس الطريق الذى سلكوه واياهم أول مرة وظلوا مجدين فيه حتى بلغوا الخيمة ووجدوا بها الجثث الثلاث متجمدة فى فرائها ، ووجدوا الكراسات التى كان سكوت يدون فيها مذكراته اليومية وقد كتب عليها هذه العبارة : « ارجو ممن يعثر بهذه الاوراق أن يحملها الى زوجتى » وكأنما أراد أن تكون عبارته مطابقة للحقيقة الواقعة فمر بالقلم على كلمة « زوجتى » وكتب بدلا منها هذه الكلمة الرهيبة « ارملتى »

وشق الاخوان لموتاهم قبرا فى الجليد غيبوهم فيه ورشقوا فى سطحه صليبا كتبوا اسماءهم عليه وحملوا الكراسات والاوراق والرسائل وعادوا الى بلادهم

ولقد أبت المقادير العادلة الا أن تنصف سكوت بعد مماته والا أن تحدث ميتته الهادئة فى هذا الركن المجهول من الارض رجة ودويا فى العالم كله . فقد عنى أصحابه أثر وصولهم الى انجلترا بنشر مذكراته ورسائله والصور الفوتوغرافية والاشرطة السينمائية للمناظر التى التقطوها فى رحلتهم فتخاطفتها المطابع وتناقلتها الصحف والمجلات فى سائر البلاد وهكذا علم الناس ما كانوا يجهلون من أمر أولئك الابطال الذين استشهدوا فى سبيل اضافة صفحة جديدة الى صفحات علوم البشر والكشف عن ذلك الجزء من الكرة الارضية الذى لبث غير معروف لساكنيها طيلة ملايين وملايين من السنين

حسن الشريف

سجل الأيام

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

المحالفة الانجليزية التركية

اذا حق لنا أن نطرب لشىء فيما يجيئنا من أخبار السياسة الدولية ، فلهذا النبأ عن اتفاق الجبهة السامية مع تركيا . فأصبحنا هنا فى مصر حلفاء انجلترا من قبل وحلفاء حلفائها من بعد . وليس شرطا أساسياً فى التحالف أن يكون بموثق يوثق به من لدن السلطة الحاكمة ، بل يكفى أن ينص على الاتفاق فى المبدأ ما دامت المرافق المشتركة موحدة المصلحة ومحققة الفائدة

وتركيا عزيزة الى القلوب الشرقية لما تربطنا بها من الروابط منذ القدم وهى أعز ما تكون بعد أن أعادها سيرة شبابها الأولى البطل العظيم أتاتورك

وليس معنى هذا أننا على وفاق مع ماضيها الذى جارت به على أهلها واستبدت بالحكومة ،ذلك الماضى الذى حمل بعضه حملا ثقيلا من سوء الادارة بله الظلم والجهل . ولكن اختلاف الليل والنهار ينسى ، وإذا مات لنا ميت فان المروءة تقضى ان نذكر الحسنات وننسى السيئات . وتركيا الجديدة أهل لكل ما يطلبه رجل متمدين من أمة تسعى الى الأخذ بأسباب المدنية

وكاتب هذه السطور كان دائما أبداً من المعجبين الاعجاب كله بأتاتورك . ويذكر أن هذه المجلة استفتت منذ عشر سنوات أو أكثر قراءها فى أعظم حادث وقع فى العالم فى القرن العشرين . وأنت تعلم أن هذا الاستفتاء كان شيئاً سهلا يعرض على آراء الناس بعد حرب عظيمة لم تبق ولم تذر فجاءت الردود مجمعة كلها على أن الحرب العظمى كانت أعظم الحوادث طراً . ولم تكن تستدعى هذه الأجوبة شيئاً كثيراً من العلم أو من الذكاء ، ولكن كاتب هذا الكلام يؤمن بذكاء أصحاب مجلة « الهلال » فأبدى لهم رأيه مشافهة بأن الانقلاب الذى قام به مصطفى كمال أعظم الحوادث طراً . فوافق رأيه الرأى الذى انطوى عليه لب الاستفتاء

***

كمال أتاتورك

على أن هذا أيضاً لا يستدعى شيئاً كثيراً من العلم أو من الذكاء فأعمال مصطفى كمال تبهر العقول وتأخذ بالعواطف . ولا يقاس بها إلا أعمال الرجال الذين يعدون على أصابع اليد الواحدة فى التاريخ

وأنا إذا أحببت أن أشبهه فأراه أشبه الناس بجورج واشنطون اذا كانت العظمة الحقيقية فى الايثار وحب الانسانية فى حب الوطن

فقد برز هذا النابغة الى الوجود عسكريا متمرداً على الرؤساء والرفاق متبرما بالدهر وبالناس لا يعجبه العجب

عاش فريداً غريبا عن أمه وأخته ومجانبا زملاءه ومعارفه . منتقداً آراء الغير وأعمالهم حتى أصبح ولا صديق له . إلى أن كانت وقعة الدردنيل ورده العساكر البريطانية عن غاليبولى كلما حاولوا التقدم

ولا تعلم بطولته إلا إذا قرأت فى ذلك وصف كاتب انجليزى لا تجمعه باتاتورك جامعة محبة ، وكتب له النجاح ، ولكنه بقى مبعداً عما يشتهيه من عمل ومن تحكم ، فحارب فى القوقاز وحارب فى فلسطين وشتم الالمان وأهان أنور وشركاءه وعصى السلطان وجاء فى نفر لا يتجاوز الخمسة الى قلب الاناضول مهدراً دمه يجمع شتات جيش مقهور وبقايا عتاد وسلاح فيؤلف قوة قوامها مشيئته الحديدية وعزمه الذى لا يلين

وكلنا يعلم كيف طرد الحلفاء من الاناضول - فرنسيين وايطاليين وانجليز - ثم عقب فقذف بجماعة الاغريق الى اليم

هذا مظهر من مظاهر عظمة لا ترى مثلها الا فى أوائل الثورة الافرنسية . ولكننا لا نعنيها وحدها - انما العظمة الخالدة هو أن الرجل الذى عاش حتى هذه الساعة والكل من حوله يصفونه بالطموح الطماع - إذا به ينقلب زعيما اجتماعياً ذا مبدأ يبشر به وينشر تارة بالقوة وأخرى بالحيلة - واذا به يضرب بالأطماع الشخصية عرض صغار الناس ويأخذ بوضع عقيدته موضع التنفيذ . دع عنك أن هذه العقيدة لا توافق هوى معظم ناسه فى الشرق أو فى الغرب . فالعبقرى النادر ينفذ عقيدته بالصارم أو بالاقناع أو بهما مجتمعين ولا يعير الرأى العام التفاتا

فقبل المسيح لم يكن مسيحيون ، وقبل محمد لم يكن مسلمون ، وقبل نيوتن لم يكن فلكيون ، وقبل ماركس لم يكن شيوعيون

فقد يختلف الناس فى قيمة عمله بين محبذين أو مستهجنين شأنهم فى مبادىء الرجال الأعلام فى التاريخ ، ولكن هناك أمراً واحداً لا شك فيه وهو أن مصطفى كمال لو أراد الخلافة لأتته منقادة بعد فوزه على اليونان ولو طمع فى السلطنة لجررت اليه ذيولها ، ولكنه آثر مذهباً له فى سياسة الامم فسار عليه ونفذه فى أمة ما أسلست قيادها إلا لمن أحبها

وليس المقام مقام إطراء مافعل واحد الترك فى تركيا ولكن الحديث ذو شجون وها قد أثبتت الايام صحة نظره اذ عاد أعداء الامس حلفاء اليوم

فقد ثاب إلى الانجليز رشدهم بعد ان أضاعوه منذ ونيف أربعين سنة . عادوا الى محالفة الاتراك

بعد أن حاولوا القضاء عليهم متأثرين بجلادستون حيناً وبلويد جورج يقوده فنزيلوس حيناً آخر

ولا ريب ان أشبه الناس بالانجليز هؤلاء الاتراك — فهم ينضمون اليهم فى صعيد واحد من التمرس بالسيادة وآلة الحكم (حاكيت على قولهم قبل الأخذ باللاتينية) . فانه اذا كان البريطانيون قد ألفوا قيادة الشعوب فان الاتراك سبقوهم إلى ذلك انما نقصتهم الغريزة التجارية التى أبقت على ثروة الانجليز وبددت ميراث الاتراك

أما ما عدا ذلك فانك تسوح فى هذا الذى يسمونه شرقاً قريباً مبتدئاً من بلغراد إلى صوفيا معرجاً بأثينا ثم بالقسطنطينية ثم إلى جميع آسيا الشرقية فلا تجد قوما يصلحون للحكم فى كل هذه الديار إلا أمة الترك على كل ما نعرف لهم من عيوب

***

الترك والانجليز

ولقد تهيأ لى فى سنة من السنين القريبة أن سافرت من بودابست ماراً بالبلقان حتى بلغت القسطنطينية فما طابت لى الاقامة الا فى عرصاتها ليس لجمال موقعها وقذارة طرقها فحسب ، بل لهذا الهواء الذى يحيط بك منبعثاً من تاريخ أهلها ومعاملة القائمين بالامرفيها . ولهذه «الانسانية» التى لا تجدها الا فى عناصر تذوقت طعم السيادة فتعود أسفاً على خروج الاتراك من البلقان وتركه لقوم خير ما فيهم غلاظة رقابهم

هذا فى أوربا فما بالك اذا أتيت آسيا وانحدرت جنوباً من الاناضول حتى البحرين الاحمر والايرانى .

وهناك شبه آخر يجمع الاتراك بالانجليز هو هذا الروح البدوى الذى يأبى الاستقرار ويتعشق المجازفة والاسفار ، حتى انهم إذا سافروا اقتنعوا من الديار التى يسكنونها بقليل من الاثاث والمتاع كأنهم على سفر فى الغد وقد يطول هذا الغد أجيالا

ثم ترى فى الشعبين هذه الغباوة الصريحة يستغلها الاسكتلندى والايرلندى هناك والارمنى والرومى والاسرائيلى ومن اليهم ممن يدعونهم بالافرنجية (Levontin) هنا ، انما هى غباوة القوى المستهتر المستهلك ماله وحياته ، أما عرضه فسالم لم يثلم

***

العلاقة مع الشرق الادنى

قلنا ان الانجليز عاودهم صحة تقديرهم للامور عند ما أعادوا علاقتهم بالاتراك سيرتها الاولى ، ذلك ان اتخاذهم الشواطىء التركية قواعد لأسطولهم يهيىء لهم التحكم فى هذه الجزر التى اغتصبها موسولينى منهم ومن اليونان ويمهد السبيل الى الجيش التركى لينجد حلفاءه البلقانيين

ثم هو فوق هذا وذاك قوة لا ترد فى الدفاع عن آسيا الشرقية وشواطئها من الاسكندرونة

حتى حيفا وحتى قناة السويس إذا حدثت المعتدين أنفسهم بالتعدى على مصر من ناحية وعلى شواطىء سورية من ناحية أخرى

على انه سواء أوقعت الحرب أم فازت عوامل السلام ، فحساب قوة الاتراك وتحالفهم مع انجلترا يجب أن يكون قبلة أنظار جميع المشتغلين بالسياسة الشرقية على العموم وبسياسة البلدان التى كانت جزءاً من السلطنة العثمانية على الخصوص

فقد تكون تركيا الجديدة خير عون لما هى فيه فرنسا وانجلترا من البلاء فى هذه البلدان ذى الأنظمة المزيفة

من يدرى ؟ فلعل الاتراك الذين خلقهم مصطفى كمال يخطر فى بالهم أن يعيدوا يدهم ويوحدوا ما قسمته الاهواء السياسية والاغراض الاستعمارية فتنعم الشعوب بتجارتها وصناعتها وتتذوق نعيم حكم جديد صالح فى ملك كان واحداً لم يتجزأ طول أيام الاتراك وطول أيام الرومان من قبل وان ساء الامر هيئة قليلة قنعت بالالقاب وتولى الاحكام بديلا من راحة الشعب ومصلحته الحقيقية ومن يعش يره

***

ومع الروسيا

على ان الامر لن يكون مقصوراً على عون مباشر مشترك بين الانجليز والاتراك انما نراه سيتناول الافرنسيين أيضاً ثم يتناول الروسيا قبل كل شىء

وحسن أن يكون الاتراك سفراء خير بين الانجليز والروس فيقلع البريطانيون عن تعصبهم ويرون فى الروسيا الحديثة مثالا يحتذى فى تقويم النظام الاقتصادى العالمي ـ لا بشيوعيته كما يراها الرأسماليون العالميون بل يجذبه ناحية المذهب الانجليزى فيصبح أسلوباً معتدلا يمنع التقلقل ويؤيد الطمأنينة الاقتصادية لهذا الرجل العادى ابن السبيل الذى آن الاوان ان يخف شقاؤه قليلا

فانه سواء وقعت الواقعة وتحارب الآدميون أم خافوا واتفقوا فما لا ريب فيه أن النظام الاقتصادى الذى ألفه الناس قبيل الحرب الماضية وبعدها لن يدوم . ولعل فى اعتراف الناس بهذه الاولية حافزاً يجعلهم يجتنبون الحرب

فانه إذا صح مذهب الماركسيين كانت العوامل الاقتصادية الكل فى الكل فى التقلقل السياسى والثورات الاجتماعية وهب هذا المذهب غير صحيح على إطلاقه فالعامل الاقتصادى فى نظر المذاهب كلها يتحكم فى علاقة البشر بعضهم مع البعض الآخر تحكماً غير قليل

فلماذا لا تلجأ الهيئات التى تتولى أمور الناس إلى الاخذ بالمبادىء الاقتصادية السليمة وهى قد تنحصر فى قولك ان العالم كله وحدة اقتصادية

فهم اذا داووا المرض الاقتصادى سهل عليهم أن يرقوا إلى العوامل النفسانية أو الميراث الخلقى الذى يتحكم فى علاقات بنى آدم أيضاً

وربما وفر عليهم الدواء الاقتصادى كل الادوية الاخرى

وقد يظن أن الامر معجزة وأنه بعيد التحقيق ولكننا إذا نظرنا الى ما فعله الأنجليز فى هذا السبيل والى ما يفعله روزفلت الآن فى دياره لأيقنا أن العلاقة الاقتصادية بين الناس ستتحول عما ألفوه حتى الآن تحولا هو فى خير البشرية كلها

ومن يعش يره

***

كلمة تقدير واجبة

اذا كان الحكم على الأمور وعلى الاشخاص نتيجة الاعمال فلا ريب أننا تقدمنا تقدماً عظيما ساراً فى سبيل الحكم القوى المنتج . وانه ليس من عادتنا أن نكيل المديح للحكام فهذا أمر يجل عنه ذوو الكرامة ويجل عنه الحاكم الصالح. ولكن من الاشياء ما ليس يصح السكوت عنه

فقد أظهرت لنا حوادث العالم الخارجية وارتباطها بحوادث القطر الداخلية مقدرة وحزماً وكياسة كانت كالنار مخبوءة تحت رداء من النبل والكبرياء اعتاد رئيس الوزراء أن يرتديه

فقد برز محمد محمود باشا رجلا سياسياً قوياً وظهرت متانة أخلاقه فأكسبته احترام الأجانب والوطنيين على السواء وهكذا الأيام تسير فى سبيلها فيظهر رجال ويستتر آخرون

ولعل ظهور أحمد ماهر باشا وارتقاءه القمة فى وقت قصير لمن الحوادث النادرة والسارة أيضاً وانا لا يخامرنا شك بأن السبب الاصلى فى هذا التفوق راجع الى متانة الاخلاق التى ظهر فيها ظهور رئيسه وصديقه

فالخلق القوى مع الجرأة فى خدمة المصلحة العامة هو الكل فى الكل لمن أراد أن يتصدى لتحمل أعباء الحكومة

وسيأتى يوم على الناس ليس ببعيد لا تقوم قائمة فى بلد من بلاد الله الا للوزير أو الحاكم الذى يكون ايمانه وعمله خدمة الجمهور ـ وخدمة الجمهور فقط

أما ما زاد على ذلك فمن الشرير

سامى الجريديني

الآداب الاسلامية — فى نظر الاستاذ الفاضل كاتب المقال — هى الهدف الأسمى والمثل الذى يحتذى

المثل الأعلى للحياة الراقية

بقلم الاستاذ محمد احمد جاد المولى بك

المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف المصرية

يخيل الى بعض الناس أن ما وصل اليه الغربيون من أنواع المدنيـة وألوان الرقى الاجتماعى هو المثل الاعلى للحياة الراقية ، والغاية التى ليس وراءها فيما ينشده العقل البشرى من الكمال الانسانى ، ذلك بأن هذا الرقى وتلك المدنية قد شملت جميع مناحى الحياة ، وأخضعت عوامل الطبيعة ، وذللت الصعاب والعقبات وكشفت عن أسرار الكون واستخدمت ما أودع الارض والجو من الخواص فى سبيل اسعاد الانسان واستنبطت من العناصر المختلفة قوى سخرتها فى اخضاع ما صعب وشق مناله ، هذا الى استحداث آداب اجتماعية وقواعد خلقية سار القوم عليها فكست ظواهرهم بكمال خلقى حتى بدوا أمام الانظار فى مكان القدوة وشرف الاسرة ، وتوهم أن ما وصلوا اليه كان لاختصاصهم بعقول راجحة وهبات طبيعية وكمال فكر وعلم بزوا به السابقين والمعاصرين حتى أصبحوا لا يلحق شأوهم أحد ولا يجاريهم فى ذلك منافس ، وهذا وان صح بقدر وحد محدود ، لان هذه الظواهر التى غشيت الابصار حقبة من الزمن قد أخذت تسفر عن حقيقتها ، وتكشف عن أساسها وقواعدها ، واستبان أن تلك المدنية تخفى فى طياتها أثرة ممقوتة ، وتستر بطلائها الـكاذب قبحا وتشويها ، وانها ليست الا غولا فى ثياب حسناء ، وأسدا مفترسا فى جلد حمل وديع

والا فقـل لى ما سبب تلك الارزاء التى تحل بهاتيك الامم وما مبعث تلك الانات والصيحات التى تنبعث من أولئك الأفراد والجماعات ، وما مصدر هذه المهلكات التى اندلعت ألسنتها فصارت تهلك منهم الحرث والنسل ، وما ذلك الصراخ والعويل الذى نسمعه من تلك الشعوب المغلوبة على أمرها التى ابتليت بتلك الامم الغربية لقهرها واذلالها وسلب حريتها واستعباد أهلها تحت ستار التمدين وايهام انها رسل العناية الالهية الى تلك الامم والشعوب لانهاضها وترقيتها . ماذلك وأمثاله الالأن تلك المدنية ماعتمدت الاعلى القوة والبطش ولا ارتكزت الا على الحديد والنار وسائر المهلكات وليس لها سند الا الجبروت والطغيان ، حتى اذا وهى ذلك السند انكشف المستور منها وانقلبت حربا يأكل

بعضها بعضا ، أما المحبة والعدالة والطمأنينة والانصاف والرحمة فليس لهذه المدنية منها نصيب ، ولذا نجد الامم الغربية الآن على بركان أتت عليه فترة خمود لا يلبث أن ينفجر ويرمى بشرر كالقصر يطيح بها وبمدنيتها

تلك لمحة سريعة على المدنية الغربية ودعائمها ، منها يتبين ما لها من محاسن طغت عليها الأثرة واستخدمتها فى الأذى والشر بدلا من أن تكون وسائل لاسعاد الناس بالقدر الممكن فى هذه الحياة

أين ذلك من المدنية الاسلامية والتربية الدينية التى أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم وكان هو المظهر الاسمى والمثل الذى يحتذى، والتى أخذ بها المسلمين وركز عليها حياتهم فى مختلف مظاهرها وصبغهم بها فى أمورهم الخاصة وشئونهم العامة

وأساس تلك التربية وعمادها اعتقاد اله واحد خالق هذا العالم ومبدعه واليه مصيره ومرجعه ، تخضع له جميع الموجودات ، وتستمد كيانها ومادتها وحياتها ، خلق كل شىء فقدره تقديرا وأودع كل نوع خواصه التى ميزته عما عداه وبها حفظ نوعه ، وأعقب نسله ، واختار الانسان من بين هذه الانواع فكمله بالعقل وزينه بالفهم وسخرله مافى الارض والسماء وهداه الى طرق الانتفاع بها واستخدامها واستخراج ما فى بطونها واستنباط العلوم والصناعات منها ، فكان بهذا هو المسيطر على ما فى الكون يقلبه ظهرا لبطن وبطنا لظهر ، ليكتشف عن أسرار مبدعه وعظمة صانعه ويجلو الحكمة فيه وما أودع طياته من عجيب الصنع وبالغ الاتقان ، فلا يزداد الا رسوخ عقيدة وقوة ايمان بأن الله واحد لا شريك له (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وانه هو الذى يرجى فى الشدائد ويقصد فى الحاجات ويخشى بأسه وطوله ويطلب ما عنده من الخير والمغفرة

يجىء بعد توحيد العقيدة تلك الآداب السامية والأخلاق الفاضلة التى تضمنتها دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وشملت سائر أطوار الحياة الانسانية الكاملة ، وانت اذا نظرت الى ألوان التربية وضروب الآداب وأحاسن الصفات والاخلاق وجدت للتربية الاسلامية منها النصيب الاوفر ، والقسط الذى يكمل الانسان جسما وعقلا ويجعل حياته كلها سعادة له ، ولمن يحيط به من سائر الافراد بالقدر الممكن فى هذه الحياة ، ولما كان عماد الحياة السعيدة العلم حث الاسلام على طلبه ، وأمر بالحذق فى جميع فنونه ومختلف أنواعه ، وخاطب فى معرض المدح والفخر العلماء ، وأغفل شأن الجاهلين وذمهم حتى جعلهم فى عداد الحيوان الاعجم ، ذلك بأن العلم هو وسيلة الرقى والعزة والغنى والسلطان ، وبسط النفوذ والتمكين فى الارض والانتفاع بخيرات العالم ، وتذليل صعاب الحياة ، وتخفيف ويلات الانسانية ، وابراء الامراض الاجتماعية ، وادراك لذات المعيشة الهنيئة ، ولما كان العلم لا يحقق تلك الغاية السامية الا اذا حاطته المحبة بين الناس ، واكتنفه العطف والاخلاص ، حث الاسلام على اشاعة الحب بين الافراد والعمل على ما يغرسه وينميه ، فدعا الى الصفح عن الهفوات ، وحبب الى المسلمين تعود العفو عن الزلات ، وترك أسباب

البغض والحقد ، واحتمال الاذى من الاخوان ، ومداراة السفهاء ، وحرم عليهم الخمر والميسر والربا والعقوق وتجاوز الحد فى الجزاء والقصاص وغير ذلك

أوجب العمل والسعى فى سبيل الرزق والضرب فى أرجاء العالم وتثمير كنوز الارض، وذلك من شأنه اكثار الصناعات وتنويع المحصولات وازدياد الثروة ووفرة الغنى والعزة القومية ، ونفر من الكسل والخمول وسؤال الناس والرهبانية

هذا الى توثيق الروابط الاجتماعية بين الأفراد والعمل على انمائها ، وتمكين الصلات بين المسلمين عموما ، واشعار الجميع بأنهم كعضو واحد يحس كل واحد بما يصيب الآخر ، وانهم سواسية تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم .

الى حياطة المنزل وافراد الاسرة بسياج من الطهر والعفة والطمأنينة ، واشاعة المحبة والولاء بينهم ، يحترم صغيرهم كبيرهم ، ويشفق كبيرهم على صغيرهم ، ويكون الأب لهم برا رحيما ، والأم مشفقة رءوما ،تحفظ لزوجهاسره وماله وتحنوعلى أولادها وتربيهم التربية الصالحة وتعدهم للحياة الصاخبة القاسية

هذه وغيرها هى أسس التربية الاسلامية ودعائم الاحكام الدينية ، قد تغلغلت فى صميم حياة الانسان ، وتدخلت فى كل شأن من شئونه حتى الخاصة منها ، وقد عمل المسلمون بها حينا فكانوا الأعزة الأقوياء ، والقادة الرؤساء ، ترنو اليهم الابصار، وتخضع لقوتهم الجبابرة ، ويخطب ودهم العظماء ، القول ما قالوا ، والرأى ما به أشاروا ، خدمهم الدهر وواتتهم الايام ودانت لهم الدول وذلت الرقاب ، وبسطوا سلطانهم فى أقل من قرن على رقعة فسيحة من المعمور لم تبلغها دولة من الدول فى قرون

كل ذلك والوسيلة اليه روح الشريعة الاسلامية وملاءمتها للفطرة الانسانية وميل الناس للدخول فيها من غير عنف ولا قوة ، الا حياطة من عبث العابثين وطغيان الطغاة والمفسدين وعتو الجبابرة المستكبرين

هذه الاحكام والآداب كانت وما تزال صالحة لابتناء مجد باذخ وعز سابغ ومدنية لا تبلغها مدنية أخرى ، ولا غرو فهى آداب الهية وأحكام سماوية أنزلها الحكيم العليم على رسوله الكريم

محمد احمد جاد المولى



عقلية الجيل الأوربى الجديد

بقلم الباحث الاجتماعى رودلف بواسون

في هذا الكتاب يحلل المؤلف عقلية الجيل الاوربى الجديد فى الأمم الديكتاتورية والديمقراطية ، ويدلل على أن اتجاه الشباب الأوربى يكاد يكون واحداً فى جوهره برغم اختلاف النظم السياسية . وأهمية الكتاب تنحصر فى دراسة نفسية الشباب الذين تنهض على عواتقهم معظم الحركات السياسية والاجتماعية اليوم فى أوربا

لا شك فى ان الجيل الجديد فى اوربا يمتاز ببعض خصائص ذهنية وعاطفية، أحدثت أبلغ الأثر فى المجتمع الاوربى الحاضر ، وبدلت أنظمة الحكم عند طائفة كبيرة من الأمم ، وحولت اتجاه الثقافة العامة ، واشعرت جميع المفكرين ان القرن العشرين قد يكون عصر انتقال يفصل بين عقليتين ويمهد سبيل الظهور لحضارة اوربية جديدة

والواقع ان الجيل الناهض - سواء فى الأمم الديكتاتورية أم الديموقراطية - يتطلع الى حياة مقطوعة الصلة بالماضى ، ويعيش ويفكر ويحس وفق اساليب لم يألفها الجيل القديم وان كان قد استشعر اتجاهاتها عقب الحرب الكبرى • ويخطىء من يظن أن هناك فارقا كبيرا بين عقلية الشباب فى ايطاليا والمانيا وعقليتهم فى فرنسا وانجلترا فالكل سواء فى نزعة التمرد ، والكل سواء فى روح الانتقاض ، والكل سواء فى رغبة الاصلاح والتجديد وان اختلفت الوسائل وتنوعت الأهداف

والحق أن موجة من التذمر تغمر اليوم الجيل الاوربى الناهض وتجتاحه وتوشك ان تجتاح معه شتى التقاليد التى درج عليها اسلافه منذ القرن الثامن عشر حتى اليوم

ولقد حاول مؤلف هذا الكتاب تحليل نفسية هذا الجيل الجديد ، ودراسة ميوله واخلاقه ونزعاته المشتركة واهوائه المتجانسة فى ميادين السياسة والاجتماع والثقافة ، بغية اعطائنا صورة جامعة واضحة لتلك القوى النامية التى فى يدها مستقبل الحضارة ومصير الغد

وسنجتهد فى عرض آراء المؤلف متوخين الامانة فى النقل والصدق فى التأدية نظرا لما يشتمل عليه كتابه من نظرات خطيرة تكشف لنا عن وجه غريب من وجوه التطور الذى تجتازه اوربا الآن

الجيل الأوربى الجديد ومشاكل السياسة

أصبحت المشاكل السياسية فى اوربا شغل الشباب الشاغل ، فالحكومة فى نظرهم قوة يجب أن يصدر عنها كل شىء وينصب فيها كل شىء ، قوة تستطيع السهر على الأمن العام ،

ومواصلة تعزيز الدفاع الوطنى ، وحسم الخلافات بين العمال وأرباب العمل ، وتحديد سلطة رأس المال ، والتدخل فى الانتاج الصناعى والزراعى ، والاشراف على اقتصاديات البلاد ، والقضاء على العطل ، ورفع مستوى الكتلة العاملة ، وتوفير أوقات الفراغ لمختلف طبقات الشعب تستخدمها فى التثقيف وتحصيل ما يمكن تحصيله من فنون العلوم والآداب

فالشباب الاوربى والحالة هذه يعد فى مجموعه اشتراكى النزعة ، يرمى الى تحقيق نوع من العدل الاجتماعى أو المساواة الاقتصادية النسبية على يد حكومات جريئة يسيطر عليها عنصر الشباب

غير أن هذه النزعة تختلف فى اتجاهها باختلاف الأمم والشعوب • فالجيل الجديد فى المانيا وايطاليا ينشد الاشتراكية الوطنية، أى الاشتراكية المقرونة بالروح العسكرى والتعصب القومى والمبدأ الاستعمارى وتمجيد الانتصارات والفتوحات • والجيل الجديد فى فرنسا وانجلترا ينشد الاشتراكية الانسانية ــ ولا نقول الدولية ــ أى الاشتراكية الطامعة لاقرار العدل الاقتصادى فى بيئة معينة ، بدون ثورة وبدون سفك دماء ، مع الاحتفاظ جهد الطاقة بحرية الفكر وحرية الثقافة ، ومع تجنب كل رغبة فى القيام بفتوحات استعمارية جديدة ، ومع محاولة تحرير الشعوب الرازحة تحت وطأة الاستعمار والتدرج بها من الحكم الذاتى الى الاستقلال الكامل

فالروح واحدة عند الفريقين وان تنوعت الغايات والاهداف • وجوهر هذه الروح هو الايمان بالحكومة لا بالفرد، وتعزيز سلطات الحكومة على حساب الفرد ولكن لخدمة المجموع

ويتفق الفريقان فى شىء آخر على جانب عظيم من الخطورة • يتفقان فى تقديس القوة ، وفى عبادة البطولة ، ولكن بينما الشباب الاشتراكى الوطنى يقدس القوة باعتبار انها السبيل الاوحد لتحقيق أحلام الفتح والاستعمار ، يقدسها الشباب الاشتراكى الانسانى باعتبار انها السبيل الاوحد لمناهضة هذه الاحلام ، وللدفاع عن النظم الديموقراطية التى تكفل على مر الزمن ظهور ذلك النظام الاشتراكى الانسانى بما اشتملت عليه من مبادىء حرة تخول كل انسان حق التعبير عن رأيه فى دائرة القانون

فالشباب الاشتراكى الوطنى يدعو اليوم الى التسلح ، والشباب الاشتراكى الانسانى يدعو الى التسلح أيضا ، والمعركة بين الشابين سجال ، وكبار الساسة يحاورون ويداورون ويأخذون بالحلول المتوسطة ، خشية أن يتغلب هذا الفريق أو ذاك ، وينتهى صراع الاجيال الجديدة الى حرب ماحقة قد تهز العالم الاوربى من أصوله وتفقد البشرية كل ما يتنازع عليه الجيل الناهض من ثمار الحضارة وخيراتها

فأبناء هذا الجيل يفكرون فى المبادىء أكثر مما يفكرون فى نتائجها ، ويتطلعون الى تحقيقها بصرف النظر عن عواقبها ، وكلهم يعتد نفسه صاحب عقيدة أو صاحب رسالة لا مندوحة له عن الدفاع عنها ولو اقتضى الأمر ان يستشهد فى سبيلها • لهذا السبب يثير الشباب الاوربى اعجاب الناس وسخطهم فى وقت واحد • يثير اعجاب المتحمسين المتلهفين

على حياة جديدة ، الطامعين فى فض النزاع بين الديكتاتورية والديموقراطية بعمل جرىء حاسم ، ويثير سخط المفكرين المعتدلين المشفقين على الحضارة من أن يعبث بتراثها المقدس نزق الشباب ، والمشفقين على سياسة الحكومة من أن تصبح فريسة لطيش ونزوات الشباب

على أن الجيل الاوربى الناهض برغم تعصبه لآرائه فيه من قوى الايمان والعمل ، ما لو اذا وجه وجهة أخرى ، فمما لا يقبل الريب أنه يخلق المعجزات

ولكن تحريره من مؤثرات السياسة أصبح من أشق الامور وأصعبها ، اذ ما دامت الديكتاتوريات قائمة ترتكز فى جهودها على استفزاز حماسة الشباب ، فالشباب لن ينصرف عن السياسة ، ولن يعدل عن تمجيد الحرب ، ولن يكف عن اعتبارها خير الوسائل لتحقيق أحلامه سواء أكان فى هذا الجانب من الميدان أم ذاك

ويرى المؤلف ان خلاص الحضارة يتوقف على عاملين أساسيين : الاول ، منح الديكتاتوريات الجزء العادل المشروع من مطالبها ثم الثبات فى وجهها منعا لها من مواصلة التوسع واثارة حرب . الثانى ، التفاهم مع الديكتاتوريات على حل فرق الشباب العسكرية وحصر نشاط الشباب وحماستهم فى جهود اصلاحية مشتركة ترمى الى تجديد الحياة الاجتماعية والثقافية

ويعتقد المؤلف أن لكل شىء نهاية ، وأن سيأتى يوم قريب تشعر فيه الديكتاتوريات بأن مرحلة « التهويش » قد انتهت ، وان من واجبها الحرص على ما ربحت والا استهدفت لفقد كيانها برمته فى حرب هائلة ، وعندئذ تعود الى صوابها وتضطرها الظروف الى استخدام حماسة شبابها لا فى تنظيم الحرب بل فى تنظيم السلم فى الدائرة الاجتماعية الثقافية حيث تتشابه اهواء وميول الجيل الجديد عند شعوب أوربا بأسرها

اوجه التشابه فى ميدان الاصلاح الاجتماعى

من الظواهر التى تميز الجيل الجديد فى الدول الديكتاتورية والديموقراطية تهافت الشباب على تحقيق الاصلاح الاجتماعى ، وتسابقهم الى تأدية الخدمات العامة بروح نبيل ملؤه الاخلاص والتضحية

فالجمعيات التى أنشئت فى ألمانيا وايطاليا على عواتق الشباب ، لاصلاح الريف ، ومكافحة العطل ، واعانة الطبقات الفقيرة ، وتثقيف الكتلة العاملة ، وانعاش الحركات الموسيقية والمسرحية والفنية ، تقابلها جمعيات من نوعها أنشئت فى فرنسا وانجلترا على عواتق الشباب أيضا ، وقامت بسلسلة أعمال عظيمة فى سبيل انصاف العامل والفلاح ، ورفع مستوى القرية ، وحماية الأمومة غير الشرعية ، ونشر الثقافة بين سواد الشعب ، وتجديد الحركات الأدبية والفنية

فأبناء الجيل الاوربى الجديد يعرفون فى الميدان الاجتماعى بنزعات واحدة مشتركة ، هى استنكار الانانية ، وكراهية الانطواء على النفس ، ومقت الوصولية وحب الذات ،

والتعلق برسالة معنوية سامية ، والتشبث بمثل رائع أعلى يتجسم فى احتقار الحياة الفردية، ونبذ أفراحها ومناعمها ، والتفانى قلبا وعقلا فى خدمة المجموع

لهذا السبب يؤيد الشباب الاوربى كل حكومة جريئة قوية ، تعين له أهداف العمل ، وترسم له خطط الاصلاح ، وتشعره بايمانها به ، واعتمادها عليه فى تحقيق عظائم الامور

وقد يكون هذا الايمان بقدرة الشباب هو سر نجاح النظم الديكتاتورية ، غير ان الديموقراطيات فطنت اليه وأخذت به ولا سيما بعد أزمة (ميونيخ) وبعد اقدام هتلر على التوسع فى شرق أوربا

فالشباب الآن هو أكبر قوة تستند اليها حكومة دلاديه فى اصلاح مالية فرنسا ، وفض المنازعات بين العمال وارباب العمل ، وزيادة ساعات العمل فى مصانع الدفاع الوطنى ، وتوجيه جهود الأمة نحو التأهب الكامل للذود عن تراثها وعن مبدأ الديموقراطية

والشباب فى انجلترا هو الذى يدعو اليوم الى انشاء حلف ديموقراطى لمقاومة المانيا ، وهو الذى ينادى بوجوب تقرير الخدمة العسكرية الاجبارية ، وهو الذى يقوم بدعاية واسعة النطاق لوضع حد لسياسة التردد والتهادن والمصالحة التى يتبعها تشمبرلان

فرغبة الاقدام والتضحية يشترك فيها الجميع ، ولكنها تبدو واضحة جلية متجانسة فى ميدان الاصلاح الاجتماعى . فحيث يقتضى الأمر جهدا مطردا وعزما صادقا وارادة منظمة وطاعة اجماعية ، لا تجد الحكومات غير الشباب يسرعون الى العمل ويتبارون فى الخدمة ، مؤكدين رجولتهم ، مغتبطين كل الاغتباط بمختلف المسؤوليات التى يلقيها الزعماء على عواتقهم

ولقد حدث فى رومانيا عندما أرادت الحكومة انشاء فرق مجانية لتعليم أبناء الفلاحين أن لجأت الى الشباب ، وحدث فى فرنسا عندما رغبت الحكومة فى تنظيم فرق مجانية لتثقيف العمال ان لجأت الى الشباب ، وحدث فى بولونيا ان لجأت الحكومة الى الشباب أيضا عندما شرعت فى انشاء فرق للدعاية الصحية فى الريف . واما الجهود التى بذلها شباب تركيا فلولاها ما توطد النظام التركى الجديد ، وما استرد الاتراك مجدهم التالد ، وما انسلخوا عن آسيا وأصبحوا أمة أوربية الثقافة والروح

اذن فجيل الشباب الاوربى يمتاز فى مجموعه وبصرف النظر عن الحكومات التى ينتمى اليها والمذاهب السياسية التى يعتنقها ، بأنه جيل الحركة والحياة والتجدد الاجتماعى ، وان شئت فسمه جيل الثورة الاجتماعية ، أى جيل التمرد على القديم ، والتفانى فى خلق وابداع الجديد

فافتح لهمغاليق العمل ، وارسم له خطط الاصلاح ، يسارع اليك ويلب اشارتك ويجد فى هذا السبيل بالنفس والنفيس

هذه هى الظاهرة الرئيسية الملحوظة فيه ، وهى متى اقترنت بحكمة الساسة والزعماء

واعتدالهم وحسن تصريفهم للأمور ، تلطفت حدتها وتجردت من كبريائها ، وأسدت الى الحياة القومية والانسانية أجل الخدم

اوجه التشابه فى الميدان الثقافى

ويتشابه شباب أوربا فوق ما تقدم بنظرتهم الجديدة الى الثقافة ، وان اختلفت أغراضهم منها وتنوعت تفسيراتهم الاخيرة لها

فالثقافة عند الاغلبية منهم يجب أن تكون قوة ذهنية تتجه نحو الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى لا نحو التفكير المجرد والأدب العاطفى الخالص • فكل مفكر وكل أديب يجب أن يمثل فى نفس الوقت دور المفكر ودور الفنان ودور المصلح • يجب أن يتحرر من العقل الخيالى التجريدى ، ويندمج فى مشاكل المجتمع الذى يعيش فيه ، ويساهم بفكره وفنه فى شتى الحركات الرامية الى انهاض هذا المجتمع وتجديده

واذن فالمفكر لم يعد فى نظرهم ذلك الامير غير المتوج ، البعيد عن المعارك اليومية ، المنفصل عن الجماهير ، المعتز بنبوغه وعبقريته ، المشرف بعقله المستقل على الحياة ، يعرض آراءه وملاحظاته فى أمانة تامة وحيدة مطلقة وعدم اكتراث رائع ، بل هو الانسان المجاهد الذى ينخرط فى صفوف المجاهدين ، ويحس آلامهم وآمالهم ، ويحمل رسالة الاصلاح مثلهم ، ويستخدم مواهبه لدفع حوافزها والتمهيد لتحقيقها

والفارق الوحيد بين نظرة شباب الأمم الديكتاتورية ونظرة شباب الأمم الديموقراطية الى شخصية المفكر ، هو أن الكتلة الاولى لا تعترف لرجل الفكر بحرية التفكير ، وتأبى الا أن تخضعه لنظام الدولة وعقلية الدولة وتفكير الدولة متجهة بالثقافة وجهة محلية مقصورة على الدفاع عن الاصلاحات الاجتماعية والتجديدات الاقتصادية والاتجاهات الروحية التى خلقتها الديكتاتورية وتوخت فيها مصلحة الدولة لا خير البشرية

وأما الكتلة الثانية فتعترف لرجل الفكر بحريته ، على أن يستخدم هذه الحرية فى تحرير النظم الاجتماعية والاقتصادية من مختلف القيود التى تحول بين الأمة وبين اقرار العدل والمساواة فى ظل نظام ينهض على مبادىء الاشتراكية الانسانية

فالكتلة الاولى والحالة هذه اشتراكية وطنية ، والكتلة الثانية اشتراكية انسانية ، كما قدمنا • والعامل الذى يجمع بينهما هو الايمان بضرورة استخدام الفكر والثقافة كقوة مجاهدة ثورية مصلحة ، تسعى لتجديد أوضاع المجتمع بحيث تستطيع تحقيق النظام الاشتراكى الوطنى أو الاشتراكى الانسانى

ولا يجب أن يغرب عن ذهن القارىء أن توجيه الثقافة هذه الوجهة الاجتماعية الاصلاحية المشوبة بروح الدعاية والكفاح ، ظاهرة جديدة فى الافق الاوربى • اذ الثقافة كانت وما تزال عند الجيل القديم وعند غلاة الديموقراطيين وعند طائفة كبيرة من الشباب أنفسهم ، قوة فكرية مستقلة مهمتها البحث عن الحقيقة أيا كانت ، والسعى لرقى الانسان

من ناحية العقل والروح بصرف النظر عن النظم الاجتماعية والاقتصادية التى يخضع لها

ولكن الجيل الجديد فى مجموعه ، يؤمن بأن تبديل النظم الاجتماعية والاقتصادية هو الكفيل برقى الانسان ، وأن واجب المفكر هو استخدام الفكر والثقافة لاحداث هذا التبديل

وتلك هى النزعة الجديدة التى يشترك فيها أيضا شباب أوربا

اوجه التشابه فى الميدان العاطفى والجنسى

ويشترك شباب أوربا فوق ذلك فى نظرتهم الى المرأة والحب ، وكل مايتعلق بالمشاكل العاطفية والجنسية

فهم لفرط انصرافهم الى الاعمال الفكرية ، وتعلقهم بالخدمات الاجتماعية ، وشدة ولعهم بالالعاب الرياضية ، وعنف احساسهم بفرح الحياة الصادر عن العقل المفكر والجسم السليم والجهد المطرد المبذول فى سبيل نفع الآخرين ، تراهم لايعلقون على المرأة أهمية كبيرة ، ولا يتبعون العواطف ، ولا يؤخذون بالاحلام ، ولا يعدون الحب نعيم الشباب ولذته الكبرى

فالمرأة فى عرفهم يجب أن تكون رفيقة العقل أيضا لا عشيقة البدن فقط

يجب أن تكون رفيقة فى ملعب الرياضة ، وزميلة فى هيئة الحزب ، وعاملة فى صفوف المجاهدين ، ومخلوقا نشطاذكيا مغامرا يعرف كيف يلبى نداء البدن عند الحاجة ،وكيف يشغل على الدوام مركز الصدق ويخاطب الذهن والروح

هذا الاصرار منهم على تحقيق عنصر التجاوب الحسى والمعنوى فى كل علاقة غرامية جدية ، يصقل ميولهم ويهذب أهواءهم ويلطف من حدة شهواتهم ويسامى بها وينقل عاطفة الحب من جوالكآبة الشعرى الخيالى المشوب بضغط الشهوة الخانقة ، الى جوالقوة المقرونة بنشوة الفرح ، الحافزة للتجديد والعمل ، الخالصة من عوامل التبرم والسأم والضجر

فكل من العامل أو الصانع أو الطالب أو الكاتب أو المهندس أو الطبيب ، ينشد فى المرأة لا وحيا لأحلام الغرام المجردة ، وخيالاته الباطلة ، وسعادته الجوفاء المطلقة ، بل وحيا يتصل بالواقع ، ويروض على الكفاح ، ويستنهض ميت الارادة بدل أن يجهز عليها بنار الحلم والخيال والشهوة

واذن فالفتاة التى لا تجاوز عبقريتها حدود أنوثتها ، الفتاة التى لا تحذق سوى الاغراء ، ولا تجيد غير فنون التبرج ، ولا تهتم الا بحيازة الرجل ، ولا تعرف كيف توقظ الهمة ، وتبعث النشاط ، وتلهب قوى الذهن ، وتشترك فى نفس العمل ونفس المرح ونفس الأمل ، تلك الفتاة لا حظوة لها عندهم بل هى مثار احتقارهم وهدف سخريتهم ونكاتهم

وصفوة القول أن الانهماك فى المسائل العامة ، والاقبال على الالعاب الرياضية ، واعتياد حياة الجمعيات والاندية ، هذه الظواهر خففت من شهوات الشباب ، وبدلت نظرتهم الى قيم الجمال ، وعلمتهم الصراحة ، ووهبتهم خلقا مستقيما نزيها ، ودفعتهم الى مطالبة الفتيات بنفس فضائلهم ، أى بالصدق والصراحة والبساطة . وهكذا صفا الحب ، وتجرد من عوامله القديمة ، وخلص من رذائل المكر والاحتيال والخداع والنفاق ، ولا سيما من رذيلة الرذائل ، أى من الاسراف فى عاطفة الغيرة الطائشة العمياء المنحدرة من نظم المجتمع القديم ، والقائمة على حق الرجل المطلق فى امتلاك المرأة ، ومحاولة المرأة حيازة الرجل بمكرها ودهائها

فالشاب الاوربى بوجه عام ، وان كان يحس القوة والسعادة فى حياة العمل والكفاح والرياضة وخدمة الدولة أو الانسانية ، فسعادته الكبرى ، سعادته المطلقة التى ينبض لها قلبه ويحيا بها فكره ، هى التى يشعر بها عندما يوفق الى حب فتاة من هؤلاء ، تستجيب اليه ، وتلبى نداء عقله ، وتنعكس عليها آماله وأحلامه وخصائص عقليته الجديدة

ا . م



الحب والاخلاق

الحب عاطفة تصدر عن القلب ، ولكنها سرعان ما تضمحل وتموت تحت ضغط الحياة اليومية ان لم تقترن بعقل راجح يعرف كيف يوجهها . وتلك هى نكبة الزواج

فالشاب يحب خطيبته بقلبه ، والفتاة تحب خطيبها خاضعة لسلطان قلبها أيضاً . فاذا تم الزواج وبدأت الحياة اليومية ، أحس كل من الزوجين أن حبهما لا يكفى وأنه فى أشد الحاجة إلى قوى العقل كى يعيش وينمو ويزدهر . وعندئذ تحدث الكارثة ويستحيل الزواج الى جحيم

فللمحبين قبل الزواج أن يتحابوا بقلوبهم وأرواحهم ولكن عليهم فى نفس الوقت ألا يستخفوا بصوت العقل وأن يحكموا العقل فى دراسة أخلاقهم وميولهم ، والا انقلب الزواج عليهم وبالا ، إذ الحب شعلة هوجاء يخمدها الطبع الفاسد والخلق اللئيم

مارسل بريفو

المسلمون في روسيا

بقلم الاستاذ راشد رستم

خضع بعض الأقطار الاسلامية للحكم الأجنبي، فاختلفت أحوال دنياهم باختلاف الامم الحاكمة عليهم والدول المتحكمة فيهم ، أما دينهم فهم القائمون به تعبداً ، كما أنهم المحتكمون اليه في أحوالهم الشخصية ، ولكن تمسكهم بتقاليده يقوى أو يضعف وفقاً لحياتهم أو خضوعاً للسلطان المتحكم فيهم ، وقد خضع لحكم روسيا بلاد التركستان والقرم والقوقاز وقازان ، ومع ذلك فهم يحتفظون بشعائرهم الدينية على الرغم من البلشفية . وقد تناول الاستاذ راشد رستم حالة المسلمين فى هذه البلاد بهذا البحث النفيس المحرر

الأمم الاسلامية التى تخضع لحكم روسيا تنقسم من حيث الجنس الى قسمين : أمم قوقازية ، وأمم تركية

١ - القسم الأول - الامم القوقازية

الأمم القوقازية التى هى من الجنس الأبيض تسكن بلاد القوقاز ، وهى البلاد الواقعة فى جنوب روسيا بين البحر الاسود وبحر قزوين . وهذه الأمم قليلة العدد ، ولكنها شديدة البأس عظيمة الشخصية قوية المراس ، لاتزيد عدداً على بضعة ملايين ولكنهم وقفوا للدفاع عن بلادهم مائة سنة أو يزيد ضد روسيا القوية ذات الحول والطول ، وذات العشرات من ملايين البشر ، ذلك لأن أبناء القوقاز فرسان شجعان ، سواء منهم من سكن أعلى الجبال أو من غشى الوديان

والشعوب الاسلامية فى القوقاز تبلغ ثلث السكان الذين يبلغون جميعاً ١٢ مليونا من الأنفس - القوقازيون منهم الجراكسة (١) بمختلف قبائلهم (القبرداى - الشابسوغ - الابزاخ - الأباظة - البزه دوغ - حاتوقاى - أبوخ - بسلنه ى الخ »

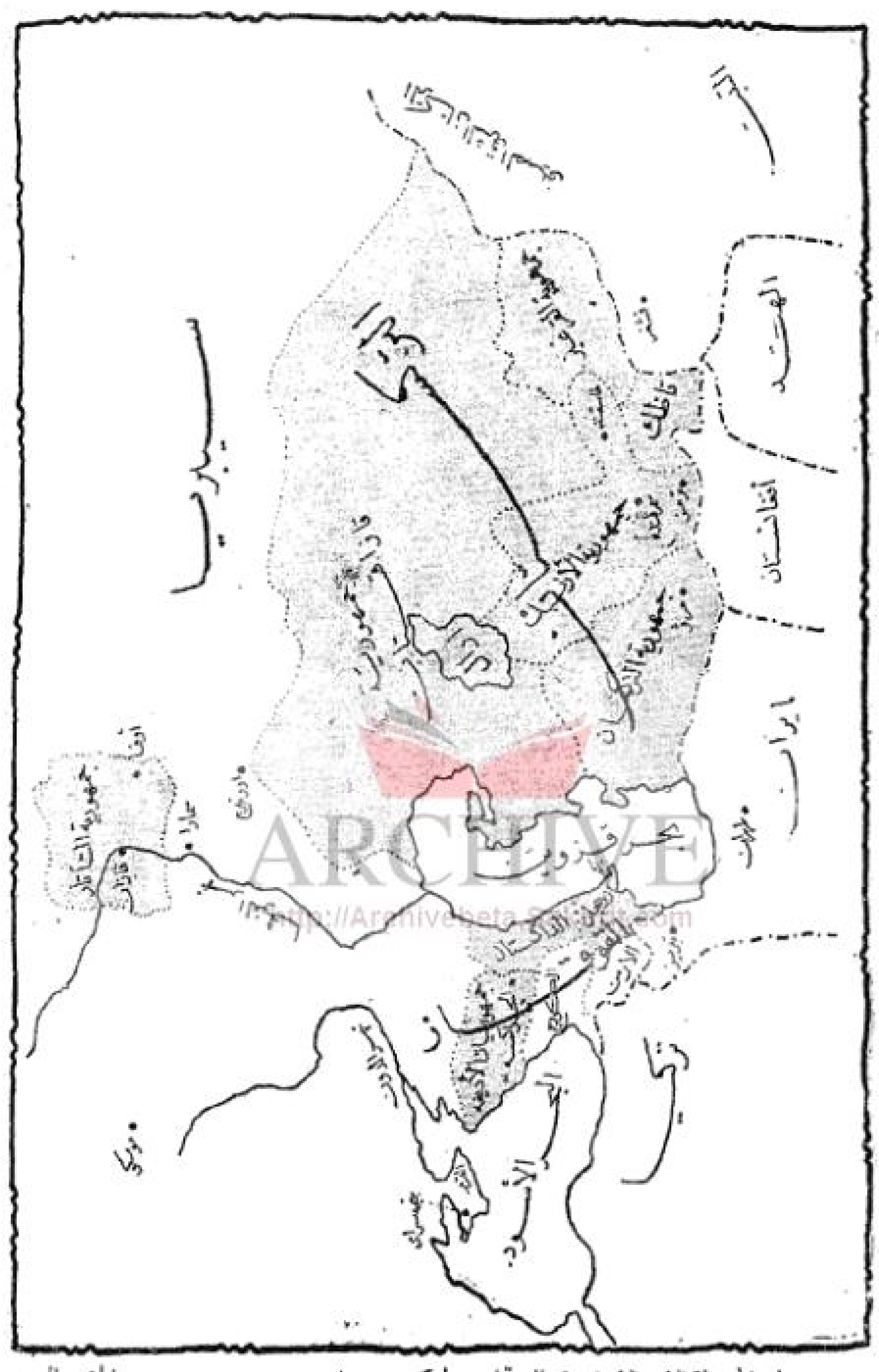
والشش والداغستانيون ثم الكورج (ومن هؤلاء ٢٠٠ الف مسلم أى عشرهم تقريباً) والأسه تين (ومنهم مائة الف مسلم أى ثلثهم تقريباً) ومن هؤلاء الأسه تين دكتاتور روسيا الحالى ستالين

الاسلام والقوميات فى القوقاز

وصل العلم بوجود الاسلام الى هذه البلاد منذ بدء فتوحاته الواسعة فى آسيا من جهة الجنوب ،

---

(١) لفظة الجراكسة ليست جركسية الأصل ، إنما يطلقها عليهم غيرهم ولذلك عرفوا بها بين الشعوب . أما هم فلهم اسمهم القومى الخاص بهم فى لغتهم وهو الذى يطلقونه على أنفسهم ، وهو - أديغه - ومعناه المصطلح عليه - الانسان الكامل



تبين هذه الخريطة الامم الاسلامية التى تخضع لحكم روسيا ، وهى تنقسم من حيث الجنس الى قسمين : الامم القوقازية وتسكن بلاد القوقاز ، والامم التى هى من أصل تركي وتسكن فى الجنوب الشرقى من القوقاز ، وفى شبه جزيرة القرم على البحر الاسود ، وفى حوض نهر الفولجا وولاية قازان ، والتركستان الغربى فى آسيا . وقد جعلنا اللون الداكن لون المقاطعات التى يكثر بها المسلمون

غير أن أكثر هذه الأمم لم تدخل فى دين الاسلام إلا فى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى ويرجع الفضل فى نشره بينهم الى خانات القرم المسلمين إذ بعثوا برسلهم من الشمال ، فانتشر هذا الدين بين هذه القبائل والشعوب بالدعوة والرغبة والرضا ، ولذلك هم معروفون بإيمانهم وبتمسكهم بدينهم

وقد أسسوا المدارس الدينية التى أخرجت لهم كثيراً من الأئمة المجاهدين يتعلمون اللغة العربية مع صعوبة التحدث بها . وهم سنيون ، أحناف وشوافع ، وقد ظهر منهم رجال حرب ورجال دين ، وأهل طرق صوفية ، إلا أنهم فى الوقت ذاته رجال جهاد وحكم ، هذا مع العلم بأن للقبائل أمراءها ورؤساءها ومجالس شيوخها وقضاتها

وهم ينظرون الى الزعيم الدينى كأنه الرئيس الأعلى ، ويطلقون عليه لفظة « إمام » حيث يجمعون فيها معانى الامامة الدينية والزعامة السياسية والقيادة الحربية ، ومن أمثال هؤلاء الرجال حاجى غازى محمود ، وحاجى مراد ، وسليمان ، ومحمد امين ، وشامل ، ومنصور ، وغيرهم

وقد استعان هؤلاء الأئمة بالجمع بين السياسة والدين فى الطريقة الدينية التى يقومون بها ، وذلك لأن الدعوة الدينية لها أثرها الكبير فى تحريك الهمم وشد الأزر ، ولقد رأى الروس أروع البلاء من هذه القبائل القوقازية ، وذلك لشدة مراسها ولعصبيتها القومية والدينية

***

حتى اذا دخل الروس بلادهم بعد جهاد طويل ، أظهروا فيه من البطولة ما كان مضرب المثل فى العالم الاوربى المتمدين حتى وضعوا فيه القصص والروايات ، وكان آخر أئمتهم فى هذا الجهاد الامام شامل ، وقد جاهد ٢٥ عاما منتصراً على الدوام الى أن وقع أسيراً

بعد ذلك هاجر الألوف من هذه القبائل الى بلاد تركيا لأنها بلاد اسلامية ، وهكذا تراهم قد تركوا ديارهم فى سبيل دينهم

على أن للسياسة التركية فى ذلك الوقت يداً كبيرة فى التشجيع على هذه الهجرة ، فقد حسنت لهم العيش فى بلاد المسلمين من الاتراك ، حتى اذا جاءوها أقطعتهم بلاداً متباعدة ، وذلك لكى لا يكونوا فى صعيد واحد خيفة من تجمعهم وهم أهل عصبية قوية ، وقوة معنوية حقيقية . على أنها قد استفادت منهم فى حياتها الاجتماعية العائلية ، إذ هم بفطرتهم التى خلقهم الله عليها وميزهم بها ، أهل مدنية واجتماع وآداب راقية وتقاليد عائلية عالية

كذلك استفادت منهم تركيا عسكرياً ، فهم أشجع المحاربين وأمهر الفرسان وأخلص المجاهدين، ولذلك برزوا فى هذه النواحى بروزاً عظيما وكان لهم أثر كبير فى الحياة التركية

على أن الكثيرين منهم ندموا فيما بعد على تركهم بلادهم إذ تبين لهم أن الهجرة كانت نكبة قومية ، ففضلا عمن هلك من الالوف فى أثنائها لعدم سهولة المواصلات وعدم وجود الوسائل

الصحية ، وجدوا أنفسهم فى غير وسطهم وغير مساكنهم وفى غير بلادهم التى خلقوا لها . هذا مع العلم بأنهم أصلا لا يتمثلون بسهولة مع غيرهم إذ هم يحتفظون بتقاليدهم القومية وبلغتهم وعاداتهم ، ولذلك كان مصير الذين هم فى المهاجر الى غير استقرار ، وهى خسارة كبيرة لأنهم عنصر ممتاز رغم قلة عدده

على أنه قد بقى منهم فى بلادهم دون أن يهجرها عدد لا يستهان به ، وقد تمكنوا وسط الشعوب الروسية الكبيرة من أن يجعلوا لهم مقاما بارزاً عظيما ، ذلك لأن شخصيتهم قوية واضحة ، حتى إن القيصر قربهم اليه وجعل من أمرائهم وكبرائهم حرسه المقرب الخاص ، بل اتخذ القياصرة لأنفسهم لباساً على الطراز الجركسى جعلوه من مجموع ملابسهم الرسمية فى الامبراطورية العظيمة كما أنهم جعلوه لباساً للفرسان القوزاق (الذين هم غير القوقازيين) وقد انتشر بينهم وبين الروس أنفسهم لمزاياه الخاصة بالفروسية والنشاط والهيئة ، وهكذا تشذ القاعدة الاجتماعية المعروفة من أن المغلوب يقلد الغالب حتى فى لباسه

***

والواقع أن « الأديغة » أمة عريقة فى القدم والتقاليد الانسانية الراقية ، والحياة الاجتماعية العالية ، لذلك هم لم يتأثروا بدخول الروس بلادهم من حيث القومية والاجتماعيات ، بل حافظوا على ذلك الى يومنا هذا ، وقد احترم الروس لهم ذلك ، بل أخذوا عنهم الشيء الكثير . وحتى من الوجهة السياسية والادارية كانت لهم أصول استقلالهم الداخلى ، ولم يفرض عليهم التجنيد الاجبارى ، كما ميزوا بأن يكون حاكم القوقاز العام أحد أفراد العائلة المالكة من الغراندوقات والبرنسات

وبالرغم من مذهب البلشفية القائم فى روسيا ، ومحاولته هدم العقائد والأديان ، وبالرغم من اضطهاد العلماء ورجال الدين وتشتيتهم فانه لم يستطع أن يؤثر فى مسلمى هذه البلاد القوقازية واضطر رجال البلشفية الى التسليم بذلك بعد المحاولات المختلفة ، كما اعترفوا بقصورهم فتركوهم وما يعبدون

على أن الأمم القوقازية الاسلامية لها حكوماتها مثل غيرها من الأمم الأخرى ، وهى جمهوريات سوفيتية مستقلة استقلالا ادارياً محلياً ، وان كانت تدخل تحت نظام الاتحاد السوفيتى العام من حيث مبادىء الادارة والنظام الاجتماعى

وفى شمال القوقاز مجموعة حكومات قبائل الجراكسة « الأديغه » والداغستان والشش والاستين ، وفى البلاد الآن جامعة كبيرة للعلوم العصرية الحديثة ، كما أن لهم جرائدهم بلغتهم وباللغة الروسية التى هى لغة اجبارية ، ولهم جمعياتهم ونشراتهم وكتبهم ومدارسهم العلمانية العلنية ، ومدارسهم الدينية الخفية (وهذه الأخيرة علمنا بخبرها بالوسائل الخاصة بنا)

وأغلب السكان يعيشون من الزراعة ، وبلادهم غنية بمحصولاتها ومعادنها وبترولها ، كما أن لها الجمال الطبيعى من جبال ثلجية ، ووديان خضراء ، وأنهار طبية جارية ، وبها مواقع صحية

كثيرة ، ومصحات شهيرة ، ومراكز هامة لقضاء فصل الشتاء سواء فى أعلى الجبال بين الثلوج أو قرب الشواطىء حيث الدفء الشتوى الذى يجمع بين نضارة المرتفعات وزرقة الماء وخضرة المنحدرات

٢ ـ القسم الثانى ـ الامم التركية

أما القسم الثانى من الأمم الاسلامية التى تحت حكم روسيا الحالية والذين هم من أصل تركى (أى غير قوقازى) فيسكنون (١) فى الجنوب الشرقى من القوقاز (٢) فى شبه جزيرة القرم على البحر الاسود ، (٣) فى حوض نهر الفولجا وولاية قازان (٤) التركستان الغربى فى آسيا

١ ـ أما الذين يسكنون الجنوب الغربى للقوقاز فهم « الاذربجان » ويبلغون المليون أو يزيدون ، ومدينتهم الكبيرة واقعة على بحر قزوين وهى « باكو » الشهيرة بآبار البترول ، وفيهم التجار وفيهم الأغنياء ، إلا أنهم عاشوا زمانا فى جمود وخمول وسكون ، حتى كانت الثورة الروسية سنة ١٩٠٥ فتحركت فيهم الهمم وبدأوا يجاهدون سياسياً واجتماعياً ، منضمين الى اخوانهم فى القرم وفى قازان ، وتكونت فيهم الجمعيات ، وظهر فيهم القادة والزعماء ، وصاروا مع قلة عددهم عنصراً عاملا فى الحياة التركية ، وعقدوا المؤتمرات السياسية والاجتماعية والاصلاحية ، وتكونت لهم جمهورية مستقلة فى الاتحاد السوفيتى القوقازى الجنوبى

٢ ـ أما المسلمون الذين يسكنون شبه جزيرة القرم على البحر الأسود ، ويبلغون عشرات الألوف فمركزهم الرئيسى مدينة (بغجه سراى) وقد كانت عاصمة خاناتهم المستقلة ذات التاريخ المجيد ، على أنها تحتفظ الى الآن بأهميتها الصناعية والثقافية ، ففيها المكاتب ودور العلم ودور الصناعة والطباعة حيث تصدر عنها الكتب والنشرات باللغة التترية واللغة الروسية ، واشتهر بينهم فى العصر الحديث زعيم اصلاحى اسمه اسماعيل بك غصبرنسكى بنشر جريدة (ترجمان) بتينك اللغتين ، وقد دعا إلى عقد مؤتمر اسلامى من جميع الشعوب والأمم الاسلامية للنظر فى تحسين أحوالهم الاجتماعية وشئونهم السياسية ، وهو صاحب فكرة التفاهم الاسلامى وقد لقيت فكرته رواجاً كبيراً ، وان لم تنفذ إلا عام ١٩٣٠ عندما عقد المؤتمر الاسلامى فى القدس

٣ ـ وفى حوض نهر فولجا وما يسمونه (ايدل ـ أورال) وفى قازان وأرنبرج وأوفا وسمارا وغيرها ينتشر المسلمون فى المدن والقرى بما يبلغ ثلث السكان البالغ مجموعهم نصف مليون

وهم رجال أعمال وأهل نشاط ، يرجع أصلهم الى قبائل التتر التى حكمت روسيا عدة قرون ، ثم تغلب عليهم الروس منذ ثلاثمائة من السنين غير أنهم محافظون على قوميتهم ودينهم وعاداتهم

وتعتبر مدينة (قازان) المركز الرئيسى للنشاط الاسلامى فى روسيا ففيها المدارس والمكاتب والمساجد والمطابع والجرائد والمتاجر

والمسلمون الذين يقيمون الآن فى اليابان والذين لهم دوى فى العالم الاسلامى هم فى الواقع فئة

قليلة ترجع أصولها الى هؤلاء التتر القازانيين النشطين ، وقد أسسوا بها جمعية اسلامية ومدرسة وبعثوا البعوث العلمية والدينية إلى الجامعة الازهرية بمصر ، وأقامو أخيراً مسجداً حضر افتتاحه مندوبون عن مصر وبلاد الحجاز واليمن وغيرها

* * *

٤ ــ وفى التركستان الغربى بأجزائه المختلفة شعوب اسلامية عريقة فى القدم يبلغ عددها مايقرب من العشرين مليونا

وهذه البلاد الواسعة هى الساحة العظيمة الممتدة بين جبال التاى وجبال هضبة بامير ، وهى المنشأ الاصلى لجميع أتراك العالم باختلاف قبائلهم من الأزبك والتركمان والقرغيز والقازاق والنوغاى وغيرهم ، وهى مهدهم ومنبع حضارتهم ومنشأ دولهم وخواقينهم وخاناتهم وسلاطينهم

وتربة الارض بها خصبة جداً تزرع فيها جميع أنواع الحبوب والأثمار والقطن ، ومياهها الطبيعية كثيرة موفورة أشهرها نهر جيحون ونهر سيحون . والجزء الموجود حالياً فى روسيا هو التركستان الغربى ، وأما التركستان الشرقى ــ وأهم مدنه كشغر ــ فهو تابع للصين وان كان النفوذ البلشفى سائداً فيه منذ عهد قريب ، وأهل التركستان الشرقى هم الذين نشروا الاسلام بين الصينيين الاصليين وأهل التبت

والتركستانيون متدينون وكلهم سنيون أحناف غير أن القرغيز لهم بعض تقاليد قديمة لايزالون محتفظين بها ، وهم والتركمان قبائل كثيرة رحل رعاة

وأما الازبك فهم أميز القوم مقاما ، وأحسنهم قواما ، وبلادهم ذات خيرات كما تنتج القطن الكثير ، وفيها أهم البلاد المشهورة فى وسط آسيا مثل طشقند وسمرقند وبخارى وخوقند

* * *

تلك هى أنباء المسلمين فى روسيا نقصها اجمالا إذ لانستطيع لها تفصيلا ، فقد وقفت البلشفية سداً بيننا وبين تلك البلاد ، وقد يرى المرء ما تفعل روسيا البلشفية من العمل على تفريق المسلمين فتجعل لكل جماعة وكل قبيلة جمهورية مستقلة !

على أن لكل هذه الشعوب جماعات وجمعيات يقيمون خارج روسيا للعمل فى سبيل أوطانهم بمجهوداتهم السياسية والثقافية بشتى الوسائل ، من اتصالات دائمة برجال الدول ، وبالمؤتمرات ، وبنشر النشرات والجرائد والمجلات وإرسال الرسل وما إلى ذلك من الدعايات ضد روسيا وضد البلشفية تحقيقاً لأمانيهم الوطنية العزيزة عليهم من الحرية والاستقلال

راشد رستم — المعادى

وظيفة الموسيقى فى الرابطة العربية

بقلم الدكتور محمود أحمد الحفنى

مدير ادارة التفتيش الموسيقى بوزارة المعارف

لقد تغلغلت الموسيقى فى شئون الادب نثراً وشعراً ثم تعدت
للعلم والدين والفلسفة وسايرتها فى اخراج الناس من الظلمات الى
النور ، وسيكون كذلك شأنها فى الرابطة العربية هادياً منيراً

حين عرضت لهذا البحث والتنقيرعنه ، عرض للخاطر سؤال قريب الصلة به وهو : ما وظيفة اللغة العربية فى الرابطة العربية ؟ ذلك بأن الموسيقى تنهض بما تنهض به اللغة من نشر الأدب وبث الحضارة وهما ينزعان إلى غاية واحدة ، هى تثقيف الوحدة العربية تثقيفاً لا معدى عنه ولا مفر منه إلا إذا تنحت الرابطة عنهما

والموسيقى العربية لغة يفهمها أهل اللغة العربية جميعاً على تباين لهجاتهم واختلاف منازع الحس فيهم ، لأنها صورة الحياة الناعمة والحضارة الباسمة ، لا تكاد تتناولها من شتى نواحيها إلا وجدت بهجة تبهر وفتنة تسحر

والامم العربية التى تنظمها الرابطة ، دقيقة الحس قوية العاطفة بعيدة الخيال يقظة النفس متوثبة الخاطر سامية الوجدان ، واذن فان أخص غرائزها سلطانا عليها إنما هى غريزة التأثر بالجمال

والفن الجميل من أقوى عوامل الاخضاع ، فالمثال مثلا يخضع مختلف المعانى من طموح ، وفرح ، وحنان ، وأسى ، وشهامة ، وبطولة ، ويجلى عنها ناصعة حية على التمثال الذى ينحته . والموسيقى كذلك يخضع المعانى التى تجيش بصدور الناس وأفئدتهم من لوعة هجر ، أو فرحة لقاء ، أو شكوى وداع ، أو سعادة توفيق ، أو طموح إلى المجد ، أو تطلع الى الحرية ، أو حفز للنضال ، أو ملاقاة الابطال ، أو أسو الجراح ، وشد العظام ، الى ما هنالك من المعانى التى ينظمها أسلوب الحياة ونظام الجماعة ، ويخرجها للناس نغما عذبا رويا تتشربه نفوسهم وترتوى به أرواحهم ، ويستل سخائمهم ، ويطهر ضغائنهم ، ويبدل الحقد وداً ، والبغضاء ولاء . ذلك بان الموسيقى ينبوع روحى عجيب ، تغوص فيه النفوس السقيمة وتتلاشى فى تيارات النغمات الحلوة ، ثم تطفو بعد ذلك طاهرة صافية ، ولذلك فهى أقوى عوامل توحيد الحس ، وهذا أرق أنواع الوحدة ، فكما أن توحيد الله أرق مظاهر الديانة وتوحيد الزواج أرق مظاهر الأسرة ، فكذلك توحيد

الحس أرق مظاهر الوحدة العربية من الوجهة الثقافية . وإذن فهى مغارس لتكوين الرجال إذا قام عليها قادة صدق

وليس هذا كل ما فى الموسيقى من مواهب ، ولا ما تبتدعه من مذاهب ، ولا ما ترتديه من حسن وافتنان ، فهى تماشى العلم والدين والفلسفة ، لأنها لغة تخاطب العقل كما تخاطب القلب ، كما أنها تعبير عن الحقيقة والجمال يعجز عنه سواها من العلوم والفنون ، وهى فى تمشيها مع العلم والدين والفلسفة تعد من بناة المدنية ، وركناً من أركان التربية الفاضلة ، وعنصراً من عناصر الخلق الكامل كما سنبين فيما بعد . وأقرب دليل أن يتصور الناس الرابطة خلواً من الموسيقى قفراً منها

وفى العروبة شعراء يهبون الشعر مهجهم ، وهم ألسنة الرابطة ومقاولها ، وعيون آدابها ، ومهبط نجواها ، ومنبع بيانها ، فما يتبارى الناس فى صالحة ولا يتسابقون الى مكرمة ولا ينهضون الى اصلاح ولا يسعون الى خير ولا ينتهون الى بر ولا يدعون الى حق ولا يحاربون باطلا إلا ساقوا الشعر فيهم فياضاً زاخراً ، وأرسلوا القصيد فيهم أريجاً عاطراً . وحيث يكون الشعر تكون الموسيقى ، بل ان الموسيقى لمستقر الشعر ومغناه ، ولذلك كان الشرق العربى مشرق شمس الشعر ومهبط وحى الغناء

ومن هنا كان الشرق وجوب المحافظة على طابع الموسيقى العربية والابتعاد به عن مواطن فساده . فمن الشائعات أن الموسيقى لغة عامة دولية يفهمها جميع الناس ، لانهم يعرفون فيها لغة الشعور والاحساس والعواطف البشرية المشتركة ، وأصحاب هذه الشائعات يعززونها بقولهم : لئن عجزنا عن أن نتفاهم فى لغة التخاطب مع الذين لا يفهمون لغتنا ، فلا نعجز عن أن نشعرهم بمسراتنا وأحزاننا إذا أودعناها موسيقانا

هذا القول فى جملته يتجافى عن مواطن الحق ، إلا فى موسيقى الاطفال ، فقد يكون له وجه ، ذلك بان الطفل يرى فى موسيقاه الساذجة كلا لا يتجزأ ، وشيئاً غير قابل للتحليل ، مثله فى ذلك مثل الرجل الفطرى أو غير المثقف ، ينظر إلى الحياة نظرة سطحية خالية من التعمق

وفيما عدا ذلك ، فان موسيقات الشعوب تنقسم — كاللغات — الى أنواع مختلفة ، كل نوع منها يتشعب إلى فروع متباينة تشعب اللهجات

فالموسيقى التى ينشأ الانسان فى أحضانها ويترعرع فى مغا نيها منذ طفولته ، تترك فى نفسه أثراً لا يمكن التعبير عنه ، ويستحيل على أجنبى عنها أن يدركه

قد يكون مستطاعا أن يجيد المرء لغة أجنبية ويتمكن من ألفاظها وتعبيراتها لانها دراسة فكرية تختص بالعقل ، ومع ذلك فقد يتعذر عليه التعبير بهذه اللغة عن معانى لغة أخرى تعبيراً كاملا . فاذا كانت المشقة والتعذر محققين فى ألفاظ يمكن تعريفها والتعبير عنها ونقل معانيها من لغة إلى أخرى ، فما يكون الشأن فى الموسيقى وهى العاطفة والشعور وكلاهما لا يمكن تعريفه ولا

نقل التعبير عنه ، اذن فتصويب تلك الشائعة القائلة بدولية الموسيقى ، منقوض ولا وجه للحق فيه .
واذن فلكل شعب موسيقاه ، ولكل موسيقى طابعها الخاص المستمد من روح الشعب واحساسه وظروف حياته ، وهذا ما قرره « الكندى » فى القرن الثانى للهجرة فقد قال : « ان دراسة الموسيقى إن هى إلا دراسة فنون متعددة » يريد بذلك أن هناك موسيقى عربية وأخرى فارسية وأخرى رومية ، وكل منها تختلف عن الاخرى اختلافا ظاهراً . وعزز « اخوان الصفا » فى القرن الرابع للهجرة هذا الرأى فقالوا : « ان لألحان الفرس والروم واليونان القدماء ولأغانيهم قوانين تختلف عن التى وضعت لألحان العرب ، وأغانيهم » ، وآية ذلك ما تجلى من حذق اسحق ابن ابراهيم الموصلى « فى القرن الثانى للهجرة » فى معرفة لحن يونانى دسوه عليه كأنه عربى فعرفه ونبه اليه

والشعر أيضاً دعامة الروايات الغنائيـة (الاوبرا) وجسمها الحى وأساس بنائها المدعم ، والموسيقى عنصر الحياة وجوهر الروح فيها ، فاذا صح تشبيه (الاوبرات) بالورد كان الشعر أوراقه والموسيقى عطره وأريجـه . وليست (الاوبرات) غناء مجرداً وانما هى مزيج من فنون متفرقة أهمها الحبك القصصى والشعر والتلحين والأداء غناء وعزفا وإخراجا وتمثيلا ، فهى أروع ميدان للموسيقى الوصفية تستخدم فيه الموسيقى الغنائية والآلية معاً فى التعبير عن مختلف المعانى والعواطف ، ولذلك كانت أسمى ما وصلت اليه العصور الحديثة فى التأليف الموسيقى

والشرق العربى قاطبة – على وفرة تراثه وكثرة غنائه بالشعر – محروم من « الاوبرا » ، ذلك العنصر الثقافى الذى يجمع صفاء الطبع وسناء الخلق ونصاعة الرأى والبيان ونقاء العاطفة والوجدان . فوظيفة الموسيقى فى الرابطة العربية أن تهب بحس أهلها الرقاق الى معالجة هذا الفن الذى يندمج فى الحياة ويرتقى بها أعلى مدارج السمو فى تنمية الذوق وتربية الشعور

لقد تغلغلت الموسيقى فى شئون الادب نثراً وشعراً ، ثم تصدت للعلم والدين والفلسفة وسايرتها فى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وسيكون كذلك شأنها فى الرابطة العربية هاديا منيراً يمكن لها مهاد الدعة وظلال النعيم

وأحسب أن ليس بهذا المقال مستفاض يتسع للشرح ، واذن فانى أتجزأ بذكر إثارة من علم تبيانا للغرض واستيفاء للبحث

تساير الموسيقى علم النفس وتؤدى كثيراً من خصائصه من حيث مظاهر الشعور فيما يتصل بالاعمال العقلية ، فلطالما تداوى المصابون بالامراض العقلية والعصبية بالموسيقى ، يعمد اليها الاطباء لأنها أعمق أثراً فى العقل الباطن ، وهو مستودع العواطف المستذلة التى أنهكها المرض ، فيرتقى بها المصاب إلى مأمن الهدوء والسكينة حيث تنسل همومه وتنجلى عنه غمومه ، فترتد اليه العافية من ثنايا النغم والتطريب . وما أحسب الموسيقى الذى يقوم بهذا العلاج إلا طبيباً نفسياً لا غنى للرابطة عنه فهو

أحد عوامل الصحة التي هي الواجب الاول من واجبات قادة الشعوب وولاة أمورها

ولطالما جلت الموسيقى عن كثير من الغرائز ، وهي الدافعة في حياة الانسان لعمل أشياء ينزع اليها لها غايتها ، فمثلا غريزة المقاتلة وهي الوجدان الذي يصحبه الغضب تثيرها رؤية العدو ، ولقد ما هتفت الموسيقى بالرجال تحت ظلال السيوف ، وقد ملك الروع القلوب وعقد الهول الألسنة ، فاستردوا العزم واستعادوا القوة ، وما يوم « تحلاق اللمم » بمنسى ، ذلك يوم انتصاف بكر من تغلب فقد فعلت الاغنيات والاناشيد فعلها في ذلك اليوم ، حتى انكشف الهول فاذا تغلب بين قتيل وأسير وشريد ، بعد ان كانت كالجذوة المضطرمة ، وبعد أن كشفت بكراً وكادت تودى بها

ومما ذكروا أن الحارث بن ظالم أساء اليه خالد بن جعفر بين يدي النعمان ، فخرج يهدر غضباً حتى انتهى الى ماوية ابنة حفزر ـ وكانت احدى ملكات الحيرة وقد زوجت نفسها فيما بعد من حاتم الطائي ـ واقترح عليها أن تغنيه

تعـلم أبيت اللعن أني فاتك من اليوم أو من بعده بابن جعفر
أخالد قد نبهتني غـير نائم فلا تأمنن فتكي يد الدهر واحذر

فخرج من عندها ينتفض كالمحموم لفعل الصوت به ، ونفاذ الايقاع في نفسه حتى عثر بخالد فقتله

وما أظن الرابطة العربية إلا شديدة الحاجة قوية الرغبة فيما يشد العزائم ، ويثير غرائز الحمية والذياد عن الحياض

وعلى الجملة فقد سلك الاقدمون علم الموسيقى في علوم الحكمة ، ولكن مما لا شك فيه أن الموسيقى والفلك والجبر والحساب والهندسة والمنطق والعروض هي جميعاً أنواع من جنس « العلم الموزون » ـ أي العلم الذي يبتدىء بالبديهي وينتهي الى البديهي ،وبعبارة أخرى « العلم السلمي » الذي تقف الدرجة الثانية منه على الاولى والثالثة على الثانيـة وهكذا . وهي علوم متشابكة رباطها النظام ووحدة الحركة والسكون وهي علوم تعتمد عليها الرابطة في وحدتها ونهضتها

والاسلام دين الغالبية في الرابطة العربية ، وللدين شعائر وعبادات وصلوات واذكار تنهض بها الموسيقى وتنقطع لخدمتهـا ، ومن غير المعقول أو المفهوم أن تتخلى الرابطة عنها ، منها القرآن الكريم ، ومن إعجازه نظمه الموسيقي الرائع الذي يسيطر على نفوس مستمعيه ولو كانوا غير مسلمين حتى لقد قال الاستاذ العالم الجليل المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب : « ان قوانين الموسيقى وقيودها قد لوحظت في القرآن تامة مكتملة » وضرب على ذلك أمثلة متعددة يضيق المقال عن ذكرها

وما نعدو الصواب حين نقرر أن الموسيقى في صدر الاسلام قد لبست ثوبا دينياً ناصعاً يوم سرت تلاوة القرآن الكريم بالصوت الجميل في أنفس الناس سريان العافيـة في الجسم السقيم . وآية ذلك ما بين أيدينا من أحاديث وكلمات مأثورة عن مشهوري الصحابة في مدح قارىء القرآن الكريم

اذا كان جميل الصوت لم يخرج عن الحد المعقول فى القراءة والأدب الواجب للقرآن ، وهنا رفع القرآن الكريم علم الموسيقى عالياً بين العرب ونشأ علم التجويد

واذن فان للموسيقى نصيبا موفوراً فى القرآن الكريم وهو عماد الدين ومدار السعادة والعزة المسلمين . وللرابطة العربية أن تجهد الى أبعد حدود الجهد فى نشر القرآن الكريم بين أبنائها ، وفى جميع ربوعها إن أرادت أن تصون حماها وتعز قومها وترفع شأنها وتحمى أعراضها ، ولا سبيل الى ذلك إلا بالموسيقى وحسن الترتيل

وكذلك الشأن فى بعض الشعائر الأخرى كالأذان للصلاة عامة ، والاذان للصلاة فى شهر رمضان خاصة ، وصلاة العيدين وتلاوة التكبيرات فيهما فى لحن موسيقى رائع ، مما يرقق حاشية الروح ويلين القلوب الغلاظ ، ويهيىء الناس لتلقى النفحات الالهية فى بهجة وانشراح

أما الصوفية وما تقيم من حلقات الذكر فهى فى غير حاجة الى شرح أو تطويل

وما من شك فى أن تتخذ الرابطة العربية الفلسفة عاملا من عوامل التثقيف والتربية ، والموسيقى تماشى الفلسفة فى كثيرمن نواحيها ، بل لقد انتهى الاجماع على كونها فرعاً منها ،فلقد اهتم بها فى العصور القديمة افلاطون وارسطو وغيرهما ممن نقلوا عن فلاسفة قدماء المصريين ، واهتم بها في العصور الوسطى من فلاسفة العرب الكندى والفارابى وابن سينا وغيرهم ، واهتم بها فى العصور الحديثة جيتا وشاكسبير وفاجنار ، فصوروا جميعاً الحياة الانسانية بما فيها من عواطف وعواصف أدق تصوير ، وحسبنا أن نشير لعلاقة الموسيقى بنظريات النسبية ، والجاذبية ، والفلسفة الأدبية ، والفلسفة المادية ، وفلسفة السعادة والمثل العليا ، وفلسفة القانون ، وفلسفة التطور ، وكلها فلسفات لا مناص للرابطة من الاعتماد عليها فى تكوينها ونهضتها

هذا ما وسع المقام ، أرجو أن أكون قد اهتديت فيه الى الغرض ، وبلغت الغاية ، والله ولى التوفيق

دكتور محمود احمد الحفنى



نهضة الشرق العربي في أعين الغرب

فريق من الكتاب الاوربيين يتنبأون لها بحوادث خطيرة

بقلم الدكتور زكى على

الطبيب المصرى بجنيف

لم يبالغ من قال : « إن مصير العالم يبت فى الشرق الادنى »

أليس الشرق الأدنى ملتقى القارات ، ومفترق الطرق فى البر والبحر والجو ، وقنطرة وصل الشرق بالغرب ؟ أليس الشرق الادنى مهد الأديان العالمية وموطن الحضارات الروحية ؟

أليس الشرق الأدنى قبلة أنظار الغزاة والفاتحين من أقدم الأزمنة الى يومنا هذا ، وميدان الصراع بين الشرق والغرب على مر القرون ؟ أليس الشرق الأدنى سبيل التجارة وساحة المصالح المشتبكة ، والمنافسات المتعارضة ، وهدف الأطماع السياسية والاقتصادية ؟

من أجل ذلك تثير نهضة الشرق العربى فى الغرب الذى يتصل تاريخه بتاريخ الشرق الادنى بأسباب وثيقة ، اهتماما عظيما برغم الحوادث الجسام التى تتوالى بسرعة البرق على مسرح السياسة الدولية ، وأصبحت مسائل الشرق الأدنى من أعظم المشاكل السياسية التى تحسب لها الدول العظمى حسابا كبيراً فى سياستها الداخلية والخارجية

ولما كانت لنهضة الشرق العربى فى العقدين الأخيرين أوجه كثيرة : سياسية ودينية ووطنية واجتماعية وثقافية .. الخ فقد تباينت كيفيات تأويلها والحكم عليها عند كتاب الغرب وحملة الأقلام فيه من السياسيين والباحثين والمفكرين ، وصار لكل فريق من هؤلاء رأى خاص ، ونظرة معينة تتأثر طبعاً بالروح التى تنطوى عليها نفس الكاتب أو الاغراض التى يخدمها والمبادىء التى يدافع عنها

هناك فريق من الغربيين يرى أن نهضة الشرق العربى تنبىء بحوادث خطيرة سيكون لها تأثير بعيد المدى فى مستقبل أوربا ، وأن اقطار العرب المتحدة سوف تصبح يوما ما خطراً يهدد كيان أوربا ، وفى طليعة القائلين بهذا الرأى الكاتب السياسى الالمانى « بول شمتز Paul Schmitz » فى كتابه الذى ظهر فى العام الماضى بعنوان All-Islam! Weltmacht von Morgen? ويجنح المؤلف فى كتابه هذا الى الثقة المؤكدة بازدهار مستقبل العالم العربى والاسلامى استناداً الى ما يراه فى أقطار الشرق العربى من اليقظة والنهضة وعلائم التكاتف والتحالف وتوحيد الصفوف

ولكنه متشائم الى أقصى حدود التشاؤم فيما يخص الغرب ومستقبل أوربا ، ويرى أن خطر قيام النفوذ السياسى للاسلام قد صار أمراً واقعاً لا شبحاً بعيداً ، ويتفجع لأن أوربا لاهية عن هذا الخطر لا سيما أن جبهتها ممزقة وأوصالها مفككة . وهو ينذر أوربا بأشد الويل وسوء المآل ، وحسبك أن تتأمل الفقرة التالية من كلامه لتقف على مدى تشاؤمه ، قال : « اليوم وقد رأينا الافكار الانسانية تلقى حتفها فى ساحات القتال إبان الحرب العظمى ، لم يبق مثل أعلى عام يضم شعوب الغرب . لا بل من وجهة النظر الدينية يتبين لنا كذلك أن وحدة الشعوب المسيحية وتضامنها قد صار فى خبر كان ، لأن أنانية الدول ضحت تلك الوحدة الدينية التى كانت موجودة فى أوربا فيما مضى . واذا صح أنه فى القرن التاسع عشر قامت فى أوربا فكرة (الرسالة الاوربية) وكان الغرض منها بث الحضارة فى سائر أنحاء العالم ولا سيما الشرق ، فان تلك الفكرة قد زالت اليوم تماما باستفحال علل الغرب ، ولم يعد الشرق بحاجة الى أوربا حتى من الوجهة الفنية »

ويشايع هذا الكاتب فى الرأى كاتب آخر اتخذ لنفسه اسم « اسعد بك » Essad Bey وهو روسى الاصل نزح على أثر الثورة الروسية الى دول وسط أوربا وادعى اعتناق الاسلام ، ولكن مؤلفاته بالالمانية عن الاسلام مليئة بالطعن المقنع أو المكشوف ، مما يدل على أنه (تملم) لأغراض تجارية محضة ، وقد كتب منذ عامين كتاباً عن العالم الاسلامي بالالمانية (وترجم الى الفرنسية) بعنوان « الله اكبر » Allah ! ist Gross تناول فيه الكلام عن أحوال العالم الاسلامى فى ماضيه وحاضره ، ثم أراد التنبؤ عن المستقبل فأشار الى قيام المملكة العربية السعودية التى يتخيلها عما قريب شاملة سائر أقطار الجزيرة العربية متأهبة لتهديد كيان أوربا ، ويقارن بين حالة ضعف مبراطورية بيزنطية فى فلسطين وسورية وقت الفتح العربى فى صدر الاسلام وبين حالة ضعف فرنسا وانجلترا فى هذين القطرين فى الوقت الحاضر ، ويرى ذلك عاملا يهيء النصر المستقبل لقوات العرب . وهو يناشد أوربا أن تتأهب لصد الغارات التى يزعم حدوثها فى المستقبل

ثم إن هناك كاتباً من فحول الكتاب السياسيين الألمان المعروفين ببعد النظر ونزاهة القلم وسعة الدراية ، يرى أن نهضة الشرق العربي سائرة فى مجراها الطبيعى نحو غايتها من تحرير العرب والاسلام من السيطرة الأوربية ، ويعتقد أن بسالة العرب وبراعتهم فى الحروب تضمن لهم فى المستقبل مكانة عالية . وهذا الكاتب هو جيزلهر فيرسنج Giselher Wirsing مؤلف كتاب « الانجليز والعرب واليهود فى فلسطين » Engländer-Juder-Arabes in Palastina الذى ظهر منذ شهور ، وقد كتب مؤخراً فصلا عن الثورة الفلسطينية العربية فى مجلة « دى تات » الألمانية ، نوه فيه ببسالة عرب فلسطين قائلا : « انهم ليسوا مجرد عصابات ، وانما يكونون جيشاً شرقياً منظما مدرباً حسن التجهيز بالاسلحة لا يقل عدده على أية حال عن ثلاثين أو أربعين الف مقاتل ، وهو عدد يوازى عدد جيش الجنرال فرانكو فى مستهل الحرب الأهلية فى أسبانيا ، ويذكر أن العرب تمكنوا من

القبض على أزمة البلاد فى فلسطين ما خلا ثلاث مدن : القدس وتل أبيب وحيفا ، مدة من الزمان ، ثم يعيد الى الذاكرة حرب الريف التى استنجدت فيها اسبانيا بفرنسا لتقاوم عبد الكريم ، ويستخلص من ذلك أن الشرق العربى فى نهضته ووثبته واقتباسه الاساليب الحديثة جدير بالتقدير الكبير

ثم هناك فريق من الكتاب الذين وضعوا أقلامهم فى خدمة دولهم الاستعمارية ، وحاولوا تشويه جمال النهضة العربية ، ونسبوا اليها عوامل ضعف كالدسائس والانقسامات والفتن والاستفزاز الخارجى من دول الدكتاتورية التى تريد سحق النفوذ البريطانى والفرنسى فى الشرق الأدنى ، ومن بين هؤلاء المسيو ادوار بونفوس Edouard Bonfous الذى نشر بحثاً مستفيضا عن « مسائل الشرق الأدنى » فى مجلة Revue Politique et Parlementaire الفرنسية فى سبتمبر الماضى ، أشار فى مستهله الى أنه لم يعد خافياً أن الخطر الآتى من الشرق الأدنى من أشد الأخطار التى تهدد السلام ، وأن تنافس دول الدكتاتورية ودول الديموقراطية قد زاد لهيب الاضطراب فى الشرق اشتعالا ، ويتحدث عن المضاعفات السياسية الخطيرة التى ستنجم عن هذه المزاحمات بين الدول العظمى فى الشرق الأدنى

وعلى النقيض من رأى الكتاب الألمان الذين ذكرنا فى صدر المقال ، رأى الكاتب السياسى الانجليزى المعروف المستر كنيث وليامز Kenneth Williams محرر مجلة « بريطانيا العظمى والشرق » اللندنية ، فقد كتب مقالا فى عدد حديث من مجلة United Empire (التى ينم اسمها عن مقاصدها) ذكر فيه أن الوحدة العربية والجامعة الاسلامية ألفاظ أكثر منها حركات تنفيذية مهما خطب الخطباء وكتب الكتاب العرب ، وهو يقلل من شأن النهضة العربية من الناحية السياسية خاصة ، ويرى أن العالم العربى والاسلامى لن يسترد النفوذ السياسى السابق ، ولو أنه فى نهضته يريد طرح النير الأوربى ، والتحرر من القيود التى قيده بها الغرب

بقى أن نشير الى ما يراه فريق المبشرين فى النهضة التى نحن بصددها ، ويعبر عن شعورهم فى ذلك المبشر مرى تيتوس Murray Titus فى كتابه بعنوان The young Moslem looks at Life فهو يرى أن نهضة العرب والاسلام فى الوقت الحاضر أمر جدير بأوفى اهتمام ، وأن أبرز وجوه هذه النهضة اليقظة الروحية فى العالم الاسلامى ، ولو أن الاستقلال السياسى للشعوب الشرقية سيقضى حتما على نفوذ المبشرين فى تلك الأقطار ، ويرى أن تحدى العرب والاسلام للغرب روحى فى جوهره ، وقد يكون له فى المستقبل أثر بعيد المدى فى العلاقات بين الشرق والغرب

الدكتور زكى على

قصة ملخصة

الحل الرهيب

بقلم الكاتب الفرنسى روجيه فونتان

« فى هذه القصة يرسم المؤلف فاجعة من فواجع القلب ، اصطدم فيها نوعان من الحب ، طائش وأنانى ، بواجب الشرف والاستقامة ورغبة العمل لاسعاد الغير . ولقد عاش المؤلف بين أبطال روايته ، وشاهد المأساة عن كثب ، فجاء رسمه صادقا رائعا قويا »

لم يستطع موريس أن يتصور وقوع ذلك الحادث الجلل ، ولم يدر فى خلده لحظة واحدة ان الانحطاط قد يبلغ بالانسان هذا المبلغ . ومع ذلك فقد كان مرتابا ، كان ما يزال حائرا قلقا تساوره الشكوك وتقض مضجعه وتحرمه لذة الرقاد .

لا .. أولى به أن يتريث .. أن يمعن النظر فى حقائق الأمور .. ألا يؤخذ بالظواهر .. ألا يدع سخطه العميق يتطور ويتمثل فى أعمال جريئة فاصلة قد تفضى الى أوخم العواقب

ولكنه يتألم . يتألم أشد الألم . يتألم فى كبريائه ، وعزة نفسه ، وضميره الأبى ، ومسلكه الشريف ، ورغبته المتقدة الحارة فى اسعاد أهله وانقاذهم من شر محتوم

وهو فى الواقع يتألم أكثر من ذلك لانه رأى بكلتا عينيه أشياء غريبة أثارت فى نفسه مختلف الظنون . رأى من الحركات والاشارات والابتسامات ما ألهب الحنق فى صدره ، وما أفعم قلبه بالكراهية والحقد

ولكن هل هو على حق فى المبالغة فى الظن والتأويل ؟ هل الفكرة التى خالجته صحيحة ، والشعور الذى خامره يستند الى حقيقة واضحة جلية ؟..

كلا .. لا يستطيع أن يجزم بذلك .. ليس فى مقدوره أن يؤكد .. واذن فمن واجبه أن يتئد ، أن يلاحظ ، أن يراقب مجرى الامور

غير أن هذا الارتباك هو الذى يعذبه ، وهذا القلق هو الذى يضنيه ، وها هو ذا وقد عصفت به خيالاته المزعجة يتقدم الى الشرفة الكبيرة ويتكىء على حافتها ويستروح شذا الاعطار المنبعثة من الحديقــة ويتنفس ملء رئتيه ويحاول الترفيه عن نفسه عبثا

وأطلق لخواطره العنان وساورت أعضاؤه شبه حمى ، أى حظ هذا الذى كان مرصودا لأسرته فى لوح المقادير؟..لقد كان والده رجلا وضيع النفس وضيع الخلق ميت الضمير. كان مقامرا بالفطرة ، سكيرا بالوراثة ، اضطهد والدته وعذبهـا وسامها صنوف العسف ألوانا ، ثم مات فجأة ، مات فى نوبة مروعة هائلة من نوبات جنون الخمر . ولقــد قضت

والدته حياتها الزوجية فى صحبة هذا الرجل شقية تعسة لم تعرف السعادة ، ولم تشعر أبدا بعاطفة الحب . كانت تحب شابا متوسط الحال . كانت تحب المسيو « شارل فنسان » ولكن أسرتها البائسة تحايلت عليها ثم أجبرتها على الاقتران بذلك الرجل المريض السكير لا لشيء سوى أنه غنى

فلما أصبحت زوجه ، وخيل اليها أنها قد تجد فى ماله الراحة والطمأنينة والعزاء ، تكشفت لها أخلاقه ، وسرعان ما شاهدت ثروته الكبيرة تتبدد على موائد الميسر وتضيع فى غمرات ادمانه على تعاطى الخمر

وهكذا انطوت على نفسها وحصرت عواطفها فى ابنها موريس وابنتها شارلوت . ولكنها كانت ما تزال صبية ، ما تزال جميلة ، ما تزال فاتنة ، فلما توفى والده منذ نحو عامين ، واشتدت عليهم وطأة البؤس ، ظهر الآخر فجأة ، ظهر المسيو شارل فنسان ، ظهر الرجل الذى أحبته قبل زواجها والذى كان قد رحل الى امريكا وجمع هناك ثروة طائلة . ظهر كما يظهر المنقذ ، وأقبل على المرأة التى كان قد أحبها ، فاستيقظ ماضيها واضطرم فى صدرها غرامها الاول ، وفكرت فى احتمال تجديد حياتها والاقتران به !..

وكان موريس لضيق ذات يده ، ولرغبته فى اسعاد أمه وشقيقته ، ولحاجته الشديدة الى المال يستكمل به فى الجامعة دروسه ، كان لهذه الأسباب مجتمعة لا يرى مانعا من عقد هذا الزواج ولا يجد أية غضاضة فى أن تقترن والدته بالرجل الوحيد الذى تحبه ويحبها

ومنذ عدة أسابيع والرجل هنا .. يدخل البيت متى شاء ، ويتقرب الى موريس جهده ، ويسعفه بالمال عند الحاجة ، وينفق على الأسرة عن سعة

أجل . هو ينفق بلا حساب ، وهو رجل وسيم الطلعة ، ممشوق القامة ، ساحر الحديث ، ولكنه يصمت فى بعض الاحيان ، وتروغ أبصاره ، وتلوح عليه دلائل المكر والنفاق والغدر

قد يكون شيطانا باسما أو هو فى مخيلة موريس ذلك الشيطان نفسه . ولكن المرأة لا ترى شيئا . لا تبصر غير حبها . أعماها الحب عن مواجهة الحقيقة . وهذا هو ما يحز الآن فى صدر موريس !

كيف يبلغ الحب بوالدته هذا المبلغ ، وكيف لا تدرك ان هذا الرجل سيكون عليها شرا من زوجها الاول ؟

أهى تجهل أم تتجاهل ، أهى غبية أم تتغابى ؟.. لشدما تجن المرأة عندما تحب . بل ان جنونها فى الواقع لا يقاس بجنون الفتاة متى أحبت . وهذا هو جوهر المسألة !

وهنا ارتعش موريس وسرت فى ظهره قشعريرة ثم ضرب الأرض بقدمه وتمتم : « لا يمكن ان يحدث هذا ما دمت حيا أنا رب البيت بعد والدى وأنا المسؤول عنه ، فمن واجبى أن أتدخل ! »

وكانت الشمس قد تقلصت ولم يبق منها غير قوس أحمر صغير مشرف على الفناء ، فانقبض صدر الشاب وتراجع وهم بالدخول ، وفى تلك اللحظة دوى فى مسمعه انفجار

ضحكة كبيرة ، فالتفت واذ به يبصر والدته مدام لوران مقبلة عليه فى ثوب حريرى أبيض مرصع بزهرات وردية ، تتثنى وتتخطر وقد التمع فى عينيها الأمل ، وأحالها صبية ناضرة

ألقى عليها نظرة ملؤها الشفقة والأسى ، وجعل يتأملها وقلبه يثب فى صدره ، فارتمت عليه وطوقته بذراعها وقبلته فى جبينه ، ثم انطلقت تضحك كبلهاء ، وتهتف كطفلة ملكها الفرح وتقول :

ـ ما أغرب النكتة التى قالها شارل أمس • كلما ذكرتها استغرقت فى الضحك • أين هو ؟ ألم يأت بعد ؟ ظننته معك • انى أنتظره ليرافقنى الى حفلة الموسيقى

وصمتت وجعلت تتطلع الى باب الحديقة شاردة البصر مذهولة العقل كفتاة فى أول عهدها بالحب • فقال موريس فى سكون :

ـ وأين شارلوت ؟

فهزت كتفيها غير مكترثة وأجابت :

ـ عند صديقتنا مدام جوستان ، ذهبت اليها منذ الساعة الرابعة • وسوف ترافقها الى السينما ثم يعودان الى هنا لنتناول سويا طعام العشاء

وكان القدر أبى الا أن يكذبها ويضاعف شكوك موريس ، فحانت من الشاب التفاتة الى باب الحديقة ، فارتجف ولم يتمالك أن جذب والدته ولفت أبصارها الى ما رأى ، وقال بصوت غائر أجش :

ـ هذه هى شارلوت !

وتطلعت المرأة فأخذ طرفها من خلال أغصان الشجر صورة ابنتها تتقدم على مهل متأبطة ذراع شارل

بهتت أول الأمر واستولى عليها شبه ذهول ، ولكنها لطيشها وحماقتها وفرحها العظيم برؤية شارل ، لم تحفل بما أبصرت ، وطفقت تصفق كطفلة وتصيح :

ـ جاء شارل ••• جاء شارل •••

وغادرت الشرفة مسرعة وهبطت لاستقباله ، وتركت ابنها بمفرده وقد استحوذ عليه يأس قطيع ، يتبعها النظر مطرق الرأس ، مكفهر السحنة ، كاسف البال ، يريد أن يطلق العاصفة ، ويخشى أن تقتلع فى هبوبها كل صرح من صروح البيت

كانت مدام لوران مفتونة حبا بشارل ، واثقة كل الثقة بوعده ، تهيىء نفسها للاقتران به ليلة عيد ميلاده فى أول يوم من الشهر المقبل أى بعد عشرة أيام فقط • وكانت لفرط حبها اياه ، لا ترتاب فى سلوكه ، ولا تشك فى صدق عواطفه ، ولا تستطيع أن تتجرد ولو لحظة واحدة من شعور الثقة التى أودعها فى قلبها ماضى غرامه بها ، وسرعة اقباله عليها عقب وفاة زوجها • فلما تركت ابنها موريس وانحدرت لاستقبال حبيبها ، كان ما يزال يبدو عليها ذلك المرح الصبيانى البرىء ، وتلك السعادة الخالصة التى يولدها فى النفس ايمان المحب باخلاص ووفاء المحبوب

ومع ذلك فقد لمح موريس فى عينيها بريقا غريبا ، وخيل اليه انها وان كانت عاشقة مدلهمة ، الا أن فى أخلاقها ما ينذر بثورة هائلة فيما لو عرفت الحقيقة

ولحق بها وبوده لو استطاع أن يستوقفها ويتحدث اليها برهة • ولكنها انطلقت فى المشى الطويل ، واجتازت البهو ، وفتحت الباب المؤدى الى الحديقة ، وفكرها منصرف الى استقبال شارل ، وعواطفها متجهة صوب الرجل الجميل الساحر

وكانت تهرول كطفلة لوحوا لها بلعبة طريفة ، وكان موريس يتبعها ويعض شفتيه حنقا وحسرة ، غير انها لم تلبث أن تقدمت فى الحديقة بضع خطوات حتى تراجعت فجأة ، وجمدت فى مكانها ، ثم ترنحت وأمسكت ببعض الاغصان تحاول الاستناد اليها ، ثم هوت الى الخلف وأرسلت صرخة قصيرة حادة ، فأسرع موريس وتلقاها بين ذراعيه وتطلع الى مدخل الحديقة ، فأبصر شارل يعانق الفتاة ويغمر وجهها بالقبل

روع الشاب مما رأى ، وعاد يحدق الى والدته ، فالفاها مغمضة العينين شاحبة اللون شحوب الموتى وقد ابترد جسمها وتراخت أعضاؤها ، فطاش صوابه وجن جنونه ولم يتمالك أن صاح :

ــ الى •• الى •• الغياث •• النجدة

فأقبلت شقيقته تحث الخطى ، وظهر من خلفها شارل زائغ البصر مذهولا ، وتعاون الكل فى حمل المرأة الى مخدعها وهى فاقدة الرشد جامدة البدن أشبه بجثة هامدة

ومددوها على الفراش ، وأسعفوها بالمنعشات ، وطفق موريس يدلك بالماء والكحول وجهها واطرافها حتى استفاقت ، وفتحت عينيها الكليلتين وأجالتهما فى أنحاء الغرفة الفسيحة الصامتة • ولم تكد تبصر ابنها منحنية عليها ، تنظر اليها نظرات الحنو والعطف ، حتى عصفت بها نوبة أخرى ، فجعلت تصرخ وتضرب وجهها بقبضتيها ، وتدفع الفتاة عنها ، وتبكى بكاء متداركا حارا يقطع نياط القلوب

ولوحت بيدها واستوقفت ابنها وأشارت الى الرجل والفتاة بالخروج ، وبعد أن خلت بولدها ، رمقته بعين شاردة أخمد فيها الألم وميض النور ، وغمغمت :

ــ أرأيت يا موريس ؟ •• أرأيت ••

فأجاب وهو يطرق برأسه : نعم وا أسفاه !

فتمتمت بصوت ضعيف يشبه أنين المحتضرين :

ــ لن أعيش يا موريس !•• هذا فوق الطاقة !•• لم أكن أتوقع ابدا !•• لتأخذه ، لتسعد به ، انه لها ، ان شبابها الغض تغلب على وهزمنى ، أما أنا فسواء لدى بعد الآن أكانت حياتى هناء أم شقاء • لم أعد أحتمل • ليس فى مقدورى أن أحتمل

فصوب اليها الشاب نظرة ملؤها الرعب ، وقال :

ــ ما معنى هذا يا أماه ؟

فأجابته وعلى شفتيها ابتسامة ممزقة :

ـ معناه ان كل أمل لى فى الحياة قد انتهى ! لن أقف عثرة فى سبيل مستقبل ابنتى . لن أعذب نفسى ولن أرهق ابنتى برؤيتها اياى أتعذب . سأختفى يا موريس . ان الموت أيسر مما تظن ، وهو الذى ينقذنى من نفسى وينقذ ابنتى منى !

فصاح وهو كالمخبول :

ـ أمجنونة أنت ؟

فهزت كتفيها ثم قالت :

ـ أكون قد جننت حقا لو فكرت فى اعتراض سعادة ابنتى !

وقبل أن ينطق موريس بكلمة ، استجمعت مدام لوران قواها ، ونهضت من فراشها ، وفتحت الباب فشاهدت الرجل والفتاة جالسين على مقعد واحد وقد أمسك كل منهما يد الآخر ، فارتعشت وغشت بصرها ظلمة كثيفة ، ولكنها تقدمت صوب شارل ، فنهض اليها ، فردته عنها فى رفق ، وقالت وهى تجاهد لتتكلم :

ـ شارل ، أنا امرأة عاقلة وان دلت ظواهرى على الحماقة والطيش . ولقد كنت أكبرك دائما لصدقك ، فكن صادقا معى وصارحني الآن بما يمكن أن تكون قد كتمته عنى منعا لايلامى ! . تكلم . أنا أسمعك . وسأفهمك حق الفهم ، بل أنا أفهمك منذ الساعة يا صديقى العزيز . .

فارتبك شارل وألقى على الفتاة نظرة خاطفة ، ولكنه تلعثم ولم يستطع الا أن يردد :

ـ مدام لوران .. مدام لوران . .

فقالت وهى تبتسم : تشجع ولا تخش شيئا ..

فاضطرب مرة أخرى ، واستدار قليلا محاولا اخفاء خجله ، وأدرك أن المرأة أبصرته وهو يقبل ابنتها فى الحديقة ، فضاعفت هذه الفكرة اضطرابه وعقدت لسانه وأحالته ثابت التقاطيع جامد الحركة أشبه بتمثال . وعندئذ نهضت الفتاة ولمع فى عينيها السوداوين عزم الشباب الأنانى القاسى ، وتقدمت الى والدتها ، وقالت فى هدوء عميق كأنما هى تخاطب امرأة لا تعرفها :

ـ ان شارل يحبنى وأنا أحبه !

فهتفت الأم على الفور : « وهل وعدك بالزواج ؟ »

فأجابت الفتاة وهى شاخصة اليها : « نعم »

فالتفتت مدام لوران الى شارل وقالت :

ـ لا سعادة للأمهات الا فى التضحية !

وابتسمت ابتسامة صافية رائعة ، وأحنت رأسها قليلا ، وانتزعت خاتم الخطبة الذى كان قد قدمه اليها شارل ، وجذبت يد ابنتها ودست الخاتم فى أصبعها ، ثم أرسلت صيحة ابتهاج ، وقالت :

ـ كونا سعيدين !

واختنق صوتها وتحولت فى اتجاه مخدعها ، فأسرعت اليها ابنتها وطوقتها بذراعها ، وسارت بها الى المخدع وهى تبكى وتلثم يدها وتردد :

– شد ما أحبك يا أماه ! شد ما أحبك ! ..

***

وظل الرجلان فى الحجرة وجها لوجه . وسادت فترة صمت قصيرة ، وأحس شارل أن من واجبه أن ينصرف الآن ، فتناول قبعته واستدار وأحنى رأسه بالتحية ، ولكن موريس أسرع وأمسك بذراعه ودفعه أمامه وهو يقول :

– لنمض الى مكتبى ، فلدى ما أقوله لك

ودهش الرجل وحملق الى الشاب مستفسرا ، فلم يكترث له موريس وأشار اليه بالخروج ثم تأبط ذراعه وأوصد الباب فى عناية ورفق

وما كاد يحتويهما جو الغرفة الساكن حتى أحس الرجلان أن الساعة رهيبة ، وأن على كل منهما أن يثبت فى موقفه ويدافع عن رأيه حتى النهاية

كان الأول مدفوعا بشدة حبه لوالدته ، والثانى مدفوعا بشدة حبه الفجائى لشارلوت

وابتدر موريس صاحبه قائلا : « هل لك فى سيجارة ؟ »

وقدم له علبته ، فاعتذر ولبث يحدق اليه منتظرا أن يبدأه بالكلام

وأخيرا مشى اليه موريس ، وأمسك بذراعه فى تودد ، وقال بنبرة رقيقة والدمع يكاد يجول فى عينيه :

– لا أستطيع أن أعبر لك عن مبلغ عذابى !

فدهش الرجل لهذا التحول ، ورابه اضطرابه ، وأحس عاطفة الصداقة ترتد اليه ، فتأبط ذراع موريس وقال :

– ما بك ؟ صارحنى . هل تشكو شيئا . هل أنت فى حاجة الى مال ؟ ..

فصوب اليه الشاب بصره وأجاب :

– لا أشكو شيئا . ولست فى حاجة الى شيء . انما أنا أتعذب من أجل والدتى !

فأشاح شارل بوجهه وقد أدرك ما يرمى اليه الفتى ، ولم يستطع الا أن يصمت ، فأردف موريس :

– أتعتقد أن والدتى راضية حقا عن هذا الزواج ؟ انها لتكاد تجن حنقا وحسرة . لقد ضحت بنفسها فى سبيل ابنتها ، ولن يلبث أن يتم الزواج حتى تصبح تضحيتها كاملة

فتطلع اليه الرجل وقال : « لا أفهمك . أفصح »

قال موريس بصوت متحشرج أجش :

– ان نية الموت ، نية الانتحار ، احتلت ذهن والدتى . ولقد كاشفتنى بها على الرغم منها . وأنا واثق من أنها لن تحجم عن تنفيذها غداة يوم عرس ابنتها المشؤوم . فهل ترضى أنت بأن تقيم صرح سعادتك على جثة امرأة ، هل برح بك الهوى الى حد أنك

لم تعد تشعر بمسؤوليتك عن احتمال وقوع مثل هذه الكارثة ؟ أجبني ..

فبدت على وجه شارل دلائل الامتعاض والسخرية ، ثم هز كتفيه وقال متهكما :

– أنت لاتزال شابا . أنت لا تفقه أخلاق النساء ، ولا سيما أخلاق والدتك . انها سريعة التعلق ، سريعة النسيان . ولسوف تنسى وتغتبط عندما تبصر ابنتها سعيدة . وهي بعد أم كسائر الأمهات ، وسعادة ابنتها مقدمة على هنائها الخاص

فهتف موريس :

– ولكنك تمثل فى نظرها كل ما حرمتها اياه الحياة . ولو أنها كانت قد أصابت فى الماضي بعض السعادة ، ما أسرفت فى التعلق بك والثقة بوعدك هذا الاسراف

فقال شارل محتدا :

– وماذا تريد أن أفعل الآن ؟ انى أحب شقيقتك وهى تحبنى ، ولقد عقدت آمالها علي ، وليس فى وسعي أن أهدم حياتها وحياتي فى سبيل خيالات وأحلام

فصاح موريس :

– ان عذاب والدتي ليس خيالا . وهب أنها بقيت بعد زواجك على قيد الحياة ، فهل ترضى لها مضاعفة العذاب كلما شاهدتك سعيدا مع زوجك ؟ هل ترضى بأن تدب عوامل الكراهية والحقد بين أم وابنتها ؟ وما أدراك ، فقد تنقلب عليك زوجك نفسها فى يوم من الأيام ، وقد تكرهك وتعدك مسؤولا عن شقاء والدتها !

فأرسل شارل ضحكة طويلة وقال :

– دع عنك هذا . سأعرف كيف أعالج المستقبل

فدنا منه موريس فجأة ، وجذب يده ورفعها الى شفتيه ، وهم بلثمها وهو يقول :

– أرجوك . أتوسل اليك . اعدل عن هذا الزواج . سيكون فيه شقاؤك وشقاؤنا جميعا . انى ألتمس اليك أن تعدل ..

فقطب شارل جبهته ، وقال بلهجة فاصلة :

– لا يمكنني

فرشقه موريس بنظرة حقد هائلة ، ثم صاح وهو لا يعى ما يقول :

– أنت نذل ! اخرج . اخرج اذن . آمرك بالخروج !

فارتعش الرجل تحت وقع الاهانة وهز كتفيه ، وقال وهو يتأهب للانصراف :

– ستندم على ما بدر منك

وعندئذ فتح الباب ودخلت الأم وابنتها ، وقالت شارلوت وهي تلهث :

– ما بكما وعلام هذا الصياح ؟

فانقض عليها موريس وجذبها من كتفيها ، وأدار وجهها قبالة والدته ، وقال :

– انظرى الى أمك . تأمليها جيدا . اهذا هيكل امرأة سعيدة بزواج ابنتها ؟ انظرى اليها وتجردى لحظة من أنانية الشباب ، وفكرى فيما أنت مقدمة عليه ولا تتجاهلى

الحقيقة ، ثم اعلمى بأنك قد تكونين السبب فى موت والدتك لو اقترنت بهذا الرجل !
وعلى كل فزواجك لن يتم ! . لن يتم ما دمت أنا هنا !
فذهلت الفتاة ، وتقدمت مدام لوران بخطى وئيدة ، وطوت ذراعيها على صدرها وحدقت الى ولدها ، وقالت فى جلال رهيب :
– أنت لم تبلغ سن الرشد بعد . وأنا والدة ابنتى وصاحبة الأمر والنهى هنا ، ولقد راق لى هذا الزواج ، وليس لك أن تعترض !
فغلى الدم فى عروق موريس وكبر عليه أن يحاول انقاذ أمه وانقاذ ابنتها ، فيصطدم بمثل هذه التضحية الخرقاء التى لن تثمر غير الموت أو العذاب ، فأمسك بيدى أمه وطفق يقبلها فى جنون ويردد :
– عودى الى رشدك . فكرى . فكرى مليا . فكرى فى الغد . أنا لا أريد أن أفقدك ، ولا أن تفقدى ابنتك أنت نفسك !
فهزت مدام لوران رأسها فى عزم وقالت :
– سيتم الزواج . هذه ارادتى !
وحينئذ غشى الظلام عقل موريس ، وأحس كأن الأرض تميد به ، فدفع يدى والدته ، وأقصى شارل عنه فى عنف وصاح :
– اذن ليتم الزواج ، ولكن على جثتى أنا !
وقبل أن يستفيقوا من ذهولهم ، ويدركوا معنى العبارة التى نطق بها ، كان موريس قد تراجع وانتزع مسدسه من جيبه الخلفى ، وعدا الى أقصى الغرفة ، وهناك بجوار مكتبه ، وتجاه صورة والده ، وفى مثل لمح الطرف ، صوب المسدس الى صدغه وأطلق النار ، فهوى بين ذراعى شقيقته جثة هامدة مضرجة بالدم !
وتلفتت الأم المنكودة وقد عراها شبه خبال ، ولم تكد تبصر شارل ساكنا جامدا يشرف بقامته المديدة على جثة ابنها ، حتى فقدت صوابها وارتمت عليه ودفعته الى الباب وهى تصرخ :
– اخرج ! انى أبغضك ! أبغضك ! أبغضك !
ثم عادت فأكبت على جثة موريس ، وجعلت تحتضنها وتخاطبها وتغمرها بالقبلات والدموع !

***

ولم يستطع شارل البقاء فى باريس فرحل الى أمريكا ، أما مدام لوران فقد غادرت العاصمة بعد أسبوع ، وسافرت الى القرية التى ولدت فيها ، وهناك لحقت بها ابنتها ، وانقطعت المرأتان لمهنة التمريض فى احدى مستشفيات الفلاحين

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

فى أى السبل تتجه الحضارة

لو ساد الفاشزم ؟

ماذا يمكن أن يحدث لو فرضنا أن الدول الديكتاتورية اشتبكت مع الدول الديموقراطية فى حرب أسفرت عن انتصار الفاشزم وقيام حضارة جديدة ؟

أى طابع ستحمله تلك الحضارة التى يحلم بها البعض ، وفى أى متجه يمكن أن تسير ، وما هى الخصائص التى سوف تميزها عن سائر الحضارات ؟

موسوليني

الواقع أن الفاشزم نظام يقرن بين الاشتراكية و« الامبريالسم » بين رفع مستوى الطبقات العاملة وبين فكرة السيطرة والتوسع

ولهذا يجمع الفاشزم مختلف السلطات فى يد الدولة ، ويوجه هذه السلطات لمصلحة سواد الشعب ولا سيما الطبقة المتوسطة ، كى يدفع بمجموع الأمة إلى مغامرات حربية هى فى الحقيقة ثمن الاصلاح الذى حققته الدولة ، وثمن الخيرات التى استمتع الشعب بها على يد الديكتاتور

فموسولينى أجرى ولا شك فى إيطاليا إصلاحات عظيمة ، وكذلك فعل هتلر فى المانيا . ولكن شرط التمتع بهذه الاصلاحات هو أن يكون الشعب دائم الاستعداد للتوسع ، دائم الاستعداد للمغامرات الحربية ، دائم الاستعداد لاثبات إرادته الجبارة فى السيطرة والتفوق



هتلر

فى ضوء هذه الحقائق يمكننا أن نتساءل : ما هى الحضارة التى فى وسع الفاشزم أن يبدعها لو تم له النصر على الديموقراطية ؟ هل سيعتريه الجمود فيستحيل الى نظام اشتراكى عادى مجرد

من النزعات الاستعمارية ، أم تظل فيه جرثومة البطولة حية ، توجهه صوب فتوحات جديدة لا نهاية لها ؟

فى مقدورنا ولا شك أن نطلق العنان لخيالنا ونتصور حضارة الفاشزم ومستقبله ، فيما لو اذا تم له النصر على الوجه الآتى :

لن تستطيع الدولة الفاشية أو النازية أن تخمد فى صدور أبنائها نزعة البطولة وإلا قضت على نفسها بالفناء . وإذن فستكون حضارة الفاشزم ، حضارة مادية الروح ، ارستقراطية الغاية ، حربية المثل العليا

ستحيا الشعوب فى ظل هذه الحضارة ، فى رخاء مادى عظيم ، ولكنها ستحيا كالقطيع المحشود فى حظائر الملوك ، فيعنى القادة بصحتها وقوتها وجمالها ، مقابل تمتعهم بحق التصرف المطلق فى حياتها عند الاقتضاء

وسيموت الفكر فى غمرة الحضارة الفاشية ، وتقبر الثقافة ، وينتحر الأدباء والعلماء وأصحاب الفنون ، ويتخلص العظماء والعامة منهم ومن ضجيجهم ، ويتحول المجموع نحو اللذات البدنية المحضة ، يتسامى بها المدربون الرسميون فى حلبات الألعاب الرياضية

وهكذا تنشأ أجسام عمالقة فى أدمغة عصافير ، أجسام مديدة ممشوقة جميلة منسجمة الخطوط والتقاطيع ، أجسام تلتمس فى القوة والصحة فرح الحياة الأكبر ، وتجد فى العنف البدنى وفى سحق الضعيف وفى الموت من أجل التفوق مثل الحياة الأعلى

وعندئذ تتجدد مشاهد المصارعة وحفلات التقتيل والتعذيب ، وتتجدد حياة روما فى أزمنة انحطاطها ، ويعبد الشعب لذة القتل للقتل ، وينشد التفريج واللهو فى سفك الدماء

وحيث أن البطولة لا يمكن أن تعيش وتنمو وتزدهر الا فى دائرة الألعاب الرياضية فقط ، فسيتجه بها الزعماء الفاشست آخر الأمر الى محاربة زملائهم فى دولة أخرى

وفى ذلك الوقت يشهد العالم الفصل الثانى من الصراع . أى الصراع بين دولة فاشية قوية ودولة فاشية ضعيفة . ولا بد أن زعماء الدولة القوية سيتهمون زعماء الدولة الضعيفة بالميل الى الشيوعية ، ويتخذون من هذه التهمة ذريعة للانقضاض عليهم ، فيصرخ هؤلاء مذكرين العالم بحق الضعيف ، ومبادىء الخير والسلم والعدل ، فلا يفهمهم أحد ، ولا يصغى لكلامهم أحد ، ويعدهم الساسة والمفكرون فى حكم الشعوب المنحطة ، ويطبقون عليهم نظرية الأجناس ، ويؤكدون أنهم من حثالة أولئك الساميين الذين اعتقد الفاشزم بعد انتصاره على الدول الديموقراطية أنه أجهز عليهم

ولما تفرغ الدولة الفاشية القوية من سحق الدولة الفاشية الضعيفة ، وتطمئن على نفسها ، وتمد فى العالم نفوذها وسلطانها ، وتشعر أنها لم تعد فى حاجة الى استخدام القوة ، ينتابها ضرب من القلق ، وتحس أنها تعيش بلا غاية ، وتدرك أن لا بد لها من فرائس جديدة ، وضحايا جديدة ،

فتطوى على نفسها ، وتبحث عن هذه الفرائس والضحايا فى محيطها

وعندئذ ينادى بعض الزعماء بأن فى الأمة طائفة من الأفراد ، تعمل لحساب دولة أجنبية ناشئة ، أو أن فيها فريقاً من الخوارج يحلمون أحلاماً ديموقراطية منكرة ، أو ينتقدون بعض تصرفات الزعيم ، أويؤثرون العزوبة على الزواج ، أو يميلون الى الاقلال من النسل ، أو يطالعون خلسة بعض كتب وضعها اليهود فيما مضى ، فتبدأ المذابح الداخلية ، وتبدأ عمليات التطهير ، وتبدأ نار الفاشية تأكل نفسها لأنها لا تجد فى الخارج ما تأكله

وهكذا تبقى روح البطولة حية فى الداخل ، وتنشأ حضارة يكون شعارها : الأكل والقتل والصمت . الأكل لتحقيق متعة البدن ، والقتل لتحقيق إرادة الزعيم ، والصمت لتحقيق الاخلاص وتجنب الاتهام بالخيانة والمروق

ويخيم على العالم ساعتئذ سكون كسكون المقابر ، وتستحيل الشعوب الى جنود خشبية بكماء ، ويشعر الانسان أنه سعيد ، لأنه خنق عقله ، وأخمد روحه ، وسحق قلبه ، وألقى عنه بصفة نهائية عبء إنسانيته [ملخصة عن مجلة « مبتود »]

شخصية الزعيم

يقول البعض أن الحوادث هى التى تخلق الزعيم ، وأن الكوارث والاخطار عند اشتدادها تولد موجة استياء عامة ، وتشيع فى نفسية الجماهير روح التمرد والفوضى ، فتنشأ عن هذه الفوضى رغبة عامة فى البحث عن رجل ممتاز ، وهذه الرغبة المضطربة المشوشة هى التى تظل تجاهد وتبحث وتنقب حتى تعثر على الشخصية الفذة فتلقى اليها مقاليد الأمور

وهذا الرأى الذى طالما سمعته من بعض علماء الاجتماع وأقطاب رجال السياسة ، فيه ولاشك جزء كبير من الصواب . ومع ذلك فأنا أعتقد عكسه تماما

الكاتب الفرنسى أندرية موروا

وعندى أن الجماهير مهما تمردت ، ومهما ثارت ، ومهما فكرت فى الخروج من مأزق تتخبط فيه ، فهى لن تعثر بنفسها على الرجل الجدير بزعامتها ، اذا كان هذا الرجل نفسه لم يتهيأ لمهمته فى زمن السلم ، ولم يعد العدة لاقتناص الفرصة متى سنحت

فالزعيم الحقيقي هو الذي يشعر بأن المقادير قد أعدته للزعامة ، حتى ولو لم يطالبه الشعب بها وحتى في حالة شعور الشعب بأنه في غنى عن تبديل حياته والاتجاه صوب حياة مثالية جديدة

وأكبر ظني أن الزعيم الحقيقي ، الزعيم الموهوب ، هو رجل آمن بفكرة ، وأرصد خلاصة جهوده على تحقيقها ، ووطن النفس على السعي من أجلها ، بصرف النظر عما اذا كانت الظروف ستعاونه على تنفيذها في يوم من الأيام ، أم ستخيب أمله وتغدر به وتخلف في نفسه الحسرات

فهو يفكر ويدرس ويضع الخطط وينظم المشروعات ويتأهب وينضج بمعزل عن الجمهور ، وهذا الاستعداد الشاق الطويل ، هو الذي يدفعه الى انتهاز الفرصة متى سنحت ، وهو الذي يجعله قادراً على الاضطلاع بمهمة القيادة متى أسندت اليه

فالزعيم يتثقف قبل كل شيء ، يتأمل في أغراضه ويحددها ويعين اتجاهاتها ، ثم يتربص بالزمن ، وينتظر الظروف ، ويسدد صفوة قواه الى الصالح منها كي ينقض عليه ويمتلكه ويطوعه لارادته ويحوله الى خدمة مثله الأعلى

هكذا فعل موسوليني ، وهكذا فعل هتلر ، وهكذا فعل ديكتاتور البرتغال السنيور أوليفيرا سالازار . فكل فرد من هؤلاء الزعماء كان يعلم ما يريد ، وكان قد حدد فيما بينه وبين نفسه خلاصة ما يريد ، وكان قد صارح باهدافه جماعة أصفيائه والمقربين اليه ، فلما سنحت الفرصة لم يتردد في انتهازها مضحياً في هذا السبيل بأعز شيء لديه

وإذن فالتأهب الثقافي ، هو الشرط الأول لتكوين شخصية الزعيم . ولكن الثقافة مهما اتسعت ، والذكاء مهما عظم ، لا بد من اقترانهما بقوة خلقية ممتازة تعد في الواقع مظهر الزعامة الحقيقية ، وأداة تأثيرها العميق في النفوس

فما هي والحالة هذه الخصائص الخلقية الرائعة التي يجب أن يتصف بها الزعيم كي يكون مسموع الكلمة ، مرهوب الجانب ، جديراً بالطاعة ، خليقاً بأن تودع فيه الجماهير من الخاصة والعامة تلك الثقة الرهيبة التي لاحد لها ؟

ان أولى هذه الخصائص ، هي الايمان بالمثل الأعلى . الايمان بالغاية المنشودة ، ايمانا صوفياً شبه ديني ، يستغرق الفكر ويحتل العاطفة ويستحوذ على المشاعر ، ويفعل في الجماهير فعل السحر

ومتى توافرت عناصر الايمان ، فينبغي أن تقترن بارادة جبارة في العمل والتنفيذ

غير أن هذه الارادة لا يجب أن تكون حمقاء ، ولا يجب أن تنشد المستحيل ، ولا يجب أن تصطدم بصخرة الأمل الخيالي الباطل . بل يجب أن تكون إرادة حكيمة تعرف كيف توفق بين مطامعها وبين مقتضيات الواقع وما يمكن أن تسمح ظروف الحياة العملية بتنفيذه

فموسوليني أصاب غنما في الحبشة لأن ارادته كانت حكيمة وعرفت كيف تفيد من الخلاف الذي كان ناشبا بين فرنسا وانجلترا

وهتلر قبل اجتياح تشيكوسلوفا كيا أصاب نجاحا فى الرين وفى النمسا وفى السوديت ، لأن ارادته كانت حكيمة عرفت كيف تفيد من ضعف خصومه العسكرى ، ومن تردد انجلترا فى القيام بعمل حربى لا يضطرها اليه الدفاع عن مصالحها المباشرة

فقد نجح موسولينى لأنه لم يتجه بارادته صوب المستحيل ، ونجح هتلر للسبب نفسه . ولو أن ارادة الزعيمين كانت مشوشة حمقاء لانهار عليها الصرح وارتدت الضربة الى صدريهما

ويأتى بعد الايمان العميق ، والارادة الحكيمة ، تقدير الزعيم لمعنى النزاهة ، ثم صرامته الماثلة فى محاسبة أنصاره ، وعدم تسامحه فى أية غلطة أو هفوة ، وعدم تجاوزه عن أى تخلف أو تردد أو مروق

والواقع أن الزعيم الحقيقى رجل نزيه بطبعه ، لا يعنى بأطماع مادية شخصية ، ولا يقيم للمال كبير وزن ، بل لا يعلق على المرأة أهمية كبيرة ، لفرط ما يتملكه الايمان بالفكرة والشعور الفطرى بضرورة الزهد فى سبيل تحقيقها

غير أن الصرامة فى محاسبة الانصار ، هى الفضيلة التى تعد محك شخصية الزعيم . فهو أن غض الطرف عن أخطاء أنصاره هلك ، وان أساء فهم تصرفاتهم واتهمهم بالمروق لأتفه الأسباب هلك أيضاً ، كما انه لو استبد بالأمر وكره الشورى وأراد أن يتغلب بالباطل على اجماع الحق ، ويفرض رأيه على الآخرين فرضاً تعسفياً واضحاً كان مصيره كذلك الى العدم

فالمهارة كل المهارة فى أن يوفق الزعيم بين الصرامة فى الحكم على الأنصار وأعمالهم ، وبين العدل فى النظر اليهم ، والدقة فى محاسبتهم ، وتوخى الحق الأمثل فى تقديرهم ، والتزام موقف الحيدة تجاه مشاحناتهم ، وهكذا يصبح الحكم النزيه الأعلى فى تصريف الأمور وتوجيهها النهائى الى ما فيه خير الحركة

وصفوة القول ان شخصية الزعيم تتألف من عدة عناصر أهمها :

ثقافة واسعة ومعرفة واضحة بما يرمى الزعيم الى تحقيقه ، ثم ايمان عميق بغايتـه ، ثم إرادة جبارة حكيمة تقدر ممكنات الواقع ، ثم نزاهة خلقية كاملة ، ثم صرامة عادلة لا تأخذ البرىء بجريرة المجرم ولا تطغى فتظلم الأنصار وتسىء الحكم عليهم وتحرم الهيئة الحزبية ومجموع الأمة من خدماتهم

وأما تقدير خدمات العاملين فعاطفة طبيعية فى نفس كل زعيم ، ولكن الزعيم الحقيقى الشاعر بمسؤولياته العظيمة حيال أمته وحزبه ، لا يمكن أن يقدر خدمات العاملين بمنحهم مناصب ورواتب وامتيازات لا تتفق وكفاياتهم ولا تفضى الى ما فيه نفع الأمة وخير الوطن

[خلاصة مقال لأندرية موروا عن ليزانال]

آراء لنابليون

فى الديكتاتورية


نابليون

جمع الباحث الفرنسى ادريان دانسيت هذه الآراء من مختلف مذكرات وخطب وأحاديث نابليون . وهى من العمق والدقة بحيث يفيد منها كل من يود اجراء شبه مفاضلة أو موازنة بين فكرة الديكتاتورية عند نابليون وعند موسولينى وهتلر :

قال الامبراطور نابليون :

« الفوضى هى التى تمهد السبيل لظهور الحكم المطلق ممثلا فى شخص الديكتاتور . فمتى اضطربت الأداة الحكومية ودب النزاع بين الاحزاب ، وعجز رجال الدولة عن وضع خطة صريحة واضحة لانقاذ شعب أبى ، فغريزة البقاء هى التى تسيطر على هذا الشعب ، وهى التى تدفعه الى البحث عن الديكتاتور المنقذ »

« إنى بطبعى من أنصار الحكومات المعتدلة . . وقد لا يصدقنى الناس عندما أجاهر بهذا الرأى ، بل ان منهم من يعتقد اعتقاداً راسخاً بأنى ديكتاتور بالدم والفطرة . . ولكن الحقيقة هى انى فى ظروفى الحاضرة وفى الظروف التى تجتازها فرنسا ، مجبر على استخدام الشدة والا عاد الاضطراب فعصف بأنظمة البلاد ، وحرمنى النوم فى مخدعى فى قصر التويلرى . . »

« كانت فرنسا فى حاجة الى حكومة قوية . وكانت فى عهد حكومتى تطلب الديكتاتور المنقذ كما طلبته روما لانقاذ جمهوريتها . ولقد طمعت دول أوربا فى موارد فرنسا فشرعت تؤلب العالم علىَّ وتعقد المحالفات ضد حكومتى ، فكان من واجبى أن أقاوم التهديد وأحاول ان أنتصر . والواقع انى لم أدوخ الأمم وأغزو البلاد الا وأنا أدافع عن نفسى . وما السر فى الحروب التى أثارتها دول أوربا علىّ الا كراهيتها لمبادىء فرنسا الحرة . والحق انى أجبرت على الهجوم لئلا أذهب أنا نفسى فريسة للمهاجمين »

« لو قدر لى ان أموت هادئا على فراشى ، وأتيحت لى فرصة أضع فيها وصيتى ، لنصحت الشعب الفرنسى ألا يحل محلى بعد وفاتى رجلا عسكريا مثلى ! . . »

« أنا لا أكره الحرية . ولقد استبعدتها عندما شعرت انها تعترض طريقى ، طريق انقاذ

فرنسا ، ولكني أفهم الحرية حق الفهم ، ولقد تغذيت منها ونشأت فى مهدها »

« قد أرضى فى ختام حياتى بان أكون ملكا دستوريا . . »

« أردت أن أنشىء امبراطورية عالمية تقر السلم وتسعد الناس ، فلم أصطدم من الفرنسيين بمعارضة تذكر . ولكن بعضهم ثبت فى وجهى بأشد مما ثبت الملوك والقياصرة . ولقد طلبت إلىّ هذه الطائفة المعارضة أن أجرى انتخابات حرة ، وأصرح بالنقاش العام ، وأمنح الحرية ، وألقى على الوزراء عبء المسئوليات ، ولا أخنق الصحافة . وعندى أن خنق حرية الصحافة ضرب من السخف . ولقد أصبحت مؤمناً بهذه الفكرة . وأما الحرية السياسية فأكون مديناً للشعب بتحقيقها اذا أصر الشعب على طلبها »

« أنا من الشعب ، والشعب يلبى ندائي ويجيب سؤلى . انه لينظر إلىّ كما ينظر الضعيف إلى حاميه وملجأه ، الى الرجل الذى فى وسعه انقاذه من عسف النبلاء . ولو انى وجدت أن هناك طريقاً لحكم هذا الشعب وفق أحكام دستورية لما ترددت فى اتباع هذا الطريق . . »

« ان واجب الحكومة الشاعرة انها جاءت بعد عصر انقلابات وثورات ، وان العدو يهددها من الخارج ويقف لها بالمرصاد ، واجب هذه الحكومة يقضى عليها بان تقسو وتشتد فى الضرب على أيدى العدو فى الخارج والاجهاز على عمل الدساسين فى الداخل . وأما السلم ، فلا أحب الىّ بعد ان أقره فى نصابه من أن أخلع ثوب الديكتاتور وأنشىء حكومة دستورية وأبدأ عصراً جديداً . وفى يقينى ان حكومتى برغم شدتها تحمل من الأفكار والتعاليم والنظم الحرة أكثر مما تحمل أية حكومة غيرها من حكومات أوربا . . »

ومما قاله فى أواخر عهده وقبل هزيمته فى واترلو :

« أعترف بسيادة الشعب . يجب ان أصيخ السمع لارادة الشعب بل وأستمع لنزواته . أنا لم أفكر فى استعباده أبداً . لم أفكر فى استعباده للذة شخصية . كنت أحلم بالعظائم وأعد الشعب لمصير رائع . ولكن القدر شاء غير ذلك . وأنا أحس الآن انى لم أعد ذلك القائد الفاتح الذى كنت أتصور . ليس فى مقدورى ان أكونه . ولقد أدركت اليوم ما يمكن أن يتحقق وما هو مستحيل التحقيق . وكل ما أبغى هو انهاض فرنسا ومنحها الحكومة التى تلائمها . . »

هذه بعض أقوال نابليون ، وهى أقوال رجل سياسى تختلف باختلاف الظروف التى أوحت بها . ومع ذلك ففكرة السيطرة تختلط فيها بعاطفة الحنين الى الحرية . وأما العبارات الأخيرة فيلمح القارىء ولا شك بين تضاعيفها أثر الاعتدال الذى أوجده فى ذهن نابليون تألب الدول عليه ومحاولتها اسقاطه . ولو أن نابليون كان أقل عظمة واعتداداً ، وعرف أين يوجد الحد الفاصل بين مجد فرنسا ومجده الشخصى ، فمنح البلاد فى ساعة مؤاتية ومن تلقاء نفسه حكومة دستورية

تقيد تصرفاته وتحد من غلواء مطامعه ، لو فعل ذلك ماكان مصيره الفشل ومصير فرنسا أن تكلل بالغار على كومة من الخرائب والجثث

[ملخصة عن مجلة ليزانال]

لغة اليد تنافس لغة اللسان

فى كثير من النواحى نتكلم بغير كلمات

اتخذ الانسان « لغة الاشارة » وسيلة للتخاطب منذ نشأته الأولى . فمن المرجح أن بناة الأهرام كانوا يتحدثون معاً بالاشارات والايماءات ، إذ لا يتيسر لهم أن يسمعوا أصوات بعضهم بعضاً وسط دوى الصخور الهائلة وجلبة العمال المحتشدين . وكذلك وجد الرجل الأبيض عند ما هبط أمريكا القبائل المختلفة تتفاهم معاً بحركات الأعضاء والأطراف ، وقد قدر أحدهم أنها كانت تغنيهم عن أكثر من ثمانمائة لفظة وجملة

وما زلنا اليوم نلجأ إلى هذه اللغة كثيراً ، بل ان حاجتنا اليها تزداد يوماً فيوماً لتشعب مرافق الحياة واتساعها . فهى أفضل وسائل التعبير والتفاهم فى أعمال الطرق الحديدية والطرق الجوية ، وفى تنظيم حركة مرور المشاة والعربات ، وكذلك أمام ميكرفون اللاسلكى والسينما ، وفى التمثيل المسرحى ورئاسة فرق الموسيقى ، وفى الاشراف على الألعاب الرياضية ، وفى أسواق المضاربات المالية ، وفى كثير من حركات جنود الجيش وبحارة الأسطول ، وحيث يدوى ضجيج آلات المصانع وأعمال الهدم والبناء

هذا ، وكل منا يتكلم « بالاشارة » كل يوم مرات . فكثيراً ما يكتفى في تحية الناس بمصافحة صامتة أو باشارة الى جبينه ، وفى توديع المسافر بتلويح يده ومنديله فى الهواء . وكثيراً ما يبدى اشمئزازه بسد أنفه ، أو يظهر غضبه بهز قبضته ، وهكذا من مختلف الاشارات التى تعد « لغة عالمية » يتخذها ويفهمها الناس من جميع الشعوب

ولغة الاشارة هى اللغة الوحيدة التى يتفاهم بها فريق كبير من البشر ، هم البكم والصم ، الذين يعبرون بها عن آرائهم تعبيراً كاملا دقيقاً . فى مدينة لوس انجيليس بأمريكا يخطب أحد رجال الدين فى يوم الأحد من كل أسبوع جماعة من الصم والبكم خطبة مسهبة مؤثرة دون أن ينطق بكلمة واحدة !

وتتألف لغة الاشارة التى يتحدث بها الأبكم من جزئين : فهو يشير باحدى يديه تعبيراً عن

الألفاظ المفردة ، ويشير بيده الأخرى دلالة على الجمل المركبة . على أنه يوفق بين الجزئين فى أغلب الحالات توفيقاً يدل على المهارة والبراعة . فاذا أراد أن يذكر « الكلب » ضرب إبهامه بوسطاه كما نفعل حين ندعو الكلب الينا ، وإذا أراد أن يقول « رجل غنى » ملأ جيبه بقبضة يده . وهو يعض اصبعه حين يتكلم عن الحقد ، ولعله يعنى بذلك أن الحقود لا يضر إلا نفسه . وقد يجمع بين اشارتين تعبيراً عن شيء واحد ، « فالفحم » يعبر عنه بالصلابة والسواد ، و « الجار » يعبر عنه بالمنزل والقرب

وتؤدى لغة الاشارة دوراً كبيراً فى كثير من مرافق الاعمال . ففى أعمال النقل نجد الأيدى تنوب عن الألسن منذ أن كان النقل بالدواب والعربات الى أن صار بالقطارات والطائرات . ففيما مضى كان المسافر على عربة اذا اقترب من محطة لتغيير الخيول المتعبة بأخرى نشيطة ، لوح بيديه فى الهواء من بعيد إشارة لصاحب المحطة أن يعد الخيل سريعاً . واليوم نجد فى « سجل القواعد » التى تسير عليها ادارات السكك الحديدية فى أمريكا سبع اشارات متفق عليها لتسيير القطارات وايقافها ، ولتنظيم سرعتها واتجاهها . والى جانب هذه الاشارات عشرات أخرى اصطلح عليها السائقون والمهندسون والعمال لتيسير أعمالهم . فمثلا اذا وضع السائق قبضة يده على فمه الفاغر ، دل ذلك على أن القطار فى حاجة الى ماء ، واذا وضع ابهامه فى أذنه وحرك أصابعه الأخرى الممتدة الى أعلى ، كان معنى هذا أن هناك « عربة بضاعة » ، وهكذا . . .

وكذلك فى المطارات حيث يكاد أزيز الطائرات أن يصم الآذان ، يلجأ الطائرون والمهندسون الى أيديهم يتحادثون بها . فاذا أراد منظم حركة المطار أن يأمر طياراً بأن « يثبت فى مكانه » رفع ذراعيه متقاطعين . واذا أراد أن يذكر أن الطائرة « وصلت فى الوقت المحدد » كون دائرة من سبابة يده اليمنى وابهامها

ومن الواضح أن لغة الاشارة ضرورة لا غنى عنها فى غرف الاذاعة اللاسلكيــة ، حيث لا ينقطع « الكلام الصامت » بين المذيعين والمهندسين والفنانين والمحاضرين والمغنين . فنجد المذيع يأمر المغنى مثلا أن يقترب أو يبتعد من الميكروفون ، أو يأمر المحاضر بأن يسرع أو يتمهل فى القائه ، دون أن يسمع الجالسون الى الراديو شيئاً من هذه الاوامر التى يعبر عنها بمختلف الاشارات والايماءات المتفق عليها

ولما ظهرت السينما المتكلمة فى سنة ١٩٢٧ وجد المخرجون ألا بد لهم أن يدعوا الكلام الى الاشارة . فوضعوا شبه « قاموس » لهذه اللغة الجديدة التى يخاطبون بها الممثلين والمصورين والمضيئين أمام أجهزة التقاط الأصوات . وكذلك يتخذون لغة الاشارة فى توجيه الكلاب والخيول وسائر الحيوانات التى يتطلبها التمثيل السينمائى ، وهم لهذا يمضون الشهور الطويلة فى تدريبها على تفهم اشارات الأيدى واطاعتها

وما زال الناس فى المشروعات الهندسية الكبرى يلجأون الى ما لجأ اليه بناة الأهرام من التخاطب بالاشارات والايماءات ، بدلا من الألفاظ والعبارات التى لا تسمع وسط دوى الآلات الهائلة ، وقصف البارود المتفجر مما تستلزمه أعمال شق الارض وحطم الصخور ، وحفر الخنادق

وكذلك اصطلح الجنود منذ القدم على تنظيم حركاتهم وتوجيهها طبقاً لاشارات يتنادون بها وهم متفرقون على مسافات بعيدة . فمن الاشارات ما اتفق عليه جنود الجيش الامريكى فى حروبه الاولى مع القبائل الهندية ، فكان القائد يدير ذراعه الى أعلى عدة مرات اذا أراد أن يهرع جيشه الى قمة الجبل أو سفح الهضبة ، ويمد ذراعه الى أسفل ويشير بكفه الى الارض مراراً اذا أراد أن ينبه جنوده الى الاختباء من العدو والاعتصام فى الخنادق وبين الصخور ، ثم يدير ذراعه فوق رأسه مرات اذا أراد أن يجمع جنود الجيش حوله لأمر ما . وليست الأعلام التى يتنادى بها بحارة الاسطول الا ضرباً من ضروب لغة الاشارة

وفى أسواق المضاربات المالية حيث تجرى كثير من المناورات والمكائد ، يلجأ المضاربون الى عقد كثير من الصفقات ، والى فسخ كثير من العقود دون أن ينطقوا بكلمة واحدة ، بل يكتفون بإيماءة من الرأس ، أو اشارة من العين ، أو حركة من الاصبع أو الشفة . وفى سوق القمح بشيكاغو تتنقل ملايين الدولارات كل يوم بين الأيدى المختلفة ، بينما الصمت المطلق يشمل أرجاء السوق حيث لا تسمع الاذن شيئاً

ودخلت لغة الاشارة الى ساحات الرياضة ، حيث اتفق كثير من لاعبي كرة القدم على اشارات معينة ، يعبرون بها عن الأخطاء التى يرتكبها اللاعبون ، ويتخذونها فى تنظيم المباريات وتوجيه المشتركين فيها . ومن المعروف أن فتيان الكشافة وفتيات المرشدات يستطيعون أن يتفاهموا فيما بينهم دون حاجة الى الكلام ، اذ أن من الضرورى أن تتخذ هذه الحركة العالمية ضرباً « عالمياً » من الكلام ، وهو الكلام بالاشارة

والمشاهد أن لغة الاشاره تنمو وتنتشر حيناً بعد حين ، تبعاً لاتساع نواحى الحياة وتشعب مرافق الاعمال . وقد قال أحد الباحثين « إن هذه « اللغة » طبيعية فى تعبيرها ، أمينة فى أدائها ، مما يمكنها من أن تظل حية دائماً أبداً . وهى ضرورة لا غنى عنها ما دام فى وسع العين أحياناً أن تصل الى حيث لا تصل الأذن . وكذلك فى المواقف التى ينبغى أن يسود فيها الصمت ، وأن ندع فيها الجهر الى السر »

[خلاصة مقال في مجلة « بوبيولار ميكانيكس »]

الحب عند المرأة

هو انعكاس عاطفة الأمومة

إن الأصل فى الحب هو الأنانية ، ولكنها أنانية غيرية تفيض من النفس على الآخرين وتقوم بالخوارق والمعجزات

فأنت ان أحببت امرأة مثلا ، أردت اسعادها ، فأغدقت عليها من صنوف الرعاية ما تعتقد انه سوف يجعل منها أميرة بين النساء . ولكن رغبتك الشديدة هذه فى إسعاد مخلوق ، تنم فى الواقع عن رغبتك الخفية في إسعاد نفسك . فكأنك تنشد نعيمك الشخصى فى النعيم الذى تبدعه من عصارة فكرك وعملك وتقدمه هدية لأحب الناس اليك

فخيرات الحب تنحدر منك وتعود اليك ، وتسعد فى نفس الوقت غيرك . وهذه هى الأنانية الغيرية فى معناها الأسمى

ولكن هذه العاطفة أقوى فى طبيعة المرأة منها فى طبيعة الرجل

فالرجل يحب ويخلص ويغدق خيراته على من يحب ، غير أن احساسه الشديد برجولته يلهب فيه شعور الاعتداد بالنفس ، ويغلب فى صدره عاطفة الأنانية ، ويجعل خيرات الحب ترتد اليه ، فيصيب منها أضعاف ما تصيبه المرأة

أما المرأة فمتى أحبت تغلبت فيها الغيرية على الأنانية ، وارتدت خيرات حبها الى الرجل وانحصرت فيه وتركزت فى شخصه

لماذا ؟

لان المرأة تحب بأنوثتها الكاملة . أى تحب كامرأة وام

وحيث ان الطبيعة أعدتها للامومة ، أى أعدتها لتضحية النفس المطلقة فى سبيل الطفل دون توقع شكر أو جزاء ، فهى تنقل هذا الاحساس نفسه فى محيط حبها للرجل ، لتخلص له ، وتتفانى فى خدمته ، وتجاهد ما استطاعت لتعامله معاملة الطفل ، كى تستأثر به ، وتجود عليه بكل ما أودعته الأمومة فى صدرها من فضائل الحرص والتضحية وانكار الذات

وهذا هو السر فى ذلك الحنان العجيب الذى يملأ قلب المرأة متى أحبت

ذلك الحنان هو نعمة الحب ، وهو انعكاس عاطفة الامومة على عاطفة الحب

وفى وسعك أن تقيس مدى الحب عند المرأة بمبلغ ما تشعر به من حنان تجاه الرجل الذى تحب فان كانت تعامله فى رفق ، وتتواضع أمام نزواته ، وتسهر عليه ، وتؤاسيه ، وتميل الى

طاعته ، ولا تؤاخذه على هفواته إلا لتصفح عنه ، فاعلم أنها تشرف عليه من قمة أمومتها ، وتعامله على اعتبار انه طفل خرج من أحشائها ، وتحبه حبها ذلك الطفل المعبود سواء بسواء

ومن هنا يتبع فرح المرأة . فهي تفرح لا لأن حبها يسعدها سعادة أصلها الانانية ، بل لأن حبها يمكنها من خلق انسان خلقا جديداً ، والتضحية في سبيله بكل مرتخص وغال

ولهذا السبب لا يفهم الرجل المرأة حق الفهم

فهو يحبها كرجل ، وهي لا تستطيع أن تحبه الا كطفل

وهو يعاملها في جد وصرامة ، وهي تأبى الا ان تمزج حبها اياه باللهو كما تفعل بطفلها الصغير

والرجل يسمى هذا الضرب من الحب طيشاً ، والمرأة تسرف وتسميه جنونا ، لأن الرجل ملك عقله ، والمرأة ملك غريزتها ووظيفتها وما أعدتها الطبيعة للقيام به

ولن يظفر الرجل من المرأة بالسعادة التي ينشدها في حبها ، الا متى نزل عن كبريائه ، وتجاوز عن مطالب رجولته ، واستحال بين يدي زوجه أو معشوقته الى طفل ، أو راض نفسه على تقبل حبها بفؤاد طفل وحاجات طفل

عندئذ تشعر المرأة شعور الأم . تشعر انها الحاكمة المسيطرة ، فتفتح كنوز قلبها وتفيض منها على الرجل ، فيحس الرجل ذلك الحنان العجيب الذي يمثل نعمة الحب

وأكبر الظن ان كبرياء الرجل هي التي تعوقه عن التمتع الطويل بالحب . فهو لا يطيق أن يمثل على الدوام دور طفل . لا يطيق الرعاية والتدليل ، لا يطيق النصح والارشاد وفرض الوصاية ، لا يطيق من المرأة أن تنحدر بعقله وفكره الى مستوى الطفولة كي تسعده

وتلك هي مشكلة المشكلات

وحلها يقتضي الاعتدال والتوسط . اعتدال المرأة في محاولة كبح جماح الرجل والغض من رجولته وكبريائه ، واعتدال الرجل في التلويح بهذه الرجولة ، والمباهاة بتلك الكبرياء

ولكن هل يعرف حب المرأة قانون الاعتدال والتوسط ؟

انها متى أحبت خضعت لفطرة الأمومة وأسرفت في حبها وعلقت اخلاصها على ما يمكن أن تحققه في نفس الرجل من روح الطفولة ونزعاتها

فلينزل الرجل على حكم هذه الحقيقة إذن ، وليفهمها ، ويتحاشى التبرم بها ، ويجتهد في استخدام عقله لقبولها وتلطيفها

ولو حاول ونجح ، فما لا يقبل الريب انه سيروع ويبهت . سيروع لفرط ما يغدق عليه من نعم ، ويبهت لفرط شعوره بان المرأة وحدها بنت الطبيعة ، وان الله قد اصطفاها من دون مخلوقاته ، وحباها القدرة على أن تصبح متى أحبت ملكا في صورة انسان

[بقلم اندرية موروا عن مجلة كونفرانسيا]

الدول تحارب فى الهواء

الراديو : أقوى وسائل الدعاية السياسية

تنشب بين الدول الكبرى فى كل يوم حرب حامية الوطيس ، ولكنها لا تقذف ناراً ولا تطلق غازاً ولا تريق دما ، إذ هى تجرى بين نسمات الهواء وأمواج الريح ، ممزوجة بألحان الوسيقى وأنغام الغناء !

هذه هى حرب الدعاية اللاسلكية التى فطنت الدول الى أثرها العظيم فى نشر مبادئها ، وتبرير أعمالها ، وتسفيه خصومها ، وتوجيه الرأى العام الى مناصرتها وتأييدها

تقوم هذه الحرب بين ست دول كبرى : أربع من الدول الديكتاتورية هى المانيا وايطاليا وروسيا واليابان ، واثنتان من الدول الديموقراطية هما بريطانيا وأمريكا . وتتخذ ساحاتها فى أربع مناطق كبرى ، تختلف فيها أساليب النضال ، وأهداف القتال

أولى هذه الساحات هى أوربا الوسطى حيث تصطدم المانيا وروسيا فى كل يوم صداما عنيفا ، إذ يسعى كل منهما الى بث مبادئه وآرائه بين مختلف الشعوب التى تضطرب فى تلك المنطقة بين دعايات برلين وموسكو

وقد كانت روسيا أسبق الدول الى ادراك خطورة الدعاية اللاسلكية ، فتولتها ونظمتها وأعدت لها أساليب محكمة وأموالا طائلة ، وتبعتها فى ذلك المانيا منذ أن تولى النازى أمرها . وقد أنفقت كل من الدولتين ملايين الجنيهات فى انشاء محطات لاسلكية كبرى ذات موجات قصيرة ، ليتيسر سماعها فى أنحاء أوربا الوسطى جلية واضحة ، فأقامت روسيا على طول حدودها الغربية خطا من أقوى محطات الاذاعة وأحدثها ، وقصرتها على الأذاعة باللغتين الألمانية والايطالية وحدهما. ورأت المانيا أن تحمى نفسها مما تذيعه روسيا من أخبار ومحاضرات ، فأقامت « خط دفاع » من محطات الاذاعة ، مهمته أن يعترض ويشوه ما تذيعه محطات الروسيا ، وكثيراً ما تكتفى هذه المحطات الألمانية باذاعة صفير منكر يتعذر أن يتبين السامع من خلاله ما تذيعه المحطات الروسية . على أن المانيا لم توفق فى هذا المشروع التوفيق الفني الذى تبتغيه ، وظل فى وسع الالمان أن يسمعوا ما يذيعه أعداء النازى من دعايات صحيحة وكاذبة ، رغم أن حكومتهم تحرم عليهم سماع ما تذيعه هذه المحطات المعادية ، وتعد هذا العمل جريمة يلقى مرتكبها فى السجن أو يساق الى مراكز الاعتقال

وقد فكرت الحكومة الالمانية منذ بضع سنوات فى مشروع تجاري ، تريد به فى الظاهر ترقية

الشعب وترفيهه ، وتقصد منه فى الواقع الى مقاومة هذه الاذاعات الاجنبية . وذلك بان تحتكر صناعة أجهزة الراديو ، وأن تخرج منها طرازاً واحداً ضعيفاً تسميه « راديو الشعب » وتبيعه بثمن زهيد . وهى بذلك تريد ألا تضع فى أيدى الأفراد الا هذه الأجهزة الضعيفة التى لا تستطيع التقاط ما تذيعه المحطات الاجنبية البعيدة . ولكنها تبينت أن هذا المشروع لن يحقق غايتها ، لأنها لن تستطيع أن تقضى على الأجهزة القوية التى يتيسر صنعها خلسة وتهريبها سراً . والواقع أن الالمان قلما يشترون الأجهزة الضعيفة وغالباً ما يقبلون على الأجهزة القوية ، فقد سئموا ما تذيعه محطات المانيا من أخبار ومحاضرات متشابهة وأخذوا يصغون الى المحطات الاجنبية وما فى برامجها من تنوع واختلاف

وليست جهود المانيا فى هذه الناحية مقصورة على مقاومة الاذاعات الاجنبية ، بل تتعداها الى مقاومة الاذاعات الداخلية التى يبثها أعداء النازى . فما زال الحزب الالمانى الشيوعى يناضل فى مخابئه ، وهو يملأ جو المانيا باذاعاته المعادية التى تبدأ دائما بهذه العبارة : « تسمعون الآن المحطة التى يديرها الحزب الالمانى الشيوعى رغم أنف الحكومة .. » وقد تعبت الحكومة كثيراً فى سعيها إلى كشف مقر هذه المحطة التى تنتقل كل يوم من مكان إلى مكان

وروسيا أسوأ حظاً من ألمانيا فى هذه الاذاعات الداخلية المعادية ، إذ يتيسر لخصومها أن يجدوا مأوى أميناً فى فيافيها الفسيحة لمحطاتهم التى تملأ جو روسيا بانذارات يتوعدون بها ستالين وأعوانه . والى جانب هذه المحطات السرية البرية ، محطات سرية بحرية ، أقامتها الاحزاب والجماعات الناقمة على حكومات بلادها ، وسط السفن التى تجرى فى البحر الشمالى وبحر البلطيق والبحر الاسود والبحر الابيض المتوسط

* * *

وندع الآن أوربا الى ساحة الحرب الثانية ، وهى الشرق الادنى وشمال افريقيا ، حيث تتحارب بريطانيا وايطاليا حرباً لا هوادة فيها

وقد ظلت بريطانيا حتى سنة ١٩٣٠ تحتكر الاذاعات اللاسلكية التى تسمعها الشعوب الاسلامية فى تلك المناطق ، ولكن لم تلبث ايطاليا أن زاحمتها فى هذه الميادين وغزتها باذاعات تتميز غيظاً وحقداً . وقد نجحت الدعاية الايطالية الى حد ما ، لانها كانت عنيفة قاسية فى هجومها ، على نقيض الدعاية البريطانية التى تلجأ الى التحايل وتؤثر المداورة . وقد بلغت الحرب بين القوتين أشدها فيما بين سنة ١٩٣٤ وسنة ١٩٣٦ ، ثم اتفقتا على الهدنة والمسالمة . ولكن ايطاليا وجدت فرصة سانحة لاستئناف حملتها على بريطانيا ، فى هذا الموقف الذى تعانيه فلسطين فى العهد الاخير . وقد أقامت إيطاليا عقب هذا الاتفاق سبع محطات جديدة لنشر دعاياتها فى الشرق الأدنى ، فبلغ عدد محطاتها المخصصة لهذه المناطق وحدها ثلاثين محطة

وهناك فى الشرق الأدنى نجد الساحة الثالثة التى تصطدم فيها روسيا واليابان . وتتجه اليابان فى دعايتها الواسعة المنظمة إلى الصين وسيام والهند وجزائر الهند الشرقية ، حيث تبث فى أذهان شعوبها الفكرة المغرية الأخاذة عن « آسيا للآسيويين » . ولكن كثيراً من مستمعيها يدركون شيئاً فشيئاً أنها إنما تعنى في الواقع أن « آسيا لليابانيين »

على أن اليابان وروسيا تواجهان عقبة كبرى ، هى عجز أغلبية أهالى تلك الأقاليم الفقيرة عن اقتناء أجهزة تسمعهم هذه الدعايات المستمرة . فأخذ دعاة كل من الدولتين يؤجرون ردهات فسيحة يدعون اليها أفواج الناس ليستمعوا إلى ما يذيعه عليهم « الراديو » من موسيقى وغناء تتخللها الأخبار والمحاضرات التى تشيد بالعلم الأحمر أو بمجد الشمس المشرقة

أما ساحة القتال الرابعة فهى أمريكا الجنوبية ، التى كانت أسواقها التجارية ميدان حرب عنيفة طويلة بين منتجات ألمانيا ومنتجات الولايات المتحدة الأمريكية

وقد اتخذت ألمانيا محطة « زيسن » لنشر دعاياتها فى دول أمريكا الجنوبية ، فاضطرت حكومة الولايات المتحدة إلى إنشاء محطة رسمية تذيع منها ما تقاوم به دعاية ألمانيا فى هذه الأسواق . وهذه هى المحطة الوحيدة التى تذيعها حكومة الولايات المتحدة ، أما سائر المحطات اللاسلكية فيملكها الأفراد والهيئات المستقلة . وقد اقترح على « المؤتمر الأمريكى » مراراً أن يولى الحكومة الاذاعة اللاسلكية ، ولكنه رفض ثقة منه بأن المحطات الاهلية لن تتوانى عن أداء ما فيه خدمة سياسة الامة واقتصادها . وقد بحث مؤتمر « لِما » الأخير فى أمر الدعايات المغرضة التى تذيعها ألمانيا فى ربوع أمريكا الجنوبية ، غير أن الولايات المتحدة لم تشأ حتى الآن أن تشن على ألمانيا حرباً رسمية من هذا القبيل ، وإن كانت قد تأهبت لمقاومة دعاياتها المسرفة بمحطة هائلة ستكون أقوى ما سمع العالم من محطات الاذاعة [خلاصة مقال لجاك منجرين فى بارى سوار]

استصدار شهادات

طبية قبل الزواج

هل يجب على كل من الشاب والفتاة أن يستصدر شهادة طبية قبل زواجه ، وهل الأخذ بمثل هذا النظام يمكن أن يعود بالنفع الاكيد على الأسرة والعنصر والدولة ، وهل يمكن تطبيق هذا النظام تطبيقا عادلا صارما لا تهدمه ظروف الحياة الواقعة ؟

لقد طرحت هذه الأسئلة على ثلاثة من كبار الأطباء الفرنسيين واليك خلاصة ردودهم ؟

قال الطبيب العلامة الدكتور جيو : يبدو لى أن المشكلة قبل كل شىء مشكلة أخلاقية . فالرجل الملوث المريض الذى يعلم بمرضه ثم يتقدم لخطبة فتاة ، هو دون شك رجل غير شريف . وفى وسع هذا الرجل أن يعتمد على ماله فى رشوة أحد الاطباء وفى استصدار شهادة زائفة تخوله حق الزواج بمن يهوى . فكيف نحصر هذا الخطر فيما بعد ، وكيف يمكن أن نتهم الطبيب ، وكيف نستطيع أن نجزم بأن المرض كان متأصلا فى جسم الزوج قبل الزواج ؟

الواقع انى لا أطمئن الى مثل هذا النظام وأوثر أن أطلق الحرية للافراد ، على أن يتلقوا فى المدارس والجامعات دروساً فى هذا الموضوع الخطير تجعل كلا منهم يشعر شعوراً طبيعياً فطريا بأن واجب الشرف يحتم عليه عدم الزواج وهو مريض

وقال الدكتور ريموزا :

« لانستطيع أن نضبط هذا النظام ، ونأمن على حسن تطبيقه ، الا اذا تدخلت الحكومة فيه وأخذت على عاتقها واجب تنفيذه . فينبغى أن تختار الحكومة عدداً من الاطباء الرسميين وأن تعهد اليهم وحدهم فى اصدار الشهادات التى تجيز الزواج ، وان تعدهم مسؤولين عن كل شهادة تصدر ، وكل زواج يعقد . ولكن ما هو مدى هذه المسؤولية ، وكيف يمكن أن تعين الوقت الذى تسقط هذه الشهادة بعد انقضائه ، والذى يحتمل فى خلاله أن ينشأ عند الزوج أو الزوجة مرض طارىء خطير ؟ لا ريب أن الصعوبات كثيرة ، وأوجه الضبط والتنظيم شاقة . وقد نطمئن الى شهادة الزواج ويزداد شعورنا بالأمن اذا وقعها عدد من الاطباء الرسميين لا طبيب واحد . ولكن هذا كله يتطلب انشاء مصلحة كبيرة تستغرق من جهود الدولة ومالها الشىء الكثير

« تخير الامور عندى أن تنصح الصحف والهيئات العامة ، بحيث يكتفى الاسر باستصدار الشهادات الطبية قبل الزواج بواسطة طبيب العائلة ، ولا يخرج الامر عن حد النصيحة . إذ الاجبار قد يفضى الى الغش والتزوير وتسميم ضمائر الاطباء »

وقال الدكتور شارل ميجريه :

« لو طبقنا هذا النظام أنقذنا الاسرة والجنس والدولة من أخطار هائلة . ومهما حاق بهذا النظام من ضروب الغش ، فستكون منافعه اكثر من اضراره ، وسيعتاده الناس من تلقاء انفسهم ، وقد تساعد فضائح سوء تطبيقه على انتشاره وتعلق الجماهير به . فلندافع عن ابنائنا وعنصرنا ووطننا ، ولنعلم ان الزواج مسألة فيزيولوجية بيولوجية لا مسألة عاطفة مجردة »

تلك هى اجوبة الاطباء الثلاثة ، ننشرها بدون تعليق وندع للقارىء الحكم لها او عليها

[ملخصة عن مجلة لاريفو مونديال]

العلم والعالم

الأسطول الفرنسى يجرى على الأرض

أعدت فرنسا منذ قريب مشروعا هندسيا خطيرا ، قد يؤدى الدور الاول فى الحرب البحرية القادمة ، اذ يوفر على الاسطول الفرنسى مسافة ١٫٢٠٠ ميل يجتازها الآن فى عرض المحيط ، ويستبدل بها مسافة لا تتجاوز ٣٠٠ ميل يقطعها على سطح اليابسة !

وسيقام الى جانبى هذه الطرق كل الوسائل الوافية بوقايتها من الغارات الجوية ، التى سيكون من أهم اهدافها أو من أولى أمانيها تحطيم هذه المنشآت الهندسية العظيمة ، التى تشق للاسطولين المتحالفين الفرنسى والبريطانى ، طريقا مختصرا مأمونا ، يلجآن اليه اذا ما تعرض جبل طارق



فالآن ينتقل الاسطول الفرنسى من البحر الابيض الى المحيط الاطلنطى مارا حول سواحل اسبانيا والبرتغال ، مجتازا مضيق جبل طارق . أما بعد اقامة هذا المشروع ، فستجرى منشآته على طريق حديدى يمتد فى أرض فرنسا بين شاطئيها الجنوبى والغربى

وسيكون طريقا حديديا عظيما ، يتسع لقطع الاسطول الضخمة من البوارج والنسافات والطرادات والغواصات . وستنشأ محطات كبرى لتوليد القوة الكهربائية اللازمة لنقل قطع الاسطول من البحر الى الشاطىء . وسيقام الى جانب هذا الطريق ، طريق للقطارات السريعة وطريقان للسيارات ، ترحل عليها بحارة الاسطول ومعداته الخفيفة

لخطر ما ، أو اذا ما وقفت اسبانيا فى الحرب موقفا معاديا ، أو اذا ما اقتضى الامر ضربة سريعة عاجلة

هذا وسيؤدى هذا الطريق الى تنشيط حركة الملاحة التجارية فى ايام السلم ، باختصار مسافات السفن وتقليل نفقاتها

السيارات فى الدول المختلفة

انتج العالم فى اثناء السنة الماضية ٣٫٩٩٦٫٧٥٤ سيارة ، انشأت منها الولايات المتحدة الامريكية وحدها ٢٫٤٨٩٫٦٣٥ سيارة ، واخرجت بريطانيا العظمى ٤٤٧٫٥٦١ سيارة ، والمانيا ٣٢٨٫٠٠٠ سيارة ، وفرنسا ٢٢٠٫٣٤٣ سيارة ، وروسيا ٢٠٥٫٠٠٠ سيارة

وقاية الاطفال من الغازات السامة

الاطفال أشد من آبائهم تعرضا لاخطار الغازات السامة ، اذ لم توفق المصانع بعد لاخراج كمامات تلائمهم وتقيهم

وقد اقترحت بعض المؤتمرات الدولية أن تخصص للاطفال مناطق نائية عن المدن يرحلون اليها أيام الحرب ، وان تتفق الحكومات المتحاربة على أن تكون لهذه المناطق حرمة المستشفيات ، فلا تقذفها بقنابلها وسمومها . ولكن من الواضح ان الجيوش لا يعنيها سوى النصر والغلبة من أى طريق ، فلا تلقى بالها الى مثل هذه الاتفاقات



ولكن لعل فى هذه العربة التى ظهرت فى أمريكا أخيرا ما يطمئن الآباء والامهات على حياة صغارهم . فهى مغطاة من كل جانب غطاء محكما، وفى أعلاها منفذ وضعت فى فوهته المواد الكيمياوية التى تشتمل عليها الكمامات الواقية ، فلا يدخل الهواء الى الطفل النائم فيها الا بعد أن يصفى من الغازات السامة . أما الهواء المحتبس فى الداخل فينصرف من فوهة أخرى تشبه فتحة الكمامة ، فلا تسمح للهواء الخارجى بأن ينفذ الى داخل العربة .

وهكذا قد نرى غدا فى الطريق أما كهذه تغطى وجهها بالكمامة ، وتدفع أمامها عربة ابنها الواقية !

علماء أمريكا يقاطعون المانيا

قررت المعاهد والهيئات العلمية فى أمريكا ، أن تقاطع كل ما تستورده من المانيا من المواد والادوات التى تتطلبها معاملها وعلماؤها . وذلك « تعبيرا عن استهجانها لمسلك النازى تجاه العلم والعلماء »

ويقدر ما تخسره المانيا من جراء هذه المقاطعة بمبلغ ١٫٦٠٠٫٠٠٠ جنيه ، منها ٣٠٠٫٠٠٠ جنيه قيمة ما تستورده الجامعات الامريكية لمعاملها من الاجهزة والمواد . والباقى قيمة ماتستهلكه المنشئات الصناعية فى بحوثها العلمية . والمانيا هى أولى الدول التى تعتمد عليها أمريكا فى امداد علمائها بما يلزمهم من المعدات ، اذ ان ٨٠ ٪ من ادوات امريكا العلمية تأتى من المانيا وحدها. ولكن اللجنة التى ألفت لبحث هذا القرار ، ترى أن فى وسع امريكا أن تستورد كل ما تتطلبه من الاجهزة والمواد من البلاد الاوربية الاخرى

على ان هذه المقاطعة لا تسرى على الكتب والمجلات العلمية الالمانية

هذا وقد حدث فى أيام الحرب الكبرى ، أن اتخذت الهيئات العلمية الامريكية مثل هذا القرار . ولكن هل يعنى رجال السياسة الطامحون بمثل هذه القرارات التى لن تؤثر شيئا يذكر ؟!

حماية قناة بنما

لا شك فى ان قناة بنما من أول الاهداف التى ترمى اليها القوات المعادية لامريكا ، لان هدمها وسدها يحجز الاسطول الامريكى عن أحد شاطئيها الغربى أو الشرقى ، ويترك الشاطئ الآخر معرضا لكثير من الاخطار الشديدة . لهذا أخذت الحكومة الامريكية أهبتها لوقاية هذه القناة من خطر القنابل الهدامة

فشرعت تقوى جدرانها الجانبية وتغطيها بطبقات كثيفة من الاسمنت المسلح . وأعدت الوسائل الوافية بوقاية محطات الكهرباء ، ومخازن

البترول ، ودواليب الحركة ، ومرافىء السفن ، ومكاتب الادارة . فكل هذه المراكز قائمة الآن فوق سطح الارض ، ولكن الحكومة تريد أن تحفر لها مخابىء آمنة تنزل اليها . والى جانب هذا تصف المدافع المضادة للطائرات على امتداد شاطئى القناة لتدفع عنها جائحة الغارات

ولسنا ندرى هل تحتاج قناة السويس ــ التى تفوق قناة بنما فى أهميتها السياسية والحربية ــ الى مثل هذه الاحتياطات ، ولكنا نعتقد انه ينبغى أن تتجه أفكار المسئولين الى دراسة هذا الموضوع الخطير

لماذا ترتكب جرائم القتل

درست احدى شركات التأمين الكبرى فى أمريكا ، خمسمائة جريمة من جرائم القتل هناك، فانتهت دراستها الى هذه النتائج

(١) ٤٠ ٠/٠ من هذه الجرائم وقعت أثر اختلاف على بعض الامور المادية ، التى لاتتجاوز قيمتها غالبا خمسة قروش . وأكثر ما يحدث هذا على موائد الميسر ، أو حين يسخر شخص موسر من شخص معسر ، وغير ذلك مما يولد الغضب أو الحقد أو البغضاء . وفى نصف هذه الحالات ، كانت الخمر دائرة برأس القاتل أو برأس القتيل أو برأسيهما معا

(٢) ما ينشأ فى البيوت من خلاف تافه ، وما يقوم بين الصحاب من شجار عادى ، أدى الى ١١٫٦ ٠/٠ من جرائم القتل . فكثيرا ما يقتل الزوج الاهوج قرينته لانها لم تعد له الطعام فى الوقت الذى يريده ، وكثيرا ما يقتل الابن الارعن السكير أمه لانها تؤنبه على افراطه فى شرب الخمر

(٣) أما فى حالات الحب والغيرة ، فالغالب أن يكون المحبوب هو الضحية ، والمحب هو الجانى . ولكن كثيرا ما ينتحر القاتل بعد أن يقتل زوجه أو غريمه . وتبلغ نسبة جرائم القتل الناتجة عن انفعال الغيرة ١٧٫٦ ٠/٠ من مجموع الجرائم

(٤) حوادث السرقة والسطو والهروب تؤدى الى ١٦ ٠/٠ من جنايات القتل . وأكثر الضحايا فى هذه الجرائم من رجال الامن أو ممن يعاونهم من الناس على أداء وظيفتهم

(٥) ومن الغريب أن عصابات المجرمين التى تحترف اقتراف الجرائم ، والتى تتخذ أهبتها الدائمة من السلاح ، ليست مسئولة الا عن ٢٫٨ ٠/٠ من الجرائم . وأغلب هذه الجرائم يقع فيما ينشب بين العصابات من مناوشات ، نتيجة ما بينها من منافسات ، ولهذا كان أغلب قتلاها من أفراد العصابات ذاتها

(٦) وكذلك تبلغ نسبة الجرائم التى يرتكبها المجانين ٢٫٨ ٠/٠

(٧) وأكثر من ٢ ٠/٠ من جرائم القتل لم يكن من باعث عليها الا رغبة شخص سكير فى أن يذبح انسانا بيده ، ليستمتع بمشهد دمه يسيل . مما يدل على أن الخمر كثيرا ما تبعث ما يكمن فى قرار النفس من غرائز الانسان البدائى أو غرائز الحيوان الكاسر

(٨) ولم يكن من هذه الجرائم الخمسمائة سوى جريمتين ارتكبتا دفاعا عن العرض ، فقد صار الطلاق هو الوسيلة المشروعة لمعاقبة الزوجة الخائنة

هذا ويقع فى الولايات المتحدة الامريكية كل عام ١٠٫٠٠٠ جريمة قتل ، يمكن توزيعها وفق هذه النسب المذكورة

حقائق غريبة عن الكسوف والخسوف

* تنكسف الشمس عن احدى جهات الكرة الارضية مرة واحدة فى كل عام ونصف عام . ولكن قلما يكون هذا الكسوف واضحا ، فيتيسر للعين المجردة مشاهدته

* أقدم كسوف سجله التاريخ هو الكسوف الذى شهدته الصين سنة ٢١٥٨ قبل الميلاد .

وقد أعدم امبراطور الصين حينذاك اثنين من الفلكيين لانهما لم يتنبآ بهذا الكسوف قبل وقوعه . وقد كان الصينيون يعرفون فى تلك العصور القديمة ما يشبه المراصد الفلكية ، فكانوا يكلفون بعض الفلكيين بمراقبة الكواكب والتنبؤ بحركاتها

• أدى خسوف القمر سنة ٤١٣ ق.م. الى تغير وجه التاريخ تغيرا تاما . فقد حمل الاثينيين على أن يؤخروا غارتهم على «سيراكوز» سبعة وعشرين يوما ، استطاع عدوهم فى اثنائها أن يحمل عليهم حملة شعواء أتت على جيشهم جميعا

دقات القلب

فى أغلب الحالات يكون هناك تناسب عكسى بين حجم الحيوان ونبضات قلبه . فكلما كان الحيوان ضخما أبطأ قلبه فى الخفقان ، وكلما كان ضئيلا أسرع قلبه فى النبض . فقلب عصفور « الكناريا » يخفق ١٠٠٠ خفقة فى الدقيقة الواحدة ، بينما لا تزيد عدد ضربات قلب الفيل فى الدقيقة عن خمسة وعشرين طلقا

وكذلك الامر فى الانسان . فقلب الطفل الصغير يضرب فى كل دقيقة من مائة وثلاثين الى مائة واربعين ضربة ، ثم يتباطأ القلب فى خفقانه شيئا فشيئا حتى تصل عدد ضرباته فى سن الكهولة الى ما بين الستين والخامسة والسبعين ضربة فى الدقيقة

هذا ، ويرجع قياس خفقان القلب الى ما قبل المسيح بثلثمائة سنة ، حين اخترع « هيروفيلس » أحد أطباء الاسكندرية ساعة مائية دقيقة ، كان يقدر بها سرعة نبضات القلب وانتظام خفقانه

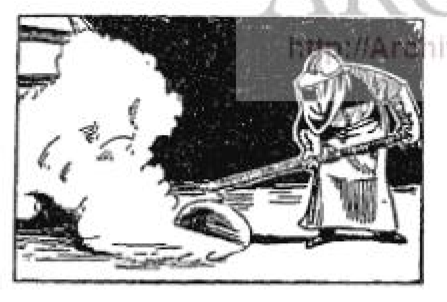
سجل الصحة

من المرجح أن يكون لقانون « سجل الصحة » الذى سنه مجلس النواب الفرنسى أخيرا تأثير كبير فى تقدم صحة الامة ، ومعاونة الاطباء والمستشفيات على أداء مهمتهم

فيقضى هذا القانون بأن تعطى الحكومة «سجلا» لكل أم عندما تضع طفلها ، ليقيد فيه الطبيب أو المستشفى كل ما يصيب صحة الطفل من أمراض معدية أو شديدة ، ومما يتناوله من أدوية أو حقن ، ومما يجرى له من عمليات جراحية . وبذلك يكون الطبيب على بينة تامة من « ماضى » الانسان الصحى ، وما بقى له من آثار ، أدت الى اضعاف بعض الاعضاء ، فيستطيع أن يتخير من الدواء ما لا يمس هذه الاعضاء بالاذى ، أو يعرضها لخطر الاصابة من جديد ، وكذلك يعين على تتبع أدوار الامراض الوراثية فى العائلات ، ويسهل مهمة مكافحتها أو اتقائها

مقاومة القنابل الحارقة

رأت الهيئات الانجليزية المعنية بمقاومة الغارات الجوية أن تستعين بمادة « الاسبستوس » التى لا تؤثر فيها النار فى مقاومة القنابل الملتهبة الحارقة . فتصنع منها قبعة كبيرة تغطى بها القنبلة عند اشتعالها ، فتحصر النار فى داخلها الى أن تخمد وتنطفىء . وتعلق هذه القبعة فى نهاية



عمود من الخشب ، أو من المعدن وله مقبض من الخشب . ويتخذ المراقبون المكلفون باطفاء هذه القنابل ملابس وقلانس وأقنعة وكفوفا من هذه المادة نفسها

ونظن أن هذه الطريقة أسهل واجدى فى اتقاء القنابل الحارقة من هذه التى تشير بها علينا مصلحة وقاية المدنيين من الغارات الجوية ، فحبذا لو انتبهت اليها وأخذت بها

الحركة الفكرية

نازى مرتد يتحدث عن المانيا

كان المؤرخ الالمانى الكبير هرمان روسنينج من أقطاب الحركة النازية ولكنه انقلب عليها أخيرا وغادر المانيا واستقر فى الولايات المتحدة حيث وضع كتابا عن سياسة المانيا الهتلرية أحدث ضجة عظيمة فى أوربا

ومن أهم ما ورد فى كتابه ان المانيا كانت تعد فرنسا عدوتها اللدود، وكان هتلر يعتقد بوجوب الاشتباك معها فى حرب توطئة لتحطيم نفوذها فى شرق أوربا . ولكن النصر الذى أحرزه هتلر فى تشيكوسلوفاكيا والذى أدى الى زعزعة النفوذ الفرنسى فى شرق أوربا ، جعله يعتقد اعتقادا راسخا ان فرنسا أصيبت بهزيمة مروعة وانها لم تعد قوة يمكن أن يعتمد عليها حلفاؤها ، وان هؤلاء الحلفاء سينفضون عنها الواحد بعد الآخر حتى تصبح فى شبه عزلة ، فتبدأ الديكتاتوريات فى اقتسام ممتلكاتها

ويرى الهر روسنينج ان السياسة التى اتبعتها المانيا قبل الحرب الكبرى والتى كانت ترمى الى انشاء محور (برلين — بغداد) ليست هى السياسة المتغلبة فى دوائر حزب النازى

وهو يعتقد ويؤكد ان سياسة هتلر تسعى لعقد محالفة مع انجلترا وضم الامبراطورية البريطانية الى محور (برلين — روما) وعزل فرنسا . وهذا مقابل اعتراف انجلترا بسيادة ألمانيا الاقتصادية على أوربا الشرقية والوسطى

وفى حالة فشل هذه السياسة وعجز هتلر عن التفريق بين الانجليز والفرنسيين ، تتجه ألمانيا صوب روسيا وتحالفها وتتفق الدولتان على اقتسام العالم

فهتلر فى عرف الكاتب الالمانى ما يزال يتصور ان فى مقدوره ضم انجلترا الى الحلف الالمانى الايطالى مستخدما قوى الايطاليين فى البحر المتوسط لارهابها ، وملوحا على الدوام برغبته فى استرداد المستعمرات ليساوم عليها ، وينتهى بالنزول عنها مقابل اطلاق يده فى الشرق ، وتسليم الانجليز بمحالفته

أثر السياسة فى الاخلاق

لا شك ان العرف الدولى يحدث أبلغ الاثر فى حياة الافراد وفى توجيه اخلاقهم . وقد وضع الباحث الامريكى الفريد سمر جونس كتابا عالج فيه هذا الموضوع الخطير الذى يعد موضوع الساعة

وأهم ما ورد فى هذا الكتاب اشارة المؤلف الى الانحطاط الخلقى والفكرى الذى أصيبت به أوربا عقب انحطاط نظام عصبة الامم

لعصبة الامم فى أول عهدها كانت خطوة موفقة نحو رفع مستوى العرف الدولى . وكان شعارها احترام الحق ، والاخذ بنصرة الضعيف والتضامن فى سبيل رد كل اعتداء سياسى تعسفى . فكأن العصبة استمدت من الاخلاق الفردية قوة أنعشت بها الخلق الدولى . ولقد ترتب على ذلك ان ازدادت الآداب الفردية توطدا فى نفوس الأفراد ، وأحس كل فرد بأن آدابه الخاصة قد تصبح فى يوم من الايام آداب الدولة والمجموع الدولى ، فكانت حضارة جديدة ،وكان أمل فى نشوء عالم جديد . أما اليوم بعد أن اضمحل نفوذ العصبة وأصبح الحكم لارادة التفوق العمياء وسلطان القوة الغاشم وقانون الادغال الهمجى ، فقد انحدر الفساد من الآداب الدولية الى آداب الافراد ، ومن السياسة الى المجتمع ، ومن الخلق الدولى الى الخلق الفردى

فالفرد الذى يشعر بان دولته تربح كلما

التجأت الى القوة ، لا يتردد هو أيضا فى الالتجاء الى القوة لحل المنازعات الشخصية . وليس من الضرورى أن تكون هذه القوة فى نظر الفرد قوة عضلية تصطدم بالقانون ، بل قوة فكرية خبيثة قوامها المكر والدهاء والغدر . وكما انه يرى الدولة تعبث بالحق وتغدر بالضعيف ، كذلك هو فى حياته الخاصة لا يتردد فى العبث بالحق والغدر بالضعيف

فالعرف الدولى والحالة هذه ، يؤثر فى الخلق الفردى . وما دامت الآداب السياسية منحطة فلا ينتظر أن يرتقى خلق الافراد ذلك الرقى المنشود الممهد لابتداع حضارة انسانية سامية

وقديما كان يقول ايراسموس ان سمو الخلق الدولى هو اكبر حافز لسمو أخلاق الناس وايمانهم بمبادىء الحق والعدل والخير

قيمة الاحسان

هذا هو اسم رسالة شائقة وضعها الاديب الاسوجى هنريك براجمان وتناول فيها بالبحث والتحليل فضيلة الاحسان وقيمتها فى الحياة

ومما ورد فى هذه الرسالة قول الكاتب ان بعض الناس لفرط ايمانهم فى هذا العصر بأن العدل الاقتصادى يجب ان يتحقق من طريق تبديل النظم الاجتماعية والاقتصادية ، يتبرمون بفضيلة الاحسان ، ويعتقدون ان الصدقة التى تمنح للفقير تساعده على الكسل وتخنق فى نفسه عاطفة الرجولة ، ولا تستطيع بأى حال من الاحوال أن تخفف عن العالم عبء الفقر . فهؤلاء ينصرفون عن الفقير ويزعمون بأن الدعوة لوجود أنظمة اشتراكية انسانية هى الخدمة الرائعة المثمرة التى يجب ان تسدى للفقير . فعلى الفقير ان ينتظر حتى يتحقق هذا المثل الاعلى الذى ينقذه من بؤسه ويرد اليه كرامته وانسانيته

والواقع ان هذه الفكرة شائعة بين طبقات المتعلمين . فمنهم من يقول ان الحكومة هى المطالبة بتنظيم الاحسان ، أو الجمعيات أو الهيئات التى تؤلفها الطبقات العالية . وهكذا يتنصلون من واجبهم حيال الفقير ، وتزداد قلوبهم تحجرا وأنانية

غير ان الحضارة فى نظر الكاتب الاسوجى تتمثل قبل كل شىء فى علاقة الفرد بالفرد ، لا فى علاقة الفرد بالمجموع . فأنت ان تنصلت من واجبك الانسانى حيال الفقير لم تستطع أن تقوم بهذا الواجب فى ظل الجماعة ، وضمن هيئة تسعى لتنظيم الاحسان والاخذ بيد البائس والمحروم . فينبغى أن تبدأ بنفسك ، وأن تحس واجبك حيال الفقير باعتباره أخا لك ، وأن لا تتردد فى البذل والتضحية من أجله . ومتى توفرت فيك هذه النزعة ، امكنك أن تدعو الى اقرار العدل فى النظم الاقتصادية بنجاح ، وأمكنك أن تخدم فى ظل هيئة أو جماعة ، كل بائس منكود ، خدمة سداها الاخلاص ولحمتها الجد والنشاط والتضحية

وما حوادث النصب والاحتيال التى تصاب بها معظم الجمعيات الخيرية الا الدليل الساطع على ان بعض أفرادها قد انخرطوا فيها دون ما أى شعور شخصى بواجبهم المقدس نحو الفقير

ففضيلة الاحسان لم تتكون فى نفوسهم خارج الجمعية كى تنمو داخلها . وهذا ما يؤيد النظرية القائلة بان علاقة الفرد بالفرد يجب أن تكون أساس علاقة الفرد بالمجموع

الحب والعقل

يزعم بعض المفكرين ان اقتران الحب بالعقل ضرب من المستحيل . ولكن الاديب الانجليزى جيمس موريسون يرى عكس هذا الرأى فى كتابه (على قمة حياة القلب)

ومن طريف ما ورد فى هذا الكتاب ان مأساة الحب تنحصر فى رغبة الانسان فى مرضاة عقله وحواسه فى وقت واحد . فهو يطلب المرأة الجميلة التى تنقع ظمأه الحسى ، ويطلب المرأة الرقيقة الحساسة المتعلمة التى تنقع ظمأه العقلى ، وتستطيع أن تكون رفيقة لفكره وحياته

فالمثل الاعلى فى نظره أن تجمع المـرأة بين الجمال والذكاء ، وبين الفتنة والعلم . ولـكن الذى يحدث عادة ان الزوجة اما ان تكون جميلة فى محاسنها البدنية متعة للرجل ، واما ان تكون متعلمة ينقصها الجاذب الجنسى ، فيترتب على هذا النقص أو ذاك ان تضعف من نحوها عاطفة الحب عند الرجل ، غير ان هذا الضعف يمكن تجنبه فى عرف الكاتب الانجليزى بالالتجاء الى العقل

ولايضاح هذه النظرية يقول المستر موريسون ان فى كل امرأة كائنة ما كانت جاهلة، فضائل فطرية عظيمة وذكاء غريزيا حادا قد يفوق ذكاء المتعلمة . كما ان فى كل امرأة متعلمة ودميمة جمالا روحيا قد يفوق جمال الحسناء الفاتنة . ففى وسع الرجل متى كان مثقفـا مستنيرا أن يستخدم عقله فى معرفة فضائل امرأته التى لم تهبها الطبيعة غير جمال البدن ، وفى وسعه أن يستكشف لها جمالا روحيا ساحرا ان كانت الطبيعة قد منحتها الذكاء فقط ، وجردتها من الجمال البدنى . ومهمة العقل هذه لا تقتل الحب بل تنعشه وتقويه . اذ رسالة الحب هى القدرة لا الانانية ، وانتصار الحب كامن فى قدرة المحب على استجلاء غوامض شخصية المحبوب ، وابراز ما تنطوى عليه من فضائل عميقة باهرة

المرأة الامريكية

قضت الكاتبة البولندية مدام فاندا ريكوسكى اكثر منخمسة أعوام فى الولايات المتحدة ، ثم اصدرت كتابا شائقا عن المرأة الامريكية نقتطف منه هذه الملاحظات :

المرأة الامريكية فى نظر مدام ريكوسكى هى امرأة تجمع بين حب الترف والميل الشديد الى الخدمة العامة . فزوجها فى الغالب يربح من أعماله مالا وفيرا ، ويغدق عليها أسباب الترف بلا حساب ، ويمكنها من أن تستخدم فى بيتها مختلف الآلات الكهربائية التى تغنيها عن قضاء سحابة يومها فى أعمال المنزل . فهى والحالة هذه امرأة مترفة عاطلة . ولكنها مع ذلك ليست مخلوقا أنانيا يهتم بملذاته ، وينسى واجباته نحو الغير ، والحق انها تملأ أوقات فراغها بشـتى المشروعات ، وتنتمى الى عدة جمعيات وتنتسب الى اكثر من هيئة تعمل للخير وتسدى الى المجتمع أجل الخدم . فزوجها يعمل فى المكتب ، وهى تعمل فى الجمعية أو النادى ، ورخاء حياتهـا يمكنها من أن تعهد الى سواها بشئون البيت تحت اشرافها

ويلاحظ ان المرأة الامريكية تكره الخيانةوتقدر الوفاء وتفصل دائما بين حب الترف وبين مغريات الحياة المبتذلة المتهتكة التى يدفع اليها الترف . وهى حرة الى أبعد حدود الحرية تتصل بأصدقاء زوجها ، وتخرج معهم بل وتقضى السهرة فى صحبتهم ، ولكنها قل ان تفكر فى خيانة زوجها مع واحد منهم ، اذ خيانة الزوج لا محل لها فى مجتمع ينهض على الصراحة وعلى الحب المتبادل والتفاهم المشترك والحرية التامة فى الانفصالعند تعذر الاتفاق

فالمرأة الامريكية وقد اقترنت بزوجهـا عن قبول ورضا ، لا ترتبط به متى شعرت ان التفاهم بينهما أصبح مستحيلا . ولذلك تفضل ان تطلق منه وتصارحه بهذه الرغبة على أن تظل زوجته وهى تخونه . فالصراحة اساس العلاقة الزوجية ، والرجل يفهم هذا ويسلم به ، ويحس ان كرامته تأبى عليه التشبث بامرأة لا تحبه . واذن فهو يقدر اخلاصها له ، لان هذا الاخلاص يصدر عن جوهر نفسها واحساسها بقيمة الحب وعظم المسؤولية ، ويقدر رغبتها الصريحة فى الانفصال عنه ، لان هذه الرغبة أفضل فى نظره ألف مرة من الابقاء علىروابط الزواج الظاهرية . وهكذا تشعر المرأة فى امريكا بانها حقا سيدة نفسها ، ويشعر الرجل متى اقترن بها انه يعيش فى جو صريح برىء لا تشوبه شائبة الغـدر أو النفاق

الاحزاب الفرنسية والشعب

يرى قادة الاحزاب السياسية الفرنسية أن من العبث محاولة الاستناد الى الشعب ودعوته للقيام بعظائم الامور ، بدون العناية بتنقيفه ثقافة غزيرة واسعة . فاذاعة مبدأ من المبادىء أومحاولة الترويج لبرنامج اقتصادى أو اجتماعى أوسياسى معين ، لا يمكن أن يتم فى نظرهم الا بنشر ثقافة معينة ، وتنظيم هذا النشر بحيث يتغلغل فى سواد الشعب . وقد وضع أخيرا الصحفى الباريسى ارمان بريفال كتابا أحصى فيهمختلف الجهود التى تبذلها الاحزاب لتثقيف أعضائها أو المنتسبينالبها من سواد الشعب . ويتضح من هذا الكتاب أن مجموع ماتنفقه الاحزاب الراديكالية والاشتراكية وأحزاب اليمين على نشر الثقافة سواء بواسطة الكتب أم النشرات أم المحاضرات أم الصحف أم حفلات التمثيل والسينما ، يلتهم فى كل عام ثلاثة أرباع ميزانياتها ويؤلف مبلغا يمثل ميزانية دولة صغيرة

فعمل الحزب عندهم لا أن يبعر لأفكاره فى الصحف فقط . بل أن يطبق تعاليمه على الحياة أيضا ، وأن ينشر هذه التعاليم مطبقة على جميع فروع الحياة اليومية فى أوسع جو ممكن وفى أعمق طبقات الشعب

نساء العظماء وحياتهن الفاجعة

أصدرت الأديبة الفرنسية جورجيت مونييه كتابا جديدا تحدثت فيه عن شقاء زوجات العظماء ومبلغ ما تحتمله المرأة قرينة الكاتب أو الشاعر أو الموسيقى العبقرى من مختلف ضروب العذاب فى سبيل امتاع زوجها بحياة بيتية سعيدة تمكنه من التفرغ لعمله والانصراف لخدمة الأدب والفن

ومما ورد فى كتابها الشائق أن زوجة الروائى الفونس دوديه كانت تقدس عبقرية زوجها أعظم تقديس ، فلا تتصل به أثناء عمله ولا تدخل حجرة مكتبه ، ولا تسمح لخدم البيت بابداء أية حركة مزعجة تعكر عليه مجرى تفكيره . وكانت تعيش بجواره فى عزلة تامة ، لا تتحدث اليه الا نادرا ، ولا تقبله الا متى أذن لها ، ولا تعترض مشيئته مهما كان على خطأ وكانت على صواب . وأما زوجة الكاتب المسرحى فكتوريان ساردو فكانت لا تراه طوال يومها ، وكانت تنصرف بكليتها الى العناية بأولادها ، وكان هو لا يغادر مكتبه الا ليطالع ويفكر ويتأمل ، متناسيا وجود امرأته ، غير شاعر بها

ولقد برح ألم العزلة بزوجة الفونس دوديه ولكنها كانت أديبة تقدر فن زوجها وترضى بالتضحية عن طيبة خاطر ، أما زوجة ساردو فكان يعتريها فى بعض الاحيان ضرب من الحسرة المقترنة بالسوداء الحالكة ، فكانت تهيم على وجهها فى حديقة البيت شبه مخبولة ، وكثيرا مافكرت فى الموت ، ولولا وجود أولادها لاقدمت على الانتحار

ومما جاء فى كتاب الأديبة الفرنسية أيضا أن روسو كان يضطهد امرأته ويعذبها وينهرها ويجد فى التنكيل بها لذة كبرى ، وأن ماترلنك البلجيكى كان يطرد زوجته من البيت فىساعات عمله ، وأن الشاعر ريشبان كان يعير قرينته بنقص ذكائها ، وأن تلستوى كان يبغض فى امرأته غريزة حب المال ولقد هجر بيته ومات على قارعة الطريق فرارا منها

ومع ذلك وبرغم هذا العذاب فقد أحب جميع أولئك النساء أزواجهن ، وضحين من أجلهمبكل شىء . وذلك لان فى طبيعة المرأة كما تقول الاديبة الفرنسية ، أن تناضل وتحتمل العذاب لتنتزع زوجها من براثن حب آخر ، وتدلل بهذا العمل على قوتها وسلطانها . فالزوج العبقرى يحب فنه . وزوجته تغار من هذا الحب وتكافح لتجعله يحبها هى . وهذا سر تضحياتها واحتمالها بقربه شتى صنوف العذاب

الكتب الجديدة

محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقلم الاستاذ محمد رضا

(مطبعة عيسى البابى الحلبى بمصر فى ٥٠٩ صفحة)

عنى المؤلف فى هذا الكتاب الشائق بتنسيق حوادث السيرة النبوية لتكون درسا ومرجعا لطلاب التاريخ الاسلامى . ولقد بذل جهدا جبارا فى البحث والتنقيب والاطلاع على ما ألف فى هذا الموضوع المترامى الاطراف ، واستعان بأوثق المصادر ، فلم يقتصر على كتب السير بل اعتمد ايضا على تفاسير القرآن الشريف وكتب الحديث الموثوق بها وتراجم الصحابة رضوان الله عليهم ومعاجم اللغة . وقد اضطر المؤلف بعد ان وقف على حقائق التاريخ الاسلامى ان يرد على الشبهات الواردة فى بعض كتب المستشرقين ردودا تضمحل امامها كل شبهة ويزول كل شك

ويرى المؤلف الفاضل ان بعض المصنفين فى هذا العصر قد عمد الى تحليل شخصية رسول الله باعتبار انه شخص عادى ، فأدى ذلك الى الشطط وطمس الحقائق التاريخية وتشويهها . لان سيرة رسول الله ليست كسيرة أى فرد من الافراد أو عظيم من العظماء ممن يطبق على سلوكهم اصول علم النفس ويحكم عليهم بمجرد الرأى والملاحظة . فالرسول عليه الصلاة والسلام كان انسانا ولكنه انسان بلغت عظمته حد الكمال البشرى ، انسان انزل عليه الوحى وأتى بالمعجزات الخارقة التى يخشع أمامها العقل البشرى ويقف حيالها حائرا مذهولا

وفى ضوء هذا الايمان بعظمة شخصية رسول الله يحدثنا المؤلف عن مولده وتاريخ كفاحه وشمائله ومعجزاته حديث عالم مدقق يتحرى الصدق ويتوخى الايمان العاقل فى نفوس قرائه وتأدية الواجب المفروض عليه نحو الدين الحنيف

محاضرات اسلامية

بقلم الاستاذ محمد عبد الرحمن الجديلى

(مطبعة التقوى بالقاهرة فى ٢٢٠ صفحة)

هذه فصول فى التشريع والاصول والفقه والتاريخ والسير والتراجم اذاعها الاستاذ محمد عبد الرحمن الجديلى بالراديو مندوبا عن وزارة الاوقاف ومساهما فى الخير العام . وقد تحدث فيها عن أثر العقائد فى اصلاح المجتمع والافراد ، وبطولة على بن ابى طالب ، وشخصية الرجل المؤمن ، ومحمد رسول الله فى شبابه وبعثته ، وتألق الدعوة الاسلامية فى آفاق الدنيا ، والاسراء والمعراج ، وغير ذلك من الموضوعات التى تكشف عن روائع التاريخ الاسلامى وتقرب حوادثه الى الاذهان وتغرى باحتذاء ما انطوت عليه من مختلف ضروب البطولة والعظمة

ولقد صدر المؤلف كتابه برسالة شائقة من قلم صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ، واخرى من سعادة عبد العزيز محمد باشا وزير الاوقاف السابق ، وفى كل من الرسالتين نرى دليلا بالغا على قيمة الكتاب ومبلغ اهتمام عظمائنا به

ولا ريب فى ان الاستاذ الجديلى احسن تخير موضوعاته واجاد تهذيب اسلوبها وتجويد عباراتها فاستحق عظيم الشكر على ما ابدى من فرط غيرته على دينه ، وما ادى من واجب النصح لايقاظ قومه

مباحث عربية

بقلم الدكتور بشر فارس

(مكتبة المعارف بمصر فى ١٤٥ صفحة)

الدكتور بشر فارس اديب نابغ وباحث لغوى كبير . وقد دل على نبوغه الادبى فى مسرحيته المشهورة (مفرق الطريق) التى استحدث فيها اسلوبا خاصا فى الفن التمثيلى الرمزى ، وفى قصته (قطعة اللحم) التى جمع فيها بين اللون المصري والطابع الانسانى

واما بحوثه الاجتماعية واللغوية فاهمها (تحليل فكرة العرض عند العرب) ومختلف الدراسات الاسلامية التي نشرت باللغتين الفرنسية والانجليزية فى بعض المجلات العلمية بلندن وباريس ولا سيما فى الجزء المكمل لدائرة المعارف الاسلامية الانجليزية

وها هو اليوم وقد غلبته نزعته اللغوية العلمية يصدر كتاب (مباحث عربيـــة) فى حلة انيقة واسلوب طريف

والكتاب ينقسم الى قسمين : مباحث فى علم الاجتماع تدور حول تحليل الاعراض النفسية والاجتماعية الـكامنة فى الفاظ « المروءة » و « مكارم الاخلاق » عند العرب ، وتحليـل البناء الاجتماعى عند عرب الجاهلية

فالالفاظ التى تبدو للقارىء العادي صورا لاشياء مجردة ، يتمثلها الدكتور بشر فارس كائنات حية انبثقت من محيـط حى تحمل فى اطوائها خصائص هذا المحيط واهم ما يمتاز به فدراسة سيكولوجية « الكلمة » هي فى نظره دراسة لسيكولوجية البيئة التى شاعت فيها هذه الكلمة . وعلى هذا النحو يدرس الدكتور بشر فارس مميزات بيئة معينة من خلال بعض الفاظها وهذا هو وجه الطرافة فى كتابه

واما القسم الثانى فيدور حول نقد وابتداع بعض المصطلحات اللغوية الخاصة بالفلسفة وفن الموسيقى

ولا شك فى ان هذا الاسلوب العلمى التحقيقى يصب ضوءا رائعا على بعض ما كان خافيا علينا من خصائص النفسية العربية ، وهو فوق ذلك يعد منهجا عصريا خليقا بان يفتح لكل باحث عربى ابواب الاجتهاد والتجديد

وغاية ما نتمنى الا تستغرق المباحث اللغوية جهود الدكتور بشر فارس ، وأن يختص الادب الخالص بأوفر جزء من وقته . فهو وان كان باحثا لغويا مفتنا ، الا انه فى نفس الوقت اديب متوقد الخيال ، موفور الثقافة ، فى مقدوره - ولا شك - ان يذهب فى تجديد القصة المصرية والمسرح المصرى والشعر العربى الى ابعد حدود الكمال الممكن

الجيش المصرى

فى عهد محمد على باشا الكبير

بقلم اليوزباشى عبد الرحمن زكى

(مطبعة حجازى بالقاهرة فى ٢٠٠ صفحة)

تولى محمد على حكم مصر وامورها كلها فى فوضى . وكان عماد الدفاع عن ارضها قبل عصره ، أهل الحرب من الفرسان والمماليك وبقايا الفرق العثمانية القديمة وعصابات العرب وأهل الفتوة من الريفيين والحضريين ، فانتهج محمد على بالأمة المصرية نهجا جديدا واتخذ من فلاح مصر جند مصر . وسرعان ما اصطبغ جيش محمد على بالصبغة القوميـة وامتزج تاريخـه بتاريخ الاصلاح المحمدى العلوى ، واصبح هذا التاريخ تاريخ التعليم والسياسة الاقتصادية والسياسة الخارجية، وتاريخ الحرب فى بلاد العرب والسودان والمورة وكريد وسوريا والجزيرة والاناضول

وقد عنى الضابط المؤرخ عبد الرحمن زكى بأن يقدم لمواطنيه رسالة من اوثق المصادر وتوخى غرضين اساسيين : أولهما عرض تاريخ الجيش نفسه وكل ما يتعلق بتكوينه ، وثانيهما عرض تاريخ الجيش فى ميدان العمل . وهكذا تحدث الينا عن قوات الدفاع فى مصر قبل محمد على ،

والاحوال السياسية فى مصر بعد وصوله اليها ، والجيوش النظامية التى انشأها ، وامبراطورية محمد على

ولا ريب فى ان الدراسة العلميـة للتاريخ الحربى ليست مما تقتضيه الحاجة العلمية فحسب ، بل هى ما تقضى به الحياة القومية المستقلة أيضا . ففى مثل هذه الدراسة العلمية يجد أولياء الامر منا الاجابة على الكثير مما يعترضهم من مسائل الدفاع ويجد فيها رجال الجيش ما يهديهم سواء السبيل فى مسائل الحرب وفى مسائل التعليم العسكرى كما يجد فيها من يشاء من المصريين مثلا تحتذى وعبرا قد تنفع فى مستقبل الايام

اقتراحات فى اصلاح نظم القضاء

بقلم احمد صفوت بك

(مكتبة عبد الله وهبة بمصر فى ٧٠ صفحة)

يرى الاستاذ احمد صفوت بك المستشار بمحكمة الاستئناف الاهلية ان النظم القضائية هى أكثر النظم الاجتماعية جمودا واقلها استعدادا للتغيير والتبديل حتى مع ظهور عيوب فيها يندر ان يتعرض لاصلاحها رجال السياسة لانها لا تثير اهتمام الرأى العام وتستلزم التأنى والحذر لفرط ما قد يعترضها من عقبات

ويضرب الاستاذ مثلا لذلك مشروع اصلاح قانون المرافعات ، ويلفت النظر الى ان الذين يتخاصمون لدى المحاكم فى مصر يشعرون بالبطء الشديد وبالتعقيـد فى الاجراءات فضلا عن مضاعفتها تبعا لتعدد انواع المحاكم ، اذ تمر الدعوى الواحدة بقضائين أو اكثر من انواع الاقضية فى مصر من اهلية وشرعية ومليةومختلطة

فنظام التحضير ، واجراءات المحاكمة الجنائية ، ونظام الاحالة فى الجنايات ، وتعديل واصلاح نظم المرافعات ، وتبسيط الاجراءات فى المخالفات والجنح المركزية ، وتخفيض عدد رجال القضاء ، كل ذلك يعالجه المؤلف عن خبرة شخصية لا عن نظريات فقهية مجردة ويقصـد من ورائه الى تقليل المنازعات بين الناس وتسـهيل اجراءات الفصل فى الخصومات وزيادة الانتاج فى المحاكم وتدعيم استقلال القضاء

ونحن نوجه انظار الحكومة ورجال القانون الى هذا الكتاب ففيه من الملاحظات العميقة والمقترحات الصائبة ما يعبر عن نفسية الجمهور وعن رغباته اصدق واتم تعبير

صور أسلامية

بقلم الاستاذ عبد الحميد محمد المشهدى

(مطبعة البيت الاخضر بالقاهرة فى ٢٥٠ صفحة)

فى هذا الكتاب طائفة من الصور الرائعة المستمدة من التاريخ الاسلامى فى امجد عصوره وفى مستهل الدعوة الخالدة التى قام بها محمد عليه الصلاة والسلام . فالجهاد العظيم فى سبيل تحقيق رسالة الخير والحق ، والايمان العميق بقدسية هذه الرسالة ، وبطولة النبى العربى وصحبه فى الذود عنها ، كل ذلك يرسمه المؤلف الفاضل بريشة سحرية تجدد التاريخ وتضفى عليه حلة نائنة وتبرزه فى مظهر يختلج حرارة وحياة . فاضطهاد قريش للمسلمين من أجل دينهم ، وهجرة المسلمين الى بلاد الحبشة ، واسلام حمزة وعمر بن الخطاب ، والتلويح بالملك والمال لرسول الله كى يتزل عن دعوته ، ومقاطعة قريش للرسول ، وقصة الاسراء ، ودخول أول وفود يثرب فى دين الله ، هذه هى أهم الموضوعات التى عالجها الاستاذ المشهدى فى كتابه باسلوب يفيض حماسة وايمانا ويروض نفوس المسلمين من ابناء هذا العصر على تمجيـد روح البطولة الكامن فى صميم تاريخهم

والحق ان المؤلف الفاضل اراد بكتابه توجيه الشباب صوب الاقتداء جهد المستطاع بالفضائل الخارقة التى شـاعت فى نفس الرسول عليـه السلام ، والتى تعد خير مثل روحى ودنيوى اعلى يتطلع اليه كل انسان ينشد القوة والمجد لبلاده والعظمة والبطولة والخير لنفسه وللانسانية جمعاء

التحفة الفوزية فى تعليم الفارسية

بقلم الاستاذ زيدان بدران المصرى

(مطبعة المعارف بالقاهرة فى ٨٥ صفحة)

لا ريب فى ان المصاهرة السعيدة بين الاسرتين الملكية المصرية والامبراطورية الايرانية ، هى التى حفزت المؤلف لوضع هذا الكتاب الفريد توثيقا للعلاقات الثقافية بين الامتين

ومن البدهى ان اساس التبادل الثقافى والتفاهم الروحى هو اللغة ، فكلما توافر المصريون على دراسة اللغة الايرانية ، وتوافر الايرانيون على دراسة اللغة العربية ، ازداد التقارب المعنوى بين الشعبين ، ووضحت عناصر الرقى والتجدد عند الامتين ، واستطاعت كل منهما الانتفاع بفضائل الاخرى وتحقيق تلك الوحدة النفسية التى كانت المصاهرة الملكية السعيدة خير فاتحة لها

ويلاحظ ان الشعب الايرانى من اعرق الشعوب ثقافة وان ماضيه المجيد حافل بآثار فكرية خالدة ، وان التوفر والحالة هذه على دراسة اللغة الايرانية لا يحكم الصلة بيننا وبين نهضة ايران الحديثة فحسب ، بل يمكننا فوق ذلك من التعرف الى اصول الثقافة الايرانية العالية واشرابها عقولنا وقلوبنا وادماج عناصرها الحية فى مجموع ثقافتنا

ونحن حتى اليوم لا نعرف الآثار الفكرية الايرانية الا منقولة عن الغرب ، وليس فينا طائفة يعتد بها تحسن لغة الايرانيين وتستطيع ان تحقق على وجه السرعة تلك الوحدة العقلية المنشودة بين مصر وايران

ولقد وضع الاستاذ زيدان بدران المصرى كتابه لسد هذا النقص ، وتوخى فيه اسلوبا طريفا لتعليم اللغة الايرانية ، اسلوبا ينهض على الكلمات الشائعة والعبارات المستخدمة فى الحديث اليومى ، مع شرحها بالصور ، ورد تفسيرها الى معجم صغير ذيل به الكتاب

فانت متى انعمت النظر فى المعجم واستظهرت الفاظه ثم عدت الى العبارات الايرانية استطعت ان تجلو معانيها وتقف على اغراضها وتحسن التخاطب بهذه اللغة الموسيقية الساحرة

ولا شك فى ان هذا الكتاب خليق بأن يطالعه ويفيد منه كل مصرى ، فهو واسطة التفاهم بين شعبين عريقين فى الحضارة ، وهو ثمرة ناضرة من ثمار المصاهرة الملكية السعيدة

ديوان الصدى الأول

بقلم الأستاذ يوسف مصطفى التنى

(شركة الطبع والنشر بالخرطوم فى ١٦٠)

هذا الديوان هو باكورة اعمال المؤلف ، وهو مجموعة قصائد ومقطعات تنبع من نفس صافية ، وقلب شديد الحساسية ، وعقل احرز قسطا وافرا من ثقافة الغرب اسبغه على الروح العربية ، فتمثل فى شعر شائق طريف

ومما يمتاز به فن الاستاذ المؤلف ان القصيدة فى نظره وحدة معنوية لا مجموعة ابيات متفرقة متنافرة ، وان الشاعر هو الذى ينفذ من القشور الى اللب ، من المظهر الى الجوهر ، ومن الحديث عن الشيء الى تصوير الاثر العميق الذى يخلفه فى اطواء النفس

وهذه النزعة الفلسفية الرمزية تبدو واضحة فى قصائد (الكأس الاخيرة) و (نداء الجبل) و (الشعور المبهم) و (الطبيعة تصحو) و (حب وغفران) . وفى كل من هذه القصائد تلمح ولعا بالمعنى يفوق الولع باللفظ ، وكلفا بالفكرة ممثلة فى الصورة المنتزعة من الواقع اليومى ، وتحس فى ذات الوقت عاطفة مشبوبة وخيالا متقدا وتصورا جامحا يضبطه ذهن مثقف متعادل قوى التفكير والاحساس

ولا شك فى ان الاستاذ يوسف مصطفى التنى شاعر يجمع الى خبرة الرجولة حماسة الشباب ، وهذا هو وجه الطرافة فى ديوانه الذى أصاب شهرة واسعة بين شباب السودانيين والجدير بأن يصيب مثل هذه الشهرة فى مصر

مقدمة فى الاجتماع

بقلم الاستاذ عبد القتاح ابراهيم

(مطبعة الاهالى ببغداد فى ٢٢٠ صفحة)

ان شعوب الشرق العربى فى حاجة ماسة الى معرفة مبادىء الاجتماع ونواميس الحياة الاجتماعية كما يحققها العلم الحديث ، فلقد فرض عليها ان تتلمس اقوم السبل لحياتها العامة ولانشاء كيانها السياسى فى زمن تبلبلت فيه الافكار وبدت على العالم المتمدين اعراض التمخض عن انقلاب خطير، وسرت فيه امراض يخشى ان تصيب الشرق ان لم يحسن النظر فى مقومات حياته على ضوء الحقيقة والعلم

فبناء المجتمع العصرى على قاعدة علمية ،وتوجيه جهود المصلحين الشرقيين وجهة علمية ، ومحاولة تجديد الحياة الشرقية فى دائرة النظريات التى قررها العلم التجريبى الحديث ، هذه هى الاهداف التى يرمى اليها المؤلف

ولقد افتتح المؤلف كتابه بالبحث فى الاثر الذى خلفه الاغريق فى علوم الاجتماع ، ثم تطرق الى دراسة منشأ علم الاجتماع الحديث عند اوجست كونت ، ثم شرح مذاهب بعض المفكرين العرب والفرنج فى غريزة المجتمع وقيام الاسرة وتأثير البيئة فى الخروج من البداوة ، ثم تحدث عن احتكار وسائل الانتاج وكيف يؤدى الى حرب الطبقات ، وانتهى بفصل شائق يدل ابلغ الدلالة على نزعته العصرية الحرة ، وتدور بحوثه حول نقد بعض المفكرين الرجعيين الذين يدعون الى تبسيط الحياة الاجتماعية بطريق الزهد الاجتماعى والاستغناء عن الآلات ومقاومة الاخذ باسباب الحضارة الحديثة ، ويزعمون ان تقليل الحاجات وتضييق الحدود هما العلاج الامثل لمشاكل الحياة القائمة

مثل هذه النظريات التجريدية يراها المؤلف دعوة الى التقهقر لا تؤدى الا الى الهلاك . فالحضارة فى نظره تعين لكل زمان معيارا للحياة على اساس ما تحقق فى هذا الزمان من تقدم ملحوظ فى الصناعات والفنون ونظم الاجتماع . والحضارة تقرر بهذا المعيار نصيب كل مجتمع من البقاء ، فاذا طغت نزعة التمسك بمظاهر الحياة الغابرة على أمة من الامم ، اختل التوازن بينها وبين رقى العصر الذى تعيش فيه ، فانحط مجتمعها وصار شيئا فشيئا نحو التفكك والانحلال

حياة الطفل

للدكتور مصطفى الديوانى

(مطبعة نورى وأولاده فى ١٧٦ صفحة)

دور الطفولة من حياة الانسان أشبه شىء بأحجار الاساس فى طبقات البناء . أى اذا نشأ الطفل كامل الصحة نامى العود، شب بصبى ناضر وشباب ناضج وعمر مديد . فينبغى اذا أن يتجه الوالد والوالدة الى تنشئة وليدهما وفق الشروط الصحية الدقيقة ، التى تكفل له السلامة والسعادة فى سنيه الاولى وفى ادواره المقبلة

ولا شك فى ان كتاب « حياة الطفل » الذى وضعه الدكتور مصطفى الديوانى مدرس أمراض الاطفال فى كلية الطب يعتبر « دستورا » وافيا لكل ما يجب ان يتخذه الآباء والامهات فى تربية اطفالهم التربية الصحية المثلى . فقد تناول كل ما يتعلق بشؤون الطفل من حيث ولادته ، وتغذيته ، وفطامه ، وشهيته ، ونموه ، وحمامه ، وملابسه ،

وقد سلك المؤلف فى بحوثه هذه مسلكا شائقا طريفا ، فيبدأ بالقاء جملة من الاسئلة التى تعرض لكل والدة ، ثم يأخذ فى الاجابة عنها بكل دقة واحاطة ووفاء ، فلا يدع فى الموضوع جانبا غامضا ولا ناحية مجهولة ، وكذلك عمد الى اسلوب شائق طريف ، واضح وجيز ، مما يستدرج القارىء الى مطالعة الكتاب بشغف وانتباه ، ومما يجعل هذا البحث الدقيق فى متناول كل أم وكل فتاة . وزين الكتاب بكثير من الصور والرسوم التى تساعد على الشرح والتوضيح ، وتيسر للقارىء تفهمه واستيعابه

بين الهلال وقرائه

نقابة الاشراف

(الزقازيق ــ مصر) حامد المسلمى

أيهما أقدم عهدا : نقابة الاشراف أم مشيخة الطرق الصوفية ؟ ولايهما الاولوية لدى أولى الامر ، نقيب الاولى أم شيخ الثانية ؟

(الهلال) نشأت نقابة الاشراف منذ صدر الاسلام ، أما مشيخة الطرق الصوفية ، فقامت فى عهد صلاح الدين الايوبى . ومهمة الاولى هى الوصاية العامة على أهل بيت النبوة « فكانوا يجعلون عليهم رئيسا منهم يتولى أمورهم ، ويضبط أنسابهم ويدون مواليدهم ووفياتهم ، وينزههم عن المكاسب الدنيئة ، ويمنعهم من ارتكاب المآثم وينوب عنهم فى المطالبة بحقوقهم فى سهم ذوى القربى من الفىء والغنيمة ويقسمه بينهم ، ويمنع ايامهم أن يتزوجن الا من الاكفاء .. أما فى الطرق الصوفية ، فقد كان لكل طريقة شيخ ولكل شيخ خلفاء فى القرى والامصار ، ولكل خليفة مريدون . ولم تكن للصوفية مشيخة عامة ترجع لها أعمالهم وتتوحد بها مقاصدهم بل كانت كل طريقة أو زاوية مستقلة بنفسها ، فكانت تكثر بسبب ذلك الفتن . فلما أنشأ السلطان صلاح الدين الايوبى خانقاه سعيد السعداء وسماها ديرة الصوفية ، جعل لشيخها شبه تقدم على غيره من المشايخ . وكان لا يولى عليها الا أعاظم رجال الدولة من الاكابر والاعيان »

وكانت نقابة الاشراف من المناصب السامية ولها الشأن الاول من الشرف بعد الخلافة . وما زالت الدول الاسلامية تحترم نقابة الاشراف فى كل أدوار تاريخها ، حتى الدول العثمانية التى كان يتقدمفيها نقيب الاشراف فىالحفلاتالرسمية سائر رجال الدولة العلية حتى الصدر الاعظم وشيخ الاسلام (راجع تاريخ التمدن الاسلامى للمرحوم منشىء الهلال)

العاهات فى مصر

(الاسكندرية ــ مصر) زكى ابراهيم التونى

كم يبلغ ــ على وجه التقريب ــ عدد العمى والصم والبكم فى مصر ؟ وهل نسبتهم الى مجموع المصريين تفوق نسبتهم فى البلاد الاوربية الراقية؟

(الهلال) آخر احصاء أصدرته الحكومة المصرية عن عدد رعاياها من ذوى العاهات ، احصاء أجرته سنة ١٩٢٧ ، وفيه بلغ عدد المصابين بالعمى الكامل ١٠٩٫٩٣٤ شخصا ، وبالعمى النصفى « العور » ٢٢٦٫٥٥٨ شخصا ، وعدد الصم والبكم ٢١٫٤٨٢ شخصا

ولا شك فى ان نسبة ذوى العاهات فى مصر تفوق نسبتهم حتى فى البلاد التى لا تبلغ مصر فى طيب مناخها ، ولا تفوق مصر فى مستواها المادى . ويرجع هذا فى الغالب الى الجهل المتفشى بين جمهرة المصريين مما يؤدى الى العمى ، وغالبا ما يؤدى الى ضعف البصر . وكذلك عاهة الصمم والبكم قلما تكون وراثية ، بل هى فى الغالب نتيجة الجهل بطرائق المحافظة على سلامة الحواس فى سن الطفولة

كتب فى النقد

(المحرق ــ البحرين) أحد القراء

ماذا تشيرون على بقراءته من الكتب العربية لتتكون لدى ملكة نقد الآثار الادبية والآثار التصويرية ؟

(الهلال) الرأى الغالب أن « النقد » مزيج من العلم والفن ، أى انه يتطلبملكة فطرية تنميها الدراسة وتصقلها الثقافة ، وفى الادب العربى

القديم طائفة صالحة من كتب النقد الادبي ، أهمها : « نقد الشعر ونقد النثر » لقدامة بن جعفر ، « العمدة في صناعة الشعر ونقده » لابن رشيق القيرواني ، « أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز » لعبد القاهر الجرجاني ، « درة الغواص في أوهام الخواص » للحريري . أما في الادب الحديث فتجدون كثيرا من الفصول التي تعالج نظريات النقد وأساليبه منبثة في مؤلفات كبار أدبائنا ، الذين عنوا بالادب النقدي اكثر مما عنوا بالادب الانشائي . ونرى انكم تلمون الماما حسنا بقواعد النقد الادبي الحديث اذا طالعتم كتاب « اصول النقد » الذي ترجمه الدكتور محمد عوض محمد عن الناقد الانجليزي المعاصر الاستاذ « ابير كرومبي »

أما في نقد الآثار التصويرية ، فيمكنكم أن تقرءوا الكتاب الذي وضعه الاستاذان عبد الحميد بك العجاتي والياس جندي ملطي عن « تاريخ الفنون الجميلة في القرون الوسطى » و « تاريخ الفن الجميل من عصر النهضة الى العصر الحديث » . وكذلك الكتاب الذي اصدرته دار الهلال عن « تاريخ الفنون واشهر الصور » ففيه المام بتراجم أشهر الفنانين وعرض لاهم المذاهب الفنية في شتى العصور والشعوب

العربية والانجليزية

(القدس ـ فلسطين) ع . ح

أريد أن أجيد كتابة العربية وقراءة الانجليزية ، فأي طريق أسلك ؟

(الهلال) لا سبيل الى تنمية الملكة الانشائية الا امعان النظر في الاساليب الصحيحة البليغة التي تضفي على قارئها شيئا من روحها وطابعها . فان صبرت على قراءة كثير من اساليب الادباء القدماء والمحدثين ، صحت عبارتك وجزل بيانك . هذا الى أن ممارسة الكتابة هي خير الوسائل لصقل أسلوبها وتهذيبه ، فحاول أن تردف قراءتك بشيء من الكتابة

وكذلك اتقان الانجليزية لا يتيسر الا عن طريق القراءة . فثابر على قراءة بعض الكتب التي تلائم المبتدئين ببساطة أسلوبها ، مثل مجموعة كتب « Peeps at many lands » التي تختار وزارة المعارف المصرية بعض كتبها لتلاميذ الفرق الاولى من المدارس الثانوية . ويمكنكم أن تتدرجوا من هذه الى مؤلفات أدق منها أسلوبا ، ولاسيما اذا وجدتم لها ترجمة عربية دقيقة تعينكم على تفهم الاصل جيدا

أدوات الكتابة القديمة

(القدس ـ فلسطين) قارىء

ما هي أدوات الكتابة (القرطاس والقلم والمداد) التي كان يتخذها العرب أول ماعرفوا الكتابة ؟

(الهلال) كان الرق ـ أي الجلد ـ أول قرطاس اتخذه العرب منذ بدءوا يعرفون الكتابة قبيل الاسلام . وكذلك كتبوا على الاقمشة ، ولا سيما النسيج المصري الذي كانوا يسمونه القباطي ، وعليه كتبت المعلقات السبع وعلقت على استار الكعبة . وكانوا يكتبون أحيانا على ألواح العظام ، وعلى قطع الخشب والخزف والفخار . ولم يعرفوا الكتابة على ورق البردي الا بعد أن فتحوا مصر . اما الورق فلم يعرفوه الا في أيام الدولة العباسية حين صنعوا نوعا منه يعرف بالكاغد ، أخذوه عن الصين التي كانت قد برعت في صناعته قبل الميلاد . وقد انشأ العرب معامل لصنع الورق في بغداد ودمشق ، ثم في بلاد الاندلس التي أخذت عنها أوربا صناعة الورق الحديثة

وأما المداد فكانوا يصنعونه من مسحوق الفحم ـ الخشب المحروق ـ أو من الهباب مدوفا بسائل لزج كالصمغ . وكانوا يكتبون بأقلام مصنوعة من القصب كهذه التي تستعملها الآن . ولكنهم قبل أن يتخذوا المداد كانوا يكتبون بأقلام صلدة ينقشون بها قطع الاحجار أو الواح العظام

انتشار الاديان

(حمص ــ سورية) ناصف شقرا

ما هي الاديان الموجودة الآن في العالم ؟ وما ترتيبها من حيث تاريخ ظهورها ؟ وايها أكثر اتباعا وانتشارا ؟

(الهلال) الاديان الكبرى هي : (١) المسيحية ويدين بها ٣٤ ٠/٠ من سكان العالم موزعين على مذاهبها هكذا : ٢ر١٦ ٠/٠ من الكاثوليك، ٧ر١٠ ٠/٠ من البروتستنة، ١ر٧ ٠/٠ من الارثوذوكس و(٢) الكونفوشيوسية ويعتنقها ٢ر١٨ ٠/٠ من مجموع البشر. و(٣) الاسلام ويبلغ عدد معتنقيه ٤ر١٣ ٠/٠ من سكان العالم . ويليه (٤) الهندوكية التي يتبعها ٨ر١٢ ٠/٠ من الناس ، ثم (٥) البوذية وعدد أبنائها ٤ر٨ ٠/٠ من سكان العالم ، (٦) اليهودية ولا يتجاوز اتباعها ٩ ٠/٠ من البشر . وهناك ١٠ ٠/٠ من مجموع سكان العالم مازالوا يعبدون الحيوانات، والباقي وعددهم ٣ر٢ ٠/٠ فموزعون بين مذاهب شتى يتعذر حصرها

أما ترتيب هذه الاديان من حيث ظهورها فهو : البوذية ، فالهندوكية ، فالكونفوشيوسية، وكلها من القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد ، فاليهودية ، فالمسيحية ، فالاسلام

كتب عن المسيح

(اسيوط ــ مصر) يوسف اندراوس

ما أهم الكتب التي وضعت باللغة العربية عن السيد المسيح ؟

(الهلال) نرى أن احسن ما كتب في العربية عن السيد المسيح عليه السلام كتابان :

١ ــ حياة المسيح للفيلسوف الفرنسي ارنست رينان وترجمه الكاتب المفكر فــرح انطون . وهو يبحث تاريخ المسيح ونشأة المسيحية بحثا علميا مستقلا عن العقائد الدينية

٢ ــ حياة المسيح للاديب الايطالي المعاصر جوفاني بابيني وقد ترجمه أحــد رجال الدين المسيحيين . وهو ينحو نحوا ادبيا شــائقا ، ممزوجا بالروح الديني المخلص ، اذ أن مؤلفه يعد اليوم « أديب الكنيسة الكاثوليكية »

الشتاء

(القاهرة ــ مصر) مصرى

اشعر في الشتاء بكثير من الراحة النفسية ، وفي الصيف بكثير من القلق والضيق واشعر كذلك في الشتاء برغبة في الطعام ، بينما أعاف اكثر ألوانه في ايام الصيف . فهل تعللون ذلك بأن هناك علاقة بين حرارة الجو وعملية الهضم ، أو بأن هناك صلة بين نفسية المرء ومعدته ؟

(الهلال) نعلله بالامرين معا (١) فغاية الجسم من الاكل ان يستولد الحرارة التي يحتاج اليها، وهذه تكون في الشتاء البــارد اكثر منها في الصيف الحار . لهذا يقبل الجسم على الطعام وتقوى المعدة على الهضم كلما قلت حرارة الجو . ويعاف المرء كثرة الاكل وتثقل على المعدة ألوان الطعام كلما زادت حرارة المناخ . ولهذا ينبغي أن نتجنب في الصيف عن الاطعمة الثقيلة كاللحوم والبقول ، وان نكثر من تناول فواكه هذا الفصل التي تمتاز بوفرة مائها

(٢) وقد أثبتت بعض التجارب الطبية الاخيرة أن اعصاب المرء تؤثر في عجلة الهضم . فاذا كانت الاعصاب هادئة مستريحة لم يمكث الطعام في المعدة سوى دقائق ، يتزود في اثنائها بالعصارة المعدية التي تساعد على تحليل الطعام ، ثم يخرج الى الامعاء الاثنى عشر . ولكن اذا كانت انفعالات المرء هائجة نتيجة ما يحسه من القلق أو الضيق ، لم ينفتح « البواب » الفاصل بين المعدة والامعاء بسهولة ، فيظل الطعام يثقل المعدة مدة طويلة مما يؤدي الى عسر الهضم وصداع الرأس

كتبنا وتآليفنا

وما هى المؤلفات التى نتطلبها ؟

بقلم الاستاذ محمد كرد على

وزير معارف سورية الأسبق

هل عندنا نهضة حديثة للتأليف ، وما هى المؤلفات التى نتطلبها ، وما هو مدى ما وصل اليه التأليف فى مصر والبلاد العربية ؟ تلك اسئلة تدور في الأذهان فى الوقت الحاضر الذى نرى فيه بعض الحكومات العربية قد شرعت تعمل لتشجيع تأليف الكتب . وقد تناول الأستاذ محمد كرد على هذا الموضوع بالدراسة من جميع نواحيه فى هذه المحاضرة القيمة التى ألقاها أخيراً فى النادى العربى بدمشق ، واختص بنشرها الهلال

عصور الترقى والتدنى فى التأليف

بدأ التدوين عند العرب أول الاسلام ، ثم أعقبه التأليف والتصنيف ، ثم النقل والاحتذاء . والتدوين الجمع . والتأليف وصلك الشىء بعضه ببعض ، والتصنيف جعلك الشىء أصنافاً وتمييز الاشياء بعضها عن بعض ، والنقل التعريب أو الترجمة ، والاحتذاء النسج على منوال الغير وهو ما يقال له بالافرنجية Adaptation

كان التأليف بالعربية لأول أمره ساذجاً لاتعقيد فيه ولافلسفة ، مداره على الرواية وتصحيح السند . وأكثر ما دون فى الصدر الاول كان فى الاحكام والسنة والشعر واللغة . وكثر المؤلفون والرواة والناقلون فى القرنين الثانى والثالث بقيام المذاهب ، والاخذ عن اللغات الاعجمية ، وبتشعب أغراض الامة فى الفتوح والاستعمار ، فخرج التأليف بالضرورة عن الايجاز الى التبسط ، وروعيت فيه مدارك الخاصة ومن بعد طبقتهم من العامة ، وانضم الى علوم القرآن والسنة بعض علوم لها مساس بالدين . وكثرت بين العرب علوم الدنيا أو المعروف من أنواعها يومئذ . وأجمل ما وقع التأليف فيه من الموضوعات ما كتبه مؤلفوه بين القرنين الثانى والسادس

بعد المئة السادسة أخذ الضعف يسرى الى التأليف ، وكانت سرايته خفيفة بادىء بدء لا يكاد يشعر بها . كانت القاعدة العامة فى القرون الاولى اجادة المؤلفين ، وأصبحت الاجادة فيهم فى

القرون التالية من الشواذ والنوادر . وكأن التأليف فى الاسلام كان قرين السياسة ، لما تراجعت هذه تراجع فيها التأليف ونامت الافكار . ذلك لأن التأليف عندنا عاش فى ظل الخلفاء والامراء والاغنياء ، ونشط بعطفهم وسخائهم . وكان العظيم يرى من الغضاضة عليه وعلى سلطانه ألا يقرب العلماء والادباء ، وألا يصرف معهم ساعات يحاورهم ويساجلهم ، ويعتقد أن من واجبه أن يأخذ بأيديهم وينعشهم . ومن العظماء من كانوا صادقين فى برهم العلماء ، ومنهم من كانوا يحاولون أن يتخذوا منهم آلات يستخدمونها فى أغراضهم . وما خلا باب كبير من الكبراء من فقهاء وأدباء ورواة وحكماء متحققين بعلوم القدماء ، ومن ندماء ومؤدبين ، وكانوا كلهم أصحاب بيان وتبيين . وكان يزيد عدد المؤلفين كلما كثرت الممالك المستقلة عن الخلافة استقلالا ذاتياً ، وتعددت الحواضر ، واشتدت حاجتها الى من يزينها من الرجال ، ويقوم على سياستها وحكمها من العاملين

واستولى التتر والترك على بلاد العرب ، أصحاب هذا الدين وهذه الحضارة ، فوجهوا أول ضرباتهم القاسية الى العلم العربى ، وقضى هولاكو على بغداد (٦٥٦ هـ) وكان جنكيز من قبل قضى على عواصم العلم فى آسيا وخرب بلاد ما وراء النهر وخوارزم وخراسان وقندهار وملتان ، وبتخريب جيوشه الجرارة نعق الغراب فى بخارى وسمرقند وبلخ وخرات ونيسابور وشيراز وأصفهان وطوس وقزوين ومراغة ومرو ، وكانت كل هذه القواعد مراكز العلم الاسلامى ، ومنها كانت تصدر التآليف الممتعة ، كما كانت تنتشر من الاندلس وأفريقية ، ومصر والشام والعراق . وبعد تلك النكبات أخذ كل جيل ينحط عن سابقه ، وضعفت مادة الحياة ومادة التفكير وكان القرن الماضى آخر تلك الأدوار المظلمة ، وقد آضت فيه الأقطار العربية إلى حالة من الجهل والفوضى تبكى وترمض ، ورجع الناس القهقرى فى كل شىء ، وغدوا كالبهائم يتصرف بهم رعاتهم على هواهم ، وخلت البلاد من الطبيب والمهندس والفيلسوف ، ومن الفنون والصنائع التى كانت قوام المجتمع ، وكان العرب قد كتبوا فى هذه الفروع وأجادوا وخاضوا عباب أبحاث لا يخطر بالبال أنهم كتبوا فيها كتابا أو كتباً ، وتمت أمنية الملوك الاغبياء فى سوق الأمة الى الجهل بتحريك أعصاب التعصب فى الناس على أيدى المتفقهين والمتصوفين ، وتحققت رغبات الترك بما حاولوه من القضاء على العرب ، وكانوا يعملون لذلك منذ دخلوا فى خدمة خلفاء بغداد فى القرن الثانى

بدء النهضة الحديثة فى التآليف

وشاءت الاقدار ألا يظل العرب فى مؤخرة الأمم ، بعد ذاك التاريخ المجيد الذى يحق لهم أن يفاخروا به ، فتقدمت مصر للنهوض ، وقامت تتوفر على استرجاع ذاك المجد المؤثل ، وأنشأت العقول تنتعش ، ونسيس الحياة يدب ، بعد سبات طالت لياليه السود ، تعلق القدر أن ينبعث عز العرب من مصر فى القرن الأخير ، وكان ينبعث كل جديد لهم من بغداد فى زمن كان الظلام مطبقا

فى الأفكار الأخرى ، وما باكرت الحرية أرض الفراعنة الا لتزعها يدها قبل غيرها من أيدى العثمانيين

وغريب تاريخ مصر فى العلوم والآداب، لم ينبغ فى عصورها الاسلامية عظماء فى الفقه والحديث والكلام والفلسفة والادب والشعر والطب والحكمة على مثل مانبغ فى بغداد ،ومع ذلك ما فقد منها المتوسطون فى كل عصر ، بمعنى أن العلم ما انقطع من واديها ولو على شىء من الضعف . وكان المتازون فيها الذين يشتهرون شهرة خالدة فى حكم المفقود . واشتهرت مصر فى العهد الحديث بنوابغها ، وعددهم قليل جداً والمتوسطون كثار . وللسلطان كما للبلدان دخل غير قليل فى شهرة العلماء ، وعظمة علماء مصر وأدبائها على نسبة قوة دولتها . ولا يرجى غير هذا من بلاد اعتادت على مختلف القرون ان تكون مسخرة بأيدى الكبراء

نعم لم ينبغ فى مصر فى الزمن الغابر أمثال الجاحظ والرازى والبيرونى والكندى وابن سينا وابن رشد وابن زهر فى العلم والحكمة ، وأمثال مالك وأبي حنيفة ومسلم والبخارى والطبرى وابن حزم وابن تيمية فى الفقه والحديث . ولا مثل ابن المقفع وسهل بن هارون وعمر بن أبى ربيعة وأبى تمام والبحترى والمتنبى فى الكتابة والشعر، بيد أنها ما خلت فى كل عصر من فئات لا بأس بها لم تجد من السلطان عضداً قويا ، وباعد نظام الطبقات بين الاغنياء والفقراء ــ والعلماء والأدباء هم غالباً من صنوف الفقراء ــ وفى العادة ألا يهتم أرباب الثروة لغير مظاهرهم وشهواتهم ، وشهرة الأديب والعالم تزيد وتنقص على كل حال بحسب بعده وقربه من أصحاب الدولة

وكيف السبيل الى انعاش التأليف العربى ، ومصر خارجة من حكم استبدادى مميت رزحت تحته قرونا ، والأداة التى يؤلف بها وهى العربية ضعفت واختلت ؟ وجامعها الأزهر معقل العربية الوحيد كان فى حقيقته شبحاً بلا روح ، واسماً بلا مسمى . وأتى القرن الماضى وليس فيه من بين مئات من مدرسيه وألوف من دارسيه سوى أفراد قلائل يحسنون كتابة أسطر صحيحة من حيث الاعراب ، سقيمة من حيث التراكيب ، ضعيفة من حيث الفكر ، والبارع منهم من يحشر نفسه فى زمرة المؤلفين وهو لا يحسن الا تحشية الحواشى وايراد الاشكالات ، ومناقشة خصومه بالحق والباطل . والماهر الباقعة من يحسن الاعلان عن نفسه ، ويمكر ويمكر به أصحابه ، فيدعى أنه يؤلف فى المبحث الفلانى ، وبالطبع يكون موضوعه مما أكل الدهر عليه وشرب ، فلا يلبث أن تنهال عليه التقاريظ من زملائه ومصانعيه ، وهناك ، كفيتم البلاء ، صوب عقولهم ، ومعرض سخفهم ، به يدرك مستواهم العلمي، وتتعرفون إلى ما وصل اليه منظومهم ومنثورهم من التفاهة . وقد يكتفى ذاك المؤلف الدجال بما ورد عليه من التقاريظ ، ويبقى نشر كتابه الى يوم الحشر والنشر . ونسأل الله السلامة مما حوت تلك التقاريظ من هجوم على الحق ، ومبالغة سمجة ما عهدت للعرب ولا للعجم

وما برحت الحال على هذا الشكل المؤلم حتى قام نابغة مصر الامام محمد عبده ، وعالج التأليف بعلاجين اثنين، كان لهما أبلغ الاثر فى حياة اللغة وإحياء التأليف ، فأتى على أبشع مظهر من مظاهر الكلام ، وأخرج الكتابة من الركاكة والتكلف الى السهولة والطبع ، مستعيناً على فك قيود البيان العربى بالجريدة الرسمية ، وكان يتولى رياسة تحريرها . حاول أن يرجع الانشاء الى ما كان عليه فى القرن الأول والثانى من الهجرة ، ووفق إلى حد بعيد فى مرماه ، وخلص الناس من السجع البشع والمحسنات البديعية وبعمله خف اللفظ الدخيل الثقيل ، وحييت فصح وشوارد كانت من قبل منسية . وظاهرته حكومته فأملى إرادته على الموظفين فى الدواوين . وأرادهم على ألا تخط أيديهم فى الطروس إلا ما يفهم وبأوجز عبارة . عمل هذا وقد عم الفساد هذه الصناعة صناعة القلم قرونا ، وما كان إنشاء أرباب الدواوين من قبل بعربى ولا أعجمى . كان أكثر ألفاظه عربية اذا تدبرت كل لفظة بمفردها . أما التركيب ، فكان أعجمياً مبتذلا

هذا أول إصلاح قام به عبقرى مصر فعم نفعه البلاد العربية جمعاء . والاصلاح الثانى عنايته باصلاح الازهر إصلاحاً أخرجه عن جمود طالما عشش فيه ، توفر على إبدال منهاج بال ركيك ، بمنهاج جديد أنيق . وقد رأى الزمن يتطلب من رجال الدين عقولا عامرة بالعلم ، ناضجة بالفكر والتدبر . وأن دواعى الحضارة الحديثة تتقاضاهم أن يفكروا تفكيراً صحيحاً ، ويثبتوا ما يفكرون فيه على الورق بعبارة سليمة مفهومة . فكان ، وهو أزهرى مثلهم يعرف ما يصلحهم ، واضع الحجر الاساسى فى بناء الاصلاح فى الازهر ، ومن الثابت أن إصلاح المعتل أصعب من وضع أساس سليم من أول الأمر ، فقد بذل شيخنا رحمه الله فى اصلاح هذه الدار جهوداً عظيمة وما برح الازهر مقصراً عن المدارس العليا التى بدئت بأنظمة مقررة محررة مثل دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى الملغاة ، فكانت هاتان المدرستان العاليتان تسيران على نظام جيد ، وبفضل المتخرجين منهما خرجت اللغة عن غثاثتها ، فداووها بما ثقفوا ولقفوا من آدابها ، فالى المتخرجين على أساتذة تينك المدرستين يعزى السبق فى إحسان نسج الكلام ، وتجديد حلل التأليف والتصنيف والنقل والاحتذاء فى هذا العصر ، والى نقد جهابذة الاساتذة فى صفوف المدارس وعلى صفحات الصحف والمجلات والكتب ، يرجع انتباه الكاتبين والمؤلفين لنشدان الأساليب الجميلة ، وتعرية التأليف من كساويها البشعة . وقامت الجامعة المصرية القديمة تلقى العلوم فى صورة محاضرات كمعظم المدارس العالية فأصبح للبيان قيمة وللمنشئين مقام . وغدا الفرق محسوساً بين ما ألف فى القرن الماضى والقرون قبله ، وما ألف فى الاربعين سنة الاخيرة

تحسين أسلوب التأليف فى مصر

دخل التأليف فى طور جميل ، وبدأ التبويب والترتيب فى الكتب ، وشرعوا بتقطيع

الجمل ، ووضع اشارات الترقيم ، وعنوا بالترجمة لكل باب ، والاشارة لكل فصل ، وضم شتات كل مبحث الى شكله . وكانت المؤلفات فى عصور الانحطاط محشوة بالنقول كيفما اتفق ، مملوءة بالاستطرادات والمسائل التافهة يكتبها كاتبها من أولها الى آخرها جملة واحدة لا فصل فيها ولا تفريق ، ولا أثر فيها لنقل ولارأى ، لا تلمح فى تضاعيفها من نور البصيرة بصيصاً . والمؤلف الحديث يدرس موضوعه ويتمثله وينقده ، ويتطلب ممن يعتقد أنهم أعرف منه بموضوعه أن يصارحوه فى تأليفه ، ثم يعاود تبييضه . ثم تراه يشير فى أسفل الصفحات الى المصادر التى أخذ منها ، ويجهد أن تأتى عبارات المتن مضمومة فى سلك واحد لا يشعر القارىء أنها مأخوذة من مراجع عديدة . وهذه طريقة جاءتنا من الافرنج فاقتبسناها فى جملة ما اقتبسناه عنهم ، ووجهتنا وجهات كان لها أطيب الأثر فى المؤلفين ومنها وضعنا الفهارس المنوعة فى آخر الكتاب لتسهل على الباحث الكشف عما فيه من الفوائد . ومن الافرنج أخذنا أسلوب الصور فى كتبنا العلمية والادبية وجرينا على طرقهم فى هذا المعنى بحيث لا نحس إذا ألقينا رائد الطرف على بعض الكتب الحديثة أننا عشنا زمناً تحت سلطان من كانوا يخوفوننا من التصوير ويحرمونه علينا لئلا نعبد الصور !

كان لمن تخرجوا بآداب لغتهم وضموا اليها آداب لغة أخرى يد باسطة فى النهضة الحديثة . وكان من جمعوا بين ثقافتين من المؤلفين هم سادة الموقف ورجال الساعة كما يقول المحدثون ، وكلما كرت الايام والليالى تجلت للانظار الدرجات التى اجتيزت وقطعت . وكانت الصحافة عاملا مهماً فى هذا التجدد والتحول ، وكانت بعض الصحف المتقنة كتباً سهلة التناول كل يوم تبحث فى كل فن ، وكان كتابها ومؤازروها الأداة الصالحة فى بث التفكير الغربى وبيان ما أصبنا به من القصور عن اللحاق بأهل المدنية الحديثة

وبقدر ما كان أرباب الاقلام يدفعون عن لغة التأليف ما أضناها من عنت الايام كانت اللغة تقرب من الرشاقة والفصاحة ، وتستوى لغة مرنة تقبل ضروب الافكار . ومن أهم ما أعان على تصحيح لغة التأليف ما وقع إحياؤه من أمهات كتب القدماء من العرب ، فأخذ الأساتذة والتلامذة من أساليب بلاغتها ما طاب لهم وتمثلوه واستعملوه فى كتاباتهم

ومن هذه الدراسات نشأت مدرسة مصرية جديدة فى الشعر ، ومدرسة جديدة فى النثر ، وتأثر بهاتين المدرستين كتاب الصحف والرسائل الديوانية ، وتأثر بما أنشأوا فى الاكثر من كانوا على اتصال دائم بهم من القراء . لا جرم أن الصحفيين خرجوا باللغة من ركاكتها وأظهروها لما نوعوا من الاساليب فى مظهر جديد فزادت قوتها فى التصوير والتعبير ، ونشروا بين العامة ألفاظاً ومصطلحات ألفوها بكثرة التكرار . فكانت الصحافة مدرسة الخواص والعوام ومدخل المستعدين من المؤلفين الى تجديد مؤلفاتهم ، وبرزخاً للجمهور انتقل منها إلى مطالعة الكتب

وصفحة تقرأونها من مؤلفي القرن الماضي والقرون الثلاثة التي قبله تعارض بأخرى لمؤلف ثقة من أهل هذا القرن ، أو لكاتب في جريدة أو في ديوان تتبينون بها مقدار الدرجات التي قطعها الأدب وقطعها تأليف الكتب والرسائل والمقالات . ونظرة عجلى في تأليف القرون الأخيرة وتأليف هذا القرن تنبئكم بما حدث من رقي في الأفكار بتجديد طريقة عرضها على المطالعين . وكانت كتب عصور الانحطاط نقولا من كتب منها ما هو غير معتمد عند الثقات ، أو احتذاء خفيف من أسفار لاكت الألسن ما فيها كثيراً وتبرمت بها النفوس لما شفعت به من حواش وهوامش تربك الذهن وتعقد العلم . وليس فيها جديد في الاسلوب ولا في المقاصد

أنتم الآن اذا تلوتم كتابا في الزراعة او الطبيعة أو الجغرافيا من منقولات أوائل النهضة ، وقارنتموه بما نقل من نوعه مؤخراً ، ظهر لكم ان ذلك الدور في التأليف كان دور الاستعداد للدخول في هذا الدور السعيد . وأن من ترضيكم اليوم مكتوباتهم من حيث سلامة اللغة وسلامة الفكرة هم ممن درسوا في مدارس معنية باللغة العربية ، وبهم ارتقت لغة القضاء والسياسة والطب والزراعة والاقتصاد ، وسائر ما لقفه المصريون من العلوم العقلية

ونظرة أولى على ما تصدره الجامعة المصرية الآن من كتب ومجلات ، وما يصدره الازهر ودار العلوم ، وما تنشره النظارات والجمعيات من مختلف النشرات ، تقفكم على ما بلغته لغة التأليف من جمال ورشاقة

ونظرة ثانية على الصحف المصرية اليوم ومعارضتها بأحسن الجرائد التي كانت تصدر من ستين سنة تناديكم بما تم في العربية من انقلاب في الأسلوب والنقل . ونظرة ثالثة على لغة الدواوين ومقابلتها بما كان يكتب من نوعها في القرن الماضي وما يكتب فيها اليوم تهديكم الى مواقع الاستحسان في هذه اللغة الحديثة ، فيقع في النفس أن العربية عاد اليها عزها الأول أو كاد . ونظرة رابعة في خطب خطباء السياسة وخطباء الجوامع والمعابد تؤذنكم بارتقاء لغة التخاطب أيضاً ، وأن ملكة البلاغة استحكمت في فئات كانت من سنين ألفاظهم عامية ، وتراكيبهم عامية ، وتصوراتهم عامية

ما يتطلبه الناس من التأليف ومن يؤلف لهم

أكثر المتعلمين اليوم يتذوقون البلاغة ، ولذلك لا يرضيهم من المؤلف أن يكتب موضوعه كيفما اتفق ، بل يرغبون اليه أن يصوغه في قالب مقبول ، ويعرض عليهم زبدة مما محص وحقق ، مثال ذلك كتب الشيخ محمد بخيت وكتب الشيخ أحمد ابراهيم في الفقه ، فان الأول على جلالة قدره في هذا الفن ، لم يكتب لمصنفاته القبول كما كتب لمصنفات الشيخ الثاني ، ذلك لأن الشيخ بخيتا لم يرزق من نعمة البيان ما يؤهل كتبه للاستحسان عند العارفين ، ونالت مصنفات الآخر

موقعاً من النفوس لما كتبت به من طراز جميل . فقد كتب هذا مسائل الفقه بلغته العذبة النقية ، ولم يسف الى الاخذ من ركاكات المتأخرين من الفقهاء . وخصلة أخرى وهى أن الشيخ أحمد لم يجمعه على مذهب معين ، ونظر فى الشريعة الى أبعد من نظر الفقيه الحنفى . والشيخ بخيت ، وهو من قدماء الازهريين ، لم يأخذ بنصيب من علوم القدماء ، ولا من علوم المحدثين ، واتسع أفق الشيخ أحمد بما لقفه من بعض فروع العلوم الحديثة ، وبينا كان الشيخ بخيت يحرم وبعض أقرانه الازهريين تدريس هذه العلوم ، ويشورون على الامام محمد عبده لرغبته الصادقة فى اصلاح الازهر ، وكان أحمد ابراهيم يقرأ مبادىء هذه المعارف فى دار العلوم والشيوخ يحرمونها ، وقد أسقطوا رسالة التوحيد لمحمد عبده بدعوى أن فيها كفراً وهى اليوم داخلة فى برنامج دروس الازهر . ولما يمض ربع قرن بين التحريم والتحليل !

وما يقال فى كتب الشيخ احمد ابراهيم يقال فى مصنفات الشيخ عبد الوهاب النجار فانها أخذت من تاريخ الملة بأصح الاقوال . فما راق صنيعه بعض الازهريين منذ سنين ، وأثاروا عليه حرباً وهو لا عيب له الا أنه ليس ممن يقول ان الارض واقفة على قرن ثور . ولا يقرأ أخبار العجائز الزنجيات ولا يعتقد بكرامات والد شيخ الازهر يومئذ ، وابنه الفاضل يزعم له فى هذا العصر . أنه كان فى حياته يطعم من طعام واحد خمسين الف انسان ! أى ان بضعة أرادب حنطة على هذه الحال كانت تكفى لاطعام القطر المصرى بفضل بركات الشيخ !

بقى أن نقول ان من يؤلفون فى مصر على الأغلب هم من المضطرين الى التأليف بحكم أعمالهم ومناصبهم ، أى أنهم من عمال الحكومة ، ومن الموظفين فى جامعتها ومدارسها . ويندر أن ترى تصنيفاً لرجل استقل بعمل له فى الحياة ، وصرف جهوداً فى ناحية من نواحى العلم الكثيرة ، فانقلب ينشر تجاربه وأبحاثه ويعرض على قومه ما أداه اليه اجتهاده فى حجره ومكتبه . ولو أقدم كل العارفين على نفع الناس بمحصول تجاربهم كما فعل الدكتور حافظ عفيفى فنشر كتابيه « على هامش السياسة » و « الانجليز فى بلادهم » لغنيت العربية بأسفارها الممتعة . ولو كان كل مؤلف يكتب بعد التفكير كتيباً أو رسالة كما فعل قاسم أمين وكتب « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » وكما فعل عبد الرحمن الكواكبى فكتب « طبائع الاستبداد » و « أم القرى » لرجحت كفة تآليفنا فى الميزان ، ولوقع المثقفون من خزائننا العربية على ماهو متاع للنفس ، ووفاء بحاجة الرجل المتحضر المستفيد

التأليف فى البلاد العربية

فى الوقت الذى أخذت مصر تسير فى طريقها الى احياء اللغة العربية ، وتحيى باحيائها صناعة التأليف ، كانت الشام وهى أعلق بمصر من جميع الاقطار ، تفنى فى دولة الترك ، وليست بالعربية ولا

بالتركية - فى تلك الحقبة قام من الشام احمد فارس مؤلف الكتب اللغوية والادبية . وتجلى نبوغه فى البلاد التى ارتحل اليها وأصدر فى الاستانة جريدة الجوائب ونشر عشرات من كتب الادب القديم ، وسعى الى تعرية اللغة من السجع والسخافات البديعية ، ومزج الجد فى الهزل فى بعض ما كتب ، فحظى عند الطبقات المختلفة ، وأحدث تأثيراً فى ملكات المتأدبين فى الولايات العربية . وبعمله وعمل مدارس المبشرين الكبرى وبعض مدارس الموازنة فى لبنان اشتهر أفراد عنوا بالعربية ونشروها والفوا فيها كآل البستانى وآل اليازجى ، فشاركت بذلك الشام مصر فى هذه النهضة المباركة ، وسرت الحركة الادبية بعد حين الى الاقطار المجاورة وكان يقدر سيرها فى كل قطر بقدر ما سبق له أن أنشأ من مدارس ، وما رسخ فى ربوعه من تعاليم قامت على شيء من علم وأدب

ولنا أن نقول ان الشاميين والتونسيين ، وان تأثروا بنهضة مصر ، فقد كان لبلادهم قديم ترجع اليه وتسير على أثره ، لأن العلم الدينى ، وما كانوا يسمونه علم الآلات أى النحو والصرف والبيان ، كان متأصلا فى تونس بعض تأصل بفضل جامع الزيتونة ، وفى الشام بفضل بقايا المدارس القديمة ، وبصنع احفاد العلماء الاقدمين . وكانوا يدرسون فى الجوامع والمدارس وفى بيوتهم حباً بالعلم ، أو تفاديا من أن يزول عنهم الطابع الذى كان لهم ، وبه كانوا ينعمون ، وبه كانت مظاهرهم ، ومنه كانت ادراراتهم وأوقافهم ووظائفهم الدينية

أما التآليف التى صدرت فى تلك الفترة فكانت فى قاعدة الشام الداخلية محصورة ببعض الكتب المدرسية وبعض كتب القدماء ، لم يحسن ناشروها تصحيحها ، ومن أجلها كتب مدرسية منوعة وضعها أستاذنا الشيخ طاهر الجزائرى ، وفى الساحل كانت التآليف أشكالا ، ومنها ما كان ينم عن علم كبعض تآليف المبشرين الامريكان المستعربين ، ومنها ما كان فيه نقل عن اللغات الغربية أو كتب مسروقة منتحلة من كتب القدماء . والشعر ضعيف والنثر أضعف واكثر الكتب المدرسية تكتب بروح البلد الذى تصدر فيه ، وترضى الطائفة التى يريد دعاتها تصريف كتبهم على أبنائها . واستفادت البلاد على كل حال من المنافسة بين الطوائف النصرانية ، وكان المسلمون آخر من انتبهوا الانتباه المطلوب ، ولذلك قل فيهم المؤلفون يومئذ وقل فيهم الصحافيون

وما برحت العربية تعالج سكرات الموت فى الشام والعراق واليمن والحجاز وما الى ذلك من الاقطار التى حكمها العثمانيون ، حتى وضعت الحرب العالمية أوزارها ، وأخذ كل قطر يفكر بما يصلحه ، فدبت روح النهضة فى هذه العشرين سنة . وبدأت العراق تخرج مصنفات مصبوغة فى الجملة بالصبغة العربية الداخلة فى حلل جديدة من التنسيق ، وتحيي الى ذلك شيئاً من تراث الاقدمين . وكانت مصنفات العراقيين من قبل كناية عن شعر سخيف ، ومناقشات مذهبية لاتزيد العقول إلا ظلمة . كأن العراق ما كان مقيل العلم والادب اكثر من خمسمائة سنة . وكأنه لم يخرج للامة أعظم المؤلفين فى كل فن ومطلب ، وكأن مصنفاتهم ما برحت مداخلنا الى ساحات

العلم . ومصابيح نستضيء بها في هدايتنا ، وخزانتنا الثمينة التي نفزع اليها يوم افتقارنا الى من تتعلم منه . وهي موضع اعجابنا واعجاب الأمم على الدهر

وسبق أبناء الساحل من الشاميين أبناء الداخل في تلقف العربية بفضل ما كانت تستمتع به الارساليات من الحرية في الحكم التركي . ولما نفس خناق البلاد العربية هب سكان الداخل ينشئون بأنفسهم لأنفسهم معاهد تربية ما عتمت أن أخرجت طبقة صالحة منها المؤلفون والمترجمون والشعراء والكتاب . وبعد أن كانت بيروت تكاد تكون مستأثرة بالتأليف والصحف بفضل جامعتيها البروتستانتية والكاثوليكية ، عادت دمشق تنازعها هذا الشرف بجامعتها العربية ومجمعها العلمي ، ونشرت الكتب الجيدة في الطب والكيمياء والطبيعة والرياضيات والحقوق والزراعة والتاريخ والاجتماع والأدب وغيرها . كأن جراثيم الرقي كانت كامنة في أبناء البلاد من سقي النيل الى سقي الفرات ومتوقفة على من يحركها تحريكا خفيفا حتى تنمو وتدرج . وكان منتهى علم العالم عندهم أن يحفظ مسائل من الفقه وشيئا من قواعد العربية ، ومنظوم القوم ومنثورهم أشبه بفروض يكتبها اليوم صغار الطلبة في المدارس الابتدائية ، ونبغ أدباء وشعراء يحاولون أن يعوضوا الزمن الذي فات ، وأن يتلافوا قصور أجدادهم

والفضل في ذلك للمدارس التي قضت على الطريقة القديمة في التعليم ، وأصبحت تعلم كل العلوم الابتدائية والوسطى والعليا باللغة العربية وتسير على طرق الغرب في مناهجها ، فأخرجت أقلام المتخرجين فيها كتبا جيدة ، وضعف التعليم الديني في الشام وقوي التعليم المدني فصار النابهون يؤلفون العلوم والآداب ، ولا تكاد تجد مؤلفا يؤلف في موضوع ديني إلا اذا كان في شيء من الردود والمناقشات . ولولا الدرس الحديث ما قام في الشام والعراق أولئك المؤلفون الذين كتبوا على الطرق الحديثة . ومثل هذا يقال في تونس فان فيها زمرة تحسن التأليف . بيد أن العربية بقيت ملكا لأفراد من الشيوخ في طرابلس وبرقة وتونس والجزائر ومراكش ، وبها تصدر بعض الكتب على الطريقة القديمة في الأكثر . والعربية ضئيلة في المدارس النظامية ، ضئيلة بين الشعب . ولولا جامع الزيتونة وجامع القرويين لماتت العربية جملة من شمالي افريقية ، ومات بموتها التأليف العربي والتفكير العربي . ومؤلفات مصر تداوي النقص في تلك الاقطار فيقبل الناس على قراءتها شأن الناس في كل قطر عربي

ضعف التأليف في اكثر الاقطار

يكاد يكون البلد الذي منه ظهر الخير للامة العربية ــ ونعني به الحجاز ــ مقفراً من كل شيء اسمه تأليف بالعربية ، ولم نر لبنيه الى الآن شيئا يذكر في باب التأليف ، والشعر منحط والنثر منحط ولا صحف هامة ، ولا مدارس عالية ، وكذلك يقال عن اليمن وضعف التأليف فيها ، وكانت اليمن

أيضا مباءة علم ومثابة آداب في الاسلام، وكان من بنيها خيرة العلماء كما نبغ منها أفضل القواد والجنود لم تدخل اللغات الغربية الى التعليم فى كتاتيب اليمن والحجاز ونجد . ولذلك كان ما وصلنا من كتبهم الجديدة صورة من صور القرن الثانى عشر والثالث عشر . لا جرم ان الانتفاع بالمؤلف يزيد على قدر أخذه من المدنية الغربية وتأثره بأساليبها سواء كان بلغاتها أو بما ترجم منها الى لغتنا ، وعلى قدر إحكام المؤلف ملكة البيان تحوز كتبه القبول فى البيئات المختلفة . ولا نغالى اذا ادعينا ان جماع المؤلفين فى هذا العصر هم ممن درس مبادىء العلوم فى المدارس النظامية ، وكان لهم ملكة فى لغتهم وأنسة بآدابها ، ثم أخصوا وتخصصوا . وكم من كتاب فقد أحد الشرطين فى جماله : لغة المؤلف . واتقان الموضوع ، فجاء مسخا عاريا من كل ما يحببه الى العين والفكر

كثر عدد من درسوا العلوم العصرية عندنا ، ولدى مصر والشام نموذجات من المدارس العليا ، على نحو ما عند أمم الافرنج منها ، ولكن كم كان عدد من أحسنوا تطبيق الدساتير والنظريات من هؤلاء الألوف المؤلفة من المتعلمين ؟ ان هذا البطء الذى يسير فيه التأليف بالعربية لا يرضاه لها أصحابها وأنصارها . قد يجيد التأليف أناس هم فى غير حاجة الى أن يعيشوا منه أكثر ممن تقضى عليهم مناصبهم أن يصنفوا ، أو يحملهم الغرور وحب الظهور الى أن يدسوا أنفسهم فى غمار المؤلفين ، والمجتمع فى غير حاجة الى تأليفهم وأكثر مايؤلف على هذه الصورة قد يموت فى سنته . وقد يعيش المرء خمسين سنة مؤلفا يجيد اذا كتب وفكر ، ولا ينتج إلا قليلا ، والابداع نقرأه فى هذا الشيء القليل . وليست مكانة التأليف بعدد مجلداتها بل بالزبدة التى حوتها ، والفائدة التى ضمنتها ، ورب كتاب لا تصل الى آخر سطوره حتى تمل وتتقس نفسك منه . ورب سفر تعاود قراءته مرات . وكلما طرحته من يدك وددت لو يتاح لك تصفحه مرة أخرى

ليست الاقطار العربية التى سارت فى التأليف على أقدام مصر فى مستوى واحد . فالشام تجيء بعد مصر ، والعراق وتونس بعد الشام ، ثم ان بلاد العرب ولا سيما الامارات العربية الواقعة على المحيط الهندى والخليج الفارسى اقتصرت على اقتناء كتب مصر والشام لأنهـا بلاد تغلب البداوة عليها . ولا علم ولا تأليف مع بداوة ، وليس فى تلك الأرجاء علماء وأدباء بالمعنى الذى نفهمه من العلم والادب فى الديار المصرية والشامية ، وهى ضعيفة فى مظاهر حياتها على ما فى بنيها من ذكاء نادر ، وكيف يتأتى الانتفاع بهذا الذكاء وليس هناك أسباب حافزة لانبعاثه : لا أمراء تعطف عليه ولا أغنياء تجود له ، ولا جامعات ترسم له خطط سيره . والعلم ما أزهر ونضج فى كل العصور إلا فى ظل دولة قائمة أو جماعة من أهل الخير يقظة ، كانت العرب فى القرون الوسطى وقبل القرون المتوسطة سادة هذا الشأن ، ولم تخرج أمة من العلماء بقدر ما أخرجوا ، ولم تنتج أمة فى مدة قصيرة مثلما أنتجوا ، وهى اليوم بالقياس الى الامم التى تماثلها بعددها دون الوسط بعلمها وعملها وتأليفها وحركتها

ما هى التآليف التى نتطلبها

تتطلب حاجة البلاد العربية الى من يؤلف لها فى كل فن ومطلب ، فيتناول من الموضوعات القريبة من الأذهان ما يستفيد منه تاليها وسامعها فائدة عملية ، تسليهم وتعلمهم وتنير طريقهم وتزيد فى ثقافتهم ، نريد مؤلفين هضموا وتمثلوا ما تعلموا أو درسوا ، وأبرزوا ما لديهم فى قوالب مغرية . نريد مؤلفين يتحفوننا سنة فسنة بأجمل محصول من قرائحهم وأبحاثهم . لا مؤلفين يكتبون رسالة أو كتيباً يقدمونه أطروحة لنيل شهادة العالمية ثم يسكتون طول العمر ، على حين نجد المؤلف الغربى لا يفتأ منذ عهد المدرسة الوسطى الى أن يدفن فى التراب يبحث ويدرس وينشر ما اهتدى اليه . نريد مؤلفين يجعلون من التأليف ديدنهم لا أن يأتونا كالديك ببيضة واحدة مرة فى العمر ، أو كبيضة العقر لا يرجى لها خلف

حاجة الأمة ماسة وأى مساس إلى كتب جديدة تستهوى عقول الكبار والصغار ، وتصنع بحسب مدارك الفلاحين والبلديين والتجار والصناع ، لتقربهم من الخواص فيزول ما بين الطبقات من فوارق طالما كانت العائق الأكبر عن التقدم . حاجتنا الى مؤلفين يحببون المطالعة إلى بنى قومنا على ما نرى ذلك فى بلاد اليونان والبلغار والرومان

فانك لا تدخل فى تلك الممالك مقهى ولا مطعما ولا فندقا ولا متنزها ولا دار تمثيل وغناء وسينما ومحاضرات الا وتجد الكتب والمجلات والجرائد فى أيدى الناس يغتنمون دقائق من فراغ قليل لينظروا فيما تحمل أيديهم ويلتهموه التهاما

الكتب يا قوم مقصور تأليفها عندنا على فئة صغيرة جداً ، ويقوم رواجها على أناس مخصوصين ، والمؤلف لا يعيش من تأليفه ولا يرتفق بقلمه ، وجمهور الامة بمعزل عما يكتب . وليس لنا مؤلفون ألفوا أحراراً وكتبوا أحراراً . نريد مفتنين يعيشون من فنهم وريشتهم ، وأرباب عقول ينعمون بفضل عقولهم ، ولا عظمة ولا مجد بغير العلم وكتب العلم

نريد كتباً حية تصبر على حرارة النقد ، ومؤلفين أجلاداً لا يوقفهم شىء عن نقد الكتب نقداً صحيحاً ينفع العلم والمتعلمين من الفئة التىلا تصانع الطابعين ، ولا تخاف صغار المؤلفين ، ونريد صحفاً تجهر بالحقائق تقررها ، والمحاسن تنشرها ، والمقابح لا تسترها

نريد مجلات لا تخلع على صعاليك الكتاب والمؤلفين خلعاً من الثناء لا يستحقونها فيضلونهم بالتمليق ويضلون من يعتقد الصدق فى تلك الامادیح من القراء

نريد أن يعرف الناقدون واجبهم فى النقد ، وأن يوقن المنتقد عليهم أن الناقدين أحسنوا اليهم بما نقدوه من كلامهم ، وأن يعلموا علم يقين أن خير الكتب ما انتقد ، وأخسها ما أغفل نقده

وعلى ذكر الكتب أريد أن أنبه الافكار الى أن بعض أسفارنا القديمة التى طبعت مؤخراً هى

من تأليف عصور الانحطاط حشاها مؤلفوها بتخريفات وتحريفات لا تطاق ، ولو طبعت الامهات عن جودة التأليف فى عصور عزة الأمة لتوفر على بنينا عناء كبير ، وجاءهم خير كبير

دثرت كتب القدماء وبقيت كتب المتأخرين لاستيلاء الفناء على الكتب القديمة بتقادم العهد وجريان حكم الزمان عليها بالمحو والافساد ، كما قال العلامة ريتر Ritter ، ومن ذلك ضياعها وتلفها عند استيلاء الاعداء على البلاد ، وجنايتهم على الكتب بالاحراق والاغراق ، ومنها اعتداء بعض أهل المذاهب على كتب مخالفيهم ، ومنها انه كان جل هم المعلمين والمدرسين أن يضبطوا قواعد كل علم بأقصر لفظ فعمدوا الى تهذيب مؤلفات من سبقهم وتنسيق المباحث وترتيبها ووصل كل بحث بما يجانسه ، وضم كل فرع الى أصله ، واختصروها إيثاراً للايضاح والتقريب ، وتسهيلا للتعليم والتعلم ، فآثر المحصلون كتبهم على الكتب القديمة من أجل ذلك ، فصارت المؤلفات السابقة كأنها منسوخة باللاحقة فتركت وأهملت ، ونسيت حتى تصرف الدهر بنسخها تصرفه

ومما يؤلم التصريح به إنا إذا نظرنا فى الكتاب العربى رأيناه منذ ثلاثة عشر قرنا لم يخرج عن الصورة التى ظهر بها إلا قليلا ، ولا حاد عن خطة مرسومة معينة ، ولكم بهذا أن تصفوه بما يشبه الجمود اذا قيس بكتب الأمم المتحضرة اليوم . هذا ونحن نرى كل شيء ينمو فى العالم ويدخله التحسين ، والعالم أبداً ينتقل من جميل الى أجمل ، ومن نافع الى أنفع . نريد أن نرى كتبا ككتب الجاحظ يوم كتبها تبسم وتضحك وترقص وتغازل وتغنى . نريد كتبا تكون فتنة لقارئها لا يتركها إلا وقد استوفاها من الدفة الى الدفة ثم يكررها قائلا : المكرر أحلى . نريد كتبا للحياة الحاضرة تحفزنا للعمل للحياة ، فيها من علم الحال لا من علم الباطل والخيال . نريد كتبا تخلقنا بأجمل أخلاق العصر لا كتبا تذكرنا بالماضى فقط

نريد كتبا نفتحها باحترام ، ونتصفحها باحترام ، ونطبقها باحترام ، ونحفظها فى خزائننا باحترام ، نريد كتبا نربى بها بناتنا وبنينا . نريد شيئا نقدسه يستحق التقديس ، وهل أجدر بالتقديس من زبدة عصارات العقول موضوعة على ورق ؟ نريد كتبا تخرج لنا مثال الكمال من النساء والرجال كأحسن ما يتخرج أهل المدنية الفاضلة وأن نبنى عزتنا القومية على أساس متين من الآداب ، نريد كتبا توصل أهل جيلنا بالجيل الذى يليه لاستغلال هذا الذكاء المبدد فى أرضنا والتلذذ بثمراته الغضة اليانعة . نريد كتبا تضم دفتاها أثمن الدرياقات الناجعة فى مداواة جهلنا سادتى :

التآليف فى أمة مشعل نورها ، ومقياس تفكيرها ، ومعيار نهوضها ، ورمز جهادها ، وعنوان حضارتها ، وآية مجدها ، فعلينا أن نفكر حق التفكير بما يورثنا هذا المجد ، ويعيد الينا هذه السعادة

محمد كرد على

خواطر في الصيف

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى

في هذا الصيف ، والناس يصطلون حره ، ننشر لحضرة الاستاذ الكبير عبد العزيز البشرى هذه الخواطر اللطيفة التي تتقد طرافة ولطفاً ووصفاً دقيقاً للصيف في مصر عامة ، وفي القاهرة خاصة . ونحسب أن قارىء هذه الخواطر سيجد فيها متاعا وسلاما من وقدة هذا القيظ الشديد «المحرر»

بين الصيف والحر

قبل كل شيء ينبغي أن نفرق بين الصيف والحر . فالصيف هو صدر من العام له من الأيام مبدأ ونهاية (رسميان) ، يعرفهما أصحاب الفلك ، وتدل عليهما التقاويم ، أما الحر فهو وقدة الجو وسخونة الهواء . على أن بين الصيف والحر علاقة هي ان الصيف ظرف والحر مظروف ، أعني أن الحر يقع ، عادة ، في فصل الصيف ، كما يقع البرد ، عادة ، في فصل الشتاء ، وان كانت تختل هذه العادة في بعض الأحيان ، فيلفح الحر في هذا كما يقرس البرد في ذاك

وانى أنتهز هذه الفرصة فأقرر أن من التجوز الشديد تقسيم الفصول في بلادنا الى أربعة ، أسوة بكثير من البلاد الأخرى : صيف ، خريف ، فشتاء ، فربيع . وأقول : من التجوز الشديد ، لأننا لا نكاد نحس هنا إلا حراً والا قراً . فاذا اعتدل الجو في بعض الأيام ، فذلك نادر لا يستقيم به القياس في الاحكام . وإلا فخبرني بعيشك أين الربيع في مصر ؟ اللهم ان أكثره لممدود في وقدة الحر ، وصدره منكمش في قبضة الشتاء !

ثم أين الخريف ؟ أستغفر الله ، فالخريف في بلادنا أعرف من أن تلتمس له وجوه التعريف . فهذه الحيات أشكال وألوان ، وهذه الأوباء صنوان وغير صنوان ، من تيفود وتيفوس ، ومن انفلونزا تقصف الأعمار وتخترم النفوس

الصيف

ولقد تسألني : أي الفصلين أحب إلى أهل مصر . فأجيبك من فوري غير متردد ولا متفتر : إن أحب الفصلين إلى المصريين ، على وجه عام ، هو الصيف . الموسرون والبائسون في هذا الايثار بمنزلة سواء ، وان اختلفت فيه السبل ، وتباينت الأسباب والعلل

فالموسرون يحبون الصيف لانهم يشدون فيه الرحال الى أوربا ليصيبوا من اللهو واللذة الى منتهى الجهد ، ويبلغوا الصبا أوالتصابى غاية الأشر ، فاذا صرفهم عن الشخوص الى الغرب صارف ، فهناك المتع فى قصور الرمل ، والتقلب فى المتع على سيف البحر (البلاج)

وأما ثلاثة أرباع الموسرين وأنصافهم ، وأعنى جمهرة الموظفين ، فيحبون الصيف لانهم يتحررون فيه من كد العمل ، ويخرجون فيه بالاجازات السنوية إلى الغرب أو الى الثغور المصرية ليصيبوا ما يصيب الموسرون ، فمن لم يستطع هذا ولاهذا فحسبه الراحة والدعة ، وهيهات أن تضيق به الدنيا وفي الضواحى سعة

وطلاب العلم وسائر التلاميذ ، ففى الصيف عتقهم من رق المذاكرة والدرس ، واطلاقهم من إسار الجسم وإسار النفس

هذا ما كان من أمر الموسرين وأشباه الموسرين ، والوجه فى ايثارهم للصيف وتعجلهم لمقدمه طوال العام . أما المقترون البائسون ، فلعل حبهم للصيف أشد ، وايثارهم له أعظم . فقد علمت ، حفظك الله ، أن برد الشتاء يحتاج الى التدثر وتلفيف عامة الجسم بمختلف الثياب ، وقد لا يغنى منها إلا المتين الصفيق ، كما يحتاج الى اتخاذ الفراش وإثقال الغطاء ، والتماس وسائل الدفء خلاصاً من حدة البرد وتفادياً من أذى القر

ثم ان البرد ، كما تعلم ، يفتح اللهاة ويهيج الشهوة إلى الطعام ، ويسرع بالهضم ، وتدعو الطبيعة فيه إلى موالاة الأكل تحريكا للدم ، وبعثاً للحرارة فى الجسم ، وكيف للمعسر ، اذا وأى نفسه بكل هذا ، بمواتاة الولد ، وسد جوعهم ونهمهم ، ومطاوعة شرههم وقرمهم ، الى ما يقتضى من النفقة فى الثوب والرداء ، والفرش والغطاء ، والقدة والاصطلاء ؟!

أما الصيف وحبذا وقدة الحر فى الصيف ، فهى كما تعلم أيضاً ، مما يسد اللهاة ، ويقبض شهوة الطعام ، ويفتر الجسم ، ويخذل المعدة ، ويأبى عليها الحركة إلا بقدر يسير . فهى فى هضم الطعام محتاجة إلى الزمن الطويل ، فاذا زاد الطعام في المقدار أو كثر فيه الدسم أثقلها وأبهظها ، وأغناها بالوجبة الواحدة فى اليوم الأطول

وأما الرداء فخيره أخفه وأشفه . وأما المنام فعلى جلدة السطح أو بين يدى الباب ، والا ففى عذارى الطرق متسع للجميع

أصدقت الآن أن الصيف أحب الى الفقراء أيضاً وآثر عندهم لرفقه فى أبواب المعيشة بهم ، وتخفيفه فى وجوه النفقات عنهم . ولا تظن أن وقدة الحر ترهقهم كما ترهقك ، وأن شدة القيظ تبلغ منهم بعض ما تبلغ منك . فانه لا يصنع بك هذا إلا تعود الترف وارسال النفس فى فنون النعيم . وحسبك أن تتفضل بزيارة شارعنا فى منتصف الساعة الثالثة بعد ظهر يوم حلقت حرارته إلى السادسة والاربعين ، لترى هذا الذى يحمل على رأسه (هرما) من البرتقال أو الموز أو التفاح .

وهذا الذى يدفع بين يديه (قطاراً) من (الشمام) أو (العجور) أو (الخيار) . وذاك الذى يقود برذونا يجر عربة (بترول) ، وهو لا يفتأ يلهبه بالسوط ليتحرك ، لان هذا (البغل) انما يضيق بالحر ويتخاذل به بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن صاحبه - حبذا لو جزت بشارعنا فى تلك الساعة وسمعت من حناجرهم ذلك الصريخ ، لتشفق على النوام من سكان الارض والأيقاظ من سكان المريخ ، ولجزمت بأن أحداً من هؤلاء لو كان يستشعر قيظاً أو يحس حراً . ما استطاع دفعاً ولا استطاع جراً . ولكان جهده نفثاً ، وصياحه لهثاً : آمنت بالله المعين !

مصايف !

على أن الله الذى قدر الارزاق على بعض عباده قد مد لهم أسباباً من المتاع والسلوى والفرج من كد الايام . وإن للمصريين من أهل القاهرة وغيرها من كبريات المدن لمصايف جميلة لا يكلفهم غشيانها من النفقة جليلا ، بل إن شاؤوا لا يجشمهم فتيلا . وحسبك أن تسلك فى ساعة الغروب من أيام الصيف هذه (الكبارى) التى تصل بين شقى القاهرة لترى أفاريزها تموج موجاً بالواقفين المطلعين على النيل ، المتنسمين نسيمه العليل . وأكثرهم من الشباب . وأكثر هؤلاء تجدهم (Chacun avec sa chacune) ! ومن سنين يسيرة كنت ترى جميع هذه (الشاكينات) ملففات فى الملاء . أما الآن ، فترى كل ملاءة قد انحسرت عن فستان أو شبه فستان !

وقلت لك إن هذه المصايف لا تجشم الرواد شيئاً ، فالرجل هى المركب فى الغدو والرواح . والمرتع ظهر (الكبرى) فاذا أتحفت (الشكينة) من الحلوى بما يساوى (تعريفة) ، فحبذا الهدية الثمينة والتحفة الطريفة !

وأخيراً ، فانى لا أحب أن أنصرف عن هذه الخواطر العجلى دون أن أثبت ملاحظة ، أو على الاصح ، دون أن أدل على ظاهرة طبيعية اختص الصيف بها مصر دون سائر بلاد الله

هذه الظاهرة العجيبة أن هناك اتفاقاً وثيقاً لا شك أنه أوثق من اتفاق دولتى المحور ، بل إنه لأشد وثاقة من الاتفاق بين انجلترا وفرنسا القائم فى هذه الايام . وهذا الاتفاق الوثيق المتين معقود بين الطبيعة و (وابورات) الثلج فى مصر . ومقتضاه أنه بمجرد ارتفاع درجة الحرارة الى الحد المرهق تكسر (وابورات) الثلج من تلقاء نفسها كسراً لا يجبره إلا اعتدال الجو وابتراد الهواء . وبرغم أصحاب تلك (الوابورات) وبرغم الثلاجين المساكين يرتفع ثمن (اللوح) الى العشرين والثلاثين والاربعين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

أصدقت الآن أن هذا الاتفاق أوثق خمسين مرة من الاتفاق بين من ذكرنا من الدول ! وحاشا أن يبلغ اتفاق الساسة مهما كانوا من الابرار ، اتفاقاً تعقده الطبيعة وتبرمه الاقدار !

عبد العزيز البشرى

في التعليم الجامعي والاجباري

رأى الاديبة النابغة الآنسة مى

احتدمت المناقشة أخيراً حول التعليم الجامعي والتعليم الاجبارى فى مجلس النواب وبين بعض الكتاب . وقد تضاربت الآراء فيها . وقد رأينا أن نأخذ رأى الأديبة النابغة الآنسة مى فى هذا الموضوع . فأفضت الينا بهذا الحديث الطريف

« لست من القائلين بتقييد التعليم الجامعى تقييداً يضعف من شأنه ، ويصرف الشعب عن الاهتمام به ، ويدفعه إلى اعتباره ترفاً علمياً ، وارستقراطية ثقافية لا حاجة للامة اليها الآن ما دامت أكثريتها أمية لا تعرف القراءة والكتابة . فالتعليم بجميع أنواعه ضرورى لكل أمة ناهضة تعمل لبناء مجدها العظيم ، وتسعى للرقى فى جميع نواحى حياتها العلمية والفنية والاجتماعية

نريد عقولا ناضجة لا نسخاً من كتب

« ولكننى فى الوقت نفسه لست من القائلين باطلاق التعليم الجامعى للاذكياء وغيرهم ، ولأصحاب الاستعداد الطبيعى ، ومن لا استعداد عندهم للاستفادة من هذا التعليم

« بل يجب أن يقتصر التعليم الجامعى على ذوى المواهب الذين يمكن أن يستفيدوا ويفيدوا ، ويستطيعون أن يهضموا العلوم والفنون العالية ، وينتجوا انتاجا مبتكراً نافعاً يرفع مستوى الحياة العقلية والاجتماعية فى الأمة ، فان الغرض من التعليم أن يستفيد الانسان ويفيد ، لا أن تخرج الجامعة نسخاً من الكتب الدراسية ، فالكتب كثيرة على نحو ما تقول الاقصوصة الظريفة . فقد قابل رجل آخر ، فأراد أن يفاخره بعلمه فقال له :

— لقد حفظت البخارى كله . .

فأجابه الثانى :

— لقد زادت نسخة فى البلد . . !

« فنحن لا نريد من التعليم الجامعى نسخاً ، ولكننا نريد عقولا ناضجة منتجة . وهذه

الغاية لا يمكن تحقيقها ما لم ننتق لكل كلية من كليات الجامعة المستعدين أصحاب المواهب . وهذا ميسور من الاطلاع على درجات الامتحانات ، ومن توجيه الطلبة قبل التعليم الجامعى الى النوع الذى يميل اليه كل منهم بطبعه وباستعداده ، كما أنه ينبغى أن تلاحظ ميول الطالب حين اختياره للجامعة ، فلا يكفى الاستعداد الطبيعى للتعليم الجامعى فقط ، بل لا بد أن يدخل الطالب الكلية التى يميل بطبعه الى تعليمها ، ويأنس من نفسه الرغبة فى علومها ، فلا يصح أن يلتحق شاب يميل الى الآداب بكلية الطب ، ولا شاب يميل الى الهندسة بكلية الحقوق أو الزراعة أو التجارة

« وعلى أولياء الطلبة أن يتعرفوا ميول أبنائهم ، ويوجهوهم الى النوع الذى يميلون اليه ، ويمكنهم أن يفيدوا منه وطنهم دون أن ينساقوا وراء عواطفهم ، ويتحكموا فى مستقبل أبنائهم فتكون النتيجة عكس ما يريدون ، وقد شهدت عدة حوادث فى مصر ولبنان أضاع فيها الأبوان كثيراً من الوقت والمال على أبنائهم ، لأنهم عدلوا بهم عما يتفق وميولهم واستعدادهم فأصيبوا بالخيبة والفشل

العبرة بالكيف لا بالكم

« ولا تقل إن أصحاب المواهب والاستعداد الفطرى قليلون ، فكيف تقوم الجامعة ذات المبانى الضخمة والميزانية الكبيرة على عشرات من الطلاب بدل المئات والآلاف ؟

« وأنا أجيبك أن العبرة فى التعليم الجامعى بالكيف لا بالكم . فرب متعلم موهوب خير لأمته ووطنه من ملايين من المتعلمين . ولو فرض أن كل كلية من كليات الجامعة لا تقوم إلا بواحد من الطلبة ذوى الاستعداد الممتاز لكفى الجامعة فخراً ، وكفى الأمة حاجة شديدة اليها . فما الفائدة من جامعة تضم الآلاف دون أن يكونوا قواداً لأمتهم ، وأركاناً لنهضتها الجديدة

« ولست أريد أن أحمل على الجامعة بشكلها الحاضر ، فانى أعتقد أن فيها كثيراً من ذوى المواهب والاستعداد الفطرى ، ولكننى أحب أن تقتصر الجامعة على هؤلاء دون غيرهم إذا أريد الاستفادة منها الفائدة المرجوة من التعليم الجامعى

الهدم ليس وسيلة البناء

« أما التعليم الأولى أو الاجبارى ، فالعناية به لا تتعارض وقيام التعليم الجامعى ما دمنا

مقتنعين بأن الأمة في نهضتها الحاضرة محتاجة الى جميع أنواع التعليم ، وما دام الرأى فى هذا التعليم أن يقتصر على المستعدين له دون غيرهم . وينبغى ألا يقال إن واجب الحكومة أن تقيد التعليم الجامعى لتشجيع التعليم الاجبارى ، إذ ليس من الصواب أن تهدم الدولة ركناً قائماً من أكبر أركانها لتبنى بدله ركناً آخر بحجة أن الميزانية لا تتسع لقيام الركنين معاً ، وأن الأمة فى حاجة الى هذا الركن الأخير قبل أى شىء سواه ، فالهدم ليس من وسائل البناء

« كما أنه لا يصح أن نطالب الدولة بأن تفرض ضرائب جديدة لتنشر التعليم الاجبارى فى أنحاء القطر ، فقد أتخمت الأمة المصرية بالضرائب ، وليس فى استطاعتها بعد الآن أن تتحمل منها أعباء جديدة

وجوب التدرج فى التعليم الاجبارى

« فالرأى إذن أن تسير الحكومة فى نشر التعليم الاجبارى بالتدريج ، وأن تتروى فى تجارب هذا التعليم ، فليس الغرض منه أن نعلم الأميين القراءة والكتابة وبعض المعلومات النظرية التى تفيدهم أو لا تفيدهم ، ولكن الغرض من التعليم الاجبارى أن يعرف الفرد كيف يحيا ، وكيف يتعامل ، وكيف يفيد نفسه ويفيد غيره فى بلده التى يعيش فيها ، وفى اقليمه الذى يستوطنه ، وفى بيئته التى يقيم بين أهلها

« فلتعمل وزارة المعارف نماذج من هذا التعليم ، ولتختبر نتائجه . ولا تثريب عليها إن طال اختبارها حتى توفق الى مصلحة الشعب . فانجلترا التى سبقتنا بمائة عام فى نشر هذا التعليم ما زال فيها الى الآن أميون

« وعندى أن تسير برامج التعليم الأولى والابتدائى على النمط الاقليمى . فيكون لكل إقليم برنامج تعليمى خاص ، بحيث يمكن أن تثمر التربية والتعليم فى كل بيئة من بيئات الأمة وفى كل اقليم من أقاليمها وفقاً لحاجة الأهالى ونوع معيشتهم . فالعلم كالغيث لا يجود ولا يثمر ثمراً نافعاً إلا حيث توجد البيئة والطقس والتربة الصالحة »

طاهر . . .

الحلف الثلاثى

اهو للحرب أم لتوطيد السلام ؟

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

من الجهل أن تتوهم ان الشيوعيين يمنحون للدول الكبرى الثبات والامان . وهم لا يصدقون بالشيوعية لانهم يتربصون بها الدوائر ، ويترقبون لها الزوال

روسيا قوة كبيرة من الوجهة الحربية

لانها كثيرة السكان ولاتزال كثرة الجنود هى العدة الكبرى فى الحروب فلاتغنى عنها الاسلحة الحديثة ولا القيادة البارعة ولا الخطط السريعة

ولانها غزيرة المواد زراعة وصناعة ، فعندها من الغلات والأقوات ما يكفيها ، وعندها من المناجم والذخائر الطبيعية ما يمد صناعتها بما يغنيها عن الصناعات الاجنبية ، عند الضرورة

وتختلف الانباء فى احصاء قوتها من الدبابات والطيارات والمدافع الحديثة ، ولكنها على أقل تقدير شىء يحسب له حساب فى ترجيح فريق على فريق

ولا يشق عليها أن تحارب فى ميدانين أو فى عدة ميادين من الشرق الاقصى الى حدودها الغربية ، لان سيبريا مستقلة — أو مكتفية — بجيشها وسلاحها ومناجمها ومواردها الصناعية والزراعية فضلا عما يستطاع عمله أثناء القتال من تحريض أهل الصين على اليابان وفضلا عن تنظيم المواصلات برا وبحرا بين روسيا الاصيلة وأقاصى المشرق مما يسهل نقل الجنود والمعدات بين ميدان وميدان كلما دعت الى ذلك ضرورة عسكرية عاجلة

واذا فرضنا أن الجيوش الروسية انهزمت فى ميادين الشرق والغرب وتراجعت أمام أعدائها فالجيوش التى يحتاج اليها أولئك الاعداء للمحافظة على خطوطهم والانتشار فى طول البلاد الروسية وعرضها لا تقل عن مئات الالوف من الجنود ولا تزال على خطر

الثورة والانتقاض ، وهى حالة ينتفع بها من يحالفون الروسيا ويقفون معها فى صف واحد أمام أولئك الاعداء

***

لهذا اهتم الانجليز والفرنسيون بضم الروس اليهم فى الحرب المقبلة ، وفتحوا باب المفاوضات معهم للاتفاق على حلف دفاعى محدود الشروط معروف الاغراض من الآن

فبهذا الحلف يستطيع الانجليز والفرنسيون أن يبروا بعهد الضمان لرومانيا وبولونيا على وجه حاسم سريع

وبهذا الحلف يستغنى الانجليز والفرنسيون عن ابقاء الملايين من الجنود فى الهند والشرق الاقصى لمقاومة اليابان أو لاتخاذ الحيطة الواجبة اذا التزمت اليابان خطة الحيدة المشكوك فى مراميها

وبهذا الحلف تستطيع الولايات المتحدة أن تجد المراكز البحرية والهوائية التى توجه منها الهجوم على الجزر اليابانية ، اذا أدى الامر الى اشتباك هذه الدول جميعا فى القتال، وهو احتمال قريب بل هو أرجح الاحتمالات فى جميع الاحوال

***

ولكن هل الروسيا مع هذا حليف صالح ؟ أو هل هى حليف يعول عليه ؟

ذلك ما نرتاب فيه أشد ارتياب

لان السلام فى العالم ليس من مصلحة الروسيين ، اذ كانوا يعلقون على الحرب وقوع الخراب الجائح الذى يعجل بالثورة العالمية ويحقق الاحلام الشيوعية ، ويقضى على الدول الكبرى التى يجمعونها كلها فى اسم واحد وهو « دول رأس المال »

ولان الروسيا لن تحارب لمحض الوفاء بالعهود ، ولن تحسب التقيد بالعهود فضيلة مشكورة مع ماهو معروف فى حكم مذهبها الشيوعى من اعتبار الدول كلها أعداء ومن قسمة العالم كله الى ميدانين اثنين : ميدان الشيوعية وميدان رأس المال ، ويستوى فيه الالمان والايطاليون والانجليز والفرنسيون والامريكيون

فالروسا اذا حاربت فانما تحارب متى أصابها الخطر فى صميم بلادها ، أو متى علمت أن الحرب تحقق المصالح الشيوعية وتعجل بقيام الثورة العالمية ، وهى فى هاتين الحالتين تساق الى الحرب سواء تعاقدت على دخولها أو لم تتعاقد ، فلا معنى لان تعطيها الامم ثمنا غاليا لدخول حرب هى داخلتها لا محالة لتحقيق مصلحتها المفروضة دون مصالح الامم الاخرى

***

نعم ان الشيوعيين يمقتون الفاشيين لما بينهم من العداوة المذهبية وما يشتغل به الفاشيون من تأليب العالم كله على الشيوعيين ، ولكننا ينبغى أن نذكر دائما أن أنصار كارل ماركس

ولئين يعتبرون الدول الميسورة الغنية خطرا أكبر من خطر الدول المفتقرة الى الارض والمال ، لان الدول الميسورة هى فى رأيهم معاقل رأس المال وحصون النظم الاجتماعية القائمة على رأس المال . فاذا جنحت بهم العاطفة الى كراهة الالمان والطليان لانهم يشاكسونهم وينافسونهم ويقمعون الشيوعيين فى بلادهم ويؤلبون العالم عليهم فهم عند التفكير يخافون الدول المطمئنة الغنية ولا يخافون الدول الفقيرة المشرفة على الخراب ، فان هذه الدول مهددة بالثورات قريبة من الانقلاب الذى يتمنونه لقيام دولة الصعاليك . أما الدول الغنية الآمنة فهى بنجوة من الثورات وهى التى تؤخر اليوم الموعود يوم الثورة العظمى فى جميع الاقطار وبين جميع الطبقات

وعلى هذا يجوز أن يتم الحلف بين الروسيا وفرنسا وبريطانيا العظمى ، ويجوز أن يرغب فيه ستالين لتوطيد مركزه المزعزع فى بلاده ، ويجوز أن تهتم الروسيا بخطر المانيا المباشر فى الآونة الحاضرة اهتماما يحجب أغراضها المذهبية وآمالها المعلقة بالثورة العالمية الى حين

بل نحن نعتقد أن ستالين يعمل من زمن طويل لاضطرار فرنسا وبريطانيا العظمى الى مفاوضته والاعتراف بمكانته ، وان هذه الكتب التى تصدر بالفرنسية والانجليزية وهذه الصحف التى لا تزال تلح أشد الالحاح على شعوب الغرب فى ضرورة المحالفة الروسية انما تعمل بايعاز من موسكو وتخدم مقاصد ستالين

نقول من أجل هذا أن ستالين يجوز أن يحرص على الحلف بينه وبين فرنسا وبريطانيا العظمى ولكنه لن يتغير هو ولا أعوانه فى تفكيرهم وطبائعهم عندما تسنح لهم فرصة التخريب والتدمير وايقاع الدول جميعا فى هاوية الفشل والخذلان

فمن الجهل أن نتوهم أن الشيوعيين يتمنون للدول الكبرى الثبات والامان وهم لا يصدقون بالشيوعية لانهم يتربصون بها الدوائر ويترقبون لها الزوال ، وكل ما يرونه من الفارق بين المانيا وايطاليا من جهة وبين فرنسا وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة من جهة أخرى أن الاولين أخطر فى الوقت الحاضر وان الآخرين أخطر فى المستقبل القريب وأشد خطرا فى المستقبل البعيد

هل يقال مثلا أن الحالة فى الروسيا قد تبدلت وأن الغلاة فيها قد فترت حماستهم وخامرهم الشك فى عقائدهم وطلقوا فكرة الثورة العالمية أو أجلوا العناية بها بعض التأجيل ؟

ان قيل هذا فمعناه أن الحكومة الروسية الحاضرة مشكوك فى قواعدها منظور لها السقوط والانحلال أومنظور لها التعرض للمنازعات والقلاقل التى تصحب التحول من مذهب الى مذهب وتقترن بمحاولات التوفيق بين النقائض والاضداد

فلا يغرب عن بالنا على هذا أن الحلف الروسى تجربة تنفع بمقدار ما تشعر الروسيا

بالخطر على وجودها ، وأن المحافظة عليه مرهونة باضطرارها الى هذه المحافظة لا باختيارها، وأن اخلالها به محتمل جد الاحتمال ولو بعد اشتراكها فى القتال اذا حسبت أن الصلح المنعزل يعجل بخراب الفاشيين والديمقراطيين على السواء ، ويمهد الطريق لقيام الدولة الموعودة فى أحلام كارل ماركس ولنين

والمسألة بعد مسألة ضرورات متعددة وتجارب شتى لا محيص من معاناتها ، ومادامت الدول لا تبذل ثمنا غاليا للحلف بينها وبين الروسيا فتجربة هذه الخطة السياسية خير من تركها ، على شريطة الحيطة التامة لما يعتريها من النكسات والمراوغات ، أو على شريطة الاستعداد لانقلاب الروسيا وتدعيم السلام بدعائم أخرى لا تقتصر على القوة الروسية ، وهى وشيكة أن تنقلب يوما من الأيام خطرا على السلام

عباس محمود العقاد

الحلم الأشقر

يا وتر الحب الذى يُسكرُ سعادُ أنتِ « حُلمٌ أشقرُ »
يا بسمة فى الفجر ضحّاكة دغدغها الليلُ الندى النيرُ
يا عِشة الزنبق يا طهرَهُ حُبّكِ حبٌ فى الحشا أطهرُ

***

سعادُ مهما قال فيك العدا واكثروا فى القول أو ثرثروا
فأنت للعاشق دنيا هوى ذكراها لا تمحَى ولا تُدثَرُ
عرفتها . . . اللهُ من ذكرها دنيا من الأحلام إذ تُذكرُ
فيها من الأمال أشهى المنى فيها من الأحلام ما يُسكِرُ
فيها ؟ . . وما فيها سوى لذة عذراء منها المسكُ والعنبرُ

بيروت — الجامعة الأميركية **موسى سليمان**

في جحيم الحزبية

مدام رولان

بقلم الاستاذ حسن الشريف

« أيتها الحرية . ما أكثر ما يرتكب باسمك من الآثام »

مدام رولان

كانوا اثنى عشر ، وكانوا يمثلون اقليم « الجيروندة » فى الجمعية الوطنية ابان الثورة الفرنسية الكبرى

اثنا عشر ولكنك لا تجد بينهم الا الخطيب اللسن أو الشاعر الموهوب أو المحامى الفصيح أوالاديب المرهف الاحساس . ولقد اتخذوا مقاعدهم فى مقدمة صفوف المعارضين فلم تكد المناقشات تدور والمعارك الكلامية تحتدم حتى تبين النواب والجمهور أهمية هذه الفئة القليلة فاتجهت اليها الانظار وانعقدت عليها الآمال

وكانت آراؤهم فى الدين والسياسة والاجتماع ككل الآراء السائدة فى تلك الفترة المحزنة من تاريخ فرنسا : كفرا بالله وانكارا للاديان حتى ليأخذ أحدهم على الزعيم روبسبيير ذكره العناية الالهية فى سياق كلامه فيرميه بالرجعة ويحذر الاخوان من ذلك الرجعى الذى لا يزال يؤمن بشىء اسمه الله ، وحبا للحرية وتعشقا للمساواة حتى لتكاد جسومهم تنضح بما أشربته من مبادىء روسو ونظرياته ، وشغفا بالجمهورية لا يجاوز حدود الغزل والتشبيب اذ كانوا يعتقدون فيما بينهم وفى قرارات نفوسهم أن الملوكية نظام نافع ومفيد

كانوا رجال كلام ، كل بضاعتهم جمل خلابة وعبارات منتقاة . تسكرهم البلاغة ويسكرون بها الناس ، فتصبح فيهم كالخمر تلعب بعقل محتسيها حتى تخرجه عن اعتداله وتفكيره وتملى عليه مالا يقره اذا زالت عنه النشوة وعاد اليه الصواب . كان الواحد منهم يرتقى المنبر هادئا رزينا لا يضمر شرا للعرش ولا ينتوى اثارة الشعب ولا يعتزم حض الامة على العنف ، ولكنه مايكاد ينطق بالعبارات الاولى ويحس حسن وقعها فى النفوس ويسمع التصفيق ويرى علامات الاستحسان حتى ينسى حدود الاعتدال التى رسمها لكلامه فيندفع مع التيار ، ويستهويه البيان فينهال على العرش سبا وقذفا وعلى الشعب

اثارة وتهييجا ، كأنه يستطيب أن يرى الثورة سائرة الى أغراضها في بحر من الدماء أو فوق جسر من الاشلاء . فاذا ما انصرفوا من قاعة الاجتماع وحاسبوا أنفسهم على ما قالوا، تولاهم الندم وعرفوا أنهم أسرفوا وأفرطوا من حيث كانوا يريدون القصد والاعتدال

ولهم في هذا المضمار جمل مأثورة وعبارات اقترنت باسمائهم في ذاكرة الاجيال ، اذ كان لها الاثر الاكبر في توجيه الثورة نحو الوسائل العنيفة التي امتاز بها عهد الارهاب، كما كان لها الاثر الاكبر في مصيرهم يوم تناولهم بها أعداؤهم وأرسلوهم ليذوقوا آثارها العملية فوق النطع في ساحة الاعدام

فأحدهم « ايسنار » هو الذي أهاب بنواب الامة وقال : «ان الحرية شجرة لا تزهر الا اذا رويت بالدماء ، فابتروا العضو الفاسد منكم لتنقذوا الجسم من الفساد » ولقد نبعت الثورة وأهوالها من هذه القولة المشئومة حتى اذا آن أوان محاكمة الجيرونديين استخدمها أعداؤهم العاقبة ضدهم فاعتبروهم عضوا فاسدا في جسم الامة وذهبوا بهم الى المقصلة ليرووا بدمائهم شجرة الحرية الغالية

وأحد كبارهم « جانسونيه » هو القائل في معرض اثبات مؤامرة لم ينهض على المتهمين بها دليل : « هل للقضاة الذين يأبون اصدار الحكم الا بعد قيام الدليل أن يقولوا لي متى كانت المؤامرات تدون في المحاضر وتسجل في مكاتب الموثقين ؟ » ، فذهبت قولته مبدأ وقبل أن تنقضي عليها سنتان كان المدعي العام فوكييه تانفيل يتخذ منها سلاحا يطعن به الجيرونديين أمام المحكمة الثورية ، فاذا سأله أحدهم : أين الدليل على مؤامراتنا ؟ أجاب: « ليس عندي دليل فالمؤامرات لا تدون في المحاضر ولا تسجل في مكاتب الموثقين »

وزعيمهم « بريسوه » هو القائل : « ان الوطن في خطر لا يتحمل بطء الاجراءات فلتمض العدالة في طريقها مسرعة وكل خطأ تقع فيه مغفور» ولقد حفظها لهم عدوهم ابير حتى اذا وقفوا موقف الاتهام وصاحوا : واجهونا بالشهود ، قال لهم وهو يبتسم : « ان الخطر المحيق بالوطن لا يتحمل بطء الاجراءات »

وزعيمهم « فرنيوه » هو القائل في سبيل التنكيل بخصمه ماراه : «لا جناح على الامة اذا هي أقصت عن صدرها أبناء لا يطلبون ثديها الا ليمزقوه » ولقد أسرها له الوحش حتى اذا قام يطلب رؤوس الجيرونديين قال : « نعم أنتم أبناء الثورة ولكنكم عققتموها ، فنحن نقصيكم عن صدرها لكي لا تمزقوه ، وانا نكيلكم اليوم بما كلتم به خصومكم أمس فلا غبن ولا استذمام »

وهكذا قضى على أولئك التعساء أن يشحذوا السكين التي سوف تحز رقابهم وأن يوقدوا النار التي سوف تلتهمهم فيذهبوا ضحية افتتانهم بالعبارات الملتهبة العنيفة والكلام القوي الخلاب

كان كبيرهم بريسوه يجمعهم في بيته ليشاورهم فيما ستدور حوله مناقشات المجلس . ولكنه لم يكن بالزعيم المطبوع الذي يستطيع أن يؤثر بشخصيته ونفوذه في آراء اخوانه

أو أن يوجههم التوجيه الصالح نحو غايات معينة وأغراض ذات بال . لذلك لبث الجيروندبون بضعة أشهر أشبه بشرذمة من الاصدقاء منهم بحزب سياسى ذى نظام ودستور . ولقد كانوا يظلون كذلك لولا أن الاقدار أتاحت لهم معرفة امرأة هى التى جمعت شملهم ونظمت أمرهم ورسمت خططهم وصيرتهم حزبا قوى الكلمة مرعى الجانب ، فكان لها فضل خلق أول حزب برلمانى بالمعنى المعروف فى هذه الايام

تلك المرأة كانت السيدة مانون فيلبون التى اشتهرت فى التاريخ بكنية زوجها فعرفت باسم مدام رولان

كانت مانون تقترب من الاربعين ، وهى ليست بالمرأة المستكملة شروط الجمال ولكنها حسناء جذابة ، فى حديثها سحر وفى حوارها فتنة . وكانت من العلم والادب والثقافة على درجة تسترعى النظر وتحمل على الاحترام

قرأت فى حداثتها مؤلفات بلوتارخوس فاغرمت بسير أبطاله وودت لو أنها ولدت مثلهم رومانية أو سبرطية وفى عصر من تلك العصر المجيدة التى كانت تتسع فيها للنساء وللرجال ميادين المجد والعظمة وتتفتح أبواب البطولة والاستشهاد . ثم قرأت روسو فأولعت بالمبادىء الشعبية السمحة وبالنظم الجمهورية الحرة حتى باتت تقول : «انى أمقت الملوك لان أقبح منظر تراه عينى هو منظر انسان يحنى رأسه أمام انسان »

وتزوجت بالمسيو رولان لا حبا فيه ، فقد كان يكبرها بعشرين سنة ولم تكن خلقته القبيحة لتستهوى النساء ، وانما تزوجت به لتنقذ نفسها من عيشة الخمول التى كانت تعيشها فى بيت أبيها ولتجد لمطامعها المستترة ولخيالاتها الوثابة ميدانا أوسع تسرحها فيه

وجاءت معه من ليون الى باريس وانساقت فى تيار الثورة الكبرى عصبية المزاج مرهفة العواطف حديدة اللسان . فبينما كان أشد الثوريين تطرفا لا يفكر فى أكثر من ايجاد حكومة ملكية دستورية عادلة ، كانت هى تنادى بالجمهورية فى أوسع معانيها وأقصى مراميها وتطالب فى غير ما حذر ولا احتياط باسقاط العرش واعدام الجالس عليه ، ولا تتحرج فى أن تكتب الى أصدقائها السياسيين : «انكم تهتمون بالصغائر وتدعون الرأسين الكبيرين (الملك والملكة) يفلتان من أيديكم ليدبرا شقاء الشعب ومحنة الوطن . ألا حسبكم ما أضعتم من وقت حتى اليوم فها هى تلك العظائم تناديكم فاعملوا على محاكمة الطاغيتين (الملك والملكة ايضا) والا فأنتم صبيان كبار »

وسرعان ما استحال بيتها ناديا سياسيا يجمع أقطاب حزب الجيروندة ويضم أنصارهم من أعلام الثوار ، وسرعان ما تأثر اولئك الاقطاب والاعلام بشخصية تلك المرأة العجيبة التى وجدوا كل آرائهم ومبادئهم وشهواتهم وخيالاتهم ممثلة فيها الى جانب قوة فى الارادة وحزم فى التدبير واحكام فى القيادة والتوجيه لم يأنسوا مثله فى أنفسهم . ولمست مدام رولان بأصبعها مواضع الضعف فى نفوس أولئك الشعراء والادباء الذين طوحت

بهم عجائب الانتخابات الشعبية الى ميدان السياسة فى تلك الظروف الشاذة ، فعرفت كيف تكتسب حبهم وتمتلك زمامهم وتتخذهم أبواقا لها فى الاندية والمجتمعات وفى الجمعية العمومية والمجلس العرفى الوطنى بعد ذلك

ويظهر أن السياسة لم تكن كل شىء فى هذا البيت العجيب فلقد كانت مدام رولان كما أسلفنا امرأة حسناء ، ولكنها لم تكن تحس نحو زوجها أكثر من عاطفة احترام كسبها بصفاته الفاضلة ، فكان قلبها خلوا من حب يعمره ويغذى تلك الطبيعة الفوارة المتأججة • وكان من بين أولئك الشبان فتية لدان العود اكتملت فيهم الى جانب الفضائل الوطنية مزايا الجمال والرجولة والذكاء ، فلا عجب اذا صادفوا فى ذلك القلب البكر تربة صالحة لعواطفهم ، وفى ذلك الصدر الحنون وسادة طرية لرؤوسهم الملتهبة بنار الحب ونار السياسة ونار المغامرات

ومن ثم نشأت بينها وبين بعضهم علاقات هوى برىء لا تخدش عفاف المرأة ولا تؤذى شرف الرجل الا بالقدر الذى يفهمه الناس من ظواهرها ، والظواهر خداعة طالما غررت بالعقول • ولقد فطر الناس على اساءة الظن بكل علاقة تجمع بين امرأة ورجل مهما كان نوعها ، فذهب الخصوم والحاسدون يؤولون علاقة مدام رولان بأصحابها أسوأ تأويل ويفسرونها بما سولته لهم أنفسهم من التفسير • أما الزوج الحكيم الذى كان يريد أن يصل الى الوزارة من فوق أكتاف أولئك الشبان المتحمسين فلم يكن ليرى فى كل ذلك أكثر من مخادنة بريئة وعبث لا عيب فيه

وانقضت شهور على هذه الحال ثم بدت فى الجو تباشير الأزمات الخطيرة ، وآن للاعاصير أن تهب وللزوابع أن تثور • فأولئكم النبلاء المهاجرون يستثيرون أوروبا على فرنسا ، وتلك هى الملكة مارى انطوانيت تتهم بالتآمر مع الدول الاجنبية بواسطة أخيها امبراطور النمسا على غزو الوطن بغية قمع الثورة وتدعيم قوائم العرش المزعزعة ، وذلك هو الملك لويس السادس عشر يأبى الموافقة على ابرام التدابير الصارمة التى تقترحها الجمعية العمومية ضد الاشراف والمهاجرين ورجال الكنيسة ، ثم ها هى تلك أوروبا تتحالف وتجهز الجيوش للقضاء على الثورة التى باتت نارها تهدد العرش فى فرنسا وتكاد تتجاوزه الى غيره من العروش • فهل تقف فرنسا مكتوفة اليدين أمام هذا الخطر المحيق بها من كل صوب أو تنتظر أن يفاجئها العدو باجتياز حدودها لتقاومه ، أو تبدأه هى بالحرب حتى لا تصبح أرضها ميدان قتال ؟

اختلفت آراء الاحزاب والزعماء فى الموقف الذى ينبغى أن تقفه الحكومة ، وطال الاختلاف بينهم حتى كاد يفضى الى فتنة داخلية • أما مدام رولان التى لا تعرف الحيرة والتردد فكانت توحى الى أصدقائها الجيرونديين أن الحرب لا محالة واقعة ، فخير لفرنسا أن تكون البادئة بالهجوم • وكانت فى فرط بغضها للعرش وصاحبه تتفنن فى تكوين الادلة التى تعزز رأيها وتغرى أصحابها بالاخذ به فتقول : ان الحرب تستوجب اعلان

الحكم العرفي في البلاد ، والحكم العرفي وسيلة لتطهير الامة من الخيانة والخائنين • ثم ان الحرب ستكره الملك على تحديد موقفه ، فاما أن يتضامن مع شعبه في صراحة وجلاء فتحبط مؤامرته مع العدو الخارجي ، وأما أن يتضامن مع العدو وبذلك يخلع برقع الرياء ويتجلى وجهه على حقيقته فيسقط ويسقط معه العرش والملوكية وتفوز بالجمهورية المنشودة

وكان الجيروندبون يتلقون الوحي من مدام رولان ويبثون في الجمعية الوطنية نظرياتها وآراءها ويجرفون في تيارهم عددا كبيرا من الاعضاء المستقلين حتى سادت الاغلبية فكرة الحرب وبات شبحها ماثلا في الافق أمام الانظار

ولقد هال الملك ما وصلت اليه الحال ، وآنست ماري انطوانيت من الوزير ناربون ميلا الى الاخذ بسياسة الجيرونديين وجنوحا الى الاستعداد للحرب ، وتأثرت الملكة بنصائح بطانتها ومستشاريها فألحت على الملك في عزله ، واستسلم الملك لمشيئتها وعزل الكونت ناربون

ولقد كان لهذه الاقالة وقع شديد على الجمعية الوطنية أخرج أعضاءها عن حدود التحفظ والاعتدال ، فوقف الزعيم الجيروندي فرنيوه يفضح الايدي الخفية التي تسير الملك ، والمؤامرات التي تدبر بين جدران القصر ضد سلامة البلاد فقال : « انني من فوق هذا المنبر أسمع وأرى تلك الدسائس الخبيثة التي تؤثر في رأي الملك وتضلله • ألا فليعلم ساكنو القصر أن الملك وحده هو صاحب الذات المصونة التي لا تمس ، وأن يد القانون ستمتد الى كل من عداه من الاثمة والمجرمين مهما سما مقامهم وعلت مراكزهم • وليعلموا أيضا أن كل رأس تثبت عليه تهمة الخيانة أو العبث بالصالح العام سيقاد الى النطع ليلقى من سيف العدالة جزاءه الوفاق »

وأدرك الملك مدى هذا التهديد الموجه الى شخص الملكة ، ورأى الخير في أن يحني رأسه أمام العاصفة ، فأعلن أنه يقبل أن تتولى الحكم وزارة تختارها الجمعية الوطنية

واتجه التفكير أول ما اتجه الى تشكيل حكومة تضم أساطين أحزاب اليسار فيدخلها دانتون وروبسبير وغيرهما من كبار اليعاقبة • ولكن مدام رولان ــ وهي امرأة ككل النساء تفكر بعواطفها ــ كانت هنالك توعز الى أصدقائها الجيرونديين باحتكار كراسي الحكم وتنصيب من تحب وتنحية من لا تحب ، وتخشى اذا اشترك اليعاقبة في الوزارة أن لا يبقى فيها محل لزوجها • ولقد تم لها ما أرادت وتألفت الوزارة من الجيرونديين وحدهم وفاز زوجها بنصيب الاسد اذ أسندت اليه وزارة الداخلية وكانت أهم الوزارات

ولعل من نافلة القول أن نذكر أن رولان كان وزير الداخلية بالاسم ، وأن الوزير الحقيقي كان مدام رولان • فان الوزراء الجدد لم يكادوا يتقلدون مناصبهم حتى استوت الزوجة الى جانب زوجها تدير دفة الشؤون • وفي ذلك يقول باراس وهو من كبراء ذلك العهد : « قصدت يوما الى وزير الداخلية رولان لاتحدث اليه في شأن يعنيني فألفيت امرأته في مكتبه ، فلبثت أنتظر انصرافها لأبدأ حديثي ، وقد أحس الوزير مني ذلك

فقال : « تستطيع أن تتكلم أمام زوجتى فهى ليست غريبة عن أعمال هذا الديوان »

ويعلق باراس على ذلك فيقول أيضا : « والحق أن رولان هو الذى كان غريبا فى ديوانه لان امرأته هى التى كانت تعمل كل شىء وتسير جميع الامور ، فتعزل الموظفين الذين تأنس فيهم الميل الى سياسة غير سياستها وتعين فى أمكنتهم أشخاصا ينتمون الى حزبها ، وتقرر السياسة العامة للوزارة وترسم الخطط فى أهم الشؤون • ولم تقف سيطرتها عندهذا الحد فقدكانت تترأس الجلسات التمهيدية التى يعقدها الوزراء للتفاهم على المسائل قبل أن ينعقدوا بصفتهم مجلس الوزراء »

وكان طبيعيا أن يحدث اقصاء دانتون وروبسبيرعن الحكم أثره السىء فى نفوس العاقبة الذين عرفوا من أين هبت عليهم الريح ، فأسروها فى قلوبهم عداوة لمدام رولان ، وانطلقوا فى الاندية والمحافل يندددون بتلك المرأة « التى تسير عقول الجيروندبين وهى ساكنة فى قلوبهم » ويسخرون من تلك الوزارة « التى ليس فيها الا رجل واحد وهو مدام رولان ••• »

ولقد ظن الملك أن هذه الثغرة فى صفوف أعدائه كافية ليدخل منها الى الصميم من كيانهم فيضربهم الضربة القاضية ، فلم يشأ أن يصبر ريثما تفعل الاحن والحزازات فعلها فى النفوس ، وتحدث الاغراض الشخصية أثرها فى سير المسائل العامة ، وتدور رحى الحرب بين فريقى أعدائه فيتناحرا ويكفيه الله القتال ، بل تعجل الامور وتسرع فى التدخل وأقال الوزارة بعد أن أهان بعض أعضائها اهانة بالغة أوغرت صدور الجميع عليه

وسرعان ماأدركت أحزاب اليسار مدى الخطر الذى يتهددها ، فجمعت كلمتها ووحدت أمرها وصارحت الملك بالعداء ، فكانت الثورة المشهورة بثورة ١٠ اغسطس التى دكت العرش دكا وانتزعت لويس السادس عشر من فوقه وطوحت به وبأسرته الى السجن ثم الى المحاكمة والاعدام

وظنت مدام رولان أن الامر قد استتب لحزبها وان نفوذها قد أكتمل بسقوط الملك والملوكية وباتت تمنى نفسها بحكم البلاد مستترة وراء اصدقائها الجيروندبين • بيد أن الجمعية الوطنية خيبت آمالها اذ أعادت الوزراء المعزولين ومن بينهم زوجها بعد أن ضمت اليهم الزعيم دانتون الذى كانت تبغضه حتى لتتقزز منه نفسها الحساسة وتتأذى من رؤيته عيناها الجميلتان

وأحس دانتون منها هذا النفور ، وعز على كبريائه أن تقصيه تلك المرأة عن حظيرتها ، وان تعامله فى شيعتها السياسية معاملة الدخيل ، فقابل جفوتها بجفوة أشد منها ، وبيت لها فى نفسه حقدا لا هوادة فيه ولا رحمة ، وأقسم ليرسلنها الى النطع أو لترسلنه اليه • وأثار عليها الاندية السياسية والصحافة واستعان فى الحملة عليها بالوحش « ماراه » الذى لم يكن لدمامة وجهه سبيل الى قلب الزعيمة الحسناء ، وبروبسبير الذى كان يتشدد فى التمسك بالفضائل حتى لتأبى عليه نفسه اشراك النساء فى شأن من الشؤون • وهكذا هبت

الزوبعة على الزوجين عاصفة عنيفة لا تبقى على سياسة ولا عرض ولا شرف . فتناولت الصحف ضعف الزوج وفناءه فى امرأته بأقذع المطاعن ، وتناولت الزوجة وعفافها بأفحش المثالب . وهكذا ألقت مدام رولان نفسها هدفا لسهام الاحزاب والاندية السياسية كلها ما عدا شرذمة الجيروندين الذين لم تزدهم تلك الحملات الا تعلقا بها وولاء لشخصها

وفى شهر سبتمبر من تلك السنة حدثت بباريس فتنة انطلقت فيها غرائز الدهماء من عقال النظام والقانون فهاجمت الجماهير النبلاء ورجال الدين فى سجونهم ونصب الاوشاب انفسهم قضاة وجلسوا ليحاكموهم ، فكانت فى كل سجن مذبحة أزهقت فيها آلاف من الارواح وخربت القصور ودمرت المعابد ونهبت المتاجر وجل الخطب وعم البلاء وانتشر الذعر ولم تكتب السلامة الا لمن تحصن فى بيته أو هجر العاصمة ملتمسا النجاة فى الريف أو وراء الحدود

ولقد عظم وقع تلك المذابح على النفوس وروع انصار النظام والاعتدال من هذه الفوضى وأحسوا أن الثورة تنحرف عن الجادة المثلى وتتجه نحو الوسائل العنيفة والاساليب غير المشروعة ، فهب الجيرونديون ينوهون بفظائع اليعاقبة ، ونهضت مدام رولان تتهم دانتون وأنصاره بتدبير المذابح المنكرة وتصرح لمن يريد أن يسمع بان الثورة التى طالما أحبتها وفاخرت بالضلع الذى كان لها فيها قد أصبحت سبة لفرنسا وعارا على القائمين بها ، وجعلت تكتب لاصحابها : « ان اليعاقبة المشائيم قد افسدوها وحولوها عن أغراضها السامية وجعلوها اداة فتنة ملطخة بالمناكر والاقذار » ثم انطلقت تشن الغارة على باريس وتصفها بأنها المدينة المجرمة الدامية وتحض اصدقاءها على اثارة الاقاليم عليها لانقاذ الثورة من الطغاة المتحكمين فيها

وفى تلك الاثناء كانت الدورة التشريعية للجمعية الوطنية قد انتهت وحان وقت الانتخاب للهيئة النيابية الجديدة التى سميت « المجلس العرفى الوطنى » فتذكر أهل باريس للجيروندين تحاملهم عليهم ورميهم مدينتهم بأقبح النعوت ، فأعرضوا عن جميع مرشحيهم ولم ينتخبوا منهم أحدا . واذا كانت الاقاليم قد عوضتهم اضعاف أضعاف ما خسروه فى العاصمة وارسلت منهم ١٦٥ نائبا يمثلونها فانهم ظلوا أقلية فى ذلك المجلس الذى كان عدده ٧٥٠ عضوا

ولقد دلت نتيجة الانتخابات على اتجاه الشعب نحو الثورة العنيفة المتطرفة اذ أسفرت عن نجاح أكثر من ثلاثمائة من اليعاقبة دعاة الطغيان والارهاب ، فلم يكن أمام الجيروندين وهم ممثلو الرأى المعتدل واصحاب سياسة التهدئة والتعقل الا أن يتركوا مقاعد اليسار للحزب المتطرف الجديد ويحتلوا مقاعد اليمين . وليس معنى ذلك ان الجيروندين نزلوا عن مذهبهم فى الثورة ولا عن آرائهم فى الجمهورية ، وانما معناه انهم أرادوا أن يحققوا آمال العقلاء والمتزنين فيهم فيوجهوا الثورة نحو اغراضها الحقيقية بوسائل بعيدة عن الظلم

والبطش والارهاب الا بالقدر الذى تقتضيه الظروف على أن يكون هذا وذلك فى حدود القانون

ووقف الحزبان : الجيروندىون واليعاقبة ، وجها لوجه • ولم يكن ثم مندوحة عن أن ينشب بينهما النضال • فالاولون يرمون اليعاقبة بانهم قتلة سفاحون يريدون الثورة على أن تكون فتنة عمياء تؤدى الى الحرب الاهلية وما تجره الحرب الاهلية من الخراب • وهؤلاء يرمون الجيرونديين بالرجعة والتنكر للمبادىء والحنث بالعهود ويقولون ان مدينة باريس هى التى قامت بالثورة وتعهدتها ولا تزال تقودها ، فمن حارب باريس فقد حارب الثورة ومن نقم عليها فقد نقم على الثورة ، ومن استعدى الاقاليم على العاصمة فقد دعا الى تفكك الوحدة الوطنية ونشوب الفتنة الداخلية فى البلاد

وتوالت الاحداث سراعا وتألبت اوربا على فرنسا ومثل شبح الحرب فى الجو مرة أخرى وايقنت الحكومة الفرنسية ان لا بد من مواجهة العدو فى ميادين القتال ، ورأى اليعاقبة انه لا يتسنى لبلد حكومته غير متجانسة واحزابه غير متفقة والدسائس والمؤامرات تفعل فعلها فيه أن يواجه حربا كالتى تهدده ، فاقترحوا انشاء حكومة عرفية تستجمع فى يدها جميع السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية وقيام محكمة عرفية الى جانب هذه الحكومة تكفل سرعة الاجراءات وصرامة العقوبات وتقى الوطن غائلة اعداء الداخل لتنصرف كل القوى الى مكافحةالعدو فى الخارج • وتقدموا بمشروع يقضى بحل الهيئة التنفيذية القائمة (مجلس الوزراء) لتستبدل بها هيئة أخرى تسمى « لجنة الانقاذ العام » وبانشاء المحكمة الثورية على أن يعفى قضاتها من قيود قانونى المرافعات والعقوبات

ورأى الجيرونديون فى النظام الذى يقترحه خصومهم دكتاتورية هائلة لا تتفق والمبادىء السمحة التى قامت عليها الثورة فعارضوه معارضة شديدة وقاوموا تحقيقه بكل ما وسعهم من الوسائل • ولكن كان ما لم يكن منه بد ، وقام النظام الجديد وانشئت لجنة الانقاذ العام والمحكمة الثورية • وما دام الجيرونديون قد عارضوا فى اقامته فقد اقصاهم خصومهم عنه وانتخب جميع أعضاء اللجنة وقضاة المحكمة من غير الجيرونديين • وقد جرت سنة السياسة على أن نظاما عرفيا يقام فى ظروف ثورية بالرغم من ارادة حزب معارض ، لا يمكن الا أن يصبح اداة لاضطهاد هذا الحزب يوما من الايام

ولا يتسع المجال أمامى هنا لاحدث القارىء عن النضال الذى ظل ناشبا بين اليعاقبة والجيرونديين طيلة ثمانية شهور • وحسبى أن أقول ان هؤلاء لبثوا متأثرين بعواطف صديقتهم مدام رولان ، يميلون حيث تميل ويخاصمون من تخاصم ، وان حملتهم على ماراه ودانتون قد استعر اوارها حتى لم تدع سبيلا الى صلح أو مهادنة أو توفيق ، وان هذين الزعيمين المسموعى الكلمة النافذى الرأى فى المجلس العرفى الوطنى وفى لجنة الانقاذ ، شعرا أن لاطمأنينة لهما ولا سلام ما دام الجيرونديون على قيد الحياة ، فأخذا يدبران مع أعوانهما والذاهبين مذهبهما أمر اعدام أولئك الخصوم

بيد أن ظرف خطر الحرب وخطر الفتنة الداخلية أوحى الى دانتون يوما أن مصلحة البلاد تقتضى اتحاد الاحزاب وتآلفها لمواجهة المشاكل الداخلية والخارجية ، فسعى الى الصلح مع الجيروندبين بوسائل شتى ، وعقد في سبيل هذه الغاية بضعة اجتماعات ووسط بعض ذوى الحيثيات ، فلما لم تفض مساعيه الى نتيجة مرضية ، وقف على منبر المجلس الوطنى وناشد الجيروندبين نسيان الماضى والصفح عما فات وقال : « هذه يدى أمدها الى خصومى وأعدائى لنتعاون جميعا على خدمة الوطن » ولكن الجيروندبين ، بدلا من أن يصافحوا تلك اليد الممتدة اليهم ، وبدلا من أن يتناسوا أحقاد الساعة أو يرجئوها الى حين ، هب أحدهم واسمه « جواديه » وصاح : « لقد نقبل كل شيء ونرضى بكل شيء ، أما أن نضع ايدينا الطاهرة فى ايدى القتلة والمجرمين فمستحيل »

ونزلت هذه الكلمات كاللطمات على وجه دانتون فاضطربت حدقتاه فى عينيه وامتقع وجهه وأشار بيده الى مخاطبه وصاح : « يا جواديه ، انكم لا تريدون أن تغفروا ولا أن تنسوا ، فالويل لكم ، انكم ستهلكون »

وفى اليوم التالى وقف دانتون الجبار فى المجلس العرفى يتهم الجيروندبين صراحة بالخيانة العظمى ويزعم انهم ما أفتوا باعدام الملك لويس السادس عشر الا تحت تأثير الخوف من الرأى العام ، وانهم حاولوا انقاذ حياته بعد الحكم عليه بالتصويت لوقف التنفيذ . وتلاه الوحش ماراه فرماهم بتهمة التآمر على أمن الوطن وسلامة الجمهورية واثارة الاقاليم على العاصمة بغية ايقاد نار الحرب الاهلية واحباط الثورة . وأعقبهما روبسبيير فقال بوجوب تطهير البلاد من الخونة الذين يتظاهرون امامها بالحب والوطنية وهم يضمرون لها السوء والبغضاء ، وطالب باحالتهم جميعا الى المحكمة الثورية ليلقوا جزاء ما اجترموا فى حق الوطن من الآثام

ولقد عز على المستقلين من أعضاء المجلس أن يجيبوا طلب اليعاقبة باحالة المتهمين الى المحاكمة وأن يحرموا البلاد زهرة نوابها وخيرة ممثليها . ولكن تعسر عليهم فى الوقت نفسه أن يصموا آذانهم عن رغبات أهل العاصمة ورجال السلطات البلدية الذين كانوا يأبون الا هلاك الجيروندبين ، فأوعزوا الى نواب الجيروندة بالاستقالة من عضوية المجلس لتهدأ ثائرة خصومهم ولا يبقى بعد ذلك مجال للاتهام والمحاكمات

ولو أدرك الجيروندبون حقيقة الموقف لارتضوا هذا الحل الذى يصون حياتهم ويجعلهم فى منجاة من نقمة أعدائهم . ولكن أنى لاولئك الشعراء التائهين فى بيداء السياسة أن يتبينوا وراء الظواهر البريئة تلك الاغراض الخفية التى تستتر وراءها ، أو يستشفوا من خلال الغيم المربد تلك الزوبعة التى سوف لا تبقى منهم ولا تذر ؟

ظن الجيروندبون أن لا خوف عليهم من المحاكمة لان لهم من ماضيهم وحاضرهم ما يضمن براءتهم ويخرجهم من موقف الاتهام ظافرين منتصرين . وزينت لهم خيالاتهم

(البقية على صفحة ٨٩٣)

مهما اختلفت الاقطار الاسلامية فى مدى نزوعها الى الحضارة الغربية ، إلا انها جميعاً تتفق فى سيرها صوب أوربا

إلى أين يتجه الاسلام

بقلم المستشرق الانجليزى هـ . ا . ر . جب

مدير معهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن

هل هناك عالم اسلامى ؟ أى هل تجمع الاجناس الكبرى التى تدين بالاسلام وشيجة دينية من الشعور أو الرأى أو المصلحة ؟

يجيب أكثر الناس عن هذا السؤال بأن « نعم » فرغم ماتسرب الى العالم الاسلامى من اتجاهات أوربا ونزعاتها ، ورغم ما أصاب جماعاته من الانحلال السياسى وما بينها من التفاوت الفكرى ، مازالت هناك رابطة عامة وثيقة ، نشأت من العقيدة والثقافة الدينية المشتركة ، هى التى تؤلف بين الجماعات الاسلامية فى الشعور وفى الرأى وفى المصلحة

ولكن الى جانب هؤلاء من يقولون ان التضامن الاجتماعى بين وحدات العالم الاسلامى ليس الا أثرا من آثار الماضى التى لم تقو على ازالتها هذه الافكار الحديثة وما يتبعها من النظم الجديدة . ذلك أن جدتها وحداثتها ومفاجأتها لم تمكنها بعد من أن تقضى تماما أو تنال كثيرا من قوى التعاطف القديم بين الغالبية من اتباع الاسلام . وقد يعترض على هذا الرأى بأن هذه الافكار والاوضاع الجديدة هى القوى الفعالة التى تسود الآن الشعوب الاسلامية وتوحدها ، وهى التى ستنال الغلبة وتفوز بالسيادة فى الايام القادمة ، فتوثق عرى العالم الاسلامى حين تضعف الرابطة الدينية التى مضى أوانها — وهذا اذا لم يطرأ على الموقف أمر جديد ليس فى حسابنا الآن

فلنوجه السؤال اذا فى عبارة أخرى لنصل به الى صميم المشكلة : هل أواصر هذه الوحدة لها من القوة — أو يمكن تعزيزها وتأكيدها حتى يصير لها من القوة — ما يكفل تضامن المجتمع الاسلامى ، وما يسيطر على اتجاه وحداته وتطورها ، وما يجعله كله جماعة ثقافية متميزة بخصائصها من سائر الجماعات ؟

ويجب أن نلاحظ فى اجابتنا أن موضوع النقاش لا ينحصر فيما اذا كانت الروابط القديمة التى تؤلف العالم الاسلامى ستظل كما كانت دون تغيير أو تحوير فى جوهرها

وعظهرها . بل الامر على نقيض ذلك : فقد تنشأ آراء جديدة تتبعها نظم جديدة فى تأليف الحكومة وتكوين المجتمع ، وقد تقوى أصول الثقافات القومية فى أقاليم الاسلام المختلفة ويتميز بعضها من بعض بما تبعثه وتحييه من تقاليدها القديمة وبما تتأقلم به من عوامل بيئتها الخاصة ، وبذلك يختلف معنى الوحدة الاسلامية فى هذا العصر الحديث اختلافا تاما عن معناها فى العصر الوسيط . ولكن كل هذه أمور ثانوية لاتعنينا فى البحث عن الامر الجوهرى ، وهو : هل تظل الشعوب الاسلامية فى آرائها وفى نظمها ، وفى موقفها تجاه المشاكل الجديدة ، وفى تطورها المعنوى والمادى - هل تظل كلها تسير فى اتجاه واحد وتستقى من نبع واحد ، وتشعر جميعا أن عليها واجبا واحدا وأن لهاهدفا واحدا ، أم هل تبددهم الافكار الجديدة والنظم الدخيلة أشياعا متفرقة ، ثم تنجح آخر الامر فى زلزلة بناء المجتمع الاسلامى وتقويض أركانه ؟

فنقل أولا اننا لا نستطيع أن نجيب اليوم اجابة حاسمة واضحة ، بل لن نظفر بهذه الاجابة حتى بعد انقضاء عهد طويل ، فقد يطرأ - بل من المؤكد أن سيطرأ - على الموقف فى أى وقت ما عامل جديد لا نراه الآن ولا نتوقعه ، كما بدا لنا فى هذا المثل الذى ضربته تركيا منذ قامت فيها الجمهورية . ومع أنه من الرأى الفج أن نعتقد أن ما حدث فى تركيا تقدمة أو ارهاص لما سيحدث فى الاقطار الاسلامية الاخرى ، الا أننا لانستطيع أن ننكر أن هذه البلاد قد تكون يوما ما مسرحا لتطورات كهذه لانراها ولا نتوقعها الآن . وانا لنجد شاهدا على ذلك فيما تضطرب به بلاد المغرب فى هذه الآونة من التيارات الفكرية التى تنبىء بأن وراء المظاهر الخارجية تختبىء قوى تهدم وتبنى

هذا الى أنه ما من مجتمع يعيش منفردا منعزلا ، ولا سيما فى هذه الايام التى تتميز بالحركات العالمية الشاملة ، منذ وثقت وسائل المدنية الغربية الصلات بين أنحاء العالم . وكما أن الازمة التى يواجهها العالم الاسلامى الآن قد نشأت مما تركته الثقافة الغربية فى حياته من الآثار ، فكذلك سيواجه فى المستقبل أزمات أخرى تنشأ مما يصيبه - لا من آثار المجتمع الاوربى وحده - بل من آثار المجتمعات الاخرى كذلك . ولنفرض حالة بعيدة الوقوع تصور تلك الايام القادمة ، وذلك مثلا اذا استطاع المجتمع الشيوعى فى روسيا أن يبسط سيادته على آسيا الغربية ، أو استطاع المجتمع الهندوسى الناهض أن يعيد مكانته السابقة فى الهند ، فحينئذ يصير لهذا المجتمع أو لذاك سيطرة ثقافية فائقة تمكنه من تغيير مجرى التطور فى البلاد الاسلامية تغييرا كاملا شاملا . على أننا لانستطيع أن نقيم بحثنا على أساس هذه الفروض المزعومة . وكل ما يمكننا هو أن نتناول العالم الاسلامى فى حالته الراهنة ، فندرس أولا مدى انتشار الآراء الغربية من الوجهة الاجتماعية ومن الناحية السياسية ، ثم نبحث فى موقف الشعوب الاسلامية - كل على حدة أولا ، وكلها مجتمعة ثانيا - حيال الآراء والنظم الاوربية التى تفرض نفسها فرضا ،

وبذلك نستطيع أن نقيم ميزانا يبين لنا الاتجاه العام الذى يتجه اليه العالم الاسلامى فى هذه الآونة

***

أظهر الصفات التى يتميز بها العالم الاسلامى فى هذه العقود الاولى من القرن العشرين هى نزوعه الى الاخذ بالآراء والاوضاع الغربية . فمن العسير أن نجد قطرا اسلاميا واحدا يرفض كل الرفض ما يمنحه الغرب من نتاج الفكر وأساليب الحياة . ولم يقم زعيم اسلامى واحد يدعو الى ما يدعو اليه غاندى من مقاومة المدنية الغربية «الشيطانية» . بل أمر المسلمين على نقيض ذلك : فرغم النقد المر الذى يوجه أحيانا للمدنية الاوربية ، ورغم التهم التى تلقى بأسلوب خطابى بليغ على « المادية » الغربية ، نجد كل زعيم يعلن أن حزبه يرمى الى تنظيم البلاد من الوجهة الاقتصادية والسياسية وفق الاوضاع الغربية الحديثة . وقد يزيد بعضهم على هذا أنه سيراعى ما تقضى به فوارق النشأة والتاريخ والتقاليد بين الشرق والغرب ، ولكن الجميع يعدون المدنية الغربية أساسا لمناهجهم وأعمالهم . حتى هؤلاء المسلمون الذين يلتمسون المثل العليا فى ماضيهم وحده ، ويذكرون من أمثلة تاريخهم ما يدل على أن الاسلام قد سبق الى جميع المبادىء التى نسعى اليها الآن ، لا يتخيرون من الوقائع والشواهد الا ما يوافق وجهة نظر الغرب بينما يغفلون كل مثال وكل واقعة تخالفها وتناقضها

وهكذا نجد أنه مهما اختلفت الاقطار الاسلامية فى مدى نزوعها الى الحضارة الغربية الا أنها جميعا تتفق فى سيرها صوب أوربا ، فمهمتنا اذا هى أن نتبين الاطوار التى مر بها المجتمع الاسلامى فى تأثره بالحضارة الغربية

فنجد أن «الطور الاول» هو طور اتخاذ مظاهر هذه الحضارة وتقليد أوضاعها البارزة ، وقد بدأت فى هذا حين استوردت منذ أكثر من قرن مضى الآلات الحربية الاوربية ، ثم أخذت بعد ذلك فى تقليد الاوربيين فى ملابسهم فمساكنهم فعاداتهم فأساليب سلوكهم المختلفة . ففى مصر الآن يضطر الاوربى الا أن يعترف بصحة دعوى اسماعيل باشا بأن بلاده صارت قطعة من أوربا ، بينما نجد فى صميم الجزيرة العربية أن السيارة والطيارة ومضخة البترول قد أخذت مكانها الى جانب البندقية الاوربية . ولكن لا شك أن هذه المظاهر والقشور الغربية ـ التى تتمثل فى دار « الاوبرا » أو فى « الملعقة والشوكة » التى يعتز بها عمدة القرية ـ لا تدل حتما على احترام أساليب أوربا الاجتماعية وتقدير نظرياتها السياسية ، ولا تدل حتما على أن البلاد الاسلامية تريد أن تشرب الروح الغربى وأن تطبع بالطابع الاوربى ، ولا يعنى على الجملة ما يدعيه علماء المسلمين المحافظين المتزمتين من أنها تؤدى الى اضعاف الروح الاسلامى وتوهين العقيدة الدينية . ومما له معناه فى هذا القبيل أن ظاهرة أوربية مهمة ـ هى اتخاذ القبعة ـ قد رفضها المسلمون جميعا حتى فى أكثر البلاد نزوعا الى أوربا ، بل ان الاتراك لم ينقموا من الجمهورية

أى عمل قدر ما نقموا منها ارغامهم على اتخاذها كارهين ، وهذه القبعة وحدها هى التى أضاعت على الملك أمان الله عرش الافغان • ومعنى هذا أنه حين يبدو أن مظاهر المدنية الغربية تنقض العقيدة الدينية ، ينفر منها المسلمون وينكرونها كل الانكار

ويبدأ الطور الثانى حينما انتقل الامر من دائرة تقليد المدنية الغربية تقليدا ساذجا ، الى دائرة تكييف أوضاعها وفق أسلوب الحياة الشرقية • ويتناول هذا التكييف شتى النواحى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى تمس حياة الشعب • فمن الناحية الاقتصادية نجد أن الصناعة الحديثة قد نمت ، وأن المدن الكبرى قد تضخمت ، فأظهر هذا وذاك جيلا من العمال يشبهون عمال أوربا فى استهانتهم بالتقاليد والاوضاع القديمة الدينية والاجتماعية ، وتتضح هذه الظاهرة فى «تونس» على الاخص نتيجة نزوح أفواج من عمالها الى فرنسا حيث يجندون فى الجيش • الى جانب هؤلاء « الطغام » من سكان المدن نجد طبقة من عمال الريف الاجراء قد اتسعت الشقة بينهم وبين ملاك الاراضى عما كانت عليه منذ قرن مضى ، نتيجة ما أدخل من وسائل الرى والزراعة الحديثة التى زادت من دخل المالك وقللت الطلب على العامل • وهاتان الطبقتان تشعران أكثر مما تشعر سائر الطبقات بما أدى اليه التدخل الاوربى من نتائج مسيئة ضارة ، لهذا كانت حقلا خصبا لبذر بذور الدعاية القومية والشيوعية ، وربما صارت أدوات فى أيدى من قد يقومون غدا يدعون الى الجهاد فى سبيل الاسلام بحد الحسام • ولا شك أن اتجاه أصحاب الاعمال الى اتخاذ المبادىء الاقتصادية الاوربية هو أهم العوامل فى بث الروح الغربى فى كيان العالم الاسلامى ، كما يلاحظ جليا من النتائج المعنوية التى ترتبت على قيام بنك مصر فى مصر وسورية ، وعلى الجمعيات التجارية والصناعية الكبرى فى الهند وجاوة ، وعلى حركة تنظيم الصناعة التركية فى عهد الجمهورية • أما فى الناحية السياسية فقد ذهب العالم الاسلامى فى نزوعه الى الغرب أكثر مما ذهب فى الناحية الاقتصادية ، سواء فى هذه البلاد التى تخضع لاشراف أوربا والبلاد التى تستقل بأمرها • ففى معظم الاقطار الاسلامية نظمت ادارات الحكومة وفق القواعد الاوربية ، وصار لكل حكومة اسلامية ادارتها البيروقراطية ، باستثناء الافغان واليمن اللتان ما زالتا تتشبثان بأساليب الحكم فى العصور الوسطى • وأهم من ذلك فى الدلالة على اتجاه العالم الاسلامى صوب المدنية الغربية هذه النظم التمثيلية التى ألحت جماهير المسلمين فى المطالبة بها ، والتى استقبلتها بأبلغ مظاهر الحماسة الوطنية • وقد نبذت البلاد الاسلامية نظرية الحكم الفردى المطلق ، واعتنقت كلها مبدأ سيادة الامة ، رغم أن هذه النظم الدستورية ليست سوى أوضاع دخيلة على حقيقة حياتها ، أى هى تطبيق آلى للنظم الغربية فى ميدان السياسة ، على نسق التنظيم البيروقراطى فى الادارة ، والتنظيم الآلى فى الصناعة

هذه هى مظاهر المدنية الغربية التى تسربت الى العالم الاسلامى ، والتى يراها الكثيرون قشورا زائفة تخفى الجوهر الصميم • ولكن من المؤكد أن وراءها عناصر أخرى هى

التى أشربت الجماعة الاسلامية روح المدنية الاوربية ، فيجب أن نبحث عن هذه العناصر التى نجد أولها وأصحها عنصر «التعليم» • فرغم أن الامية تسود ربوع العالم الاسلامى، ورغم أن نصف الاقلية المتعلمة قد تلقت العلم على النسق الدينى القديم ، الا أن الجماعة القليلة التى تلقت العلم الاوربى لها من المكانة والسطوة مايمكنها من أن تدفع العالم الاسلامى فى طريق المدنية الغربيـة • والى جانب «التعليم» تقوم «الصحافة» التى نمت وانتشرت سريعا فى البلاد الاسلامية حتى نيف عدد صحفها الآن على الالف • وقد قامت الصحف بتكوين الرأى العام ، فبثت فى جمهرة الشعب الروح القومى العنيف ، ورفعت المستوى الفكرى العام درجة عالية • والصحافة فى الغرب المتعلم قد تخدر الرأى العام وتلهيه ، ولكنها فى الشرق الامى هى التى تنبه الرأى العام وتثيره • ولما كان القائمون بتوجيه الصحف اليومية من أرقى الطبقات العربية رأيا ، لذلك نجد الروح الاوربى يسود نزعة هذه الصحف ، وينتشر منها الى غالبة الشعب التى تقوم الصحافة على تثقيفه ، بما تنشره عن شئون البلاد الاسلامية مما يقوى شعور التعاون والتعاطف بينها ، وبما تكتبـه عن اتجاهات السياسة والاقتصاد فى أوربا مما يغذى نزعة قرائها الى الحضارة الغربية

أدت هذه الحركة التى قام بها التعليم والصحافة الى تحرير الجماعات الاسلامية ـ دون أن تشعر وتدرى ـ من سيادة الدين • نعم ، ان الاسلام من حيث هو عقيـدة دينية لم يفقد الا قليلا ، ولكنه تنحى عن عرشه من حيث هو قوة اجتماعية تسود الحياة وتوجهها• ذلك أنه قد قامت الى جانبـه قوى جديدة تحكم فى بعض الاحيان بما يناقض تعاليم الاسلام ، وبذلك تغير وجه الامر فى العالم الاسلامى تغيرا كبيرا • فمنذ عهد قريب كان الدين كل شىء فى حياة المسلم العادى ، وكانت حياته الاجتماعية واتجاهاته الفكرية مستمدة من الدين ومقترنة بالاسلام • أما الآن فلم تعد حياته محصورة فى دائرة الدين وحدها ، بل صارت لها مطامح ومآرب سياسية لا تمت الى الدين بل قد تخالف مبادئه • ولم يعد خاضعا لقانون دينى ، بل لقانون مدنى لا يستمد روحه ولا نصـه من القرآن ولا من السنة • وكذلك تخلى الدين عن أكثر نواحى الحياة الاجتماعية التى شغلتها أمور ومهام لا علاقة لها بالاسلام • ومن الغريب أن الناس ـ فيما عدا أقلية من المتعلمين ـ لم ينتبهوا الى هذا التطور أو التغير الذى لم يعد الآن من سبيل الى صد سيله الجارف

والجماعات الاسلامية تتفاوت فى نزوعها هذا الى المدنية الاوربية • ففى تركيا تدفع الهيئات الحاكمة جمهرة الشعب دفعا الى اتخاذ هذه المدنية فى أشـد أشكالها تطرفا • وترسم ايران خطاها فى كثير من القصد والاعتدال • ومصر تقطع هذا الطريق بخطى فسيحة ولكن فى تطور متزن وئيـد • وتحذو حذوها سورية والعـراق • أما جزيرة العرب وبلاد المغرب فلم تجاوز الخطوات الاولى من هذا الطريق الطويل ، بينما تقدمت فيه تونس كثيرا حتى كادت تشارف نهايته • وتراجعت الافغان بعد التجربة الطائشة التى قام بها أمان الله وأخذت تنزع مؤقتا الى الابقاء على مناهج العصور الوسطى • وعلى نقيض

هذا ما حدث فى مناطق السوفييت الاسلامية حيث أدالت موسكو دولة الدين قسرا • أما فى الهند فقد انطوى المسلمون على دينهم وتشبثوا به فى وجه الحزازات الطائفية العنيفة التى تفرق بينهم وبين الهندوس • وفى اندونيسيا اتجاهات متناقضة متعارضة تتبين من خلالها أن الجمهرة الغالبة تنكر النزعة الغربية • أما المسلمون المبثوثون فى أواسط افريقيا فما زالوا فى دور الحياة البدائية التى تنأى بهم عن كل وجهة أوربية

***

رأينا مدى نفوذ الثقافة الاوربية فى ربوع العالم الاسلامى ، فلنتساءل اذا ما أصاب الاسلام من هذا الروح الجديد الذى سرى فى كيانه ؟ هل تغير موقف المسلمين ازاء عقيدتهم وثقافتهم الدينية الموروثة ؟ أو هل لا يزالون يعدون الاسلام عنصرا من عناصر قوميتهم واتحادهم ؟

لقد قررنا من قبل أن العالم الاسلامى عامة يتجه الى أوربا وينزع الى مدنيتها • ويجب أن نقرر هنا مبدأ آخر هو أن المسلمين ما زالو متمسكين بدينهم متشبثين بعقيدتهم ، مؤمنين أثبت الايمان بأن الاسلام هو خير الاديان • ومازال الاسلام حتى يومنا عقيدة دينية راسخة ، وقاعدة اجتماعية ثابتة ، ونظاما خلقيا وطيدا ، وذلك منذ اجتاز تلك الايام العصيبة التى كانت تهدد حياته فى آخر القرن الماضى ، بفضل مابذله محمد عبده وتلاميذه من الجهود العظيمة التى وفقت بين تعاليم الاسلام ونظمه وبين مطالب الحياة الحديثة وأساليبها ، حتى صارت هذه العقيدة تملأ نفوس اتباعها أكثر مما ملأتها فى أى وقت مضى

نعم ، ان الوحدة القديمة التى كانت تؤلف بين وحدات المجتمع الاسلامى قد تصدعت، وأن أصول الاسلام التشريعية قد تنحت عن مكانها فى نظام الحياة الاسلامية الجديدة ، ولكن ما زالت شعوب الاسلام تطمح الى قوة توحدها معا وتوجهها معا • وقد زاد طموحها هذا بفضل الحركات التى قامت بها فى وجه ما أصابها من تدخل أوربا السياسى وضغطها الاقتصادى ، وبفضل الدعوة التى قامت بها تركيا سنة ١٨٧٨ وسنة ١٩١٠ الى انشاء الجامعة الاسلامية ، وبفضل ما يذيعه كتاب مصر وسورية تأييدا وتعزيزا لهذه الفكرة• وقد كان الباحثون الاوربيون يعدون الخلافة العثمانية حجر الزاوية فى بناء المجتمع الاسلامى ، ويرون فى هدمها ضربة قاصمة تقوض بناءه • ولكن هذه الخلافة لم تكن سوى رمز ناقص للعالم الاسلامى ، الذى لم يكن يعترف بها اعترافا صادقا ، بدليل اخفاقها الذريع حين دعت الى الجهاد الدينى ابان الحرب الكبرى • ولهذا لم ينل الغاؤها من وحدة المجتمع الاسلامى ، بل لعله خلصه من عامل طالما أدى الى النزاع وأفضى الى الانقسام ، ولا سيما أن هذه الخلافة كانت تضع نظام الوحدة الاسلامية على أساس من الحكم « الاتوقراطى » الذى يناقض كل المناقضة ما ترمى اليه الشعوب الاسلامية من أوضاع الحرية والاستقلال • أما التضامن الاجتماعى بين الجماعات الاسلامية فقوة تعتد

بها حين تقف تجاه قوات أوربا ، قوة معنوية فائقة قد تدفع بها أحيانا ما يهدد كيانها السياسي ، وقدتحمي بها أحيانا حياتها الدينية والفكرية

ومما يقوى أسباب الوحدة الاسلامية أن الحركات القومية التي قامت في أنحاء العالم الاسلامي لم ترم الى مارمت اليه أوربا منذ عهد طويل من ايجاد قوميات مستقلة متنافسة. هذا الى أنه لم تنشب - ولاينتظر أن تنشب قريبا - بين الشعوب الاسلامية منافسة اقتصادية كهذه المنافسات العنيفة التي طالما أوقدت نار النزاع والكفاح بين الدول الاوربية

وهكذا نستطيع أن نقول ان الوحدة الاسلامية حقيقة قائمة تزداد على الايام قوة وجلاء. ودليل ذلك أنه ما تكاد تمس ربعا من ربوع الاسلام أية حادثة خطيرة ، حتى تذيعها الصحف في أرجاء آسيا وافريقية بأسلوب مثير عنيف ، فلاتلبث قرارات الاحتجاج أن تفد من كل مكان متشابهة في أسلوبها وعبارتها . وليس العهد بعيدا حينما كان يخيل الى المرء أن العالم الاسلامي قد غفا ونام ، بل كاد أن يهمد ويموت ، واذا به يهب على حين غفلة غاضبا ناقما ثائرا حين قتل الشهيد عمر المختار ، فاضطربت ارجاؤه كلها من أقصى مراكش الى أقصى جاوه ، كأنما قد مسها تيار كهربائي كاد يصعقها

والخلاصة ان العالم الاسلامي يتجه الى المدنية الغربية اتجاها قويا ، رغم هذه المقاومة العنيفة التي تبديها وحداته تجاه السياسة الاوربية . وهو في موقفه هذا يتميز عن سائر المجتمعات الشرقية الصميمة التي تحيا في الهند والصين ، ولهذا فان فكرة الرابطة الشرقية العامة التي تضم العالم الاسلامي الى أقاليم الشرق الأقصى ليست الا خيالا أوحى به ما تنقمه آسيا وافريقيا على سيطرة أوربا السياسية وسيادتها الاقتصادية

وليبلغ العالم الاسلامي الى ما يرجوه في حياته الثقافية والاقتصادية لا بد له من أن يتعاون مع المجتمع الاوربي . وكذلك ليرقى هذا المجتمع الاوربي الى مايرجوه في حياته الثقافية ، ولا سيما من الناحية الروحية ، لابد له من أن يستعين بقوى العالم الاسلامي. أى لن يستطيع أحد الفريقين أن يستغل كل ملكاته ويستثمر كل قواه الا اذا تعاونا معا في هذه الايام ، كما تعاون الشرق والغرب من قبل في ظل الامبراطورية الرومانية

ولا يزال للاسلام رسالة يؤديها الى الانسانية جمعاء . فهو يقف وسطا بين الشرق والغرب . وقد أثبت أكثر مما أثبت أى نظام سواه مقدرته على التوفيق والتأليف بين الاجناس المختلفة ، وجعلهم جميعا سواسية في شتى وجهات حياتهم . واذا لم يكن بد من وسيط يسوى ما بين الشرق والغرب من نزاع وخصام ، فهذا الوسيط هو الاسلام



سخرية الأقدار

فى خاتمة نابليون بونابرت

بقلم الاستاذ على أدهم

« لقد لبست تاج فرنسا الامبراطورى ، وتاج ايطاليا الحديدى ، وانجلترا الآن تقدم لى تاجاً أروع وأعظم ، وهو « أكاليل الشوك » . فالاهانة والتحقير والاستبداد تزيد فى شهرتى ، وأنى أعزو الى انجلترا تألق مجدى »

نابليون فى منفاه

للقاص الروسى البارع اسكندركوبرن أقصوصة عنوانها «اغراء» مضمونها أن مهندسا فى ريعان الشباب قوى البنية رضى الاخلاق كريم الطباع كان عائدا فى قطار الشرق الاقصى قاصدا مدينة بتروغراد بعد ان قضى فى الشرق خمس سنوات بعيدا عن أسرته جمع فى غضونها ثروة طائلة ، وكان يبدو موفور السعادة طافح البشر ، وكان يستطيل الوقت ويكاد يستحث سرعة القطار ولاينى يتحدث عن شدة شوقه الى رؤية أفرادأسرته وحرصه على لقائهم ، وكان فى كل محطة يرسل برقية لاسرته ويتلقى منها برقية ، ولما طوى القطار تلك المسافة الشاسعة وبلغ العاصمة الزاهرة اشتد شوقه وعظم تأثره واصفار وجهه وفقد اتزانه فسقط من جراء ذلك تحت عجلات القطار . والفكرة التى حاول توضيحها مؤلف الاقصوصة هى أن الرجل لشدة حرصه وفرط حماسته لرؤية أسرته بعد الغياب الطويل والسفر البعيد أغرى الاقدار بمعاكسته وحرضها على أن تتحداه . وقد بدأ هذه القصة العجيبة المحزنة بهذه المحاورة التى تلائمها فى الغرابة والخفاء :

« لقد اعتدت أن تردد فى مناسبات كثيرة قولك «انها المصادفة» ولكن الامر الجوهرى الذى أود أن أسترعى التفاتك اليه هو أن المسألة أخطر مما تظن وأكثر تعقيدا

«واسمح لى أن أقول أنى قد وقفت على الستين ، وهى تلك المرحلة من مراحل العمر التى يرى الانسان فيها أمامه بعد الاهواء المضلة والصراع الطويل ثلاثة طرق ، وهى طريق الطمع وطريق الطموح وطريق الفلسفة ، ويمكن أن أقول طريقين لان الطموح ضرب من الطمع

« ولست أستطيع أن أسمى نفسى فيلسوفا فان ذلك عبء ثقيل لا أقوى على حمله وثوب فضفاض لا يلائمنى ، وان فى وسعك ــ الى ذلك ــ أن تجبهنى بقولك « اثر على

كتاتك وأرنى اجازتك» ولكنى - على الرغم - قدعشت حياة منوعة حافلة ، وبلوت النعماء والبأساء ،وتمرست بأهوال الفقر والمرض والحرب ، وراعنى فقد أقرب الناس الى وآثرهم عندى ،وعانيت مرارة الاسر والسجن ولواعج الحب ومضض العار وبرد اليقين وألم الجحود

« وسواء أصدقتنى أم لم تصدقنى فانى قد عرفت الناس ، ولا تحسبن هذا شيئا غير عجيب ، انه شيء جد عجيب ياسيدى ؟ ولكن تعرف أى انسان وتخلص الى سريرته يلزم أن تكون قادرا على نسيان شخصك ، وأن تغفل عن محاسنك ومناقبك وجلالة خطرك وقليل من الناس من يستطيعون ذلك

« والآن وأنا فى أيامى المدبرة ، أنا الفقير الاثيم أحاول أن أفكر فى الحياة ، ثم أنا عجوز وحيد من الخلان ، ناء عن الاهل ، وأنت تعرف طول ليالى العجائز ، ولكن ذاكرتى لا تزال تحتفظ بآلاف الذكريات ، ويروقنى أن أستعيد صور الماضى وسوالف الحوادث

« ولقد طاف بنا الحديث على مسألة « المصادفة » و « القضاء » وأنا مستعد أن أسلم معك بأن المصادفة حمقاء رعناء متقلبة الاطوار عمياء تخبط خبط العشواء ، ولكن هناك قانونا صامتا يسيطر على الحياة ويقضى بأن كل شيء يولد ويتجدد ثم ينمو ويزدهر ويوفى على الكمال ويبلغ الذروة ، ثم يتراجع وتتقلص ظلاله وتصوح زهرته ، ثم يصيبه العفاء والدثور ثم يعيد ثانية سيرته ويبعث من جديد وهكذا دواليك مثل التعرج اللولبى

« وستحاول أن تقول أنه لو أن مثل هذا القانون كان موجودا لكانت الناس قد استكشفته من زمن طويل ولاستطاعت البشرية قراءة المستقبل ومطالعة الغيوب ولكن الامر ليس كذلك لاننا نحن الاناس مثل النساجين الذين يجلسون متقاربين ازاء سداة طويلة الامتداد تمر أمامهم الالوان المختلفة من أصفر فاقع أو أحمر قان أو أزرق داكن ولكنهم لا يستطيعون تمييز الانموذج لقربه منهم ، والحياة لا تكشف أسرارها وتجلى غوامضها الاللذين استطاعوا أن يقفوا بعيدا عنها مثل عباقرة العلماء وصفوة الانبياء والشعراء والمتعصبين لافكارهم ، وانى على أتم استعداد لقبول أحكام تلك القوانين المسيطرة على كل شيء ولكنى ألمح قوة أخرى لا أعرف كيف أعبر عنها ولا كيف أسميها ولكنها لو تجسمت فى شخص لظهر الشيطان الى جانبه ساخرا هين الشأن جديرا بالمرثية

« تصور قوة مسيطرة على الكون تكاد تعادل قوة الله والى جانبها قوة أخرى عاتية لاهية تتجاهل الخير والشر وهى مع ذلك قاسية لا ترحم ولكنها حادة الذكاء عادلة وربما استغلق عليك فهم حديثى فلاضرب لك مثلا حياة نابليون ، فهى حياة تشبه الخرافة وشخصية عظيمة مفرطة فى العظمة وقوة متمادية لا ينضب معينها ولا ينقطع مدها ، ولكن انظر الى خاتمة ذلك كله ! جزيرة صخرية صغيرة وألم مبرح فى المثانة وتذمر كتذمر العجائز ولا شك عندى فى أن هذه الخاتمة التعسة كانت من سخرية تلك القوة الغريبة التى أشرت اليها ، وقد فطن القدماء لهذه القوة المجهولة وكانوا يخشونها ويحذرون جانبها وكانوا

يسمون بسماتها الساخرة « غيرة الأقدار »

في ضوء هذه الافكار التي يختلط فيها الوضوح بالغموض ويلتقى فيها الظل والضوء أريد أن أنظر الى سمة ظاهرة في حياة نابليون وهى تصوره للقضاء في أواخر أيامه وهو منفى في جزيرة القديسة هيلانة

كان نابليون في صباه ومطالع حياته ـ نابليون القائد ونابليون القنصل ـ لا يرى في كلمة القضاء معنى غامضا ولا لغزا غريبا لانه كان عقلى النزعة مادى الفلسفة وكان فوق كل ذلك واقعيا لا يغره بريق الاحلام ولا يجرى وراء الخيال ، كان يحلل كل موقف تحليلا دقيقا ويزنه وزنا فاحصا وكان يثق بنفسه ، ويعتمد على ارادته القوية وعزمه الصارم وكان يعتقد أن الموقف الفاصل في حياة الانسان هو معرفته مدى مواهبه وطبيعة ملكاته واستثمار تلك المعرفة جهد الطاقة ، ومتى اطمأن الى ذلك فسرعان ما تبدد الشكوك ويزول التردد وينطلق في طريقه قدما وهو عليم بغايته عارف بوسائله يحدوه الايمان بنفسه والثقة بقدرته

وكان يعتقد أنه يستطيع أن يقدر وجوه المعركة القادمة وشتى محتملاتها في دقة حسابية قل أن يتطرق اليها الخطأ وبذلك لا يترك مجالا للمصادفة ولا نصيبا للحظ ، وأصحاب المدارك المتوسطة أو العقول العادية هم الذين يعتقدون بالمصادفة ويرونها لغزا غريبا وسرا غامضا ، أما هو ذو البصر الحديد والرأى الصائب واللمحات الخاطفة فلا غرابة أمامه ولا غموض ولا أسرار !

والحظ والقدر في رأى نابليون القائد المنتصر الموفق حقائق ميسور تحديدها وعلم النجاح أساسه أن نزن في دقة وانتباه محتملات النجاح ومحتملات الفشل في أية مسألة من المسائل ولكن كلما عظمت عبقرية الانسان وسمت ملكاته كان الجزء المتروك للحظ في حياته جد صغير

وقد كان نابليون مقامرا جريئا وهو لا يخفى ذلك بل يصارحنا به ، ولكنه كان يلعب لعبة علمية في عناية تامة وبراعة تستدعى الاعجاب ، وكان يزيده جرأة وثقة بالنفس المامه بأصول تلك اللعبة وتغلغله الى دقائقها وكان يقول عن نفسه « ان مقدرتى العظيمة قائمة على أنى أعرف أن الخط المستقيم أقرب من الخط المنحنى » وكانت تأهباته مقرونة على الدوام بالروية والتفكير وتقليب الامور على جميع وجوهها وفحص نواحيها فحصا تاما ووزنها وزنا دقيقا والاحاطة بكل تفاصيلها وصغائرها ولاعتقاده أن حظه في يده وطوع أمره كانت ثقته في نتيجة اللعبة لا تتزعزع ، وكان يزيد هذه الثقة قوة وتمكينا غلبة عقله على جسمه واستطاعته أن يحتمل العمل المرهق في جلد وصبر دون أن يدركه أعياء أو تخذله صحته

ولكن مر السنين وطول التجربة وتوالى الحوادث جعلته ينحرف عن تفسير المصادفة هذا التفسير الهين وعن تعليل القدر تعليلا واضحا بسيطا ، وصار القدر في نظره رويدا

رويدا شيئا غير ملموس وبدأ يأخذ أمامه صورة القوى الغامضة الخفية التي يرى نفسه ازاءها مسلوب القوة منهوب الارادة ويدرك أنه مدفوع ومسوق

وأخذت نفسه تمتلىء بهذه القدرية اليائسة العميقة وتباعدت فى تفكيره فكرة القدرعن فكرة النجاح وأخذ يعتقد أن الحظ بدأ يخونه وأخذت ثقته بنفسه تضعف وصار يعزو ما يلحقه من الفشل الى الظروف والحوادث

وكان كلما مرت السنون وتكاثرت الاحداث ازداد شعوره بعثور جده وأفول نجمه حتى جاءت معركة واترلو وقضت على نفوذه وكانت من المعارك التي لعب فيها الحظ دورا ملحوظا وكان يقول قبلها بقليل « هاتف داخلي ينبئني أن النتيجة سوف لا تكون سارة ، واني أعزو فشلي الى افول نجمة حظي » وقد أذعن بعد ذلك للانجليز وألقى اليهم مقادته وكان في وسعه أن يسلك مسلكا آخر ولكنه أثر ذلك نزولا على حكم الحظ واستسلاما للاقدار ولاعتقاده أن العقبات التي كان في مستهل حياته يزيلها من طريقه في سهولة قد أصبحت في نظره عقبات كأداء لا سبيل الى التغلب عليها وعادت الى قاموسه كلمة « مستحيل » بعد طول اهمالها وحذفها !

كان يشعر اذ ذاك أنه مقيد في أصفاد الظروف والاحوال أسير في سجن الزمن لا يستطيع الخلاص من أسره ولا يقوى على صدع قيوده وتفكيك أغلاله ، وكان يرى الآن أنه اذا أراد القضاء أمرا فلا مرد لمشيئته ولا معقب لحكمه ، والجهاد ضد الاقدار عبث لان ماكتب قد كتب ولا بد من نفاذه وليس في طاقة جهودنا وارادتنا أن تغير حرفا واحدا من المكتوب في سفر الاقدار !

وكان يرى في وجوده بتلك الجزيرة الصخرية المشؤومة وفي الآلام التي يكابدها دلائل واضحة على أن القضاء لا يغالب ، وكيف لا ؟ ألم يعد القضاء له هذه الخاتمة لان حياته بدأت لامعة متألقة ؟

ولكنه مع ذلك كان عندما يتناول تاريخ غيره من عظماء الرجال وأبطال التاريخ يعلل فشلهم بما طرأ من التغير على حالتهم النفسية وبواعثهم الدخيلة ويأبى أن ينسب فشلهم الى الظروف الخارجية ! فلماذا فشل قيصر وهانيبال والاسكندر ؟ وهل اللوم على الظروف أو أن حظهم هو سبب ذلك ؟ يجيب نابليون على ذلك بقوله « نجاح الرجال العظماء لا يتوقف على الظروف والمصادفة ، وانما هو نتيجة التفكير والعبقرية » ورجال القدر في رأيه قد سيطروا على الحظ لانهم عظماء ، ولانهم كانوا يحسبون حساب كل خطوة ويسيرون على بينة من أمرهم ، وقد أخذ الفشل يلاحقهم لما خانوا نفوسهم وفقدت عبقريتهم قوتها وضعف نظرهم في عواقب الامور واختلت موازينهم وهزيمتهم الخارجية كانت في الواقع نتيجة محتومة لانهيار صرح شخصيتهم الداخلية

كان نابليون يفكر هذا التفكير في مصير غيره من الابطال ويعلل فشلهم هذا التعليل ، ولكنه كان يحجم عن تطبيق ذلك على سيرته ويأبى أن يواجه به نفسه لانه لا يريد أن

يعترف بهزيمته الداخلية وخيانته لنفسه وكأنما كانت كبرياؤه الباقية لا تطاوعه على الافصاح عن ذلك !

وقد كان في صدر حياته يرى أن المصادفة مهيمنة على شؤون العالم وعلى الانسان أن يخضعها ويتخذها وسيلة لتحقيق أغراضه ، وكان عالمه واضحا ميسور الفهم لا يحيط به خفاء ولا تكتنفه أسرار وكان عقله المادى النزعة يحاول أن يفسر الدنيا في ضوء الحقائق العارية المكشوفة ويخضع مظاهرها للعقل

ولكن على توالى الايام أخذ يشعر بوجود قوة غامضة مسيطرة على حياة الناس لا يستطيع أن يدرك كنهها ولا أن يسبر غورها لانها من وراء طاقة العقل وأخذ يظهر له أن جميع الحوادث مترابطة متصلة الحلقات وأنها خاضعة ليد خفية تحركها . ولذا قال في حديث له مع دوقة ويسار « صدقيني أن هناك عناية ترشدنا ، وما أنا الا آلة في يدها ! »

وهكذا أخذ يقرن فكرة « القدر » الى فكرة « العناية » وأخذ ينمو في نفسه شعور صوفى نحو هذه العناية التي بدأ يدرك وجودها ويستشف أثرها ولذا نشأت في نفسه الى جانب ادراكه المادى للحياة عناية بشؤون الدين واحترام للكتب المقدسة وكان يقول « انا مادة ، وليس بعد الموت سوى الموت ... » ولكنه كان في نفس الوقت يدمن قراءة الانجيل والكتاب المقدس

وهذا الشعور بالقدرية الذى استولى عليه في سنواته الاخيرة طبع أقواله وأعماله بطابع خاص ، ففي سنة ١٨١٣ كان يردد قوله « ان الحظ يعمل ضدى » وصار يعتقد أن سقوطه ضربة لازم وكان يرفض أن يعترف بالعوامل المختلفة التي أدت الى فشله وسقوطه

وقد قنع نابليون في النهاية بحظه وارتضى المنفى في الجزيرة النائية وكان يقول « لقد تركت في الدنيا دويا كافيا وقد علت سنى وأصبحت أريد الراحة » وكان يؤمل - وقد أضاع كل شيء - أن يجد في تلك الجزيرة هدوء النفس وراحة الضمير ، وكان يرى ذلك ميسورا قريب المنال بعد المسؤوليات الخطيرة التي اضطلع بحملها والمطامع المتعبة التي استهوته ولقد طوى مستقبله السياسى فهو الآن يستطيع أن يستمتع بلذة القراءة وجمال الاحلام !

ولكن سخرية القدر لا تريد له ذلك فهى ترسل اليه في تلك الجزيرة رجلا عنيدا وطاغية صغير النفس وهو السير هدسن لو . وكان يطيب لهذا الرجل أن يظهر سلطته على نابليون فكان يقول « أنا آمر القائد بونابرت ! انه أسيرى »

فيرد عليه نابليون من عزلته قائلا في حدة وغضب « كلا ، لست أسير أحد انما أنا ضيف الامة الانجليزية ! »

فيجيبه الحاكم « هذا هراء وسأرغمه على طاعتى أو أضعه في القيود والسلاسل » ويؤيده مساعده قائلا « نعم هو طريد وسجين والحاكم محق في معاملته بهذا الاسلوب! »

وكان هدسن لو يفتن فى تضيق الحصار على نابليون وتشديد الرقابة عليه وكان يجتهد فى أن يجعل نابليون شاعرا بأثر الرقابة ووقعها حتى قال أحد أصفياء نابليون « انهم يقتلون بوخز الابر رجلا عجزت عن هزيمته جيوش أوروبا »

وفى آخر مرة التقى فيها هو والحاكم نشب بينهما جدل عنيف قال فيه نابليون لهدسن لو « بعد سنوات قليلة سيجر عليكم النسيان أذياله أنت واللورد كاسلرى واللورد باترست ، وان جسمى فى قبضة يدك ولكن روحى لا تزال حرة وجريئة كما كانت وأنا سيد أوروبا ، وستكون أوروبا هى الحكم العدل فى المعاملة التى عوملت بها وسيرتد الخجل منها الى الشعب الانجليزى ، وأن عداوة اللورد باترست هى التى أرسلتك هنا وأنت لست قائدا وانما أنت كاتب أركان حرب ! »

وحز ذلك فى نفس هدسن لو ونال منه فرد على نابليون قائلا « أنت تضحكنى ياسيدى »

نابليون : ماذا ؟ أنا أضحكك !

هدسن لو ـ نعم يا سيدى ! واسفى شديد لخشونة أخلاقك وأتمنى لك يوما سعيدا!

وبعد انصرافه التفت نابليون الى مونتهولن وقال « لقد قلت أكثر مما يجب ! وسأمتنع عن لقاء الحاكم مرة ثانية لانه يغضبنى ويخرجنى عن طورى ! »

وحافظ على وعده وظل لا يراه لمدة خمس سنوات ولم يرهدسن لو نابليون بعد ذلك الا وهو ميت مسجى على فراشه

وهكذا ظلت الحرب التى ظن أنه قد نبذها وباعدها بقبوله المنفى تلاحقه وتأبى أن تتركه وظلت المعركة ناشبة الى يوم مماته ولكنها كانت حربا ضد الطغيان الذى حاول أن يفرضه عليه هدسن لو ، كانت حرب صغائر وسفاسف يثيرها مستبد ضئيل الشأن على رجل فقد كل شىء وعزيز قوم ذل ، وصار نابليون يعتقد أن هذه المعركة هى الحلقة الاخيرة من المعارك التى دامت طيلة حياته ضد الانجليز وكان هدسن لو فى نظره يمثل الانجليز

قال لليدى مالكولم «لقد لبست تاج فرنسا الامبراطورى وتاج ايطاليا الحديدى وانجلترا الآن تقدم لى تاجا أروع وأعظم وهو «اكليل الشوك» فالاهانة والتحقير والاستبداد تزيد فى شهرتى وانى أعزو الى انجلترا تألق مجدى » وكان يعزى نفسه بقوله « غيرى من الناس يخفضهم فشلهم ، أما أنا فقد رفعني الفشل الى أسمى المراتب» ولم يستطع أن يواجه حقيقة أن حبسه كان ثمنا تقاضته الاقدار لطموحه المتناهى ومطامعه البعيدة وللحيوات البشرية التى حطمها وأسال دماءها فى حروبه العديدة ، ولكنه كان فى منفاه وقد أثقلته المصائب وأدته الاحزان أشجع منه فى أيام مجده والدنيا عليه مقبلة

كان عظيما وجلدا صبورا ـ كان رجلا لقد صبر صبرا جميلا على سخرية الاقدار

على أدهم

الحياة البرلمانية في إيران

وكيف قامت بدماء الاحرار

بقلم الاستاذ طاهر الطناحى

أتيح للاستاذ طاهر الطناحى أن يقوم بعدة دراسات فى الحياة السياسية والاجتماعية فى إيران أثناء رحلته فى بعثة الشرف المصرية . وهنا يقدم لقراء « الهلال » هذا البحث القيم عن الحياة البرلمانية فى تلك البلاد

كانت ايران منذ زمن بعيد تحكم حكماً فردياً ، وكان الشاه وحده هو الذى يسيطر على شؤون الدولة ، ويقضى فيها بما يراه بلا مناقشة أو معارضة أو استشارة . وقد استمرت على هذه الحال حتى كان عهد الشاه مظفر الدين بن الشاه ناصر الدين . فنهضت الامة الايرانية تطالب بحقوقها فى الاشراف على شؤونها ومحاسبة حكامها على ما يفعلونه فى سياستها الداخلية وسياستها الخارجية ، وقام الزعماء وعلماء الدين يطلبون من الشاه اصدار الدستور ، واقامة الحياة البرلمانية فى البلاد

وكان للشاه مظفر الدين وزير مستبد مكروه يدعى « عين الدولة » فأخذ ينكل بالزعماء والعلماء ، الذين آزروا الامة فى مطالبها ، ومن هؤلاء الذين نكل بهم هذا الوزير الطاغية السيد جمال الدين الاصفهانى ، والسيد عبد الله بيهانى ، والسيد نصر الله الملقب بملك المتكلمين . فاضطر بعض هؤلاء أن يلجأ الى السفارة البريطانية فراراً من اضطهاد هذا الوزير وتعذيبه . والتجأ البعض الآخر الى ضريح السيدة فاطمة المعصومة بمدينة « قم » ، واتخذه حصناً له . . وأضرحة أهل البيت فى ايران حرم لا يستطيع أى حاكم أن ينتهك حرمته

فلما رأى الشاه أن الامور قد اختلت ، عزل « عين الدولة » وأجاب مطالب الامة ، فمنحها الدستور ، وأقام داراً للنيابة سنة ١٣٢٤ الهجرية . وكان رئيس مجلس النواب الاول « احتشام السلطنة » ثم تلاه فى هذه الرياسة الوطنى المشهور « صنيع الدولة »

وابتهجت الامة الايرانية بحصولها على مطالبها ، واستقامت الامور بعد أن كانت ايران ميداناً للاضطراب ، وسفك الدماء فى كل آن . لكن لم يمض على الدستور غير عام ، ثم توفى الشاه مظفر الدين ، وقام بعده ابنه الشاه محمد على

وكان الشاه الجديد شاباً طائشاً ، جباراً سفاكا للدماء ، يحتقر الامة ولا يعترف بحقوقها ، فما كاد يمضى على جلوسه على عرش ايران زمن وجيز ، حتى ألغى الدستور ، وأبطل الحياة البرلمانية ، فلما أبى النواب أن يخضعوا لأمره أمر الجيش بتدمير البرلمان بمن فيه ، فسلط عليه مدافعه فقتل بعضهم ، وفر البعض الآخر ، ومن المقتولين من النواب ميرزا نصر الله ملك المتكلمين وميرزا قاسم مدير جريدة صور اسرافيل ، والسيد جمال الدين الاصفهانى ، وميرزا اسماعيل التبريزى وغيرهم

لكن هذا الشاه المستبد العنيد لم يستفد من استبداده وعناده ، وقام الزعيمان الوطنيان « سبه سالار » أمير الجيش محمد حسين خان فى شمال ايران ، وسردار أسعد فى جنوبها يطالبان بحقوق الامة ، وآزرهما فى ذلك زعيما تبريز وبلاد أزربيجان : ستارخان ، وباقرخان . وقاد هؤلاء الزعماء ثورة عظيمة ضد الشاه محمد على ، فتحالف الشاه مع الروس وأرسل للثوار جيشاً بقيادة الكولونيل « ياخوف » فلما تقابل الثوار بهذا الجيش لم يجدوا من جنوده الايرانيين أية مقاومة ، فعبروا طريقهم الى « طهران » أو « تهران » بالتاء المكسورة وهو الاصح ، إذ أن « ته » بمعنى المنخفض ، و « ران » بمعنى الارض ، والمعنى « الارض المنخفضة » لأن هذه المدينة فى مكان منخفض بسفح جبل البرز بضم الباء

فلما دخل الثوار العاصمة فر الشاه الى سفارة الروس ، فقصدوا الى دار البرلمان المتهدمة ، وعقدوا اجتماعاً أصدروا فيه قراراً بعزل الشاه ، واقامة نجله الشاه أحمد القاجارى . . ولما كان هذا الشاه صغيراً عين له وصى للعرش يدعى « عضد الملك » من الاسرة القاجارية ولما توفى هذا الوصى أقيم مقامه « ناصر الملك الهمذانى » وبعد مرور أربع سنوات احتفلت ايران ببلوغ الشاه الجديد سن الرشد

ووضع الايرانيون أملهم فى همة الشاه الشاب وحرصه على مصالح أمته ، لكنه ما لبث أن خيب أملهم ، وأقبل على الملذات وأهمل شئون الامة ، وما تحتاج اليه من اصلاح وتجديد . وكان يسافر كل سنة مرتين الى فرنسا ، ويحمل معه اللآلىء الثمينة ، والأمتعة النفيسة التى كانت ايران مشتهرة بها ، ويوزعها على كواعب باريس

أما شئون الدولة ، فقد كانت تسير من سىء الى أسوأ ، وبخاصة فى الحرب الكبرى اذ أصبحت مسرحا فى ذلك الوقت للسياسة الانجليزية والروسية ، ومطمعاً لهاتين الدولتين . وبعد أن انتهت الحرب ، وأخذ مذهب البلشفيك يمتد فى شمال إيران خافت بريطانيا على مصالحها ، فعقدت مع الشاه أحمد معاهدة سنة ١٩١٩ م أصبحت إيران بمقتضاها تحت الحماية البريطانية ، فقام جلالة الشاه رضا بهلوى الذى كان قائداً للجيش ، ثم وزيراً للحربية ، فرئيساً للوزراء ، وألغى هذه المعاهدة ، وقبض على أزمة الأمور

وقد اهتم جلالته بتوطيد الحياة البرلمانية فى بلاده ، وتوجيهها بنفسه ، وأخذ النواب بارشاده النافع للتعاون فيما بينهم على العمل للمصلحة العامة ، والاتحاد في سبيل رقى الأمة ونهضتها الجديدة . فأصبحوا بذلك كتلة واحدة لا تفرق بينهم الحزبية ، ولا تدفعهم المنافع الشخصية الى الاضرار بمصالح الامة . وقد حرم جلالة الشاه رضا قيام الأحزاب السياسية لعلمه بما تجره على البلاد من منازعات وخصومات لا تجنى الأمة من ورائها إلا فساد الأمور وتعطيل يد الاصلاح والانشاء فى البلاد

ومن القوانين المهمة التى أقرها هذا البرلمان قانون التجنيد الاجبارى ، ومدة هذا التجنيد سنتان ولا يعفى منه أحد مهما كانت وظيفته أو عمله ، وقانون مصلحة السكك الحديدية الايرانية

***

والبرلمان يتألف من مجلس واحد هو « مجلس النواب » على نحو ما عليه الحال فى تركيا الحديثة

ولم يقم فى إيران مجلس للشيوخ مطلقا منذ قامت الحياة البرلمانية فيها ، ومدة النيابة سنتان ثم يعاد الانتخاب . وستشهد إيران الانتخابات الثانية عشرة فى الخريف القادم

ويشترط فى المرشح للنيابة أن يكون إيرانياً ، وسنه لا تقل عن ثلاثين سنة ، ويقدر على القراءة والكتابة فقط ، وأن يكون حسن السمعة ، غير معروف بادمان تعاطى الافيون ، ولا عبرة بالمذاهب الدينية فى البرلمان . فبين النواب نائب للمجوس ، ونائب لليهود ، ونائب للارمن

وعدد النواب ١٢٤ نائباً ، وينتخب رئيس المجلس كل ستة أشهر ، وجلساته تختلف حسب حاجة البلاد ، ولكنها إجمالا تعقد مرتين فى الأسبوع ، ومرتب النائب ثلاثة آلاف ريال ، وهى تعادل ثلاثين جنيهاً مصرياً تقريباً

ولكل وزارة فى مجلس النواب لجنة تنظر شئونهـا ، وتعرضها على المجلس ، ويستمر قائما بأعماله طول العام ما عدا أربعين يوما يتعطل مجلس النواب فيها تعطيلا رسمياً لحرارة الصيف

أما خطبة العرش ، فيلقيها جلالة الشاه بنفسه فى كل دورة ، وتتضمن توصية النواب بالتعاون فى خدمة الأمة . والقيام بواجباتهم خير قيام . ولا يرد النواب على هذه الخطبة كما هى الحال فى مصر ، ولا يناقشونها بأية حال من الأحوال

طاهر الطناحى

سجل الأيام

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

بعض شؤوننا الداخلية

لا بد من كلمة حق وانصاف تسجلها الايام على مجلس النواب وعلى أعمال الحكومة إجمالا . فاننا لم نشهد فيما شهدنا منذ الانقلاب الوطنى فى سنة ١٩١٩ استقراراً فى الحكم وقياما بواجبات فرضتها الظروف وطبيعة الاشياء مثل هذا الذى يقع أمام أعيننا فى هاتين السنتين

وقد يحلو للمنتقدين أن يظهروا العيوب ويدلوا على مواطن الضعف أو النقص ، ولكن الرجل الذى تجرد عن الغرض ونظر الى الأمور نظرة لا يأتيها التحيز من أمامها ولا من خلفها لا يسعه الا الاقرار بنزاهة الحكم القائم بالأمر فينا الآن وبصلابة عود الذين يديرون دفة السفينة فى هذا البحر الذى تلاطمت أمواجه فى سياسة العالم الخارجية وفى السياسة الداخلية . فالعمل المنتج كان قاعدة لبعض وزراء الدولة غرست وآتت أكلها ويكفى أن نشير الى ما تم فى وزارة المال وفى وزارة الداخلية من نظام وأخذ للامور بالعدل وبالحزم حتى يقتنع الجميع بصحة ما نقول

على اننا قلنا فى كلام قديم فى هذه الفصول ان آمالنا فى الوزيرين اللذين يتوليان وزارة المالية ووزارة الداخلية عظيمة ، لأنهما لم تقيدهما روح الديوان ولم تسبكهما قوالب النظم العتيقة فحققت الأيام ظننا ولو كان المجال هنا مجال تفصيل لاتسع لنا القول ، ولكننا نؤثر أن نلم بالأمر الماما مخافة إغضاب من نظنهم يأنفون المديح واغضاب كرامتنا التى تأبى أن تحمل على محمل المداهنة أو التمليق

ولعل أوقع ما وقع فى أنفسنا من مناقشات مجلس النواب هذه الحملة التى أثارها بعضهم على بعض الكتب أو بعض أساتذة الجامعة

أما أن تثار حملة فأمر مألوف فى مجالس النواب كلها وأما أن ترمى إلى تقييد حرية الفكر أو حرية الكلام فهذا مالم نعد نسمع له دويا فى مجلس من مجالس العالم المتمدين

فكم كان سرورنا عظيما عند ما قرأنا كلمة الأستاذ العقاد إذ وقف يقول (قد يطلب طالب حجراً على حرية أو منعاً لكلام أو لكتاب ، وقد يسمع ذلك منه فى مكان سحيق أو عميق ، وإما أن يثار مثل هذا الكلام فى مجلس النواب فأمر لا نقبله »

وهى كلمة حق قالها رجال أحرار من قبل فى برلمان كان الاستبداد واقفاً بالسيف فوق رأسه

فأخلق برجال أحرار عندنا أن يرسلوها فى برلمان أظهرت كثرته انها ظهيرة الحرية على الاستعباد

فهنيئاً للاساتذة العقاد وفكرى أباظة ومن حذا حذوهم ما قالوه دفاعا عن الحرية

فانا مهما قلنا ومهما كتبنا لا نمل تكرار آية الحضارة وآية الآيات ان حرية الفكر هى أساس كل تقدم فى العالم

هكذا كان الأمر منذ نشأت الحضارات وهكذا سيكون

حرية الفكر نور وقوة

اطلقوها من عقالها تروا ثمارها

لا خوف على دين أو سياسة أو عقيدة من حرية الفكر

فهى قد تصدم الحق وتحاول النيل منه ، فلا يلبث الحق ان يؤيده أنصاره فتظهر الحقيقة

وهى قد تقوم على الجهل فيصدها أنصاره ولكنها لا تلبث تعمل عملها حتى ينخر السوس فى عظامه

شرها — ان ظهر لها شر وقتى — لا يقاس بخيرها

فهى العامل الاكبر فى تكييف الفكر البشرى وصقله ، فينفر الناس زرافات ووحدانا ساعين وراء الحقيقة يتعثرون حيناً وينهضون أخرى ، ولكن السعى لا يزال والدافع لا يمل ولا يتعب

اخنقوا حرية الفكر تقضوا على ميراث البشرية وتعيدوها همجية أخلق بالوحش منها بابن آدم

فلو أخذنا بمذهب أعدائها وحسبناها داء لقتل مكروبه يعمل وينتقل ويعد عدواه مهما اتخذ المستبدون من سلاح أو عدة مقاومة

ألا ترى الى هؤلاء الشعراء والكتاب وذوى الرأى الذين عاشوا فى القرون الغابرة والقول قول الخليفة أو الملك ، والحياة والموت بين شفاههم ، كيف آثروا الاضطهاد والتعذيب والتشريد والموت على السكوت

وربما لم يكن ما قالوه أو نظموه صادراً عن فضيلة

وانما مكروب حرية القول كان ينخر فيهم فأنطقهم بالكفر أو بالحق ، ثم غربل الزمن ماخلفوه وتلقف الناس ميراثهم من بعدهم

فالحق من يعرفه

فالحقيقة أين هى

فكيف يجوز لابن من أبناء اللذين ارتكبا أولى الخطايا مهما علا مقامه أن يفرض رأيا أو قولا أو علماً على الناس أبد الدهر

ان طبيعة الأشياء تقضى بالتغيير وبالتبديل سعياً وراء ما تقتضيه منا الحاجة والوسط والميراث

فاذا منعنا حرية الفكر أمتنا جوهر الحياة

ان حرية الفكر ما أضرت قط

انها هاجمت فى بعض أدوارها الدين فلبث هو هو والناس يدخلون فى أديانهم أفواجاً لا ينقصون بل يزدادون

وهاجمت العلم عند ما ودّ أن يظل على أسلوبه القديم،فازداد رسوخاً فى مبدئه بعد أن تحول عن واسطته

وخير ما فى حرية الفكر انها عدوة التعصب

فهى لا تنحاز إلى رأى أو عقيدة أو مذهب استعلاء أو ادعاء ، بل تترك الناس أحراراً

فهى لا تتعصب للدين ولا تسمح أن يتعصب الناس على الدين

وهى لا تقود الى الفوضى بل تحد من طرق المتطرفين اذ تدلهم على طريق لغيرهم فيه ما لهم فلا يجوز لسائر أن يأخذ إلا بنصيبه

ولكننا والحمد لله وبعد ما سمعناه من مناقشة مجلس النواب ننام ملء جفوننا مطمئنين على حرية الفكر أن يعبث بها العابثون ولم يبق لدينا إلا التوصية نزجيها الى السلطة التنفيذية عساها أن تصغى الى أقوال البرلمانيين فتوقف ما اعتزمته من حد لحرية النشر فى الصحافة والتريث فى سن القوانين

فكل قانون مهما كان غرضه لا يعدو أن يكون قيداً يضاف الى ما كبلتنا به النظم الاجتماعية من قيود . فاذا قبل الرجل المتحضر سلاسله العصرية نزولا على مقتضيات الاقتصاد والاجتماع فهو ينفر من كل قيد يمتد الى غير هذه الحدود فيتناول حرية قوله ورأيه وفكره

وإنه مهما يقل القائلون فى الصحافة وفى اساءة حريتها ومهما يطعن الطاعنون على هؤلاء الذين يتصدون للناس فى حياتهم الشخصية فيتناولونها بالقذع أو فى حياتهم السياسية العامة فيخلطون بينها وبين الخاصة ويبالغون فى التجريح وفى التضليل كذباً أو نصف كذب

انه مهما تصح أقوال هذه الفئة من طالبي الحد فلا يكاد ينهض عذراً

لحرية الكلام قد تضر . وحرية القول قد تؤذى وحرية الكتابة قد تسىء الى بعض الناس فى كثير من الأمور . ولكن كل هذا خير من عبودية القلم ، وخير من منع الكاتب أن يطلق له العنان

ثم ان المنع لا يجدى

انك ان حرمت الكتابة علناً تدفع بالمتذمرين الى الدسائس والمؤامرات والجمعيات السرية

إنه عند ما تدرك أمة من الأمم قيمة حريتها – الحرية الفكرية والكلامية والكتابية – وعند ما تضع هذه الحرية فى القمة فلا تتساهل بالمساس بها – عند ذلك يصح أن يقال إنها أمة متمدينة

الشؤون الخارجية العالمية

ولقد قلنا فيما مضى أن هذه الامبراطورية التى لا تغرب الشمس عنها قد نام فى الماضى القريب بعض رعاتها عنها فقام الجائعون يجمعون جموعهم ويرهفون سلاحهم عـالم أن ينالوا منها أو من بعض فتات مائدتها اذا تضعضعت فسقطت

ولسنا الآن فى مقام تبيان ما أهمل الانجليز من أمور ملكهم الشاسع ، ولكننا أمام الأمر الواقع

فهؤلاء الجياع يقيمون الدنيا اليوم فى الشرق الأقصى والبارحة فى أوربا وغداً فى الناحيتين معاً حتى يجعلوا القوة البريطانية مقسمة على جبهتين أو أكثر فتضعف ـ كما أن الانجليز وحلفاءهم لا يجدون سبيلا الى إضعاف القوة الألمانية الا اذا وزعوا جهدها الى جبهتين واحدة فى الغرب وأخرى فى الشرق

وكأنا بالروس وقد رأوا الفريقين يتنازعان النجدة وقفوا موقف المساوم . وهكذا الأمم كالأفراد ينتهزون الفرصة ويغتنمون المنفعة

وانه والحق يقال ليؤلمنا أن يصاب هؤلاء الانجليز أو ينكبوا ليس لأن مصائرنا المادية مرتبطة بهم فحسب ، بل لأننا خبرنا الماضين وعرفنا الطامعين المقبلين ، فما رأينا خيرهم يقاس بشر الانجليز وان غلا

فانه اذا كانت السيادة قد كتبت لعنصر من عناصر الجنس البشرى الى أن يعقل الآدميون فيضمهم صعيد واحد فى الاقتصاد والاجتماع . فأولى هذه العناصر بالسيادة لهؤلاء القابعون فى الجزيرة الانجليزية

فهم قد تحضروا وهم قد فهموا معنى الحرية وهم قد عرفوا أن العالم أخذ وعطاء يعيشون فيه ويدعون الآخرين يعيشون . فلن يرضى هذا العالم بهم بديلا قوماً صفر الوجوه طوال العيون يشاطرونه اللقمة بالقوة وبالخديعة وبالحيلة

وهو لا يرضى بهم بديلا قوماً آخرين آريين متعصبين يؤثرون القوة على الحرية الفردية ويعيشون فى الارض اضطهاداً ، ويصعرون خدودهم استعلاء ، ويأخذون ما فى أفواه الغير جوعاً وطمعاً

وسيعلم الناس عند ما تزول هذه المحنة المحيقة بهم وينجلى هذا الليل المظلم المدلهم إما بتسوية يصطلحون عليها أو بحرب لا تبقى ولا تذر ، أن الطغاة لا يدوم سلطانهم وأن الأمر لله ومن بعده للذين يؤثرون الحرية على العبودية

سامى الجريدينى

مدام رولان

(بقية المنشور على صفحة ٨٧٢)

أن هذه المحاكمة فرصة متاحة يظهرون فيها ما قدموه للجمهورية وللثورة من جليل الخدمات ويوازنون بين أشخاصهم وأشخاص خصومهم في ميدان الوطنية والمبادىء وخدمة الصالح العام . لذلك أبوا ان يستقيلوا وأن يبرحوا مقاعدهم النيابية ، وقال قائل منهم : « لقد أقسمنا أن نؤدى واجبنا وسنؤديه حتى النهاية» وأكبر المستقلون فيهم تلك العـزة وذلك الشمم ولـكنهم أدركوا أنهم لا محالة واقعون في أحد أمرين . اما أن يماشوا اليعاقبة ويرسلوا الى المقصلة أولئك الفتية الغر ليردوا حياض الموت ، واما أن يعارضوا اليعاقبة وهم أقوياء الساعة والمسيطرون على الموقف فيعرضوا أنفسهم لنقمتهم ومانقمة اليعاقبة بالشيء القليل . لم يبق اذن الآن ينجو بأنفسهم من هذا الموقف العسير ، فأخذوا يتسللون من قاعة الاجتماع وينصرفون فرادى ليتسع الوقت أمامهم يدبرون فيه طريقة الخلاص لاخوانهم الجيرونديين . لكنهم ما كادوا يجتازون الابواب الخارجية حتى وجدوا الجنرال هانريو قائد جيش الثورة وصنيعة اليعاقبة يسد أمامهم الطريق وقد حاصر دار المجلس وصوب مدافعه اليها ، فعادوا أدراجهم وأفضوا بما رأوا الى بقية الاعضاء

ولم يكن الجيرونديين والمستقلون على علم بهذه المؤامرة التي دبرها دانتون ومارات وروبسبيير . فلما فوجئوا بنبأ حصار الدار احتجوا أشد الاحتجاج وطالبوا بأن يخرج المجلس بكامل هيئته حتى يقف الجيش عند حدود الاحترام الواجب لاكبر هيئة تشريعية في البلاد . وخشى اليعاقبة اذا هم رفضوا هذا الاقتراح أن تفتضح مؤامراتهم فلم يأبوا الخروج معهم ، وسارت هيئة المجلس كاملة وفي مقدمتها الرئيس هيرو دي سيشيل . ولكنهم لم يبلغوا ميدان الكاروزيل حتى اعترضهم القائد هنريو وجيشه ، فابتدره الرئيس قائلا : « ماهذا الذي تفعل ياهنريو ؟ » قال : «أنفذ ارادة الشعب » فقال الرئيس : «وما الذي يريده الشعب ؟ » فأجاب : «ان الشعب يا هيرو لا يريد كلاما وانما يريد رؤوس الاربعة والعشرين خائنا الذين يدبرون شقاءه ويتآمرون مع العدو عليه » ثم التفت الى رجال مدفعيته وقال : « الى مدافعكم أيها الفتيان »

يا حيرة القـلم في وصف تلك الثورة التي ما نطوى من تاريخها صـفحة خزى الا لنفتح صفحة أخزى ، وياحيرة المؤرخ في تكييف تلك المآسى والمهازل والشناعات ترتكب باسم الحرية والاخاء والمساواة !

عاد الاعضاء الى مقاعدهم وقد أملت عليهم القوة الغاشمة ما يجب أن يفعلوه ، فارتقى النائب كوتون صديق روبسبيير المنبر وطلب اصدار مرسوم بالقبض على الخونة . وتلاه

ماراه الوحش وقرأ الثبت الذى يحوى اسماءهم ، ونهض روبسبيير الرهيب واقترح قفل باب المناقشة وأخذ الرأى • ولقد صوت اليعاقبة للقبض والمحاكمة وامتنع المستقلون عن التصويت وجلسوا منتمدين رؤوسهم بين أيديهم خجلا من موقفهم المهين • واستولى الجنود على الجيرونديين الموجودين بقاعة الجلسات وكان كثيرون منهم قد نجوا بأنفسهم قبل صدور القرار وغادروا المجلس متفرقين ثم لاذوا بالفرار الى الريف

وعندئذ سمح هنريو لرجال المجلس الوطنى بالانصراف فانصرفوا أذلاء منكسى الرؤوس يحملون خزيهم فوق أكتافهم ويود كل منهم لو تنشق الارض وتبتلعه فيتقى نظرات الجماهير الهازئة وبسماتها الساخرة

وفى الرابع والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٧٩٣ كان واحد وعشرون نائبا من حزب الجيروندة يحتلون مقاعد المتهمين فى المحكمة الثورية ، بينما كان اخوانهم قد لجأوا الى الاقاليم يستثيرونها على العاصمة ويستعدونها على المجلس الوطنى فلم يفلحوا الا فى اثارة فتنة محلية غير ذات بال لم تلبث السلطات حتى أخمدتها ، والا فى تسليح يد الفتاة شارلوت كورداى بالخنجر الذى طعنت به صدر ماراه فأردته قتيلا

وافتتحت جلسة المحاكمة ووقف المدعى العام فوكيه تانفيل يتلو ورقة الاتهام فاذا هى لاتخرج عن حدكونها صدى للتهم التى صاغها دانتون وروبسبيير للجيرونديين وقد أضاف اليها تهمة من عنده تبرع لهم بها وهى أنهم صنائع البروسيين ومأجورو الانجليز • ولم يفته أن يحملهم تبعة مصرع الزعيم ماراه

وتقدم الجيرونديون الى المحاكمة معتزين بوطنيتهم وبما أسلفوا فى خدمة الوطن واذكاء شعلة الثورة ، ظانين أنهم أمام قضاء عادل نزيه يقدرهم أقدارهم ويعرف لهم ماضيهم وما كان لهم فيه من شأن عظيم ، ولكن تلك الغشاوة زالت عن أعينهم يوم تجلى لهم القضاء الثورى على حقيقته البشعة ورأوا هيرمان رئيس المحكمة يعرض عنهم بسمعه وبصره ولا يفسح صدره الا لأقوال المدعى العام وشهود الاثبات

عندئذ فقط أيقنوا أنهم هالكون ، وأن رؤوسهم ستسقط عن أكتافهم عما قريب • لقد عمدوا فى الدفاع عن أنفسهم الى جهود هائلة والى أقصى ما أوتوا من قوة الحجة وفصاحة اللسان ، ولقد نجحوا أيما نجاح فى تفنيد التهم المعزوة اليهم ودحض مفتريات الشهود التى تراكمت عليهم • وأحس القضاة والمحلفون أن صرح الاتهام ينهار وأنهم ازاء أبرياء لا شك فى براءتهم ، وأحس فوكيه تانفيل أن قضيته خاسرة ، وأدرك اليعقوبيون أن أعداءهم سيفلتون من براثنهم ، فجعل الزعيم اليعقوبى ابير يكتب فى صحيفته : «ماللقضاة يتلكؤون ويتنومون كلما تعثروا بمسألة تتعلق بالشكل والاجراءات؟ لقد حكمت الامة على أولئك الاثمة فما على القضاء الآن يسجل حكمها وينصرف بسلام»

وهرع روبسبيير الى لجنة الانقاذ العام فاستصدر منها قانونا ينص على أنه اذا طالت المرافعات فى قضية من القضايا أكثر من ثلاثة أيام فلرئيس المحكمة أن يسأل المحلفين

هل استنارت أذهانهم واستراحت ضمائرهم ، فاذا أجابوا بنعم وجب وقف المرافعات وجاز للمحكمة أن تحكم في الموضوع

ولقد كانت المحكمة فى أمس الحاجة الى هذا القانون الذى ينقذها من موقفها الحرج • فما ان تسلمته من يد المدعى العام حتى أعلن المحلفون بلسان رئيسهم أن هيئتهم قد استنارت وضمائرهم قد استراحت فأمر الرئيس فى الحال بالاستغناء عن سماع شهود النفى وأقوال الدفاع • واختلى المحلفون للمداولة برهة ثم عادوا فأفتوا بادانة المتهمين • وطلب فوكيه تانفيل تطبيق عقوبة الموت فصدر حكم المحكمة باعدامهم جميعا

ولقد كان لهذا الحكم وقع مختلف المظاهر على أولئك الشبان • فلقد تقبله فرنيوه بجأش رابط ولم ينطق بكلمة • أما جانسونيه فلم ينس انه محام ونهض يطلب الكلام للاعتراض على التطبيق القانونى ولكن ذهبت كلماته هباء فى وسط الضوضاء • ورفع بوالو قبعته فى الهواء وصاح : « نحن أبرياء وانهم يخدعونك ايها الشعب » • وحانت من فرنيوه التفاتة الى جاره فالازيه فوجده ممتقع اللون وقدمال رأسه على صدره ، فهمس فى أذنه : « أخائف انت يا صاح ؟ » فرفع فالازيه جفنيه وقال : « ما بى حاجة الى المواساة فقد انتهيت » ونظر فرنيوه فاذا شىء يلمع فى صدر صاحبه واذا هذا الشىء خنجر كان الرجل قداستله من جيبه وأغمده فى قلبه ، ثم لم يلبث لحظات حتى سقط ميتا تحت الاقدام

وكان الليل قد انتصف والمشاعل ترسل ضوءها الباهت على هذا المنظر الرهيب ، وقد وقف جمهور النظارة مروعا مشدوها كأن على رأسه الطير • وخشى القضاة أن يعقب هذا الوجوم انفجار لا يعلم مداه ، فرفعوا الجلسة وأمروا الحراس باقتياد المتهمين ، وعندئذ تعثر أحدهم بجثة دوفريش فرفعها بين ذراعيه وعرضها على المحلفين • وكأنما عز على فوكيه تانفيل أن يفلت أحد زبانئه من يده ليموت ميتة مختارة ، فأصر على أن ينفذ الحكم فيه • وعندما قادوا المحكوم عليهم الى ساحة الاعدام جعلوا بينهم جثة النائب المنتحر، حتى اذا جاء دوره فى الترتيب حملوه فوق المقصلة ففصلت السكين رأسه عن الجسد • ولعمرى اذا كان اعدام الجيرونديين فى نظر التاريخ جريمة فان التمثيل بجثة فالازيه عار تمتاز به تلك الجريمة

***

احست مدام رولان منذ قبض على اصدقائها أن حياتها فى خطر وان الاعداء يتعقبونها بحقدهم ، وازدادت يقينا بهذا الخطر عندما صدر قرار المجلس الوطنى بالقبض على زوجها تمهيدا لمحاكمته هو أيضا على تهم من النوع الذى لفقوه لزملائه • ولقد كان فى استطاعتها أن تحذو حذو زوجها فتفر وتنجو بنفسها ، ولكن يظهر أن النكبة التى نزلت بأصحابها واحبائها ، والفشل الذى منيت به سياستها وآمالها ، والمصير المحفوف بالمخاطر الذى كان ينتظر البقية المشردة من اولئك الشبان الامجاد ، يظهر أن كل ذلك زهدها فى الحياة ورغبها عنها وجعلها تمكث حيث هى فلا تحاول فرارا ولا تلتمس نجاة

وكان ما توقعت اذ أمرت السلطات بالقبض عليها وتقديمها الى المحكمة الثورية بتهمة الاشتراك مع زوجها وغيره من الذين ثبتت خيانتهم ، وبتهم أخرى من تلك التي كان فوكيه تانفيل يحسن تكييفها وصياغتها ، كالتعريض برجال الدولة وتسوىء سمعة الثورة والتشهير بعاصمة الجمهورية وما الى ذلك من العبارات المبهمة المطاطة التي لا تفيد شيئا معينا ولكنها كفيلة بارسال المتهم بها الى المقصلة

ولقد حاولت أن تدافع عن نفسها أو تدفع الاهانات التي وجهت الى شرفها وعرضها ، ولكن القضاة قطعوا عليها سبيل الكلام وحكموا عليها بالاعدام ، فقابلت الحكم بجنان ثابت وصاحت في وجوههم : « أما وقد رأيتموني جديرة بأن اشاطر اولئك الرجال العظام الذين قتلتموهم مجد منيتهم وعظمة نهايتهم وأن أسير بعدهم في الطريق الذي شقوه لانفسهم الى الخلود فاني سألقى الموت شجاعة كما لقوه »

وكانت قد اغتنمت أوقات فراغها في السجن فدونت مذكراتها فجاءت هذه المذكرات تحفة في الادب والتاريخ قيمة بالتأمل والتفكير فياضة بالعبر والعظات ، فلما صدر الحكم وعادت من المحكمة الى السجن تناولت القلم وخطت السطر الاخير منها وهذا نصه : « افتحي لي صدرك أيتها الطبيعة واحتويني ، ويا ايها الاله الرحيم خذني في جوارك »

وفي اليوم التالي ذهبوا بها الى ساحة الاعدام فسارت اليها هادئة باسمة تحيي الجماهير من فوق مركبتها وتومىء الى الذين تعرفهم ايماءة الوداع . فلما بلغت تمثال الحرية المنصوب في ميدان الثورة رفعت صوتها عاليا وصاحت صيحتها الشهيرة التي أثرت عنها : « أيتها الحرية ! ما أكثر ما يرتكب باسمك من الآثام »

وكان زوجها رولان قد اختفى في مدينة روان ولبث مختبئا أشهرا طويلة . فلما علم موت امرأته غادر مخبأه وهام على وجهه في الفلاة . ويظهر أن خيبة آماله والكوارث التي أثقلت كاهله ازهدته هو أيضا في الدنيا . ففي صباح اليوم التالي لاعدام مانون وجده بعض الفلاحين ملقى على وجهه في حقل ، فلما حركوه ألفوه جثة هامدة ووجدوا في يده المقفلة ورقة مطوية كتب عليها : « لم أطق الصبر على حياة في أمة لم يبق فيها أثر من المبادىء السامية التي عشت لتحقيقها ، فأنا أموت راجيا أن يقدر لبلادي ان تزيح عن صدرها ذلك الكابوس الذي يخنقها وأن تثور يوما على المظالم التي ترتكب فيها باسم الحرية والاخاء والمساواة فتحيا حياة حرة سعيدة »

حسن الشريف

إعترافات المريض للطبيب

وأثرها في التشخيص والعلاج

بقلم الدكتور ابرهيم ناجي

عندما يستشيرنا مريض من أجل علته نبدأ بالتحدث اليه

وهذا الحديث له أهمية بالغة ، وفي بعض الامراض كالمعدة مثلا ، وكالامراض العصبية، يكون اعتمادنا الكلي في التشخيص على هذا الحديث • وفي اكثر الاحيان يكون اعتمادنا في العلاج على حديث مشابه لهذا

هذا الحديث هو في الواقع « اعتراف » المريض للطبيب ، وقد أكدت كل كتب التشخيص الطبي أهمية هذا الاعتراف ، وأهمية الحصول عليه ، والمهارة الفنية في استدراج المريض اليه ، والصبر على « مناورات » المرضى الذين كثيرا ما يضللوننا • وكم من أمر تافه في حديث من الاحاديث يطوى وراءه كل سر المرض وكل سر المريض ويكون المفتاح الوحيد لباب الشفاء

وقد يستدعي الامر أخذ التاريخ مرات ، كالمحقق حين يدرس قضية ، فتتضح بالمراجعة والمقارنة أمور هامة توضح لنا الطريق وتنير السبيل

والواقع أن « المعترفين » صنفان : صنف يثق بالطبيب ، ويحب أن يساعده في فهم مرضه والوصول الى الحقيقة ، ولكن هذا الصنف نوعان ، نوع يعني بذكر التافه من الامور ، ونوع يدخل لطبيبه ومعه « كشف » طويل بمتاعبه

اما الصنف الثاني فيصح ان نسميه « السيكولوجي » وهو متعب خطر ويقتضي الطبيب المهارة والعلم والصبر حتى يصل الى حقيقة الامر

فزيادة على انه يحاول ان يضلل الطبيب ، له قصد آخر وهو امتحان الطبيب ، وهذا من العجب ، مريض يأتي طالبا الشفاء ، فما نتحدث اليه حتى تشعر من أول الامر انه يضللنا ، وخاصة المرضى بالامراض التناسلية • فان الزهري مثلا في دوره الثالث ليست له غير اعراض مبهمة ، ومن النادر ان يصارح المريض طبيبه بحقيقة الامر ، حتى قال الاستاذ كابوت Cabot الطبيب الامريكي المشهور : «يجب ألا نصدق الذين ينكرون المرض التناسلي وتاريخه عندهم ، مهما كانوا ، ومهما كان مركزهم في الهيئة الاجتماعية »

اذكر انه جاءني ذات يوم سيد من الاعيان ومعه سيدة من أهله لا تشكو غير الصداع• والصداع المستمر قد يكون هو العلامة الوحيدة في الزهري المتأخر • فما كدت اسأله واسألها عن تاريخ مرض كهذا في العائلة حتى ثارا وغضبا لكرامتهما • فصبرت مكرها،

وقلت له ولها كاذبا انى آسف فقدفاتنى أنأعتذرعنهذا السؤاللان المرضهو «الملاريا» غير انى ينقصنى تحليل الدم للملاريا للتأكيد . فارتاحا الى ذلك غير انى ارسلت الدم للتحليل من أجل الزهرى ، لمعمل موثوق به ، فلما عادا ، كانت النتيجة ايجابية واضحة للزهرى ، فأريتهما التحليل صامتا وظافرا فى الوقت نفسه ، فلما فاجأت السيد بحقيقة الامر صدمه ذلك ، وطلب في الحال ان يخلو بى ، وقد تنازل عن كبريائه . وصرح لى بماض طويل من الامراض التناسلية !

وارسل لى أحد الاصدقاء ذات يوم قريبة له كلما نامت رأت اشباحا ، وقبورا ، وموتى ! وهى قد جربت العلاج النفسى فلم يفد ، فأخذت اتحدث اليها ، كل يوم كنا نتحدث ، نتحدث فى شؤونها وشؤون ذويها ، فعلمت ذات يوم اثناء أحاديثها ، ان والدها رجل صالح ، كل الصلاح ، لا يبارح « سجادته » ولكنها صرحت لى مرة انها رأت أباها يأخذ حقنا يحرص على ان لا يراها أحد ، وقد تعلم ان يأخذها بيده

فقلت فى نفسى ان هذا الصلاح مقرون بماض يكفر عنه هذا الشيخ .وأخذت دمها وأرسلته للتحليل بدون أنأخبرها لاى سبب أحلله ، بلالواقع قلت منأجل «الانيميا» ، فجاء الجواب ايجابيا للزهرى ، اذن فقد كان عندها زهرى وراثى ، وهى قد عولجتعدة سنوات على أنها «عصبية» ، ولولا هذه «الاحاديث» لولا هذا الاستدراج فى «الاعتراف» لولا نقطة بسيطة فى أثناء حديث طويل ، ما أمكننى مطلقا أن أشك فى وجود الزهرى، اذ لم تكن لهعند السيدة علامات أخرى مطلقا !

نعود الى الصنف «السيكولوجى» فهذا الصنف من أهم الامور التى بنيت عليهافلسفة فرويد . فكل مريض عصبى له « ماض » قد نسى أو تناسى ذلك الماضى . وكل محاولة منه أومن غيره لاكتشافه تقابل بالمقاومة . ويقول فرويد أن هذه المقاومة عامة فى النوع الانسانى ، فكل شخص يقاوم كل نظام جديد يفرض عليه . حتى فى الاعلانات ، كل اعلان يشتم منهالسلطة والاوامر ، مرفوض حتما ، ولنينجحالاعلان حتىيتخيلالقارىء أنه هو الذى كتبه بنفسه ، أويطمئن اليه كأنه صادرمنه شخصيا ، وحتىفى سيكولوجية البيع والشراء ، اذا فرض البائع علينا الشىءفرضا رفضناه مهما كانت قيمته ، ولانشترى الا اذا خيل لنا اننا نشترى بمحض مشيئتنا !

هذا فى الحياة العامة بدون أن نشير الى ماض ولا «عقدة» فما بالك بمن له هذاالماضى أو « العقدة »

وقد كان شاركو ينوم المريضات بالهستيريا لينتزع « اعترافا » منهن . ولكن التنويم لم ينجح دائما ، ولكن برنهيم اكتشف أنه يمكن المحاورة والمداورة لاخذ الاعتراف ويسمى ذلك بالانجليزية Coaxing

ولذلك كان العلاج النفسى عند فرويد فى مبدأ الامر علاجا « بالكلام » وهذا الكلام أساسه ما يسمى فى علم النفس « تداعى الالفاظ والمعانى » Asrociationofworldsandideas

فكل كلمة تجر اخرى وراءها ، وتستخرجها من مكمنها ونحن لا نتذكر الا بهذا التداعى • ولكن لهذا التداعى مغزى آخر يعطيه علماء التحليل النفسى كل الاهمية • فما من كلمة تصدر عرضا ولا بدون سبب • فكل كلمة يخيل لنا أنها صادرة عرضا انما هى فرع من شجرة جذورها فى أعماق العقل الباطن • ومن السهل بقليل من الصبر الاستدلال على تلك الشجرة بفروعها وجذورها

والواقع أن الاعتراف نوع من « الاستدراج » بواسطة هذا التداعى

ذكر فالنتين فى كتابه « علم النفس الجديد » حالة سيدة كانت تعتريها أدوار عصبية مجهولة السبب فلما ذهبت للعلاج ، كان الطبيب المعالج مشهورا بالفهم والصبر ، فأخذ «يحادثها» الى أن علم أن كل ذكرى « للمحطة والسفر » تحدث اختلاجا ورعشة غير ملحوظتين الا للطبيب وصار يذكر لها كلمات « شنطة » ، « حمال » وهكذا حتى أمكنه ان يعرف أن أمرا خفيا حدث لها مع « حمال » ففاجأها ذات يوم بسؤال « وما هى حكاية الحمال معك » فكأنما كانت هاته المفاجأة صدمة ردت اليها ذاكرتها ، وقصت الحكاية التى أخفتها عن كل أحد ، وكان هذا الاخفاء هو السرفى كل ما أصابها ، فلما كاشفها الطبيب بالامر انكشفت العقدة ، استوى كل شيء ورد الى مكانه ما كان شاذا ، وجاء الشفاء

من ذلك يتضح أهمية « الاعتراف » وخطورته فى التشخيص والعلاج فلينتبه الاطباء وليكن المرضى على حذر

ابرهيم ناجى

العظيم

الانسان العظيم هو الذى يسيطر ضميره على سلوكه ، هو الذى يحب الفضيلة لذاتها ، والخير لذاته ، ولا يتوقع من الناس جزاء أو شكوراً

فى الفضيلة نفسها لذة رائعة . وفى عمل الخير لمحض الخدمة العامة أكبر سعادة

فكن حيال نفسك أميراً تعطى بغير مقابل ، وتخدم دون أجر ، وهـذه هى الارستقراطية الصحيحة ، ارستقراطية الروح النبيلة والقلب الكبير (جيزو)

مذهب البشرية
بين الديمقراطية والفاشزم

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

الدول الديمقراطية وان كانت تؤمن بالمبادىء الانسانية الا انها لا تخلص لها اخلاصاً صادقا . وهذا ما يثير حقد الديكتاتورية عليها ، ويدفعها إلى القضاء على هذه المبادىء كي تستطيع أن تسيطر وتسود

لا ينشب فى العادة صراع سياسى أو حربى بين دولة عظيمة وطائفة من الدول ، أو بين كتلتين دوليتين كبيرتين ، من أجل فتوحات وتوسعات ومطامع جغرافيـة واقتصادية فقط

والواقع أن وراء كل صراع سياسى أو حربى خطير تكمن فلسفتان متعارضـتان ، يحاول الفريقان المتنافسان توكيدهما بقوة السياسة أو بقوة السلاح

فالحروب الكبيرة هى حروب فتح وغزو ، وهى فى نفس الوقت جهاد فى سبيل اقرار فكرة معينة ونظام اجتماعى واقتصادي جديد

فالعرب مثلا كانوا يجاهدون لا للفتح فقط ، بل لنشر دين فى طيه حضارة خاصة ومبادىء مستقلة

ونابليون كان يطمع من وراء حروبه في تحقيق فكرة دولية هى انشاء ولايات اوربية متحدة تنهض على مبادىء الثورة الفرنسية وتؤيد حقوق الانسان

وغليوم الثانى كان يعد العدة للانتصار فى الحرب العظمى كى ينشر الثقافة الجرمانية القائمة على مبدأ انشاء امبراطورية عالمية تدمج أبناءها فى كيان الدولة الكبرى ، وتروضهم على حب النظام والطاعة والقوة ، وتغدق عليهم الخيرات المادية ، مقابل نزولهم عن حرياتهم الشخصية للطبقة العسكرية الارستقراطية الحاكمة التى تمثل الامبراطورية والتي يجب أن تفنى فيها حرية الافراد لمصلحة الدولة الكبرى

فالحروب الكبيرة اذن ، أو أدوار الصراع السياسى التى تنشـأ بين كتلتين دوليتين متنافستين ، تحمل فى الغالب الى جانب المطامع الاستعمارية ، رغبات واضحة فى الدعوة الى قيم فكرية جديدة ونظام اجتماعى وسياسى جديد

وهذا ما نشهده اليوم

فالصراع القائم بين الدول الديكتاتورية والديموقراطية ، لم ينشب حول المستعمرات والمواد الخام فقط ، بل حول رغبة كل من الفريقين فى توكيد مجموعة أفكار وتعاليم خاصة به

والحق أن مذهب (الهيومانسم) أو البشرية ، هو مثار النزاع بل هو الصخرة العظيمة التى تحاول الديكتاتورية تحطيمها كى تقيم على انقاضها صرح حضارتها

فلكى نفهم سر النزاع يجب أن نفهم مذهب البشرية

ما هو مذهب البشرية ؟

نشأ هذا المذهب فى أوربا فى عصر النهضة الايطالية عندما شرع دانتى وبترارك ولورنزو فالا، فى التحرر من الفلسفة الدينية اللاهوتية ونقل آثار اللاتين والاغريق

فالفلسفة الدينية اللاهوتية بعقائدها المقررة وتحكمها فى شخصية الانسان ، كانت تحول بين المفكرين وبين دراسة الشخصية الانسانية من طريق الثقافة العقلية دراسة حرة

فالآثار الاغريقية واللاتينية من أدبية وفلسفية وعلمية ، ساعدت أولئك المفكرين واضرابهم على تحكيم العقل فى تفهم شخصية الانسان كوحدة بشرية مشتركة بصرف النظر عن عقيدته والدين الذى يؤمن به

ولقد قام مذهب البشرية اذ ذاك على أن الايمان الدينى أو العمل بفضائل الدين ، لا يكفى لتحضر الفرد ان لم يكن مشفوعا بثقافة أدبية وفلسفية وعلمية حرة تستمدمن الآثار الاغريقية اللاتينية وتعاون الفرد على انماء قوى عقله ورقى عوامل احساسه وسمو اتجاهات عواطفه ، باعتبار أنه وحدة بشرية مشتركة لا تتقيد بعقلية شعب أو مميزات بيئة أو خصائص وطن

فمذهب البشرية يعد فى صميمه مذهب التضامن الانسانى ، مذهب تمجيد الانسانية ، أو تمجيد العناصر الثقافية التى تجعل من الفرد انسانا يشعر بكرامته وحريته ، ويحس فى نفس الوقت عمق الروابط التى تربطه بغيره وتصل بينه وبين الجامعة الانسانية

فكل تفكير فى عرف البشريين يجب أن ينتهى الى خير الانسان ، وكل نظام اجتماعى وسياسى يجب أن يسعى لرقى الانسان ، وكل ثقافة أدبية أو فنية أو علمية يجب أن تكون وقفا على السمو بالانسان وتعزيز كرامته الفكرية والشخصية فى دائرة الاستقلال والحرية

واذن فصقل الذهن بالثقافة كى يتحرر العقل ولا يخضع الا لسلطان الفكر ، وصقل الضمير بالتعاليم الاخلاقية المسيحية وأهمها الرحمة والمحبة والاحسان كى يشعر الناس أنهم أخوة متساوون ، والاتجاه بواسطة الثقافة وتعاليم الدين نحو تحقيق التضامن الانسانى ، هذه هى الدعائم التى نهض عليها مذهب البشرية

ولقد ثار بعض شعوب أوربا على سلطان رجال الدين وأنشأ مذاهب دينية متنوعة ، ولكن معظم تلك الشعوب احتفظت بجوهر آداب المسيحية وقدست نزعة المحبة والرحمة والاخوة الانسانية باعتبارها مثلا أعلى ، وأبقت عليها بوصف كونها جزءاً مكملا لمذهب البشرية ، ثم جاءت الثورة الفرنسية وأعلنت حقوق الانسان وعززت النظم الديموقراطية فتأكدت بواسطتها النزعة الانسانية الماثلة فى مذهب البشرية

وهكذا أصبح هذا المذهب رمزا للحضارة التى تنشدها الديموقراطية

الديمقراطيات ومذهب البشرية

فالدول الديموقراطية ـ وان كانت بالامس قد فتحت وغزت واستعمرت ـ الا أنها اليوم وبعد ان اكتوت بنار الحرب الكبرى ، تحاول أن تهتدى الى حل وسط توفق فيه بين نزعتها الاستعمارية ونزعتها البشرية المثالية . فهى فى سياستها الداخلية تحترم حرية الفرد ، وتقدس حقوق الفرد الشخصية ، وتوسع آفاق ثقافته ، وتسمح له بالتعبير عن فكره ، وتشركه فى ادارة الدولة ، وتغرس فى نفسه تعاليم المحبة والاحسان والرحمة ، وتسعى لأن تجعل منه ذلك الانسان المتحرر المصقول الذهن بالثقافة ، المصقول الروح بالمبادىء الدينية القائلة بأن الناس أخوة وان الحق فوق القوة والرحمة فوق العدل

ثم هى فى سياستها الخارجية تستنكر العنف وتشجب الاعتداء وتنصر السلم وتريد أن تحل مبدأ المفاوضة والمصالحة والتفاهم الدبلوماسى محل مبدأ انتزاع الحق بالقوة ، أى انها تميل الى تطبيق آداب الافراد على آداب السياسة ، وتطعيم آداب السياسة بشىء من روح مذهب البشرية

ومع ذلك ، وبالرغم من وفائنا للديموقراطية وتسليمنا بأنها فى سياستها الخارجية والداخلية قد تطورت تطورا محسوسا عقب الحرب الكبرى لا يسعنا الا أن نسلم أيضا بأن جرثومة الشر الكامنـة فيها ونعنى بها جرثومة الاستعمار ، هى التى أثارت حقد الديكتاتوريات عليها وحسدها الشديد لها ، وهى التى دفعت بهذه الدول الى مناصبتها العداء ومحاولة القضاء عليها بالتخلص قبل كل شىء من مبادىء وتعاليم مذهب البشرية

فالديموقراطيات وان كانت تحرص على هذا المذهب وتدعو له وتفخر به ، الا أنها لا تخلص اخلاصا صادقا مطلقا للواجبات التى يفرضها عليها

فهى بشرية تارة وغير بشرية أخرى ، وهى انسانية طورا وغير انسانية طورا آخر ، وهى فى حكم شعوبها وفى سياستها الدولية شىء ، وفى حكم مستعمراتها شىء آخر ، وهى فى لندن وباريس غيرها فى الهند والهند الصينية والكونغو وفلسطين وسوريا مثلا

فهذا التناقض الملحوظ فى أساليبها ، هو الذى جعل الديكتاتوريات تتهمها بالنفاق وهو الذى أغراها بالاقتداء بها والاندفاع فى نفس طريقها القديم أى طريق القوة الممهدة للفتح والاستعمار

غير أن الفارق بين الديموقراطية والديكتاتورية هو أن الاولى كما أسلفنا تحرص في نظامها الداخلي على تعاليم مذهب البشرية وتميل في سياستها الدولية الى اقتباس بعض هذه التعاليم ، في حين أن الثانية تنشد القضاء على هذه التعاليم كي تلهب روح القوة ونزعة البطش في نفوس أبنائها فتستطيع أن تتفوق وتسيطر وتسود

ولذلك اتخذت لنفسها نظاما اجتماعيا واقتصاديا خاصا وأنشأت فلسفة جديدة

فلسفة الديكتاتوريات

وأما هذه الفلسفة فتلخص تعاليمها في أن الوحدة البشرية نظرية تجريدية محضة ، وحلم مثالي يستحيل على العالم تحقيقه • فالوحدة الحقيقية هي الدولة لا الانسانية • وواسطة الرقي الصحيح هي التفاني في تقوية الدولة واعلاء شأنها وبسط سلطانها ، لا التفاني في تقوية الفرد وتوسيع آفاق حريته ومنحه من الحقوق السياسية ماقديستطيع استخدامه في عرقلة شؤون الدولة

فللفرد أن يدافع عن مصالحه المادية بواسطة نقابته ومن يمثلها في مجلس الحرف والصناعات ، ولكن ليس للفرد أن يجاهر بآراء سياسية تتعارض وآراء الكتلة الحاكمة، وان جاهر بها فالحزب المسيطر الاوحد يتعقبه ويضطهده وقد يزج به آخر الامر في معسكرات الاعتقال

على ان ابواب المعارضة مغلقة في وجه الفرد • فالصحافة مكممة وحرية الفكر مخنوقة ووسائل الدعاية الاخرى كالراديو والسينما تشرف عليها الحكومة ويتولى ادارتها الحزب المسيطر الاوحد

ففي النظام الفاشستي أو النازي ، تهيمن الدولة على كل شيء ، على الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية ، والحياة الفكرية ، والحياة الشخصية ايضا • وهي تعترف بحق الفرد في الدفاع عن مصالحه المادية ، على الا يمس هذا الدفاع نظام الحكم القائم وشخصيات الحاكمين ، أو يؤدي الى نقد صريح لسياسة الدولة ومعارضة فعلية لاحكامها وقراراتها • فكأن الدولة باعترافها للفرد بحق الدفاع عن مصالحه المادية ، تمنحه حقا صوريا وهميا ، ما دام ان قراراتها الاخيرة يجب ان تحترم وما دام ان الفرد لا يستطيع اعتراض مشيئتها والدفاع عن حقه دفاعا عمليا منظما في شكل دعاية صحفية حرة أو في هيئة حزب قانوني تعترف به الحكومة

فالحكومة والحالة هذه تقبض على جميع السلطات وتتحكم في جميع الموارد وتجرد افرادها من مختلف الحريات لتتجه بها نحو تقوية الدولة نفسها

وأما هذه الدولة القوية فيجب في عرف الفاشست والنازي ، ان تنهض على مبدأ البطولة، وتعيش في حالة تأهب دائم للحرب ، وترمي الى توكيدنزعة القومية والتوسع الامبراطوري غير مكترثة للنظريات والمبادىء الانسانية

فاذا اعترضتها اقليات وطنية ، اجنبية العنصر والدين ، فيجب ان تضطهدها ثم تلفظها. واذا اتاح لها القدر فرصة الاستيلاء على مستعمرات فيجب ان تعتصرها وتهضمها وتعدم قومية سكانها . واذا فكرت فى عمل دبلوماسى فيجب ان تكون القوة الغاشمة سلاحها والانقضاض المفاجىء مبدأها والاغتيال السياسى شعارها

فمثلها الاعلى هو انشاء دولة عظيمة ، مرهوبة ، متعصبة ، نقية العنصر خالصة الجنس تبسط سلطانها على امبراطورية شبيهة بتكنة هائلة تتألف من شعوب وضيعة منحطة تغدق عليها الامبراطورية خيراتها على شرط ان تبيع حرياتها الشخصية للطبقة الارستقراطية الحاكمة وتستحيل الى مجموع جيوش تخدم الدولة الكبرى وتضع فوق كل فضائل الحياة وكل قيم الفكر ، فضائل وقيم روح الجندية أى حب النظام وتقديس الطاعة وعبادة القوة والمجد العسكرى

واذن فالديكتاتوريات الفاشستية أو النازية التى تجدد فى جوهرها نزعات الثقافة الجرمانية فى عهد غليوم هى عدوة المذهب البشرى فى نظامها وفلسفتها وسياستها الداخلية والخارجية ، وليس فى مقدورها ان تؤكد نفوذها الا اذا قضت على الديموقراطية بالقضاء على المذهب البشرى

نحو حضارة بشرية كاملة

على ان عطف العالم المتحضر على الديموقراطيات يرجع الى انتصارها لهذا المذهب وتعلقها به وحرصها عليه ولو كمثل أعلى . فالانسان بطبيعته يعجب بالقوة لنصرة الحق ولكنه يتطلع الى اقرار الحق بدون الالتجاء الى القوة . وهو فى هذه الحقبة من الحضارة ومنذ تقدم العلم وبعد كارثة الحرب الماضية ، أصبح يخاف القوة ، ويخشى نتائجها ، ويلمس بطلانها ، ويحس انها لن تحل المشكلات بل تجددها وتضاعفها تعقدا وخطرا

فهو وقد تضخمت حضارته بات يشعر ان هذه الحضارة بنعيمها الساحر ومبتكراتها المدهشة واسلحتها الفاتكة وعلمها الغادر ، لا بد ان تضمحل وتهوى فى دوى مروع ، ان لم توجه لخير الجميع ومصلحة الجميع على اساس العدل السياسى والعدل الاقتصادى ممثلين فى شعوب تحقق فى حياتها مذهب البشرية ، أى توافر الاذهان المحررة المصقولة بمختلف الثقافات ، وتوافر الارواح الكبيرة المصقولة بمبادىء المحبة والرحمة والتضامن الانسانى والاخوة البشرية

وليس شك فى أن فى وسع الديموقراطيات أن تؤدى هذه الرسالة وتجرد الديكتاتوريات من سلاحها وتنقذ العالم من طغيانها وتقضى على نظامها وفلسفتها ، ان هى اخلصت لمذهب البشرية واعتنقته كاملا فحررت عمالها وفلاحيها من سلطة رأس المال ، وحررت مستعمراتها، وهدمت حواجزها الجمركية ، وجعلت من موادها الخام ملكا عالميا مشتركا ، ثم توجت

جهودها بنزع سلاحها وانشاء عصبة امم جديدة يتساوى اعضاؤها في واجب الدفاع عن اى عضو تهدده القوة بأى اعتداء

وصفوة القول ان القوة تغرى بالقوة والاستعمار يغرى بالاستعمار ، وان نزعة الاستعمار والاستغلال الديموقراطية هي التى ولدت نزعة العنف الديكتاتورية

فاذا أدركت الديموقراطيات هذه الحقيقة ، ودعت خصومها في صراحة واخلاص الى تنفيذ هذا البرنامج الانسانى التجديدى ، عززت مذهب البشرية حقا ، وابطلت حجة الديكتاتوريات ضدها ، وازالت عنها شبهة النفاق ، وانقذت حضارة اليوم وكفلت تطور المستقبل

أما اذا بقيت الديموقراطيات تصف بشرية تخفى استعمارها تحت ستار المبادىء الانسانية فسيظل الاستعمار غاية الجميع ، وسيظل الصراع قائما بينها وبين الديكتاتوريات أو بينها وبين نفسها . وهكذا يتجدد التاريخ وتتجدد الحروب وتصبح الافكار والمذاهب الانسانية محض نظريات باطلة جوفاء تستخدم لتحقيق المطامع والتغرير بالشعوب

ابراهيم المصرى



الشعور بالواجب

ليست العبرة في أن تؤدى واجبك ، بل في أن تؤديه على الوجه الاكمل غير متوقع من الناس أى شكر أو جزاء . ومع ذلك فثباتك في تأدية واجبك لا بد أن يفضى الى تقديرك ، ولكن المهم أن تقوم بواجبك من تلقاء نفسك وبدون حافز من سواك . وهكذا تشعر باللذة المعنوية الكبرى : لذة التمتع بضمير مطمئن يتجه في نزاهة نحو خدمة المجموع

وانها في الواقع للذة كبيرة يستطيع الاحساس بها الرفيع والوضيع على السواء (ولتر باتر)

كتاب الشهر

ماهى المرأة

للباحث الاجتماعى جوستاف لانتيه

> ان كل امرأة عالم مستقل بنفسه ، ولكل امرأة طبيعتها ومزاجها ، ومع ذلك فهناك ظواهر وأعراض تشترك فيها النساء جميعا ، وهذه الظواهر والاعراض هى مدار بحثنا وهى التى فى وسعنا متى أنعمنا النظر فيها أن نميط اللثام عنها أو عن بعض جوانب ذلك المخلوق العذب الرقيق الذى نجهله لفرط ما نحبه

ان سر الكفاح القائم بين الجنسين ، بل سر جهل الرجل طبيعة المرأة ، يرجع الى موقف الرجل من الغريزة الجنسية وموقف المرأة من أحكام هذه الغريزة

فالرجل المعتد بقوته الفخور بكبريائه، المزهو برجولته ، يأبى أن ينظر الى الغريزة الجنسية باعتبار أنها قوة يجب أن يضبطها المجتمع ، وتنظمها القوانين . فهو يحمل فى أطواء نفسه خصائص رجل الغابة ، وهو ينشد فى المرأة اللذة والمتعة ، وهو لا يحفل بعواقب هذه الشعور ولا يكترث لنتائجه

والواقع أن الرجل يميل الى عدة نساء فى وقت واحد ، ويطلب مختلف اللذات فى وقت واحد ، ويهيم بهذه الحسناء ثم يهجرها ، ويشغف بتلك ثم يزهدها

فقبلة الغريزة الجنسية عند الذكر هى طلب اللذة ، أما قبلة الغريزة الجنسية عند الانثى فهى حراسة النوع وهى الامومة وهى الرغبة العميقة فى حياة آمنة مستقرة

واذن فالرجل مخلوق بدوى الفطرة ان صح هذا التعبير ، مخلوق عابث مستهتر جوال ، يتبع اللذة انى وجدها ، ويرى فى تحقيقها عنوان البطولة والرجولة والقوة ، وأما المرأة فمخلوق ينطوى على نفسه ، وينكمش على ذاته ، ويجد المتعة الكبرى فى الهوى المتبادل فى نعيم الطمأنينة وفى دائرة الزواج حيث الهدوء والاستقرار

وتلك هى علة سوء التفاهم الابدى الناشب بين الذكر والانثى ، بل ذلك هو العامل الاكبر فى تكوين شخصية المرأة

فالمرأة سواء أكانت زوجة أم عشيقة ، ما تنفك تحيا فى جو يشوبه التهديد :

الرجل أوسع حرية منها ، وأقدر على كسب المال ، وأمتن عضلا وأشد قوة وأحد مطامع وشهوات . الرجل يقسم على حبها ويعاهدها على الوفاء والاخلاص ، ولكنه لايكاد

يلمح أخرى ولا يكاد يتوسم فيها حسنا جديدا وسحرا طريفا وفتنة غير مألوفة ، حتى تعصف به نشوة كبريائه ، وتأخذه حمى رجولته ، فيعرض عن الاولى ويجد فى أثر الثانية ، ولا يعلق أهمية كبيرة على وعد قطعه أو حب أقسم على الولاء له

فالمرأة تشعر فى صميم نفسها ، أن جمالها بالغا ما بلغ من السطوة ، لا يستطيع الاحتفاظ بالرجل ،وأن هذا الرجل المعبود قد يفلت منها حتى لو كان زوجها وحتى لو كانت قد أنجبت له خلفا ، وبذلت فى سبيل راحته وفى سبيل بيته صفوة جهودها

فهذا الشعور هو الذى يفسد فى بعض الاحيان خلق المرأة • هو الذى يجعلها شديدة الغيرة ، كثيرة الوساوس والشكوك ، تسرف فى التبرج ، وتبالغ فى الاهتمام بمظهرها، لتوقع الرجل فى فخ اللذة التى يهواها والتى يمكن أن تجذبه وتؤدى الى الاحتفاظ به

فالمرأة مرغمة على التبرج ، لان الرجل يهتم بمحاسنها اكثر من اهتمامه بفضائلها، والمرأة مرغمة على اصطناع الحيلة والاخذ بشتى ضروب المكر والدهاء ، لانها ضعيفة وهو قوى ، ولان الجمال بضاعتها ، ولان كل جمال مصيره الى الفناء والعدم

ففى ضوء هذه الفوارق النفسية والاجتماعية والبيولوجية التى تفصل بين الجنسين نستطيع ان ندرس شخصية المرأة كعاشقة وزوجة وأم

المرأة والحب

قد تكون المرأة اشد خضوعا للعوامل الجنسية من الرجل ، ولكن عفتها الوراثية تحول بينها وبين المصارحة برغباتها أو الذهاب فى تحقيقها الى حد الجرأة والمخاطرة والاصطدام بأوضاع المجتمع • فهى تريد أن تكون محبوبة ولكن فى ظل الامن ، وهى تريد أن تهب ذاتها ولكن فى حدود القانون ، وهى تريد أن تسعد ولكن على شرط أن تستطيع اسعاد الغير طوال حياتها • لذلك تصد عن الرجل وتعرض وتتمنع وتتدلل ، لتثيره وتمتحنه وتجربه وتعرف مدى تعلقه بها واخلاصه لها

ويخطىء من يظن أن المرأة تتمنع لتلهب فى الرجل حاسة الشهوة فقط ، اذ الحقيقة أن هذه المناورة ترمى قبل كل شىء الى قياس حدود الحب ، والتأكد من مبلغ الوفاء ، والاطمئنان الى المستقبل المحفوف بالمخاطر

فالرجل يستعجل ويلح لان اللذة غايته ، والمرأة تتلكأ وتتباطأ لان الاستقرار المقرون بالوفاء هو مثلها الاعلى

وحيث ان نظرتها الى الحبّ مطلقة أبدية ، ونظرة الرجل وقتية نسبية ، فهى أعلم بالحب من الرجل ، وأقدر عليه منه ، وأروع فضائل وقوى • والحق أن الحب يستغرقها، ويذهب بلبها ، وينسيها فى بعض الاحيان واجبها نحو عشيرتها وأهلها • لماذا ؟ لانه يتمثل فى ذهنها قوة أبدية خالدة ، تتجه نحو اسعاد الحبيب ومنحه نعيما أبديا خالدا

فاحساس الابدية الشائع فى حبها هو الذى تتحدر منه مجموعة فضائلها ، أى الطاعة

والوفاء والحنان والقدرة على احتمال الفاقة والقدرة على مواجهة الامراض والقدرة على انكار الذات والتضحية

فالمرأة تعطى كل شيء متى أحبت ، وتعطى الى أجل غير محدود . وليقينها من أن الرجل سريع التعلق بكل وجه ناضر جديد وكل حسن طريف عابر ، تراها تسرف في الاخلاص وتغلو في الوفاء وتبالغ في التضحية كي تجذبه وتصرف عن الغير أنظاره

وعلى قدر تفانيها في الحب ، يكون تماديها في الثورة متى غرر الرجل بها ، وأنكر تضحياتها ، وانتهك حرمة كرامتها ، وآثر عليها غيرها

فاذا كانت على حظ من التربية والتعليم سامية الخلق أبية النفس ، سعت للتحرر منه والانفصال عنه ، واذا كانت ضعيفة الخلق وشريفة ، انتقمت منه بتسميم حياته وتعكير صفوه وتحويل بيته الى جحيم ، واذا كانت متمردة بالطبع ، ساخطة بالسليقة على أوضاع المجتمع ، قابلته خيانة بخيانة وهرعت من فورها تبحث عن عشيق ، وتهتكت وتبذلت ما شاء لها الكمد والحنق واليأس والجنون

وليس شك في أن المرأة - بوجه عام - لا تغدر الا اذا غدر بها ، ولا تخدع الا اذا خدعت ، ولا تعلم الخيانة والمروق الا على يد الرجل ، ولا تهزأ بأبدية الحب وأبدية الاخلاص الا اذا خيب الرجل آمالها وعلمها بنفاقه أن الحب كما تفهمه ضرب من الاوهام

وأكثر ما تصاب المرأة في صميم ايمانها بقدسية الحب وأبديته ، عندما تكون عذراء ، متفتحة القلب للعواطف ، زاخرة الذهن بأطياف السعادة ، متأهبة للبذل والتضحية الى أقصى الحدود

في تلك السن الرئقة ، تشوه الخيانة أمام المرأة وجه الحياة ، فتسوء طباعها ، ويفسد معدنها ، وتنعدم ثقتها بالرجل ، ويضمحل ايمانها بالحب ، وتتقلص الفضائل التي تمتاز بها والتي كانت على وشك النماء والازدهار في جو هذا الحب

فالمرأة والحالة هذه تتجه متى احبت وجهة ابدية مطلقة ، ولا خير للرجل بقربها ، ولا سعادة له بغرامها ، الا متى سلم بنزعتها ، وراض نفسه على قبولها ، وآثر التمتع بالفضائل التي تصدر عن حب واحد متبادل عميق ، على التمتع باللذائذ التي تصدر عن التقلب والتلون والتلهف على كل حسن عابر ووجه جديد

وطوبى للرجل الذي يغض من كبريائه ، ويصقل من رجولته ، ويضع الحب فوق اللذة ، ويقدر في المرأة التي تحبه ابدية عواطفها وابدية فضائلها ، فيبادلها حبا بحب وولاء بولاء .. هذا الرجل يربح نفسه ، ويربح الحياة ، وتكشف له المرأة في فضاء الكون الشاسع ، عن مباهج ومفاتن لم يكن ليحلم بها !

المرأة والزواج

المرأة لا تتبرم بالزواج ولكن الرجل هو الذى يسأمه ويضجر منه

والرجل في محيط الاسرة يقع بين عاملين : حرصه على راحته ومستقبل أبنائه ، ورغبته في الاتصال بالحياة العامة بحيث لا يشعر أن البيت سجن وأن قانون الاسرة يحتم عليه الفناء فيها وتوديع العالم

وهذا ما لا تفهمه المرأة في الغالب

فهي وقد ملأت جوانحها رغبة الاحتفاظ بالرجل وغريزة حراسة النوع ، تتفانى في خدمة الاسرة ، وتبذل قصاراها في سبيل مرضاة الرجل ، وتعتقد أن من واجبه أن يودع العالم مثلها وأن يقتدى بها في الحياة من أجل زوجه وبيته وأبنائه فقط

ومن هنا تنشأ في قلبها عاطفة الغيرة • فهي تغار من قسط الحرية الذي يتمتع به زوجها في الخارج • تشك في هذه الحرية وترتاب في طريقة استخدامها، تحذرها وتخاف منها • تخشى أن تتحول وتتبدل من حرية بريئة الى حرية في الاتصال بامرأة أجنبية أو بعدة نساء ، مما يمكن أن يقوض صرح الاسرة

وفي هذه الظاهرة تشترك معظم الزوجات • فالبعض منهن يغرن أشد الغيرة ويضيقن الخناق على الرجل ويقمن الحواجز والسدود في وجه حريته لفرط حبهن اياه ، وأغلبهن يسلكن نفس السبيل مدفوعات بواجب الدفاع عن مركزهن الاجتماعي ، وعن حياتهن الاقتصادية ، وعن مستقبل أبنائهن

فيجب أن نلتمس العذر للمرأة الغيور ، وندرك أن طبيعة الرجل التي أشرنا اليها هي التي تخيفها وهي التي تولد في صدرها جراثيم الغيرة

ولكن خطأ المرأة ينحصر في أنها لشدة انسياقها وراء عواطفها ، كثيرا ما تسرف في الغيرة القائمة على الظنون والاوهام ، اسرافا يضايق الرجل ويكربه وقد يجعل من حياته الزوجية سلسلة شقاء متصلة ، فتنتهي غيرة المرأة الى عكس المراد منها أي الى فقدان الزوج وزعزعة دعائم الاسرة

ومع ذلك فغرض المرأة شريف ، وطويتها نبيلة ، وغيرتها تنهض على الدفاع عن حق مشروع وعلى الرغبة في خدمة الغير • وهذا ما يجب أن يفهمه الرجل ويقدره ، فلا يبالغ في التشبث بحريته ، ولا يغلو في استخدامها ، ولا يتخذ منها شعارا لحياته يلقى في روع امرأته أن زوجها قد انفصل عنها وأنه يعيش في عالم مستقل غريب

والواقع أن شيئا من اهتمام الرجل بامرأته ، وشيئا من اقبال الزوج على زوجته ، وشيئا من العطف والرعاية والحنان ، وشيئا من التوافر الصادق على خدمة الاسرة والابناء ، هذه الاشياء كفيلة بأن تلطف من غيرة المرأة ، وتردها الى صوابها ، وتضاعف احساسها بالاستقرار والامن ، وتزيد في تضحياتها ، وتدفعها لمنح زوجها قسطه المنشود من الحرية

فأكثر الازواج تمتعا بالحرية ، اكثرهم اخلاصا لبيته وامرأته • واكثرهم وفاء واخلاصا للبيت ، اقدرهم على استئصال جرثومة الغيرة من قلب الزوجة والشعور بذلك الصفاء السحري الذي يسود جو الأسرة الوادعة

واذن فالمرأة تحس بفطرتها ان لا حياة لها ولا سعادة ولا حماية الا فى دائرة الزواج ، فهى تتقيد لتتحرر ، وهى تعطى لتأخذ ، وهى تغار لتحرص وتستبقى

فأنانيتها موجهة لمصلحتها ومصلحة الغير . وأما انانية الرجل فموجهة لمصلحته وحده . وهذا هو الفارق بينه وبينها . هذا هو السر فيما نلحظه عليها فى بعض الاحيان من قسوة وجبروت ، بل هذا هو السبب الرئيسى فى اصرارها على مطالبة الرجل بالوفاء والاخلاص

ومن العبارات المأثورة فى هذا المعنى قول القصصى الكبير اونوريه دى بلزاك :

« ان الطبيعة أو التقاليد لم تحقق المساواة بين المرأة والرجل ، فهى تعيش من أجله وتلد فى العذاب ابناءه وتسهر على تربيتهم وتتعهدهم طوال حياتها . أما الرجل فيلقى البذرة ثم يبقى أو يفر . يعلل الانثى بحبه ثم يخلص أو يخون . فعنصر المساواة فى تأدية الواجب ناقص بينهما . ولهذا تحاول المرأة فى دائرة الزواج وبواسطة الحرص والغيرة والتفانى فى الخدمة والتضحية ، ان تستبقى الرجل فى الاسرة ، كى تصلح نقص الطبيعة أو التقاليد ، وتحقق بين زوجها وبينها عنصر المساواة فى الحقوق والواجبات ، ذلك العنصر الذى اهمله الطبيعة أو التقاليد »

تلك هى غاية المرأة كزوجة ، فمتى ادركها الرجل وسلم بوجوب اقرار المساواة فى الحقوق والواجبات بينه وبين ربة بيته وشريكة حياته ، شجعها على توكيد شخصيتها ، وراضها على حمل مسؤولياتها ، وحفزها لابراز فضائلها ، وأحس بجوارها لذة الطمأنينة وبهجة الراحة ونعمة الزواج

المرأة والأمومة

المرأة هبة الطبيعة للطفل ، ولكنها فى الوقت ذاته هبة الطبيعة للجمال والانشراح والحب

فوظيفتها ان تلد وترضع وتربى ، ووظيفتها ان تحب وان تشعر انها محبوبة . فالأمومة لن تغنيها عن الحب ابدا ، والطفل لا يمكن ان يحل من قلبها محل الرجل

والعجيب فى اخلاقها انها تفصل بين حب الرجل وحب الطفل ، وان فى وسعها لو اعرض عنها زوجها ووالد ابنها واجتواها وانصرف الى أخرى ، أن تنصرف عنه هى أيضا وتتعلق بغيره ، بصرف النظر عن الطفل الذى كان يجمع بينهما

فهى تحس احساسا فطريا عميقا ان عليها واجبا مقدسا نحو ابنها ، ولكنها تفهم شخصية الرجل ، وتدرك ان الابوة لا تقيده ، وانه قد يهمل اسرته ويودع زوجه وابناءه ويتبع هوى جديدا طائشا . لذلك تعتقد ان طفلها ملك لها ، وان زوجها ملك لنزواته ، وان الابوة وحدها لا يمكن ان تستبقيه فى محيط الأسرة ان لم تقترن بجمال المرأة واغراء محاسنها

فالمرأة لا تنسى انوثتها وهى أم ، ولا تنسى ان الرجل يريدها أما وأنثى ، وهذا هو السر فى اقبالها على التجمل والتبرج حتى ولو كانت أما لعشرة أولاد

ولا شك فى انها تتجمل وتتبرج رغبة منها فى الاحتفاظ بالزوج خدمة لمستقبل الابناء

وحرصا على كيان الأسرة • ولكنها مع ذلك وقبل كل شيء تتجمل لانها امرأة ، وتتبرج لانها انثى ، ولان الاصل فى طبيعة الانثى ايحاء الحب وطلب الحب والحياة بواسطة الحب

فالمرأة تحب الرجل اولا ، تجذبه أولا ، ثم تقترن به فتصبح أما

وقد ترضى المرأة الحياة فى صحبة رجل يحبها ، وقد تجد فى هذه الحياة كل سعادتها ، فتستغنى عن الابناء وتستغرق فى عاطفة الحب • ولكنها لن تكون سعيدة ابدا اذا منحتها الطبيعة نعمة الأمومة وحرمتها نعمة الحب

وهذا ما لا يفهمه الرجل فى الغالب وما يستنكره منها فى بعض الاحيان • فهو يعتقد انها ما دامت قد أصبحت أما ، فعليها ان تنكب على تربية ابنائها ، وتودع العالم وتنصرف اليهم ، وتوقع على نفسها وعلى رغباتها وعلى البقية الباقية من شبابها حكم الاعدام • وهو الى ذلك يعتقد ان ضروب التجمل والزينة لا تتفق وجلال الامومة ، وانها فى الواقع رذيلة قد تعوق المرأة عن تأدية وظيفتها لانها تسلبها جزءا من الوقت والتفكير ، كان ابناؤها أحق به منها

فالرجل يأبى الا ان تموت غريزة الانثى فى صدر زوجته متى أصبحت أما

ولكن الرجل ، الرجل القوى الجبار ، الذى لا يعرف المنطق ولا يقدر حقائق الحياة هذا الرجل وهو يفرض على زوجته الاهتمام المطلق بابنائها ، يريدها مع ذلك جميلة وساحرة ومغرية

يريدها جميلة لنفسه ، ثم يريدها فى الوقت ذاته أما متفانية فى خدمة ابنائها منصرفة عن العناية بمحاسنها ، منصرفة عن التفكير فى الحب بحجة ان مثل هذا التفكير لا مجال له فى دائرة الزواج بعد ان طال الامد على علاقة الزوجين وتوجت حياتهما بالابوة والامومة

فهذا التناقض فى طبيعة الرجل يوغر صدر المرأة حقدا عليه • وهذا التناقض يدفع الرجل آخر الامر الى البحث عن الجمال والفتنة فى امرأة أخرى ، ما دام ان من المستحيل على زوجته ان تكون أما على الصورة التى يريد ثم تكون بعد ذلك حسناء رائعة المظهر

واذن فخير للرجل المتناقض الطبع ان يسلم بالواقع ويدرك ان الامومة لا تغنى المرأة عن الحب ولا تستطيع خنق رغباتها المتأصلة فى التجمل والاغراء

فمتى سلم بهذه الحقيقة ، واحتفظ بحبه الاول لامرأته باعتبار انها انثى بادلته حبا بحب ، وتمثل اخلاصها وتجلت سعادتها فى بذل نفسها عن طيبة خاطر

لماذا تبدو لنا المرأة مخلوقا غريب الاطوار

والآن وبعد هذا التحليل لمختلف جوانب شخصية المرأة ، نشعر بأن من واجبنا التحدث عن الظاهرة النفسية الخفية التى لا يفطن اليها البعض والتى تجعل من المرأة فى نظر السواد الاعظم مخلوقا غامضا غريب الاطوار

والواقع أن المرأة تبدو فى تصرفاتها كذلك لانها أوثق صلة بالحياة من الرجل واشد

طمعا ، ولانها تنشدفي الحياة الفوز بكل شيء ، الفوزبالزوج والفوز بالحب والفوز بالمال
فهي ان تزوجت ولم تنس الحب في دائرة الزواج ، ساءت أخلاقها وتجهمت طباعها وشعرت أن السعادة قد أفلتت منها . وهي ان تزوجت وكانت تحب زوجها وتوفق من حبه اياها ، ثم أحست أن هذا الزوج عاجز عن امتاعها بشتى المباهج التى تجلبها الثروة ويسمح بها توفر المال ، قد تسوء أخلاقها أيضا وقد تتبرم بقرينها وبيتها وتقضى العمر فى شقاء

فسر غرابة أطوار المرأة يرجع الى أنها ـ وقد عودها الرجل أن تكون متعة ، وعودها الاسراف فى الاعجاب بها أصبحت ولا هم لها الا أن تحقق نظرته اليها وتفوز من الحياة بكل ما هو جدير بحسنها وجمالها

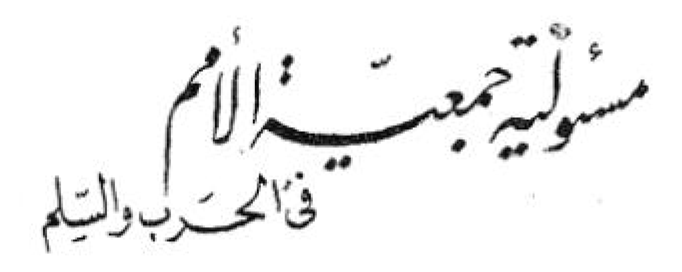
فهي تنشد الزواج لتكفل لنفسها الامن والاستقرار فى ظل نظام اجتماعى يخدمها ، وهى تنشد الحب لتكفل نعيم نفسها وهناءة قلبها ، وهى تنشد المال لتملك اسباب التمتع المادى الذى يبهرها

فالغرابة الملحوظة فى اطوارها هى نتيجة عجزها عن تحقيق تلك الرغبات الثلاث مجتمعة . فقد تكون زوجا وقد تكون غير محبة ومحبوبة ، وقد تكون زوجا محبة ومحبوبة ثم لايكون زوجها سريا ، وهكذا تبقى فى نفسها فرجة ينفذ منها الشقاء فيفسد اخلاقها
والحق ان التعليم المقترن بالتربية الصالحة هو الذى يلزم المرأة حد الاعتدال ويشعرها بالحد الفاصل بين الحقوق الجائز التمتع بها ، وبين الخيالات والاحلام الباطلة التى لا تثمر غير الآلام

***

وصفوة القول ان خلق المرأة ـ سواء أكانت عاشقة ام زوجة أم والدة ـ يصدر عن مزاجها الحساس ووظيفتها فى السهر على النوع وشعورها بان الرجل يدللها ويفتن فى مرضاتها ويقيمها على عرش قلبه وحياته . ومع ذلك فطبيعة الرجل المائلة الى التقلب النزاعة الى تجديد المتعة واللذة هى التى تتحكم فى خلق المرأة وتجعل منها مخلوقا يسرف فى الحب ويسرف فى الغيرة ويسرف فى التحايل ويسرف فى السعى وراء مشتهيات قد تعجز الحياة عن تحقيقها

ففى وسع الرجل اذن ـ لو أحب واخلص وكان صادقا فى حبه ، ثابتا على ولائه ، ذكيا فى تفكيره ، حكيما فى تصرفاته ، يعرف كيف يمتع امرأته ويمتع ذاته بنفس الحقوق ، وكيف يطالب امرأته ويطالب نفسه بتأدية نفس الواجبات ، فى وسع هذا الرجل ان يؤثر فى المرأة ، ويصلح من طبيعتها ، ويجعل منها ملكا فى صورة انسان !



مسؤولية جمعية الأمم في الحرب والسلم

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

فلتسلح جمعية الأمم ، لأن هذه الجمعية أنشئت على قاعدة الحرص على سلام العالم

الآن الامم فى حرب تستهلك جهود الرجال ، وغدا تسفك دماءهم ، وفى غد الغد ينعق غراب البين على أطلال هذه المدنية الشامخة

جو قاتم تترادف فيه لوامع بروق السلام وقواصف رعود الخصام . وتتصادم فيه مفاوضات السلم مع منافسات التسليح

أى سلم هذا الذى تؤملونه بينما الدول تتبارى فى التسليح تبارى البروق اللوامع فى تمزيق الغيوم المتلبدة ؟ وأى هناء تتوقعونه للانام بينما أن مجهودات الرجال العنيفة ضائعة فى مصانع التسليح ، والاموال التى تجبى من أتعاب العمال تنفق فى تموين الجنود ؟

ويحهم علام يقطرون عرق جبينهم لكى يعدوا الآلات لسفك دمائهم . ولا يمهلون فى اصطناع مزهقات أرواحهم ريثما يحتفرون قبورهم

لو قام الجندى المجهول من قبره الآن ، وقلت له أن بريطانيا تنفق فى هذا العام فقط على التسلح نصف مليار جنيه ، وأن المانيا تنفق أكثر من هذا ، وان سائر الامم تنفق نصف ميزانياتها ، لكذبك قائلا : ان مثل هذا الاسراف فى التسليح لم يكن فى مدة الحرب العظمى ، والوقت الآن وقت سلم . فكيف يكون اذا فى وقت الحرب القادمة ؟ يكون:

كدودة القز ما تبنيه يهلكها وليس يبقى لما تبنيه من أثر

زمن الهلع ، نهاره مفازة تضل فيها الجهود الضائعة . وليله كابوس تتزاحم فيه الاحلام المفزعة — الاعمال معرقلة ، ووسائل الارتزاق مقلقلة . ورؤوس الاموال تغربلها عوامل صعود القيمة وهبوطها ، الى أن لا يبقى منها سوى عصافة . والعصافة تذريها الرياح فى الفضاء . ذلك لان الاقوال المفزعة عن الحرب قضت على جرثومة الطمأنينة ، وأصبح الناس فى حيرة ، يتوقعون منقذا ، ولا يدرون كيف يكون هذا المنقذ

كانت بعض الشعوب تتوقع مثل هذا المنقذ لانفسها فى ابان أزماتها . فوجدته ، فاذا هو

يبتلى الشعوب الاخرى بأشر مما ابتليت به أمته . فماكان المنقذ منقذا . بل جاء محرضا للحرب

ليست هذه الازمة أزمة شعب واحد أو بعض شعوب ، بل هي أزمة جميع الامم . فهل عدم عالم العقل السامى قوته العظمى فى انتاج هذا المنقذ الاعظم ؟

أين المنقذ

المشكلة ـ ويا لها من مشكلة ـ ليست كما تتراءى لنا انها مشكلة انكلترا وفرنسا من ناحية ، والمانيا وايطاليا من ناحية أخرى . بل هى مشكلة العالم كله . مشكلة جميع الشعوب من كبيرها الى صغيرها ، ومن قاصيها الى دانيها . فلا يمكن أن تنحل بمساومة دولتين أو أربع ومن ورائهن عوامل خفية متناقمة تفسد المساومة

فاذا كان تشامبرلن يساوم موسولينى فلا موسولينى يصدق أن تشامبرلن يساوم لاجل سلم العالم ، بل للحرص على صولة بريطانيا . ولا تشامبرلن يصدق أن موسولينى يساوم لاجل سلامة ايطاليا فضلا عن سلم العالم ، بل يعتقد أنه يساوم حرصا على سؤدده . ومثل ذلك يقال فى مساومة هتلر ودلاديه الخ . واذا وفق الحظ ممثلى بعض الدول الى نقطة وفاق ظهر فى بعض الجرائد خبر قتال أو شتم فى هراء مقال يفكك عرى ذلك الوفاق . فلا رجاء فى هذه المساومة الدولية الكاذبة ووراءها أغراض متضاربة . واكذب من أكاذيب هذه المساومات ، زعم المتساومين حرصهم على السلم ، اذ تكذبهم فيه ميزانيات التسليح الهائلة ـ ميزانيات فى ضخامتها كالخرافات تجعل لفظ السلام لعنة فى أفواه الانام

السلم سلم جميع الامم . فلا يكون الا برضى جميع الامم وبمساومة جميع الامم . واذا كانت المساومات العادية غير مضمونة النجاح الا بوسائط وسطاء فحرى بسلم العالم أن يسعى فيه بين المتفاوضين سمسار السلام ـ هذا السمسار هو المنقذ الذى تنشده الامم الآن وتتلمس الظلام فى البحث عنه قبل أن تتقوض أركان الحضارة . فمن هو ؟

كلما تلمس الانام أشباح الفضاء عسى أن يعثروا على المخلص ، وجدوا هذا المخلص فى جنيف ـ جمعية الامم

ولطالما نعيت جمعية الامم للامم ، ولطالما جنزها زعماء الامم وأبنها ساسة الامم ، ولكنهم الى الآن لم يدفنوها لانها لم تمت . ولا يخشى أن تموت . لانه متى تأزمت الازمات اتجهت الانظار اليها ، ولاذت الآمال بها ، كأن شط السلام عندها وتفريج الازمات فيها

جمعية الامم طفلة ، ولكنها مريضة تحتاج الى علاج . وناعوها ومجنزوها ومؤبنوها يزعمون أنها مولودة « سقطا » أو أنها مولودة بعيوب كشواذ المواليد غير الكاملة

سقم جمعية الامم

يزعمون أن جمعية الامم جسم مقعد لا حول له ولا طول فكيف تستطيع أن تنفذ أوامرها ؟

نقول : ان جمعية الامم جمعية حكمة ـ حكمة في الرأى ـ ومتى كانت الحكمة ذات قوة للتنفيذ ؟ جمعية الامم الآن طفل حكيم لا يزال يحبو أو هو يمشى متوكئا على أهله وحجة المتشائمين : «اذن لا رجاء فى ذى سلطان لا يستطيع التنفيذ» . ورأى المتفائلين: « اذن فلنسلح جمعية الامم » لان هذه الجمعية أنشئت على قاعدة الحرص على سلام العالم، وعلى مبدأ نزع السلاح أو تخفيفه . وقد توالت الحوادث فى عهدها ، والسلم يزداد تقلقلا والتسلح صار حلبة سباق ، لان الجمعية بلا سلاح ، فلا تستطيع أن تنزع أسلحة الامم ، ولا أن تحرص على السلام

هذا حقيق . ولكن من لنا بداهية يقنع أى انكليزى أنه خير لبريطانيا أن تكون قدوة للدول بأن تضع الجانب الاكبر من أسطولها الضخم تحت أمر جمعية الامم . وان يقنع الفرنسى أو الالمانى أنه خير لفرنسا أو لالمانيا أن تضع القسم الاكبر من جيشها تحت سلطة الجمعية ـ وهكذا تباعا حتى جميع الدول الى أن تصبح القوة الحربية كلها فى يد الجمعية ، وتصبح الدول تجاهها مجردة من السلاح كالافراد تجاه الحكومة ـ أى وربى ! نظرية بديعة ولكن لا يطمئن لها أحد من أبناء الدول الكبيرة فضلا عن الصغيرة . فلا يمكن أن تتفق الامم على تنفيذها الا متى اقتنعت أنه خير لها . والظاهر أن طبيعة الاجتماع لم تتهيأ بعد لتطبيق هذه النظرية

ولذلك لما انشئت جمعية الامم لم تؤسس على هذه النظرية السامية بل على نظرية امكان تسليحها بقوة تنفيذ سلبية ، أى بأن تتفق الدول على المقاطعة الاقتصادية للدولة المخالفة عهد الجمعية (المادة ١٦) ، هذا أقوى سلاح أمكن تسليح الجمعية به . وهو على الرغم من ضعفه ووهنه لا مصدر له الا أخلاق الدول وآدابها وضمائرها وشرف كلمتها وامضاءاتها . وأعظم الدول لم تبلغ بهذه الصفات السامية الى درجة العامة من الناس، بل ترى أن السواد الاعظم من الافراد أرقى من الدول بهذه المذكورات

ليس الامر هكذا فقط ، بل ان الاحوال التى أسست فيها الجمعية جعلت أساسها غير وطيد ، بل بالاحرى متقلقلا ، ومتقلقلا جدا . انشئت الجمعية كتتمة لمعاهدة فرساى . ومعاهدة فرساى عقدت كخاتمة للحرب . والحرب ختمت كالتئام جرح على دخل . وتصافح المتصالحون على غل فى صدورهم وحقد فى قلوبهم وحزازات فى نفوسهم . ولدت معاهدة الصلح وهى حبلى بحرب أشر من الاولى وهى الآن تتمخض بها

لو أمكن انشاء الجمعية فى زمن سلم أو قبل الحرب العظمى ، لربما ولدت سليمة الجسم نقية الدم . ولربما أمكن تسليحها بسلاح ايجابى ولو واهنا فيكون أمضى من السلاح السلبى المنوه به . ولكن ...

ذلك هو الاساس الذى شيدت عليه الجمعية ، فكيف ينتظر أن يكون عهدها سليما صحيحا ودم دستورها طاهرا نقيا ؟ اذن لابدع أن تكون قد ولدت عليلة . فاذا فحصناها جيدا أمكننا تشخيص عللها . وثمت يمكننا أن نهتدى الى وسائل علاجها

أجمعية الامم هى أمم جمعية أمم ؟

من المواد الثلاث الاولى من دستور الجمعية نفهم أنها تكونت « جمعية أمم معدودة ، لا«جمعية كل الامم» فهى ذات هيئتين : المجمع العام Assembly والمجلس الخاص Council

المجمع يؤلف من دول اختارها المجلس الاول الذى انشأ جمعية الامم وهو مؤلف من دول الحلفاء المنتصرة فى الحرب • وكل دولة أخرى تريد أن تدخل فى الجمعية يجب أن تقدم طلبا ويشترط لقبولها تصويت ثلثى الاعضاء لها •(فقرة ٢ من المادة الاولى)

أعضاء الجمعية العمومية (المجمع العام) ينتخبون أعضاء المجلس الخاص • وانما للمرة الاولى تعين لهذا المجلس بحكم مزيته لتأسيس الدول الرئيسية المتحالفة أعضاء دائمين : وهن الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا وايطاليا واليابان • وانتخب المجمع العام (بايعاز طبعا) أربع دول أخرى وهن بلجيكا والبرازيل واسبانيا واليونان (فقرة ٢ مادة ٣)

ويجوز أن يكون لبعض الدول الرئيسية أكثر من ممثل واحد • ولكن ليس أكثر من ثلاثة ممثلين (مادة ٢ فقرة ٤) • وعلى كل من المجلسين أن يجتمع مرة فى السنة على الاقل واكثر من مرة كلما اقتضت الأحوال (مادة ٣ فقرة ٢)

وظيفة المجلس ووظيفة المجمع العام واحدة وهو تقرير كل ما هو من اختصاص الجمعية المنصوص بدستورها وبكل ما يقتضيه السلم (مادة ٤ فقرة ٤ • ومادة ٣ فقرة ٣) • (وهو كلام مبهم)

فى بدء انشاء الجمعية ، استبعدت ألمانيا باعتبار انها دولة مغلوبة على أمرها وعدوة دول الحلفاء • فكيف يمكن الحرص على السلم مع وجود هذه الروح • وانما فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٦ سميت المانيا عضوا دائما فى المجلس الخاص

وما ان تكونت الجمعية حتى انسحبت منها الولايات المتحدة الامريكية لانها لم تكن مطابقة لبنود ويلسن التى تعهدت دول الحلفاء بتنفيذها حرفيا كشرط لقبول اميركا الدخول فى الحرب

وكان بعد ذلك ان كلا من اليابان وايطاليا كانتا تهددان الجمعية بالانسحاب منها اذا لم تكن أحكام الجمعية وفق رغائبهما • والمانيا انسحبت أيضا لانها لم تقبل فى مسألة الاتفاق على تحديد التسليح على قدم المساواة مع سائر الامم

فما اذله سيدا يتحكم فيه مسوده ! وما اهزأه آمرا « يتأمر » عليه مأموره

وحدث ان هذا المجلس كان فى أحد أطوار عمره يؤلف من عضوين رئيسيين فقط : انجلترا وفرنسا • وفى حين من الاحيان كانت فرنسا ذيلا لانجلترا • ولما كان معظم شأن الجمعية منحصرا فى هذا المجلس الاعلى كانت الجمعية انكلترا • أو كانت انكلترا الجمعية •

وعلى الرغم من هذه الحقيقة المستهجنة كانت الجمعية تسمى « جمعية الامم » . فهل هناك مهزلة أكبر من هذه المهزلة

أما المجمع العمومى Assembly فكان مؤلفا من بعض الدول الثانوية وليس منها جميعا

وفى يقين هـذا الضعيف ان العيب الاكبر فى جسمانيـة الجمعية هو انهـا لم تكن « جمعية الامم » جمعاء ، بل جمعية بعض الامم التى ترغب فى عضويتها بعض دول الحلفاء النافذة بحسب مقتضى اغراضها الوقائية والانتفاعية . لهذا كانت واهية جدا ، فكان بعض أعضائها يتحكمون بها متواقحين كتواقح العبد على سيده . ولا ننس حين كان مندوبو ايطاليا يزدرون الامبراطور هيلا سلاسى فى جلسات الجمعية التى كانت تنظر فيها مسألة الحبشة . وقد تلفظوا من فاحش القول وهرائه بما يترفع عنه ملك الحبشة نفسه الذى كانوا يعيبون عليه انه زنجى غير متمدن أو زنجى متوحش . فكانت حقوق الزنجى ضحية على مذبح مدنية مدعى التمدن ، ومع ذلك تسمى هذه التضحية تمدنا وحضارة

ولكم تهدد موسولينى الجمعية بالانسحاب فى هذه المسألة وفى مسألة كورفو وغيرها

كيف تصلح جمعية الامم

كان الواجب ان تكون جمعية الامم وان يسن قانونها على قاعدة انها جمعية كل الامم . ويجب أن تعتبر كل أمة عضوا فيها بحكم العلائق الدولية الاجتماعية . فان أبت أمة أن تكون عضوا وجب ان تعتبر مخالفة لدستور الجمعية مستحقة العقوبة ـ المقاطعة على الاقل ـ ويجب ان تكون جميع الامم فيها متساوية الحقوق والاصوات الى غير ذلك من مقتضيات الديموقراطية مهما تفاوتت الدول فى المقدرة والضخامة . لان هذه الجمعية ليست شركة مالية تقسم فيها الارباح بنسبة رؤوس الاموال ، بل هى هيئة عونية لصيانة حقوق الامم كبيرة وصغيرة . والامم الصغيرة أحق بهذه الصيانة وأحوج اليها من الأمم الكبيرة . وحياتها عزيزة عليها كالكبيرة ، والسلام بينها جميعا متوقف على هذه الصيانة . وهى الغرض الرئيسى من الجمعية . لذلك يجب ان تكون كلمة الامة الصغيرة فى الجمعية لاجل الامن الدولى والسلام العام معادلة فى القيمة لكلمة الامة الكبيرة

اذن لايبقى ثمت لزوم لمجلس خاص Council يقضى بين مصالح الامم . بل المجمع العام هو الفيصل الاعلى والاول والآخر ، ولا مانع من أن تعين لجان وقتيـة لدراسة بعض الشكاوى أو الشؤون كما هو الامر فى البرلمـانات ، كما انه لا مانع من تعيين محاكم وقتة لسماع المرافعات واصدار الاحكام غير النهائية بحيث يترك أمرها النهائى لاقتراع المجلس العام . ذلك لان هذه الجمعية ليست الا برلمان الدول جمعاء

وأما كما هى على شكلها الحالى ، فالمجلس الخاص هو البرلمان الدولى وأعضاء المجمع العام هم رعايا هذا البرلمان

لو تأسست الجمعية ـ أو اذا كانت تعدل بعد الآن ـ على هذا الشكل بحيث تكون

جمعية للامم كلها لاجمعية بعض أمم ، لكان نفوذها أعظم جدا وسلطانها أقوى حتى ولو لم يكن في يدها من وسائل التسليح سوى الوسيلة السلبية ، أى مقاطعة الدول للدولة المخالفة اقتصاديا ، لانه في هذه الحال يمكن تنفيذ هذه المقاطعة الى حد احراج الدولة المخالفة واضطرارها للخضوع • ولكن ما دامت بعض الدول خارج الجمعية وغير مقيدة بعهد ، فالمقاطعة متعذرة • وقد جربت عقوبة المقاطعة مع ايطاليا فى مسألة الحبشة فما نجحت لان ايطاليا ربحت الحرب قبل ان تحرجها المقاطعة بل قبل ان يبدأ تنفيذ المقاطعة • ولما انتهت الحرب عدل المقاطعون عن المقاطعة من غير ان يصدر قرار من الجمعية بانتهاء الحكم بها

اذا كانت جميع الامم صغيرة وكبيرة اعضاء فى الجمعية ، ولكل منها ممثل واحد فيها ، كانت الدول المتكبرة تهيب احكام هذا المجلس الدولى العام • لانها تتخوف من نقمة سائر الدول ، ولا سيما الصغيرة التى تعرف ان سلامتها متوقفة على تأديب الدولة المعتدية

ان مجلسا دوليا كهذا عام شامل تتساوى فيه قيمة الاعضاء دستوريا يكون له المزايا التالية:

١ ـ لا يتهكم مندوب موسولينى مثلا على عضو آخر باعتبار انه حبشى ، لان أعضاء الامم الصغيرة والضعيفة تعد ذلك افتئاتا على حقوق كل أمة على السواء

٢ ـ لا يتجاسر أى مندوب ان يتهدد المجلس بالانسحاب من الجمعيـة ، لان معنى انسحابه مجافاة لجميع الامم وهو يخشى عواقب هذه المجافاة ، لانه لا يستطيع الاستغناء عن معاونة جميع الامم الاقتصادية

٣ ـ لا يجسر ان ينكث عهده لان شرف أمته معلق باحترام جميع الامم لها • اذا كان قضاته فى الجمعية (كما هى الآن بعيوبها) مندوبى دول قليلة امكنه ان يرد كل تهمة لدولته باتهام دول المندوبين بمثلها فيضعف قوة محاكمة دولته وقوة الحكم عليها • ولكن اذا كان مندوبو جميع الدول قضـاته لا يستطيع ان يفعل ذلك لانه ليست جميع الدول ملوثة بمثل تهمة دولته

٤ ـ اذا كان الحكم بالمقاطعة صادرا من جميع مندوبى الامم ، وكانت جميع الامم متضامنة فى تنفيذه فلا يخشى من وقوع ضرر على أى واحدة منها من جراء هذه المقاطعة لانها تكون جميعا متضامنة متعاونة • فما تخسره الواحدة من مقاطعة دولة أخرى محكوم عليها تستعيضه من معاملة سائرهن

فشل نزع السلاح

وعلى الرغم من وهن الاساس الذى شيدت عليه جمعية الامم الحالية كما فصلنا ألقيت على عاتقها مهمة نزع السلاح (مادة ٨) التى ناءت ألوف الاجيال بحملها ، وعجزت المعاهدات عن ضمانتها

ومهما أحرزت الجمعية من قوى التنفيذ العملية ـ ان صارت فى مستقبل الازمان ذات

قوة تنفيذية ـ فآخر شيء يمكنها الاقدام عليه والمخاطرة فى تنفيذه والتعرض لاحتمال الفشل فيه هو تجريد الدول من سلاحها أو من معظمه ، وسن قانون لتسليحهن الى الحد الذى يؤمن فيه خطر الحرب

لذلك كان من أهم مظاهر الخيبة للجمعية هو هذا التبارى الذى تتباراه الدول الآن فى التسليح ـ تسليح استهلك كل مجهودات الامم العقلية والعضلية بحيث لم يبق منها لمعايشها ما يسد الرمق . تسليح قضى على سعادتها وراحتها وسبب قلق أفرادها الدائم وهمهم المقيم المقعد وغمهم المضنى وجزعهم من الغد وهلعهم عن تصور المصير . فهل وقوع الحرب أيأس للامم من هذا البؤس . ربما كان وقوع الحرب المفنية منجاة لافراد الامم منه لانه ينقذهم من جريمة الانتحار ! ومن ذل حياة الضنك وآلامها . فهل استطاعت جمعية الامم الحالية أن تفعل شيئا لضمان السلم وكبح جماح التغالى فى التسليح

خيبة الانتداب

وكان من سخائف دستور الجمعية أنه جعل مصير بعض الامم الصغيرة معلقا بذيول بعض الدول الكبيرة بحجة أن تلك الامم لم تنضج بالحضارة بعد ، فلا بد من أوصياء عليها يدربونها الى أن تدرك سن الرشد فيوضع لها نظام استقلال وتترك لنفسها . وهو التدبير الذى سموه انتدابا (مادة ٢٢) فكان من أسوأ نتائج هذا التدبير الذى يلطخ جبين جمعية الامم أن الدول المنتدبة استغلت هذا النظام الآخر لانفسها بأساليب شنيعة أفقرت بها تلك الامم الضعيفة ، وكادت تتركها على قيد قدم من الفناء فى حين أن بعض هذه الامم التى نكبت بنكبة الانتداب أرقى أخلاقا وأسمى آدابا وأعرق بالمدنية من الدول الوصية عليها

ومن أغرب قانون هذا الانتداب الذى هو من اختراعات القرن العشرين الشيطانية أن جمعية الامم التى انتدبت الدول للوصاية ، لا تقبل شكاوى الامم المتظلمة من الدول المنتدبة عليها . وانما تعول على تقارير هذه الدول (فقرة ٧ مادة ٢٢) . فكأن جمعية الامم نفسها التى وظيفتها الحرص على سلامة الامم الضعيفة قد ملكت الدول المنتدبة رقاب هذه الامم الصغيرة لكى تمتص دماءها

وفى حين أن الفقرة ٤ من مادة ٢٢ تمنح الامم المقضى عليها بقبول الانتداب أن تختار الدولة التى تقبل وصايتها ، فقد روعى فى سورية وفلسطين عكس هذا القانون

هذه أهم عيوب جمعية الامم وأسباب فشلها فى مهمتها . فاذا أمكن تصليحها على النحو الذى بسطته أمكنها أن تخدم السلام والامم الضعيفة الخدمة الصادقة حتى ولو لم تكن مسلحة . وامكن أن يكون اصلاحها على هذا النحو خطوة أولى فى سبيل استقوائها واحرازها أخيرا قوة السلاح الذى تستطيع به تنفيذ أحكامها النزيهة بالقوة

(شبرا) نقولا الحداد

قصة ملخصة

الاستشهادُ

للروائى الفرنسى جيرار فرانسوا كورتوا

تناول مؤلف هذه القصة الشائقة شخصية فتاة شريدة منبوذة لم تستطع الحياة فى دائرة الأسرة فحرصت على شرفها وجاهدت لتعيش ولكنها ذهبت آخر الامر ضحية أنانية أبويها . والقصة فاجعة مروعة من فواجع الطلاق

قالت روز وهى تنظر الى أمها نظرة ملؤها الحسرة والاسى :

– كلا • أنا لا أطلب اليك يا أماه تضحية شبابك من أجلى • لاأطلب شيئا • لاأريد شيئا • ومع ذلك فقد كنت أعتقد أن الانانية لن تبلغ بك هذا المبلغ ، وان قلبك الرحيم سيشعر بواجبه من تلقاء نفسه • اما الآن فأنت حرة وفى وسعك التصرف فى حياتك بملء ارادتك !

فاطرقت مدام مارشان رأسها لحظة وقالت :

ـ واية حياة يمكن ان احياها بعد اليوم ؟ لقد انصرف والدك عنى ، وهام حبا بتلك المرأة ، وطلقنى ثم اقترن بها • فكيف اعيش ، وعلى من اعتمد ؟•• اعليك انت ؟•• ان مرتبك لا يكاد يكفى لشراء فستان وقبعة •• لا •• ما تعودت الحياة فى جو البؤس هذا •• لقد عشت منعمة مرفهة ، وليس فى مقدورى ان أرى غريمتى ، زوجة ابيك ، ترفل فى الحلل الرائعة ، بينما أموت أنا هنا غيظا وكمدا وشقاء وبؤسا

فرمقتها روز بنظرة حادة وقالت :

ـ لو كان فى فؤادك يا اماه مثقال ذرة من العطف على ، ما فكرت فى التخلى عنى ، وما روعتك الحياة البسيطة المتواضعة بالقرب منى • لقد تزوج أبى بمدام مجلوار ، وانت على وشك الزواج بالمسيو ريمون • كل منكما فكر فى نفسه قبل كل شىء • كل منكما فكر فى حبه وسعادته • كل منكما اعرض عنى ولم يحفل بى ، كما لو كنت مخلوقا غريبا عنكما، وكما لو كنت فتاة لقيطة آويتماها ردحا من الزمن ، ثم انصرف عنها قلباكما وخلفاها فريسة للقدر الجاحد الاعمى • اذهبى •• اذهبى يا اماه انت أيضا ، واقترنى بالرجل الذى تحبينه • وثقى أن جل ما أتمنى هو أن أراك سعيدة ولو على انقاض حبى !

فاستضحكت مدام مارشان وربتت على ذراع ابنتها وقالت :

ـ العواطف تستبد بك يا روز ، وحقائق الحياة تغيب عنك . انا سأقترن برجل غني وفي وسع هذا الرجل ان يغدق عليك المال بلا حساب . وهكذا انقذك وانقذ نفسي وأثأر من والدك الذي غدر بنا وأرد كيد زوجته في نحرها . فثوبي الى رشدك ولا تعلقي بالاوهام ووطني النفس على الحياة معي في صحبة زوجي الجديد

فصاحت روز وهي تزفر :

ـ ان زوجك المنتظر ، المسيو ريمون ، يكرهني ، يكرهني منذ الآن ، يتبرم بي ، لا يطيق رؤيتي ، يعدني دخيلة بينكما . نعم . انه يكرهني كما تكرهني زوجة أبي الثانية . ولسوف أشعر في غد متى دخلت بيتك اني فتاة منبوذة وهو نفس الاحساس الذي يخامرني اليوم كلما زرت منزل والدي !

وتصاعد الدم الى وجه روز وأردفت وهي توشك أن تبكي :

ـ ابقي معي يا اماه !.. ابقي معي ! .. سنعيش فقراء ولكننا سنكون سعداء .. سأبذل قصاراي في تجويد عملي ، وسيكافئني رؤسائي ويضاعفون مرتبي .. لقد وعدت بذلك واقسم لك .. فابقي معي ، واعدلي عن هذا الزواج . أنت في الاربعين من عمرك ، ولقد تمتعت بالحياة و ...

فقاطعتها امها صارخة :

ـ اما هذا فلا !.. لم اتمتع بالحياة ابدا وانت تعرفين ذلك حق المعرفة . لقد طالما غرر بي والدك وخدعني وآثر أوضع واحط النساء علي . كلا . لن انخدع بعد الآن . لن ابذل في سبيل أي كان البقية الباقية من شبابي .. سأقترن بريمون وسأعيش .. اريد .. أريد أن أعيش .. وليس في الارض قوة تحول بيني وبين تجديد حياتي !

فارتعدت الفتاة وساد الصمت لحظة . وظل القمر الحالم الباهت يرسل ضوءه عليهما من خلال النافذة المفتوحة المشرفة على الشارع العريض

وفجأة وبعد انقضاء فترة طويلة غمغمت روز وهي تلهث :

ـ واذن فكل شيء قد انتهى ؟

فأجابت الام : « نعم »

فقالت الفتاة بصوت مرتعش :

ـ وميعاد الزواج ؟ يوم الاحد .. يوم الاحد المقبل ؟..

فلمعت عين مدام مارشان واجابت وهي تجاهد لتخفي سرورها :

ـ في الساعة العاشرة صباحا ، في كنيسة المادلين ...

ان ريمون يحبني ولذلك فهو لا يمكن أن يكرهك . ستعيشين معي . معنا . بقربنا ؟

فرفعت اليها الفتاة بصرها الزائغ وأجابت :

ـ سأحاول .. سأحاول يا أماه !..

وانحدرت الدموع من عينيها بالرغم منها فخجلت من نفسها واستدارت واسرعت بالفرار الى مخدعها وقد عصف بها اليأس

***

واقيمت حفلة الزواج يوم الاحد فى كنيسة المادلين ، وشاهدت روز أمها امام الهيكل فى ثوب العرس متأبطة ذراع ريمون . وكانت باقات الازهار التى قدمها المدعوون جميلة ، وكانت مأدبة العرس شائقة ، وكانت الضحكات والتمنيات والانخاب تحز فى صدر الفتاة وتوغر نفسها حقدا على حظها وعلى الناس وعلى القلب البشرى وما يحمل من قسوة وانانية

ولم تستطع روز قضاء ليلة عرس والدتها فى المنزل ، فباتت عند صديقة لها . وفى اليوم التالى ، عقب سفر العروسين الى ضاحية من ضواحى باريس لتمضية شهر العسل ، جمعت حقائبها ، وودعت خدم الدار ، واستأجرت لها غرفة عند امرأة عجوز فى حى بعيد من احياء العمال فى العاصمة

وبدأت روز حياة الفقر والتشرد والاستشهاد . أصبحت مخلوقا لا أسرة له ، ولا صديق ولا حبيب ولا رجاء

استولت زوجة ابيها على عقله ، واستولى زوج أمها على كل جارحة فى امرأته ، وتناسى الاب والام وجود ابنتهما ، وانطلقت روز فى عرض الحياة بمفردها ، تجاهد لتعمل وتأكل وتحتفظ بعفتها وتأمن الكوارث والاخطار التى تستهدف لها كل فتاة جميلة وحيدة

وكانت لا تكاد تغادر المصرف حيث تعمل سحابة نهارها على الآلة الكاتبة ، الا لتعود الى غرفتها ، وتهيء طعامها ، وتستلقى على الفراش ، اشبه بجثة هامدة

وكان جمالها الرائع يطمع فيها الجميع . كان رفاقها فى المكتب يتربصون بها ويدركون انها تعيش وحدها ويتبارون فى محاولة اغرائها . كان رئيسها المباشر يضطهدها ويأبى الا ان يذلها فى النهاية ويخضعها . كان يلفق عليها التهم وينسب اليها اخطاء العمل ويدس لها ويشى بها ويهددها بالفصل ان اسرفت فى التحفظ وبالغت فى الصد والاعراض

وكانت تقابل هذا كله بصبر عجيب ، وهدوء عميق ، وحكمة بالغة ، ورقة ساحرة ، وابتسامة ذليلة بريئة تهز النفس وتأخذ بمجامع القلب وتجرد اعداءها من سلاحهم وتخجلهم من محاولة الايقاع بها وهى انسان بائس ضعيف لا حول له ولا قوة

ولم تستطع الثبات فى وجه بعض شباب العمال فى الحى الذى تعيش فيه ، وفى النزل الذى تقطنه ، فقد كانوا يتحرشون بها ، ويثيرون صاحبة النزل عليها ، ويقتحمون غرفتها ، ولا يتصورون كيف يمكن ان تكون شابة وحسناء وتعيش هكذا بدون زوج أو عشيق

وضيق الخناق عليها واحد منهم ، وكان شريفا فعرض ان يقترن بها ، ولكنها كانت لا تحبه فصرفته فى أدب ، فحقد عليها ، وآلى على نفسه الا أن يخضعها بالقوة ، فدب الذعر فى قلبها ، واسرعت بالانتقال الى غرفة أخرى فى حى الطلبة

وكانت كلما برحت بها الوحدة ، وأمضها الألم والعذاب ، وتاقت لزيارة ابيها أو أمها ، تستقبلها زوجة والدها بابتسامة ساخرة فاترة ، وتشعرها انها دخيلة وغريبة ، وتستعجل انصرافها خشية ان يوقظ مظهرها احساس الرحمة فى نفس ابيها فيمنحها شيئا من النقود

واما ريمون ، زوج أمها ، فكان لا يكاد يبصرها داخلة حتى يحييها فى امتعاض ويستأذن بالخروج

واما والدتها فكانت تستقبلها وعلى شفتيها ابتسامة الغبطة والفرح ، فتضطرب روز ، وتعز عليها الشكوى ، وتستنكر ان تفسد على امها سعادتها ، فتنصرف خائبة وقد ازداد شعورها بأن الكل قد نبذوها وتخلوا عنها وعكفوا على ملاذهم يستمرئونها فى ضرب من الاثرة المجنونة مستهترين غير حافلين

وكانت فى تلك الساعات ، وبعد اذ توصد على نفسها باب غرفتها ، تبكى ما شاءت لها حسراتها المكبوتة ، وتذرع الحجرة فى كمد محموم ، وتفتح نافذتها ، وتطل على الشارع ، وتشرف على الفتيان والفتيات يمرحون طائشين جذلين ، فتعض شفتيها ، وتلوى وجهها ، وتعود فتغلق النافذة ، وترتمى فى غيابة سجنها كعصفور برى حبس فى قفص ضيق مظلم فاضمحلت قوى جناحيه وانتاب اليأس روحه وفقد طعم الحرية ونسى أو تناسى زرقةالسماء وفسحات الجو الشاسع الجميل

***

وانقضت أيامها على هذه الصورة ، الى ان اشفقت عليها المقادير وايقظت فى فؤادها عاطفة الحب

احست من نحو (البير) ، وهو موظف صغير من زملائها فى المصرف، بعض الاضطراب المشوب بالحيرة والأسى

وكان البير لا يشبه رفاقه فى شيء . كان يحترمها ويبالغ فى اكرامها ويحرص على الدفاع عنها وينبرى لخدمتها كلما احتاجت الى مساعدة . وكان شابا وسيم الطلعة ، اسود العينين ، واضح النظرة ، عريض الجبهة ، مستقيم الخلق ، فمالت اليه ، واطمأنت الى صداقته ، واستفاقت ذات يوم واذا بحبه يملأ قلبها ويصب على حياتها ذلك الضوء الذى طالما حلمت به وتلك الحرارة التى لا بد منها لزهرة شبابها كى تعيش وتنمو وتؤتى ثمارها

وأحدث الحب فى نفس الفتاة الشريدة المنبوذة انقلابا عجيبا ادهشها وروعها وادناها من السعادة الكبرى التى كانت قد يئست منها

وبدأت تعيش من أجل البير ، وتفكر من أجله ، وتدخر النقود من أجله ، وتتجمل من أجله

وبدأت تخرج الى الحدائق العامة فى صحبته ، وتغشى المسارح ودور اللهو فى رفقته ، وهو فرح بها ، مزهو بحبها ، لا يفكر فى انتهاك حرمة هذا الحب ، ولا يخطر على باله لحظة واحدة أن يغرر بالفتاة البريئة التى وثقت بشرفه وآمنت بنزاهته

ووعدها بالزواج في العام المقبل بعد ان يفوز بالعلاوة السنوية ، ويستطيع حمل اعباء الزواج ، وينقذ امرأته من واجب العمل اليومى ، ويكفل لها الحياة فى بيتها آمنة مطمئنة

وكادت روز تجن فرحا ونشوة ، وهزها الحب كما يهز الربيع الشجرة الناضرة ، فامتلأ بدنها ، وتوردت وجنتاها ، واستضاءت روحها ، وأفاض عليها الامل سحرا طارئا جعل منها امرأة فاتنة المظهر كاملة الانوثة ، مشرئبة النفس والجسد نحو القوة والسعادة والحياة

ولكن اسرافها في الاعراب عن سعادتها ، وعجزها عن كتمان حبها ، ورغبتها الخفية فى مضاعفة ابتهاجها بالاعلان عن عظيم سرورها ، كل هذه الظواهر لفتت اليها الانظار ، وفضحت سر فؤادها ، وألهبت عاطفة الغيرة فى نفس رئيسها المباشر الذى كانت قد أعرضت عنه ، فشرع يضطهدها ويستبد بها ويصب جام سخطه على حبيبها ويلفق عليهما التهم كسابق عادته ويجسم الاخطاء ويحاول بالتأثير على مجلس الادارة أن ينتقم منهما ويفصلهما آخر الامر عن هيئة العمل فى المصرف

ولم تكد روز تتشبث بالامل ، وتشرف على اليقين وترنو الى حياة الاستقرار والامن ، حتى تنكر لها القدر مرة أخرى ، وعاجلها بضربة قاصمة ، وردها فى مثل لمح الطرف الى حياة البؤس والتشرد التى كأنها لم تخلق الا لاجلها

واحتوتها باريس فى جوفها السحيق ، وتقاذفتها أمواج الذل والفاقة ، وانطلق البير يبحث عن عمل جديد ، وجعلت روز تنفق مما أدخرت وتبحث هى الاخرى عن عمل ، ولا تنفك تشجع حبيبها وتستحث نشاطه وتستنهض همته وتلوح له بالمستقبل الزاهر

غير أن كوارث العطل تفاقمت ، وبقايا النقود تبددت ، وأثقال الديون تراكمت ، وأطل الجوع برأسه الاسود ، ونابه الحاد ، فخيل الى روز أن العناية قد لفظتها وأنها بين أمرين اما أن تنتهك لتعيش ، واما أن تسرع فتلقى بنفسها فى نهر السين

وعندئذ ذكرت والدها ، وتمثلت حياته الرغدة أمام عينيها ، ولاول مرة منذ استقلالها ، لاول مرة منذ فرارها ، لاول مرة منذ عرس أمها ، عولت أن تذهب اليه وتناشده عاطفة الابوة الا أن ينقذها ويحميها ، ينقذها من وطأة الفاقة خشية أن تزل بها القدم فتفقد نفسها وتفقد حبيبها وتفقد كل شيء

وكان والدها المسيو بونار قد تزوج امرأته الثانية عن طمع فى مالها واعجاب شديد بجمالها . فلما انقضت نشوة الاعجاب ظل الطمع فى المال مستوليا عليه وأصبحت المرأة فى نظره حجر عثرة فى سبيل لذائذه . فشرع يعاملها كما كان يعامل زوجه الاولى

ابتز مالها ثم انصرف عنها ثم أحس عجزه عن مواصلة التمتع لضيق ذات اليد ، فتبرم بها وقسا عليها ، وجعل يضطهدها ويستبد بها ويدفعها كارهة الى طلب العون من شقيقها الغنى ارمان

وتقرب هو نفسه الى ارمان ، وتودداليه ، وتملق نزعاته الوضيعة وكبرياءه الصارخة، واتخذ منه صديقا حميما

وهكذا توثقت الصلات بين الرجلين ، ومضى المسيو بونار يغترف من جيب ارمان وينفق على الممثلات والراقصات ممن تعرف اليهن بواسطة ارمان نفسه

غير ان بونار كان يتوق الى اخضاع ارمان ، الى وضع أمواله تحت تصرفه ، الى حيازته واستغلاله بحيث لا يستطيع الشاب أن يفلت منه أو يرد له طلبا . فلما أقبلت روز تنشد مساعدة أبيها ، وتلتمس اليه أن يجد عملا لها ولحبيبها ، روعه منها حسنها الفاتن ، وأساها الساحر ، وأنوثتها المكتملة ، وقامت بنفسه فكرة شيطانية خيل اليه أن فيها خلاصه ونجاة ابنته

أيقن أن جمال روز لا بد أن يأسر لب ارمان متى رآها . فعقد العزم على استغلال ابنته وتزويجها من شقيق امرأته ورفيقه في اللهو والفجور ، فرحب بها ، وأكرم مثواها، وأنزلها من بيته أرفع منزلة ، وأغدق عليها المال ، فذهلت الفتاة وتعلقت به وتصورت أن مستقبلها سوف يتحقق على يده

وقدمت اليه خطيبها البير فأسعفه من فوره بالمال أيضا وأظهر تقديرا لاخلاقه ، ومناه بالحصول على عمل يمكنه من الاقدام على الزواج

وجعلت روز تتردد على منزل والدها ، وتقضي فيه أياما وتتودد الى مدام بونار وشقيقها كي تكسب عطف الجميع عليها وتغريهم بالاهتمام بها وتتوج هذا النصر بالاقتران بحبيبها

وكان ما توقعه المسيو بونار

أخذ ارمان بسحر هذه الفتاة الطاهرة البريئة المكدودة الجفن

وجد فيها ما لم يجده في عشيقاته المتبذلات المتهتكات

هام حبا بها وتاقت نفسه لتجربة هذا الضرب من النساء ، فتلطف معها ، وافتن في اغرائها ، وتقدم اليها بمختلف الهدايا ، وأراد أن يجعل منها خليلة له . وكانت روز لفرط حبها البير وانصرافها الى التفكير في مستقبلها ومصير زواجها ، لا تنعم النظر في أساليب أرمان ، ولا يخطر الشر على بالها ، ولا تعتقد الا أنها تعيش بين أفراد أسرتها

ولكن عين المسيو بونار كانت ساهرة ترقب تطور العاطفة في نفس ارمان وتتحين فرصة استغلالها . فلما برحت بالشاب وطأة الحب وأحس منه بونار عزما صادقا على مكاشفة الفتاة بهواه ، أسرع اليه ، وعبس في وجهه ، وتنكر له وكف عن مطالبته بنقود ، ثم لوح له بواجب الشرف ، وخيره بين أن يتزوج بابنته أو ينصرف عنها ويتركها لمصيرها

وشفع بونار هذا التدبير بآخر ، وأشار على امرأته بقضاء بضعة أيام في احدى ضواحي باريس عند صديقة لها ثم أوهم ابنته أنه سوف يلحق بامرأته ، فانقطعت روز عن المجيء ، فاضطرمت عواطف ارمان ، وتضاعف حنقه ، واشتد سخطه على نفسه

وعلى بونار ، ولم يستطع فى النهاية تخفيفا لكربه وفوزا بمن يحب الا أن ينزل على ارادة بونار ويرضى بالزواج من روز

ولم يكد الوالد الغليظ القلب الفاسد الطبع الجنائى النزعات ، يطمئن الى نجاحه حتى اعترضته العقبة الثانية التى بقى عليه أن يذللها

كيف يتخلص من البير ؟ .. كيف يقصى عن ابنته هذا الفتى ؟ كيف يقضى على هذا الحب الذى غذته الآلام وصهرته نار العذاب المشترك ؟

لم تخالجه فى تلك اللحظة أية شفقة على ابنته . لم يرحمها . لم يفكر فى المصير الذى ينتظرها . بل كان على النقيض يكرهها . كان يكرهها لانها فى زعمه حمقاء لم تفرق بين الحب والحياة ، وأقامت صرح غرامها على عاتق رجل فقير معدم

واهتاجته هذه الفكرة ، وخاف أن يصطدم بعاطفة قوية تهدم كل مابنى ، فجعل يقلب أوجه الرأى ، ويتأمل فى خير ضربة يمكن أن تصيب من هذا الحب مقتلا

ولم يتردد ، وقام لساعته ، وجلس الى مكتبه ، وطفق يتدرب على تشويه خطه ومسخ معالمه توطئة لوضع الرسالة الهائلة التى ملأت عباراتها خياله وأثلجت صدره . وانه ليرتاض على أساليب التزوير والغش ، واذا بجرس التليفون يدق ، فتنبه وتولته رعدة

كان البير هو الذى يخاطبه . انبأه أنه قد وجد عملا فى احدى الشركات وكلفه ابلاغ النبأ الى روز

هذا الحادث غير المنتظر ، ضاعف خوف بونار ، وأشعره باحتمال الفشل ، فازداد اصرارا وعنادا ، وانكب على وضع الرسالة حتى أتمها

وكانت امرأته لم تزل عند صديقتها ، وكان على موعد من ابنته فى مساء اليوم نفسه . فابتسم ابتسامة خفيفة وانحنى على التليفون وخاطب ارمان ودعاه لتناول العشاء معه ، ثم رتب أوراقه ومزق بعضها وأخفاه ثم نهض

وكان يعرف فى ارمان شوقه العظيم الى خلوة تجمعه بروز وكان يعرف فيه ايضا حدة العاطفة وغلظة الحس وبلادة الضمير ، فاطمأن الى خطته وانطلق وقد استضاء محياه ولمع فى عينيه بريق مخيف

وهرول الى الخارج وأرسل الخطاب مستعجلا بعنوان البير . ولما ألقاه فى صندوق البريد تنفس الصعداء وهز كتفيه غير حافل ومضى من فوره الى حيث تقطن احدى الراقصات من صديقاته

وهناك أخذ يلهو ويعاقر الخمر وقد وطن النفس على تجنب العودة الى البيت قبل منتصف الليل

***

وكان البيت فى هدأة المساء ساكنا يخيم عليه صمت عميق رهيب . ولم يكن فى جناحه الايمن البعيد غير بعض الخدم يعدون طعام العشاء . وفى نحو الساعة الثامنة

أقبلت روز فاستقبلها رئيس الخدم فدهشت لتغيب والدها ومضت الى البهو الكبير

وانها لمستغرقة فى خواطرها ، تتأمل الاثاث الرائع ، والرياش الفاخرة ، والرسوم الجميلة ، والتحف الفنية النادرة ، واذا بارمان يدخل ، ويحييها ، ويستفسر عن تغيب والدها ، ثم يجلس بجوارها متبسطا فى حركاته وحديثه محاولا كتمان فرحه واخفاء سروره بهذه الفرصة التى طال انتظاره لها

وكان النسيم يهب من النافذة عليلا رقيقا ، يداعب الاستار ، وينعش النفس ، ويرقد الاعصاب ، ويبعث على التأمل والحلم

وبدأ ارمان يتحدث فى أدب وتحفظ ، ثم مال صوته الى الاسى ، ثم تهدجت نبراته، فبهتت روز وأحست شيئا من القلق ، وفكرت فى أن من واجبها أن ترحل • ولكن الشاب ضيق عليها الخناق بألفاظه المعسولة ، وتوسلاته الحارة ، فرضخت على مضض ، وعاتبته على أقواله وقد استولى عليها الدهش وتملكها الذهول

وفجأة خيل اليها أنها تسمع وقع أقدام خفيفة وشبه حركة بجوار الباب ، فتلفتت وهمت بالنهوض ، فاستضحك ارمان وجذبها من ذراعها وأنصت فلم يطرق مسمعه شيء • فعاد الى الضحك ، وعاد الى المغازلة ، فتوترت أعصاب الفتاة ، وملكها الخوف ، ونهضت ثانيا ، وأصرت على مغادرة البيت

والواقع أن خيالها المضطرب جسم لها صوت الهواء وهو يضرب الاستار ، فوثبت الى الباب ، وتبعها ارمان ، ولما أيقن الشاب أن لا أحد هناك ، جذبها اليه مرة أخرى ، فصرخت مستنكرة ، وحاولت التملص منه ، ولكنه وقد أثارته مقاومتها ، احتضنها وضمها فى عنف الى صدره وركل الباب بقدمه فأوصده ، ثم انهال عليها تقبيلا وهو يطيب خاطرها ويمنيها بكل شيء ويعرب فى حرارة عن رغبته فى الاقتران بها

وفى نفس اللحظة ، وقبل أن تستطيع دفعه عنها ، فتح الباب ودخل « البير »

ولم يكد يخطو خطوة واحدة ، حتى جمد فى مكانه ، وفغر فاه كأبله ، وجعل يحدق اليها كمعتوه ،وقد أيقن فى صميم روحه أن الصديق المجهول الذى أرسل اليه الخطاب كان وفيا وكان صادقا

وساد الصمت فترة ، وسحق الذهول نفس الفتاة وعقد لسانها ، فلم تستطع فى مبدأ الامر النطق بكلمة • غير انها ثابت الى رشدها واستجمعت قواها وصاحت وهى تكاد تبكى :

ـ البير •• لا تتهمنى •• ان هذا الرجل ••

ـ وقبل ان تتم كلامها انتهز ارمان الفرصة للقضاء على غريمه ، وصرخ :

ـ انها عشيقتى !

فجن جنون روز وقالت وهى ترعد :

ـ انه يكذب •• يكذب ••

وقبل ان تتكلم ، قبل ان تدافع عن نفسها ، تراجعت جاحظة العينين اذ ابصرت البير

يلقى عليها نظرة احتقار هائلة ويستدير ويخرج توا من الحجرة

عندئذ طاش صوابها واندفق الدم الى رأسها وارسلت صوتا ممزقا وتبعته الى الخارج فدفعها بعنف وانصرف لا يلوى على شيء

فجدت في أثره ، ولحقت به حتى الشارع ، وجعلت تصرخ وتناديه ، ولكنه كان يعدو كمن يفر من خطر محتوم ، وظل يعدو وهي تلاحقه ، حتى صادف احدى السيارات العامة فاستقلها ، فتمهلت روز حتى اقبلت سيارة أخرى فوثبت اليها وقد عزمت على الذهاب الى حيث يقطن البير

ولما وصلت وسألت عنه قيل لها انه خرج ولم يعد • فهرولت الى الشارع مسرعة ، ولبثت واقفة بجوار البيت ، تحدق الى المارة ، وتزفر ، وتنتظر

وانقضت ساعات ، وانهك التعب قواها ، فاشفقت عليها صاحبة البيت ودعتها الى قضاء الليل عندها ، فامتثلت ، وظلت ساهرة ترقب الشارع من خصاص النافذة ، حتى تقلص الظلام ، ولاح الفجر ، وطلعت الشمس ، واحتدمت الحركة والحياة • وعندئذ اقبل غلام يحمل من البير الى صاحبة البيت مبلغا من النقود ورسالة يطلب اليها فيها ان تصارح روز بأن كل شيء بينهما قد انتهى ، وانه قد وفق الى وظيفة في احدى الشركات ، وانه التمس الى ادارة الشركة ان تعينه فى فرع لها خارج باريس ، وانها قبلت ، وانه سيغادر العاصمة فى نفس اليوم

ووقع النبأ على روز وقع الصاعقة وأذهلها ، وردها فى مثل لمح البرق مخلوقا مجردا من كل نشاط وقوة

تداعت آمالها ، ايقنت من سوء طالعها ، ازداد اعتقادها بأن الحياة لم تخلق لها ، وان ثمة قوة شريرة تطاردها ، فتحاملت على نفسها ، وشكرت صاحبة البيت ، وخرجت زائغة العينين ، مسلوبة الحول ، مضطرمة الارادة ، ويممت وجهها شطر نهر السين

وقبل ان يعاودها سلطان العقل فيضعف من عزيمتها ، تقدمت بخطى سريعة ، وفى غفلة عن السابلة ، وفي حمى اليأس والجنون ، القت بنفسها فى النهر ، فاحتضنها وغيبها بين اطوائه وأسدل عليها ستار النعمة والراحة والنسيان !

***

وظلت جثتها معروضة فيمعرض الجثث بضعةأيام • وشاءالقدر الايطالع والدها وارمان فى الصحف نبأ حادث الفتاة المجهولة التى انتحرت • فلما استفسرعنها المسيو بونارحيث تقطن ، ويئس من عودتها ، وكان يجهل اسم الشركة التى التحق بها البير ، اعتقد انه فشل فى خطته وان ابنته اختفت مع حبيبها

وهكذا نسيها أو تناساها • فدفنت الحكومة جثتها ، وذهبت روز ضحية ابيها ، وفريسة والدتها ، وشهيدة الانانية والطلاق !

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

نكبة العصر الحاضر

عجز رجال الفكر عن توجيه السياسة

شوهدت فى أوربا عقب الحرب الكبرى ظاهرة من أروع الظواهر التقدمية ، عقد عليها البعض آمالا عظيمة وعدها خطوة مباركة فى سبيل التوفيق بين رجال الفكر ورجال السياسة

وتجلت تلك الظاهرة فى الأثر العميق الذى أحدثه المفكرون فى العالم السياسى . فقد كان أمثال رومان رولان فى فرنسا ، وستيفان زفايج فى النمسا ، وهنريخ مان فى المانيا ، ونورمان أنجل فى انجلترا ، يروجون الدعوة لعصبة الأمم ، وينادون بوجوب توزيع المواد الخام على الأمم التى خرجت من الحرب مهزومة ، ويسعون لفض أسباب الخصام فى أوربا بانشاء ولايات أوربية متحدة

وقد استطاع أولئك المفكرون التأثير فى رجال السياسة ، فاعتنق الوزير الالمانى شترزمان مبادئهم ، وناصرها وزير المالى آخر هو والتر راتناو ، وآمن بها السر صمويل هور ، وحاول بريان تحقيقها على أساس مشروع الولايات الاوربية المتحدة

وكان من بين أولئك الكتاب والأدباء طائفة مسموعة الكلمة ، دعت لتعديل معاهدة فرساي وانصاف المانيا ، غيرأن هذه الطائفة اصطدمت بتعصب أحزاب اليمين فى فرنسا ، وصادفت برغم ذلك نجاحا كبيراً فى الأوساط السياسية البريطانية

وإذن فقد كان تأثير رجال الفكر حياً فى عقول ونفوس رجال السياسة ، وكان تأثيرهم قويا فى الرأى العام العالمى ، وكان من المحتمل أن تسفر جهودهم آخر الأمر عن تعديل الوضع السياسى الأوربى والاتجاه به وجهة سياسية واقتصادية عادلة

أما اليوم فقد تقلصت هذه الظاهرة واضمحل نفوذها ، ولم يعد للفكر العالى أى تأثير على الحياة السياسية

فى البلاد الديكتاتورية ، يستبد الديكتاتور بفكره ، ويخنق حرية الرأى ، ويحشد قوى الثقافة

ويسخرها للدعاية ، وفي البلاد الديموقراطية ، يستولى الذعر على القلوب ، وتضطرب تصرفات القادة ، ويسلم الشعب أمره الى الحكومة ، وتمنح الحكومة سلطات استثنائية شبه ديكتاتورية ، سرعان ما توجه إلى مضاعفة التسلح بغية الانتصار على الفاشزم باستخدام نفس أساليبه

فالديكتاتور يسخر بالثقافة والمثقفين ، وشعبه يهزأ بالفكر والمفكرين ، والزعيم الديموقراطي لا يستطيع أمام طغيان القوة أن يصغي لصوت أقطاب الفكر ، والشعوب الديموقراطية وقد تولاها الخوف والقلق أصبحت تعد الفكر ضرباً من ضروب اللهو المعنوي والترف العقلي ، وتعتقد ان هذا العصر هو عصر القوة وان الثقافة بمعناها الانساني دخيلة عليه

فالفاشزم قد شرع في تسميم الديموقراطية ، شرع في تعليمها احتقار الثقافة وازدراء الفكر ، وعبادة القوة ، وتقديس الروح العنصري . وهكذا تقلص نفوذ رجال الفكر واضمحل تأثيرهم على السياسة في البلاد الديكتاتورية والديموقراطية على السواء

والواقع ان أولئك الرجال يشعرون اليوم بأنهم يعيشون في غير عصرهم . وان جهودهم لا تعود بالنفع على زملائهم ، وان الجماهير قد انصرفت عنهم ، وانهم قد طردوا من الميدان وحبسوا في أبراجهم العاجية حيث يستحيل عليهم الاتصال بالحركة والحياة

والسبب الأكبر في عجز رجال الفكر عن توجيه السياسة ، هو انهم يعملون من جانب واحد . أى انهم حتى في حالة نجاحهم في تكوين رأى عام في البلاد الديموقراطية يدين بأفكارهم وتعاليمهم ، ويقر الحلول الانسانية العادلة التي يطرحونها لفض مشاكل العالم ، أقول حتى في حالة اصابتهم مثل هذا النجاح ، يصدمون في البلاد الديكتاتورية بأبواب مغلقة ، وصحف مكممة ، وثقافة مخنوقة ، فلا يجاوز تأثيرهم حدود بلادهم ، فينتابه الضعف والوهن ، فيموت شيئاً فشيئاً ضمن تلك الحدود

والحق ان أثر الفكر لا يمكن أن يكون قويا ، إلا إذا كان الفكر نفسه متبادلا مشتركا . وكيف يتحقق هذا التبادل ، والرقابة مفروضة على البلاد الديكتاتورية والتعصب العنصري والثقافي يحول بين صوت الفكر الفرنسي أو الانجليزي أو الامريكي من التغلغل في طبقات الشعوب المحكومة بالديكتاتورية ؟

لقد كان في وسع الفكر الحر فيما مضى أن يؤثر في الاتجاه السياسي في بلده وفي الخارج ، أن يوجد رأيا عاما يناصره في بلده وفي الخارج ، أن يستند الى الصلة الوثيقة بين أتباعه في الداخل والخارج ، كي يخلق رأيا عاما عالمياً ، يجدد المجتمع ويجدد الأخلاق ويجدد السياسة . أما اليوم فقد انقطعت الصلة بين الفكر الحر وبين نصف شعوب أوربا تقريبا . وهذا هو السر في فشل الفكر وعجزه عن القيام بدور رئيسي في محيط السياسة العالمي

وأما والحالة على هذه الصورة فكيف نعالجها ؟ . .

هل نلتمس العلاج في محاولة التأثير على رجال السياسة في البلاد الديموقراطية الحرة فقط ،

فتدفعهم الى الأخذ بمبادىء العدل والانسانية التى ينادى بها رجال الفكر ، والتى لو طبقت من جانب واحد لاعتبرت فى نظر أنصار الديكتاتورية ضعفا ودليلا على التراجع والاستخذاء ؟

كلا . إما أن يحدث الفكر أمره فى الجميع وإما ان يتجه نحو الصراع فى سبيل إنقاذ نفسه وحريته وعندى ا نه ما دام الفكر لا يثمر الا اذا كان فكراً متبادلا حراً . فيجب على المفكرين الاحرار ان يساهموا فى تقوية البلاد الديموقراطية كى تستطيع تحرير العالم من رجعية الفاشزم أولا . ومتى انتصرت الديموقراطية تحطمت الحواجز التى تفصل الشعوب عن بعضها البعض . وتيسرت حركات التبادل الفكرى الحر . وأصبح فى مقدور رجال الفكر إحداث تأثيرهم المنشود فى محيط السياسة والأخلاق يؤيدهم الرأى العام فى بلادهم وفى الخارج

فانقاذ الديموقراطية أولا ولو اضطرت فى فترة النضال الى استخدام نفس أسلحة الديكتاتورية . هذا هو واجب أحرار الفكر اليوم . وهذه هى المرحلة الاولى التى ينبغى اجتيازها كي يعود الى الحرية سابق مجدها فيصبح من الميسور على أقطاب الفكر أن يؤثروا فى الحياة العامة ويتوجهوا بالسياسة والاخلاق وجهة انسانية عالية جديدة

(لجوليان بندا ملخصة عن مجلة دير كتيف)

حقوق المرأة
فى ايطاليا والمانيا

المذهب الفاشستى وتحرير المرأة طرفى نقيض ، فالفاشستية التى تشيد بالقوة وتقوم على السطوة ، لا ترى فى المرأة سوى تابع يقوده ويسوده الرجل المكافح . وهى لا تفتأ تبدى وتعيد أن المرأة ليست الا ملهاة الجندى الذى انهكته المعركة وأضناه الجهاد ، وأن واجبها الوحيد أن تنجب منه جنودا آخرين يخلفونه فى ساحة القتال

يقول موسولينى فى حديثه مع اميل لودفيج : « لو أعطيت المرأة حق الانتخاب لضحك الناس منى طويلا ، لان الدولة التى تقوم على مبادئنا يجب ألا تعد المرأة فى حسابها . هذا رأيى فى مهمة المرأة فى الدوله ، وهو يناقض رأى انصار المرأة ودعاة تحريرها . نعم ، يجب أن تخضع النساء وتطيع » . وأضاف الى هذا انه لم يعجب بأحد من اجداده سوى هذا الجد الذى أغمد خنجره مرتين فى صدر زوجته التى فرطت فى حق الامانة ، ثم لاذ بالفرار وهو يقول : « هكذا شأن كل رجل رومانى أصيل ! »

وقد طبق الفاشست هذا الرأى فى المرأة منذ تولوا زمام الامر فى ايطاليا . فسنوا قانونا يمنع المرأة أن تدرس للصبى الذى جاوز سن الحادية عشرة دروسا تتعلق بتكوين الاخلاق

وتوجيه النزعات . فأدى هذا الى ابعاد المرأة عن دائرة التعليم ابعادا يكاد يكون تاما ، لان الفاشست يعلقون على المدارس اهمية كبيرة فى تربية الاخلاق الاجتماعية وتسديد الآراء السياسية وفق ما يبتغون

وقليل ممن يعيشون خارج ايطاليا من يدرك الى أى مدى تدهورت المرأة هناك تحت طائلة ما سنوا من قوانين وما فرضوا من تقاليد .. فقد كان سن الزواج فى ايطاليا قبل موسولينى خمسة عشر عاما للفتاة وثمانية عشر عاما للشباب فبدلا من أن يرفعه الى الحد الذى يلائم ارتقاء الحياة الاجتماعية وازدياد سنى التعليم ، انقصه الى أربعة عشر عاما للاولى وسبعة عشر عاما للثانى . ومعنى هذا الرجعة بالحرية النسائية الى الوراء ، اذ يمكن الآباء من أن يفرضوا ارادتهم فى تزويج بناتهم الناشئات ، وهن فى سن لا يستطعن فيه دفاعا ولا يملكن تصرفا

ويقضى قانون العقوبات الايطالى الجديد بألا يؤاخذ رب العائلة اذا لجأ الى «العقوبة البدنية» فى تقويم زوجته وتربية أولاده ، الا اذا أدت قسوته فى اتخاذ هذه العقوبة الى تعريضهم لخطر الاصابة بعاهة بدنية أو باختلال عصبى ، على الا يتجاوز جزاؤه حينئذ ستة أشهر فى السجن ، بدلا من خمس سنوات كان يقضى بها القانون القديم . أى ان فى وسع الرجل الايطالى أن يضرب زوجته أو ابنته كيف سولت له نفسه ، على ألا يؤدى به الامر الى تهشيم عظامها أو تشويه وجهها ! أما ان أفرط واسرف حتى أماتها ، فجزاؤه السجن ثمانى سنوات !

فاذا هربت الزوجة فرارا من قسوة زوجها ، قبضت عليها الشرطة كما تقبض على العصاة والجناة ، فان أبت أن تعود الى بيته عد هروبها جريمة تعاقب عليها بالسجن سنة كاملة أو بغرامة قد تصل الى عشرة آلاف ليرة ، برغم أن هذه الزوجة التعيسة قد تكون صبية لم تجاوز أربعة عشر عاما زوجت قسرا وكرها ممن لا تريده

وتعاقب الزوجة اذا خانت عهد الزواج بسجنها سنتين ، وهى أقسى عقوبة توقعها دولة فى أوربا ، بل ان قليلا من دول أوربا من يضع هذه الخيانة تحت طائلة القانون . أما الزوج فلا يناله أى شىء حين يخون زوجته ، الا اذا اتخذ لنفسه خليلة يرافقها جهارا ، حتى أصبح الامر بينهما فضيحة يتحدث بها الناس ! ومع هذا فأية محكمة فاشستية ترضى بأن تسجل مثل هذه الفضيحة على رجل ينتمى الى احدى الهيئات الفاشستية ، التى تنتظم أغلبية رجال ايطاليا وشبانها !؟

ويتسامح القانون كثيرا مع من يرتكب جريمة القتل « دفاعا عن الشرف » فكان الحكم الفاشستى يسجن من ثلاث الى سبع سنوات من يقتل زوجته أو ابنته أو اخته ، على شرط أن تقع الجريمة عندما تكون القتيلة فى حالتها المريبة . أما القانون الفاشستى فلم يتطلب هذا الشرط مما يوسع دائرة « الدفاع عن الشرف » ومما يطلق يد الرجل فى تقدير سلوك زوجته وبناته واخواته

ومثل هذا القانون لا تقره ولا تسنه الا انانية متبربرة تصبح نهما وجشعا : دع نسائى فى عزلة لاتقع عليهن فيها سوىعينى ، ودعنى حرا طليقا ابسط يدى بالاذى كيف شئت الى نسائى العزل الضعفاء !

وبينما تلقى المرأة هذا العقاب القاسى اذا هى خدشت ميثاق الزواج ، نجد القانون الفاشستى سمحا حليما مع الرجل الذى يقترف جناية الاغواء . اذ لا يعاقبه الا اذا اجتمعت شروط عدة ، منها : أن تكون الفتاة التى أغراها بالاثم دون السادسة عشرة ، وأن يكون الرجل الآثم متزوجا ، وأن يثبت انه أخفى عنها أمر زواجه ، وان يكون قد غرر بها على أمل الزواج منها .. فاذا تجمعت كل هذه الظروف والشروط عوقب بالسجن من ثلاثة أشهر الى سنتين .. وبعد هذا كله يستطيع أن يجد منفذا للخلاص ، اذا أثبت أن الفتاة كانت قد وقعت من قبل تغريره بها بين يدى رجل سواه !

وكان القانون القديم يعاقب على جريمة الغصب بسبع سنوات فى السجن ، وكان يعد الفتاة قاصرا حتى سن الحادية والعشرين . فانقص القانون الجديد سن الرشد الى الرابعة عشرة ، وانقص مدة السجن الى ثلاث سنوات

***

هذا ما وقع فى ايطاليا ، فماذا حدث فى ألمانيا ؟

هناك يعانى النساء من النازى مثل ما يعانين من الفاشست ، ولكن على صورة أشد اثارة للنفس ، وبطريقة أكثر جرأة وعنفا

يعتقد النازى ان المرأة التى تكسب قوتها وتعول نفسها تضر بالرجل ضررا مزدوجا : تضيق عليه دائرة العمل حيث تنافسه ، وتجرده من كبريائه التى يستمتع بها حين يكفل الاسرة ويسيطر عليها

فيوم أن قبض النازى على أزمة الامر فى المانيا ، عمد الى تجريد المرأة من المقاعد التى فازت بها فى قاعة الريشستاغ وفى مجالس الاقاليم النيابية ، وفى سائر الهيئات التشريعية الاخرى التى كانت المرأة قد شغلت جانبا كبيرا منها منذ نالت حقوقها السياسية فى ثورة سنة ١٩١٨

وكذلك طردوا النساء من جميع الوظائف فى ادارات الحكومة وفى الهيئات العامة ، وفى المجالس المحلية ، بل وفى المستشفيات والمدارس على قدر ما استطاعوا . ثم أخذوا يضيقون على المرأة دائرة العمل من كل جانب : فالمرأة التى لم تبلغ الخامسة والثلاثين ليست أهلا لاية وظيفة حكومية ، والمرأة المتزوجة تفصل من عملها ما دام زوجها يكفل نفقاتها ، وكذلك تفصل المرأة غير المتزوجة اذا أمكن أن تجد رزقها فى بيت أبيها أو اخيها أو اختها ! هذا ولا تباح الوظيفة الحكومية للمرأة التى تزوجت رجلا غير أصيل فى دمه الآرى ، ولو كانت هى من صميم الجنس الجرمانى

ومنذ خمسة عشر عاما نالت المرأة حق التعليم الجامعى ، وحق ممارسة المهن الفنية .

أما اليوم فلا تفتح أبواب الجامعات الا لعشر ممن ينلن درجة «البكالوريا» من فتيات المانيا ومع هذا فلاتباح ممارسة العمل الحر الالعشر ممن ينلن الدرجات الجامعية • بل ان هذا العدد الضئيل لا يمنح اجازات العمل الا بعد مشقة ومراوغة ، فمثلا لا تباح ممارسة مهنة الطب الا لخمس وسبعين فتاة في كل عام ، مهما كان عدد المتخرجات في كليات الطب في جميع بلاد المانيا • وقد قصرت الدراسات العلمية على الرجال وحدهم قصرا تاما ، فقد قررت الهيئات المشرفة على التعليم « انه يجب ان تعرف النساء ان العمل العلمي من شأن الرجل فحسب ، وان ليس للمرأة أن تجهد نفسها في الامور النظرية ، بل يجب أن تشغل نفسها بالمسائل المادية فحسب » ••• نعم هكذا يقولون في العصر الذي انجب مدام كوري وماريا مونتسوري ! وكذلك في مهنة التعليم لا يجوز ان تشغل المرأة مركزا رئيسيا

وتبذل الجهود من كل ناحية لتحويل المرأة من دائرة الاعمال الراقية الى دائرة الاعمال الوضيعة ، مثل اشغال المنازل ، وأعمال الزراعة ، وصناعات المعدات الحربية ، ولا سيما في مصانع الغازات السامة والقنابل المتفجرة ، حيث يستخدمن في أعمال خطرة منهكة

وتساق النساء المتعطلات الى معسكرات النازي حيث يغسلن الملابس وينظفن الحجرات، ويعملن في حظائر المواشي ، ويقلمن الحدائق والحقول •• ثم يحضرن بعد أن يضنيهن العمل عشر أو اثنتي عشرة ساعة ، محاضرات في فلسفة الاشتراكية الوطنية ! وهن مع هذا لا ينلن أجرا ، ولا يصبن طعاما وافيا ، بينما يحشرن معا في مخازن يفترشن فيها هشيم الاعشاب ، ويخضعن لسيطرة قاسية تفرض عليهن العقوبات الأليمة • واذا طردت المرأة من عملها هذا أشر على تذكرتها الشخصية بما يغلق في وجهها أبواب العمل والرزق اينما سارت

وتؤدى كل فتاة المانية فيما بين السابعة عشرة والحادية والعشرين من عمرها عملا اجباريا للدولة ، تقوم به في معسكرات الحزب حيث تعاون الرجال في أعمالهم ، وتؤدى لهم الخدمات المنزلية العادية

وقد باعدت المدنية الانسانية ــ على مر الاجيال الطوال ــ بين النساء وبين الاعمال الزراعية الشاقة ، فلما جاء النازي رجع بالمرأة الى الوراء رجعة فسيحة خطيرة ، اذ زج بكثير من أرقى نساء المانيا ثقافة وذكاء في الحقول ، حيث يعملن في أوحالها اثنتي عشرة ساعة في اليوم الواحد ، يقاسين في اثنائها شبه ما كان يقاسى الرقيق فيما مضى !

(خلاصة مقال لسيلفيا باتكهرست ، من زعيمات الحركة النسائية العالمية ، في مجلة « دي هيرت جورنال »)

الفوارق السياسية والاجتماعية

بين الدول الديموقراطية والديكتاتورية

لاريب فى أن الدول الديموقراطية والديكتاتورية تتفق فى اتجاهاتها الخاصة بالسياسة الخارجية وان اختلفت فى أساليب هذه السياسة

فالديموقراطية نهضت وتقدمت على أساس الاستعمار ، وكذلك الديكتاتورية تريد أن تنهض وتتقدم على نفس الاساس

ولكن الدول الديموقراطية بعد أن خرجت من الحرب العظمى رافعة لواء النصر، لم تعد تفكر الا فى المحافظة على سلامتها وضمان الاراضى التى تتألف منها امبراطوريتها

واذن فالصراع الذى نشهده اليوم هو صراع بين قوتين تتشابهان فى أغراضهما الرئيسية : قوة تسعى الى الاستعمار ، وقوة تجاهد لتحتفظ بما فازت به من مستعمرات

ومع ذلك وبرغم هذا التشابه الجوهرى ، يميل سواد الناس الى تأييد الدول الديموقراطية والانتصار لها فى المعركة الناشبة بينها وبين خصومها

فما سر هذا الميل ، وما هى تلك الفوارق التى تفصل بين الدول الديموقراطية والديكتاتورية وتجعلنا نتمنى النصر للاولى والتراجع والخذلان للثانية ؟

يمكن تلخيص هذه الفوارق فيما يأتى :

أولا – أسلوب حكم الديموقراطيات لمستعمراتها • أن الدول الديموقراطية المستعمرة المتأثرة بالافكار والمبادىء الحرة والقائمة أنظمتها على أسس الحياة النيابية ، تتقدم شيئا فشيئا نحو منح مستعمراتها الحكم الذاتى ، ونحو الاستعاضة عن نظام التدخل المباشر فى علاقاتها ببعض الشعوب الصغيرة الناهضة بنظام التحالف على قاعدة الاعتراف الفعلى باستقلال هذه الشعوب

ثانيا – تقديس الحرية الشخصية

أن حرية الفرد مقدسة فى الدول الديموقراطية ، والفرد الديموقراطى يستطيع مناقشة حكومته ونقد تصرفاتها والاشتراك فى توجيه سياستها • وهو لا يفنى فى الزعيم المسيطر ولا فى الحزب المسيطر كما هو الحال فى الدول الديكتاتورية

وقد يحس الفرد فى ايطاليا والمانيا مثلا أن حكومته تسلك سبيلا محفوفا بالمخاطر ، ولكنه لفرط ضغط الحزب المسيطر على الحياة العامة ، يخشى المصارحة بآرائه لئلا يستهدف للنفى والتشريد أو السجن فى معسكرات الاعتقال

فالفرد فى الدول الديموقراطية يتمتع بحريته ، وأما فى الدول الديكتاتورية فأعمال الارهاب تخنق فى صدره كل شعور بالكرامة والحرية

ثالثا ـ احترام الفكر

ان شخصية المفكر مقدسة فى ظل النظام الديموقراطى • ففى وسعه أن يقول مايشاء ويكتب ما يشاء ، وان تعارضت أفكاره مع النزعات والميول السائدة • فهو يمثل قداسة الفكر الحر ، وهو يمثل الرغبة فى الوصول الى الحقيقة التى لا يكشف الستار عنها الا الفكر الثائر المتمرد المستقل الحر • أمافى ظل النظام الديكتاتورى فالفكر يجند ويحشد لخدمة الدولة وخدمة الديكتاتور وخدمة آراء ونزعات الحزب السائد • وحيث تضمحل حرية الفكر يهبط مستوى الانتاج العقلى وتتجه الثقافة العامة نحو الفناء والعدم

رابعا ـ النفور من تحويل الامة الى معسكر

ان سر النجاح الذى صادفته الديكتاتوريات حتى الآن هو أنها استطاعت تحويل مجموع شعوبها الىمعسكر هائليدين بمبدأ القوة وحدها • ولكنهذا النجاحكان على حساب الفرد نفسه ، على حساب حريته وكرامته وحقه المشروع فى التمتع بموارد الدولة التى تحرمه الحكومة منها لتنفقها على التسلح

فارهاق الشعب بالضرائب والتضحية به فى زمن السلم اقرارا لمجد الدولة الحربى وتوكيدا لسيادتها العسكرية ، مبدأ تستنكره الديموقراطيات الساعية الى رفاهة الفرد وتجنب تحويل الامة الى معسكر الا فى حالة الحرب

وليس شك فى أن تطبيق هذا المبدأ قد أفاد الديكتاتوريات ولكنالاسراف فىتطبيقه كما هو الحال الآن قد يفضى الى حرب تعصف بجميع ما ربحته الديكتاتورية

خامسا ـ اختلاف النظر الى معنى الدبلوماسية

ان الدبلوماسية فى عرف الساسة الديموقراطيين ، هى السعى لايجاد جو فكرى يوفق بين آراء فريقين متنازعين ويسهل عليها سبل التفاهم على قاعدة المصالحة أو الحل الوسط • فأنت تنزلعن بعض مطالبك وأنا أنزلعن بعض حقى وفىمقابل ذلكأمنحك وتمنحنى ما يعوض على كلانا خسائره • وهكذا نحتفظ بمصالحنا الجوهرية ونطمئنالى أن تضحياتنا المشتركة لن تصيب جوهر هذه المصالح بخطر

تلك هى الدبلوماسية فى عرف الديموقراطيين ، أما لدى الدول الديكتاتورية فهى تهديد متواصل باستخدام القوة ، وانذار مطرد باضرام نار الحرب ، ورغبة فى ارهاب الامم وتدويخها وارهاق أعصابها ، كىتسلم آخر الامر بدون حرب تسليما مروعاشائنا رخيصا يضاعف نفوذ الديكتاتوريات ويجدد مطالبها ويطمعها فى تدويخ أمم أخرى وشعوب أخرى

هذه أهم الفوارق التى تفصل بين الديموقراطيات والديكتاتوريات والتى تجعلنانؤثر الاولى على الثانية ونميل الى تأييد الديموقراطية فى الصراع الناشب بينها وبين النازية والفاشزم

(عن مجلة ليفولونتير)

ضرورة التعليم الجنسي

كيف تنقذ المدرسة « الطفولة البريئة »

« الا تخطىء المدرسة خطأ جسيما اذا هي أخذت على عاتقها هذه المسئولية الخطيرة : مسألة تقصير عهد « الطفولة البريئة » التي ينعم فيها الصبي والصبية بجهلهما المشاكل الجنسية ومسئولية توجيه حواس النشء واذهانهم الى هذه الحياة المعقدة المضطربة قبل أن يتأهبوا لها ؟! »

هذه هي المسألة الكبيرة التي تناولها أحد نظار المدارس الامريكية في تقرير قدمه الى مجلس التعليم بنيويورك ، حين اقترح جماعة من اعضائه أن تكون « الثقافة الجنسية » مادة من مواد الدراسة التي يتلقاها التلاميذ والتلميذات ، منذ أن يشبوا عن دور الصبي ويشرعوا في مواجهة دور المراهقة

فهل أصاب هذا الرجل هدف الحقيقة أو اخطأه ؟ من الغريب انه يختم تقريره بواقعة هي أبلغ رد على رأيه اذ يقول انه انشىء قريبا من مدرسته ملجأ تأوي اليه الامهات غير المتزوجات ، وان هذا الملجأ يستقبل عادة في كل شهر تلميذتين من تلميذات مدرسته !

والواقع أن نظمنا التعليمية تتدثر بدثار كثيف من الخداع والرياء ، ولكن ما يستقر وراء هذا الستار من الوقائع والشواهد والارقام كفيل بأن يبرز الامر على وجهه الصحيح . فهذا احصاء رسمي يثبت أن عدد الاطفال غير الشرعيين الذين ولدوا في نيويورك في العام الماضي بلغ ١٣٤٧ طفلا ، وان من كل أربعة عشر من هؤلاء طفلا لم تجاوز أمه ١٦ سنة ، وطفلين عمر أميهما ١٣ سنة ، وطفلا ما زالت أمه صبية في سن الحادية عشرة ! فهل من جناية على هذه « الطفولة البريئة » التي يشفقون عليها أكبر من تركها في جهلها تلاقي الاضرار الأليمة ثم تعاني العواقب الوخيمة ؟

أضف الى هذا أن هناك من الادلة ما يثبت أن الاحصاء السابق لا يبرز الا جانبا من جوانب الصورة ، على أن ثمة احصاء آخر أقوى دلالة على أن الجهل الجنسي أعدى أعداء « الطفولة البريئة » ، فبين شهري يناير وسبتمبر من العام الماضي سجلت مصلحة الصحة بمدينة نيويورك ٢٣٨٨ حالة من حالات الزهري والسيلان أصيب بها « اطفال » دون التاسعة عشرة من أعمارهم !

وقد درست بعض الجمعيات التي تعنى بمسائل الطفولة والامومة مأساة ألف من الفتيات اللاتي ذهبن ضحية الاغراء أو الاكراه ، فوجدت أن أكثر هؤلاء الفتيات سلمن أنفسهن عن رضى واختيار اذا نظرنا الى الامر من الوجهة القانونية وحدها ، ولكنا نجدهن ضحايا الغصب والقسر والاغواء اذا قدرنا جميع الظروف ونظرنا اليها نظرة أوسع مدى ، فقد

أجاب كثيرات منهن بأنهن : « لم يكن يعرفن ان الامر يؤدى بهن الى هذه الغاية » ، بينما اعتذر فريق كبير منهن بأنهن « انما ضحين هذه التضحية ليحتفظن بأصدقائهن » . ومثل هذه الاجابات والمعاذير لا يمكن أن تحمل الا على محمل الجهل بنتائج هــذه التضحية ورواهن هذه المغامرة . هذا ، وكثيرا ما يكون « نصف المعرفة » بهذه الامور أبلغ ضررا وأضل سبيلا من « الجهل المطبق » ذاته ، فلا يصح أن يكتفى فيها بالثقافة السطحية أو الدراسة المبهمة ، بل لا بد من الجلاء والصراحة والاحاطة الى الحد الذى لا يدع مجالا للحدس والافتراض والانخداع

وقد قالت هذه الجمعية فى تقريرها عن هذا الموضوع : « لو ان هؤلاء الفتيات درسن المسألة الجنسية دراسة دقيقة وافية ، تحت اشراف آبائهن ، لاستطاع أكثرهن بدون أى شك أن يتجنبن هذه الوهدة التى تعترض طريقهن »

وتقول احدى السيدات الامريكيات المثقفات : « ان ٩٩ ٠/٠ من الآباء والامهات فى مدينة نيويورك مذنبون بل مجرمون .. حين لا يزودون ابناءهم وبناتهم بالمعرفة الجنسية التى لا بد منها ليحموا أنفسهم مما يحوطها فى اثناء نموها ونضوجها من أخطار واضرار»

وانها لنغمة قديمة هذه التى يرددها الآباء حين يقولون : انا لا ندرى كيف نبرز لابنائنا هذه الحقائق ، أو انا لا نجرؤ على أن نصارحهم بها وجها لوجه . ولكن هذا العذر أو ذاك لا يصح أن ينهض فى هذه الايام ، التى صار فيها « الدافع الجنسى » ماثلا أمام الاعين مدويا فى الآذان ، فيما نشاهد على لوحات السينما ونرى فى صفحات الجرائد ، ونقرأ من القصص والروايات ، مما ينبغى معه أن نتخذ الصراحة التامة ، مقرونة بالرزانة الواجبة ، فى توضيح المسألة الجنسية توضيحا يخلع عنها هذا القناع السحرى الذى تتشوق الاذهان والاحاسيس الى ما تحسبه وراءه من غوامض واسرار

وقد يخيل أن هذه المساوىء الجنسية التى اثبتتها الارقام والشواهد مقصورة على مدينة نيويورك نتيجة ظروف اجتماعية واقتصادية خاصة بها ، ولكن الواقع أن هذه المساوىء الجنسية لم تعد محصورة فى المدن دون القرى ولا فى طبقة دون طبقة ، ففى سنة ١٩٣٥ كان عدد المواليد غير الشرعيين فى الولايات المتحدة الامريكية ، باستثناء ولايتى كاليفورنيا وماساشوست ، ٣٥١٦٧ وليدا تتراوح أعمار أمهاتهم بين الخامسة عشرة والتاسعة عشرة ، ١٨٦٤ وليدا لم تتجاوز أمهاتهم أربعة عشر عاما ولم يزد بعضهن عن سن العاشرة . وهذا العدد يبلغ قرابة نصف عدد المواليد غير الشرعيين فى هذه البلاد

(خلاصة مقال بقلم السورت بك فى مجلة اميركان ميركورى)

شباب الانجليز

وعقليتهم الجديدة

فى انجلترا اليوم حركة جديدة تتمثل فى طائفة كبيرة من شباب الجامعات ، وتدل أبلغ الدلالة على ان أولئك الشباب يتوقون الى إحداث بعض التعديل الجوهرى فى ثقافتهم وفى أنظمة التعليم فى البلاد الانجليزية . ولقد كان التعليم الجامعى فى انجلترا ينهض على قواعد ثلاث وضعها منذ نحو قرن عميد كلية ايتون المستر توماس ارنولد . وهذه القواعد هى : إلهاب العاطفة الدينية فى نفوس الشباب ، ورياضتهم على حب العلم من أجل العلم ، وتربية الفضائل الخلقية السكسونية فى نفوسهم ، بحيث يصبح كل فرد منهم جنتلمانا كاملا

فالشعار الجامعى كان ينحصر إذ ذاك فى عبارة واحدة مؤداها ان على الجامعات أن تخرج طلبة متدينين وعلماء وجنتلمانات . غير ان الجانب الجنتلمانى طغى على ثقافة الطلبة واتضح فوق ذلك انه باعد بينهم وبين الشعور الدينى العملى الصحيح

والجانب الجنتلمانى فى عرف الانجليز هو الجانب الرياضى

فالشاب الذى كان ينبغ فى الملاكمة والجولف أو لعبة الكريكت كان يعد جنتلمانا ، والشاب الذى كان ينصرف بجميع قواه الى التفوق فى الألعاب الرياضية ، كان موضع تقدير رؤسائه وموضع اعجاب أساتذته بصرف النظر عن درجاته العلمية وعن تفوقه الثقافى

واذن فالنبوغ الرياضى كان فى عرف الأساتذة أصلح وأنبل من النبوغ العلمى ، وكان هو الدليل على سمو الخلق وكرم السجايا وارستقراطية العاطفة والاحساس .

ولقد ترتب على ذلك ان أصبح بطل الكريكت هو الجنتلمان ، وبطل الفكر والبحث هو الرجل المتوسط العادى . وهكذا استغرقت الألعاب الرياضية جهود الطلبة وتفكيرهم ، فلاحت علامات الضعف فى مجموع ثقافتهم وفى عمق احساسهم الدينى ، الذى استحال الى ولع تجريدى بالطقوس والاشكال الدينية

وكان فى طليعة من لفتوا الأنظار الى هذا الخطر الاديب والنائب الانجليزى هارود نيكولسن فقد حمل فى احدى مقالاته على ضعف الرغبة العلمية فى نفوس طلبة الجامعات ، وعجزهم عن التفوق الممتاز فى مختلف فروع العلم ، وتناقص عدد الاخصائيين بينهم اذا ما قيس بعددهم فى المانيا وفرنسا وايطاليا

فالتخصص فى فرع علمى والذهاب فى دراسته الى حد النبوغ الرائع فيه . هـذا ما كان ينقص

الطلبة اذ ذاك بسبب انهماكهم الجنونى فى الألعاب الرياضية

وأما أخلاقهم فقد شاعت فيها عناصر القلق والاضطراب والحيرة والتشكك ، فارتاب بعضهم فى أصول الفضائل الروحية ، وارتاب البعض الآخر فى أصول الحكم القائمة وفى عظمة الامبراطورية وكان السبب فى ذلك أيضاً طغيان الحاسة الرياضية على الشعور الدينى . هذه الظواهر التى اتصف بها الشباب الانجليزى الجامعى فيما مضى ، هى التى ينتفض عليها شباب اليوم ويحاولون التحرر منها فحركتهم الجديدة الممثلة فى عدد كبير من هيئاتهم وأنديتهم ترمى الى تحقيق الأغراض الآتية :

أولا ـ تبديل المعنى المعروف بكلمة جنتلمان ، واعتبار ان الجنتلمان ليس هو الرجل القوى العضل التافه الثقافة الذى يقلد الطبقة الارستقراطية المترفة ويحاكيها فى الكبر والترفع وأدب اللياقة ، بل هو الرجل الذى ينحدر أدبه من علمه وكبرياؤه من ثقافته ، والذي يقترن فى نفسه حب معتدل للالعاب الرياضية ، بتقدير عميق لفضائل الفكر الثاقب والعقل المبتدع

ثانياً ـ توجيه الشباب لا الى التفوق الرياضى ، بل الى التفوق العلمى مصحوبا باهتمام شديد بمختلف المشاكل الاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بمكافحة العطل ومحاربة الفقر ورفع مستوى العامل والفلاح

ثالثاً ـ توجيه الشباب نحو الايمان بالديموقراطية والتعلق بمذهب الاحرار والدعاية لحرية التجارة العالمية مع الحرص على واجب الدفاع عن الامبراطورية ضد كل اعتداء

رابعاً ـ تحويل النزعة الدينية فى قلوب الشباب من ولع بالطقوس والاشكال ، ومن مجرد ايمان ظاهرى سلبى ، الى ايمان حقيقى عملى ، يتمثل فى أخلاق قويمة ، وآداب عالية ، وعواطف نزيهة ، وشعور جنسى سليم ، وسلوك ينم عن الشرف والاستقامة . وهذا هو الجانب الدينى الفردى

خامساً ـ تحويل النزعة الدينية الى خدمة عامة . أى الى تنظيم الاحسان ، والعناية بالفقراء وزيارة الأحياء الشعبية البائسة ، والتبرع بالمال للمحرومين ، والقيام بدعاية واسعة النطاق فى سبيل ترقية الطبقات الشعبية العاملة . وهذا هو الجانب الدينى الاجتماعى

سادساً ـ الدفاع عن حرية الفكر ضد التقاليد والمطالبة بمنح الأدباء والكتاب أوسع قسط من الحرية فى التعبير عن حقائق الحياة العامة مهما اصطدمت هذه الحقائق بقدسية التقاليد

تلك هى الاغراض الرئيسية التى تعرف بها حركة الشباب الانجليزى والتى تدل على اتجاه ملحوظ صوب عقلية جديدة تجمع بين تقديس الفكر باعتباره قوة تقدمية مبتدعة مجددة ، وتقديس الدين باعتباره قوة خلقية سامية ذات أثر بعيد فى اصلاح المجتمع . وتقدير الالعاب الرياضية باعتبارها قوة ثانوية تعاون الفكر على البناء . وتهب الجسم عنصر الصحة الذى لابد منه لمحاربة نزوات الشباب . وتوكيد نزعة العفة . والاخذ بفضيلة الطهارة . وتحقيق معنى الدين فى نفس الفرد وفى كيان المجموع

(ملخصة عن مجلة دير كتيف)

نهوضه الشعوب الملونة

يؤذن بزوال الاستعمار الاوربي الامريكي

يزداد شعور الشعوب الملونة بحقها وحريتها يومافيوما ، وتتقدم في طريقها الى مناهضة سيادة البيض وانكارها شوطا فشوطا . فشرعت تناضل وتكافح سعيا وراء تحقيق استقلالها الاقتصادي ، ولتحرير ثقافتها ، واعزاز ما تتميز به عن سائر الشعوب من الخصائص والملكات . وهي في جهادها هذا تقف متماسكة الاجزاء متجمعة القوى تجاه مختلف الشعوب البيضاء التي بدأت تخشى أو تتملق السود والحمر والصفر جميعا

وقد استطاعت الشعوب الملونة أن تشعر مستعمريها البيض بقوتها وسطوتها أيام ان أزمتهم الحرب الكبرى ، ففي أثنائها جندت فرنسا مثلا في ساحات أوربا وحدها ٨٠٩٫٠٠٠ جندي من أبناء الشعوب السوداء والسمراء والصفراء التي تحكمها . وانتصرت فرنسا وانجلترا على القوات الالمانية في ميادين المستعمرات ، بفضل الكتائب الملونة الهائلة التي لم يكن يتقدمها سوى بضعة صفوف من الجنود البيض . ولهذا بدأت الدول الاوربية تخشى بأسها وتعترف بحقها منذ تبينت قواها في الحرب الماضية

فسياسة فرنسا الحالية ترمي الى التقرب من الشعوب الملونة التي تسودها ، بتخويل ابنائها الموظفين في الحكومة والضباط في الجيش دائرة واسعة ينشرون فيها سلطتهم ونفوذهم . وهي تيسر لافراد هذه الشعوب — الذين كانوا فيما مضى شبه منبوذين — أن يصيروا مواطنين فرنسيين لهم كل ما لابناء فرنسا من الحقوق المدنية والعسكرية وكذلك تمهد لابناء مستعمراتها طريق الهجرة اليها ، فأخذت أفواجهم المؤلفة تتدفق اليها وتوطد لها مركزا اجتماعيا واقتصاديا في صميم فرنسا . فمنذ الحرب الكبرى نزح الى فرنسا واستقر فيها زهاء مائة وخمسين ألف نسمة من أبناء قبائل افريقية الشمالية ، ويقيم الآن في باريس وحدها أكثر من خمسة وستين ألف نسمة من أبناء الجزائر ومراكش ، ويقبض أبناء المستعمرات الفرنسية على زمام كثير من التجارات الرائجة في أحياء باريس

وقد كان غزو ايطاليا أرض الحبشة وقهرها هذا الشعب الاسود أكبر عامل في تنبيه الشعوب الملونة الى حقوقها وحرياتها ، وفي جمع أشتاتها وأطرافها في وحدة من العاطفة الحية القوية . فليس من الغريب اذا أن نجد الزعماء الذين يثيرون روح التمرد بين قبائل الحبشة ويؤلبونها على حكم ايطاليا ، لايقيمون في افريقية وانما في أمريكا . ولهذا تتجه الى « هارلم » ، أي حي الزنوج في نيويورك ، أنظار جميع الشعوب السوداء ، التي تعد هذه البقعة مركز القيادة الذي يعبء قواتها ويوجه خطاها

ومع أن عدد الزنوج في الولايات المتحدة الامريكية لا يتجاوز ١٢٫٠ ٪ من مجموع

السكان ، الا أنهم عامل قوي الاثر واسع النفوذ في الشئون السياسية والاقتصادية في كثير من هذه الولايات . فيبلغ عدد الزنوج «الخلص النقاة» ٠٣٢/٠ من مجموع السكان في فلوريدا ، ٠٤٠/٠ في لويزيانا ، ٠٤٢/٠ في ألباما وجورجيا ، ٠٥١/٠ في كارولينا الجنوبية ، ٠٥٢/٠ في مسيسيبي . وهكذا لم يعد في الوسع اقرار أية مسألة خطيرة ، ولا سيما مايتعلق منها بالمسائل الاجتماعية ، دون مراعاة آراء السود ومسايرة ميولهم

يقول أحد المفكرين السياسيين الالمان « ان الزنجي يعتز بنفسه ويدرك قوته ، ولو كان أجيرا يضرب في الارض بيديه . فهو شديد العناية بنظافة مسكنه حتى ولو كان من سعف النخل وجذوع الشجر ، وبنظافة جسمه حتى ولو كان يمارس عملا يدويا شاقا قذرا . فتجده في جبال جمايكا وفي أدغال ترنيداد يسكن أكواخا نظيفة أنيقة عني بتنسيقها وتجميلها قدر ما يستطيع وتجده ينزل الى الماء بين ساعة وساعة ليغتسل ويبترد ويستجم . والزنجي في الجملة مجتهد نشيط يخلص العمل ويجيده ، وطموح موفق يسعى دائما الى الامام

ومن المشاهد البارزة في مدينة شيكاغو مثلا أن حي الزنوج فيها من أجمل وأبدع أحيائها . وقصة انشاء هذا الحي طريفة ، فقد استخدمت هذه المدينة في أثناء الحرب الكبرى عددا من الزنوج في صناعة الاسلحة والذخائر ، فأثبتوا كفاءتهم وذكاءهم ، فضلا عن جدهم ونشاطهم ، واكتسبوا من هذا العمل أجورا وأرباحا جمة . فجمعوا ما أدخروه منها معا واشتروا به كوخا في طرف من أطراف المدينة الجميلة . وما كاد بعضهم يسكن هذا البيت حتى هجر البيض بيوتهم التي تجاوره ، أنفة منهم أن يسكنوا مع السود في نطاق واحد ، فانخفضت أثمان أدض هذه المنطقة وبيوتها فاشتراها الزنوج وعمروها وأحالوها صفوفا من البيوت الانيقة البديعة تمتد على حافتي حدائق ومتنزهات زاهرة ناضرة

وقد ارتقى الزنوج من الوجهة الادبية ارتقاء عظيما منذ ظهر منهم المصلح المفكر «بوكر واشنجتون» ١٨٥٠ — ١٩١٥ الذي يسمى بحق « بستالوزي الاسود » ، وضع هذا الرجل نهجا يسير عليه الزنوج في تعليم أبنائهم وتربيتهم ، ويتلخص هذا النهج في أمرين جوهريين : أولا انكار ومقاومة الحركة التي ترمي الى «تبيض» الاسود ، أي القضاء على خصائصه القوية وايهامه أن البيض أذكى منه وأرقى . وثانيا : اقران التقدم الفكري بالتقدم البدني ، أي العناية بصحة الزنوج ولا سيما في سنيهم الاولى عناية تمكنهم من المكافحة في ميادين الحياة

وهكذا صار للسود شأن رفيع في نواحي الحياة الامريكية ، وصار «للمسألة الافريقية» كما يسمونها — أهمية عظيمة في شئون الولايات المتحدة . فللزنوج عدد عظيم من الجرائد والمجلات ، ووكالات لجميع الانباء ونشرها ومحطات للاذاعة اللاسلكية ذات موجات

قصيرة ، ويقال ان لهم محطة لاسلكية سرية تثير حقدهم على البيض وتؤلف قواهم تجاه أعدائهم

وليست حركة السود التيار الوحيد الذي يقاوم سيادة أوربا وأمريكا الاستعمارية، بل هناك تيارات قوية أخرى تشمل أرجاء العالم وتبث فى مختلف آفاقه • تيارات تجرى من الولايات الجنوبية فى أمريكا ، الى المستعمرات الفرنسية والايطالية فى افريقية، وتمتد منها الى أطراف الهند الثائرة مارة ببلاد الشرق الادنى الناهضة المتوثبة

فتجد فى مراكش «لجنة الجهاد المراكشى» التي تسعى الى اقامة ثورات وطنية جديدة تقاوم الحكم الفرنسى • ونجد فى الهند الصينية فتنا سياسية تنمو وتنتشر كلما ارتفعت الشئون الاقتصادية والاجتماعية بين أهالى هذه المناطق • نجد فى العالم الاسلامى جبهتين قويتين ترميان الى تحقيق استقلال الدول الاسلامية وسيادتها • والجبهة الاولى مؤلفة من مصر والعراق والمملكة السعودية ، والجبهة الثانية ألفها ميثاق سعد آباد من تركيا وايران والعراق وأفغانستان • وتشترك العراق فى الجبهتين معا ، لهذا كانت الصلة التى تربطهما سويا • والهدف الاول الذى ترمى اليه هذه القوات الاسلامية المتجمعة هو مقاومة سيطرة البيض على شئونها ، والسعى الى التخلص من ربقة استعمارها الذى طال أمده وآنت نهايته

ومن الواضح أن الهند لاتواجه سوى عدو واحد ، هو الحكم البريطانى ، الذى قام على أساس من بث العداوة والبغضاء واثارة الفتن والاحقاد بين المسلمين والبراهمة • ويمكن أن يقال ان الحركة القومية فى الهند تتزعم حركات مناهضة الاستعمار الاوربى والامريكى فى سائر جهات العالم ، وهى التى تلقى بذور الثورة والانتقاض على سيادة أوربا وامريكا فى كثير من المناطق المستعمرة • يدلنا على ذلك هذا الفيض الغامر الذى تدفق من الهند الى تنجانيقا خلال السنوات العشرة الماضية ، فقد هاجر اليها واستقر فيها ٣٠٫٠٠٠ هندى هم دعاة الثورة والتحرير من هذه المستعمرة

ومن الخطأ أن نظن أن هذه القلاقل والثورات التى تقع فى جزائر الهند الغربية مجرد فتن تثور بين الطبقات العاملة تجاه أصحاب الاعمال والاموال هناك • اذ الواقع أنها فى حقيقتها حركات قومية تقيمها هذه البغضاء المتأججة فى صدور الزنوج تجاه البيض الذين يستعمرون هذه الجزائر • وقد وطد الزنوج لانفسهم هناك مركزا راسخا ، فليس بين الاثنى عشر مليونا من الانفس التى تسكنها سوى مليون واحد من البيض • وفى مستعمرتى ترندا وجمايكا البريطانيتين يسيطر السود على مراكز الاعمال الرئيسية، بينما يحتكر الهنود والصين الاعمال اليدوية ، أما البيض فقد احتجزوا أنفسهم فى أحيائهم التى تكاد تشبه فى انزوائها وهدوئها أحياء اليهود فى البلاد التى تضطهدهم

وما زال « الهندى الاحمر » يعيش حتى الآن رغم كل ما لاقى من عداء البيض واضطهادهم • وقد استيقظ شعوره القومى ، وأخذ يسعى الى استرداد حريته ومكانته،

وبدأ مثقفوه يذكرونه بتاريخه وماضيه . ولما كان هذا الماضى مليئا بالمآسى الرهيبة التى لاقاها على أيدى البيض ، لهذا سوف تكون حركة ايقاظ هـذا الجنس عاملا من أقوى العوامل فى توسيع الهوة بين الشعوب الملونة والشعوب التى تسودها الآن

(خلاصة مقال للدكتور هاينز باير فى مجلة ورتيرمن الالمانية)

ماذا ربح الالمان

من ابعاد اليهود ؟

تضطهد المانيا اليهود وتفتن فى ارهاقهم وتبذل قصاراها لحملهم على النزوح عن الأرض الألمانية ولكنها فى نفس الوقت ، تعلم أن معظم أولئك اليهود أغنياء ، وأن أموالهم تتسرب الى الخارج ، ولذا فهى تعمل على استبقاء بعض هذه الأموال فى المانيا والافادة منها لتنمية موارد الدولة

وهكذا لا تكتفى الحكومة الألمانية بابعاد اليهود بل تفرض على كل مهاجر ضريبة خاصة عليه أن يؤديها قبل أن يرحل

ولقد فرضت الحكومة الالمانية فى عهد المستشار برونتج ضريبة على رؤوس الأموال المنقولة الى الخارج تقدر بـ ٢٥ فى المائة من مجموع رأس المال . غير أن الحكومة لم تكن قد أخذت فى ذلك العهد بسياسة اضطهاد اليهود ، فلم تعد عليها تلك الضريبة عام ١٩٣٣ بأكثر من مليون مارك

فلما جاء هتلر ، واستتب الحكم لجماعة النازى ، وشرعت الدولة فى اقصاء العناصر اليهودية ، ارتفع دخل تلك الضريبة ارتفاعاً مدهشاً : فى عام ١٩٣٣ ، بلغ الدخل ٢٠ مليون مارك وفى عام ١٩٣٤ بلغ ٣٨ مليوناً ، وتطور فى العامين التاليين من ٧٠ الى ٨١ مليون مارك

ويلاحظ أنه كلما اشتد الضغط على اليهود ، ارتفع دخل الضريبة ، وأن خزانة الدولة الالمانية ربحت من هذا الطريق ٢٥ مليون مارك فى شهر أغسطس فقط من عام ١٩٣٨

ويقدر رجال الحكم فى الريخ أن دخل هذه الضريبة سيبلغ فى مجموعه ٢٤٠ مليون مارك فى عام ١٩٣٨ . وهو رقم قياسى يفاخر الالمان به

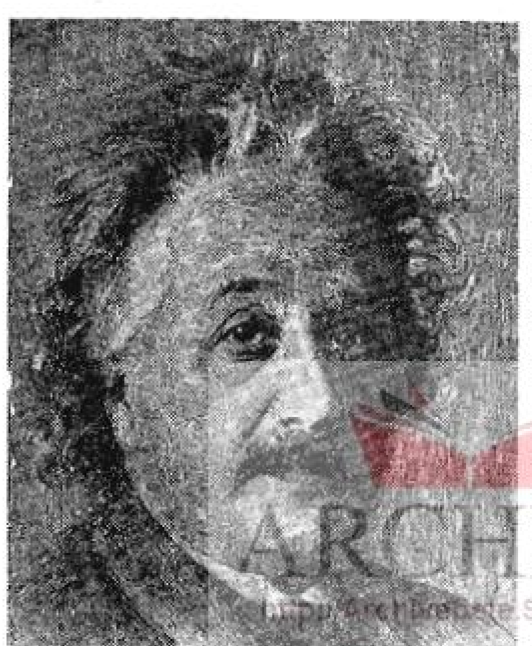
وهكذا تكون الحكومة الالمانية قد ربحت منذ أن تولى الاشتراكيون الوطنيون زمام السلطة نحو خمسماية مليون مارك على حساب اليهود

وليس شك فى أن هذا الربح العظيم ، يفسر لنا كيف سمحت حكومة الريخ بأن تنقل الى خارج البلاد رؤوس أموال يقدر مجموعها بمليار ونصف مليار مارك أى بما يقرب من ٢٠ مليار فرنك فرنسى (عن مجلة ليوا)

العِلمُ والعالمُ

كتاب عن أنيشتين

ألف فى شرح نظرية النسبية وتقدمها بضع مئات من الكتب وبضعة آلاف من الرسائل ، أما العالم العبقرى « البرت انيشتين » الذى وضع هذه النظرية فلم يظفر الا بمقالات وشذرات شتى على صفحات الجرائد والمجلات . لهذا اغتبط رجال العلم وطلابه حين طالعوا هذا الكتاب الوافى الذى أصدره « جوردون جربديان » منذ أسابيع ، تحية لعميد علماء الفلك والطبيعة فى القرن العشرين بمناسبة بلوغه سن الستين



يشتمل الكتاب على ثمانية فصول، يقتصر منها فصلان على عرض النظرية وشرحها بأسلوب ميسر وامثلة مبسطة ، مما يمكن القارىء العادى من فكرة عامة شاملة عن هذه النظرية المعقدة . وفى وسع المرء أن يتجاوز عن هذين الفصلين الى سائر الكتاب الذى روى قصة حياة انيشتين المكافح المناضل فى أسلوب شائق وعبارة طريفة فتجد فيه كيف ظهرت ملكاته الرياضية منذ كان فى سن الرابعة حين وقعت فى يده بوصلة بحرية ، وكيف بسط لنفسه بعض النظريات الهندسية قبل ان يبلغ العاشرة ، ثم كيف أخذ يجاهد جهادا مزدوجا ضد الفقر من ناحية وفى سبيل العلم من ناحية ، حتى توصل الى مبادىء نظرية النسبية وهو فى الخامسة والعشرين من عمره . وقد لفتت اليه مباحثه العلمية انظار كثير من كبار العلماء الذين تراءى لهم أن هذا الشاب بدأ يفتتح آفاقا علمية فسيحة ، ولكنه مع هذا ظل منسيا مغمورا فلم يوفق الى التدريس فى جامعة زيورخ الا بعد جهاد طويل ، ولم يكن يحضر محاضراته الاولى فى هذه الجامعة سوى طالبين اثنين . ثم انتقل الى جامعة براغ ومنها الى جامعة برلين سنة ١٩١٤ ، وهنا بدأت شهرته تنمو وتذيع حتى صار أوسع العلماء المعاصرين ذكرا وابعدهم صيتا

وانتقل المترجم بعد هذا الى ذكر جهود انيشتين السياسية عقب الحرب الكبرى ، حين كان يعد سفير ألمانيا فى مختلف بلاد أوربا وامريكا . وأماط اللثام عن قوته الهائلة فى توجيه السياسة الالمانية أيام الجمهورية ، اذ كان يعد ساعد « سترزمان » اليمين ، واليه يرجع الفضل العظيم فى توفيقه مع بريان وتشمبرلين الى توقيع ميثاق

« لوكارنو » . ثم تحدث عن موقف النازى منه واضطهادهم اياه ، حتى اضطر الى ان يفر منها ويأوى الى فرنسا وانجلترا ، ثم الى امريكا حيث اتخذ جنسيتها واستقر فيها ، مؤديا رسالة العلم على أكمل وجوهها ، غير غافل عما ينبغى لمثله من العمل فى سبيل مناصرة الحرية الفكرية بمحاضراته واحاديثه

ومؤلف هذا الكتاب مؤرخ علمى مدقق ، وقد أخرج من قبل كتابين عن « ألغاز العلم الكبرى » و « تقدم العلم » . ويمتاز مؤلفه الاخير بجدة اسلوبه وطرافة سياقه وبراعة عرضه

مستقبل سكان العالم

يعمر الارض فى القرن العشرين خمسة أمثال من كانوا يسكنونها فى القرن السابع عشر ، ففى اثناء ثلاثمائة سنة ازداد سكان العالم من ٤٤٥ مليون فرد الى ٢١٠٥ مليون نسمة . واذا كان من المؤكد ان ارتقاء اسباب الحياة يؤدى الى ازدياد النسل وتكاثر الاحياء ، فان من المرجح أن سكان العالم عامل مهم فى ترقية شئونه وتنمية مدنيته . فليس لنا اذاً ان نطمئن الى مستقبل المدنية الانسانية اذا عرفنا ان سكان العالم لا يزيدون الآن طول السنة الا بنسبة ١ ./. من مجموعهم ، اذ معنى هذا ان عددهم لن يتضاعف الا بعد انقضاء سبعين سنة كاملة ، وهذا على فرض انه لن تعصف بهم حروب هائلة أو تجتاحهم اوبئة فتاكة أو تأتى عليهم مجاعات مروعة

ومن المؤسف ان أقل الشعوب ازديادا هى ارقاها فى درجات المدنية ، بينما ظلت الشعوب المتخلفة الى الوراء تنمو وتزداد

وقد يخيل الى بعض الناس أن هذا الاتجاه الى تقليل النسل وانقاص البشر ، يتمشى مع مصلحة العالم فى هذا العصر الذى يزعمون ان الارض ضاقت فيه بمن عليها . ولكنهم فى هذا مخطئون كل الخطأ ، فما زال كل أربعين شخصا فى هذا العالم يخصهم من الارض رقعة فسيحة مساحتها ٦٤٠ فدانا . فلا خوف على العالم من الضيق والازمة لان فى الولايات المتحدة الامريكية التى ترتفع عن سائر الدول فى مستواها المادى لا يزيد نصيب الفرد عن ستة عشر فدانا . هذا فضلا عما فى باطن الارض وفى قوى الطبيعة من كنوز يكشف عنها العلم ويستغلها يوما فيوما

وليس هذا التناقص فى سكان العالم نتيجة الاحجام عن الزواج أو التناسل لاسباب اجتماعية واقتصادية فحسب ، بل ان الاضطرابات الفكرية والسياسية التى تسود العالم فى هذه الآونة كثيرا ما تؤدى الى هبوط خطير فى عدد السكان كما حدث فى مدينة فينا سنة ١٩٣٥ حين عصفت بها قوات المانيا ، اذ هبط عدد مواليدها الى ١٢٫١٧٩ نسمة ، بينما ارتفع عدد وفياتها الى ٢٥٫٢٠٥ نسمة ، فلو استمرت هذه الحالة العصبية التى يعانيها العالم فى ميدان الفكر وميدان السياسة لتعرض مستقبل سكانه لخطر شديد

هذا ويلاحظ أن الدول التى تتقدم غيرها فى ازدياد عدد السكان هى أقل الدول اتخاذا للحياة الصناعية واكثرها ركونا الى الحياة الزراعية ، وذلك لاسباب شتى منها سهولة العيش وبساطة الحياة فى التربية الهادئة الساذجة ، ومنها نقاء الجو ووفرة الغذاء فى الريف الصحو الخصيب ، ومنها انتفاء المشكلات الاجتماعية المعقدة التى تدعو الى تأخير الزواج أو تحديد النسل خوفا من المستقبل واشفاقا من طوارئه ، ويلاحظ أن اكثر دول العالم نموا هى فلسطين التى تزداد سنويا بنسبة ٥٫٨١ ./. من مجموع سكانها ، ثم سورية ولبنان ويزدادان بنسبة ٤٫٧٠ ./. أما مصر فتزداد بنسبة ٣٫٨٠ ./.

أعجب متحف فى العالم

انشأت احدى المدن الامريكية حديقة حيوان غريبة مبتكرة ، فهى لا تضم شيئا من الحيوانات

التى تعيش الآن فى الغابات والصحارى والتى تراها فى حدائق الحيوانات الاخرى ، وانما تضم تماثيل لتلك الحيوانات البائدة التى عاشت قبل التاريخ منذ عشرات الالوف من السنين

وهذه الحيوانات تمتاز بضخامتها الهائلة ، ولهذا صنعت تماثيلها من المعدن ، ثم كسيت بطبقة من الاحجار . ولا شك ان هذه الحديقة أعجب متحف فى العالم ، ففيها نجد تماثيل لحيوان يجاوز طوله الطبيعى سبعين قدما ، وحيوان يبلغ عدد أرجله سبعا وعشرين واحدة ، وحيوان يشتمل فكاه على ٢٦٠٠ من الانياب ، وحيوان لايغطى جسده طبقة من الجلد وانما طبقة من العظم الصلد ، وحيوان لم تنبت قرونه فى رأسه بل نبت فى ذيله احد عشر قرنا



وترى هنا رسوم بعض هذه التماثيل الهائلة ، وحبذا لو انشأت حديقة حيوان القاهرة ، التى تعد أولى أو ثانية حدائق العالم سعة وغنى ، متحفا كهذا . فتجمع عصور التاريخ الطبيعى كلها ، كما تجمع اقطار الارض جميعا ، بين أسوارها !

بحر المانش

فى سنة ١٧٨٥ عبر بحر المانش أول منطاد وفى سنة ١٨٧٥ سبح أول رجل ما بين فرنسا وانجلترا . وفى سنة ١٩٠٩ وصلت الطيارة بين الشاطئين لاول مرة . وفى سنة ١٩٢٩ اجتاز هذا البحر أول قارب بخارى ، وفى سنة ١٩٣٠ اجتازه أول قارب بمجاذيف

ولكن أغرب وسيلة اجتاز بها الانسان هذا الخليج ، هى التى اتخذها مدرس استرالى منذ بضع سنوات ، حين انتقل من فرنسا الى انجلترا على عجلة خاصة تنزلق على سطح الماء تشبه تلك العجلة التى تنزلق على طبقة الجليد

توائم

هؤلاء التوائم الخمسة الذين ولدوا فى سنة ١٩٣٤ وما زالوا احياءحتى اليوم بفضل ماحبتهم به الطبيعة من قوة ومناعة ، وبفضل ما شملهم من رعاية دقيقة لم يحظ بمثلها ابناء الملوك — هم كعبة القصاد من انحاء العالم جميعا ، حتى لتقدر حكومة كندا ما ينفقه السائحون الذين وفدوا لمشاهدتهم بأربعة ملايين من الجنيهات فى كل عام !

فلو أرادت كندا ان تحصل على هذا الربح السنوى من مشاريع صناعية أو تجارية تنشئها فى بلادها ، لاحتاجت على الاقل الى رأس مال قدره ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من الجنيهات !

ولتدرك مدى ما غنمته كندا من هؤلاء الاطفال يكفى ان تعلم ان لهم وحدهم الفضل فى تشييد مدينتهم من جديد على أحسن طراز ، وفى انقاذ احدى المدن المجاورة من هوة الافلاس ، وفى شق طرق جديدة يبلغ طولها مائة ميل ، وفى رفع اثمان اراضى المدينة زهاء مليون من الجنيهات، وفى أنفاق خمسة آلاف جنيه فى كل سنة على طعامهم وملبسهم وخدمتهم ، واخيرا فى انشاء أعمال ومشاريع جديدة يبلغ رأس مالها مليونا من الجنيهات . . بل يكفى ان تعلم ان هؤلاء

التوائم انشأوا فى كندا صناعة جديدة يصح أن تسميها « صناعة توائم ديون » وهى تعتبر من حيث ربحها واثرها الصناعة الرابعة فى تلك البلاد

الامواج الفكرية

لا يتميز كل فرد من سائر الناس ببصمات أصابعه فحسب ، بل وباسلوب تفكيره واتجاهه كذلك . فاذا عرضت مسألة ما لجمع من الناس يتشابه أفراده فى تاريخهم الماضى وحياتهم الحاضرة ، وفى مستوى ذكائهم ومقدار ثقافتهم ، وغير ذلك من الاسباب التى تكون ذهن الانسان ، فلن تجد انطباقا تاما بين طريقة اثنين منهما فى بحث هذه المسألة ، ولا فى النتيجة التى ينتهيان اليها بعد التفكير



ولكن كيف السبيل الى معرفة ذلك ، هذا ما توفق اليه أحد علماء النفس فى جامعة كليفورنيا الجنوبية بأمريكا ، فقد أخرج جهازا يقيس به « الامواج الفكرية » ويسجلها على الورق ، كأنها شىء مادى تراه الاعين

وترى هنا هذا الجهاز ممتدا منه سلكان ، وضع أحدهما على الاذن ، ووضع الثانى على مؤخرة الرأس . فارتسم على الورقة المعدة خط متكسر يمثل الامواج الفكرية التى يتميز بها هذا الشخص عن كل فرد سواه

أما قيمة هذا الجهاز العلمية ، فهى انه يمكن من قياس بعض نواحى الذكاء بطريقة عملية واضحة ، غير طريقة الاسئلة والالغاز التى تعتمد عليها أكثر المعاهد فى اختيار تلاميذها ، رغم ان أغلب العلماء لا يشهدون بصحتها ولا يثقون بنتيجتها

طول العمر وكثرة الذكور

هل بلغ جدك أو جدتك سن الثمانين أو جاوزاها ؟ اذا كان الامر كذلك فالغالب أن عدد الذكور فى عائلتك يزيد عن عدد الاناث

فقد أحصى الدكتور فيليب لورنس من اساتذة جامعة « جون هوبكنز » الامريكية عددا كبيرا من الاجداد والجدات الذين بلغوا سن الشيخوخة أو عدوها ، فوجد أن الذكورة قد غلبت الانوثة فى نسلهم . وتعليل هذا فيما يظن ان هناك عاملا مشتركا بين طول العمر والذكورة هو « قوة الجسم » التى تمكنه من مناوءة المرض وتأخير الشيخوخة ، والتى يمتاز بها الذكر عن الانثى غالبا

حوادث السيارات والفيتامين (ا)

نعم ، هناك علاقة بين ما يقع من حوادث السيارات فى اثناء الليل ، وبين نقص كمية الفيتامين «ا» فى غذاء سائقى السيارات ! فقد أثبتت بعض البحوث الطبية الاخيرة ان نقص هذا الفيتامين يؤدى الى ان تعش الاعين فى اثناء الليل ، مما ينجم عنه قسط كبير من حوادث السيارات منذ أن تغيب الشمس الى أن تشرق

وأحسن غذاء يمون الجسم بهذا الفيتامين هو زيت كبد الحوت ، فقد قرر خبراء مكتب مصائد الاسماك ، فى امريكا ، ان ملعقة صغيرة من هذه المادة تشتمل على كمية من الفيتامين ، قدر ما تشتمل عليه ثمانون رطلا من الزبدة أو مائة وستون « دستة » من البيض !

الحركة الفكرية

العبقرية والخلق

ان عبقرية الرجل العظيم كائنة ما كانت القوة الطبيعية المودعة فيها ، لا تستطيع ان تؤكد هذه القوة فى اعمال خالدة الا بواسطة الخلق المتين وقد تبسط فى شرح هذه النظرية الاديب المجرى فرانك رالف فى كتابه (مفتاح العظمة) . واليك خلاصة رأيه :

يعتقد فرانك رالف ان هناك صراعا هائلا ينشب على الدوام بين عبقرية العظيم وبين اخلاقه . فعبقريته التى هى هبة اودعتها الطبيعة فيه، تجاهد لتتحقق وتسيطر وتبدع العظائم . ولكن هـذا الجهاد يصطدم باخلاق العبقرى واهوائه وميوله التى طبع عليها . فان كانت هذه الاخلاق والميول معتلة ضعيفة تنقصها الارادة وما يصدر عنها من قوى الدأب والصبر والعزم وحب العمل ، فالعبقرية تنكمش وتتضاءل وتموت فى نفس صاحبها وتستحيل الى احلام باطلة وتأملات جوفاء لن تتحق ابدا

فالعظيم الحق يجب ان يكون عظيما مرتين كى ينجح . يجب أن يكون عظيما بعبقريته الموهوبة وعظيما بخلقه المكتسب الساعى لتحقيق اغراض عبقريته

ولقـد كان الروائى بلزاك مثلا يشعر بما يضطرم فى ذهنه من قوى الانتاج ، ويشعر ان عليه فى نفس الوقت ان يودع ملذات العـالم ويحبس نفسه فى مخدعه اشهرا طويلة لتحقيق ذلك الانتاج . فلو انه كان ضعيف الخلق واكثر من التمتع بملذات الدنيا على احتمال عذاب التفكير والانتاج ، لاضمحلت عبقريته وفنيت فى ذاته واستحالت الى قوى عاجزة محترقة تكتنفها الآلام

واذن فلا يجب ان يأمن العبقرى لعبقريته . بل يجب ان يتعهدها بقوة الخلق ، ويجب ان يعلم ان عبقريته بلا خلق كشجرة بلا ماء

أساليب الديكتاتورية

هذا هو عنوان كتاب وضعه الكاتب الفرنسى جورج برنار وأحدث به ضجة كبيرة فى الدوائر السياسية الباريسية . ومما ورد فى هذا الكتاب قـول المؤلف : « ان ما نمقته فى الاسـاليب الديكتاتورية الحاضرة هو انها تبعث الى الوجود تلك الاساليب القديمة المرذولة التى خيل الينا ان الحضارة التى عقبت الحرب الكبرى قد نجحت فى القضاء عليها . فهتلر يضطهد الاقليات الدينية كما كان يضطهدها شارل التاسع ولويس الرابع عشر فيما مضى ، وهو وزميله موسولينى ينقضان العهود كما كان ينقضها نابليون فيما مضى

ولا ريب فى ان موسولينى بغزوه الحبشـة واليابان يجدد ذكرى استعمار البوير وفتح الجزائر فالديكتاتورية والحالة هذه تحيى اسـاليب التعصب والاستعمار القديمة وهذا هو وجه الخطر فى الحـالة الاوربية الراهنـة . فلكى تضـع الديموقراطيات حدا لهذه الروح يجب ان تضرب المثل الصالح وتشرع هى نفسها فى تبديل ماتخلف فيها من تلك الاساليب ، فتنصف الشعوب الصغيرة المهضومة الحق وتمنحها اوفر قسط من الاستقلال وتدلل بهذا العمل على الفارق الجوهـرى بين السياسة الديموقراطية والديكتاتورية

وليست العبرة فى ان نتهم الديكتاتوريات بالاستعمار كى نتغلب عليها ونفوز بنصرة الرأى العام ، بل ينبغى لنا ان نحارب نزعة الاستعمار فى انفسنا ونستأصل جذورها من سياستنا . وهكذا نفوز بثقة الدول الصغيرة ونؤكد احترام الحق الدولى ونوطد صروح الديموقراطية الصحيحة

دروس الحرب الماضية

وضع الكاتب الفرنسي الكبير هنرى بيدو سفرا جليلا عن الحرب الماضية ، احصى فيه مختلف العوامل التى اثارتها شتى الاطوار التى مرت بها

وفى استطاعة كل من يقرأ الكتاب ان يتأمل فى ضوئه حوادث الحاضر ويشعر شعورا قويا بأن التاريخ قد يعيد نفسه

فالمانيا كانت تنشد السيطرة وكانت تحلم بمد نفوذها من برلين الى بغداد وكانت تنافس انجلترا فى تسلحها البحرى وكانت تأمل بواسطة تركيا وبلغاريا ان تعرقل جهود خصومها فى البلقان وشرق البحر المتوسط . وكانت فوق هذا كله لا تقيم كبير وزن لاحتمال نجاح بريطانيا فى تأليف جبهة من الدول عليها

والموقف اليوم يكاد يكون نفس الموقف بالامس . فاحلام المانيا لم تتغير ، وقد استعاضت عن النمسا وتركيا بايطاليا واسبانيا ، وهى تأمل بواسطة جهود الايطاليين والاسبان فى البحر المتوسط ان تحقق تلك الاحلام شيئا فشيئا

ومع ذلك فالموقف يختلف فى امرين ، الاول ان انجلترا لم تكشف النقاب عن وجهها بالامس الا فى اللحظة الاخيرة ولم تعلن استعدادها للحرب الا بعد الهجوم على البلجيك . وهى عكس الخطة التى تنتهجها الآن

والثانى ان انجلترا قد شرعت صراحة فى تأليف جبهة لمقاومة الاعتداء وهو ما لم تفعله بالامس

ولا شك ان ما اطمع جيوش غليوم فى النصر هو غموض موقف الانجليز وترددهم واحجامهم وما ترتب على هذا الموقف من شعور الالمان بان بريطانيا قد تلزم الحياد كما فعلت فى حرب السبعين

فهل يدرك الالمان اليوم ان السياسة البريطانية قد تبدلت ، وان التحول البريطانى حقيقة لا مناورة ، وهل ينجح هذا التحول فى اقناع الالمان وخدمة السلم ؟

تلك هى المسألة !

جنون المنتحرين

لماذا يقدم الانسان على الانتحار ، وكيف تتسلط عليه فكرة القضاء على نفسه ، وما هى العوامل التى تخالجه فى تلك اللحظة الرهيبة ؟ هذه هى الاسئلة التى يجيب عنها الباحث السيكولوجى الانجليزى هنرى فردريك مارتن فى كتابه الجديد (جنون المنتحرين)

ويعتقد المستر مارتن ان اسباب الانتحار تنحصر فى عامل نفسانى واحد وتصدر عنه وتنحدر منه . وهذا العامل هو الشعور العميق بفراغ النفس من غاية أو عاطفة كانت مسيطرة على المجموع الفكرى

فالمنتحر كان فى عرف المستر مارتن انسانا يعيش خاضعا لفكرة قوية ثابتة . أى لغاية عظيمة تستغرق جهاده ، أو لعاطفة عظيمة تملأ قلبه . فهذه الغاية أو تلك العاطفة كانت سبب حياته . وهذه الظاهرة ملحوظة عند المجانين ، فهم لا يهتمون الا بشىء واحد ولا تنصرف عنايتهم الا لامر واحد ولا يتصورون الحياة الا من خلال هذا الشىء المعين الذى يحتل اذهانهم ويحجب عن عيونهم بقية صور الحياة

واذن فانهماك الانسان فى غاية واحدة أو عاطفة واحدة ، بحيث تفتر امام انظاره بقية العواطف والغايات ، وتستحيل مفاتن الكون الى سخائف وترهات ، هذه الظاهرة هى التى تتوده الى الانتحار متى ايقن ان غايته العظيمة قد تلاشت وان عاطفته المثلى قد تبددت وان نفسه أصبحت خاوية مما كان ينعشها ويحييها ويجدد نشاطها ويملأ فراغها العميق

ويستخلص المستر مارتن مما تقدم ان المنتحر كان مجنونا بفكرة ثابتة قبل اقدامه على الانتحار وان انعدام هذه الفكرة الثابتة هو الذى أوصد

ابواب الحياة فى وجهه ودفعه الى الانتحار

فالخطر والحالة هذه كامن فى ميلنا الفطرى الى التعلق بفكرة أو عاطفة أو غاية تجمع فيها كل مفاتن الدنيا ونعتقد انها اجمل واروع وابقى ما فى هذا العالم

فعلينا ان نقاوم هذه النزعة وان ندرك ان الحياة حافلة برغبات اخرى وعواطف اخرى والا ندع خيالا واحدا يستحوذ علينا والاتعرضنا فى حالة فقدان هذا الخيال للشعور الشديد بالخيبة المقرونة باليأس . وهو الشعور الهائل الذى قد يؤدى بنا الى التفكير فى الانتحار

دع الموتى يدفنون موتاهم

هو اسم قصة شائقة وضعها الروائى الروسى جلادكوف وفيها يحمل على اولئك الذين يسرفون فى حب موتاهم ، ويعيشون معهم فى عالم الذكرى ، وينسون الواقع أو يتناسون ، ويتخذون من الرجعة الى الماضى ومن تجديد واحياء الماضى اكبر متعة وسلوى

وقد مثل الروائى فى قصته شابا يؤمن بعقيدة مؤداها ان حب الانسان للانسان يجب ان يتجلى اثناء الحياة لا بعدها . فاذا كنت مولعا بامرأة أو محبا لصديق فعليك ان تخلص لهذه المرأة فى حياتها وان تبذل قصاراك لاسعادها وان تجود بالنفس والنفيس من اجلها أو من أجل الصديق المقرب الى روحك العزيز عليك

ولكن متى حم القضاء ، وانتزع الموت منك المرأة او الصديق فيجب الا تحزن ، ويجب الا تدع الحزن يستغرق حياتك فتعيش فى اطلال الماضى وخرائب الزمن ، بل عليك ان تنقل رغبة الاسعاد وعمل الخير من الاموات الى الاحياء . عليك ان تخدم الاحياء البائسين المحرومين الاشقياء وهكذا يفيد العالم من حبك لموتاك وتنقذ انت نفسك من حزنك السلبى الذى لا ينفعك ويكرب الآخرين

وهذه العقيدة يمكن ان تصادف هوى من نفوس المؤمنين والمتشككين على السواء

فالمؤمن الذى يسلب الموت احبابه ، يستطيع ان يكفر عن آثام هؤلاء الاحباب بالاقبال على خدمة كل حى بائس شقى ، فيتقرب بذلك الى الله ، ويشفع لارواح موتاه

والمتشكك المرتاب ، يستطيع ان يشعر بان الحياة فى ذاتها قوة باقية ، وان شرف الانسانية ينحصر فى تكريمه ذكرى الاموات بالتفانى فى خدمة الاحياء

فكلما اختفى عن ابصارك حبيب فتعزى عن فقده بخدمة كائن بائس حى . واعلم ان لو زدت الى الحبيب حياته لازداد حبه لك لانك تغلبت فى حبه على الانانية وجعلت من حبه قوة تشمل جميع التعساء

نار الغيرة

هو اسم كتاب طريف للباحثة الاخلاقية الاسوجية مدام روز كيل ، تناولت فيه تحليل الكوارث التى تحدثها عاطفة الغيرة فى الحياة الزوجية . ومن اعمق ما ورد فى هذا الكتاب قول المؤلفة ان الغيرة سواء اصدرت عن المرأة أم عن الرجل هى فى الواقع سبيل التدهور والسقوط . فالمرأة التى تسرف فى الغيرة تجعل من حبها وقرا على الرجل فيبغضها ويستنكر منها اذلالها اياه وينتهى به الامر الى احتقارها واحتقار حبها والتبرم بسلطان هذا الحب والتوق الى الخيانة التى تشعره بحريته وترد اليه فى نظر نفسه احساسه بالرجولة والكرامة

واما الرجل الذى يسرف فى الغيرة ، فلا بد ان يفتح ابصار المرأة على عالم الشر ويوحى اليها بالفساد ويغريها به ويضاعف احساسها بأن لها من قوة الغواية والفتنة ما قد يذهب بلبها ويدفعها الى السقوط

وترى مدام كيلى ان خير علاج للغيور ، رجلا كان أم امرأة ، هو توخى البساطة والصراحة وتجنب الكذب فى كل شئ

فمتى كان الرجل صريحا مع امرأته لايكتم

عنها شيئا ، ومتى كان بسيطا متحفظا فى علاقاته مع بقية النساء ، ازال من نفس امرأته الشكوك التى يحدثها الكذب والمراوغة والتى تولد فى الغالب عاطفة الغيرة

وما يسرى على الزوج يسرى على الزوجة ايضا

فكلما كانت حياة الزوجين واضحة ، وكلما احس الزوجان ان الواحد منهما يعرف عن الآخر كل شيء ، تقلص بينهما ظل الغيرة ، واتجهت حياتهما نحو السعادة والصفاء

وقد استشهدت مدام كيلى بنفسها وقالت ان سر سعادتها الزوجية كامن فى انها لم تقصر يوما واحدا عن مصارحة زوجها بكل ما فعلته اثناء النهار . وكذلك كان زوجها يكاشفها بكل صغيرة وكبيرة مرت به خلال يومه ، فكان يشعر كل منهما بان حياة الآخر واضحة امام عينيه لا يحجبها غش أو كذب او نفاق

وهكذا لم يعرفا الغيرة ولم تتطرق الى نفسيهما هذه العاطفة البغيضة التى تنهش الحياة كالسم البطىء ولا تلبث ان تلتهمها كالنار الآكلة

الاسرة الفرنسية

هو اسم كتاب وضعه الاديب الامريكى جيرارد سيمونز بعد رحلة طويلة قضاها فى فرنسا . ويمتاز الكتاب بأنه صرخة دفاع حارة عن نظام الاسرة الفرنسية . فهذه الاسرة فى عرف المستر سيمونز اقوى الاسر الاوربية واثبتها على الزمن واشدها احساسا بالروابط العقلية والاقتصادية التى تؤلف بين افرادها . وترجع هذه القوة الى شخصية المرأة الفرنسية والى نظرة الرجل الفرنسى اليها

فالرجل الفرنسى خلافا لما هو شائع خارج فرنسا ، رجل محافظ شديد الغيرة على عرضه لا ابغض الى نفسه من ان يكون مخدوعا ومن ان تعبث به امرأته فتجعله مثار هزؤ وسخرية . ولكنه وهو ينشد فى زوجته الاستقامة والشرف لا يعتقد ان عفة المرأة هى وحدها رمز فضيلتها . ولذا تراه ينشد بجوار العفة طائفة من الاخلاق القويمة الاخرى التى تنهض عليها حياة الاسرة

فالعفة فى نظره فضيلة عظيمة ولكنها فضيلة سلبية لا تثمر الا متى اقترنت بفضائل ايجابية كحب العمل وحب الاقتصاد وحب النظافة وحب النظام والتفانى فى خدمة البيت والاولاد

هذا ما يطلبه الفرنسى فى زوجته . فاذا لم يجده فيها طلقها على الفور . واما اذا وجده اخلص لها وتفانى هو أيضا فى خدمتها وخدمة ابنائها

وحيث ان المرأة التى تجمع بين الفضائل السلبية والايجابية هى المثل الاعلى عند الفرنسيين باعتبار انهم من الشعوب المحافظة اصحاب الملكيات الصغيرة والحضارات العريقة ، فنظام الاسرة الفرنسية يقوم على المرأة التى تحفظ الملكية بعفتها ونشاطها وتأهبها الدائم للعمل وتوقد حاسة الاقتصاد فيها

وهذا ما يفسر لنا اعتماد الزوج الفرنسى على زوجه ، وركونه اليها ، واخذه بارشاداتها ونصائحها ، وتسليمه المطلق لها بادارة شؤون البيت والتصرف فى موارده

والواقع ان الزوج الفرنسى أسعد الناس واشدهم حرية واكثرهم اطمئنانا واقدرهم على التمتع بالحياة . وذلك لان اكبر الجهد تقوم به زوجته . فهو يمنحها ثقته وهى تجاهد لتكون عند حسن ظنه بها . فكأنه بنزوله عن بعض سلطانه لها يعوض نقصها النسوى ويشعرها بقيمتها ويضاعف فى نفسها احساس الواجب والمسؤولية

الكتب الجديدة

الطفل من المهد الى الرشد

بقلم الاستاذ محمد خلف الله

(المطبعة الرحمانية بمصر صفحاته ٣٠٠)

الاستاذ محمد خلف الله المدرس بجامعة فؤاد الاول من خيرة المثقفين النوابغ الذين توافروا على دراسة الفلسفة والعلوم النفسية والاجتماعية ومختلف النظريات الحديثة في فن التربية العصرية وقد تناول فى كتابه الشائق موضوعا من الاهمية بمكان عظيم وهو تحليل شخصية الطفل وتحليل شتى مراحل نموه واكتماله العقلى

والكتاب ينقسم الى قسمين ، قسم يبحث فى مظاهر النمو العقلى عند الطفل فى تفكيره ومنطقه وفى ذكائه ولغته ، وقسم يبحث فى نموه الاجتماعى والوجدانى وترقى اخلاقه وشخصيته

وقد حرص المؤلف النابغ فى اسلوبه على اتباع النسق العلمى ، فنسب النظريات الفكرية الى اصحابها ، ودلل على مصادرها ، واستمد بحوثه من احدث الكتب التى ظهرت فى ربع القرن الاخير ، فجاء كتابه مصدرا عربيا لاهم ثمار الجهود التجريبية التى قام بها العلماء فى تربية الطفل فى السنوات الاخيرة

والواقع ان علم النفس يعود باجزل الفوائد على حياة الفرد والجماعة . ولقد وضعت نتائجه فى اوربا وامريكا موضع التطبيق ، فاصلحت بها مرافق ، ونظمت شؤون ، وعولجت نواحى نقص وضعف . ونحن اليوم فى مصر والشرق العربى احوج ما نكون الى دراسات من هذا الطراز نستشف بواسطتها جوهر انفسنا ونعدل بها سلوكنا ونقيم على اساسها تربية النشء المعد لحياة جديدة وعصر جديد

ومن أهم الفصول التى ابدع الكاتب تنسيقها وعالج فيها موضوعات نفسية وخلقية واجتماعية خطيرة هى تلك التى تدور حول علاقة علم النفس باللغة ، ونشوء لغة الطفل ، وخصائص منطقه ، ومقاييس عقليته وذكائه ، وتحليل ملكاته ومواهبه ، وترقية شعوره الاجتماعى والوجدانى ، وتكوين شخصيته فى مرحلة البلوغ

ولا شك فى ان الكتاب ثمرة جهد مطرد شاق ، ونتاج علم واسع وثقافة غزيرة ، وهو سفر لا يستغنى عنه المربون . ولو وعاه كل معلم مصرى وشرقى واجرى ما اشتمل عليه من تجارب على الاطفال والصبيان لافاد منه فائدة كبيرة ، فمما لا يقبل الريب ان التربية فى الشرق العربى تحتاج الى هذه التجارب الجديدة والبحوث القيمة التى توجه النشء الجديد وجهة صالحة وتخلق منه للبلاد جيلاقويا نافعا يستطيع الاضطلاع فى المستقبل بعظائم الامور

عاصفة فوق مصر

بقلم الاستاذ عصام الدين حفنى ناصف

(مطبعة فتى النيل بمصر فى ١٣٠ صفحة) .

يتجه الفن القصصى الاوربى فى هذه الايام نحو التحرر من دراسة الفرد وعواطفه وانفعالاته الى دراسة المجموع ومختلف المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تعترض نموه وتطوره

ولقد كان معظم الروائيين فيما مضى يهتم بتحليل شخصية الفرد وعرض ميوله وأطواره وشرح ما خفى من دقائق نفسيته ، وكان الغرض من هذا الفن اماطة اللثام عن طبيعة الانسان توطئة لتهذيب فطرته وترقية مشاعره بتمكينه من معرفة نفسه وتحكيم عقله فى توجيه غرائزه وجهة تعود بالخير على شخصه وعلى المجتمع الذى يعيش فيه

فالفكرة المسيطرة على الروائيين كانت ترمى الى اصلاح المجتمع من طريق تهذيب الفرد والسمو به . ولكن هذه الفكرة استحالت عند طائفة كبيرة من القصاصين المعاصرين الى عكسها تماما . أى الى محاولة اصلاح المجتمع نفسه وترقية أنظمته تمهيدا لترقية الفرد وتحريره واشعاره بكرامته وانسانيته

فالفرد فى رأيهم محكوم بأوضاع المجتمع ، ولا سبيل الى ترقيته الا بترقية هذه الاوضاع التى تسيره وتستبد به ، وتكيف حياته المادية وحياته المعنوية على السواء

لذلك عنيت تلك الطائفة من الروائيين وفى طليعتها مكسيم جوركى وابتون سنكلير وهنرى بربلاى وبول نيزان واضرابهم ، بوصف وتحليل خصائص بعض النظم والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية الفاسدة التى تعرقل تطور المجموع وتؤثر بالتالى فى تطور الفرد

وقد نحا الاستاذ عصام الدين حفنى ناصف فى قصته الشائقة نحو أولئك الكتاب ، فنقل أدبنا القصصى المصرى من دراسة الفرد الى دراسة المجموع ، وتناول وصف وتحليل حياة الفلاحين المصريين البائسة وما يلاقونه من اضطهاد نظار الزراعة ، وما يعترض طريق رقيهم من مفاسد مروعة يشعر بها كل من قضى ردحا من الزمن متجولا فى الريف المصرى

وتمتاز قصة الاستاذ ناصف ببساطة أسلوبها، ودقة ملاحظاتها ، وشيوع روح الصدق فيها مقترنة بحرارة الرغبة فى اصلاح ريفنا وانصاف الفلاح المصرى الذى هو عماد حياتنا

فالفواجع التى يثيرها استبداد نظار الزراعات والفوضى التى تصدر عن تصرفاتهم ، والبؤس الذى يلحق الفلاحين منهم ، كل ذلك يعرضه المؤلف فى حوادث منتزعة من صلب الواقع الذى تشهده فى الريف المصرى كل يوم

وصفوة القول ان الاستاذ عصام ناصف خطا بالقصة المصرية خطوة جديدة

المرأة العربية وقضية فلسطين

سجل تاريخي لابحاث المؤتمر النسوى الشرقى

(المطبعة العصرية فى ٢٨٠ صفحة)

قامت السيدات فى الاقطار العربية بتشكيل لجان فرعية للدفاع عن فلسطين والوقوف فى وجه الظلم الواقع بهذا البلد المنكود ، والعمل على تخفيف ويلاته بما يمكن ان تسديه المرأة من تشجيع المجاهدين فى سبيل حرية بلادهم ، ومن معونة الى الايتام والارامل والثكالى . وكان من أثر هذه الحركة المباركة ان نبتت فكرة اقامة المؤتمر النسوى الشرقى للدفاع عن فلسطين ، وتولت تنفيذها حضرة صاحبة العصمة السيدة هدى هانم شعراوى ، فعقد المؤتمر فى القاهرة بدار الاتحاد النسوى المصرى فى ١٥ اكتوبر عام ١٩٣٨

ففى هذا الكتاب مجموعة الخطب الرائعة التى القتها مندوبات الاقطار العربية وفى طليعتهن السيدة هدى شعراوى رئيسة المؤتمر والسيدات طرب عونى عبد الهادى ، وبهيرة نبيه العظمة ، ونجلا كفورى ، وايفلين بسترس ، ووجيدة الخالدى وغيرهن من فضليات السيدات العربيات المجاهدات فى سبيل اقرار حقوق فلسطين الشهيدة الدامية

والواقع ان الكتاب يسجل صفحة مجيدة من تاريخ النهضة النسوية العربية عامة ، والنهضة السياسية العربية خاصة واتجاهها نحو تحقيق تلك الوحدة الاسلامية العربية التى ما ينفك الاستعمار الاوربى يسعى لتفريق شملها

ولقد كانت مأساة فلسطين عاملا قويا من عوامل تكوين تلك الوحدة المباركة التى قامت سدا منيعا فى وجه الاستعمار وحصنا امينا للعروبة والاسلام

هيا كل الحب

بقلم الاستاذ حسنى فريز

(طبع بمطبعة الاعتدال بدمشق فى نحو ٢٠٠ صفحة)

عندما تقترن العاطفة المشبوبة والمخيلة الوثابة بالعقل المثقف الناضج ، يرتفع مستوى الشعر ويزداد اتصالا بالحياة الواقعة ويشعر قارئه انه معرض رائع لصور زاخرة بالحقيقة والجمال

ولقد اقترنت قوى العاطفة والخيال والعقل وانسجمت وتآلفت فى ديوان (هياكل الحب) للاستاذ حسنى فريز ، وفيما اشتمل عليه هذا الديوان من مقطعات غرامية تختلج صدقا وحرارة وحياة

والواقع أن الاستاذ حسنى فريز لا ينظم لمجرد الرغبة فى النظم ، ولا يأخذه رنين القافية فيقرض الشعر لمحض التمتع بموسيقاه، أو يستخفه الطرب اللفظى فيضع قصائد محكمة الصياغة فحسب ، بل هو شاعر يستقبل مختلف العواطف البشرية ثم يوطئها أكنافه ثم يحنو عليها ثم يدعها تتغلغل فى عقله الباطن ثم يبرزها فى قصائد عصماء بعد اذ تكون قد نضجت فى أعماق نفسه واستوفت عناصر القوة والاجتلاء

وأجمل هذه القصائد : (أحبك) و (خيانة) و (عناد) و (تردد) و (عتاب) و (شكوك) وفيها كما ترى يصور الشاعر شتى انفعالات الحب ومتعدد أطواره وأهم المراحل النفسية التى يمر بها ، تصويرا صادقا دقيقا يصدر عن قلب أحب وتألم ، وعن عقل واسع الاطلاع غزير الثقافة يلاحظ الانفعالات النفسية ويحللها فى اطار من الخيال الشعرى تضاعفه بلاغة الاسلوب فتنة وسحرا

ولقد أبدع الاستاذ حسنى فريز فى وضع قصة (الطوفان) وهى مسرحية شعرية خيالية مستمدة من أساطير بابل نحا فيها نحو كبار شعراء الغرب الرمزيين فجاءت غرة من غرر الادب العربى الحديث

النظام الاقتصادى فى العراق

بقلم الدكتور سعيد حمادة

(مطبعة جامعة بيروت الامريكية فى ٦٥٠ صفحة)

رأى قسم العلوم فى جامعة بيروت الامريكية ان يعهد الى الدكتور سعيد حماده استاذ الاقتصاد العملى فى هذه الجامعة بوضع ثلاثة بحوث شاملة عن النظام الاقتصادى فى سوريا ولبنان ، وفى فلسطين ، وفى بلاد العراق

والواقع ان اهمية مثل هذه الدراسات تنحصر فى انه يمكن ان تتخذ منها البلدان المذكورة اساسا لتنظيم برامجها الاقتصادية ، وفى انها تساعد على ايجاد التعاون بين الجماعات الاقتصادية فيهـا ، وفى انه يمكن استخدامهـا كمراجع للاقتصاديين ، وفى انها ذات قيمة تاريخية تحدد الحياة الاقتصادية لبعض البلدان العربية فى زمن معين وقد تستخدم فى المستقبل كاساس للمقابلة والقياس والنقد المقارن

واهم موضوعات كتاب النظام الاقتصادى فى العراق تدور حول تحليل النظـام الادارى ، والبحث فى تعداد السكان وتجانسهم وفى مرافق العراق الطبيعية ، وفى شؤون الزراعة والصناعة والمواصلات والتجارة الداخلية والخارجية وانظمة النقد ونظام الحكومة المالى

وجملة القول ان هذا الكتاب يسجل حياة العراق الاقتصادية الحديثة ، وهو صورة كاملة الجوانب لمرحلة التقدم التى اجتازتها تلك البلاد

والواقع ان الاستاذ المؤلف قد استوفى البحوث الفنية التى عرض لها ، ودعمها بمختلف الاحصاءات والاسانيد العلمية ، واخرج كتابا جامعا يفيد منه العراقى والسورى والمصرى وكل هيئة أو حكومة عربية تفكر فى وضع برامج اقتصادية لمدة قصيرة أو طويلة

ولا شك فى ان مجموعة دراسـات المؤلف الفاضل تصب اضواء رائعة على جوهر الحياة

العملية في الاقطار الشقيقة وتشعرنا بما قطعته تلك الاقطار الناهضة من اشواط بعيدة في ميدان الحياة الاقتصادية العصرية التي هي اساس كل نهضة وكل رقي

نهلة الظمآن

في الخطابة والكتابة والشعر والبيان
بقلم الاستاذ جرجس الخوري المقدسي

(مطبعة الوفاء بيروت في ١١٢ صفحة)

هذا الكتاب مجموعة محاضرات في الصرف والنحو والفصاحة والبلاغة والتشبيه والكناية ، ومختلف اوزان الشعر ، وشتى فنون الخطابة ، ومتعدد الاساليب التي يأخذ بها الادباء من خطباء ومؤلفين وصحفيين

وقد وضع الاستاذ المؤلف كتابه للطلبة ، فبسط لهم بحوثه ، ويسر عليهم فهم اجزائها وتفاصيلها ، وقرب اليهم اسرار اللغة العربية ، واشعرهم بانها كنز من البلاغة في وسع الذكي منهم ان يجمع الرائع من درره وان يصوغها في أي الاساليب شاء

ولقد وفق المؤلف الى ابعد حد في التحدث عن شخصية الخطيب ، واثر ثقافته في خطبه ، واثر تلك الاستجابة النفسية التي لا بد ان تنشأ بينه وبين السامع كي تحدث خطبته تأثيرها العميق المنشود

تاريخ البيمارستانات في الاسلام

بقلم الدكتور احمد عيسى بك

(المطبعة الهاشمية بدمشق في ٣٠٠ صفحة)

كان يعبر عن المستشفى بكلمة بيمارستان في العهد الاسلامي . وكانت البيمارستانات منشآت كالعمائر والمساجد والتكايا والمدارس يشيدها الخلفاء والسلاطين والملوك والامراء واهل الخير صدقة وحسنة وخدمة للانسانية وتخليدا لذكراهم . ولم تكن مهمتها قاصرة على مداواة المرضى ، بل كانت في نفس الوقت معاهد علمية ومدارس لتعليم الطب يتخرج منها المتطببون والجراحون

واول من بنى البيمارستان في الاسلام هو الوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي . فقد جلب اليه الاطباء واجرى عليهم الارزاق وامر بحبس المجذومين واجرى الارزاق عليهم وعلى العميان أيضا

فدراسة هذا الجانب من تاريخ التمدين الاسلامي هو الذي عني به الدكتور احمد عيسى بك ، فتحدث في كتابه عن نشأة البيمارستانات ونظامها وعددها في البلاد الاسلامية ، وشخصيات كبار اطبائها ، ومختلف الجهود التي قامت بها . وقد رأت جمعية التمدن الاسلامي بدمشق في نشر هذا السفر الجليل حافزا لاحفاد اولئك الابطال ليصلوا ما انقطع من تاريخهم على يد المؤلف النابغ الذي ارسل كتابه من مصر ليطبع في دمشق ، مفتتحا بذلك عهد تعاون ادبي بين اعظم حواضر الثقافة الاسلامية في العالم العربي

كنانة الشطرنج العصري

بقلم جبرائيل نصرة بك المهندس

(المطبعة المصرية الاهلية في ٥٠٠ صفحة)

شاعت لعبة الشطرنج في اوربا وفي الاوساط الشرقية الراقية ، وهي لعبة الملوك والامراء واصحاب الفكر الثاقب والنظر البعيد . ولقد كانت فيما مضى اللهو المفضل عند بعض ملوك الشرق ، وهي اليوم في عرف الاوربيين اشهر لعبة يتطلب التفوق فيها الشيء الكثير من المهارة والحذق والذكاء . وقد تمكن الاستاذ جبرائيل نصره بك من وضع أول كتاب عن هذه اللعبة باللغة العربية ، فسرد تاريخها ، وحدد أوضاعها، وعين أصولها ، وذكر جهود ابطالها في أوربا وفي مصر والشرق العربي ، فجاء كتابه تحفة نادرة ، ومرجعا فنيا يهم الاطلاع عليه كل محب للعبة الشطرنج وكل راغب في التمكن منها والتفوق فيها

والحق ان امثال هذه الكتب نادر فى مصر ، وان العناية بضروب اللهو البرىء الذى يفتق الذهن ويطرب العقل ، وينمى ملكات الملاحظة والتفكير ، أمر لا بد منه لترقية حياتنا الاجتماعية وتعليمنا كيف نفيد من ساعات فراغنا

ولقد ابدع المؤلف فى تنسيق اجزاء كتابه وصاغ موضوعه فى اسلوب محكم جزل يقرب دقائق لعبة الشطرنج الى ذهن القارىء ويحببها اليه ويرغبه فى التوفر على دراسة اوضاعها وتفاصيلها

الأميرة

بقلم الآنسة جميلة العلايلى

الآنسة جميلة العلايلى من انبغ اديباتنا ، وادقهن احساسا ، واوفرهن ثقافة ، واقدرهن على التحدث عن المرأة وعواطفها واتجاهها الفكرى والوجدانى . والآنسة جميلة العلايلى شاعرة قبل كل شىء ، شاعرة فى مقالاتها ، شاعرة فى قصصها ، وان كان شعرها الصادق يتجلى فى منظوماتها خالصا حرا

فقصة (الاميرة) باكورة اعمالها القصصية الكبيرة ، وهى قصة شعرية خيالية تطلق فيها المرأة لتصوراتها العنان ، وتسبح فى محيط الهوى العذرى وما يكتنفه من رائع الآمال والاحلام

والواقع ان الهوى العذرى بصفائه ، ونقائه ، واحلامه الخلابة ، وسعيه المطرد فى سبيل تحقيق مثل عاطفى اعلى ، هو مادة هذه القصة الشائقة التى تنبع من قلب كريم ونفس حساسة وصدر تواق الى الحياة الرحبة فى جو شعرى تجرد من شوائب الارض وادرانها

ويدور موضوع القصة حول شخصية فتى هام حبا بفتاة فاصطنع الفقر ليمتحنها فتبين له ان حبها اقوى من المادة فاخلص لها ومنحها ذاته عن طيبة خاطر

فانت ترى ان القصة تمجد الحب المنزه عن الغرض ، الحب المنزه عن الغرض الجثمانى والغرض المادى ، الحب الذى ما ينفك يحتل اخيلة العذارى ويتم عما طبعت عليه قلوبهن من الايمان بالخير والرغبة فى تحقيق السعادة المثل

ولقد صاغت الآنسة جميلة العلايلى قصتها فى اسلوب ممتع جزل ، يتخلله حوار لطيف ، وبعض قصائد شعرية فاتنة ، وومضات تحليل نفسى تكشف عن غوامض شخصيات الابطال ، وتصب ضوءا ساطعا على تطور انفعالاتهم النفسية

وصفوة القول ان المؤلفة الفاضلة قد وفقت الى ابعد حد فى تصوير عاطفة الحب عند العذارى ، وعسى ان تتدرج فى قصة تالية فتصف لنا هذه العاطفة عند المرأة كزوجة وأم . ولا ريب ان مستقبلا قصصيا زاهرا ينتظر الآنسة جميلة العلايلى ، وأول الغيث قطر

نوت حتب أو الفضيلة المضطهدة

بقلم السيدة نبوية موسى

(مطبعة المقتطف بمصر فى ٧٠ صفحة)

تتضمن هذه القصة التمثيلية اسباب حرب الاستقلال التى قام بها المصريون القدماء فى مدة الاسرة السابعة عشرة حتى تهيأ لهم طرد الهكسوس فى أول عهد الاسرة الثامنة عشرة على يد الملك أحمس ابن سكنن رع الثالث الملقب بالفاتح ، كما تتضمن كثيرا من عادات المصريين القدماء ومعتقداتهم وطرق محاكماتهم وكيفية انعقاد محاكمهم واصول تشريعهم فى ذلك الوقت

ووجه الطرافة فى هذه القصة ان مؤلفتها الفاضلة جعلت من حوادثها صورا حقيقية لاخلاق بعض المعاصرين وتأثير التطورات السياسية فيهم ، فجاء التاريخ مطابقا لروح العصر الحاضر ، وثيق الصلة بظواهر الحياة الملحوظة اليوم فى مصر الحديثة

أما أسلوب القصة فعربى خالص يمتزج فيه النثر بالشعر ويفوح منه عبير وطنى ، ينعش النفوس ، ويستنهض العزائم فى سبيل احياء تراث مصر واستعادة مجدها القومى

بين الهلال وقرائه

السيطرة على الغرائز

(المنيا — مصر) أديب خزام

هل ترجم الى العربية كتاب « كيف تسيطر على غرائزك » لهنرى مونترلان ؟

(الهلال) كلا . ولكن لعلكم تنتفعون فى هذا الموضوع بقراءة كتاب « الغرائز » للاستاذ محمد حسنين الغمراوى بك

أثمان الكتب

(الاسكندرية — مصر) جستون مزراحى

لماذا لا تكتبون أثمان الكتب التى تذكرونها فى باب « الكتب الجديدة » ؟

(الهلال) ليس من الميسور لنا معرفة أثمان الكتب لان الناشرين عندنا لم يتعودوا ذكر الثمن على غلاف الكتاب كما يفعل اكثر الناشرين الانجليز مثلا . فنكتفى بذكر « الناشر » ليتصل به من يريد شراء الكتاب

موت أعضاء الجسم

(دمشق — سورية) مطر ابراهيم

هل صحيح أن بعض أعضاء الجسم تظل حية بعد أن يلفظ الانسان نفسه الاخير ؟ وهل ينمو الشعر وتطول الاظافر بعد الموت كما يعتقد بعض الناس ؟

(الهلال) ذكرنا فى تقويم الهلال عن سنة ١٩٣٨ فى مقال « العلم يحاول احياء الموتى » ما يلى :

« الموت لا يدرك الجسم كله دفعة واحدة ، بل يصيبه عضوا عضوا حتى يأتى عليه جميعا . وأول عضو يدرك الفناء هو المخ ، ومعنى فنائه أن خلاياه تموت ، وما دامت الخلايا قد ماتت فلا سبيل الى احيائها . ثم يموت الكبد عقب المخ ، ثم يموت القلب بعد الاثنين . واما سائر الاجزاء فيدركها الموت على هذا الترتيب : العضلات ، فالمعدة ، فالغدد ، فالغضاريف ، فالعظام ، فالجلد أخيرا »

وقد قرأنا أخيرا فى احدى المجلات الانجليزية الراقية أن المخ يظل حيا بعد الوفاة مدة عشر دقائق ، وعضلات القلب عشرين دقيقة ، والعينين نصف ساعة ، والاذنين ساعة ، وعضلات الاذرع والارجل اربع ساعات ، والكرات الدموية ١٨ ساعة ، والعظام ثلاثة أيام ، والجلد خمسة ايام

اما نمو الشعر والاظافر بعد الموت فهو من الخرافات الشائعة ، وكل ما يحدث أن عظام الرأس وجلود الاصابع تنكمش عقب الموت ، فتنكشف أجزاء من جذور الشعر والاظافر ، فيخيل الى الرائى انها قد نمت وطالت

الاتراك والايرانيون

(الموصل — العراق) قارىء

هل ينتمى الجنس التركى والجنس الايرانى الى أصل واحد ؟

(الهلال) كلا ، فالاتراك من الجنس المغولى الذى نشأ فى « منغولية » وانتشر منها غربا وشمالا فى ربوع آسيا واوربا . وهم ابناء عم « قبائل الهون » التى اجتاحت شرق أوربا تحت أمرة « أتيلا » الجبار ، و « قبائل الاتراك السلاجقة » التى استبدت بملك العباسيين وخلفتهم فى بلادهم . ومنشأ الاتراك الحاليين قبيلة مغولية صغيرة تدعى « الاغوز » فرت من ديارها فى أواسط آسيا حين أغار عليها جنكيزخان ثم حفيده هولاكو ، وغربت حتى وصلت الى آسيا الصغرى تحت امرة زعيمها « ارطغرل » والد

« عثمان » الذى تنسب اليه الدولة العثمانية

اما الايرانيون فمن الجنس الآرى الذى نشأ فى شمال الهند ، ثم ارتحل الى الغرب حيث تشعب الى قبائل شتى قامت كل منها بدور خطير فى تاريخ الحضارة الانسانية . فان دم هذا الجنس تجرى فى عروق الاغريقيين ، وفى عروق الرومان . واخلافه فى العصر الحديث هم التيوتون والجرمان الذين لا شك فى قوتهم وكفاءتهم . والايرانى أقرب الناس الى الالمانى والى الهولندى فى قسمات وجهه ، وتركيب جمجمته ، بل وفى لهجة حديثه

تخفيض قيمة النقد

(بئر السبع ــ فلسطين) شكرى سليم الترك

ماذا تجنى الدولة من تخفيض قيمة نقدها ؟ الا تضر تجارها واغنياءها ما دامت تتعامل مع الدول الاخرى على اساس قاعدة الذهب ؟

(الهلال) لم تخفض الدول قيمة نقدها مختارة ، وانما مكرهة . فقد راعها عقب الحرب الكبرى ما أصاب قيمة نقدها الورقية من تدهور خطير ، ولم تر خلاصا من هذه الحال التى تدفعها الى الافلاس الا بتثبيت قيمة نقدها على قاعدة الذهب . ففى مؤتمر جنوه سنة ١٩٢٢ قرر كبار الاخصائيين فى المسائل النقدية انه لابد للدول من أن تمتنع عن تضخيم نقدها ومن أن تثبت عملتها على أساس الذهب

وقد رأت بعض الدول ــ واهمها فرنسا وبلجيكا ــ انها لا تستطيع ان تثبت عملتها على أساس قيمتها الاصلية ، فقد هبطت قيمتها هبوطا فاحشا وارتفع سعر صرفها ارتفاعا غريبا . حتى لقد بلغ سعر الجنيه الانجليزى فى بورصة باريس يوم ٢٠ يوليه سنة ١٩٢٦ مائتين وثلاثة واربعين فرنكا ! فاضطرت حكومات هذه الدول الى أن تثبت نقدها على أساس قيمة أقل من القيمة الاصلية لعملتها . وهو ما يعرف بالفرنسية باسم dévaluation ففى ٢٥ يونية سنة ١٩٢٨ أصدرت فرنسا قانونا بتثبيت عملتها على اعتبار ان الفرنك فقد ٨٠ ٪ من قيمته الاصلية تقريبا

وقد لقيت هذه السياسة النقدية معارضة شديدة من جانب كثير من الباحثين الذين كانوا يرون أن فى وسع الدولة تثبيت قيمة نقدها على أساس مرتفع يقرب من قيمته الاصلية ، وكانوا يقولون ان فى ذلك تقوية لنفوذ الدولة المالى وتعزيزا لثقة الدول والمولين بها . ويضربون المثل بانجلترا التى ثبتت الجنيه الانجليزى على أساس مرتفع حتى عاد الى قيمته الاولى مما أدى الى تثبيت نفوذها المالى وتعزيز مكانة الاسترلينى . كما كانوا يقولون ان رفع قيمة العملة يؤدى الى خفض نفقات المعيشة مما يعود بالخير على المستهلكين ، والى خفض اثمان السلع الاجنبية بفضل ارتفاع قيمة العملة المحلية فى الخارج ، والى تخفيف عبء الديون الاجنبية التى نص على دفعها ذهبا

ولكن انصار سياسة خفض العملة كانوا يردون على ذلك بقولهم ان لو كان الفرنك متدهورا بنسبة ٥ ٪ أو ١٠ ٪ من قيمته لحاولت الدولة ارجاعه الى قيمته الاصلية دفاعا عن سمعتها المالية ، أما وهو متدهور بما يزيد عن ٨٠ ٪ من قيمته فلا سبيل الى تثبيته على أساس قيمته الاولى ، ولا بد من ارتضاء الامر الواقع ، ولا سيما ان هناك فارقا كبيرا بين الجنيه الانجليزى الذى لم ينخفض الا قليلا وبين الفرنك الفرنسى الذى تدهور تدهورا عجيبا ، فضلا عن أن انجلترا احتملت فى سبيل رفع قيمة الجنيه كثيرا من كساد التجارة وبطالة العمال وانتشار الازمة بين طبقاتها

واذا كان خفض قيمة الفرنك يؤدى الى خفض نفقات المعيشة ، فهو كذلك يؤدى الى هبوط أجور العمال ، مما لا يستفيد معه مجموع الشعب شيئا

وهكذا نجد أن الدول خفضت قيمة نقدها مكرهة ، واحتملت فى سبيل ذلك اضرارا شتى ولكنها كانت أهون عليها من وعدة الافلاس التى

كادت تتردى فيها . وتجدون شرحا مفصلا لهذا الموضوع فى كتاب « النظريات والسياسات النقدية » للدكتور احمد محمد ابراهيم

سندات مضمونة

(الموصل ــ العراق) عبد الاحد الباقوزى

هل سندات الحكومة البلجيكية والفرنسية ، وسندات البنك العقارى المصرى ، مضمونة من قبل الحكومات، أم تتلاعب بها الشركات التجارية؟

(الهلال) السند جزء من قرض تعقده احدى الحكومات أو احدى المؤسسات المالية . ويتقاضى حامله فائدة سنوية ، قد تكون ثابتة ومحددة فى صك السند كفائدة سندات الدين الموحد وهى ٤ ٠/٠ ، وقد تكون متغيرة تحددها الجمعية العمومية سنويا حسب الحالة المالية العامة

ومن الواضح أن سندات قروض الحكومات مضمونة من قبل هذه الحكومات . ومثلها فى مصر سندات الدين الموحد وسندات الدين الممتاز فهى مضمونة بالضرائب العقارية المفروضة على جميع مديريات القطر المصرى ما عدا مديرية قنا

اما سندات البنك العقارى فليست مضمونة من قبل الحكومة . ولكن قوة هذه المؤسسة المالية تغنيها عن ضمان الحكومة . اذ يكفى ان يكون ما لها من القروض على المصريين يجاوز ١٦ مليونا من الجنيهات وكلها مضمونة برهون عقارية ، مع أن جميع ما لبيوت الرهن من الديون على المصريين حوالى ٣٥ مليونا من الجنيهات . ورأس مال هذا البنك ٧٫٧١٥٫٠٠٠ جنيه ، وتبلغ قيمة سنداته الآن حوالى ١٥ مليونا من الجنيهات

الاديب والمدرسة

(الحساء ــ نجد) عبد الله عبد المحسن قلحم

هل استطيع ان أكون اديبا ، مع انى لم أتخرج فى جامعة ولا فى مدرسة ؟

(الهلال) أجيبك عن سؤالك عقب ان قرأت مقالا لكبير ادباء الانجليز « برنارد شو » يقول فيه : « لقد أرسلت الى المدرسة مكرها مرغما ، ولم أرض أن أجلس على مقاعدها الا بعد أن يئست من المقاومة ، ولكنى لم أحاول أن استمع الى درس فيها ، فلم اتعلم منها أى شىء . وهذا ما انقذ عقلى من العقم والفساد »

ولا شك ان برنارد شو يتجنى كثيرا على التعليم المدرسى المنظم ، ولكن ما من شك فى ان فى وسع الاديب أن يستغنى عن هذه الثقافة المدرسية المحدودة ، اذا ما هو عمد الى درس الحياة فى مختلف ظواهرها وآفاقها ، درساعماده التأمل والتفكير ببصيرة نفاذة ، وعدته ما تحفل به الكتب من آثار سمينة وافكار ناضجة . فالاديب لا يتخرج فى جامعة ولا على ايدى معلم ، بل تهيئه الطبيعة لفهم الحياة وتصويرها ، ثم يغذى نفسه بألوان شتى من الثقافة العالية ، ثم يأخذ نفسه بالمران على نظم الشعر أو صوغ القصة أو كتابة المقال ، حتى يستقيم له طريق التعبير عن آرائه وخلجاته

البوسفور

(تالسا ــ أمريكا) خليل روفائيل

مررت ببوغاز الدردنيل فخيل الى ان يد الانسان هى التى شقته ، لتصل البحر الابيض بالبحر الاسود . فهل هذا صحيح أم هو من عمل الطبيعة ؟

(الهلال) بوغاز الدردنيل من عمل الطبيعة لا من عمل الانسان . وهو نتيجة كسر فى القشرة الارضية وقع اثر تفجر براكين هائلة فى تلك المنطقة . يدل على ذلك وجود صخور بركانية فى المرتفعات القائمة على جانبى البوغاز . وهذه المرتفعات دليل ما حدث هناك من انكسار فى طبقات الارض فى العصور السحيقة ، اذ ارتفعت بعض اجزاء الارض اثر انخفاض بعضها . وكل ما امتدت اليه يد الانسان هو توسيع جوانبه وتعبيد شواطئه

جرجي زيدان كما عرفته

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل باشا

وزير المعارف العمومية

لم تكن بيني وبين المغفور له جورج زيدان صلات معرفة شخصية . ولست أذكر ان كنت قد رأيته مرة أو مرتين . ولعلي لم أره أبداً . ويرجع ذلك الى ما كان بيننا من فرق كبير في السن . ولقد كنت أقرأ رواياته الاسلامية حينما كنت طالباً بمدرسة الخديوية لا أزال . وحينما كانت دار الكتب المصرية — أو الكتبخانة الخديوية ان شئت — في بناء متصل بالمدرسة الخديوية ،ولم تبرح ذهني حوادث رواياته (غادة كربلاء) زمناً طويلا بعد انتقالي الى دراسة الحقوق وتعلقي بالادب العربي القديم ، ثم تعلقي بعد ذلك بالأدب الانجليزي

قد يبدو غريباً ان أعجب بغادة كربلاء وبغيرها من كتب المرحوم جورج زيدان ، ثم لا أسعى لمعرفته والاتصال به . لكن ذلك كان شأني كل حياتي . لقد كنت من أشد المعجبين بالمرحوم قاسم أمين وكتبه ، ومع ذلك لم أره في حياتي مرة واحدة . وكنت شديد الولع بقراءة ما ينشر عن المغفور له الشيخ محمد عبده ثم لم أتصل به الا في بعض دروس حضرتها عليه بالرواق العباسي . ولم تكن بيني وبين المرحوم فتحي زغلول صلة الا في الأيام الأخيرة من حياته ، وذلك على ما قرأت من كتبه المترجمة والمؤلفة . هذه بعض طبائعي التي فطرني الله عليها ذكرتها ليفهم القارىء السبب الذي دعاني الى ألا أتصل بالمرحوم جورج زيدان على رغم اعجابي أيام كنت في دراستي الثانوية بالروايات التي كتبها

***

ولما سافرت الى باريس لأتم دراسة الحقوق ،وانقضى العام الأول على هذه الدراسة ،حرصت على ان أوفر قسطاً من اجازتي الدراسية بانجلترا . وكنت في هذه الآونة قد قرأت الجزء الأول من كتاب المرحوم مصطفى صادق الرافعي عن « تاريخ الأدب العربي » وكتبت عنه مقالات نشرتها (الجريدة) لعلها كانت قاسية في نقد الكتاب قسوة أملاها الشباب وما يتطلع اليه الشباب من حب الكمال . وانني لفي انجلترا مقيم في « بريتون » على شاطىء المانش اذ جاء

الى خطاب من المرحوم جورج زيدان يذكر لى انه اطلع على مقالاتى عن كتاب مصطفى صادق الرافعى وان تقديره لما قد أدى به ليرسل الى كتابه عن «تاريخ أدب اللغة العربية» لعلى أجد فيه موضعاً للنقد . وقد طلب الى فى كتابه ذاك ان أكون صريحاً فى نقد مؤلفه كما كنت صريحاً فى نقد مؤلف الرافعى . وأعجبت أنا بهذه الرسالة وتوفرت على قراءة الكتاب وتدوين الملاحظات عليه ثم كتبت عنه عدة مقالات نشرتها (الجريدة) لا أظنها تخلو من عنت هى الأخرى ، مع هذا كتب الى جورج زيدان يشكرنى على هذه المقالات ،ويثنى ثناء خاصاً على صراحتى فيها

هذان الكتابان من جورج زيدان يؤلفان كل ما كان بينى و بينه من صلة فى حياتى . أما صلتى بكتبه فأوسع بكثير من هذا . ومن من الذين عاشوا أيام نشاط جورج زيدان لم يتصل بكتبه ومؤلفاته و بمجلة الهلال وما كان يكتبه فيها ؟ ومن منهم لم يأخذه العجب والاعجاب بهذا النشاط الجم الذى لم يفتر يوما ولم يعتره ملال أو سأم ؟ والكتاب أيا كانوا ـ الصحفيون والادباء والمسرحيون والمؤلفون على اختلاف طوائفهم ـ ليسوا أقل اغتباطاً بصداقة الناس لمؤلفاتهم ولما يكتبون منهم للروابط الشخصية التى تربط بينهم و بين طائفة قليلة العدد من الناس

بل إن كثيرين منهم ليزهدون فى معرفة الناس أشد الزهد ويفرون من صحبة الناس فراراً ، وليس منهم مع ذلك إلا من يبتسم راضياً مسروراً بأصدقاء كتبه ومؤلفاته و بالمتوفرين على قراءته بل بنقاده الطاعنين عليه . ولست أستطيع أن أحكم أكان جورج زيدان من هذه الطائفة أم لم يكن . وقد يغلب على الظن بأنه لم يكن منهم لأنه كان صحفياً بحكم نشره مجلة . والصحفى أكثر اتصالا بالناس من المؤلف شعراً كان تأليفه أو نثراً

أما وقد ذكرت أنى نقدت مؤلفه عن تاريخ أدب اللغة العربية ، فانى لا أزال أذكر أنه أول من تعرض لهذا التاريخ على طريقة تحاكى طريقة البحث الحديث فى البعد عن التعصب وفي تحرى الحقيقة لذاتها . كان الفرق بين كتابه وكتاب الرافعى أن هذا الأخير كان يعتبر العرب أمة بعثت بها السماء وخلقها الله خلقاً خاصاً و يعتبر اللغة العربية كلها لغة سماوية ليس بين لغات الأرض شىء يضارعها جمالا وجلالا وعظمة . وكان يعتبر الشاعر العربى الضارب فى البيداء المتحدث عن محبوبته كلما وقف عند كثيب من كثبان الرمل المثل الأعلى فى الشعر ، لا يقاس اليه هوميروس ولافرجيل ولادانت ولاجوت ولا شكسبير ولا هوجو . . .

أما جورج زيدان فكان متحللا من كل هذه الاعتبارات ، وكان ينظر للغة العربية وللأديب العربي نظرة موضوعية ويبحثها على ضوء الطرائق الحديثة . يشك فيما يرى محلا للشك فيه من أدب الجاهليين وغير الجاهليين ، ويثبت ما يرى إثباته من أدب هؤلاء وأولئك . وكان الى هذا يختلف فى أسلوبه الكتابى عن الرافعى كاختلافهما فى أسلوب التفكير . وكان أسلوب جورج زيدان أسلوباً صحفياً لا يمتاز بمتانة الديباجة ولا بروعة البيان ، وان كانت فيه بساطة ويسر يجعلانه قريباً من أفهام الناس جميعاً . هذا وذاك ـ الأسلوب والطريقة ـ يرسمان لنا صورة من جورج زيدان الصحفى المؤرخ القصاص . وكم كنت أود لو استطعت أن أتبسط فى تفصيل هذه الصورة . ولكن ما حيلتى وقد بعد العهد بينى وبين ما قرأت لجورج زيدان وقد قصر وقتى فى هذا الزمن عن أن أجلس الى مكتبى فأجمع كتبه أمامى لأرجع البصر فيها وأستذكر ما يجمل بالانسان أن يستذكره فى هذه المناسبة

حسبى ـ وذلك شأنى ـ ما قدمت عن جورج زيدان . وانى لواثق كل الثقة من أن قراء هذا العدد من الهلال سيجدون فيه صورة كاملة لمنشىء الهلال . وليس يرجع ذلك الى براعة الكتاب واقتدارهم وكفى ، وانما يرجع كذلك الى ما فى نفس ابنيه من وفاء لذكراه وبما خلف لهما من آثار هذه الذكرى . ولست أذكر هذا لأصف به شيئاً من أمر صاحبى الهلال فى الوقت الحاضر وانما أذكره آية على عناية هذا الرجل بتنشئة أبنائه كعنايته بتنشئة مجلته ومؤلفاته . واذا استطاع إنسان أن ينشىء أبناء صالحين فقد وجب لنا أن نذكر له هذا العمل بالثناء وأن نقدر له فضله فيه . وهو عندى فضل لا يقل جلالا عن أجل ما يقوم به العظماء من الأعمال . وهو صفة من صفات الخلق . والأب الذى يخلق ابناً أو أبناء صالحين يفيض على الانسانية أو على أمته أو على أهله من الخير الذى يستوجب الذكر بمقدار ما يفيض من يقوم للانسانية أو لأمته أو لأهله بغير ذلك من جلائل الأعمال

محمد حسين هيكل



تحية تقدير

إلى المرحوم جرجي زيدان

بقلم الاستاذ محمد فريد وجدى

قل أن تجد أديباً أو كاتباً شرقياً من المعاصرين ليس مديناً للمرحوم جرجى زيدان بشكر عظيم ، إن لم يكن على ما حصله من مؤلفاته من المادة العلمية ، فعلى ما استفاده من مناهج البحث ، ومصادر المعرفة

ان جرجى زيدان هو أول من وضع تاريخ الأدب العربى على النحو الذى يعرفه المعاصرون من معنى هذه الكلمة ، وهو بهذا الوضع أمكن أن يثمر ثمراته التى نقتطفها منه جنية يانعة اليوم . فليس أثر تاريخ أدب اللغة فى ثقافة الأمم واثارة نهوضها الفكرى بالشىء القليل لمن يعرف صلة الحديث بالقديم ، وأن القديم إذا لم يرتب و ينقد و يمحص لا يعدو أن يكون مجموعا مشوشاً من مقالات وكتب مقطوعة الاتصال لا تفيد المشتغل بها غير مادة لا صورة لها ، فلا يمكن رؤية محاسنها ومساويها ، ولا المقابلة بينها و بين الصور الأدبية الأخرى، ولا العمل على تكميل نواقصها تبعاً للمقتضيات الحديثة ، ليكون الأدب كما يرجى منه عاملا حياً فى بعث الأمم ، لا أثراً تاريخياً لا صلة بينها و بينه

هذا العمل وحده يكفى لبناء صرح من المجد للرجل الذى قام به وحده ، فما ظنك وهو ليس كل ما أنتجته ألمعية جرجى زيدان فى ثلث القرن الذى أمضاه من حياته فى خدمة الأدب . إن له لعملا ضخما آخر لا يقل قيمة عن تاريخ الادب إن لم تقل يفوقه كثيراً ، ذلك تاريخ التمدن الاسلامى الذى نشره فى خمسة أجزاء لم يغادر فيها مظهراً من مظاهر هذا التمدن الفخم الا بينه وفصله أكمل تفصيل ، مشيراً إلى مصادره من كتب التاريخ الاسلامية وغيرها من فرنسية وانجليزية والمانية

مثل هذا العمل لو قام به رجل فى البلاد التى تقدر العلم قدره وتجزى أهله بما يستحقون نصبوا له تمثالا ، ومتى مات دفنوه فى مدفن الخالدين ، ولكنا فى الشرق حيث يستفاد من

عمل النابغين ، وتنتهب ثمرات كدهم انتهابا أمام أعينهم مع غمط حقوقهم ، والسعى لطمس أسمائهم

إن من يتصفح تاريخ التمدن الاسلامى يعجب بل يدهش من الصبر على الجهد المضنى الذى بذله مؤلفه فى مراجعة كل هذه المصادر العلمية بين عربية وأجنبية فى عدة لغات ، ثم جمعها وترتيبها وتبويبها مع الاشارة إلى تلك المصادر فى ذيول الصحف لمن يريد أن يراجعها فى مواطنها من المؤلفات المعتمدة

نعم ، لاحظ بعض النقدة على هذا الكتاب ان مؤلفه قد أخطأ فى بعض تلك الاحالات ، وانه قد أطلق فى محل التقييد ، وعمم فى مواطن التخصيص الخ ، وهذا كله على افتراض صحته لا يعقل أن يخلو من مثله كتاب فيه نحو خمسة آلاف إحالة . ولو أسقطنا من هذه المؤاخذات ما يمكن اعتباره من اختلاف وجهات النظر بين النقدة والمؤلف لما بقى من تلك الملاحظات إلا عدد لا يقام له وزن

ومما يدل على عظم خطر هذا الكتاب وجلالة موضوعه ، انه قد مضى عليه أكثر من ثلاثين سنة ولم يتتدب أحد ولا جماعة على وضع مثله ، مع ان المجال يسع عشرات من أمثاله . وهذه المدنية الأوربية قد صدرت فى تاريخها مئات من المؤلفات ، ولا تزال تصدر فيها مؤلفات جديدة . فهل كانت المدنية الاسلامية أقل منها قيمة فى نظر المسلمين ، لا سيما وطريق التأليف قد تعبد بما أشار اليه جرجى زيدان من المصادر ، وما كشفه ببحثه من المواطن ، وما يسره باجتهاده من أساليب التبويب والترتيب

إن من أكبر مظاهر الشرف لمؤلف أن يتقدم سواه فى وضع عمل ضخم من هذا الطراز ، فيظل أكثر من ثلث قرن المورد السائغ الوحيد لمئات الألوف من الباحثين والمستفيدين

ليس هذا كل ما يؤثر عن جرجى زيدان من الفضل ، فان له ما هو أعم فائدة منه ، وهو نشره مجلة « الهلال » ، وقيامه بتحريرها نحو ربع قرن فى دؤوب ومثابرة قل من يدانيه فيهما . وأجدر منهما بالتنويه والاعجاب اتباعه فى تنويع موضوعاتها ، وتلوين كتاباتها ، وتحرى أعلق المسائل بالقلوب وبالعقول فى تحريرها ، أسلوباً فذاً أنشأ به حركة فكرية فى الشبيبة لم توجدها المجلات المعاصرة مجتمعة

وقد كان المعروف إلى عهد جرجى زيدان ولم يزل معروفا الى اليوم ، ان الذى يقدم

(البقية على صفحة ٩٧١)

جرجي زيدان المفكر

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

مضت خمس وعشرون سنة على وفاة منشيء الهلال ، ومضت سبع وثلاثون سنة على أول معرفتي به - أي بمجلة الهلال

كان لي قريب من مأموري المراكز في ذلك الحين ، وهم طبقة تقرأ القليل من الموضوعات العصرية وكانت لا ترى القراءة حقا لغير الموضوعات الدينية وما جرى مجراها . فاذا جنحت تلك الطبقة في ذلك الحين الى قراءة الهلال ، فذلك دليل على اتساع نطاقه وبعد مدى الفائدة التي جنيت في متابعة اعداده

وكان قريبي ذلك ضنينا باعداد الهلال يعيرني اياها ويشترط على أن أعيدها ، فلم أكن أعجب لحرصه عليها في تلك الايام كما اعجب له وأنا أذكره في هذه الايام

انا لنعرف آثار جرجي زيدان المفكر اذا أحصينا اعداد المجلة منذ ظهرت أول مرة في سنة ١٨٩٢ واحصينا من تثقفوا بها ومن زادوا بها ثقافة على قدر حظهم من التعليم والاطلاع ، وقسنا ذلك على وجود أربعة أو خمسة من أمثال قريبي الذي أشرت اليه في بلدة اسوان ، وهي يومئذ بلدة صغيرة لها نظيرات بالالوف في جوانب الاقطار العربية

ومع هذا يبدو لنا أن آثار التثقيف الذي أفاد به جورجي زيدان قراء العربية أقل ظهورا من حقيقته وأحوج في تقديره من الآثار الاخرى الى المراجعة والاستقصاء

لان جورجي زيدان كان من كتاب ما يسميه هو بالحاسة الاجتماعية ونسميه نحن بكتاب الاستواء أو الطبع السليم ترجمة للعبارة الانجليزية Common sense والعبارة الفرنسية Bon sens وقد أشار الى هذه الحاسة في مقال قيم نشره في السنة الثانية والعشرين من سني المجلة وقال فيه : « ان نجاح الناس في أعمالهم يتوقف على مقدار ما فيهم من هذه الحاسة اكثر من مقدار ما احرزوه من سعة العلم أو المهارة في الصناعة أو التجارة أو غيرها من وسائل المعاش . وهي أعظم أهمية في معترك الحياة من الذكاء وأقل شيوعا منه . لا تزيد نسبتها في الناس بالنظر الى الذكاء على اثنين أو ثلاثة في المائة . أي ان الامهات يلدن أربعين ذكيا قبل أن يلدن واحدا من ذوي الحاسة الاجتماعية ، ولذلك كثر الاذكياء وقل الناجحون منهم . لان النجاح لا يتأتى للذكي ان لم يعلم كيف يستخدم ذكاءه ، ولا فائدة من العلم ان لم يحسن الاسلوب في ادائه »

ونحن حين نذكر الاستواء أو الطبع السليم لا ننظر فيه الى ناحية النجاح في الاعمال وحسن استخدام الذكاء ، وانما ننظر فيه الى مصدره من السليقة ومظهره في اختيار

الموضوعات ورسالات الحياة ، وهذا الاستواء هو الذى جعل آثار جورجى زيدان فى تثقيف قراء العربية أقل ظهورا ـ على ما أعتقد ـ من الواجب لها ومن الحقيقة الواقعة

فلو كان جورجى زيدان من كتاب الانحراف والتحيز لا من كتاب الاستواء والطبع السليم لظهرت دعوته أوضح من هذا الظهور وتحيزت رسالته كما تتحيز كل رسالة يبعث اليها التعصب لفكرة خاصة والاندفاع فى طريق دون سائر الطرق والاستحماس لمذهب من المذاهب يراد به الهدم أكثر مما يراد به البناء

ولكن جورجى زيدان لم يكن يتعصب ولم يكن يتحزب ، ولم يكن يصبغ آراءه بلون من ألوان الطيف الشمسى غير اللون الاصيل العام الشائع فى ضياء النهار ، فكانت آثاره من أجل هذا تسرى خلال القرائح والنفوس فى غير خلابة ولا ضجيج ولا التفات كثير، كما يشهد الانسان الف نهار مضىء فلا يستبقى من الشعور بها ما يستبقيه منظر النيازك الملونة المفرقعة فى احدى الليلات

تقرأ جورجى زيدان فى جميع موضوعاته فاذا هى مطبوعة بطابع السداد والاستقامة والاستواء : هى جدول وليست بشلال ، وهى بنت الدوام وليست بنت الفلتات والجمحات، وهى ماء قراح وليست بالقاقوزة ولا بالاشربات المحلاة ولا بعصير الكروم

واختر ما تشاء من مقالاته حيثما كانت مقاصدها فى الاجتماع أو الاخلاق أو الادب أو الحكمة أو السياسة العامة أو عبر التاريخ ، فانك واجد منها لا محالة سدادا فى غير جلبة ولا تلوين ولا زخرف ولا اصطناع : مستويات متناسقات كأنها صفوف الفرقة الواحدة فى الجيش الواحد ، وليست موكبا من مواكب الازياء أو معرضا من معارض الزحام

الطبع السليم هو أساس هذا جميعه من تفكير جورجى زيدان وكتابات جورجى زيدان ، ويمده بعد الطبع السليم مددان قويان نافعان : أحدهما الاطلاع الواسع على تواريخ الامم وعبر الدهور ، وثانيهما البحث العلمى الحديث مما استفاده من دراسة الطب والصيدلة وسائر العلوم ، فضلا عن مراس الحياة العملية فى ابان ايام حافلات بالتجارب والنقائض ما بين سورية ومصر والسودان

***

لقد كانت للمفكرين الشرقيين فى أواخر القرن التاسع عشر قدوتان هما على الاجمال مدرسة الفلسفة التى يمثلها ديكارت وحكماء الثورة الفرنسية ، ومدرسة العلم الطبيعى التى يمثلها داروين ومن لحقوا به ومن مهدوا له الطريق

وقد كان جورجى زيدان أقرب الى مدرسة الحكمة منه الى مدرسة العلوم الطبيعية ، مع أخذه من العلوم الطبيعية بنصيب مفيد

فكان مزاج هذا الرائد الكبير مزاج الحكيم المؤرخ الجانح الى استكناه الحقيقة من طريق النظر الصحيح ، وان لم يكن لذلك النظر الصحيح مسبار من قوارير المعامل وأنابيق

التحليل ، اذ ليست كل حقيقة نفسية أو فكرية صالحة للتقطير من خلال الانبيق

ومثال الفارق بين نظره الى الحقيقة وبين نظر العلميين « المعمليين » كتابه عن « علم » الفراسة الحديث وما ثار حوله من الجدل فيما هو العلم وما هو التمحيص العلمى لمعارف الانسان

فالذى لا نشك فيه نحن أن الفراسة حق واقع متصل بأسباب صدق بين بواطن النفوس وظواهر الوجوه والاجسام

فاذا اضطر العالم « المعملى » الى السكوت عن هذه الاسباب لانه «عاجز» عن تفصيلها وتقسيمها على النحو العلمى المعهود فليس عجزه حجة عليها بالبطلان ولا موجبا لاغفال هذه المعرفة التى لم يغفلها قط انسان ولا حيوان ، اذ مامن حيوان قط الاوهو «يتفرس» فيما يراه من اشباهه ومخالفيه ، ويبنى على بعض الفراسة مسلك المسالمة أو مسلك العداء

فلو كان جورجي زيدان عالما معمليا لما شاقه البحث فى الفراسة ولا الف فيه ذلك الكتاب النفيس ، ولكنه حكيم أديب يعتمد على الخبرة والمراس الصادق والنظر الصحيح كما يعتمد على تجارب المعمل وتحليلات الانبيق

وبهذه الخبرة توفر على كتابة اعداد الهلال فكتب منها فى حياته ما يساوى مائتى كتاب منجمات على حسب الشهور : فى كل كتاب منها مادة نافعة من التفكير والتثقيف لالوف من القراء على النحو الذى يدل عليه ما أسلفناه فى صدر هذا المقال

وبهذه الخبرة توفر على تأليف التواريخ ونقد الآداب وتنسيق القصة التاريخية عشرين سنة ونيفا ، فأرسل أشعة النور الى قرائه العديدين ، وقد كان له قراء فى كل صقع من أصقاع الارض يأوى اليه لسان عربى أو عقل مشغول بشئون الشرق والاسلام

وانه لعمل ولا ريب عظيم

***

رأيت جورجي زيدان فيما أذكر مرات معدودات : احداها فى مكتبة الهلال وأنا فى السادسة عشرة ذاهب من قنا الى الزقازيق لاتسلم وظيفتى الاولى فى دواوين الحكومة ، وقيل لى من قبل أن مكتبة الهلال على مقربة من محطة السكة الحديد فقضيت المسافة ما بين قطارين فى زيارة تلك المكتبة والتزود بما طاب لى من المصنفات وأنا عامر الجيب بعض العمار . وسألت البائع : أعندك مصنف فى علم الجمال ؟ فحار صاحبنا واتجه الى رجل كان يجلس على كرسى صغير فى مدخل المكتبة ومعه شيخ يحدثه فى أسلوب السيد البكرى والرجل يقول أنه قد رجع بالكتابة العربية مئات السنين . أما الشيخ فقد رأيته فيما بعد فعلمت أنه هو الشيخ أبو بكر لطفى المنفلوطى الاديب الصحفى المعروف ، وأما الرجل الذى سأله البائع عن مصنف فى علم الجمال فقد علمت أنه هو صاحب الهلال ، وقد سمعت منه أن هذا العلم ليس له بالعربية مصنفات

ومرة أخرى زرته فى بيته بين الفجالة والظاهر وأنا مشغول بقراءة شوبنهور لأسأله

رأيه في أصح النظرتين الى حقائق الحياة : نظرة المتشائمين أو نظرة المتفائلين

فقال لى ما خلاصته أن كلتا النظرتين لاتتميزان بالصحة أوبالبطلان ، ولكنهماتتميزان بالميل والمزاج ، وقد يرى الانسان شيئا واحدا فيحالتين مختلفتين فاذاهو داع الىالرجاء في حالة وداع الى القنوط فى الحالة الاخرى ، وكل منهما لا يخلو من بعض الخطأ أو بعض الصواب

وهذا الجواب نموذج لتفكير جورجى زيدان ومعيشة جورجي زيدان : رجل ليست طبيعة تفكيره التحيز والتوثيب والازعاج ، وانماطبيعة تفكيره التصحيح والهداية فيرفق وسكون . فهل قلت هدايتــه من جراء ذاك ؟ كلا . بل لعلها زادت ، وان كان هو لم يكسب من الضجة والسطوع ما كان يكسب لو كان من أصحاب النزعات والعصبيات

عباس محمود العقاد



تحية تقدير

(بقية المنشور على صفحة ٩٦٧)

على تأسيس مجلة يعرض أمواله ووقته للضياع ، وقد حبطت ولا تزال تحبط جهود جبارة بذلت فى هذه السبيل ، ولـكن جرجي زيدان استطاع بأسلوبه المبتكر ، وعباراته الطلية ، ومواده المتخيرة ، أن يتغلب على هذه العقبات ، وان يجعل مجلته حاجة من حاجات الثقافة العصرية

هذه أول مرة شوهدت فيها مجلة تبوىء نفسها هذه المكانة فى بيئة كانت تتهم بعـدم الاكتراث للعلم ، والانصراف عنه الى اللهو

ولو قدر لى ان أعد الأفذاذ الذين نشأوا فى الشرق فى الخمسين سنة الأخيرة ، وأفادوه بكتاباتهم وآرائهم لرأيتنى مضطراً ان أضع جرجي زيدان فى مقدمتهم ، فان الحركة الفكرية التى أحدثها بأعماله العلمية ، وآثاره الأدبية ، بعيداً عن الطنطنة والادعاءات الفارغة ، لهي كبيرة الى حد انى أعتبر ان الشرق وان لم يجهل مكانه ، فلم يوفه حقه

وانى أبعث بهذه التحية الى روحه فى ذكراه الخامسة والعشرين

محمد فريد وجدى

جُرجي زيدان

الرجل الحق . والعالم المجدد

بقلم الاستاذ خليل مطران

عاشت جرجي زيدان وتتبعت سيرته الى أن أدركته تلك الوفاة العجيبة في ساعة كانت ختام عمله اليومي وختام حياته المباركة فاستراح الراحة السرمدية من جهاده في هذه الدنيا وطفت على وجهه ابتسامة خيلت الى كل من رآه انه لم يمت فاحتفظ أهله بجثمانه يوما كاملا ثم غلبت الحقيقة القاسية على الوهم وما زور وتبين الواقف في موقف تلك العبرة ان الابتسامة انما كانت آية ظاهرة للضمير المطمئن والواجب المؤدى الى نهايته

أخلاقه وصفاته

كان جرجي زيدان انسانا حق الانسان ، ورجلا حق الرجل . اذا حدثت عن خصاله اللازمة لشخصه لم يتسع المجال هنا الا لذكر أبرزها . فالله ما عرفت فيه الا الصدق مهما تعظم تكاليفه ، والوفاء مهما يحل دونه من الصعاب ، والبر بذوي رحمه الى نهاية ما يقتضيه النصح والسخاء ، والنجدة للاصدقاء حتى ليكونون منه كأدنى قرابته اليه ، وسماحة الفطرة في معاملة الناس ، لا يحرمهم ارشادا ، ويلتمس المعاذير لمخطئيهم ، ويغتفر الزلات للمسيئين اليه منهم

والى ذلك كان محتشما مهذبا عف اللسان وديعا لا يأخذه الزهو ، حيث يزهى أرصن أولى الالباب ، وأبصرهم بكنه الامور

أما الفضائل التي اتصف بها فيما تصدى له من الخدمة العامة فأعلاها الابتكار يؤيده فيه ذكاء متوقد وجلد غير منقطع على الكد والكدح وصبر على المكاره لا تقوى عليه الا القلوب الكبيرة ، وزهد في المباهج والاباطيل ، وتوطين للنفس على أن السعادة كل السعادة انما هي في العمل

خطته

وآية ذلك الابتكار هي الوجهة التي أولاها شطره من بدء أمره فقد نبت في عسر يريد ناحية ، والحياة تريد به ناحية أخرى ، فامتهن ما امتهن للرزق منذ نعومة أظفاره ، ولكنه كان بجانب ذلك يختلس من أوقات منامه وجمامه لطلب العلم ، وانما كان يطلب العلم التحقيقي لا الزخرفي ، ويرى أن القشور يحسن أن تكون نضيرة ومزدانة على أن يكون تحتها لباب نافع طيب

فما زال يصارع الحوادث وتصارعه ، حتى بلغ من العرفان ما أبلغه الطريق الذى توخاه وجنبه الطريق الذى سيرته فيه الضرورات الاولى وعندئذ وجد فى المفترق بين خطتين : فاما أن يكون كاتبا محض أديب ويسمو لمجاراة أعلام النهضة البيانية فى وقته، واما أن يكون كاتبا يعنى بالمادة العلمية التى تغذى الادب وتجعل من البيان خير وسيلةفى أمة قريبة عهد بنهضتها لتقتبس من وقوفها على حقائق ماضيها وجلائل الوقائع فى تاريخها ما يكون خير معوان لها على استكمال وسائلها للحياة الجديدة والرقى . وهذه الخطة الثانية هى التى أوحتها العبقرية الى جرجى زيدان مع ما يعترض مسالكها من المشاق الجسام - على أن المكان المحدد لهذا المقال لا يتسع لتعقب خطاه وبواعثها فى خطته هـذه ، ولكن الذى أسفرت عنه هو أنه أتحف العالم العربى بصنيع انفرد به بين أعلام الوقت ولم يكن مما يضطلع به الا جماعة من علية المبرزين

أعماله

اشتمل ذلك الصنيع على كتب فى التاريخ وكتب فى أغراض تناولت ضروبا من فلسفة اللغة والاجتماع ، وقصص تاريخية متنوعة وكل أولئك انتظمته فكرة رئيسية لجرجى زيدان هى اعتقاده انه بخدمته للكثرة الاسلامية من العرب يخدم أيضا القلة الكتابية الاخرى اذ أن المصلحة مشتركة والمنفعة التى تصيب الكثرة لا تعدم منها القلة حظاوافيا واذا كانت تآليفه قد دلت على غلبة هذا الرأى عنده ، فالاسم الذى سمى به مجلته عنوان مؤيد لهذه الدلالة - ألست ترى وتبصر غاية المدى فيما عناه منذ تأسيسه مجلته بأن جعل عنوانها الثابت اسم « الهلال »

وفيما يلى ساعدد للقارىء أسماء كتبه حسب الأقسام الآتية ومن جريدتها يتبين ما الذى قدمه لعصره وللعرب من مسلميه ونصاراه وغيرهم من المرائى الهادية التى تكفى كل واحدة منها فخرا وشرفا لمؤلف لو اختص بها ولم يعدها الى غيرها

ففى القسم الاول له : تاريخ مصر الحديث - تاريخ التمدن الاسلامى - تاريخ العرب قبل الاسلام - تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر - تاريخ آداب اللغة العربية - تاريخ الماسونية العام - تاريخ اللغة العربية - أنساب العرب القدماء

وفى القسم الثانى له : علم الفراسة الحديث - طبقات الامم - عجائب الخلق - الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية

وفى القسم الثالث له : فتاة غسان - ارمانوسة المصرية - عذراء قريش - ١٧ رمضان - غادة كربلاء - الحجاج بن يوسف - فتح الاندلس - شارل وعبد الرحمن - ابو مسلم الخراسانى - العباسة اخت الرشيد - الامين والمأمون - عروس فرغانة - أحمد بن طولون - عبد الرحمن الناصر - فتاة القيروان - صلاح الدين ومكايد الحشاشين - شجرة الدر - الانقلاب العثمانى - المملوك الشارد - أسير المتمهدى - استبداد المماليك - جهاد المحبين

تقديره كمؤرخ وقصصي وصحافى

بقي أن أذكر ماكان الرأى ـ ويدلى به من قوله حجة ـ فى «جرجى زيدان» مؤرخا وقصصيا وصحفيا

قال المغفور له رفيق بك العظم وهو البحاثة الاسلامى الشهير فى المؤرخ العربى «جرجى زيدان»

«ان من يطالع كتب «جرجى زيدان» ويطالع كتب المؤرخين قبله لا يسعه الا الاعتراف بفضله فى التاريخ والاقرار له بانه عانى من المشاق فى وضع كتبه هذه ما لم يعانه مؤرخ من قبل وانه اختط طريقا خاصا للمؤرخين العرب فى تقسيم التاريخ وترتيبه يشهد انه كان من خيرة مؤرخى العرب وأطولهم باعا فى انتقاء المواضيع الاجتماعية التى لم يسبقه الى التخصص بمثلها أحد مؤرخينا الاقدمين»

وقال الاستاذ الكبير الشيخ المحترم «انطون الجميل بك» فى القصصى (جرجى زيدان) ما نصه:

«رأى ان التاريخ يصعب تعميم فوائده اذا اقتصر نشره على كتب التاريخ فعمد الى صوغ حقائقه فى قالب روائى ـ فكان فارس الميدان الذى لا يلحق غباره فى تأليف الروايات التاريخية ـ وقد كتب منها اثنتين وعشرين رواية نالت شهرة واسعة لما وجد فيها القراء من الفائدة والفكاهة»

وقال المرحوم الكاتب الكبير «داود بركات» فى الصحفى «جرجى زيدان» ما نصه:

«بسط فى الهلال خطته فقال: (خطتنا الاخلاص فى الغاية والصدق فى اللهجة والاجتهاد فى ايفاء الخدمة حقها)

«فكان هذا القول أساس اعماله فى حياته العملية وهكذا كان «جرجى زيدان» الناشىء عنوان الجد والنشاط فصار جرجى زيدان العامل عنوان الاخلاص وحسن القصد»

وهل لى بعد ما تقدم أن أقول ان أول من فطن لكتابة تاريخ آداب اللغة العربية هو جرجى زيدان وما زال مصنفه هو الامام الاوحد فى هذا الغرض للناطقين بالضاد ومثله موجود فى كل لغة عدا العربية

وان أول من كتب القصة بالاصطلاح الحديث لهذا الضرب من البيان هو «جرجى زيدان» وما زال الى اليوم القدوة التى يقتدى بها ولم ينسج أحد من ادبائنا على منواله الى الساعة وخصوصا فى الموضوعات التاريخية

لقد انقضت خمس وعشرون سنة منذ وفاته ولكن انقضاءها لم يزد كوكب مجده الا سطوعا فى سماء الخلود

خليل مطران

جرجي زيدان

درس بليغ !

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى

حسب المرء أن يقرأ تاريخ المرحوم جرجي بك زيدان ويدرس سيرته ليتلق هو أبلغ درس فى صدق العزم وقوة الطموح ، واستكراه صروف الأيام على الرضى بما يبغى النبوغ ويريد !

نشأ جرجي زيدان فى كفالة رقيقة الحال ، اذا استطاعت أن تخوض به أولى مراحل التعليم (التعليم الابتدائى) ، فهى منقطعة عنه فيما وراء ذلك من الطريق

وكذلك عدل الفتى عن موالاة التعليم الى معونة أبيه فى تحصيل أسباب المعاش ، وان لم تعدل نفسه عن الاستشراف لتحصيل العلم من أى سبيل ! فراح يدرس ما تصل اليه يده من كتب العلم والأدب ، مستعيناً الصبر على معاناة الدرس والتحصيل ، متهدياً بالبصيرة على الفهم وصحة الادراك

لم تطب نفسه أيضاً بهذا القدر من الطلب ، وتطلع نبوغه الى ما هو أعصى وأمنع ، فشمر فى دراسة الطب، ولم يطل به الزمن حتى فرغ من دراسة علومه الاعدادية وحده كذلك ، وبهذا تهيأ له أن يطلب الفن فى منجمه ، ويترواه من ينبوعه . وما لبث ان أصبح بين طلبة المدرسة الطبية سابقاً مجلياً . ثم تجىء الأيام بما ليس للنبوغ به يدان ، فلقد جرى من الأحداث على تلك المدرسة ما نفض عنها أكثر تلاميذها ، فعدل الى الصيدلة ، وجد فى الطلب حتى أحرز إجازتها

على أن هذا العزم الدائم الجيشان أبى عليه الا أن يدفعه الى مصر دفعاً ، عسى أن يدرك فى مدرستها الطبية ما فاته ، برغمه ، فى مدرسة بيروت ، ولـكنه رأى ان مدة الدراسة فيها تطول . وقد نضجت الثمرة وآن أوانِ الجنى والقطاف ، فأقبل من فوره على تثمير ما حصل من علم وأدب ، وقام على تحرير احدى الصحف (الزمان) ، على انه ما كاد يقارف هذا العيش عاماً وبعض عام ، حتى لاح له من جانب الأفق عيش جديد ، اذا كان قد حباه بالايثار ، فلعله فعل لأن الصحافة لم يكن لها فى ذلك (الزمان) قرار . أو لعل نفسه تاقت الى مغامرة يشهد فيها القتال ، ويطالع معترك الحرب والنزال ، ويرى بعينه كيف تطيح السيوف بالرؤوس ، وكيف تسيل على أسنة الرماح النفوس . فتولى الترجمة فى قلم المخابرات ، ورافق الحملة النيلية الى السودان ، وشهد بعض المواقع الحربية هناك ثم ما كاد يصرف أو ينصرف عن هذا العمل حتى ركب جناح النعامة الى بيروت ، حيث أكب

على دراسة اللغتين العبرية والسريانية وغيرهما ، وبعد ان أصاب من ذلك غاية محمودة عاد الى مصر فشارك فى تحرير مجلة (المقتطف) صدراً من الزمن ، ثم تولى التدريس فى بعض المدارس صدراً آخر ثم أنشأ (الهلال) سنة ١٨٩٢ مجلة محررة للعلوم والفنون والآداب ، وما برح (الهلال) ، كما تعلم ، يصدر الى الآن

ولقد ألف صاحب (الهلال) قرابة أربعين كتابا جال بها فى التاريخ ، والأدب ، واللغة كل مجال . وكان لتاريخ الاسلام من ذلك الجهد حظ جليل، اذ استطاع أن يبسط القدر الأعظم منه فى (روايات) سلسلة تعجب وتشوق . كما فرض من ذلك الجهد المتجبر سهماً لتاريخ الأدب العربى ، فألف فيه كتاباً أفرغه فى أربعة أجزاء . وبحسبك أن تطالع الجزء الاخير من هذا الكتاب ، أعنى الجزء الذى تناول فيه العصر الأخير، لتدرك مبلغ الجهد الذى أنفق فى ترجمة مئات من أهل الفضل البارعين فى مختلف العلوم والفنون ، من شرقيين ومستشرقين ، واثبات أخبارهم ، وتقصى آثارهم ، وتحقيق سيرهم ، وتجلية صورهم ، ولا مرجع بين يديه ، ولا مستند يتكىء عليه . وبهذا كان هذا الجزء من أغزر الينابيع التى استقى منها كل من تحدثوا عن تاريخ الادب العربى فى العصر الحديث

وبعد ، فان مما لا يطوف به الشك انك إذ تطالع سيرة هذا الرجل ، ولو فى ايجاز مثل هذه الترجمة ، لا تستطيع أن تملك عن نفسك ما يتنازعها من روعة واعجاب وعجب ، لاتدرى لأيها تكون السطوة بك ، ولأيها يكون على صاحبيه الغلب !

كل ما كان حوله من أول نشأته ، وما اعترضه فى طريقه ، كان يهيؤه لأن لا يكون فى الحياة شيئا ، لو أن العدم يحتاج الى دواع وأسباب . ثم إذا هو برغم ذلك رجل عظيم جليل ، وهذه آثاره الثمان الضخام !

كان فيه نبوغ . نعم . وكم من نبوغ قضى فى مهده أو قضى فى إبان فتائه ، لأنه لم يصب ما يعيش عليه ويتجلى به ، ولكنه العزم ، العزم الجبار الذي يأبى الا أن ينتزع لهذا النبوغ حقه من لهوات الايام !

إذا تعاظمتك آثار جرجى زيدان ، فان حياته نفسها أعظم وأضخم . وما أبلغها درساً لمن فاتهم العظمة لتخلف الهمم

واذا كانت آثاره كلها ضخماً جليلا، فان من أجلها وأضخمها ، بل أجلها وأفخمها ان أنجب ولديه اللذين واصلا سعيه ، وضاعفا جهده ، وجعلا من (الهلال) بدراً ساطعاً ، أحاطاه بكواكب لها بريق واشراق ، يهدى السبل وينير الآفاق

لا برحت دار (الهلال) معمورة بالعلوم والآداب ، على تطاول الأزمان والأحقاب ، يتوارثها الأنسال عن الأنسال ويتلقاها الاعقاب عن الأعقاب

عبد العزيز البشرى

قبل ٢٥ سنة

فى تأبين مؤسس الهلال

مقتطفات من أقوال العلماء والادباء

ساهم فى تأبين مؤسس الهلال حين وفاته طائفة من خيرة العلماء والادباء ، ونحن نقتطف هنا سطوراً مما كتبه أو ألقاه بعضهم ممن توفوا الى رحمة الله

من مقال المرحوم مصطفى المنفلوطى

لا أعلم أين تذهب نفس الانسان بعد موته ، ولا أين مكانها الذى تستقر فيه بعد فراق جسدها ، ولا ما هى الصلة التى تبقى بين المرء والحياة الدنيا بعد رحيله عنها ، فان كان صحيحا ما يقولون من ان ساكن القبور يستطيع ان يجد ما بين صخورها ورجامها منفذا يشرف منه على هذه الدار ، فيسره ما ترك وراءه فيها من ذكر جميل ، وثناء عاطر ، وسيرة صالحة ومجد باق ، فان نصيب جرجي زيدان اليوم من الهناء والغبطة بما ترك فى هذه الحياة من جليل الآثار وصالح الاعمال أوفر الانصبة وأوفاها

... مات جرجي زيدان ، فنحن نبكيه جميعا . أما هو فانه يبتسم لبكائنا ، ويرى فى تفجعنا عليه ، والتياعنا لفراقه منظرا من أجمل المناظر وابهاها . لانه يعلم ان هذه الدموع التى ترسلها اجفاننا وراء نعشه ، أو تسكبها فوق ضريحه انما هى السنة ناطقة بحبه واعظامه والاعتراف بفضله والثناء على عمله ، وانها المداد الالهى النورانى الذى نكتب به فى صفحة تاريخه الابيض آيات مجده الخالد وعظمته الباقية . وذلك ما كان يريد أن يكون

مات جرجي زيدان ، فبكاه صديقه لانه كان يحمد وده واخاءه ، وبكاه جليسه لانه كان يجد فى جواره لذة الانس وجمال العشرة ، وبكاه معتفيه لانه كان يحيا بماله وبكاه صنيعته لانه كان يعيش بجاهه ، وبكاه قارىء كتبه لانه كان يجد من غزارة المادة ، وجمال الاسلوب ، وسهولة التناول ما لا يجد فى غيرها ، وبكاه قارىء رواياته ، لانه كان يجد فى خيالها

وجمال تصوراتها عونا على هموم الحياة وأرزائها . أما انا فبكيته لامر فوق هذا كله

تطلع الشمس فى كل صباح من مشرقها على هذه الكائنات ناطقها وصامتها ، حيها وميتها ، جامدها وسائلها ، فتستمد منها كل مادة حياتها التى تقومها أو صورتها التى تتشكل بها ، وتأخذ منها النباتات نماءها ، والازهار الوانها ، والنار حرارتها ، والأجسام صورتها ، والاجواء طهارتها ونقاءها والآفاق جمالها وبهاءها . وكذلك جرجى زيدان فى سماء هذا البلد

كان بطلا من ابطال الجد والعمل والهمة والنشاط ، يكتب أحسن المجلات ، ويؤلف الكتب ، وينشىء أجمل الروايات ، ويناقش ويناضل ، ويبحث وينقب ، ويستنتج ويستنبط ، ويجيب السائل ، ويفيد الطالب فى آن واحد .. فكان القدوة الحسنة بين فريق المستبرين من المصريين . ولو شئت ان اقول لقلت ان جرجى زيدان كان رئيس البعثة العلمية السورية التى وفدت الى مصر فى أواخر القرن الماضى ، فغيرت وجه العالم المصرى تغيرا كليا ، وغرست فى صحرائه القاحلة المجدبة اغراس الجد والعمل ، والشجاعة والاقدام والهمة والاستقلال

من قصيدة المرحوم احمد شوقى بك

ممالك الشرق أم ادراس اطلال ... وتلك دولاته أم رسمها البالى
أصابها الدهر الا فى مآثرها ... والدهر بالناس من حال الى حال
وصار ما تتغنى من محاسنها ... حديث ذى محنة عن صفوه الخالى
اذا جفا الحق أرضا هان جانبها ... كأنها غابة من غير رئبال
وان تحكم فيها الجهل أسلمها ... لفاتك من عوادى الذل قتال
زيدان انى مع الدنيا كعهدك بى ... رضا الصديق مقيل الحاسد القالى
رثيت قبلك احبابا فجعت بهم ... ورحت من فرقة الاحباب يرثى لى
وما علمت رفيقا غير مؤتمن ... كالموت للمرء فى حل وترحال
ارحت بالك من دنيا بلا خلق ... أليس فى الموت أقصى راحة البال
طالت عليك عوادى الدهر فى خشن ... من التراب مع الايام منهال
ما تصنع الله من خير تجده غدا ... الخير والشر مثقال بمثقال
قد أكمل الله ذياك الهلال لنا ... فلا رأى الدهر نقصا بعد اكمال
ولا يزل فى نفوس القارئين له ... كرامة الصحف الاولى على التالى
فيه الروائع من علم ومن أدب ... ومن وقائع ايام واحوال
وفيه همة نفس زانها خلق ... هما لباغى المعالى خير منوال
علمت كل نؤوم فى الرجال به ... ان الحياة بآمال واعمال

ما كان من دول الاسلام منصرما صورته كل أيام بتمثال
وما عرضت على الالباب فاكهة كالعلم تبرزه فى أحسن القال
نرى به القوم فى عز وفى ضعة والملك ما بين ادبار واقبال
وضعت خير روايات الحياة فضع رواية الموت فى اسلوبها العالى
وصف لنا كيف تجفو الروح هيكلها ويستبد البلى بالهيكل الخالى
وهل تحن اليه بعد فرقته كما يحن الى اوطانه الجالى
هضاب لبنان من منعاتك اضطربت كأن لبنان مرمى بزلزال
كذلك الارض تبكى فقد عالمها كالام تبكى ذهاب النافع الغالى

من مقال المرحوم جبران خليل جبران

لقد مات زيدان • وممات زيدان عظيم كحياته ، جليل كأعماله

لقد رقدت تلك الفكرة الكبيرة ، وحول مضجعها تحوم الآن سكينة توحى الهيبة والوقار ، وتترفع عن الحزن والبكاء

لقد تخلصت تلك الروح الطيبة ، ورحلت الى عالم نشعر به ولا ندركه ، وفى رحيلها عظة للباقين فى قبضة الايام والليالى

قد تحرر ذلك الوجدان النبيل من متاعب العمل ومشاقه ، وسار ملتفا برداء مجده الى حيث يتسامى العمل عن المشاق والمتاعب ــ قد ذهب زيدان الى حيث لا تراه العين ولا تسمعه الاذن • ولكن اذا كان زيدان قد انتقل الى احدى السيارات السابحة فى بحر اللانهاية ، فهو الآن مشغول بنفع سكانها ، منهمك بجمع معارفها ، مأخوذ بجمال تاريخها ، منصب على درس لغاتها

هذا هو زيدان ، فكرة متحمسة لا ترتاح الا الى العمل ، وروح طامحة لا تنام الا على منكبى اليقظة ، وقلب كبير مفعم بالرقة والغيرة • فاذا كانت تلك الفكرة لم تزل كائنة بكيان العقل العام ، فهى تشتغل الآن مع العقل العام ، واذا كانت تلك الروح موجودة بوجود النواميس ، فهى الآن تعمل مع النواميس • واذا كان ذلك القلب باقيا ببقاء الله ، فهو الآن ملتهب بشعلة الله

هذه هى حياة زيدان ــ ينبوع تدفق من صدر الوجود ، وسار نهرا صافيا ، يروى ما على جانبى الوادى من النبات والانصاب

وها قد بلغ النهر شاطىء البحر ، فأى متطفل يا ترى يجسر ان يندبه أو يرثيه

أو ليس الندب والنواح خليقين بالذين يقفون أمام عرش الحياة ، ثم ينصرفون قبل أن يسكبوا فى راحتيها قطرة من عرق جبينهم أو دم قلوبهم

من شاء ان يكرم زيدان ، فليطلب قسمته من خزائن المعارف والمدارك التي جمعها وتركها ارثا للعالم العربي

لا تعطوا الرجل الكبير ، بل خذوا منه ، وهكذا تكرمونه

لا تعطوا زيدان ندبا ورثاء ، بل خذوا من مواهبه وعطاياه ، وهكذا تخلدون ذكره

من قصيدة المرحوم حافظ بك ابراهيم

دعاني رفاقي والقوافي مريضة ... وقد عقدت هوج الخطوب لساني

فجئت وبي ما يعلم الله من أسى ... ومن كمد قد شفني وبراني

مللت وقوفي بينكم متلهفا ... على راحل فارقته فشجاني

افي كل يوم يضع الحزن بضعة ... من القلب اني قد فقدت جناني

كفاني ما لاقيت من لوعة الاسى ... وما نابني يوم « الامام » كفاني

تفرق أحبابي وأهلي وأخرت ... يد الله يومي فانتظرت أواني

أراني قد قصرت في حق صحبتي ... وتقصير أمثالي جناية جاني

فلا تعذروني يوم « فتحي » فانني ... لا علم ما لا يجهل الثقلان

فقد غاب عنا يوم غاب ولم يكن ... له بين هالات النوابغ ثان

وفي ذمتي « لليازجي » وديعة ... وأخرى « لزيدان » وقد سبقاني

دعاني وفائي يوم ذاك فلم أكن ... ضنينا ولكن القريض عصاني

وقد تخرس الاحزان كل مفوه ... يصرف في الانشاد كل عنان

أأنساهما والعلم فوق ثراهما ... تنكس من أعلامه علمان

وكم فزت من رب « الهلال » بحكمة ... وكم زنت من رب الضياء بيان

أزيدان لا تبعد وتلك علالة ... ينادي بها الناعون كل حسان

لك الاثر الباقي وان كنت نائيا ... فانت على رغم المنية دان

ويا قبر زيدان طويت مؤرخا ... تجلى له ما أضمر الفتيان

وعقلا ولوعا بالكنوز كأنه ... على الدر غواص ببحر عمان

وعزما شآميا له أينما مضى ... شبا هندواني وحد يماني

وكفا اذا جالت على الطرس جولة ... تمايل اعجابا بها البلدان

أشادت بذكر الراشدين كأنما ... فتى القدس مما ينبت الحرمان

سألت حماة النثر عد خلاله ... فمالي بما أعيا القريض يدان

من قصيدة المرحوم حفنى بك ناصف

وفيها يصف حرب سنة ١٩١٤

بربك يا زيدان هـل كنت تعـلم   بأن أديم الارض يصبغه الدم
وان صنوف الموت تملأ وجههـا   فلا موضـع الا بـه النـار تضرم
فابغضت ظهر الارض واعتضت بطنها   الا أن بطن الارض أنجى وأسلم
وعفت قصورا بالمصابيح زينت   وراقك قـبر فى البـلاقع مظـلم
أنست بمن تحت الثرى خامد السرى   وألهاك عنـا عبـد شمس وجرهم
أزيدان ما أنصفتنا اذ تركتنا   عليـك بكيا بينما أنت تبسم
نسيت ولم ننس الـوداد واننا   عليـك لفى بؤس وأنت منعـم
ففـارقتنا عمـدا ونحن بحاجة   لمن ينصف التـاريخ فينـا ويحكم
تعـال فارخ لـلانام حـوادثا   تشيب لها الولدان هولا وتهـرم
وأرهف يراعـا للـكتابة ماضيـا   فقـد جاء عصر بالحوادث مفعم
لئن كان ما أرخت فى زمن مضى   عظيما فما نستقبل اليوم أعظم
مـدافع تسك المسامع دونها   وتخرج من أفواههن جهنم
اذا فغـرت أفواهـهـا لـكريهة   تدك الروابى والحصـون تحطم
وسفن تبـارت فى المسيح أرياقها   اذا زال منهـا ارقم حـال ارقم
وغواصـة كالحوت تسبح خفيـة   تطـيح بمرماها سفائن عوم
وطيـارة لا يبـلغ النسر شـأوها   تدل على جيش العـدو وترجم
فتنقض منهـا كالصـواعق تارة   كرات وأحيـانا تسـدد أسهم
وأنبوبة تنسـاب منهـا سوائل   ترد هـواء الجـو يعمى ويبـكم
متى فارقت أنبوبها سرن سرسرا   اذا اشتم منهـا القوم فالقـوم جثم
ففى الجو تصعاق وفى البحر مارج   وفى البر أعضـاد تطـير ومعصم
وفى كل نـاد رنة وتحسر   وفى كل دار أينما سرت مأتم
فـلم يخل من هم صـغير ويافع   ولم تخل منـه ذات بعـل وأيم
فياويح شـبان تخوض غمـارها   ويـاويح شـبان عن الموت احجموا
لك الحق فانعم حيث أنت مع الاولى   تحب وخيم بينهـم حيث خيموا
وفاخـر بدار ليس فيهـا تبـاغض   ونافس بحكم ليس فيـه تحكم
وان غبت عنا كان فى ابنك سلوة   وان عز نطق فالهـلال يترجم

مختلف الجنسيات والنحل وهو باستمرار قيد التحول والتغيير ، بحيث لا يرجى له تقدم فى بلد قطعت صلة أطبائه باللغات الأجنبية ، يدل على ذلك ما هو مشاهد فى ممالك مختلفة كاليونان وبلغاريا والبلجيك ، فان معظم كتبها الطبية الدراسية لا تزال باللغة الأجنبية ، كما يدل عليه تبادل الجامعات للاساتذة بين وقت وآخر لتطعيم أوساطها الطبية بالآراء والأفكار الجديدة

وقد سبق ان استعرض مجلس كلية الطب هذه الأمور ، كما استعرض تاريخ التعليم الطبى فى مصر فى عهوده المختلفة ، وسمع رأى ذوى الخبرة من أعضائه الذين تعلموا بالعربية فى مدرسة الطب عن استحالة الحصول باللغة العربية على المراجع الهامة والمجلات العلمية فى شتى الموضوعات الطبية وهى المراجع التى لا تغنى عنها الكتب الدراسية المعتادة لدى راغبى الاستزادة من العلم أو الأبحاث أو التخصص ، بل لا يمكن كذلك ترجمتها لكثرة عددها من ناحية ولضرورة تكرار تلك الترجمة من ناحية أخرى كل سنتين أو ثلاث

لكل هذه الأمور أرى أن نأخذ فى تنفيذ رغبة وزارة المعارف ورغبة الجامعة بالتدريج وذلك بالاكتفاء فى الوقت الحاضر بما يلى :

١ ــ ما سبق لمجلس الكلية والجامعة اقراره من ادخال العربية كلغة للتعليم والامتحان فى مادتى التقارير الطبية الشرعية للطلبة ، والقوانين الصحية المصرية لأطباء التخصص فى دبلوم الصحة العامة ، مع تكليف المصريين من الأساتذة فى كافة الفروع تلقين طلابهم الترجمة العربية للمصطلحات الفنية الأجنبية

٢ ــ أن يضع كل أستاذ ترجمة عربية تقريبية لمصطلحات الفرع الذى يدرسه وتوزع تلك الترجمة على الطلاب لدى بدء الدراسة

٣ ــ أن يكلف أحد المدرسين فى كل فرع من الفروع باعطاء بعض الدروس العلمية أو العملية باللغة العربية لتقوية ملكتها فى الطلاب

٤ ــ أن تقرر الجامعة طبع ما يقدمه الأساتذة من المؤلفات باللغة العربية مع الاستعداد لمثل ذلك حيال الطبعات التالية لتلك المؤلفات ، وهو ما يقتضيه تقدم العلم الطبى السريع ، وذلك تشجيعاً للتأليف بتلك اللغة

على ابراهيم

رأى الدكتور منصور بك فهمى

مدير دار الكتب وأمين سر المجمع اللغوى

تحمل اللغة العربية من عناصر القوة ما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان ، قادرة على أن

تقوم بحاجات الحضارة ، فتستوعب العلوم والفنون والمخترعات ، وذلك باستخراج مكنوز ألفاظها الخفيفة على السمع ، أو باستخدام الوسائل المقررة للتوسع كالمجاز والاشتقاق

وقد باشر المجمع اللغوى النهوض بهذا العبء ، فدرس مسائل لغوية لوضع أقيسة جديدة ذات أثر كبير فى تطويع اللغة للعلم ، ووضع بناء على الأقيسة القديمة والجديدة مصطلحات طائفة من العلوم والفنون ، كالهندسة والطبيعة وعلم الأحياء ، والرسم والموسيقى . وبهذه المصطلحات التى أقرها يمكن القول بأن الكثير من أبواب هذه العلوم والفنون أصبح معبد الطريق لمن يريد التأليف أو التدريس بالعربية

وعلى الرغم من أن التجارب فى وضع المصطلحات قد جعلتنا نتفاءل بامكان الاعتماد على العربية وحدها ، فانى لا أجد مانعاً من الجنوح الى التعريب فى بعض الالفاظ التى يتعذر وضع المرادف العربى لها . وقد احتاط المجمع اللغوى لهذا الحرج ، فأجاز التعريب عند الضرورة

ويسرنى كل السرور أن أرحب بالفكرة التى اقتنع بها بعض ولاة الأمور ، وهى دعوة أقطاب اللغة العربية فى أنحاء الشرق العربى لتوحيد برامج التعليم فى بلاد الضاد ، وهيمنة العربية على جميع المواد العلمية التي تدرس فى مختلف المعاهد . فان فى هذا التعاون وصلا فكرياً بين أمم الشرق ، وتقريباً بين العقول والاذواق والمعارف يكمل ما بين الشرقيين من صلة تاريخية وتقارب روحى

فأما ما يقوله البعض من وجوب تدريس الطب باللغة الانجليزية ، استبقاء للصلة العلمية بين كلية الطب المصرية وبين كليات الطب فى الخارج ، فهذه دعوة لا أقرها ، ولا أدرى لماذا تضعف فينا النزعة القومية لاعتبارات موهومة أو غير وجيهة . فجامعات روسيا تدرس الطب بالروسية ، وجامعات تركيا تدرسه بالتركية ، وكثير من الممالك تدرسه بلغاتها المختلفة . والواقع أن الصلة العلمية باقية وإن اختلفت اللغة ، فالطبيب شخص مثقف يعرف الى جانب لغته القومية لغات أخرى ، فهو يدرس بلغة قومه ، ويستطيع مع ذلك أن يطلع على الابحاث العلمية باحدى اللغات الحية ، وأن يغذى لغته بثمارها . وبذلك لا يفوته شىء ، فوق إرضائه النزعة القومية فى نفسه ، وخدمة لغة آبائه وأجداده

ولا يفوتنى أن أشير الى جامعة دمشق ، فالطب يدرس بالعربية فيها ، ولاشك أن هذه خطوة يحفزنا نجاحها على أن نتابع السير ، وأن نحقق آمالنا فى إنهاض لغتنا حتى تساير الزمن فى تقدمه

منصور فهمى

رأى الدكتور محمد محمود غالى

بمصلحة الطبيعيات

هناك خطأ قد يحدث فى الاجابة عن السؤال المتقدم إن أخذ بالوضع الذى هو عليه ، إذ عندما

تقرر ان العربية صالحة لتكون لغة العلم كما كانت لغة المدنيـة والعلم فى عصورها السالفة قد ينشأ عن هذا انه يجوز لوزارة المعارف أن توجه التعليم فى كليتى الطب والعلوم باللغة العربية . أحسب ان « الهلال » تسأل عن صلاحية اللغة العربية لتعليم الجامعى لا للعلم ، وأحسب أن الغرض من إثارة الموضوع هو أن نعرف ماذا نحن فاعلون فى تدريس هذه العلوم فى المرحلة التى نحن فيها أنستمر فى تدريسها باللغات الاجنبية ، أم نحاول تدريسها باللغة العربية ؟

أما صلاحية اللغة للعلم فأمر لا شك فيـه وان كانت لا تبلغ كمالها إلا بجهود متتابعة ، لا من المجمع اللغوى فحسب بل من المؤلفين والمترجمين يضيفون الى ثروة اللغة كنزاً جديداً مع الاحتفاظ ما أمكن بالمصطلحات التى جرت على جميع الألسن فاكتسبت صيغة عالمية مثل هـذه المسميات « الكترون » « بوزيتون » « نيترون » « فوتون » وهى حبيبات الكهرباء ، والمادة والضوء ، وقد حاولت هذا العام كتابة مقالات متتابعة فى « الرسالة » عن فلسفة العلوم الطبيعية وأعتقد انى لم أجد صعوبة كبرى فى كتابتها بالعربية ، وأذكر بهذه المناسبة ما سمعته فى محاضرة ألقاها الاستاذ اسماعيل مظهر فى المجمع الثقافى هذا العام من ان هنالك (٤٠٠ر٠٠٠) كلمة افرنجية فى عالم النبات يراد من المجمع اللغوى أن يضع لها مترادفات عربية وفى رأيى ان المجمع قد يوفق الى وضع ملايين الكلمات الجديدة ، التى تماشى أساليب العرب القدماء ، ولكنه لن يوفق الى إيجاد جيل من الشباب يستعمل هذه الكلمات ويفهم بها ما يحدث فى مختلف أنحاء العالم من الاعمال العلمية التى تسير به الى الأمام ، انى أعلق آمالا على همة العلماء المشتغلين أكثر من اللغويين

ولنعد الآن الى المقصود من السؤال : من البين أننا فى هذا الطور من الانتقال الذى تجتازه بلادنا يجب أن نفصح عن آرائنا غير متأثرين بما يرجيه الينا معاصرونا وقارئو آرائنا من الاعجاب . هنالك وفى كل بلد كتاب لا يكتبون ليعبروا عن عميق آرائهم ، بل ليكون لهم مصفقون ومعجبون ولكن هؤلاء الكتاب إن وصفوا بأية صفة فلا يوصفون بأنهم من المصلحين ، وعلى ذلك فلندع جانباً حبنا للغة العربية وميلنا للعروبة ولننظر الى مصلحتنا ومصلحة غيرنا من أبناء العربية ونجعل مصالحنا فوق الميول والعواطف

المفروض فى التعليم الجامعى أن يخرج للبلاد طائفة من الشباب لهم القدرة على فهم ما يحدث فى المختبرات ودور العلم فى بلاد الغير وما يتجدد كل يوم فى التراث العلمى الذى أصبح من العظمة بحيث صار من العسير على الكثير تتبعه ، فاننا إزاء هيكل المعرفة العظيم الذى يعلى بناءه علماء مجيدون لا ينبغى أن يقف عملنا على مشاهدة ما يتم على أيدى أولئك العاملين ، بل يجب أن تكون لنا فى هذا الهيكل آثار تشهد بأننا عضو فى جسم العالم المتمدن

إن النشرات العلمية الجديدة لا تنقطع عن الظهور وانى أضرب مثلا فى العلوم الطبيعية بما يجده الباحث عن موضوع « الأشعة الكونية » الذى تظهر فيه الأبحاث الجديدة بمتوسط نشرتين

فى الأسبوع ، وما يقال عن هذه الأشعة يقال عن « التفتت الذرى » ويلزم لتتبع هذه النشرات الحديثة ولمعرفة التطورات السريعة التى تطرأ كل يوم على معارفنا أن نجارى أوربا وأمريكا اليوم فى أعظم مجهود عرفته الانسانية وذلك بالاطلاع والفهم المستمر لما يحدثه علماء أهل هذين القارتين من التجديد

فمن الواجب إذن أن يتاح تعليم العلوم فى كليتى العلوم والطب باللغات الاجنبية فى الوقت الحاضر مع استثناء بعض مواد قليلة يرجع اختيارها الى رأى القائمين بتدريس هذه المواد

وحتى لا يضيع على شبابنا شيء من الفائدة وحتى نساهم فى أن تصبح العربية أكثر صلاحية للعلم الحديث أرى فى فترة الانتقال التى نحن فيها أن يمتحن الطالب فى كل المواد باللغات الاجنبية على أن تختار الكلية كل عام مادة يمتحن الطالب فيها باللغتين العربية والافرنجية . على ان تغير هذه المادة من عام الى آخر يقتضى جهداً كبيراً يقوم به الأساتذة وغيرهم من العلماء المصريين والشرقيين ، وذلك بأن يقوموا بوضع أو ترجمة مؤلفات لها قيمتها فى المادة قبل تدريسها

هذا رأيى أقوله فى صراحة ما دامت أوربا مركز المدنية والمعرفة — أما اذا شاء القدر أن ينتقل هذا المركز يوماً الى عواصمنا فعندئذ يكون لنا أمر آخر

لقد كانت فيما مضى عوامل رئيسية ومعروفة سبباً فى تأخرنا عن البلاد الغربية ، ولقد زال بعضها كما أن البعض الآخر فى سبيل الزوال ، فلا يتسرب اليأس الى نفوسنا ، وعلينا أن نستعيد مجدنا والى أن نستعيده لنسترد مركزاً ممتازاً كان لنا فى العلم ، يجب أن نتمشى مع أوربا فى تقدمها وأن ندرس علومها باللغة التى تجرى فيها التجديد والاكتشاف وإلا تركنا العالم المتحضر ووصلنا الى حالة لا نفهمه فيها ولا يفهمنا إلا بالقدر الذى يسيطر علينا فيه كما كان يسيطر علينا لعهد قريب

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون — ليسانس العلوم التعليمية — ليسانس العلوم الحرة — دبلوم المهندسخانة

حر القاهرة

للاستاذ خيرالدين الزركلى

أيها السائلون عنا بمصر كيف نضحى بها ، وكيف نبيت
نحن فى هذه المدينة نحيا حين نمسى ، وفى النهار نموت

خيرالدين الزركلى

مهمة الوزير

هل هي سياسية أو إدارية

بقلم الدكتور وحيد فكرى رأفت

أستاذ القانون الدستورى والقانون الادارى
بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الاول

الوزير هو الرئيس الاعلى لوزارته ، والمسؤول عن ادارتها وأعمالها أمام البرلمان . ولا تخرج أعمال الوزير عما يأتى :

(١) الرقابة والتوجيه العام (٢) ترتيب شؤون وزارته (٣) السلطة الرئاسية (٤) السلطة التأديبية (٥) تعيين الموظفين وترقيتهم ونقلهم وعزلهم (٦) التوقيع على القوانين والمراسيم (٧) سلطة الفصل فى المسائل الهامة (٨) وضع اللوائح (٩) الاذن بالصرف (١٠) النيابة عن الدولة فى العقود والتصرفات القانونية والقضايا

والرقابة والتوجيه العام أهم عمل يؤديه الوزير البرلمانى . فالوزير فى النظام البرلمانى خصوصا اذا لم يكن فنيا ، يجب ألا يدير وزارته بنفسه ، بل يترك ذلك لكبار الموظفين الفنيين من رؤساء المصالح ومديرى الادارات وعلى رأسهم وكيل الوزارة الدائم ، يعملون تحت اشراف الوزير ورقابته لتحقيق البرنامج الذى يضعه لوزارته . وهذا ما عبر عنه أحد ساسة الانكليز بقوله :

« The business of a cabinet minister is not to work his department. His business is to see that is properly worked. »

وترجمتها : « ليست مهمة الوزير أن يدير شئون وزارته الادارية اليومية المباشرة ، بل الاشراف على حسن سير العمل فيها »

ومن الممكن الاعتراض على ذلك بأن الوزير هو المسئول عن أعمال وزارته فيجب أن يديرها بنفسه ، ولكن هذا الاعتراض مردود لسببين :

أولا ــ لان الوزير البرلمانى قد لا يكون فنيا مارس شئون الوزارة التى يتولاها كوجود محام أو مستشار سابق مثلا على رأس وزارة كوزارة الاشغال . وقد يكون هذا الوزير حجة قانونية ولكن معلوماته لن تكون الا سطحية بطبيعة الحال فيما يتعلق بالرى والصرف أو الميكانيكا والكهرباء

ثانيا - لان مناط المسئولية الوزارية فى النظام البرلمانى الصحيح ليس هو مباشرة الوزير للادارة الفعلية بل مباشرته للرقابة الجوية لهذه الادارة • وليست هذه بالمهمة الثانوية كما يتصور البعض فرقابة الوزير هى الضمانة لسير الادارة فى حدود القانون والمصلحة العامة • واصلاح الخطأ وتقويم المعوج واستقامة العمل بالمصالح العمومية التى أصبح صلاحها عماد حياتنا الخاصة والعامة • ولكى تكون هذه الرقابة مجدية نافعة يجب أن يشعر كل موظف بأن عليه فى كل حركة حسيبا وعلى كل عمل يأتيه رقيبا • ومثل هذه الرقابة لا يستطيع الوزير أن يقوم بها ويفرغ لها اذا ملأنا عمله بشؤون التنفيذ اليومية التافهة

أما ترتيب الوزير شئون وزارته ، فالمشاهد أحيانا أن بعض الوزراء بمجرد تربعه فى كرسى وزارته يضع همه كله فى هدم ما أنشأه سلفه فيلغى ما أوجده من ادارات جديدة لا لشىء الا لكى ينسب فضلها اليه • كلمة حق قالها أحد الكتاب العصريين : « الوزارة ليست ملكا لاحد ، بل هى بيت للايجار » فليكن رائد كل وزير فيما يجريه من ترتيب وتنظيم فى وزارته ، المصلحة العامة ولا يضير الوزير القائم مطلقا ابقاؤه على نظام أوجده سلفه ، وأظهر العمل فائدته

أما سلطة الوزير فى تعيين الموظفين وترقيتهم ونقلهم وعزلهم فقد يرى البعض أن تلك سلطة طبيعية وأنه اختصاص فى محله • أليس الوزير هو الرئيس الاعلى لوزارته ؟ أليس هو المسئول عن أعمال موظفيه أمام البرلمان ؟

أرى أن هذا القول لا يقوله الا غير بعيد النظر اذ يجب الا يفوتنا أن الوزير البرلمانى ليس رجل ادارة فحسب ، بل هو قبل كل شىء رجل سياسى ينتمى الى حزب معين ، ولم يرتق الى كرسى الوزارة فى الغالب الا بعد نجاحه فى دائرة من الدوائر وبتأييد أنصار عديدين ، وهؤلاء يطالبونه اذا ما وصل الى الحكم أن يأخذ بيدهم ، وأن يفتح لهم أو لأبنائهم وأقاربهم وأصدقائهم أبواب الوظائف • ثم هو لا يبقى فى الحكم الا بتأييد النواب ولهؤلاء أيضا أقارب ومطالب وشفاعات ورجوات ، فلا يمكن أن نرجو من الوزير البرلمانى - وهذا أصله السياسى ، والاهواء السياسية تتجاذبه من كل جانب - أن يتحرر فى استعماله لسلطاته ، من كل اعتبار سياسى

ولا يمكن أن تستقيم الامور ويقضى على المحسوبية فى الوظائف ولا يمكن أن يصبح أساس التعيين والترقية الكفاءة والجدارة ، الا اذا قضينا (أولا) أو ضيقنا الى أقصى حد ، على الاختصاصات الاستثنائية المعطاة لمجلس الوزراء فى هذا الصدد • والا (ثانيا) اذا رفعنا عن كاهل الوزير السياسى ، هذه السلطة ، سلطة التعيين والترقية فى الوظائف العامة وعهدنا بها الى هيئة فنية دائمة لا تعرف السياسة ولا تتأثر بأهوائها

هذا ما حققته انكلترا بعد ان جربت تغلغل السياسة فى الوظائف وما ترتب على ذلك

من ضعف الآلة الحكومية ، ووهن الادارة وارهاق الوزراء بمطالب لا حد لها فقررت منذ سنة ١٨٣٤ – وفى سنة ١٨٧٠ خاصة – أن التعيين لجميع الوظائف المدنية يكون على أساس امتحان مسابقة تحت رقابة لجنة مكونة من ثلاثة من كبار الموظفين ، نزاهتهم وعدالتهم فوق كل ريبة ، أطلق عليهم اسم « Civil service commissioners » وهذه اللجنة مستقلة عن جميع الوزارات ، بعيدة عن تدخل الاحزاب ، ومهمتها وضع مناهج امتحانات المسابقة ، واعتماد الدخول فيها ، وترتيب الناجحين • ولا يستثنى من ذلك الا حالات محصورة كالمناصب التى تتطلب خبرة فنية استثنائية

كما استبعدت انجلترا النفوذ السياسى من أمر الترقية فصارت لا تقوم الا على الجدارة اما بناء على امتحانات مسابقة واما بناء على تقارير سنوية يقدمها الرؤساء عن كل موظف فى ميعاد معين من السنة تحول الى بيانات معينة دقيقة بأسلوب خاص ، لتسهيل الموازنة بين كفاءة الموظفين • فيذكر فى التقرير السنوى عن كل موظف ملاحظات الرئيس بالنسبة للصفات الآتية ، الدراية ، الشخصية ، وقوة الخلق ، والتميز ، وحسن الحكم على الاشياء ، والاستعداد لتحمل المسئولية ، والابتكار ، والدقة والحذق ، واللباقة ، وحسن الادارة ، والاخلاص ، والسلوك فى العمل الرسمى ، ودرجة الاهلية للترقى لدرجة أعلى

هذا النظام الذى طبقته انجلترا منذ القرن الماضى ولم تحد عنه للآن ، كان له أحسن النتائج بشهادة الجميع من انجليز وأجانب ، فلم لا نأخذ به فى مصر بعد ان ضج الرأى العام مما نحن فيه ؟ لاسيما وأن أثر النظام الانكليزى لم يقتصر على الوظائف وسير العمل الادارى ، بل وطد النظام البرلمانى نفسه اذ أصبح الافراد والانصار لا يفضلون حزبا على حزب لمبلغ المنافع المادية عند توليه الحكم ، بل لسياسته القومية وكيفية معالجته للمسائل العامة

كذلك يتمتع الوزير عندنا بحق يكاد يكون مطلقا فى نقل الموظفين التابعين له من جهة لأخرى ، ومن الديوان العام الى الاقاليم • وكثيرا ما استعملت الوزارات المتعاقبة هذه السلطة نكاية ببعض الموظفين الذين تشك فى ميولهم السياسية نحوها • وهذه السلطة يجب ألا تترك للوزير يتصرف فيها وحده كيفما يشاء ، بل يجب فيما يتعلق ببعض فئات من الموظفين على الاقل كالقضاة أن يؤخذ فى ذلك رأى لجنة فنية بعيدة عن الاهواء

أما حق الوزير فى عزل الموظفين التابعين لوزارته فمقيد منذ صدور الامر العالى المشتمل على لائحة « تسوية حالة المستخدمين الملكيين » فى ١٠ ابريل سنة ١٨٨٣ • فقد نصت المادة التاسعة منه « لا يمكن فى سائر الاحوال رفت المستخدم الا بموافقة رأى مجلس التأديب على ذلك »

وان كان من الملاحظ أن هذا النص يقتصر على الموظفين الدائمين وأن بعض القوانين

تمنح الوزير حق عزل الموظف الدائم بقرار وزارى فلوزير الخارجية بمقتضى المرسوم بقانون الصادر فى ٥ أغسطس سنة ١٩٢٥ حق عزل مأمور القنصلية دون الالتجاء الى مجلس التأديب . يضاف الى ذلك أن مالا يجوز للوزير منفردا يجوز لمجلس الوزراء مجتمعا

بقيت نقطة هامة لا بد من الاشارة اليها ونحن بصدد بيان مهمة الوزير

وهى حق الوزير فى الفصل فى جميع المسائل الهامة المتعلقة بشئون وزارته . ويختلف مدى هذا الحق حسب نظام التركيز أو نظام التوزيع على الهيئات الادارية المتبع فى الدولة . ففى مصر حيث يسود نظام التركيز نجد السلطة كلها محصورة فى دواوين الوزارات القائمة فى القاهرة . والوزير بيده كل كبيرة وصغيرة . بينما نرى فى انجلترا الاختصاص بمقتضى العرف ، والعمل موزعا بين الوزير كرئيس اعلى لوزارته ووكيل الوزارة الدائم ورؤساء المصالح والادارات فيجوز لهؤلاء أن يفصلوا فى كثير من المسائل بدون الرجوع الى الوزير . والطريقه المتبعة فى مصر طريقة عقيمة لما يترتب عليها من كثرة الموافقات والامضاءات الادارية المتعاقبة وما يجده ذلك من ضياع الوقت والبطء فى العمل وتشتيت المسئولية

والوزير مهما بلغ نشاطه وذكاؤه ومرانه لا يستطيع أن يعنى عناية جدية بمئات المسائل التى تعرض عليه ويطلب اليه وحده الفصل فيها نهائيا . اذ أن مجرد قراءة بعض الملفات والاوراق التى تعرض عليه كل يوم للتوقيع عليها يستغرق ساعات يومه جميعا . وفى غالب الاحيان لا يعلم من أمر الاوراق التى يوقع عليها الا ما يقوله له بعض موظفيه وهم لا يقولون الا ما يختارون . واذا لاحظنا أن أعمال الوزير قد زادت فى السنوات الاخيرة منذ العمل بالدستور والنظام البرلمانى وما يستلزمه ذلك من ضرورة حضور الوزير لجلسات المجلسين ، والاجابة على ما يوجه اليه من أسئلة واستجوابات ، أدركنا أنه أصبح من الضرورى اعادة النظر فى تشريعنا ونظامنا الادارى وتعديله تعديلا يعطى مديرى المصالح ووكيل الوزارة الدائم أوسع مجال للعمل تستلزمه أعباء مناصبهم ، وتوزيع العمل وسلطة الفصل والبت فى المسائل بين المناصب المختلفة ، بطريقة ملائمة حتى يستطيع الوزير أن يتفرغ للمسائل الهامة وحدها أو لمهمته الاساسية : التوجيه العام والاشراف . وهذا هو نفس ما قرره المؤتمر الدولى الخامس للعلوم الادارية عقب دراسته لموضوع اعادة تنظيم العمل فى المصالح العمومية تنظيما يتمشى مع اختصاصات العصر الحاضر

وحيد فكرى رأفت

بمناسبة مرور ١٥٠ سنة على الثورة الفرنسية

مصرع الطاغية روبسبير

بقلم الاستاذ حسن الشريف

اذا لم يكن مكسيمليان روبسبير أغرب رجل عرفه التاريخ فهو بلا شك أغرب رجال الثورة الفرنسية طرا وأعقدهم شخصية وأعصاهم على الفهم والتحليل . ولا أذكر أني عنيت بدرس رجل من رجال التاريخ عنايتي بدرس ذلك الرجل . فلقد قرأت سيرته مسطورة بأقلام المعجبين بالثورة وبأقلام المشهرين بها ، وقرأتها مدونة في مذكرات معاصريه وفي كتب مؤرخيه ، ثم استعنت على تفهم شخصيته العجيبة بما كتبه عنه الثقات الكبار أمثال تين وتيير وسوريل ومادلان ومدام ده ستال ، ومع ذلك لا يزال روبسبير أمامي سرا مغلقا ولغزا مستعصيا ، ولا يزال عقلي يقف حائرا حيال ذلك الرجل المروع الهائل الذي أراق من الدماء ما أراق وازهق من الارواح ما أزهق وهو هادىء النفس مرتاح الضمير ، لم يدفعه الى ذلك حقد ولا طمع ولم يأخذه في ذلك اشفاق ولا ورع . ولا شك عندي في انه سوف تنقضي سنون وسنون قبل أن يقول التاريخ قولته الفاصلة فيه

كان روبسبير رجلا شديد الكبرياء شديد التعالي ، مفرطا في الاعجاب بنفسه نزاعا الى تقديس ذاته ، يود لو يرى الناس في كماله كمال الآلهة وفي عصمته عصمة الرسل . وكان يؤمن بالفضيلة ويريدها أساسا تقوم عليه الجمهورية ، وينصب نفسه مثلا أعلى للفضائل الانسانية يدعو الحاكمين والمحكومين الى الاخذ عنه والاقتداء به . واذا كانوا قد لقبوه بالرجل « النزيه » فلانه حقا فوق متناول الفتنة والاغراء . ولانه عاش ما عاش طاهر الذيل عف اليدين ، لم يعرف عنه انه صبا الى امرأة أو استحل مالا من مصدر مريب . وان تقدير المؤرخ لنزاهته ليتزايد كلما ذكرنا أن الفساد في عصره كان قد عم القمم وطغى على الاخلاق

لقد كان يحتقر المال حتى ليأنف ان تمسه كفاه ، ويحتقر النساء حتى لترضى نفسه بكل شىء الا أن يرى امرأة تتدخل في الشئون العامة أو تقحم نفسها في أمور السياسة وشئون الاحزاب . ولقد تعقب بحقده كل النساء اللائي اردن أن يكون لهن رأي في قيادة الجماهير أو في توجيه سياسة الهيئات ، فأعدم مدام رولان وأعدم لوسيل زوجة صديقه القديم كمي ديمولان ، ولو امتد به الاجل لاعدم أيضا جوزفين بوهارنيه ومدام تاليان

ولقد غالى بنفسه عرفانه لقيمتها فصانها عن صحبة الناس ورفعها فوق المستوى الاجتماعي الذي عاش فيه ، فلم يختلط بالشعب ولم ينزل عن عزلته الى المجتمعات العامة الا ليخطب انصاره في ناديه ، ولم يشأ أن يجاري الزعماء في التقرب الى الدهماء بلبس لباسها وحمل شعارها ، ولم يصطف من صحابته في الجهاد الا الفتى الرهيب سانجوست لان هذا الفتى قد آمن به قبل أن يعرفه وقدسه قبل أن يراه وكتب اليه يوما من أقصى الريف يقول : « أنت يا من لا أعرفك الا بآياتك كما لا أعرف الله الا بآلائه » . ولم يصطنع من اعوانه الا الوحش ماراه لان ماراه آمن بسموه على سائر الناس وسماه « الزعيم المعصوم » . ولم يألف من نصرائه الا المخاتل كوثون لانه خطب مرة فقال : « ان روبسبير

هو العبقرى المنزه الذي لا ترقى اليه الغواية ، والوطنى الاعظم الذى تنير فضائله سبل الجمهورية »
ولقد انتهى الرجل الى ان حسب نفسه مختار العناية الآلهية لتطهير المجتمع من أدران الرذيلة والمرسل من السماء برسالة يؤديها فى هذا العالم وهى اقامة حكم الفضيلة فيه ، فبات يعتقد اعتقادا لا تعتوره الشكوك بأنه ممثل الفضائل السياسية والمدنية كلها وان من خاصمه فقد خاصم الحرية والشرف والجمهورية وسائر المعانى الانسانية الرفيعة التى جاء ليرفع منارها وليدعو الناس اليها

ولما كان يعلم أن الرذيلة متأصلة في البيئة الاجتماعية حتى ليتعذر استئصالها بالمثل التى تضرب أو بالقوانين التى تشرع ، فهو لم ير غير الطغيان وسيلة لمكافحتها والحد من شرورها ، على أن يكون هذا الطغيان فاضلا ونزيها لا يتأثر بالاغراض ولا يعمل الا للصالح العام . وفى ذلك يقول قولته المشهورة : « انا لا أريد الطغيان لذاته وانما أريده دعامة للجمهورية الصالحة »

اذن فالفضيلة هى قاعدة الحكم ، والجمهورية الصالحة هى نظام الحكم ، والطغيان النزيه هو وسيلة الحكم . فاذا فهمت هذه النظرية واستطعت أن توفق بين قواعدها فقد فهمت روبسبيير واستطعت أن توفق بين مبادئه الوطنية الكريمة وسياسته الوحشية الدامية

ولكن لكى تقوم الجمهورية الصالحة على اسس قوية من الفضيلة ، يجب أن يكون الطغيان عاما شاملا يسوى بين الجميع ولا يفرق بين الحاكمين والمحكومين ، وأن يكون منظما بحيث يكفل تحقيق الغاية التى وجد لتحقيقها وبحيث يحمى نفسه من طغيان الرذيلة عليه ، وأن يهيمن على تنفيذه رجل كامل لا تتسامى الريبة الى عصمته ولا يتأثر بالعواطف ولا يخضع للشهوات ولا يمالىء فى الحق ولا يتسامح فيما يمس مصالح الوطن ومرافق البلاد ، وهذا الرجل الذى تجتمع فيه تلك الفضائل كلها هو روبسبيير

ومن ثم كان تأليف الهيئة العرفية التى سميت « لجنة الانقاذ العام » بمثابة سلطة تنفيذية ، وتشكيل المحكمة الثورية بمثابة هيئة قضائية ، ومن ثم أيضا كان سن قانون المشبوهين الذى يأخذ الناس بالشبهات لا بالجرائم وبالنيات لا بالاعمال ، وسن قانون المراقبات الذى يحرم المتهمين حق الدفاع عن أنفسهم ويقصيهم عن قاعة الجلسات عند محاكمتهم ويعفى القضاة من سماع الشهود ومن قراءة الاوراق ، وسن قانون الاتهام الذى يجيز القبض على نواب الامة بقرار من لجنة الانقاذ وبغير استئذان الهيئة التى ينتسبون اليها فى رفع الحصانة النيابية عنهم ، وسن قانون الاحكام الذى يجيز الحكم على المتهمين فى قضية واحدة حكما يشمل الجميع دفعة واحدة بصرف النظر عن مبلغ نصيب كل منهم فى التهمة العامة

وكان جنون الكبرياء يصور لروبسبيير أن ليس لشخصه أعداء ولا اصدقاء وانه لا يدين لاحد بفضل ولا يضمر لانسان ضغينة ، وان جميع مواطنيه مدينون له بنعمة وجوده فيهم ، فمن والاه منهم فقد والى الفضيلة وكفاه ذلك شرفا ومجدا ، ومن عاداه فقد عادى الفضيلة والوطن والحرية واستحق الموت . لذلك لا نعجب اذا رأيناه يضرب اصدقاءه بنفس القسوة التى يضرب بها اعداءه ولا تأخذه فى أحدهم رحمة ولا يشفع له لديه أى اعتبار

تسلح روبسبيير بتلك العدة الهائلة من الهيئات العرفية والقوانين الاستثنائية وبرز لخصومه ـ الذين هم خصوم الفضيلة والوطن والحرية ـ معلنا عليهم حربا لا هوادة فيها ولا رحمة . ولقد استطاع بثلاث ضربات موفقة أن يتخلص من معظم الذين كانوا يسدون أمامه الطريق الى الدكتاتورية الفاضلة التى تنقذ الجمهورية من دعاة الرذيلة وتطهرها من عوامل الفساد : فقد سلط دانتون وكمى ديمولان على الجيرونديين ، ثم سلطهما على ايبير وشيعته ، ثم عاد فسلط سانجوست وكوتون على دانتون وكمى

ديمولان . فلما حزت المقصلة جميع تلك الرؤوس التي دبرت الثورة وألهبت نيرانها وكان خنجر الفتاة شارلوت كورداي قد خلصه من صديقه الخطر ماراه ، خلا له الجو وأصبح رجل الساعة والسيد الذي لا راد لكلمته ولا معقب على حكمه . فالمجلس الوطني يطأطئ أمامه الرأس ويبرم مقترحاته بغير ما بحث ولا مناقشة ، والمحكمة الثورية تسلس له قيادها وتستوحيه في احكامها فيتحكم في ضمائر قضاتها وذمم محلفيها بواسطة صنيعتيه الرئيس دوماه والنائب العام فوكييه تانفيل ، والجيش يأتمر بأوامره ويتفانى في خدمته بفضل قيادة الجنرال هانريو الذي اشتهر باسم « حمار روبسبيير » وهيئة المجلس البلدي « الكومون » وعلى رأسها صديقه فلوريو عمدة باريس ترى الفخر في مرضاته ومماشاة أهوائه حتى لتثور على المجلس الوطني نفسه اذا عارضت مشيئته مشيئة روبسبيير

واذا قلنا ان الامر استتب لروبسبيير فمعنى ذلك أن عهد الارهاب قد دخل في طوره الحاد ، وان نشاط المحاكم الثورية قد تضاعف ، وان السجون قد اكتظت بمن فيها ، وان البلاء قد عم وساد البلاد . فلقد كثرت احكام الاعدام كثرة جعلت دفن الجثث عملية متعذرة على السلطات فنقلت المقصلة من مكانها بميدان الثورة الى مكان آخر عند مدخل المدينة حيث حفروا خندقا كانوا يلقون الجثث فيه اكداسا فوق اكداس

ولقد نشطت عمليات القمع والتطهير في العاصمة والاقاليم حتى استحالت مجازر تشيب من هولها الرؤوس . وحسبنا لنتصور مبلغ ذلك الهول أن نعلم أن محكمة باريس الثورية قد اصدرت في خلال الستة الاسابيع الاخيرة من عهد الارهاب ١٣٧٦ حكم اعدام ، وانه في ليلة السادس والعشرين من شهر يوليو سنة ١٧٩٣ (أي عشية سقوط روبسبيير) كان في سجن مدينة أراس الف سجين سياسي محكوم عليهم بالاعدام ، وفي سجون استراسبور ثلاثة آلاف ، وفي سجون ليون الف وخمسمائة ، وفي سجون باريس سبعة آلاف ، وان المقاصل كانت ستحز تلك الآلاف من الرقاب لولا أن ادركها لطف الله فسقط روبسبيير وانتهى بسقوطه عهد الطغيان

واشتدت وطأة الارهاب على البلاد وشملتها حتى عمت ارجاءها . وبعد ان كانت المحاكم الثورية تحاكم الافراد والاحزاب صارت تحاكم المدن . فكان ما كان من تأديب مدينة ليون بتخريبها واعدام الآلاف من سكانها لان مجلس الاحكام فيها اجترأ على قتل رجل اسمه شالييه كان دجالا متطرفا من شيعة روبسبيير . وجاء دور مدينة بوردوه فحل بها من الدمار والخراب ما حل باختها ليون لانها حاولت أن تثور على طغيان القائمين بالامر في المجلس الوطني ولجنة الانقاذ

واذا كان الذعر قد عم الافراد والاحزاب والمدن الثائرة فهو قد عم أيضا نواب الامة وممثليها فمنذ استصدر روبسبيير قانون الغاء الحصانة النيابية بات كثير من النواب غير آمنين على انفسهم وأخذوا ينظرون بعين الهلع الى ذلك السيف المرهف فوق رؤوسهم ويتوقعون أن يهوى على رقابهم في أي لحظة . فكان بعضهم يهجرون بيوتهم ويلجأون الى مخابئ يقضون فيها الليل ولا تطاوعهم قلوبهم الواجفة على المبيت في مخبأ واحد ليلتين متواليتين . ولعل مما يصور لنا مبلغ الفزع الذي استولى على نفوس النواب المهددين ومبلغ الرهبة التي ملكت قلوبهم أن أحدهم استغرق لحظة في التفكير في شأن يعنيه بينما كان روبسبيير يخطب فوق المنبر ، ثم حانت منه التفاتة فابصر عيني الزعيم مصوبتين اليه فاعترته رعشة شديدة وهمس في أذن جاره : « يا ويلي ويا مصيبتي اذا ظن اني غير مصغ اليه أو غير مهتم بما يقول »

ولم يعتم ممثلو الامة حتى ادركوا مدى القوة التي يضعها ذلك القانون في يد الطاغية ، وأحس مائة منهم حد السكين يداعب اعناقهم ، فحاول بعضهم ان يحمل المجلس على اعادة النظر فيه تمهيدا

لتعديله تعديلا لا يدعه اداة بطش فى يد الزعيم . وصادف هذا الاقتراح هوى فى نفوس الاعضاء فهبوا لتأييده ، وتحمس واحد منهم فقال : « اذا أقرت الهيئة هذا القانون لم يبق أمامى الا أن انتحر احتجاجا عليه » ولكن روبسبيير ارتقى المنبر وسلط على المعارضين نظراته المخيفة وصاح : « انما يخشى هذا القانون المجرمون ، فمن عارضه فقد اتهم نفسه بنفسه . ان بعض الملوثين يشفقون على أنفسهم من صرامة العدالة ويحاولون أن يلعبوا بارادة الشعب وان ينسخوا ما أبرم من القوانين . وتلك محاولات مجرمة تنم على نفسها وتحدثكم عن خيانة اصحابها . ولسوف يلاقى أولئك الآثمون العقوبة التى تعلم غيرهم أن الشعب جاد غير هازل وأن الثورة تقضى على خصومها قبل أن تتسامى جرائمهم الى قدسها الرفيع » عندئذ خرست المعارضة ورفض اقتراح التعديل

بيد أن الشعب الذى كان روبسبيير يزعم انه ينفذ ارادته لم يكن ليجد مبررا لسياسة الطغيان والارهاب ولا يرى داعيا يدعو الى أخذ الناس بكل تلك الشدة المهلكة . واذا كان الزعيم قد ادخل فى روعه ان حالة الحرب والمحن التى يقاسيها الجيش فى الميدان والفتن التى تعرقل جهود الحكومة فى سبيل الانتصار ، كل ذلك من شأنه أن يحمل الحكومة على اللجوء الى أقسى الوسائل لحفظ النظام فى الداخل ولمواجهة المغير فى الخارج ، فان الاحوال قد تحسنت تحسنا كبيرا ، وها هى تلك أخبار الحرب تبشر بانتصار جيوش الجمهورية فى جميع الميادين ، وأخبار الفتن الاهلية تتوالى منبئة باندحار العصابات الملكية فى كل مكان . فعلام اذن كل هذا البطش والتنكيل وفيم اراقة الدماء وازهاق الارواح والفتك بالابرياء وجعل الوطن جحيما وقوده خير من انجب من الابناء ؟

ولقد أحس المجلس الوطنى من الشعب هذه الروح المتبرمة وآنس فى نفوس الاهالى مقتا شديدا لتلك الحال ، فخشى عاقبة اطلاق العنان لروبسبيير وما قد يترتب على هذا الاطلاق من استعار نار الثورة الكامنة فى الصدور ، وجاء قانون الغاء الحصانة النيابية ففتح أعين النواب على حقيقة ما يراد به ، فبدأت علامات الضجر والتململ من سياسة روبسبيير تتجلى فى شتى النواحى ، وأخذت بوادر القلق والخوف تتبدى هنا وهناك ، وساد المجلس حالة غريبة من حالات الذعر والهلع جعلت النواب يفكرون تفكيرا واحدا ويحسون احساسا واحدا ، ولكن لم يكن أحد منهم ليجسر على مصارحة الآخرين بما فى نفسه أو يجرؤ على مكاشفة جاره بهواجسه ووساوسه ، فكان كل منهم يمضى حزينا مكتئبا مهموما يسائل الغيب عما ستطلع عليه به شمس الغد القريب . ولكن تلك العلامات الخفية والبوادر المترددة الحائرة لم تكن لتفوت رجلا ذكيا متوقد الاحساس كروبسبيير . فلقد صار يشعر أن أولئك النواب الذين كانوا يحيطون به ويتسابقون اليه ويتحسسون رغباته ويتبارون فى مرضاته أصبحوا يتحاشونه ويتحفظون فى الكلام أمامه وينظرون اليه نظرات قلقة خائفة كأنها تتوجس منه الشر أو تريد أن تخترق جمجمته لتتعرف ما يدور برأسه من الافكار . ثم انقلب هذا الحدس يقينا اثر احتفال شعبى كبير تعمد الرجل أن يتقدم فيه سائر ممثلى الامة فسار فى طليعتهم اعلانا لزعامته واثباتا لسيطرته ، وألقى فى ذلك الاجتماع خطابا تجلى فيه غروره بقدر ما تجلت مطامعه ، فبرم النواب بتعاليه وضاقت صدورهم بكبريائه ولم يقووا على كتم ما فى نفوسهم ففاض على ألسنة بعضهم ، وايقن روبسبيير ان وراء ذلك البرم والضيق ما وراءهما فهاجت نفسه وثارت أنانيته ورأى ألا مندوحة من « فصد » المجلس الوطنى فصدا يخرج الدم الفاسد من جسمه ، وآلى ليضربنه الضربة التى تخلص زعامته من الخارجين عليها وتعيد الرشد الى كل من تحدثه نفسه بالوقوف فى وجهها

وفى السادس والعشرين من شهر يوليو سنة ١٧٩٤ ارتقى روبسبيير منبر المجلس الوطنى وألقى خطابا مسهبا شكا فيه الى النواب ما تعانيه الحرية من آثار السعايات الخفية التى يسعاها الدساسون

والمنافقون ، وحاول أن يبرىء نفسه من تهمة الطغيان ملقيا مسئولية سياسة الارهاب على المتطرفين من ممثلي الشعب . وقرر أن الهيئات العليا الثلاث وهى المجلس الوطنى ولجنة الانقاذ ولجنة الامن العام تضم كثيرا من عناصر الشغب وهواة الدسائس والفتن . وان أوجب الواجبات وأولاها بالتقديم انما هو تطهير لجنة الامن واخضاعها للجنة الانقاذ ، ثم تطهير لجنة الانقاذ واخضاعها للمجلس الوطنى، ثم تطهير المجلس الوطنى نفسه وتركيز جميع السلطات فى يديه ليصبح المسيطر الاعلى على شئون البلاد . وقال : « لقد باتت النفوس الشريفة تعاف هذه الحال ولا تطيق الصبر عليها فيجب الضرب على كل الايدى العابثة وسحق جميع الرؤوس المجرمة التى تدبر فى الخفاء مكائدها للحرية والجمهورية» واخذته العزة بالاثم فصاح : « ايها المواطنون ، لقد خلقت لاقاوم الاجرام لا لاحكم المجرمين »

عندئذ سرت فى النواب قشعريرة الخوف ، وما سمعوا قوله تطهير المجلس وتطهير اللجان حتى أدرك الكثيرون منهم انهم المعنيون بالذات وان عملية التطهير سوف تتناولهم ، ولاح أمام اعينهم بريق سكين المقصلة ، ولمحوا شبح الموت يرفرف فوق رؤوسهم بمنجله الرعيب . فانطلق زعماء المتطرفين الذين ألقى عليهم الزعيم مسئولية سياسة الارهاب ــ وفى طليعتهم فوشيه وكولو ديربوا وباراس وتاليان وفريرون وبيلو فارين ــ يوحدون صفوف خصوم الطاغية ويزيلون ما بينهم من الخلافات ، ويوفقون بين المطالبين بثأر دانتون والمطالبين بثأر ايبير ، ويذكون فى نفوس الجميع نار الحقد على العدو المشترك ويصورون لكل واحد مدى الخطر الذى يتهدده ويؤكدون له انه لا محالة هالك ان لم يهلك روبسبيير

ولقد أفلح أولئك المتوررون فى بث الذعر فى القلوب واثارة غريزة البقاء فى النفوس وتحريك الاحقاد فى الصدور ، فلما ألهبوا الهمم الفاترة وشحذوا العزائم المنحلة وأيقظوا القوى الخائرة صار المجلس يغلى كأنه القدر فوق النار الحامية وتحفز الاعضاء للهجوم مؤثرين أن يموتوا كراما مجاهدين على أن يذهبوا الى النطع كالسائمة أذلة صاغرين

ووقف أحدهم ، وهو النائب كامبون ، وكان روبسبيير قد أشار اليه فى خطابه عندما تكلم عن أصحاب الاموال الذين يسيلون الدمع اشفاقا على الشعب وهم يرتشفون دمه فى نهم ولذة ، وقف هذا النائب المهدد فى حياته وصاح : « اذا لم يكن لى بد من الموت فلا أقل من أن أصارح فرنسا بما فى نفسى . ان فى هذه الهيئة رجلا واحدا هو الذى يشل ارادتها ويعطل مشيئتها ، وهذا الرجل هو روبسبيير » واستولت على الاعضاء رعدة شديدة عندما هوت تلك الكلمات الجريئة من شفتى ذلك النائب المستبسل وتحولت جميع الانظار الى روبسبيير لترى ما سيكون من أمره . فلما رأوه لايتحرك ولا يقول شيئا تشجع الآخرون وارتقى النائب بيلو فارين المنبر وألقى خطابا ملتهبا عنيفا عرض فيه بالطاغية أيما تعريض وختمه بصيحة هائلة تنم عما فى نفسه من حقد وغل فقال : « حسبنا رياء ومداجاة أيها المواطنون وتعالوا ننزع القناع عن وجه المستبد العاتى فانه لخير لنا أن يقتلنا ويتخذ من أجسادنا أرائك يعتليها ، من أن نتشيع بالصمت لهذا الطاغية الطماع »

وانهالت الاتهامات على روبسبيير من كل صوب ، ولكنه صمد لها مستهينا أو واثقا من أن هذا المجلس ، الذى طالما طأطأ الرأس أمامه استكانة وصغارا وانقاد لرغباته كارها أو مختارا ، لايستطيع اليوم أن يثور عليه ثورة جدية أو أن يصارحه بعداء خطير . وغادر قاعة الاجتماع امعانا فى احتقار خصومه واظهارا لعدم مبالاته بما يقولون

وذهب روبسبيير قبل المساء الى نادى اليعاقبة فقوبل فيه بأروع مظاهر الحفاوة والتكريم ، وألقى على شيعته خطابا رشق فيه اعداءه بسهام مسمومة فقال : « ان هذه الخطبة التى تسمعونها قد تكون خطبة

الوداع لان الخونة يأتمرون بي ليقتلوني . ولكني اذا سقطت تحت ضربات أولئك الاثمة المجرمين أسقط راضيا عن نفسي موقنا أني أديت واجبي نحو الوطن والفضيلة والحرية . وهذه هي الاقانيم الثلاثة التي ما عشت الا لها والتي يطيب لي أن أموت في سبيلها »

ولقد استمع اليعاقبة الى هذه الخطبة في صمت وخشوع ، فلما نزل الزعيم من المنبر تلقوه في احضانهم وهتفوا له هتافا كثيرا ونادوا بسقوط اعدائه . واذ أبصروا بينهم اثنين من أولئك الاعداء، وهما بيلو فارين وكولو ديربوا ، انهالوا عليهما سبا ولكما وركلا وطردوهما من النادي في غلظة وقسوة وتوعدوهما بسوء المصير

وارتاحت نفس روبسبيير بعد هذا الحادث واطمأن قلبه وأيقن أن له من نادي اليعاقبة ومن هيئة المجلس البلدي أكبر عون على المجلس الوطني فبات هادىء البال غير متوقع ما يخبئه له الغد من ويل عظيم

وفي اليوم التالي (٢٧ يوليو) انعقد المجلس الوطني بعد ليلة قضاها فوشيه وتاليان وبيلو فارين وكولو ديربواه في تدبير الحملة على الطاغية واحكام روابط الوفاق بين مختلف الاحزاب

وكان كولو ديربواه في كرسي الرياسة وقد ارتقى سانجوست — صنيعة روبسبيير — المنبر وبدأ يتلو خطابا كان قد أعده من قبل وحدد فيه التهم المعزوة الى خصوم زعيمه . ولكنه لم يكد ينطق بالجمل الاولى حتى قفز تاليان الى المنبر وصاح : « لقد شبعنا من الكلام المبهم والتلويح الغامض فهل لروبسبيير أو الذين يتكلمون باسمه أن يصارحونا بحقيقة ما يريدون ؟ »

وقابل المجلس هذه الصيحة بتصفيق متواصل وبعلامات الموافقة والاستحسان . ووقف بيلو فارين وقال : « ان روبسبيير يريد موتنا ونحن لا نخاف الموت ولكنا نريد أن نموت شرفاء . لقد خلقنا أحرارا وجعلنا مهمتنا في الحياة نشر مبادىء الحرية وتدعيم قوائمها فكيف نرضى أن يستعبدنا مغرور متعطش الى الدماء ؟ . . ان اولئك المنافقين الذين يتشدقون من فوق هذا المنبر بكلمات الحرية والفضيلة والعدل لهم أشد أعدائها بأسا عليها وانهم ليدوسونها بأقدامهم كلما تعارضت مع شهواتهم أو كلما أمنوا الفضيحة والعقاب . اني أقرر أمامكم أيها المواطنون أن عضوا من أعضاء لجنة الانقاذ العام قد اختلس مائة واربعة عشر الف جنيه وقد حاولت استصدار مرسوم بالقبض عليه فلم ينقذه من يد العدالة والقانون الا ذلك المتباكي على القانون والعدالة روبسبيير »

عندئذ استشاط الزعيم غضبا وهب من مقعده وهرع الى المنبر . ولكن عاصفة من الهتافات العدائية استوقفته في وسط الممشى فالتفت يمنة ويسرة مفتقدا أولئك الانصار والاصدقاء الذين طالما أيدوه وناصروه فلم يسمع الا أصواتا منادية بسقوطه وايديا منقبضة تمتد أمام وجهه متهددة متوعدة . وأبى الرئيس كولو ديربواه أن يمنحه حق الكلام . ولقد وقف روبسبيير في مكانه جامدا يتميز من الغيظ ويحاول أن يضبط نفسه فلا يستطيع

وكان تاليان قد تسلم كتابا من زوجته السجينة تقول له فيه ان الغد قد تحدد موعدا لاعدامها وتعتب عليه لتقصيره في انقاذها وترميه واصحابه بالجبن والنذالة وتضرع اليه واليهم أن ينقذوها من الهول الذي تعانيه . وكان الرجل يحب زوجته الجميلة حبا يصور له الحياة بغيرها مستحيلة وقد زوده هذا الحب بشجاعة لم يعرفها في نفسه من قبل فاستعان بهذه الشجاعة الطارئة وقال :

« نريد أيها المواطنون أن نمزق القناع الذي يغطي بعض الوجوه القبيحة فيراها الشعب على حقيقتها المروعة البشعة ، ولن نبرح هذه القاعة حتى نهتك ستر الطغاة الذين ينكلون بالامة ويسفكون دمها ويفرضون شهواتهم ونزوات نفوسهم على ممثليها قانونا ودستورا . فاذا لم يأنس المجلس في نفسه

الشجاعة التى تجعله يقرر القبض على الطغاة ومحاكمتهم فهذا خنجر أتيت به لاغمده فى صدر الطاغية الاكبر وانقذ من شره البلاد والعباد » واستل الخطيب من جيبه خنجرا براقا غرسه بضربة قوية فى خشب المنبر فدوت الاكف بالتصفيق والحناجر بالهتاف وتصعدت الاصوات من كل ناحية صائحة : يسقط المستبد ·· يسقط الطاغية الملعون ···

ووقف روبسبيير كالمشدوه سمرت قدماه فى الارض وأخذ يصيح بكلمات متقطعة كانت تضيع فى الجلبة والضوضاء وينظر ذات اليمين وذات الشمال كأنه يستجدى كلمة عطف أو حركة تأييد فكانت العيون تنصرف عنه ولا يقابله أنصار الامس الا بابتسامات الشماتة والاستنكار · فلما يئس من نجدة هؤلاء الانصار وانقطع رجاؤه فى معونتهم أجال الطرف بين طائفة المستقلين وناداهم : «انى أوجه الكلام الى كل رجل شريف فى هذا المكان، أوجهه اليكم ايها الرجال الافاضل الاطهار ··» وضاعت بقية عبارته فى عاصفة الاصوات الهاتفة : يسقط روبسبيير ·· الى المقصلة يا روبسبيير ··

ورفع الزعيم يده مرة أخرى مستأذنا الرئيس فى الكلام فأشاح عنه ديربواه بوجهه قائلا : « لن اسمح لك به قبل أن يأتى دورك » فبهت ولبث واجما تكاد عيناه تخرجان من محجريهما وانعقد لسانه حتى اذا حاول أن ينطق تحشرج صدره واعتراه سعال عصبى شديد أدمع عينيه · وعندئذ وقف النائب جارنييه وأشار اليه بأصبعه اشارة مسرحية وصاح : « ان دم دانتون يخنقك يا روبسبيير »

وما سمع روبسبيير هذه العبارة حتى مثل أمام ناظريه رأس الزعيم الفقيد فتراجع خطوة الى الوراء ورفع يده كأنه يزيح بها شبح الرجل الهائل الذى ذهب ضحية لمطامعه وقال : « اذن فأنتم تثأرون اليوم لدانتون » فأجابته أصوات من شتى النواحى هاتفة : يسقط القاتل·· يسقط الطاغية·· الى المقصلة يا شارب الدماء

وفى حركة من تلك الحركات التى يدفع اليها اليأس هجم روبسبيير على منصة الرياسة ولوح بقبضة يده الى كولو ديربواه مهددا وصاح : « أما بعد فيا رئيس المجرمين ألن تسمح لى بالكلام ؟ » فقوبلت ثورته بصيحات الحنق والاستنكار ونهض النائب لوشيه وقال : « أقترح على هيئة المجلس تقرير القبض على مكسيميليان روبسبيير » وعززه نائب آخر اسمه لوازو فقال : « لقد كان روبسبيير لعنة على الجمهورية ونقمة على مواطنيه فاقترح ايضا تقرير اتهامه ومحاكمته »

وكأنما سرت عدوى الشجاعة حتى بلغت أجبن النواب نفسا وأحقرهم شأنا فوقف أحدهم وقد أمسك تلابيب صداره بجمعيه وقال فى لهجة القط المتنمر : « هذا يوم الحساب يا روبسبيير وان حسابك لعسير »

وأمر الرئيس بجمع الاصوات وأسقط فى يد روبسبيير عندما أبصر أحزاب اليمين وأحزاب اليسار وأحزاب الوسط تقف معلنة موافقتها على الاقتراحين ، فتضعضعت عزيمته وخارت قواه وارتمى على أقرب مقعد اليه لا يبدىء ولا يعيد

وكان له أخ فى المجلس اسمه اوجستان عز عليه أن يفترق منه فنهض وقال : « انى اعتبر نفسى شريكا لاخى الاكبر فى كل فضائله فما دمتم قد اعتبرتم تلك الفضائل جريمة تستحق العقاب فأنا شريكه فيها وأرجو ان تقرروا القبض على أنا أيضا »

ثم تلاه النائب لوباه صديق روبسبيير وقال : « انكم ترتكبون الآن جريمة منكرة لا أستطيع أن اشارككم فيها بصمتى فأطلب ان تعدونى شريكا للاخوين »

ولم يستطع المجلس فى هياجه أن يقدر مبلغ ما فى هاتين العاطفتين ، عاطفة الاخـوة وعاطفة الصداقة ، من نبل وكرم فأصدر قرارا بالقبض على اوجستان ولوباه · وكأنما أبى أعداء روبسبيير

الا أن يغتنموا فرصة استسلام المجلس لمشيئتهم ليتخلصوا من كافة خصومهم ، فقدم بيلو فارين اقتراحا بالقبض على جميع أعوان الطاغية وفي مقدمتهم سانجوست وكوتون ودوماه رئيس المحكمة الثورية والجنرال هنريو قائد جيشها ، فصدر القرار بالقبض على أولئك جميعا وعلى ثلاثة وثلاثين من أنصارهم . وقوبل هذا القرار بالتصفيق المدوى والصيحات الهاتفة : لتحى الحرية ولتحى الجمهورية

وأشار الرئيس الى الحراس فانتزعوا النواب الخمسة من مقاعدهم واقتادوهم الى الخارج تمهيدا لزجهم في السجون ، وأمر برفع الجلسة على أن تعود الى الانعقاد بعد ساعتين ، ظانا أن المجلس الوطنى قد أحرز بتلك القرارات انتصارا حاسما لم يبق بعده الا أن يلقى المتهمون حتفهم في ساحة الاعدام . ولكن فاته أن يحسب حساب هيئة البلدية الموالية لروبسبيير

* * *

كان المجلس البلدى منعقدا عندما انتهت اليه قرارات المجلس الوطنى ، فهاج هائجه وعظم عليه الامر وقرر الثورة على هذا المجلس ودعوة الشعب الى حمل السلاح لتخليص زعمائه . وأرسل بعض اعضاء البلدية في المدينة يدقون أجراس الكنائس ايذانا بالخطر العام ، فهرع الاهالى من مساكنهم الى الشوارع والطرقات يتساءلون عن النبأ وهم بين مكذب لا يريد أن يصدق وحائر لا يدرى ما ينبغى أن يفعل

وهنا تقف بالقارىء هنيهة تتدبر فيها عظمة الاقدار فنرى كيف تترتب أخطر النتائج على أحقر المقدمات وكيف يتغير وجه التاريخ ويتبدل مجرى الاحداث لأتفه الحوادث وأصغر الاسباب . فلو أن الاقدار أرادت أن تنقذ روبسبيير وأصحابه في ذلك اليوم العصيب لوضع الجنرال هنريو نفسه على رأس جيشه ولقاد هذا الجيش وحاصر به المجلس الوطنى وقبض على فوشيه وتاليان وكولو ديربواه وبقية تلك الشرذمة التى أثارت العاصفة في وجه الطاغية . ولعاد روبسبيير بعد ذلك منصورا ليفصد المجلس ، على حد تعبيره ، فيطهره من الدم الفاسد أى من خصومه ومشاغبيه ثم يفرض ارادته بعد ذلك على سائر الاعضاء الذين يكونون قد تلقوا درسا يعلمهم أى منقلب ينقلبه كل من ثار على الزعامة والزعيم

ولكن هنريو كان مخمورا في ذلك اليوم وكانت الخمر قد أذهبت صوابه فبدلا من أن يبادر بجيشه الى تأديب المجلس الثائر ، أخرج غدارته من جيبه وانطلق كالمجنون يجوب الازقة والطرقات شاهرا هذا السلاح المخيف في يده يدعو به الناس الى النجدة والمعونة وليحضهم على نصرة الزعماء المضطهدين ، فكان الناس يظنون أن خبلا قد أصابه فيولون منه الفرار . وهكذا ضاعت الفرصة الثمينة وأمضت هيئة البلدية ساعتين طويلتين في البحث عن قائد جيشها وهى لا تدرى انه هائم على وجهه في الشوارع والدروب اشعث الشعر أغبر الوجه يخيف قوما ويضحك آخرين

وكأنما أرادت الاقدار ان تتضافر للقضاء على عهد الارهاب فأبى روبسبيير أول الامر ان يلحق بزملائه لينظم معهم وسائل المقاومة والدفاع ، وظل مترددا وقتا طويلا حتى جاء هؤلاء الزملاء وحملوه غصبا الى دار البلدية ولبثوا يقنعونه بوجوب اصدار منشور الى الشعب يدعونه فيه الى حمل السلاح في وجه المجلس الوطنى . ولبث روبسبيير في تردده يفحص المسألة من ناحيتها القانونية ويناقش بطريقة فقهية شرعية هذا المنشور والصفة التى تخوله حق توقيعه

وكانت جموع الشعب قد تكاثرت حول دار البلدية هائجة مائجة تهتف وتصخب وتنتظر قرار الزعماء . فلما طال بها الانتظار وأضجرها الوقوف بدأت تتسرب وتتبدد شيئا فشيئا حتى لم يبق منها الا شراذم متفرقة هنا وهناك . وكان اليوم حارا قائظا اشتدت سمائمه وتوهجت حمارته . وقد

أخذت السماء تتلبد بالغيم المربد ولم تلبث حتى امطرت الارض وابلا عنيفا أخلى الميادين من بقايا تلك الجموع وترك هيئة البلدية تتداول الرأى بين جدران الدار بلا جيش يحميها أو شعب يؤيدها

وفي تلك الاثناء كان المجلس الوطنى قد عاد الى الانعقاد وأحاط خبرا بما حدث من اطلاق سراح المتهمين ومن ثورة هيئة البلدية على قراراته فرأى أن يتدارك الامر بحزم البدار وأن يستفيد من تلكؤ خصومه ليضربهم الضربة القاضية قبل أن يسرعوا فى عمل أى شىء ، فأصدر أوامره الى الجنرال باراس أحد اعضائه بالسير على رأس الفرق التى ظلت موالية له ليأتى بالمتهمين وبأعضاء المجلس البلدى مصفدين . وأصدر في الوقت ذاته قرارا باهدار دمائهم وباعتبارهم غير مشمولين بحماية القانون

وكانت الساعة قد بلغت العاشرة من الليل لما دهم باراس وجنوده دار البلدية واقتحموا ابوابها شاهرين البنادق والسيوف والمسدسات ، وكان الجدل لا يزال على أشده بين روبسبيير وأصحابه حول النظريات الفقهية وشرعية المنشور عندما دنا منه جندى اسمه ميدا ، وقيل ميردا ، وأهاب به : سلم نفسك يا خائن . فنظر اليه الطاغية شذرا وأجاب : « انما الخونة أنتم وسآمر باعدامكم اليوم » وعندئذ تناول ميردا مسدسه وافرغه فى وجه الزعيم فهشم فكه الاسفل فهوى من مقعده يتلوى ويصيح

وانتشر الجند فى الاروقة والغرف والردهات يبحثون عن الثائرين فيقبضون على بعضهم بغير مقاومة ويلتقطون البعض من تحت الارائك وفى الزوايا المظلمة من الاقبية والسراديب . ولقد سمعوا دوى طلق نارى فذهبوا ليتبينوا مصدره فاذا النائب لوباه قد قتل نفسه برصاصة من غدارته واذا روبسبيير الصغير يحاول الفرار قفزا من النافذة فيسقط وتتكسر ساقاه ثم اذا كوثون يزحف على بطنه متلمسا مخبأ يختبىء فيه ، فيقبضون عليهما ويكبلونهما بالحديد

أما سانجوست فلبث جامدا فوق مقعده ينظر الى ما يجرى حوله ولا يحاول افلاتا ولا يبتغى نجاة . فلما اقترب منه الجنود نهض وأسلم نفسه فى دعة وسكون . وحذا حذوه اعضاء الهيئة البلدية فاستسلموا للقوة صاغرين . ولم تدق الساعة الثانية من الصباح حتى كان باراس يقود هذا القطيع الهائل الى دار لجنة الانقاذ العام

وكانوا قد شدوا جروح روبسبيير وربطوا وجهه بلفائف من قماش وألقوه على منضدة لبث يعانى فوقها أشد الآلام وأبلغ الاهانات . فلقد التفت به جمهرة من أخلاط الناس لم تبق فى قاموس الشتم والسباب ومعجم الشماتة والتشفى كلمة الا وجهتها اليه . وكان قد فقد وعيه أو كان يتظاهر بفقدان الوعى عسى أن يترفق به أولئك الافظاظ قساة القلوب ولكن أبى الله الا أن يذوق الطاغية المتكبر مرارة الذل والهوان قبل أن يذوق مرارة الموت

وقبيل المساء صدر حكم المحكمة الثورية باعدام جميع المتهمين فوضعوا فوق المركبات وسيقوا الى ساحة الاعدام . وظل روبسبيير ينظر الى رفاقه وأصحابه ورؤوسهم تهوى الى السلة بعد أن تحزها السكين . فلما جاء دوره حملوه الى المقصلة ونزعوا الرباط عن وجهه فصاح من فرط الألم صيحة هائلة ، وجذب الجلاد الحبل وهوت السكين على عنقه فانحدر رأسه عن جسده وذهبت روحه الى خالقها محملة بأبشع الاوزار وأثقل الآثام

حسن الشريف

سجل الأيام

بقلم الاستاذ سامى الحريدينى

شؤون خارجيـة

مفاخر الانجليز

يفخر الانجليز ويتيهون ويمنون على الناس بأمور ثلاثة :

أولها النظام البرلمانى ، وثانيها التحول الصناعى الذى سنوه للبشرية فى القرن التاسع عشر ، وثالثها امبراطوريتهم الملقاة على اليابسة وعلى البحار كيفما يجىء لا كما يجب

نظامهم البرلمانى

أما النظام البرلمانى فبارك الله لهم فيه . اننا لا نحسدهم عليه ، فهذا الثوب الذى فصلوه وخاطوه على أجسامهم فلبسهم ولبسوه ، أصبحنا وكأننا بقماشه لا يلين ولا يسلس لغير خياطهم ومقصهم . وقد علموا الأمر علماً لا يأتيه الشك من أمامه أو ورائه

. ولما كان النظام فى ذاته خلابا يسر الناظرين ومعقولا يتفق مع المنطق ومع النظريات الاجتماعية ، راق للناس ، ورأوا الخير متدفقاً على الانجليز فنسبوه اليه ، وجعلوا قبلة الصلاة السياسية هذا النظام ، فحاربوا لأجله وبذلوا النفس والنفيس فى سبيله

وأدرك أصحابنا السر فجعلوه مطلباً عزيزاً على مستعمراتهم وممتلكاتهم وماملكت أيديهم ، حتى اذا جد الجد بالأهالى يطلبونه من دون الله معبوداً ، أفلته الانجليز من أيديهم ومنوا به نعمة كبرى فاذا به سلاحهم يحاربون به ، فهم لا يتصرفون كغيرهم من الشعوب الحاكمة يقهرون ويرغمون بالسيف

فالأمر غير متيسر لهم وليس لسفنهم أن تجتاز الموانىء الى الجبال والصحارى والأرض المنبسطة بل يرسلون النظام البرلمانى رفداً وهدى فيتلقفه الناس ، ويلهون بالوسيلة عن الغاية

فان كانوا أهلا لهذا النظام وللأخذ بأسباب القوة والثروة معه ترك لهم الانجليز الحبل على الغارب ، وهم لم يفعلوا هذا حتى اليوم الا لشعوب انجليزية مثلهم

وان لم يكونوا أهلا انقسموا فيما بينهم ، وتشعبت أغراضهم وأحزابهم ،وبقوا دهرهم يتنازعون

على السلطان ، فيتركون الانجليز جانباً ويمسك بعضهم بخناق البعض الآخر

▭

الصناعة

وأما ثانى المفاخر – نظامهم الصناعى – فقد سبقهم فيه الالمان والأمريكان واليابان وأمعنوا فى دفعهم حتى كادوا يفقدونهم الأولية ويفقدون الأسواق معها

صحيح انه نظام أغناهم فى القرن التاسع عشر ، ولكنه أغرى العالم بهم فقلدوهم وبزوهم سلطانهم ولولا بقية من ثروة وهمة لباءوا بفشل وخيبة

▭

الامبراطورية

وأما الامبراطورية التى يفاخرون بها ويتباهون فقد أقام بناءها أفراد توابغ فى ميادين القتال والادارة فحاربوا وسلبوا وظلموا وعدلوا حتى أفاق العالم ، فاذا بثلثه أو ما يقرب من هذا والراية البريطانية ترفرف عليه

ولم تكن هذه الامبراطورية بنت تفكير سابق أو خيال مولد ، بل وليدة الحوادث والحاجة ثم نتيجة السعى للمحافظة على الحدود وطرق المواصلات

ويخيل الينا ان القوم نالوها بسهولة جعلتهم يطمئنون الى وجودها ، يحسبونه طبيعياً لا نزاع فيه ولا شك يتطرق اليه

والسهولة جائية من نوم أوربا عن الاستعمار ملهية بحروبها الداخلية لا ينطفىء أوارها ومن عزم هؤلاء الرواد المجازفين من أبناء الجزر القاحلة ككلايف ووربن هاستنج وولف ورودس ودرايك ونلسون الذين بذلوا عبقريتهم لا بمحاربة الطبيعة وبأسها فقط بل بمقارعة الحكومة الانجليزية نفسها فى لندن

وها هى الصناعة تعم أوربا والامبراطورية البريطانية تغرى الجياع بخيراتها ، فأصبحنا وكأن فى هذا العالم دسيسة عظيمة محبوكة الوضع والتنفيذ ترمى إلى هدم هذا البناء الامبراطوري المشمخر والانقضاض على الأسلاب والغنائم

وانك لا تدرى هل يقيض الله لها البقاء زمناً أو بعض زمن أو ينفض أبناؤها من حولها ويتبعهم الموالى والحلفاء ، فاذا بك والامبراطورية تاريخ مجيد لم يقم له مثيل فى الماضى، وان ذكرنا دولة الرومان (١)

هذه مفاخرهم ، لهم فيها أقران ، ولهم مقلدون ، ولهم مزاحمون

▭

وأما المفخرة التى لم ينظر العالم لها مثيلا فى كل ما مر عليه من الأيام والتى لم ينسج بعد على منوالها ، فهذا النظام الملكى عندهم

نظامهم الملكى

هؤلاء الانجليز ذاقوا مر الملكية فى جاهليتها الأولى فابتلوا بملوك استباحوا نساءهم ويتموا أبناءهم وأسرفوا فى انفاق أموالهم

(١) اقرأ كتاب خمسة فى سيارة بهذا الصدد لمؤلفه كاتب هذه السطور

وهؤلاء الانجليز كانوا أول من وقف لملوكهم يتقاضونهم الحساب عسيراً ولما صعر لهم أحدهم خده وأمعن ، مشوا اليه بالسيوف فأطاحوا برأسه

وجربوا غير النظام الملكي فلم يألفوه فأخذوا يأتون بملوكهم عبر البحار ، حتى استقام الامر وها نحن أولاء نرى نظاما ملكياً لم تر العين مثله ولم يخلق الفكر نظيره

فكرة فى الملكية فذة ، ونظام يجل عن الكتابة والتسطير لأنه يمثل الحياة الانجليزية نفسها من هو ملكهم : أعاهل ذو سلطان وكلة ، أرمز جبروت وقوة وعظمة ، أم خادم الأمة ، سفير آمالها وممثل روحها ، أم زينة وحلية

انه كل هذا ، انه يدق على الوصف ويسمو عن التعبير

وبينا مشورته تسمع وكفى، اذا به يجمع على رأسه كل التاريخ البريطانى المبعثر فى أربعة أقطار المكونة ، فيضم ماتفرق من شملهم ويغلب عاطفتهم على عقلهم

بل عقلهم هو الغالب لأن اختبار الحياة وطبيعتهم جعلاهم ينأون بأمورهم عن منطق الكتب والنظريات الى منطق الحياة

فهذه الرحلة الى كندا ثم الى الولايات الأمريكية لآية من آيات السياسة والاجتماع لا تتأتى لغير هؤلاء الانجليز وعرشهم

فقد بلغ النجاح القمة حين قدم عاهل انجليزى الى الولايات الامريكية يحمل اسماً حارب الامريكيون صاحباً له منذ قرن ونصف قرن ، فكرهوا الاسم وكرهوا الملوك من أجله ، فجاء هذا وحبب اليهم الملكية واسم صاحبها حتى تمنى أهل أمريكا أن يكون جورج السادس ملكا عليهم

وسوف نرى فى زمن غير بعيد كندا التى بدأت مستعمرة وهى الآن مستقلة ومثلها المستعمرات الانجليزية الاخرى وحدة يربطها التاج وتدعمها اللغة والتقاليد . سوف نرى ملكا انجليزياً واحداً يملك فى انجلترا ويملك فى كندا ويملك فى اوستراليا ونيوزيلاندا فيتمم بتاجه ماعجزت عنه السياسة بفلسفتها وخطبها

ذلك أن القوم من ابن السبيل الى الشريف الى الملك ، قد أدركوا أن الغرض من الحكومة فى الحياة هو الخدمة ، خدمة الغير لا خدمة المرء نفسه

بذلك حلت المحبة محل القوة ، وحل الايثار محل الانانية ، فاستمتع الجميع

وأدركوا أن الحياة ليست جملة فى كتاب أو لفظاً فى تعبير ، انما الحياة عقل وعاطفة ومادة وروح ، فمن علم أن يجمع بين كل هذه عرف معنى الحياة وتذوقها

فللنظام وللمظاهر الفخفخة والعظمة وللتقاليد وللحرية وللمنطق ولتوزيع السلطة وللاشتراك فيها وللمعيشة المادية بلذاتها ومسراتها وللمعيشة الروحية برقيها وخيالها ـ لكل من هذه مطالب تتقاضاها من المرء فى حياته . فمن أغفل البعض وأخذ بالبعض الآخر ، أضاع معنى من معانى الحياة

ومن علم أن يوفق بين كل هذه توفيقاً ناقصاً يتدرج الى التمام فقد تذوق معظم ما فى الحياة

ولم يعلم أحد من خلق الله معنى الحياة على حقيقته ـ إن لم يكن كل المعنى فمعظم ما أتيح لابن آدم منه ـ إلا هؤلاء الأنجليز

لذلك سماهم الناس عمليين . وهى كلة لا تحسن التعبير عما فى الواقع

ليسوا عمليين بمعنى أن الرجل العملى هو من يبعد عن الخيال والاحلام والمثل العليا ولا يعرف من الحياة إلا مادتها

فالقوم أبعد الناس عن هذا

انما يصح أن نسميهم عمليين إذا عنينا هذه المقدرة على التكيف على الوسط وعلى الاخذ بالحياة على علاتها ـ وتلك لعمرى فلسفة العاقلين ـ لذلك تراهم يفرون من رجالهم الاذكياء ويأمنون جانب الغبى الامين المكين ـ يعشقون الحرية ويعدونها جزأ من كيانهم فلا تغرهم قوة المستبدين ولا يستكينون لها . حتى أدى بهم هذا الخلق الى أنهم خلقوا ملكية ما أنزل بها كتاب ولاجاءت على لسان حكيم أوعليم ـ ملكية صديقة لكل فرد من أفراد الشعب . خادمة الشعب . زينها تقليد فخم وظواهر مذهبة . ينظر اليها المموّلون غنيهم وفقيرهم نظرك الى حديقة أنفقت العمر والمال فى تنسيقها وتجميلها ، أو نظرك الى آية فن لا تزال تعمل على اتقانها

وقد حاولنا أن نرسم صورة حقيقية لنظامهم الملكى اعجاباً بما تستطيعه العقول البشرية العادية اذا حلت المصلحة العامة محل الأنانية ، واذا أدرك الناس أن التسامح هو قاعدة العمران فمن لم يأخذ به كان مآله الخراب ان لم يكن عاجلا فآجلا

شؤون داخلية

التشريع للصحافة

أكثرنا فى المقال السابق من الكلام على الحرية ، وأثنينا على البرلمان إذ وقف فى وجه من أراد بحرية الفكر سوءاً

ولكننا لا يسعنا وقد هيأت لنا الظروف بحثاً فى علاقة الصحافة بالقانون ، إلا أن نشير الى ظاهرة تكاد تلمس باليد فى حياتنا السياسية

فان من رجع الى تاريخ الصحافة قبل الاحتلال الانجليزى فى سنة ١٨٨٢ رآها خاضعة للقانون العثمانى الذى نظم أمور الصحافة اذ ذاك

ورأى الصحافة شيئاً تافهاً خاضعاً لوزير الداخلية تارة ، ولوزير الخارجية أخرى

فعند ما جاء الاحتلال أدى للبلد خدمة لا ينكرها الا المكابرون ، ألا وهى اطلاق الحرية للصحافة ، وليس لنا أن نبحث وراء هذا الغرض بل يكفينا من الامر وقوعه

وكان عهد اللورد كرومر خير عهد لحرية الاقلام . وانه ليسوء المؤرخ أن يقرر فيما يقرره أن الشكوى التى ارتفعت من حرية الصحافة وان الأمنية التى أبديت لتقييد الصحافة كان مصدرها الهيئات التشريعية عندنا فى ذلك الحين ـ مجلس شورى القوانين ، والجمعية العمومية ـ وإنه ليسوء المؤرخ أن يقرر أيضاً أن الخطوات منذ ١٩٠٩ حتى الآن كانت تسير حثيثاً تارة ومسرعة أخرى فى طريق تقييد الحرية الصحافية

وما على الناس الا الرجوع الى الجريدة الرسمية ليروا كم من قانون صدر ثم ألغى ثم عدل ثم نفذ ، وكم من مادة أضيفت الى قانون العقوبات . وكلها تزيد فى الاغلال بحكم وضعها فى الاعناق

وانه ليسوء المؤرخ أن يقرر أن العقول التى ابتكرت هذا انما هى عقول وطنية لا يد للاجانب فيها

اننا نفهم القوانين تسن لتضرب على أيدى السبابين الذين يتناولون الناس فى أعراضهم وفيما اصطلح على تسميته « بالامور الشخصية » . ونفهمها شديدة الوطأة عقاباً ودية ولكننا لا نفهمها فى الامور السياسية القومية مهما شطت بالكتاب الاقلام

ولنا فى التاريخ عبرة

لحرية القلم والخطابة أساءت فى كثير من المواقف ، ولكن خيرها فى النهاية فاض فيضاناً عظيما على شرها حتى أصبح نسياً منسيا

ان التبرم بالنقد ولو جاء كاذباً أو صادراً عن نية خبيثة ليس من شيم كرام رجال السياسة

ولماذا نأخذ بالأنظمة السياسية الاوربية والاميركية ونترك أهم ركن من أركانها

ان الحياة السياسية التى ارتضيناها ـ برلمانا وأحزابا ونضالا ـ تحمل فى طياتها حرية الكلام والخطابة . والتشريع لا يضعه الناس لحالة خاصة أو لأمر طارىء انما يقف الآدميون بقصد التيسير لا التعسير ، وللمبادىء الادبية السامية لا للحوادث العارضة . والحكم على النضوج السياسى آيته قبول النقد بصدر رحب مهما قسا وازدراؤه اذا كان كذباً والمرور به مرورك باللغو ترفعاً

فالزمن كفيل بوضع الحق فى نصابه ، والصبر أعظم رأس مال لرجال السياسة

فالرجل السياسى لا يعمل لنفسه ولا ليومه ، فما باله يتعقب الاقلام والالسنة بقوانينه

لذلك كنا ولا نزال على رأى ذلك البرلمانى الفرنسى ـ سأله سائل ما خير أيامك فى حياتك البرلمانية الطويلة ؟ قال دورة برلمانية لم تصدر فيها قانوناً قط

سامى الجريديني

لغز تاريخي

موت الاسكندر الأول

بقلم الاستاذ على أدهم

من المسائل التى يدور البحث التاريخي حولها مسألة « موت الاسكندر الاول » . فهناك من يسأل هل مات هذا القيصر فى نوفمبر سنة ١٨٢٥ ودفن فى كاتدرائية حصن القديس بطرس والقديس بولس ، او انه لم يمت في ذلك التاريخ ، بل زهد الملك واختفى وتنسك وأصبح راهبا . أما الجثة التى دفنت في الكاتدرائية فهى لاحد الجنود المجهولين — ذلك هو موضوع هذا اللغز التاريخى الدقيق

بعد أفول نجم نابليون وانطواء صحيفته وعودة السلم والاستقرار الى ربوع أوروبا كان قيصر الروسيا الاسكندر الاول يرتسم فى خيال الاوربين بطلا من أبطال التاريخ ويبدو لهم علما من أعلام الانسانية ونصيرا صادقا للمثالية المحلقة والمطالب الروحية السامية ، وقد سره أن يصوره الخيال العام هذه الصورة الرائعة ويحبوه بهذه الثقة الغالية فقبل القيام بتمثيل هذا الدور عن طيبة خاطر وفى حماسة ملحوظة وعناية فائقة ، وكان مناظروه على مسرح السياسة الاوربية من ذوى العروش القديمة والمجد المؤثل هم الامبراطور فرانسيس عاهل النمسا وفردريك ملك بروسيا ولويز الثامن عشر ملك فرنسا ، وكان يشاطره الظهور فى ميدان الحوادث من كبار الساسة فى ذلك الوقت مترنخ وكاسلرى وتاليران

أما الامبراطور فرانسيس فكان رجلا قد ألف الهزائم ورضى الاياب غنيمة فى حروبه مع نابليون واضطر أخيرا أن يزوج ابنته من ذلك الجبار الكورسيكى حتى يأمن عدوانه ويتقى غاراته المذلة للرقاب الراغمة للانوف ، وبعد نكبة روسيا سنة ١٨١٢ وتألب خصوم نابليون عليه كان هو آخر من اجترأ على الانضمام الى التحالف الذى تكون للقضاء على نفوذ نابليون وتحطيم قوته ، وكان الذى يحرك دفة سياسته ويدبر أموره هو السياسى المعروف مترنخ

ولم يكن الملك فردريك شخصية توحى الاحترام أو تبعث على التقدير ، ففى سنة ١٨٠٥ عندما كانت فرنسا توقع الهزائم بالجيوش النمساوية كانت بروسيا تقف موقف المتردد ، وفي السنة التالية هزمها نابليون هزيمة شنعاء في معركة (ينا) وهدم ماوطده لها

فردريك الاكبر من مناقب وما بناه من مجد ، واضطر الملك الى الالتجاء الى أقصى الشمال ، ولما علم فى سنة ١٨٠٧ بالتقاء نابليون والاسكندر فى تلست أرسل ملكته الحسناء لتستلين قلبي العاهلين وتستميلهما الى قضيته ، فلم يحرك ذلك نابليون الذى كان فى بعض المواقف يلعب دور السياسى الاصيل ويضع المصلحة فوق العاطفة ، أما القيصر اسكندر الاول المشبوب الخيال المتقد العاطفة الولوع بالفروسية فقد أخذته النخوة وهزته الاريحية وعز عليه أن يتخلى عن الجمال في مصابه ويخذله في محنته ، وكان نتيجة ذلك أن عقدت معاهدة أعلن فيها نابليون أنه احتراما لرغبات الاسكندر يسمح لفردريك وليم أن يسترد جزءا من مملكته السابقة ، وكان شكر فردريك للاسكندر من أجل ذلك حارا باقيا ، ولكنه مع ذلك لم يكن أهلا للاعتماد عليه لكثرة تردده ولذا كان يزدريه حلفاؤه ولا يثق به أصدقاؤه

أما لويز الثامن عشر فلم يكن محبوبا ولا حائزا للاحترام ، فقد أعادته أوروبا المتحدة الى عرش آبائه ، ولكنه أمضى سنى نفيه بين أعداء فرنسا ينتظر فى شوق وقلق هزيمة أمته ونكبة بلاده لاسترداد عرشه ، وكانت حاشيته من الامراء والاشراف الذين لجأ بهم الفرار من الثورة والذين كانوا يجهلون الجهل كله فرنسا التى خلقتها الثورة وأوجدها نابليون ولذا لم يكن محبوبا من أمته ، وكانت الامم الاجنبية لا تخشى بأسه ولا تعتز بصداقته لانها انما أجلسته على العرش لان ضعف مكانته كان يبعث فى نفوسها الامل فى السلام المنشود الذى سلبتهم اياه قوة نابليون . هؤلاء كانوا منافسى الاسكندر من الملوك !

وفى مؤتمر فينا لم يستطع أقطاب ساسة أوروبا الثلاثة مترنخ وكاسلرى وتاليران أن يؤثروا فيه أو يغلبوه على أمره ويبزوا سلطانهم على سلطانه فقد كان ندا لهم فى المناورات السياسية ، وكان ملك بروسيا يتبع ظله ويقفو أثره برغم نصائح وزرائه ، وقد حذق فنون السياسة وتلقى أصولها على جدته كاترينا العظيمة ، وهى من أقدر الملكات اللواتى جلسن على عرش روسيا ، وكان أبوه القيصر بولس الملقب بالمجنون ، وقد أخذته منذ مولده وأشرفت بنفسها على تنشئته لانها أدركت بثاقب بصرها وصادق فراستها أن بولس غير صالح للملك ، وكانت تتوق الى تخطيه ونقل وراثة العرش الى الاسكندر ، ولم يكن يخشى عليه من مقارعة الساسة والنزول الى ميادين المؤتمرات الدولية

وكانت ثقافته اسمى مستوى من ثقافة أمراء عصره ، فقد علمته جدته استنارة القرن الثامن عشر وجعلته ملما بالافكار التى سادت ذلك القرن وتناولت الحرية السياسية ورد السيادة الى الشعب ، وما الى ذلك من الافكار التى مهدت السبيل للثورة وهيأت لها العقول ، وكان يستطيع التحدث عن كانت وبستالوزى ، وكان استاذه الذى تولى تثقيفه سويسرى اسمه لاهارب ، وكان رجلا حسن التفكير خالص النية ، وكان يؤمن بالدمقراطية ويعجب بالثورة الفرنسية ، وأحسن الظن بنابليون فى أول أمره ، وكان بوجه عام يميل الى اتباع الحق ، ولم يكن مابينه وبين القيصر بولس عامرا وكان الاسكندر فى نفسه أثيرا ولكنه

برغم ذلك لم يرتض أن يقر الملكة كاترين على خلع بولس من ولاية العهد وترشيح الاسكندر لها ، وقد أدى ذلك الى ابعاده

وجلس بولس على العرش أربع سنوات كانت سنوات موقرات بالرعب والفزع والقلق، وتكونت أخيرا مؤامرة لقتله والخلاص من عسفه ، وعلم بها الاسكندر فرجا القائمين بها أن يكتفوا بعزله ويمسكوا عن اراقة دمه والقضاء على حياته ، ولكن ذلك لم يكن سبيلا مأمونا ولا خطة ميسورة ، ولذا قتلوا بولس وتركوا الفرصة سانحة للاسكندر ، فأبعد عن البلاط أكثر الذين كان اشتراكهم فى المؤامرة معروفا بارزا واكتفى بذلك وتنفست روسيا الصعداء واستقبلت عهد الاسكندر باستبشار وسرور ، ولكن هذه الحادثة تركت فى ضمير الاسكندر جرحا داميا لم يبرأ ولم يندمل ، وكان له أثر شديد فى الروح الدينية والنزعة الصوفية التى غلبت عليه بعد ذلك وأخذ يشتد ظهورها بعد مؤتمر فينا ،واستولى عليه انقباض شديد وحزن داخلى وتغشت حياته سحائب من الهموم والأكدار

وما عرفته الدنيا عن الاسكندر فى النصف الاول من حكمه كان نقيض ذلك ، فقد كان دائم المرح كثير الاستبشار غاليا فى التأنق محبا للظهور حريصا على أن يقترن حكمه بانتصار الافكار الحرة والنزعات السامية

ولما تسنم العرش فى سنة ١٨٠١ كانت سنه لا تتجاوز الواحدة والعشرين ، ولم تكن له خبرة مستفيضة بشؤون الدولة فاستدعى لاهارب وحاول بمساعدته أن يبدأ عهد اصلاح شامل ، ونجح فى ازالة المساوىء التى خلفها حكم أبيه ، وقلل الرقابة على الافكار ونهض بالتعليم ، ولكنه لما واجه مسألة الغاء العبودية وتحرير الفلاحين والاخذ بأساليب الحكومات النيابية وجد صعوبات يصعب التغلب عليها ، وحارب نابليون فى سنة ١٨٠٥ ، ١٨٠٦ حربا غير موفقة ، فقد هزم نابليون جموع النمسا والروسيا فى معركة استرلتز ، وهزم البروسيين والروسيين فى معركة فريدلاند وقد أدى ذلك الى صلح تلست سنة ١٨٠٧ وظهور الصداقة بين عاهلى الشرق والغرب ، وكان كلاهما فى بادىء الامر يعتقد باخلاص الآخر وصدق سريرته ، ولكن بعد افتراقهما بدأت تكاثر المشكلات ويدب دبيب الخلاف ، فالاسكندر الذى كان يحارب الترك حربا منتصرة أراد أخذ مولدافيا ولاشيا ، ولكن نابليون كان لا يرى الافراط فى الاساءة الى الاتراك خشية أن يدفعهم ذلك الى الارتماء فى أحضان الانجليز وأراد أن يرضى الاسكندر على حساب بروسيا ، ولكن الاسكندر لم يقره على ذلك لما أسلف من وعود للملكة لويزا الحسناء ، وحاول نابليون أن يسحر لب الاسكندر ويثير خياله المتوثب فعرض عليه مشروعا رائعا وهو تقسيم تركيا والوصول الى الهند ، وقد لمس ذلك جانب الطفولة فى خيال الاسكندر الذى كان لا يزال يستمتع بأقاصيص الف ليلة فاستجاب لنابليون ، ولكنه مع ذلك لم يخدع عن أغراضه فأجاب بأنه يريد فى بادىء الامر وقبل كل شىء آخر أن يملك مولدافيا وولاشيا والقسطنطينية ويتعهد بعد ذلك بمساعدة نابليون فى سوريا ، ولما تعذر

الاتفاق التقيا في ارفرت ليفضا الخلاف ويعيدا الصفاء وحاول نابليون أن يؤثر في الاسكندر ولكن اصرار نابليون على رفض تسليم مولدافيا وولاشيا أشعر الاسكندر أن صداقته قليلة القيمة غير مرجوة النفع ، فلما شكا نابليون اليه بعد ذلك الاخلال بشرائط الحجر البحري الذي كان يريد فرضه على أوروبا نكاية في الانجليز أنكر الاسكندر ذلك في صورة خشنة وأسلوب جاف استغضب نابليون وأثار شديد حنقه وجعله يقود جيشه الكبير ليغزو الروسيا وهلك أكثر الجيش في عودته الفاشلة المحزنة فهللت أوروبا للاسكندر واعتبرته منقذها من الدمار ومخلصها من الذل والهوان وسارت بعد ذلك جيوش الحلفاء الى باريز

وأظهر الاسكندر نبلا في معاملته لفرنسا في معاهدة باريز ، واتفق أنه التقى بعد ذلك في سنة ١٨١٥ وهو في طريقه من فينا الى جيوشه بالبارونة كرودنر وهي امرأة كانت تتظاهر بالتدين وتدعى التنبؤ فصارحته بأنه خاطىء أثيم وأنه لم يخفض من كبريائه ولم ينهه عن مطامعه وكان لوعظها أثر شديد في نفسه ظهر واضحا في استمساكه بفكرة الاتحاد المقدس في مؤتمر فينا ، وامتنعت انجلترا عن الدخول في ذلك الاتحاد ، وقد لحظ مترنخ هذه الحالة النفسية الجديدة التي طرأت على الاسكندر وصارح بذلك كاسلرى قائلا « لقد أصبح عقله مدخولا »

وهذه النزعة الدينية السقيمة جعلته يمقت الافكار الحرة ويقلب لها ظهر المجن ويؤثر الرجعية ويأخذ بأسبابها ، ولم يلبث أن مل مدام كرودنر ولكنه وقع بعد ذلك تحت تأثير غيرها من محترفي التدين وأدعياء الوعظ والارشاد ودراويش الجذبة والشعوذة ، وفي سنيه الاخيرة شدد الرقابة على المطبوعات وضيق نطاق التعليم وحد من حرية الجامعات وكان وزيره اركتشيف يشجعه على المضي في القسوة والامعان في الظلم حتى مل الحياة وسئم تكاليفها وأصبح دائم الترحال لا يرتضي حالة من الحالات ولا يطيق البقاء في مكان واحد وتكاثرت السحب والغيوم في هذا العقل الذي استغله المغرضون من رجال الدين وعصابة المنافقين وتراكمت حوله غواشي الاحزان وأخذت تدب في نفسه عقارب الندم وتبكيت الضمير لاغضائه عن قتلة أبيه ، ثم ماتت ابنته الوحيدة وكان لموتها في نفسه ألم صادع وحزن فاجع ودبرت مؤامرة بعد ذلك لاغتياله والقضاء على أفراد أسرته فآلمت نفسه وفطرت قلبه وبدأ ينوء تحت أعباء الملك ، وفي سنة ١٨٢٥ ذهب الى القرم ليستجم ويستطب من أدوائه ويستريح بعض الراحة من أعبائه وتروى المراجع الرسمية وأكثر المصادر التاريخية أن حمى خبيثة أصابته في تاجنروج فقضى نحبه في ١٩ نوفمبر من نفس العام ، واحتفل بدفنه احتفالا مهيبا ودفن جثمانه في كاتدرائية حصن القديس بطرس والقديس بولس ، ولكن عقب موته ذاعت اشاعة وملأت أرجاء روسيا وهي أن القيصر اسكندر خصم نابليون اللدود وحامل رسالة السلام الى أوروبا لم يمت في تاجنروج وانما انقلب متصوفا زاهدا في مباهج الدنيا وامجاد الحياة الارضية الزائلة وأنه خلع رداء الملك وألقى من يده الصولجان ليفرغ للحياة الدينية وأن الجثة التي احتفل بدفنها احتفالا

عسكريا رائعا فخما انما كانت جثة جندى مجهول وأن القيصر الاسكندر اتخذ اسم الراهب كوزمتش الذى ظهربعد سنوات عدة فيمدينة توبولسك فى سيبريا ، ثمضعف أثر هذه الاشاعة ولكنها ظلتمع ذلك يتداولها المؤرخون الروسيون ، ففريق منهم يرفضها وينفيها فى احتقار واستخفاف ، وفريق آخر يشير اليها اشارات غامضة ملتبسة تلقى فى الروع أن الظروف السياسية كانت لا تسمح له بالتصريح برأيه ، وقد آمن بها بعض مفكرى روسيا وفى طليعتهم أديبها الكبير وفيلسوفها العظيم طولسطوى ، وكادت هذه الحقيقة أو الاشاعة تلوذ بعالم الخرافات والاساطير ولكن حدث ما بعثها من مرقدها وبث فيها حياة جديدة ، وذلك أنه فى سنة ١٩٢٧ نبشت الحكومة السوفيتية قبور القياصرة لتأخذ منها ما عسى أن يكون بها من نفيس المجوهرات ، ورأى الحاضرون رفات بطرس الاكبر وبقايا كاترين الثانية فى ثيابها الفاخرة وحليها ومجوهراتها ، ولكن لما فتح تابوت الاسكندر وجد خاليا فعادت الاسطورة القديمة الى قوتها وتساءل الباحثون من جديد عن نصيبها من الحق والواقع

وحوالى سنة ١٩٢٩ مات فى ايطاليا رجل فى التسعين من عمره اسمه فيكتور باسلفسكى وكان معروفا بأنه من كبار الموسرين وأوسعهم ثروة وأنه يملك الكثير من مناجم الذهب فى سيبريا وكان ملما بها خير الالمام عارفا بدقائق أحوالها ، وعند موته ترك مذكرات تلقى ضوءا على هذا اللغز التاريخى وقد ذكر بها أن أحد أتباعه فى سيبريا واسمه كروموف زاره مرة وهو فى حالة انفعال وتأثر شديدين وأفضى اليه بقصة غريبة وهى أن راهبا ناسكا اسمه فيدور كوزمتش كان يعيش منذ سنين فى احدى ضياعه وكان يحبه الفلاحون لدماثة أخلاقه ، ولما أمعن فى الشيخوخة وأصابه مرض خطير وأحس بدنو أجله وقرب خاتمته استدعى كروموف وكاشفه بأنه هو الاسكندر الاول الذى ظن الناس أنه مات سنة ١٨٢٥ وأخبر كروموف أنه أمر باذاعة خبر وفاته رغبة منه فى اعتزال الحكم والابتعاد عن الشؤون الدنيوية ، وأوصى أن يدفن فى التابوت المخصص له رفات جندى مجهول ، وقدم لكروموف من الادلة والوثائق ما يثبت شخصيته وطلب اليه أن يحملها الى ابن أخيه القيصر الاسكندر الثانى ، وتوسط باسلفسكى فى جعل القيصر يسمح بمقابلة كروموف واقتنع بما قاله ولكنه أوصاه بكتمان الامر

ولكن ما شأن التابوت الخالى ؟ وماذا كان من أمر جثة الجندى ؟ يروى باسلفسكى أنه فى سنة ١٨٨٢ أمر القيصر الاسكندر الثالث بنقل رفات الجندى من تابوت الاسكندر الاول ودفنه فى احدى مقابر بطرسبرج ، وقد كتبت الدوقة أولجا الكسندر فنا شقيقة القيصر نقولا الثانى رسالة الى باسيلفسكى أفضت اليه فيها بأنها هى وأكثر أفراد أسرة رومانوف الاحياء يعتقدون أن الراهب فيدور كوزمتش والاسكندر الاول شخص واحد وقد الف الامير(١) باريا تنسكى كتابا فى هذا الموضوع وأثبت فيه بأدلة مقبولة أن

(١) Le Mystère d'Alexandre 1. Par Prince Vladimir Bariatinsky. (Paris Payot)

بقايا الجندى أزيلت بأمر القيصر اسكندر الثانى فى ربيع سنة ١٨٦٦ أى بعد وفاة الراهب كوزمتش بعامين ، ويعلل بارياتنسكى ذلك بأن الاسكندر اضطر الى أن يسلك هذا المسلك ويبالغ فى التخفى تفاديا لاثارة القلاقل وأنه كان كثيرا ما يؤكد عزمه على التنازل عن العرش وكان يخشى الاعداء على حياته ، وكانت روسيا فى عهده فاسدة الادارة مختلة الاوضاع ، ولكن بعض الذين يشكون فى أن الراهب كوزمتش هو الاسكندر يقولون أن هناك أربعة أشخاص كانوا شديدى الاتصال بالاسكندر بحيث كانوا يعلمون الحقيقة لو أن وفاة الاسكندر كانت زائفة مصطنعة ، وهم الامير ولكونسكى وطبيبه الخاص السير جيمس ويلى وناراسوف والقيصرة وكل منهم كان حاضرا عند وفاته ، وقام الاطباء بتشريح الجثة وأمضوا معا التقرير القانونى ، وبارياتنسكى ينقض صحة ذلك التقرير ويقدم آراء ثلاثة من كبار الاطباء تثبت أن أعراض المرض المذكورة فى تقرير الوفاة لا تلتئم مع العلة التى يعزو اليها الاطباء سبب موت القيصر ، ويرى بارياتنسكى أن حاكما أتوقراطيا مثل الاسكندر لا يعجزه تدبير خطة اختفائه وتغطية الموقف

ولكن القيصر اسكندر كان رجلا جهير الرواء رائع الصورة بارز الشخصية ، وكان كثير التنقل فى أنحاء روسيا ومن ثم كان معروفا بطلعته الغراء وسلوكه الآمر ومع ذلك فان هذه الاسطورة أو الحقيقة تريدنا على أن نصدق أنه قد اختفت آثاره وانقطعت أخباره لمدة احدى عشرة سنة برغم سريان الاشاعة القائلة باختفائه وذلك لان أول ظهور الراهب كوزمتش متصوفا دينيا كان سنة ١٨٣٦

وكان الراهب كوزمتش رجلا ممتازا سامى الثقافة غزير العلم عارفا بالدنيا قوى الشخصية جذاب الحديث ، فالشكوك الحائمة حول وفاة القيصر اسكندر الاول شكوك قوية ليس من السهل تبديدها والتخلص من وساوسها ، فهل فكر الاسكندر تفكير ملك الحيرة(١) النعمان بن امرىء القيس السائح صاحب الخورنق اذ اشرف منه فأعجبه المنظر وراعته مظاهر الثروة والمجد ففكر فى ذلك وناجى نفسه قائلا : «أى درك فى هذا الذى قد ملكته اليوم ويملكه غدا غيرى » فبعث الى حجابه ونحاهم عن بابه فلما جن الليل التحف كساءه وساح فى الارض فلم يره أحد ؟ وهل استولت عليه حالة نفسية كالحالة التى استولت على جوتاما الهندى فهجر قصر أبيه وأولاده وزوجته وطلب الخلاص وأصبح بعد ذلك معروفا عند الناس والتاريخ باسم بوذا ؟ هذه أسئلة لا يستطيع التاريخ فى الوقت الحاضر الاجابة عنها وقد تظل لغزا خفيا يزيده مر الايام تعقيدا وخفاء وقد تنجلى فى المستقبل حقائق تعين على كشف سره ولكن سيظل العالم الى ذلك اليوم يردد أن موت الاسكندر قيصر الروسيا وعاهل أوروبا وبطلها يوما من الايام تحوم حوله الظنون

على أدهم

---

(١) صفحة ٢٠٤ من تاريخ «العرب قبل الاسلام» لجرجى زيدان

مصر وتركيا في الحرب المقبلة

أثرهما فى انتصار الدول الديمقراطية على الديكتاتورية

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

عندما شرعت ايطاليا فى تحصين جزر الدوديكانيز ، ورفعت حاميتها العسكرية فى لوبيا الى ٦٠ الف رجل ، أحست بريطانيا أن طريق البحر المتوسط أصبح فى خطر ، وأحست مصر أن التهديد الايطالى أصبح موجها اليها والى قناة السويس

ولم يكن فى وسع بريطانيا الا أن توثق روابطها بفرنسا ، ليشتد ضغط الفرنسيين على جبهة الالب والجبهة التونسية ، فترتدع ايطاليا وتفكر طويلا قبل الاقدام على عمل خطير

ولم يكن فى وسع مصر الا أن تحسب حساب المستقبل وتعزز مااستطاعت من قوى جيشها وأسطولها الجوى

وحدث بعد ذلك ان غزا الايطاليون البانيا ، وهددوا جزيرة كورفو ، وحاولوا استمالة يوغوسلافيا وبلغاريا ومضوا فى تنفيذ مشروع جرىء يرمى الى تصديع الجبهة المؤلفة من دول البلقان ، ورفعوا حاميتهم العسكرية فى لوبيا مرة أخرى ، فتضاعف الخطر فى الجزء الشرقى من البحر المتوسط ، وتضاعف الخطر على مصر وقناة السويس ، فلم يجد الانجليز بدا من التقرب الى تركيا ، ولم يجد المصريون أية غضاضة فى التفاهم مع دولة ناشئة قوية تربطهم بها جامعة الخطر المشترك

والواقع أن تركيا كانت مهددة أيضا . كان الخطر الايطالى البلغاري يهدد استامبول ، والخطر البحرى الايطالى يهدد الدردنيل ، وخطر حاميات الدوديكانيز يهدد الجانب الاسيوى من تركيا

وكانت سياسة المانيا وايطاليا ترمى الى الاستيلاء على سهول بوهيميا لبسط النفوذ الديكتاتورى على الدانوب ، والاستيلاء من جهة أخرى على سهول الاناضول لبسط ذلك النفوذ على المضايق وللتمكن من فرض الرقابة الالمانية الايطالية على بترول الشرق الادنى

فمصالح تركيا ومصر وبريطانيا وفرنسا ورومانيا واليونان وروسيا نفسها ، كانت والحالة هذه واقعة تحت خطر التهديد

الاتفاق الانجليزى التركى والاتفاق الفرنسى التركى

من هذه العوامل نشأ الاتفاق الانجليزى التركى . وقد أكدت صحف انجلترا أن

هذا الاتفاق ينص على تعهد صريح من جانب تركيا بالاشتراك مع بريطانيا فى الدفاع برا وبحرا وجوا عن فلسطين وقناة السويس وحدود مصر الغربية والحدود القائمة بين السودان والحبشة ، وكذلك عن بلاد اليونان ورومانيا فيما لو استهدفت لاى اعتداء

فالاتفاق الانجليزى التركى ضاعف قوى الدفاع عن مصر والشرق الادنى وطريق الهند من جهة ، ومكن بريطانيا من تعزيز مركزها فى البلقان من جهة أخرى

ولقد كان من نتائجه أن باتت ايطاليا شبه محصورة فى البحر المتوسط

وليس شك فى أنه قد أصبح من المتعذر على ايطاليا بفضل موقف تركيا الجديد أن تقتحم البلقان ، وأصبح متعذرا عليها بفضل هذا الموقف أيضا وبفضل تفوق القوى البحرية الانجليزية الفرنسية أن تفكر فى السيطرة على البحر المتوسط ومحاولة اقتحام الشرق الادنى ، وأصبح متعذرا عليها فوق ذلك بفضل موقف الاتراك وبفضل استعدادات فرنسا فى تونس واستعدادات الحكومة المصرية فى مصر ، أن تنقض على مصر ذلك الانقضاض المفاجىء الذى كانت تحلم به

ولقد كان من جراء تصلب ايطاليا فى موقفها السياسى حيال الفرنسيين ، وتشبثها بمطالبها الفادحة فى تونس وجيبوتى وسعيها المطرد لعقد تحالف عسكرى مع حكومة اسبانيا الوطنية الفاشستية ضد فرنسا ، ورفضها حل المشاكل القائمة بينها وبين باريس بالطرق الدبلوماسية ، كان من جراء هذا كله أن عزز الاتفاق الانجليزى التركى باتفاق فرنسى تركى ، فتمت بذلك حلقات السلسلة وازداد حصر ايطاليا متانة وقوة

مصر وتركيا

واذن فالخطر الايطالى كما أسلفنا كان يهدد مصر وتركيا على السواء . فهذا الخطر المشترك هو الذى قرب مسافة الخلف بين الامتين ، وهو الذى وحد بينهما ، وهو الذى قضى على خلافات الامس ، وهو الذى ألف بين شعبين يحرص أفرادهم كل الحرص على ضمان مستقبلهم وعلى جعل هذا المستقبل وطيد الاركان فى ظل الامن والسلم والحرية

غير أن هذا التعاون المصحوب بتأييد بريطانيا وفرنسا ، والمعزز بتأييد رومانيا واليونان ، والقائم شوكة فى جنب المعتدين ، والماثل فى شرق البحر المتوسط قوة منيعة تسندها قوات عظيمة مرهوبة ، هذا التعاون ، كيف يتحقق اذا ما نشبت الحرب فجأة واندلعت نارها وسيقت اليها ايطاليا برغم الاخطار المحدقة بها وتحت تأثير تحالفها العسكرى مع المانيا ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عنه :

تركيا فى الحرب المقبلة

ان أهمية انضمام الجمهورية التركية الى جهة الدول الديموقراطية تنحصر فى المساعدات الفعالة التى يمكن أن تؤديها الى حلفائها أصدقاء مصر والى مصر نفسها

وفى وسعنا أن نلخص هذه المساعدات فيما يأتى :

أولا ـ فتح المضايق للدول الغربية فى حالة الحرب

والمضايق هى الطريق الوحيد الذى يسمح بتموين رومانيا ، كما أنها الطريق الوحيد الذى يصل روسيا بالبحر المتوسط مع ملاحظة أن كميات القمح والبترول التى تصدرها روسيا ورومانيا والتى تعد ذات قيمة عظيمة فى زمن الحرب تمر من الدردنيل

ثانيا ـ تسهيل تقديم المساعدات من دول الغرب لرومانيا وتسهيل الاتصال بروسيا

ثالثا ـ تسهيل التعاون بين الجيش التركى والجيوش الرومانية واليونانية

رابعا ـ اقامة سد دفاعى رهيب يمتد من الدردنيل الى حدود لوبيا

خامسا ـ تهديد المراكز الايطالية فى جزر الدوديكانيز تهديدا مباشر.

سادسا ـ زعزعة قوى المخمس الايطالى الحربى المؤلف من (دورازو) و (بانتلريا) و (طرابلس) و (طبرق) و (ليروس)

سابعا ـ تسهيل الدفاع عن شواطىء مصر وسوريا وفلسطين واليونان

ثامنا ـ امكان الاستعانة عندالاقتضاء بالجيش التركىللدفاع عن قناة السويس والحدود المصرية .

تاسعا ـ تمكين الدول المقاومة للاعتداء من استخدام قناة السويس والدردنيل وجبل طارق فى نفس الوقت ، وفى هذا ما فيه من الخطر المحقق على شبه الجزيرة الايطالية

عاشرا ـ حشد جيش تركى قوى حول ادرنة انذارا لبلغاريا المشايعة لدول الوسط وحملا لها على الانضمام الى الجبهة الديموقراطية

حادى عشر ـ ارهاب يوجوسلافيا والزامها موقف الحياد على الاقل

هذه هى المساعدات الفعالة التىيمكن أن تؤديها تركيا فىحالة الحربلحلفائها أصدقاء مصر ولمصر بالذات • وهىكما ترى منالخطورة بحيث استهان الانجليز فى سبيلهامنح القروض المالية الكبيرة للاتراك واستهان الفرنسيون التخلى لهمعن سنجق الاسكندرونة

ولقد استقر رأى الاتراك على تحصين الاسكندرونة وتزويدها بحامية تركية مؤلفة من أربعين الف جندى من الوحدات الميكانيكية ، تكون بمثابة طليعة للجيش التركى المعهود اليه بالدفاع عن شواطىء سوريا وعن فلسطين وقناة السويس

والواقع أن الاتراك باستيلائهم على الاسكندرونة قد تعهدوا بالعدول عن كل مطلب لهم فى حلب والجزيرة • ولكن هذا التعهد لن يعوض السوريين عن خسارتهم الا اذا بدلت فرنسا سياستها الحاضرة فى سورية وعقدت مع الشعب السورى اتفاقا يكفل وحدة بلاده واستقلالها وحرياتها على أوسع نطاق ممكن

واذا كان من مصلحة فرنسا أن تفوز بصداقة الاتراك ، فان مصلحتها الكبرىتقتضى الفوز بصداقة الشعب السورى الذىأصبح منحقه أن يطالبها بتعويضعملى عنالتضحية الغالية التى أكره عليها

مصر فى الحرب المقبلة

والآن وبعد ان اشرنا الى الجهود التى يمكن ان تقوم بها تركيا فى حالة الحرب ، نستطيع ان نحصر جهود مصر وحليفتها بريطانيا فى الاعمال الآتية :

اولا ـ الثبات فى وجه الحملة الايطالية المؤلفة من نحو ثمانين الف جندى والمحشودة على حدود لوبيا الشرقية

ثانيا ـ اغلاق قناة السويس فى وجه سفن ايطاليا لقطع المواد عن افريقية الشرقية الايطالية حيث مخزون الوقود والاطعمة محدود

ثالثا ـ القيام بغارات جوية من مصر على مستودعات المؤن التى توجد فى لوبيا

رابعا ـ القيام بغارات جوية على جيوش العدو المتقدمة فى الصحراء لعرقلة هجوم يمكن أن تقوم به على مرسى مطروح

خامسا ـ القتال مع قوة الدفاع السودانية ومع النجدات المجلوبة من الهند فى حالة استهداف السودان لخطر الغزو

سادسا ـ استخدام ميناء سواكن فى البحر الاحمر لتعزيز الحامية المصرية الانجليزية فى السودان فى حالة وقوع هجوم من شمال بلاد الحبشة

سابعا ـ صدق التعاون مع القوات التى ترسلها بريطانيا برا عن طريق بغداد وحلب ، وبحرا بالطريق السريع الى السويس

فهذه الجهود مضافا اليها جهود بريطانيا وفرنسا وحلفائهما فى البحر والبر والجو تكمل جهود تركيا وتكفل صد المعتدى واصابته فى الصميم

سد طريق البترول يمهد للنصر النهائى

واذن فانضمام تركيا الى بريطانيا وفرنسا ومصر ، يعزز قوى الدفاع عن مصر ، ويهدد الدوديكانيز ، ويقرب روسيا الى البحر المتوسط ، ويؤيد قوى اليونان ورومانيا ، ويحول بين ايطاليا وبين التطلع الى بترول العراق وايران ، كما يحول بينها وبين التطلع الى سورية

ومما يجدر بنا لفت النظر اليه ان ايطاليا فى اشد الحاجة الى البترول ، وان البترول لا بد ان يمر اما بالدردنيل واما بقناة السويس واما بجبل طارق . فوجود هذه الابواب الثلاثة فى ايدى الدول الديموقراطية ، سيضطر ايطاليا الى الاعتماد على المانيا ، التى ستصبح هى نفسها فى حالة الحرب مفتقرة الى البترول والقطن والمطاط بفضل مقاومة جيوش بولندا وروسيا ورومانيا

وهكذا تنتهى الحرب بفشل يكاد يكون محققا للدول الديكتاتورية

ابراهيم المصرى

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

اتحاد الدول الديمقراطية

نظام جديد يدعو اليه كاتب سياسي

الذين يعتقدون أن الحرية احدى ضرورات الانسان الاولى ، وأن المدنيـة الانسانية لا يمكن أن تنمو وترقى الا فى جوها ، يجدون الطريق الممهد الى تحقيق هذه الحرية وتعزيزها فى الآراء التى بسطها الكاتب السياسى « كلارنس سترايت » فى كتابه الاخير الموسوم باسم « الاتحاد الآن » ومع أن هذه الآراء تبدو الآن حلما يتعذر تحقيقه أو خيالا بعيد المنال ، الا أنها قد تصير فى المستقبل القريب أو البعيد نظاما سياسيا واقتصاديا دقيقا ، تعجب الاجيال القادمة من تقصير أسلافهم فى ايجاده وانشائه

وآراء هذا الكاتب السياسى بسيطة جدا • فهو يقترح أن تجتمع كل «الديموقراطيات» فى اتحاد كبير يقام على نسق الاتحاد الامريكى • وبذلك يتكون شعب ضخم عظيم ، له رأس مال واحد ، وهيئة تنفيذية واحدة ، ومجلس نيابى واحد ، وهيئة قضائية واحدة ، وله كذلك قوة متحدة تصرف سياسته الخارجية • وفى الوقت نفسه يكون لكل وحدة من وحدات هذا الشعب مطلق الحرية فى تصريف شئونها الداخلية التى لا تتعلق بالمسائل المشتركة بينها وبين سائر الوحدات

وهو يدعو خمس عشرة دولة للاجتماع تحت لواء هذا الاتحاد ، على أن تنضم اليها دول أخرى فيما بعد اذا هيأتها لذلك أساليب الحكم فيها وظروف السياسة العالمية وهذه الدول المؤسسة هى : الولايات المتحدة الامريكية ، بريطانيا العظمى ، كندا ، استراليا ، نيوزيلندة اتحاد جنوب افريقا ، ايرلندة ، فرنسا ، بلجيكا ، هولندة ، سويسرا ، السويد ، دانمرك النرويج ، فنلنـدة • ويلاحظ أنه ما من دولتين من هذه الدول تحاربتا منـذ أكثر من مائة سنة

ويبلغ مجموع سكان هذه الدول ٢٨٠،٠٠٠،٠٠٠ نسمة ، نصفهم فى أوربا ونصفهم موزعون فى سائر القارات • ويشرف على شئون هذا الشعب مجلس نيابى يمثل كل عضو

فيه ٥٠٠ر٠٠٠ نسمة ، وبذلك يكون عدد أعضائه ٥٤٠ نائبا تقريبا منهم ٢٥٢ نائبا عن الولايات المتحدة الامريكية و ١٤٠ نائبا عن أجزاء الامبراطورية البريطانية وبذلك لا تستطيع أية وحدة من وحدات هذا الشعب أن تسيطر على شئونه بمفردها ، أو أن توجه سياسته وفق مصلحتها دون مصلحة المجموع

وسيكون لهذا الاتحاد الكبير نظام موحد مشترك لنقل البريد بين أجزائه وربطها معا بأوثق روابط المواصلات المختلفة ، وسيلغى كل ما يقوم الآن بين مناطقه من الحواجز الجمركية ، وتضرب له عملة واحدة تتداول فى جميع جهاته

أما فيما يتعلق بمستعمرات بعض وحداته ، فسيظل لبريطانيا وهولندة وفرنسا حقوق السيادة والسيطرة على مستعمراتها فى آسيا وافريقا وجزائر الشرق ، على أن تباح فيها بعض المزايا السياسية لسائر دول الاتحاد ، وعلى أن يكون استغلالها الاقتصادى متاحا لها جميعا على قدم المساواة

واذا أضفنا الى سكان دول هذا الاتحاد سكان المستعمرات التى يسيطر عليها ، صار مؤلفا من ٩٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة أى زهاء نصف سكان العالم . وبذلك يكون هذا الشعب أعظم قوة سياسية وحربية تضمن سلام أفرادها وتحقق طمأنينتهم ، اذ لا تطمح أية قوة أخرى الى مناوأتها ومحاربتها

ولن تكون قوة هذا الاتحاد الاقتصادية بأقل من قوته السياسية . فان دوله تنتج معا ٩٦٪ من مجموع ماينتجه العالم من النكل ، ٩٥٪ من المطاط ، ٧٣٪ من الحديد ، ٧٢٪ من الذهب والقصدير ، ٦٦٪ من البترول ، ٦٥٪ من الفحم ، ٦٥٪ من القطن . ولاشك أن مقدرة هذه الدول على الانتاج الزراعى والصناعى وعلى التوزيع والتجارة ستنمو وتتضخم اذا اتحدت معا وتحطم ما بينها من الحواجز الجمركية التى تصدها عن كثير من مصادر الثروة وتحرمها من كثير من أسواق التجارة ، أى يتحول الجزء الاكبر مما يعد الآن تجارة خارجية تتحمل المكوس والضرائب الى تجارة محلية معفاة من كل هذه النفقات الباهظة

ولا شك أن هذا «الاتحاد» سيفتح لوحداته ولافراده كثيرا من أبواب الرخاء الاقتصادى ويهيىء لهم كثيرا من فرص الكسب والارتقاء . فان منتجات هذا الشعب العظيم ستجد أمامها أسواقا فسيحة رائجة ، مما يؤدى الى تنشيط حركة الانتاج وتوسيع نطاقها ، وهذا يؤدى بدوره الى تقليل نفقات الانتاج وخفض أثمان السلع ، مما يعود بالفائدة الطائلة على جماهير المستهلكين ويمكنهم من اشباع رغائبهم وترقية مستوى حياتهم . فمثلا اذا اتسعت سوق التوزيع أمام مصانع السيارات الامريكية ، وأمكنها بذلك زيادة الكميات التى تنتجها ، أدى هذا الى تقليل نفقات انتاج كل سيارة ، وتمكين أكبر عدد ممكن من الافراد من اقتنائها ، أى الى ترفيه الحياة ورفع مستواها ، وهذا هو الهدف الذى تسعى اليه المدنية الانسانية منذ نشأتها الاولى

وفضلا عن افساح مجال الاتجار والاستهلاك أمام منتجات هذا الاتحاد ، فان نفقات نقلها فى البحر وعلى الارض سوف تقل الى حد بعيد ، بفضل نظام المواصلات المشتركة بين جميع أطرافه وأجزائه . وهذا كله يؤدى الى تنشيط الانتاج الصناعى والزراعى على السواء ، وبالتالى الى تقليل العطلة بين العمال بل القضاء عليها . ويلاحظ أن نظام هذا الاتحاد سيحمى أفراده من منافسة الايدى العاملة الاجنبية الرخيصة ، ويضع مستوى عاما لاجور العمال لا تهبط عنه بتأثير مزاحمة الاجانب وعدوانهم على حقوق « متوطنى » الاتحاد

وسينشىء هذا الاتحاد جيشا واحدا واسطولا واحدا . وبذلك تتجمع فى يد واحدة قوة حربية هائلة لا يخطر ببال أية دولة أو أية مجموعة من الدول أن تتعرض لها بالمناوشة أو المقاومة . ومعنى هذا أن يظل سكان هذا الاتحاد الذين يبلغون نصف سكان العالم آمنين على أنفسهم شر العدوان ، مطمئنين الى ما تحققه لهم قوتهم الحربية من الحرية والسلام . هذا ولن يتطلب انشاء هذه القوة الحربية مثل ما يتطلبه انشاء جيوشها المفرقة الآن ، لان حصرها كلها فى نطاق واحد ووضعها كلها فى يد واحدة سيؤدى الى الاقتصاد العظيم فى نفقات انشاء الكتائب والاساطيل ، وتموينها بالمعدات والذخائر

ولا شك أن تكوين هذا الاتحاد العظيم يبدو الآن خيالا بعيد المنال . ولكن هكذا كان الرأى قبل أن تتحد ولايات أمريكا الثلاث عشرة قبل قيام ثورة الاستقلال . فقد كان بين هذه الولايات من الفوارق والمنافسات والمنازعات ما كان يجعل فكرة اتحادها معا تحت لواء واحد ضربا من الاوهام أو الاحلام . فقد كانت كل ولاية تسور نفسها بأسوار جمركية تعيق حركة التجارة بينها وبين جاراتها ، وكانت لكل ولاية عملتها الخاصة التى قد تأبى الولايات الاخرى تداولها والتعامل بها ، وكذلك كان لكل ولاية نظمها التشريعية والقضائية التى لا تراعى فى وضعها أية مصلحة من مصالح جاراتها . وكانت الخصومات الحادة قائمة بين أكثر هذه الولايات فكانت ولاية نيويورك تحشد قوات جيشها على الحدود التى تفصلها عن ولاية فيرمونت ، وتفرض أبهظ المكوس على الخشب الوارد من ولاية كونكتيكت والزبد الواردة من ولاية نيوجيرس . وقد قاطعت ولاية بوستن القمح الذى تنتجه جزيرة رودس الامريكية وأغلقت أبوابها فى وجه تجاره . وكانت ولاية بنسلفانيا تضطرب خوفا وفزعا ممن يهاجرون اليها من أهالى ولاية كونكتيكت وترى فيهم نذيرا بتدميرها . هكذا كان شأن الولايات الامريكية المتعادية المتنازعة ، ولكن لما قامت ثورتها على المستعمرين الانجليز ، وصلت نار الحرب بين أطرافها وألفت بين قلوبها ، ولم تخب الا بعد أن تركتها كتلة متماسكة القوى متراصة . وكذلك الدول الديموقراطية بدت فى هذه الآونة التى تتهددها فيها أخطار الحرب متقاربة متعاونة ، فلا يبعد أن تجمعها الحرب القادمة تحت لواء واحد ، ولا تقف رحاها الا بعد أن تسفر عن تكوين هذا «الاتحاد» المنشود

(خلاصة كتاب « الاتحاد الآن » عن مجلة فورتشن)

الحرب البحرية المقبلة

اميرال ايطالى يتحدث عنها

أصدر الاميرال الايطالى الشهير « جيامبير اردينو » كتابا بعنوان (فن الحرب البحرية) أحدث ضجة عظيمة فى فرنسا وانجلترا

وقد استهل المؤلف كتابه بالتحدث عن فكرة الحرب كما يفهمها زعماء الفاشست فى ايطاليا فقال :

ان الحرب سنة طبيعية لا مفر منها . وما دام العالم نهبا مقسما لمصالح متعارضة وآراء متباينة فالحرب لابد من وقوعها وان اختلفت مظاهرها وأساليبها باختلاف الازمنة والعصور والحرب تطهر الامم من لوثات الضعف وادران المرض كما تطهر الآلام شخصية الفرد وتصقلها وتتجه بها نحو القوة والمقاومة

فاذا وقعت الحرب فيجب أن يذهب فيها المحاربون الى أقصى الشدة ، ويجب أن يستخدموا أروع وسائل العنف بسرعة مدهشة وفى أقصر وقت ممكن ، كى ينزلوا بخصومهم الضربة القاضية ، وهكذا تحقن الدماء وتقتصد الدولة كثيرا فى الاموال والارواح

وينبغى فى حالة الحرب أن تحشد جميع قوى الدولة وان تبرر مختلف أساليب القتال بحيث لا تقف المبادىء والتعاليم الادبية حجر عثرة فى سبيل النصر

وهنا ينتقل الاميرال الى التحدث عن الحرب البحرية المقبلة فيقول :

ان الامة التى تشعر بالنقص فى أسطولها وبأن قواها البحرية لا تتعادل وقوى أعدائها، يجب أن تلجأ الى مناورة فجائية مباغتة تمكنها من الانقضاض الصاعق قبل أن تعلن الحرب وقبل أن يتخذ العدو اهبته للدفاع . فعليها أن تهاجم أسطول العدو بغتة فى أعظم موانيه وفى المناطق الملحوظة المركزة فيها أهم مصالحه

واذن فالاميرال الايطالى ينصح باتخاذ خطة الهجوم التى يستطيع بها المهاجم فرض ارادته على خصمه والتحكم فيه وأخذه على غرة وحرمانه من حرية التصرف وحرية التفكير فى القيام بمناورات معاكسة تتطلب وقتا طويلا لا يسمح بها الهجوم الفجائى

فالمهم فى نظر الاميرال الايطالى تضييق الخناق على العدو ومنعه من استغلال قواه البحرية المتفوقة ، وملاحقته بهجمات شديدة متعاقبة تربكه وتحول بينه وبين استجماع وحداته وتنظيمها والقيام بهجوم معاكس قد يؤدى بالمهاجم الاول الى فقدان حريته فى وضع المناورات أى الى هزيمته واندحاره

ومما ينصح به الاميرال الايطالى أيضا ، تجنب الاسطول الخروج الى عرض البحر للاستكشاف والاستطلاع والقيام بمظاهرات بحرية تبعده عن قواعده . فالاسطول لا

يجب أن يخرج الا ليهاجم ، ولا يجب أن يهاجم الا وهو على يقين من أن سيباغت عدوه ويلحق به أعظم خسارة فى أقل زمن وبأيسر التكاليف

ولقد كان الاسطول فى الحروب الماضية يغامر بالخروج الى عرض البحر ويتحدى القدر ويذهب الى حيث قواعد أسطول العدو فيناوشه ويستنفره الى القتال • ولكن هذا الاسلوب تبدل اليوم

فأسلحة الدفاع أصبحت عظيمة ، وبطاريات السواحل تستطيع اصابة أبعد الاهداف، ووفرة الالغام تجعل من العبث التفكير فى اتباع الاسلوب القديم

فلكى نجبر أسطول العدو على الخروج من قواعده والاشتباك فى معركة بحرية ،يجب أن نسلط عليه أول الامر سربا قويا من الطائرات قاذفات القنابل ، أو نشرع فى مهاجمة المناطق الموكل هذا الاسطول بحراستها والدفاع عنها • وبهذه الطريقة نرغمه على الاشتباك فى المعركة فان تباطأ أو تردد تكون طائراتنا قد أصابتـه فى الصميم وأصابت فى الوقت نفسه شتى المناطق التى هو موكل بالدفاع عنها

ومما يطوع النصر للاسطول المهاجم متانة وحداته البحرية لا سرعتها • اذ السرعة لا بد منها فى المعارك العادية وأما المتـانة فهى التى تمكن الاسطول من احتمال ضربات العدو أثناء عملية الهجوم المباغت المنشود

وكلما كانت الوحدات متينة ، كان نجاح الهجوم ميسورا وهذا ما تهتم به البـحرية الايطالية بوجه خاص

والواقع أن البحرية الايطالية أفادت كثيرا من دروس الحرب العظمى • فهى تحصر اهتمامها اليوم فى بناء البوارج المتينة لا الوحدات السريعة الخفيفة • وذلك لان الاولى فضلا عن قدرتها على احتمال ضربات العدو لا تتأثر كثيرا بقنبلة تلقى عليها من طائرة ، أو بلغم تمسه أثناء حركاتها ، أما الثانية فلا تكاد تصاب حتى تضطر الى ترك ميدان القتال والالتجاء الى ميناء تصلح فيه ما لحق بها من عطب

فالاستعانة ببوارج متينة ثم حصر هذه البوارج وجمعها وتنسيقها لهجوم مفاجىء • تلك هى الخطة التى ينصح بها الاميرال الايطالى

ولكن حصر الاسطول ودفعه كتلة واحدة الى مهاجمة كتلة اسطول العدو ، أمر يؤدى بطبيعة الحال الى اهمال نقط أخرى وتعريضها لضربات العدو • وهذا هو الخطر

غير ان الاميرال الايطالى لا يكترث لهذا الخطر ويقول : خير لنا أن نسـحق اسطول العدو بمجموع اسطولنا من أن نوزع وحداتنا البحرية لحماية مراكز ونقط ثانوية ،فلا نستطيع ضمان هذه الحماية ولا تحطيم اسطول العدو

وصفوة القول أن المغامرة هى شعار الاميرال الايطالى ، والهجمة الصاعقة هى خطته المفضلة التى أفرد لها معظم فصول كتابه

وليس شك فى أن هذه الخطة قد تسفر أول الامر عن نجاح • ولكن هذا النجاح لن يسهل استغلاله الا اذا كان نجاحا ساحقا مطلقا كاملا والا انعكست الآية وانقلب كارثة مروعة على المهاجم وعلى أسطوله (ملخصة عن مجلة ليزانال)

المرأتان الايطالية والاسبانية

الاولى تحب لتتزوج ، والثانية تحب للحب

عاشت الكاتبة المجرية روزا مولار عدة سنوات فى ايطاليا واسبانيا وتمكنت من دراسة نفسية الايطاليات والاسبانيات واخرجت كتابا شائقا بعنوان (نساء) يلقى ضوءا ساطعا على شخصية المرأة الايطالية ورفيقتها الاسبانية

ومما ورد فى الكتاب هذه العبارات :

تمتاز المرأة الايطالية باتقاد عواطفها واتقاد خيالها وتقديسها الحب ورغبتها العميقة فى أن يتوج الحب بالزواج

وهى مخلوق مولع بالحياة البيتية شديد الاخلاص للرجل والابناء يحتمل عسف الزوج وكبره ويرى فيه رب الاسرة وسيدها

وهى فوق ذلك ميالة الى اللهو نزاعة الى الفنون شديدة التعلق بالخيالات الشعرية تعبد الموسيقى والتمثيل ، وتنشد وهى فتاة تحقيق الغرام الكامل المطلق

فاذا احبت وهى فتاة فقد تقتل الرجل الذى يغرر بها ويخدعها • واذا احبت وهى زوجة فمن النادر ان تخون زوجها ما دام قائما بأودها وأود ابنائها • اما حبها لزوجها نفسه فحب تشوبه غيرة سلبية ، غيرة تصبر على نزوات الرجل وتقلباته وتجتهد فى اخضاعه والسيطرة عليه ورده الى محيط الاسرة

وبالاجمال فالمرأة الايطالية تحب لتتزوج ، وتتزوج لتلد وتصبح أما ، ومتى أصبحت أما احتملت كل شىء فى سبيل أولادها وفاخرت وازدهت بسلطان زوجها عليها يقينا منها ان هذا السلطان يعزز صلة الزوج بالاسرة ويكفل حياتها وتوطدها

والايطالية فى بيتها مخلصة جادة عاملة • ولكن النظام ينقصها • النظام والتعقل • فهى تحب ابناءها باسراف ، وتحب زوجها باسراف ، ويشغلها حب الزوج والابناء عن ابتداع نظام دائم ثابت كذلك الذى تقره الفرنسية فى بيتها مثلا

على انها طيبة وشفوق ومحبة للخير وان كانت فى بعض الاحيان شرهة اكول

اما الاسبانية فمخلوق من نار وهواء • انسان مجنح متقلب لعوب يضرب فى الارض مرحا ولا يتقيد الا متى ذعن لسلطان الحب • وهى تحب لا للزواج بل للحب نفسه •

تحب لمتعة الحب ومتعة الحياة التى يكشف عنها الحب . والويل لمن يخونها أو يحاول التغرير بها فهى لا تقتله بل تحوك حوله المكائد وتأخذه فى فخ قد يكون شرا عليه من الموت

وهى تخلص لزوجها ما دام مخلصا لها . وهى تخلص لابنائها ما دام زوجها يحبها . وهى شديدة الكبرياء ، وكبرياؤها تحول بينها وبين المضى فى خدمة الاسرة متى انصرف عنها قلب زوجها

ومن اغرب خصائصها شدة اهتمامها بالشؤون العامة وتعصبها للرأى السياسى الذى تعتنقه ولمبادىء الحزب الذى تميل اليه . وهى بالاجمال ديموقراطية تنزع الى الاشتراكية وتكره كل ديكتاتور وان كانت تعجب بما فى شخص الديكتاتور من مظاهر القوة

ويلاحظ ان المرأة الاسبانية كانت فى طليعة القوى التى ايدت الحكم الجمهورى فى اسبانيا ، بل لقد انخرطت فى صفوف الجيش الجمهورى وقاتلت انصار الفاشية ، وذاقت طعم الجهاد السياسى الشاق وصبرت عليه واحتملته راضية ، وهى لم تذعن حتى اليوم لحكومة فرانكو وما تزال ثائرة متمردة على النظم الاستبدادية القاسية

والواقع ان فرانكو المنتصر لم يستطع حتى الآن رياضة المرأة الاسبانية واجتذابها الى صفه واستئصال عاطفة الحرية التى تسرى فى كيانها مسرى الدم

وكل من يتجول فى اسبانيا هذه الايام يحس موجة استياء وتذمر تصدر عن النساء وتجاوز محيطهن الى محيط الرجال وتلقى الرعب فى أفئدة بعض الملاحظين الاذكياء الذين يشعرون بأن حالة الاستقرار السياسى لا يمكن ان تتحقق ما دامت المرأة الاسبانية تنفر من نظام الحكم الفاشى

فبينما المرأة الايطالية تعجب بالاساليب الفاشية وتناصر الدولة وتقدس شخصية الديكتاتور ولا تقيم وزنا كبيرا لمبادىء الديموقراطية والحرية ، تتبرم اختها الاسبانية بهذا كله وتعد الحرية مثلا أعلى للفرد والدولة على السواء

ومن الغريب ان الاسبانية المولعة بالحب تتجه فى الميدان الثقافى وجهة مخالفة لتلك التى تتجه اليها الايطالية . فالايطالية تميل الى مطالعة الشعر والقصص ، والاسبانية تمعن فى مطالعة الكتب السياسية والاجتماعية

وصفوة القول ان المرأة الايطالية انسان هادىء مسالم خلق لحياة البيت ، ينشد الحب الشعرى الخيالى المطلق فى ظل الاسرة وفى كنف الزوج والابناء ، ويميل الى التضحية والتضامن فى سبيل عظمة الدولة وتوسعها ، ويغض الطرف عن استبداد الديكتاتور مقابل الاعتزاز بمجد الامبراطورية

أما المرأة الاسبانية فانسان قوى جرىء مغامر يضع الحب فوق كل شىء ، ويكتفى بالحب عن كل شىء ، ولفرط شعوره بان لا معنى للحب بدون حرية ، تراه يقدس الحرية ويكافح ويجاهد ليجعل منها قاعدة الحياة للفرد والدولة (ملخصة عن مجلة ديركتيف)

مصادر الوحى عند الفنانين

الله والمرأة والكبرياء

لا يستغنى فنان عن قوة روحية يستمد منها وحيه ويهتدى بهديها فى تفكيره ويستضىء بنورها اثناء عملية الخلق والانتاج

ولا شك فى أن الحياة بألوانها المختلفة وصورها الرائعة هى مادة الفنان ، ولكن الفنان محتاج لحافز معنوى يمكنه من الاشراف على الحياة والتأمل فيها واستجلاء غوامضها وتمثيل الظواهر والمرئيات وما يكتنفها من غوامض واسرار فى حلة فاتنة من مجد وجمال

فهذا الحافز يلتمسه الفنان عند الله أو عند المرأة أو يستمد عناصره من اعتداده بنفسه وثقته بعبقريته وشدة احساسه بكبريائه الشخصية

فالله والمرأة والكبرياء هى الحوافز المعنوية الرئيسية وهى مصادر الوحى العليا لكل فنان موهوب

فكبار المصورين الفنانين فى عصر النهضة مثلا ونخص منهم بالذكر ليونار دافنشى وميكل انجلو ورافائيل واضرابهم ، كانوا يتوجهون بكل قوى عبقريتهم صوب الله ، وكانت نفوسهم مندمجة فى الذات الالهية اندماجا شبه صوفى يطبع ميولهم ونزعاتهم بطابع دينى معين ، ينعكس تأثيره على اعمالهم ، ويتجلى فى حياتهم الشخصية وفى نظرتهم الفلسفية الى الحياة

ولقد كانت نزعة البراءة المقترنة برغبة السمو والتطهير والمنحدرة من عمق الايمان الدينى ، تستولى على عقولهم ومشاعرهم قبل الانتاج وبعده ، فتهذب من جوهر ارواحهم ، وتكسر من حدة شهواتهم ، وتصقل رغباتهم وعواطفهم ، وترتفع بهم فوق ادران المادة وتسوقهم بالرغم منهم الى ابداع فن دينى علوى يرسم حياة اجمل واكمل من هذه الحياة ويغرى الناظر بها ويحثه على حبها واجلالها ويدفعه لتحقيق فضائلها فى قرارة قلبه وصميم نفسه

ومما يدل ابلغ الدلالة على ان الله كان مصدر الوحى عند اولئك الفنانين ، ان المصور ميكل انجلو كان لا يستطيع الاقدام على عمل فنى جديد الا بعد ان يخلو الى نفسه فى حجرة موصدة مظلمة ، ثم يجثو على الارض ، ثم يستغرق ساعات طويلة فى تأملات وصلوات حارة يحقق بواسطتها ذلك الاتصال الصوفى بينه وبين القوة الالهية التى تفتق ذهنه وتوسع آفاق خياله وتلهمه الخير وتنير أمام ابصاره طريق الجمال

واما رافائيل فقد كان لا يصلى فقط بل يصوم ايضا ويظل يتعبد الايام الطوال وهو يتأمل ويفكر • ومن غرائب ما سجله عليه معاصروه ان وحى الفن كان يهبط عليه هبوطا عاصفا مفاجئا غلابا فى اللحظات التى يرهقه فيها الصوم وينشب الجوع مخالبه فى احشائه

والواقع ان نظرة اولئك الفنانين الى المرأة نفسها كانت نظرة دينية طهرية لا يشوبها أي دنس . فقد احب ميكل انجلو سيدة ايطالية رائعة الجمال ولم يقربها قط . وكذلك احب ليونار دافنشي ابتسامة امرأة غير مكترث بسحر بدنها الناضج المغرى ، وكذلك أولع رافائيل بعذراء فاتنة ولعا افلاطونيا جنونيا لم تلوثه الغريزة الجنسية ولم تتطرق اليه من الحواس اية شائبة

فمن خلال وجه الله العلى ، كانت هذه الطائفة من الفنانين تقدس المرأة

على ان هناك طائفة أخرى احبت المرأة لذاتها ، واتخذت من جمالها ورقتها وحنانها وعطفها ، مصدر وحى فنى عميق . فالمصور ديلاكروا مثلا ، كان يهرع الى معشوقته ويجلس امامها ، ويتملى صامتا من سحر عينيها ، ثم يثب الى عمله متقد الذهن مضطرم القريحة ملتهب الخيال

وكان المصور كورو لا يستطيع التفكير في لوحة جديدة الا بعد ان يتلو على نفسه رسائل حبيبته ويذكرها ويتمثل صباها الناضر وصوتها الرخيم وجمالها الفتان

وكان المثال بورديل يخرج الى الحدائق العامة ويظل يرقب النسوة العابرات حتى اذا ما استرعاه من احداهن لونا من الحسن شائقا طريفا ، تبعها فى حذر ، وجعل يتفرس فيها ويلحظ فى أدب حركاتها وسكناتها ، وقد جاش قلبه وامتلأت نفسه بعاطفة أشبه بالحب سرعان ما تستحيل الى وحى يتمثل فى عمل رائع

ومع ذلك فثمة طائفة ثالثة من الفنانين لا تستحث عبقرياتها النزعة الصوفية أو النسوية قدر ما يستحثها شعور الكبرياء والاعتداد بالنفس

فالايمان بالقوة الشخصية ، والثقة بالنظرة المستقلة الى الحياة والناس ، والاحساس بالتفوق فى الفكر والعمل ، هذه العواطف التى تستمد منها فئة الفنانين المستكبرين مصادر وحيها

ولقد كان المثال العظيم رودان لاينفك يردد : «لست فى حاجة الى امرأة تلهمنى الجمال والفن . ما على الأن احنو على نفسى ، وأخاطب نفسى ، وافتح مغاليقها ، وانبش كنوزها ، كى تتساقط على عناصر الالهام اشبه باضواء ساطعة تغمرنى .. انى لاشعر انى عالم جمعت فيه من اقاصى الارض شتى العوالم . فما حاجتى بالحب ، وما حاجتى بضعف المرأة وخمولها وبلادتها واستبدادها المخزى . كلا . ان الله أودع فى صدرى كل ما انا فى حاجة اليه . وما على الا ان انعم النظر فى نفسى كى أمجد الله واوقظ الوحى الكامن فى »

ومثل هذه النزعة كانت مسيطرة على المصور بوفى دى شافان ، فقد ورد فى مذكراته قوله : «لماذا أصور ، لماذا أحاول ابداع الجمال وتخليده ؟ لاثبت شخصيتى واؤكد ارادتى واسجل على الابد عزمى . وانا كلما شعرت بالفراغ النفسى يمزقنى ولمست عجزى عن ايقاظ قوى الوحى التى لا بد من توافرها لمواصلة عملى ، شرعت فى اجراء نوع من المفاضلة والموازنة بين عقلى وعقول الآخرين ، بين ذكائى وذكائهم ، بين مواهبى ومواهبهم ،

بين قدرتي على الملاحظة والاحساس وقدرتهم

وكنت كلما أوغلت فى هذه المفاضلة ، وكلما اجتهدت فى تحليل خصائص عقلى ومميزات عقول من حولى ، انتشيت عزة وانفة ، وتملكنى شعور قوى بالكبرياء والارستقراطية العقلية أجد فيه الوحى الذى انشده ، وحى الجبروت والقوة !»

هذه مصادر الوحى الثلاثة عندالفنانين ، ولاريب أنها جميعا وثيقة الاتصال بجوهر النفس والحياة • فحب الله يدفع الى التطهر والسمو ، وحب المرأة يكشف عن اسرار الجمال ، وحب النفس او الشعور بالكبرياء يدفع الى توكيد الشخصية البشرية وبسط سيادة العقل الانسانى على الحياة

(ملخصة عن مجلة « نوفل آج »)

نفسية الشعب الالمانى

فى ظل حكومة النازى

نجح هتلر فى احياء الجيش الالمانى فى مدى السنوات الثلاث الاولى من حكمه • وما كاد يطمئن الى قوة جيشه حتى لوح بالحرب واستطاع بواسطة التهديد وحده الاستيلاء على النمسا ثم على مناطق السوديت ثم على بوهيميا ومورافيا وسلوفاكيا وميمل

والواقع أن هذا النجاح بدل النفسية الالمانية وفتح أمام الساسة ورجال الجيش آفاقا جديدة واسعة

فالمانيا اليوم تتردد وتطيل التفكير قبل أن تستطرد السير فى مراحل توسعها • وهى بين عدة أمور، فاما أن تواصل التقدم نحو الجنوب الشرقى فى اتجاه أوكرانيا حتى البحر الاسود ، واما أن تغزو رومانيا وتضع يدها على ما فيها من قمح وبترول ، واما أن تضغط على بولندا ودول البلطيق ، واما أن تولى وجهها شطر سويسرا وهولندا ، دافعة بحليفتها ايطاليا الى بسط سيادتها المطلقة على البحر المتوسط

هذه المطامع الكبيرة التى نشأت عن سلسلة انتصارات أحرزتها الدولة بدون حرب، ساقت الدولة الى تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية تنظيما يرمى الى جعل الدولة الالمانية تعبىء قواها وتعيش فى حالة تأهب دائم للحرب

فمطالب الحرب هى التى تسيطر اليوم على كل شىء فى المانيا ، على الحياة الاقتصادية والحياة الروحية والحياة الفكرية والدينية والادبية والفنية

فالضابط النازى مثلا أصبح يكره القيم الروحية ويحتقرها ويسخر نفسه لخدمة الثورة النازية وخدمة زعمائها مؤمنا بعقيدة العنف والقوة غير حافل بمختلف ضروب الطغيان

التى يأخذ بها الزعماء لحماية هذه الثورة وضمان اكتمالها ونموها وانتشار تعاليمها فى شتى نواحى العالم

ويلاحظ أن النزعة التى أوجدها النظام الهتلرى فى نفسية الشعب وبخاصة فى نفسية معظم الضباط الشبان هى نزعة فوضوية ترمى الى تقويض المبادىء المسيحية ومبادىء الثقافة البشرية الانسانية الحرة التى ازدهرت فى أوربا منذ عصر النهضة وبعد قيام الثورة الفرنسية حتى اليوم

وهذه النزعة يشهد على انتشارها قطب من أقطاب السياسة النازية هو الدكتور روشننج رئيس مجلس شيوخ دانزيج سابقا فى كتابه المشهور (ثورة الفوضوية) الذى وضعه عقب خروجه على الزعيم هتلر واستقالته من منصبه والتجائه الى البلاد الامريكية .

ومع ذلك وبرغم انتشار هذه النزعة ، وبرغم الانتصارات التى أحرزها النازى فى ميدان السياسة فالشعب الالمانى فى مجموعه لا يميل الى الحرب ، وقد استولى عليه قلق عميق أيام أزمة السوديت عندما قوبلت تهديدات المانيا باحتشاد الجيوش الفرنسية والاساطيل الانجليزية

والحقيقة هى أن هتلر واقع بين تيارين : فالفريق المتطرف من النازى يحثه على استعجال العمل وتحدى الديموقراطيات والمضى فى تنفيذ برنامج دولة الريخ الكبرى توطئة لنشر المبادىء والتعاليم الفوضوية المنطوية عليها ثورة النازى والرامية الى دك جميع الاسس الاقتصادية والروحية التى تنهض عليها الحياة الديموقراطية فى اوربا

والفريق المعتدل من المحافظين والوطنيين الالمان وبقايا الملكيين ، ينصحه بالتريث والتوسط وتجنب الاجهاز على النظم الاجتماعية والاقتصادية القديمة ونبذ كل تطرف محفوف بالمخاطر يمكن أن يتطرق الى أساليب السياسة الخارجية

ونفسية الشعب الالمانى متأثرة فى الواقع بهذين العاملين اللذين ينتابان شخصية الزعيم فالزعيم متردد حائر وكذلك الشعب . وهذه الحيرة تلقى فى روع بعض الطبقات أن النظام النازى غير مستقر وأنه لا يستطيع احتمال صدمة عنيفة تنكبه بها المقادير

ومن المعروف أن الطبقات المتعلمة من أساتذة ومشرعين ومحامين واخصائيين فى فنون الصناعة ، أصبح معظمها بعيدا عن الايمان المطلق بمستقبل النازية ، متهيئا لقبول اية حكومة جديدة تحل محل الحكومة القائمة

وأما كبار رجال الصناعات الذين مدوا الحركة الهتلرية بأموالهم ، فقد شاهدوا كيف انقلبت عليهم الحركة وبالا ، وكيف تدخلت الحكومة فى أعمالهم ، وحددت من سلطاتهم ، وقبضت بيد من حديد على جميع القوى الصناعية والمالية فى البلاد

وسواء أكان هتلر واقعا بين تيارين متعارضين املا ، وسواء أكان اداة كما يزعم البعض فى يد الجيش وكبار رجال الصناعة والادارة أم كان هؤلاء أداة فى يده ، فالظاهرة الواضحة هى أنه على الرغم من حيرته وتردده وافتقاره وافتقار شعبه الى عنصر التوطد والاستقرار ،

يظل مع ذلك قوة ملحوظة مرهوبة تتمتع بنفوذ شخصى عاطفى هائل ولاسيما على جماهير الشعب وكتل الشباب ونساء المانيا

هذا النفوذ الروحى هو سر تماسك النظام السائد . وهوالذى يلهب فى نفسية الشعب عواطف الحماسة والجرأة والمخاطرة والطاعة وحب العنف وتمجيد الروح العسكرية ، وان كان الشعب يتوق أسوة بجميع الشعوب الى عنصر الاستقرار والى التخلص من الحياة فى حالة حرب دائمة ، والى العدول عن اضرام نار ثورة فوضوية عالمية

وفى وسعنا أن نلخص نفسية الشعب الالمانى فى كلمتين : حماسة وقلق

والحماسة صادرة عن السحر الذى يكتنف شخصية الزعيم وانتصاراته ، والقلق صادر عن مطامعه أو مطامع النظام نفسه

ولقد أصبح من المؤكد بعد التحالف الالمانى الايطالى ، ان المانيا تؤيد المطالب الايطالية فى جيبوتى والسويس وكورسيكا وتونس ، وأصبح من المؤكد بعد نقض معاهدة عدم الاعتداء مع بولندا أن دانزيج قد تكون فريسة الغد ، وأصبح من المؤكد بعد تصريح الزعيم النازى جوهاس فون لير أن المانيا قد تتحرك اذا ما أطلقت اليابان قنابلها الاولى وبدأت الحرب فى الشرق الاقصى

فالتحالف مع ايطاليا ومشكلة دانزيج والخوف من نتائج اتفاق سرى يحتمل أن يكون قد عقد بين المانيا واليابان ، هذه هى نذر الحرب التى ترتعد منها فرائص الشعب الالمانى والتى تغلب فى نفسيته عنصر القلق وعدم الاستقرار على عنصر الحماسة وتقديس شخصية هتلر

(ملخصة عن النوفيل ليترير)

الانتاج عند العظماء

وليد الجهد المطرد الشاق

يعتقد البعض أن الرجل العبقرى يبدع العمل العظيم بعد انعام نظر وتفكير طويل . ولكن الكاتب الامريكى رسل جورج وليامز يرى فى كتابه (الانتاج الفكرى) عكس هذا الرأى تماما

ويدور كتابه حول النظرية الآتية :

ان مواصلة الانتاج هى التى تؤدى الى ابداع العمل العظيم . فالعبقرى ينتج ثم ينتج مدفوعا بعبقريته ، غير حافل بآراء النقاد فيه ، مسوقا بشيطان الانتاج نفسه . ومن خلال هذا الجهد المطرد الشاق يخرج العمل العظيم اتفاقا كما تخرج المرأة الجميلة اتفاقا من صلب الطبيعة الدائمة الحركة والغليان

فسبق الاصرار على ابداع عمل عظيم لاوجود له غالبا فى نفس العبقرى ، فهو لايهتم بالكمال بل بالتجويد ، وهو لا يهتم بالتجويد قدرما يهتم بمواصلة العمل • وأسباب سعادته لا ترجع الى نية مبيتة على ابداع الخوارق بل الى شعوره بحمى العمل والقدرة الدائمة على الانتاج

ولقد كان اميل زولا ينتج ولا يفكر فى قيمة انتاجه ، ينتج باستمرار فحسب ، ينتج بكل ما فيه من ارادة وقوة • ولقد دهش هو نفسه عندما أجمع النقاد على القول بأن روايته (لاسوموار) عمل خالد

وكذلك كان بلزاك وفولتير وشيلر

فالعبرة اذن بمواصلة العمل فى اخلاص • العبرة بحب العمل للعمل • وحيث ان العبقرى لا يستكشف عبقريته ومواهبه أثناء عملية الانتاج ، فالمهم أن ينتج لا أن يتصور الكمال ويجد فى طلبه فيعجز عن الانتاج

تلك كانت نظرية زولا واضرابه فى عرف الكاتب الامريكى ، وعليها قام انتاجهم ، وبواسطتها تمخضت أذهانهم من تلقاء نفسها عن الروائع التى نقدسها اليوم

وللعظيم قدرة خارقة على الانتاج ، لان وفرة الانتاج تمثل فى ذهنه صورة رائعة من تفوق ارادته على ارادات الآخرين ، فتزيده ثقة بنفسه وايمانا بعظمته وتحكم الصلة بينه وبين الطبيعة التى لاتنفك تخلق فى اطراد ، أو بينه وبين القوة العلوية التى لاتنفك تبدع الخوارق فى جهد متواصل لا يعرف الكلل

ولقد كان الروائى اونوريه دى بلزاك يحبس نفسه فى حجرته ، ويرتدى مسوح راهب ، ويتمنطق بزنار ، ويظل سجينا فى حجرة عمله أشهرا طويلة منكبا على الكتابة والتأليف لا يحفل بجمال الحياة ، ولا يبصر أشعة الشمس ، ولا يفكر فى أية لذة أو متعة سوى لذة الفكر ومتعة الانتاج

وكان فى غضون انتاجه ، يؤكد ارادته امام نفسه ، ويثبت عظمته أمام ضميره ، ويضاعف اعتقاده بأنه من طينة غير طينة البشر

فبقدر ما ينتج العظيم ، يزداد ايمانه بأنه عظيم • ووفرة الانتاج هى فى نظره أكبر دليل على العبقرية

وهذا هو السر فى أن العباقرة أغزر الناس انتاجا ، وأقدرهم على العمل ، وأخلصهم له ، وأبعدهم تماديا فيه

وأما رغبة الكمال فلا تعترضهم كما أسلفنا ، ولا تقطع عليهم سبل العمل ، ولاتعرقل مجرى التفكير اذ الكمال فى اعتقادهم وليد المصادفة وشيمة العظيم ألا يفكر فى ابداعه بل فى ابداع سلسلة أعمال يصدر الكمال عنها من تلقاء نفسه كما تنبثق الزهرة الناضرة الفريدة البديعة الالوان من جوف بستان طالما أبدع غيرها من فاتن النباتات والازهار

(عن مجلة نوفل آج)

الموسيقى

تأثيرها فى المعدة والاعصاب

يسمعنا الراديو والفونغراف ما نشاء من الموسيقى فى أى وقت نريد وبثمن بخس زهيد ، فينبغى أن نصيب منها كل ما تؤديه من الفائدة ، وأن نجعلها عاملا مهما فى شئون حياتنا ، فهى لا تقل ضرورة عن النوم والغذاء ، فى بناء الجسم وتكوين الخلق وتهيئة الشخصية

وقد تنبه الناس منذ أقدم العصور الى أن الموسيقى من أنجع الوسائل فى علاج العلل والاسقام . فمنذ أربعة آلاف سنة كان كهنة الفراعنة يرقون النساء العاقرات بأغنية موسيقية يعتقدون أنها تؤثر فى أجسامهن وتهبهن الخصب والنسل . وما زالت هذه الرقية مكتوبة على أوراق البردى التى عثر عليها فى آثار المصريين القدماء . وكذلك شاعت القيثارة فى بلاد الاغريق القديمة ، حيث كانوا يعزفون عليها لتهدئة المشاعر المهتاجة وتسكين الاعصاب المضطربة . ويقال ان أحد زعمائهم استطاع بقيثارته أن يهدىء ثائرة جماعة من العصاة الناقمين وقفوا بباب المدينة سكارى يتهددونها بالتخريب والتدمير

وكما أن للموسيقى الهادئة الناعمة أثرها فى تهدئة الثائرة وتخفيف الغلواء ، فان للموسيقى المدوية الصاخبة أثرها فى اثارة الشعور والهاب الاحساس . سمع الاسكندر الاكبر ذات مرة موسيقى عنيفة عاصفة ، فهب من مكانه هائجا مزمجرا ، واستل سيفه وأخذ يطير به رؤوس جلسائه ! وقد عزى نابليون هزيمته فى روسيا الى عاملين : شتائها القارس وموسيقى جيشها . فان هذه الانغام المدوية المتوحشة التى كانت تعزفها كتائب القوقاز الجبارة العاتية هى التى أهاجت فى الجيش الروسى روح الفتك والضراوة ، ودفعته الى أن يمزق الجيش الغازى شر ممزق

ولا شك أن هناك أمثلة أخرى عن تأثير الموسيقى فى ساحات الحروب . ولهذا كانت الموسيقى احدى ضرورات الجيش فى ساعة القتال ، وهى توازى فى أهميتها مؤنته وذخيرته ومعداته

وأكثر الناس يسايرون بأعصابهم أنغام الموسيقى ، فتهدئهم وتبهجهم اذا كانت رقيقة ناعمة ، وتثيرهم وتحفزهم اذا كانت عنيفة عاصفة . ولكن العلماء أخذوا يثبتون يوما فيوما أن تأثير الموسيقى لا يقتصر على الاعصاب وحدها ، بل يتعداها الى سائر أعضاء الجسم وأجزائه ، وكذلك الى أخلاق المرء وطباعه ، أى انها تتناول صحة الانسان وسعادته وكفاءته جميعا

وقد انتهى العلماء من بحوثهم الى أن من تأثيرات الموسيقى فى جسم الانسان ما يلى:

(١) انها تزيد أو تنقص النشاط العضلى
(٢) وأنها تزيد فى سرعة التنفس وتقلل من انتظامه
(٣) وأنها تؤثر تأثيرا واضحا فى كمية الدم ، ونبض العروق ، ودرجة الضغط
(٤) وأنها تهيىء الاعصاب للتأثير والانفعال
(٥) وأنها تغذى بعض العواطف ، وبذلك تنشط بعض غدد الجسم على أداء وظيفتها

ولعل أغرب ما صادفه العلماء فى هذا السبيل أن للموسيقى تأثيرا كيمياويا غريبا ، فقد أجروا تجارب شهدها الناس بأعينهم ولمسوها بأيديهم ، وأسفرت عن أنه اذا وضعت بيضة نيئة فى جو تشيع فيه الموسيقى الصاخبة المدوية ، فانها تنضج شيئاما ! ومن المرجح أن يكون للموسيقى تأثيرات كيمياوية فى أعضاء الجسم تشابه هذه التأثيرات ، ولكن العلم لم يوفق بعد الى ايضاحها وتعليلها

والعقل كالجسم ، يتأثر بالموسيقى تأثرا ظاهرا ، فاذا كانت حية نشيطة أيقظت الذهن وأرهفته ، واذا كانت خاملة بطيئة جنحت بالذهن الى الراحة والركود . ولهذا كان هذا الضرب من الموسيقى لازما للمرء اذا أجهده العمل وأضناه التفكير ، كما كان ذلك اللون منها لازما للمرء حين ينهض للعمل بعد نوم عميق أو راحة طويلة

وقد أثبتت المشاهدات أن الموسيقى الحية النشطة تغذى قوى الجسم وتجددها ، وتبعث فيها روح الجلد والنشاط . فمن ذلك أن جماعة من العمال كانوا يعملون فى اصلاح باخرة راسية فى احد الموانىء ، فلوحظ أنهم فى الفترات التى تعزف فيها فرقة الموسيقى بهذه الباخرة لحنا حيا قويا ينشطون الى العمل ويجدون فيه ، على نقيضهم فى الفترات التى تعزف فيها لحنا هادئا ناعما فانهم يتراخون فى العمل ويتباطأون فيه

وما من شىء يثير حمية المرء واقدامه ، ويبث فيه شعور الصبر والنشاط مثل الموسيقى الحربية القوية . ولهذا لم يكن للجيوش بد منها لتعين جنودها على احتمال مشاق المسير والجرى ، وعلى الصبر على أزمات الهزيمة والانكسار . ومن المؤكد أنه لولاها مااستطاعت الكتائب أن تقطع الاشواط الطويلة على أرجلها صابرة مستبشرة

ومن أدلة تأثير الموسيقى العضوى أو البدنى ماحدث منذ بضع سنوات فى سباق أجرى بين راكبى الدراجات . فقد كان متوسط المتسابقين ١٨٦ ميلا فى الساعة ، فلما شنفت آذانهم قطع من الموسيقى النشيطة المثيرة زاد متوسط سرعتهم الى ١٩٦ ميلا فى الساعة . وكان المتسابقون فى الحالة الثانية أكثر شعورا بالراحة الجسمية مما كانوا فى الحالة الاولى

وقد جرب تأثير الموسيقى فى العضلات والاعصاب فى ميدان الصناعة ، فأثبت أنها تزيد قدرة العامل على الانتاج بما تبثه فيه من روح الجد والنشاط . كان أحد المصانع يستخدم ٣٥٥ فتاة فى ملء صناديقه وتغليفها ، فكان ٩٧/٠ منهن يضقن بالعمل سريعا ويتراخين عن أدائه أكثر فترات اليوم . وكلما كانت الفتاة ذكية نبيهة كانت أكثر مللا وأسرع الى الضيق . ولكن لماجىء بفونغراف فى هذا المصنع وأخذ يشيع الموسيقى الحية

النابضة في أرجائه من حين الى حين ، لوحظ أن علائم السأم والضيق فارقت وجوه عاملاته ، وأن كمية عملهن زادت في فترات الموسيقى عما كانت عليه أولا زيادة كبيرة . وكانت درجة نشاطهم وكمية انتاجهم تتناسبان تناسبا طرديا مع درجة قوة الموسيقى ونشاطها وحدتها

وهكذا يمكن أن تتخذ الموسيقى علاجا لما يعترينا في أثناء العمل من الملل والضيق ، أو من الكسل والتخاذل ، وأن نستمد منها عونا على أداء اعمالنا على خير الوجوه وزيادة انتاجنا الى أقصى الحدود

والموسيقى المرحة البهيجة التي تثير مشاعر الفرح والسرور ، تساعد المعدة على أداء وظيفتها بما تزيده من كمية العصارات الهضمية . ومن الحقائق المهمة في هذا الصدد أن عصب الاذن الاساسي ينتهي في منتصف الفم ، وبذلك يصل عن طريق المخ حاستي الذوق والسمع ، أي يربط بين ما نأكل من الطعام وما نستمع من الموسيقى

والمعدة من أشدأعضاء الجسم حساسية ، ومن أكثرها تأثرا بالانفعالات النفسية . فاذا ثارت انفعالات الغضب أو الحزن أو اليأس ، اعترى المعدة شيء من الخمول والتخاذل والارتباك ، فاحتاجت الى ما يقاوم هذه الانفعالات ويستبدلها بانفعالات هادئة أو فرحةأو مستبشرة ، وليس كالموسيقى البهيجة ما يستطيع أن يغيرما بالانسان من مشاعر سيئة

والاعصاب التي تحكم المعدة شديدة التأثر بالاصوات الموسيقية الى درجة أن حركة المعدة ، التي تشبه نبض القلب ، تقوى أو تضعف ، وتنتظم أو تضطرب ، وفق مايسمعه الانسان منالموسيقى . ومن المعروف أن عملية الهضم تتوقف على شيئين : الغددوالاعصاب . وهذان العاملان يخضعان لتأثير الموسيقى الى درجة بعيدة . فانابحاث العلماء فيالعلاقة بين العواطف والغدد أثبتت أن للموسيقى تأثيرا مباشرا على هذه الغدد فتزيد فيافرازها تارة وتنقص منه تارة أخرى . وكذلك الاعصاب تهيج أو تهدأ ، وتنتظم أو تضطرب، حسب ماتكون الموسيقى المدمنين عليها هادئة ناعمة ، أوعنيفة صاخبة . ولهذا كانالانسان عقب تناول الطعام فيحاجة الياستماع بعض قطع الموسيقى الرقيقة الوادعة التي تهدىء الاعصاب وتنشط الغدد ، وبذلك تقوى المعدة على أداء وظيفة الهضم في راحة وسكون

ومن الامور المعروفة منذ عهد بعيد تأثير الموسيقى في التنويم . حتى كان أحدالاطباء يصف موسيقى « شوبان » للمؤرقين والمسهدين

وهكذا يثبت العلمأن الموسيقىتؤثر تأثيرا واضحاملحوظا فيأعصابالانسان وفيعضلاته فتساعد بعض أعضاء الجسمعلى أداء وظيفتها ، وتعينالانسان على احتمالكثير منالمشاق ، وهيمن أهم العوامل في تكوين خلقالانسان و «تكييف» شخصيته ، ولهذازداد أهمية الدور الذي تؤديه في حياتنا اليومية كلما زادت وتقدمت الوسائل التي تذيعها في بيوتنا ومحال أعمالنا

(خلاصة كتاب « الطبيب يصف الموسيقى » لادوار بودولسكي عن مجلة بوك دايجست)

العلم والعالم

معجزة اللاسلكي الجديد

الراديو يقوم بطبع جريدتك اليومية !

أسفرت تجارب الباحثين فى اللاسلكى خلال السنوات الاخيرة عن معجزتين عظيمتين ، احداهما سمعنا عنها كثيرا وشهدنا فى الصحف بعض آثارها وهى « التليفيزيون » ، والاخرى هى هذا « الراديو » الذى قد يحل قريبا محل الصحف لاسلكى للارسال ، فيلتقط هذا الراديو الموضوع فى بيت القارىء ، صورة من هذه الصفحة ، ويطبعها على ورقة لا تختلف فى شىء عن هذه التى تقرؤها الآن

واثبتت التجربة ان هذا الراديو يستطيع أن



يبين هذا الرسم ، سيدة تتلقى صفحات الجريدة وهى فى بيتها بواسطة الجهاز الجديد

ينقله على أمواج الاثير صورة دقيقة من كل ما ينشر فيها

وقد أشرنا الى هذا الجهاز فى عدد مضى من الهلال ، ونعيد الآن الحديث عنه بمناسبة تجربته فى الحياة العملية . فقد استخدمته أخيرا جريدة Post — Dispatch التى تصدر فى مدينة سان لويس بأمريكا ، فى ارسال صورة من سطورها وصورها الى بيوت خمسة عشر من قرائها . فتوضع صفحة الجريدة فى دارها أمام جهاز ينقل « صورة طبق الاصل » كما يقولون من كل ما تحتوى عليه الصحف من مقالات أواخبار، وصور ، ورسوم ، وجداول ، وخرائط ، وهو ينقل صورة الجريدة صفحة صفحة ، ويستغرق نقل الصفحة التى تحتوى على ألف كلمة ساعة تقريبا .

وسوف تتناقص هذه المدة بتقدم صناعة هذا الجهاز ، ويجرون الآن تجارب تؤدى الى نقل الصفحة فى دقيقة واحدة . فعندما يستيقظ المرء صباحا فى الساعة السابعة ، يوجه ابرة الراديو

الى دار الجريدة التى يريدهـا ، فاذا فرغ من الاغتسال وجلس الى مائدة الفطور ، يكون الراديو قد نقل اليه صورا من صفحات هذه الجريدة ، كما ترى فى هذا الرسم الذى يبين سيدة تتلقى صفحات الجريدة وهى فى بيتها

ومعنى هـذا ان الراديو لن يحـل محل الصحيفة، وانما محل الآلات التى تطبعها والباعة الذين يوزعونها . فستظل مهمة الصحفيين — لحسن حظنا ! — قائمة فى جمع الاخبار وتحرير المقالات . وهكذا ستجد الصحف تعويضا عما تنفقه من الجهد فى البحث وراء الاخبـار وفى دراسة الموضوعات وتحريرها ، فيما تقتصـده بفضل هذا الجهاز من نفقات الطباعة واثمان الورق وتكاليف التوزيع

ولن تقتصر فائدة هـذا الجهاز على دائرة الصحافة ، بل تتعداها الى دوائر شتى . فهذا محام من القاهرة يترافع فى قضية فى الاسكندرية، ولكنه نسى وثيقة خطيرة يحتاج اليها فى دفاعه، فما عليه الا أن يبرق الى وكيله فى القاهرة فيعد الوثيقة أمام جهاز الارسال ، فيلتقط بالراديو صورتها وهو فى الاسكندرية ، دون أن يستغرق هذا العمل وقتا طويلا أو مالا كثيرا . وكذلك يستطيع البوليس استخدامه فى اعماله ، فهذا مجرم يريد البحث عنه حالا ، فما عليه الا أن يرسل صورته بطريق هذا الراديو الى جميع دوائره ، فتستعين بها فى البحث عنه والاهتداء اليه

هذا وقد صدر فى هذه الايام كتاب عن هذا الجهاز اسمه Radio Facsimili كتبه جماعة من الاخصائيين فى اللاسلكى فشرحوا تركيبه وأبانوا فوائده ، والميادين التى سوف يغزوها قريبا

تأمين لمدة ٢٤ ساعة

ابتكرت شركات التأمين فى امريكا نوعا طريفا من التأمين ضد الحوادث ، لا تطول مدته الى عدد من السنين ولا من الشهور ، وانما تبلغ اربعا وعشرين ساعة فحسب • وقيمة التأمين عن هذه المدة الوجيزة خمسة قروش فى الغالب

وقد اخرجت هذه الشركات جهازا خاصا بهذا التأمين ، يضع فيه المؤمن قطعة من ربع الدولار فيبرز له « بوليصة » تأمين يكتب فيها



اسمه وعنوانه ، والساعة التى أمن فيها ، ثم يدفعها فى الجهاز بعد أن يستلم ايصالا مقابل هذه «البوليصة» . فاذا حدث له فى اثناء الاربعة والعشرين ساعة التالية حادث من هذه الحوادث التى أمن على نفسه ضدها ، دفعت الشركة له التعويض المقرر

ومزايا هذا النوع من التأمين واضحة . فهو أيسر نفقة على المؤمن لان مبلغه زهيد يخرج من بين النفقات اليومية العادية . وخمسة قروش فى امريكا لا توازى أكثر من قرش واحد فى مصر . كما ان المرء لا يؤمن الا فى اليوم الذى قد يتعرض فيه لشيء من الخطر ، كأن يكون يوم نزهة فى الخلاء أو جولة فى المدينة . اما فى الايام التى

يقضيها فى مكتبه أو متجره فلا داعى للتأمين فيها، لان احتمال الخطر فيها قليل جدا

المانيا وايطاليا ازدحمتا بالسكان

تنازع القوات الكبرى وتنافسها على المستعمرات سوف يكون مبعث الشرارة التى توقد الحرب القادمة . فألمانيا وايطاليا تشكوان وتصيحان : ان أرضهما قد ضاقت بأبنائهما ، وان لا بد من أملاك تحمل عنهما بعض أعبائهما ، وأن بعضا من مستعمرات بريطانيا وفرنسا ما زالت بورا لا تجد الايدى التى تستغلها

والواقع اننا اذا نظرنا الى الامر نظرة مجردة من الاهواء السياسية وجدنا الارقام تؤيد دعواهما، اذ نرى ان عدد ما يخص الكيلومتر المربع من أرض المانيا ١٣٥ فردا ، ومن أرض ايطاليا ١٤١ شخصا ، بينما يخصه من سكان فرنسا ٧٦ واحدا ، ومن سكان بريطانيا ١٩٥ نسمة ، مع أن هذه تملك ما يقرب من خمس مساحة اليابس المعمور ، وتلك تملك المستعمرات الفسيحة فى أنحاء آسيا وافريقيا . أما بلجيكا وهولندا فيخص الكيلومتر المربع منهما على التوالى ٢٧٤، ٢٤٧ نسمة ، ولكنهما من الدول الاستعمارية الكبرى التى تجد صناعاتها أسواقا رائجة تهيىء لسكانها كثيرا من الرخاء والثراء . وهذه اليابان لايجاوز ما يخص الكيلومتر المربع منها ١٨٦ نسمة ، ولكنها لم تستطع صبرا على هذا فسيرت جيوشها الى منشوريا ثم الى الصين ، وبذلك صار نصيب الكيلومتر المربع من امبراطوريتها ١٥٠ نسمة وما زالت مع هذا متوغلة فى فتوحها ، طامعة فى أملاك جيرانها

ونذكر بهذه المناسبة آخر احصاء عن عدد السكان فى دول أوربا الكبرى وهو :

روسيا ٠٠٠ ١٧١ ، المانيا ٠٠٠ ٠٠٠ ٧٩ ، بريطانيا ٠٠٠ ٣٠٠ ٤٧ ، ايطاليا ٠٠٠ ٦٠٠ ٤٣ ، فرنسا ٠٠٠ ٩٥٠ ٤١ ، بولندا ٠٠٠ ٨٠٠ ٣٤ نسمة

أغنى أسرة فى العالم

هى أسرة « دى بونت » الامريكية التى تقدر ضرائب الايراد الاخيرة أن دخلها السنوى يبلغ ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٠ من الجنيهات . ويرجع هذا الثراء الطائل ، الذى يفوق ثراء أسرة «روكفلر» ذاتها ، الى انها لم تحصر جهودها فى دائرة صناعية واحدة ، بل وزعتها على عدد من الصناعات الكبرى ، فأنشأت مصانع للاسلحة ، والذخائر ، وللسيارات ، وللمواد الكيمياوية ، وللحرير الصناعى ، بل ان لرجالها اصبعا فى كل مايقوم فى أمريكا من المشاريع الصناعية الهامة ، ومن الاسواق التجارية الرائجة

وقد أنشأت أسرة « دى بونت » معامل كيمياوية وأخرى ميكانيكية ، وزودتها بجماعات من كبار العلماء المنقطعين الى الدرس والتجربة ، وهى تنفق على هؤلاء العلماء الاموال الطائلة لتمكنهم من اخراج ما يمونون به العالم من منتجات بعضها للخير وبعضها للشر

ويرجع تاريخ أسرة دى بونت الى أيام ان ثار الشعب الامريكى فى سبيل حريته ، فأنشأت مصنعا كان يمد جيش واشنجتن بالذخائر . ولها ضلع كبير فى سياسة أمريكا الحاضرة ، فهى تعادى روزفلت الذى تنطوى سياسته على كثير من المبادىء الاشتراكية . وقد أنفقت فى الانتخابات الماضية ٠٠٠ ١٠٠ جنيه لمقاومة روزفلت واسقاطه، وما زالت على عدائها اياه رغم انها اتصلت به أخيرا بصلة المصاهرة ، اذ تزوج ابنه الثالث بابنة « يوجين دى بونت »

تغير حجم الجمجمة

وجد الدكتور « دافنبورت » بمعهد كارنيجى بأمريكا ان اقبية الجمجمة تتغير من حين الى حين، فيزيد عرضها بالنسبة الى طولها باختلاف عمر الانسان

فعرض رأس الجنين يبلغ ٧٧ ٠/٠ من

طولها ، ثم يقل شيئا فشيئا حتى يصير عند ولادته ٧٠ ٠/٠ من طولها . ولا شك ان الطبيعة تريد بهذا تهوين آلام الوضع على الوالدة . ثم لايلبث هذا العرض أن يزيد عقب الولادة الى ٧٤ر٥ ٠/٠ من الطول . ولكن اذا جاوز الطفل دور الحبو وبدأ يتعلم المشى ضاقت جمجمته قليلا وصار عرضها ٧٢ر٥ ٠/٠ من طولها . ثم تحدث تغيرات شتى حتى سن الثامنة عشرة حيث تستقر النسبة بين طول الجمجمة وعرضها على اساس ٣ الى ٢

طرائف « عن نفقة » الزواج

ـ فى امريكا ٢٠٠٠٠٠٠٠ر٢ امرأة يتقاضين « نفقات » من مطلقيهن بمعدل ثلاثة جنيهات لكل منهن فى الاسبوع الواحد

ـ فى اثناء السنوات العشر الماضية بلغت قيمة النفقات التى دفعها الرجال فى امريكا وحدها ٩٫٣٦٠٠٠٠ر٠٠٠ دولار !

ـ مدينة بوستن الامريكية هى كعبة الازواج الراغبين فى تطليق زوجاتهم . لان قانونها لا يمنح نفقات الا للامهات المطلقات

ـ فى الولايات المتحدة الامريكية اربع عشرة ولاية تبيح للمحاكم أن تفرض على المرأة نفقة تدفعها لمطلقها !

ـ فى كثير من ولايات امريكا لا تعفى المحاكم الرجل من دفع النفقة لمطلقته بعد زواجها ، اذا ثبت لها ان زوجها الجديد لا يهيىء لها من أسباب الراحة والرخاء ما كان يهيؤه لها زوجها السابق ، فيجب ان يتعاون الاثنان على ترفيهها وتنعيمها !

النوم يطيل القامة

من أغرب الظواهر التى تبينها اثنان من الاطباء الامريكيين أن نوم الطفل بعد الغداء ساعتين يطيل قامته فى اثناء النوم نصف بوصة تقريبا . وقد أجريا تجاربهما فى ٢٢ طفلا تتراوح اعمارهم بين اربع وخمس سنوات . فثبت لهم ان هذه القيلولة تطيل قوامهم حتما ، فاذا نام الطفل زادت قامته نصف بوصة واذا استلقى دون نوم زادت ربع بوصة تقريبا . وتحدث هذه الزيادة فى النصف الاعلى من الجسم ، وهما يعللانها بما يحدث على انسجة الجسم من الضغط فى اثناء النوم مما يجعلها تنفرد وتتمدد . على أن هذا الطول « الصناعى » يزول بعد أن ينهض الطفل من الفراش الى اللعب ، فتشتد انسجته وتتماسك وترجع قامته الى حالها الاولى . على ان راحة الجسم عقب الاكل تساعد دائما على نموه واستطالته . اذا كانت الانسجة لينة رخوة كما هو الشأن فى اجسام الاطفال والصبية

طرائف علمية

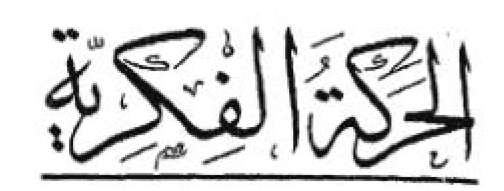
١ ـ سن النبوغ الموسيقى : اثبتت الاحصاءات الاخيرة ان المؤلفين الموسيقيين يصلون الى اقصى درجات نبوغهم وهم بين سن الخامسة والثلاثين وسن الاربعين

٢ ـ تزاحم البشر : قرر احد الاخصائيين فى مسائل السكان ان ٥٢ر٥ ٠/٠ من مجموع سكان العالم يعيشون فى بقعة من الارض لا تزيد مساحتها عن ٥ ٠/٠ من مجموع مساحة اليابسة

٣ ـ مواليد روما : تزيد نسبة المواليد فى مدينة روما عن نسبتهم فى اية مدينة من مدن اوربا وامريكا ، اذ يبلغ ٢٢ر٤ مولود لكل الف من السكان

٤ ـ مدنية المتوحشين : فى سنة ١٧٣٦ شهد علماء « اكاديمية العلوم الفرنسية » لاول مرة مادة المطاط ، وقد كتب من احضرها لهم تقريرا قال فيه ان المتوحشين يستخدمون هذه المادة فى صنع القوارب والاحذية وغيرها من الادوات

٥ ـ العالمات الروسيات : تقدر الاحصاءات الاخيرة ان عدد العالمات فى روسيا يبلغ ١٢٠٠٠ سيدة وفتاة . أى ان ٣٠ ٠/٠ من المشتغلين بالمسائل العلمية هناك من النساء



نزعة فرنسية جديدة

قامت فى فرنسا هذه الايام نزعة ترمى الى احياء فكرة الامبراطورية الفرنسية والاقتداء بانظمة الرومان فى تجديد كيان هذه الامبراطورية

وقد وضع الاديب والصحفى بيير دومنيك رسالة تحدث فيها عن مستقبل فرنسا واشار الى مصير امبراطوريتها بقوله : ان نقص المواليد فى بلادنا يحتم علينا الاهتمام برفع شأن امبراطوريتنا . فيجب علينا ان نتوجه بأبصارنا صوب الرومان وان نقتدى بالمبادىء والنظريات التى اقاموا عليها صرح امبراطوريتهم . واهم هذه المبادىء هضم العناصر الاجنبية وادماجها فى كيان الدولة والسعى لرقيها المادى والمعنوى بحيث تصبح اعضاء عاملة فى الجسم الامبراطورى . فالامبراطورية الفرنسية كى تعيش وتنمو ويكتب لها النصر ، يجب ان تتألف من مجموعة شعوب حرة تتمتع بأوفر قسط من الاستقلال الداخلى ، وتحتفظ فوق ذلك بحريتها المطلقة فى ممارسة شعائرها الدينية ، والحرص على لغاتها ، والتعلق بثقافاتها الوطنية المستقلة . وفى وسع أى كان من افرادها ان يطالب الحكومة الرئيسية الكبرى بمنحه لقب مواطن فرنسى ، ومن واجب الحكومة ان تمنحه هذا اللقب متى توافرت فيها عوامل الاخلاص لوطنه وللامبراطورية

هذا ما ينصح به المسيو بيير دومنيك ، وما يدعو فرنسا الى التفكير فيه

والواقع ان طمع الايطاليين فى بعض الممتلكات الفرنسية الهب فى نفوس الفرنسيين عاطفة الدفاع عن امبراطوريتهم والسعى لتجديدها واحيائها بحيث تتمشى انظمتها وروح العصر الحاضر

ويظهر ان فرنسا تأخذ بنظرية معارضة لنظرية الفاشية . فبينما تدعو الفاشية والنازية لتطهير الجنس واقصاء العناصر الاجنبية ، تميل فرنسا الى فتح ابوابها للاجانب وادماجهم فى امبراطوريتها وتحويل هذه الامبراطورية الى مجموعة شعوب مستقلة اسوة بما فعلته الامبراطورية البريطانية

وهذه الافكار تجد صدى عظيما فى نفوس طائفة كبيرة من النواب واعضاء مجلس الشيوخ ورجال الوزارة الحاضرة امثال المسيو كمسينكى وزير البحرية والمسيو رينو وزير المالية والمسيو زاى وزير المعارف

فجر الحياة

من الكتب التى أحدثت ضجة فى بولونيا ، كتاب وضعته أخيرا صحفية شهيرة تدعى مدام رانسكى ، وتناولت فيه تحت العنوان المتقدم دراسة مشكلة الزواج من وجهة نظر الرجل والمرأة . ومن أهم ما ورد فى هذا السفر النفيس قول مدام رانسكى ان الزواج عند الامم الاوربية المتحضرة أصبح فى نظر الرجل شبه حكم بالاعدام يصدره هذا الرجل على نفسه ومستقبله طائعا مختارا

فهو يمرح فى زمن عزوبته ويشتار من اللذات ما يشاء ، حتى اذا ما أحس الضجر والسأم ، وتاق الى الراحة ، وبدأت امراض الكهولة والشيخوخة تتربص به ، أقدم على الزواج واتخذ من امرأته صديقة وممرضة

فهو فى الزواج يودع الحياة ، وهى من خلال الزواج تتطلع الى فجر حياة حافلة بشتى ضروب الهناء . ومن هنا ينشأ النزاع فى معظم الاسر

ولعلاج هذه الحالة لا تقترح مدام رانسكى كما يقترح بعض المفكرين أنصار الغلو فى تحرير

المرأة ، ان تحيا المرأة أيام عزوبتها حياة اللذة والمتعة والحرية التى يحياها الشاب ، بل تقترح أن تروض الحكومات بواسطة مدارسها واساتذتها ووعاظها الدينيين ، ارهاط الشباب على اتباع العفة المطلقة حتى الزواج ، وأن تخفف من مواد برامج التعليم وتبسطها بحيث يستطيع الشاب أن يحصل بسرعة على شهادة تساعده على ايجاد عمل يتكسب منه وتشجعه على الزواج المبكر

وهكذا يتقدم الى الفتاة وهو بكر مثلها ، قادر على أن يعولها ويعول أبناءه منها . ومتى تحقق فى الشاب معنى البكارة المادية والمعنوية ، لاح الزواج أمام أبصاره كما يلوح أمام أبصار كل فتاة ، فجر حياة جديدة حافلة بعناصر الهناء، لا ختام حياة مشوشة مضطربة أنفقت فى الرذائل وتبددت فى عالم الحيرة والقلق والفوضى

ونحن ننشد فى الزواج تكافوء المركز الاجتماعى والمصالح المادية ، ولكننا لا ننشد التكافوء فى (العذرية) المادية والروحية . تلك العذرية التى تشعر الفتاة ان زوجها انسان بكر مثلها ، يتطلع الى اسعاد نفسه واسعادها فى نفس الوقت

البخل والحرص

ما الفارق بين البخل والحرص ، بين الرجل البخيل والرجل الحريص ، وهل يؤدى الحرص الى رذيلة البخل ؟

تلك هى الاسئلة التى يجيب عنها الاديب الاسوجى جوستاف بوركمان فى كتابه الشائق (وهم السعادة)

وفى رأى هذا الاديب ان البخيل انسان يجمع المال بدون غرض . يجمع المال للذة جمعه واقتنائه والنظر الدائم اليه والاطمئنان الى تكاثره . واما الحريص فيجمع المال لاغراض معينة قد تكون ضمان المستقبل او التأهب للقيام بمشروع عظيم أو الرغبة فى حياة كريمة لا تشوبها شائبة الذل

فالبخيل رجل خيالى ، يتمثل السعادة فى وجود المال وفى تكاثره لا فى الغايات التى تؤدى اليها وسائل استخدامه

واما الحريص فرجل عملى ، يعرف قيمة المال فى الحياة ، ويدرك الاهداف التى يمكن ان يصيبها من وراء جمعه . وهو ليس كالبخيل ، يكره نفسه ويكره اهله ويقتر على نفسه وعليهم ويجعل من الجميع اعداء له ، بل هو انسان تتمثل فيه فضائل التعقل والنظام ووضع الامور فى نصابها وانفاق الدرهم حيث يجب ان ينفق

ومع ذلك فالحرص قد يؤدى الى البخل . وذلك لان لذة التعلق بالمال وتقديره وجمعه والحرص عليه ، تفوق لذة انفاقه ولو بتعقل

فالحريص كلما توافر لديه المال آثر استبقاءه شعورا منه بلذة تجمعه ومال بالرغم منه نحو البخل

فلتجنب هذا الانحدار ينبغى ان نروض انفسنا على جمع المال وعلى احتقاره فى نفس الوقت . على الحرص عليه وعلى التسليم بضرورة انفاقه فى وجوه الواجب والخير . اذ السعادة كامنة فى تسخير المال لقضاء لبانات ضرورية ونبيلة ، لا فى التمتع بجمعه والنظر اليه يتكاثر ويندو وهو جامد مشلول كما كان يفعل هرباجون البخيل بطل رواية موليير

ويجب ألا ننسى ان الحرص يسمو بفضائل الحكمة والنظام ولكن البخل يؤدى الى غلظة الفؤاد وتحجر القلب وبلادة الاحساس وانانية الفكر والعاطفة والروح . فالحريص يغرى بالاحترام ولكن البخيل يغرى بالسخرية والاستنكار وقد يدفع الناس الى كراهيته وبغضه وتمنى افجع ضروب الشر له

شخصية المرأة الالمانية

فى كتاب صدر بهذا العنوان للاديبة الفرنسية مدام بلاندين ، نجد صورة رائعة للمرأة الالمانية فى عهد حكومة النازى

فالمرأة الالمانية الحديثة كما ترسمها مدام بلاندين ، مخلوق تتجه حياته وجهوده نحو غايات ثلاث :

الاخلاص للزوج والاولاد في دائرة الاسرة، والتفاني في خدمة المشروعات الاجتماعية الاصلاحية التي اوجدتها الحكومة ، والولع الشديد بتقوية البدن بواسطة الالعاب الرياضية

فالمرأة الالمانية في عرف مدام بلاندين لاتقيم للحب كبير وزن ، ولا تفكر في ضرورة انشاء الاسرة على قاعدة الحب والعاطفة . فهي تتزوج لتصبح أما ، وهي تتزوج لتحرس البيت الالماني وتمنح الدولة ابناء اصحاء البدن والعقل

ولقد كانت المرأة الالمانية تهوى الحرية فيما مضى ، وتهوى الاستقلال والعمل الحر ، ولكنها اليوم راضية بالمركز الذي فرضه عليها النظام النازي ، قانعة بأن تكون زوجة واما ولودا فحسب

فهي في دائرة الاسرة تخدم الدولة ، وهي في دائرة الحياة العامة تريد ان تخدم الدولة أيضا ، فتشترك في مختلف الاندية والجمعيات التي انشأتها الحكومة لترقية ثقافة العمال أو لحماية الفنون أو لمعاونة الطبقات الفقيرة

واما لذتها الكبرى فهي تلتمسها في ملاعب الرياضة ان كانت فتاة ، وفي رياضة نفسها على التمارين الرياضية البيتية اليومية ان كانت زوجة واما

والواقع ان اخلاقها تعرف بالصلابة والاستقامة والقوة وطاعة الزوج وحب النظام والميل الى الاكثار من النسل وتقديس شخصية هتلر والايمان بأن سياسته وحدها هي التي سوف تنقذ المانيا

والمرأة الالمانية اكبر داعية لهتلر ، لا تثور على نقص الزبدة وشح بعض المواد الغذائية بل تحتمل وتصبر وتضحي معتقدة بأن تضحيتها تعود على الوطن بأجزل الفوائد

والظاهرة الرئيسية الملحوظة في اخلاقها ، هي اضمحلال نزعة الرقة والانوثة ونزعة الخيال والعاطفة . فهي امرأة عملية اكثر منها انثى . وهي تخدم الرجل اكثر مما تستطيع ان تكون صديقة له ، وهي تطيعه وتعترف برجولته وتبذل قصاراها في خدمته ولكنها لا تلبي في الغالب نداء قلبه

غير ان نداء القلب عاطفة لا يحفل بها الالمان كثيرا . لان الالمان رجالا ونساء يعيشون اليوم في سبيل الدولة اكثر مما يعيشون في سبيل انفسهم

أثر السينما في الفن القصصي الحديث

يحاول بعض الروائيين في أوربا اليوم اقتباس بعض الاساليب السينمائية وادماجها في فن القصة بل اقامة صرح القصة الفنية عليها . وهذه الحركة هي التي تناولها بالبحث الاديب الامريكي ج . جاك جريسور في كتابه الاخير (تطور فن القصة)

ومعلوم ان الفن السينمائي يمتاز بتعدد الصور وسرعة عرضها والانتقال بك في لحظة واحدة من مشهد الى مشهد ، وهكذا يشعرك بان الحياة سلسلة مواقف ومشاهد يكمل بعضها البعض وتتعاون جميعا في ابراز موضوع الفلم

ومثل هذا الاسلوب يتبعه الآن فريق من كبار الروائيين ، وفي طليعتهم جول رومان الفرنسي والدوس هكسلي الانجليزي

فهم يضعون القصة لا في قالب فصول كبيرة مطولة ، بل في قالب مشاهد صغيرة سريعة يتلو بعضها البعض كما تتعاقب المشاهد السينمائية على اللوحة البيضاء ، ففي المشهد الاول ترى مثلا شخصين يتحاوران ، وفي المشهد الثاني ترى مريضا يحتضر ، وفي الثالث زوجا يغار ، وفي الرابع أما تندب وحيدها ، وفي الخامس يعود بك المؤلف الى المشهد الاول ، وفي السادس يطرق موضوعا جديدا ، وفي السابع يعود بك

الى المشهد الثانى ، وهكذا تمر بسلسلة مشاهد تعطيك صورا متعاقبة لانسياب الحياة وتنوع حوادثها وتعدد مرئياتها

ولكن هذه الطريقة فى عرف الكاتب الامريكى تفسد فن القصة

لان الذى يشهد فيلما سينمائيا لا يفكر كثيرا فى مختلف المناظر التى تمر أمام عينيه بل يحفظ منها أهم الصور والمواقف ذات العلاقة بموضوع الفلم . أما الذى يطالع قصة فيضطر بالطبع الى استخدام ذاكرته فى حفظ ما انطوت عليه مشاهدها من آراء وافكار وتحاليل وصور شخصيات . فاذا تعاقبت عليه هذه المشاهد تعاقبا سريعا بما فيها من آراء وافكار وتحاليل ثم اختلطت وتمازجت كما يحدث فى السينما ، فلا بد ان تتشوش اوضاعها فى ذهن القارىء ويختلط ما فيها من آراء وافكار ، فينساها ولا يعود فى وسعه حصرها ، وهكذا تفقد القصة التأثير العقلى والخيالى المنشود منها

ولذلك يقول الكاتب الامريكى ان فن السينما هو فن سرعة العرض لانه ينهض على استذكار الصور فقط . اما فن القصة فيجب ان ينهض على بطء العرض لانه فن استذكار الصور مقرونة بما يندمج فيها من تحاليل المؤلف ، هذه التحاليل النفسية التى تخاطب العقل وتثبت فى الذهن والتى تؤدى سرعة العرض الى تبددها وزوالها

شيطان البدن

هو اسم كتاب طريف لباحث نفسى فرنسى يدعى ريمون كورتوا ، تناول فيه المؤلف تحليل شهوات البدن الجنسية والاشارة الى وسائل كبحها ورياضتها

ومما ورد فى الكتاب قول المؤلف ان الشهوة الجنسية لا تثور فى البدن ولا تضطرم فى الدم ولا تعصف بالاعصاب الا متى كان الذهن خاويا فارغا مفتحا لشتى المؤثرات الحسية . فجمال المرأة لا يأخذ بلب الرجل المنهمك فى عمل يستغرق وقته وذهنه ، قدر ما يأخذ بلب الرجل العاطل العابث المتأهب للتمتع

فأنت متى استرحت وكف عقلك عن دورانه وانصرف ذهنك الى الاحلام اللذيذة والتأملات المعسولة ، انتهز شيطان بدنك هذه الفرصة واستفاق وطالبك بحقه

ومن أغرب تطورات النفس البشرية ان الانسان لا يكاد يستريح من عناء عمل من الاعمال حتى تخالجه فكرة التمتع والترفيه عن النفس بواسطة المرأة . فكأن الشهوة الجنسية قرينة الراحة العقلية والهدوء الفكرى . لهذا ينصح مؤلف الكتاب بمعالجة الخيال الشهوى من طريق الفكر نفسه . فيقول ما دام الفكر يخنق الشهوة ويطردها فما علينا متى استفاقت شهواتنا الا أن نروض أنفسنا على تحويل تيار تفكيرنا من صور الشهوة الى صور عقلية أخرى نستمدها من موضوع نحبه ونعرف ان الاقبال عليه فيه لذة لنا

وحيث ان الخيال الشهوى مبعثه الفكر ، فاستبدال الفكرة بغيرها ، هو الذى ينقذنا من استبداد خيالنا الشهوى

والمهم فى الامر سرعة الانتقال من ميدان الى ميدان ، من تفكير الى تفكير ، من مشهد عقلى الى مشهد آخر مخالف له . وأما اذا تريثنا وتباطأنا وتركنا الخيال الشهوى يمرح بألوانه وصوره فى عرض مخيلاتنا ولم نسرع بصده وتحويله ، فلا بد أن يتجسم وينمو ويستبد آخر الامر بنا ويكتسح فى طريقه كل تفكير آخر كائنا ما كان حبنا له وتعلقنا به

وصفوة القول ان الشهوة فكرة تمتاز بقوة الجموح ، فعلينا أن نصدها بفكرة أخرى عزيزة علينا ، وأن نسرع فى جعل هذه الفكرة العزيزة تحتل عقلنا وتقطع على الشهوة طريق النمو . وهكذا نكبح شيطان ابداننا ونتسلط على أنفسنا

الكتب الجديدة

فرعون الصغير وقصص أخرى

بقلم الاستاذ محمود تيمور

(مطبعة المعارف بمصر فى ٢٣٠ صفحة)

انقطع الاستاذ محمود تيمور لمعالجة القصة المصرية فتفوق فيها تفوقا ملحوظا ، وقد استطاع ان يقيم دعائم فن القصة على رسم وتحليل الاخلاق والعادات الشائعة فى البيئة الشعبية المصرية

فمحمود تيمور يبذل قصاراه فى سبيل التحرر من تأثير الادب الاوربى ، والاندماج فى المحيط المصرى ، كى يبدع فنا روائيا مصريا خالصا من شوائب المحاكاة والتقليد

فالبساطة هى شعاره ، البساطة فى الاسلوب، والبساطة فى جوهر الشخصيات التى يرسمها والبساطة فى نفس الموضوعات التى يعالجها

وهذا هو السر فى رواج قصصه واقبال الجمهور عليها واحساسه بان حوادثها منتزعة من صميم الواقع المشاهد اليومى

ويقرن محمود تيمور عنصر البساطة بعنصر الملاحظة . والحق انه روائى ثاقب النظرة بعيد مرمى البصر يعرف كيف يسجل الظواهر والاعراض التى تميز الشخصية المصرية وتشعر القارىء انه يسبح فى وسط مصرى أصيل

ولا شك فى ان المدرسة الروسية تؤثر فى فن تيمور ، حتى ليخيل الينا ونحن نطالع بعض قصصه ، اننا حيال قصص لتشيكوف أو كوبرين على ان المدرسة الواقعية الفرنسية تصادف من نفسه هوى ، فتراه يميل فى بعض الاحيان الى الاخذ بفن زولا وويسمان وموباسان

ومع ذلك فقيمة الاقاصيص التى يضعها تيمور تنحصر فى رغبة واضعها فى التحرر كما اسلفنا من مؤثرات الثقافة الاوربية والاندماج المطلق فى الوسط المصرى

وهذه الروح نلمسها فى مجموعته الاخيرة (فرعون الصغير) ولا سيما فى قصتى (اركان الوضوء) و (عزرائيل القرية)

واذن فالقدرة على توخى البساطة ، والقدرة على الملاحظة الدقيقة ، والقدرة على تأدية الخصائص الظاهرة فى المجتمع المصرى ، هذه هى العناصر الثلاثة التى تتكون منها مادة ذلك الفن الروائى الصادق الذى وقف عليه الاستاذ محمود تيمور جهود حياته

قصة العبقرى موتسارت

بقلم الدكتور محمود احمد الحفنى

(طبع دار المجلة الموسيقية بمصر فى ١٩٠ صفحة)

موتسارت هو ذلك الموسيقى العبقرى الذى حرر الموسيقى الالمانية من مؤثرات الفن الايطالى واضفى عليها حلة رائعة من الصدق والعذوبة والحنان

والواقع ان الفن الموسيقى الايطالى كان صاحب السطوة والنفوذ فى جميع الاوساط الموسيقية عند ظهور موتسارت ، بل كان الفنانون الايطاليون يحتلون جميع فرق بلاط الامراء والاشراف حتى لقد كان لزاما على الفنان الالمانى كى يحرز النجاح ان يقلد الاسلوب الايطالى أو يرحل الى بلاد الايطاليين يتتلمذ عليهم ويأخذ عنهم ويفنى شخصيته فى شخصياتهم

ولكن موتسارت انطوى على نفسه ، وخاطب عبقرية قومه ، وتجرد من كل مؤثر اجنبى ، واستطاع ان يبدع فنا خالصا مستقلا ضاعف

شعور مواطنيه باستقلالهم الفكرى واستقلالهم السياسى ايضا

ومن دلائل عبقرية موتسارت انه لم يترك ناحية من نواحي التلحين الموسيقى الا طرقها وتفوق فيها ، وحسب الحانه الآلية ان بينها اربعين (سمفونيا) تعد من كنوز الفن الموسيقى العالمى . اما قدرة موتسارت على تلحين الاوبرات فقد شهد بها (فاجنر) نفسه عندما قال : ان موتسارت استطاع ان يرينا فى تلحين اوبراته كيف يمكن ان تقف الموسيقى وحدها على المسرح وان تحدث فى النفس اعمق تأثير دون الاستعانة بالفنون الاخرى

ولقد قام الاستاذ الحفنى لاول مرة على مانعتقد فى تاريخ الادب العربى بوضع ترجمة روائية رائعة لحياة ذلك الموسيقى العبقرى . فقص علينا مآثر طفولته ثم كفاحه فى سبيل توكيد شخصيته، ثم اصطدامه باعدائه ومنكريه ، ثم اعتلائه صهوة المجد واعتراف الجميع بنبوغه الممتاز

والواقع ان الترجمة صيغت فى اسلوب عربى ساحر ، وفى عبارة واضحة بسيطة يأخذ رنينها الموسيقى بالالباب ، وهى شبه قصيدة تمجيدية يرفعها موسيقى مصرى موهوب الى موسيقى عالمى عبقرى . ونحن نزجى التهنئة الخالصة للاستاذ محمود احمد الحفنى ونرجو ان يتحفنا فى القريب العاجل بترجمة اخرى لبطل موسيقى آخر جدد المسرح الالمانى وموسيقى الاوبرات عامة ونعنى به رتشارد فاجنر

على الدانوب

بقلم الاستاذ احمد عطية الله

(مطبعة الاعتماد بمصر فى ٤٠٠ صفحة)

وضع الاستاذ احمد عطية الله طائفة من الكتب الشائقة سجل فيها بعض رحلاته واسفاره الى مختلف العواصم الاوربية

وقد عرف كيف يتغلغل فى البيئات الاجنبية ويلاحظها ويصور عاداتها واخلاقها بحيث يشعر قراءه انهم يعيشون فيها

ووجه الطرافة فى مؤلفاته ولا سيما فى كتابيه عن (لندن) و (برلين) ، تلك الحياة المصطخبة التى تتفجر من بين السطور وتشيع فى نفس القارىء فيخيل اليه ان لندن أو برلين قد استحالت الى عالم قريب لا يقل روعة وحركة وفتنة عن عالم القاهرة او الاسكندرية مثلا

ولقد ابدع الاستاذ احمد عطية الله فى كتابه الجديد (على الدانوب) تصوير المعالم البارزة لشتى المناطق التى مر بها . فتحدث فى استفاضة واسهاب عن مميزات رومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وبلاد المجر ، واستطاع ان يسجل فى امانة مطلقة وفى حيدة تامة مشاهد تلك البلاد واخلاق سكانها وعاداتهم وطباعهم وما درجوا عليه وما تمتاز به حضارتهم

وفى هذا الكتاب ايضا تلمس روعة اسلوب المؤلف ، ذلك الاسلوب الحى الذى لا يلبث ان ينقلك الى عالم اجنبى حتى يشعرك بأنك تعيش فى وسط هذا العالم كأنك أحد افراده

ومما يجدر بالذكر ان الصراع السياسى الاوربى الحاضر يدور حول بلاد الدانوب ، فاذا شئت ان تدرك مبلغ قوة هذا الصراع فطالع كتاب الاستاذ عطية الله فهو يصب ضوءا ساطعا على مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والنفسية والاقتصادية المضطرمة حول بلاد الدانوب

الطائر : مجموعة مقالات وقصص

بقلم الاب الياس ثابت

(مطبعة صادر ببيروت صفحاته ٣٠٠)

فى فرنسا نوع من الادب الدينى الاخلاقى ينهض على قاعدة استخدام الخيال لترويج المبادىء الدينية وبثها فى نفوس النشء

وهذا الادب يتخذ القصة واسطة لتحقيق اغراضه السامية ، ويتمثل فى اعمال طائفة من

الكتاب النوابغ امثال (بيير ليرميت) و (رينيه بازان) و (جان دسم) واضرابهم

وقد استوحى الاب الفاضل الياس ثابت ، اساليب اولئك الادباء فى وضع كتابه الشائق الذى ضمنه طائفة رائعة من القصص التهذيبية والمقالات الاخلاقية الدينية الممتعة

فالقصة عنده قالب فنى يجب أن تصب فيه غاية اجتماعية نبيلة ، أو عقيدة روحية سامية ، أو نزعة خلقية ترمى الى تجديد نظرة الانسان الى نفسه وعمله ومسعاه اليومى فى هذه الحياة

واما المقالات فينحو فيها الاب الفاضل نفس النحو ويفيض عليها من ايمانه المتقد حلة من البلاغة اللفظية الساحرة

وابدع قصص الكتاب (ضحية الجوع والجنون) و (ايوب يبعث حيا) و (اللقاء بعد الموت) و (اتق شر من احسنت اليه) . واما ابدع المقالات فتلك التى تدور حول (روح الاتانية) و (حالات النفس الداخلية) و (رجال الدين والسياسة) و (فكرة جامعة الامم)

ولا شك ان المؤلف الفاضل اجاد عرض آرائه سواء أفى الاسلوب القصصى أم فى اسلوب المقالات العادى ، بحيث جعلها فى متناول جميع قراء العربية

على ان ما يمتاز به كتابه هو تلك الحرارة الشائعة بين سطوره ، حرارة الايمان العميق بمثل دينى اعلى يدافع عنه المؤلف دفاعا بعيدا عن التعصب تلطفه روح التسامح وتسمو به رغبة الخدمة العامة فى نزاهة واخلاص

شاعريات

بقلم الاستاذ عبد المجيد مصطفى خليل

(مطبعة مصر فى ١٢٠ صفحة)

ليس من الضرورى ان ينظم الشعر فى كلم موزون مقفى كى يكون شعرا وينم عن حاسة شعرية متأصلة فى نفس صاحبه . فلرب ابيات منظومة وفق القواعد المصطلح عليها ، لا تبعث فى النفس اية عاطفة ولا توحى الى الذهن أى خيال

والواقع ان العاطفة قوة رحبة ، قوة قد تكره التقيد بوزن وقافية . ولذلك نجد الشعر اليوم فى القصص كما نجده فى المقالات الاجتماعية بل فى بعض البحوث الفلسفية العلمية . والمهم ان يكون الكاتب نفسه متقد العاطفة ، مشبوب الفطرة ، واسع افق الخيال والتصور

وقد وضع الاستاذ عبد المجيد مصطفى خليل طائفة من القصائد المنثورة والمقطعات المرسلة فيها من روح الشعر الصحيح ما قل ان تجده فى كثير من الكلم الموزون المقفى

فالحنين الى الماضى الجميل ، واستذكار حب قضى عليه الزمن ، ومناجاة الطبيعة ، وتأمل مفاتن الربيع ، والتطلع الى الخلاص من مرهقات الحياة بواسطة التقرب الى ما يزخر به الكون من جمال ، كل ذلك تحسه احساسا عميقا فى قصائد (محراب الطبيعة) و (اقبال الربيع) و (وصية شاعر) و (بين النفس وجسمها) وغيرها من القصائد التى يزيدها النثر المنغم عذوبة وسحرا

فالاستاذ المؤلف قد دل بكتابه على ان الشعر المنثور قد يكون اروع من الشعر المقفى متى كانت نفس صاحبه نفس شاعر مطبوع

نخب الذخائر فى أحوال الجواهر

للسنجارى المعروف بابن الاكفانى

(المطبعة العصرية بمصر فى ١٨٨ صفحة)

هذا كتاب قديم قصير الفصول جم الفوائد حوى مباحث جليلة فى علم الجواهر والاحجار الكريمة ، يدل ابلغ الدلالة على ان الاقدمين منا كانوا واقفين على اسرار اللغة العربية قادرين على وضع مصطلحات سليمة يعبرون بها عن مختلف العلوم والفنون

فالسنجارى المعروف بابن الاكفانى والمتوفى

عام ٧٤٩ للهجرة ، حذق علم الجواهر والاحجار النفيسة ، واضاف الى مصطلحات الكندى ونصر الجوهرى والبيرونى وابن زهر ، مصطلحات جديدة زادت فى كنز اللغة العربية

وقد أخذت نسخة هذا الكتاب عن نسخة قديمة كانت برسم احدى خزائن ملوك مصر وهى اليوم فى خزانة الآباء الكرمليين ببغداد . وقد عنى بتحرير النسخة المطبوعة وتعليق حواشيها العلمية واللغوية والادبية العالم الكبير الاب انستاس مارى الكرملى ، فجاءت غرة مجلوة من غرر الادب العربى الخالد

مصر بين الاحتلال والثورة

بقلم الاستاذ صلاح الدين ذهنى

(مطبعة الشرق الاسلامية بالقاهرة فى ١٧٠ صفحة)

لاول مرة فى مصر يحاول اديب مثقف دراسة الحياة المصرية وتطورها الاجتماعى والنفسى من خلال اعمال ادبية معينة

فهذه الاعمال تعتبر فى نظره صورا صادقة مركزة للحياة المصرية . وهذا ما أوحى اليه فكرة دراسة الوان هذه الحياة فى ضوء تلك الاعمال الادبية . ولقد اختار عملين ادبيين ، الاول كتاب عيسى بن هشام للمويلحى ، والثانى كتاب عودة الروح لتوفيق الحكيم . ثم شرع فى دراسة النفسية المصرية فى عصر الاحتلال من خلال حوادث الكتاب الاول . والنفسية المصرية بعد ثورة عام ١٩١٩ ، من خلال حوادث الكتاب الثانى

ولا شك ان الفكرة طريفة ، واسلوب المؤلف فى النقد المقارن يستحق التقدير ، غير ان شرط النجاح فى انتهاج هذا الاسلوب هو الحيدة التامة والموضوعية المطلقة وعرض صور الكتابين المختارين عرضا صادقا امينا بحيث تبرز منهما الوان الحياة المصرية كما انطبعت فى مخيلة صاحبيهما ، لا كما يريد المؤلف ان تكون

ولقد حاول الاستاذ صلاح الدين ذهنى ان يحقق هذا الشرط جهد استطاعته ، فوفق فى معظم فصول الكتاب

والحق ان التوفيق الكامل متعذر بالنسبة لدقة الموضوع واتساع افقه وتعلقه بدراسة اجتماعية تنهض على اعمال قصصية يتحكم فيها الخيال

الحائرة وقصص أخرى

بقلم الاستاذ وداع مينا

من الروائيين من يتخيل الحوادث ويتصور العواطف والاهواء ويكتب بوحى السليقة ، ومنهم من يلاحظ البيئة التى يعيش فيها ويندمج فى الوسط الذى نشأ فيه ، ثم يكتب عن خبرة وتجربة وشعور حى بالواقع الملموس

واصحاب الطريقة الاول هم انصار المذهب الرومانتيكى الخيالى واصحاب الطريقة الثانية هم دعاة المذهب الواقعى

وفى رأينا ان الاستاذ وداع مينا يحاول فى مجموعته القصصية الاولى ان يجمع بين المذهبين ويوفق بين الطريقتين

فالملاحظات الدقيقة الحية المنتزعة من صميم الحياة المصرية ، نجدها ماثلة فى طائفة كبيرة من قصصه ولا سيما قصة (ناعسة) ، ولكن هذه الملاحظات تقترن بالخيال الشعرى والتأملات الروحية وما يصحبها من استعارات ومجازات ورموز وتشابيه

فالواقع يمتزج بالخيال ، وتحليل العواطف يقترن بشبه قصائد من الشعر المنثور ولا سيما فى قصتى (الحائرة) و (تقدير) . وهذه الطريقة تنم عن روح المؤلف الشاب واتقاد خياله واتساع افق تصوره ، وهى تميزه عن غيره من الروائيين المصريين وتخلع على قصصه لونا يفيض شبابا وحياة

ولا شك فى ان الاستاذ وداع مينا كلما تمرس بالفن الروائى وازدادت تجاربه واكتملت اختباراته سيغلب الواقع على الخيال ، او يخفف من نزعة الخيال بحيث تخدم الواقع وتساعد على ابرازه دون ان تطغى عليه

ومع ذلك فلى هذه المجموعة القصصية نفحة من نفحات النبوغ الروائى الصحيح ، وفضائل أدبية صادقة اصيلة تدل ابلغ الدلالة على توقد فى الذهن ، ودقة فى ملكة الملاحظة واتساع فى افق التخيل وقدرة على تنسيق الحوادث وترتيبها وحبكها بحيث تحدث فى نفس القارئ اعمق تأثير

ساعات فى الجحيم

بقلم الاستاذ يوسف عيسى البندك

(مطبعة صوت الشعب ببيت لحم فى نحو مئة صفحة)

الاستاذ يوسف عيسى البندك من ادباء فلسطين ومشاهير الصحفيين فيها . وكتاب (ساعات فى الجحيم) هو اول قصة له نحا فى تأليفها نحو الفن الروسى القائم على نقد النظم الاخلاقية والاجتماعية والاتجاه بها صوب الاصلاح الاجتماعى والاقتصادى . ففى قصته الشائقة وصف رائع لخصائص الروح الشرقية الرجعية ، ولآلام الجماهير التى تقاسى اهوال الفاقة وتنشد من الطبقات العالية تأدية واجبها نحو الكتلة العاملة التى تمثل عنصر الحياة والنشاط وتتجلى فى جهادها قوة الوطن

والواقع ان الاستاذ يوسف عيسى البندك يتطلع بابصاره الى ابتداع فن قصصى يشبه فن مكسيم جوركى ويرمى الى تحرير الاغلبية الساحقة من شعوب الشرق باشعار الطبقات المتمولة المثقفة بما عليها من واجب نحو العامة تفرضه ثقافتها وتستطيع القيام به قوة المال مقترنة بقوة العلم

وتمتاز قصة (ساعات فى الجحيم) باسلوبها الجزل ، وعبارتها البسيطة ، وشيوع نزعة الرحمة بين سطورها ، واحساس قارئها بانه جزء حى من المجتمع الذى يعيش فيه ، يفرح لفرحه ، ويتألم لآلامه ، ولا يجد السعادة الا فى خدمته فالتجرد من الانانية ، والاخلاص فى خدمة الغير ، والتأهب للعمل والتضحية فى سبيل كل بائس محروم ، هذه هى العواطف الانسانية النبيلة التى تفيض بها حوادث القصة المستمدة من تجارب صاحبها ومن صميم الحياة

أروع القصص لديكنز

بقلم الاستاذ محمد عطية الابراشى

(مطبعة المعارف بمصر فى ١٥٥ صفحة)

تمتاز قصص الروائى الانجليزى الكبير تشرلز ديكنز بعناصر ثلاثة : دقة الملاحظة ، وسحر الفكاهة ، والشعور الانسانى العميق

فالقصة التى يكتبها ديكنز تحكم صلتنا بالواقع ، وتطربنا وتسلينا بما فيها من مساحر النوادر والنكات ، وتملأ قلوبنا بعاطفة الرحمة على كل بائس محروم . لهذه الاسباب كانت قصص ديكنز امتع غذاء للكبار والصغار يعجب بها الخاصة ويفهمها العامة ويحس ما فيها كل انسان فى كل بيئة وفى اى زمن

ولا شك فى ان الاستاذ محمد عطية الابراشى كان يدرك هذا عندما اقدم على تلخيص طائفة من اروع قصص الروائى الانجليزى وصبها فى اسلوب يستسيغه الادباء ويصادف هوى من نفوس طلبة المدارس

وفى رأينا انه متى تعذرت الترجمة لسبب من الاسباب ، فالواجب ان تلخص الاعمال الادبية الكبيرة على شرط ان يحتفظ الكاتب بجوهرها وروحها وصفوة ما انطوت عليه من حوادث وملاحظات . وهذا ما حققه الاستاذ الابراشى ولا سيما فى قصص (دافيد كوبرفلد) و (بول دمبى) و (من الخيال الى الحقيقة) و (الكسيح الصغير)

والواقع ان فى هذه الاقاصيص خيالا رائعا مدعما على الحقائق اليومية ، خيالا يفتن الكبار ، وينمى فى الصغار ملكات الملاحظة والتصور ويشيع فى قلوبهم الناضرة معنى الرحمة وحب الاحسان والتعلق بالعواطف الانسانية السامية

بين الهلال وقرائه

أصل الفينيقيين

(كورنول ـ كندا) ا٠ بشارة

ما أصل الفينيقيين ؟

(الهلال) الفينيقيون فرع من الجنس السامى، تشعب من الفرع الكنعانى ٠ ولهذا كانوا يسمون انفسهم بالكنعانيين ، ويطلقون على شاطئهم اسم كنعان ٠ وكذلك كانت الامم القديمة تسميهم ، فقد ورد اسمهم فى « لوحات العمارنة» هكذا « كناهى » Kinahhi كما أطلق عليهم « العهد القديم » اسم كنعان٠وقد كان الفينيقيون يعتقدون انهم جاءوا من « شاطىء شرقى » لعله بابل

وهم ابناء عم اليهود ، وينحدرون جميعا من السلالة الكنعانية ٠ الا ان اليهود استقروا فى الداخل بين فجاج الصحراء ، فعاشوا عيشة بدوية روحية هيأتهم لانجاب جمع من الانبياء والمشرعين، بينما استوطن الفينيقيون شاطىء البحر ، فاتخذوا التجارة وبرعوا فى الملاحة ، حتى انهم بلغوا أعمدة هرقل أى جبل طارق ٠ وهناك تشابه كبير بين اللغة الفينيقية واللغة العبرية فى الفاظهما المفردة وفى قواعد تركيبهما وفى لهجة نطقهما ، مما يدل على انهما يرجعان الى اصل واحد

مساحة سورية

(سان باولو ـ البرازيل) حليم حداد

كم تبلغ مساحة سورية ؟

(الهلال) تبلغ مساحة سورية ١٥٩٫٠٠٠ كيلو متر مربع ٠ ولا نعنى بهذا سورية السياسية فحسب ، بل سورية الطبيعية التى تشتمل كذلك على فلسطين ولبنان

الحاسة السادسة

(دائرة الصحة ـ فلسطين) طولكرم ٠ م٠

أعرف موظفة تجلس بغرفتها الخاصة التى تبعد عن باب البناء بخمسة وعشرين مترا ، ومع هذا تعرف كل من يدخل من زملائها الموظفين من هذا الباب دون ان تراه ٠ فما السر فى ذلك ؟

(الهلال) لو قرأت مقال « الحاسة السادسة» المنشور بهلال ديسمبر سنة ١٩٣٥ لوجدت أن مقدرة هذه الموظفة على تعرف زملائها دون ان تراهم شيئا بسيطا جدا ٠ فقد قال كاتبه : « ان هناك قوة كامنة فى كل انسان يميز بها الاشياء ولو لم يستعمل حاستى البصر واللمس» وأورد امثلة شتى على مقدرة العميان على تبين الاشياء وتعرف الاشخاص مما يحير المبصرين ويدهشهم

فمن ذلك أن رجلا من مدينة بلونتفيل بأمريكا ولد أعمى ، ثم اتخذ تجارة الخيل ، فكان يعرف واقع حوافر كل حصان فى بلده ، وكان اذا قدم عليه الفلاحون راكبين خيلهم خاطب كلامنهم باسمه قبل ان يفاتحه هذا بكلمة ، اذ كان يعرف الفلاح من وقع حوافر حصانه ٠ بل كان اذا وضع يده على الحصان عرف عنه من الصفات ما قد يخفى على المبصر

أليست مقدرة هذا الاعمى اعجب كثيرا من مقدرة هذه الموظفة ٠ هذا ولكل انسان مشية خاصة يميزه وقعها من سواه ، وكل منا يستطيع أن يتعرف على بعض الناس بمجرد سماعه وقع أقدامهم، وكل ما تمتاز به هذه الموظفة انهاتستطيع ان تتعرف عددا كبيرا من الناس وهذا يأتى بارهاف السمع وطول المران

لغة ايران وتركيا

(القاهرة ـ مصر) عبد الله فكرى

لماذا تختلف اللغة الايرانية واللغة التركية عن اللغة العربية مع انها تكتب بالحروف العربية؟ وكيف ترجم القرآن الكريم من اللغة العربية الى هاتين اللغتين ؟

(الهلال) كما تختلف الفرنسية عن الانجليزية وكما تختلف هذه وتلك عن الالمانية والايطالية ، مع انها كلها تكتب بالحروف اللاتينية · فكل من الايرانية والتركية والعربية لغة مستقلة بذاتها، منفردة فى نشأتها وأصولها · وكل ما بينها من وجوه الاتفاق هو كتابتها بالحروف العربية ، منذ بسط العرب على ايران سلطانهم السياسى وعلى تركيا سلطانهم المعنوى ، ممثلين فى الاسلام الذى يقوم على أعظم كتاب فى اللغة العربية ، أى على القرآن الكريم

وقد ترجم القرآن الى اللغتين كما يترجم أى كتاب الى لغة أخرى · والايرانى والتركى لا يفقه شيئا من كلماته وآياته اذا قرأها باللغة العربية ، ولكنه ينطقها النطق العربى الصحيح اذا قام للصلاة ، التى لا يباح فيها قراءة القرآن بغير اللسان العربى

مدة النوم

(القاهرة ـ مصر) ومنه

فى هذه الفترة الاخيرة من العام الدراسى احتاج الى ان أعمل كل يوم ست عشرة ساعة لاستطيع أن أنجز دروسى بكلية الحقوق · ولكن النوم يأخذ من يومى ما يتراوح بين سبع ساعات واحدى عشرة ساعة · فهل من سبيل الى انقاص هذه المدة الى اربع ساعات فحسب ؟

(الهلال) سبع ساعات كل يوم هى المدة التى ينبغى أن ينامها شاب فى مثل سنك ، كى يستطيع استرداد وتجديد قواه العقلية ، التى ينهكها طول التفكير فى الدروس واستيعابها · وكلما قلت ساعات النوم عن هذا ظل المرء فى يقظة متبلد العقل مضطرب الذهن بطىء الادراك ، مما يضيع عليه كثيرا من وقت العمل ، وكثيرا من الجهد المبذول ، بلا جدوى · وقد يؤدى الامر الى اخطر من هذا اذ ينهك بدنه ويصيب أعصابه ، فينطبق عليه الحديث الشريف « ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » · ومن المؤسف أن طلابنا يضيعون الشطر الاول من عامهم الدراسى فيما لا يجدى ، ثم يرهقون انفسهم فى الشطر الثانى ارهاقا قاسيا ، بما يتناولونه من المنبهات الكثيرة التى تؤثر تأثيرا سيئا فى اجسامهم وأعصابهم

وليس من الميسور لفرد عادى ان يكتفى بالنوم أربع ساعات كل يوم وان يستمر على هذا مدة طويلة ، الا ان يكون فذا كنابليون الذى « يقال » انه كان لا ينام فى أيام المعارك والازمات الا اربع ساعات فى اليوم · على ان فى الرياضة البدنية الهينة ، وتناول قليل من المنبهات الخفيفة ما قد يساعدك على تهدئة الاعصاب وارهاف الذهن ، بحيث يغنى العمل القليل عن العمل المفرط بينما الاعصاب مضطربة والذهن خامل

هل الخمر مفيدة ؟

(يافا ـ فلسطين) جمال الدين عمرو

هل من فائدة فى شرب الخمر ؟ واى انواعها أقل ضررا ؟

(الهلال) ينشد الناس فى شرب الخمر ثلاثة أمور : تأثيرها العصبى الذى يشعر بشىء من النشوة والمرح والنشاط ، وتأثيرها فى زيادة الشهية الى الطعام ثم تسهيل عملية هضمه ، مقدرتها المزعومة على وقاية الجسم من ميكروبات الامراض وعدوى الحميات · ولكن الاطباء اجمعوا على ان تأثير الخمر فى هذه النواحى الثلاث ضار الى حد بعيد

فمن الناحية العصبية اثبت « شميدبرج » ان الكحول لا ينبه الاعصاب مطلقا بل يشلها · وما هذا الانتعاش الذى يشعر به الشارب فى أول الامر الا نتيجة ما أصاب خلايا الحركة

العصبية من الضعف أو الشلل بتأثير مادة الكحول السامة ، حتى أصبح الشخص عاجزا عن ضبط نفسه أو حكم ارادته ، أي أصبح شبه مجنون فليس للمراكز العصبية سلطة على حركة اعصابه. هذا الى ان الكحول يضعف المرء عن العمل ، فقد سقى بعض الجنود شيئا من الخمر ولم يعط بعضهم شيئا منها ، فكان هؤلاء انشط فى السير واكثر احتمالا للتعب من اولئك . واجريت هذه التجربة مع جماعة من الكاتبين على الآلة الكاتبة فكان السكارى منهم ابطأ عملا واكثر خطأ ممن لم يتجرعوا شيئا من الخمر

وصحيح أن قليلا من الخمر يزيد كمية اللعاب التى تفرزها الغدد اللعابية ، ووجوده فى المعدة يزيد مقدار العصير المعدى زيادة كبيرة ، كما أن الكحول يمتص السوائل من المعدة والامعاء بسرعة . ولكن المادة الكحولية ضارة بالخميرات الموجودة فى طول القناة الهضمية والضرورية لسير حركة الهضم سيرا طبيعيا ، فلا تخلو تأثير الخمر فى هذه الناحية من الضرر . وهذا على شرط ان يكون تناولها بكمية قليلة جدا ، أما الاكثار منها فيؤدى حتما الى الالتهاب المعدى الذى يؤذى المصاب به أذى بالغا

أما من الناحية الثالثة فقد ثبت أن مدمن الخمر أكثر تعرضا للعدوى وأقل مقاومة للميكروب من سواه ، وقد اجريت تجارب كثيرة اثبتت ذلك ، فجىء بحيوانين سقى أولهما مقدار من الكحول ولم يسق الثانى شيئا ، وحقن الاثنان بمصل الدفتريا ، فأحدث المصل مناعة ضد الدفتريا عند الثانى ، ولم ينفع الاول بتاتا

وكلما قلت كمية الكحول فى الخمر قل ضررها . واكثرها احتواء على الكحول هو الويسكى والكونياك (من ٣٦ الى ٦٠ ٠/٠) ثم الشمبانيا والنبيذ (١٠-١٢ ٠/٠) ثم البيرة (٣-٦ ٠/٠) . وقد استقينا هذه المعلومات من بحث للدكتور محمد ابراهيم رضوان فى تقويم الهلال

أيهما يعمر : الاعزب او المتزوج

(يافا ــ فلسطين) ومنه

هل صحيح ان الذى يقضى حياته أعزب حرا يعيش أكثر مما يعيش المتزوج المقيد ؟

(الهلال) لا . بل مستوى اعمار المتزوجين أطول من مستوى اعمار العزاب . وهذا ما تثبته جميع احصاءات شركات التأمين على الحياة ، وهى من أدق الاحصاءات واصدقها . ومن الواضح ان مرجع هذا الى أن المتزوج فى مأمن من كثير من الاخطار التى يتعرض لها الاعزب ، لانه اكثر استقرارا ومحافظة عليها ، وحرصا على سعادة ابنائه الذين تتعلق به اكثر أمور حياتهم

دائرة المعارف البريطانية

(الاسكندرية ــ مصر) قارىء

هل تباع دائرة المعارف البريطانية فى مصر . وهل هناك موسوعة عربية تقوم مقامها ولو الى حد ؟

(الهلال) يمكنكم ان تشتروا الموسوعة البريطانية عن طريق المكاتب المصرية التى تبيع الكتب الانجليزية . وهناك مكاتب تقبل ثمنها مقسطا على عدة شهور . وآخر طبعة لهذه الموسوعة ظهرت فى سنة ١٩٢٩ ، وقد اعتاد ناشرو دوائر المعارف ان يعيدوا طبعها موسعة منقحة كل عشر سنوات تقريبا ، فربما أعيد طبع الموسوعة البريطانية اثناء الاعوام القليلة القادمة

وكان أول من فكر فى وضع موسوعة عربية هو العالم السورى بطرس البستانى . وقد اخرج منها ستة اجزاء ، وبدأ السابع ، فلما ما تخلفه ابنه سليم الذى اتم السابع ووضع الثامن ، واخرج ابناؤه ما بعده الى الجزء الحادى عشر ، يعاونهم فى ذلك ابن عمهم سليمان البستانى ، مترجم الالياذة

وقد وضع الاستاذ محمد فريد وجدى موسوعة عربية كبيرة تتألف من عشرين جزءا . وقد قام وحده بهذا العمل الضخم